قوت القلوب

في

معاملة المحبوب ووصف طريق المريد
الى مقام التوحيد

للشيخ أبي طالب المكي

دار صادر



Qūt al-Qulūb fī muʻāmalah al-maḥbūb
wa waṣf ṭarīq al-murīd ilá maqām
al-tawḥīd

by Abū Ṭālib Muḥammad al-Makkī

(in margins:)

(1) Kitāb Sirāj al-Qulūb wa ʻilāj
al-dhunūb

by: Abū ʻAlī al-Maʻarrī

(2) Ḥayāt al-Qulūb fī kayfīyah al-wuṣūl
ilá al-Maḥbūb

by: ʻImād al-Dīn al-Umawī

(reprint of Bulaq edition of
1302 H.)

(Beirut: Dār Ṣādir, n.d.)

Vols 1-2

(الجزء الاول)

من كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق
المريد الى مقام التوحيد لسيدنا ومولانا الشيخ الامام
العالم المحقق أبي طالب محمد بن أبي الحسن علي
ابن عباس المكي تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

*(وبهامشه كتابان جليلان * أولهما كتاب سراج القلوب)*
(وعلاج الذنوب للشيخ أبي علي زين الدين علي المعبري)
*(الفنائي * والثاني حياة القلوب في كيفية الوصول الى المحبوب)*
(لعماد الدين الاموي رحم الله الجميع)

ترجمة قوت القلوب في معاملة المحبوب مؤلف في التصوف واشتهر اسمه بطريق المريد الوصول الى مقام التوحيد تأليف الفاضل ابي طالب المكي محمد بن علي المتوفى سنة ست وثمانين وثلثمائة ببغداد حتى قال جل علماء عصره في الاقطار لم يؤلف في هذا الباب مثله ولم يسمع به في الامصار ثم نسي ذلك الاسم واشتهر الآن بدقائق الطريقة واختصره زين الدين الشيخ محمد بن خلف الاموي المتوفى سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بمحروسة دمشق الشام وسماه الوصول الى الغرض المطلوب من جواهر قوت القلوب انتهى كشف الظنون وفي شرح الشفاء للخفاجي هو أبو محمد بن أبي طالب شيخ الصوفية وأهل السنة المتبحر في التفسير وغيره من العلوم وله تفسير كبير وكتابه القوت كتاب جليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الاول الازلي قبل الكون والمكان من غير أوّل ولا بداية الآخر الابدى بعد فناء المكنونات والازمان بغير آخر ولا غاية الظاهر فى علوّه بقهره عن غير بعد والباطن فى دنوه بقربه من دون مس الذى أحسن بلطفه كل شئ بدأه وأتقن صنع كل شئ أنشأه ودبرت الاحكام حكمته وصرفت المحكومات مشيئته فاظهر فى الغيب والشهادة لطيف قدرته وعم فى العاجل والآجل خلقه بنعمته ونشر على من أحب منهم فضله وبسط لجميعهم عدله وأنعم عليهم بتعريفهم اياه سبحانه وتعالى به عز وجل وأحسن اليهم باجتبائه اياهم اليه وأفضل عليهم بتيسير كلامه لهم ومنّ عليهم ببعثه رسولا من أنفسهم اليهم فنسأله الصلاة على النبى وآله وان يوزعنا بفضله شكر نعمه ويعرفنا خفى قدره وصلى الله تبارك وتعالى على سيد الاوّلين والآخرين رسوله المفضل بالشفاعة والحوض المورود المخصوص بالوسيلة والمقام المحمود وعلى اخوانه السالفين فى الازمان وأنصاره والتابعين باحسان (وبعد) فهذا كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب ووصف طريق المريد الى مقام التوحيد تصنيف الشيخ أبى طالب محمد بن على بن عطية الحارثى المكى رضى الله عنه يشتمل على ثمانية وأربعين فصلا هذا ذكرها *(الفصل الاوّل)* فى ذكر الآى التى فيها المعاملات *(الفصل الثانى)* فى الآى التى فيها ذكر أوراد الليل والنهار *(الفصل الثالث)* فى ذكر عمل المريد فى اليوم والليلة *(الفصل الرابع)* فى ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآى المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح *(الفصل الخامس)* فى ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح *(الفصل السادس)* فى ذكر عمل المريد بعد صلاة الصبح *(الفصل السابع)* فى ذكر أوراد النهار وهى سبعة أوراد *(الفصل الثامن)* فى ذكر أوراد الليل وهى خمسة أوراد *(الفصل التاسع)* فى ذكر وقت الفجر *(الفصل العاشر)* فيه كتاب معرفة الزوال وزيادة الظل ونقصانه

بالاقدام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أولانا والصلاة والسلام على من به هدانا ورضوان الله عن آله وصحبه الراشدين والائمة المجتهدين والعلماء الزاهدين (وبعد) فهذا سراج القلوب وعلاج الذنوب أثبت فيه من الاحاديث والآثار والمواعظ المرقات والحكايات النافعات ما يحث على الطاعات ويذب عن الحوبات منقولا عن كتب الائمة الثقات متبركا بالابتداء بالآيات تذكرة لى ولمثلى من العصاة أسأل الله عز وجل أن ينفعنا به فى الدنيا والآخرة

(فصل) فى المبادرة الى الطاعة والانتهاء عن المعصية قال الله سبحانه وتعالى كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون يعنى من أطاعنى فقد شكر ومن عصانى فقد كفر

بالاقدام *(الفصل الحادى عشر)* فيه كتاب فضل الصلاة فى الايام والليالى *(الفصل الثانى عشر)* فى ذكر الوتر وفضل الصلاة فى الليل *(الفصل الثالث عشر)* فيه كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه وفى يقظته عند الصباح *(الفصل الرابع عشر)* فى تقسيم قيام الليل ووصف القائمين *(الفصل الخامس عشر)* فى ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة فى اليوم والليلة وفضل صلاة الجماعة وذكر فضل الاوقات المرجو فيها الاجابة وذكر صلاة التسبيح *(الفصل السادس عشر)* فى ذكر معاملة العبد فى التلاوة ووصف التالين حق تلاوته بقيام الشهادة *(الفصل السابع عشر)* فيه كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلم ومدح العاملين به وذم الغافلين عنه وهو من تفسير غريب القرآن (الفصل الثامن عشر) فيه كتاب ذكر الوصف المكروه من نعت الغافلين *(الفصل التاسع عشر)* فيه كتاب ذكر الجهر بالقرآن وما فى ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر والاخفات *(الفصل العشرون)* فى ذكر الليالى المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة الاوراد فى الايام الفاضلة *(الفصل الحادى والعشرون)* فى كتاب الجمعة وهيئة آدابها وذكر المزيد فى يوم الجمعة وليلتها *(الفصل الثانى والعشرون)* فيه كتاب الصوم وترتيبه ووصف الصائمين *(الفصل الثالث والعشرون)* فى ذكر محاسبة النفس ومراعاة الوقت *(الفصل الرابع والعشرون)* فى ذكر ماهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد *(الفصل الخامس والعشرون)* فيه كتاب تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين *(الفصل السادس والعشرون)* فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة *(الفصل السابع والعشرون)* فيه كتاب أساس المريدين *(الفصل الثامن والعشرون)* فيه كتاب مراقبة المقربين *(الفصل التاسع والعشرون)* فيه ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييزهم ونعت حال المتعبدين الموقنين وتمييز حال أهل الغفلة المبعدين *(الفصل الثلاثون)* فيه كتاب ذكر خواطر القلب لاهل معاملات القلوب *(الفصل الحادى والثلاثون)* فيه كتاب العلم وتفضيله وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طريق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان فضل علم الباطن على علم الظاهر والفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا وذكر وصف العلم وطريق السلف وما أحدث المتأخرون من القصص والكلام وباب ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف وباب من تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ما ذكرناه وباب تفصيل الاخبار وبيان طريق الآثار *(الفصل الثانى والثلاثون)* فى شرح مقامات اليقين وأحكام الموقنين وأصل مقامات اليقين التى ترد اليها فروع أحوال المتقين وهى تسعة أولها التوبة ثم الصبر ثم الشكر ثم الرجاء ثم الخوف ثم الزهد ثم التوكل ثم الرضا ثم المحبة *(الفصل الثالث والثلاثون)* فيه شرح مبانى الاسلام وهى خمسة فالاول فرض شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهى شهادة المقربين وذكر شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها للموقنين والثانى شرح الصلاة فأولها فرض الاستنجاء وسننه وفرائض الوضوء وسننه وفضائله وفرائض الصلاة وسننها وأحكام المصلى فى فوت الصلاة ودركها وما يتعلق بها وهيئة الصلاة وآداب المصلى فيها والثالث شرح الزكاة ووقت أدائها وذكر فضائل الصدقة وآداب العطاء ووصف أحوال الفقراء والرابع شرح صوم شهر رمضان والخامس شرح كتاب الحج الذى به كمال الشريعة وتمام الملة *(الفصل الرابع والثلاثون)* فيه كتاب تفصيل الاسلام والايمان وعقود السنة واعتقاد القلوب وشرح معاملة الناس من العلم الظاهر وذكر دعائم الاسلام وأركان الايمان واتصال الايمان بالاسلام واقتران القلوب بالعمل وذكر بيان التفرقة بين الايمان والاسلام والاستثناء فى الايمان والاشفاق من

وقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم خ م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال انى رأيت الجيش بعينى وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ما جئت به ومثل من عصانى وكذب ما جئت به من الحق أى من أطاعنى فيما أمرته ونهيته نجا وفاز ومن عصانى فلم يمتثل ما أمرت به هلك وبار خ م عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلى ومثلكم كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها قال فذلك مثلى ومثلكم أنا آخذ بحجزكم من النار هلم عن النار هلم عن النار فتغلبونى تقحمون فيها قال الشيخ كمال الدين الدميرى فى حياة الحيوان

النفاق وطريقة السلف فى ذلك *(الفصل الخامس والثلاثون)* فيه كتاب السنة وشرح فضائلها وجمل من آداب الشرع بعقود كعقود القلوب من علم الظاهر وهى ستة عشر خصلة أولها أن تعتقد ان الايمان قول وعمل وان القرآن كلام الله تبارك وتعالى غير مخلوق وان تسلم أخبار الصفات وأن تعتقد وتعلم تفضيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن تقدم من قدمه الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن تعتقد ان الامامة فى قريش عامة الى أن تقوم الساعة وان لا تكفر أحدا من أهل القبلة وأن تصدق بجميع اقدار الله عز وجل خيرها وشرها وأن مساءلة منكر ونكير حق وأن عذاب القبر حق وأن تؤمن بالميزان وأن تعتقد ان الصراط حق وأن تؤمن بالحوض المورود حوض محمد صلى الله عليه وسلم وأن تؤمن بالنظر الى الله سبحانه وتعالى وأن تعتقد اخراج الموحدين من النار وأن تؤمن بوقوع الحساب وفيه فصل مستنبط من معنى الاجماع بذكر أهل البدع واخراجهم من الجماعة وذكر فضائل السنة ووصف طرائق السلف الصالح التابعين باحسان (الفصل السادس والثلاثون) فيه ذكر جمل الشرع بعقود الايمان وذكر شرط المسلم الذى يكون به مسلما وذكر حسن اسلام المرء وعلامة محبة الله عز وجل له وذكر حق المسلم على المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذكر سنن الجسد وذكر ما فى الصحبة من المعاصى والبدع وذكر ما جاء فى فضل بعض ذلك واستحسانه وكتاب ما ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه *(الفصل السابع والثلاثون)* فيه كتاب شرح الكبائر وتفصيلها ومسئلة فى محاسبة الكفار *(الفصل الثامن والثلاثون)* فيه كتاب الاخلاص وشرح البيان والامر بتحسينها فى تصرف الاحوال والتحذر من دخول الآفات عليها فى الافعال *(الفصل التاسع والثلاثون)* فيه كتاب ترتيب الاقوات بالنقصان منها أو بزيادة الاقوات *(الفصل الاربعون)* فيه كتاب الاطعمة وما يجمع الاكل من السنن والآداب وما يشتمل على الطعام من الكراهية والاستحباب *(الفصل الحادى والاربعون)* فيه كتاب فرائض الفقر وفضائله ونعت عموم الفقراء وخصوصهم وتفصيل قبول العطاء ورده وطريق السلف فيه *(الفصل الثانى والاربعون)* فيه كتاب حكم المسافر والمقاصد فى الاسفار *(الفصل الثالث والاربعون)* فيه كتاب حكم الامام ووصف الامامة والمأموم *(الفصل الرابع والاربعون)* فيه كتاب الاخوة فى الله عز وجل والصحبة ومحبة الاخوان فيه تبارك وتعالى وأحكام المؤاخاة وأوصاف المحبين *(الفصل الخامس والاربعون)* فيه كتاب ذكر التزويج فى فعله وتركه أيهما أفضل ومختصر أحكام النساء فى ذلك *(الفصل السادس والاربعون)* فيه كتاب ذكر دخول الحمام *(الفصل السابع والاربعون)* فيه كتاب الصنائع والمعايش والبيع والشراء وما يجب على التاجر والصانع من شروط العلم فى أحكام التصرف *(الفصل الثامن والاربعون)* فيه كتاب تفصيل الحلال والحرام وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة وتمثيل ذلك بصور الالوان *(فالفصل الاول)* وهو ذكر الآى التى فيها ذكر المعاملة قال الله تعالى ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا وقال عز وجل من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب وقال سبحانه وتعالى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى وقال جلت قدرته كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية وقال عز من قائل ولكل درجات مما عملوا وقال تبارك وتعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وقال سبحانه وتعالى ونودوا أن تلكم الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون وقال سبحانه وتعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقال سبحانه وتعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقال سبحانه لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون *(الفصل الثانى)* فى ذكر الآى التى فيها أوراد الليل والنهار

الفراش دواب مثل البعوض وهى التى تطير وتتهافت فى السراج بسبب ضعف أبصارها فهى بسبب ذلك تطلب الضوء وترمى بنفسها الى الكوة فاذا جاوزتها ورأت الظلام ظنت انها لم تصب الكوة ولم تقصدها على السداد فتعود اليها مرة أخرى حتى تحترق قال الامام الغزالى رحمة الله عليه ولعلك تظن ان ذلك من جهلها بل صورة الانسان فى الاكباب على الشهوات كالتهافت على النار ويهلك هلاكا مؤبدا فليت جهل الانسان كان كجهل الفراش فانها باغترارها بظاهر الضوء ان احترقت تخلصت فى الحال والآدمى يبقى فى النار أبد الآباد أو مدة مديدة قال الشيخ عبد الله اليافعى رحمة الله عليه فى روض الرياحين حكى عن بعض الصالحين انه عبد الله عز وجل أربعين سنة فلما كان بعض الليالى أخذته دالة على الله عز وجل فقال رب أرنى ما قد أعددت لى فى الجنة أو أرنى ما قد أعددت لى من الحور الحسان فما استتم كلامه حتى انشق المحراب فخرجت منه حورية لو خرجت الى الدنيا لفتنتها

قال الله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا وقال جل ثناؤه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال سبحانه واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وادبار السجود وقال تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز اسمه والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال سبحانه وتعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين وقال سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون

(الفصل الثالث) في ذكر عمل المريد في اليوم والليلة من فرائض الاوامر وفضائل النوادب فمن ذلك يستحب عند طلوع الفجر وهو البياض المشتق من سواد الليل المعترض في قطار السماء الشرقي عند ادبار النجوم وادبارها افتراقها وذهاب ضوءها لغلبة ضوء الفجر عليها وهو الوقت الذي أمر الله تعالى فيه بذكره اذ يقول تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فليصل العبد ركعتي الفجر يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فهو أكثر ماروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ فيهما فان شاء خافت وان شاء جهر * فقد روي حديثان أحدهما يدل على المخافتة وهو حديث عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفف ركعتي الفجر حتى أقول قرأ فيهما بفاتحة الكتاب أم لا والآخر يدل على الجهر وهو حديث ابن عمر رمقت النبي صلى الله عليه وسلم عشرين يوما فسمعته يقرأ في ركعتي الفجر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفي حديث أبي هريرة وابن عباس انه قرأ صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى الآية التي في سورة البقرة قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسمعيل الى آخرها وفي الركعة الثانية ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين فليقرأ بذلك احيانا ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة يقول في كل مرة أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة ثم يسبح الله ويهلله مائة مرة بالكلمات الاربع الجامعات المختصرات التي هي في القرآن وليست بقرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وأستغفر الله وتبارك الله مرة واحدة وليدع بهذا الدعاء فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو به بعد ركعتي الفجر (روينا) عن ابن أبي ليلى عن داود بن علي عن أبيه عن ابن عباس قال بعثني العباس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة فقام يصلي من الليل فلما صلى الركعتين قبل صلاة الفجر قال اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها ألفتي وتصلح بها علانيتي وتقضي بها ديني وتحفظ بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتبيض بها وجهي وتلقني بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة اللهم اني أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء والنصر على الاعداء اللهم اني أنزل بك حاجتي وان قصر رأيي وضعف عملي وافتقرت الى رحمتك فأسألك ياقاضي الامور وياشافي الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرني من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيي وضعف عنه عملي ولم تبلغه نيتي وأمنيتي من خير وعدته أحدا من خلقك أو خير أنت معطيه أحدا من عبادك فاني أرغب اليك فيه وأسألكه يارب

فقال لها انسية أنت فانشأت تقول (شعر)

شكوت الى المولى وقد علم الشكوى
وأعطاك ما نرجو وقد كشف البلوى
وارسلني انسا اليك وانني
أناجيك طول الليل لو تسمع النجوى

فقال يا جارية لمن أنت فقالت أنا لك فقال كم لي مثلك جورية قالت مائة جورية ولكل جورية مائة خادمة ولكل خادمة مائة وصيفة ولكل وصيفة مائة قهرمانة ففرح وقال يا جورية هل أعطى أحد أكثر مني قالت يامسكين أعطاك عطاء البطالين الذين يقولون أستغفر الله فيغفر لهم ثم يستغفرون الله عند غروب الشمس فيغفر الله لهم ثم أنشأت تقول (شعر)

وله خصائص مصطفون لحبه
اختارهم في سالف الازمان
اختارهم من قبل فطرة خلقه
فهم ودائع حكمة وبيان

(وأنشدت أيضا)

نشرت لهم أعلام حب حبيبهم
فتبايعوا وتناهبوا الاعلاما
باحسنهم في ظل عرش مليكهم

العالمين اللهم اجعلنا هادين مهديين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدائك وسلما لاوليائك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان فانا لله وانا اليه راجعون لاحول ولاقوة الا بالله ذي الحبل الشديد والامر الرشيد أسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفين بالعهود انك رحيم ودود أنت تفعل ماتريد سبحان الذي تعطف بالعز وقال به سبحان الذي لبس المجد وتكرم به سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل والنعم سبحان ذي القدرة والكرم سبحان الذي أحصى كل شي بعلمه اللهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي ونورا من بين يدي ونورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونورا من تحتي اللهم زدني نورا واعطني نورا واجعل لي نورا هذه الانوار التي سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله في كل جزء من أجزائه انما هو دوام النظر من نور النور بشاهد القيومية في كل سكون وحركة منه يكلؤه بنظره ويتولاه بحيطته فينظر اليه بدوام نظره ليستقيم له بتولي حفظه فلا يزيغ بصره ولا يطغى ولا تستهويه النفس بهوى فليدع العبد بهذا الدعاء بعد ركعتي الفجر لكن يقدم على دعائه المسئلة لله تبارك وتعالى في الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله فيستجيب سبحانه وتعالى دعوته ولا يرده لقول الرسول صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى أكرم من أن يسئل في حاجتين فيعطي احداهما ويرد الاخرى ثم ليصل العبد صلاة الغداة في جماعة ليكون في ذمة الله وجواره وفي الحديث صلاة الغداة في جماعة أفضل من قيام ليلة وصلاة العشاء الآخرة في جماعة أفضل من قيام نصف ليلة ولكن قائما في صلاته بالقاء سمع وشهود قلب وحضور عقل وجمع هم وصحة تيقظ وحسن اقبال وتدبر للكلام وترتيل وتفهم بالتماس غرائب التنزيل فاذا سلم من صلاته قال ما يستحب من الذكر

(الفصل الرابع) في ذكر ما يستحب من الذكر وقراءة الآي المندوب اليها بعد التسليم من صلاة الصبح استخرجناها من الآثار اللهم صل على محمد وآله اللهم أنت السلام ومنك السلام واليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام ثم ليقل سبحان الله العظيم وبحمده ثلاثا ثم يستغفر الله ثلاثا ثم يقول اللهم لامانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ثم ليقل وهو ثان رجله من قبل أن يتكلم هذه الكلمات عشر مرات لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لايموت بيده الخير كله وهو على كل شي قدير ثم ليقرأ وهو كذلك قل هو الله أحد عشرا ويقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون عشر مرات وليقل سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة ثلاث مرات وليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى آخر الثلاث آيات ثلاث مرات ثم يسبح ثلاثا وثلاثين ويحمد كذلك ويكبر أربعا وثلاثين فتلك مائة مرة وان أحب جعلها خمسا وعشرين وزاد فيها التهليل وان قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمسا وعشرين مرة استوعب ذلك مائة تسبيحة وكان أيسر عليه لاجل المداومة ثم يقرأ سورة الحمد وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله آمن الرسول وشهد الله الآية وقل اللهم مالك الملك الآيتين ثم يقرأ لقد جاءكم رسول من أنفسكم الى آخرها ثم يقرأ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية ثم يقرأ لقد صدق الله رسوله الرؤيا الى آخر السورة ثم يقرأ خمسا من أول سورة الحديد وثلاثا من آخر سورة الحشر ثم ليقل اللهم اني أسألك بكرم وجهك الصلاة على محمد وآله وأسألك الجنة وأعوذ بك من النار سبع مرات وقال قبيصة بن مخارق للنبي صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها وأوجز فقد كبر سني وعجزت عن أشياء كنت أعملها فقال أما للدنيا فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده لاحول ولاقوة الا بالله فانك اذا قلتهن أمنت من عمى وجذام وبرص وفالج واما

كل يقود من النجيب زماما
حتى اذا صاروا بحضرة قدسه
كشف الملك حجابه اكراما
فهم الملوك العارفون بربهم
والدائبون ببابه خداما

قال اليافعي وهذه خمسة أبيات قلتها وألحقت بها هذه الابيات الاربعة (شعر)

من غال ياقوت وزاهي جوهر
يعلوه نور يسكنون خياما
ومع الحسان الحور عين لوبدت
ليلا أنارت بالجمال ظلاما
ولعطرت كل الوجود وزخرفت
ولمات كل بالجمال غراما
ياحسنها بين الجواري عندها
تمشي لتلقى قادمين كراما
يجزون غرفات بما فوق المنى
وتحية يلقونها وسلاما

أيها الناس ان أحلام الغفلات مفصحة بصدق حلول المثلات وان الاصرار على التبعات يؤذن بهجوم مذموم البيات وكفى بظهور الاعداء عن خبث السرائر مخبرا وباختلاف الاهواء على قرب تزول الدوائر منذرا ألم يأتكم نبأ من سلف من الاولين وما حل بهم عند مخالفتهم سنن المرسلين وهم الذين أعارتهم الايام محاسنها وأظهرت لهم الارض معادنها فجندوا الجنود وجبوا البرود واتخذوا

لآخرتك فقل اللهم صل على محمد وآل محمد واهدنى من عندك وأفض على من فضلك وانشر على من رحمتك وأنزل على من بركاتك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما انه اذا وافى بهن يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء وان قال المسبعات العشر التى أهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمى ووصاه ان يقولها غدوة وعشية وقال له الخضر أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم وذكر من فضلها وعظم شأنها ما يجل عن الوصف وانه لا يداوم على ذلك الا عبد سعيد قد سبقت له من الله عز وجل الحسنى وحذفنا ذكر فضائلها اختصارا فان قال ذلك فقد استكمل الفضل والمداومة عليهن تجمع له جميع ما فرقناه من الادعية روى ذلك سعيد بن سعيد عن أبي طيبة عن كرز بن وبرة قال وكان من الابدال قال أتانى أخ لى من الشام فأهدى لى هدية وقال يا كرزا قبل منى هذه الهدية فانها نعم الهدية فقلت يا أخى من أهدى لك هذه الهدية قال أعطانيها ابراهيم التيمى قلت أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه قال بلى قال كنت جالسا فى فناء الكعبة وأنا فى التهليل والتسبيح والتحميد فجاءنى رجل فسلم على وجلس عن يمينى فلم أر فى زمانى أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت فى أى شئ جئتنى قال جئتك للسلام عليك وحبا لك فى الله عز وجل وعندى هدية أريد أن أهديها اليك فقلت ماهى قال هى ان تقرأ قبل طلوع الشمس وتبسط على الارض وقبل ان تغرب سورة الحمد سبع مرات وقل أعوذ برب الناس سبع مرات وقل أعوذ برب الفلق سبع مرات وقل هو الله أحد سبع مرات وقل يا أيها الكافرون سبع مرات وآية الكرسى سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر سبع مرات وتصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وتستغفر لنفسك ولوالديك وما توالدا ولاهلك وللمؤمنين والمؤمنات الاحياء منهم والاموات سبع مرات وتقول اللهم يا رب افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولاى ما نحن له أهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم سبع مرات وانظر ان لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب ان تخبرنى من أعطاك هذه العطية فقال أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم فقلت أخبرنى بثواب ذلك فقال لى اذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم فسله عن ثوابه فانه سيخبرك فذكر ابراهيم التيمى رحمه الله انه رأى ذات ليلة فى منامه ان الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف وصفا عظيما مما رأى فى صفة الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا كله فقالوا للذى يعمل مثل عملك وذكر انه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها فأتانى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم على وأخذ بيدى فقلت يا رسول الله ان الخضر أخبرنى انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الارض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله عز وجل فى الارض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا ولم ير مثل الذى رأيت فى منامى هل يعطى مما أعطيته قال والذى بعثنى بالحق انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرنى ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التى عملها ويرفع الله عز وجل عنه غضبه ومقته ويؤمر صاحب الشمال ان لا يكتب عليه شيئا من السيآت الى سنة والذى بعثنى بالحق نبيا ما يعمل بهذا الا من خلقه الله تعالى سعيدا ولا يتركه الا من خلقه شقيا وقد كان ابراهيم التيمى رحمه الله مكث أربعة أشهر لم يطعم طعاما ولم يشرب شرابا فلعله بعد الرؤيا والله تعالى أعلم ذكره الاعمش عنه فهذا من جل ما أتى مما يستحب ان يقرأ أو يقال بعد صلاة الغداة ولذلك فضائل جة وردت بها الاخبار حذفنا ذكرها للاختصار

(الفصل الخامس) فى ذكر الادعية المختارة بعد صلاة الصبح الجامعة المختصرة المأثورة فى الاخبار المتفرقة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا افتتح دعاء افتتحه بقوله سبحان ربى العلى الاعلى الوهاب وانه كان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا اله الا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره

المصانع وامنوا القوارع وذللوا البلاد والعباد قهرا فعبروا بذلك دهرا ثم بدلوا نعمة الله كفرا ولم يقابلوا احسانه اليهم شكرا فشربوا الخمور وارتكبوا الفجور وتسامروا بالغيبة وتفاخروا بالريبة وباعوا الامانات وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات واستمعوا القينات واظهروا المنكرات بأكل الربا فى التجارات وفعل الرياء وزور الشهادات ولم يعتبروا بالآيات ولا استحيوا من عالم الخفيات فلم يزالوا كذلك وعلى ذلك حتى اصطلموا وغيبوا فى التراب وارغموا ولقد علموا على من قدموا ولم تنفعهم الندامة اذا ندموا كعاد ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد أى مثل عاد فى قوتهم وطول قامتهم كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيلقيها على الحى أى القبيلة فيهلكهم وثمود الذين جابوا الصخر أى قطعوا صخر الجبال وبنوا الفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة بالواد أى بوادى القرى وفرعون ذى الاوتاد اى ذى الجنود الكثيرة وكانت لهم مضارب

الكافرون * ورو ينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولي اللهم انى أسألك الصلاة على محمد وآله وأسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ماسألك به عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأسألك ماقضيت لى من امر ان تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين (وعن) أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يافاطمة مايمنعك ان تسمعي ماأوصيك به ان تقولي ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث فاغثني ولاتكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لى شأنى كله وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق رضي الله عنه هذا الدعاء فقال قل اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وكليمك وعيسى روحك وكلمتك وبكلام موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله عليه وسلم وكل وحي أوحيته أوقضاء قضيته أوسائل أعطيته أوغنى أفقرته أوفقير أغنيته أوضال هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى وأسألك باسمك الذى ثبت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الارض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فارست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك ان تصلى على محمد نبيك وعلى آله وان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول لى ولاقوة الابك ياأرحم الراحمين ورو ينا عن ابن عمران جبريل عليه السلام أتى النبي صلى الله عليه وسلم فعلمه هذا الدعاء يانور السموات والارض ياجمال السموات والارض ياعماد السموات والارض يابديع السموات والارض ياذا الجلال والاكرام ياصريخ المستصرخين ياغوث المستغيثين يامنتهى رغبة الراغبين والمفرج عن المكروبين والمروح عن المغمومين ومجيب دعوة المضطرين وكاشف السوء وأرحم الراحمين واله العالمين منزول بك كل حاجة ياأكرم الاكرمين وياأرحم الراحمين (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع ان يدعو بهؤلاء الكلمات حين يصبح وحين يمسى اللهم انى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة وأسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى وفى أهلي ومالى اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى وأقلني عثراتى اللهم احفظني من بين يدى ومن خلفي وعن يميني وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بك ان أغتال من تحتي وقال بريدة الاسلمي قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم يابريدة الا أعلمك كلمات من أراد الله عز وجل به خيرا علمهن اياه ثم لم ينسهن اياه أبدا قال قلت بلى يارسول الله صلى الله عليك قال قل اللهم انى ضعيف فقو فى رضاك ضعفي وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم انى ضعيف فقوني وانى ذليل فاعزني وانى فقير فاغنني برحمتك ياأرحم الراحمين ورو ينا عن أبي مالك الاشجعي قال حدثني أبي قال كنا نغدو الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجيء الرجل أوتجيء المرأة فيقول كيف أقول يارسول الله اذا أصبحت قال تقول اللهم صل على محمد وآله واغفر لى وارحمني واهدني وارزقني وعافني واجبرني فقد جمعن لك خير دنياك وآخرتك ورو ينا عن أبي زرعة قال كتب الى أبوهريرة فيما أكاتبه وشافهني به فيما ألقاه ان الشيطان لايطيف بانسان يقول حين يصبح وحين يمسى اللهم انى أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر السامة والهامة وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر عذابك وشر عبادك وأعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر الشيطان الرجيم اللهم انى أسألك باسمائك وكلمتك التامات ان تصلي على نبيك محمد وآله وأسألك من خير ماتعطى وماتسأل ومن خير ماتخفى وخير ماتبدى اللهم انى أعوذ باسمك وكلمتك التامة من شر مايجرى به النهار ان ربي الله الذى لااله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وان كان مساء قال ومن شر ماجاء به الليل يقول ذلك ثلاثا * ورو ينا

كثيرة يضربونها اذا نزلوا الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب أى عذبهم عذابا مؤلما دائما ان ربك لبالمرصاد وهو المكان الذى يترقب فيه الرصد وهذا مثل لارصاده العباد بالجزاء أى انهم لايفوتونه وانه عليم بما يصدر منهم وحافظ فيجازيهم عليه ان خيرا فخير وان شرا فشر اللهم اجعلنا ممن أخذ لنفسه قبل الاخذ منها وصرف بالتوبة وبيل النقمة عنها بمحض فضلك وكرمك ياأرحم الراحمين

(فصل) فى التوبة قال الله سبحانه وتعالى ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا أى خالصة لتخلصوا من المعاصى ظاهرا وباطنا وهى الندم على الذنوب الماضية واعادة الفرائض بقدر الامكان ورد المظالم على أربابها وورثتهم ثم التصدق بها واستحلال الخصوم ان أمكن ثم الاحسان اليهم والعزم على ان لايعود وتربية النفس فى طاعة الله كما رباها فى معصيته ثم قال تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار وقال تعالى

عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن عبيد الله قال أتى أبو الدرداء فقيل له احترقت دارك فقال ما كان الله عز وجل ليفعل ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حيث دنت من دارك طفئت فقال قد علمت فقيل له ما ندرى اى قوليك أعجب قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال هؤلاء الكلمات فى ليل أو نهار لم يضره شئ وقد قلتهن وهى اللهم انت ربى لا اله الا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما شاء الله عز وجل ربى كان وما لم يشأ لم يكن أعلم ان الله على كل شئ قدير وان الله قد أحاط بكل شئ علما اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة انت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وقد روينا عن أبى الدرداء انه قال من قال فى كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما أصاب أحداهم ولا حزن فقال اللهم انى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ناصيتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضاؤك أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ان تصلى على نبيك وحبيبك محمد وآله وان تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى وجلاء حزنى وذهاب همى وغمى الا أذهب الله عز وجل همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا قال قيل يا رسول الله الا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغى لمن سمعها ان يتعلمها وروينا فى الاخبار ان ابراهيم الخليل كان يقول اذا أصبح اللهم هذا خلق جديد فافتحه على بطاعتك واختمه لى بمغفرتك ورضوانك وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى وزكها وضعفها لى وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه وكذلك اذا أمسى وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال اذا أصبح واذا أمسى ثلاث مرات رضيت بالله عز وجل ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا كان حقا على الله ان يرضيه يوم القيامة وروينا عن معمر عن جعفر بن برقان ان عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم انى اصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو وأصبح الامر بيدك لا بيد غيرك وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسئ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ولا غاية أملى ولا تسلط على من لا يرحمنى وروينا عن عطاء عن ابن عباس قال يلتقى الخضر والياس فى كل موسم فيفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله عز وجل ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله فمن قالها اذا أصبح ثلاث مرات أمن الحرق والغرق والسرق ويقال ان هذا من استغفار الخضر عليه السلام اللهم انى استغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه اللهم انى استغفرك من كل عقد عقدته لك ثم لم أوف لك به اللهم انى استغفرك من كل نعمة انعمت بها على فتقويت بها على معصيتك اللهم انى استغفرك من كل عمل عملته لوجهك خالطه ما ليس لك وحكى سعيد بن أبى الرجاء الجمال وكان من أهل الخير انه توحد ذات ليلة فى أرض قفرة فاستوحش وفزع فظهر له شخص قال فاشتد جزعى منه حتى سمعته يقرأ القرآن ثم قال ألا أدلك على شئ اذا انت قلته انست اذا استوحشت واهتديت اذا ضللت ونمت اذا أرقت قلت علمنى رحمك الله قال قل بسم الله ذى الشأن عظيم البرهان شديد السلطان كل يوم هو فى شأن لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحدثونا عن يعقوب بن عبد الرحمن الدعاء قال سمعت محمد بن حسان يقول قال لى معروف الكرخى رحمه الله الا أعلمك عشر كلمات خمسة للدنيا وخمسة للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله سبحانه وتعالى عندهن قلت اكتبها قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن حبيش حسبى الله تبارك وتعالى لدينى حسبى الله عز وجل لدنياى حسبى الله الكريم لما أهمنى حسبى الله الحكيم القوى لمن بغى على حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء حسبى الله الرحيم عند الموت حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر حسبى الله الكريم عند الحساب حسبى الله

وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون أى بسلامة الايمان والنجاة عن التبعات والدركات (م) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة اعلم انه انما استغفر صلى الله عليه وسلم مع انه مغفور له ومعصوم تعليما للامة (خ) عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان المؤمن يرى ذنوبه كانه قاعد تحت جبل يخاف ان يقع عليه وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أى بيده فذبه عنه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لله أفرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا اشتد عليه الحر والعطش أو ما شاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام حتى أموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه وشرابه فالله أشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده فسبحان الله ما أرحمه بعبده وأحبه له فرح أى رضى أشد الرضا بتوبة عبده مع ان نفع توبته له

اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وادع بهؤلاء الكلمات اللهم يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين ومقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا من الاحياء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين يقال ان عتبة الغلام رؤي في المنام فقال دخلت الجنة بهذه الدعوات وليقل بعد ذلك هذا الدعاء اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات ذا العرش تلقي الروح من أمرك على من تشاء من عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لا اله الا أنت اليك المصير روي ابراهيم الصائغ في النوم فقيل له باي شئ نجوت فقال بهذه الدعوات وليقل هذا الدعاء يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يا من لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يا من لا يتبرم بالحاح الملحين أذقني برد عفوك وحلاوة رحمتك يقال ان الخضر عليه السلام علم علي بن أبي طالب عليه السلام هذا الدعاء وليسبح تسبيحات ابي المعتمر وهو سليمان التيمي فقد روي من فضلها ان يونس بن عبيد رأى رجلا كان قد قتل شهيدا ببلاد الروم فقال له ما أفضل ما رأيت ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات أبي المعتمر من الله سبحانه وتعالى بمكان وقال المعتمر بن سليمان رأيت عبد الملك بن خالد بعد موته فقلت ما صنعت قال خيرا قلت ترجو للخاطئ شيأ قال يلتمس تسبيحات أبي المعتمر فانها نعم الشئ وهذه هي التسبيحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله عدد ما خلق الله وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك واضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ علمه ورضاه وحتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضى وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات ونسمة وشم ونفس ولمحة وطرفة من الابد الى الابد ابد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد أخراه وليدع بهذا الدعاء فانه دعاء التوبة مرجو فيه الاجابة روينا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت لما أراد الله عز وجل ان يتوب على آدم طاف سبعا بالبيت وهو يومئذ ليس ببنى ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي ويقينا صادقا حتى أعلم انه لا يصيبني الا ما كتبت لي والرضا بما قسمت لي يا ذا الجلال والاكرام فاوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولن يأتيني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها وليقل هذه الكلمات المشهورة فانها مما روي في اسم الله سبحانه وتعالى الاعظم باخبار في ذلك مأثورة اللهم اني اسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام أنت الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ياحي ياقيوم ياحي حين لاحي في ديمومة ملكه وبقائه ياحي محيي الموتى ياحي مميت الاحياء ووارث أهل الارض والسماء اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم اني أسألك باسمك الاعظم الاجل الاعز الاكرم الذي اذا دعيت به اجبت واذا سئلت به أعطيت يانور النور يامدبر الامور ياعالم ما في الصدور ياسميع ياقريب يامجيب الدعاء يالطيفا لما يشاء يارؤف يارحيم ياكبير ياعظيم ياالله يارحمن ياذا الجلال والاكرام الم الله لا اله الا هو الحي القيوم وعنت الوجوه للحي القيوم ياالهي واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت اللهم اني اسألك باسمك الله الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم أنت الاول الآخر الظاهر الباطن وسعت كل شئ رحمة وعلما كهيعص حمعسق الرحمن ياواحد ياقهار ياعزيز ياجبار يا أحد ياصمد ياودود ياغفور هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم .

وان ضر ذنوبه عليه عموما أقسى قلب العبد واجهله اذا لم يتب عن ذنبه فعلى العبد المبادرة بالتوبة وتحقيق حدودها ليتخلص من سخط الله تعالى ومقته ونار جهنم والنكال والاغلال ولينجو من هلاك الابد و يظفر بسعادة السرمد والقرب من باب الله تعالى ورحمته و ينال رضوانه وجنته وليوفق للطاعة ولتقبل منه فان أكثر العبادة نفل والتوبة فرض ولا يقبل النفل قبل الفرض ولا يتخلف عنها بخوف وقوعه في الذنب فانه ظن ادخله الشيطان في قلبه ليسوفها فقد روى أحمد عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب أي كثير الذنوب كثير التوبة وحكي عن بعض المشايخ انه تاب سبعين مرة ونقض سبعين مرة حتى استقام على التوبة في الحادية والسبعين وحكي انه تاب بعض المريدين عن الذنب ثم وقع في المعصية ثم ندم وخطر بباله انه لو رجع الى التوبة كيف يكون حاله فهتف هاتف اطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فامهلناك فان عدت الينا قبلناك فعلى العبد ان يفزع الى التوبة بالندم والاقلاع والعزم على

الرحيم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين اللهم انى أدعوك باسمك المكنون المخزون المنزل السلام
الطهر الطاهر القدس المقدس يادهر يا ديهور يا ديهار يا أبديا أزل يا من لم يزل ولا يزول هو يا هو لا اله الا هو
يا من لا هو الا هو يا من لا يعلم ماهو الا هو يا كان يا كينان ياروح يا كائن قبل كل كون يا كائن بعد كل كون
يا مكنون لكل كون اهيا شراهيا أدناى اصباوت يا مجلى عظائم الامور فان تولوا فقل حسبى الله لا اله الا هو
عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ليس كمثله شئ وهو السميع البصير اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وليقل هذه الادعية المأثورة اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر
نعمتك وحسن عبادتك وأسألك اللهم يارب قلبا سليما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ
بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
واغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أعلنت وما أسررت فانك انت المقدم وانت المؤخر وانت على كل شئ قدير
وعلى كل غيب شهيد اللهم انى أسألك ايمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الابد ومرافقة نبيك محمد صلى الله
عليه وسلم فى أعلى جنة الخلد اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
أسألك اللهم يارب الصلاة على محمد وعلى آله اجمعين وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقرب الى حبك
وان تتوب على وتغفر لى وترحمنى واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون يا أرحم الراحمين اللهم بعلمك
الغيب وقدرتك على الخلق احينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كانت الوفاة خيرا لى أسألك اللهم يارب
خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك
والشوق الى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم يارب زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة
مهتدين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك
ما تدخلنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا
حزن خوف الوعيد وسرور رجاء الموعود حتى نجد لذة ما نطلب وغم ما منه نهرب اللهم صل على محمد
وعلى آل محمد سيد الاولين والآخرين وصل على محمد وعلى آله أجمعين وألبس وجوهنا منك الحياء
واملأ قلوبنا بك فرحا واسكن فى نفوسنا من عظمتك وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب الينا مما سواك
واجعلنا أخشى لك مما سواك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام العصمة وأداء
الشكر بحسن العبادة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأعوذ بك من فتنة الغنى وفتنة الفقر وأعوذ بك من
ضيق الصدر وشتات الامر وعذاب القبر وأعوذ بك من غنى مطغى ومن فقر منسى ومن هوى مردى وقرين
مغوى اللهم انى أسألك الصلاة على محمد وعلى آله وأسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى اللهم صل على محمد
نبيك وصفيك ولا تقدمنى لعذاب ولا تؤخرنى لسيئ الفتن أعوذ بك يا الله من الفتن ما ظهر منها وما بطن وأعوذ
بك من المحن ما خفى منها وما عان اللهم انى أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله وأسألك خير هذا اليوم
وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه أعوذ بك اللهم يارب من شر طوارق الليل والنهار ومن بغتات الامور
وفجأة الاقدار ومن شر كل طارق يطرق الا طارقا يطرق منك بخير يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما اللهم
صل على محمد وعلى آله واجعل يومنا هذا أوله صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم صل على محمد وعلى
آل محمد واجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة اللهم صل على محمد نبيك وعلى آله وأعوذ بك ان أزل
او أزل أو أضل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على عز جارك وجل ثناؤك وتبارك أسماؤك ولا اله
غيرك اللهم صل على محمد وعلى آله وأعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن
فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم سوأ أو فتنة فاقبضنى اليك غير مبدل ولا مفتون اللهم صل على محمد

ان لا يعود فان تمت توبته
فهو المطلوب والا غفرت
ذنوبه الماضية وليس عليه
الا الذنوب الواقعة فعليه
تجديد التوبة عنها ويقول
لعلى أموت قبل العود فى
هذه المرة وكذلك ثانيا
وثالثا ويتخذ التوبة
والعود الهاجرفة كما تخذ
المعصية والعود الهاجرفة
وليحذفها أشد من الجد فى
أمر الدنيا فلعذاب الآخرة
أشد وأبقى وينبغى ان
لا يسوفها فان الاجل
مكتوم لا يدرى متى يفجؤه
الموت أو المرض المفضى
اليه ويجتهد فى تحقيقها كل
الاجتهاد اذ رأس مال
المؤمن الايمان وقد يزول
الايمان بفقد التوبة وشؤم
الذنب فيبقى فى نار جهنم
خالدا مخلدا كابليس
وبلعام فان أولهما ذنب
وآخرهما كفر وشقوة الابد
أعاذنا الله منها وفى روض
الرياحين عن أبى اسحق
الفزارى قال كان رجل
كثير الجلوس الينا ونصف
وجهه مغطى فقلت له انك
تكثر الجلوس الينا ونصف
وجهك مغطى أطلعنى على
هذا فقال وتعطينى الامان
قلت نعم قال كنت نباشا
فدفنت امرأة فأتيت قبرها
فنبشته حتى وصلت الى
اللبن فرفعت اللبن ثم ضربت
بيدى الى الرداء ثم ضربت
بيدى الى اللفافة فمددتها
فجعلت تمدها هى فقلت

وعلى آله اللهم احيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واسألك خير الحياة وبركة الحياة وأعوذ بك من شر الوفاة واسألك خير ما بينهما وخير ما بعد ذلك احيني حياة السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفني وفاة الشهداء وفاة من تحب لقاءه ياخير الرازقين ويا أحسن التوابين ويا أحكم الحاكمين ويا أرحم الراحمين ويارب العالمين أعوذ بك من شر ما يلج في الارض وما يخرج منها ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها الحمد لله الذي تواضع كل شئ لعظمته وذل كل شئ لعزته وخضع كل شئ لملكه واستسلم كل شئ لقدرته والحمد لله الذي سكن كل شئ لهيبته والحمد لله الذي أظهر كل شئ بحكمته وتصاغر كل شئ لكبريائه اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وأزواجه وذريته في العالمين انك حميد مجيد كريم اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي الرسول الامين واعطه المقام المحمود يوم الدين اللهم انى أعوذ بك من حدة الحرص وشدة الطمع وسورة الغضب وسنة الغفلة وتعاطي الذلة أعوذ بك من مباهاة المكثرين والازراء على المقلين وأن أنصر ظالما أو أخذل مظلوما وان أقول في العلم بغير العلم واعمل في الدين بغير يقين اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك وأنا أعلم واستغفرك لما لا أعلم اللهم انى أعوذ بك من اتباع خطوات الشيطان وشركه في المال والاهل وقبول أمره في السوء والفحشاء اللهم انى أسألك الصلاة على نبيك محمد وعلى آله واسألك حسن الاختيار وصحة الاعتبار وصدق الافتقار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وافتح بخير واختم بخير وأنت الفتاح العليم اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استحفظت ولا تهتك ما سترت فانه لا اله لنا الا أنت استغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير خدمتك ومن كل سرور بغير قربك ومن كل فرح بغير مجالستك ومن كل شغل بغير معاملتك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واستعملنا بمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله ونسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واحفظنا فيما امرتنا واحفظنا عما نهيتنا واحفظ لنا ما اعطيتنا يا حافظ الحافظين ويا ذاكر الذاكرين وياشاكر الشاكرين بحفظك حفظوا وبذكرك ذكروا وبفضلك شكروا ياغوث يامغيث يامستغاث ياغياث المستغيثين لا تكلني الى نفسي يارب طرفة عين فاهلك ولا تكلني الى الخلق فاضيع اكلأني كلاءة الوليد ولا تخل عني وتولني بما تتولى به عبادك الصالحين اللهم صل على نبيك محمد وعلى آله وبقدرتك على تب علي انك أنت التواب الرحيم وبحلمك عني اعف عني انك أنت الغفار وبعلمك بي ارفق بي انك أنت الرحمن الرحيم وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي انك أنت الملك الجبار سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك أنت ربي لا اله الا أنت انه لا يغفر الذنوب الا أنت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني اللهم انى أسألك ان تصلى على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة اللهم صل على نبيك محمد وعلى آل محمد وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أبوء بنعمتك الي وأبوء بذنوبي اليك هذه يداي بما كسبت أنا عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك جار في حكمك نافذ في قضاؤك عدل في مشيئتك ان تعذب فاهل ذلك أنا وان ترحم فاهل ذلك أنت فافعل اللهم يامولاي ياالله يارب افعل بي ما أنت له أهل ولا تفعل اللهم يارب ياالله بي ما أناله أهل فانك أهل التقوى وأهل المغفرة يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي اللهم يارب مالا يضرك واعطني مالا ينقصك افرغ اللهم علينا يارب صبرا وتوفنا مسلمين والحقنا بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة انا هدنا اليك ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة

الذين

أراها تغلبني فجثيت على ركبتي فجررت اللفافة فرفعت يدها فلطمتني وكشف وجهه فاذا أثر خمس أصابع في وجهه فقلت له ثم مه قال ثم رددت عليها لفافتها وازارها ثم رددت التراب وجعلت على نفسي ان لا أنبش قبرا ما عشت قال فكتبت بذلك الى الاوزاعي فكتب الى الاوزاعي ويحك سله عمن مات من أهل التوحيد ووجهه الى القبلة قال فسألته عن ذلك فقال أكثرهم حول وجهه عن القبلة فكتبت بذلك الى الاوزاعي فكتب الى انا لله وانا اليه راجعون ثلاث مرات وأما من حول وجهه عن القبلة فانه مات على غير السنة قال اليافعي رحمه الله لعل الامام الاوزاعي رضى الله عنه أراد بالسنة ههنا ملة الاسلام والمعنى والله أعلم ان الاصرار على المعاصي يجر كثيرا من العصاة الى الموت على الكفر والعياذ بالله قال الغزالي رضى الله عنه الايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف مفقوء العين فاقد لجميع أعضائه الظاهرة والباطنة الا أصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان

للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم انى أسألك ان تصلى على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك الصيانة والعون على الطاعة والعصمة من المعصية وافراغ الصبر فى الحدة وايزاع الشكر على النعمة واسألك يامولاى يا الله يارب الصلاة على نبيك محمد وعلى آل محمد وحسن الخاتمة اللهم انى اسألك أن تصلى على نبيك محمد وعلى آل محمد واسألك اليقين وحسن المعرفة بك واسألك المحبة وحسن التوكل عليك واسألك الرضا وحسن المنقلب اليك ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا الى آخرها اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وطهر قلوبنا فى قلوب الابرار وزك أعمالنا فى عمل الاخيار وصل على أرواحنا فى أرواح الشهداء يا أكرم الاكرمين ويا أجود الاجودين ويا أرحم الراحمين ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وعلما وزهدا وعبادة وأمنا ورزقا من حلال وفى الآخرة حسنة رضوانك والجنة وقنا برحمتك عذاب النار وعذاب القبر وقنا سخطك وغضبك وعذابك وأهواله عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة برحمتك يا ارحم الراحمين وان تمجد الله تعالى غدوة وعشية بما يمجد به نفسه عزوجل فقد روى من ثواب ذلك ماهو غاية الطالبين روينا عن على عليه السلام عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يمجد نفسه فى كل يوم يقول سبحانه وتعالى انى أنا الله رب العالمين انى أنا الله لا اله الا أنا الحى القيوم انى أنا الله لا اله الا أنا العلى العظيم انى أنا الله لا اله الا أنا العفو الغفور انى أنا الله لا اله الا أنا مبدئ كل شئ والى يعود انى أنا الله لا اله الا أنا لم ألد ولم أولد انى أنا الله لا اله الا أنا العزيز الحكيم انى أنا الله لا اله الا أنا مالك يوم الدين انى أنا الله لا اله الا أنا الرحمن الرحيم انى أنا الله لا اله الا أنا خالق الخير والشر انى أنا الله لا اله الا أنا خالق الجنة والنار انى أنا الله الذى لا اله الا أنا الواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدا انى أنا الله لا اله الا أنا الفرد الوتر انى أنا الله لا اله الا أنا عالم الغيب والشهادة انى أنا الله لا اله الا أنا الملك القدوس انى أنا الله لا اله الا أنا السلام المؤمن المهيمن انى أنا الله لا اله الا أنا العزيز الجبار المتكبر انى أنا الله لا اله الا أنا الخالق البارئ انى أنا الله لا اله الا أنا الاحد المصور انى أنا الله لا اله الا أنا الكبير المتعال انى أنا الله لا اله الا أنا المقتدر القهار انى أنا الله لا اله الا أنا الحكيم الكبير انى أنا الله لا اله الا أنا القادر الرزاق انى أنا الله لا اله الا أنا أهل الثناء والمجد انى أنا الله لا اله الا أنا أعلم السر وأخفى انى أنا الله لا اله الا أنا فوق الخلق والخليقة انى أنا الله لا اله الا أنا الجبار المتكبر يختم ويقول فسبحان الله رب العرش العظيم فمن دعا بهذه الكلمات فليقل أنت الله كذا وأنت الله كذا ومن دعا بهذه الاسماء كتب من الشاكرين الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا صلى الله عليه وسلم وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم أجمعين فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والارضين وليقل اللهم صل على محمد وآل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ماهو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته واعطه الشرف والشفاعة يوم الدين اللهم صل على محمد نبى الرحمة وسيد الامة وعلى جميع اخوانه النبيين وصل على أبينا آدم وأمنا حواء ومن ولدا بينهما من الصالحين والمسلمين وصل على ملائكتك أجمعين من أهل السموات والارضين وصل علينا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين واغفر لى ولوالدى وما توالدا وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الاحياء منهم والاموات رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الاعز الاكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين وانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وحسبنا الله وحده لا شريك له فهذا جامع

يموت فكذلك من ليس له الا أصل الايمان وهو مقصر فى الاعمال قريب من ان ينقطع شجرة ايمانه اذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان فى مقدمة قدوم ملك الموت فكل ايمان لم يثبت فى اليقين أصله ولم ينتشر فى الاعمال فروعه لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقى بماء الطاعات على توالى الايام والساعات حتى رسخ وثبت فبادروا بلحاق التوبة قبل استحقاق دار الخيبة بالهادارامعدوما رخاؤها محتوما بلاؤها مظلمة مسالكها مبهمة مهالكها مخلدا أسيرها مؤبدا سعيرها متناهيا تغيرها عاليا زفيرها شراب أهلها الحميم وعذابهم أبدا مقيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم لهم فيها بالويل ضجيج وللهبها فيهم أجيج أمانيهم فيها الهلاك ومالهم من أسرها فكاك قد شدت أقدامهم الى النواصى واسودت وجوههم بذلة المعاصى ينادون من فجاجها وشعابها بكا من ترادف عذابها يامالك قد حق علينا الوعيد يامالك قد حمى علينا الوقيد يامالك قد سال منا الصديد يامالك قد أثقلنا الحديد يامالك قد نضجت منا الجلود يامالك اخرجنا

ماجاء من فضائل مايقال من الدعاء عن المصطفى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وعن أئمة الهدى وحذفنا ذكر فضائل ذلك وماجاء فيه من الروايات ايجازا يقول هذا الدعاء بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فى كل يوم فان قاله بعد صلاة مكتوبة فقد استكمل الفضل بفضل الله عز وجل ورحمته

(الفصل السادس) فى ذكر عمل المريد بعد صلاة الغداة وهو انه يأخذ فى تلاوة القرآن وفى أنواع الذكر من التسبيح والحمد والثناء وفى التفكر فى عظمة الله سبحانه وتعالى وآلائه وفى تواتر احسانه ونعمائه من حيث يحتسب العبد ومن حيث لا يحتسب وفيما يعلم العبد وفيما لا يعلم و يتفكر فى تقصيره عن الشكر فى ظواهر النعم و بواطنها وعجزه عن القيام بما أمر به من حسن الطاعة ودوام الشكر على النعمة أو يتفكر فيما عليه من الاوامر والنوادب فيما يستقبل أو يتفكر فى كثيف ستر الله تبارك وتعالى عليه ولطيف صنعه به وخفى لطفه له وفيما اقترف وفرط فيه من الزلل وفى فوت الاوقات الخالية من صالح العمل او يتفكر فى حكم الله تعالى فى الملك وقدرته فى الملكوت وآياته وآلائه فيهما أو يتفكر فى عقوبات الله عز وجل و بلائه الظاهرة والباطنة فيهما ومن ذلك قوله عز وجل وذكرهم بأيام الله قيل بنعمه وقيل بعقوباته ومنه قوله عز وجل فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون ومثله فبأى آلاء ربكما تكذبان أى باى نعمة تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم وهما الثقلان ففى أى نوع من هذه المعانى أخذ فيه فهو ذكر والذكر عبادة وهو يخرج الى الفكر والفكر يدخل فى الخوف والرجاء والذكر اذا قوى صار مشاهدة كما قال عز وجل يذكرون الله قياما ثم قال و يتفكرون فى خلق السموات والارض ثم قال سبحانك فقنا عذاب النار ولا يكون مشاهدة الا عن يقين واليقين روح الايمان ومزيده وفن المؤمن وقال بعض العلماء فى تفسير الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة وهو التفكر الذى ينقل أى من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والحرص الى القناعة والزهد وقيل هو التفكر الذى يظهر مشاهدة وتقوى و يحدث ذكرا وهدى كقوله تعالى واذكروا مافيه لعلكم تتقون ولقوله تعالى لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا ومثله يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة أى يفعلون لما يبقى و يرغبون فيما يدوم و يزهدون فيما يفنى وقد جعل الله عز وجل البيان يعلمنا اقتضاء الشكر عليه فقال يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وكما قال تعالى واذكروا مافيه لعلكم تتقون وقد وصف أعداءه بعد ذلك فقال الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وقالت ام الدرداء كانت اكثر عبادة أبى الدرداء التفكر وقد كان يقول مايسرنى ان اربح فى كل يوم ثلثمائة دينار انفقها فى سبيل الله عز وجل قيل ولم ذلك قال يشغلنى ذلك عن التفكر أو يعتقد بحسن النيات و ينوى جميل الطويات فيما بينه و بين الخالق تعالى وفيما بينه و بين الخلق أو يستغفر الله تعالى و يجدد التوبة لما مضى من عمره ولما يأتنف من مستقبله أو يخلص الدعاء بتمسكن وتضرع وتملق وتخشع ووجل واخبات الى ان يعصمه من جميع المنهى وان يوفقه لصالح الاعمال و يتفضل عليه برغائب الافضال وهو فى ذلك فارغ القلب مجرد الهم موقن بالاجابة راض بالقسم أو يتكلم بمعروف وخير و يدعو به الى الله تعالى و ينفع به اخاه و يعلم من هو دونه فى العلم فهذه كانت اذكار المتقدمين وأفكار السالفين وقد كان الذكر والفكر من أفضل عبادة العابدين وهو طريق مختصر الى رب العالمين ففى أى هذه المعانى أخذ فهو ذاكر لله عز وجل فلا يزال كذلك وهو فى جميع ذلك مستقبل القبلة فى مصلاه ولا يستحب له ان يتكلم أو يعمل غير ماذكرناه من الاذكار وقد كانوا يكرهون الكلام بغير معروف وتقوى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس ومنهم من شدد فى ذم الكلام من الفجر الى صلاة الغداة بغير ذكر و بر وهذه سنة قد خلت فمن عمل بها فقد ذكرها

(الفصل السابع) فى ذكر أوراد النهار وهى سبعة أوراد وهذا هو الورد الاول من النهار وفى النهار سبعة أوراد أولها من طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس وهو كما ذكرناه من الاذكار وهو الذى أقسم

منها فانا لانعود فيجيبهم مالك بعد زمان هيهات هيهات لات حين أمان ولا خروج من دار الهوان اخسؤا فيها بغضب الرحمن قضى الامر الذى فيه تستفتيان اللهم أجرنا من نارك الموقدة واصلح لنا ضمائر الافئدة وارزقنا الجنة واجزل علينا المنة وانقلنا من ذل معصيتك الى عز طاعتك

(فصل فى العوائق)

اعلم انه اذا تخلص العبد من قيد الذنوب وثقلها وشؤمها بالتوبة ورد المظالم وقضاء الفوائت وتوجه الى عبادة ربه عرض له عوائق أربع تمنعه عن العبادة كما هو حقها وهى الدنيا والخلق والشيطان والنفس كما قيل

شعر

انى بليت باربع يرميننى
بسهام قوس مالها تفتير
ابليس والدنيا ونفسى والورى
يارب أنت على الخلاص قدير

الاول الدنيا فانه سامع ان حرامها عذاب وحلالها حساب تشغله الرغبة فيها عن العبادة ظاهره بالطلب و باطنه بالارادة وحديث النفس لان مثل الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب اذا قرب من أحدهما بعد من الآخر فحق بمن يطلب عبادة ربه ان يزهد فى الدنيا والزهد فى الحرام منها

الله عز وجل به فقال والصبح اذا تنفس فتنفسه من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وهو الظل الذى أمده الله تعالى لعباده ثم قبضه اليه ببسطه الشمس عليه وأظهر من آياته وجعل الشمس كشفا له ودليلا عليه فقال سبحانه ألم تر الى ربك كيف مد الظل يعنى بسطه ولو شاء لجعله ساكنا يعنى مقيما على حاله لا يتحول ثم جعلنا الشمس عليه دليلا يقول كشفناه بها ففيه ان الدليل هو الذى يكشف المشكل ويرفع المشتبه ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا يعنى ان الظل من تحت الشمس قبض قبضا يسيرا أى خفيا لا يفطن له ولا يرى فاندرج الظل فى الشمس بقدرته اندراج الظلمة فى النور اذا دخل عليها بحكمته وهو الاصباح والفلق الذى يمدح الله عز وجل بخلقه وأمرنا بالتنزيه له عنده والاستعاذة من شر ما خلق فيه فقال عز وجل فالق الاصباح وقال فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون أى فسبحوه بالصلاة عندهما وقال قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق يعنى فلق الصبح فاذا امن العبد الفتنة والكلام فيما لا يعنيه والاستماع الى شبهة من القول وامن النظر الى ما يكره أو يشغله عن الذكر أو يذكره الدنيا امن من دخول الآفة عليه من التزين والتصنع للناس وورق الشغل بولاه والاخلاص له بالاعراض عمن سواه فقال ماذكرنا من الذكر فى مصلاه فى مسجد الجماعة فهو أفضل فلذلك أمر الله برفع المساجد فى قوله عز وجل فى بيوت أذن الله ان ترفع ويذكر فيها اسمه وان لم يأمن الفتنة وخشى دخول الآفة عليه من لقاء من يكره ومن يلجئه الى تقية ومداراة أو خاف الكلام فيما لا يعنيه أو الاستماع الى ما لا يندب اليه انصرف اذا صلى الغداة الى منزله أو الى موضع خلوة بعد ان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير عشر مرات فى مصلاه وهو ثان رجله قبل أن يقوم ويقرأ بعدها قل هو الله أحد عشرا قبل ان يتكلم فقد اشترط ترك الكلام فى هذين الحديثين اللذين وردا فيهما ثم أتى ببقية ورده فى بيته أو فى خلوته وهو فى ذلك مستقبل القبلة وهذا حينئذ أفضل له وأجمع لقلبه ولا يقدم على التسبيح لله عز وجل والذكر له بعد صلاة الغداة وقبل طلوع الشمس الا احد معنيين معاونة على بر وتقوى فرض عليه أو ندب اليه ما يختص به لنفسه أو يعود نفعه على غيره ويكون ذلك أيضا مما يخاف فوته بفوت وقته والمعنى الآخر يكون الى تعلم علم أو استماعه مما يقرب به الى الله تعالى فى دينه وآخرته ويزهده فى الدنيا والهوى من العلماء بالله عز وجل الموثوق بعلمهم وهم علماء الآخرة أولو اليقين والهدى الزاهدون فى فضول الدنيا ويكون فى طريقه ذاكرا لله عز وجل أو متفكرا فى أفكار العقلاء عن الله عز وجل فان اتفق له هذان فالغدو اليهما أفضل من جلوسه فى مصلاه لانهما ذكر الله عز وجل وعمل له وطريق اليه على وصف مخصوص مندوب اليه قال الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه وقال النبى صلى الله عليه وسلم من غدا من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع وقال ابن مسعود أغد عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك والغدو والغداة تكون قبل طلوع الشمس وفى الخبر من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله عز وجل حتى يرجع ومن خرج من منزله يلتمس علما وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما صنع واستغفر له دواب الارض وملائكة السماء وطير الهواء وحيتان الماء وفى حديث أبى ذر الغفارى رحمه الله حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم فان لم يتفق له احد هذين المعنيين فقعوده فى مصلاه أو فى مسجد جماعته أو فى بيته أو فى خلوته ذاكرا لله عز وجل بانواع الاذكار أو متفكرا فيما فتح له بمشاهدة هذه الافكار فى مثل هذه الساعة أفضل له مما سواها روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لان أقعد فى مسجد أذكر الله عز وجل فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق أربع رقاب وروينا ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الغداة قعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس وفى بعضها ويصلى ركعتين وقد ندب الى ذلك فى غير حديث وجاء فى فضل الجلوس بعد صلاة الصبح الى طلوع الشمس وفى صلاة ركعتين بعد ذلك ما يجل

فرض وفى الحلال الذى لا يحتاج اليه فى قوام البنية نفل قال الله سبحانه وتعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة وقال تعالى ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وعن السدى رضى الله عنه قال ان فى القيامة من يخرج لهب النار من فيه ومسامعه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه قال الحصنى وأى هلاك أعظم من ان يمتلئ جوف الشخص نارا من الاكل فان انضم اليه اللبس انغمر البدن بالنار ظاهرا وباطنا لو وقعت شرارة من نار جهنم على جبل لذاب من شدة حرها أعاذنا الله منها بمنه وكرمه خ م عن عمرو بن عوف الانصارى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى ان تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم ت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء وروى أحمد فى الزهد عن نوف البكالى قال انطلق رجل مؤمن ورجل كافر يصيدان السمك فجعل الكافر يلقى شبكته ويذكر آلهته فتمتلئ ويلقى المؤمن

وصفه اختصرناه روينا عن الحسن ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة وبعد صلاة العصر ساعة اكفك ما بينهما فاذا ارتفعت الشمس وابيضت صلى الضحى ثمان ركعات وهذا الوقت هو الذي ذكره الله عز وجل في قوله يسبحن بالعشي والاشراق ثم ينظر فان علم مريضا عاده وان حضرت جنازة شيعها وان كانت معونة على بر وتقوى سعى فيها وان كانت حاجة لاخ من اخوانه قضاها وان كانت فرضا يلزمه القيام به سارع اليه وان لاح له فضل ندب اليه انتهزه قبل فوته فهذا أفضل شئ يعمله بعد الاذكار والافكار من بعد طلوع الشمس فاذا فرغ من ذلك ولم يتفق له ماذكرناه من القربات أخذ في الصلاة وتلاوة القرآن أو صنوف الاذكار مما أمر به أو ندب اليه أو المحاسبة لنفسه فيما سلف أو المطالبة لها والاستخراج منها فيما يأتنف أو المراقبة لربه في كل حال الى ان تنبسط الشمس وترمض الفصال ويرتفع النهار هذا هو الورد الثاني من النهار وهو الضحى الاعلى الذى اقسم الله تعالى به فقال والضحى أى اذا أضحت الاقدام بحر الشمس واذا كان العبد على ذلك فقد اتبع ما أنزل اليه من ربه عز وجل وقد سمع قوله عز وجل اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم لانه قال انما أمرت ان أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها ثم قال وان أتلو القرآن وكما قال تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر وصلاة الضحى في هذا الوقت أفضل وهو حقيقة وقتها الموجود اسمها قال النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى اذا رمضت الفصال وخرج على أصحابه عليه الصلاة والسلام يوما وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا ان صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال وقوله الاوابين يعني التوابين الى الله عز وجل في كل وقت ثم ليأخذ العبد بعد ذلك فيما ندب اليه وأبيح له من التصرف في معاش ان كان من تجارة بصدق أو صناعة بنصح ان احوج الى ذلك وليكتف ان كفى وأدنى أحواله الصمت والنوم ففيهما سلامة من الآثام ومخالطة الانام فقد جاء في العلم يأتي على الناس زمان يكون أفضل علمهم الصمت وأفضل اعمالهم النوم ومن الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليت العبد يكون في اليقظة كالنوم اذفي نومه سلامة والسلامة متعذرة في يقظته وانما الفضائل للافاضل الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل هذا لدخول المشكلات في الكلام ووجود الآفات في الاحوال وخروج الاخلاص من الاعمال وكان سفيان الثورى يقول كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فمن الناس من يكون أحسن أحواله النوم وليت العبد يكون يقظته كالنوم اذفي نومه السلامة وأفضل أعماله في هذا الوقت السلامة وانما الفضائل لاهل الافضال الذين زادوا على السلامة والعدل بالاحسان والفضل فان نام في هذا الوقت فهو حينئذ نوم القائلة وما تسبب فيه من المعايش يصنعه في هذا الوقت من الضحى الاعلى الى زوال الشمس وهذا هو الورد الثالث من النهار ثم يتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها وكذلك يستحب وهو من المحافظة عليها والاقامة لها فان حصلت كفايته في يومه وقوته في وقت من النهار ترك السوق ودخل بيته أو قعد في بيت مولاه تعالى واشتغل بخدمته متزودا لعاقبته وقد كان الصالحون كذلك يفعلون كان يقال لا يوجد المؤمن الا في ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لابد له منها فاذا زالت الشمس فان أبواب السماء تفتح للمصلين والذاكرين ويستجاب الدعاء للمؤمنين فهذا هو الورد الرابع من النهار فليصل بعد الزوال أربع ركعات يقرأ فيهن بمقدار سورة البقرة أو سورتين من المائتين أو اربع من المثاني يطيلهن ويحسنهن ولا يفصل بينهن بتسليم هذه الصلاة وحدها من بين صلاة النهار أربع ركعات بتسليمة واحدة. وهذا الورد هو الاظهار الذى ذكر الله عز وجل الحمد فيه فقال وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون وليتق العبد الصلاة عند استواء الشمس في كبد السماء وقبل زوالها عند تقلص الظل وقيام ظل كل شئ تحته فاذا زال الظل فقد زالت وقد خفي استواؤها في الشتاء لقصر النهار ولعدول الشمس في سيرها

عن

ويذكر الله تعالى ولا يصطاد شيأ قال ففعلا ذلك الى مغيب الشمس ثم ان المؤمن اصطاد سمكة فأخذها بيده فاضطربت فوقعت في الماء فرجع المؤمن وليس معه شئ ورجع الكافر وقد امتلأت سفينته فاسف ملك المؤمن وقال رب عبدك هذا المؤمن الذى يدعوك رجع وليس معه شئ وعبدك الكافر رجع وقد امتلأت سفينته قال الله عز وجل لملك المؤمن تعال فاراه مسكن المؤمن في الجنة قال ما ضر عبدى هذا المؤمن ما أصابه بعد ان يصير الى هذا وأراه مسكن الكافر في النار فقال هل يغني عنه من شئ أصابه في الدنيا قال لا والله يا رب (١) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها الاغنياء ١ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكتسب مالا حراما فان تصدق منه لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار ت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل لحم نبت من الحرام فالنار أولى به ١ عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم في ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته وعليه منه

عن وسط الفلك فتقطع عرضا فيكون أقرب للغروب وبها فليقدر ذلك تقريبا ومقدار استوائها قبل الزوال نحو أربع ركعات بجزء من القرآن أو قدر جزء وهو آخر الورد الثالث وانما فيه ورد القراءة والتسبيح والتفكر وهو أحد الاوقات الخمسة التى نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فيهن والاربعة الاخر عند طلوع الشمس حتى ترتفع قيد رمحين فى عين الناظر وعند تدليها للغروب حتى تحتجب وبعد صلاة الصبح وبعد صلاة العصر واحب له الاحياء ما بين الاذان والاقامة بالركوع لانها ساعة مستجاب فيها الدعاء وتفتح فيها أبواب السماء وتزكو فيها الاعمال وأفضل أوقات النهار أوقات الفرائض فان لم يقرأ بين الاذانين من درسه فاستحب له ان يقرأ فى تنفله الآى التى فيها الدعاء مثل آخر سورة البقرة وآخر سورة آل عمران ومن تضاعيف السور الاثنين والثلاث مثل قوله تعالى أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا ومثل قوله ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وقوله ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير وان قرأ الآى التى فيها التعظيم والتسبيح والاسماء الحسنى فحسن مثل أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر ومثل آية الكرسى وقل هو الله أحد ليكون بذلك جامعا بين التلاوة والدعاء وبين الصلاة والتعظيم والمدح بالاسماء ثم ليصل الظهر فى جماعة ولا يدع ان يصلى قبلها أربعا وبعدها أربعا بعد ركعتين وهذا آخر الورد الرابع من النهار وهو أقصر الاوراد وأفضلها فان كان قد رقد قبل الزوال فلا يرقد فى هذا الورد فانه يكره له نومتان فى يوم كما يكره له نوم النهار من غير سهر بالليل ورويناعن بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك من غير عجب والاكل من غير جوع ونوم النهار من غير سهر بالليل وان لم يكن قد رقد فاحب ان ينام بين الظهر والعصر ليتقوى بذلك على قيام الليل فلينم فان نومه بعد الظهر لليلة المستقبلة ونومه قبل الظهر لليلة الماضية فان دام سهره بالليل واتصلت أوراده بالنهار حسن ان ينام قبل الظهر لما سلف من ليله وينام بعد الظهر لما غبر من الاخرى الا انه لا يستحب له ان يزيد فى اليوم والليلة أكثر من نوم ثمان ساعات ومن الناس من يقول انه ان نقص من نوم هذا المقدار فى اليوم والليلة اضطرب بدنه لان النوم قوت الجسم وراحته قال الله تعالى وجعلنا نومكم سباتا أى راحة كما قال وجعلنا النهار معاشا الا ان يكون السهر عادة فان العادة قد تعمل عمل الطبع وتنقل عن العرف فلا يقاس عليها واحياء ما بين الظهر والعصر وهو صلاة الغفلة وهو يشبه بقيام الليل ويستحب العكوف فى المسجد بين الاولى والعصر للصلاة والذكر ليجمع بين الاعتكاف والانتظار للصلاة فقد كان ذلك من سنة السلف قال كان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة الا ان يكون بيته أسلم لدينه وأجمع لقلبه فالاسلم هو الافضل وكذلك احياء الورد الثالث الذى هو بين الضحى الاعلى الى زوال الشمس فوق هذا الفضل يدرك به العبد فوت قيام الليل لان الناس فى هذين الوقتين مشغولون بطلب الدنيا وخدمة الهوى والقلب المتيقظ لربه عز وجل يفرغ فى هذين الوقتين ويسكن ويجد العامل للعمل حلاوة وللاقبال والتفرغ لذة ويكون لفراغه من الخلق وشغله بالخالق تعالى مزيد وبركة وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا أى جعلهما خلفتين يتعاقبان فى الفضل فيخلف أحدهما الآخر فمن فاته شئ من الليل قضاه فى هذين الوردين من النهار أحدهما من الضحى الاعلى الى الزوال والثانى ما بين الاولى والعصر والوجه الثانى ان النهار كله خلفة من الليل فمن فاته شئ من عمل الليل قضاه بالنهار فكان منه بدلا ومن فاته شئ من أوراد النهار كان الليل خلفا اذ كل واحد منهما خلف من صاحبه ففيه درك مافات وخلف ما سلف من الذكر والشكر والذكر اسم جامع لاعمال القلوب كلها من مقامات اليقين ومشاهدة العلوم من الغيب والشكر أيضا يستعمل على جمل اعمال الجوارح من شرائع الاسلام وهذان جملة عمل العبد وكنه خدمته وهذان المعنيان اللذان هما ذكرهما الكليم للجليل فى قوله تعالى كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا انتظم التسبيح والذكر فى جمل تصرف الجسم وتصرف القلب وهذا الورد الخامس الذى هو ما بين

شئ قال الحصنى هذا فى ثوب فيه درهم من حرام فكيف الحال فى ثوب كله حرام كما يفعله الظلمة من الاخذ بالقهر والغلبة وكذا ما يرسله الشخص على وجه البرطيل أو يبعثه خوفا من ان يطلب منه أكثر من ذلك فكل هذا وأشباهه حرام ومن اعتقد حله بعد العلم بما ذكرنا فهو كافر وان صلى وصام وحج واعتمر ت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما قال فى حياة الحيوان اعلم ان المباح لعنه من الدنيا ما كان منها مبعدا عن الله وشاغلا عنه كما قال بعض السلف كل ما شغلك عن الله من مال وولد فهو مشؤم عليك وأما ما كان من الدنيا يقرب من الله ويعين على عبادته فهو محمود وهو المصرح به فى قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدنيا فانها نعم مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وينجو من الشر ان العبد اذا قال لعن الله الدنيا قالت الدنيا لعن الله أعصانا لربه أيها المشغول باللذات الفانيات متى تستعد للملمات المهمات أتطمع مع حب الدنيا فى لحاق السادات وانى يجعلك منهم وانى هيهات يا عظيم الجراءة يا كثير الانبساط ألك قدم تصلح للمشى على

قرأ في ركوعه هذا سورة الفرقان وسورة الشعراء ففيهما ثلثمائة آية فان لم يحسنهما قرأ خمسا من المفصل فيهن ثلثمائة آية سورة الواقعة وسورة نون وسورة الحاقة وسورة المدثر وسورة سأل سائل فان لم يحسنهن قرأ من سورة الطارق الى آخر القرآن ثلثمائة آية ولا يستحب للعبد ان ينام حتى يقرأ هذا المقدار من الآي في هذا العدد من الركوع بعد صلاة العشاء الآخرة فان قرأ في هذا الورد الثاني اعني بعد صلاة العشاء الآخرة وقبل ان ينام ألف آية فقد استكمل الفضل وكتب له قنطار من الاجر وكتب من القانتين وأفضل الآي أطولها لكثرة الحروف وان اقتصر على قصار الآي عند فتوره أدرك الفضل لحصول العدد ومن سورة الملك الى آخر القرآن ألف آية فان لم يحسن ذلك قرأ قل هو الله أحد مائتي وخمسين مرة في ثلاث عشرة ركعة فان فيها ألف آية فهذا فضل عظيم وفي الخبر من قرأها عشر مرات بنى الله عز وجل له قصرا في الجنة وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم في السور التي لم يكن يدعها في كل ليلة ثلاثة أحاديث أشهرها انه لم يكن ينام حتى يقرأ سورة السجدة وتبارك الملك والذي بعده انه كان يقرأ في كل ليلة بني اسرائيل والزمر والقريب منها انه كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيها انه أفضل من ألف آية قال وكان العلماء يجعلونها ستا ويزيدون فيها سبح اسم ربك الاعلى وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب سبح اسم ربك الاعلى فهذا يدل على انه كان يكثر قراءتها ولا يدع ان يقرأ هذه الاربع سور في كل ليلة سورة يس وسورة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك فان ضم اليها سورة الواقعة وسورة الصف والحاقة والزمر فقد أكثر وأحسن فان لم يكن من عبادته القيام من الليل قدم الوتر بنية الخبر المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا انام الا على وتر وان كان معتادا الصلاة الليل فالافضل تأخير لوتر الى آخر صلاته من تهجده أو الى السحر على حديث ابن عمر رضي الله عنه صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وفي حديث عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل ومن أوسطه ومن آخره وانتهى وتره الى السحر فان نام على وتر ورزق القيام لم يوتر بعده وكفاه وتره الاول على الخبر الذي جاء لا وتران في ليلة وقد قال بعض العلماء يصلي ركعة واحدة يشفع بها وتره من أول الليل ثم يصلي صلاته من الليل ويوتر آخر صلاته وقد روي في هذا أثر عن عثمان وعلي رضي الله عنهما وان كان قد صلى ركعتين من جلوس بعد وتره الاول ثم استيقظ للصلاة شفعتا وتره الركعة الواحدة لانهما بمنزلة ركعة واحدة يشفع بها ركعة الوتر التي صلاها قبلها ثم ليصل من الليل مستأنفا ما بدا له ثم يوتره بركعة واحدة في آخر صلاته فيكون له في ذلك ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر من آخر الليل وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ركعتين جالسا بعد وتره والله تعالى أعلم فليقرأ فيهما جالسا بسورة الزلزلة وسورة الهاكم التكاثر فقد جاء ذلك في حديثين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فيهما بذلك لما في الزلزلة والتكاثر من التخويف والوعظ وفي رواية قل يا ايها الكافرون لما في سورة الكافرون من التنزيه من عبادة سوى المعبود وافراد العبادة لله سبحانه فيها بالتوحيد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأها عند النوم وأوصى رجلا بقراءتها عند منامه وتقديم الوتر مستحب لمن لم يكن عادته قيام الليل ولمن كان الاغلب عليه النوم وتأخير الوتر يكون لمن آخر صلاته قبل طلوع الفجر أفضل وليقل بعد التسليم من الوتر سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت يقول هذا ثلاث مرات وهذا هو الورد الثاني من الليل اعني الصلاة بعد العشاء الآخرة الى حد نومة الناس فقد أقسم الله عز وجل في قوله والليل وما وسق أي وما جمع من ظلمته وذكره الله عز وجل في قوله الى غسق الليل فهنالك يغسق الليل وتستوسق ظلمته ثم ينام ان أحب وهو على طهارة وعن ذكر وقد كان الصالحون لا ينامون الا عن غلبة ويكرهون التعمد للنوم وهو التهيؤ للعادة وقد كان منهم من يمهد لنفسه بالنوم ليتقوى بذلك على صلاة أوسط الليل وآخره للفضل في ذلك ومن غلبه النوم

الباطل ولا يملك نفسه عند الغضب والشهوة الثالثة الصلاح قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قال ابن عباس الركون الميل بالقلب والمحبة فلا تصحب مصرا على معصية كبيرة أو صغيرة كترك الصلاة والزكاة والربا والزنا أو كل ما نهى الله عن أكله من بنج أو غيره مما يأكله الاوباش لان مشاهدة الفاسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهة المعصية فتقع أنت فيها وان الطبع يسرق الطبع وقد قال بعض العلماء ان من شروط التوبة أن لا يعاشر فاسقا الرابعة ان لا يكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص تزيد في حرصك الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فانك منه على غرور (خ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما أن تبتاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك أو تجد ريحا خبيثة (دت) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وروى أحمد في الزهد عن جعفر بن سليمان قال رأيت مع مالك بن دينار كلبا فقلت

حتى شغله عن الصلاة والذكر فان السنة ان ينام حتى يعقل ما يقول و ينشط فى خدمته وقد كان ابن عباس يكره النوم قاعدا وفى الخبر لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصلى من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل احدكم من الليل ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد وقال اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله تعالى لا يمل حتى تملوا وقيل له ان فلانا يصلى الليل لا ينام و يصوم الدهر لا يفطر فقال صلى الله عليه وسلم خير هذا الدين ايسره ثم قال لكنى أنا اصلى وأنام وأصوم وافطر فهذه سنتى فمن رغب عن سنتى فليس منى وقال صلى الله عليه وسلم لا تشادوا هذا الدين فانه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض الى نفسك عبادة الله عز وجل والورد الثالث يكون بعد نومة الناس وهو التهجد الذى ذكره الله فى قوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولا يكون التهجد الا بعد النوم وتلك النومة هى الهجوع الذى قال الله عز وجل من القائمين آناء الليل فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون فالهجوع النوم والتهجد القيام وقد يقال الهجود أيضا وهذا يكون نصف الليل فهذا أوسط الاوراد وهو يشبه الورد الاوسط من النهار فى أفضل أوراده وهو أفضل الاوراد وأمتعها للعبادة وقد أقسم الله عز وجل به فى قوله تعالى والليل اذا سجى قيل اذا سكن وسكونه هدوه وسنة كل عين فيه وغفلتها الا عين الله تبارك وتعالى فانه الحى الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال و يقال اذا اظلم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الليل اسمع فقال جوف الليل الغابر وروينا فى أخبار داود عليه السلام الهى انى أحب ان أتعبد لك فاى وقت تقبل فاوحى الله عز وجل اليه يا داود لا تقم أول الليل ولا آخره فانه من نام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع الى حوائجك والورد الرابع يكون بين الفجرين أحدهما الفجر الاول وهو بدو سلطان شعاع الشمس اذا ظهرت من وراء الارض الخامسة وسطع ضوؤها فى وسط السماء حتى يقطعها بمقدار طلوع الفجر الاول ثم تغرب فى الفلك الاسفل المتجانف وتحجبها الارض السادسة فيذهب الضوء ويعود سواد الليل كما كان لغيبة الشمس وهو الثلث الاخير وفيه وردت الاخبار باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار الى سماء الدنيا وفيه الخبر الذى جاء ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وهذا هو الورد الرابع من نصف الليل الى وقت السحر الاول ثم يدخل الورد الخامس وهو السحر الاخير وفيه يستحب السحور فمن لم يتسحر فى أوله بغته الفجر وهو قبل طلوع الفجر الثانى بمقدار قراءة جزء من القرآن وفى هذا الورد الخامس الاستغفار وقراءة القرآن وقد ذكره الله عز وجل فى قوله وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا قيل تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار لتوسط هذا الورد بينهما ومن ذلك ذهب أهل الحجاز الى ان الصلاة الوسطى التى نص الله تعالى على المحافظة عليها هى صلاة الفجر تعظيما لهذا الوقت وتشريفا له لتوسطه بين آخر الليل وأول النهار فهذا الورد هو أقصر الاوراد ومن أفضلها وهو من السحر الاول الى طلوع الفجر الثانى الا ما كان من صلاة نصف الليل فذلك هو أفضل شئ من الليل وهو أوسط الاوراد لانه هو الورد الثالث و يصلح فى هذا الورد الخامس من السحر الاخير الصلاة لمن استيقظ من ساعته أو لمن تمم به صلاته فالصلاة فيه لها فضل وشرف وهو بمنزلة الصلاة فى أول الليل بين العشاءين ولان معنى قوله عز وجل عند بعض المفسرين وبالاسحار هم يستغفرون أى يصلون وكذلك قوله عز وجل وقرآن الفجر يعنى به الصلاة فكنى بذلك القرآن والاستغفار عن الصلاة لانهما وصفان منها كما قيل للصلاة تسبيح وسبحة لان فيها التسبيح وكذلك يقال للصلاة استغفار لانه يطلب بها المغفرة وتكون هذه الصلاة فى السحر بدلا من السحور الى طلوع الفجر الثانى وقد أمر بها سلمان أخاه أبا الدرداء ليلة زاره فى حديث طويل قال فى آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا وان لربك

ما تضع بهذا يا أبا يحيى قال هذا خير من جليس السوء وأنشد بعض الاخيار شعر

تجنب قرين السوء واصرم حباله
اذا لم تجد عنه محيصا فداره
وأحبب حبيب الصدق واترك مراءه
تنل منه صفو الود ما لم تماره
ولله فى عرض السموات جنة
ولكنها محفوفة بالمكاره

يا وحيدا عن السالكين يا بعيدا عن العابدين فتح الباب لارباب الالباب وردت فى وجهك أمالك لسان تسألنا به أمالك وقت تناجينا به ولا قلب تجدنا عنده استوحش أنت مما جنيت واستأنس بالله ما أظن قساوة قلبك الامن أثر سخطك والله ان الرمد لا يخفى من العمى قال اليافعى رحمه الله

شعر

أرى كل من ألهاك عن كسب طاعة
عدوا وان كان الصديق المصافيا
لما ان أنفاس الحياة جواهر
نفاس وقد أضحى لها عنك نافيا
بها غرف فى جنة هان فوتها
عليك وفيها العيش يهنيك صافيا
ولو جيفة الدنيا تفوت لسارعت
يداك الى قرب على الرأس سافيا
ستدرى على أى تقاسى تحسرا

عليك حقا وان لضيفك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه وذلك ان امرأة أبى الدرداء أخبرت سلمان انه لا ينام الليل قال فاتيا النبى صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا الورد الخامس يشبه الورد السابع من النهار قبل الغروب فى فضل وقتيهما وهذا قبل الفجر الثانى والفجر الثانى هو انشقاق شفق الشمس وهو بدو بياضها الذى تحته الحمرة وهو الشفق الثانى على ضد غروبها لان شفقها الاول من العشاء وهو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثانى من أول الليل وهو آخر سلطان الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك الى الضد فيكون بدو طلوعها الشفق الاول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثانى وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس والفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الاسفل اذا ظهرت على وجه الارض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والاقاليم المسروقة العالية ويظهر شعاعها منتشرا الى وسط السماء عرضا مستطيرا فهذا آخر الورد الخامس وعنده يكون الوتر فاذا طلع الفجر فقد انقضت أوراد الليل الحسنة ودخلت أوراد النهار فانظر هل دخلت فى دخوله عليك فى جملة العابدين أم خرج عنك وأنت فيمن الغافلين وتفكر أى لبسة البسك فان الليل جعل لباسا هل ألبست فيه حلة النور بتيقظك فتربح تجارة لن تبور أم ألبسك الليل ثوب ظلمته فتكون ممن مات قلبه بموت جسده بغفلتك ثم يقوم العبد حينئذ فيصلى ركعتى الفجر وهما معنى قوله تعالى ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم قبل ركعتى الفجر ثم يقرأ أعوذ بالله من سخطه وبعده شهد الله انه لا اله الا هو الى آخرها ويقول انا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله العظيم هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة حتى يؤديها وأسأله حفظها حتى يتوفانى الله عليها اللهم احطط بها عنى وزرا واجعل لى بها عندك ذخرا واحفظنى بها واحفظها على وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا وأفضل ما عمل العبد فى ورد من أوراد الليل والنهار بعد القيام بفرض يلزمه أو قضاء حاجة لاخيه المؤمن بعينه الصلاة بتدبر الخطاب ومشاهدة المخاطب فان ذلك يجمع العبادة كلها ثم بعد ذلك التلاوة بتيقظ عقل وفراغ هم ثم أى عمل فتح له فيه من فكر أو ذكر برقة قلب وخشوع جوارح ومشاهدة غيب فان ذلك أفضل اعماله فى وقته

(الفصل التاسع) فيه ذكر وقت الفجر وحكم ركعتيه الاداء والقضاء وحكم الوتر ووقت القضاء له والاداء وفى الشهر ليلتان يعتبر بهما وقت الفجر احداهما يطلع القمر فيها عند طلوع الفجر الاول وهى ليلة ست وعشرين والاخرى يغيب القمر فيها عند طلوع الفجر وهى ليلة اثنتى عشرة من الشهر ومن طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقدار ثلثى سبع تلك الليلة وهذا يكون فى الصيف ويكون فى الشتاء أقل من ذلك لانه يكون نصف سدس تلك الليلة وهذا الورد الاول من النهار ووقت الاداء للوتر من بعد صلاة العشاء الآخرة الى طلوع الفجر الثانى فاذا طلع الفجر الثانى فقد ذهب وقت الاداء وهو وقت القضاء للوتر فليصل الوتر حينئذ من لم يكن أداه الى قبل صلاة الصبح فاذا صلى الصبح ذهب وقت قضاء الوتر أيضا ووقت الاداء لركعتى الفجر اذا طلع الفجر الثانى فالمستحب له ان يصليهما فى منزله وقبل صلاة الغداة والسنة ان يخففهما فاذا صلى الصبح ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت الاداء وبقى له وقت القضاء فليمهل حتى تطلع الشمس وتحل الصلاة فليقضهما على سبحة الضحى وهذا وقت القضاء لركعتى الفجر الى صلاة الظهر فاذا صلى الظهر ولم يكن صلاهما فقد ذهب وقت قضائهما أيضا ومن فاته ورد من الاوراد فاستحب له فعل مثله فى وقته أو قبله اذا ذكره لا على وجه القضاء فانه لا يقضى الا الفرائض ولكن على وجه التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كيلا يعتاد التراخى والترخص ولاجل الخبر المأثور أحب الاعمال الى الله عز وجل أدومها وان قل كيف وفى حديث عائشة رضى الله عنها الوعيد على ترك العادة فى العبادة روت عن النبى صلى الله عليه وسلم من عبد الله تعالى عبادة ثم تركها ملالة مقته الله تعالى وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غلبه النوم

ويبدو غدا ما كان فى اليوم خافيا

اللهم انا نسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك اللهم اجعل حبك أحب الى من نفسى ومالى وأهلى ومن الماء البارد عند العطشان

العائق الثالث الشيطان

قال الله سبحانه وتعالى ألم أعهد اليكم يابنى آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون وقال عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وعن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال تعالى انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم م

عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من أحد الا وكل به قرينه من الجن قالوا واياك يارسول الله قال واياى الا ان الله تعالى أعانى عليه فاسلم فلا يأمرنى الا بخير خ

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بنى آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد

أو عاقه مرض فلم يقم فى تلك الليلة صلى من النهار اثنتى عشرة ركعة ومن دخل المسجد لصلاة الصبح ولم يكن صلى ركعتى الفجر فى منزله صلاهما واجزأتا عنه تحية المسجد ومن كان قد صلاهما فى بيته نظر فان كان دخوله المسجد بغلس عند طلوع الفجر واشتباك النجوم صلى ركعتين تحية المسجد وان كان دخوله عند انمحاق النجوم ومسفرا عند الاقامة قعد ولم يصل ركعتين لئلا يكون جامعا بين صلاة الصبح و بين صلاة قبلها ولا يصلى بعد طلوع الفجر الثانى شيأ الا ركعتى الفجر فقط ومن دخل المسجد ولم يكن صلى ركعتى الفجر فان كان قبل الاقامة صلاهما وان دخل وقت الاقامة وقد افتتح الامام الصلاة فلا يصليهما وليدخل فى الصلاة المكتوبة فانه أفضل والنهى فيه مروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة وليقل من قعد فى المسجد من غير صلاة ركعتين تحية المسجد سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر هذه الاربع كلمات يقولها أربع مرات فانها عدل ركعتين فى الفضل وكذلك من دخله وكان على غير وضوء أومر فى المسجد عابر طريق ومن دخل مسجدا فلا يقعد حتى يصلى ركعتين واكره له دخول المسجد والقعود فيه على غير وضوء

(الفصل العاشر) فيه كتاب معرفة الزوال وزيادة الظل ونقصانه بالاقدام واختلاف ذلك فى الصيف والشتاء قال الله جلت قدرته ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين الآية الى قوله عدد السنين والحساب وقال سبحانه الشمس والقمر بحسبان وفى حديث أبى الدرداء وكعب الاحبار فى صفة هذه الامة يراعون الظلال لاقامة الصلاة وأحب عباد الله الى الله عز وجل الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله عز وجل وقال بعض العلماء بالحساب والاثر من أهل الحديث ان الليل والنهار أربع وعشرون ساعة وان الساعة ثلاثون شعيرة يأخذ كل واحد منهما من صاحبه فى كل يوم شعيرة حتى تستكمل الساعة فى شهر و بين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشمس كل يوم فى درجة قال وتفسير ذلك انه اذا مضى من ايلول سبعة عشر يوما استوى الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك اليوم فى كل يوم شعيرة حتى يستكمل ثلاثين يوما فيزيد ساعة حتى يصير سبعة عشر يوما من كانون الاول فينتهى طول الليل وقصر النهار وكانت تلك الليلة أطول ليلة فى السنة وهى خمسة عشر ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم فى السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبع عشرة ليلة من آذار استوى الليل والنهار وكان كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضى سبع عشرة ليلة من ايلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك قال فمواقيت الصلاة من ذلك ان الشمس اذا وقفت فهو قبل الزوال فاذا زالت باقل القليل فذلك أول وقت الظهر فاذا زادت على سبعة أقدام بعد الزوال فذلك أول وقت العصر وهو آخر وقت الظهر قال والذى جاء فى الحديث ان الشمس اذا زالت بمقدار شراك فذلك وقت الظهر الى ان يصير ظل كل شئ مثله فذلك آخر وقت الظهر وأول وقت العصر وهكذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول يوم ثم صلى من الغد الظهر حين صار ظل كل شئ مثله فذلك آخر وقت الظهر وأول وقت العصر ثم صلى العصر حين صار ظل كل شئ مثليه وقال ما بين هذين وقت فاذا أردت أن تقيس الظل حتى تعرف ذلك فانصب عودا أوقم قائما فى موضع من الارض مستو ثم اعرف موضع الظل ومنتهاه فخط على موضع الظل خطا ثم انظر أينقص الظل أم يزيد فان كان الظل ينقص فان الشمس لم تزل بعد ما دام الظل ينقص فاذا قام الظل فذلك نصف النهار ولا يجوز فى هذا الوقت الصلاة فاذا زاد الظل فذلك زوال الشمس الى طول ذلك الشئ الذى قست به طول الظل وذلك آخر وقت الظهر فاذا زاد الظل بعد ذلك قدما فقد دخل

فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يفتنون الناس فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجىء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيأ قال ثم يجىء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه و بين امرأته فيدنيه منه و يقول نعم أنت قال الاعمش أراه قال فيلتزمه ت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة بابن آدم فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء م عن عثمان بن العاص رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى يلبسها فقال رسول الله ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فاذهب الله عنى قال النووى رحمه الله الصحيح ان ابليس كان من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن فلما عصى الله تعالى صار من الكافرين

وقت العصر حتى تزيد الظل طول ذلك الشئ مرة أخرى فذلك وقت العصر الثانى فاذا قمت قائما تريد ان
تقيس الظل بطولك فان طولك سبعة أقدام بقدمك سوى قدمك التى تقوم عليها فاذا قام الظل فاستقبل
الشمس بوجهك ثم مر انسانا يعلم طرف ذلك بعلامة ثم قس من عقبك الى تلك العلامة فان كان بينهما
أقل من سبعة أقدام سوى ما زالت عليه الشمس من الظل فانك فى وقت الظهر ولم يدخل وقت العصر حتى
يزيد الظل على سبعة أقدام سوى ما تزول الشمس عليه من الظل فذلك وقت العصر ثم ان الاقدام تختلف فى
الشتاء والصيف فيزيد الظل و ينقص فى الايام فعرفة ذلك ان استواء الليل والنهار فى سبعة عشر يوما من آذار
فان الشمس تزول يومئذ وظل الانسان ثلاثة أقدام وكذلك ظل كل شئ تنصبه فان الشمس تزول يومئذ
وظل كل شئ ثلاثة أسباعه ثم ينقص الظل وكلما مضى ستة وثلاثون يوما نقص الظل قدما حتى ينتهى
طول النهار وقصر الليل فى سبعة عشر يوما من حزيران فتزول الشمس يومئذ وظل الانسان نصف
قدم وذلك أقل ما تزول عليه الشمس ثم يزيد الظل فكلما مضت ستة وثلاثون يوما زاد الظل قدما حتى
يستوى الليل والنهار فى سبعة عشر يوما من ايلول فتزول الشمس يومئذ والظل على ثلاثة أقدام ثم يزيد الظل
وكلما مضى أربعة عشر يوما زاد الظل قدما حتى ينتهى طول الليل وقصر النهار وذلك فى سبعة عشر يوما من
كانون الاول فتزول الشمس يومئذ على تسعة أقدام ونصف قدم وذلك أكثر ما تزول الشمس يومئذ عليه ثم
كلما مضى أربعة عشر يوما زاد الظل قدما حتى ينتهى الى سبعة عشر يوما من آذار فذلك استواء الليل والنهار
وتزول الشمس على ثلاثة أقدام وذلك دخول الصيف وزيادة الظل ونقصانه الذى ذكرناه فى كل ستة وثلاثين
يوما قدم فى الصيف والقيظ وزيادته فى كل أربعة عشر يوما قدم فى الربيع والشتاء وهذا ذكره بعض
علماء المتأخرين من أهل العلم بالنجوم وقد ذكر غيره من القدماء قريبا من هذا وذكر زوال الشمس بالاقدام
فى شهر تشرين وخالف هذا فى حدين من نهاية الطول والقصر قدمين فذكر ان أقل ما تزول عليه الشمس
فى حزيران على قدمين وان أكثر ما تزول عليه الشمس فى كانون ثمانية أقدام فكان الاول هو أدق تحديدا
وأقوم تحريرا وذكر ان الشمس تزول فى ايلول على خمسة أقدام وفى تشرين الاول على ستة وفى تشرين
الاخير على سبعة وفى كانون على ثمانية قال وذلك منتهى قصر النهار وطول الليل وهو أكثر ما تزول عليه
الشمس قال ثم ينقص الظل و يزيد النهار فتزول الشمس فى كانون الاخير على سبعة أقدام وتزول فى شباط
على ستة أقدام وفى آذار على خمسة وذلك استواء الليل والنهار وتزول فى نيسان على أربعة أقدام وتزول
فى ايار على ثلاثة أقدام وتزول فى حزيران على قدمين فذلك منتهى طول النهار وقصر الليل وهو أقل ما تزول
الشمس عليه فيكون النهار حينئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات وتزول الشمس فى تموز على ثلاثة
أقدام وفى آب على أربعة أقدام وفى ايلول على خمسة أقدام وفيه يستوى الليل والنهار وقد روينا عن سفيان
الثورى رحمه الله أكثر ما تزول عليه الشمس تسعة أقدام وأقل ما تزول عليه قدم وهذا أقرب الى القول
الاول فى التحديد وقد جاء فى ذكر الاقدام لوقت الصلاة أثر من سنة فلذلك ذكرناه بما شرحه من عرفه وروينا
عن أبى مالك سعد بن طارق الاشعرى عن الاسود بن يزيد عن ابن مسعود قال كان قدر صلاة الظهر مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى الصيف ثلاثة أقدام الى خمسة أقدام وفى الشتاء خمسة أقدام الى ستة أقدام وفصل
الخطاب ان معرفة الزوال بهذا التحديد ليس بفرض ولكن صلاة الظهر بعد تيقن زوال الشمس فرض
متى زالت الشمس مبلغ علمك و يقين قلبك ومنظر عينك فكانت الشمس على حاجبك الايمن فى الصيف اذا
استقبلت القبلة فقد زالت لا شك فيه فصل الى ان يكون ظل كل شئ مثله فهذا آخر وقت الظهر وأول وقت
العصر ثم صل العصر الى ان يصير ظل كل شئ مثليه فهذا آخر وقت العصر المستحب ثم الى ان تصفر الشمس
وتدلى للغروب فهذا وقت الضرورات وهو مكروه الا لمريض أومعذور وروى عن النبى صلى الله عليه
وسلم من أدرك من العصر ركعة قبل ان تغرب الشمس فقد أدرك العصر ومن أدرك من الصبح ركعة قبل

وأما انظاره الى يوم الدين
فزيادة فى عقوبته وتكثير
معاصيه وغوايته وفى حياة
الحيوان قال رجل للحسن
يا أبا سعيد اينام ابليس قال
لو نام لوجدنا راحة ولكن
لا خلاص للمؤمنين منه
الا بتقوى الله تعالى قال فى
الاحياء من غفل عن ذكر
الله تعالى ولو لحظة ليس له
قرين فى تلك اللحظة الا
الشيطان ولذلك قال الله
تعالى ومن يعش عن ذكر
الرحمن نقيض له شيطانا فهو
له قرين وقال عليه السلام
ان الله يبغض الشاب الفارغ
لان الشاب الفارغ اذا لم
يشغل ظاهره بمباح يستعين
به على دينه عشش الشيطان
فى قلبه و باض وفرخ ثم
تعود فراخه فتبيض
وتفرخ مرة أخرى وهكذا
يتوالد نسل الشيطان
توالدا أسرع من توالد سائر
الحيوان لان طبعه من النار
واذا وجدت النار الحلفاء
اليابسة كثر توالدها فلا يزال
تتوالد النار من النار ولا
تنقطع البتة فالشهوة فى
نفس الشاب للشيطان
كالحلفاء اليابسة للنار
ولذلك قال الحسين الحلاج
هى نفسك ان لم تشغلها
بالحق شغلتك بالباطل
انتهى اخوانى كان ابليس
كالبادية العامرة فوقعت
فيها صاعقة الطرد انما طرد
ابليس لانه لم يسجد لكم
فالعجب كيف صالحتموه

ان تطلع الشمس فقد أدرك الضحى فاذا كانت الشمس على حاجبك الايسر وأنت مستقبل القبلة فى الصيف فان الشمس لم تزل لمبلغ علمك ومنظر عينك فاذا كانت بين عينيك فهو استواؤها فى كبد السماء نظر عينك ويصلح ان تكون قد زالت لقصر النهار وفى أول الشتاء وقد لا تكون زالت اذا طال النهار وتوسط الصيف فاذا صارت الى حاجبك الايمن فقد زالت فى أى وقت كان ثم ان هذا يختلف فى الشتاء فاذا كانت على حاجبك الايسر فى الشتاء وأنت مستقبل القبلة فيصلح ان تكون زالت لقصر النهار فى أول الشتاء وقد لا تكون زالت اذا امتد النهار وفى أول الصيف فاذا كانت الشمس بين عينيك فى الشتاء فقد زالت لا شك فيه فصل الظهر فاذا صارت الى حاجبك الايمن فهذا آخر وقت الظهر فى الشتاء وهو أول وقت الظهر فى الصيف وهذا التقدير انما هو لاهل اقليم العراق وخراسان لانهم يصلون الى الحجر الاسود وتلقاء الباب من وجهة الكعبة فأما اقليم أهل الحجاز واليمن فان تقديرهم على ضد ذلك وقبلتهم الى الركن اليمانى والى مؤخر الكعبة فلذلك اختلف التقدير وتضاد الاختلاف للتوجه الى شطر البيت وتفاوت الامصار فى الاقاليم المستديرة حوله فهذا كان تقدير المتقدمين وما سوى ذلك من التدقيق والتحرير فمحدث الا انه علم لاهله ومن أشكل عليه الوقت لجهل بالادلة أو لغيم اعترض فليتحر بقلبه وليجتهد بعلمه ولا يصلى صلاة الا بعد تيقن دخول وقتها وان تأخر ذلك فهذا أفضل حينئذ ولكن قد جاء فى الخبر ثلاث من مناقب الايمان الصيام فى الصيف واسباغ الوضوء فى الشتاء وتعجيل الصلاة فى يوم دجن ومن أمثال العرب يوم الدجن يضرب فيه عبد السوء هذا لان الوقت فى الغيم كأنه يقصر لغيبة الشمس فيغفل الانسان عن مراعاة الوقت أو يتشاغل عنه لان الفرائض لا تقبل الا عن يقين فاداؤها بعد دخول الوقت على اليقين أفضل من ادائها فى الوقت على الشك الم تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم فان غم عليكم فأكملوا عدد شعبان ثلاثين فترك الاحتياط لليقين ومن صلى وهو يرى انه الوقت أو توجه الى القبلة فيما يعلم ثم تبين له بعد انه صلى قبل الوقت أو صلى لغير القبلة نظر فان كان فى الوقت أو بعده قليلا أعاد الصلاة احتياطا وان كان الوقت قد خرج فلا شئ عليه وهو معفو الخطا وأحب ان يعيد تلك الصلاة متى ذكرها وقال بعض العلماء للشمس سبعة أزولة ثلاثة منها لا يعلمها البشر الزوال الاول تزوله عن قطب الفلك الاعلى لا يشهده ولا يعلمه الا الله عز وجل والزوال الثانى عن وسط الفلك لا يعلمه من خلق الله تعالى الا خزان الشمس الموكلون بها الذين يرمونها بجبال الثلج ليسكن حرها ويحتبس اشعاعها عن العالمين ويسوقونها على العجلة المركبة فى الفلك والزوال الثالث يعلمه ملائكة الارض ثم ان الزوال الرابع يكون على ثلاثة دقائق وهو ربع شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة فهذا الزوال تعرفه الفلاسفة من المنجمين اهل العلم بمساحة الفلك وتركيب الافلاك فيه وتقدير سير الشمس فى الشتاء والصيف فى فلكها منه فيقومون ذلك بالنظر فى المرتجلات الطالعة على التقويم فاذا زالت الشمس الزوال الخامس نصف شعيرة وهى ست دقائق عرف زوالها أهل الحساب والتقاويم بالاسطرلاب الطالع فاذا زالت شعيرة وهو الزوال السادس المشترك وهو جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة عرف زوالها علماء المؤذنين وأصحاب مراعاة الاوقات فاذا زالت ثلاث شعيرات فهو الزوال السابع وهو ربع ساعة عرف الناس كلهم زوالها وعند هذا الوقت صلاة الكافة وهو أوسط الوقت وأوسعه وذلك واسع برخصة الله سبحانه وتعالى ورحمته وهذا كله لبعد منصب السماء ولاستواء تقويم صنعتها فى الافق الاعلى ولاتقان صنعتها فى الجو المنخرق علوا وفى الاقطار المتسعة المستديرة استواء وتناسبا وقد روى فى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عليه السلام فقال هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال كيف هذا فقال بين قولى لك لا نعم قطعت فى الفلك خمسين ألف فرسخ فكان النبى صلى الله عليه وسلم سأله عن زوالها على علم الله سبحانه وتعالى به وقد قال بعض الفلاسفة ان السماء تدور كما يدور الرحا فتدير الافلاك بدورانها على القطب ولكن لا يرى ذلك منها لبعدها وعلوها وتقويم استدارتها وقد ذكره بعض العلماء من السلف فتبارك الله أحسن

وهجر غوونا يا مبدى كم أتقرب منك وأنت تفر منى كم أداريك وأنت تعرض عنى ويحك تمر علينا ولا تمر بخاطرك ونحن فى كل ساعة نذكرك باغدار قد طال دهر التهاجر تعال حتى نصطلح وينصلح كل حالك وتذهب الاكدار ياهذا دبر دينك كما تدبر دنياك لو علق بثوبك مسمار رجعت الى ورائك لتخلصه فهذا مسمار الاصرار قد علق بقلبك فلو عدت الى الندم خطوتين خلصت هيهات صبى الغفلة كلما حركته نام يا مجنون الهوى اما مارستان العزلة وقيد الحمية وموافقة بشر ومعروف والا فمارستان جهنم وقيد الاغلال وصحبة ابليس كل يوم تحضر المجلس فيقف لك الشيطان على الباب فاذا خرجت كما دخلت قال قد منيناه من لا يفلح اللهم اعصمنا من شر الشيطان وجوارحنا من المخالفة والعصيان واغفر لنا ما اقترفنا من الذنوب واستر على جميعنا ما كان من العيوب وارحمنا وأحبابنا ولجميع المسلمين

(العائق الرابع) النفس قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى أى الا وقت رحمة ربى وقال تعالى والشمس وضحاها أى وضوئها اذا اشرقت والقمر اذا تلاها

الخالقين وذكر بعض العارفين أعجب من هذا والطف من قدرة الله عز وجل وخفي صنعه ذكر ان الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وان الساعة اثنا عشر دقيقة كل دقيقة اثنا عشر شعيرة وكل شعيرة أربعة وعشرون نفسا فتظهر الانفاس من خزانة الجسم فتنشئ الشعائر وتنشأ الشعائر فتظهر الدقائق فتنتج الساعات وتحرك الساعات فتدير الافلاك وتدير الافلاك فتنشر الليل والنهار في الجو والاقطار وينشر الليل والنهار فتدير السماء في الآفاق وينعقد الحسبان بالتفصيل فاذا خفي الاحساس انقطعت الانفاس فانفكت الافلاك فعندها تنتثر النجوم وتنشق السماء وتخرب الديار وتظهر دار القرار فسبحان الله الطف الصانعين واقهر القادرين وقد قال سبحانه وتعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وقال سبحانه وتعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور دورا فسبحان اللطيف الحكيم أدار تلك الافلاك الكثاف بهذه الانفاس اللطاف كما حجب الفلك الكثيف بستر الفضاء اللطيف فالفلك العظيم لا يحجب السماء والفضاء الرقيق يحجب الفلك لانه أراد سبحانه وتعالى ان يرينا السماء وأحب ان يخفي عنا الفلك فلم نر الا ما أرانا فالعبد هو سبب لذلك ومحرك لذلك ولا يشعر بذلك فمداره أنفاسه وأنفاسه ساعاته وساعاته عمره وعمره أجله وأجله آخرته وهو في غفلة بدنياه وفي لعب بما يهواه فان نظرت الى السماء رأيتها تنشئ الانفاس وان نظرت الى الانفاس رأيتها تدير الافلاك وان نظرت الى فوق الفوق عميت عما سواه فلا اله الا هو رب العرش العظيم صنع الله الذي أتقن كل شئ ان ربي لطيف لما يشاء سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى فاما صلاة المغرب فافضل ما صليت فيه اذا تدلى حاجب الشمس الاعلى وهو غيبتها عن الابصار روى عن عمر رضي الله عنه انه أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وروينا عن ابن عمر رضي الله عنهما انه اخر المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين وأفضل ما صليت فيه عشاء الآخرة اذا غاب البياض الغربي وأظلم مكانه وهو الشفق الثاني الى ما بعد ذلك فتأخيرها أفضل الى ربع الليل ما لم تنم والنوم قبلها مكروه شديد ووقت حسن في سنة ان تصلي بمقدار غيبة القمر ليلة ثلاث من الشهر وهذا يكون بعد سبع ونصف من الليل لانا روينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي العشاء الآخرة لسقوط القمر ليلة ثلاث وأفضل ما صليت فيه صلاة الصبح اذا طلع الفجر الثاني وهي الصلاة الوسطى التي أفرد الله تبارك وتعالى محافظتها لانها تختص بمعان ثلاث من التوسط لا توجد في سائر الصلوات منها انها بين الليل والنهار والثاني انها بين صلاتين من صلاة الليل وصلاتين من صلاة النهار والثالث انها متوسطة بين صلاتي جهر وصلاتي مخافتة وأيضا فانها أقصر الصلاة عدد الا ثلاثا ولا أربعا فلما اختصت بتوسط هذه المعاني دون غيرها كانت هي الوسطى وأيضا فان الله تعالى نص على ذكر الفجر في قوله عز وجل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا وقيل في تفسير ذلك تشهده ملائكة الليل والنهار فكان هذا ذكرا لها بوصف آخر تو كيد المحافظة عليها فان صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر بطل ما قلناه وثبت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الحق وبه نقول ولا أحسب الخبر الا ثابتا فقد جاء باشد اليقين أخبرنا ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال هي التي شغل عنها أخي سليمان حتى توارت بالحجاب والسنة ان تقرأ في صلاة الصبح بسورة من المثاني أو بطوال المفصل لانها قصرت وعوض عنها طول القيام فان كان أجمع للمصلين وأكثر لعددهم اذا توسط الوقت فحسن قبل ان تمحق النجوم فاما ان يسفر حتى ينتشر البياض تحت الحمرة وذلك هو شئ من شعاع الشمس فلا وان كثر وافصلاتها بغلس في القليل أفضل والمحافظة على أوائل الاوقات من كل صلاة من أفضل الاعمال الا ماذكرناه من تأخير صلاة العشاء الآخرة لاثر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل الصلاة في أول الوقت على الصلاة في آخر الوقت كفضل الآخرة على الدنيا وفي الخبر ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولما فاته من الوقت الاول خير له من الدنيا

وما

أي تبع طلوعه طلوعها وهو أول الشهر أو غروبها يعني حين كونه بدرا والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها أي الشمس فانها تغيب في الليل والسماء وما بناها أي ومن بناها والارض وما طحاها أي ومن بسطها ونفس وما سواها أي سوى خلقها بتعديل الاعضاء والقوى فالهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها أي طهرها من الاخلاق الذميمة وقد خاب من دساها أي من دنسها ونقصها وعدلها عن الهدى وكيف لا يخيب من دساها وقد وقع كل ذنب وفضيحة وهلاك وكفر في الخلق من أول الخلق الى يوم القيامة من قبل هذه النفس اما بها وحدها كابليس فانه غرق في هلاك الابد بسبب كبر النفس وحسدها لا بدنيا وخلق وشيطان واما بمعونتها كآدم فانه اغتر بقول ابليس بسبب شهوة النفس وحرصها على البقاء حتى نزل من قرار الفردوس الى الدنيا الفانية ولقي أولاده ما لقوا الى الابد وكذا قابيل فانه بالحسد والشح قتل هابيل فاسود جسده وتبرأ منه أبواه قيل انه أول من نصب النار وعبدها وكذا هاروت وماروت أوقعتهما الشهوة في المعصية فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب

وما فيها والخبر المشهور ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل فقال الصلاة لوقتها وقد جاء فى الاثر الوقت الاول رضوان الله عز وجل والوقت الاخير عفو الله تبارك وتعالى قيل فرضوان الله عز وجل يكون للمحسنين وعفو الله سبحانه وتعالى يكون عن المقصرين والوقت الاول من كل صلاة من عزيمة الدين وطريقة المقيمين للصلاة المحافظين والوقت الثانى رخصة فى الدين وسعة من الله عز وجل ورحمة للغافلين

(الفصل الحادى عشر) فيه كتاب فضل الصلاة فى الايام والليالى (ذكر ما جاء فى صلاة النهار من الفضائل) روينا عن أبي سلمة وعن أبي هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء عن سعيد بن أبي سعيد الطويل سمع أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فى صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى مسجد يصلى فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحى عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة فى جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب الله له بكل جلسة ألف ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة وعمرة مبرورة عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان أبواب السماء تفتح فى هذه الساعة وأحب ان يرفع لى فيها عمل قيل يا رسول الله فيهن سلام فاصل قال لا وروى عنه صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر (ذكر صلاة يوم الاحد) وروى عن سعيد بن جبير عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاحد أربع ركعات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله عز وجل له بعدد كل نصرانى ونصرانية حسنات وأعطاه ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله عز وجل فى الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر وروينا عن على عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وحدوا الله تبارك وتعالى بكثرة الصلاة فى يوم الاحد فانه سبحانه وتعالى واحد أحد لا شريك له فمن صلى يوم الاحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة قرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفى الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين قرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله تبارك وتعالى حاجته كان حقا على الله سبحانه وتعالى ان يقضى حاجته ويبرئه مما كانت النصارى عليه (ذكر صلاة يوم الاثنين) روينا عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة فاذا سلم استغفر الله عز وجل عشر مرات وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم عشر مرات غفر الله عز وجل له ذنوبه كلها ثابت البنانى عن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاثنين اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة فاذا فرغ من صلاته قرأ اثنتى عشرة مرة قل هو الله أحد واستغفر الله اثنتى عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فيأخذ ثوابه من الله عز وجل فاول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يسعون به حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (ذكر صلاة يوم الثلاثاء) يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم يكتب عليه خطيئة الى سبعين يوما فان مات الى سبعين يوما مات شهيدا وغفر له ذنوب سبعين سنة (ذكر صلاة يوم الاربعاء) أبو ادريس الخولانى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم الاربعاء اثنتى عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثلاث

الآخرة فاختار عذاب الدنيا قال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وهلم جرا لا يوجد فى الخلق فتنة ولا فضيحة ولا ضلالة ولا معصية الا وأصلها النفس ولا يوجد خير ولا فضل الا بمخالفتها وهواها ولله در القائل شعر

توق نفسك لا تأمن غوائلها
فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

وقد حكى فى روض الرياحين عن بعضهم قال انكسرت بنا السفينة وبقيت أنا وامرأتى على لوح وقد ولدت فى تلك الحالة صبية فصاحت لى وقالت يقتلنى العطش فقلت هو ذا يرى حالنا فرفعت رأسى فاذا رجل فى الهواء جالس فى يده سلسلة من ذهب فيها كوز من ياقوت أحمر وقال هاك اشربا فأخذت الكوز وشربنا منه فاذا هو أطيب من المسك وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقلت له من أنت يرحمك الله قال عبد لمولاك فقلت بم وصلت الى هذا قال تركت الهوى لمرضاته فاجلسنى على الهواء ثم غاب عنى فلم أره رضى الله عنه اذا عرفت هذا فاعلم ان طريق الخلاص من شرها ان تلجمها بلجام التقوى التى هى وصية الله لنا ولمن قبلنا من الامم وبها النجاة من الشدائد والنقم وبها الفوز بالدرجات

مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى به ملك عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من
ذنبك ودفع الله عز وجل عنه عذاب القبر وضيقه وظلمته ودفع عنه شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي
(ذكر صلاة يوم الخميس) وروينا عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم
الخميس ما بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الركعة الاولى فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة آية الكرسي وفي
الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة ومائة مرة قل هو الله أحد ويصلي على النبي مائة مرة أعطاه الله عز وجل
ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله
عز وجل وتوكل عليه (ذكر صلاة يوم الجمعة) وروينا عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه
عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام اذا
استقلت الشمس وارتفعت قيد رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى تسبيحة الضحى ركعتين
ايمانا واحتسابا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله تبارك وتعالى
له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر الله ذنوبه كلها
ومن صلى اثنتي عشرة ركعة كتب الله عز وجل له ألفا ومائتي حسنة ومحا عنه ألفا ومائتي سيئة ورفع له في
الجنة ألفا ومائتي درجة أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح يوم
الجمعة في جماعة ثم جلس في المسجد يذكر الله سبحانه وتعالى حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس الاعلى
سبعون درجة بعد ما بين الدرجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة ومن صلى صلاة الجمعة في جماعة كان له
في الفردوس خمسون درجة حضر الجواد خمسين سنة ومن صلى العصر في جماعة فكأنما أعتق ثمانية من
ولد اسمعيل كلهم رب بيت ومن صلى المغرب في جماعة فكأنما حج حجة مبرورة وعمرة متقبلة نافع عن ابن عمر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة قرأ في
كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة فانه لم يمت حتى يرى مقعده في الجنة أو يرى له (ذكر صلاة يوم
السبت) سعيد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ
في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل يا أيها الكافرون ثلاث مرات فاذا فرغ وسلم قرأ آية الكرسي كتب
الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف اجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل
حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرشه مع النبيين والشهداء (فضل صلاة الجماعة) أبو كامل عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى أربعين يوما في جماعة لا تفوته التكبيرة الاولى مع الامام كتب الله
عز وجل له براءتين براءة من النار وبراءة من النفاق * ذكر ما جاء في صلوات الليل وما دخل فيه من الصلاة
بين العشاءين (صلاة ليلة الاحد) عن مختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من صلى ليلة الاحد عشرين ركعة قرأ في كل ركعة الحمد لله مرة وقل هو الله أحد خمسين مرة
والمعوذتين مرة ثم استغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي وتبرأ
من حوله وقوته والتجأ الى حول الله عز وجل وقوته وقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن آدم صفوة الله
تبارك وتعالى وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمد صلى الله عليه وسلم حبيب
الله تبارك وتعالى كان له من الثواب بعدد من دعا لله عز وجل ولدا ومن لم يدع لله عز وجل ولدا وبعثه الله
تبارك وتعالى يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله سبحانه وتعالى يوم القيامة أن يدخله الجنة مع
النبيين (فضل صلاة ليلة الاثنين) وروينا عن الاعمش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى
ليلة الاثنين أربع ركعات قرأ في الركعة الاولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله
وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الركعة الثالثة الحمد مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الركعة الرابعة
الحمد مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم تشهد وسلم وقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله

والنجاة من الهلكات وهي
العروة الوثقى والبغية
العظمى والتجارة الكبرى
وبها اعتناء أولي النهى
وبها نالت الصوفية أجل
المنى قال الله تعالى ومن
يتق الله يجعل له مخرجا أي
من الكرب والمضايق
ويرزقه من حيث لا يحتسب
ت عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن
أكثر ما يدخل الناس
الجنة فقال تقوى الله
وحسن الخلق وسئل عن
أكثر ما يدخل الناس النار
فقال الغم والفرح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أولى الناس بي المتقون
من كانوا وحيث كانوا
وفضائل التقوى كثيرة
عد الغزالي رحمة الله عليه
ثنتي عشرة منها وهي
مذكورة في هذه الابيات
شعر
فضائل تقوى مدح رب وحفظه
ونصر نجاة من عظام ببلغة
واصلاح أعمال وغفران ذنبه
وعز باكرام قبول لطاعة
وبشرى لدى موت وحب الهنا
نجاة من النار الخلود بجنة
وحكي انه جاء سائل يسأل
عبد الله بن عمر رضي الله
عنهما فقال لابنه اعطه دينارا
فلما ذهب السائل فقال له
ابنه تقبل الله منك يا أبتاه

لنفسه

لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة وصلى على محمد خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله سبحانه وتعالى حاجته كان حقا على الله عز وجل ان يؤتيه سؤله ما سأل وهي تسمى صلاة الحاجة القاسم بن عبد الرحمن عن أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الاثنين ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الفلق خمس عشرة مرة وقل أعوذ برب الناس خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي ويستغفر الله سبحانه وتعالى خمس عشرة مرة جعل الله عز وجل اسمه في أصحاب الجنة وان كان من أصحاب النار وغفر له ذنوب السر وذنوب العلانية وكتب له بكل آية قرأها حجة وعمرة وان مات ما بين الاثنين الى الاثنين مات شهيدا (ذكر صلاة ليلة الثلاثاء) في الخبر من صلى ليلة الثلاثاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة واذا جاء نصر الله خمس عشرة مرة بنى الله له بيتا في الجنة عرضه وطوله وسع الدنيا سبع مرات (صلاة ليلة الاربعاء) في الخبر من صلى ليلة الاربعاء ركعتين يقرأ في أول ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الركعة الثانية فاتحة الكتاب مرة وقل أعوذ برب الناس عشر مرات نزل من كل سماء سبعون ألف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة (فضل صلاة ليلة الخميس) أبو صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تبارك وتعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حقهما وان كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء (فضل صلاة ليلة الجمعة) أبو جعفر محمد بن علي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرة فكأنما عبد الله سبحانه وتعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وروينا عن كثير بن سليم عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة الحمد مرة وقل هو الله أحد مرة والمعوذتين مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الايمن ووجهه الى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر وقال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الازهر يعني ليلة الجمعة ويوم الجمعة (فضل صلاة ليلة السبت) عن كثير بن شنظير عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهودية وكان حقا على الله عز وجل ان يغفر له (ذكر فضل الصلاة بين العشاءين وما يختص به ذلك الوقت في كل ليلة) روينا عن سليمان التيمي ان رجلا حدثه قال قيل لعبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء أبو صخر سمع محمد بن المنكدر يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها من صلاة الاوابين عبد الرحمن بن الاسود عن أبيه قال ما أتيت عبد الله بن مسعود في تلك الساعة الا وجدته يصلي فقلت له في ذلك فقال نعم ساعة الغفلة يعني بين المغرب والعشاء وسئل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أي شئ كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم بين المغرب والعشاء اذا دخل منزله قال يصلي ثابت البناني قال كان أنس بن مالك يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هي ناشئة الليل حدثنا عن فضيل بن عياض عن ابان بن أبي عياش قال سألت امرأة أنس بن مالك فقالت اني أرقد قبل العشاء فنهاها وقال نزلت هذه الآية فيما بينهما تتجافى جنوبهم عن المضاجع حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قلت لابي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب اليك أو أفطر النهار وأحيي ما بينهما فقال ان جمعتهما فهو أفضل قلت فان لم يتيسر لي قال فافطر بالنهار وصل بين المغرب والعشاء هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان

فقال لو علم ان الله عز وجل تقبل مني سجدة أو صدقة درهم لم يكن غائب أحب الي من الموت أتدري عمن يتقبل انما يتقبل الله من المتقين واذا كان هذا السيد الجليل يقول ذلك وقد كان لا يأكل طعاما الا وعلى مائدته يتيم وأتته يوما عشرون ألف دينار فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان يحيي الليل وما بين الظهر والعصر فكيف يحسن بأحد ان يظن في نفسه انه من المتقين فعليك يا مسكين بالتقوى فانك لا تدري متى ينزل بك القدر اللازم أين من ملك الدنيا فعمرها وكنز الكنوز فذخرها وقاد الجيوش فرجزها ودانت له البرايا فنهاها وأمرها شتت الموت شمله بعد اجتماع وأذل عزه بعد القوى والامتناع

شعر

المرء ضيف بدار لا مقام بها
فيها الفجائع والروعات ترتدف
واذكر سبيلا قطيعا أنت سالكه
ما عن ورود حياض الموت منصرف
واذكر تجرع كأس أنت شاربها
وأنت منجدل في غمرة دنف
والنفس في سكرات الموت ذائقة
والقلب في قلق والصدر مرتجف

أفضل الصلوات عند الله عز وجل صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين في الجنة لا أدري من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر الله له ذنوب عشرين سنة أو قال أربعين سنة أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه أحيا ليلة القدر سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله سبحانه وتعالى أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم محمد بن الحجاج سمع عبد الكريم بن الحرث يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بني له قصر في الجنة فقال عمر إذا تكثر قصورنا يا رسول الله قال الله أكبر وأفضل أو قال وأطيب أبو عائشة السعدى وأبو حفص العوفي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى المغرب في جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشئ فيما بين ذلك من أمر الدنيا يقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها وهي وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إلى آخر الآيتين وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع ويسجد فإذا قام إلى الركعة الثانية قرأ بفاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتين بعدها إلى قوله تعالى أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وثلاث آيات من آخر البقرة من قوله عز وجل لله ما في السموات إلى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة بني له في جنات عدن ألف مدينة من الدر والياقوت في كل مدينة ألف قصر في كل قصر ألف دار في كل دار ألف حجرة في كل حجرة ألف صفة في كل صفة منها ألف خيمة في كل خيمة ألف سرير من أصناف الجواهر على كل سرير ألف فراش بطائنها من استبرق وظواهرها من نور منضد وألف مرفقة من هذا الطرف من السرير وألف مرفقة من الطرف الآخر فوق تلك الفرش زوجة من الحور العين لا توصف بشئ إلا زادت عليه جمالا وكمالا لو رآها ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا افتتن بحسنها قد ملأت ما بين طرفي السرير على كل زوجة منهن ألف حلة لا توارى حلة حلة ولا توارى الحلل كلها الجلد يرى بعضها من تحت بعض كما يرى السلك من الياقوتة وكما يرى الشراب الاحمر من الزجاجة البيضاء لكل زوجة منهن مائة ألف وصيف ومائة ألف جارية ومائة ألف قهرمان على قصورها وضياعها هذا لها خاصة سوى خدم زوجها في كل خيمة منهن نهر من التسنيم ونهر من الكوثر وعين من الكافور وعين من الزنجبيل وعين من السلسبيل وغصن من شجرة طوبى وغصن من سدرة المنتهى في كل خيمة ألف مائدة من الدر والياقوت أدنى مائدة منها مثل استدارة الدنيا مرتين على كل مائدة منها ألف صحفة صحاف من ذهب مكللة بالدر والجوهر في كل صحفة منها مائة ألف لون من طعام مختلف طعمه ولونه وريحه يعطي الله سبحانه وتعالى وليه المؤمن من القوة ما يأتي على تلك الأطعمة ومثلها من الاشربة ويأتي على أولئك الازواج كلهن في مقدار يوم من أيام الدنيا فسبحان الملك الوهاب القادر على ما يشاء رب العالمين عبد الرحمن بن منده ورد بن سعد بن سعيد عن كرز بن وبرة قال وكان وبرة من الابدال قال قلت للخضر عليه السلام علمني شيأ أعمله في ليلي فقال إذا صليت المغرب فقم إلى صلاة العشاء الآخرة مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم في كل ركعتين واقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات فإذا فرغت من صلاتك انصرف إلى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد سبع مرات في كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله سبحانه وتعالى سبع مرات وصل على النبي صلى الله عليه وسلم سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والاكرام يا إله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة

وغادروك بأطباق الثرى وغدوا
ثم آنسوك لولا آتوا ولا انصرفوا
عنك الشفاه بل خلفت منجدلا
فردا وحيدا وولى القوم وانصرفوا
وخلفوك غريبا لا وسادة لك
مهدا عن صعيد القبر ملتحف

اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها

(فصل) اعلم أن الحيلة في انقياد النفس للعام التقوى أن تذللها وتكسر هواها بحمل أثقال العبادات عليها ومنع شهواتها والاستعانة بالله والتضرع إليه بأن يعينك فإن الدابة الحرون إذا زيد في حملها مع نقص علفها انقادت بعون الله وأما حمل أثقال العبادات عليها فبأن تقسم أوقاتك في يومك وليلتك وتجعل في كل وقت عبادة أو شغلا تستعين به على طاعة الله تعالى من حين تنتبه من نومك إلى نومك بالليل فإذا انتبهت من النوم فاجتهد أن تذكر الله تعالى بقلبك ولسانك وقل الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه البعث والنشور روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يقول عند رد الله تعالى روحه لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير إلا

ورحيمهما

ورحيمهما يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبى صلى الله عليه وسلم وادم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب ان تعلمنى ممن سمعت هذا الدعاء فقال انى حضرت محمدا صلى الله عليه وسلم حيث علم هذا الدعاء وأوحى اليه به وكنت عنده وكان ذلك بحضرمنى فتعلمته ممن علمه اياه ويقال ان هذه الصلاة وهذا الدعاء من داوم عليه بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى انه دخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه وعلمه ولهذا فضائل كثيرة اختصرناها للايجاز

(الفصل الثانى عشر) فى ذكر الوتر وفضل الصلاة بالليل *عن مبارك بن عوف الاحمسى عن عمر بن الخطاب قال ان الاكياس الذين يوترون أول الليل وان الاقوياء يوترون آخر الليل وهو أفضل وقد روى فى خبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل أبا بكر رضى الله عنه متى توتر فقال من أول الليل قبل ان أنام وقال لعمر رضى الله عنه متى توتر فقال من آخر الليل فقال لابى بكر حذر هذا وقال لعمر قوى هذا وفى بعض الاخبار انه قال لابى بكر مثلك كالذى قال أحرزت نهبى وابتغى النوافلا وقال لعمر انك لقوى مكين وروينا عن عثمان رضى الله عنه انه قال أما أنا فاوتر أول الليل فاذا استيقظت صليت ركعة شفعت بها وترى فما شبهتهما الا كالغريبة من الابل ضممتها الى اخواتها ثم أوترت من آخر صلاتى والمشهور عنه من فعله انه كان يحيى الليل كله بركعة واحدة يختم فيها القرآن وهى وتره وروينا عن على عليه السلام انه قال الوتر على ثلاثة انحاء ان شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر حتى يكون آخر صلاتك وفى حديث ابن عمر صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فاوتر بركعة وهذا أحب الوجوه الى وقال مجاهد قال عبد الله بن عمر من صلى أربعا بعد العشاء كن كعدلهن من ليلة القدر قال حصين فذكرت ذلك لابراهيم فقال كان عبد الله بن مسعود يكره ان تتبع كل صلاة بمثلها وكانوا يصلون العشاء ثم يصلون ركعتين ثم أربعا فمن بدا له ان يوتر أوتر ومن اراد أن ينام نام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتروا يا أهل القرآن من كل الليل وقالت عائشة رضى الله عنها قد أوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أوله وأوسطه وانتهى وتره الى السحر وفى الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر عند الاذان ويصلى ركعتين عند الاقامة وسأل رجل عليا عليه السلام عن وقت الوتر فسكت عنه ثم خرج اليهم عند الاذان لصلاة الفجر فقال أين السائل عن الوتر هذا وقت وتر حسن أبو امامة عن عمرو بن عنبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أقرب ما يكون الرب عز وجل من العبد جوف الليل الاخير فان استطعت ان تكون ممن يذكر الله سبحانه وتعالى فى تلك الساعة فكن أبو ذر الغفارى قال قلت يا رسول الله أى الليل الصلاة فيه أفضل قال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام أى الليل اسمع فقال ان العرش يهتز من السحر وقد روى فى الخبر ان فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا الا أعطاه وروى فى خبر آخر يصلى أو يدعو الا استجيب له وهى فى كل ليلة ويقال ان فى الليل وقتا الابدان ينام فيه أو تغفل كل ذى عين الا الحى الذى لا يموت فلعلها هذه الساعة وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا مضى نصف الليل وفى لفظ آخر اذا بقى ثلث الليل الاخير نزل الجبار سبحانه وتعالى الى السماء الدنيا فقال لا يسأل عن عبادى غيرى هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاستجيب له هل من سائل فاعطيه كذلك حتى يطلع الفجر وفى حديث عمرو بن عنبسة عليك بصلاة آخر الليل فانها مشهودة محضورة يعنى يحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار

(الفصل الثالث عشر) فيه كتاب جامع ما يستحب ان يقول العبد اذا استيقظ من نومه للتهجد وفى يقظته

غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر واذا لبست ثيابك فانوبه ستر العورة ى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة غفر الله ما تقدم من ذنبه واحذر الحرير وجوبا وثوب الجمال أدبا خم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة د عنه صلى الله عليه وسلم من ترك لبس الجمال وهو يقدر عليه وفى رواية تواضعا كساه الله حلة الكرامة واذا خرجت من بيتك فارفع طرفك الى السماء وقل بسم الله توكلت على الله اللهم انى أعوذ بك ان أضل أو أضل أو ازل أو أزل أو اظلم أو أظلم أو اجهل أو يجهل على ى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يمنع أحدكم اذا عسر عليه أمر معيشته ان يقول اذا خرج من بيته بسم الله على نفسى ومالى ودينى اللهم رضنى بقضائك وبارك لى فيما قدرت لى حتى لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت واذا قصدت قضاء الحاجة فراع سننه وآدابه الى ان تخرج كتنحيتما عليه اسم الله أو القرآن وتقدم اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج وان

عند الصباح ليقل اذا استيقظ من منامه بكرة أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة لله والسلطان لله والبهاء لله والقدرة لله والعزة لله والتسبيح لله أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا واليه النشور اللهم انا نسألك ان تبعثنا فى يومنا هذا الى كل خير ونعوذ بك ان نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه بسم الله ماشاء الله لاقوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله بسم الله لا يصرف السوء الا الله رضيت بالله عز وجل ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير وليقرأ المعوذتين فاذا أمسى قال مثل ذلك كله الا انه يقول أمسينا وأمسى الملك لله عز وجل أسألك خير هذه الليلة ولا يدع ان يقول فى كل ليلة بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم وان يقل دخوله من الخلاء عند وقت السحر كان أفضل كيلا يشغله عن الذكر بجعل ذلك فى آخر النهار أو من أول الليل فقد فعل ذلك كثير من الصالحين وهو حسن الا ان دخول الخلاء عند الصباح أصلح للجسد من جهة الطب وانظف للطهارة سيما لمن يأكل بالنهار * ذكر ما يستحب من القول اذا أخذ العبد مضجعه للنوم ليقل باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه اللهم ان امسكت نفسى فاغفر لها وارحمها وان أرسلتها فاعصمها واحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن عازب أن يقول اذا أخذ مضجعه ليلا اللهم انى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى اليك والجأت ظهرى اليك رهبة ورغبة اليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت وبرسولك الذى أرسلت وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول عند النوم اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك وانه أمر ان يقال الحمد لله الذى علا فقهر الحمد لله الذى بطن فخبر الحمد لله الذى ملك فقدر الحمد لله الذى هو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وليقل بعد ذلك اللهم انى أسألك الراحة بعد الموت والعفو عند الحساب اللهم انى أعوذ بك من غضبك وسوء عقابك وشر عبادك وشر الشياطين وشركهم وليقرأ خمسا من أول سورة البقرة وثلاثا من آخرها وآية الكرسى والآيتين اللتين بعدها وليقرأ قوله عز وجل والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والآية التى بعدها الى قوله تعالى لقوم يعقلون ويقال من قرأ هذه الآية عند منامه حفظ عليه القرآن فلم ينسه ولا يدع أن يقرأ آخر بنى اسرائيل الايتين قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن وهذه الآية من سورة الاعراف ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام فانه يدخل فى شعاره ملك يوكل بحفظه ويستغفر له وليقرأ الخمس الآيات من أول سورة الحديد والثلاث من آخر سورة الحشر وقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد والمعوذتين وينفث بهن فى يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآى لقيام الليل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءة قل يا أيها الكافرون عند النوم وكان على عليه السلام يقول ما أرى ان رجلا مستكمل عقله ينام قبل ان يقرأ الآيتين من سورة البقرة آمن الرسول وليقل اللهم أيقظنى فى أحب الساعات اليك واستعملنى بأحب الاعمال اليك التى تقربنى اليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى واستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولنى غيرك ولا ترفع عنى سترك ولا تنسنى ذكرك ولا تجعلنى من الغافلين يقال من قال هذه الكلمات عند نومه أهبط الله سبحانه وتعالى ثلاثة أملاك يوقظونه للصلاة فان صلى ودعا امنوا على دعائه وان لم يقم تعبدت الاملاك فى الهواء وكتب له ثواب عبادتهم ثم ليسبح ثلاثا وثلاثين مرة وليحمد

تنكشف ثوبك شيأ فشيأ وتنصب رجلك اليمنى وتعتمد على اليسرى وان تبعد ان كنت فى الصحراء وتستتر عن العيون وان لا تتبرز فى ظل وطريق وتحت شجر مثمر وان لا تبول فى ثقب وسرب وصلب وان لا تستقبل الشمس والقمر ولا القبلة ولا تستدبرها واستقبال القبلة واستدبارها فى الصحراء حرام وان تقول عند الدخول بسم الله اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث وعند الخروج غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الاذى وعافانى ثم تستبرئ بقايا البول بتنحنح ونحوه ثم يضع أصبعه الوسطى تحت الذكر والسبابة فوقه من مجامع العروق الى رأس الذكر ثم ينتره ثلاثا وقل بعد الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش ولا تغفل أيها الراحل الى دار الآخرة عن مثل هذه الدعوات والسنن ولا تكسل فى ادخار الخيرات للمعاد ولا تنس ذكر الله تعالى وتسبيحه لاسيما فى الاوقات الغر وفقوان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قال فى حياة الحيوان وروى أبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال كنت مع كعب الاحبار وهو

ثلاثا وثلاثين مرة وليكبر ثلاثا وثلاثين مرة وان أحب ربعها خمسا وعشرين مرة فقال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمسا وعشرين مرة فهن يجمعن له مائة كلمة وهو أخف عليه للمداومة وروينا عن مطرف عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى انه مقبوض فى تلك الليلة اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شئ منزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان فالق الحب والنوى أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها اللهم أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وليسبح ثلاثا وثلاثين مرة وليحمد ثلاثا وثلاثين مرة وليكبر أربعا وثلاثين مرة وان شاء ربعها خمسا وعشرين مرة وزاد فيها التهليل فهن يجمعن له مائة كلمة وهو أخف عليه للمداومة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وندب اليه فى أدبار الصلوات الخمس وعند النوم فهذا جامع ما يستحب من قراءة الآى والدعاء عند النوم * ذكر هيئة العبد عند النوم وأهبته للمضجع ومعنى الاعتبار بذلك لذوى الابصار يستحب للعبد ان ينام على طهارة سابغة والا مسح أعضاءه بالماء مسحا وقد كانوا يستحبون السواك عند النوم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وكان بعض السلف يجعل عند رأسه سواكه وطهوره فاذا انتبه من الليل استاك ومسح أعضاءه بالماء مسحا وكانوا يذكرون الله عز وجل بالتلاوة والتسبيح فى تقلبهم ويعدون هذا يعدل قيام الليل وقد روى هذا الخبر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وعن غيره وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وانه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل قومة من نومه فليعد العبد طهوره وسواكه عند رأسه وينوى قيام الليل فاى وقت استيقظ توضأ وصلى أو قعد فقرأ أو دعا وذكر الله عز وجل واستغفره أو تفكر فى آلائه وعظمته ومعانى قدرته ففى أى وجه أخذ من هذه المعانى فهو ذكر وقد استعمل بذلك وفيه قربة الى الله عز وجل وهو فضل من الله تعالى ورحمته عليه ولا ينبغى للعبد ان يبيت وله شئ يوصى فيه الا ووصيته مكتوبة عنده فانه لا يأمن القبض بالوفاة وقد ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ذلك فى قوله لا ينبغى لعبد ان ينام ليلتين وله شئ يوصى فيه الا ووصيته مكتوبة عنده ويقال من مات عن غير وصية لم يؤذن فى الكلام فى البرزخ الى يوم القيامة تتزاور الاموات ويتحدثون وهو لا يتكلم فيما بينهم الى يوم القيامة فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات عن غير وصية فيكون ذلك حسرة عليه بينهم وموت الفجأة تخفيف ومستحب للمؤمن الفقير للثواب الذى لا مال له ولا دين عليه فاما المثقل بالدين والمخلط فى الدين ومن له مال أو هو مصر على مظلمة فان موت الفجأة لهؤلاء عقوبة ومكروه ولا ينبغى للعبد ان يبيت الا تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعقد على خطيئة ان استيقظ وقد جاء فى الخبر من اوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم وليستقبل فى نومه القبلة واستقبال القبلة على ضربين ان كان مستلقيا فاستقباله القبلة أن يكون وجهه الهامع أخمص قدميه كحال الميت المسجى وان كان نائما على جنب فاستقبال القبلة أن يكون وجهه الهامع شقه الايمن كهيئة الملحد فى قبره فسيصير اليه عن قريب وليذكر بنومه على هذين الحالين عند موته وحين اضطجاعه فى قبره وقد قال الله عز وجل ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا فى أحد الوجهين وهو مذهب أهل التفسير أى يكفتهم ويجمعهم أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وقد جعل الله سبحانه وتعالى النوم من آياته الدالة عليه لاهل السمع منه وهو سمع اليقين وقرنه بالابتغاء من فضله فقال عز وجل ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون وكان فقراء أهل الصفة وبعض زهاد التابعين اذا رقدوا لا يجعلون بينهم وبين الارض شيأ كان أحدهم يباشر التراب بجلده ويطرح ثوبه فوقه ويقول منها خلقناكم وفيها نعيدكم كأنهم كرهوا الترفع عليها والوقاية منها يجدون ذلك أرق لقلوبهم وأبلغ

عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال كعب يا أمير المؤمنين ألا أخبرك بأغرب شئ قرأته فى كتب الانبياء ان هامة جاءت الى سليمان ابن داود صلوات الله عليهما فقالت السلام عليك يا رسول الله قال وعليك السلام يا هامة أخبرينى كيف لا تأكلين من الزرع قالت يا نبى الله ان آدم أخرج من الجنة بسببه فقال كيف لا تشربين الماء قالت لان الله أغرق قوم نوح فيه فمن أجل ذلك لا أشربه قال سليمان كيف تركت العمران وسكنت الخراب فقال لان الخراب ميراث الله فانا أسكن ميراث الله قال الله وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا وكنا نحن الوارثين فالدنيا ميراث الله كلها قال سليمان فما تقولين اذا جلست فوق خربة قالت أقول أين الذين كانوا يتمتعون بالدنيا ويتنعمون فيها قال سليمان عليه السلام فما صياحك فى الدور اذا مررت عليها قالت أقول ويل لبنى آدم كيف ينامون وأمامهم الشدائد قال فما لك لا تخرجين بالنهار قالت من كثرة ظلم بنى آدم لانفسهم قال فاخبرينى ما تقولين فى صياحك قالت أقول تزودوا يا غافلون وتهيؤا لسفركم سبحان

خالق النور فقال سليمان عليه السلام ليس من الطيور أنصح لابن آدم وأشفق عليه من الهام وما في قلوب الجهال ابغض منها انتهى قال القاسم بن غزوان كان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الابيات

شعر

أيقظان أنت اليوم أم أنت نائم
وكيف يطيق النوم حيران هائم

فلو كنت يقظان الغداة لخرقت
مدامع عينيك الدموع السواجم

بلى أصبحت في النوم الطويل وقد دنت
اليك أمور مفظعات عظائم

فلا أنت في الايقاظ يقظان حازم
ولا أنت في النوم ناج وسالم

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغل فيما سوف تكره غبه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى
كما غر باللذات في النوم حالم

اللهم اجعلنا لهديك متبعين وبالاخيار مقتدين فاعف عنا وعن أحب واحسن الينا يا رب العالمين

(فصل) واذا أردت الوضوء فلا تترك السواك فقد روى البيهقي في شعب الايمان عن عائشة رضي

في تواضعهم ومثل النوم عند أهل الاعتبار مثل البرزخ هو بين الدنيا والآخرة كذلك النوم بين الحياة والموت فاذا كشف حجاب النوم ظهرت الدنيا بالحكمة وكذلك اذا كشف الغطاء ظهرت الآخرة بالقدرة فصارت الدنيا كالاحلام في النوم وقد قال الله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه وكان بعضهم يقول عجبا لمن يعصى الله عز وجل ثم ينام بعد ذلك *وذكر بعض العلماء عن الله عز وجل ان كنتم تعصوني فاخرجوا من بساطي ولا تناموا في قبضتي وقال لقمان لابنه يا بني ان كنت تشك في الموت فلا تنم فكما انك تنام فكذلك تموت وان كنت تشك في البعث فاذا نمت فلا تنتبه فكما انك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك فليتذكر العبد عند نومه حين موته وليعلم ان الله تعالى يكون له بعد موته كما كان العبد له قبل نومه فلينظر على أي حال نام وعلى أي هم توفاه الله عليه وليتذكر بانتباهه البعث فان العبد يبعث على ما مات عليه في الدنيا فيبعث بهمه و يحشر مع محبوبه كما ينتبه النائم عن همه الى محبوبه الذي نام عنه وفي الخبر المرء مع من أحب وله ما احتسب وروى عنه صلى الله عليه وسلم من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة وروينا عن كعب الاحبار قال اذا نمت فاضطجع على شقك الايمن واستقبل القبلة بوجهك فانها وفاة *بيان آخر من الاعتبار لاهل التبصرة والتذكار وليعلم العبد ان الله عز وجل يكون له بعد بعثه من قبره كما كان العبد له بعد بعثه من نومه فلينظر الى أي حال يبعث وان كان العبد لنظره ولامره مكرما وأشانه معظما ولحرماته معظما والى محبوبه ومرضاته ومسرته من النعيم المقيم مسرعا كان الله تعالى في آخرته لوجهه مكرما وان كان العبد في حق مولاه متهاونا وبأمره مستخفا ولشعائره مستصغرا كان الله تعالى له مهينا وبشأنه متهاونا قال الله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء ثم قال قليلا ما تذكرون مع تخالفهم بذلك وقال في مثله أفنجعل المسلمين كالمجرمين ثم قال ما لكم كيف تحكمون ذاما عائبا لحكمهم ثم أخبر بحكمه فيهم فقال أم حسب الذين اجترحوا السيآت أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون هكذا تقدير الكلام وهو من المقدم والمؤخر فرفع حسناتهم وأخبر بسوء حكمهم ثم ذكر حكمهم عنده في المحيا والممات فقال سواء محياهم ومماتهم أي كما كانوا في الحياة كذلك يكونون بعد الوفاة ثم عقب ذلك بذكر عدله في خلقه فقال وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون فكان هذا فصل الخطاب وتذكار أولي الالباب وقال في معناه وأمر بتدبر كلامه وأمر بتذكر العقلاء عن خطابه فقال كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب هل يتدبرون فيجدون انا نجعل المفسدين كالمصلحين أو نجعل المتقين كالفاسقين وهو قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض أم نجعل المتقين كالفجار فالتدبر التفهم والتذكر التقوى والعمل وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يعلم منزلته عند الله عز وجل فلينظر كيف منزلة الله تعالى من قلبه فان الله عز وجل ينزل العبد عنده بحيث نزله العبد من نفسه فاذا نام العبد على طهارة وذكر وعن مثل هذه المشاهدة والفكر فان مضطجعه يكون مسجدا وانه يكتب مصليا حتى يستيقظ و يدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله عز وجل دعا له الملك واستغفر له وفي الخبر اذا نام العبد على طهارة عرج روحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق فان غلبه النوم حتى يصبح حسب له قيام ليلة وكان نومه عليه صدقة ومن كان هذا وصفه في منامه يسبق كثيرا من العباد في قيامهم عن شهود غفلة وسهو *وقد روينا في خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح *ذكر ما يستحب من القول عند القيام الى التهجد فاذا قام من الليل متهجدا فليقل الحمد لله الذي أحياني بعد اذ توفاني واليه النشور وليقرأ العشر الاواخر من سورة آل عمران وليستك وليتوضأ و يقول سبحانك و بحمدك لا اله الا أنت أستغفرك وأسألك التوبة فاغفر لي وتب علي انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من

التوابين

التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا ثم يرفع رأسه الى السماء فيقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنا عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك جار في حكمك عدل في قضاؤك هذه يدي بما كسبت وهذه نفسي بما اجترحت لا اله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي انك أنت ربي انه لا يغفر الذنوب الا أنت فلا اله الا أنت لا اله الا أنت فاذا قام الى الصلاة متوجها فليقل الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم ليسبح عشرا وليحمد عشرا وليهلل عشرا وليكبر عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والجلال والعظمة والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت بهاء السموات والارض ولك الحمد أنت نور السموات والارض ولك الحمد أنت زين السموات والارض ولك الحمد أنت قيام السموات والارض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر اللهم يا رب لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت اللهم آت نفسي تقواها اللهم زكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال لا يهدي لاحسنها الا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها الا أنت أسألك مسئلة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين ويا أكرم المعطين ويستحب أن يفتتح صلاته بركعتين خفيفتين ويستحب له أن لا يأكل شيأ ولا يشرب ماء حتى يقضي همته من صلاته فان العبد اذا استيقظ من نومه يكون جام القلب فارغ الهم فاذا أكل او شرب تغير قلبه عن هيئته فليغيب أكله الا أن يخاف أن يفجأه الفجر ان لم يتسحر أو يشرب فليبدأ حينئذ بذلك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(الفصل الرابع عشر) في ذكر تقسيم الليل ونومه ووصف القائمين والمتهجدين قد قرن الله سبحانه وتعالى قوام الليل برسوله المصطفى وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء فقال تعالى ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك وقد أخبر الله سبحانه ان قراءة الليل أشد وطأ للقلب وأقوم قيلا للحفظ والذكر أي يواطئ القلب اللسان بالفهم والحفظ وقد سمى الله تعالى أهل الليل علماء وجعلهم أهل الخوف والرجاء وأخفى لهم قرة العين من الجزاء فقال أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ثم قال قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وهذا من المحذوف ضده لدلالة الكلام عليه والمعنى أمن هو هكذا عالم قانت مطيع لا يستوي مع من هو غافل نائم ليله أجمع فهو غير عالم بما يحذر وبما يرجو من ربه عز وجل وقال عز وجل في وصفهم في الدنيا ووصف ما أعد لهم في الآخرة والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا أي تنبو عن الفراش فلا تطمئن لما فيهما من خوف الوعيد ورجاء الموعود ثم قال فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم قيام الليل وقيل بل كانوا أهل خوف ورجاء وهذان من اعمال القلوب عن مشاهدة الغيوب فلما أخفوا له الاخلاص باعمال السرائر أخفى لهم من الجزاء نفيس الذخائر ولا تقر أعين هؤلاء المحبين الا بوجهه كما لم يعملوا الا لوجه الله تعالى وقال بعض العلماء في قوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قال هي صلاة الليل استعينوا بها على مجاهدة النفس ومصابرة العدو ثم قال وانها لكبيرة الا على الخاشعين يعني الخائفين المتواضعين لا تثقل عليهم ولا تجفو بل تخف وتحلو وفي الخبر قيل يا رسول الله ان فلانا يصلي من الليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما تقول وقال صلى الله عليه وسلم نعم الرجل

الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضل الصلاة التي يستاك لها على الصلاة التي لا يستاك لها سبعين ضعفا وعن أبي سلمة عن زيد بن خالد الجهني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لولا ان أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة قال أبو سلمة فرأيت زيدا يجلس في المسجد وان السواك من اذنه موضع القلم من اذن الكاتب فكلما قام الى الصلاة استاك ثم توضأ محافظا الفرائضه من نية رفع الحدث ونحوها عند أول غسل الوجه وغسل الوجه مع ملاقيه من رأس ونزعة ومحل تحذيف واذن وتحت ذقن ولحى ومع شعره الا باطن لحية كثة والا باطن شعر كثيف خرج عن حد الوجه وغسل اليدين مع المرفقين ومسح بعض بشر الرأس أو شعره الذي لا يخرج عن حد الرأس بالمد في جهة النزول من أي جانب كان من الجوانب وغسل الرجلين مع الكعبين والشقوق والترتيب وتحافظ على سننه من التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق وتخليل اللحية الكثة وتخليل أصابع اليدين والرجلين ومسح جميع الرأس ومسح الاذنين

عبد الله بن عمر لو كان يصلي من الليل قال فما فاتته بعد ذلك ليلة حتى يقوم فيها وفي الخبر عليكم بقيام الليل فانه مرضاة لربكم ومكفر لسيآتكم وهو دأب الصالحين قبلكم ومنهاة عن الاثم وملقاة للوزر ومذهبة لكيد الشيطان ومطردة للداء عن الجسد وقد جعل الله سبحانه قيام الليل من أوصاف الصالحين بقوله يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الى قوله وأولئك من الصالحين فيستحب من قيام الليل ثلثاه وأقل الاستحباب من القيام سدسه لانا روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقم ليلة قط حتى أصبح بل كان ينام منها ولم ينم ليلة حتى يصبح بل كان يقوم منها ويقال ان الصلاة أول الليل للمتهجدين وقيام أوسطه للقانتين وقيام آخره للمصلين والقيام من الفجر للغافلين وحدثنا ٧ عن عبد الله بن عمر قال حدثنا يوسف بن مهران قال بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فاذا مضى نصف الليل الاول ضرب بجناحه وزقى وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحه وزقى وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلث الليل ضرب بجناحه وزقى وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحه وزقى وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقال بعض العلماء أهل الليل على ثلاثة أصناف قوم قطعهم الليل فكأن هؤلاء المريدون ذوو الاوراد والاجزاء كابدوا الليل فغلبهم قال وقوم قطعوا الليل فكان هؤلاء العاملون الذين صبروا وصابروا الليل فغلبوه وقال قوم قطع بهم الليل فكان هؤلاء المحبون والعلماء أهل الفكر والحادثة وأهل الانس والمجالسة وأهل الذكر والمناجاة وأهل التملق والملاقاة تنغص عليهم الليل حالهم وقصر النعيم عليهم ليلهم ورفع الحبيب عنهم نومهم وخفف الفهم عليهم قيامهم واذهب مزيد الوصل عنهم ملالهم وأوصل العتاب لهم سهرهم وقيل لبعض أهل الليل كيف أنت والليل فقال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تأملته وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال هو ساعة أنا فيها بين حالين أفرح بظلمته اذا جاء وأغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحي به قط ولا اشتفيت منه قط وقيل لبعض المحبين كيف الليل عليك فقال والله ما أدري كيف أنا فيه الا أنا بين نظرة ووقفة يقبل بظلامه فأتدرعه ثم يسفر قبل أن أتلبسه ثم أنشد

لم أستتم عناقه لقدومه * حتى بدا تسليمه لوداع

وقال بعضهم

وزارني طيفك حتى اذا * أراد أن يمضي تعلقت به
فليت ليلي لم يزل سرمدا * والصبح لم أنظر الى كوكبه

وشكا بعض المريدين الى أستاذه طول سهره بالليل وان السهر قد أضر به ثم قال أخبرني بشيء أجتلب به النوم فقال له أستاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطئ بالقلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات ففيها الخيرة فقال يا أستاذ تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار وتذاكر قوم قصر الليل عليهم فقال بعضهم أما أنا فالليل يزورني قائما ثم ينصرف قبل أن أجلس وقال علي بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزنني شيء الا طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بدخول الظلام لخلوتي فيه بربي فاذا طلع الفجر حزنت لدخول الناس علي وقال أبو سليمان أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا وقال أيضا لو عوض الله عز وجل أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه في قلوبهم من اللذة لكان ذلك أكثر من أعمالهم وقال بعض العلماء ليس في الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم قيام الليل والتملق للحبيب والمناجاة للقريب في الدنيا ليس من الدنيا هو من الجنة أظهر لاهل الله تعالى في الدنيا لا يعرفه الا هم ولا يجده سواهم روحا لقلوبهم وقال عتبة الغلام كابدت الليل عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة وقال يوسف بن أسباط قيام ليلة أسهل علي من عمل قفة وكان يعمل كل يوم عشر قفاف وقال غيره ما رأيت أعجب من الليل اذا اضطربت تحته غلبك وان ثبت له لم يقف وبكى عامر بن عبد الله حين حضرته الوفاة

وتطويل الغرة م عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان حوضي أبعد من ايلة الى عدن لهو أشد بياضا من الثلج وأحلى من العسل باللبن ولآنيته أكثر من عدد نجوم السماء واني لاصد الناس عنه كما يصد الرجل ابل الناس عن حوضه قالوا يا رسول الله أتعرفنا يومئذ قال نعم لكم سيما ليست لاحد من الامم تردون الحوض علي غرا محجلين من أثر الوضوء م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال اذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء فاذا غسل رجليه خرج كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب ت عن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فقال أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد

(٧) هكذا بالنسخ التي بأيدينا وليتأمل فلعل في الكلام سقطا فان ابن عمر لا يحدث عن ابن مهران اهـ مصححه

الوفاة فقيل له فى ذلك فقال والله ما أبكى حب البقاء ولكن ذكرت ظمأ الهواجر فى الصيف وقيام الليل فى الشتاء وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى جماعة وقال بعض العارفين ان الله عز وجل ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء ان الله عز وجل ينظر الى الجنان عند السحر نظرة فتشرق وتضىء وتهتز وتربو وتزداد جمالا وحسنا وطيبا ألف ألف ضعف فى جميع معانيها ثم تقول قد أفلح المؤمنون فيقول الله عز وجل هنيأ لك منازل الملوك وعزتى وجلالى وارتفاع مكانى لا أسكنك جبارا ولا بخيلا ولا متكبرا ولا فخورا وينظر الى العرش نظرة فيتسع ألف ألف سعة ويزداد بكل سعة ألف ألف عالم منها كل عالم لا يعلم وسعه الا الله عز وجل ثم يهتز فيثقل على الحملة حتى يموج بعضهم فى بعض ويحطم بعضهم بعضا وهم بعدد جميع ما خلق الله عز وجل وأضعاف ما خلق الله عز وجل فيقول العرش سبحانك أينما كنت وأينما تكون فينادى حملة العرش سبحان من لا يعلم أين هو الا هو سبحان من لا يعلم ما هو الا هو وروينا عن بعض العلماء من القدماء ان الله عز وجل أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكرونى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علاماتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا لى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقونى بانعامى فبين صارخ وباك ومتأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى ما يتحملون لاجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات السبع والارض وما فيهما من موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه وقال مالك بن دينار اذا قام العبد يتهجد من الليل ورتل القرآن كما أمر قرب الجبار تعالى منه قال وكانوا يرون أن ما يجدون فى قلوبهم من الرقة والحلاوة والفتوح والانوار من قرب الرب تعالى من القلب وفى الاخبار عن الجبار عز وجل أى عبدى أنا الله الذى اقتربت لقلبك وبالغيب رأيت نورى وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ اذنه لحسن الصوت بالقرآن يعنى ما استمع الى شئ كاستماعه اليه وفى الحديث الآخر لله أشد اذنا الى قارئ القرآن من صاحب القينة الى قينته وأهل اللهو فى غفلة عما أهل الآخرة فيه وفى عمى عما ينظر هؤلاء الحاضرون اليه وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون بل قلوبهم فى غمرة من هذا وطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون يقال ان وهب بن منبه اليمانى ما وضع جنبه الى الارض ثلاثين سنة كانت له مسورة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى القيام وكان يقول لان أرى فى بيتى شيطانا أحب الى من أن أرى فيه وسادة يعنى لانها تدعو الى النوم وقال رقبة بن مسقلة رأيت رب العزة تعالى فى النوم فسمعته يقول وعزتى وجلالى لاكرمن مثوى سليمان التيمى فانه صلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة ويقال انه كان مذهبه ان النوم اذا خامر القلب وجب الوضوء * ذكر من روى عنه انه أحيا الليل كله وممن اشتهر باحياء الليل كله وصلى الغداة بوضوء العشاء الآخرة أربعين سنة أو ثلاثين سنة حتى نقل عنه ذلك أربعون من التابعين منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم بن عيينة الكوفيان وأبو سليمان الدارانى وعلى بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلمانى الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى وحبيب بن أبى ثابت

أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء وفى الدرة الفاخرة للغزالى روى عن غير واحد من الموتى انه رؤى فى النوم فقيل له كيف حالك فقال صليت يوما بلا وضوء فوكل على ذئب يروعنى فى قبرى فحالى معه فى سوء حال * اخوانى اجتهدوا فى العمل الذى يرضى ربنا فقد سار المتقون ورجعنا ووصلوا وانقطعنا ونجوا من الاشر ووقعنا * اخوانى زرع أعماركم قد دنا للحصاد وزاد أيامكم قد أذن بالنفاد ونوم غفلتكم قد أطال الرقاد فستندمون حين يفر الوالد من الاولاد فأين الحسرات على فوات أمس وأين العبرات على مقاساة ظلمة الرمس أين ما أعددتموه ليوم لا تجزى نفس عن نفس ستذهل اذا خشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا وتعلق الصحائف فى النحور وتعود النيران فى الصدور وقال الفضيل بن عياض رضى الله عنه فى قول الله تعالى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى قال تلقى الوالدة ولدها يوم القيامة فتقول له يا بنى ألم يكن بطنى لك وعاء ألم يكن ثديى لك سقاء

ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم هؤلاء المشهورون منهم فان أحب المريد نام ثلث الليل الاول وقام نصفه ونام سدسه الاخير وان أراد نام نصف الليل وقام ثلثه ونام سدسه فقد روي ان هذا من أفضل القيام وانه كان قيام نبي الله عز وجل داود عليه السلام جاء ذلك في روايتين وان أحب العبد قدم القيام فيهما وأخر وتره الى السحر فان قام نصف الليل قسم نومه في أول الليل وآخره فان قام ثلث الليل نام سدسه الاخير وان اختار أن يقوم من أول الليل حتى يغلبه النوم ثم ينام ثم يقوم متى استيقظ ثم ينام متى غلبه النوم ثم يقوم آخر الليل فيكون له في الليل نومتان وقومتان فهذا من مكابدة الليل وهو من أشد الاعمال وهذه طريقة أهل الحضور واليقظة وأهل التذكار والتذكرة فقد كان هذا من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس بن مالك ما كنت تريد أن ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما الا رأيته ولا كنت تريد أن تراه قائما الا رأيته وكان هذا مذهب ابن عمر وأولي العزم من الصحابة في قيام الليل وفعله جماعة من التابعين وقد رأينا من كان له في الليل قومات ونومات في تضاعيف ذلك فأما أن يكون المنام والقيام موزونا معدلا فليس ذلك الا لنبي بقلب دائم اليقظة وبوحي من الله عز وجل ولا يسلك هذا الطريق الا بأسباب هي زاده لان كل طريق يقطع بزاد مثله فمن أراده احتقب وأخذ من زاده فالاسباب أحدها هم يلزم القلب وحزن يسكن فيه أو يقظة دائمة يحيا بها القلب وفكر في الملكوت متصل وخلو المعدة من الطعام وقلة الشرب وأن يقيل بالنهار ولا يكثر تعب جوارحه في أمر الدنيا فهذه رياضة المريد الى أن يألف القيام وليستوطن حينئذ فيتجافى جنبه لما في قلبه من الخوف والرجاء الذي قد استكن فيه * وروي عن الله سبحانه وتعالى ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديك ففي هذا حث على القيام قبل السحر ونوم آخر الليل نستحبه لمعنيين أحدهما انه يذهب بالنعاس بالغداة وقد كانوا يكرهون النعاس بالغداة ويأمرون الناعس بعد صلاة الصبح بالنوم والمعنى الثاني انه يقل صفرة الوجه فلو قام العبد أكثر الليل ونام سحرا ذهب نعاسه بالغداة وقلت صفرة وجهه ولو نام أكثر الليل وسهر من السحر جلب عليه النعاس بالغداة وصفرة الوجه فليتق العبد ذلك فانه باب غامض من الشهرة والشهوة الخفية وليقل شرب الماء بالليل فقد يكون منه الصفرة سيما في آخر الليل وبعد الانتباه من النوم وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى أهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة وقالت أيضا ما ألفيته السحر الاعلى الا نائما تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الخبر الآخر كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أوتر من آخر الليل اضطجع على شقه الايمن ضجعة حتى يأتيه بلال فيخرج معه الى الصلاة فقد كان السلف يستحبون هذه الضجعة بعد الوتر وقبل صلاة الصبح حتى قال بعضهم فهي سنة منهم أبو هريرة ومروان والنوم من آخر الليل وفي الثلث الأخير مزيد لاهل المشاهدة والحضور لانه كشف لهم عن الملكوت واستماع العلوم من الجبروت وهو راحة وسكن للعمال وأهل المجاهدة ولذلك حظرت الصلاة بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر ليستريح عمال الله عز وجل وأهل أوراد الليل والنهار فيهما والنوم من آخر الليل هو نقصان لاهل السهو والغفلة من حيث كان مزيدا لاهل الشهود واليقظة لانه آخر خدمة أولئك فغنيمة راحتهم وهو تطاول النوم والغفلة بهؤلاء فهو نقصهم وليفصل العبد في تضاعيف صلاة الليل بجلوس يسبح فيه مائة تسبيحة فذلك ترويح له وعون على الصلاة وهو داخل في قوله تعالى ومن الليل فسبحه وأدبار السجود أي أعقاب الصلاة في أحد الوجهين على قراءة من نصب وان أراد المزيد احيا الوردين اللذين من أول الليل أحدهما بين العشاءين والثاني قبل نومة الناس فان احياء هذين الوردين عند بعض العلماء أفضل من صيام يوم ثم ليقم الورد الرابع وهو ما بين الفجرين وهو أول ثلث الليل الاخير أو الورد الخامس وهو السحر الأخير

قبل

ألم يكن يجري لك وطاء فيقول بلى يا أماه فتقول له يا بني قد أثقلتني ذنوبي فتحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول اليك عني فأنا مشغول بنفسي عنك وعن غيرك ووجد على قبر مكتوبا

(شعر)

أنا مشغول بذنبي * عن ذنوب العالمينا
وخطايا أثقلتني * تركت قلبي حزينا
صرت في الارض وحيدا في جوار الهالكينا
بعدما كنت جليلا * في عيون الناظرينا
صرت في ظلمة قبري * ثاويا فيها رهينا
وتركت المال والاهل لعمري والبنينا
ولقد عمرت دهرا * وشهورا وسنينا
في نعيم وسرور * فوق وصف الواصفينا
وملكت الشرق والغرب * وكان الملك فينا
وفتحت المدن قهرا * وغلبت الغالبينا
فأتى الموت علينا * بعد هذا دفنينا
أيها المغرور بادر * لثواب الصالحينا
والذي صح لدينا * وعلمناه يقينا
أن حيا ليس يبقى * غير رب العالمينا

اللهم صل على محمد وآله واجعلنا تحت قيد شرعك واغفر لنا وارحمنا أنت

قبل طلوع الفجر الثاني وهو يصلح للقراءة والاستغفار ان كان لم يعتد للقيام في جوف الليل وفي خبر أبي موسى ومعاذ لما التقيا قال معاذ لابي موسى كيف تصنع في قيام الليل قال أقومه أجمع لا أنام منه شيأ وأتفوق القرآن فيه تفوقا قال معاذ لكني أنام ثم أقوم واحتسب في نومتي ما احتسب في قومتي فذكرا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابي موسى معاذ أفقه منك وقد كان بعضهم لا ينام حتى يغلبه النوم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فان انتبهت ثم عدت الى نومة أخرى فلا أنام الله عيني وسئل فزارة الشامي عن وصف الابدال وكانوا يظهرون له فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وصمتهم حكمة وعلمهم قدرة وقيل لآخر صف لنا الخائفين فقال أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى ولا يدع العبد ان يقوم مقدار خمس الليل أو سدسه وهو ورد من أوراد الليل أو وردان على اختلافهما في الطول والقصر متفرقا كان قيامه أو متصلا وأى ورد أحياه من الليل باى نوع من الأذكار فقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب ومن أحيا أكثر ليلته أو نصفها كتب له احياء جميعها وتصدق عليه بما بقي منها ومن صلى في ليلة عشرين ركعة وأوتر بعدها بثلاث حسب له كأنه أحياها بفضل الله ورحمته وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل وليلة ثلثه وليلة ثلثيه وذلك مذكور في أول الآيتين من قيام الليل في سورة المزمل وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة نصف الليل ونصف سدسه ويقوم ليلة ربعه ويقوم ليلة سدس الليل حسب وذلك مذكور في آخر الآيتين من قيام الليل وهذا على قراءة من كسر ونصفه وثلثه فأما من نصب فقال ونصفه وثلثه فانه يعني يقوم النصف مع نصف السدس والنصف وحده والثلث وحده وهو الذي ذكرناه من الآية الاولى وقد جاء في التفسير نحو هذا وهو صلى الله عليه وسلم مفترض عليه صلاة الليل فالآية الاولى أمره تعالى بقيام الليل فيها والاخرى أخبر عنه بقيامه كيف هو فالاجود ان يكون ما أخبر عنه مواظبا لما أمره به فالذي أمره به انه قال تعالى قم الليل ثم استثنى القليل منه فقال الا قليلا ثم فسر أمره فقال نصفه أو انقص منه قليلا يعني والله أعلم انقص نصف السدس أو نصف الثلث هذان أقل أسماء النقصان عند العرب ثم قال أو زد عليه يعني زد على النصف كأنه رد عليه نصف سدس الليل لانه أخبر عنه في الآية الاخرى باقل من الثلثين فقال ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل يكون هذا نصفا ونصف سدس وهو أقل التسمية عندهم ثم قال ونصفه أى ويعلم انك تقوم نصفه أيضا وثلثه أى وتقوم ثلثه فهذه الاخبار أشبه بوطء الامر من قراءة من كسر فقال ونصفه وثلثه يريد وتقوم أدنى من نصفه وهو الربع أو الثلث وأدنى من ثلثه وهو السدس أو نصف السدس وقد قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم من الليل اذا سمع الصارخ يعني الديك فهذا يكون من السحر فقط فكأن هذا يكون سدس الليل أو نصف سدسه ففيه رخصة وسعة لقوام الليل فانما هذا تقريب لا تحديد والله أعلم والنصب اختيارنا في القراءة على معنى كثرة القيام ومواطأة الخبر عنه للامر وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذا قد يكون أربع ركعات وقد يكون ركعتين وقال أبو سليمان من أحسن في نهاره كوفي في ليله ومن أحسن في ليله كوفي في نهاره وكان يقول أهل الليل على ثلاث طبقات منهم اذا قرأ متفكرا بكى ومنهم اذا تفكر صاح وراحته في صياحه ومنهم من اذا قرأ وتفكر بهت فلم يبك ولم يصح قلت له من أى شئ صاح هذا ومن أى شئ بهت هذا فقال لا أقوى على التفسير وقال رجل للحسن يا أبا سعيد انى أبيت معافى واحب قيام الليل واتخذ طهوري فما بالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك يا ابن أخي وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم قال أظن ليل هؤلاء ليل سوء عما يقيلون وقال بعض السلف كيف ينجو التاجر من سوء الحساب وهو يلغو بالنهار وينام بالليل وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل له وما هو قال رأيت رجلا بكى فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت ما بالك أتاك نعي بعض

مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

* (فصل) فان لزمك غسل من جنابة أو حيض أو نفاس فراع أركانه وسننه فانو رفع الحدث أو نحوه وازل ما على بدنك من القذر ثم توضأ كاملا بنية رفع الحدث الاصغر وان تجردت الجنابة عن الحدث فانو به سنة الغسل ثم تعهد معاطفك وأصول شعرك ثم أفض على رأسك ثلاثا ثم على شقك الايمن ثلاثا ثم الايسر ثلاثا وادلك في كل مرة وان اغتسلت في ماء راكد فانغمس فيه ثلاثا وادلك في كل مرة ويسن ان لا ينقص ماء الوضوء عن مد وماء الغسل عن صاع اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم خم عن محمد الباقر قال كنا عند جابر وعنده قوم فسألوه عن الغسل فقال يكفيك صاع فقال رجل ما يكفيني فقال جابر كان يكفي من هو أوفى منك شعرا وخيرا منك يعني النبي صلى الله عليه وسلم قال النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير الاسلام ان تشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتعتمر وتغتسل من الجنابة وتتم الوضوء وتصوم رمضان وعن علي رضي الله عنه قال

أهلك فقال أشد فقلت وجيع يؤلمك قال أشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم اقرأ حزبي البارحة وما ذاك الا بذنب أحدثته وقال محمد بن شبانة سمعت بعض الشيوخ الثقات المستورين ببغداد يقول سمعت ابن الصافي البقال بدينور يقول كان بدينور سجان قال اني بقيت على باب السجن نيفا وثلاثين سنة فما من أحد دخل الى السجن من الذين أخذهم الطوف بالليل الا سألته فقلت له هل صليت صلاة العشاء الآخرة في جماعة الا قال لا وقال أبو سليمان لا يفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة البعد فكأنه بعد من الصلاة والتلاوة اذ في ذلك قرب ومن هذا قوله تعالى فبصرت به عن جنب. وكان الحسن يقول ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وصيام النهار وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فان العبد ليأكل الأكلة فينقلب قلبه عما كان عليه فلا يعود الى حاله الاول وقال آخر كم من اكلة منعت قيام الليل وكم من نظرة حرمت قراءة سورة وان العبد ليأكل الاكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة فبحسن التفقد تعرف المزيد من النقصان وبقلة الذنوب يوقف على التفقد وكان الفضيل يقول لو رزقت من فهم القرآن وقيام الليل في أول أمري ما رزقت الآن ما كتبت حديثا قط ولا اشتغلت بغير القرآن ويقال ان طول القيام راحات القيامة وان صلاة الليل كفارات الكبائر وقيل انه جبران لما نقص من الفرائض من صلاة الليل وقد كانوا يستحبون في صلاة النهار كثرة الركوع والسجود وفي صلاة الليل طول القيام واعلم ان صلاة الليل نافلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه كان متمما لفرائضه وصلاة الليل تكملة لفرائضنا وفي الخبر اذا نام العبد عقد الشيطان على رأسه ثلاث عقد فان قعد وذكر الله انحلت عقدة واذا توضأ انحلت عقدة وان صلى ركعتين انحلت العقد كلها فاصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح كسلانا خبيث النفس وفي الخبر ان الرجل اذا نام حتى يصبح بال الشيطان في أذنه وقد روينا في الخبر الآخر ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام بالليل حتى يصبح ويستعان على قيام الليل بثلاث أكل الحلال والاستقامة على التوبة وغم خوف الوعيد أو شوق رجاء الموعود والذي يحرم العبد به قيام الليل أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث أكل الشبهات أو اصرار على الذنب وغلبة هم الدنيا على القلب

(الفصل الخامس عشر) في ذكر ورد العبد من التسبيح والذكر والصلاة في اليوم والليلة وفضل صلاة الجماعة وذكر أفضل الاوقات المرجو فيها الاجابة وذكر صلاة التسبيح وما يستحب ان يكون شعاره ليكن للعبد في كل يوم وليلة ورد من التسبيح وأقل ذلك تسعمائة مرة من أنواع الاذكار التي وردت بها الاخبار فليقل لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير مائة مرة فاذا قال ذلك مائتي مرة لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله بأثر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله مائة مرة وليقل اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي مائة مرة وليقل استغفر الله الحي القيوم واسأله التوبة مائة مرة وليقل سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة وليقل لا اله الا الله الملك الحق المبين مائة مرة وليقل ما شاء الله لا قوة الا بالله مائة مرة يقول هذا في كل يوم وفي كل ليلة فان رزق مزيدا عليه فهو فضل والا كان هذا معلومه وقد كان في الصحابة من ورده في كل يوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان من التابعين من ورده كل يوم ثلاثون ألفا وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الابدال انه قام ذات ليلة يصلي على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت اسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله عز وجل بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيائيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب ولا جنب رواه أبو داود والنسائي وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقربهم الملائكة جيفة الكافر والمتضمخ بالخلوق والجنب الا ان يتوضأ رواه أبو داود وعن ابن عمر قال كانت الصلاة خمسين والغسل من الجنابة سبع مرات وغسل الثوب من البول سبع مرات فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل حتى جعلت الصلاة خمسا وغسل الجنابة مرة وغسل الثوب من البول مرة رواه أبو داود وفي العوارف حكى عن ابن الكرنبيني انه أصابته جنابة ليلة من الليالي وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة فجاء الى دجلة وكان برد شديد فحرنت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد فطرح نفسه في الماء مع المرقعة ثم خرج من الماء وقال عقدت ان لا أنزعها من بدني حتى تجف على فلم تجف عليه شهرا كاملا لثخانتها وغلظها أدب بذلك نفسه لما حرنت عند الائتمار لامر الله تعالى وقيل كان بعضهم على وجهه قرح لم يندمل اثنتي عشرة سنة لان الماء كان يضره وكان مع ذلك لا يدع تجديد

من

من الجنة أو بنى له وهو هذا التسبيح سبحان الله العلى الديان سبحان الله شديد الاركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شان عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان وان كان للعبد من الصلاة أوراد معلومة فحسن قد فعل كان من التابعين من ورده فى كل يوم ثلثمائة ركعة وأربعمائة ركعة وكان منهم من ورده ستمائة ركعة الى ألف ركعة وأقل ما نقل عنه من الاوراد مائة ركعة فى اليوم وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة وكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين اسبوعا قال فحسبنا ذلك فكان عشرة فراسخ فلهذه الاسابيع مائتان وثمانون ركعة قال وكان يختم مع ذلك القرآن فى اليوم والليلة مرتين وقال هشام بن عروة كان أبى يواظب على ورده من التسبيح كما يواظب على حزبه من القرآن وروى عنه أيضا كان يواظب على حزبه من الدعاء كما يواظب على حزبه من القرآن ولا يدع العبد ان يسبح أدبار الصلوات الخمس مائة تسبيحة عند كل صلاة مكتوبة وكذلك عند النوم مائة وليواظب على ان يقول اذا أصبح واذا أمسى ما جاء فى تفسير قوله عز وجل له مقاليد السموات والارض فان لذلك ثوابا عظيما وروينا عن عثمان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن تفسير هذه الآية له مقاليد السموات والارض فقال لقد سألتنى عن شئ ما سألنى عنه أحد قبلك هو لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده ولا حول ولا قوة الا بالله واستغفر الله الاول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير من قالها عشرا حين يصبح وحين يمسى اعطى بها ست خصال فاول خصلة يحرس من ابليس وجنوده والثانية يعطى قنطارا من الاجر والثالثة يرفع له درجة فى الجنة والرابعة يزوجه الله عز وجل من الحور العين والخامسة يحضرها اثنا عشر ملكا والسادسة يكون له من الاجر كمن حج واعتمر وقد روينا فى تفسيرها قولا آخر من رواية أخرى واتصل به ذكر كنز أهل الجنة ما هو فان ضم هذا اليه فقد جمع الروايتين واستوعب الفضيلتين رواه عبد الرحمن ابن أبى ليلى عن عثمان بن عفان رضى الله عنه انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم مسائل فاجابه عنها فقال ما مقاليد السموات والارض فقال ان يقول العبد لا اله الا الله محمد رسول الله وأما كنز أهل الجنة فيقول سبحان من فى السماء عرشه سبحان من فى السماء موضع أثره سبحان من سبقت رحمته غضبه سبحان من لا ملجأ ولا مهرب الا اليه يا عثمان من قالها كل يوم عشر مرات كتب له بها ست خصال ينجيه الله من ابليس وجنوده وان مات مات شهيدا وبنى له قصر فى الجنة وكانما قرأ التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكانما اشترى ثمانية من ولد اسمعيل واعتقهم ولا يدع قراءة هذه الآيات الست عند كل صلاة يصليها فريضة أو تطوع ففى ذلك ثواب عظيم سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى آخر السورة وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون واستغفر للمؤمنين والمؤمنات فى كل يوم خمسين مرة خمسا وعشرين اذا أصبح وخمسا وعشرين اذا أمسى فانه يكتب من الابدال باثر فى ذلك روينا من ذلك ولفظ الاستغفار الذى جاء فى الخبر ان يقول اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات حيهم وميتهم شاهدهم وغائبهم قريبهم وبعيدهم انك تعلم متقلبهم ومثواهم وليقل هذا الاستغفار فى تشهده أيضا فقد جاء ذلك وليقل فى كل عشر مرات اللهم اصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد صلى الله عليه وسلم يقال من قاله فى كل يوم كتب له ثواب بدل من الابدال وليقل اذا أصبح ثلاثا واذا أمسى ثلاثا اللهم أنت خلقتنى وأنت هديتنى وأنت تطعمنى وأنت تسقينى وأنت تميتنى وأنت تحيينى أنت ربى لا رب لى سواك ولا اله الا أنت وحدك لا شريك لك فان فى ذلك شكر نعمة يومه ولا يدع ان يقول كلما استيقظ من نومه وكلما أراد المنام هذه الكلمات بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله الخير كله بيد الله ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ففى هذا عصمة من الله عز وجل وحرز له من الشيطان وقد جاء فى الخبر من قالهن مائة مرة يوم عرفة قبل غروب الشمس ناداه الله عز وجل

الوضوء عند كل فريضة وبعضهم نزل فى عينه الماء فحملوا اليه المداوى وبذلوا له مالا كثيرا ليداويه فقال المداوى يحتاج أن لا يمس الماء أياما ويكون مستلقيا على قفاه فلم يفعل واختار ذهاب بصره على ترك الوضوء فانظر أيها العاصى المذنب المؤخر لغسل الجنابة الى طلوع الشمس الى همة هؤلاء السادات الاكابر آثروا الدين على النفس علما منهم بان عذاب الآخرة أشد وأبقى وعن على رضى الله عنه أنه قال شتان بين العملين عمل تذهب لذته وتبقى تبعته وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره وانه قال الدنيا دار ممر الى دار مقر والناس رجلان رجل باع نفسه فأوبقها ورجل ابتاع نفسه فأعتقها فكن أيها الاخ ممن ابتاع نفسه فاعتقها ولا توبقها بالذنب وعصيان الرحمن فانك لا تقدر أن تصبر على نار الدنيا لحظة فكيف تصبر على دخول نار حامية والصب فوق رأسك من عذاب الحميم يا أيها الانسان ما جرأك على ذنبك وما غرك بربك وما آنسك بهلكة نفسك أما من دائك بلول أما ليس من نومتك يقظة أما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك فلربما ترى الضاحى لحر الشمس فتظله أو ترى

من فوق عرشه فقد أرضيتني وعلى رضاك سلني ماشئت اعطك ولا يدع ان يقول كل غداة وكل عشية فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات وكذلك يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار سبعا وكلما سمع الاذان قال كما يقول المؤذن فاذا فرغ فليقل رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم بهذه الدعوة التامة والكلمة الصادقة والصلاة القائمة صل على محمد وآله واعطه الوسيلة والفضيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته فان كان الاذان لصلاة الصبح أو صلاة المغرب زاد فى ذلك اللهم هذا ادبار ليلك واقبال نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلاتك وشهود ملائكتك صل على محمد وآله ثم ليدع بما أحب وليغتنم الصلاة والدعاء بين الاذان والاقامة فانه يستحب ولتكن هذه الكلمة هجيره وشعاره فى الاوقات فانها من دعاء الابدال فيما بينهم وشعارهم فى أوقاتهم ماشاء الله لاقوة الا بالله العفو الغفور يا سلام سلم يارب يارب ياذا الجلال والاكرام افتح بخير واختم بخير فلا اله الا الله الحى القيوم سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يارب يارب يالله يالله ياعزيز ياعزيز ياقريب ياقريب ياحليم ياستار سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا يالله يالله ياعزيز ياعزيز ياقريب ياقريب ياكريم ياغفار ياواسع المغفرة اغفر لى عافنا واعف عنا نسألك العفو والعافية ياغياث المستغيثين وفى جميع ماذكرنا فضائل وردت بها الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين لهم باحسان طوينا نشر ذلك اذ لم يكن قصدنا ذكر فضائل الاعمال وانما أردنا شرح أوراد العمال ولا يدع السواك كلما استيقظ من نوم النهار وبالليل فانه يقال من خير خصال الصائم الا بعد العصر فقد كره للصائم وفى الخبر طيبوا طرق القرآن من أفواهكم بالسواك وفى الحديث السواك مطهرة للفم مرضاة للرب عز وجل ويقال ان الصلاة بعد السواك تفضل على الصلاة بغير سواك سبعين ضعفا وأوكد ما استعمل فيه السواك أربعة أوقات قبل الزوال للصائم ويوم الجمعة مع الغسل لها وفى قيام الليل وبالغداة عند الاستيقاظ من النوم وقد كانوا يستحبون ان لا يأتى على العبد يوم وليلة الا تصدق فيه بصدقة وان قل مثل لقمة أو تمرة حتى كان بعضهم يتصدق ببصلة وبخيط لانه جاء فى الاثر كل امرئ يوم القيامة فى ظل صدقته والله سبحانه يشكر القليل الدائم وهو أحب اليه من الكثير المنقطع ألم تر كيف ذم من أعطى وقطع فى قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى اى قطع ومدح فواكه الجنة بعيب بذلك فواكه الدنيا فى تدبر الخطاب فقال وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة أى فازهدوا من فواكه الدنيا فانها مقطوعة ممنوعة وارغبوا فى هذه الدائمة وكان من أخلاق السلف ان لا يردوا سائلا الا بشئ وان قل لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة ولقوله صلى الله عليه وسلم للسائل حق ولو جاء على فرس مطوق بفضة ولقوله صلى الله عليه وسلم لا تردوا السائل ولو بظلف محترق ودفعت عائشة رضى الله عنها الى السائل عنبة واحدة قال فنظر بعضنا الى بعض فقالت مالكم ان فيها مثاقيل ذرة كثيرة وقد كان من أخلاقهم ان لا يسأل أحد شيأ أو يراد بأمر مباح فيقول لا لكراهتهم الخلاف ومحبتهم الائتلاف وكان ذلك من أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سئل شيأ قط فقال لا فان لم يقدر عليه سكت وقد كانوا يجتمعون على الامر الواحد بقلب واحد ولا يستبد بعضهم بامر دون بعض ولا يستأثر أحدهم بشئ دون أخيه وبذلك وصفهم الله عز وجل فى قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون أى أمورهم مشاعة فيما بينهم غير مقسومة هم فيها سواء ويستحب للعبد ان يجمع بين هذه الاعمال الاربعة صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة وقد كان هذا طريق المريدين يسارعون اليه ويحرصون عليه وفى الخبر من جمع بين هذه الاربع فى يوم غفر له وفى بعضها دخل الجنة فان اتفق له منها ثلاث أو اثنان فاعجز ما بقى حسب له تمامها لحسن نيته ولا يدعن الجماعة سيما اذا سمع التأذين أو كان فى جوار المسجد وحد الجوار ان يكون بينه وبين المسجد ثلاثة دور وأولى المساجد ان يصلى فيه أقربها منه الا أن يكون له نية فى الابعد لكثرة الخطا

المبتلى بالم بعض جسده فتبكى رحمة له فاصبرك على دائك وجلدك على مصابك وعزاك عن البكاء على نفسك وهى أعز النفس عليك وكيف لا يوقظك خوف بيان نقمة وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته فتداوِ من داء الفترة فى قلبك بعزمة ومن كرى الغفلة فى ناظرك بيقظة وكن لله مطيعا وبذكره آنسا وتمثل فى حال توليك عنه اقباله عليك يدعوك الى عفوه ويتغمدك بفضله وأنت متول عنه الى غيره اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به رضاك فاعف عنا وعن والدينا وأستاذنا وأصحابنا وأحبابنا

(فصل) فاذا فرغ من الطهارة فان طلع الفجر فالاولى ان تصلى سنته فى البيت فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته الا المكتوبة وقال النبي صلى الله عليه وسلم ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها وقل بعد ركعتى الفجر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من النار ثلاث مرات وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم

أو لفضل الامام فيه ولصلاة خلف العالم الفاضل أفضل أو يريدان يعمر بيتا من بيوت الله عز وجل بالصلاة فيه وان بعد وقال سعيد بن المسيب من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة وليتوضأ لكل صلاة قبل دخول وقتها فانه من المحافظة عليها ومن حسن معاملتها وقال أبو الدرداء وحلف بالله وما سمعته حالفا بالله قط قال من أحب الاعمال الى الله عز وجل ثلاث أمر بصدقة وخطوة الى صلاة جماعة أو اصلاح بين الناس ويستحب له كلما دخل المسجد أو منزله ان يصلى ركعتين فان ذلك من عمل الابرار وكلما خرج منه صلى ركعتين وقد كان السلف لا يخرجون من منازلهم حتى يتوضؤا ويستحب له كلما أحدث ان يتوضأ وكلما توضأ ان يصلى ركعتين فان ذلك من عمل الابرار وهو لمن مات على هذا العمل شهادة واذا خرج من منزله قال بسم الله ماشاء الله حسبى الله توكلت على الله لا قوة الا بالله اللهم اليك خرجت وأنت أخرجتنى اللهم سلمنى وسلم منى فى دينى كما أخرجتنى اللهم انى أعوذ بك ان أزل أو أضل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل على عز جارك وجل ثناؤك ولا اله غيرك وليقرأ سورة الحمد والمعوذتين ولا يدع صلاة الضحى أربع ركعات ويزيد ماشاء الله الى ثمان ركعات الى اثنى عشر ركعة ولا يزيد على ذلك ان نشط أطالهن وان فتر قصرهن وايجعل من قراءته فيهن والشمس وضحاها وسورة والضحى وآخر سورة البقرة وآخر سورة الحشر ثم ليتنفل بعد ذلك بما شاء من غير ان تكون وردا الضحى فيلزمه المواظبة عليه وفى حديث عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ماشاء الله وفى خبر عن الله عز وجل يا ابن آدم صل لى أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره وفى حديث أم هانئ بنت أبى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ثمان ركعات وفى الخبر يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى فى كل مفصل وفى جسده ثلاثمائة وستون مفصلا فامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتى ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحى تاتى على ذلك كله أو قال تجمعن لك ذلك وقد كان من سيرة المتقدمين دخول المسجد سحرا قبل طلوع الفجر والقعود فيه الى صلاة الصبح ويفضلون هذا الفعل حدثونا عن رجل من التابعين قال دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فالفيت أبا هريرة قد سبقنى فقال يا ابن أخى لاى شئ خرجت من منزلك هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال أبشر فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا فى هذا المسجد هذه الساعة ننتظر الصلاة بمنزلة غزوة فى سبيل الله عز وجل أو قال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فافضل الاوقات المرجو فيها الاجابة أربعة عند السحر وعند طلوع الشمس وعند غروبها وبين الاذان والاقامة وأفضل أوقات الليل والنهار أوقات الصلات المكتوبات واذا دعا الله سبحانه وتعالى فليدعه بمعانى أسمائه فانها صفاته وهو يحب ذلك وانما أظهرها ليعرف بها الداعى وليدعو بها مثل ان يقول يا جبار اجبر قلبى يا غفار اغفر ذنبى يا رحمن اصلحنى يا رحيم ارحمنى يا تواب تب على يا سلام سلمنى واستحب ان يدعو الله عز وجل باسمائه التسعة والتسعين فى كل يوم وليلة مرة فانه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من أحصاها دخل الجنة وهى متفرقة فى جميع القرآن فمن دعا الله عز وجل بها موقنا كان كمن ختمه فان تعذر عليه حفظها لانها منشورة على غير ترتيب فليتطرق اليها من حروف المعجم فليذكر من كل حرف ما فيه كان يبتدئ بالالف فينسق ما عليه من الاسماء ثم بالباء ثم بالتاء فيقول يا الله يا أول يا آخر يا بارئ يا باطن يا تواب وقد يتعذر عليه وجود بعضها فى بعض الحروف ككبيرها الا انها تخرج فى سائر الحروف المتيسرة بالاسماء الظاهرة فاذا عد من الاحرف تسعة وتسعين اسما أجزأه لانه يجد فى الحرف الواحد العشرة فاكثر ودون ذلك فلا يضره ان لم يعرف فى بعض الحروف اسما اذا أحصى العدد فقد حصل له الفضل للاثر فى ذلك * ذكر صلاة التسبيح استحب له ان يصلى صلاة التسبيح فى الجمعة مرتين مرة نهارا ومرة ليلا وهى ثلثمائة تسبيحة فى أربع ركعات ان صلاها نهارا لم يفصل بينهن بتسليم وان صلاها ليلا سلم فيها سلامين فقد كان الصالحون يصلونها

ركعتى الفجر فليضطجع على يمينه وقل فى طريق توجهك الى المسجد بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله اللهم بحق السائلين عليك وبحق مخرجى هذا فانى لم أخرجه أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك أسألك ان تعيذنى من النار وتدخلنى الجنة وقدم فى دخول المسجد رجلك اليمنى وقل اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك وقدم فى الخروج رجلك اليسرى وقل اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك واذا دخلت المسجد فانو الاعتكاف فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم من اعتكف فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة أى نفسا ثم صل الفرض مراعيا الشروطها وأركانها وأبعاضها وهيآتها وخشوعها ولا تترك الجماعة فقد قال النبى صلى الله عليه وسلم صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة م قال النبى صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما صلى الليل كله خم قال رسول الله صلى الله عليه

ويتعرفون بركتها ويتذاكرون فضلها وقد روينا فيها روايتين احداهما حديث الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا امنحك ألا احبوك بشئ اذا انت فعلته غفر الله لك ذنبك اوله وآخره قديمه وحديثه وخطاه وعمده سره وعلانيته تصلي اربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في اول ركعة وانت قائم قلت سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها عشرا ثم ترفع رأسك من الركوع فتقولها عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا ثم تسجد الثانية فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود ثم تجلس فتقولها عشرا ثم تقوم فذلك خمسة وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ان استطعت ان تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي كل سنة مرة وان لم تفعل ففي عمرك مرة حدثناه عن أبي داود السجستاني فقال ليس في صلاة التسبيح حديث أصح من هذا اذ ذكر في هذه الرواية انه يسبح في القيام خمس عشرة مرة بعد القراءة وانه يسبح عشرا بعد السجدة الثانية في الركعة الاولى قبل القيام كانه يجلس جلسة قبل ان ينهض وفي الركعة الثانية أيضا كذلك قبل التشهد وروينا في الخبر الآخر انه يفتتح الصلاة فيتوجه ويقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة ثم يقرأ الحمد وسورة ثم يسبح عشرا ثم يركع فيكون له في قيامه خمس وعشرون تسبيحة ولا يسبح بعد السجود في الجلسة الاولى بين الركعتين ولا في جلسة التشهد شيأ وكذلك روينا في حديث عبد الله بن زياد بن سمعان عن معاوية بن عبد الله بن جعفر عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه صلاة التسبيح قال فيها يفتتح الصلاة مكبرا ثم يقول فذكر الكلمات وزاد فيها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقال فيه يقول ذلك خمس عشرة مرة ولم يذكر بعد السجدة الثانية عند القيام ان يقولها وهذه الرواية أحب الوجهين الي وهو اختيار عبد الله بن المبارك حدثونا عن سهل بن عاصم عن ابن وهب قال سألت ابن المبارك عن الصلاة التي يسبح فيها فقال يقول سبحان الله والحمد لله الكلمات خمس عشرة مرة ثم يتعوذ ويقرأ فاتحة الكتاب وسورة ثم يقولها عشرا ثم يركع وذكرها قال فذلك خمس وسبعون يصلي أربع ركعات على هذا ان صليت ليلا فاحب ان يسلم في الركعتين وان صليت نهارا صليت أربعا وان شئت سلمت واذا عد في الركوع فعد باصبعه على ركبتيه وفي السجود باصبعه على الارض وحدثونا عن محمد بن جبر قال قلت لابن المبارك في صلاة التسبيح اذا رفعت رأسي للقيام من آخر السجدتين أسبح قبل ان أقوم قال لا تلك القعدة ليست من سنة الصلاة وقال ابن أبي رزمة عن ابن المبارك قلت له يقول سبحان ربي العظيم ثلاث مرات سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات قال نعم قلت فان سها يسبح في السهو عشرا قال لا انما هي ثلثمائة تسبيحة وأحب ان تكون السورة التي يقرأها في صلاة التسبيح مع الحمد فوق العشرين آية فقد روينا في حديث عبد الله بن جعفر الذي رواه اسماعيل بن رافع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في السورة التي بعد أم القرآن عشرين آية فصاعدا وكذلك أحب زيادة لا حول ولا قوة الا بالله لما ذكرناه في الخبر الآخر فان قرأ مع فاتحة الكتاب في كل ركعة عشر مرات قل هو الله أحد فقد ضاعف العدد واستكمل الاجر

(الفصل السادس عشر) في ذكر معاملة العبد في التلاوة ووصف التالين القرآن حق تلاوته بقيام الشهادة استحب للمريد ان يختم القرآن في كل أسبوع ختمتين ختمة بالنهار وختمة بالليل ويجعل ختمة النهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويختم ختمة الليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل بختمته أول النهار وأول الليل فان الملائكة تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وتصلي عليه ان كان ختمه نهارا حتى يمسي فهذان الوقتان يستوعبان كلية الليل والنهار وفي الخبر لم يفقه من قرأ القرآن في أقل

وسلم ليس صلاة أثقل على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء ولو يعلمون ما فيهما لاتوهما ولو حبوا وفي الاحياء للغزالي روي ان السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبير الاولى ويعزون أنفسهم سبعة أيام اذا فاتتهم الجماعة وقال حاتم الاصم فاتتني الجماعة فعزاني أبو اسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لان مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا * اعلم ان صلاة الجماعة في البيت أفضل من الانفراد في المسجد وتحصل الجماعة بامام ومأموم ثم اذا فرغت من الفرض فاشتغل بالاذكار والدعوات المأثورات أو بذكر واحد الى طلوع الشمس قدر رمح ثم صل ركعتين فقد روى الترمذي وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كاجر حجة وعمرة تامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الا خيرا غفر له خطاياه وان كانت أكثر من زبد البحر * اخواني بادروا بلحاق هذه الارباح الكبيرة بهذه التجارة اليسيرة

من ثلاث وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمر أن يقرأ القرآن فى كل سبع وكذلك جملة من الصحابة يختمون القرآن فى كل جمعة وروينا عن يحيى بن الحارث الذمارى عن القاسم بن عبد الرحمن قال كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى صاد وليلة الاربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وكذلك كان زيد بن ثابت وأبي يختمان القرآن فى كل سبع وروينا عن ابن مسعود انه سبع القرآن فى سبع ليال فكان يقرأ فى كل ليلة بسبعه الان تأليفه على غير ترتيب مصحفنا هذا فلم يذكره لان الاعتبار لا يتبين به وجماعة يذكر عنهم ختم القرآن فى كل يوم وليلة وقد كره ختمه فى أقل من ثلاث طائفة والتوسط من ذلك ما ذكرناه وهو ان يختم فى كل ثلاثة أيام * ذكر أحزاب القرآن وكيف حزبه الصحابة رضى الله عنهم وان قرأ القرآن أحزابا فى كل يوم وليلة حزبا فحسن وهو سنة وذلك أشد لمواطأة القلب وأقوم للترتيب وأدنى الى الفهم وان أحب قرأ فى كل ركعة ثلث عشر القرآن او نصف ذلك يكون الجزء من الاجزاء الثلاثين فى كل ركعة أو ركعتين فان قرأ فى كل ورد حزبا أو حزبين أو دون ذلك فحسن وأحزاب القرآن سبعة فالحزب الاول ثلاث سور والحزب الثانى خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والمفصل من ق فهذه كانت أحزاب القرآن ولذلك حزبه الصحابة رضى الله عنهم أجمعين وكانوا يقرؤنه كذلك وفى ذلك خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانه حزبه على عدد هذه الآى اذ عددها ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية وقد اعتبرت ذلك فى كل حزب فرأيته يتقارب وهذا قبل أن تعمل الاخماس والعواشر والاجزاء فما سوى هذا محدث يقال ان الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة منهم عاصم الجحدرى ومطر الوراق وشهاب بن شريفة فامرهم بذلك وقد كان الحسن وابن سيرين ينكران هذه الاخماس والعواشر والاجزاء وروى عن الشعبى وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الاجر على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن وقال الاوزاعى عن يحيى بن أبى كثير كان القرآن مجردا فى المصاحف فاول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآى ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتيم والفواتح وقالوا لا بأس به لانها علامة تعرف بها واعلم انه لا يجد فهم القرآن الفهم الذى يكشف بمشاهدته و يظهر من الملكوت قدره عبد فيه احدى هذه الخصال أدنى بدعة أو مصر على ذنب أو عبد فى قلبه كبر أو مقارب لهوى قد استكن فى قلبه أو محب الدنيا أو عبد غير متحقق بالايمان أو ضعيف اليقين ولا من هو واقف مع مقراه ولا عبد مهتم بتتبع حروفه واختياره ولا ناظر الى قول مفسر ساكن الى علمه الظاهر ولا راجع الى معقوله ولا قاض بمذاهب أهل العربية واللغة فى باطن الخطاب وسر المراد هؤلاء كلهم محجوبون بعقولهم مردودون الى ما يقدر فى علومهم موقوفون مع ما تقرر فى عقولهم من يدهم على مقدار علومهم وغرائز عقولهم وهؤلاء مشركون بعقولهم ومعلومهم عند الموحدين فهذا داخل فى الشرك الخفى الذى أخفى من دبيب النمل على الصفا فى الليلة الظلماء قال محمد بن على بن سنانة اذ معقوله وعلمه عن عقل غير كامل لان العقل الكامل ما عقل عن الله عز وجل وفهم حكمه وكلامه و يعقل به كلامه وقد قال الرسول صلوات الله عليه فى صفة كمال العقل العاقل من عقل عن الله سبحانه وتعالى أمره ونهيه وفى الخبر أكثر منافقى أمتى قراؤها فهذا نفاق الوقوف مع سوى الله تعالى والنظر الى غيره لا نفاق الشرك والانكار لقدرة الله عز وجل فهو لا ينتقل عن التوحيد ولكنه لا ينتقل الى مقام المزيد فاذا كان العبد ملقيا السمع بين يدى سميعه مصغيا الى سر كلامه شهيد القلب لمعانى صفات شهيده ناظرا الى قدرته تاركا لمعقوله ومعهود علمه متبرئا من حوله وقوته معظما للمتكلم واقفا على حضوره مفتقرا الى الفهم بحال مستقيم وقلب سليم وصفاء يقين وقوة علم وتمكين سمع فصل الخطاب

وتفكر واقيما تعانونه فى طلب الدنيا الحقيرة من المشاق الكثيرة الجزيلة الخطيرة وتزودوا اليوم الفقر والفاقة تنجوا من ندامة الحاقة فوالله لو صفت قلوبكم لكان جل أشغالكم باعمال الآخرة ولم تغتروا بهذه الدنيا الحقيرة الفانية الخاسرة وواظبوا على عبادة الله تعالى وذكره ولا تغفلوا ساعة عن تسبيحه وشكره وفى حياة الحيوان عن روح بن حبيب قال بينا انا عند أبى بكر اذ أتى بغراب فلما رآه بجناحيه حمد الله ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صيد بصطاد الا بنقص من تسبيح ولا أنبت الله نابتة الا وكل الله بها ملكا يحصى بها تسبيحها حتى يأتى به يوم القيامة ولا عضدت شجرة ولا قطعت الا بنقص فى تسبيح ولا دخل على امرئ مكروه الا بذنب وما عفا الله عنه أكثر يا غراب اعبد الله ثم خلى سبيله يا مغترا بالآمال رب أمل خائب كم ينام المطلوب ولا ينام الطالب ستدرى فى ظلمة اللحد عاقبة العواقب وما أمليت من أعمالك على الكاتب وبعده هو الموقف بين يدى المحاسب ويبدو لكل مستوف أمله الكاذب هنالك والله تضيق المذاهب وتبدو الخيبة والحسرة والمصائب فاغتنموا رحمكم الله

وشهد علم غيب الجواب وأفضل القراءة الترتيل لانه يجمع الامر والندب وفيه التدبر والتذكر روى عن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وعن ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما وأتدبرهما أحب الي من أن اقرأ القرآن كله هذرمة وروى عنه أيضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما أحب الي من ان اقرأ البقرة وآل عمران تهذرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في صلاة فكان قيامهما واحدا الا أن احدهما قرأ البقرة والآخر قرأ القرآن كله فقال هما في الاجر سواء لان قيامهما كان واحدا وأفضل الترتيل والتدبر في القرآن ما كان في صلاة ويقال ان التفكر في الصلاة أفضل منه في غير الصلاة لانهما عملان وهذا هو التفكر في معاني التدبر والفهم بخطاب الوعد والوعيد والزجر والامر تعظيما للمتوعد واجلالا للآمر وسئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصلاة أفضل فقال طول القنوت وروى في خبر آخر من سجد لله عز وجل سجدة رفعه الله عز وجل بها درجة وانه قال لابي فاطمة تخادمه وقد سأله مرافقته في الجنة فقال أعني بكثرة السجود وروينا عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه انه قال انه كثرة السجود بالنهار وانه طول القيام بالليل ويقال ان العبد يحشر عند الموت من قبره على هيئته في صلاته من السكون والطمأنينة وتكون راحته في الموقف على قدر راحته وتنعمه بالصلاة وروينا معنى هذا عن أبي هريرة وعلى هذا المعنى تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال أرحنا بالصلاة أي روحنا انها نعيمنا بها من الروح والراحة لنا بها ويقال أرحنا بالشيء أي روحنا وأرحنا منه أي أسقطه عنا وخفف عنا منه ولم يقل أرحنا منها كيف وقرة عينه فيها وقال بعضهم اني لافتتح السورة فيوقفني بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وماقضيت منها وطري وقال سليمان بن أبي سليمان الداراني انه وعد ابن ثوبان أخاله ان يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد قال وعدتني ان تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك اني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل ان أجيئك لاني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت لي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر اليها حتى أصبحت وقال عز وجل كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه قيل القرآن قوى ايمانهم بعلم القرآن فالقرآن روح الايمان وتقويتهم استعمالهم به وفي التفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة قيل بجد واجتهاد ومثله خذوا ما آتيناكم بقوة قيل بعمل به وقيل لبعضهم اذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أوشيء أحب الي من القرآن أحدث نفسي به وهذه صفة قوي مكين ويقال ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحواميم ديباج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فاذا جال المريد في الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديباج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات اقتطعه وأوقفه ما يراه وشغله الشاهد به عما سواه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وكان له صلى الله عليه وسلم في كل ردة فهم ومن كل كلمة علم فينبغي ان يكون قلب التالي بوصف كل كلمة يتلوها مشاهدا لمعناها الى ما يفتح الله عز وجل له من المزيد عليها من مجاورتها ومع ما يفهم بها من غيرها ويشهد غيرها منها فقد كان بعضهم يقول كل آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لم أعد لها ثوابا وكان بعض السلف اذا قرأ السورة ولم يكن قلبه فيها أعادها ثانية فاذا مر بتسبيح وتكبير سبح وكبر وان مر بدعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمخوف ومرجو استعاذ وسأل فذلك معنى قوله عز وجل يتلونه حق تلاوته وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلاوته وعلى هذا المعنى ما روي في الخبر من أراد ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد اي على معنى تلاوته لانه كان يقرأ بقلب شهيد وسمع عتيد وبصر حديد فكان يتلو القرآن على معاني الكلام وعلى شهادة وصف المتكلم الوعيد منه بالتحزين والوعد بالتشويق والوعظ بالتخويف والانذار بالتشديد والتفسير بالترقيق والتبشير بالتوفيق لانه كان عالما

أيام أعماركم الفانية فسيندم والله أهل القلوب القاسية اذا فاز المتقون وخسر المبطلون

(فصل) واذا صليت الضحى فاشتغل بعد ذلك بأحد أربعة أمور أحدها العلم وهو الافضل قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات أي ويرفع درجات العلماء منهم خاصة ت عن أبي امامة الباهلي قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان عابد وعالم فقال فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم ثم قال صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته وأهل السموات وأهل الارض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلمي الناس الخير وعن الفضيل بن عياض انه قال عالم عامل معلم يدعى كبيرا في ملكوت السموات والارض وروى الطبراني في معجمه الاوسط عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال علماء هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله

بصفات المتكلم واجد الذوق الكلام فمثل هذا العبد أحسن الناس صوتا بالقرآن كما جاء في الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من اذا قرأ رأيت انه يخشى الله ومن هذا قيل اذا قرأتم القرآن فابكوا وان لم تبكوا فتباكوا ومثل هذا ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا أى ان القرآن لما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود يوجب البكاء والحزن فان لم تحزنوا وجدا ولم تبكوا انفسا يقينا فتباكوا وتحازنوا لفظا لاجل التصديق والاقرار به فندبهم الى التحازن في التلاوة والتباكى ليجتمع هم العبد في المتلو فيتدبر الكلام عسى ان يكون قلبه بمعناه فيكون التباكى والتحزن سببا لجمع همه وفراغ قلبه لان المتباكى الصادق مجتمع الهم فيما يبكيه والحزين حاضر القلب مجموع الفكر مشغول عن سوى مبكيه من ذلك ما روينا عن ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه فبكاء القلب حزنه وخشيته أى فان لم تبكوا بكاء العلماء عن الفهم فتحزن قلوبكم على فقد البكاء ولتخش كيف لم يوجد فيكم وصف أهل العلم وقد روينا في غرائب التفسير من معنى قوله تعالى وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار قال هي العين الكثيرة البكاء وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء قال هي العين القليلة البكاء وان منها لما يهبط من خشية الله قال هو بكاء القلب من غير دموع عين قال ثابت البنانى رأيت في النوم كأنى أقرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فلما فرغت قال هذه القراءة فاين البكاء وكان الحسن يقول والله ما أصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته والناس في التلاوة على ثلاث مقامات أعلاهم من شهد أوصاف المتكلم في كلامه ويعرف أخلاقه بمعانى خطابه وهذا مقام العارفين من المقربين ومنهم من يشهد ربه تعالى يناجيه بالطافه ويخاطبه بانعامه واحسانه فمقام هذا الحياء والتعظيم وحاله الاصغاء والفهم وهذا للابرار من أصحاب اليمين ومنهم من يرى انه يناجى ربه عز وجل فمقامه السؤال والتملق وحاله الطلب والتعلق وهذا للمعترفين والمريدين وهم من خصوص أصحاب اليمين وينبغى للعبد ان يشهد في التلاوة ان مولاه يخاطبه بالكلام لانه سبحانه متكلم بكلام نفسه وليس للعبد في كلامه كلام وانما جعل له حركة اللسان بوصفه وتيسير الذكر بلسانه بحكم ربه عز وجل حد العبد ومكانا له كما كانت الشجرة وجهة لموسى عليه السلام وكلمه الله عز وجل منها ويقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وان الملائكة لو اجتمعت على الحرف الواحد ان يتلوه ما أطاقوه حتى يأتى اسرافيل وهو ملك اللوح المحفوظ فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته اذ كان الله تعالى أطاقه ذلك لما استعمله به وقال جعفر بن محمد الصادق والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن شئ لحقه في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال مازلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته تعالى وكذلك الخصوص يرددون الآية بقلوبهم على قلوبهم ويتحققون بها في مشاهدتهم بعدد من شهيدهم وسيدهم حتى يستغرقهم الفهم فيغرقون في بحر العلم فان قصرت مشاهدة التالى عن هذا المقام فيشهد انه يناجيه بكلامه ويتملقه بمناجاته فان الله عز وجل انما خاطبه بلسانه وكلمه بحركته وصوته ليفهم عنه بعلمه الذى جعل له ويعقل عنه بفهمه الذى قسم له حكمة منه ورحمة اذ لو تكلم الجبار عز وجل بوصفه الذى يدركه سمعه لما ثبت للكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات أنواره فحجب ذلك في غيب علمه عن العقول وستر بصنع قدرته عن القلوب وأظهر للقلوب علوم عقولها وأشهد للعقول عرف معقولها بلطفه وحنانه ورحمته واحسانه وبلغنا في الاخبار السالفة ان وليا من أولياء الله عز وجل من الصديقين ابتعثه في الفترة الى ملك من الجبابرة يدعوه الى التوحيد والى شريعة الانبياء فسأله الملك عن اشياء من معانى التوحيد فجعل الصديق يجيبه عنها بما يقرب من فهمه ويدركه عقله من ضروب الامثال بما يستعمله الناس بينهم ويتعارفونه عندهم الى ان قال له

علما فضن به في الدنيا على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا ثم يعذب حتى يفرغ من الحساب وعن ابن أبى يزيد رحمة الله عليه عن أبى القاسم انه قال قد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما جميع أعمال البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع أعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وروى أبو داود وغيره ان كثير بن قيس قال أتيت أبا الدرداء وهو جالس في مسجد دمشق فقلت يا أبا الدرداء انى جئتك من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلب حديث بلغنى انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما جاءت بك حاجة ولا جاءت بك تجارة ولا جاء بك الا هذا الحديث قال قلت نعم قال فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع أجنحتها رضا بطالب العلم وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان

الملك أفرأيت ما يأتى به الانبياء اذا ادعت انه ليس بكلام الناس ولا رأيهم أمن كلام الله هو قال الحكيم نعم قال الملك فكيف يطيق الناس حمله قال الصديق انا رأينا الناس لما أرادوا ان يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقدمها وتأخيرها واقبالها وادبارها لم يجدوا الدواب والطير تحمل كلامهم فوضعوا الهامن النقر والصفير والزجر ما عرفوا انها تطيق حمله فكذلك الناس يعجزون ان يحملوا كلام الله كـكنهه بكماله وصفته فصار وابما تراجعوا بينهم من الاصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت الزجر والنقر الذى سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوأة فى تلك الاصوات من ان شرف الكلام بشرفها وعظم بتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما ان اجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح التى فيها وكذلك أصوات الكلام تشرف وتكرم للحكمة التى فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل وهو القاضى العادل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل ان يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من شعاع الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه الشاهد أمره كالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التى قد يهتدى بها من لا يقع على سرها فالكلام أعظم وأشرف من ذلك هو مفتاح الخزائن النفيسة وباب المنازل العالية ومراقى الدرجات الشريفة وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ودواء الاسقام التى من سقى منه لم يسقم اذا لبسه من لم يتسلح به أبدى عورته واذا تسلح به غير أهله لم يخرج الا منهم نقلت هذا نقلا من كلام الصديق الحكيم الذى خاطب به الملك فاستجاب له باذن الله عز وجل فهذا وصف كلام الله عز وجل الذى جعله الله لنا آية وعبرة ونعمة علينا ورحمة فانظر الى الحكيم كيف جعل عقول البشر فى فهم كلام الله العظيم بمنزلة فهم البهائم والطير بالنقر والصفير الى عقول البشر وجعل النقر والصفير والافهام من الناس للانعام والهوام مثلا لما أفهم الله تعالى به الانام من معانى كلامه الجليل بما ألهم به من الكلام ان ربى لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم فهذه قدرة لطيفة من قدرته التى لا تتناهى وحكمة محكمة من حكمه التى لا تضاهى انه حكيم عليم ثم ليشهد العبد انه مقصود بجميع القرآن من فاتحته الى خاتمته مراد معنى به له ضربت الامثال به وفيه جميع ذكره وأوصافه لان الله سبحانه وتعالى لما تكلم بهذا الكلام وخاطب به المؤمنين كان هو واجدهم وكان حاضرا معهم وقد سوى الله عز وجل بين المؤمنين فى تنزيل القرآن عليهم وبين النبى صلى الله عليه وسلم بمعنى من المعانى فقال واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به كما قال لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم وكذلك قال وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون وقال كذلك يضرب الله للناس أمثالهم يعنى صفاتهم وقال ولقد أنزلنا اليكم آيات مبينات كما قال ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وقال عز وجل واتبع ما يوحى اليك واصبر ثم قال اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم وقال فاستقم كما أمرت ومن تاب معك غير انه سبحانه عم الجملة بالبصائر والبيان وخص بالهدى والرحمة أولى التقى والايمان فمن ذلك قوله عز وجل هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين فالموقنون هم المتقون والمهديون هم المرحومون وقد أمرنا بطلب فهم القرآن كما أمرنا بتلاوته ورويناعن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن ومن حديث على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثنى بالحق نبيا لتفترقن أمتى على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ ما كان قبلكم ونبأ ما يأتى بعدكم وحكم ما بينكم وبين من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم من غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين

فى جوف الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر وروى ابن ماجه والبيهقى فى شعب الايمان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه أو مصحفا ورثه أو مسجدا بناه أو بيتا لابن السبيل بناه أو نهرا أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه بعد موته وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال تدارس العلم ساعة من الليل خير من احيائها وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وروى ابن ماجه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وواضع العلم فى غير أهله كمقلد الخنازير الجواهر واللؤلؤ والذهب وروى أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء أمناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خالفوا الرسل وخانوهم

وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد هو الذي سمعته الجن فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط مستقيم وروينا معناه في حديث حذيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله فما تأمرني ان أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه فقال تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ففيه النجاة ثلاثا وعن علي رضي الله عنه قال ما أسر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ كتمه الناس الا ان يؤتي الله عبدا فهما في كتابه وعن عمر رضي الله عنه انه قال ومن فهم فسر جمل العلم وعن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره في قوله عز وجل ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا قال الفهم في كتاب الله عز وجل وقال أحسن القائلين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فرفع الفهم مقاما فوق الحكم والعلم وأضافه اليه للتخصيص وجعله مقاما عاما فيهما فاذا فهم العبد الكلام وعامل به المولى تحقق بما يقول وكان من أصحابه ولم يكن حاكيا لقائله مثل ان يتلو منه اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم ومثل ان يقول عليك توكلنا واليك أنبنا ومثل قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا فيكون هو الخائف لليوم العظيم ويكون هو المتوكل المنيب وهو الصابر على الاذى متوكل على المولى ولا يكون مخبرا عن قائل قاله فلا يجد حلاوة ذلك ولا ميراثه فاذا كان هو كذلك وجد حلاوة التلاوة وتحقق جزء الولاية وكذلك اذا تلا الاي المذموم أهلها الممقوت فاعلها مثل قوله تعالى وهم في غفلة معرضون وقوله فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ومثل قوله عز وجل ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فما أقبح من يعيب ذلك وهو من أهله وما أعظم ان ينم أهل ذلك وهو بوصفه فهذا من حجج القرآن عليه فلا يجد مع ذلك حلاوة المناجاة ولا يسمع خطاب المناجي لان وصفه المذموم قد حجبه وهواه المردي عن حقيقة الفهم قد حرمه ولان قسوة قلبه عن الفهم صرفه وكذبه في حاله عن البيان وأخرسه فاذا كان هو المتيقظ المقبل فهو التائب الصادق سمع فصل الخطاب ونظر الى الداعي وله استجاب وقد اشترط الله عز وجل للانابة التبصرة وحضور القلب للتذكرة فقال عز وجل تبصرة وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال عز وجل انما يتذكر أولو الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق فالاستقامة على التوبة من الوفاء بالعهد وتعدي الحدود من نقض الميثاق وقلة الصدق والانابة هي التوبة والاقبال على الله عز وجل والالباب هي العقول الزاكية والقلوب الطاهرة وينبغي للتالي الخائف الناصح لنفسه والخلق السليم القلب اذا تلا آي الوعد والمدح ومحاسن الوصف ومقامات المقربين ان لا يشهد نفسه هنالك ولا يراها مكانا لذلك بل يشهد للمؤمنين فيها وينظر الى الصديقين منها سلامة ونصحا فاذا تلا الاي الممقوت أهلها المتهدد عليها المذموم وصفها من مقامات الغافلين وأحوال الخاطئين شهد نفسه هنالك وانه هو المخاطب المقصود بذلك خوفا منه وشفقا فبهذه المشاهدة يرجو للخلق ويخاف على نفسه ومن هذه الملاحظة يسلم قلبه للعباد ويمقت نفسه وروينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان يقول اللهم اني استغفرك لظلمي وكفري قال فقلت يا أمير المؤمنين هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله ان الانسان لظلوم كفار فان قلب هذان المعنيان على عبد حتى يشهد نفسه في المدح والوصف ويشهد غيره في الذم والمقت انقلب قلبه عن وجهة الصادقين وتنكب بقصده عن صراط الخائفين فهلك وأهلك لان من شهد البعد في القرب لطف به بالخوف ومن شهد القرب في البعد مكر به في الامن وقال بعض العلماء كنت اقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت اتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء الله بمنزلة أخرى فانا

فاحذروهم واعتزلوهم ابن آدم اجتهد في طلب العلم تنل به شرف الدنيا وعز الآخرة الباقية أشد مما تجتهد في تعلم الحساب ونحوه لهذه الدنيا الدنية الفانية واعمل به لتنال فضيلة ولا تتساهل فيه فتندم يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار واحذر الكسل في تعلمه ومصاحبة البطالين من الاصحاب واجتنب الرياء والسمعة والكبر والاعجاب وخف من سوء الخاتمة وأليم العقاب وروى الطبراني والبيهقي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه وروى الدارمي عن سفيان ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب من أرباب العلم قال الذين يعملون بما يعلمون قال فما أخرج العلم من قلوب العلماء قال الطمع وفي الروض الفائق عن سفيان الثوري رضي الله عنه انه خرج الى مكة حاجا فكان يبكي من أول الليل الى آخره في المحمل فقال له شيبان الراعي بكاؤك ان كان لاجل المعصية فلا تعصه فقال سفيان أما الذنوب فما خطرت ببالي قط صغيرها ولا كبيرها وليس بكائي يا شيبان من أجل المعصية ولكن خوف الخاتمة لاني

الآن اسمعه من المتكلم عز من قائل فعندها وجدت له نعيماولذة لا أصبر عنها وقال عثمان رضى الله عنه أو حذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن وقال ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وقال بعض علمائنا لكل آية ستون ألف فهم ومابقى من فهمها أكثر وعن على رضى الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وعن أبى سليمان الدارانى انى لاتلو الآية فاقيم فيها اربع ليال وذكر خمس ليال ولولا انى اقطع الفكر فيها ماجاوزتها الى غيرها وروينا عن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ منها وحدثنا عن بعض العارفين قال لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة مافرغت منها بعد يعنى ختمة التفهم والمشاهدة وكان هذا يقول أقمت نفسى فى العبودية مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة وانما حجب الخلق عن فهم كنه الكلام ومعرفة سر المراد لانه حجبهم عن حقيقة كنه معرفته وانما أعطاهم من معرفة الكلام بقدر ما اعطاهم من معرفة المتكلم اذ بمعانى كلامه تعرف معانى صفاته وافعاله واحكامه ولان معانى كلامه من معانى أوصافه واخلاقه فلذلك جاء فيه السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف لان من أوصافه الرحمة واللطف والانتقام والبطش فلما لم يصلح ان يعرفوه كعلمه بنفسه لم يصلح ان يعلم كنه كلامه الا هو ويعرف كنه صفاته الا هو فاعلم الخلق لمعانى كلامه اعرفهم لمعانى الصفات واعرف العباد بمعانى الاوصاف والاخلاق وغوامض الاحكام اعرفهم بسرائر الخطاب ووجه الحروف ومعانى باطن الكلام واحقهم بذلك اخشاهم له وأخشاهم له أقربهم منه وأقربهم منه من خصه باثرته وشمله بعنايته فقد جاء فى الخبر أحسن الناس صوتا بالقرآن من اذا قرأ رأيت انه يخشى الله ولا يخشاه حتى يعرفه ولا يعرفه حتى يعامله ولا يعامله حتى يقرب به ولا يقرب به حتى يعنى به وينظر اليه فعندها يعرف سر الخطاب ويطلع على باطن الكتاب فاذا سجد العبد سجود القرآن فليدع فى سجدته بمعانى الآية من الخير وليتعوذ من معانى شرها فان ذلك فعل العلماء بالقرآن والله يحب ذلك ولتلك المعانى اسجدهم له مثل ان يقرأ قوله عز وجل خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك ان أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك ومثل هذا قوله عز وجل ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فليقل اللهم اجعلنى من الباكين اليك الخاشعين لك وعلى هذه المعانى ونحوها وليكن القرآن هو علمه وعمله وذكره ودعاؤه وهمه وشغله فعنه يسأل وعليه يثاب ومقامه منه وذكره فيه وأحواله فيه مجموع له ذلك كله فيه فبكلامه عرفه العارفون وبمخاطبته شهد أوصافه الموقنون فعلومهم من كلامه ومواجيدهم عن علومهم ومشاهدتهم عن معانى أوصافه وكلامهم عن مشاهدتهم لان ضروب الكلام عن الله هى معانى الصفات فمنه كلام راض ومنه كلام غضبان ومنه كلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر وحنان متعطف فاذا كان العبد من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع من الله عز وجل والمشاهدة له شهد ماغاب عن غيره وأبصر ماعمى عنه سواه وقد قال سبحانه وتعالى فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وقال عز وجل فاعتبروا ياأولى الابصار معناه فى الفهم أعبروا الى ما قد أبصرتم فالتاء قد تكون بمعنى تاء التفعل تدخل للتحقيق والوصول بالوصف والمبالغة فى الفعل فلما أعطاهم الايدى والابصار عبروا بقواهم الى ما أبصروا ففروا الى الله عز وجل من الخلق حين ذكروه بما خلق فخرجوا على معيار حسن الابتلاء ولم ينقصهم البلاء شيأ فكانوا كما أخبروا كالذى أمر فى قوله عز وجل ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر فكانوا هم الموحدون المخلصون له وكان هو المنفرد المستخلص لهم ثم جاوزوا التذكرة بالاشياء اليه فذكروه عنده به فبشئ ذهبوا اليه منه حين هالوه به فلم يتألهوا الى ما سواه كما لم يعبدوا الا اياه وكذلك رأيتها فى مصحف عبد الله ففروا الى الله منه انى لكم منه نذير مبين وفى

رأيت شيخا كبيرا كتبنا عنه العلم وعلم الناس أربعين سنة وجاور بيت الله الحرام سنتين وكان يانمس بركته ويستقى به الغيث فلما مات تحول وجهه عن القبلة ومات على الشرك كافرا فانا أخاف من سوء الخاتمة فقال ان ذلك من شؤم المعصية والاصرار على الذنوب فلا تعص ربك طرفة عين

(شعر)

يانفس توبى فان الموت قدحانا
واعص الهوى فالهوى مازال فتانا

أمازين المنايا كيف تلقطنا
لقطا وتلحق أخرانا باولانا

فى كل يوم لنا ميت نشيعه
نسى بمصرعه آثار موتانا

يانفس مالى وللاموال أتركها
خلفى واخرج من دنياى عريانا

مابالنا نتعامى عن مصارعنا
ننسى بغفلتنا من ليس ينسانا

كم قد رأينا أناسا صالحين قضوا
موتا وقد سلبوا دينا وايمانا

واستبدلوا الكفر بالايمان وانفصلوا
بسوء خاتمة فى الموت اعلانا

أبعد خمسين قد قضيتها لعبا
قد آن تقصيرها قد آن قد آنا

أين الملوك وابناء الملوك ومن

الخبر عن ابن مسعود و بعض الرواة برفعه وقد روينا مسندا من طريق وهم خصوص العارفين من المحبين والخالصين اطلعوا على السر وأوقفوا على الخبر فكانوا مقربين شاهدين ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا فنقول فظاهره لاهل العربية وباطنه لاهل اليقين وحده لاهل الظاهر ومطلعه لاهل الاشراف وهم العارفون المحبون والخائفون اطلعوا على لطف المطلع بعد ان خافوا هول المطلع فاودعوا السر عند مقام امين وأوقفوا على الخبر فى حال مكين فكانوا لديه مقربين اذ كانوا به شاهدين وقال النبى صلى الله عليه وسلم يرى الشاهد مالا يرى الغائب فمن حضر شهد ومن شهد وجد ومن وجد وجد ومن وجد عز ومن غاب عمى ومن عمى فقد ومن فقد نسى ومن نسى فقد نسى وقد قال الله عز وجل وكذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى أى تركتها فلم تعبأ بها ولم تنظر اليها وهكذا اليوم تترك فلا ينظر اليك برحمة ولا تكلم بلطف ولا تزلف بقرب

(الفصل السابع عشر) فيه كتاب ذكر نوع من المفصل والموصل من الكلام وفيه مدح العالمين وذم الغافلين عنه وتفسير الغريب والمشكل من القرآن باختصار الاصول الدالة على المعنى فاما ظاهر الكلام فعلى معنيين عجيبين وهو مجمل مختصر وموصل مكرر فاجماله واختصاره للبلاغة والايجاز قال الله تعالى ان فى هذا لبلاغا لقوم عابدين ومكرره وتفصيله للافهام والتذكار قال الله تعالى ولقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون وقال عز وجل فى المبهم المجمل والتوحيد المفصل الر فهذه ثلاثة أسماء الله لطيف رحيم وقيل بل هى حروف من اسم وهو الرحمن ثم أظهر السبب فقال كتاب أحكمت آياته يعنى بالتوحيد ثم فصلت أى بالوعد والوعيد ثم قال من لدن حكيم أى للاحكام خبير أى بالاحكام خبير بالتفصيل للحلال والحرام ألا تعبدوا الا الله هذا هو التوحيد الذى أحكمه اننى لكم منه نذير و بشير هذا هو الوعد والوعيد الذى أعلمه فمن المختصر للايجاز قوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ففى هذا مختصر ومحذوفان فالمضمر قوله مبصرة المعنى آية مبصرة فاضمر ومحذوفاه قوله فظلموا بها المعنى ظلموا أنفسهم بالتكذيب بها فاختصرت كلمتان من كلمتين للايجاز ومثله قوله وهى خاوية على عروشها الخواء الخلاء والعروش السقوف وهو جمع عرش فكيف تكون خاوية من العروش والعروش موجودة فيها فهذا من المختصر المحذوف ومعناه وهى خاوية من ثمرها أو من أهلها واقعة على عروشها ومثله قوله تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر حذف الفعل وأقيم الاسم مقامه فالمعنى فيه ولكن البر بر من آمن بالله وقد يكون من المبدل فيكون المحذوف هو اسم أبدل الفعل مكانه ولكن البر ٧ من امن بالله فلما كان البر وصفه أقيم مكانه ويمثل معنى الاول قوله عز وجل واشربوا فى قلوبهم العجل أى حب العجل ومن ذلك قوله عز وجل اقتلت نفسا زكية بغير نفس ولم يذكر قتله والمعنى بغير نفس قتلها فحذف الفعل ومثله انه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض أضمر قوله بغير نفس قتلها أو بغير فساد فى الارض فاكتفى عنه بذكر غير الاولى وكذلك قوله من فى السموات والارض معناه ومن فى الارض وكذلك قوله فما يكذبك بعد بالدين هو متصل بقوله سبحانه لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وفصل بينهما النعت والاستثناء والمعنى فما يكذبك بعد هذا البيان أيها الانسان بالديانة فاى شئ يحملك على التكذيب بان تدين الله تعالى وهو أحكم الحاكمين ومن المبدل المضمر أيضا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات المعنى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فاضمر ذكر العذاب وأبدل الاحياء والموتى بذكر الحياة فاقام الوصف مقام الاسم ويصلح أيضا ان يترك الوصف على لفظه ويضمر أهل فيكون ضعف عذاب أهل الحياة وضعف عذاب أهل الممات كما أضمر أهل فى ذكر القرية وذكر العير فقال واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها والمعنى واسأل أهل القرية واسأل أهل العير ومن هذا المعنى قوله تعالى ثقلت فى السموات والارض هو من المبدل المضمر فبدله ثقلت ومعناه خفيت أبدل بدلالة المعنى عليه لان الشئ اذا خفى علمه ثقل وكذلك

كانت تخر له الاذقان اذعانا
صاحت بهم حادثات الدهر فانقلبوا
مستبدلين من الاوطان أوطانا
اخلوا منازل كان العز مفرشها
فاستفرشوا حفرا غبرا وقيعانا
ياراكضا فى ميادين الهوى مرحا
و رافلا فى ثياب الغى نشوانا
مضى الزمان وولى العمر فى لعب
يكفيك ماقد مضى قد كان ما كانا

اللهم انا نسألك علما نافعا وعملا متقبلا وعفوا وعافية فى دنيانا واخرانا وصل على سيدنا محمد وآله *الامر الثانى ان تشتغل بالعبادات من الصلوات والتلاوة والذكر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وروى أحمد وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وان لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك وروى انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه

قوله فى السموات معناه على ومضمر أهل والمعنى خفيت على أهل السموات وأهل الارض لا تأتيكم الا بغتة يعنى فجأة ومنه قوله عز وجل تفتؤ تذكر يوسف فيه مضمر ومحذوف فمحذوفه تزال ومضمره لا التى هى جواب القسم والمعنى قالوا تالله لا تزال تفتؤ تذكر يوسف فاضمرت لا وأبدلت تزال بقوله تفتؤ وهى من مختصر الكلام وفصيحه وبليغه وهى لغة لبعض العرب وفى القرآن من كل لغة ومن هذا قوله عز وجل وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقوله سبحانه بدلوا نعمة الله كفرا معناه تجعلون شكر رزقكم انكم تكذبون وكذلك بدلوا شكر نعمة الله كفرا بها ومثله وكأين من قرية أهلكناها وكأين من قرية أمليت لها معناه أهل قرية مثل قوله واسأل العير المعنى أهل العير والعير هى الابل المجهولة وهذا الذى تسميه النحويون المجاز وهكذا قوله ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم معناه للطريقة التى هى أقوم ومثل هذا قوله عز وجل وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن أى يقولوا الكلمة التى هى أحسن ومثل هذا قوله ادفع بالتى هى أحسن السيئة أى بالكلمة أو بالفعلة التى هى أحسن ومثل قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أى الكلمة الحسنى والوجه الآخر أن الحسنى اسم لا نعت فمعناه الجنة وهكذا قوله على ملك سليمان أى على عهد ملك سليمان فأضمر قوله عهد ومثل قوله وآتنا ما وعدتنا على رسلك أى على ألسنة رسلك فاضمر ألسنة ومن المكنى المضمر قوله تعالى وما أنسانيه الا الشيطان أضمر الحوت وذكره واسم موسى للاختصار والمعنى وما أنسانى ذكر الحوت لك الا الشيطان ومثله قوله انا أنزلناه فى ليلة القدر اى أنزلنا القرآن فكنى عنه ولم يتقدم لهذكر وكذلك قوله حتى توارت بالحجاب يعنى توارت الشمس بحجاب الليل فكنى عنها ولم يجر لها ذكر ومثله قوله عز وجل وما يلقاها الا الذين صبروا أى الكلمة الطيبة أو الفعلة التى هى أحسن وبمعناه قوله تعالى ولا يلقاها الا الصابرون يعنى كلمة الزهد فى الدنيا ومقالة الترغيب والرغبة فى الآخرة عائد على قوله تعالى ويلكم ثواب الله خير أى هذه المقالة ومن المبدل المختصر قوله عز وجل واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم معناه حملته العزة على الاثم أى حمله التعزز والانفة على الاثم ولم يبال فأخذته بمعنى حملته بالاثم بمعنى على الاثم ومن هذا قوله لا تأخذه سنة ولا نوم أى لا تحمله سنة ولا نوم لان السنة تحمل العبد أى تذهب به عن التيقظ ومن المنقول المنقلب قوله عز وجل يدعو لمن ضره أقرب من نفعه اللام فى لمن منقولة والمعنى يدعو من لضره أقرب من نفعه ومثله لتنوء بالعصبة معناه لتنوء العصبة بها اى لتثقل بحملها لثقلها عليهم ومثله قوله وطور سينين سلام على آل ياسين وهو مما قلب اسمه لازدواج الكلام المعنى طور سيناء وسلام على الياسين قيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادريس ونحوه جعلوا القرآن عضين أى اعضاء كأنهم عضوه فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وبمعناه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت المعنى وجعل منهم من عبد الطاغوت ويصلح أن يكون معطوفا على قوله من لعنه الله وغضب عليه ومن عبد الطاغوت ومن قرأ الطاغوت بالكسر فانه يجعل عبد اسما وأضافه الى الطاغوت بمعنى وعبدة وعباد وفيه خمس لغات أخرى عباد الطاغوت وعبد الطاغوت وعبدة الطاغوت وعباد الطاغوت وعبد الطاغوت وأما عبد الطاغوت نصبا فهو بمعنى الفعل من العبادة ومن المضمر المختصر أيضا قوله عز وجل ألا ان عادا كفروا ربهم ضميره احدى كلمتين كفروا نعمة ربهم كفروا توحيد ربهم فأضمر للاختصار وانتصاب الاسم لسقوط الخافض وفيها وجه غريب الا انه محمول على المعنى لانه أى غطوا ربهم التغطية أى غطوا آياته وما دعا اليه من الحق والمعنى كفرهم أى غطى عليهم بما غطوا ربهم هكذا حقيقة فى التوحيد اذ الاولية فى كل فعل منموهم ثوان فيما بعد فهو بمعنى قوله وللبسنا عليهم ما يلبسون اللبس التغطية ومنه قوله والذين اتخذوا من دون الله أولياء ما نعبدهم مضمره يقولون ما نعبدهم ومثله فظلتم تفكهون انا لمغرمون أى يقولون انا لمغرمون وعلى هذا المعنى وجه قوله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك المعنى فيه يقولون ما أصابك على

شمله وأتته الدنيا وهى راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا الا ما قدر له فلا يمسى الا فقيرا ولا يصبح الا فقيرا وما أقبل عبد الى الله بقلبه الا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد اليه بالمودة والرحمة وكان الله بكل خير أسرع اليه وقال النبى صلى الله عليه وسلم واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة وفى كتاب الترمذى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ألف حرف ولام حرف وميم حرف د عن معاذ الجهنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجا يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس فى بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بهذا د عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه د عن على رضى الله عنه قال قال رسول

معنى

معنى الاخبار عنهم والذم لهم فهلكت بذلك القدرية لجهلهم بعلم العربية فظنوا أنه ابتداء شرع وبيان من الله عز وجل وقد أحكم الله عز وجل ابتداء شرعه وبيانه بأول الآية فى قوله قل كل من عند الله وقد كان ابن عباس يقول اذا اشتبه عليكم شئ من القرآن فالتمسوه فى كلام العرب فان الرجل يتلو الآية فيعيا بوجهها فيكفره وقرأتها فى مصحف عبد الله بن مسعود فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا قالوا ما أصابك من حسنة فهذا كما أنبأتك وقد رأيت فى مصحف عبد الله والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا ما نعبدهم فهذا من ذلك ومن المضمر قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون ليس انه يجعل من البشر ملائكة ولكن معناه لجعلنا بدلا منكم ملائكة ويصلح لجعلنا بدلكم بمعنى منكم ومن المبدل له قوله عز وجل وهم لها سابقون اللام بدل من الباء المعنى وهم بها سابقون لانهم لو سبقوها لفاتتهم وعلى هذا المعنى قال بعضهم ان قوله عز وجل فلما تجلى ربه للجبل أى بالجبل كان الجبل حجابا لموسى فكشفه عنه فتجلى به كما قال من الشجرة أن ياموسى انى أنا الله فكانت الشجرة وجهة لموسى كلمه الله عز وجل منها ومثله ولأصلبنكم فى جذوع النخل معناه على جذوع وكذلك فلا تجعلنى فى القوم الظالمين معناه أى مع القوم وبمعناه أم لهم سلم يستمعون فيه أى عليه ويصلح به وكذلك قوله مستكبرين به أى عنه يعنى عن القرآن فعلى هذا المجاز قوله تعالى فاسأل به خبيرا أى سل عنه فحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض ومثله قوله السماء منفطر به اى فيه يعنى فى اليوم ومثله لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا معناه ولا الذين ظلموا فأبدلت الا بقوله ولا ويجوز أن تكون الا مستأنفة بمعنى لكن الذين ظلموا متصلة بخبرها من قوله فلا تخشوهم فهو بمعنى قوله لا يخاف لدى المرسلون الا من ظلم اى لكن من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فيكون مبتدأ الذكر خبرها بعد وبمعناه قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم أى مع أموالكم وكذلك قوله وأيديكم الى المرافق اى مع المرافق لانها داخلة فى الغسل والحروف العوامل تنوب بعضها عن بعض ولو أظهر مثل هذا المضمر ووصل مثل هذا المحذوف لكانت القراءة ضعيفة ومن الموصول المكرر للبيان والتوكيد قوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن قوله ان يتبعون مردود رده للتوكيد والافهام كأنه لما طال الكلام أعيد ليقرب من الفهم والمعنى ما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن أى اتباعهم الشركاء ظن منهم غير يقين ونحوه من المكرر والمؤكد قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم اختصاره الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا فلما قدم الذين استضعفوا وكان المراد بعضهم كرر المراد باعادة ذكر من آمن منهم للبيان ومثله الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته فادخل الاستثناء على الاستثناء وهو يطول فى كلامهم لانه أراد بالنجاة بعض الآل فلما أجلهم أخرج مستثنى من مستثنى وفى هذا دليل ان الازواج من الآل لانه استثنى امرأته من آله ومن المكرر للتوكيد قوله تعالى فلما ان أراد أن يبطش مختصره فلما أراد يبطش وقد قيل ان هذا من المختصر المضمر مما أضمر فيه الاسم وحذف منه الفعل وهو غريب فيكون تقديره فلما ان أراد الاسرائيلى أن يبطش موسى بالذى هو عدو لهما فلم يفعل قال ياموسى أتريد أن تقتلنى فهذا حينئذ من أخصر الكلام وأوجزه ومن المكرر والمؤكد قوله عز وجل فلينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة مفهومه وجائزه فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة فوصل بمن وكد فكان هم اشد وقراءتها فى مصحف ابن مسعود عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد قوة ليس فيها كانوا ولا قوله هم وبمعناه وان قصر قوله تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة هذا انما طول للبيان والمعنى لجعلنا البيوت من يكفر بالرحمن فلما قدم من وهى اسماء من يكفر أعيد ذكر البيوت مؤخرا ومن المكنى المبهم المشتبه قوله عز وجل ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ الشئ فى هذا الموضع الانفاق مما رزق الله وقوله تعالى بعده وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ فالشئ فى هذا الموضع الامر بالعدل والاستقامة على الهدى

الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه أدخله الله الجنة وشفعه فى عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت له النار وفى ارشاد اليافعى وغيره حكى ان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله قال رأيت رب العزة فى منامى فقلت يارب بم تقرب اليك المتقربون قال بكلامى قال يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم أو غير فهم اتق عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله م عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجالسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملؤا ما بينهم وبين السماء الدنيا فاذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال فيسألهم الله وهو أعلم من أين جئتم فيقولون جئنا من عند عبادك فى الارض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك

وكذلك قوله فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ الشئ فى هذا الموضع وصف مخصوص من وصف الربوبية من العلم الذى علمه الخضر عليه السلام من لدنه لا يصلح أن يسأل عنه حتى يبتدئ به فلذلك كنى عنه وكذلك العلم على ضربين ضرب لا يصلح أن يبتدأ به حتى يسئل عنه وهو مما لا يضيق علمه فلذلك وسع جهله وحسن كتمه وعلم لا ينبغى أن يسئل عنه من معنى صفات التوحيد ونعوت الوحدانية لا يوكل الى العقول بل يخص بها المراد المجول فعلم الخضر الذى شرط على موسى عليهما السلام أن لا يسأل عنه حتى يبادئه به من هذا النوع والله غالب على أمره وقوله عزوجل أم خلقوا من غير شئ يعنى الله تعالى أى كيف يكون خلق من غير خالق فى وجودهم ثبوت خالق فهم دلالة عليه انه خلقهم وروينا ذلك عن ابن عباس وعن زيد بن على رضى الله عنهما قالا فى قوله عزوجل من غير شئ أى من غير رب كيف يكون خلق من غير خالق وقوله عزوجل والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فالبعض الاول المفضل فى الرزق هم الاحرار والبعض الآخر المفضول هم المماليك ومثله قوله تعالى وقال قرينه هذا ما لدى عتيد قرينه هذا هو الملك الموكل بعلمه أحضر ما عنده مما علمه من فعله وقوله عزوجل قال قرينه ربنا ما أطغيته قرينه هذا هو شيطانه المقرون به ومثله قوله تعالى واخوانهم يمدونهم فى الغى ثم لا يقصرون الهاء والميم المتصلة باخوان اسماء الشياطين والهاء والميم المتصلة بيمدون اسماء المشركين أى الشياطين اخوان المشركين يمدون المشركين فى الغى ولا يقصرون عنهم فى الامداد وبمعنى هذا قوله تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون الهاء الاولى المتصلة بيتولون كناية عن ابليس والهاء المتصلة بالباء من قوله هم به هى اسم الله عزوجل وقد قيل أيضا انها عائدة على ابليس أيضا فيكون المعنى هم به قد أشركوا فى التوحيد أى أشركوه بعبادة الله عزوجل ومثل هذا قوله عزوجل فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا الهاء الاولى كناية عن الحوافر وهن الموريات قدحا يعنى الخيل تقدح بحوافرها فتورى النار فأثرن به أى بالحوافر النقع يعنى التراب والهاء الثانية كناية عن الاغارة فوسطن أى توسطن به بالاغارة وهن المغيرات صبحا وسطن جمع المشركين أغاروا عليهم بجمعهم والمشركون غارون وبهذا المعنى قوله عزوجل فانزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات الهاء الاولى عائدة على السحاب أى أنزلنا بالسحاب الماء وفى قوله به مبدل ومكنى فالمكنى هو ما ذكرناه من أسماء السحاب والمبدل ان به بمعنى منه ومثل هذا قوله يشرب بها عباد الله أى منها وهو صريح قوله فى المفسر وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا يعنى السحاب وهو قوله سقناه لبلد ميت وقوله فى الهاء الثانية أخرجنا به من كل الثمرات يعنى بالماء فجمع بين اسم السحاب والماء بالهاء فأشكل ومن البيان الثانى والثالث للخطاب المجمل قوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن فلم يفهم منه الا أن القرآن أنزل فى شهر رمضان ولم يدر أنهارا أنزل فيه أو ليلا فقال فى البيان الثانى انا أنزلناه فى ليلة مباركة فلم يفهم منه الا أنه أنزل منه ليلا فى ليلة مباركة ولم يدر أى ليلة هى فقال فى البيان الثالث انا أنزلناه فى ليلة القدر فهذا غاية البيان وبمعناه قوله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه فهذا البيان الاول زيادة على الاشد وهو الوصف الا أنه غير مفسر ثم قال فى البيان الثانى حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة ففسر الاشد بالاربعين اذا كانت الواو للمدح والوصف فى أحد الوجهين ومن الموحد ومعناه الجمع قوله تعالى والعصر ان الانسان لفى خسر معناه ان الناس لفى خسر أى لفى خسران لقوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يستثنى جماعة من واحد وانما يستثنى جماعة من جماعة أكثر منهم وانما وحد الاسم للجنس وكذلك قوله تعالى يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا معناه يا أيها الناس انكم كادحون دل عليه قوله عزوجل فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه وراء ظهره وانما وحد النعت لتوحيد الاسم وكذلك قوله عزوجل وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا معناه حملها الناس كلهم وهذا أحب الوجهين الى لقوله عزوجل عقيبه ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ومثله قوله عزوجل وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها معناه وانا اذا أذقنا الناس منا رحمة فرحوا بها فلما وحد

الاسم

ويسألونك قال ماذا يسألونى قالوا يسألونك جنتك قال هل رأوا جنتى قالوا لا أى رب قال وكيف لو رأوا جنتى قالوا ويستجيرونك قال ومم يستجيرونى قالوا من نارك يا رب قال وهل رأوا نارى قالوا لا قال وكيف لو رأوا نارى قالوا ويستغفرونك قال فيقول قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا قال فيقولون رب فيهم فلان خطاء انما مر فجلس معهم قال فيقول وله قد غفرت هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وفى كتاب المؤمنات الصالحات للحصنى رحمه الله قال عمار ابن الراهب وكان من العاملين لله تعالى فى دار الدنيا قال رأيت مسكينة فى منامى وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقلت مرحبا يا مسكينة مرحبا فقالت هيهات يا عمار ذهبت تلك المسكنة وجاء الغنى الا كبر فقلت هيه فقالت ما تسأل عمن أبيح له الجنة بحذافيرها قلت وبم ذلك رحمك الله عزوجل قالت بمجالس الذكر والصبر على الحق قال وكانت تحضر معنا مجلس عيسى بن زاذان فقلت فما فعل عيسى فضحكت فقالت قد كسى حلة البهاء وطافت بالأباريق حوله الخدام ثم حلى وقيل يا قارئ اقرأ فلعمرى لقد براك الصيام وكان عيسى

الاسم وحد نعته دل عليه قوله تعالى وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فأظهر الجمع ومن الجمع المراد به الواحد قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين يعنى نوحا وحده لانه لم يرسل الى قوم نوح غيره ودل عليه قوله تعالى اذ قال لهم أخوهم نوح فوحد الجمع ومثله فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء يعنى بذلك النبى صلى الله عليه وسلم وحده يوم خيبر ومن الجمع المكنى قوله عز وجل لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس يعنى فى هذا الموضع الدجال ونزل ذلك فى ذكر الدجال واستعظامهم لوصفه وكذلك قوله تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم يعنى رجلا واحدا قاله لهم وهو عروة بن مسعود الثقفى فجمع لفظه لاجل جنسه والعرب تجمع الواحد للجنس وكذلك قيل فى أحد الوجوه ان قوله عز وجل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس يعنى آدم صلى الله عليه وسلم وحده وهو أول من طاف بالبيت وأتاه جبريل وأشعر له المناسك وقد قرأت فى بعض حروف السلف من حيث أفاض آدم فهذا شاهد له ومن المقدم والمؤخر لحسن تأليف الكلام ومزيد البيان والاظهار قوله عز وجل من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا لاختصاره ومؤخره من كفر بالله بعد ايمانه وشرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن وكذا بقوله ولكن من شرح بالكفر صدرا لما استثنى المكره وقلبه مطمئن بايمانه ولم يجعل المكره آخر الكلام لئلا يليه قوله فعليهم غضب من الله فيتوهم انه خبره وجعل آخر الكلام فعليهم غضب من الله وهو فى المعنى مقدم خبر الاول من قوله من كفر بالله من بعد ايمانه فاخر ليليه قوله تعالى ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة لانه من وصفهم فيكون هذا أحسن فى تأليف الكلام وسياق المعنى وكذلك قوله تعالى وقيله يارب ان هؤلاء قوم هذا من المعطوف المضمر ومن المقدم والمؤخر فعاطفه قوله وعنده علم الساعة وضميره قوله وعلم قيله والمعنى وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب هذا على حرف من كسر اللام فامامن نصبها فانه مقدم أيضا ومحمول على ان المعنى أى وعنده علم الساعة و يعلم قيله يارب فاما من رفع اللام فقرأ وقيله فتكون مستأنفة على الخبر وجوابها الفاء من قوله فاصفح عنهم أى قوله ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقد تكون الواو فى قوله وقيله للجمع مضمومة الى علم الساعة والمعنى وعنده علم الساعة وعنده قيله يارب جمع بينهما مابعد فهذا مجاز هذه المقارى الثلاث فى العربية ومما حمل على المعنى قوله عز وجل فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا ثم قال والشمس والقمر حسبانا فلولم يحمل على المعنى لكانت والشمس والقمر خفضا اتباعا للفظ قوله فالق وجاعل ولكن معناه وجعل الشمس والقمر حسبانا وهى على قراءة من قرأ وجعل الليل سكنا متبعة لجعل ظاهرا او بمعناه قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وأرجلكم فى قراءة من نصب اللام محمولا على معنى الغسل من قوله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وأرجلكم أيضا ومن قرأ وأرجلكم خفضا حمله على اتباع الاعراب من قوله عز وجل برؤسكم وأرجلكم فاتبع الاعراب بالاعراب قبله لان مذهبه الغسل لا المسح واختيارنا نصب اللام فى المقروء على نصب الغسل واتباع الوجه واليدين الا أنه روى عن ابن عباس وأنس بن مالك نزل القرآن بغسلين ومسحين وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الاقدام فنحن نفعل كما فعل وقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى من المقدم والمؤخر فالمعنى فيه ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما وبه ارتفاع الاجل ولولا ذلك لكان نصبا كاللزام فاخر لتحسين اللفظ و بمعناه قوله عز وجل يسألونك كأنك حفى عنها المعنى يسألونك عنها كأنك حفى بها أى ضنين بعلمها ومثله قوله تعالى أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أى نأت منها بخير فقدم بخير وأخر منها فاشكل ومن المؤخر بعد توسط الكلام قوله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق فى قراءة من وحد الفعل هو متصل بقوله عز وجل يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا لتركبن طبقا عن طبق أى حالا بعد حال فى البرزخ فآخر الاحوال القرار فى الدار وكذلك هو فى قراءة من جمع فقال لتركبن أيها الناس فيكون الانسان فى معنى الناس كما ذكرناه آنفا ويكون الجمع عطفا على

قد صام حتى انحنى وانقطع صوته والله أعلم * اخوانى لا تضيعوا أعماركم سدى واعبدوا الله تنجو من الردى فان أوقاتكم معدودة وأنفاسكم محسوبة ولا تحصدون الا ما زرعتم ولا تجزون الا بما عملتم يامن سبقه القوم وتخلف فى الشهوات يامن قطع زمانه فى التسويف والبطالات يامن قسا بالمعاصى قلبه وجدت عيناه عن العبرات يامن شابت ذوائبه وهو مقيم على الزلات كم تبارزون بالمعاصى من يعلم خفيات السرائر ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون شعر

لله قوم أطاعوه وما قصدوا سواه ان نظروا الاكوان بالعبر
والوجد والشوق والاذكار قوتهم ولازموا الجد والادلاج فى البكر
وبادروا والرضا مولاهم وسعوا قصد السبيل اليه سعى مؤتمر
وامنوا واستقاموا مثل ما أمروا واستغرقوا وقتهم فى الصوم والسهر
وجاهدوا وانتهوا اعما يباعدهم عن بابه واستلانوا كل ذى وعرى

المعنى وانما وحد للجنس فكأنه قال يا أيها الناس لتركبن طبقا عن طبق فاخر هذا الخبر لما توسطه من الكلام المتصل بالقصة ومعناه التقديم ومثل هذا قوله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان وقوله الا قليلا هو متصل بقوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا وآخر الكلام لاتبعتم الشيطان وقد قيل ان قوله الا قليلا مستثنى من الاول فى قوله واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف أذاعوا به الا قليلا منهم وفى هذا بعد والاول أحب الى وعلى هذا المعنى قرأ ابن عباس فى رواية عنه لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم جعله متصلا بقوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم الا من ظلم وصار آخر الكلام لا يحب الله الجهر بالسوء من القول فاصلا ومثل هذا قوله تعالى والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض انما هو من صلة قوله وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وكذلك قوله فى أول السورة لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ليس هذا من صلة الكلام انما هو مقدم ومتصل فى المعنى بقوله قل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أى فصارت أنفال الغنائم لك اذ أنت راض باخراجك وهم كارهون فاعترض بينهما الامر بالتقوى والاصلاح والوصف بحقيقة الايمان والصلاح فاشكل فهمه وعلى هذا قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك انما هو موصول بقوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك لانها نزلت فى قولهم فقد استغفر ابراهيم لابيه وهو مشرك عند قوله لاستغفر لك ربى فقالوا فهلا نستغفر لآبائنا المشركين فنزلت هذه الآية ليستثنى القدوة فى ابراهيم فى هذا ثم نزلت الآية الاخرى معذرة له أو عدة اياه الى ان علم موته على الكفر فقال وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية وكذلك قوله عز وجل ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم وهذا متصل بقوله حرمت عليكم الميتة والدم الى آخر المحرمات ثم قال فمن اضطر فى مخمصة يعنى مجاعة ومثل ما ذكرناه من علم القرآن كثير وانما نبهنا بيسير على كثير ودللنا بنكت على جم غفير ليستدل بما ذكرناه على نحوه ويتطرق به الى مثله وهذا كله على ضروب كلام العرب ومعانى استعمالهم ووجوه استحسانهم انه فى كلامهم المطول للبيان والمختصر للحفظ والمقدم والمؤخر للتحسين وكله فصيح بليغ لان وصف البلاغة عندهم رد الكثير المنثور الى القليل المجمل وبسط القليل المجمل الى المبثوث المفسر فالمقصر من الكلام عندهم مع الحاجة الى المعانى المتفرقة عجز والمطول منه مع الاكتفاء بالمعنى الجامع منه عى فلما خاطبهم بكلامهم أفهمهم بعقولهم ومستعملاتهم ليحسن ذلك عندهم فيكون حجة عليهم من حيث يعقلون لانه أمرهم بما يعلمون وما يستحسنون حكمة منه ولطفا وذلك أيضا على هذه المعانى يفهم الخصوص من مكانهم ومشهدهم على علو مقامهم فى مكان ما أظهر لهم من العلم به ونصيب ما قسم لهم من العقل عنه فهم متفاوتون فى الاشهاد والفهوم حسب تفاوتهم فى الانصبة من العقول والعلوم اذ القرآن عموم وخصوص ومحكم ومتشابه وظاهر وباطن فعمومه لعموم الخلق وخصوصه لخصوصهم وظاهره لاهل الظاهر وباطنه لاهل الباطن والله واسع عليم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فاذا صفا القلب بنور اليقين وأيد العقل بالتوفيق والتمكين وتجرد الهم من التعلق بالخلق وتأله السر بالعكوف على الخالق وخلت النفس من الهوى سرت الروح فجالت فى الملكوت الاعلى كشف القلب بنور اليقين الثاقب ملكوت العرش عن معانى صفات موصوف وأحكام خلاق مألوف وباطن أسماء معروف وغرائب علم رحيم رؤف فشهد عن الكشف أوصاف ما عرف فقام حينئذ بشهادة ما عرف فكان ممن قال سبحانه يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به فحق التلاوة للمؤمنين لانه اذا أعطاه حقيقة من الايمان أعطاه مثلها من معناه ومعدنها حقيقة من مشاهدة فكانت تلاوته عن مشاهدة وكان مزيده عن معنى تلاوته وكان ذلك على معيار حقيقة من ايمانه كما قال واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا أولئك هم المؤمنون حقا فيكون

بجنات عدن لهم ما يشتهون
بها
فى مقعد الصدق بين الروض
والزهر
لهم من الله ما لا شئ يعدله
سماع تسليمه والفوز
بالنظر
اللهم يسر علينا متابعتهم
وأوصل الينا فتوحاتهم
والحقنا بهم واحشرنا فى
زمرتهم واهدنا هديهم
واسلك بنا طريقهم الهنا
ومولانا نسألك ان تصلح
شأننا وشأن اقاربنا
واحبابنا وشأن ولاة
أمورنا * الامر الثالث ان
تشتغل بما تعين به أهل العلم
والعبادة أو بما تدخل به
سرورا فى قلوب المؤمنين
كخدمة أهل الدين والفقهاء
والصوفية وهم الزهاد
النساك والتردد فى أشغالهم
والسعى فى اطعام المساكين
وتشييع الجنائز وعيادة
المرضى وكل هذا أفضل من
النوافل فان هذه عبادات
فيها رفق للمسلمين قال الله
تعالى وتعاونوا على البر
والتقوى خم عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال
الساعى على الارملة
والمسكين كالمجاهد فى سبيل
الله وأحسبه قال وكالقائم
لا يفتر وكالصائم لا يفطر
وروى الطبرانى فى الاوسط
والحاكم عن النبى صلى الله
عليه وسلم من مشى فى حاجة
أخيه كان خيرا له من
اعتكاف عشر سنين ومن

العبد يوصف من نعت بالحضور والانذار وخص بالمزيد والاستبشار فى قوله عز وجل فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين وفى قوله عز وجل فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون ويكون من نعت من مدحه بالعلم وأثنى عليه بالرجاء ووصفه بالخوف فى قوله تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال عز وجل يدعون ربهم خوفا وطمعا فكان هذا من أهل الله وخاصته ومن محبيه وخالصته كما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل القرآن أهل الله وخاصته من خلقه وقال ابن مسعود لا على أحدكم ان يسأل عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله وهذا كما قال لانك اذا أحببت متكلما أحببت كلامه واذا كرهته كرهت مقاله وقال أبو محمد سهل من علامة الايمان حب الله عز وجل ومن علامة حب الله حب القرآن ومن علامة حب القرآن حب النبى صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبى صلى الله عليه وسلم اتباعه وعلامة اتباعه الزهد فى الدنيا وحدثونا عن بعض المريدين قال كنت فى جدة ارادتى قد لهجت بتلاوة القرآن ثم رهقتنى فترة فبقيت أياما لا أقرأ فهتف بى هاتف من قبل الله عز وجل ان كنت تحبنى فلم جفوت كتابى أما ترى مافيه من لطيف عتابى وقال بعض العارفين لا يكون المريد مريدا حتى يجد فى القرآن كل ما يريد ويعرف منه النقصان والمزيد ويستغنى بالمولى عن العبيد وأقل ماقيل فى العلوم التى يحويها القرآن من ظواهر المعانى المجموعة فيه أربعة وعشرون ألف علم وثمانمائة علم اذ لكل آية علوم أربعة ظاهر وباطن وحد ومطلع وقد يقال انه يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتين من علوم اذ لكل كلمة علم وكل علم عن وصف فكل كلمة تقتضى صفة وكل صفة موجبة أفعالا حسنة وغيرها على معانيها فسبحان الفتاح العليم

(الفصل الثامن عشر) فيه كتاب ذكر الوصف المنكر وهو من نعت الغافلين فاذا خالف التالى هذا الوصف الذى شرحناه أو كان على ضد ذلك من السهو والغفلة والعمى والحيرة محدثا لنفسه مصغيا الى هواه ووسوسة عدوه متوهما الظنون عاكفا على الامانى حقت عليه ان يكون بمعانى ماقال الله عز وجل ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أمانى يعنى الا تلاوة القرآن لا غير وان هم الا يظنون فوصفهم بالظن وهو ضد اليقين كما أخبر عن الظانين فى قولهم ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبمعنى ماقال وكأين من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فالقرآن من أجل آيات الارضين والسموات الدالة على فاطرهما ومنزله (٣) وكان يوصف من يهذه بعلمه فيه عند استماعه لكلامه العزيز منتهاونابه مناجيا لغيره ان يقول تعالى نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى ويمثل من يسمع وقلبه مشغول عن المسموع بما يضره عما ينفعه حتى اذا خرج عن الكلام سأل من حضر بقلبه ماذا فهم من الخطاب الذى كان هو عنه بغفلته قد غاب وقد كان حاضرا بجسمه بحجة عاميه فمن ذلك قوله عز وجل ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا قال الله تعالى أولئك الذين طبع الله على قلوبهم أى عن فقه الخطاب فلم تسمعه القلوب ولم تعه واتبعوا أهواءهم يعنى أباطيلهم وظنونهم الكاذبة ويقال ان العبد اذا تلا القرآن واستقام نظر الله اليه برحمته فاذا قرأ القرآن وخلط ناداه الله عز وجل مالك ولكلامى وأنت معرض عنى دع عنك كلامى ان لم تتب الى وروينا فى الاسرائيليات أوحى الله عز وجل الى نبيه موسى وداود عليهما السلام مر عصاة بنى اسرائيل ان لا يذكرونى فانى آليت على نفسى ان أذكر من ذكرنى وانى أذكرهم بلعنة وكان يوصف من أخبر عنه اذ يقول تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا الآية وهذا وصفهم الظن الكاذب والرجاء المختلف اللذان لم يفترقا الى خوف واشفاق عصوا خالقهم عاجلا وتمنوا عليه المغفرة آجلا جهلا منهم بحكمته واعراضا عن أحكامه قال الله عز وجل ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا مافيه ثم أخبر عن علمهم بذلك علم قول وخبر لا علم يقين ومعاينة قال سبحانه ودرسوا مافيه أى قرؤا هذا وعلموه ولم يعملوا به فلم ينتفعوا

اعتكف يوما ابتغاء وجه الله جعل الله بينه وبين النار ثلاثة خنادق كل خندق أبعد مابين الخافقين (ه) عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة فيها صلاح أمره كله وثنتان وسبعون له درجات يوم القيامة • عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى لاحد من أمتى حاجة يريد ان يسره بها فقد سرنى ومن سرنى فقد سر الله ومن سر الله أدخله الجنة دت عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن رجل يعود مريضا ممسيا الا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح وكان له خريف فى الجنة ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسى وكان له خريف فى الجنة م عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يقول يوم القيامة يا ابن آدم مرضت فلم تعدنى قال يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين قال أما علمت ان عبدى فلانا مرض فلم تعده أما علمت انك لو عدته لوجدتنى عنده يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمنى قال يارب كيف أطعمك وأنت رب العالمين قال أما علمت انه استطعمك

بشئ منه فكان هذا توبيخا لهم وتقريعا كقوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين وفيها وجه غريب ودرسوا ما فيه أى محوه بترك العمل به والفهم له من قولك درست الريح الآثار اذا محتها وخط دارس وربع دارس اذا محى وعفى أثره وهذا المعنى مواطئ لقوله تعالى نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين أى ما تتبع وتهوى ومواطئ لقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون فسمى ترك العمل منهم به فى كل حالة طرحاله والقاء ونفيا له وبيعا له وبالدنيا اشتراء وكل آية فى التهدد والوعيد فالخائفين منها وعظ وتخويف وللغافلين عنها وصف وتعريف علم من علمه كقوله تعالى فى ذكر النار ذلك يخوف الله به عباده يا عبادى فاتقون وقال فى خبرها أعدت للكافرين وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل وكيف ذلك قال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه والا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال سفيان فى قوله تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق قال أصرف عنهم فهم القرآن وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت أمتى الدنيا والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهى عن المنكر حرموا بركة الوحى قال الفضيل حرموا فهم القرآن وفى الاخبار من ذم قراءة البطالين أكثر من أن تذكر فمنها ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أكثر منافقى أمتى قراؤها وكان الحسن يقول انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فانتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل أتتهم من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وكان ابن مسعود من قبله يقول أنزل عليهم القرآن ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدهم ليتلو القران من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفى حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا برهة من دهرنا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فنتعلم حلالها وحرامها وأمرها وزجرها وما ينبغى ان يقف عليه منها كما تعلمون أنتم القرآن ثم بعد لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدرى ما أمره ولا زجره ولا ما ينبغى ان يقف عنده منه فينثره نثر الدقل وهذا كما قال لان المراد والمقصود بالقرآن الائتمار لاوامره والانتهاء عن زواجره اذ حفظ حدوده مفترض ومسؤل عنه العبد ومعاقب عليه وليس حفظ حروفه فريضة ولا عقاب على العبد اذا لم يحفظ ما وسعه منه قال الله عز وجل انا سنلقى عليك قولا ثقيلا أى العمل به ثقيل والا فقد يسره للذكر ومن ذلك الخبر المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه وحدثنى شيخ فاضل قرأت عليه القرآن قال قرأت القرآن على شيخ لى فلما ختمت رجعت اليه لاقرأ فانتهرنى وقال جعلت القرآن على عملا اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر ماذا يسمعك منه ويفهمك عنه وقد كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يحفظ الا الجزء والجزأين والسور المعدودة وسورتين وكان من يحفظ الحزب منه وهو السبع أو البقرة والانعام علما فيهم وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف صحابى لم يقرؤا القرآن غير نظر فلم يحفظ القرآن كله منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين وقال بعضهم ولم يكن جمعه من الخلفاء الاربعة أحد وختم ابن عباس على أبى بن كعب وقرأ عبد الرحمن بن عوف على ابن عباس وقرأ عثمان بن عفان على زيد بن ثابت وقرأ أهل الصفة على أبى هريرة وكلهم كان متبعا للاوامر مجتنبا للزواجر عالما به فقيها فيه وقال يوسف بن اسباط وقد قيل له اذا ختمت القرآن باى شئ تدعو فقال باى شئ أدعوا استغفر الله عز وجل مائتى مرة من تلاوتى وكان يقول انى لاهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فاعدل الى التسبيح والاستغفار واعلم

عبدى فلان فلم تطعمه أما علمت انك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقنى قال يارب كيف أسقيك وأنت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندى خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم من اتبع جنازة مسلم ايمانا واحتسابا وكان معه حتى يصلى عليها ويفرغ من دفنها فانه يرجع من الاجر بقيراطين كل قيراط مثل أحد ومن صلى عليها ثم رجع قبل ان تدفن فانه يرجع بقيراط • عنه صلى الله عليه وسلم قال الخلق عيال الله فاحب الخلق الى الله من أحسن الى عياله وروى ان رجلا من أهل الشام قال دخلت المدينة فرأيت رجلا راكبا على بغلة لم أر احسن سمتا ولا ثوبا ولا دابة منه فمال قلبى اليه فسألت عنه فقيل لى هذا على بن حسين قال فامتلأ قلبى له بغضا وحسدت عليا ان يكون له ابن مثله فقلت بك وبابيك أسب عليا فلما انقضى كلامى قال أحسبك غريبا قلت أجل قال فمل بنا فان احتجت الى منزل أنزلناك أو الى مال واسيناك أو الى حاجة عاوناك قال فانصرف وما على وجه الارض أحب الى منه أيها الناس أطيعوا

ان للعبد فى قراءة القرآن بحسب ماله من تعظيمه والفهم له والمشاهدة منه والمعاملة به لانه من أكبر شعائر الله فى خلقه وأعظم آياته فى أرضه الدالات عليه وأسبغ نعمه الكاملة علينا وللعبد من التعظيم له بقدر تقواه وله من فهم الخطاب وتعظيم الكلام على نحو ما أعطى من معرفة المتكلم وهيبته واجلاله فاذا عظم المتكلم فى قلبه وكبر فى فهمه أنعم تدبر كلامه وأطال الفكر فى خطابه وأكثر ترداده وتكريره على قلبه وأسرع بذكره عند النازلة به والحاجة اليه فاتقى وحذر ولذلك قال سبحانه واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقال كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولعلهم يتذكرون لان كل كلام موقوف على قائله يعظم بتعظيمه ويقع فى القلب بعلو مكانه أو يهون بسهولة شأنه قال الله عز وجل ليس كمثله شئ فى العظمة والسلطان وليس ككلامه كلام فى الاحكام والبيان وقرأت فى سورة الحنين من التوراة يا عبدى أما تستحيي منى يأتيك كتاب من بعض اخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لاجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شئ منه وهذا كتابى أنزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه فتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض اخوانك أى عبدى يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى فجعلتنى أهون عندك من بعض اخوانك أوكما قال وانما خف القيام على أهل الليل لفهم الخطاب وثقل على أهل النوم لانفصام القلوب عن الفهم وشدة الحجاب كما قال تعالى ثقلت فى السموات والارض أى خفى علمها يعنى الساعة فثقلت عليهم فسمى ما خفى علمه ثقيلا والله أعلم

(الفصل التاسع عشر) كتاب فيه ذكر الجهر بالقرآن وما فى ذلك من النيات وتفصيل حكم الجهر والاخفات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفى الخبر العام يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا وفى مثله من العموم خير الرزق ما يكفى وخير الذكر الخفى وفى الخبر لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقرآن فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه برد اذهب الى هذا المصلى فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وان للرجل فيه نصيبا فرفع سعيد صوته فقال يا أيها المصلى ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيأ قال فسكت عمر وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة وعلى ذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع جماعة من أصحابه يجهرون بالقراءة فى صلاة الليل فيصوب ذلك لهم ويسمع اليهم وقد أمر بالجهر فيما روى عنه اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثلاثة من أصحابه فى الليل مختلفى الاحوال منهم من كان يخافت وهو أبو بكر رضى الله عنه فسأله عن ذلك فقال ان الذى أناجيه هو يسمعنى ومنهم من كان يجهر وهو عمر رضى الله عنه فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وازجر الشيطان ومنهم من كان يقرأ آيا من هذه السورة ومن هذه السورة وهو بلال فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد أحسن وأصاب فنقول والله أعلم ان المخافتة بالقراءة أفضل اذا لم تكن للعبد نية فى الجهر أو كان ذاهبا عن الهمة والمعاملة بذلك لانه أقرب الى السلامة وأبعد من دخول الآفة وان الجهر أفضل لمن كان له نية فى الجهر ومعاملته مولاه به لانه قد قام بسنة قراءة الليل ولان المخافت نفعه لنفسه والجهر نفعه له ولغيره وخير الناس من ينفع الناس والنفع بكلام الله عز وجل أفضل المنافع ولانه قد ادخل عملا ثانيا يرجو به قربة

ربكم الذى وعدكم الثواب الجزيل على العمل القليل وجدوا فى التزود لسفركم الخطير تظفروا بالفضل الغزير ولا تهملوا أنفسكم فى اتباع الشهوات فلا تندموا يوم تبدو الخفيات وأعينوا أهل الطاعات تنالوا أجل البغيات قال أبو بشر كانت جارة لمنصور بن المعتمر وكان لها بنتان لا يصعدان الى السطح الا بعد ان ينام الناس فقالت احداهما ذات ليلة يا أماه ما فعلت القائمة التى كنت أراها على سطح فلان فقالت يا بنية لم تكن تلك القائمة انما كان ذلك منصورا يحيى الليل كله فى ركعة لا يركع فيها ولا يسجد فقالت يا أماه بلغ به الفرق من النار هذا فما فعل قالت يا بنية مات فقالت يا أماه انطلقى فاشترى لى مدرعة اتعبد فيها فوالله لا يجتمع رأسى ورأس رجل أبدا رجل لا ينام الليل عشرين سنة فرقا من النار فاشترت لها مدرعة من شعر فدخلت البيت ودخلت أختها معها فى العبادة فتعبدتا بعد ذلك عشرين سنة لا تنامان الليل ولا تفطران النهار فرضى الله عنهما وعن أمهما التى أعانتهما على عبادة ربهما وهى الام الحنونة المساعدة على الخير الدافعة عن بناتها النار بخلاف

ثانية على عمله الاول فيكان فى ذلك أفضل وليجعل العبد مفتاح درسه ان يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قبل أعوذ برب الناس وسورة الحمد قبلها وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين استغفر الله الحى القيوم ومن حفظ جوارحه وقلبه عن المنهى فقد عمل بالقرآن الى خاتمته لانه مقسط على جملة العبد وجوارحه جملة وفى الجهر بالقراءة سبع نيات منها الترتيل الذى أمر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذى ندب اليه فى قوله صلى الله عليه وسلم زينوا القرآن باصواتكم وفى قوله ليس منا من لم يتغن بالقرآن أى يحسن به صوته وهو أحد الوجهين وأحبهما الى أهل العربية والوجه الآخر أى من لم يستغن به من الغنية والاكتفاء وقد قال من هذا الوجه يتغانى به ومنها ان يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعانى ولا يكون ذلك كله الا فى الجهر ومنها ان يطرد الشيطان والنوم عنه برفع صوته ومنها ان يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله عز وجل فيكون هو سبب احيائه ومنها ان يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق الى الخدمة فيكون معاونا له على البر والتقوى ومنها ان يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففى ذلك كثرة عمله فاذا كان العبد معتقدا لهذه النيات طالبا لها متقربا الى الله سبحانه وتعالى عالما بنفسه مصححا لقصده ناظرا الى مولاه الذى استعمله فيما يرضاه فجهره أفضل لان له فيه اعمالا وانما يفضل العمل بكثرة النيات فيه وارتفع العلماء وفضلت اعمالهم بحسن معرفتهم بنيات العمل واعتقادهم لها فقد يكون فى العمل الواحد عشر نيات يعلم ذلك العلماء فيعملون بها فيعطون عشرة أجور وأفضل الناس فى العمل أكثرهم نية فيه وأحسنهم قصدا وأدبا وفى بعض التفاسير فى قوله عز وجل وأما بنعمة ربك فحدث قال قراءة القرآن وفى الخبر من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفى خبر آخر كتب له عشر حسنات والتالى شريك المستمع فى الاجر لانه أكسبه ذلك وقال بعضهم للقارئ أجر وللمستمع أجران وقال آخر للمستمع تسعة أجور وكلاهما صحيح لان كل واحد منهما على قدر انصاته ونيته فاذا كان التالى مكسبا لغيره هذه الاجور فان له بكل أجر أكسبه اياه أجرا يكتب به لقوله صلى الله عليه وسلم الدال على الخير كفاعله سيما اذا كان عالما بالقرآن فقيها فيه فيكون مذكرا ومقويا ومعلما للسامع وفى الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينتظر عائشة رضى الله عنها فأبطأت عليه فقال ما حبسك فقالت يا رسول الله كنت استمع قراءة رجل ما سمعت صوتا أحسن منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبى حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمتى مثله واستمع أيضا ذات ليلة الى قراءة عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهم فوقفوا طويلا ثم قال من أراد ان يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله اقرأ وعليك أنزل فقال انى أحب ان أسمعه من غيرى فكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تفيضان وذلك عند قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يا رسول الله لو علمت انك تسمع الى لحبرته لك تحبيرا وكان ابن مسعود يأمر علقمة بن قيس ان يقرأ بين يديه فيقول له رتل فداك أبى وأمى وكان حسن الصوت بالقرآن وفى الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا أمروا أحدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لابى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة ان يتوسط فيقال يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا فى صلاة فكأنه يتأول قوله عز وجل ولذكر الله أكبر وقال بعض عباد البصريين لما وضع بعض البغداديين كتابا فى معانى الرياء ودقائق آفات النفوس قال لقد كنت أمشى بالليل أسمع أصوات المتهجدين كأنها أصوات المزاريب فكان فى ذلك أنس وحث على

نساء زماننا الغاشات لانفسهن ولاولادهن فكانى بهن وقد تناثرت لحومهن وسعت الديدان فى خدودهن وشعورهن وتتابعت عليهن الافاعى وغير ذلك من الآفات فندمن حين لا ينفعهن الندم فتوبوا الى الله تعالى من ذنوب مضت وقولوا نادمين من خطيئات سلفت شعر

يارب قد تبت فاغفر زلتى كرما
وارحم بعفوك من أخطا ومن ندما
لا عدت أفعل ما قد كنت أفعله
عمرى فخذ بيدى يا خير من رحما
هذا مقام ظلوم خائف وجل
لم يظلم الناس لكن نفسه ظلما
فاصفح بعفوك عمن جاء معتذرا
واغفر ذنوب مسىء طال ما اجترما

اللهم سلمنا من آفات الدنيا وأغوال الشيطان وشهوات النفس فانا قد رجعنا اليك معتذرين مما أسلفنا وارزقنا التوبة واغفر لنا الحوبة

(الامر الرابع) ان تشتغل بكسب نفسك أو عيالك فتنال بذلك درجات أصحاب اليمين دون المقربين لكن بشرط أداء الفرائض كلها واجتناب المعاصى أجمعها وسلامة المسلمين من يدك ولسانك قال الله تعالى

الصلاة والتلاوة حتى جاء البغداديون بدقائق الرياء وخفايا الآفات فسكت المتهجدون فلم يزل ذلك ينقص حتى ذهب وانقطع وترك الى اليوم فان لم يكن للتالى نية فى شئ مما ذكرناه وكان ساهيا غافلا عن ذلك وكان واقفا مع شئ من الآفات أولمح فى قلبه شخص أو ساكن ذكرهوى فقد اعتل فعليه ان يحتمى الجهر فان جهر على ثقل قلبه فسد عمله لاستكان الداء فيه وكان الى النقصان أقرب ومن الاخلاص أبعد فعليه حينئذ بالاخلاص فهو دواؤه يعالج به حاله فانه أصلح لقلبه وأسلم لعمله وأحمد فى عاقبته وقد يكون العبد واجدا الحلاوة الهوى فى الصلاة والتلاوة وهو يظن ان ذلك حلاوة الاخلاص وهذا من دقيق شأن الشهوة الخفية ولطيف الانتقاص وقد يلتبس ذلك على الضعفاء ولا يفطن له الا العلماء وانما يجد حلاوة الاخلاص الزاهدون فى الدنيا وفى مدح الناس لهم به ويتلذذون بنصح المعاملة وصدق الخدمة المحبون لله عز وجل الخائفون منه واعتبار فقد ذلك باحد شيئين سقوط النفس باستواء المدح والذم وهذا حال فى مقام الزهد أو الحلو من القلب بشهادة اليقين وهذا فى مقام المعرفة وفى هذين المقامين يستوى السر والعلانية وقد تكون العلانية أفضل لائمة التقوى والعدل وحدثت عن رجل من أهل الخير قال كنت اقرأ فى السحر فى غرفة لى شارعة سورة طه فلما ختمتها غفوت بعدها غفوة فرأيت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة بيضاء فنشرها بين يدى فاذا فيها سورة طه واذا تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رأيت مكانها محوا ولم ار تحتها شيأ فغمنى ذلك فقلت قد والله قرأت هذه الكلمة ولم أر لها ثوابا ولا أراها أثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها لك الا انا سمعنا مناديا ينادى امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها فبكيت فى منامى وقلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت صوتك بها لاجله فمحوناها وقد روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يجهر بقراءته فناداه يا فلان اسمع الله ولا تسمعنى واعلم ان السمعة مقرونة بالرياء ومحكوم لها بحكمه من فساد العمل ونقصان العامل وهى ماخوذة من السمع كان العبد يسمع بعمله غير الله عز وجل ويحب ان يسمع به مخلوقا ليمدحه به لغلبة هواه وضعف نفسه فيكون قد أشرك فى عمله غير الله عز وجل فيبطل عمله لجهله بالتوحيد اذ لو علم يقينا ان لا نافع الا الله عز وجل ولا ضار ولا معطى ولا مانع الا اياه خلص له توحيده من الشرك فخلص له عمله من الرياء وكذلك الرياء ماخوذ من رأى العين فالسمعة هى بمعناه وفى الخبر لا يقبل الله عز وجل من مسمع ولا مراء وفى خبر آخر من سمع سمع الله به ومن راءى راءى الله به وصغره وحقره فاما من كانت له نية صالحة فى ان يسمع أخاه كلام الله ليتعظ به ويتدبره أو ينتفع باستماعه ويتذكر به فليس داخلا فى السمعة لوجود حسن النية وصحة القصد ولفقد اقتران الآفة لارادة طمع عاجل من مدح أو غرض دنيا كما قال أبو موسى لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تسمع لحبرته لك تحبيرا فلم ينكر عليه لانه ذو نية فى الخير وحسن قصد به وقال للآخر الذى رفع صوته بالآية أسمع الله عز وجل ولا تسمعنى فانكر عليه لما شهد السمعة فيه وقد روينا انه صلى الله عليه وسلم مر برجل يظهر التأوه والوجل فقال من كان معه يا رسول الله أتراه مرائيا فقال لا بل أواه منيب واعلم ان الاكل والنوم على السلامة والصدق أفضل فى الحال وارفع فى المقام واحمد فى المآل من القيام والصيام على يسير من التصنع والتزين للخلق ومعرفة هذا والقيام به هو موضع علم العلماء بالله عز وجل وحدثنا عن الحسن البصرى قال تفقدوا الحلاوة فى ثلاث فان وجدتموها فابشروا وامض لقصدك وان لم تجدها فاعلم ان بابك مغلق عند تلاوة القرآن وعند الذكر وفى السجود وزاد غيره وعند الصدقة وبالاسحار وقراءة القرآن فى المصحف أفضل من قراءته عن ظهر قلب يقال الختمة بسبع ختم لان النظر فى المصحف عبادة وكان كثير من الصحابة والتابعين يقرؤن فى المصحف ويستحبون ان لا يخرج يوما الا نظر وافيه وخرق عثمان مصحفين من كثرة درسه فيهما

(الفصل العشرون) فى ذكر احياء الليالى المرجو فيها الفضل المستحب احياؤها وذكر مواصلة

ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم أى بالتجارة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسئلة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره لقى الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر ومن طلب الدنيا حلالا مكاثرا مفاخرا مرائيا لقى الله تعالى وهو عليه غضبان رواه البيهقى وأبو نعيم فينبغى ان تنوى بكسبك الاستعفاف عن المسئلة والتعطف على الجار والسعى على العيال لتنال هذه الدرجة ت عن النبى صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء ت عنه صلى الله عليه وسلم التجار يحشرون يوم القيامة فجارا الا من اتقى وبر وصدق خم عنه صلى الله عليه وسلم البيعان بالخيار مالم يتفرقا وبينا فان صدقا بورك لهما فى بيعهما وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال البركة فى التجارة وصاحبها لا يفتقر الا تاجر حلاف مهين م قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا الا كان ما أكل منه له صدقة ولا يرزؤه أحد الا كان له صدقة وفى رواية ولا يغرس المسلم غرسا فاكل منه

الاوراد فى الايام الفاضلة ويستحب احياء خمس عشرة ليلة فى السنة خمس منها فى شهر رمضان وهى وتر ليالى العشر الاخير منه وليلة سبع عشرة من رمضان هى صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وكان ابن الزبير يذهب الى انها ليلة القدر وأما التسعة الأخر فاوّل ليلة من شهر المحرم وليلة عاشوراء وأوّل ليلة من شهر رجب وليلة النصف منه وليلة سبع وعشرين منه وفيها أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وليلة عرفة وليلة العيدين وليلة النصف من شعبان وقد كانوا يصلون فى هذه الليلة مائة ركعة بالف مرة قل هو الله أحد عشرا فى كل ركعة ويسمون هذه الصلاة صلاة الخير ويتعرفون بركتها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة وروينا عن الحسن قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ان من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله عز وجل اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة وقد قيل ان هذه الليلة هى التى قال الله عز وجل فيها فيها يفرق كل أمر حكيم وانه ينسخ فيها أمر السنة وتدبير الاحكام الى مثلها من قابل والله أعلم والصحيح من ذلك عندى انه فى ليلة القدر وبذلك سميت لان التنزيل يشهد له اذ فى أوّل الآية انا أنزلناه فى ليلة مباركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم فالقرآن انما أنزل فى ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف فى هذه الليلة مواطئة لقوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة القدر * ذكر مواصلة الاوراد فى الايام الفاضلة وهى تسعة عشر يوما تستحب فيها مواصلة الاوراد والدأب فى العبادة يوم عاشوراء ويوم عرفة ويوم سبعة وعشرين من رجب ويوم سبعة عشر من شهر رمضان ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيد والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى أيام التشريق وفى الخبر صوم يوم عرفة يكفر سنتين سنة ماضية وسنة مستقبلة وصوم يوم عاشوراء كفارة سنة وقد روينا عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض علمائنا من أخذ مهناه فى هذه الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناه فى الآخرة وقال هذه الايام يرجى فيها الفضل من الله عز وجل والمزيد فاذا اشتغلت فيها بلهو وعاجل الدنيا فتى ترجو الفضل والمزيد يعنى بالايام الخمسة العيدين ويوم الجمعة ويوم عرفة ويوم عاشوراء ومن فواضل الايام بعد هذه يوم الاثنين ويوم الخميس يومان ترفع فيهما الاعمال الى الله عز وجل ومن الفاضل الشهور الاربعة الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب خصهن الله عز وجل بالنهى عن الظلم فيهن لعظم حرمتهن فكذلك الاعمال لها فيهن فضل على غيرها وأفضلها ذو الحجة لوقوع الحج فيه ولما خص به من الايام المعلومات والايام المعدودات ثم ذو القعدة لجمعه الوصفين معا وهو من الاشهر الحرم ومن أشهر الحج فاما المحرم ورجب فليسا من أشهر الحج وأما شوّال فليس من أشهر الحرم ولكنه من أشهر الحج وأفضل الايام فى الشهر العشران العشر الآخر والعشر الاول من ذى الحجة وبعدهما عشر المحرم من أوله فالاعمال فى هذه الايام لها فضل ومزيد على سائر الشهور وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام ثلاثة أيام من شهر حرام بعده الله من النار سبعمائة عام يوم الخميس ويوم الجمعة ويوم السبت وفى خبر آخر صوم يوم من شهر حرام يعدل صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من شهر رمضان يعدل صوم ثلاثين يوما من شهر حرام ثم ان أفضل الاوقات فى جملة الايام أوقات الصلوات الخمس وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخلت العشر الاواخر من شهر رمضان طوى الفراش وشد المئزر وفى حديث آخر اذا دخلت العشر الاواخر دأب وادأب أهله يعنى أدام وأداموا التعب والنصب فى العبادة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذى الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الارجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع منهما بشئ وفى لفظ آخر الامن عقر جواده وأهريق دمه واذا أحب الله عز وجل عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلة بافضل الاعمال ليثيبه أفضل

الثواب

انسان ولا طير ولا دابة الا كانت له صدقة الى يوم القيامة خ قال قتادة كان القوم يتبايعون ويتجرون ولكنهم اذا نابهم حق من حقوق الله تعالى لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله حتى يؤدوه الى الله تعالى وفى كتاب البركة وخير أعمال النساء المغزل روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعمر لهو المرأة المغزل خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يديه وان نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يديه خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان لا يبالى المرء من أين أخذ المال أمن الحلال أم من الحرام زاد رزين فاذ ذاك لا يجاب لهم دعوة * عن أبى بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جسد غذى بحرام عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تشوبوا اللبن بالماء فان رجلا كان فيمن كان قبلكم كان يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قردا وركب البحر حتى اذا لجج فيه ألهم الله القرد صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل ففتح الصرة وصاحبها ينظر اليه فأخذ

الثواب واذا مقت عبدا استعمله باسوأ الاعمال فى أفاضل الاوقات ليضاعف له السيا آت بانتقاص حرمات الشعائر وانتهاك المحرمات فى الحرمات ويقال من علامات التوفيق ثلاث دخول أعمال البر عليك من غير قصد لها وصرف المعاصى عنك مع الطلب لها وفتح باب اللجا والافتقار الى الله عز وجل فى الشدة والرخاء ومن علامات الخذلان ثلاث تعسر الخيرات عليك مع الطلب لها وتيسر المعاصى لك مع الرهب منها وغلق باب اللجا والافتقار الى الله عز وجل فى كل حال فنسال الله تعالى بفضله حسن التوفيق والاختيار ونعوذ به من سوء القضاء والاقدار

(الفصل الحادى والعشرون) فيه كتاب الجمعة وذكر هيا آتها وآدابها وما يستحب من العمل فيها للمريد فى يومها وليلتها صلاة الجمعة واجبة باوصاف وساقطة باوصاف فوجوبها يكون بالاقامة والاستطاعة وحضور وقت الظهر وتكملة عدة أربعين رجلا أحرارا وسقوطها بالسفر ودخول وقت العصر ونقصان العدد ووقوع العذر وهى من أعمال الامراء تصلى خلف كل من أقام بها منهم الا انى أحب اعادتها ظهرا اذا صليت خلف مبتدع فان اجتمع فى بلد كبير جامعان صليت خلف الافضل من امامهما فان استويا فى الفضل صليت فى القديم من الجامعين فان تساويا صليت فى الاقرب منهما الا ان تكون له نية فى الابعد لاستماع علم او نشره أو تعلمه فصلاتها فى الجامع الاعظم وحيث يكون المسلمون أكثر أفضل ومن صلى فى أيهما أحب حسبت صلاته قال ابن جريج قلت لعطاء اذا كان فى المصر جامعان أو ثلاثة فى أيها أصلى قال صل حيث جمع المسلمون فانها جمعة وهو يوم عظم الله تعالى به الاسلام وزينه وشرف به المسلمين وفضلهم قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع الآية فالبيع والشراء محرم بعد الاذان للجمعة عند طائفة من العلماء لعموم النهى عنه ومنهم من قال ورد البيع لانه فاسد الا انى أحسب ان ذلك يحرم عند الاذان الثانى وهو مع خروج الامام اذا قعد على المنبر لان هذا كان هو الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبى بكر وعمر رضى الله عنهما والاذان الاول أحدثه عثمان رضى الله عنه لما كثر الناس وقال الله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله الآية فامر عباده المؤمنين فى يوم الجمعة بالذكر له ونهاهم عن البيع وأمرهم فيه بطلب الفضل منه ووعدهم الخير والفلاح وهما اسمان جامعان لغنيمة الدنيا والآخرة وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وروى عنه صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ حديث آخر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل الى ابن عباس فسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عنه كل ذلك يقول فى النار وتقصد الجمعة من فرسخين أو ثلاثة وتستحب لمن بكر اليها من أهل القرى فادركها وأدركه الليل فاواه الى أهله اذا رجع ان يشهدها الا انها ساقطة عن خمسة الصبى والمملوك والمرأة والمسافر والمريض فمن شهدها من هؤلاء فصلاها أجزأت عنه وكان مؤديا لفرضه وفى الخبر ان أهل الكتابين اعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله عز وجل برحمته له ادخره لهذه الامة جعله عيدا لهم فهم أول الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال أتانى جبريل عليه السلام وفى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير هو له قسم أعطاه الله عز وجل او ليس من قسم أدخر له ما هو أعظم أو يتعوذ من شر هو عليه مكتوب الا أعاذه الله تعالى من أعظم منه وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عز وجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل من عليين على كرسيه وذكر الحديث قال فيه ويتجلى لهم حتى ينظروا الى وجهه ذكرناه بتمامه فى مسند الالف وروى عنه صلى الله عليه وسلم

دينارا ورمى به فى البحر ودينارا فى السفينة حتى قسمها نصفين فالقى ثمن الماء فى الماء قال مر أبو هريرة بانسان يحمل لبنا وقد خلطه بالماء فقال له أبو هريرة كيف لك يوم القيامة حيث يقال لك خلص الماء من اللبن فعليك يا أخى رحمك الله أن لا تشتغل بعد اداء الفرض والرواتب الا بما ينفعك فى معادك أو بمعاشك الذى تستعين به على معادك ولا تضيع ما بقى من أنفاسك فانه مثل الكبريت الاحمر واستعد لرمسك وحشرك واقتد بالسادات الاخيار الذين عمروا ظاهرهم وباطنهم بالتقوى ولم يقعوا يوما فى شرك الهوى (شعر)

قلوب بتقوى الله والذكر عامره
وأوجههم بالقرب والبشر زاهره
يناجون مولاهم بفرط تضرع
وأنوارهم من بهجة الحق باهره
يناديهم الرحمن أنتم أحبتى
وأرواحهم شوقا الى القرب طائره
اذا اجتمعوا فى خلوة الذكر فى الدجى
بمقعد صدق والزجاجة دائره
ترى أعين العشاق نحو حبيبهم
الى ذلك الوجه المقدس ناظره

خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله عز وجل فى الجنة فى أخبار يطول ذكرها وفى الحديث مامن دابة الا وهى قائمة على ساق يوم الجمعة مصيخة أى مصغية تتوقع مشفقة من قيام الساعة الا الشياطين وشقى بنى آدم ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وفى الخبر ان لله عز وجل فى كل يوم جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سلم يوم الجمعة سلم الايام وقال كعب فى الخبر ان الله عز وجل فضل من كل شئ من خلقه شيأ ففضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وفى الخبر ان جهنم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه فافضل مايعمله العبد فى يوم الجمعة البكور الى الجامع فى الساعة الاولى فان لم يفعل فى الساعة الثانية فان لم يفعل ففى الساعة الثالثة لان النبى صلى الله عليه وسلم قال من راح الى الجمعة فى الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا أقرن ومن راح فى الساعة الرابعة فكانما أهدى دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكانما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يسمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فكانما جاء لحق الصلاة وليس من الفضل فى شئ فالساعة الاولى تكون بعد صلاة الصبح والساعة الثانية تكون عند ارتفاع الشمس والثالثة تكون عند انبساطها وهى الضحى الاعلى اذا رمضت الاقدام بحر الشمس والساعة الرابعة تكون قبل الزوال والساعة الخامسة اذا زالت الشمس أو مع استوائها وليس الساعة الرابعة والخامسة مستحبتين للبكور ولا فضل لمصلى الجمعة بعد الساعة الخامسة لان الامام يخرج فى آخرها فلا يبقى الا فريضة الجمعة ويقال ان الناس يكونون فى قربهم من الله عز وجل عند الزيارة للنظر اليه تعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود يوم الجمعة بكرة فرأى ثلاثة نفر وقد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعنى نفسه وما رابع أربعة من الله ببعيد وهذا من اليقين فى هذه المشاهدة للخبر وقد جاء فى الاثر ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وما الذى أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقره فاغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل عنه ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه على طاعتك ولا تقعد الى القصاص يوم الجمعة فقد كره ذلك ولا فى حلقة قبل الصلاة وروينا فى خبر مقطوع عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا الابل فى طلبهن الاذان والصف الاول والغدو الى الجمعة قال أحمد بن حنبل وقد ذكر هذا الحديث افضلهن الغدو الى الجمعة وقد روى فى خبر آخر اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بايديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وروينا فى خبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله تعالى يذكر بايام الله عز وجل ويفقه فى دين الله عز وجل يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة والاستماع الى العلم ولا يدع الغسل لها يوم الجمعة الا من ضرورة فانه عند بعض العلماء فرض والاغتسال فى البيت أفضل وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة فليغتسل وكان أهل المدينة يتسابون بينهم فيقولون لانت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وقد قال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة فقال مازدت بعد ان سمعت الاذان أن توضأت وخرجت فقال عمر والوضوء أيضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل ولكن فى ترك الغسل رخصة لوضوء عثمان مع علمه ويسند ذلك الى الخبر المسند من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل

فيا نفس هذا مشرب القوم فاشربى
عسى أن تكونى عند ذلك حاضره
وتحظى برؤيا من لحسن جماله
غدت ألسن المداح تتلو مفاخره
رسول أتى والشرك كالليل حالك
فأجلى بانوار الرشاد دياجره
رؤف رحيم شاهد متوكل
سراج منير فاز من كان زائره
فلو شاهدت عيناك زوار قبره
وأعينهم كالسحب بالدمع ماطره
وتأتى وفود العاشقين صبابة
الى نحوه من كل فج مبادره
لتهدى نفوسا الجبت فى ظلامها
وكانت ضلالا قبل ذلك حائره
وهبت لها من ذلك الحى نسمة
وأنفاسها من طيب رياه عاطرة
فيا أيها المختار من آل هاشم
ومن كرم الله العظيم عناصره
اغثنا جميعا فى غد بشفاعة
فأنت لكسر القلب مازلت جابره
عليك صلاة الله ماذر شارق
ولاحت نجوم فى دجى الليل زاهره
اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار برحمتك يا أرحم الراحمين

أفضل وروينا عن الصحابة أمرنا بالغسل يوم الجمعة فى الصيف فلما جاء الشتاء كان من شاء اغتسل ومن لم يشأ ترك الغسل وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل فاذلك قال مالك بن أنس ان النساء اذا حضرن الجمعة اغتسلن لها ومن اغتسل من جنابة أجزأه لغسل الجمعة اذا نوى ولا بد من النية لغسل الجنابة لاجل الجمعة فهو أفضل ويكون الغسل للجمعة داخلا فيه فاذا أفاض عليه الماء ثانية بعد غسله للجنابة لاجل الجمعة فهو أفضل دخل بعض الصحابة على ابنه يوم الجمعة وهو يغتسل فقال للجمعة غسلك هذا قال لا بل من الجنابة قال فاعد غسلا ثانيا فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم ان يغتسل يوم الجمعة ومن اغتسل بعد طلوع الفجر للجمعة أجزأه ولكن أفضل الغسل لها عند الرواح الى الجامع وأحب ان لا يحدث وضوأ بعد الغسل حتى يفرغ من صلاة الجمعة فن العلماء من كره ذلك ولكن ان بكر الى الجامع فتوضأ هنالك من حدث لحقه لامتداد الوقت فانه على غسل الجمعة ويستحب ان يستاك وان يلبس من صالح ثيابه ويجتنب الشهرة من الثياب ومن أفضل ما لبس البياض أو بردين يمانيين ولبس السواد يوم الجمعة ليس من السنة ولا من الفضل ان ينظر الى لابسه وليقلم أظفاره ويأخذ من شاربه فقد روى فضل ذلك من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمره وقد روينا عن ابن مسعود وغيره من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منها داء وادخل شفاء وليتطيب باطيب طيبه مما ظهر ريحه وخفى لونه فذلك طيب الرجال وطيب النساء مما ظهر لونه وخفى ريحه روينا ذلك فى الاثر وتستحب العمامة يوم الجمعة وقد روينا فيها حديثا شاذا عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه الحر فلا بأس ان ينزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن يخرج من منزله الى الجامع وهو لابسها ولا يصلى الا معتما لتحصل له فضيلة العمة فان نزعها فليلبسها حينئذ عند صعود الامام المنبر ثم ليصل وهى عليه فان شاء نزعها بعد ذلك وليخرج الى الله عز وجل خاشعا متواضعا ذا سكينة ووقار واخبات وافتقار وليكثر من الدعاء والاستغفار وينوى فى خروجه زيارة مولاه فى بيته والتقرب اليه باداء فريضته والعكوف فى المسجد الى حين انقلابه ثم لينو كف جوارحه عن اللهو واللغو ويتق الشغل حين يخدم مولاه وليترك راحته فى ذلك اليوم فى مهناه من عاجل حظ دنياه وليواصل الاوراد فيه فيجعل أوله الى انقضاء صلاة الجمعة للخدمة بالصلاة وأوسطه الى صلاة العصر لاستماع العلم ومجالس الذكر وآخره الى غروب الشمس للتسبيح والاستغفار فكذلك كان المتقدمون يقسمون يوم الجمعة هذه الاقسام الثلاثة وان صامه فحسن يضم اليه يوم الخميس أو يضيف اليه يوم السبت وقد كره افراده بصوم ومن لم يصمه وكان له أهل فالمستحب ان يجامع فيه فقد روى فضل ذلك وكان بعض السلف يفعله وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل وغدا وبكر ودنا من الامام ولم يلغ كان له بكل خطوة صيام سنة وقيامها وفى خبر آخر ودنا من الامام واستمع كان له ذلك كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفى لفظ آخر غفر له الى الجمعة الاخرى وقد اشترط فى بعضها ولم يتخط رقاب الناس فمعنى قوله من غسل بالتشديد أى غسل أهله كناية عن الجماع وبعض الرواة يخففه فيقول غسل واغتسل فيكون معناه غسل رأسه واغتسل لجسده وليتق أن يتخطى رقاب الناس فان ذلك مكروه جدا وقد جاء فيه وعيد شديد ان من فعل ذلك جعل جسرا يوم القيامة على جهنم تتخطاه الناس وقال ابن جريج حدثنا مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم وجلس فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبى الله قد جمعت فقال أولم أرك تتخطى رقاب الناس وفى حديث مسند ان النبى صلى الله عليه وسلم قال له ما منعك ان تصلى معنا الجمعة فقال أولم ترنى قال قد رأيتك تأنيت وآذيت أى تأخرت عن البكور وآذيت بالحضور ولا يقعد الى القصاص فى يوم الجمعة فقد كره ذلك ولا فى حلقة قبل

(فصل) ثم ان كان لك قيام بالليل أو سهر فى الخير فنم قبل الزوال ثم انتبه قبل الزوال وتوضأ وصل أربع ركعات سنة الظهر ثم صل الفريضة ثم أربع ركعات روى الترمذى وغيره ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حافظ على اربع ركعات قبل الظهر وأربع ركعات بعدها حرمه الله على النار ثم اشتغل باحد الامور الاربعة المذكورة الى العصر ثم صل سنة العصر أربعا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا ثم صل الفرض واشتغل باحد الامور الاربعة المذكورة خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله ثم اذا اصفرت الشمس فاشتغل بالتسبيح والذكر قال الله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وروى ابن السنى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لان اجلس مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة العصر الى ان تغرب الشمس أحب الى من ان اعتق ثمانية من ولد اسمعيل ثم صل المغرب بو راتبتها وروى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى بعد المغرب عشرين

الصلاة فقد روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن عبد الله بن عمران النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا ان يكون عالما بالله عز وجل يذكر بايام الله ويفقه فى الدين يتكلم فى الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور الى الجمعة وبين الاستماع الى العلم وقد روينا عن بعض علماء السلف قال ان الله تعالى فضلا من الرزق سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة وفى الخبر المشهور ان فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيأ الا أعطاه وفى لفظ آخر لا يصادفها عبد يصلى واختلف فى وقت هذه الساعة فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل اذا قام الناس الى الصلاة وقيل عند الزوال ويقال مع الاذان وقيل هى اذا صعد الامام المنبر وأخذ فى الذكر وقيل بعد العصر من آخر أوقاتها وقيل عند غروب الشمس اذا تدلى حاجبها الاسفل كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تراعى ذلك الوقت وتأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فيؤذنها بسقوطها فتأخذ فى الدعاء والاستغفار فى ذلك الوقت الى أن تغرب الشمس وتخبر ان تلك الساعة هى المنتظرة وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وسلم فهذا جل ما قيل فى هذه الساعة بروايات جاءت فى ذلك متفرقة فحذفنا ذكرها للاختصار فليتوخ هذه الاوقات وليتعهد الدعاء فيها والصلاة فيما صلح منها وقد قال بعض العلماء ان هذه الساعة مبهمة فى جميع اليوم لا يعلمها الا الله عز وجل كانها بمنزلة ليلة القدر مبهمة فى جميع شهر رمضان وكانها مثل الصلاة الوسطى فى جملة الصلوات الخمس وقد قيل انها تنتقل فى ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر عند بعضهم فى ليالى الشهر ذلك ليكون العبد طالبا الى الله عز وجل وراغبا متضرعا مفتقرا فى جميع ذلك اليوم فمن واصل الاوراد فيه وعمر بالذكر كل ساعة صادفها باذن الله عز وجل فان لم يواصل الساعة فى يوم واحد فليواصلها فى جمع شتى وقتا على وقت على ترتيب أوقات يوم فانها تقع فى جميع الاوقات لا محالة وليكثر الدعاء والتضرع فى وقتين خاصة عند صعود الامام المنبر الى ان تقام الصلاة ويدخل فيها وعند آخر ساعة وقت تدلى الشمس للغروب فهذان الوقتان من أفضل أوقات الجمعة ويقوى فى نفسى ان فى أحدهما الساعة المرجوة وقد اجتمع كعب الاحبار مع أبي هريرة واجتمع رأى كعب انها فى آخر ساعة من يوم الجمعة فقال أبو هريرة كيف تكون آخر ساعة وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يوافقها عبد يصلى ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد ينتظر الصلاة فهو فى صلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة فكأنه وافقه وليكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فى يوم الجمعة وليلتها وأقل ذلك ان يصلى عليه صلى الله عليه وسلم ثلثمائة مرة وقد جاء فى الخبر من صلى على فى يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وتعقد واحدة فكيف ما صلى عليه بعد ان يأتى بلفظ ذكر الصلاة عليه فهى صلاة والصلاة المشهورة هى التى رويت فى التشهد وان جعل من صلاته عليه ان يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء واعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذى وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جزيت نبيا عن امته وصل على جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات ففى هذا فضل عظيم ويقال من قاله سبع جمع فى كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان زاد هذه الصلاة فهى مأثورة اللهم اجعل فضائل صلواتك وشرائف زكواتك ونوامى بركاتك ورأفتك ورحمتك وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع فى أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا فى زمرته واجعلنا من أهل شفاعته وأحينا

على

ركعة بنى الله له بيتا فى الجنة وروى الترمذى والنسائى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات على اثر المغرب بعث الله عز وجل له مسلحة يتكفلون من الشيطان حتى يصبح وكتب الله له عشر حسنات موجبات ومحا عنه عشر سيئات موبقات وكانت له عدل عشر رقاب مؤمنات ثم صل العشاء وراتبتها والسنة لمن أوتر بثلاث ركعات ان يقرأ فى الاولى سبح اسم ربك الاعلى وفى الثانية قل يا أيها الكافرون وفى الثالثة قل هو الله أحد والمعوذتين وقل بعد الوتر سبحان الملك القدوس ثلاث مرات اللهم انى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت عليك ثم اشتغل الى النوم بما ينفعك فى آخرتك ونم طاهرا تائبا عازما على قيام الليل وقل عند النوم باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين ولا تترك قيام الليل وان قل فركعتان فى جوف الليل

على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فتانين ولا مفتونين آمين رب العالمين وليكثر من الاستغفار يوم الجمعة وليلتها وأى لفظ ذكر فيه سؤال المغفرة فهو مستغفر وان قال اللهم اغفر لى وتب على انك أنت التواب الرحيم فهو أفضل وان قال رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت خير الراحمين فحسن واستحب له ان يقرأ ختمة يوم الجمعة فان ضاق عليه ذلك فليشفع اليه ليلتها ليكون ابتداؤه من ليلة الجمعة وان جعل ختمه للقرآن فى ركعتى الفجر من يوم الجمعة أو فى ركعتى المغرب ليلة الجمعة فحسن ليستوعب بذلك كله اليوم والليلة وان جعل ختمه بين الاذان للجمعة والاقامة للصلاة ففيه فضل عظيم ويستحب ان يصلى قبل الجمعة اثنى عشر ركعة وبعدها ست ركعات واذا دخل الجامع فليصل أربع ركعات يقرأ فيهن قل هو الله أحد مائتى مرة فى كل ركعة خمسين مرة ففيه أثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له واذا دخل الجامع فلا يقعدن حتى يصلى ركعتين قبل ان يجلس وكذلك ان دخل والامام يخطب صلاهما خفيفتين وان منعه لامر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك لانه قد جاء فى حديث غريب ان النبى صلى الله عليه وسلم سكت له حتى صلاهما فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاهما ولعل سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم مخصوص له لوجوب قوله وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطى نورا من حيث يقرأها الى مكة وغفر له الى الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفى من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال واستحب ان يصلى يوم الجمعة أربع ركعات بأربع سور سورة الانعام وسورة الكهف وسورة طه ويس فان لم يحسن ذلك قرأ سورة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور فى كل ليلة جمعة ففى ذلك أثر وفضل كبير فان لم يحسن جميع القرآن قرأ ما يحسن منه فذلك له ختمة فقيل ختمة من حيث علمه وقد كان العابدون يستحبون ان يقرؤا يوم الجمعة ألف مرة قل هو الله أحد فان قرأها فى عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وقد كانوا يصلون على النبى صلى الله عليه وسلم ألف مرة ومن التسبيح والتهليل بالكلمات الاربع ألف مرة وهذه ثلاثة أوراد حسنة فى يوم الجمعة أعنى قراءة قل هو الله أحد والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم والتسبيح والتهليل ألفا ألفا فلا يدع ذلك من رزقها أو أحدها فانه من أفضل الاعمال فى هذا اليوم وان صلى يوم الجمعة قبل الزوال صلاة التسبيح وهى ثلثمائة تسبيحة فى أربع ركعات فقد أكثر وأطاب وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلها فى كل جمعة مرة وذكر أبو الجوزاء عن ابن عباس انه لم يكن يدع هذه الصلاة كل يوم بعد الزوال وأخبر عن فضلها ما يجل وصفه وان قرأ المسبحات الست فى يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ السور بأعيانها الا يوم الجمعة وليلتها فانا رويناه انه كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ فى صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة بسورة الجمعة وسورة المنافقين وقد روى انه كان يقرأ بهاتين السورتين فى صلاة الجمعة وكان يقرأ فى صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان واستماعه الى علم اليقين والمعرفة وحضور مجالس الذكر أفضل من صلاته وصلاته أفضل من حضوره مجالس القصاص وروينا فى حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وفى خبر آخر لان يتعلم أحدكم بابا من العلم أو يعلمه خير له من صلاة ألف ركعة وفى خبر قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل ينفع القرآن الا بعلم والصلاة اذا عدم مجالس العلم بالله والتفقه فى دين الله عز وجل أزكى من حضور مجلس القصص ومن الاستماع الى القصاص فان القصص كان عندهم بدعة وكانوا يخرجون القصاص من الجامع روى ان ابن عمر جاء ذات يوم الى مجلسه فى المسجد فاذا قاص يقص فقال

كنز من كنوز الجنة ففى صحيح البخارى ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وروى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم الى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الاثم ابن آدم واظب على هذا الترتيب بقية عمرك واصبر على هذا أياما قلائل رجاء لاستراحة أبد الآباد صبر المريض على مر الدواء رجاء الشفاء ولا تطول أملك فيثقل عليك عملك والاستعداد للموت أولى من الاستعداد للدنيا فان فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا شديدا لا آخر له وان سوفت خسرت عند الموت خسرانا لا آخر له قال خالد الوراق كانت لى جارية شديدة الاجتهاد فدخلت عليها يوما فذكرتها بشئ من رفق الله تعالى وقبوله يسير العمل فبكت ثم قالت يا خالد انى لأؤمل من الله عز وجل آمالا لو حملتها الجبال لأشفقت من حملها كما ضعفت عن حمل الامانة وانى لأعلم ان

له قم من مجلسى فقال لا أقوم وقد جلست فيه أو قال قد سبقتك اليه قال فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه فلو كان ذلك من السنة لما حل لابن عمر ان يقيم من مجلسه سيما وقد سبقه الى الموضع كيف وهو الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقيم أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا قال فكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروينا ثم يجلس فيه وقد روينا ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة يقص فارسلت الى ابن عمر ان هذا قد آذانى بقصصه وشغلنى عن سبحتى قال فضربه ابن عمر حتى كسر عصا على ظهره ثم طرده وليحذر ان يمر بين يدى المصلى وان كان مروره لا يقطع الصلاة ففى الخبر لأن يقف أربعين سنة خير له من ان يمر بين يدى المصلى وقد جاء فيه وعيد شديد لان يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من ان يمر بين يدى المصلى وقد سوّى فى ذلك بين المار والمصلى فى الوعيد ففى حديث زيد بن خالد الجهنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم المار بين يدى المصلى والمصلى ما عليهما فى ذلك لكان ان يقف أربعين خير له من ان يمر بين يديه وليدن المصلى من اسطوانة أو جدار فاذا فعل ذلك فلا يدع أحدا ان يمر بين يديه وليدفعه ما استطاع وفى حديث عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال فان أبى فليقاتله فانما هو شيطان وكان أبو سعيد يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه مروان فيخبره ان النبى صلى الله عليه وسلم أمره بذلك فان لم يتفق له اسطوانة فليجعل شيأ بين يديه يكون طوله عظم الذراع وقد قيل ان كان حبلا ممدودا فاحتجز بينه وبين المارة وقد قيل أربع من الجفاء ان يبول الرجل قائما أو يصلى فى الصف الثانى ويترك الاول فارغا أو يمسح جبهته فى صلاته أو يصلى بسبيل من يمر بين يديه وقد كان الحسن يقول تخطوا رقاب الذين يقعدون على أبواب الجامع يوم الجمعة فانه لا حرمة لهم وليقرب من الامام وينصت ويسمع ويستقبله بوجهه كذلك السنة الآن يخاف ان يسمع أو يرى منكرا من لبس نقش سواد أو حرير أو ديباج أو جيل سلاح ثقيل ولا يستطيع تغييره فليبعد حينئذ فهو أسلم ولا يلغو ولا يتكلم فى خطبة الامام وان بعد ولا يجالس فى حلقة من يتكلم والامام يخطب ولا يقول لآخر اسكت ولكن يومئ اليه ايماء أو يحصبه بحصاة فان لغا والامام يخطب بطلت جمعته ولا يتكلم فى العلم فى خطبة الامام ومن لم يقرب من الامام ولم يستمع فلينصت وان بعد كذلك المستحب وقد روينا عن عثمان وعلى رضوان الله عليهما من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وفى حديث أبى ذر لما سأل ابيا والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فاومأ اليه أن اسكت فلما نزل النبى صلى الله عليه وسلم فقال له أبى اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبى وكذلك جاء فى الخبر من قال لصاحبه والامام يخطب انصت أومه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وليقطع الصلاة اذا قام المؤذنون للاذان بين يدى الامام فقد روى أبو اسحق عن الحرث عن على رضوان الله عليهم تكره الصلاة فى أربع ساعات بعد الفجر وبعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب وقد جاء فى الاثر خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام وسجود العامة عند قيام المؤذنين للاذان قبل الخطبة ليس بسنة فان وافق ذلك سجوده فى صلاته أو سجود قرآن فلا بأس ان يمتد فى الدعاء الى فراغهم لانه وقت مفضل ولا أعرف فى ذلك أثرا غير انه مباح ومن العلماء من كره الصلاة فى المقصورة لاجل انها قصرت على السلطان وأوليائه وذلك بدعة عند أهل الورع ابتدعت فى المساجد لانها غير مطلقة لجملة الناس فلذلك نقل فى الخبر كان الحسن وبكر المزنى لا يصليان فى المقصورة وروى رأيت أنس بن مالك يصلى فى المقصورة وعمران بن حصين أيضا ومنهم من لم يكره ذلك ورأيت فيه فضلا لاجل السنة فى الدنو من الامام واستماع الذكر فان اطلقت للعامة زالت الكراهة عنها وان خص بها أولياء السلطان تركت عليهم فان صلى لا يصلى فيها فان بعض العلماء كره الصلاة فى فناء المنبر من قبل ان المنبر يقطع الصفوف وكان

فى كرم الله عز وجل مستغاثا لكل مذنب ولكن كيف بحسرة السباق قال وماحسرة السباق قالت غدا أتحسر اذا بعثر ما فى القبور وركب الابرار نجائب الاعمال فاستبقوا الى الصراط وعزة سيدى لا يسبق مقصر مجتهدا أبدا ولو حبا المجتهد حبوا أم كيف لى بموت الحزن والكمد اذا رأيت القوم يتراكضون وقد رفعت اعلام المحسنين ثم بكت وقالت يا خالد لا يقطعك قاطع عن سرعة المبادرة بالاعمال فانه ليس بين الدار بن دار يدرك فيها الخدام ما فاتهم من الخدمة فويل لمن قصر عن خدمة سيد، ومعه الآمال فهلا كانت الآمال توقظهم اذا نام البطالون والله أعلم وكانت رابعة العدوية تقول فى حال الخوف (شعر)

ألا أيها المأمول فى كل شدة
اليك شكوت الضر فارحم شكايتى
ألا يا رجائى أنت كاشف كربتى
أقانى ذنوبى كلها واقض حاجتى
وزادى قليل ما أراه مبلغى
للزاد أبكى أم لبعد مسافتى
أتيت باعمال قباح ردية
وما فى الورى جان جنى كجنايتى

عندهم

عندهم ان تقدمة الصفوف الى فناء المنبر بدعة وكان الثورى يقول الصف الاول هو الخارج من بين يدى المنبر ومن خشى الفتنة والآفة فى قربه من الامام بان يسمع ما يجب عليه انكاره أو يرى ما يلزم الامر فيه أو النهى عنه من لبس حرير أو لبس ديباج أو الصلاة فى السلاح الثقيل المشغل كان بعده من الصفوف المقدمة أصلح لقلبه واجمع لهمه لقلة ملاقاة الناس ولترك النظر اليهم فالاصلح للقلب والاجمع للهم هو الافضل حينئذ وقد كان جماعة من العلماء والعباد يصلون فى أواخر الصفوف ايثارا للسلامة وقيل لبشر ابن الحرث نراك تبكر يوم الجمعة وتصلى فى اواخر الصفوف فقال يا هذا انما يريد قرب القلوب لا قرب الاجساد ونظر سفيان الثورى الى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع الى خطبة أبى جعفر فلما جاءه بعد الصلاة قال شغل قلبى قربك من هذا هل أمنت ان تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد قلت يا أبا عبد الله أليس فى الخبر ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فاما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب لك الى الله عز وجل وقد روينا عن أبى الدرداء فضيلة فى الصف المؤخر قال سعيد بن عامر صليت الى جنبه فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم الا ان هذه أمة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله عز وجل اذا نظر الى عبد منهم فى الصلاة غفر لمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء ان يغفر لى بواحد منهم ينظر الله اليه وقد رفعه بعض الرواة ان أبا الدرداء سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ذلك والصدقة مستحبة مفضلة يوم الجمعة خاصة فانها تضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم فى كلام الامام فهذا مكروه قال صالح بن أحمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان بجنب أبى فاعطاه رجل قطعة ولم يعرفه ليناوله اياها فلم يأخذها منه أبى وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل فى المسجد فقد استحق ان لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على سؤال الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا ان يسأل قائما من غير ان يتخطى المسلمين أو قاعدا فى مكان وروينا عن كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف يتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وخشوعهما وسجودهما ثم يقول اللهم انى أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذى لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله عز وجل شيأ الا أعطاه وقد روينا عن بعض السلف على غير هذا الوصف قال من أطعم مسكينا فى يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام اللهم انى أسألك بسم الله الرحمن الرحيم الحى القيوم ان تغفر لى وترحمنى وان تعافينى من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له وان سمع قراءة الامام لم يقرأ فى صلاته الا سورة الحمد لا غير وان لم يسمع قراءته قرأ سورة مع الحمد ان أحب فاما من سمع قراءة الامام وقرأ معه سورة الجمعة أو غيرها من السور فقد خالف الامة وعصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أعلمه مذهب أحد من المسلمين فاذا سلم من صلاة الجمعة قرأ وهو ثان رجله قبل ان يتكلم الحمد سبع مرات وقل هو الله أحد سبعا والمعوذتين سبعا سبعا فى ذلك أثر عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان ذلك حرزا له من الشيطان واستحب له ان يقول بعد صلاة الجمعة اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء اغناه الله عز وجل عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب وقد روى ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة انه كان يصلى بعدها أربعا وروى على وعبد الله رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعدها ستا فاذا صلى العبد ست ركعات فقد استوعب جميع الروايات وأكره شراء الماء فى المسجد للشرب أو للتسبيل لئلا يكون مبتاعا فى المسجد فقد كره الشراء والبيع فى المسجد فان بايعه أو دفع اليه القطعة خارجا من المسجد وشرب أو سبل فى المسجد فلا بأس وقد جاء عن بعض السلف انه كره الصلاة فى رحاب الجامع عن بعض الصحابة انه كان

أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فأين رجائى فيك أين مخافتى اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة

*(فصل) اعلم ان الصلاة أفضل العبادات البدنية وتركها اقطع شئ فى الدين قال الله سبحانه وتعالى فخلف من بعدهم خلف قال مجاهد وعكرمة وعطاء هم من هذه الامة فى آخر الزمان أضاعوا الصلاة أى تركوها أو أخروها عن الوقت واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا أى شرا وخسرانا وقال عبد الله بن مسعود هو واد فى جهنم يسيل فيه صديد أهل النار خم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وروى أحمد عن أبى ذر ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج زمن الشتاء والورق يتهافت فقال فأخذ بغصنين من شجرة قال فجعل ذلك الورق يتهافت فقال يا أبا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال ان العبد المسلم ليصلى الصلاة يريد بها وجه الله فتهافت عنه ذنوبه كما تهافت هذا الورق عن هذه الشجرة ت عن عبد الله بن شقيق قال كان أصحاب رسول الله صلى

بضرب الناس ويقيمهم من الرحاب ويقول لا تجوز الصلاة في الرحاب فهذا عندي على ضربين وهوان الصلاة في رحاب الجامع الزوائد فيه المتصلة بالصفوف المحيط بها حائط الجامع الاعظم كالصلاة في وسطه غير مكروهة والصلاة في رحابه المتفرقة في أفنيته التي هي من وراء جدار الجامع كله مكروهة وكذلك الصلاة في الطرقات المنفردة عن الجامع غير المتصلة بالصفوف لحجز طريق أو بعده كان فلا يجوز وهذا الذي كرهه من كان ينهى عن الصلاة فيه فاذا صلى الجمعة انتشر في أرض الله عز وجل يطلب من فضل الله عز وجل ومن الفضل طلب العلم واستماعه ويقال هو مزيد يوم الجمعة للعالم والمتعلم قال الله عز وجل وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا يعني العلم بدليل نظيرها من الآية الاخرى في قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذي فضلنا وروينا عن أنس بن مالك في قوله عز وجل فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله قال أما انه ليس بطلب دنيا ولكنه عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل فان الذكر بالعلم وتعليم الناس اياه والتذكير بالله عز وجل والدعوة اليه في يوم الجمعة له فضل على سائر الايام لانه يوم المزيد فالقلوب فيه اقبال وتجديد وكذلك السعي اليه والاستماع له وحضور مجالس الذكر يوم الجمعة لا مجالس القصاص أفضل من سائر الايام والمستمع شريك القائل في الاجر وقد قيل انه أقرب للرحمة وقد كره العلماء الجلوس الى القصاص سيما يوم الجمعة خاصة لانهم يثبطون عن الغدو الى الجامع في الساعة الاولى والثانية لان الكتاب ورد بالفضل فيهما فان اتفق له عالم بالله عز وجل يذكر به ويدله عليه من علماء الآخرة الزاهدين في الدنيا يوم الجمعة غدوة في الجامع أو بعد صلاة الجمعة جلس اليه واستمع منه وان حضر مفت يتكلم بعلم الدين وكان العبد محتاجا الى ذلك وجالسه فهو الافضل فان مجالس العلماء في الجامع من زين يوم الجمعة ومن تمام فضله قال الحسن الدنيا ظلمة الا مجالس العلماء فان لم يتفق له ذلك أحيا ما بين الصلاتين وهو الورد الخامس من النهار ويستحب صلاة العصر في الجامع الا لسبب لابد منه ومانع وان قعد الى غروب الشمس فهو أثوب للساعة المنتظرة من آخر النهار اذا أمن الفتنة والتصنع والكلام فيما لا يعنيه ويقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب كان له ثواب عمرة فان خشي دخول الآفة عليه أولم يأمن التصنع والخوض فيما لا يعنيه انصرف الى منزله ذاكرا لله عز وجل مفكرا في آلائه وحسن نعمائه فراعى غروب الشمس بالاذكار والتسبيح والاستغفار في منزله أو مسجد حيه فذلك حينئذ أفضل له وقال بعض السلف أوفر الناس نصيبا يوم الجمعة من راعاها وانتظرها من الامس وأخس الناس منها نصيبا من يصبح يوم الجمعة فيقول ايش اليوم وقد كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لاجل صلاة الجمعة ومنهم من كان يبيت ليلة السبت في الجامع لمزيد الجمعة وكثير من السلف من كان يصلي الغداة يوم الجمعة في الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة لاجل البكور وليستوعب فضل الساعة الاولى ولاجل ختم القرآن وعامة المؤمنين كانوا ينحرفون من صلاة الغداة في مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوأة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما ترون اليوم في الاعياد حتى درس ذلك وقل وجهل وترك أولا يستحي المؤمن ان أهل الذمة يبكرون الى كنائسهم وبيعهم قبل خروجه الى جامعه أولا يعتبر بأهل الاطعمة الباعة في رحاب الجامع انهم يغدون الى الدنيا والناس قبل غدوه هو الى الله تعالى والى الآخرة فينبغي أن يسابقهم الى مولاه ويسارعهم الى ماعنده من زلفاه ويجب أن يكون للمؤمن يوم الجمعة مزيد في الاوراد والاعمال وليتفرغ فيه لربه عز وجل ويجعله يوم آخرته لم يكن له يوم السبت فيوم الجمعة في الاوراد المتصلة والمزيد من الاذكار على المعلوم منها فلا يكون الجمعة كالسبت في تجارة الدنيا والشغل بأسبابها أو أكره له التأهب ليوم الجمعة في باب الدنيا من يوم الخميس من اعداد المأكول والترفه من النعمة والاكل والشرب فقد

روينا

الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الاعمال تركه كفر غير الصلاة ثم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الذي يفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله أي سلبهما فبقي بلا أهل ولا مال وروى ابن ماجه عن أبي الدرداء قال أوصاني خليلي ان لا تشرك بالله شيئا وان قطعت وحرقت ولا تترك صلاة مكتوبة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر ثم عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ومن تركها فقد كفر أي استحق عقوبة الكافر فان ترك كسلا الظهر أو العصر الى غروب الشمس او المغرب أو العشاء الى طلوع الفجر او الصبح الى طلوع الشمس استتيب فان تاب والاقتل بضرب عنقه حدا وقيل كفرا وان ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر وقتل ولم يصل عليه ولم يدفن مع المسلمين وروى أحمد والدارمي والبيهقي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الصلاة يوما فقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا

روينا حديثا من طريق أهل البيت فيه نظران النبي صلى الله عليه وسلم قال يأتى على أمتى زمان يتأهبون لجمعتهم فى أمر دنياهم عشية الخميس كما يتأهب اليهود لسبتها عشية الجمعة وانما كان المؤمنون يتأهبون فيه للآخرة بالاوراد الحسنة و يزدادون من الاوراد المتصلة وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول من أخذ مهنأه من الدنيا فى هذه الايام لم ينل مهنأه فى الآخرة منها يوم الجمعة وقال أيضا يوم الجمعة من الآخرة ليس هو من الدنيا وقال بعضهم لولا يوم الجمعة ما أحببت البقاء فى الدنيا فهو عند الخصوص يوم العلوم والانوار و يوم الخدمة والاذكار لانه عند الله عز وجل يوم المزيد بالنظر اليه فى المزار وروينا حديثا غريبا عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا أشغالكم يوم الجمعة فانه يوم صلاة وتهجد وروينا عن جعفر الصادق قال يوم الجمعة لله عز وجل ليس فيه سفر قال الله تعالى وابتغوا من فضل الله وما ذكرناه من الصلاة والسور المقروأة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الذكر فى يوم الجمعة فانه يستحب فى ليلتها وهى من أفضل الليالى فلا بد عن ذلك من وجد اليه سبيلا فان للصادق المريد فى كل وقت مفضل من الله عز وجل مزيدا فاذا أحب الله تعالى عبدا استعمله فى الاوقات الفاضلة بفواضل الاعمال واذا مقت عبدا استعمله فى الاوقات المفضلة بسيء الاعمال ليكون أوجع فى عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ومما يختص به يوم الجمعة من الذكر والتمجيد بالاسماء فصول أربعة * أولها الاربعون اسما التى دعا بها ادريس صلى الله عليه وسلم خصه الله تعالى بها وذكر الحسن البصرى ان موسى صلى الله عليه وسلم قد كان دعا بهن وانها كانت من دعاء محمد صلى الله عليه وسلم * والفصل الثانى كان ابراهيم بن أدهم الزاهد يدعو بها كل يوم جمعة عشر مرات اذا أصبح واذا أمسى فكان ذلك من عمله فى يومه * والفصل الثالث روينا عن على رضى الله عنه رواه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يمجد نفسه فى كل يوم وليلة * والفصل الرابع تسبيحات أبى المعتمر وهو سليمان التيمى الذى كان رأى الشهيد بعد قتله فى المنام فقيل له ما أفضل ما رأيت هنالك من الاعمال فقال رأيت تسبيحات أبى المعتمر من الله عز وجل بمكان فاما هذان الفصلان من تمجيد الرب سبحانه وتعالى نفسه وتسبيحات أبى المعتمر فقد ذكرناهما فى أول الكتاب فيما اخترنا من الادعية المختارة بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فى كل يوم فاستثقلنا اعادتها ههنا وأما الفصلان الآخران فنحن ذاكروهما * ذكر دعاء ادريس النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى الشاهد حدثنا القاسم بن داود القراطيسى حدثنا عبد الله بن محمد القرشى حدثنا محمد بن سعيد المؤذن حدثنا سلام الطويل عن الحسن البصرى قال لما بعث الله عز وجل ادريس الى قومه علمه هذه الاسماء فاوحى الله اليه قلهن سرا فى نفسك ولا تبدهن للقوم فيدعونى بهن قال وبهن دعا فرفعه الله عز وجل مكانا عليا ثم علمهن الله عز وجل موسى عليه السلام ثم علمهن الله عز وجل محمدا صلى الله عليه وسلم وبهن دعا فى غزوة الاحزاب قال الحسن وكنت مستخفيا من الحجاج فدعوت الله بهن فحبسه عنى ولقد دخل على ست مرات فادعو الله بهن فأخذ الله عز وجل بابصارهم عنى فادع الله عز وجل بهن لالتماس المغفرة لجميع الذنوب ثم سل حاجتك من أمر آخرتك ودنياك فانك تعطاه ان شاء الله تعالى فانهن أربعون اسما عدد أيام التوبة سبحانك لا اله الا أنت يارب كل شئ ووارثه ورازقه وراحمه يا اله الآلهة الرفيع جلاله يا الله المحمود فى كل فعاله يا رحمن كل شئ وراحمه يا حى حين لا حى فى ديمومة ملكه وبقائه يا قيوم فلا يفوت شئ من علمه ولا يؤده يا واحد الباقى فى أول كل شئ وآخره يا دائم فلا فناء ولا زوال لملكه يا صمد من غير شبيه ولا شئ كمثله يا بارئ فلا شئ كفوه ولا مكان لوصفه يا كبير أنت الذى لا تهتدى القلوب لوصف عظمته يا بارئ النفوس بلا مثال خلا من غيره يا زاكى الطاهر من كل آفة تقدسه يا كافى الموسع لما خلق من عطايا فضله يا نقيا من كل جور لم يرضه ولم يخالطه فعاله يا حنان أنت الذى وسعت كل شئ رحمة وعلما يا منان ذا الاحسان قد عم كل الخلائق منه يا ديان العباد كل يقوم خاضعا

ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف أيها المسكين كيف تصبر على نار وقودها الناس والحجارة وعلى مقاساة عذاب مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف الذين هم أشد على الرحمن عتيا ونفسك لا تقدر على الصبر على حر نار الدنيا ولا حر الظهيرة ويمكن ان يكون فى قوله صلى الله عليه وسلم مع قارون وفرعون وهامان وأبى بن خلف اشارة الى سلب الايمان نعوذ بالله من ذلك فاى بدن يصبر على خلود نار يزيد حرها على نار الدنيا بتسعة وستين جزأ فيها ملائكة غلاظ شداد بأيديهم مقامع لو ضربت بها الجبال تكسرت يصب على رؤسهم بعد ما ضرب بها رؤسهم الحميم لو وقع قطرة منه على جبل الدنيا الذابت يا عاصى أنت عدو لنفسك أم محب لها أمؤمن أنت أم كافر وكيف اجترأت على ترك اطاعة سيدك الذى خلقك سالما سويا ورزقك طيبا هنيا وان الكلب الذى هو أخس الحيوانات يطيع مطعمه فانظر لنفسك وحاسبها قبل ان تحاسب كيلا تندم حين لا ينفع الندم قال الاصمعى مررت يوما بقبور كنت أعرف أهلها أهل سرور ولذات

لرهبته ياخالق من فى السموات والارض وكل اليه معاده يارحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاده ياتام فلا تصف الالسن كل جلال ملكه وعزه يامبدع البدائع لم يبغ فى انشائها عونا من خلقه ياعلام الغيوب فلا يفوته شئ من خلقه ولا يؤده ياحليم ذا الاناة فلا يعادله شئ من خلقه يامعيد ما أفناه اذا برز الخلائق لدعوته من مخافته ياحميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه ياعزيز المنيع الغالب على أمره فلا شئ يعادله ياقاهر ذا البطش الشديد أنت الذى لا يطاق انتقامه ياقريب المتعالى فوق كل شئ علو ارتفاعه يامذل كل جبار عنيد بقهر عزيز سلطانه يانور كل شئ وهداه أنت الذى فلق الظلمات بنوره ياعالى الشامخ فوق كل شئ علو ارتفاعه ياقدوس الطاهر من كل سوء فلا شئ يعادله من خلقه يامبدئ البرايا ومعيدها بعد فنائها بقدرته ياجليل المتكبر عن كل شئ فالعدل أمره والصدق وعده يامحمود فلا تبلغ الاوهام كنه ثنائه ومجده ياكريم العفو ذا العدل أنت الذى ملأ كل شئ عدله ياعظيم ذا الثناء الفاخر وذا العز والمجد والكبرياء فلا يذل عزه ياعجيب فلا تنطق الالسن بكنه آلائه وثنائه ياغياثى عند كل كربة و يامجيبى عند كل دعوة أسألك اللهم يارب الصلاة على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وأمانا من عقوبات الدنيا والآخرة وأن تحبس عنى أبصار الظالمين المريدين بى السوء وأن تصرف قلوبهم عن شر ما يضمرون بى الى خير ما لا يملكه غيرك اللهم هذا الدعاء ومنك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم * ذكر دعاء ابراهيم بن أدهم * حدثنا أحمد بن الموصلى الوكيل بن الموكل حدثنا جعفر بن نصير الخواص الخراسانى حدثنى ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال كان ابراهيم ابن أدهم يقول هذا الدعاء فى يوم الجمعة اذا أصبح و يقوله اذا أمسى مثل ذلك مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد والكاتب الشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه ما يريد أصبحت بالله مؤمنا و بلقائه مصدقا و بحجته معترفا ومن ذنبى مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله عز وجل فى الالهية جاحدا والى الله فقيرا وعلى الله متوكلا والى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلق ومن هو خالقه بانه هو الله لا اله الا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وأن الجنة حق والنار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ولقاءك حق ووعدك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور على ذلك احيا وعليه أموت وعليه أبعث ان شاء الله اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر كل ذى شر اللهم انى ظلمت نفسى فاغفر لى ذنوبى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف اللهم يارب عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك واليك أستغفرك وأتوب اليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعلى آله وسلم كثيرا خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا فى زمرته غير خزايا ولا نادمين ولا ناكثين ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى من العمل واصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولا تضلنى وان كنت ظالما سبحانك سبحانك ياعلى ياعظيم يابار يارحيم ياعزيز ياجبار سبحان من سبحت له السموات باكنافها وسبحان من سبحت له الجبال بأصواتها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الشجر بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والارضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحانك سبحانك ياحى ياحليم سبحانك لا اله الا أنت وحدك لا شريك لك تحيى وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شئ قدير

فاذا

ورفاهة وشهوات فرأيت فى لوح مكتوبا من الابيات
(شعر)
أيها الماشى بين هذى القبور
غافلا عن معقبات الامور
أدن منى أنبئك عنى ولا
ينبئك عنى ياصاح مثل خبير
انا ميت كما ترانى طريح
بين أطباق جندل وصخور
انا فى بيت غربة وانفراد
مع انى بين جيرتى وعشيرى
ليس لى فيه مؤنس غير سعيى
من صلاح سعيته أو فجور
فكذا أنت فاتعظ بى والا
صرت مثلى رهينا ليوم النشور
اللهم انا نسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وتصلح بها دينى

(فصل) اعلم انه لا تبرأ ذمتك من عهدة الصلاة الا بادائها مراعيا لشروطها وأركانها فلا تصح صلاة ان اختل شرط من شروطها أو ركن من أركانها وهى تسعة عشر النية وتكبيرة الاحرام والقيام وقراءة الفاتحة بحروفها وتشديداتها والركوع والطمأنينة فيه وهى ان ينفصل رفعه عن هويه والاعتدال والطمأنينة فيه والسجود والطمأنينة فيه والجلوس بين السجدتين والطمأنينة فيه والسجدة الثانية والطمأنينة فيها والتشهد

فاذا دعا بهذه الادعية الاربع يوم الجمعة فقد كمل الله عز وجل عمله وتمم عليه فضله فاذا عمل بخير ما ذكرناه من الاعمال والاذكار واجتنب سيء ما ذكرناه من الاقوال والافعال فهو من أهل الجمعة وممن له المزيد منها نصيبا موفورا وكان عمله الخالص وذكره الصادق عند الله عز وجل مشكورا وهذا آخر كتاب الجمعة وهيآتها وآدابها

(الفصل الثاني والعشرون) فيه كتاب الصيام وترتيبه ووصف الصائمين وذكر ما يستحب للعبد من الصيام وطرقات الصائمين في الصوم ووصف صوم الخصوص قال الله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة جاء في التفسير الصبر يعني الصوم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى رمضان شهر الصبر لان الصبر حبس النفس عن الهوى وايقافها وحبسها على أمر المولى وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصبر نصف الايمان والصوم نصف الصبر وقال الله تعالى واستعينوا بالصبر قيل معناه على مجاهدة النفس وقيل على مصابرة العدو وقال بعض العلماء استعينوا بالصبر على الزهادة في الدنيا بالصوم لان الصائم كالزاهد العابد فالصوم مفتاح الزهد في الدنيا وباب العبادة للمولى لانه منع النفس عن ملاذها وشهواتها من الطعام والشراب كما منعها الزاهد العابد بدخوله في الزهد وشغله بالعبادة ولذلك جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما في المعنى فقال ان الله عز وجل يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته من أجلي المبتذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال في الصائم مثل ذلك يقول عز وجل يا ملائكتي انظروا الى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي ففي الصوم عون على مجاهدة النفس وقطع حظوظها ومنع عادتها وفيه اضعاف لها ونقصان لهواها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به فأضافه عز وجل اليه تفضيلا له وتخصيصا كما قال تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وكما قال انما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها فلما كانت المساجد أحب بيوت الدنيا اليه وكانت مكة أشرف البلاد عنده أضافها الى ذكره وله كل شيء كذلك لما كان الصيام أفضل الاعمال عنده وأحبها اليه لان فيه تخلقا من أخلاق الصمدية ولانه من أعمال السر بحيث لا يطلع عليه الا هو أضافه لنفسه وقيل ما في عمل ابن آدم شيء الا ويقع فيه قصاص ويذهب برد المظالم الا الصوم فانه لا يدخله قصاص ويقول الله عز وجل يوم القيامة هذا لي فلا يقتص منه أحد شيأ يقال ما من عمل الا وله جزاء معلوم الا الصوم فانه لا تعلم نفس ما جزاؤه ويكون أجره بغير حساب يفرغ له افراغا ويجازف مجازفة وهو أحد الوجوه في قوله عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون قيل كان عملهم الصيام وكذلك في تأويل قوله عز وجل السائحون قيل هم الصائمون كأنهم ساحوا الى ربهم عز وجل بجوعهم وعطشهم وتركوا قرة أعين أبناء الدنيا من أكلهم وشربهم فآواهم مولاهم فيما أخفى لهم من قرة أعين جزاء لعملهم وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل الصائمون والصبر اسم من أسماء الصوم فلما أخفى ذكره بالصوم في نفسه اخفى الله عز وجل جزاءه اياه عن غير نفسه وفي الحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي فالصوم ذكر الله عز وجل وهو سر وليس أستحب للعبد ان يزيد على افطار أربعة أيام نسقا فان ذلك يقسي القلب ويغير الحال ويولد العادات ويفتق الشهوات ولانه لم يؤمر ولم يندب الى ان يوالي بين افطار أكثر من أربعة أيام متوالية وهي النحر وأيام التشريق ويستحب له أن يصوم يوما ويفطر يوما أو يصوم يومين ويفطر يومين وذلك صوم نصف الدهر وان أحب فليصم يومين ويفطر يوما وذلك صوم ثلثي الدهر فان أحب فليصم يوما ويفطر يومين وهذا صيام ثلث الدهر هذه طريق الصائمين وفيها روايات حذفنا ذكر فضائلها للاختصار فان صام ثلاثا من أول الشهر وثلاثا من وسطه وثلاثا من آخره فحسن فان صام الاثنين والخميس والجمعة فذلك خير كبير وأقل من ذلك أن يصوم الايام البيض وأول يوم من الشهر وآخر يوم منه وأفضل الصيام ما كان في الاشهر الحرم وأفضل ذلك ما وقع في العشرين

الذي يعقبه سلام والجلوس فيه والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه والتسليمة الاولى والترتيب وأكثر ما يختل من الاركان النية فيحافظ عليها بان يحضر في قلبه قبيل التكبير ما يجب ان ينوي به من نية فعل الصلاة وتعينها من المعينة والفرضية في الفرض ثم يقصد الى هذا المعلوم ويجعل قصده هذا مقارنا لاول التكبير ولا تغفل عن تذكره حتى تتم التكبير ولا يجوز ان يبتدئ النية بالقلب مع ابتداء التكبير باللسان ويفرغ منها مع الفراغ من التكبير والمختار عند النووي الاكتفاء بالمقارنة العرفية وهي المقارنة لبعض التكبير وصوبه السبكي وراعى حروف الفاتحة والتشهد ومخارجها والطمأنينة ثم عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية المسجد فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ارجع فصل فانك لم تصل فرجع فصلى ثم جاء فسلم عليه فقال وعليك السلام ارجع فصل فانك لم تصل فقال في الثالثة أو في التي بعدها علمني يا رسول الله فقال اذا قمت الى الصلاة فاسبغ

منهاوهو المحرم وذوا الحجة وبعد ذلك ما كان فى شعبان فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصيام فيه حتى يصله بشهر رمضان ولا يدع أن يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وليواظب على صوم الاثنين والخميس وفى الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان وشهر الله المحرم وصوم النصف الاول من شهر شعبان مستحب وقد كانوا يفطرون النصف الاخير منه وقد روينا خبرا اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى يدخل رمضان وليفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز ولا يجوز أن يستقبل رمضان بيومين أو ثلاثة الا ان يوافق ذلك يوم اثنين أو خميس قد كان يصومه وقد كان بعض الصحابة يكره ان يصام رجب كله لئلا يضاهى به شهر رمضان وكانوا يستحبون ان يفطروا منه أياما وقد كره قوم صيام الدهر كله وردت اخبار فى كراهته وقد تأول ذلك بانهم كانوا يصومون السنة كلها مع يوم العيد وأيام التشريق فوردت الكراهة لذلك وان كان يريد صلاح قلبه وانكسار نفسه واستقامة حاله فى صوم الدهر فليصمه فهو حينئذ كالواجب عليه اذا كان تقواه وصلاحه فيه فقد روينا عن سعيد عن قتادة عن أبى تميمة الهجيمى عن أبى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام الدهر ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين معناه لم يكن له فيها موضع وقد دلت الاصول على فضل صوم الدهر وقد صامه طبقات من السلف الصالح من الصحابة والتابعين باحسان الا ان يكون الرجل يرغب عن السنة ولا يرى الرخصة فى الافطار فيكره له صوم الدهر للمعاندة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالسعة فى الدين وأخبر الله عز وجل بانه يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفى لفظ آخر يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره ان تؤتى معصيته وقد دلت الاخبار على فضل صوم نصف الدهر بان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك ليكون العبد بين حالين حال صبر وحال شكر ومن ذلك ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها فقلت أجوع يوما واشبع يوما أحمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام أخى داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ومن ذلك منازلته عليه السلام لعبد الله بن عمرو فى الصوم وهو يقول انى أريد أفضل من ذلك حتى قال له النبى صلى الله عليه وسلم صم يوما وافطر يوما قال أريد أفضل من ذلك قال لا أفضل من ذلك وروى فى الخبر صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين يوما من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من صوم ثلاثين يوما من شهر حرام وفى حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله تعالى له عبادة سبعمائة عام وقد روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم ماصام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه وقد وصل مرة شعبان برمضان وفصل صوم رمضان مرارا من شعبان وماذكرنا من أنواع الصوم فهو صيام جماعة من السلف الصالح وفى كل منه ورد فيه فضائل يكثر ذكرها وكذلك فى جميع ماتذكره من أعمال القلوب والجوارح فى الايام والليالى وكذلك فيما نذكره من أخلاق الايمان وأوصاف الموقنين وقد جاءت فى أكثر ذلك فضائل ومثوبات الا أنا لم نقصد تعديد ذلك وليس مذهبنا الاشتغال بذكر فضائل الاعمال انما طريقنا تهذيب قلوب العمال فبطهارة القلوب وحقيقة الايمان تزكو الاعمال وتقرب العاملون من ذى الجلال ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم * ذكر صوم الخصوص من الموقنين اعلم وفقك الله تعالى ان الصوم عند الصائمين هو صوم القالب فأما صوم الخصوص من الموقنين فان الصوم عندهم هو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ثم صوم السمع والبصر واللسان عن تعدى الحدود وصوم اليد والرجل عن البطش والسعى فى أسباب النهى فمن صام بهذا الوصف فقد أدرك وقته فى جملة يومه وصار له فى كل ساعة من نهاره وقت وقد عمر يومه كله بالذكر ولاجل هذا قيل نوم الصائم عبادة ونفسه تسبيح وقد قرن الله عز وجل الاستماع الى الباطل والقول بالاثم الى أكل الحرام ولولا ان فى المسموعات والمقولات حراما على المستمع والاصغاء اليه وحراما على القائل النطق به ماقرنهما الى أكل الحرام وهو من الكبائر فقال تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت وقال سبحانه وتعالى لولا ينهاهم

الوضوء ثم استقبل القبلة فكبر ثم اقرأ ماتيسر معك من القرآن ثم اركع حتى تطمئن راكعا ثم ارفع حتى تستوى قائما ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ثم ارفع حتى تطمئن جالسا وفى رواية حتى تستوى قائما ثم افعل ذلك فى صلاتك كلها خط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسوأ السرقة الذى يسرق صلاته قالوا وكيف يسرق صلاته يارسول الله قال لا يتم ركوعها ولا سجودها م عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا ينظر الله الى عبد لا يقيم ظهره بين ركوعه وسجوده خ ص رأى حذيفة رجلا يصلى فطفف فقال له حذيفة مذ كم تصلى هذه الصلاة قال مذ أربعون سنة قال ماصليت مذ أربعون سنة ولومت وأنت تصلى هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الرجل يخفف ويتم ويحسن اخوانى فتشوا أعمالكم هل أقمتموها على نهج الشرع أم عملتموها كيفما اتفق فمن لا يراعى شيأ من شرائطها وأركانها فهو من الاخسرين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا يامن لا يركب ماله

الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت فالعبد الحافظ لحدود الله عز وجل ان أفطر بالاكل
والجماع فهو صائم عنـد الله فى الفضل للاتباع ومن صام من الاكل والجماع وتعدى الحدود وأضاع فهو
مفطر عند الله عز وجل صائم عنـد نفسه لان ما أضاع أحب الى الله عز وجل وأكثر مما حفظ ومثل من
صام من الاكل وافطر بمخالفة الامر بسائر الجوارح مثل من مسح كل عضو من أعضائه فى وضوئه ثلاثا ثلاثا
ثم صلى فقد وافق الفضل فى العدد الا أنه تارك للفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله وهو مغتر بفعله
ومثل من أفطر بالاكل وصام بجوارحه عن النهى مثل من غسل كل عضو من أعضائه فى وضوئه مرة مرة
فهو تارك للفضل فى العدد الا انه مكمل للفرض محسن فى العمل فصلاته متقبلة لاحكامه للاصل ولعمله بالعلم
ومثل من صام من الاكل والجماع وحفظ جوارحه عن الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد تمم
الفرض وأحسن بتكملة الفضل فهذا كما قال تعالى تماما على الذى أحسن وكما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى الوضوء كذلك هذا وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء أبى ابراهيم عليه السلام وقد قال الله
تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى عليكم بها فاتموا واقتدوا به فيها وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم الطاعم
الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وجاء فى الخبر ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما
الجوع والعطش فى آخر النهار حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستأذناه فى
الافطار فارسل اليهما قدحا وقال قل لهما قيئا فيه ما أكلتما قال فقاءت احداهما نصفه دما غبيطا ولحما غريضا
وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتان صامتا
عما أحل الله عز وجل لهما وأفطرتا على ما حرم الله عز وجل عليهما قعدت احداهما الى الاخرى فجعلا
يغتابان الناس فهذا ما أكلا من لحومهم وكان أبو الدرداء يقول ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم
يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين
وكل محظور عليك ان تتفوه به فمحظور عليك ان تستمع اليه وكل حرام عليك ان تفعله فمكروه ان تنظر اليه أو
يخطر ببالك وقد سوى الله عز وجل بين المستمع والقائل فى قوله تعالى انكم اذا مثلهم ومثل الصائم مثل
التوبة لان الصبر من أوصافها وانما كانت التوبة مكفرة لما سلف من السيآت لاجل انه صبر عما سلف
من سيئ العادات ثم اعتقد ترك العود الى مثل ما سلف بصيانة جوارحه التى كانت طرائق المكروهات كذلك
كان الصيام جنة من النار وفضيلة من درجات الابرار اذا صبر عليه الصائم فحفظ جوارحه فيه من المآثم فاذا
أمرحها فى الآثام كان كالتائب المتردد الناقض للميثاق لم تكن توبته نصوحا ولا كان صوم هذا صالحا
صحيحا ألا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة من النار ما لم يخرقها بكذب أو غيبة وأمره فى
قوله عليه السلام اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ شاتمه فليقل انى صائم وفى لفظ آخر
لا يجعل يوم صومه ويوم فطره سواء أى يتحفظ فى صومه لحرمته وفى خبر آخر الصوم أمانة فليحفظ أحدكم
أمانته فحفظ الامانة من صيانة الجوارح لقول النبى صلى الله عليه وسلم لما تلا هذه الآية ان الله يأمركم ان
تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة فذلك مجاز قوله فليقل انى
صائم أى يذكر الامانة التى حمل فيؤديها الى أهلها ومن حفظ الامانة ان يكتمها فان أفشاها من غير حاجة
فهى خيانة لان مودعها قد لا يحب ان يظهرها وحقيقة حفظ السر نسيانه وضياع السر ان يكثر خزانه فحقيقة
الصائم ان يكون ناسيا لصومه لا ينتظر الوقت شغلا عنه بالموقت

(الفصل الثالث والعشرون) فيه كتاب محاسبة النفس ومراعاة الوقت قال الله عز وجل ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة الى قوله أتينا بها وكفى بنا حاسبين وقرئت آتينا بها ممدودة أى جازينا بها فالتخويف بهذا
الحرف أشد وأبلغ وقال تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم الآية وأوصى أبو بكر عمر رضى
الله عنهما عند موته فقال ان الحق ثقيل وهو مع ثقله مرىء وان الباطل خفيف وهو مع خفته وبىء وان الله

سفينة خرقا ألا نصلح سفينة
نفسك التى هى عملك أمنت
أن يغافصك الموت أم رضيت
أن يدركك الندم على
الفوت يامن ركن الى الدنيا
باقامة وثبات احذر أسد
الموت فان له وثبات كيف
تركن الى اللذات وقد جد
فى طلبك الممات فاعتبر
يا هذا بمصارع الهالكين
ففيهم لذى الذكرى
عظات وروى عن أخوين
كان أحدهما عابدا
والآخر مسرفا على نفسه
وكان العابد يتمنى ان يرى
ابليس فى محرابه فتمثل له
يوما وقال واأسفا عليك
ضيعت من عمرك أربعين
سنة فى حصر نفسك
واتعاب بدنك وقد بقى من
عمرك مثل ما مضى فاطلق
نفسك فى شهواتها وتلذذ ثم
تب بعد ذلك وعد الى
العبادة فان الله غفور رحيم
فقال العابد لعلى أنزل الى
أخى فى أسفل الدار واوافقه
على اللهو واللذات عشرين
سنة ثم أتوب وأعبد الله فى
العشرين سنة التى تبقى
من عمرى فنزل وقال أخوه
المسرف على نفسه وقد
أفنيت عمرى فى المعاصى
وأخى العابد يدخل الجنة
وأنا أدخل النار والله لأتوبن
واصعد الى عند أخى
فأوافقه فى العبادة باقى عمرى
فلعل الله ان يغفر لى فطلع
على نية التوبة ونزل أخوه

عز وجل حقا بالنهار لا يقبله بالليل وحقا لليل لا يقبله بالنهار وانك لو عدلت على الناس كلهم وجرت على واحد منهم لمال جورك بعدلك فان حفظت وصيتي لم يكن شئ أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن شئ أبغض اليك من الموت ولن تعجزه وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وتزينوا للعرض الاكبر على الله تعالى يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية وانما خف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وثقلت موازين قوم في الآخرة وزنوا أنفسهم في الدنيا وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق ان يكون ثقيلا فمحاسبة النفس تكون بالورع والموازنة تكون بمشاهدة اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا ذر فقال له اتق الله أينما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ووجدت هذه الوصية في كتاب الله عز وجل لعباده بقوله عز وجل ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله والكلمة الثانية في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة أي يدفعون بعمل الحسنة ويتبعونها السيئة المتقدمة تكفرها والكلمة الثالثة في قوله تعالى وقولوا للناس حسنا وقد أخبر الله عز وجل عن وصية عباده الصالحين بثلاث فقال ان الانسان لفي خسر أي لفي خسران ونقص بفوت أوقاته وفقد أرباحه ثم استثنى فقال الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وقال في الوصف الثالث وتواصوا بالمرحمة واتباع الحق بمخالفة الهوى فيه الصلاح اذ في موافقة الهوى الفساد والصبر قوام الامر وبمقداره يكون الربح والرحمة للخلق باب الرحمة من الخالق ومفتاح حسن الخلق ومعها حسن الظن وسلامة القلب وعندها ينتفي الحسد والغل ويوجد التواضع والذل وهذا وصف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين اختارهم لصحبة نبيه عليه السلام وأنزل عليهم السكينة وأيدهم بروح منه فقال رحماء بينهم وقال تعالى في حقيقة الرحمة واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقال في مثله عن وصف أحبابه لاخوانهم أذلة على المؤمنين فهذه الثلاثة مفاتيح رقة القلب ومغالق القسوة وفي الرقة الاقبال على الله عز وجل وعلى الدار الآخرة والتيقظ لامره والتفكر في وعده ووعيده وفي القسوة الاعراض وطول الغفلة فمحاسبة النفس تكون بالورع وموزنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض الاكبر يكون بمخافة الملك الاكبر وهو حقيقة الزهد وروينا عن علي رضي الله عنه أما بعد فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فما نالك من دنياك فلا تكثرن به فرحا وما فاتك منها فلا تتبعه نفسك أسفا وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وقال أيضا الهوى شريك العمى ومن التوفيق الوقوف عند الحيرة ونعم طارد الهم اليقين وعاقبة الكذب الذم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصديق من صدق غيبه ولا يعدمك من حبيب سوء الظن نعم الخلق التكرم والحياء سبب الى كل جميل وأوثق العرا التقوى وأوثق سبب أخذت به نفسك سبب بينك وبين الله عز وجل انما لك من دنياك ما أصلحت به مثواك والرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك فان لم تأته أتاك وان كنت جازعا على ما تلفت من يديك فلا تجزع على ما لم يصل اليك واستدلل على ما لم يكن بما كان فان الامور أشباه وقال عبد الله بن عباس لكل شئ آفة وآفة العلم النسيان وآفة العبادة الكسل وآفة اللب العجب وآفة الظرف الصلف وآفة التجارة الكذب وآفة السخاء التبذير وآفة الجمال الخيلاء وآفة الدين الرياء وآفة الاسلام الهوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم آفة أمتي الدينار والدرهم وروينا عن ورة السلمي عن مجاهد قال أوصاني ابن عباس بخمس لهن أحسن من الدرهم الموقوف ومن الذهب الموصوف قال لا تتكلمن فيما لا يعنيك فانه أقرب لك من السلامة ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلمن فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه في غير موضعه فلقي عنتا ولا تمار حليما ولا سفيها أما الحليم فيقليك وأما السفيه فيؤذيك واخلف أخاك اذا غاب عنك بمثل ما تحب

ان

على نية المعصية فنزلت رجله فوقع على أخيه فماتا جميعا في السلم فحشر العابد على نية المعصية وحشر المسرف على نية التوبة

شعر

سبحان من خلق الاشياء وقدرها
ومن يجود على العاصي ويستره
يخفي القبيح ويبدي كل صالحة
ويغمر العبد احسانا ويشكره
ويغفر الذنب للعاصي ويقبله
اذا أناب وبالغفران يجبره
ومن يلوذ به في دفع نائبة
يعطيه من فضله عزا وينصره
ولا يضيع مثقالا لمجتهد
بل في المآل يربيه ويدخره
ومن يكن قلبه من ذنبه دنسا
فبالمدامع والتقوى يطهره
فليس للعبد تصريف وان له
مولاه يغنيه أو ان شاء يفقره
فلا الحذار ينجي العبد من قدر
يريده الله أو أمر يدبره
فنسأل الله حقا حسن خاتمة
عند الممات وصفوا لا يكدره

(فصل) لا ينبغي ان لا تترك السنن والهيئات كي لا يفوت الثواب الجزيل دت عن محمد بن عمرو بن عطاء انه قال كنت جالسا مع نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن حميد أنا أعلمكم بصلاته قالوا فلم

ان يخافلك به اذا غبت عنه واعفه مما تحب ان يعفيك منه واعمل بعمل رجل يعلم انه مكافأ بالاحسان مأخوذ بالاساءة وفى وصية العباس لابنه عبد الله قال يابنى انى أرى هذا الرجل يقدمك على الاشياخ ويكرمك فاحفظ عنى هذه الخصال لاتفشين له سرا ولاتعصين له أمرا ولاتغتابن عنده أحدا ولا يطلعن منك على خيانة ولا يجربن عليك كذبة هذا فى روايتين دخلت احداهما فى الاخرى قال فى احداهما قلت للشعبى كل واحدة منهن خير من ألف فقال كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف وقال يوسف بن أسباط كان يقال ثلاث من كن فيه فقد استكمل ايمانه من اذا رضى لم يخرج رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرج غضبه عن حق واذا قدر لم يأخذ ماليس له وقد روينا مسندا من طريق وقال سرى بن المغلس ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق فى مواطن الهلكة والتسليم لامر الله عز وجل عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة نعوذ بالله منه وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه لايخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض عليه أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا وفى الخبر المشهور ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله فى السر والعلانية وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وروينا فى الخبر التكرم التقوى والشرف التواضع والغنى اليقين وفى الحديث الآخر الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وفى حديث عمار أسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وكفى بالخشية علما وكفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخطباء وخطيب الخطباء وحكيم الحكماء فى خطبة الوداع كلمات جامعات موجزات فى الوعظ والتذكرة والتزهد والتبصرة وينتظم جميع معانى ماقيل فى معناها رواه أبان بن عياش عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب على ناقته فقال يا أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكان من نشيع من الاموات سفر عما قليل الينا راجعون نبوئهم أجداثهم ونأكل تراثهم كانا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأمنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب الناس وانفق من مال اكتسبه من غير معصية ورحم أهل الذل والمسكنة وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن أذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم حديث جامع لهذه المعانى المبثوثة مختصر فى اللفظ والمعنى يقال انه نصف العلم وهو قوله من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه ومالم يؤمر به العبد فرضا ولم يندب اليه فضلا ولا يحتاج اليه مباحا فهو مما لا يعنيه وفى حديث آخر هو نصف الورع قوله صلى الله عليه وسلم دع مايريبك الى مالا يريبك فان الاثم حوار القلوب أى دع ماتشكن فيه من قول أو فعل فان فيه غنيمة أو سلامة الى شئ أنت على يقين من الفضيلة فيه أو السلامة معه وماحز فى قلبك ولم ينشرح له فدعه فان ذلك اثم وان قل ودق وقد روينا عنه صلى الله عليه وسلم فى الوصف المبسوط من أوصاف المؤمنين كوصف الله تعالى أولياءه فى الكلام المشروح انه بيناهو جالس صلى الله عليه وسلم بين أصحابه اذ سجد فاطال ثم رفع رأسه مادا يديه فقال اللهم أكرمنا ولاتهنا وزدنا ولاتنقصنا وأعزنا ولاتذلنا قلنا وماذاك يارسول الله قال انزلت على آيات من أقامها دخل الجنة ثم تلا علينا قد أفلح المؤمنون الى آخر العشر وروينا عنه فى حديث مجمل ان رجلا سأله فقال يارسول الله متى أعلم انى من أهل الجنة وفى لفظ آخر انى مؤمن حقا فقال اذا كنت بهذه الاوصاف ثم تلا عليه قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم الى آخر النعوت وروينا عنه صلى الله عليه وسلم فى الوصف الجامع المختصر كوصف الحكيم الاكبر من صلح له من عباده بالاخلاص فى التوحيد والعمل فقال صلى الله عليه وسلم لو لم تنزل على الاهذه الآية كانت تكفى ثم قرأ آخر سورة الكهف فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا الى آخرها فكان هذا فصل الخطاب

فوالله ما كنت باكثرنا له تبعا ولا أقدمنا له صحبة قال بلى قالوا فاعرض قال كان اذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يكبر حتى يقر كل عظم فى موضعه معتدلا ثم يقرأ ثم يكبر ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع ويضع راحتيه على ركبتيه ثم يعتدل فلا يصبى رأسه ولا يقنع ثم يرفع رأسه فيقول سمع الله لمن حمده ثم يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه معتدلا ثم يقول الله أكبر ثم يهوى الى الارض ساجدا فيجافى يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ويفتخ أصابع رجليه اذا سجد ويسجد ثم يقول الله أكبر ويرفع رأسه ويثنى رجله اليسرى فيقعد عليها ثم يعتدل حتى يرجع كل عضو الى موضعه ثم يصنع فى الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين كبر ويرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه كما كبر عند افتتاح الصلاة ثم يصنع ذلك فى بقية صلاته حتى اذا كان السجدة التى فيها التسليم اخر رجله اليسرى وقعد متوركا على شقه الايسر ثم سلم قالوا صدقت * اعلم ان عماد الصلاة الخشوع وكل صلاة لايحضر

وبلاغا لاولى الالباب فالعمل الصالح الاخلاص فى العبادة ونفى الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق وقد قال الله وهو أحسن القائلين فى وصف أوليائه الخائفين ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون الى قوله وهم لها سابقون فوصفهم بسبع مقامات جامعات بالغات تنتظم بمقامات أهل المحاسبة وتستحوذ على معانى أحوال أهل المراقبة افتتحها بالخشية والاشفاق وختمها بالوجل والانفاق وجعل موجبها اليقين وهو الذى رجحت به موازين المتقين صيره آخر وصفهم ونهاية نعتهم وهو قوله تعالى انهم الى ربهم راجعون أى لاجل يقينهم بمرجعهم اليه خافوه وأشفقوا وآمنوا به وأخلصوا وأتوه نفوسهم وأموالهم فهذا كقوله فى الكلام المختصر واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين فللخائفين الامن من الخوف عند اللقاء وحسن المنقلب والبشرى بالقرب لديه والزلفى فصورة المحاسبة ان يقف العبد وقفة عند ظهور الهمة وابتداء الحركة ثم يميز الخاطر وهو حركة القلب والاضطراب وهو تصرف الجسم فان كان ماخطر به الخاطر من الهمة التى تقتضى نية أو عقدا أو عزما أو فعلا أو سعيا ان كان لله عز وجل وبه وفيه معنى لله عز وجل أى خالصا لاجله ومعنى به أى بمشاهدة قربه لا بمقاربة نفسه وهواه ومعنى فيه أى فى سبيله وطلب رضاه عنه وماندب عنده أمضاه وسارع فى تنفيذه وان كان لعاجل دنيا أو عارض هوى أو لهو وغفلة سرى بطبع البشرية ووصف الجبلية نفاه وسارع فى نفيه ولم يمكن الخاطر من قلبه بالاصغاء اليه والمحادثة له فيولد فيه همار ديا يصعب عليه بعد حين طرحه وينتج منه فكرا دنيا يعسر بعد وقت نفيه ويؤثر ذلك فى قلبه أثرا يستبين له بعد حين فعله معنى قولنا ان كان لله تعالى أى خالصا لاجله ومعنى قولنا به أى بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه ووصفه وهواه ومعنى قولنا فيه أى فى سبيله وطلب ما عنده لا لاجل عاجل حظه فان اشتبه عليه الخاطر فلم ينكشف له ماورد به أمحمود هو لله عز وجل فيه رضاه وعلى العبد فيه سبق وتنفيذ أم مكروه وليس لله فيه محبة وللعبد فى نفيه مزيد وقربة فيكون اشكال ذلك لاحد معان ثلاث ضعف يقين عن نقص معرفة بالمبتلى أو قلة علم عن جهل بغامض الحكم الباطل أو لغلبة هوى كامن فى النفس متولد من طبائع الحس وقد قال بعض العلماء ليس العالم الذى يعرف الخير من الشر هذا العاقل يعرفه ولكن العالم من يعرف خير الشرين يعنى يفعله اذا اضطر اليه ويعرف شر الخيرين يعنى فاجتنبه لما يؤول اليه واعلم ان حكم الله فيما اشتبه من الامور الامساك والوقوف وان لا يقدم العبد على ذلك بعقد ولا عزم ان كان من أعمال القلوب ولا يمضى ذلك بفعل ولا سعى ان كان من عمل الجوارح بل يقف ويوقف الامر حتى يتبين له وهو صورة الورع لان الورع هو الجبن والتأخر عن الاقدام على المشكلات وعن الهجوم فى الشبهات لا بقول ولا بفعل ولا بعقد حتى تنكشف وانكشافها بغامض العلم لغموضها وتدقيق معرفة المعانى لدقتها وخفائها كما جاء فى الخبر أعلم الناس أعرفهم بالحق اذا اختلف الناس وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات وجاء عن ابن مسعود فى وصف كثرة الشبهات أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع وسيأتى عليكم زمان يكون خيركم فيه المتثبت كما وقف طائفة من الصحابة عن القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليه الحال منهم سعد وابن عمر وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فمن لم يتوقف عند الشبهات واقدم عليها كان متبعا لهواه معجبا برأيه وهذا من معنى الخبر الذى جاء فى ذم من كان هذا وصفه فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك فلم يذم بوجود الشح لانه صفة النفس وانما ذم من أطاع النفس فى شحها بامساك محبوبها على ايثار محبة الله عز وجل من الانفاق ومثله وهوى متبع فلم يعب بوجود الهوى لانه روح النفس مستكن فيها وانما عيب باتباعه وكذلك قوله واعجاب كل ذى رأى برأيه لم ينقصه بوجود رأيه بما رآه من الامر لانه نتيجة عقله وثمرة فهمه وانما نقصه بنظره اليه وادلاله به دون سبق نظره الى من أراه وبنور هداه وبايثار رأيه على رأى من هو أعلم منه أو بان يزرى على رأى غيره افتخارا

فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع قال مالك عن عبد الله بن أبى بكر ان رجلا من الانصار كان يصلى فى حائط له بالعف فى واد من أودية المدينة فى زمن التمر والنخل قد ذللت فهى مطوقة بثمرها فنظر اليها فاعجبه ما رأى من ثمرها ثم رجع الى صلاته فاذا هو لا يدرى كم صلى فقال لقد أصابتنى فى مالى هذا فتنة فجاء عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو يومئذ خليفة فذكر له ذلك قال هو صدقة فاجعله فى سبيل الخير فباعه عثمان بن عفان بخمسين ألفا فسمى ذلك المال الخمسين وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يعجبه شئ من ماله الا خرج عنه لله تعالى وكان رقيقه يعلمون منه ذلك فربما لزم أحدهم المسجد فاذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له أصحابه انهم يخدعونك فيقول من خدعنا بالله انخدعنا وطلب منه خادم بثلاثين ألفا فقال أخاف ان تفتنى دراهم ابن عامر وكان هو الطالب له وقال له اذهب فأنت حر قال الغزالى وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القامع لمادة العلة ولا يغنى غيره اخوانى كم تضيعون السنن

برأيه. وقد قال الله عز وجل فلا تزكوا أنفسكم وقد وصف أهل الرأى من أوليائه فى قوله عز وجل ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال تعالى على بصيرة أنا ومن اتبعنى وجاء فى الاثر ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رآه المؤمنون قبيحا فهو عند الله قبيح وجاء أنتم شهداء الله فى أرضه وعن بعض السلف أفضل العبادة الرأى الحسن فاما ما أشكل لتجاذب الامثال ولم يتبين لك الى أى مثل ترده فالورع ان تقف ولا تمضى حتى ينكشف واما ما اشتبه لقصور العلم بالاستدلال فالعلم فيه ان تعرف الاصلين من الحرام والحلال ثم ترده الى أشبههما به وهذا ظاهر مثل ما أحلت طائفة النظر الى الغلام الجميل لانه ذكر فتحتاج الى ان ترده الى أحد الاصلين لانه متشبه قال الله عز وجل أنظر والى ثمره اذا أثمر وقال قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم فكان هذا الاصل أشبه لوجود الجنس ومثله الاستماع الى القصائد أى انشاد الشعر المباح فكان الاستماع الى القرآن حلالا والاستماع الى الغناء حراما وكانت القصائد بالغناء أشبه فكره هنا لغير أهله وكذلك القول فى تلحين القرآن اذا جاوز الحد فى مد المقصور وقصر الممدود مكروه لشبهه بالاغانى ومثل لبس القطن ولبس الحرير فكره هنا لبس الملحم والعمل لانه بالحرير أشبه لما فيه منه فاما الاقدام على الامور الغامضة مما لم ينكشف للاسماع فلم يظهر للابصار فان القلوب تسأل عن عقود سوء الظن بها والقطع بظاهر الامر عليها وهو معنى قول الله عز وجل عن قفو ما لم يبين علمه اذ لم يجعل من علم العبد وتهدده عليه بمسائلة الجوارح عنه فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع ولا تجسس أثر ما لم تعلم فتشهد عليه بسمع أو رؤية أو عقد قلب اذ حقيقة العلم السمع والمشاهدة فلذلك قال ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث فمن اشتبه عليه الامر فقطع به فهو متبع للهوى ومن تفرس فى فعل أو امر غاب عنه حقيقة فاخبر به وأظهره على صاحبه فقد أساء كيف وقد جاء فى الخبر من حدث بما رأته عيناه أو سمعت أذناه كتبه الله عز وجل من الذين يحبون ان تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا هذا لكشف ستر الله على عباده ومحبته للساترين منهم ولذلك كان من دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعه والباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعل ذلك علينا متشابها فنتبع الهوى وكذلك روينا عن عيسى عليه السلام انما الامور ثلاثة أمر استبان لك رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله الى عالمه وقد كان من دعاء على رضى الله عنه اللهم انى أعوذ بك ان أقول فى العلم بغير علم فنعمة الله سبحانه وتعالى فى كشف الباطل باطلا وبيان الضلال ضلالا مثل نعمه فى اظهار الحق وبيان الصدق لانه باب من اليقين ولذلك تجمل الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم وجعله من تفصيل آياته فى قوله سبحانه وتعالى وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين فنصب سبيل على اضمار اسمه ورفعه على كشفه دلالاته وتبيان طرقه وقد وعد الله ذلك للمتقين وقدمه على تكفير السيآت والمغفرة وأخبر ان ذلك من الفضل العظيم فى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم أى نورا فى قلوبكم تفرقون به بين الشبهات ومثله ومن يتق الله يجعل له مخرجا أى من كل أمر أشكل على الناس ورزقه من حيث لا يحتسب علم بغير تعليم بل الهام وتوفيق من لدن الخبير العليم وقد وعد ذلك المؤمنين عند اختلاف العلماء للبغى بينهم وهو الكبر والحسد وحرم ذلك المنافقين الذين لا يصدقون بالآيات والقدر الغائبات فقال عز وجل فى ذلك وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فصنع الهداية للحق ان يكشف الحق اذا هدى التقى له ما يبدئ الباطل للابتلاء وما يعيد على العبد من الاحكام وقد يكون الباطل اسما للعدو ويكون وصفا للنفس ألم تسمع قوله عز وجل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد أى لما جاء الحق أبدى الباطل وأعاده فاظهر حقيقة الامر بدأ أو عودا وقد قيل ان الباطل يعنى به ابليس ههنا فتدبروا وقال ان الذين لا يؤمنون

والفرائض الى متى تتيممون بالتراب والماء فائض يا متكاسلا فى الطاعة وهو فى المعصية ناهض بالله من لم يكن من نفسه واعظ لم تنفعه المواعظ شعر

اخشع لربك فى الصلاة طويلا
واذكر وقوفك للحساب ذليلا
أطل البكاء على الذنوب فربما
كان البكاء على النجاة سبيلا
واذكر نزولك فى قبر مظلم
للدود صرت به اذا مأكولا
وعليك أطباق الثرى قد طبقت
لا تستطيع الى الرجوع سبيلا
وجفاك كل مصاحب صاحبته
ونسيك من بالامس كان خليلا
وخلوت بالفعل الذى قدمته
رهنا تروح وتغدو بكرة وأصيلا
أحبابنا كانوا نزولا فى الحشى
منا فصاروا فى القبور نزولا
يا غافلا والموت يهدم عمره
لا تحسبن الموت عنك غفولا

(فصل فى الجمعة) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله عز وجل وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم

بآيات الله لا يهديهم الله وكما أن الله عزوجل في البيان نعمة لانه لا تقع الا بقدرة كما قال فلما تبين له قال أعلم ان الله على كل شئ قدير فكذلك على العبد فيه شكر وقد يكون سببا للانعام بالبيان وعلى الله المزيد على الشكر كما قال كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون وقال في تحقيق الشكر بالمزيد للشاكرين على التصريف كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون فاذا وقف العبد في الشبهات عن الامضاء وأوقف الخاطر على الابتداء حتى يكشفه الله عز وجل له بمزيد علم أو قوة يقين أو كشف حجاب الهوى فقد وفق للصواب وهو من معنى قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وداخل في قوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا هذا اذا لم يرد بالطلب ولم يجعل لعالم آخر فيه مكان كشفه للعبد بوصفه فاذا أراده بالطلب لاوليائه وجعل للعلماء مكانا للدلالة عليه اضطر ان يسأل عالما بالله وبباطن أحكامه عارفا بلطيف حجابه وخفي كشفه فيكشف له على لسانه اذا لم يكن العبد ممن يكاشف بقلبه لتحقيق قوله فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ولتصديق قوله الرحمن فاسأل به خبيرا والله تعالى هو المسير الاول والمبين الآخر الا ان السير والسؤال على العبد والهدى والبيان على الهادي المبين كما قال سيروا في الارض فانظروا وقال تعالى فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب الآية ثم قال ان علينا بيانه ان علينا للهدى وعلى الله قصد السبيل كذلك سنته التي قد خلت من قبل ولا تبديل لها ولا تحويل ألم تسمع قول الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فهذا هو المجتبى للتعليم الآخذ نصيبه من الله عزوجل بتفهيم المصطفى لمكان التخصيص ثم قال يا آدم أنبئهم باسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ترك آدم ورد الموذكر نفسه بالعلم منه بعد ان دل بالواسطة عليه فقال ألم أقل لكم اني أعلم ولم يقل ان آدم يعلم فاخذ آدم نصيبه من رازقه بقلبه لمكان رتبته وأخذت الملائكة أنصبتها من الله عز وجل من نصيب آدم بواسطته والله هو الرزاق ذو القوة المتين كما هو الخلاق هل من خالق غير الله يرزقكم والعبيد يأخذون أنصبتهم باقسامهم من حيث هي طرق وسبب لهم وهذا حينئذ أول المحاسبة عن مشاهدة حسيب والتحقيق بالمحاسبة هو أول المراقبة عن رؤية رقيب والمقام من المراقبة هو حال من أحوال الموقنين وعلم اليقين هو آخر علم الايمان وآخر نصيب العبد من علم اليقين أعني نهايته أول عين اليقين وهو شهادة المعرفة والمعرفة على هذا الوصف أول المشاهدة وهذا هو مقام المقربين أعني بمشاهدة وصف قريب يحيط ببعد النفس فيستولي عليها فيغيب بعدها في قربه وينتبه عقله تحت ظلمته وتنطوي حكمته في قدرته كمحو نور القمر في ضياء الشمس والله غالب على أمره وعلم معاني الاسماء والصفات وتعريف الاخلاق وباطن أحكام الذات يكون في مقامات القرب بمرآة نور الوجه فيرفع نور حكم المكان ويشهد كأن رفع كون المرآة ويشهد الوجه بنورها وتغيب المرآة عن كونها فيكون العبد قائما بقهر قيوميته فيصير العبد شبه ميتة مشاهدا بحيطة قربه لا بكونه كما يشهد الوجه بنور المرآة لا بجسمها ولا يكون هذا الا بعد معاينة وصف وبعد حسن المراقبة في جميع المعاملة وحسن الادب في محاضرة الرب بتنفيذ خواطر الخير وسرعة نفي خواطر السر حتى لا يبقى شئ منها وهذا حال المشاهدة والقرب وذلك يخرج العبد الى صفاء القلب بعلم اليقين وصفاء القلب برفعه مقامات في مشاهدة العين حتى لا يخطر بقلبه الا خاطر حق فان عصاه عصى الحق وفي ترك هذا والغض عنه كدر القلب وفي كدره ظلمته وذلك مقامات في القسوة وهي أول البعد وبلغني ان ما من فعلة وان صغرت الا وينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثاني كيف والثالث لمن فمعنى لم أي لم فعلت وهذا موضع الابتلاء عن وصف الربوبية بحكم العبودية أي أكان عليك ان تعمل لمولاك أم كان ذلك منك بهواك فان سلم من هذا الديوان بأن كان عليه ان يعمل كما أمر به سئل عن الديوان الثاني فقيل له كيف فعلت هذا وهو مكان المطالبة بالعلم وهو البلاء الثاني أي قد عملته بأن كان عليك عمله فكيف عملته أبعلم أم بجهل فان الله تعالى لا يقبل عملا الا على طريقته وطريقه العلم فان سلم من هذا أنشر عليه الديوان الثالث فقيل لمن وهذا طريق التعبد بالاخلاص لوجه الربوبية

الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط الله فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله آدم وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيأ الا أعطاه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا بحر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة ان تقوم الساعة م عن ابن عمر وأبي هريرة انهما قالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على أعواد منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين م عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت ان آمر رجلا يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم وروى الشافعي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من ترك الجمعة من غير ضرورة كتب منافقا في كتاب لا يمحى ولا يبدل وروى الدارقطني عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة الا مريضا أو مسافرا أو امرأة أو صبيا أو مملوكا فمن استغنى بلهو

وهو البلاء الثالث وهم بغية الله عز وجل من خلقه الذين قال في حقهم الا عبادك منهم المخلصين وهذا مقتضى كلمة الاخلاص من نفي ما سواه وهي لا اله الا الله وليس بعده الا الاشفاق الى وقت التلاق أي قد عملته بعلم فلمن عملته لوجه الله عز وجل خالصا فاجرك عليه أم لشخص مثلك فخذ أجرك منه أم عملته لتناول عاجل دنياك فقد وفيناها اليك عملك فيها أم عملته لنفسك بسهوك وغفلتك فقد سقط أجرك وحبط عملك لذهابك عن القصد وعدم النية في الفعل فجميع ما أردت به سواه فقد تعرضت للمقت واستوجبت العقاب بتركك ما عليك وجهل ما لو لاك اذ كنت عبدا لي تتولى غيري واذا أنت تأكل رزقي وتعمل لسواي واذا كان الدين قد جعلته لنفسي فقصدت به من دوني ويلك اما سمعتني أقول ألا لله الدين الخالص ويلك ما قبلت أمري اذ قلت وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقول له ويلك اما سمعتني أقول ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فهذه امثال القرآن يشهد منها العلماء أمثالهم وهي اذا كان الخطاب عند تدبره يفهم بها العارفون اذ كارهم فيكون توبيخ الله عز وجل للغافلين بعزائم كلامه وغليظ خطابه أشد عليهم وأوجع لهم من أليم عقابه وذلك ان الله تعالى استخلص الدين لنفسه ولم يشرك فيه أحدا من خلقه فقال ألا لله الدين الخالص يعني الطريق الموحد غير المشترك الصافي غير الكدر لان الاخلاص التصفية من اكدار الهوى والشهوة وضده الشرك وهو الخلط بغيره من النفس والناس كما أنعم علينا بالرزق الخالص من بين الفرث والدم فتمت به النعمة فقال نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه خلط من أحدهما لم تتم به النعمة علينا فكذلك ينبغي ان يكون عملنا له خالصا من الهوى والشهوة لنستحق به الاجر والحظوة منه مع القيام بواجب الحق علينا فكما انا لو رأينا في اللبن الذي أنعم به علينا فرثا أو دما عافته أنفسنا فلم نأكله فكذلك الحكيم الخبير اذا رأى في عملنا خلطا من رياء أو شهوة رده علينا فلم يقبله وكما عمل لنا مما عملت يداه بقدرته أنعاما ذللها لنا فمنها ركوبنا وأكلنا فينبغي ان نشكره فنعمل له بعد الاكل عملا صالحا كما أمرنا بعد اذ أنعم الله علينا فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فمن جهل ما جعل الله لنفسه وترك ما أمر به من الاخلاص بالدين لوجهه استوجب المقت لجهله واستحق العقاب لمخالفته وفي تدبر ما قلناه الهرب من الخلق والبكاء على النفس الى لقاء الحق لمن أشهد ووقف وأريد بالحضور فلم يصرف

(الفصل الرابع والعشرون) في ذكر كراهية الورد للمريد ووصف حال العارف بالمزيد* اعلم ان الورد اسم لوقت من ليل أو نهار يرد على العبد مكررا فيقطعه في قربة الى الله ويورد فيه محبوبا يرد عليه في الآخرة والقربة اسم لاحد معنيين أمر فرض عليه أو فضل ندب اليه فاذا فعل ذلك في وقت من ليل أو نهار وداوم عليه فهو ورد قدمه يرد عليه غدا اذا قدم وأيسر الاوراد صلاة أربع ركعات أو قراءة سورة من المثاني أو سعي في معاونة على بر أو تقوى قال أنس بن سيرين كان لمحمد بن سيرين في كل ليلة سبعة أوراد فكان اذا فاته منها شيء قضاه بالنهار فسمى العمل الموظف المؤقت وردا وقال المعتمر بن سليمان ذهبت ألقن أبي عند الموت فاوما الي بيده دعني فاني في وردي الرابع فسمى الحزب من أحزاب القرآن لوقت ما وردا فمن العمال من كان يجعل الاوراد من أجزاء القرآن ومنهم من كان يجعله من أعداد الركوع وفوق هؤلاء من العلماء كانوا يجعلون الاوراد من أوقات الليل والنهار فان قطع الوقت بآية أو ركعة أو فكرة أو شهادة فذلك ورده وأما العارفون فانهم لم يوقتوا الاوراد ولم يقسموا الاوقات بل جعلوا الورد واحدا لمولاهم وجعلوا حاجاتهم من الدنيا ضروراتهم وصيروا الوقت متساويا لسيدهم وتصريفهم لصالحهم يدخل عليهم فوضعوا رقابهم في رق العبودية وصفوا أقدامهم في مصاف الخدمة فكانوا في كل وقت بحكم ما يستعملون وبوصف ما به يطالبون ذلك وردهم وتلك علامتهم عن حسن اختيار الله عز وجل لهم وجميل توليه اياهم لا يكلهم الى نفوسهم ولا يوليهم بعضهم وهو يتولى الصالحين مشاهدتهم ذكرهم وقرب الحبيب

أو تجارة استغنى الله عنه والله غني حميد وروى الدينوري عن الاوزاعي انه قال كان عندنا صياد يصطاد النينان فكان يخرج الى الصيد فلا يمنعه مكان الجمعة من الخروج فخسف به وببغلته فخرج الناس وقد ذهبت بغلته في الارض فلم يبق منها الا اذنها وذنبها اعلم انه اذا كان هذه الآفات فيمن تخلف عنها فما ظنك بمن عطل جمعة في بلدة اتباعا لهواه فلا تدري نفس ما يلحق هذا الظالم من العذاب والنكال في الدنيا والآخرة اعاذنا الله تعالى واياكم من مثل هذا الذنب الشنيع الموبق وروى البيهقي أكثروا الصلاة على ليلة الجمعة ويوم الجمعة من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا م عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام ومن مس الحصى فقد لغا تدس ق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام واستمع ولم يلغ كان له بكل خطوة عمل

حبهم ليس يشهدون فضيلة في غير محبوبهم ولا يرجون قربه بغير معروفهم به يتقربون اليه واليه يسعون له وعليه يتوكلون له ومنه يخافون عنه وإياه يحبون منه لو اسقطوا الاعمال كلها غير ما تعلق بالتوحيد ثبوته ما انتقص من توحيدهم ذرة ولو تركوا أوراد المريدين كلهم ما أثر في قلوبهم بقسوة ولا فترة لانهم لا يزيدون بالاعمال فينقصون بها ولا يتفقدون قلوبهم وأحوالهم بالاوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ولا تجتمع قلوبهم بسبب ولا تقوى نفوسهم بطلب فتتشتت لفقد سبب وبضعف يقينهم لطلب هذه المعاني هي أحوال المريدين وجملة تغييرهم في شيئين ضيقهم بالخالق فهربوا منه واتساعهم بالخلق فاستراحوا اليه ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو وقفت شهادتهم عليه لما نظروا الى سواه واما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بجماعها لهم واقامهم القائم لهم بشهادتهم له فلهم بكل شئ مزيد ومن كل شئ توحيد كل خاطر بهم يردهم اليه وكل منظور اليه يدلهم عليه وكل نظرة وحركة طريق لهم اليه فتوحيدهم في مزيد ويقينهم في تجديد بغير تغيير ولا تصريد ولا ايقاف ولا تحديد ولربما طالب أحدهم التسبب بالاسباب فيجمعه بارب الارباب لانه مراد بالاجتماع وانما استروح بالشتات لاستجمام ما هو في قلبه آت ثقة منه بحبيبه وتمكنا عند محبوبه اذ قد علم انه طالب فطرح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله الى نفسه وهواه فهذه مقامات لاهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح الا لهم ولا تليق الا بهم ولا يقاس عليها ولا يدعى مكانها ولا تنتظر فتترك لها الاوراد ولا تتوقع فيقصر لاجلها في الاجتهاد والمرادون بها المحولون بها مواجهون بعلمها مسلوك بهم طريقها مزودون زادها وهي محبوسة عليهم مقصورة لهم فهم لها سابقون فاولياء الله عابدوه وقد عكفوا بقلوبهم لمن عبدوه ونظروا الى معبودهم الذي عكفوا عليه ففهموا عنه فصل الخطاب بما آتاهم من شهادة حكمه محكم الكتاب اذ يقول وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا بعد قوله للغافلين فصيرهم معرضا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين مع قوله ان امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد الى قوله فاصبر لحكم ربك فانك باعيننا فعلموا ان الاخلاص الذي أمروا به هو العبادة ولا عبادة الا بمجانبة الهوى وبعدها الانابة الى المولى أما سمعت قوله عز وجل والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى وأيقنوا ان الصلاة عماد الدين ولا صلاة الا للمتقين ولا تقوى الا بانابة كما قال تعالى منيبين اليه واتقوه ثم قال وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين فهذه عبادة العارفين على سنة النبيين فانابتهم مشاهدتهم لمذكورهم كقوله في وصف ضدهم كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى فهم عن كشف من ذكره اذ كانوا بضد وصفهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم لسوى مذكورهم بمعنى قوله واذكر ربك اذا نسيت فاخرجهم الذكر له الى الفرار اليه كما فهموا عنه اذ يقول لعلكم تذكرون ففروا الى الله فلما هربوا اليه أواهم بقربه ووهب لهم هداية الى حبه ونشر لهم من رحمته وطواهم في قبضته فلم يرهم الاهم ولم يعرفهم سواهم وقد قال تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وقال تعالى اني ذاهب الى ربي سيهدين * ذكر الاوراد وما يرجى بها من الازدياد

ولكن بمواصلة الاوراد المرسومة والاعمال الموقتة المعلومة يستبين للمريد النقصان من المزيد ويعرف قوة العزم والشره من وهن العادة والفترة وفي الاوراد ايضا فضيلة وهو ان العامل اذا شغل عنها بمرض أو سفر كتب له الملك مثل ثواب ما كان يعمل في الصحة وقد يكون نوم العارف أفضل من صلاة الجاهل لان هذا النائم سالم وهو ذلك الزاهد العالم اذا استيقظ وجد وهذا الصائم القائم لا يؤمن عليه الآفات وتارة الاعداء في العبادات وهو ذلك الجاهل المغتر اذا وجد فقد وقد روينا في خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح وفي الحديث عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وروينا في خبر مقطوع لو وقعت هذه على هذه يعني السماء على الارض ما ترك العالم عمله لشئ ولو فتحت الدنيا على عابد ترك عبادة ربه ولان العالم قد يكاشف في نومه بالآيات والعبر ويكشف له الملكوت الاعلى والاسفل ويخاطب بالعلوم ويشاهد

سنة أحر صيامها وقيامها ط
غ قال النبي صلى الله عليه
وسلم في جمعة من الجمع
يا معشر المسلمين ان هذا يوم
جعله الله عيدا فاغتسلوا
ومن كان عنده طيب
فلا يضره ان يمس منه
وعليكم بالسواك خ م عنه
عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا كان يوم الجمعة
وقفت الملائكة على باب
المسجد يكتبون الاول
فالاول ومثل المهجر كمثل
الذي يهدي بدنة ثم كالذي
يهدي بقرة ثم كبشا ثم
دجاجة ثم بيضة فاذا خرج
الامام طووا صحفهم
ويستمعون الذكر حم عن
ابن عباس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من
تكلم يوم الجمعة والامام
يخطب فهو كمثل الحمار
يحمل أسفارا والذي يقول
له انصت ليس له جمعة ت
عنه صلى الله عليه وسلم قال
من تخطى رقاب الناس يوم
الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم
اعلم انه يكره للداخل حال
الخطبة ان يسلم فان سلم
وجب الرد ويسن له ان
يصلي ركعتين خفيفتين
قال الاسنوي ويحرم
الزيادة على ركعتين واطالة
النفل التي كان شرع
قبل صعود الامام ولا
يجوز التنفل بالصلاة
بالاتفاق سمع أم لا لانه
اعراض عن الامام بالكلية

القدر ومن معنى ما تشهده الانبياء فى يقظتهم فيكون نوم العارف يقظة لان قلبه حياة و يكون يقظة الغافل نوما لان قلبه موات فيعدل نوم العالم يقظة الجاهل وتقرب يقظة الجاهل الغافل من نوم العالم كيف وقد جاء فى خبر أبي موسى ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى أحد فقال هذا جبل أحد ولا يعلم خلق ما وزنه وان من أمتي من تكون التسبيحة منه والتهليلة أوزن عند الله عز وجل منه وفى حديث ابن مسعود اذ قال لعمر ما أنكرت ان يكون عمل عبد فى يوم واحد أثقل من فى السموات والارض ثم وصف ذلك بانه هو العاقل عن الله عز وجل الموقن العالم به وقد سئلت عائشة رضى الله عنها عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رمضان فقالت ما كان يخص رمضان بشئ دون غيره ولا كان يزيد فى رمضان على سائر السنة شيأ وقال أنس بن مالك ما كنت تريد ان ترى رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما من الليل الا رأيته ولا تريد ان تراه قائما الا رأيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام قدر ما قام ثم يقوم قدر ما نام ثم ينام ثم يخرج الى الصلاة وقالت عائشة رضى الله عنها ما صام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا قط الا رمضان ولا قام ليلة الى الصبح حتى ينام منها قالت وكان يصوم من الشهر و يفطر و يقوم من الليل و ينام وفى الخبر الآخر كان يصوم حتى تقول لا يفطر و يفطر حتى تقول لا يفطر و يفطر حتى تقول لا يصوم وكان يصبح صائما ثم يفطر و يصبح مفطرا ثم يصوم وفى الخبر الآخر كان يدخل من الضحى فيقول هل عندكم من شئ فان قدم اليه شئ أكل والا قال انى صائم وخرج يوما فقال انى صائم ثم دخل فقلنا يا رسول الله اهدى لنا حيس فقال اما انى كنت أردت الصوم ولكن قربيه وكان ورده صلى الله عليه وسلم حكم ما ورد عليه فعن هذا المعدن يكون تصريف العارفين ومن هذا المعنى تكون مشاهدة الموقنين ليسوا مع الله بايراد توقيت ولا يقطع على تحديد كما قيل لبعضهم باى شئ عرفت الله عز وجل فقال بفسخ العزائم وحل العقود ولكن الاوراد طريق العمال والوظف أحوال العباد منها دخلوا وفيها يرفعون الى أن يشهدوا الواحد فتكون الاوراد كلها وردا واحدا و يكونون بشهادتهم قائمين قال بعض العلماء من السلف الايمان ثلاثمائة خلق وثلاثة عشر على اعداد الانبياء المرسلين كل مؤمن على خلق منها هو طريقه الى الله عز وجل و وجهته من الله عز وجل ونصيبه وفى كل طريقة من المؤمنين طبقة و بعضهم أعلى مقاما من بعض وقال عالم آخر الطرق الى الله عز و جل بعدد المؤمنين وقال بعض العارفين الطرق الى الله بعدد الخليقة يعنى ان للشهيد بكل خلق طريقا فقد صارت المكونات للمكون طرقات وروينا فى الخبر الايمان ثلاثمائة وثلاثة وثلاثون طريقة من لقى الله عز وجل بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ومن هذا قوله عز وجل قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا فدل انهم كلهم مهتدون و بعضهم أهدى من بعض يعنى انه أقرب الى الله عز وجل وأفضل وقد ندب الى القرب فى الامر بطلبه وأخبر عن المقربين بالمنافسة فى طلب القرب فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة يعنى القرب وقال تعالى فيما أخبر أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب فاقرب الخلق من الله عز وجل أعلاهم عند الله عز وجل وأعلاهم عنده أعرفهم به وأفضلهم لديه وروينا فى التفسير قل كل يعمل على شاكلته قال على وحدانيته يعنى بذلك على توحيده الذى يوحد الله عز وجل به و يعرفه منه والشاكلة الطريقة والخلق قد شاكله وقد شكل فيه ومن ذلك قول على رضى الله عنه لكل مؤمن سيد من عمله فهذا السيد من العمل هو الذى يرجو به المؤمن النجاة و يفضل به عند مولاه وقال بعض العلماء كان عباد الكوفة أربعة أحدهم صاحب ليل ولم يكن صاحب نهار والآخر صاحب نهار ولم يكن صاحب ليل و بعضهم صاحب سر ولم يكن صاحب علانية والآخر صاحب علانية ولم يكن صاحب سر وقد كان بعضهم يفضل عبادة النهار على عبادة الليل لما فيها من مجاهدة النفس وكف الجوارح لان النهار مكان حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين فاذا سكن العبد عند حركة الغافلين وموضع ظهور الجاهلين كان هو التقى المجاهد

فتفطن له فان البلوى به عامة انتهى قال الحسني هذه مسئلة نفيسة قل من يعرفها على وجهها فينبغى الاعتناء بها ولا تغتر بفعل ضعفاء الطلبة وجهلة المتصوفة فان الشيطان يتلاعب بصوفية زماننا كتلاعب الصبيان بالكرة وأكثرهم صدهم عن العلم مشقة الطلب فاستدرجهم الشيطان قال السيد الجليل ضرار بن عمر وان قوما تركوا العلم ومجالسة العلماء واتخذوا محاريب وصلوا وصاموا حتى يبس جلد أحدهم على عظامه خالفوا فهلكوا والذى لا اله غيره ما عمل عامل على جهل الا كان ما يفسد أكثر مما يصلح انتهى و يتصدق فى هذا اليوم بشئ وان قل و يزور القبور و يدعو لهم حكى عن امرأة من المتعبدات يقال لها ناهية لما أشرفت على الموت رفعت رأسها الى السماء وقالت يا ذخرى و يا ذخيرتى و يا من عليه اعتمادى فى حياتى ومماتى لا تخذلنى عند الموت ولا توحشنى فى قبرى فلما ماتت كان لها ولد يأتى قبرها فى كل جمعة و يقرأ عندها شيأ من القرآن و يدعو و يستغفر لها ولاهل المقابر قال فرأيتها فى المنام فسلمت عليها وقلت يا اماه كيف

والفاضل العابد وقد قيل ان العبادة ليست الصوم والصلاة حسب بل أفضل العبادة اداء الفرائض واجتناب المحارم وتقوى الله عز وجل عند اكتساب الدرهم وهذا من أعمال النهار وقد قال الله عز وجل وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار أى ما كسبت جوارحكم فعلق الاجتراح بالنهار ثم يبعثكم فيه فاذا لم يعلم من عبد اجتراحا بالنهار ولم يبعثه فيه فى مخالفة فمن أفضل منه وكان الحسن يقول أشد الاعمال قيام الليل بالمداومة على ذلك ومداومة الاوراد من أخلاق المؤمنين وطرائق العابدين وهى مزيد الايمان وعلامة الايقان وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اتقنه وهذا كان سبب مانقل عنه صلى الله عليه وسلم من صلاته بعد العصر ركعتين انه كان ترك مرة ركعتى النافلة بعد الظهر شغله الوفد عن ذلك فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر كلما دخل منزله روت ذلك عنه عائشة وأم سلمة ولم يكن يصليهما فى المسجد لئلا يستن الناس به وفى الخبر المشهور اكلفوا من الاعمال ماتطيقون فان الله عز وجل لا يمل حتى تملوا وفى الحديث الآخر أحب الاعمال الى الله عز وجل ماديم عليه وان قل وقدر وينافى خبر من عوده الله عز وجل عبادة فتركها ملالة مقته الله تعالى وفى خبر عن عائشة رضى الله عنها وقد أسنده بعض الرواة من طريق كل يوم لا ازداد فيه علما فلا بورك لى فى صباح ذلك اليوم وقد جاء فى الخبر كلام تارة يروى عن الحسن بن على وتارة يروى عن الحسن البصرى ومرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع يقول من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم ومن لم يكن فى مزيد فهو فى النقصان وفى لفظ آخر من لم يتفقد النقصان من نفسه فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خير له ولعمرى ان المؤمن شكور والشاكر على مزيد

(الفصل الخامس والعشرون) فى ذكر تعريف النفس وتصريف مواجيد العارفين اعلم ان النقصان يبدو من الغفلة والغفلة تنشأ من آفات النفس والنفس مجبولة على الحركة وقد أمرت بالسكون وهو ابتلاؤها لتفتقر الى مولاها وتبرأ من حولها وقواها ومثل ذلك قوله تعالى ولا تموتن الا وأنتم مسلمون لتفزعوا اليه فتقولوا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وكما قال وكان الانسان عجولا خلق الانسان من عجل ثم قال سأريكم آياتى فلا تستعجلون وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه فاخبر عن وصفه بالعجلة ثم أمره بتركها للبلوى فان نزلت السكينة وهى مزيد الايمان سكنت النفس عن الهوى باذن منفسها وان حجب القلب بالغفلة وهى علامة على الافتقار والتضرع تحركت النفس بطبعها فان سكنت عن حركتها فبالمنة والفضل وان تحركت بوصفها فبالابتلاء والعدل فأول البلاء اختلافها وأول اختلافها خلافها ومقدمته الهمة وبابه السمع وهو طريق الى الكلام والنظر والقول طريق الى الشهوة والشهوة مفتاح الخطيئة والخطيئة مقام من النار حتى يخرج عنها الجبار بالتوبة فى الدنيا والعفو فى العقبى وقد تكون المخالفة على المحب العارف أشد من النار كما حدثت عن بعضهم قال لان ابتلى بدخول النار أحب الى من ان أبتلى بمعصية قيل ولم قال لان فى المعصية خلاف ربى تعالى وسخطه وفى النار اظهار قدرته وانتقامه لنفسه قال فسخطه أعز على وأعظم من تعذيب نفسى وكذلك حدثونا فى معناه عن بعض الموقنين من العمال انه قال ركعتان تتقبل منى أحب الى من دخول الجنة قيل وكيف قال لان فى الركعتين رضا ربى عز وجل ومحبته وفى الجنة رضاى وشهوتى فرضا ربى عز وجل أحب الى من محبتى وقد قال وهيب بن الورد المكى فى لبن سئل أن يشربه فلم يفعل لانه سأل عن أصله فلم يستطبه فقالت له أمه اشرب فانى أرجو ان شربته أن يغفر الله لك فقال ما أحب انى شربته وان الله غفر لى قالت ولم قال لا أحب أن أنال مغفرته بمعصيته فجملة وصف النفس معنيان الطيش والشره فالطيش عن الجهل والشره عن الحرص وهما فطرة النفس فمثلها فى الطيش كمثل كرة أو جوزة فى مكان أملس مصوب سكونها بالمنة فان أشرت اليها أو حركتها أدنى حركة تحركت بوصفها وهو خفتها واستدارتها وصورتها فى الشره المتولدة من الحرص انها على صورة الفراشة انها تقع فى النار جاهلة شرهة

آنت وكيف حالك قالت يابنى ان للموت كربة شديدة وأنا بحمد الله فى روح محمود ومفروش فيه الريحان وموسد فيه السندس والاستبرق الى يوم القيامة فقلت ياأمى ألك حاجة قالت نعم يابنى لاتدع ما كنت عليه من زيارتنا والقراءة والدعاء لنا فانى يابنى أسر بمجيئك الينا ليلة الجمعة ويوم الجمعة اذا اقبلت يقول الموتى ياناهية هذا ابنك فقد أقبل الينا فاسر بذلك ويسر من حولى قال فكنت أزورها فى كل ليلة جمعة ويوم جمعة فاقرأ عندها شيأ من القرآن وأقول آنس الله وحشتكم ورحم الله غربتكم وتجاوز الله عن سيآتكم قال فبينما أنا ذات ليلة نائم اذا خلق كثير قد جاؤنى فقلت لهم من أنتم وماحاجتكم فقالوا نحن أهل المقابر جئناك نشكرك ونسألك ان لا تقطعنا من تلك القراءة والدعوات فمازلت أقرأ لهم وأدعو لهم بهن كل ليلة جمعة ويوم جمعة وفى كتاب ابن السنى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة استغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر اخوانى اغتنموا هذا اليوم العظيم

تطالب بجهلها الضوء وفيه هلاكها فاذا وصلت الى شئ منه لم تقتنع بيسيره لشرهها فتحرص على الغاية منه وتطلب عين الضوء وجملته وهو نفس المصباح فتحرق ولو قنعت بقليل الضوء عن بعد سلمت فكذلك النفس فى طيشها الذى يتولد من العجلة وفى شرهها الذى ينتج من الحرص والطمع والحرص والطمع هما اللذان كانا سبب اخراج آدم عليه السلام من الجنة لانه طمع فى الخلود فحرص على الاكل وكان ذلك عن الجهل والشره فكانت معصيته سبب عمارة الدنيا فصارت الطاعة سبب عمارة الآخرة فلذلك قيل حب الدنيا رأس كل خطيئة فصار الزهد أصل كل طاعة فانظر كيف أخرج من الجنة بعد ان جعل فيها بذنب واحد وأنت تريد ان تدخلها ولم تملك النظر اليها بذنوب كثيرة وفى الحديث الايمان عريان فلباسه التقوى وزينته الحياء وغرته العلم ومن ثم قيل ان الجنة طيبة لا يسكنها الا الطيب فى طابوا لها ادخلوها ألم تسمع الى وفاقه بين ذلك فى قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وقال تعالى وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين لانه قال ومساكن طيبة فى جنات عدن والذنوب خبائث كما قال ويحرم عليهم الخبائث فلما طابوا لها طابت لهم وقد اجمل ذلك بقوله تعالى الخبيثات للخبيثين وبقوله الطيبات للطيبين وقد مثل بعضهم النفس فى شرهها بمثل ذباب مر على رغيف عليه عسل فوقع فيه يطلب الكلية فعلق بجناحه فقتله وآخر مر به قد نام من بعضه فنال حاجته فرجع الى وراثه سالما وقد مثل بعض الحكماء ابن آدم مثل دود القز لا يزال ينسج على نفسه لجهله حتى لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره وربما قتلوه اذا فرغ من نسجه لان القز يلتف عليه فيروم الخروج منه فيشمس وربما غمزوه بالايدى حتى يموت لئلا يقطع القز وليخرج القز صحيحا فهذه صورة المكتسب الجاهل الذى أهلكه أهله وماله فتنعم ورثته بما شقى به فان أطاعوا به كان أجره لهم وحسابه عليه وان عصوا به كان شريكهم فى المعصية لانه أكسبهم اياها به فلا يدرى أى الحسرتين عليه أعظم اذهابه عمره لغيره أو نظره الى ماله فى ميزان غيره ومما سمعت فى علم شره النفس ما حدثنى بعض اخوانى عن بعض هذه الطائفة قال قدم علينا بعض الفقراء فاشترينا من جار لنا جملا مشويا ودعوناه عليه فى جماعة من أصحابنا فلما مد يده ليأكل وأخذ لقمة وجعلها فى فيه لفظها ثم اعتزل وقال كلوا أنتم فانه قد عرض لى عارض منعنى من الاكل فقلنا لا نأكل ان لم تأكل معنا فقال أنتم أعلم اما أنا فغير آكل ثم انصرف قال فكرهنا ان نأكل دونه فقلنا لو دعونا الشواء فسألناه عن أصل هذا الجمل فلعل له سببا مكروها فدعوناه فلم نزل به نسأل عنه حتى أقر انه كان ميتة وان نفسه شرهت الى بيعه حرصا على ثمنه فشواه فوافق انكم اشتريتموه قال ففرقناه للكلاب قال ثم انى لقيت الرجل بعد وقت فسألته لاى معنى تركت أكله وباى عارض فقال أخبرك ما شرهت نفسى الى طعام منذ عشرين سنة بالرياضة التى رضتها به فلما قدمتم الى هذا شرهت نفسى اليه شرها ما عهدته قبل ذلك فعلمت ان فى ذلك الطعام علة فتركت أكله لاجل شره النفس اليه فانظر رحمك الله كيف اتفقا فى شره النفس عن قصد واحد ثم اختلفا فى التوفيق والخذلان فعصم العالم بالورع والمحاسبة وترك الجاهل مع شره النفس بالحرص وتركه المراقبة أعنى البائع للجهل ثم عصم الآخرون للتوفيق بحسن الادب وهو قمع شره النفس عن الاكل بعد صاحبهم ثم تدارك البائع بعد وقوعه لصدق المشترى وحسن نيته * وجبلات النفس الاربعة هى أصول ما تفرع من هواها وهى مقتضى ما فطرها عليه مولاها أولها الضعف وهو مقتضى فطرة التراب ثم البخل وهو مقتضى جبلة الطين ثم الشهوة وموجبها الحمأ ثم الجهل وهو ما اقتضاه موجب الصلصال وهذه الصفات على معانى تلك الجبلات للابتلاء بالامشاج ففيه بدء الامت والاعوجاج ذلك تقدير العزيز العليم ثم ان النفس مبتلاة باوصاف أربعة متفاوتة أولها معانى صفات الربوبية نحو الكبر والجبرية وحب المدح والعز والغنى ومبتلاة باخلاق الشياطين مثل الخداع والحيلة والحسد والظنة ومبتلاة بطبائع البهائم وهو حب الاكل والشرب والنكاح وهى مع ذلك كله مطالبة باوصاف العبودية مثل الخوف

واجعلوه خاصة لآخرتكم ولا تتركوا هذه السنن فانها زاد معادكم وأكثروا فيه من الاذكار والقراءة والدعاء واجتهدوا فى مصادفة ساعة الاجابة فانها ما بين ان يجلس الامام على المنبر الى ان تقضى الصلاة كما فى صحيح مسلم وقيل بعد العصر الى الغروب كما فى الترمذى واحذروا ان تقوموا الى صلاة والامام يخطب فان ذلك حرام كما نقلوا عن شرح المهذب ولا تغتروا بكثرة من يفعل ذلك فانهم جهال اخوانى كم تحملون احمال الاوزار وهى ثقال وكم تبارزون بالمعاصى ذا الجلال وكم تتعللون بالتسويف والآمال وكم تتبعون الشهوات وهى خيال وكم تطمعون فى البقاء وقد دنا الانتقال وكم قيدتكم الامانى من التوانى والاعلال وكم أنذركم من رحل من الاحباب بالارتحال أين من جمع الاموال وعددها اين من عمر الحدائق وغرسها أزعجه والله هاذم اللذات من غير اختياره وأخرجه كرها من بين أهله وداره ولم يمهله ساعة ولم يداره كم دموع من الاسف عند الحمام سوابكب على ما مضى من أيام البطالة فى المصائب يا مغترا بالآمال رب آمل

والتواضع والذل بمعنى ماقلناه فيل انها خلقت متحركة وأمرت بالسكوت وانى لها بذلك ان لم يتداركها المالك وكيف تسكن بالامر ان لم يسكنها محركها بالخير فلا يكون العبد عبدا مخلصا حتى يكون للمعانى الثلاث مخلصا فاذا تحقق باوصاف العبودية كان خالصا من المعانى التى هى بلاؤه من صفات الربوبية فاخلاص العبودية للوحدانية عند العلماء الموحدين أشد من الاخلاص فى المعاملة عند العاملين وبذلك رفعوا الى مقامات القرب وذلك انه لايكون عندهم عبدا حتى يكون مما سوى الله عز وجل حرا فكيف يكون عبد رب وهو عبد عبد لان ماقاده اليه فهو الهه وما ترتب عليه فهو رب به وهذا شرك فى الالهية عند المتالهين ومرج بالربوبية عند الربانيين فهو متعوس منكوس بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الحلة فهؤلاء عبيد العبد الذين قال مولاهم ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد أحصاهم وعدهم عدا أصحاب النفوس الامارة بالسوء المسولة الموافقة للهوى المخالفة للمولى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر وصفهم أولو النفس المرحومة المطمئنة المرضية هم عباد الرحمن أهل العلم والحكمة علمهم من لدنه واختارهم لنفسه ولا يكون المريد بدلا حتى يبدل بمعانى صفات الربوبية صفات العبودية وباخلاق الشياطين أوصاف المؤمنين وبطبائع البهائم أوصاف الروحانيين من الاذكار والعلوم فعندها كان بدلا مقربا والطريق الى هذا بان يملك نفسه فيملكها وتسخر له فيسلط عليها فان أردت أن يملك نفسك فلا تملكها وضيق عليها ولا توسع لها فان ملكتها ملكتك وان لم تضيق عليها اتسعت عليك فان أردت الظفر بها فلا تعرضها لهواها واحبسها عن معتاد بلاها فان لم تمسكها انطلقت بك وان أردت ان تقوى عليها فاضعفها بقطع أسباب هواها وحبس مواد شهواتها والا قويت عليك فصرعتك فاول الملكة لها ان تحاسبها فى كل ساعة وتراقب حسبتها فى كل وقت وتقف عند كل همة من خواطرها فان كانت الهمة لله عز وجل سابقت الموت وبادرت الفوت فى امضائها وان كانت الهمة لغير الله تعالى سابقت وبادرت فى محوها لئلا تثبت وعملت فى الاستبدال بها كيلا تستبدل بك وفى تاويل الخبر المروى البر يزيد فى العمر وهو معنى الدعاء المشهور من قول الناس جعل الله فى عمرك البركة وقد بورك له فى عمره فان البركة فى العمر ان تدرك فى عمرك القصير بيقظتك مافات غيرك من عمره الطويل بغفلته فيرتفع لك فى سنة مالا يرتفع له فى عشرين سنة وللخصوص من المقربين فى مقامات القرب عند التجلى بصفات الرب الحاق برفيع الدرجات وتدارك مافات عند اذكارهم واعمال قلوبهم اليسيرة فى هذه الاوقات فكل ذرة من ذكر بتسبيح أو تهليل أو حمد أو تدبر وتبصرة وتفكر وتذكرة بمشاهدة قرب ووجد برب ونظرة الى حبيب ودنو الى قريب أفضل من امثال الجبال من أعمال الغافلين الذين هم بنفوسهم واجدون وللخلق مشاهدون ومثل العارفين فيما ذكرته من قيامهم بمشاهدتهم ورعايتهم لاماناتهم وعهدهم فى وقت قربهم وحضورهم مثل العامل فى ليلة القدر العمل فيها لمن وافقها خير من ألف شهر وقد قال بعض العلماء كل ليلة للعارف بمنزلة ليلة القدر وروينا عن على رضى الله عنه انه قال كل يوم لا يعصى الله عز وجل فيه فهو لنا عيد وكان الحسن اذا تلا قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية قال يا اخوانى هى والله ايامكم هذه فاقطعوها بالجد والاجتهاد ولا تضيعوها فتخلوها فراغا من حسن المعاملة وبطالتك فيها عن الشغل بمعادك المحصول عليك منها كما قال المبطلون ياحسرتنا على مافرطنا فيها يعنى فى الايام الخالية التى هى محصولهم ومرجعهم ومثواهم وكما قالت النفس الامارة بالسوء ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله يعنى أيام الدنيا التى ضيعت العمر فيها فخلت من الثواب والجزاء غدا وهذا أحد الوجهين فى قوله الايام الخالية والوجه الآخر الخالية أى الماضية تخلت أوقاتها وخلدت أحكامها وذهبت شهواتها وبقيت عقوباتها فان قصرت عن هذه المحاسبة للحسيب ولم يكن لك مقام المراقبة

للرقيب

خائب ستدرى فى ظلمة اللحد عاقبة العواقب وما أمليت من أعمالك على الكاتب وبعده هول الموقف بين يدى المحاسب ويبدو الكل بسوف أمله الكاذب هنالك والله تضيق المذاهب وتبدو الخيبة والحسرة والمصائب اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم

(فصل) فى الزكاة قال الله سبحانه وتعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله أى لا يؤدون زكاتها فبشرهم أى أنذرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم أى تدخل النار فيوقد عليها أى على الكنوز فتكوى أى تحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود رضى الله عنه لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلدهم حتى يوضع كل درهم ودينار فى موضع على حدة فيقال لهم هذا ما كنزتم لانفسكم فصار النفع ضرا فذوقوا وبال ما كنتم تكنزون خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال مامن رجل يكون له ابل أو بقر أو غنم

للرقيب ولامكان المحاسبة للحبيب فلا يفوتنك مقام الورعين ولاتبن عن حال التائبين وهوان تجعل لك وردين فى اليوم والليلة لمحاسبة النفس ومواقفتها مرة بعد صلاة الضحى لما مضى من ليلتك وما سلف من غفلتك فان رأيت نعمة شكرت الله وان رأيت بلية استغفرت فان وجدت فى حالك أوصاف المؤمنين التى وصفهم الله عز وجل ومدحهم عليها رجوت وطمعت واستبشرت وان وجدت من قلبك وحالك وصفا من أوصاف المنافقين أوخلقا من أخلاق الجاهلين التى ذمهم الله عز وجل بها ومقتهم عليها حزنت واشفقت وتبت من ذلك واستغفرت والمرة الثانية ان تحاسب نفسك بعد الوتر وقبل النوم لما مضى من يومك من طول غفلتك وسوء معاملتك وما فعلته من أعمالك كيف فعلتها ولمن فعلتها وما تركته من سكوتك وصمتك لم تركته ولمن تركته فتنعقد الزيادة والنقصان وتعرف بذلك التكلف والاخلاص من حركتك وسكونك فما تحركت فيه وسكنت لاجل الله عز وجل به فهو الاخلاص ثوابك فيه على الله عز وجل عند مرجعك اليه فاعمل فى الشكر على نعمة التوفيق وحسن العصمة من التهلكة وما سكنت فيه أو تحركت لهواك وعاجل دنياك فهو التكلف الذى أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه هو والاتقياء من أمته برآء من التكلف وقد استوجبت فيه العقاب عند نشر الحساب الا ان يغفر المولى الكريم الوهاب فاعمل حينئذ فى الاستغفار بعد حسن التوبة وجميل الاعتذار وخف ان يكون قد وكلك الى نفسك فتهلك فلعل مشاهدة هذين المعنيين من خوف ما سلف منك والطمع فى قبول ما أسلفت يمنعك من المنام ويطرد عنك الغفلة فتحيي ليلتك بالقيام فتكون ممن وصف الله عز وجل فى قوله تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقد قال بعض السلف كان أحدهم يحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه وقد قال بعض العلماء من علامة المقت ان يكون العبد ذاكرا العيوب غيره ناسيا العيوب نفسه ماقتا للناس على الظن محبا لنفسه على اليقين وترك محاسبة النفس ومراقبة الرقيب من طول الغفلة عن الله عز وجل والغافلون فى الدنيا هم الخاسرون فى العقبى لان العاقبة للمتقين قال الله عز وجل وأولئك هم الغافلون لاجرم انهم فى الآخرة هم الخاسرون وطول الغفلة من العبد عن طبائع القلب من المعبود والغفلة فى الظاهر غلاف القلب فى الباطن تقول العرب غفله وغلفه بمعنى كما تقول جذب وجبذ وخشاف وخفاش وطبائع القلب عن ترادف الذنب بعضه فوق بعض وهو الران الذى يتعقب الكسب فيكون عقوبة له قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل المكاسب الخبيثة وأكل الحرام وفى التفسير هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب وأصل الرين الميل والغلبة وهو التغطية أيضا يقال ران عليه النعاس اذا غلبه ورانت الخمر على عقله أى غطته ومن هذا قول عمر رضى الله عنه فى سابق الحاج فادّان معرضا فاصبح وقد رين به أى مال به الدين فغلبه وأصل ترادف الذنوب من اغفال المراقبة واهمال المحاسبة وتاخير التوبة والتسويف بالاستقامة وترك الاستغفار والندم وأصل ذلك كله هو حب الدنيا وايثارها على أمر الله عز وجل وغلبة الهوى على القلب ألم تسمع الى قوله عز وجل ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة الى قوله عز وجل أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وقال فى دليل الخطاب ونهى النفس عن الهوى يعنى عن ايثار الدنيا لان صريح الكلام وقع فى وصفهم بالطغيان وايثار الحياة الدنيا ثم قال طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم فاتباع الهوى عن طبائع القلب وطبائع القلب عن عقوبة الذنب وميراث العقاب الصمم عن فهم الخطاب اما سمعته يقول لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقد جعل على رضى الله عنه الغفلة مقاما من مقامات الكفر فقال فى حديثه الطويل فقام اليه سلمان فقال اخبرنا عن الكفر على ما بنى فقال على أربع مقامات على الشك والجفاء والغفلة والعمى فاذا كثرت غفلة القلب قل الهام الملك للعبد وهو سمع القلب لان طول الغفلة يصمه عن السمع وعدم سمع الكلام من الملك عقوبة الخطايا وتثبيت الملك للعبد على الخير والطاعة وحى من الله عز وجل اليهم وتفضيل للعبد اما سمعت

لا يؤدى حقها الا أتى بها يوم القيامة اعظم ما تكون واسمنه تطؤه باخفافها وتنطحه بقرونها كلما جاوزت أخراها ردت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت اعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار الحديث خم قال النبى صلى الله عليه وسلم ما من رجل لا يؤدى زكاة ماله الا مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يفر منه وهو يتبعه حتى يطوقه فى عنقه وفى رواية لمسلم يتبعه فاتحا فاه فاذا أتاه فر منه فيناديه خذ كنزك الذى خبأته فاذا رأى انه لا بد له منه سلك يده فى فيه فيقضمها قضم الفحل ثم يأخذه بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول أنا مالك انا كنزك ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وعن

قول الله عز وجل اذ يوحى ربك الى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا وفى الخبران آدم عليه السلام حجب عن سمع كلام الملائكة فاستوحش بذلك فقال يارب مالى لا أسمع كلام الملائكة فقال خطيئتك يا آدم فاذا لم يسمع العبد كلام الملائكة لم يفهم كلام الملك واذا لم يسمع الكلام لم يستجب للمتكلم انما يستجيب الذين يسمعون وقال الحسن ان بين العبد و بين الله عز وجل حدا محدودا من الذنوب فاذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه للخير أبدا فبادر أيها المجاوز للحدود بالتوبة والرجوع قبل ان تبلغ الحد فتلقى عياوجهدا وفى حديث ابن عمر الطابع معلق بقائم عرش الرحمن فاذا انتهكت المحارم بعث الله عز وجل بالطابع على القلوب فاعماها وهذا هو القفل الذى قال الله عز وجل أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها واعلم ان القسوة التى يهدد الله عز وجل عليها بالويل المتولدة من طول الغفلة فى قوله عز وجل فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقد قرنها الله عز وجل بالنفاق وأخبرانه يجعل القاء الشيطان فتنة لاهل النفاق والقسوة فالقاء الشيطان يكثر عند قلة الهام الملك كما ذكرنا آنفا ينتظم ذلك قوله عز وجل ليجعل مايلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم أى وللقاسية قلوبهم أيضا والقسوة ثمرة البعد والبعد عقوبة الخيانة والله لايحب الخائنين فذلك من تدبر الخطاب من قوله فبمانقضهم ميثاقهم أى فبنقضهم الميثاق وماصلة فى الكلام فهذا هو الخيانة لعناهم أى أبعدناهم وجعلنا قلوبهم قاسية بترادف الذنوب بعد القسوة من الكذب والنسيان وكثرة الاطلاع على الخيانة منهم والبهتان فأصيبوا بالذنوب فوقع الطابع على القلوب فصمت عن سمع كلام المحبوب كما قال اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فلا يسمعون وضد هذا الطابع التقوى فهو مفتاح السمع كما قال اتقوا الله واسمعوا والله تعالى الموفق

(الفصل السادس والعشرون) فيه كتاب ذكر مشاهدة أهل المراقبة اعلم ان مشاهدة المراقبين هى أول مراقبة المشاهدين وذلك ان من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ومن كان مقام المشاهدة كان وصفه المراقبة فاول شهادة المراقب هو ان يعلم يقينا ان لايخلو فى كل وقت وان قصر من أحد ثلاثة معان ان يكون لله عز وجل عليه فرض والفرض على ضربين شئ أمر بفعله أو شئ أمر بتركه وهو اجتناب المنهى والمعنى الثانى ندب حث عليه وهو المسابقة بخير يقربه الى الله عز وجل والمسارعة بعمل بر يبتدره قبل فوته والمعنى الثالث شئ مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وليس للمؤمن وقت رابع فان أحدث وقتا رابعا فقد تعدى حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه وقد أحدث فى دين الله سبحانه وتعالى ومن أحدث فى دين الله فقد سلك غير طريق المتقين الم تسمع الى قوله عز وجل وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا فهل ترى بين هذين وقتا يجهل أو هوى كما لا ترى بين الليل والنهار وقتا ثالثا فالذكر الايمان والعلم فهذان ينتظمان جهل أعمال القلوب والشكر والعمل باخلاق الايمان وأحكام العلوم وهذان يشتملان على جميع أعمال الجوارح قال الله عز وجل اعملوا آل داود شكرا وقال واتقوا الله لعلكم تشكرون وقال كما أرسلنا فيكم رسولا منكم الى قوله فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقال الله تعالى مايفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عوتب فى طول قيامه حتى تورمت قدماه فقال أفلا أكون عبدا شكورا ففسر الشكر بالعمل كما فسر الله عز وجل العمل بالشكر والوقت الثالث هو المباح داخل فيهما لانه معين عليهما وبه استقامة العبد فيهما وقد كان بعض العلماء يقول لنا فى معاصى الطاعات همم وشغل عن معاصى المخالفات فيبتدئ العبد المراقب فينظر بيقظته فى أدنى وقت هل لله عز وجل فيه فرض من أمر أو نهى فيبدأ بذلك حتى يفرغ منه فان لم يجد فانه لايخلو من نوادب وفضائل فيبتدئ بالافضل فان لم يمكن عمل فى أدنى الفضلتين فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه لامسه ومن ساعته ليومه ومن دنياه لآخرته كما أمره مولاه فى قوله سبحانه وتعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا أى لاتترك ان تأخذ نصيبك من الدنيا ولا تترك ان تأخذ نصيبك للآخرة من دنياك وهو

عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ماخالطت الصدقة مالا قط الا أهلكته رواه الشافعى والبخارى فى تاريخه والحميدى وزاد الحميدى وقال يكون قد وجبت عليك صدقة فلا تخرجها فيهلك الحرام الحلال اخوانى أدواز كاة مالكم التى قرن بها الله الصلاة فى أكثر المواضع من القرآن اذا الصلاة أم العبادات البدنية والزكاة أم العبادات المالية لتنجوه الشجاع الاقرع والكى بنار جهنم وأنواع الفضائح والعقوبات وهلاك الاموال فان لم يهلك أموالكم وأنتم عاصوه فلا تظنوه نعمة بل هى بلية عظيمة وفتنة جسيمة فقد روى أحمد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيا على معاصيه مايحب فانما هو استدراج ثم تلا قوله تعالى فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون أى آيسون قال ابن عطية وروى عن بعض العلماء انه قال رحم الله امرأ تدبر هذه الآية حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة

ان تحسن كما أحسن الله اليك ولا تطلب الفساد فى الدنيا فتكون قد نسيت نصيبك من الآخرة فيترك الله من جزيل ثوابه الذى أعد لاحبابه كما قال نسوا الله فنسيهم أى تركوه فتركهم وتركهم له ترك نصيبهم منه وتركه عز وجل لهم ترك محابهم من الآخرة فيبتدئ العبد الفطن فيأخذ من عمره ووقته فيجعله لآخرته التى أيقن بها ثم يأخذ من وقته اعلى ما فيه مما يختص به الوقت ولا يوجد الا فيه ويفوت دركه بفوت وقته وهو أفضل ما يقدر عليه مما اداه علمه اليه فيجعله لمولاه ثم ان العبد لا يخلو فى كل وقت وان قل من أحد مقامين مقام نعمة أو مقام بلية فحاله عن مقام النعمة الشكر وحاله عن مقام البلية الصبر ثم ليس يفقد أحد مشاهدتين شهود نعمة أو شهود منعم من حيث لا يخلو من وجود مالك وحضور مملوك فعليه الخدمة للموجود وعليه الحضور فى خدمة المعبود والمراقبة علامة الحضور والمحاسبة دليل المراقبة ويكون له أيضا فى أدنى أوقاته وهو الوقت الثالث الذى هو لمباحه وهو أدنى أحوال المؤمن يكون له فيه مشاهدة منعم أو شهود نعمة لئلا يذهب وقته هذا أيضا فارغا من دنياه ولا يعود عليه شئ من ذكر مولاه أو يذكر نعمة تدله على منعم أو تخرجه اليه فينفعه ذلك فى عقباه اذ العاقبة للمتقين فان شهد منعما اقتطعه الحياء بالسكينة والوقار للهيبة وهذا مخصوص بخصوص وان شهد نعمة استغرقه بالشكر والاعتبار فكان لديه تبصرة وتذكار وهذا العموم الخصوص قال الله عز وجل فى وصف الاولين ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله وقل فى المقام الثانى ولا تجعلوا مع الله الها آخر وقال فى مقام الاولين قل من بيده ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه الى قوله أفلا تتقون وقال فى وصف الآخرين قل لمن الارض ومن فيها الى قوله أفلا تذكرون وقدر وينافى الاثر من صفات العاقل وحال المراقب وحشو الاوقات بما ينبغى ان تملأ به جمل ما ذكرناه من حديث أبى ذر الطويل ولا يكون للمؤمن ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة فى غير محرم وبمعناه وعلى العاقل ان يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه عز وجل وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يفكر فى صنع الله عز وجل وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان فى هذه الساعة عونا له على الساعات وفيه أيضا ثلاث مجملات من صفة العاقل ومن علامة العاقل ان يكون مقبلا على شانه حافظا للسانه عارفا بزمانه وفى بعضها مكرما لاخوانه فأول وقت المباح من الاوقات فالنوائب والحاجات تطرقه به والفاقات تدخله عليه فلا يتكلفه قبل وقته فيشغله عن وقته ثم ان العباد فى مشاهدة الملك على أربع مقامات كل عبد يشهد الملك من مقامه بعين حاله فمنهم من ينظر الى الملك بعين التبصرة والعبرة فهؤلاء أولو الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب وهم اولو الايدى والابصار الذين أقامهم مقام الاعتبار وهذا مقام العلماء الذين هم ورثة الانبياء ومنهم من ينظر الى الملك واهله بعين الرحمة والحكمة وهذا مقام الخائفين ومنهم من ينظر الى الملك وأهله بعين المقت والبغضة وهذا مقام الزاهدين ومنهم من ينظر الى الملك بعين الشهوة والغبطة وهذا مقام الهالكين وهم أبناء الدنيا الذين لها يسعون وعلى فوتها يتحسرون فان أعطى العبد النظر الى الملك بعين العبرة والحكمة أدخله الملك على الملك فاستغنى به عما سواه وان أعطى الخائف النظر الى الملك بعين الرحمة اغتبط بمقامه وعظمت لربه تعالى عليه النعمة وان أعطى الزاهد النظر الى الملك بعين البغضة أخرجه الملك عن الملك بالزهد فيه فعوضه من فوت الملك الصغير درك الملك الكبير ومن ابتلى بالنظر الى الملك بعين الغبطة والحسرة أوقعه الملك فى الهلكة فسلك طريق المهالك ومن شاهد معنى خلق من أخلاق الذوات أو معنى وصف من الصفات كان مقتضاه ما يوجب الخلق أو الوصف من شهود نعيم أو عذاب وهو مقام له فى التعريف يرفعه الى مقام التعرف وهذه شهادة العارفين من كل ما شهدوه من الافعال التى تدل على معانى الاخلاق والاوصاف لانه أظهرها عنه ليستدل عليه بها وينظر اليه منها فامامن شهد شهوة من شهوات النفس بعين الهوى أخرجته الى الاهواء فتخطفه الشياطين وهوت به الريح فى مكان سحيق وتنكب طريق المسالك الى المولى التى تخرجه الى القريب وتقعده عند الحبيب فى مقعد صدق عند مليك مقتدر فمن فاته القرب وقع فى التيه

وقال الحسن من وسع عليه فلم يرانه يمكر به فلا رأى له ومن قتر عليه فلم يرانه ينظر له فلا رأى له ثم قرأ هذه الآية وقال مكر بالقوم ورب الكعبة اعطوا حاجاتهم ثم أخذوا قاله فى الوسيط وفى الروض الفائق انه كان فى بنى اسرائيل رجل مذنب وكلما زاد فى ذنوبه وعصيانه أمده الله بوافر رزقه واحسانه فلما سمع موسى عليه السلام وتوبيخه لاهل الذنوب قال ياموسى ما أرى ربى الا كلما زدت معصية زادنى من فضله ونعمته فعجب موسى من كلامه فقال الهى أنت أعلم بما قاله عبدك العاصى فقال ياموسى انى أعذبه ولا يدرى فقال يارب كيف تعذبه وقد بسطت رزقه وأمهلته قال ياموسى عذبته ببعده عنى وأغفلته عن طاعتى فوعزتى وجلالى لاذيقنه وبيل عذابى ولاحرمنه جزيل ثوابى ياهذا اذا رأيت المبارزين بالخطايا قد اتسع لهم مجال الامهال فلا تستعجل لهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما لقد فرحوا بما يوجب الغم من الزلات أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون بينا أرض اعراضهم قد أخذت زخرفها وازينت

والبعد فهو البائس المغبون الخائن المفتون الذى يكون ابدا يومه شرا من أمسه وغده شرا من يومه فالموت خير له من حياته لان حياته من الحبيب تبعده و بقاءه عن السبيل يصده و وجده بهواه يفقده وظهور نفسه عليه من السوابق يقعده لانه اذا كان فى ادبار وكان ادباره فى اقبال فيفقد فاته عمره عن آخره كفوت وقت واحد وفوت شئ واحد لان العمر ليس مما يتأتى فوته دفعة واحدة كشئ واحد لانه ينشأ وقتا بعد وقت وانما يفوت جزأ جزأ على حكمة من الله عز وجل وتمهل واستدراج منه وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم يستدرجه فى ذلك كما يصعد الدراج فى الدرج مرقاة مرقاة كذلك يشغله فى وقت عنه ويفرغه وقتا آخر لغيره ويذكره فى وقت سواه وينسيه وقتا آخر اياه فشغله حينئذ كفراغه وذكره يومئذ كنسيانه وعلى هذا سائر أوقاته تارة يقطعه عنه وتارة يصله بغيره حتى تفنى الايام بالفوت وتنقضى الاوقات الى الموت وفى ذلك يسبل عليه الستر ليغتر ويسبغ عليه النعم كيلا يعلم ويديم له العوافى لئلا يفطن ويبسط له الامل ليزداد من سوء العمل ويقبض عنه الاجل ليقبض منه الوجل وينشر له الرجاء ويطوى عنه الخوف حتى يفتهم فجأة من حيث أمنهم ويأخذهم بغتة فى حال غمرتهم كما قال ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون ومن معنى ما ذكرناه قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ أى لما تركوا ما وعظوا به وخوفوا أسبغنا عليهم النعم وأنسيناهم الشكر فترادفت منهم الذنوب وأنسيناهم الاستغفار ثم قال حتى اذا فرحوا بما أوتوا أى سكنوا الى ذلك واطمأنوا ولم يريدوا التحويل عنه ولا الاستعتاب منه أخذناهم بغتة أى فجأة فى حين أمنهم وقيل بغتة بعد أربعين سنة فاذا هم مبلسون متحيرون باهتون آيسون من كل خير واعلم ان العبد اذا كان بعد ساعة شرا منه قبلها وبعد يوم شرا منه قبله ثم لم يستعتب ولم يتدارك كانت أوقاته كلها وايامه كيوم واحد فى الشر ووقت سرمد فى السوء فكان كمن فات عمره كله كفوت وقت واحد منه لانه على هذا الوصف يكون فوت العمر لتراخيه وقتا بعد وقت وينساه شيأ بعد شئ ولتربية العبد باوقاته وقتا بعد وقت الا انها فى آخر الحساب ومجمله كيوم واحد اضاعة فكان مثله كما قال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا وكمن كان حاله الغفلة عن الوعد والوعيد فلما كشف عنه الغطاء حار بصره وبهت واحتد وبرق لمعاينته ما كان عنه غفل وحسرة على ما فيه فرط لقوله تعالى لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد قيل محدد الى أعمالك السيئة أو ثقلك وقيل حديد الى لسان الميزان يتوقع النقص والرجحان وكان كمن قال تعالى فى قوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة قيل جاءهم الموت وهم مشغولون بأمور الدنيا وقيل كانوا متشاغلين فى شان النساء و يوصف من قيل له وغرتكم الامانى يعنى أمانى الهوى حتى جاء أمر الله أى قدم الموت ولم تقدموا له شيأ يقدموا به عليه فمثلهم كمن وصفه بالافلاس واخبر عنه بالاياس فى قوله عز وجل حتى اذا جاءه لم يجده شيأ ووجد الله عنده فوفاه حسابه وقد كان أبو محمد يقول لا يبلغ العبد منازل الصديقين حقيقة من هذا الامر حتى يكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهى فى الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الممات وكان الحسن يقول والله ما للعمل المؤمن انتهاء دون الموت والله ما المؤمن الذى يعمل الشهر والشهرين والسنة والسنتين انما المؤمن المداوم على أمر الله الخائف من مكر الله انما الايمان شدة فى لين وعزم فى يقين واجتهاد فى صبر وعلم فى زهد وكان عمر رضى الله عنه اذا تلا قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا يقول لقد قالها الناس ثم رجعوا فمن استقام على أمر الله فى السر والعلانية والعسر واليسر ولم يخف فى الله لومة لائم وقال مرة استقاموا والله لربهم ولم يروغوا روغان الثعالب وقال بعض العلماء من كان طلب الفضائل أهم اليه من اداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان الثورى وغيره انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فأفضل شئ للعبد معرفته بنفسه ووقوفه على حده واحكامه لحاله التى أقيم فيها فابتداؤه بالعمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهى

جعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس يا معشر الغافلين فى لذاتهم انا أنذرناكم عذابا قريبا واخجلهم يوم ينبئهم الله بما عملوا والله بكل شئ عليم

شعر

ما حال من غلقت أبواب جنته
وخلدت نفسه فى سجن غفلته
أعمته شهوته عن كل صالحة
كأنما ختمت أجفان مقلته
فدعه ان لم يفق من قبل صرعته
فسوف يعثر فى أذيال جفوته
يا من ينادى ولا يصغى لصالحة
كأنما قلبه فى غير جثته
ان كان جسمك لا يقوى على ألم
فالنار أعظم من آلام علته

اللهم أجرنا من نار عقوبتك ولا تفضحنا على رؤس الخلائق يوم القيامة وارزقنا حسن النظر لانفسنا ولا تجعلنا من الذين يستمعون المواعظ ولا يعملون بها وصل على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(فصل فى الصدقة والسخاء)

قال الله تعالى ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم وفى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول أحدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم اعط ممسكا

عنه بعلم يدبره فى جميع ذلك وورع يحجزه عن الهوى فى ذلك ولا يشتغل بطلب فضل حتى يفرغ من فرض لان الفضل لا يصح الا بعد حوز السلامة كما لا يخلص الربح للتاجر الا بعد حصول رأس المال فمن تعذرت عليه السلامة كان من الفضل أبعد والى الاغترار اقرب وقد تلتبس الفضائل بالفرائض لدقة معانيها وخفى علومها فيقدم العبد النفل وهو يحسب انه الواجب فمن ذلك ان أبا سعيد رافع بن المعلى كان قائما يصلى فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدى الله عز وجل بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مامنعك ان تجيبنى حين دعوتك فقال كنت أصلى فقال ألم تسمع الله عز وجل يقول استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه وهو فى الصلاة ليفيده باطن العلم أو لينظر مبلغ علمه كيف يعمل وكان اجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له من صلاته لان صلاته نافلة له فهو مطيع لله عز وجل فى الغيب باختياره واجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من صلاته لانها فريضة عليه فهو مطيع لله تعالى فى الشهادة باجابه ففضل استجابته لرسول الله صلى الله عليه وسلم على صلاته لنفسه كفضل الفرض على النفل وقد قال سبحانه من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله والله تعالى معه فى المكانين معا وهو عند الرسول عليه السلام على يقين فعبادة الله عز وجل ههنا أبلغ فى مرضاته وأثوب له فى آخرته وفى هذا الحديث دليل ان الخبر اذا ورد فى أمر كان على جملة عمومه وكليته ماتعلق به حتى تخص السنة أو الاجماع بعض شأنه ومن ذلك ان قول الله عز وجل استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ان ظاهره مقصور على الاستجابة للرسول صلى الله عليه وسلم بالايمان وبالطاعة فى أوامر القرآن لا الاجابة له فى التصويت خاصة فى الصلاة وهذا هو الذى جهله أبو سعيد بن المعلى عليه وتاوله من الآية فاشكل عليه ومثل هذا فعل عمار فى التيمم لما نزلت آية الاباحة للتيمم فى صلاة الفجر وهم فى سفر فقال عز وجل فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ولم يكن يسمع من النبى صلى الله عليه وسلم فى تخصيص بعض اليد شيأ قال فتيممنا الى المناكب واستوعب جملة اليد لعموم الخطاب حتى أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فأمرهم بالتيمم الى المرفقين وفى خبر الى الزندين باختلاف الروايتين فخص بعض اليد فلذلك اختلاف العلماء فى تبعيض اليد فى المسح وكذلك العمل فيما ورد مجملا ان يستعمل فى الجملة حتى تخصه السنة فمن ذلك ماروى ان رجلين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تآخيا فى العبادة فاعتزلا الناس فقال أحدهما لصاحبه هلم اليوم فلننفرد عن الناس ونلزم الصمت فلا نتكلم من يكلمنا فانه أبلغ فى عبادتنا قال فاعتزلا فى خلوة وصمتا فمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهما فلم يردا عليه السلام قال فسمعناه يقول حين جاوزنا هلك المتعمقون المتنطعون فاعتذرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابا من ذلك الى الله عز وجل ومثل ذلك ماروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يعس ذات ليلة فنظر الى مصباح أبيض فى خلل باب فاطلع فاذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن بن عوف فجاء به الى الباب فنظر وقال له كيف ترى أن نعمل فقال أرى والله أنا قد أتينا مانهانا الله عنه لانا تجسسنا على عورة فاطلعنا عليها وقد سترها الله دوننا وما كان لنا ان نكشف ستر الله عز وجل فقال ما أراك الا قد صدقت أنفذ عنك فانصرفنا وفى لفظ آخر انه قال له أرى انا قد عصينا الله ورسوله ونهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ٧ عن التجسس فقال صدقت فأخذ بيده وانصرف وروينا نحو هذا ان عمر رضى الله عنه كان يعس ليلة مع ابن مسعود فاطلع من خلل الباب فاذا شيخ بين زق خمر وقينة تغنيه فتسور عليه وقال ما أقبح بشيخ مثلك ان يكون على مثل هذه الحال فقام اليه الرجل فقال يا أمير المؤمنين انشدك الله الا أنصفتنى حتى أتكلم فقال له قل فقال ان كنت قد عصيت الله عز وجل فى واحدة فقد عصيته أنت فى ثلاث قال وماهى قال قد تجسست وقد نهاك الله عز وجل عن ذلك وتسورت وقد قال الله عز وجل وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها ودخلت

تلفا ثم قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انفق يا ابن آدم أنفق عليك ت قال صلى الله عليه وسلم السخى قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار والجاهل سخى أحب الى الله من عابد بخيل ت قال صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان دت عن أم حميد قالت قلت يارسول الله ان المسكين ليقف على بابى حتى أستحى فلا أجد فى بيتى ما أدفع فى يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادفعى فى يده ولو ظلفا محرقا م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مانقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع أحد لله الا رفعه الله ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم وروى أحمد أنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ظل المؤمن يوم القيامة صدقة تس قال

بغير اذن وقد قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها فقال عمر صدقت فهل أنت غافر لي ذلك فقال غفر الله لك فخرج عمر وهو يبكي حتى علا نشيجه وهو يقول ويل لعمر ان لم يغفر الله تجد الرجل كان يختفي بهذا عن ولده وجاره فالآن يقول رآني أمير المؤمنين ونحو ذلك وجاء في الخبر اذا دعي أحدكم الى طعام فان كان مفطرا فليجب وان كان صائما فليقل اني صائم فأمره باظهار عمله وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يؤثر في قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه مع تأثير ذلك في قلب أخيه لتفضيل المؤمن وحرمته على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل وانما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء على غيره في العمل الواحد فدل ذلك ان المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير لك من اخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا بينا يقبله منك ويعرفه شق عليه ان كان صادقا في دعائك وبمعنى هذا من خفي الاعمال ما يحكى عن بعض السلف انه كان يكون في الجماعة فيقرأ في نفسه سرا لئلا يطلع على أعماله أحد فاذا مر بآية فيها سجدة سجد بين الملا فكان يعرف بسجوده انه يقرأ فلعل فارغا قليل الفقه يقول ان هذا قد أظهر عمله اذ فعل ما يدل عليه فلو ترك السجود ليخفي عمله كان أفضل لانه قد أظهر ما أخفاه فهذا يدل على جهله بالمعاملة وقد سمعت بعض العلماء يطعن على هذا بفعله بمعنى ما ذكرناه من القول وهكذا يكون علم المريدين القصيرين العلم وليس الامر كما قدره هذا المنكر بسجوده بل القائل المنكر لفعله قليل الفقه بدقائق الاخلاص جاهل بطريقة العاملين من العارفين والعامل الذي نقل عنه هذا الفعل فقيه مخلص وذلك لانه قد حاز الفضلين معا لانه كان فاضلا فيما أخفى اذ ابتدأ عمله بالخفية فلما جاء السجود الذي لا يكون الا ظاهرا لم يصلح أن يترك قربة الى الله عز وجل من أجل الناس فكان يسجد كما أمر به ويقرأ كما ندب اليه فصار فاضلا في الحال الثاني لانه أظهر لاجل الله عز وجل كما أخفى لاجله ولانه ترك مراقبة الناس ولم يترك عمله لاجلهم ولو كان الفضل في ترك السجود لاخفاء العمل كان الافضل لمن دخل عليه في منزله وهو يصلي أن يقعد لاجلهم وقد وردت السنة في ذلك ان له أجرين أجر السر وأجر العلانية كيف وقد كانوا يعدون ان الرياء ترك العمل لاجل الناس فأما العمل لاجلهم فشرك وقد قيل لا تعمل للرياء ولا تترك العمل للحياء فالحياء من الخلق شرك كما ان الحياء من الخالق ايمان وأيضا لانه أطاع العدو في ترك العمل لاجل الناس أطاعه مرة أخرى في العمل لاجلهم ومثل هذا كمثل من كان يصوم ويصلي يوما جمع في منزله لا يعلم به مخلوق فلو نوى الاعتكاف ليضمه الى صومه خرج الى المسجد فكان يصلي مقيما فيه فظهر الناس على عمله فلم يكن ليدع ما نواه من العكوف في المسجد لاجل نظرهم اليه ولم يضره ظهور عمله لاثباته على نيته ولمزيد الاعتكاف اذا كان عالما متمكنا وأيضا فان الامام المتمكن المقتدى به لا يضره ظهور الناس على عمله اذا لم يقصد ذلك ولم يحب مدحهم وربما كان له أجران في ذلك لتنبيه الغافلين عن الذكر وتشويق العاملين الى البر كيف وعند بعض العلماء ان سجود القرآن فرض وان على من سمع آية سجدة أو تلاها وكان على غير وضوء أن يسجد لها اذا توضأ ونحو هذه المعاني ما هو حال للعبد وأولى به من حال غيره ما رواه أبو نصر التمار ان رجلا جاء يودع بشر بن الحرث وقال قد عزمت على الحج افتأمرني بشئ فقال له بشر كم أعددت للنفقة قال ألفي درهم قال فأي شئ تبتغي بحجك نزهة أو اشتياقا الى البيت أو ابتغاء مرضاة الله عز وجل قال ابتغاء مرضاة الله عز وجل قال فان أصبت رضا الله وأنت في منزلك وتنفق ألفي درهم وتكون على يقين من مرضاة الله عز وجل أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فاعطها عشرة أنفس مدين يقضي بها دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وان قوي قلبك أن تعطيها واحدا فافعل فان ادخالك السرور على قلب امرئ مسلم وتغيث لهفان وتكشف ضر محتاج وتعين رجلا ضعيف اليقين أفضل

من

رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة خم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال لانحين هذا عن طريق المسلمين لا يؤذيهم فادخل الجنة د ت قال صلى الله عليه وسلم من أصابته فاقة فانزلها بالناس لم تسد فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله بالغنى اما بموت عاجل أو غنى آجل ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لتطفئ غضب الرحمن وتدفع ميتة السوء وقال سالم بن أبي الجعد رحمه الله ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها سبعون ضعفا وفي حياة الحيوان روى أحمد في كتاب الزهد عن سالم بن أبي الجعد قال كان رجل من قوم صالح عليه السلام قد آذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه قال اذهبوا فقد كفيتموه قال وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فأكل أحدهما وتصدق بالآخر قال فاحتطب ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شئ فجاؤا الى صالح عليه السلام وقالوا لم يصبه شئ قال فدعاه صالح وقال أي شئ صنعت

من مائة حجة بعد حجة الاسلام قم فاخرجها كما أمرناك والا فقل لنا ما فى قلبك فقال يا أبا نصر سفرى أقوى فى
قلبي فتبسم بشر وأقبل عليه وقال له المال اذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس الى أن
تقضى به وطرا يشرع اليه فظاهرت أعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه ان لا يقبل الا عمل المتقين وفى
نحوه قيل لبشر أيضا ان فلانا الغنى كثير الصوم والصلاة فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره انما حال
هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا أفضل له من تجويعه نفسه ومن صلاته لنفسه مع
جمعه للدنيا ومنعه للفقراء وقد يكون اختفاء الاوجب من الفرائض والتباسه بالفضائل محنة من الله
عز وجل لعباده وحكمة له فيهم فيرتكبون التأويل للسعة ويتركون الضيق لخفائه عليهم لينفذ فيهم العلم
ويجرى عليهم الحكم ويكون ذلك تأديبا لهم وتعريفا ومزيدا فى التسليم وتوفيقا وقد قال الله تعالى فيما
عتب على نبيه صلى الله عليه وسلم ووعظه وزجره فى قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله
يزكى يقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يغتم فى عمره كغمه حين أنزل عليه سورة عبس لان فيها عتابا
شديدا على مثله لانه الحبيب الرشيد ومع ذلك لم يقصده فى الخطاب فيكون أيسر للعتاب بل كشف ذلك
للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين لان معنى قوله عبس وتولى أى انظروا أيها المؤمنون واعجبوا الى
الذى عبس وتولى أن جاءه الاعمى ولذلك روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بلغه ان بعض المنافقين يؤم
قومه فكان لا يقرأ بهم الا بسورة عبس فارسل فضرب عنقه يستدل بذلك على كفره ليضع من الرسول
صلى الله عليه وسلم بذلك عنده وعند قومه ومثله قوله عز وجل عاتبا على رسوله صلى الله عليه وسلم عفا الله عنك
لم أذنت لهم ونحوه لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضات أزواجك وبمعناه قوله عز وجل وتخفى فى نفسك
ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه حتى قالت عائشة رضى الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيأ من القرآن كتم هذه الآية ومن أعجب ما سمعت فى هذا المعنى ما حدثونا فى الاسرائيليات
عن وهب بن منبه اليمانى ان سليمان بن داود عليهما السلام لما قبضه الله عز وجل خلف رجالا من ولده
يعمرون بيت المقدس ويعظمونه برهة من الدهر حتى خلفه بعدهم رجل من ولد سليمان فخالف طريقة
آبائه وترك شريعتهم وتكبر فى الارض وطغى وقال بنى جدى داود وأبى سليمان مسجدا فانى لا أبنى
مسجدا مثل ما بنوا وأدعو الناس الى شريعتى كما دعوا فبنى مسجدا يضاهى به بيت المقدس وادعى على الله
عز وجل انه أمره بذلك وصرف الناس اليه وبذل لهم الاموال وأخرب مسجد بيت المقدس وهجره فدخل
الناس فى دينه رغبة ورهبة قال فابتعث الله اليه نبيا من بعض أهل القرى فقال اركب أتانك هذه وأت هؤلاء
القوم أحفل ما يكونون فنادى فى مسجدهم ومجمعهم بأعلى صوتك يا مسجد الضرار ان الله عز وجل حلف باسمه
ليوحشنك من عمارك وليقتلن أهلك فيك وليشدخنهم بخشبك وجندلك ولتلغن الكلاب بدمائهم وتأكل
لحومهم فيك وناد فى المدينة بأعلى صوتك بمثل ذلك ولا تأكل ولا تشرب ولا تستظل ولا تنزل عن أتانك هذه
حتى ترجع الى القرية التى خرجت منها قال ففعل ذلك فثار الناس اليه يضربونه بالخشب ويشجونه
بالحجارة وهو على أتانه لا ينزل عنها فناله على ذلك أذى كثير وضرب عظيم ثم كر راجعا فى آخر النهار يؤم
قريته التى خرج منها وقد أدى الرسالة وصبر على الضرب والبلاء لله عز وجل فلما كان ببعض الطريق
سمع به نبى آخر كان فى بعض القرى استقبله وسلم عليه فقال انك قد أديت رسالة ربك وانك أمضيت أمره
وانك قد نصبت ولقيت عناء من هؤلاء القوم وأنت جائع عطشان تسيل دماؤك على جسدك وثيابك فاغد
الى منزلى فكل واشرب واسترح واغسل جسدك وثيابك فقال ان الله عز وجل لما أرسلنى قد كان عهد الى
أن لا آكل ولا أشرب ولا أستظل حتى أرجع الى أهلى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم فانى من أهلك لانى
نبى مثلك وأخوك فى الدين فلا أرى الله عز وجل عنى بذلك الا القوم الذين بعثك اليهم لانهم أعداؤه فنهاك أن
تأكل من طعامهم وتستظل عندهم ولا أحسب حرم عليك دخول منزلى ولا الاكل من طعامى لانى شريكك

اليوم قال فخرجت ومعى
قرصان فتصدقت بأحدهما
وأكلت الآخر فقال صالح
حل حطبك فحل حطبه فاذا
فيه أسود مثل الجذع عاض
على جذل من الحطب
فقال بها دفع عنك يعنى
بالصدقة فيا راقدا فى نوم
الغفلة مشغولا بأحلام
الامل أنت تجود بالعمر جود
حاتم وتبخل بالصدقة بخل
الحباحب وتعد بالتوبة وعد
عرقوب والزمان يأكل
عمرك أكل السوس
وكأنك بالموت أسرع من
طرف يحملك الى قبر أوحش
من يومه فتندم على
التفريط ندامة الكسعى
وتقوم يوم حشرك بخفى
حنين (شعر)

كم رأينا من أناس هلكوا
فبكى أحبابهم ثم بكوا
تركوا الدنيا لمن بعدهم
ليتهم لو قدموا ما تركوا
كم رأينا من ملوك سوقة
ورأينا سوقة قد ملكوا
قلب الدهر عليهم فلكا
فاستداروا حيث دار الفلك

اللهم انصرنا ولا تخذلنا
وعافنا ولا تمرضنا وأكرمنا
ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر
علينا انك على كل شئ قدير

(فصل فى الصوم) قال
الله تعالى شهر رمضان
الذى أنزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات من
الهدى والفرقان فمن شهد
منكم الشهر فليصمه خم

في الاخوة والنبوة قال فصدقه وانصرف معه الى منزله فلما وضع الطعام بين يديه وأهوى ليأكل عن جوع شديد قد أضر به أوحى الله عز وجل الى ذلك النبي الذي دعاه الى منزله قل له آثرت شهوتك وبطنك على أمري ألم أعهد اليك أن لا تنزل ولا تستظل ولا تأكل حتى ترجع الى قريتك التي خرجت منها ولولا انك اجتهدت برأيك وقلت بمبلغ علمك لعمك العقاب وهو أقل عندي عذرا منك لاني عهدت اليه فآثر هواه وشهوته وترك عهدي فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما أمر فوثب مذعورا يجر ازاره وجعل يرحل أتانه ويعجل ولا يعقل ما هو فيه فركبها طاردا الها على وجهه لجوعه وعطشه ودماؤه على ثيابه وجسده لا يثني فلما هبط عن عقبة تحتها غيضة عارضه سبع فافترسه وانتصب السبع مقعيا على قارعة الطريق يزأر يحرس أتانه ورحله كلما أقبل انسان زأر عليه الاسد حتى يطارده فسمع بخبره ذلك النبي فأقبل نحوه فلما نظر اليه الاسد انصرف عنه وخلى بينه وبينه قال فكفنه وواراه وانصرف برحله وأتانه الى أهله فقال يارب عبدك هذا الذي بلغ رسالتك وأمضى أمرك وقد كان أجهده البلاء فخالف ما أردت فلم يعلم فعاقبته بهذه العقوبة فأوحى الله عز وجل اليه ليست هذه عقوبة ولم أفعل ذلك لهوانه علي ولكن هذه مغفرة ورحمة انه خالف أمري وكان قد اقترب أجله فكرهت له أن يلقاني على المخالفة فألقاه بما يكره فقيضت له كلبا من كلابي فطهره للقائي فكان ذلك له عندي شهادة ودرجة فوق نبوته فقال سبحانك وبحمدك أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فأعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلي به وعلم شر الشرين فأمعن في الهرب منه واحتجب بحجابين عنه وفي هذه المعاني دقائق العلوم وغرائب الفهوم وأدلة للسائلين وعبرة وآيات للعالمين فأما شر الشرين ومعرفة الخير من الشر فهو معروف بأدلة العقول وظاهر العلوم

(الفصل السابع والعشرون) كتاب أساس المريدين قال بعض العلماء الخلق محجوبون بثلاث حب الدرهم وطلب الرياسة وطاعة النساء وقال بعض العارفين الذي قطع العباد عن الله عز وجل ثلاثة أشياء قلة الصدق في الارادة والجهل بالطريق ونطق علماء السوء بالهوى وقال بعض علمائنا اذا كان المطلوب محجوبا والدليل مفقودا والاختلاف موجودا لم ينكشف الحق واذا لم ينكشف الحق تحير المريد واعلم أن المريد لابد له من خصال سبع الصدق في الارادة وعلامته اعداد العدة ولابد له من التسبب الى الطاعة وعلامة ذلك هجر قرناء السوء ولابد له من المعرفة بحال نفسه وعلامة ذلك استكشاف آفات النفس ولابد له من مجالسة عالم بالله وعلامة ذلك ايثاره على ما سواه ولابد له من توبة نصوح فبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة التوبة قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه ولابد له من طعمة حلال لا يذمها العلم وعلامة ذلك الحلال المطالبة عنه وحلول العلم فيه يكون بسبب مباح وافق فيه حكم الشرع ولابد له من قرين صالح يوازره على ذلك وعلامة القرين الصالح معاونته على البر والتقوى ونهيه اياه عن الاثم والعدوان فهذه الخصال السبع قوت الارادة لا قوام لها الا بها ويستعين على هذه السبع بأربع هن أساس بنيانه وبها قوة أركانه أولها الجوع ثم السهر ثم الصمت ثم الخلوة فهذه الاربع سجن النفس وضيقها وضرب النفس وتقييدها بهن يضعف صفاتها وعليهن تحسن معاملاتها ولكل واحدة من الاربع صنعة حسنة في القلب فأما الجوع فانه ينقص من دم القلب فيبيض وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبه رقته ورقته مفتاح كل خير لان في القسوة مفتاح كل شر واذا انقص دم القلب ضاق مسلك العدو منه لان دم القلب مكانه فاذا رق القلب ضعف سلطان العدو منه لان في غلظ القلب سلطانه والفلاسفة يقولون ان النفس كلية الدم وحجتهم في ذلك ان الانسان اذا مات لم يفقد من جسمه الا دمه مع روحه والعلماء منهم قالوا الدم هو مكان النفس وهذا هو الصحيح لانه مواطئ لما في التوراة سمعت ان في التوراة مكتوبا ياموسى لا تأكل العروق فانها مأوى كل نفس وهذا مصدق للحديث الذي روي ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا

مجاريه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه خ م قال النبي صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة واذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل اني امرؤ صائم • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تزخرف لرمضان من رأس الحول الى حول قابل فاذا كان أول يوم من رمضان هبت ريح تحت العرش من ورق الجنة على الحور العين فيقلن يارب اجعل لنا من عبادك أزواجا تقر بهم أعيننا وتقر أعينهم بنا س قال صلى الله عليه وسلم أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير

بجار به بالجوع والعطش وقد عبر علماء الكوفة عن الدم بالنفس فقالوا اذا مات فى الماء من الهوام ماليس له نفس سائلة لم ينجس يعنون الخنافس والصراصر والعناكب ففى الجوع نقصان الدم ونقصانه ضيق مسالك العبد وضعف مسكن النفس لسقوط مكانها ساوفى خبر عن عيسى عليه السلام يامعشر الحواريين جوعوا بطونكم وعطشوا أكبادكم وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل يعنى بحقيقة الزهد وصفاء القلب فالجوع مفتاح الزهد وباب الآخرة وفيه ذل النفس واستكانتها وضعفها وانكسارها وفى ذلك حياة القلب وصلاحه وأقل مافى الجوع ايثار الصمت وفى الصمت السلامة وهى غاية العقلاء وقال سهل رحمه الله اجتمع الخير كله فى هذه الاربع خصال وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت والسهر والاعتزال عن الناس وقال من لم يصبر على الجوع والضر لم يتحقق بهذا الامر وكان عبد الواحد بن زيد يحلف بالله ماتحول الصديقون صديقين الا بالجوع والسهر فانه ينير القلب ويجلوه وفى استنارته معاينة الغيب وفى جلائه صفاء اليقين فتدخل الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب كأنه كوكب درى فى مرآة مجلوة ويشهد الغيب بالغيب فيزهد فى الفانى لما عاين من الباقى وتقل رغبته فى عاجل حظوظ هواه لما أبصر من وبال العقاب ويرغب فى الطاعات لمشاهدة الآخرة ورفيع الدرجات فيصير الآجل عاجلا ويكون العاجل غائبا ويصير الغائب حاضرا والحاضر آفلا فلا يطلبه ويرغب فيه فلا يحب الآفل ولا يبتغيه ويطلب الآجل ويرغب فيه وينكشف له عوار الدار ويظهر له بواطن الاسرار ويزول عنه كامن الاغترار فهنالك صار العبد مؤمنا حقا بوصف حارثة الانصارى اذ يقول عزفت نفسى عن الدنيا وكأنى أنظر الى عرش ربى تعالى بارزا وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون والى أهل النار يتعادون وكذلك وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن فى قوله القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وانجراد القلب بالزهد فى الدنيا وتجرده من الهوى وسراجه الذى يزهر فيه هو نور اليقين به يبصر الغيب وقال بعض علمائنا من سهر أربعين ليلة خالصا كوشف بملكوت السماء وكان يقول اجتمع الخير كله فى أربع ذكر منها سهر الليل واعلم أن نوم العلماء عن غلبة المنام بعد طول السهر بالقيام مكاشفة لهم وشهود وتقريب لهم منه وورود ومن صفة الابدال أن يكون أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة ومن سهر بالليل لاجل الحبيب لم يخالفه بالنهار فانه أسهره بالليل فى خدمته ودخل الحسن ذات يوم الى السوق فسمع لغطهم وكثرة كلامهم فقال أظن ليل هؤلاء ليل سوء مايقيلون وفى الخبر قيلوا فان الشياطين لاتقيل واستعينوا على قيام الليل بقائلة النهار وقد قيل فى قوله عز وجل واستعينوا بالصبر والصلاة قيل بالصوم على قيام الليل وقيل استعينوا بالجوع وصلاة الليل على مجاهدة النفس وقيل استعينوا بالصبر والصلاة على اجتناب النهى وأما الصمت فانه يلقح العقل ويعلم الورع ويجلب التقوى ويجعل الله عز وجل به للعبد بالتأويل الصحيح والعلم الرجيح مخرجا ويوفقه بايثار الصمت للقول السديد والعمل الرشيد وقد قال بعض السلف تعلمت الصمت بحصاة جعلتها فى فى ثلاثين سنة كنت اذا هممت بالكلمة تلجلج بها لسانى فيسكت وقال بعضهم جعلت على نفسى بكل كلمة اتكلم بها فيما لايعنينى صلاة ركعتين فسهل ذلك على فجعلت على نفسى بكل كلمة صوم يوم فسهل على فلم انته حتى جعلت على نفسى بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فصعب ذلك فانتهيت وقال عقبة بن عامر يارسول الله فيم النجاة قال أملك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم فى الخبر الجامع المختصر من سره ان يسلم فليلزم الصمت وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا بالصلاة والصيام وغير ذلك ثم قال فى آخر وصيته ألا ادلك على ماهو أملك لك من ذلك كله هذا وأومأ بيده الى لسانه فقلت يارسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ألسنتنا فقال ثكلتك أمك يامعاذ وهل يكب الناس على مناخرهم فى جهنم الاحصائد ألسنتهم انك ماسكت فانك سالم فاذا تكلمت فانما هو لك أو عليك وقال عبد الله بن

من ألف شهر ومن حرم خيرها فقد حرم خ قال صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى ان يدع طعامه وشرابه ا ت د ق قال صلى الله عليه وسلم من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقض عنه صوم الدهر وان صامه وروى الدارمى قال صلى الله عليه وسلم كم من صائم ليس له من صيامه الا الظمأ وكم من قائم ليس له من قيامه الا السهر • قال صلى الله عليه وسلم من أفطر صائما أو جهز غازيا فله مثل أجره خم قال صلى الله عليه وسلم تسحروا فان فى السحور بركة خم قال صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر ت قال صلى الله عليه وسلم اذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فانه بركة فان لم يجد فليفطر على ماء فانه طهور أيها الناس اقتحموا حلبة السباق الى الفوز الاكبر واغتنموا صحبة الرفاق فى الشهر الازهر وتسببوا الادخار الزاد فى العمر الاقصر وتأهبوا للمعاد الى يوم الحشر فقد عمتكم رحمة الله من شهر رمضان النعمة السابغة ولزمتكم من الله الحجة البالغة الا وانه شهر جعله الله مصباح العام

سفيان عن أبيه قال قلت يارسول الله أوصنى بشئ فى الاسلام لاأسأل عنه أحدا بعدك فقال قل ربى الله ثم استقم قال قلت فما أتقى بعد ذلك وفى لفظ آخر فاخبرنى باضر شئ على فقال هذا وأومأ الى لسانه وفى الخبر لايتقى العبد ربه تعالى حق تقاته حتى يخزن من لسانه وفى الحديث لايصلح العبد حتى يستقيم قلبه ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه وقال ابن مسعود ليس شئ أحق بطول سجن من لسان وقال بعض السلف فتشت الورع فما وجدت فى شئ أقل منه فى اللسان وقال بعض العلماء مااستقام لسان عبد الاعرفت الصلاح فى سائر عمله وما اختلف لسانه الاعرفت الفساد فى سائر عمله وقال بعض الحكماء اذا كثر العقل قل الكلام واذا قل العقل كثر الكلام وقال أحمد بن حنبل علماء أهل الكلام زنادقة وقال بعض هذه الطائفة من تكلم فاحسن كثير ولكن الشأن فيمن يحسن ان يسكت وقال ذو النون المصرى الخوف يقلق والحياء يسكت وقال بعض العارفين قد جزئ هذا العلم على قسمين نصفه سكوت ونصفه أن تدرى أين تضعه وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم ومايتعلمون الا الصمت والورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وقال الحسن عن أنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لايصبن الابعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وذكر الله عز وجل وقلة الشئ وقال حماد بن زيد قلت لايوب العلم اليوم اكثر أوفيما مضى فقال يابنى الكلام اليوم أكثر والعلم فيما مضى كان أكثر وقيل كانوا ينتفعون بصمت العالم مثل ماينتفعون بكلامه وقد قيل من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه وقيل لبعض العلماء فلان أعلم أم فلان فقال فلان اعلم وفلان أكثر كلاما ففرق بين العلم والكلام وقيل لبعض علماء خراسان عند وفاته دلنا على رجل نجلس اليه بعدك فقال لهم فلان فذكرا لهم رجلا صموتا متعبدا لايعرف بكثير علم فقيل له ان فلانا ليس عنده من العلم مايجيب عن كل مانسأله عنه من العلم فقال قد علمت ولكن عنده من الورع مالا يتكلم بمالايعلم وكان الاعمش يقول من الكلام كلام جوابه السكوت وقال بعض السلف الصمت زين العالم وستر الجاهل وقال غيره الصمت جوابه وفى الخبر الصمت زين للعالم وشين للجاهل وقال بعضهم ليس شئ أشد على الشيطان من عالم حليم ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان انظروا اليه سكوته أشد على من كلامه وقال بعض السلف تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فان يكن الكلام يهديك فان الصمت يقيك ولك فى الصمت خصلتان تدفع به جهل من هو أجهل منك وتعلم به علم من هو أعلم منك وقال بعض العلماء تعلم لاأدرى ولاتتعلم أدرى فان قلت لاأدرى علموك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لاتدرى وقد قال العلماء اذا أخطأ العالم قول لاأدرى أصيبت مقاتله وقال عيسى عليه السلام الخير كله فى ثلاثة فى الصمت والكلام والنظر فمن لم يكن صمته تفكرا فهو فى سهو ومن لم يكن كلامه ذكرا فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرا فهو لهو وقال بعضهم يأتى على الناس زمان يكون أفضل أعمالهم النوم وأفضل علومهم الصمت يعنى لفساد الاعمال ولاشتباه العلم ويقول أيضا مع ذلك وأفضل أحوالهم الجوع لانتشار الحرام وغموض الحلال وقال بعض العلماء الصمت نوم العقل والنطق يقظته وكل يقظة تحتاج الى نوم وماصمت عاقل قط الا اجتمع عقله وحضر لبه وفى وصية ابن عباس مجاهد الاتتكلمن فيما لايعنيك فانه أسلم ولاآمن عليك الخطا ولاتتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت وقال بعض العلماء يستبين ورع الرجل فى منطقه وفى الخبر من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه مات قلبه ويقال اذا قل الكلام كثر الصواب وعن جماعة من السلف ان تسعة أعشار السلامة فى الصمت ويقال كل كلمة من هزل أومزح أولغو يوقف العبد عليها خمس مواقف بتوبيخ وتقرير أولها ان يقال له لم قلت كلمة كذا أكانت فيما يعنيك والثانية هل نفعتك اذ قلتها والثالثة هل ضرتك لولم تقلها والرابع ألا سكت فربحت السلامة من عاقبتها والخامسة هلا جعلت مكانها قول سبحان الله والحمد لله فغنمت ثوابها ويقال مامن كلمة الاوينشر لها ثلاثة دواوين الديوان الاول لم والثانى كيف والثالث ان

واسطة النظام وأشرف قواعد الاسلام المشرقة بنور الصيام والقيام أنزل الله فيه كتابه وفتح فيه للتائبين أبوابه وأوجب فيه للعاملين ثوابه فلادعاء فيه الامسموع ولاعمل فيه الامرفوع ولاخير فيه الامجموع ولاضير فيه الامدفوع فالظافر الميمون من اغتنم أوقاته والخاسر المغبون من أهمله ففاته فياأيها العامل هذا أوان ازديادك واستمتاعك وياأيها الغافل هذا شهر تيقظك واقلاعك شهر فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ماسأل الله فيها سائل الا أعطاه ولا استجاره مستجير الا أجاره وكفاه ولا أناب اليه منيب الا قبله واجتباه ولاتعرض لمعروفه طالب الا جاد عليه وحباه ولا استقاله مستقيل الا أقاله ولا لجأ اليه لاجئ الا أجاره وأصلح باله فالغنيمة الغنيمة أيها المشمرون والعزيمة العزيمة أيها المقصرون فى شهر لياليه أنور من الايام وأيامه مطهرة من دنس الآثام ومردة جنه مغلولة والرحمة فيه من الله تعالى لملتمسها مبذولة قبل ان تستوعبوا أوقات شهركم فتفقدوه وتطلبوه فلا تلحقوه فلو عاينتم سرعة مروره لاجالكم لبادرتم خدعة غرور

فان تجاوز الثلاث والاطال وقوفه للحساب وقال الحسن لسان المؤمن وراء قلبه اذا أراد ان يتكلم تفكر فان كان له تكلم وان كان عليه أمسك وقلب المنافق على طرف لسانه أى كل شئ خطر بقلبه تكلم به ولا يتوقف ولا يتثنى وفى الخبر من آفة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الصمت وفى الكلام تنميق وزيادة وفى الصمت سلامة وغنم وفى موعظة النبى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله والاخبار فى الصمت وفى جميع ماذكرناه من المعانى تكثر ولم نقصد جمعها وأما الخلوة فانها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بامر الخالق وتقوى العزم على الثبات اذ فى مخالطة الناس وهن العزم وشتات الهم وضعف النية والخلوة تقل الافكار فى عاجل حظوظ النفس لفقد مشاهدتها بالابصار لان العين باب القلب ومنها يدخل آفاته وعندها توجد شهواته ولذاته وقد قال بعض العلماء من كثرت لحظاته دامت حسراته والخلوة تجلب أفكار الآخرة وتجدد الاهتمام بها لما شهد به الايقان وتنسى اذكار العباد وتواصل ذكر المعبود والخلوة من أكبر العوافى وذلك انه قد جاء فى الحديث سلوا الله العافية فما أعطى عبد بعد اليقين أفضل من العافية ثم قد روى فى الخبر العزلة عن الناس عافية فدخل ذلك فى معنى ماندب اليه من السؤال وفيما فضل بعد اليقين على جميع الاحوال ولا يكون المريد صادقا حتى يجد فى الخلوة من اللذة والحلاوة والمزيد مالا يجده فى الجماعة ويجد فى السر من النشاط والقوة مالا يجده فى العلانية ويكون انسه فى الوحدة وروحه فى الخلوة وأحسن أعماله فى السر ومثل الخلوة فى الاحوال من المخالطة للناس مثل الخوف فى المقامات من المحبة الخوف يصلح لجميع العابدين والمحبة مزيد لاهلها المخصوصين كذلك الخلوة والانفراد يصلح لجميع المريدين والانس بالناس مزيد لاهله خاصة من الائمة العالمين الا ان الخلوة تحتاج الى عقل آخر والوحدة والانفراد يحتاج الى ايمان ثان وقد روينا عن سفيان الثورى وعن بشر بن الحرث اذا استوحشت من الوحدة واستأنست بالخلق لم آمن عليك الرياء وكان أبو محمد يقول اجتمع الخير كله فى هذه الخصال الاربع وبها صار الابدال ابدالا اخماص البطون والصمت واعتزال الخلق وسهر الليل وحدثت عن عبد العزيز عن سهل رحمه الله قال مخالطة الولى للناس ذل وتفرده عز وقل ما رأيت وليا لله عز وجل الا منفردا وقال بعض العارفين الانس بالوحدة علامة وجود الطريق فمن علامة صدق الارادة بعد صحة التوبة وقوة العزم على الاستقامة ايثار هذه الاربع التى ذكرناها على اضدادها ووجود القلب عندها وانشراح الصدر بها وحسن الخلق معها لان ضدها هو أبواب الدنيا ومفاتيح الغفلة وطرقات الهوى من ذلك فان فى الشبع قسوة القلب وظلمته وفى ذلك قوة صفات النفس وانتشار حظوظها وفى قوتها وبسطها ضعف الايمان وخمود أنواره وفى ضعف النفس وخمود طبعها قوة الايمان واتساع شعاع أنوار اليقين وفى ذلك قرب العبد من القريب ومجالسته للحبيب والشبع مفتاح الرغبة فى الدنيا وقال بعض الصحابة أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم شهواتهم وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يجوعون من غير اعواز أى مختارين لذلك وقال ابن عمر ما شبعت منذ قتل عثمان رضى الله عنه وقال هذا فى زمن الحجاج وفى حديث أبى جحيفة لما تجشأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أكفف عنا جشاءك فان أطولكم شبعا فى الدنيا أكثركم جوعا فى الآخرة فقال والله ما ملئت طعاما من يومئذ الى يومى هذا وارجو ان يعصمنى الله عز وجل فيما بقى ويستحب على هذا ان يكون جوع العبد فى الدنيا أكثر من شبعه وهى علامة الاولياء فمن كان له أكلة بين جوعتين الى منتهاهما فجوعه حينئذ أكثر من شبعه ومن كان له بعد جوعة بالغة شبعة متوسطة فقد اعتدل شبعه وأكله وجوعه ومن أكل فى يوم مرتين أو أكل من غير جوع ثم شبع فشبعه أكثر من جوعه وهذا مكروه وكل من أكل بعد الجوع ورفع يده قبل الشبع فجوعه أكثر من شبعه وهذا أوسط الاحوال وقال هشام عن الحسن

آمالكم ولو كشفت لكم حقيقة ما لكم لكان بالاستعداد له جل اشغالكم فالله الله عباد الله ان تمحقوا اوقات شهركم بالتسويف أو تركنوا من أعمالكم الى البخس والتطفيف فتردوا المعاد بغير زاد وتندموا على قلة الزرع عند معاينة الحصاد وتؤلوا الى شر مآل من الاعتذار يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار أنهضنا الله واياكم باداء النوافل والفرائض وسلم قلوبنا وقلوبكم من الشك المعارض ووفقنا واياكم للعمل بما يرضاه وخار لنا واياكم فيما قدره وقضاه

(فصل) فى صوم التطوع قال النبى صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر كله م قال صلى الله عليه وسلم ثلاث من كل شهر ورمضان الى رمضان صيام الدهر كله صيام يوم عرفة أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله ان يكفر السنة التى قبله خ قال صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب الى الله من هذه الايام العشر قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى

والله لقد أدركت أقواما كانوا لا يشبعون يا كل أحدهم حتى اذا رد نفسه أمسك ذا ثبانا حلا مقبلا على نية يعيش عمره كله ما طوى له ثوب قط ولا أمر أهله بصنعة طعام قط ولا جعل بينه وبين الارض شيأ قط وقال جعفر بن حيان عن الحسن المؤمن لا يا كل فى كل بطنه ولا تزال وصيته تحت جنبه ورويناعن الثورى خصلتان تقسيان القلب طول الشبع وكثرة الكلام ورويناعن مكحول خصال ثلاث يحبها الله عز وجل وثلاث يبغضها الله عز وجل فاما اللاتى يحبها فقلة الاكل وقلة النوم وقلة الكلام وأما اللاتى يبغض فكثرة الاكل وكثرة الكلام وكثرة النوم فاما النوم فان فى مداومته طول الغفلة وقلة العقل ونقصان الفطنة وسهوة القلب وفى هذه الاشياء الفوت وفى الفوت الحسرة بعد الموت ورويناعن النبى صلى الله عليه وسلم قال قالت أم سليمان بن داود لابنها يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم تترك العبد فقيرا يوم القيامة وقيل كان شبان يتعبدون فى بنى اسرائيل فكانوا اذا حضر عشاؤهم قام فيهم عالمهم فقال يا معشر المريدين لا تا كلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وكان بعض السلف يقول أدنى أحوال المؤمن الاكل والنوم وأفضل أحوال المنافق الاكل والنوم وقال بعض الناس لفيلسوف من الحكماء صف لى شيأ استعمله حتى أكون أنام النهار فقال يا هذا ما أضعف عقلك ان نصف عمرك نوم والنوم من الموت تريد أن تجعل ثلاثة ارباعه نوما وربعه حياة قال وكيف قال أنت اذا عشت اربعين سنة فانما هى عشرون سنة افتريد أن تجعلها عشر سنين واما كثرة الكلام فان فيه قلة الورع وعدم التقوى وطول الحساب وكثرة المطالبين وتعلق المظلومين وكثرة الاشهاد من الاملاك المكاتبين ودوام الاعراض من الملك الكريم لان الكلام مفتاح كبائر اللسان فيه الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وفيه شهادة الزور وفيه قذف المحصن والافتراء على الله تعالى والايمان وفيه القول فيما لا يعنى والخوض فيما لا ينفع وقد جاء فى الخبر أكثر خطايا ابن آدم فى لسانه وأكثر الناس ذنوبا يوم القيامة أكثرهم خوضا فيما لا يعنيه وفى اللسان التزين والتصنع للخلق والتحريف والاحالة لمعانى الصدق وفيه المداهنة والمواراة والتملق لاهل الاهواء وفى اجتماع هذا على العبد شتات قلبه وفى شتاته تفريق همه وفى تفريق همه سقوطه من مقام المقربين وفى وصية ابن عباس لمجاهد لا تمار بن حليما ولا سفيها فان الحليم يقلاك وان السفيه يؤذيك وفى الخبر ان العبد ليتكلم بالكلمة ما يلقى لها بالا يهوى بها أبعد ما بين السماء والارض وفى لفظ آخر ليتكلم بها فيهوى فى جهنم سبعين خريفا وقال لقمان لابنه لان تعيش اخرس بسيل لعابك على صدرك خير لك من ان تنطق فى نادى القوم بما لا يعنيك وفى خبر من افتتح بكلمة سوء ثم خاض الناس فى مثلها كان عليه مثل أوزارهم وفى الخبر لا يأتى بخبر السوء الا رجل السوء وحدثونا عن ابراهيم بن ادهم انه كان اذا صحبه رجل فجاء بخبر سوء فارقه ورويناى الحديث من حدث بما سمعت أذناه ورأت عيناه كتبه الله تعالى من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ورويناعن على رضى الله عنه مذيع الفاحشة فى الناس كفاعلها وفى الخبر ان بعض فقراء أهل الصفة استشهد فى سبيل الله عز وجل فقالت أمه هنيأ لك فى الجنة جاهدت فى سبيل الله وهاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت شهيدا طوبى لك الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه فى الجنة فلعله كان يتكلم فيما لا ينفعه أو يبخل بما لا يضره وفى لفظ آخر لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وفى الخبر ان بعض الصحابة قال لرجل انه لنؤم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم سلوه ان يستغفر لكم وفى خبر آخر انهم قالوا ما أعجز فلانا فقال أكلتموه وفى حديث عائشة رضى الله عنها انها قالت لامرأة ما أطول ذيلها وفى لفظ آخر قالت انها القصيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتبتيها وفى خبر آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لقد تكلمت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لامتزج فهذا من وصف المبالغة فى الشدة وفى الخبر الجامع لهذه المعانى فى وصف الغيبة ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال فى أخيه ما فيه فقد اغتابه وفى حديث ابان عن أنس

سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشئ وروى احمد وابن ماجه عن زيد بن أرقم قال قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما هذه الاضاحى قال سنة أبيكم ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه قالوا فما لنا فيها يا رسول الله قال بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف يا رسول الله قال بكل شعرة من الصوف حسنة وروى أحمد وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الاثنين والخميس فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا هاجرين يقول دعهما حتى يصطلحا وروى أحمد والبيهقى انه قال صلى الله عليه وسلم من صام يوما ابتغاء وجه الله تعالى بعده الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما وروى ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لكل شئ زكاة وزكاة الجسد الصوم وفى الروض الفائق قيل مكث بشر الحافى رحمه الله يتشهى الهريسة خمسين سنة ففتح عليه فى بعض الايام بدرهم فمضى به الى السوق ليشتريها فسمع الهراس ينادى ماذا خبئ للصوام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من ذلك انه قال الغيبة ما ان قلت فى أخيك لم تزكه به فهذا نهاية القول من الشدة وغاية التشديد فى الغيبة والغيبة اسم لغوى معناه شرعى مشتق من غيب الانسان وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ان يقول العبد فى أخيه ما فيه وعظمها بقوله هى أشد من الزنا فمتى قال العبد لاخيه فى غيبته ما يعلمه يقينا فيه مما لا يقوله بحضره أو مما ينقصه به أولا يزكيه فيه فقد اغتابه فلو لم يكن فى الصمت الا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة موفورة كيف وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لاله الا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله عز وجل وأما مخالطة الناس فانها تضعف العزم الذى كان قويا فى أعمال البر وتحل العقد المبرم الذى استوطنه العبد فى الخلوة لقلة المتعاونين على البر والتقوى وكثرة المتعاونين على الاثم والعدوان وفى مخالطة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل الدنيا لما يعاين من اقبال أهلها عليه وفيه الفتور عن الخدمة بالنظر الى أهل الغفلة والملل للطاعة بمجالسة أهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لاستماع كلام أهل الجهالة والنظر الى الموتى من أبناء الدنيا كما روى عن عيسى عليه السلام لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم قيل ومن الموتى قال المحبون للدنيا الراغبون فيها وقد كان الحسن يقول فى قوله عز وجل وما يستوى الاحياء ولا الاموات قال الفقراء والاغنياء كان الفقراء احيوا بذكر الله عز وجل والاغنياء ماتوا على الدنيا وأعظم ما فى مخالطة الناس ومجالسة أهل البطالة وذوى غفلتهم ضعف اليقين برؤيتهم وأضر ما ابتلى به العبد وأعمله فى هلاكه وأشده لحجبه وابعاده ضعف يقينه بما وعد به بالغيب وتوعد عليه فى الشهادة وهذا أخوف ما خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته فيما روينا عنه انه قال اخوف ما أخاف على أمتى ضعف اليقين وذلك ان ضعف اليقين هو أصل الرغبة فى الدنيا والحرص على التكاثر منها والتضرع الى أبنائها والطمع فيهم كما قال ابن مسعود ان الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع الى بيته وما معه من دينه شئ يلقى هذا فيقول انك لذيت وذيت ويلقى هذا فيقول أنت كيت وكيت ولعله لا يحلى منهم بشئ ويرجع الى بيته وقد أسخط الله عز وجل وقد قال بعض التابعين ان العبد ليقعد فى الخلوة على خصال من الخير فيخرج الى الناس فيحلون ما عقده عقدة عقدة حتى يرجع وقد انحلت العقد كلها وقوة اليقين أصل كل عمل صالح لان فى قوة يقينه سرعة منقلبه وطول مثواه فى دار اقامته ايثار التقلل من الفانى وتقديمه للباقى وضعف حرصه وقلة طلبه وفقد طمعه وفراغه من الاشتغال بعاجله واقباله وشغله بما ندب اليه من مستقره وفى جميع ذلك اخلاصه فى أعماله وحقيقة زهده فى تصرف أحواله وفى قصر أمله وتحسين عمله ألم تسمع الى وصف من أخبر الله عز وجل عنه بالتكاثر الذى ألهاه حتى زار برزخه ومثواه كيف تهدده حتى يعلم يقينا وتوعده اذا رأى آخرته عيانا فقال سبحانه الهاكم التكاثر أى شغلكم الجمع للمكاثرة حتى حللتم القبور ثم قال كلا لو تعلمون علم اليقين أى لشغلكم العمل الصالح للآخرة عن اللعب واللهو الذى هو مقتضى الشك اذ هو ضد اليقين فاشتغلتم بالآخرة عن التكاثر من الدنيا كما شغلكم التكاثر باللهو واللعب لعدم علم اليقين كما قال أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون بعد ان قال بل هم فى شك يلعبون ثم توعدهم على ذلك مرتين وتهددهم بالسؤال عن النعيم الذى شغلهم وهو التكاثر فى فضول العاجل وقيل هو الجمع والمنع فاعلم ان الذى قطع العباد عن التوبة وعرج بالتائبين عن الاستقامة ثلاثة أشياء الكسب والانفاق والجمع وهذه الاسباب متعلقة بالخلق وموجودة بوجودهم ومفقودة بالانفراد عنهم فمن زهد فى هذه الثلاثة فقد زهد فى الخلق ومن رغب فى الخلق فقد رغب فى هذه الثلاث وقال الثورى من خالط الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فهلك كما هلكوا وقد قال بعض هذه الطائفة من الصالحين قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلنى على عمل أجد فيه قلبى مع الله تعالى فى كل وقت مع الدوام فقال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لى من ذلك

فرجع باكيا ولم يشتر شيا فبقى مدة تطالبه نفسه بها فخرج الى السوق ثانيا ليشتريها واذا بالهراس ينادى بقى القليل فبكى ورجع وعاهد الله ان لا يذوقها ويقول الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة ياعبدى تأهب للقائى فعن قريب ألقاك واقبل على خدمتى فانى أنا مولاك باى عين يرانى من بارزنى وعصانى وباى وجه يلقانى من نسى عظمة شانى لقد خاب من حجبته عنى اذا قربت الصادقين شقى من طردته عن جنابى اذا كشفت حجابى وتجليت للمتقين عبدى قف على بابى فانا الكريم ولذ بجنابى فصراطى مستقيم وبادر بالاعمال مادمت بهذه الدار مقيم شعر

يامن يحدث نفسه
بدخول جنات النعيم
ان كنت متقيا
فانت على صراط مستقيم
لا ترجون سلامة
من غير ما قلب سليم
فاسلك طريق المتقين
وظن خيرا بالكريم
واذكر وقوفك خائفا
والناس فى أمر عظيم
اما الى دار الشقا
وة أو الى العز المقيم
فاغنم حياتك واجتهد
وانب الى الرب الرحيم

اللهم أعنا على ذكرك

قال فلا تسمع كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لى من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت أنا بين أظهرهم لابد من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذه العلة فقال يا هذا أتنظر الى الغافلين وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل على الدوام هذا ما لا يكون وقد جاء فى فضل العزلة والانفراد وفى فضل الصمت وفى جميع ما ذكرناه من الجوع والسهر ومن مكابدة الليل ما يكثر جمعه وفيما نبهنا عليه وأشرنا اليه بلاغ وغنية لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ولمن أريد بالمعاملة والمتاجرة ولا حول ولا قوة الا بالله .

(الفصل الثامن والعشرون) فيه كتاب مراقبة المقربين ومقامات الموقنين العبد اذا قوى يقينه علم علم يقين ان أوقاته هذه التى وكل تربيته اليها وجعل سبب نمائه وحياته منها وهى مكررة عليه فى البرزخ ومردودة اليه يوم القيامة ومعادة عليه فى الجنة ان دخلها ليس يجازى هنالك الا بمقدار ما أعطى من المعاملة ههنا ولا يعطى ثم الا بقدر ما وفق ههنا لا يسئل الا عن أوقاته ولا يحاسب الا بساعاته ولا يجازى الا عليها ولا ترد عليه أوقات غيره كما لا يعاد هو فى صورة غيره ولا يعطى جزاء سواه كما لم يعامل ههنا معاملة سواه ولكن الله يبدئ ويعيد فمن ذلك قوله تعالى كما بدأكم تعودون وقال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته من تدبره أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار أى تدبروا آياته هل ترون جزاء هؤلاء لوصف هؤلاء أم هل تجدون وصف هؤلاء له جزاء أولا ومثله قوله تعالى ليس بأمانيكم ولا أمانى اهل الكتاب فنفى أمانيهم بليس وأثبت حكمه بلكن وهى مضمرة فى الكلام المعنى لكن من يعمل سوأ يجز به وفسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المؤمن يجزى بسيئته فى الدنيا من المصائب والجوع والعرى والمنافق تبقى ذنوبه عليه حتى يوفى يوم القيامة كانه حمار يجازى بها فى الآخرة وكان الحسن يقول عباد الله اتقوا هذه الامانى فانها أودية النوكى يحلون فيها والله ما أتى عبد الله بامنيته خيرا من دنياه ولا آخرته وقال بعض العلماء كلما قل العقل كثرت الامانى وكتب بعض السلف الى بعض اخوانه من أبناء الدنيا يعظه أخبرنى عن هذا الذى تكدح فيه وتحرص عليه من أمر الدنيا هل بلغت فيه ما تريد وأدركت ما تتمنى فقال لا والله فقال أرأيتك هذا الذى أنت حريص عليه لم تنل منه ما تريد فكيف تنال من الآخرة وقد أعرضت عنها وصرفت عنها فانما أراك تضرب الا فى حديد بارد وقال بعض العلماء من ظن انه يدخل الجنة بغير عمل فهو متمن ومن قال أدخلها بعمل فهو متعن وقال بعضهم الامانى تنقص العقل وفى الخبر ليس الايمان بالتحلى ولا بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ومن هذا قول الله عز وجل هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال فى ضده من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها وقال فى معناه أم حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم وكذلك قوله تعالى أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم وقال فى مثله أم حسب الذين اجترحوا السيآت ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال ساء ما يحكمون فابطل حسبانهم وادحض حكمهم ثم أحكم ما عنده بقوله سواء محياهم ومماتهم أى هم كما كانوا فى الحيا محسنين يعملون الصالحات كانت لهم الحسنى فى الممات وكما كانوا فى الحيا مفسدين يعملون السيآت كانت لهم السوأى والمكروهات وقيل كانت هذه الآية مبكاة للعابدين لانها محكمة غير متشابهة وكذلك جميع ما ذكرناه من نظائرها هو من المحكم الذى هو أم الكتاب غير منسوخ ولا متشابه وهذه الآى من عزائم القرآن وهو من أحسن ما أنزل علينا من ربنا الذى أمر الله سبحانه وتعالى باتباعه ووصف أهل الهدى وأولى الالباب باستماعه فى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل عزائمه ووعيده وقد قيل فى قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل الرجاء الخائب بالاغترار والظن الكاذب وقيل عملوا أعمالا ظنوا انها حسنات فوجدوها عند المحاسبة سيآت والصحيح ما صح بعد الحساب والحق ما ثقل عند الميزان كما قال تعالى والوزن

يومئذ

وشكرك وصوم شهرك وادامة طاعتك واجتناب مناهيك يا أرحم الراحمين

(فصل فى الحج والعمرة) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ت عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة يبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت يهوديا أو نصرانيا وروى الدارمى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يمنعه من الحج حاجة ظاهرة أو سلطان جائر أو مرض حابس فمات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا روى فى شرح السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم عرفة ان الله ينزل الى السماء الدنيا فيباهى بهم الملائكة فيقول انظروا الى عبادى أتونى شعثا غبرا ضاحين من كل فج عميق اشهد كم انى قد غفرت لهم فيقول الملائكة يارب

يومئذ الحق قيل العلم والعمل كما قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم ثم قال تعالى وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن قيل كانوا يقدمون الذنب ويؤخرون التوبة ويسوفون بالمغفرة وكانت هذه الآية محزنة للخائفين ومخافة للعارفين وقد أخبر الله سبحانه وتعالى انه أعد النار للكافرين ثم أمر المؤمنين باتقائها ثم وصف الكافرين فيها وخوف عباده بها فقال تعالى واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال سبحانه لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون ويقال ان العبد يستحق النار بأول معصية عصى مولاه بها بعد المعرفة ثم هو بعد ذلك فى المشيئة وان فى كل عبد خصلة كريهة يخاف عليه منها وكان عبد الواحد بن زيد يقول ما صح خوف خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما صدق خوف من ظن انه يدخل النار فظن انه يخرج منها أى ان حقيقة الخوف خشية دخول النار ثم الخلود فيها وقد روينا مثل ذلك عن الحسن وقد ذكر له الرجل الذى يخرج من النار بعد ألف عام فبكى ثم قال ياليتنى مثل ذلك الرجل وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال انى فى الجنة فهو فى النار ومن قال انى عالم فهو جاهل وروى عنه صلى الله عليه وسلم من أراد ان يعلم كيف منزلته من الله تعالى فلينظر كيف منزلة الله فى قلبه فان الله ينزل العبد منه بحسب ما أنزله من نفسه * المقام الثانى من المراقبة ثم يعلم العبد يقينا ان لكل عمل صالح نعيما فى الجنة وروحا فى البرزخ ولكل عمل حسن ومعرفة خالصة مقاما فى الجنة وقد قسم جزء هنالك لعطاء معاملة ههنا وان لكل عمل سئ وجهل قبيح عذابا فى الآخرة وكربا فى البرزخ ومقاما من النار وقد قسم جزء هنالك لعمل ههنا ثم قد أخفى الله ذلك الجزء من الخير والشر وأظهر أعمالهما للعمكين وأبان لهما طريقين يجريان الى دارين حكمة منه ثم قدم المعاملات من المعنيين وأخر المثوبات من النوعين احكاما منه للافعال واستدعاء للعبد بالاعمال ابتلاء منه لتجزى كل نفس بما تسعى منة منه ورحمة وقدرة منه ومحبة لا يسئل عما يفعل لانه ملك قهار عزيز جبار وهم يسئلون لانهم عبيد مقهورون وذلل مجبورون ولا تضرب لهم الامثال لانه قد جاوز الاحتجاج والاعتدال ولا يسوى بالعبيد لانه قد فات التقدير والتحديد فله الحجة البالغة والقدرة النافذة فى كل شئ ليس كمثله شئ فى جميع ذلك كله وقد أحكم الله تعالى ما ذكرناه فى توحيد نفسه بالمشيئة والافعال ونهيه عن الشرك به وضرب الامثال وعجب ممن يسوى بينه وبين خلقه فى الاحكام وجعل ذلك جحودا النعمة وشركا فى ملكه وأخبر به عن المشركين واضلالهم اتباعهم بعد ضلالهم المبين واضلالهم بتسويتهم بينه وبين عباده فى الاحكام فى قوله تعالى قالوا وهم فيها يختصمون تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وما أضلنا الا المجرمون قيل أنزلت فى القدرية لانهم أضافوا الحول والقوة فى الشر الى الخلق فسووا بينهم وبين الخالق وقد قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون فأضاف الاعمال الى انه خلقها كخلقه اياهم فهم المجرمون الذين أنزلت فيهم هذه الآية التى ذكر فيها القدرية فوصفوا بانكارهم فى قوله تعالى ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر هم المجرمون الذين أضلوا أتباعهم وهم الغاوون الذين كبكبوا فى النار مع أشياعهم وقد أحكم الله تعالى تفضيل ما ذكرناه آنفا فى خمس آيات محكمات تنتظم جمل معانى ما ذكرناه تركنا شرح ذلك وبسطه خشية الاطالة لانا لم نقصد الاحتجاج فى الاستدلال من ذلك قوله تعالى والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق يعنى فضل الموالى على العبيد فما الذين فضلوا يعنى الموالى برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون والآية الثانية قوله تعالى ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت ايمانكم من شركاء فيما رزقناكم فانتم فيه سواء أى فكذلك انا لا شريك لى من عبيدى فلا تجعلوا لى ما لم أجعل أحد الا خلقى ولا عبيدى عليكم اذ لم اسو بينكم وبين عبيدكم فلا تشركوا عبيدى فى حكمى والثالثة قوله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ يعنى الانفاق ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه فجعلهما على وصفين أحدهما بخيل لم يقدره على الانفاق ثم ذم

فلان كان رهق وفلان وفلانة قال يقول الله عز وجل قد غفرت لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما من يوم اكثر عتيقا من النار من يوم عرفة وروى ابن ماجه والبيهقى عن عباس بن مرداس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا لامته عشية عرفة بالمغفرة فاجيب انى قد غفرت لهم ما خلا الظالم فانى آخذ للمظلوم منه قال أى رب ان شئت أعطيت المظلوم من الجنة وغفرت للظالم فلم يجب عشيته فلما أصبح بالمزدلفة اعاد الدعاء فأجيب الى ما سأل قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم او قال تبسم فقال له أبو بكر وعمر بابى أنت وأمى ان هذه لساعة ما كنت تضحك فيها فما الذى أضحكك أضحك الله سنك قال ان عدو الله ابليس لما لما علم ان الله قد استجاب دعائى وغفر لامتى أخذ التراب فجعل يحثوه على رأسه ويدعو بالويل والثبور فاضحكنى ما رأيت من جزعه قال الغزالى فاعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج

بالبخل والعجز وهو الذى أعجزه ومنعه وجعل الآخر جوادا اذ اقدره وأعطاه الانفاق ثم مدحه بالجود وقال فى الآية الرابعة وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شئ هو الحكمة والعلم ثم قال هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل فجعل له عبدين أحدهما سفيه جاهل ابكم عن الحكمة ولم يقدره على علم ولم يعطه استقامة ثم ذمه بوصفه ومقته لمنعه وجعل الآخر آمرا بالعدل عن أمره مستقيما على صراطه المستقيم الذى هو عليه وهو اقامه كما قال هذا صراط على مستقيم فهل يسلك أحد طريقه الا به وهل يجوز عبد على سبيله الا بحوله ثم مدحه باعطائه اياه ووصفه بوصفه ثم علم سبحانه ان للعقل فى هذا تشبيها وتمثيلا بخالقه وتجوزا وتظليما من خالقه على قياس العقول ان من فعل بعبدين له مثل هذا ثم مدح أحدهما وهو أعطاه وأقدره وذم الآخر وهو الذى منعه وأعجزه انه قد ظلمه فحسم ذلك عز وجل بنهيه وأحكم النهى عن التمثيل به فى الآية الخامسة الفاصلة القاضية التى نهانا فيها ان نضرب له بنا الامثال مثل ما أجرى علينا من الافعال فقال سبحانه وتعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وأنتم لا تعلمون فوكد ذلك بتحقيق علمه وغاية جهلنا ثم أيد هذا بقوله سبحانه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فسلم الراسخون فى العلم الاحكام كلها للعالم فسلموا من عذابه وآمن المؤمنون بجميع الاقدار انها عدل وحكمة من حاكم عادل حكيم فأمنوا من عقابه لانهم آمنوا بالمتشابه وأعطاهم بفضله من فضله جزيل ثوابه فهلك الزائغون بالاقاويل تتبعا للشبهات وابتغاء للتأويل فوقعوا فى الضلال وهلكوا اغوا فى المآل وقد روى الضحاك عن ابن عباس تصديق ما ذكرناه فى قوله عز وجل لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم قال ابن عباس طبق أسفل من طبق سبع دركات على قدر أعمالهم كذلك يقتسمون الدركات بقدر ما اجترموا كما اقتسم أهل الجنة الدرجات بالفضائل لكل باب منهم جزء مقسوم يعنى نصيبا معلوما مفروضا لكل طبقة سكان وقال بعض العلماء تالله ما فى الجنة قصر ولا نهر ولا نعيم الا عليه اسم صاحبه مكتوب واسم ذلك العمل الذى هو جزاؤه مكتوب وكذلك جهنم ما فيها غل ولا قيد ولا شعب ولا عذاب الا وعليه وصف ذلك العمل الذى هو جزاؤه واسم صاحبه مكتوب وقال قد أدخلهم الجنة قبل ان يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه وقال بعض العارفين أيضا الخلق أهون من ان يعصوه عز وجل بما لم يرد والله أعز من ان يرضيه الا من أحب لكنه غضب على قوم فى العدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الغضب ليحلهم دار الغضب ورضى عن قوم فى القدم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الرضا ليحلهم دار الرضا وقال بعض أهل المعرفة أظهر الخلق فى العدم وأوجدهم ؟ اياهم اقتدارا ثم أظهر لهم أعمالهم وخيرهم الاعمال منه اختيارا فاختار كل عبد منهم عملا بعينه ثم طوى الاعمال فيهم وطواهم فى الغيب فلما أظهرهم الآن فى الوجود حجبهم بالعقول وأجرى كل عبد منهم اختياره لنفسه فبذلك وقعت الحجة عليهم اذا كشف لهم غدا ما حجبه عنهم اليوم وحدثت عن بعض هذه الطائفة قال كان قد بقى فى نفسى شئ من القدر وكنت استكشفه من العلماء فلا ينكشف حتى قيض الله تعالى لى بعض الابدال فاستكشفته اياه فقال ويحك ما تصنع بالاحتجاج نحن يكشف لنا عن سر الملكوت فننظر الى الطاعات تنزل صورا من السماء حتى تقع على جوارح قوم فتتحرك الجوارح بها وننظر الى المعاصى صورا مصورة تنزل من السماء فتقع على جوارح قوم فتتحرك بها قال فكشف عن قلبى القدر وأوقع لى العلم بمشاهدة القدرة وكنت انا مرة خاطبت بعض اخواننا فى شئ من الاستطاعة مع الفعل لا أنه قبله ولا بعده فتكلمت فى ذلك بمذهب المثبتين من أهل الكلام قبل ان يكشف لى بمشاهدة علم اليقين فرأيت فى النوم كان قائلا يقول القدر من القدرة والقدرة صفة القادر فيقع القدر على الحركة ولا يتبين فتظهر الافعال من الجوارح أو قال فتتحرك الجوارح بالافعال ولا تتبين فكيف يتكلم فى شئ لا يتبين فجعلت على نفسى انى لا أناظر أحدا منهم بعد ذلك فى شئ من هذا الباب وقد حدثونا عن بعض العابدين قال صليت من السحر ركعتين ثم غفوت بعدهما فرأيت قصرا عاليا ذا شرف بيض كأنها الكواكب فاستحسنته فقلت لمن هذا القصر فقيل لى هذا ثواب

ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه اخوانى ما كل بيت مكة ولا كل جبل عرفات ولا كل زاد يوصل فيا من فاته الحج ولم يجد اليه سبيلا ومضى عمره فى اللهو وقد حمل من الذنوب حملا ثقيلا وخرج فى ميدان الغفلة منه ذنوبا وطاب النجاة فلم يجد اليها وصولا بادر بالحج الى البيت الحرام واجعل لك نور الاسلام دليلا فقد قال من لا تدركه الابصار ولا تحد العقول والافكار له عديلا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له فى ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج اخوانى سار الاحباب فى ليل العزم وتمناو ربحوا فى معاملتهم وما غنمنا لو تفكرتم فيما فاتكم لندمنا يا منقطعين عن القوم ان لم تنهضوا للحق بالاحزان فابكوا معى على البعد والحرمان شعر

واحسرتا ضاع زمانى باطلا
ولم تصل روحى الى أوطارها
وقد تذكرت زمان وصلها
فهاجت الاشجان من تذكارها
متى أرى الكعبة تجلى جهرة

هاتين الركعتين ففرحت فجعلت أطوف حوله فرأيت شرافة من ركنه قد وقعت فشانه ذلك فاغتممت وقلت لو كانت هذه الشرافة فى أعلاه فى هذا الموضع لتم حسن هذا القصر فان ثلمها قد شانه فقال لى غلام هنالك قد كانت هذه الشرافة فى مكانها من القصر الا انك التفت فى صلاتك فسقطت وحدثونا عن بعض الزهاد انه كوشف مقامه من الجنة فرأى الحور العين وقلن نحن أزواجك فلما خرجت تعلقت بى الحور وقلن ننشدك الله الا ما حسنت أعمالك فانك كلما حسنتها ازددنا لك حسنا وازددت بنا نعيما وحدثونا عن رابعة العدوية رحمها الله تعالى قالت سبحت ذات ليلة تسبيحات من السحر ثم نمت فرأيت شجرة خضرة نضرة لا توصف عظما وحسنا واذا عليها ثلاثة أنواع من الثمر لا أعرفه من ثمار الدنيا كثدى الابكار ثمرة بيضاء وثمرة حمراء وثمرة صفراء فهن يلمعن كالاقمار والشموس فى خلال خضرة الشجر قالت فاستحسنتها فقلت لمن هذه فقال لى قائل هذه لك بتسبيحاتك آنفا قالت فجعلت أطوف حولها فاذا تحتها ثمر منتشرة على الارض فى لون الذهب فقلت لو كانت هذه الثمرة مع هذه الثمار على هذه الشجرة لكان أحسن فقال لى الشخص قد كانت هنالك الا انك حين سبحت تفكرت هل اختمر العجين أم لا فانتثرت هذه الثمرة فهذه عبرة لاولى الابصار ومواعظ لاهل التقوى والاذكار * ذكر المقام الثالث من المراقبة روى ان كعب الاحبار قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه لو لقيت الله تعالى بعمل سبعين نبيا لخشيت انك لا تنجو من هول ذلك اليوم وقال بعض السلف لو ان العبد كان يجر على وجهه من أول الدنيا الى قيام الساعة فى طاعة الله وعبادته لاحتقره يوم القيامة لما يرى من الزلازل والاهوال وفى الحديث معالجة ملك الموت أشد من ألف ضربة بالسيف وان ألم شعرة من الموت لو وضع على جميع الخلائق لماتوا وان بين الخلائق و بين الموت و بين دخول الجنة مائة ألف هول كل هول منها يزيد على ألم الموت مائة ألف ضعف لا ينجو العبد من كل هول منها الا برحمة فيحتاج العبد الى مائة ألف رحمة تنجيه من تلك الاهوال يكون ذلك العدد من الرحمة مقسوما على مائة ألف حسنة أعطيها من حسناته فى الدنيا التى أحسن بها اليه يكون مكانا للظهور الرحمة وطريقا للعطاء غدا لحكمة من الحكيم وقسما مدبرا من الرحيم لان الصالحات طرق الجزاء والحسنات كلها عن الرحمة الواحدة التى سبقت له بها النجاة ثم سقطت فى طرقات الاعمال أماكن الثواب فيعطى ذلك ههنا اليوم وهو العطاء الاول بحسن توفيقه ولطف عنايته و يعطى الجزاء هنالك غدا بفضل رحمته وتمام نعمته ذلك تقدير العزيز العليم كما قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان قيل فى الخبر ما جزاء من أنعمنا عليه بالتوحيد الا الجنة وقال بعض العلماء وليس لقول لا اله الا الله جزاء الا النظر لوجه الله تعالى والجنة جزاء الاعمال ألم تر انه لو حرم التوحيد اليوم لحرم الجنة ولو منع الاسلام اليوم لم يغفر الله له أبدا كما قال عز و جل انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة وقال ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فهذا مما لا حيلة فيه ولا سبيل اليه وقد قال هو أهل التقوى واهل المغفرة قيل هو أهل ان يعطى التقوى ومن اعطاه التقوى فهو أهل ان يعطيه المغفرة كقوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وقال واتقوا الله لعلكم ترحمون وقال ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال سبحانه تماما على الذى أحسن وقال تعالى سنزيد المحسنين الى قوله ما على المحسنين من سبيل وقال تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا فمن كانت أعماله الحسنات فهو من المحسنين ومن كانت أعماله سيئة فهو من المسيئين فاشتقاق الحسنة من الحسن و جزاؤها الحسنى وهى الجنة واشتقاق السيئة من السوء و جزاؤها السوأى وهى النار وقد سبق خلقهما قبل خلق الخلائق وفرغ من نصيب العباد من الجنة والنار وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فهذا أول المراقبة لانها عن غير المشاهدة ترى الرقيب ثم تراقب وقد خص الله تعالى بالطيبات من الاعمال الطيبين من العمال وابتلى بالخبيثات من الاعمال الخبيثين من العمال وفرغ من ذلك بعلمه وقدره بحكمه واخفاه بلطفه فقال تعالى الخبيثات للخبيثين قيل الخبيثات من الافعال والاقوال للخبيثين

و يقرب البعيد من مزارها
وأجتليها بعد طول حسرة
فى حلل البهاء من استارها
وبعدها اسعى الى خير الورى
مستنقذ الامم من أوزارها
المجتبى الهادى الرسول المرتضى
محمد المختار من مزارها
صلى عليه الله ما هبت صبا
وضوعت شذاه فى أقطارها

اللهم ارزقنا حج بيتك الحرام قبل نزول القدر اللازم وارزقنا زيارة قبر نبيك الهادى الى الصراط المستقيم وصل على آله وصحبه بلا انفصام ولا انصرام برحمتك وكرمك يا أرحم الراحمين

(فصل) فى الجهاد قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله باموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق د قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يغز ولم يجهز

من الرجال وقال الطيبات للطيبين وقيل الطيبات من الاعمال والمقال للطيبين من الرجال ثم أخبر بحسن خاتمة أوليائه وسوء خاتمة أعدائه فقال تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قيل طابت حياتهم فطابت وفاتهم وطابت أعمالهم فطاب الموت لهم وقال فى وصف الظالمين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا أظلمت حياتهم وأعمالهم فاظلمت قبورهم ومثواهم فمن شهد ماذكرناه يقينا دامت مراقبته وحسنت معاملته فاتصلت أوراده وكثر من الخير ازدياده ونفذت مشاهدته لصفاء يقينه ودوام مزيده فكان ممن ندب الله عز وجل فى قوله تعالى لمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وكان ممن وصف اذ يقول يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون أى يسارعون الموت و يسابقون الفوت و يسارعون الغافلين و يسابقون البطالين ولعل بطالا من الشائعين جاهلا بحكمة الحكيم يتوهم علينا بظنه انا نقول انه لا يعطى الاشياء بشئ ولسنا نقول ذلك انما نقول انه يعطى شيئين بلا شئ فهو المعطى الاول للشئ الذى هو الظرف والمكان من العبادة والايمان وهو الذى يعطى الشئ الذى هو النعيم والجنان الا انه أجرى ذلك بتقديره فى مجارى حكمته كما سبق ذلك فى علمه ثم أنشأه فى معلومه لانه حكيم عليم *ذكر المقام الرابع من مراقبة الموقنين ثم يعلم العبد يقينا انه تنشر له سنوه فى الآخرة شهورا وتبسط شهوره اياما وتفترش ايامه ساعات وتكشف ساعاته انفاسا ثم يسئل عن كل نفس و ينشر له بكل فعلة فعلها وان صغرت ثلاثة دواوين الاول لم فعلت وهذا امكان الابتلاء بالاحكام فان سلم له نشر له الديوان الثانى وهو كيف فعلت وهو موضع المطالبة بصحة العلم فان صح له هذا نشر عليه الديوان الثالث وهو لمن فعلت وهذا امكان المطالبة فى الاخلاص فان اعتل بكيف أو بلم أو بلمن خيف عليه الهلكة الا ان يتعطف عليه الكريم المنان بحيث لا يحتسب فيستنقذه و يسمح له وقد قال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها اى جئنا بها أى احضرناها وقرئت بالمد آتينا بها بمعنى جازينا بها وقال عز وجل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقيل هذه احكم آية فى كتاب الله عز وجل وهى مجملة مبهمة عامة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئل عن شئ لم يوح اليه فيه بشئ يقول ما عندى فيه الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة الآية ولما تعلم صعصعة جد الفرزدق من أسفل القرآن الى هذه السورة قال حسبى حسبى قد عرفت الخير والشر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل فقيها وقيل الذرة قشرة الهباء الذى يظهر فى شعاع الشمس مثل رؤس الابر وروى عن ابن عباس انه قال اذا وضعت كفك على التراب ثم رفعتها فكل شئ تعلق بها من التراب فهو ذرة وقد قيل أربع ذرات خردلة وذكر بعض العلماء ان الذرة جزء من ألف جزء من شعيرة ففى الاعمال ما يزن هذا الشئ وما يثقل به هذا الخفاء فلذلك أخبر به الخبير وحذر منه الرؤف وفى معنى ماذكرناآنفا من حسب انه يدخل الجنة بعمل فهو متعن ومن حسب انه يدخلها بغير عمل فهو متمن يعنى انه ينبغى ان يعمل ما عليه ولا ينظر اليه ثم يتوكل فى ذلك على الله عز وجل و يرجو قبوله بكرمه ويخاف رده بعدله ولذلك مدح الله سبحانه وتعالى عباده الصابرين له المتوكلين فى أعمالهم عليه فانعم أجرهم فقال نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فالمزيد فى الجنة بفضل الله ورحمته هو تأبيد جزاء المعاملة الموهوبة اليوم ودوام خلود العامل فى تأبيد جزائه ألم تسمع قوله تعالى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا مع قوله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة الى قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ومثله ولكل درجات مما عملوا ونحوه أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة أى و بما يدرؤن بالحسنة الحديثة السيئة القديمة فلما استعملهم فى الدنيا بعملين بالصبر و بدرء السيئة الماضية بالحسنة المستأنفة اعطاهم فى الآخرة أجرين وهذا من الكلام المحذوف الموجز فمحذوفه و بما يدرؤن

اى

غازيا أو يخلف غازيا فى أهله بخير اصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة خم عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لغدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ت قال صلى الله عليه وسلم عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله (١) قال صلى الله عليه وسلم حرس ليلة فى سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها ت عن أبى هريرة مر رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعب فيه عيينة من ماء عذبة فاعجبته فقال لو اعتزلت الناس فاقمت فى هذا الشعب فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فان مقام أحدكم فى سبيل الله أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ألا تحبون ان يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة أغزوا فى سبيل الله من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من أرسل نفقة فى سبيل الله وأقام فى بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه فى سبيل الله وأنفق فى وجهه ذلك فله بكل درهم سبعمائة ألف درهم ثم تلا هذه الآية والله يضاعف

أى و بما يدفعون أيضا فلما حذفت بما أشكل الكلام فأشبهت الواو واو النسق ومؤخره السيئة والمعنى يدفعون السيئة التى تقدمت منهم بالحسنة التى يعملونها بعدها فتكون الحسنة المستقبلة رافعة لعقاب السيئة الفارطة منهم ومن أحسن الصبر الصبر على المصيبة ومن أحسن الحسنات التوبة النصوح بعد ماسلف من الذنوب والفضوح فكأنهم قد عملوا عملين صبروا عن الشهوة ودفعوا بالتوبة ماسلف من السيئة فأعطاهم أجرين لما استعملهم بعملين اذ لاصبر الا به ولا توبة لهم الا منه كما قال تعالى وماصبرك الا بالله وقال توبة من الله وليس من العبد أواليه فيما من الله والا كان مشركا فى اسم أول ومن أحسن الحسنات مراقبة الرقيب عند خطرات القلوب ومن أفضل القربات محاسبة النفس للحسيب واستجابتها بطاعة الحبيب وكذلك حكمته فى مزيد أهل النار ودركات بعضهم على بعض فى العتو والفساد فقال تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب أى زدناهم عذابا فوق عذاب الذين كفروا ولم يصدوا عن سبيل الله و بمعناه قوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا فلم يغفر لهم بكفرهم ولم ينور لهم طريق الهداية بظلمهم وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة ومثل ذلك قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق فصار عليهم عذابان عذاب جهنم بما لم يتوبوا وعذاب الحريق بما فتنوا المؤمنين ومثله قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون أى يريد أن يعذبهم بها فى الدنيا و يريد أيضا ان تزهق أنفسهم على الكفر ليعذبهم بها فى الآخرة وهذا نص صريح ان الله تعالى يريد الكفر من الكافر لان تزهق انتصب بالعطف على يريد الاول والواو فيه للجمع وقد قيل ان فى هذه الآية تقديما وتأخيرا فيكون المعنى ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة فأراد أن يجمع العذابين عليهم فى جهنم أحدهما الاموال والاولاد والثانى لارادته تعالى أن تخرج نفوسهم على الكفر فمن لا مال له ولا ولد له منهم كان عليه عذاب واحد فى جهنم لاجل قوله تعالى بها أى بسببها وهذا مواصل للخبر الذى جاء ان فقراء الكفار يدخلون النار بعد أغنيائهم بخمسمائة عام لاجل الفقر الذى كانوا فيه فى الدنيا كما ان الفقراء من المؤمنين يدخلون الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لاجل غنى أولئك وفى الخبر أيضا وتدخل المرضى الى الجنة قبل الاصحاء بأربعين خريفا ويدخل المقتول فى سبيل الله مقبلا قبل المقتول فى سبيل الله مدبرا بأربعين خريفا وتدخل المماليك قبل الموالى بأربعين خريفا ويدخل سليمان بن داود الجنة بعد الانبياء بأربعين خريفا لمكان ملكه فالحسرة العظمى والفوت الأكبر الذى لادرك له وهو تأبيد حرمان ما أعطى غيرك من المزيد هنالك لفوت أوقاتك فى الدنيا ههنا ثم درك ذلك بأوقاته العامرة ههنا تأبيد مزيد جزائه ثم وهذا هو التغابن غبن العاملون البطالين وغبن السابقون المخلفين وغبن المسارعون المثبطين ثم خلود العبد البطال المغبون فى الدنيا فى تأبيد حرمان مزيد الغابن العامل ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم مامن ساعة تأتى على ابن آدم لايذكر الله تعالى فيها الا كانت عليه حسرة وان دخل الجنة وفى لفظ آخر وهو أشد الا كانت عليه ترة يوم القيامة أى مطالبة ومؤاخذة فالحسرة فى الجنة بعد دخولها والظفر بنعيمها وماذكرناه من حرمان مزيد العاملين فيها ثم دوام الحرمان مؤبدا بها وهو كون العبد فى نقصان درجة غيره ثم هو مخلد فى النقصان سرمدا ومع ذلك فلا يؤبه له ولا يفطن به كيلا ينقص عليه نعيمه والطرفة والنفس اذا خلتا من اليقظة والذكر فيهما بمنزلة الساعة الخالية الان النبى صلى الله عليه وسلم نص على الساعة ولم يذكر مادونها لان اسم الساعة أقل الزمان المستعمل عند العرب ليواطئ بقوله قول الله سبحانه وتعالى فاذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولا يستقدمون ومعلوم انه اذا جاء الاجل لايستأخرون نفسا ولا طرفة عين وكذلك لايستقدمون طرفة ولا نفسا فذكرت الساعة دون مانقص منها لئلا يخرج الكلام عن حد استعمالهم وعرفهم وليستدل بها على مادونها فى القلة من النفس

لمن يشاء ت ق قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له فى أول دفعة و يرى مقعده من الجنة و يجار من عذاب القبر و يأمن من الفزع الاكبر و يوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا ومافيها و يزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين و يشفع فى سبعين من أقربائه د عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه انه لما أصيب اخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة تأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة فى ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا أحياء فى الجنة ولا ينكلوا عند الحرب فقال الله تعالى أنا أبلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لاخوف عليهم ولاهم يحزنون وفى كتاب المؤمنات الصالحات للحصنى قال أبو قدامة الشامى كنت أميرا على الجيش فى بعض الغزوات فدخلت

والطرفة وكذلك دل رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصه على الساعة على ما دونها لان حكمته من حكمة مولاه وكلامه على معانى كلامه وقد دخلت الساعة فما دونها فى الايام التى قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية قيل هى والله أيامكم هذه وستخلونها فاشغلوها بالاعمال الصالحة قبل خلوها منكم وانقضائها عنكم وكان الحسن يقول يا ابن آدم انما أنت مراحل كلما مضى منك يوم أوليلة قطعت مرحلة فاذا فنيت المراحل بلغت المنزل الى الجنة أو النار فالساعات تنقلنا والايام تطوينا كما قال بعض الحكماء مثل العبد فى عمره مثل رجل فى سفينة تسير وهو قاعد كذلك العبد يدنو من الآخرة وهو غافل ويقال ان العبد تعرض عليه ساعاته فى اليوم والليلة فيراها خزائن مصفوفة أربعة وعشرين خزنة فيرى فى كل خزانة نعيما ولذة وعطاء وجزاء لما كان أودع خزانته من ساعاته فى الدنيا من الحسنات فيسره ذلك ويغتبط به فاذا مرت به فى الدنيا ساعة لم يذكر الله تعالى فيها رآها فى الآخرة خزائن فرغا لا عطاء فيها ولا جزاء عليها فيسوءه ذلك ويتحسر كيف فاته ان لم يدخر فيها شيأ فيرى جزاء مدخرا ثم يلقى فى نفسه الرضا والسكون فلو لم يتحسر العبد الا على فوت الفضائل والمندوب اليه من الخيرات لكان فى فوت المسابقة والمسارعة حسرات فكيف بمن فاته أوقاته فى السيآت وفرطت منه فى الخسارات ولو لم يشتغل العبد فى عمره الا بالحلال والمباحات لكان ذلك نقصانا من الدرجات له فكيف بمن شغل بالمحظورات فسبحان الله ما أعظم الخطر وأصعب الامر وأقل المشاهدين لذلك وأغفل البطالين وقد قال بعض العلماء هب ان المسىء قد غفر له أليس قد فاته ثواب المحسنين وقد جاء فى الاثر ان بعض أهل الجنة بيناهم فى نعيم اذ سطع لهم نور من فوقهم أضاءت منه منازلهم كما تضىء الشمس لاهل الدنيا فنظروا الى رجال من فوقهم أهل عليين يرونهم كما يرى الكوكب الدرى فى أفق السماء قد فضلوا عليهم فى الانوار والنعيم والجمال كما فضل القمر على سائر الكواكب فينظرون اليهم يطيرون على نجب تسرح بهم فى الهواء حيث شاؤا ويتزاورون بعضهم بعضا يزورون ذا الجلال والاكرام فينادون هؤلاء يا اخواننا ما أنصفتمونا كنا نصلى كما تصلون ونصوم كما تصومون فما هذا الذى فضلتم به علينا قال فاذا النداء من الله عز وجل انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ويعطشون حين تروون ويعرون حين تكتسون ويبكون حين تضحكون ويقومون حين تنامون ويخافون حين تأمنون فلذلك فضلوا عليكم اليوم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وقد جاء فى الخبر أكثر أهل الجنة البله وعليون لذوى الالباب * ذكر المقام الخامس من مراقبة الموقنين من المقربين قال الله تعالى تخوفا للكافة حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت ثم أجابه فقال كلا وحقق قوله تعالى فقال انها كلمة هو قائلها ثم نهى المؤمنين تصريحا عن مثل هذا الحال وأخبر بنقصان من فعل ذلك فقال يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله أى لا تشغلكم عن الطاعة لله تعالى ثم قال ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون أى المغبونون المنقوصون فى الآخرة لانهم آثروا المال والولد على الخالق الرازق ثم أمر بالانفاق مما رزق وقرنه بالايمان وأخبر انه استخلفنا فى ملكه اختبارا لنا فقال آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فسمع الغافلون نصف الكلام فآمنوا ولم ينفقوا وعقل العاملون كل الكلام فآمنوا وأنفقوا وما يعقلها الا العالمون وقال سبحانه وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق أى بالمال وأكن من الصالحين أى بالاعمال وكان ابن عباس يقول هذه الآية من أشد شئ على أهل التوحيد لانه لا يتمنى التأخير والرجوع الى الدنيا أحد له عند الله خير فى الآخرة ومثل هذا قوله سبحانه أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله الحسرة هى أعظم الندامة وهى اسم لفوت شئ لا تدارك فيه فرطت أى ضيعت وونيت وفرط منى أى ذهب وفات وجنب الله قيل على ما فاتنى من الجزاء منه فى الآخرة وقيل ما فات من النصيب فى أيام الدنيا الى قوله أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة يعنى الى الدنيا يعنى عودة أخرى فأكون من

المحسنين

فى بعض البلدان فدعوت الناس الى الغزو ورغبتهم فى الثواب وذكرت فضل الشهادة وما لاهلها ثم تفرق الناس فركبت فرسى وسرت الى منزلى فاذا بامرأة من أحسن الناس تنادى يا أبا قدامة فقلت هذه مكيدة من الشيطان فمضيت ولم أجب فقالت ما هكذا كان الصالحون فوقفت فجاءت فدفعت الى رقعة وخرقة مشدودة فانصرفت باكية فنظرت فى الرقعة فاذا فيها مكتوب انك دعوتنا الى الجهاد ورغبتنا فى الثواب ولا قدرة لى على ذلك فقطعت أحسن ما فى وهما ضفيرتاى وأنفذتهما اليك لتجعلهما قيد فرسك فى سبيله فيغفر لى فلما كانت صبيحة القتال فاذا بغلام بين يدى الصفوف يقاتل فتقدمت اليه وقلت يا فتى أنت غلام ولا آمن ان تجول الخيل فتطؤك بارجلها فارجع عن موضعك هذا فقال أتأمرنى بالرجوع وقد قال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فحملته على هجين كان معى فقال يا أبا قدامة أقرضنى ثلاثة أسهم فقلت أهذا وقت قرض فما زال يلح على حتى قلت بشرط

المحسنين وقوله أن تقول نفس من الكلام المضمر المعطوف ومضمره من قبل أن تقول أو خشية أن تقول ومعطوفه هو قوله وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له أى اقبلوا اليه وتوبوا واستسلموا وسلموا قلوبكم ونفوسكم وأموالكم فى طاعته وعبادته واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أى اتبعوا العزائم من الامور والفواضل من الاعمال فهو أحسن من الرخص والمباحات مثل الزهد والورع والخوف والايقان فهذا من أحسن ما انزل الينا من ربنا ثم قال تعالى أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله فلما طال الكلام وأضمر معطوفه وبعد عاطفه للاختصار أشكل فهمه وفى القرآن ما هو أشد اختصارا وأبعد من هذا اضمارا كقوله تعالى فما يكذبك بعد بالدين المعنى فما الذى يحملك على التكذيب أيها الانسان الذى خلقناه فى أحسن تقويم بعد هذا البيان والبرهان بالدين بالغائبات والكائنات من أمور الدين والحسنات والجزاء ثم أحكم ذلك برده اليه فقال أليس الله بأحكم الحاكمين وكذلك قوله ولا تنس نصيبك من الدنيا المعنى لا تترك أن تعمل فى الدنيا بأيامك هذه فتدرك نصيبك غدا من الآخرة فى الدنيا فانك لا تدركه الا فيها ثم احكمه بقوله وأحسن كما أحسن الله اليك أى أحسن الى نفسك والى اخوانك الفقراء كالذى أحسن اليك به من المال والغنى فبذلك تدرك نصيبك من الدنيا فى الآخرة ثم أخبر الله سبحانه الكل وحذرهم فقال حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها أى يا ندامتنا على ماضيعنا فى الدنيا وفاتنا فى الآخرة وفى الخبر لا يموت أحد الا بحسرة وندامة ان كان مسيئا كيف لم يحسن وان كان محسنا كيف لم يزدد وذلك ان الله تعالى جعل أهل السلامة والنجاة طبقتين بعضهم أعلى من بعض وجعل أهل الهلكة طبقة واحدة بعضهم أسفل من بعض فكان صاحب الشمال يتحسر كيف لم يكن من أصحاب اليمين لقوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين وصاحب اليمين يتحسر كيف لم يكن من المقربين والصالح من المقربين يتمنى أن يكون من الشهداء والشهيد يود انه من الصديقين فهو يوم الحسرة الذى أنذر به أهل الغفلة فكيف بهم فى ذلك اليوم اذا كانوا اليوم أمواتا ولم يكن له حسنة فانى لهم النذارة والتذكرة كما قال وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر وهم فى غفلة وقد قال لينذر من كان حيا كما قال انما أنت منذر من يخشاها انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب وقال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد يعنى الى ماقدمت وقيل حديد الى لسان الميزان تخاف النقصان وقال تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قيل بالسابقة لهم وعليهم فهو الحق سبقت لهم منا الحسنى حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون وسقط مادونها وقد قيل انما يوزن من الاعمال خواتيمها والخواتم من السوابق وما بينهما زاهق والوزن يومئذ الحق ماسبق من العدل والصدق وتمت كلمة ربك صدقا لاوليائه وعدلا على أعدائه ألا له الخلق والامر * ذكر المقام السادس من مشاهدة المقربين الخيرات هى من ثمرات الايمان والصالحات هى مقتضى اليقين واللعب مقتضى الشك والسمع والبصر وصفان للمتقين والعمى والصمم وصفان للشك تنتظم هذه المعانى فى قول الله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فدل ان الايمان يأمر المؤمنين بالبر والتقوى وقوله تعالى مخبرا عمن أيقن فسمع وأبصر فينال العمل الصالح ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون وقوله تعالى فى وصف اللاعبين بل هم فى شك يلعبون ثم ذكر حالهم لعدم اليقين فقال تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون لانهم لم يكونوا موقنين فلما جاءهم اليقين وهو المعاينة أبصروا وسمعوا فقالوا وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فوصفهم بشدة السمع والبصر حينئذ لما أيقنوا فقال عز وجل أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أى ما أسمعهم وأبصرهم اليوم لما جاؤنا فرأوا ما عندنا وهذا للمبالغة فى الوصف كما تقول أكرم وأعظم به أى ما أكرمه وأعظمه فكذلك اذا أتيته اليوم وأنت موقن سمعت مالم تسمع وأبصرت مالم تر قبل ذلك ولكن شغلتك الازواج التى خلق والاشكال والاشباه التى أظهر فتألهت اليها ووقفت معها ولو فررت منها الى الله تعالى لفررت الى خير مفر ولاواك عنده فى أحسن مقر وقد

ان من الله عز وجل عليك بالشهادة ان أكون فى شفاعتك فقال نعم فاعطيته ثلاثة أسهم فوضع سهما فى قوسه وقال السلام عليك يا أبا قدامة فرمى به ورميا ثم رمى بالآخر وقال السلام عليك يا أبا قدامة فقتل به روميا ثم بالآخر وقال السلام عليك يا أبا قدامة سلام مودع فجاءه سهم فوقع بين عينيه فوضع رأسه على قربوس سرجه فتقدمت اليه وقلت لا تنسها قال نعم ولكن لى اليك حاجة اذا دخلت المدينة فأت والدتى وسلم خرجى اليها وأخبرها فهى التى أعطتك شعرها لتقيد به فرسك وسلم عليها فان العام الاول أصيبت بوالدى وفى هذا العام أصيبت بى ثم مات فحفرت له ودفنته فلما هممنا بالانصراف عن قبره قذفته الارض فالقته على ظهرها فقال أصحابى انه غلام غر ولعله خرج بغير اذن أمه فقلت ان الارض لتقبل من هو شر من هذا فقمت وصليت ركعتين ودعوت الله عز وجل فسمعت صوتا يقول يا أبا قدامة اترك ولى الله عز وجل فما برحت حتى نزلت عليه طيور فأكلته فلما أتيت المدينة ذهبت الى دار والدته فلما قرعت الباب خرجت أخته فلما رأتنى عادت وقالت يا أماه هذا أبو قدامة ليس معه أخى وقد أصبنا

أمرك بالفرار منها اليه لو قبلت ونهاك عن التأله اليها لو سمعت وبين لك النذارة لو فهمت وجعل ما خلق من الازواج تذكرة به لو عرفت ورادة اليه لو أنك للذكر اتبعت ومشوقة اليه فلو كنت اقرب به أحببت أما سمعته يقول ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أى مثلين وشكلين لكى تذكرون الله بهما وتشتاقون اليه منهما ثم قال ففروا الى الله أى عنها بالزهد ثم قال ولا تجعلوا مع الله الها آخر أى لا تألهوا معه الها ولا تشركوا بتألهكم اليه اياها فهذا فهم المقربين عن سمعهم بشهادة أبصار قلوبهم فعندها كان استجابتهم له كما قال انما يستجيب الذين يسمعون وقال ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ولكن كيف يسمع من ينادى من مكان بعيد وكيف يبصر من القفل على قلبه عتيد وكيف يستجيب من لا يسمع وكيف يشهد من لا يبصر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حبك الشئ يعمى ويصم فالهوى يعمى عن الحق والشهوة تصم عن النصح والصدق وكذلك لو أحببته لنظرت اليه ولو نظرت اليه لعميت عمن سواه ولو أقبلت عليه لاستمعت اليه ولو سمعت لصممت عن غيره ولو أحبك لكان سمعك وبصرك وقلبك ويدك وناصرك ومؤيدك تدعوه فيجيبك وتسأله فيعطيك وتنصح له فينصح لك كذلك جاء الخبر بذلك فشغلك به عنك وفرغك له منك فكيف تسمع عنه وتنظر اليه وتتقلب عنده وتتحرك به لا بنفسك وهواك ولا بشهوتك ودنياك فهذا وصف حبيب عن تقلب حبيب وخبر محبوب عن تثبيت محبوب فاذا تيقن العبد يقين عين لا يقين ظن وسمع بما ذكرناه من سرعة فوت الوقت وفوت دركه شغله الغم والحزن على ما فات عن مثل ما سلف مما ندم عليه فى مستقبل الاوقات فلم يضم الى الفوت الاول فوتا ثانيا لحزنه وندمه عليه فكيف يردفه فى الحال بما يشبه ما ندم عليه من سوء الاعمال وما لا يحمد عاقبته ولا يغتبط به فى المآل فمثل العبد المتيقظ فى آخر غفلته مثل عبد كان عليه عمل لابد أن يعمله فى يومه ذلك الا أنه لهى عنه لغفلة ملهية أو نومة منسية فلم يفق لعمله ذلك الذى لابد منه الا بعد العصر فلا يسأل عن حرصه وانكماشه وتشميره وبداره فى بقية نهاره ليدرك به ما فاته من أول النهار فهو يود ان وقته ذلك الى الليل مدّ له أضعافه أو رد الى أول النهار ليدرك ما فاته فهذا حال التائب المتيقظ من رقدته وهذا لا يستبين له الا بعد الموت لمعاينة تقضى الاوقات وللتيقن بعدم درك ما فات فهنالك وقعت الندامة الكبرى وحينئذ حلت الحسرة العظمى فالحزم عند العقلاء الموقنين هو الانكماش والتشمير فيما بقى من العمر القصير لان الاشتغال بما فات فى وقت درك مثله فى المستقبل هو اضاعة ثانية لما هو آت فرض هذا المتيقظ واجتهاده أن يكون له فى كل وقت وقت ومن كل ساعة نصيب فأودع فى كل خزانة من ساعاته التى هى خزائن أعماله شيأ فشيأ لئلا يرى خزائنه فارغة غدا فيتحسر على فراغه منها وهذا طريق أهل الرجاء الذين تمنوا زيادة الاعمال ورغبوا فى طول البقاء بحسن خدمة المولى وهو مقام التائب المستقيم ليتدارك بحديث الاوقات ما فرط منه من الغفلة فى القديم فهذا هو الحزم والاحتياط عند العلماء فان يكن الامر صعبا شديدا كما يحدث عنه كان قد سلم بحسن توفيق الله تعالى من صعوبته وان كان الامر سهلا قريبا كما يرجوه كانت الاعمال درجات والفضائل مقامات * ذكر المقام السابع من مشاهدة الموقنين اعلم أن ما ذكرناه من تدارك الاوقات خوف فوتها ليس هو بتمنى مكان دون مكان ولا هو بانتظار وقت ثان الذى هو فى الاصل فكر الوقت الذى هو فيه ولا توقع حال سوى الحال الذى هو يليه انما هو صوم يوم أو قيام ليلة أو ذكر فى ساعة أو جمع هم عن شتات قلب أو قطع لأثر فى خطر ويكون ذلك أيضا غض طرفه وصون سمعه وكف يده وحبس قدمه وصمتا عن كلمة دنية وترك لقمة شهية ونقصانا من قوت وزيادة جوع للمقيت وأمرا بكلمة رشيدة ونهيا عن فعلة دنية وعقد نية جيدة وحل نية ذميمة وتجديد توبة واعمال قلب فى فكرة واخراج سوء ظن واعتقاد حسن ظن واستقامة وصحة عزم فى قصد وتسبيا الى ما يقوى العزم ومعونة على بر وتقوى وهذا كله يكون فى الوقت ويحدثه فى الحال لا يسوف به ولا ينتظر منه ولا يتوقعه فى وقت ثان ولا يؤخر الى زمان دون وقته ولا يتربص به فى مكان دون مكان فهذا هو التدارك

فى العام الاول بابى وفى هذا العام باخى فخرجت أمه فقالت أمعز ينا فقلت ما معنى هذا فقالت ان كان مات فعزنى وان كان استشهد فهنئنى فقالت له علامة فهل رأيتها قلت نعم لم تقبله الارض ونزلت الطيور فأكلت لحمه وبقيت عظامه فدفنتها فقالت الحمد لله فسلمت اليها الخرج ففتحته فاخرجت مسحا وغلا من حديد وقالت انه كان اذا جنه الليل لبس هذا المسح وغل نفسه بهذا الغل وناجى مولاه وقال فى مناجاته احشرنى فى حواصل الطيور فقد استجاب الله عز وجل دعاءه والله أعلم اخوانى هذا اصبر اولى التقوى الذين لا يطيعون الهوى

شعر

فلا تجزع لريب الدهر واصبر
فان الصبر فى العقبى سليم
فما جزع بمغن عنك شيأ
ولا ما فات يرجعه الهموم
اذا ضاق الخناق فكن صبورا
كريما فالشدائد لا تدوم
وبالصبر الجميل تنال أجرا
ويقضى بعد ذلك ما تروم
فكم من محنة عظمت ودامت
وحان مواصل وبها جيم
أتى فرج الاله لها صباحا
فأمست وأقلعت الهموم
فسلم فالذى أبلى يعافى
وثق بالله فهو بنا عليم

اللهم صل على سيدنا وهادينا وشفيعنا محمد وعلى

للاوقات فى وقتك الذى أنت فيه خشية فوت الوقت فيحصل على التسويف والتمنى أو فى الانتظار والتراخى فهذه من جنود ابليس يقطع بها المريدين وهو مقام المغترين وأحوال البطالين الذين وكلوا الى أنفسهم وتركوا مع هواهم ولم يتداركوا فى أحوالهم ولم يقدموا لغدهم نسوا الله فنسيهم والوقت اذا انقضى فقد ولم يوجد الى يوم القضاء والساعة اذا مرت طويت فلم تنشر الى يوم النشور وانما ينشر مثلها ويخلق شبهها فاذا أيقن العبد علم ان عمره كله يوم وان يومه كله ساعة وان ساعته كلها وقته الآن وان وقته حاله وان حاله قلبه فأخذ من حاله لقلبه ما يقربه الى مقلبه بنهاية عمله فعمل أفضل ما دل علمه عليه وما ندبه مولاه اليه ومما يحب ان يفجأه الموت عليه فيكون ذلك خاتمة عمله الذى يلقى مولاه به ثم أخذ من وقته لحاله ما يصلح حاله لقلبه ويقوى قلبه ويخلصه لربه وأخذ من ساعته لوقته ما يزين به حاله عند ربه وأخذ من يومه لساعته صلاحه فيها وحاجته اليها وأخذ من شهره ليومه فكان شهره يومه وكان يومه ساعته فشغله وقته عن ساعته وشغله حاله عن وقته فكان على هذا مراعيا لوقته محافظا على حاله قائما على نفسه جامعا لهمه محصيا لانفاسه مراقبا لرقيبه مجالسا لحبيبه لا يخرج عنه نفس فى أدنى وقت الا فى ذكر لمذكور أو شكر على نعمة لمنعم أو صبر فى محبة عتيدة أو رضا عند شدة شديدة ويكون فى ذلك كله ناظرا الى الرقيب مصغيا الى القريب سائحا الى الحبيب لا ينظر الا اليه ولا يعكف الا عليه وقد جعل العمر يوما واليوم ساعة والساعة وقتا والوقت حالا والحال نفسا والنفس مراقبة والمراقبة مواجهة فتوجه فى وجهته فلم ينثن وساح فى قربه فلم ين فكان من الايمان على مزيد ومن اليقين فى تجديد واعطى من الحياة الطيبة بغير حساب وكشف له عن قلبه الحجاب فكانت المعرفة مقامه وقصرت عليه أيامه فكان وقته وقتا واحدا الواحد وكان قلبه واحدا الواحد وهمه منفردا المنفرد وهذا حال الابدال الذين هم من الرسل أمثال وعددهم فى الموقنين قليل ونصيبهم من اليقين وافر جليل وهم المقربون والصديقون ومن علم ما ذكرناه على يقين فهو من الصالحين ومن آمن به ولم يشك فيه لاهله ايمان تصديق فهو من الموقنين ومن شهد منه شهادة يكون له منها مطالعات وزيادة فهو من الشاهدين وجميع ما ذكرناه من مراقبة المؤمنين وشهادة المقربين يدرك باحد مقامين من أقيم فى أحدهما جمع له ذلك استقامة فى توبة وعمل بعلم فمن كان مقامه التوبة وحاله الاستقامة رفع الى شهادة المحبين ومن كان مقامه العلم وحاله العمل بعلمه تحقق بنعت الخائفين وهما حالا العارف الدائم الوجد بقرب القريب القائم بالشهادة بحضور الشهيد فانفاسه وطرفاته صالحات وتصرفاته وآثاره حسنات وأفكاره وأذكاره مشاهدات فهو حاضر فى تصريفه متيقظ فى تقلبه وبهذا وصف العارف والدائم الوجد وحدثت عن بعض هذه الطائفة انه دخل على بعض المنقطعين الى الله تعالى من أهل المراقبة فقال له أحصيت من نعم الله تعالى على فى نوع واحد أربعة وعشرين ألف نعمة قلت وكيف ذلك قال حسبت أنفاسى فى اليوم والليلة فوجدتها أربعة وعشرين ألف نفس ويقال ان الطرفات ضعف ذلك لان كل نفس طرفتان وسمعت ان الله عز وجل أوحى الى بعض الانبياء كيف تؤدى شكر نعمتى عليك ولى فى كل شعرة نعمتان ان لينت أصلها وان طمنت رأسها وقال بعض العلماء روى ذلك أيضا عن على عليه السلام ليس شئ أعز من الكبريت الاحمر الا ما بقى من عمر العبد قال ولا يعرف مقدار ما بقى من عمره الا نبى أو صديق . وقال بعضهم لا يعرف قدر ما بقى من عمره فى العزة الا من عرف ينبوع الكبريت الاحمر فانه يقال انه عيون تنبع فى الظلمات لا يعرفها الا الابدال والكبريت الاحمر هو كيمياء الذهب الذى يعمل منه الذهب الخالص واذا ألقى منه اليسير على كيمياء الذهب المستعمل ثبت على حاله والا استحال وتغير بعد سنين ولا أعلم ذكر عن النبى صلى الله عليه وسلم الكبريت الاحمر الا فى حديث على عليه السلام الذى وصف فيه الابدال فذكر عدتهم ونعتهم وقال فى آخر وصفهم هم فى أمتى أعز من الكبريت الاحمر ولا ذكر الذهب الابريز الا فى حديث الابتلاء ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم من يخرج اسود محترقا ومنهم من يخرج بين ذلك

آله وصحبه وشد عزائمنا على دينه وطلب رضاه وارزقنا الشهادة فى سبيلك فانك أكرم الاكرمين وارحم الراحمين

(فصل) فى الربا والتطفيف

قال الله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس أى الجنون قال قتادة ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا وذلك علم لاكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف م عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد اربى الآخذ والمعطى فيه سواء وروى الشافعى وغيره انه صلى الله عليه وسلم قال ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير والشعير بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدا بيد كيف شئتم خ م عن أبى سعيد الخدرى قال جاء بلال الى النبى صلى الله عليه وسلم بتمر برنى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم من أين هذا قال عندنا تمر ردىء فبعت منه صاعين بصاع فقال

(الفصل التاسع والعشرون) فيه ذكر أهل المقامات من المقربين وتمييز أهل الغفلة المبعدين فاذا كان العبد بوصف ماذكرنا كان كما قال الله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون وقال بعض العارفين عمر العبد أمانة الله تعالى عنده يسأله عند موته فان كان فرط فيه ضيع أمانة الله تعالى وترك عهده وان راعى أوقاته فلم تخرج ساعة الا فى طاعة الله حفظ أمانته ووفى بعهده فله الوفاء من الله على الوفاء كما قال سبحانه وتعالى وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون أى فى تضييع العهد وفى ترك الوفاء وكما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه أى شهد مقام الله تعالى منه بالبيان فقام بشهادة الايقان فليس هذا كمن زين له سوء عمله واتبع هواه فآثره على طاعة مولاه بل هذا قائم بشهادته متبع لشهيده مستقيم على محبة معبوده وكان كمن وصف فى قوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه وكمن مدحه بحقيقة الايمان فى قوله تعالى واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا أى علامته ودلائله وعلى ربهم يتوكلون أى به يثقون واليه ينظرون وعليه فى كل حال يعتمدون ولديه من كل شئ يطمئنون وعنده دون كل شئ يوجدون ثم قال سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم الآية وليس أهل الحقائق من المتوكلين الذين مدحهم الحق بالحق وأعد لهم الدرجات العلى والكريم من الرزق كمن ذكره بعدهم فقال وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعدما تبين لهم مع قوله ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فجعل حال هؤلاء وصفا مشبها المقام أعدائه لما بقى عليهم من أهوائهم وجعل مقام الصالحين بمعنى من وصفهم فى الآية بحقيقة زهدهم فقال تعالى ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى فهو العلى وأحباؤه الاعلون وانما كانوا أعلين لان الاعلى معهم وكذا نحى الادنين لان الدنيا عندنا قال الله سبحانه فى وصف من أعرض عن ذكره ولم يرد الا الحياة الدنيا اذا أمر الحبيب بالاعراض عنه لانه طلب الادنى عاجلا أو سوف بالمغفرة آجلا لقوة جهله وضعف يقينه فقال تعالى يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا وقال فى وصف الصادقين المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال فى نعت غيرهم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله فشتان بين من وصف بصدق العهد وبين من ذكر بالخلف وعرض للمقت وقال فى وصف طائفة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين نقص أولياءه بترك اتباعه وادخل بعض المؤمنين فى تصديق ظنه واتباعه الا فريقا فهم الصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا وهم المتوكلون المؤمنون حقا الذين قال انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وليس من باع ماله ونفسه محبة لمولاه كمن لم يسأله مولاه دون نفسه لئلا يحفيه فيخرج ضغنه عليه كما قال لطائفة من المؤمنين يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم الاحفاء الاستقصاء أى ان سألكم سأل الجلة كلها وأحب منكم الزهد فى نفوسكم بعدها والاضغان جمع ضغن وهو الحقد تقول فلستم فى مكان سؤال اذ لا يكون البخيل زاهدا لان أول الزهد الجود فمن لم يجد لم يزهد ومن لم يزهد فى الدنيا لم يحبه المولى لانه محب لما يبغض ومريد لما لا يحب فلم يعامل مولاه بأخلاقه ولم يوافقه فى مرضاته فباعده وحجبه عن مشاهدة أوصافه كما قال تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم المبلغ عن المآل اذا أردت ان يحبك الله فازهد فى الدنيا ولا تقدر ان تصف حشو قلوب هذه الطائفة من المؤمنين الذين وصفهم المؤمن ان لو سألهم أموالهم ظهرت عليهم أضغانهم لانهم من الله فى اغترار بما ألبسهم من الاظهار فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا الا ان الله تعالى لا يسأل الا من يحبه اكراما له ممن يعلم انه يسارع اليه بجملة ما سأله لانه كريم جواد لا يكبر عنده شئ ان سأل سأل الكلية وهو المال والنفس الا انه لا يسأل الا من خلقه بخلق من أخلاقه فتى لم يكن على العبد سواء شئ سأله محبوبه

كل

أوه عين الربا لا تفعل ولكن اذا أردت ان تشترى فبع التمر ببيع آخر ثم اشتر به قال فضالة بن عبيد كل قرض جر نفعا فهو ربا وروى أحمد والدارقطنى عن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ستة وثلاثين زنية رواه البيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس وزاد وقال من نبت لحمه من السحت فالنار أولى به ق عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون جزأ أيسرها ان ينكح الرجل أمه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الربا وان كثر فان عاقبته تصير الى قل ات عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت ليلة أسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا وقال الكلبى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ويستوفون لانفسهم فنزل قوله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون الا يظن أولئك انهم مبعوثون

كل شئ ومتى عظم فى قلبه العرض الفانى وهو ضغين لم يسأله شئ فاذا لم يبق للعبد فى نفسه نفسا ولا من ماله ملكا كان الجواد عوضا له من ماله وكان الجبار عوضاله من نفسه الا ان الله سبحانه لم يذكر اياه فى العوض من النفس وذكر الجنة فى البدل عن المال لئلا يدخل تحت حكم وهو الحاكم وكيلا ينضم الى عوض فيكون شفعا وهو الفرد فاخفى نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو اليه السبيل فهذا فهم أوليائه عنه وهذه علامة المحبة الخالصة التى لا شرك فيها لسواه ولا دخل عليهما من غيره ١٧ اياه ولا يصلح أيضا ان يكشف عن وصف هؤلاء المحبين لان حالهم يجل عن الوصف ومقامهم يجاوز علوم العقل والوقت الا ان الله تعالى قد أحكم ذلك بقوله عز وجل وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين وبقوله تحيتهم يوم يلقونه سلام مع قوله ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم وقوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان واحكم ذلك بقوله تعالى وهو وليهم بما كانوا يعملون وبقوله تعالى هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ففيه وصف لاهل الولايات والحب ومدح لاهل الدرجات والقرب بقوله بصير بما يعملون أى لذلك جعلهم درجات عنده ولقوله وليهم بما كانوا يعملون بما تولاهم به قربهم منه وفيه أيضا ذم المنافقين على القراءة الاخرى والله بصير بما تعملون فقد أبصر أعمالكم أنتم فلم يجعلكم مثلهم اذلم تكن أعمالكم كاعمالهم فهذا كما قال فعلم ما فى قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ثم قال فى وصف قلوبنا والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حكيما ثم قال فى فصل من القول ليس بهزل سوى بين هؤلاء وهؤلاء ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا ثم قال فى ضد أولئك كلاما فاصلا للفصل مفسر للمجمل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم بعد ان لا يجعل فيهم خير التولوا وهم معرضون أى ليس لهم فيه شئ ولا لهم منه نصيب لانه لم يجعل عندهم مكانا للخير فيوجد فيه خير فكان هذا فصل الخطاب وبلاغا لاولى الالباب شهد لهم بذلك اذ قال أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا فأيس المؤمنون من هداية هؤلاء فلم يرجوا منهم مجاهدة فيها أبدا الا ان الله تعالى لا يهدى من يضل وقيل ييأس لغة بمعنى يعلم أى فقد علموا انما أعلمهم الله تعالى ويشهد لهذا المعنى الحرف الآخر لانه بمعناه أفلم يتبين الذين آمنوا فبين لهم بما بين المبين فسلموا له وأقبلوا عليه وأعرضوا عنهم فسلموا منهم فكذلك قال الولى الحميد وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا وقال تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه فكم بين من ثبت قلبه فرسخ العلم فيه وبين من أزاغه فمال الى فتنة التأويل يبتغيه وشتان بين من تولاه بنفسه اذ صلح له وبين من ولاه نفسه اذا أعرض عنه فهذه مقامات المبعدين كما تلك مقامات المقربين فقد دخلوا تحت حكمين لم يخرجوا منهما أعلاهم دخل تحت فضله وأدناهم لم يخرج من عدله وقد أجمل سبحانه وصفهم بقوله ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله وقال فى ذكر العموم ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط فخص أولياءه بالفضل وعم خلقه بالعدل فكم من قلب لا يشهد الا الله ولا يسمع الا منه ولا يتأله الا اليه والله هو الاغلب على همه والاقرب الى قلبه وبين قلب حشوه الخلق وهمه الرزق لا ينظر الا اليهم ولا يطمع الا فيهم ولا ينظر الا هم الخلق أغلب شئ عليه والخلق أقرب شئ اليه فهذا من المبعدين بهم لان البعد صفتهم وظهور النفس عليه وتحكم سلطانها فيه مكان البعد الذى يوجد البعد معه والاول من المقربين به لان القرب صفته وخنوس نفسه عنه وتسخيرها له مكان القرب الذى يوجد القرب عنده فذلك من السابقين الى ربه والمبعد مثبط بنفسه عن ربه وقد قال تعالى فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين فالبعد حجاب والمبعد فى عذاب والقرب نعيم والمقرب على مزيد ألم تسمع قوله تعالى فى تعذيب المحجوب كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم وقال فى ترويح المقربين فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم روح بقريب وريحان من حبيب وجنة نعيم بقرب منعم وقال المروح بالقرب المحيا بالحضور

فروحى وريحانى اذا كنت حاضرا * وان غبت فالدنيا على محابس

ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال جماعة من المفسرين يقومون فى رشحهم الى انصاف آذانهم خ م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله رجلا سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقتضى ت عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل الكيل والميزان انكم قد وليتم أمرين هلكت فيهما الامم السالفة قبلكم وفى الكواكب الدرارى للكرمانى قال الحافظ الطبرانى ان جريرا أمر مولاه ان يشترى له فرسا فاشتراه له بثلثمائة وجاء به وبصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس فرسك خير من ثلثمائة اتبيعنيه باربعمائة قال ذلك اليك يا أبا عبد الله قال فرسك خير من ذلك ثم لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك خير الى ان بلغ ثمانمائة فاشتراه بها فقيل له فى ذلك فقال انى بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم وكان اذا قوم السلعة بصر المشترى عيوبها ثم خيره فقيل له اذا فعلت كذلك لم ينفد لك الثمن فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم * اخوانى مثل هذا هم السعداء وهم حقا ملوك الغبراء يتواضع لهم السلاطين والامراء

اذا لم أنافس فى هواك ولم أغر * عليك ففيمن ليت شعرى أنافس

وقال المكروب بالبعد المغصص بالفقد

فكيف يصنع من أقصاه مالكه * فليس ينفعه طب الاطباء

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء

وشتان بين عبد منقطع الى ربه يخدمه وآخر منقطع لخدمة الخلق يعبدهم وكم بين عبد منقطع عن الناس و بين عبد موصول به الوسواس وشتان بين عبد منقطع بالشوق الى المولى و بين عبد منقطع بالهوى معانق للدنيا فهذه مقامات المقربين بالحسنى واضدادها مقامات المبعدين بالسوء فاذا كان العبد على وصف من الحقيقة وفى مقام من التقوى استحق الثناء من مولاه لتحققه بالوصف ونال القرب من القريب لتبعده عن حظوظ النفس وفى حسن الثناء من العظيم الاعظم غاية الطالبين ونهاية رغبة الراغبين ولا يكون ذلك الا لاوليائه المتقين وحزبه المفلحين وعباده الصالحين وهم أهل القلوب السليمة الطاهرة وذووالجوارح الخاشعة الذاكرة وأولو الالباب الراجحة الفاخرة وهم ثلاث طبقات من مقربى أصحاب اليمين أهل العلم بالله تعالى وأهل الحب لله تعالى وأهل الخوف من الله تعالى فهؤلاء خصوص أوليائه المقربين استحضرهم لحضره واستحفظهم العلم فحفظوا واستشهدهم عليه فشهدوا فهم الادلة منه عليه وهو دليلهم اليه وهم جامعوا العباد به وهو جامعهم عنده لديه ابدال الانبياء والربانيون من العلماء أئمة المتقين وأركان الدين أولو القوة والتمكين الذين كشف لهم الكتاب المستبين وهداهم اليه الطريق المستقيم عليه وهم المنظور الى قلوبهم كفاحا والمقصودون بالمزيد والتحف مساء وصباحا ومن سواهم من عموم المؤمنين من القراء والعباد وأهل المجاهدة والزهد والاوراد قد أعطاهم الولايات وفرقهم فى الاعمال والسياحات وأظهر لهم الآيات تسكينا لقلوبهم بها وطمأنينة منهم اليها لئلا تدخل عليهم الشبهات فيهلكوا ولا تجذبهم الشهوات فيرجعوا فاشتغلوا بالاظهار عن الظاهر وحجبوا بالظواهر عن الباطن واغتبطوا بالحجاب وسكنوا الى الاسباب وعكفوا على المقامات واستتروا بالملكوت والآيات فهم مغبوطو الاموات من أهل الدنيا وهم مرحومو الاحياء من أهل العلى الاعلى لان قربهم بعد عند المقربين وكشفهم حجب عند المشاهدين وعطاءهم رد عند المواجهين الا ان الله تعالى نظر اليهم لما نظروا لنفوسهم حكمة ورحمة منه لهم فسكنهم فى حالهم ورضاهم بمقامهم كيلا تشتت قلوبهم ولا تحير عقولهم والسابقون الاولون هم الوجهة العليا والمتمسكون بالعروة الوثقى نظروا اليه سبحانه وتعالى به فنظر اليهم منه فهم كما وصفهم ومن الناس من يشترى نفسه ابتغاء مرضاة الله لا يرجعون الى مال ولا ينظرون الى حال يحبهم ويحبونه رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه فهم كما وصفوا فى الكتب السالفة قال الحواريون يا روح الله صف لنا أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقال هم الذين نطق بهم الكتاب وبه نطقوا وبهم علم الكتاب وبه علموا وبهم قام الكتاب وبه قاموا انظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها وعاينوا آجل الدنيا حين عاين الناس عاجلها فاماتوا منها ما خشوا أن يميتهم وتركوا منها ما علموا ان سيتركهم فصار دركهم منها فواتا وفرحهم بها حزنا ما عارضهم منها رفضوه وما أشرف لهم بغير الحق وضعوه خلقت الدنيا عندهم فلم يجددوها وخربت فيما بينهم فلم يعمروها وماتت فى صدورهم فلم يحيوها هدموها فبنوا بها آخرتهم أحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة يحبون الله ويحبون ذكره ويستضيئون بنوره ويضيئون به لهم خبر عجيب وعندهم أعجب الخبر العجيب وقال عز وجل فى وصفهم ومن أحسن من الله حديثا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وفيها مقرأ غريب بمعنى الجمع للشهداء وكأنه جعل وصفا لما تقدم من ذكرهم فى قوله تعالى الصابرين والصادقين الى قوله والمستغفرين بالاسحار شهد الله انه لا اله الا هو وقال كفى

وأنتم لا تنزجرون بالوعظ عن المعاصى والاباطل ولا تقتدون بالسادة الافاضل يا غافلا والموت يقفو اثره كيف بك اذا شاهدت السماء منفطرة وحافظك قد أحصى ما عملت من خير وشر وأحضره وقد تركبت عليك الحجة وتعذرت المعذرة فهنالك يجد الانسان من الاحسان والعصيان ما أحضره فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وينشد شعر

ولو انا اذا متنا تركنا
لكان الموت راحة كل حى
ولكنا اذا متنا بعثنا
ونسئل بعده عن كل شى
وفوقا حائرين بعشر خمس
من الف العام تدنو شمس كى
ونصلى حرنارات عصينا
والانحط بالعيش الرخى

اللهم اصلحنا وأصلح فساد قلوبنا وأصلح فساد أعمالنا وأصلح فساد أقوالنا وأصلح فساد ولاة أمورنا وأصلحنا بما أصلحت به عبادك الصالحين

(فصل) فى الظلم قال الله سبحانه وتعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع م عن أبى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله النار وحرم عليه الجنة قال رجل وان كان شيأ يسيرا يارسول الله قال وان كان قضيبا من أراك (١) عن النبى صلى الله

بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب فهذا وصف يزيد على كل وصف و يستغرق نعت الواصفين و يجمع هذه المقامات السبعة من المراقبة والمشاهدة حالان عن مقامين مدار المقامات كلها عليهما ومستخرج المزيد من الكرامات منهما فاحدهما الخوف عن مقام العلم والحال الثاني الرجاء عن مقام العمل فمن كان مقامه العلم بالله كان حاله الخوف منه ومن كان مقامه الرجاء لله تعالى كانت حاله المعاملة له ألم تسمع الى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا

(الفصل الثلاثون) فيه كتاب ذكر تفصيل الخواطر لاهل القلوب وصفة القلب وتمثيله بالانوار والجواهر قال الله سبحانه وتعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها اى ألقى فيها وقذف فيها وقال عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه وقال فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله وقال تعالى من شر الوسواس الخناس الآية وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه وقال تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء وقال سبحانه مخبرا عن العدو لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم الى آخر الآية وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم وتذر دينك ودين آبائك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال أتهاجر فتذر أرضك وسماءك فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال أتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك و يقسم مالك فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك فمات كان حقا على الله تعالى ان يدخله الجنة وقد أخبر الله تعالى عنه انه قال ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم الى آخر الآية وروينا ان عثمان بن أبي العاص قال يا رسول الله حال الشيطان بيني و بين صلاتي وقراءتي فقال ذلك الشيطان يقال له خنزب اذا أحسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عني وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه وقد روينا ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم والحديث المشهور ما منكم من أحد الا وله شيطان قالوا وأنت يا رسول الله قال وأنا الا ان الله تعالى أعانني عليه فاسلم وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد روينا من طريق مسند في القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير وروينا عن الحسن رحمه الله انه قال انما هما همان يجولان في القلب هم من الله تعالى وهم من عدوه فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده وقال مجاهد في قوله تعالى من شر الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل انبسط على قلبه وقال عكرمة الوسواس محله في الرجل في فؤاده وعينيه ومحله في المرأة في عينيها اذا أقبلت وفي عجيزتها اذا أدبرت وقال جرير بن عبدة العدوي شكوت الى العلاء بن زياد ما أجد في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل النقب الذي تمر به اللصوص فان كان فيه شئ عالجوه والا مضوا وتركوه وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة فان هو نزع واستغفر وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذي ذكره الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وروينا عن جعفر بن برقان قال سمعت ميمون بن مهران يقول ان العبد اذا أذنب ذنبا نكت في قلبه بذلك نكتة سوداء فان تاب محيت من قلبه فترى قلب المؤمن مجلوا مثل المرآة ما يأتيه الشيطان من ناحية الا أبصره وأما الذي يتتابع في الذنوب كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء فلا يزال ينكت في قلبه حتى يسود قلبه فلا يبصر الشيطان من حيث يأتيه وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر في تقسيمه القلوب و روينا عن أبي سعيد

عليه وسلم انه قال ايما رجل ظلم شبرا من الارض كلفه الله عز وجل ان يحفره حتى يبلغ آخر سبع أرضين ثم يطوقه الى يوم القيامة حتى يقضى بين الناس م عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون من المفلس قال المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة و يأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار م قال صلى الله عليه وسلم من استعملناه منكم على عمل فكتمنا مخيطا فما فوقه كان غلولا يأتي به يوم القيامة م عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا اني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة وفي مسند أحمد والحاكم عن عبد الله ابن جعفر ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل حائطا لبعض الانصار فاذا فيه جمل فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه

الخدرى وأبى كبشة الانمارى و بعضه أيضا عن حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القلوب أربعة قلب فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه مثل البقلة عدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة عدها القيح والصديد فاى المدتين غلبت عليه حكم له بها وفى لفظ بعضهم غلبت عليه ذهبت به وقال الله تعالى ومن أحسن من الله قيلا ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فاخبر ان جلاء القلوب الذكر به يبصر القلب وان باب الذكر التقوى به يذكر العبد فالتقوى باب الآخرة كما ان الهوى باب الدنيا وأمر الله تعالى بالذكر وأخبر انه مفتاح التقوى لانه سبب الاتقاء وهو الاجتناب والورع فقال تعالى واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وأخبر انه أظهر البيان للتقوى فى قوله كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون وقال تعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك وقال تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فمن التسوية والتعديل والازدواج والتقويم أدوات الظاهر واعراض الباطن وهى حواس الجسم والقلب فادوات الجسم هى الصفات الظاهرة واعراض القلب هى المعانى الباطنة قد عدلها الله تعالى بحكمته وسواها على مشيئته وقومها اتقانا بصنعته واحكاما بصنعه أولها النفس والروح وهما مكانان للقاء العدو والملك وهما شخصان ملقيان للفجور والتقوى ومنها غرضان متمكنان فى مكانين وهما العقل والهوى عن حكمين فى مشيئتها كم وهما التوفيق والاغواء ومنها نوران ساطعان فى القلب عن تخصيص من رحمة راحم وهما العلم والايمان فهذه أدوات القلب وحواسه ومعانيه الغائبة وآلاته والقلب فى وسط هذه الادوات كالملك وهذه جنوده تؤدى اليه أو كالمرآة المجلوة وهذه الآلة حوله تظاهر فيراها او يقدح فيه فيجدها فتفصيل ذلك على الايجاز ان جل الخواطر ستة هى حدود القلب وقوادحه من ورائها خزائن الغيب وملكوت القدرة وهى جنود الله تعالى عتيدة وسلطان منه مبين والقلب خزانة من خزائن الملكوت قد اودعه مقلبه من لطائف الرغبوت والرهبوت وشعشع فيه من أنوار العظمة والجبروت ما شاء لاهل الرفيق الاعلى وذوى الملكوت الادنى فاول التفصيل خاطر النفس وخاطر العدو وهذان لا يعدمهما عموم المؤمنين وهما مذمومان محكوم لهما بالسوء لا يردان الا بالهوى وضد العلم وخاطر الروح وخاطر الملك وهذان لا يعدمهما خصوص المؤمنين وهما محمودان لا يردان الا بالحق وبما دل عليه العلم وخاطر العقل وهو متوسط بين هذه الاربعة يصلح للمذمومين فيكون حجة على العبد لمكان تمييز العقل وتقسيم المعقول لان العبد يدخل فى هواه بشهوة جعلت له واختيار لا يعسر عليه من حيث لا يعقل ولا اجبار ويصلح أيضا للمحمودين فيكون شاهد الملك ومؤيدا لخاطر الروح ويثاب العبد فى حسن النية وصدق المقصد وانما كان خاطر العقل تارة مع النفس والعدو وتارة مع الروح والملك حكمة من الله تعالى لصنعته واتقانا لصنعه ليدخل العبد فى الخير والشر بوجود معقول وصحة شهود وتمييز فيكون عاقبة ذلك من الجزاء والعقاب عائدا له وعليه اذ قد جعل سبحانه هذا الجسم مكانا لجريان أحكامه ومحلا لنفاذ مشيئته فى مبانى حكمته كذلك جعل العقل مطية للخير والشر يجرى معهما فى خزانة الجسم اذ كان مكانا للتكليف وموضعا للتصريف وسببا للتعريف العائد من معانى ذلك على صورة العبد من لذة النعيم أو عذاب أليم فلم يكن العقل غائبا فيكون العبد عن العقل ذاهبا ولم تكن الشهوة عازبة فتكون النفس مفقودة اذ فى ذلك تضعيف لحجة الله تعالى عليه ووهن لبرهانه لان العقل شاهد الحجة والشهوة فى النفس مكان البلوى والنية فى القلب طريق الحجة وذلك أصل سبب عود جزاء الامر والنهى فالعقل مطبوع على التمييز مجبول على التحسين والتقبيح والنفس مجبولة على الشهوة مطبوعة على الامر بالهوى وهذا نصيبهما من عطائه وهداه لهما الى رشاده واغوائه وحظهما من الكتاب وقسمهما من ولى

فمسح النبى صلى الله عليه وسلم سنامه فسكن وفى رواية فمسح ترقوته فسكن ثم قال من رب هذا الجمل فجاء فتى من الانصار فقال هولى يارسول الله فقال ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها فانه يشكو الى انك تجيعه وتدئبه وروى البيهقى عن أبى سلمة عن أبى هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال أبو هريرة كذب والذى نفسى بيده ان الحبارى لتموت هزلا من خطايا بنى آدم يعنى اذا كثرت الخطايا منع الله تعالى القطر عن أهل الارض وانما يصيب الطير من الحب والتمر على قدر القطر

(فصل) فى الدين قال الله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ت ق عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نفس المؤمن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وروى أحمد قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد بيده لو ان رجلا قتل فى سبيل الله ثم عاش ثم قتل فى سبيل الله ثم عاش ثم قتل فى سبيل الله ثم عاش وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى دينه اد عن أبى موسى عن النبى صلى

الاسباب كما قال تعالى فى احكام ماذكرناه تكملة لما اخبرنا عما سبق فى علمه أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير والخاطر السادس هو خاطر اليقين وهو روح الايمان ومزيد العلم يردان اليه ويصدران عنه وهذا الخاطر مخصوص بخصوص لا يجده الا الموقنون وهم الشهداء والصديقون لا يرد الا بحق وان خفى وروده ودق ولا يقدح الا بعلم اختيار اراد مختار وان اطفت أدلته وبطن وجه الاستدلال به ولكن ليس يخفى هذا الخاطر على مقصود به ومراد له وهم الذين وصفهم الله تعالى بالذكرى ورد الرسول صلى الله عليه وسلم اليهم الفتيا فقال سبحانه ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أى من تولى الله حفظ قلبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاك فى صدرك فدعه والاثم حواز القلوب يعنى ما يؤثر فيها فيحزها لرقتها وصفائها ولينها ولطفها وقال للرجل الذى سأله عن البر والاثم وهما أصلا اعمال الخير والشر استفت قلبك وان أفتاك المفتون أى ان المتقين يعلمون معانى التأويل والرخصة عن علمهم العلانية وأنت على علم فوقهم مطالب بالتحقيق والعزيمة عن علمك السر وأهل الظاهر أيضا يعلمون حكم الله تعالى الظاهر عن علم اللسان الظاهر الذى هو حجة على أهل العلم الظاهر وقلبك فقيه منور بالايمان تنظر به أو ينطق به حكم الله تعالى الباطن عن علم القلب الباطن الذى هو حقيقة الايمان ومنفعته لاهل العلم الباطن ولا يصلح ان يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم سائلا الا الى فقيه فلولا ان علم القلب هو حقيقة الفقه ما رد صاحبه من فتيا أهل الظاهر اليه ولا حكم على المفتين به فقد صار علم القلب هو علم العلم اذ جعله الرسول صلى الله عليه وسلم قاضيا على المفتين بالحكم وصار عالم الباطن هو عالم العلماء اذ لم يسعه تقليد العلماء وفى الحديث الآخر البر ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس وان أفتوك وأفتوك فهذا وصف قلب مكاشف بالذكر ونعت نفس ساكنة بمزيد السكينة والبركما وصف من قلوب المؤمنين فى صريح الكلام وفى دليل الخطاب فاما صريحه فقوله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقوله تعالى هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم وأما دليل الكلام الذى يشهد بالتدبر فقوله تعالى فى وصف قلوب أعدائه المحجوبين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا ومثله أعنده علم الغيب فهو يرى ففى تدبر معناه ان أولياءه المستجيبين له سامعون منه مكاشفون بذكره ناظرون الى غيبه وقال تعالى فى مثله مثل الفريقين كالاعمى والاصم هذا فريق المتبعين للسبل المتفرقة عن سواء السبيل بهم الضالين عن سواء الصراط والبصير والسميع هو فريق المهتدين المتبعين للصراط المستقيم وقال تعالى ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون أو ألقى السمع وهو شهيد ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم وقال صلى الله عليه وسلم فى مجمل صفة القلب التقوى ههنا وأشار الى القلب وقال الله سبحانه وتعالى فى ذكر القلوب المقفلة بالذنوب لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال تعالى فى فض طابعها بالتقوى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله وفى الخبر اذا أراد الله بعبد خيرا جعل الله له زاجرا من نفسه وواعظا من قلبه وفى الخبر الآخر من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ ورو ينافى تفسير قوله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان قال سمعناه من قلوبنا وقال فى ضده لاعدائه أولئك ينادون من مكان بعيد أى بعيد عن قلوبهم وقال الله تعالى فى التوبة من ميل القلوب وهمها ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وبمعناه وهموا بما لم ينالوا فان يتوبوا يك خيرا لهم وقال فى تحقيق العمى للقلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فأهل القلوب يتعظون بلا واعظ من خلق ويزدجرون بلا زاجر فى ظاهر وسائر ماذكرناه من الخواطر لا تعدمه المؤمنون والقلب خزانة الله تعالى من خزائن الغيب وهذه المعانى جنود الله تعالى مقيمة حول القلب يخفى منها ما يشاء ويظهر ويبدئ منها ما يريد ويعيد ويبسط القلب بما يشاء منها ويقبضه فيما شاء عنها وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم تفارقه خواطر

الله عليه وسلم قال ان أعظم الذنوب عند الله ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر التى نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء وفى شعب الايمان للبيهقى والترغيب والترهيب للاصبهانى عن خولة بنت قيس امرأة حمزة عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من مشى الى غريمه بحقه صلت عليه دواب الارض ونون الماء وغرس الله له بكل خطوة شجرة فى الجنة ولا غريم يلوى غريمه وهو قادر الا كتب الله عليه فى كل يوم اثما خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة انا أخاصمهم يوم القيامة رجل أعطى بى ثم غدر ورجل باع حرا فاكل ثمنه ورجل يستأجر أجيرا فاستوفى منه ولم يعط أجره خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر رجلا من بنى اسرائيل سأل بعض بنى اسرائيل ان يسلفه ألف دينار فقال ائتنى بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فائتنى بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها اليه الى أجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبها يقدم عليه للاجل الذى أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فادخل فيها ألف دينار وصحيفة منه الى صاحبه ثم

اليقين ولكن يضعف الخاطر ويخفى اضعف المعانى ودقتها و يقوى اليقين و يظهر بقوتها لان هذه الثلاثة مكان اليقين أحدها الايمان وموضعه من اليقين مكان حجر النار والثانى العلم ومكانه موضع الزناد والثالث العقل وهو مكان الحراق فاذا اجتمعت هذه الاسباب قدح خاطر اليقين فى القلب ومثل القلب فى قوته بقوة مدده وفى صفائه بجودة عدده مثل المصباح فى القنديل الى مكان العقل منه والزيت موضع العلم به وهو روح المصباح و بمدده يكون ظهور اليقين والفتيلة مكان الايمان منه وهى أصله وقوامه الذى يظهر بها فعلى قدر قوة الفتيلة وجودة جوهرها يقوى اليقين وهو مثل الايمان فى قوته بالورع وكماله بالخوف وعلى مقدار صفاء الزيت ورقته واتساعه تضىء النار التى هو اليقين وهو مثل العلم فى مدد الزهد وفقد الهوى فصار العلم مكانا للتوحيد فتمكن الموحد فى التوحيد على قدر المكان وقد قال الله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وقال تعالى فاعلموا أن ما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فقدم العلم على التوحيد فصار أوّله فكلما اتسع القلب بالعلم بالله وزهد فى الدنيا ازداد ايمانا وعلا لانه يرى فى علوه مالا يراه غيره و يعلم فى اتساعه مالا يعلمه سواه فيكبر المؤمن به فيكون ذلك مزيد ايمانه وقوته ثم يشهد كل ما آمن به فيكون بذلك قوة نفسه وسعة مشاهدته وكلما قصر علم القلب بالله تعالى وبمعانى صفاته وأحكام ملكوته قل ايمان هذا العبد ثم أشهد ما آمن به من وراء حجاب لما غلب عليه من حب الاسباب وسمع الكلام من خلف ستر لعجزه عن المسارعة الى البر فيضعف بذلك ايمانه و يتخيل مشاهدته ولا يتحقق فليس من علم من صفات الله سبحانه وتعالى وقدرة آياته مائة ألف معنى ثم شهدها كلها من قرب عن كشف مثل من علم منها عشرة معان ثم شهدها من بعد عن حجاب وهما مؤمنان معا لكن بين ايمانهما فى القرب والعلو والزيادة والنقصان كما بين العشرة الى مائة ألف فيكون ايمان قلب المسلم معشار معشار عشر ايمان قلب الموقن والمعشار هو عشر العشر جزء من مائة جزء و يكون ايمان قلب المؤمن فيما بين ذلك من الزيادة على العشر والنقصان من مائة ألف على قدر قسمه ومثل ذلك فيما نعقله مثل رجل قال لك ان عندى فلانا فقد حصل لك علم انه عنده غير ان هذا العلم غير يقين لانه يجوز أن يكون قد اشتبه عليه أو يكون قد كان عنده ثم خرج وليس هو الآن عنده وهذا مثل ايمان المسلم هو على علم خبر لا خبر ثم انك تأتى الى فتسمع كلامه من وراء حجاب فقد علمت الآن انه عندى لانك سمعت كلامه واستدللت به على كونه الان هذا العلم أيضا غير تحقيق لان الاصوات تشتبه والاجرام تتقارب ولو قلت لك بعد ذلك لم يكن عندى وانما كان ذلك غيره أشبه صوته تشككت فيه لاحتمال ذلك ولم يكن عندك يقين عين تدفع به قولى ولا شهادة نظر تنكر بها على وهذا مثل لايمان عموم المؤمنين فهو ايمان خبر لعمرى وفيه يقين استدلال ممتزج بظن الا انه غير مشاهدة العارفين لانه قد يدخل عليهم التخييل والتشبيه فلا يدفعونه بشهادة يقين ثم انك تدخل الى الآن بعد ان قيل لك هو عندى أو بعد ان سمعت كلامه فتشهده جالسا لا حجاب بينك وبينه فهذا هو يقين المعرفة وهذه شهادة الموقن وعندها انتفى كل شك وتحقق خبر العلم وهذا مثل لعلم ايمان الموقنين الذى قد اندرج فيه ايمان عموم المؤمنين من علم الخبر المحتمل ومن سماع الكلام المشتبه من وراء حجاب واسم الايمان واقع على جميعهم ولكن الاوّل علم انه عندى بما قيل له فصدق والثانى علم بما سمع فاستدل ولم يشهد فيقطع والثالث هو الذى عاين فقطع وقد شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالمزيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وقال وليس المخبر كالمعاين ومثل هذا أيضا ان ترى الشىء بالنهار فتعرفه معرفة عين وتعرف مكانه بنظر لا تخطئه ثم انك تحتاج اليه ليلا فلست تعرف مكانه رأى عين وانما تقصده بمعرفة استدلال عليه و بحسن ظن انه موجود على حاله أو يعرف بشىء معهود انه لا يتحول وكذلك الادلة هى الغائبات وسقوطها مع المشاهدات ومعناها رؤية الشىء بنور القمر فانه يشبح و يلوح المشكلات ورؤيته فى ضياء الشمس فانها تكشف الامر على ما هو به فهذا مثل نور اليقين الى نور الايمان ومثل رابع فى تفاوت المؤمنين فى حقيقة الكمال ودخولهم فى الاسم والمعنى مثل صلاة رباعية أقيمت لجماعة

زجج موضعها ثم أتى بها الى البحر فقال اللهم انك تعلم انى كنت تسلفت فلانا ألف دينار فسألنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بك وسألنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بك وانى جهدت ان أجد مركبا أبعث اليه الذى له فلم أقدر وانى استودعكها فرمى فى البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يلتمس مركبا يخرج الى بلده فخرج الرجل الذى كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فاذا بالخشبة التى فيها المال فاخذها لاهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذى كان أسلفه فاتى بالف دينار فقال والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذى أتيت فيه قال هل كنت بعثت الى بشىء قال أخبرتك انى لم أجد مركبا قبل الذى جئت فيه قال فان الله قد أدى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالالف الدينار راشدا خم عن أبى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كان رجل يداين الناس فكان يقول لفتاه اذا أتيت معسرا تجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا قال فلقى الله فتجاوز عنه وفى الزهر الفائح وغيره قيل مر عيسى صلوات الله عليه بمقبرة فنادى رجلا فاحياه

رجل فادرك تكبيرة الاحرام ثم جاء آخر فادرك الركوع ثم جاء آخر فادرك الركعة الثانية ثم جاء ثالث فادرك الركعة الثالثة ثم جاء رجل رابع فادرك الركعة الآخرة فكلهم قد صلوا وأدركوا الصلاة فى جماعة ونال فضلها لقوله صلى الله عليه وسلم من أدرك من الصلاة ركعة فقد أدرك الصلاة ولكن ليس من أدرك الركعة الاولى فى كمال الصلاة وادراك حقيقتها كمن أدرك الثالثة والرابعة ولا يكون أيضا من أدرك التكبيرة للاحرام فى الفضل كمن لم يدرك شيأ من القيام وهما مدركان معا فكذلك المؤمنون فى كمال الايمان وحقائقه لا يستوون وان استووا فى الاسم والمعنى وكذلك فى تفاوتهم فى الآخرة فقد جاء فى الخبر انه يقال أخرجوا من فى قلبه مثقال ذرة من ايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة من ايمان فقد حصلوا متفاوتين فى الايمان ما بين الذرة الى المثقال وكلهم قد دخل النار الا انهم على مقامات فيها وفيه دليل ان من كان فى قلبه وزن دينار من ايمان لم يمنعه ذلك من دخول النار لعظم ما اقترف من الاوزار وان من كان فى قلبه وزن ذرة من ايمان لم يحق عليه الخلود فى دار الهوان لتعلقه بيسير الايقان وان من زاد ايمانه على وزن دينار لم يكن للنار عليه سلطان فكان من الابرار وان من نقص ايمانه عن ذرة لم يخرج من النار وان كانت سيماه واسمه فى الظاهر فى المؤمنين لانه فى علم الله من المنافقين الفجار وقد قال الله تعالى فى وصفهم وان الفجار لفى جحيم ثم قال وما هم عنها بغائبين ثم صار صاحب المثقال والذرة فى الجنة على تفاوت درجات وكان الزائد ايمانه على مثقال فى أعلى عليين على هؤلاء وترفع أهل الدرجات العلى على أهل عليين ارتفاع الكوكب الذى فى أفق السماء وكلهم قد اجتمع فى الجنة على تفاوت مقامات وتعالى درجات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس شئ خيرا من ألف مثله الا الانسان فلعمرى ان قلب المؤمن خير من ألف قلب مسلم لان ايمانه فوق مائة ايمان مؤمن وعلمه بالله تعالى أضعاف علم مائة مسلم ويقال ان واحدا من الابدال الثلاثمائة قيمته قيمة ثلاثمائة مؤمن وكان أبو محمد يقول يعطى الله تعالى بعض المؤمنين من الايمان وزن جبل أحد ويعطى بعضهم مثل ذرة وقد قال الله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين بالعلو ولا نهاية لعلو الايمان فصار علو كل قلب على قدر ايمانه ولذلك رفع العلماء على المؤمنين درجات فى قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ففسرها ابن عباس رضى الله عنه فقال الذين أوتوا العلم فوق المؤمنين بسبعمائة درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وفى الخبر أكثر أهل الجنة البله وعليون لاولى الالباب وعن النبى صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ورويناه بلفظ أبلغ من هذا كفضلى على أمتى فالموقنون من المؤمنين أعلى ايمانا والعاملون من الموقنين أرفع مقاما ثم على قدر بياض الماء يستبين من القنديل حسنه وصفاؤه ومثل هذا العقل فى صحته من الاعتلال وصفائه من كدر الاحوال والاموال ويجمع ذلك كله القنديل وهو القلب فعلى قدر رقة القلب ولطف جوهره وصفائه من كدره وحسن طهارته عن الآثار تكون هذه العلوم فيه والانوار وجوهر الزجاجة فى الصفاء محتاج الى صفاء الماء كما ان صفاء الماء محتاج الى صفاء الجوهر وبمعيارهما يكون القلب والعقل ووقود النور محتاج الى قوة الفتيلة ومدد الزيت فبموضعها فى القوة والمدد يكون العلم بالله تعالى واليقين ذلك تقدير العزيز العليم وكل قلب اجتمع فيه ثلاثة معان لم يفارقه خواطر الهوى الجهل والطمع وحب الدنيا ثم يضعف خاطر الهوى ويقوى على قدر تمكن هذه الثلاثة من النفس وحقائقها على مثل ما ذكرناه من تمكن خواطر اليقين وضعفها والوجود مكانها وهو العلم والايمان والعقل وفى القلب يظهر سلطان ذلك أجمع فأى جند كانت المشيئة معه غلب وروينا عن عيسى عليه السلام ان لله فى أرضه آنية وهى القلوب فاحبها اليه أرقها وأصفاها وأصلبها ثم فسره فقال أصلبها فى الدين وأصفاها فى اليقين وأرقها على الاخوان فمثل القلوب مثل الاوانى فى تقارب جوهرها فأرقها وأصفاها وأعلاها يصلح للملك والوجوه الطيب وأكثفها وأرداها يصلح للادناس وما بين ذلك يصلح لما بينهما ومثلهما أيضا مثل الموازين الطيار اللطيف والمعيار

الله فقال له عيسى ما كنت تعمل فى دار الدنيا فقال كنت حمالا أحمل على رأسى واتقوت فحملت ذات يوم لانسان حطبا فكسرت منه خلالا فتخللت به فلما مت أوقفنى بين يديه وقال يا عبدى أما علمت ان موقفك بين يدى فلان اشترى الحطب بماله وأعطاك الكراء لتؤديه الى منزله فاخذت منه شظية لا تملكها استهونت بأمرى فسألتك بالله يا روح الله الا ما شفعت لى عند الله فانى فى الحساب منذ أربعين سنة اخوانى تفكروا فى عواقب الذنوب كيف يفنى اللذات ويبقى العيوب بالله عليكم احذروا طلب المعاصى فبئس المطلوب يا ابن آدم أخرج أبوك من الجنة بلقمة وانت تطمع فى دخولها بذنوب جمة أتظن ان الامر يسير أم تحسب ان الناقد غير بصير وكانى بك وقد نقلت من القصور الى القبور ومن الحبور الى الثبور

شعر

مثل وقوفك يوم الحشر عريانا
مستعطفا قلق الاحشاء حيرانا
النار تزفر من غيظ ومن حنق
على العصاة وتلقى الرب غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدى على مهل
فانظر اليه ترى هل كان ما كانا
لما قرأت كتابا لا يغادرنى
حرفا وما كان فى سر واعلانا
قال الجليل خذوه يا ملائكتى

يصلح لوزن الذهب بالتحرر والمعيار والكثيف الجافي يصلح للقت والانعام ومابينهما يصلح لمابين ذلك فيوزن بكل ميزان مايصلح له من كل شئ موزون كما يجعل في كل اناء مايليق به من كل شئ مرذول أو مصون كذلك الحكم والحكمة في الملكوت الباطن كالحكمة والحكم في الملكوت الظاهر بتعديل الظاهر الباطن وفي تفسير قوله عز وجل مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة فسره أبي بن كعب قال مثل نور المؤمن وكذلك كان يقرأه قال فقلب المؤمن هو المشكاة فيها مصباح فكلامه نور وعمله نور ويتقلب في نور ثم قال في قوله تعالى أو كظلمات في بحر لجي قال قلب المنافق فكلامه ظلمة وعمله ظلمة ويتقلب في ظلمة وكان زيد بن أسلم يقول في قوله تعالى في لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقال أبو محمد سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي وروينا في حديث ابن عمر قال قيل يارسول الله أين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر المأثور عن الله تعالى لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبدي المؤمن وفي بعضها اللين الوادع فاللين يعني السهل الرقيق القريب والوادع يعني الساكن المطمئن وفي الخبر ما ألبس العبد لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهذه لبسة المتقين وصبغة الله تعالى للعارفين وفي الحديث قيل يارسول الله من خير الناس قال كل مؤمن مخموم القلب ثم فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هو التقي النقي الذي لاغش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد وقال بعض العارفين في معنى قوله تعالى الامن أتى الله بقلب سليم أي عما سوى الله ليس فيه غير الله وفي قول أهل التفسير سليم من الشرك والنفاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل وهذا لايعدمه المؤمنون الا الصديقين وقال أكثر منافقي أمتي قراؤها وهذا لايعدمه العابدون الا العارفين ومن خواطر اليقين مايرد بشئ لاتظهر دلالته في الظاهر لخفائه وغموض شواهده فليس يعلم الا بباطن العلم وغامض الفهم والغوص على لطائف معاني التبيين وباطن الاستنباط من فهم التنزيل وتعليم التأويل كما قال الحبيب الخليل رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل وكما قال علي بن أبي طالب ماعندنا شئ أسره الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى كتاب الله تعالى الا ان يؤتي الله تعالى عبدا فهما في كتابه وكما جاء في تفسير قوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال الفهم في كتاب الله وقال أصدق القائلين ففهمناها سليمان نخصه بفهم منه زاده به فوق الحكم والعلم الذي شرك فيه أباه فزاده على فتيا أبيه وروينا عن علي عليه السلام في الحديث الطويل الذي يقول فيه واليقين على أربع شعب على تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة وسنة الاولين فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة كان في الاولين الا ان أهل اليقين المراد به العارفين باحكام الله تعالى الباطنة يعلمون تفصيل خواطر اليقين ومقتضاها من حيث أشهدوا ومطلعها من الغيب وبحيث عرفوا موجبها من الوصف بنور الله الثاقب وقربه الحاضر وسلطانه النافذ كما جاء في الخبر اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى أي باليقين وفي لفظ آخر اتقوا فراسة العالم فكانه مفسر له ومنه قوله تعالى وان في ذلك لآيات للمتوسمين وقوله قد بينا الآيات لقوم يوقنون أي بنور اليقين وكان أبو الدرداء يقول المؤمن ينظر الى الغيب من وراء ستر رقيق والله انه للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على ألسنتهم وقال بعض العلماء ظن المؤمن كهانة أي كانه سحر من نفاذه وصحة وقوعه وقال بعض العلماء يد الله تعالى على أفواه الحكماء لاينطقون الابما هيأ الله عز وجل لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أمراء الاجناد احفظوا ماتسمعون من المتعظين فانهم ينجلي لهم أمور صادقة وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نور تفرقون به بين الشبهات ويقين تفرقون به المشكلات ومن هذا قوله سبحانه وتعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل مخرجا من كل أمر ضاق على الناس ويرزقه من حيث لايحتسب يعلمه علما بغير تعليم ويفطنه بغير تجربة أي

بالشاهد

مروا بعبدي الى النيران
عطشانا
يارب لاتخزنا يوم الحساب ولا
تجعل لنارك فينا اليوم سلطانا

(فصل في النشوز والعشرة) قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله ت عن عمرو بن الاحوص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ان حمد الله تعالى وأثنى عليه وذكر ووعظ ثم قال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانماهن عوان عندكم ليس تملكون منهن شيأ غير ذلك الا ان يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا فحقكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم من تكرهون ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون الا وحقهن عليكم ان تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن خم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها خم عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه

بالشاهد الصحيح والحق الصريح ومثله قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا قيل الذين يعملون بما يعلمون قال يوفقهم ويهديهم الى ما لا يعلمون حتى يكونوا علماء حكماء وقال بعض السلف نزلت هذه الآية فى المتعبدين المنقطعين الى الله سبحانه وتعالى المستوحشين من الناس فيسوق الله تعالى اليهم من يعلمهم أو يلهمهم التوفيق والعصمة وفى الخبر من علم بما يعلم أورثه الله تعالى علم ما لم يعلم ووفقه فيما يعمل حتى يستوجب الجنة ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل حتى يستوجب النار فعنى أورثه علم ما لم يعلم أى من علوم المعارف التى هى مواريث أعمال القلوب مثل الفرق بين الاختبار والاختيار والابتلاء والاجتباء والمثوبة والعقوبة ومعرفة النقص من المزيد والقبض والبسط والحل والعقد والجمع والتفرقة الى غير ذلك من علوم العارفين بعد حسن التفقه والادب عن مشاهدة الرقيب والقرب لصحة المواجيد والقلوب وقال بعض التابعين من عمل بعشر ما يعلم علمه الله تعالى ما جهل وقد قال حذيفة أنتم اليوم فى زمان من ترك عشر ما يعلم هلك وسيأتى بعدكم زمان من عمل بعشر ما يعلم نجا وقال بعضهم كلما ازداد العبد عبادة واجتهادا ازداد القلب قوة ونشاطا وكلما مل العبد وفتر ازداد القلب ضعفا ووهنا وليس يكاد علم اليقين يقدح فى معدن العقل لان علوم العقل مخلوقات ولا يكاد ينتجه الفكر ولا يخرجه التدبر فما أنتجته الافكار واستخرجته الفطرة من الخواطر والعلوم فتلك علوم العقل وهى كشوف المؤمنين ومحمودات لاهل الدين فاما خاطر اليقين فانه يظهر من عين اليقين ينادى به العبد منادا ويبغته مفاجأة لانه مخصوص به مراد مقصود به محبوب متولى به مطلوب لا يجده الا عارف أو خائف أو محب ومن سوى هؤلاء فبحاله محجوب بعاداته مطلوب والى مقامه ناظر وفى طريقه بعقوله سائر فاما العارفون المواجهون بعين اليقين المكاشفون بعلم الصديقين فانهم مسيرون محمولون سابقون مستهترون قد وضعت الاذكار عنهم الاوزار كما جاء فى الخبر سيروا سبق المفردون بالفتح والمفردون أيضا بالكسر فهم مفردون لله تعالى بما أفردهم الله تعالى كما قال جل ذكره حافظات للغيب بما حفظ الله قيل ومن المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فلما أفردهم الله تعالى ممن سواهم له أفردوه عما سواه به فذكرهم فاستولى عليهم ذكره فاصطلم قلوبهم نوره تعالى فاندرج ذكرهم فى ذكره فكان هو الذاكر لهم وكانوا هم المكان لجارى قدرته عز وجل فلا يوزن مقدار هذا الذكر ولا يكتب كيفية هذا البر فلو وضعت السموات والارض فى كفة لرجح ذكره تعالى لهم بهم وهم الذين قال لهم فترى من واجهته بوجهى لعلم احد أى شئ اريد أن أعطيه لو كانت السموات والارض فى موازينهم لاستقللتها لهم أول ما أعطيهم ان أقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم وهذا هو ظاهر أوصافهم وأول عطاياهم فطلب هؤلاء لا يعرف ونصيبهم لا يكيف ومطلوبهم كنه قدره لا يوصف عطاؤهم غير مخلوق ومشاهدتهم وصف التحقيق بعين اليقين الى حق اليقين فاول نصيبهم من مطلوبهم علم اليقين وهو صفاء المعرفة بالله تعالى وآخر علم الايمان أول عين اليقين وهو مشاهدة وصف معروف وهذه وجهة التوحيد ولا آخر لاول علم اليقين ولا انقطاع لآخر نصيبهم من مشاهدتهم فظاهر التوحيد توحيد الله تعالى فى كل شئ وتوحيده بكل شئ ومشاهدة ايجاده قبل كل شئ ولا نهاية لعلم التوحيد ولا غاية لمزيد عطاء الموحدين ولكن لهم نهايات يوقفون تحتها وغايات يصدرون عنها تجعل أماكن لمزيدهم ويزدادون فى وسعها ويمدون بعلوم يطلبون بها ما يكاشفون به لما وراءها أبد الابد بلا آخر ولا أمد ولا يصل العبد الى مشاهدة علم التوحيد الا بعلم المعرفة وهو نور اليقين ولا يعطى نور اليقين حتى يمحص الجوارح بالاعمال الصالحات كما يمحض الزق باللبن حتى تظهر الزبدة وهى علم اليقين وليست هذه الزبدة غاية الطالبين ولا بغية الصديقين لان وراءها صفوها وخالصها ثم تذاب هذه الزبدة حتى يخلص سمنها وهو صفوها ونهايتها وهذا مثل لعين اليقين بعد علمه وبعد مشاهدة الوجه بمرآة القرب وهى نوره فحينئذ لا يطارقه وجده وحضوره

وسلم يا معشر النساء تصدقن فانى أريتكن أكثر أهل النار فقلن بم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير عن أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يصلح لبشر ان يسجد لبشر ولو صلح لبشر ان يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها والذى نفسى بيده لو كان من قدمه الى مفرق رأسه قرحة تنجس بالقيح والصديد ثم استقبلته تلحسه ما أدت حقه وروى البيهقى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا تصعد لهم حسنة العبد الآبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده فى أيديهم والمرأة الساخط عليها زوجها والسكران حتى يصحو دت ق عن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقا فى غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة وروى أبو نعيم والطبرانى انه جاء رجل فقال يا رسول الله انه كان لى حائط فيه عيشى وعيش عيالى ولى فيه ناضحان فحلان قد منعانى انفسهما وحائطى وما فيه فلا يقدر أحد أن يدنو منهما فنهض نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الحائط فقال لصاحبه افتح فقال أمرهما

فيرفع العبد من خواطر اليقين الى مشاهدة الصفات بعد ذوب علم الخواطر يتجوهر نور شعاع وجه الذات وهذا مقام الاحسان وان الله لمع المحسنين بعد مجاهدتهم النفوس فيه وبيعهما مع الاموال منه فاحسن اليهم باشترائها منهم وكان معهم كما قال سيجزيهم وصفهم فانما كانوا محسنين لان المحسن معهم كما كانوا أعلين اذ الاعلى معهم فقد قال وأنتم الاعلون والله معكم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه و ينتقل العبد من أعمال الجوارح وهى المجاهدة التى طرح عليه ثقلها فحملها تحمل فيما حل وتحفظ له ما استحفظ الى علم اليقين وهو الروح والرضا وهذا هو هداية السبيل وأول هذا كله ان يدخل العبد بعد التوبة النصوحة فى أحوال المريدين وأعمال المجاهدين للنفس والعدو ثم ينتقل الى خواطر اليقين فهذا ميراث المجاهدين كما قال والذين جاهدوا فينا يعنى نفوسهم وأموالهم وجاهدوا عدوهم اذ يعدهم الفقر و يأمرهم بالفحشاء فصابروهم فغلبوه فباعوا النفوس والاموال فاعتقوا من رق الهوى ونجوا من أهوال الحساب لنهدينهم سبلنا أى لنطرقنهم الى مكاشفات العلوم ولنسمعنهم غرائب الفهوم ولنوصلنهم الى أقرب الطرق الينا بحسن مجاهدتهم فينا ثم ختم الامر بقوله تعالى وان الله لمع المحسنين هذا مقام مشاهدة الصفات فكان المجاهد فيه معهم أولا بالتوفيق فبه صبروا له بالتأييد وكان المحسن معهم آخر اليوم فيه أحسنوا الى نفوسهم غدا وروينا عن الحسن البصرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم علمان فعلم باطن فى القلب فذاك هو النافع وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ماهذا الشرح قال هو التوسعة يعنى ان النور اذا قذف فى القلب اتسع له الصدر وانشرح وقال بعض العارفين لى قلب اذا عصيته عصيت الله تعالى يعنى انه لا يقذف فيه الا الطاعة ولا يقر فيه الا الحق فقد صار رسوله اليه فاذا عصاه فقد عصا المرسل يعنى الخبر الايمان ماوقر فى القلب وصدقه العمل وبقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ينظر بنور الله فمن نظر بنور الله كان على بصيرة من الله تعالى وكان عمله بنوره طاعة لله تعالى وقال بعض العارفين منذ عشرين سنة ماسكن قلبى الى نفسى ساعة وماساكنته طرفة عين وسئل بعض العلماء عن علم الباطن أى شئ هو فقال سر من سر الله تعالى يقذفه فى قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد روينا فيه خبرا مسندا أحببنا أن نسنده وقد جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال علمنى من غرائب العلم فقال هل عرفت الرب فذكر خبرا ان غرائب العلوم فى المعرفة وقد أمره صلى الله عليه وسلم بأصل العلوم الذى فيه غرائب الفهوم فقال اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه يعنى تدبر معانيه واستنباط بواطنه اذ بكلامه عرفه أولياؤه وقد قيل تكلموا تعرفوا فمن عرف معانى الكلام ووجوه الخطاب عرف به معانى الصفات وغرائب علوم أسماء الذات وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض أهل المعرفة فى فهم هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان قال العدل تدبر القرآن وفهمه والاحسان مشاهدة الفهم وفى تأويل قوله عليه الصلاة والسلام فى صفة العدل شاهد لقوله هذا فى حديثه الذى وصف فيه شعب الايمان فقال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال والعدل على أربع شعب غائص الفهم وزهرة العلم وروضة الحلم وشرائع الحكم فمن فهم فسر جمل العلم ومن علم عرف شرائع الحكم ومن حلم لم يفرط فى أمره وعاش فى الناس حميدا وقال بعض المكاشفين ظهر لى الملك فسألنى أن أملى عليه شيأ من ذكرى الخفى من مشاهدتى من التوحيد وقال مانكتب لك عملا ونحن نحب أن نصعد لك بعمل نتقرب به الى الله تعالى فقلت أليس يكتبان الفرائض قال بلى قلت فيكفيهما ذلك وقال بعض العارفين قال سألت بعض الابدال عن مسئلة من مشاهدة اليقين فالتفت الى شماله وقال ماتقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ماتقول رحمك الله ثم أطرق الى صدره وقال ماتقول رحمك الله ثم أجابنى بأغرب جواب ماسمعته قط وأعلاه فقلت رأيتك التفت عن شمالك ويمينك ثم أقبلت على صدرك فماذا فقال سألتنى عن مسئلة لم يكن عندى فيها علم عتيد

عظيم فقال افتح فلما حرك الباب اقبلا لهما جلبة فلما انفرج الباب ونظرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سجدا فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم برؤسهما ثم دفعهما لصاحبهما فقال استعملهما وأحسن علفهما فقال القوم يسجد لك البهائم أفلا تأذن لنا فى السجود لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السجود ليس الا للحى الذى لا يموت ولو أمرت أحدا أن يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها وروى أبو نعيم عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المرأة اذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت وروى انه كان ببغداد رجل له ثروة فبيناهو فى حانوته اذ أقبلت صبية فطلبت منه شيأ تشتريه ثم كشفت عن وجهها فنظر اليها فتحير من حسنها ثم قالت والله مابى ريبة وانما أردت ان أتزوج بخير وقد وقعت من قلبى فهل لك فى ذلك فقال انى لى ابنة عم وهى زوجتى وقد عاهدتها ان لا أغيرها ولى منها ولد فقالت رضيت ان تجئ الى فى الاسبوع نوبتين فرضى وقام معها وعقد العقد ومضى الى منزلها فدخل بها ثم جاء الى منزله ثم قال

فالتفت الى صاحب الشمال فسألته عنها وظننت ان عنده منها علما فقال لا أدرى فسألت صاحب اليمين وهو أعلم منه فقال لا أدرى فنظرت الى قلبي فسألته فحدثني بما أجبتك واذا هو أعلم منهما وقد كان أبو يزيد وغيره يقولون ليس العالم الذى يحفظ من كتاب الله فاذا نسى ماحفظ صار جاهلا انما العالم الذى يأخذ علمه من ربه عز وجل أى وقت شاء بلا تحفظ ولا درس فهذا العمرى لا ينسى علمه وهو ذاكر أبدا لا يحتاج الى كتاب وهو العالم الربانى وهذا هو وصف قلوب الابدال من الموقنين ليسوا واقفين مع حفظ انما هم قائمون بحافظ وقد روينا فى الخبران من أمتى محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرأ ابن عباس وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ولا محدث يعنى الصديقين وهذا كان طريق السلف من الصحابة وخيار التابعين اذا سئلوا وفقوا وألهموا الصواب لقربهم من حسن التوفيق وسلوكهم حقيقة محجة الطريق فخاطر اليقين اذا ورد على قلب مؤمن اضطرته مشاهدته الى القيام به وان خفى على غيره وحكم عليه بيانه وبرهانه بصحة دليله وان التبس على من سواه وقد قال الله تعالى فى تخصيص الموقنين قد بينا الآيات لقوم يوقنون هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون وقال فى نعت المتقين وما خلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وقال فى فضل العلماء بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون فحقيقة العلم انما هو من التقوى واليقين وهذا هو علم المعرفة المخصوص به المقربون وهب لهم الآيات وخصهم بالبيان والدلالات بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فهذه الخواطر تبدو فى القلوب عن هذه الاواسط التى هى خزائن الله تعالى من خزائن الارض ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون والفقه صفة القلب لا لسان العرب تقول فقهت بمعنى فهمت وابن عباس يفسر قول الله عز وجل لهم قلوب لا يفقهون بها يقول لا يفهمون بها ويجعل الفقه الفهم فخاطر اليقين والروح والملك من خزائن الله وخاطر العقل والنفس والعدو من خزائن الارض كما قيل النفس ترابية خلقت من الارض فهى تميل الى التراب والروح روحانى خلق من الملكوت فهى ترتاح الى العلو والقلب خزانة من خزائن الملكوت مثله كالمرآة تقدح هذه الخواطر عن أوساطها من خزائن الغيب فتوقد فى القلب فيتلألأ فيه للتأثير فمنها ما يقع فى سمع القلب فيكون فهما ومنها ما يقع فى بصر القلب فيكون نظرا وهو المشاهدة ومنها ما يقع فى لسان القلب فيكون كلاما وهو الذوق ومنها ما يقع فى شم القلب فيكون علما وهو الفكر وهو العقل المكتسب بتلقيح العقل الغريزى وهذا أقلها لبثا وأيسرها عناء وما وقع فى ناظر القلب وحسه نخرق شغافه ووصل الى سويدائه وهو المباشرة كان وجدا وهذا هو الحال عن مقام مشاهدة ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم اسألك ايمانا يباشر قلبي وقال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب كان العبد محبا للآخرة وللدنيا وكان مرة مع الله تعالى ومرة مع نفسه فاذا دخل الايمان الى باطن القلب أبغض العبد الدنيا وهجر هواه وقد قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله للقلب تجويفان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وكان يسمى هذا قلب القلب والتجويف الآخر ظاهر القلب وفيه العقل ومثل العقل فى القلب مثل النظر فى العين هو صقال للموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذى فى سواد العين فاذا كانت هذه الخواطر عن أواسط الهداية وهى الملك والروح كانت تقوى وهدى ورشدا وكانت من خزائن الخير ومفاتح الرحمة قدحت فى قلب العبد نورا وطيبا أدركه الحفظة وهم املاك اليمين فاثبتوها حسنات وان كانت الخواطر عن اواسط الغواة وهم العدو والنفس كانت فجورا وضلالا وهى من خزائن الشر ومعالق الاعراض قدحت فى القلب ظلمة ونتنا أدرك ذلك الحفظة من املاك الشمال فكتبوها سيآت وكل هذا الهام والقاء من خالق النفس ومسويها وجبار القلوب ومقلبها حكمة منه وعدلا لمن شاء ومنة وفضلا لمن أحب كما قال وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا أى بالهداية صدقا لأوليائه ماوعدهم من ثوابه وبالاضلال عدلا على أعدائه ما أعد لهم من عقابه ثم قال تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فهذه جنود منقادة لامره وهو ملك جبار عزيز قهار

لابنة عمه ان بعض أصدقائى سألنى أن أكون الليلة عنده وكان يمضى كل يوم بعد الظهر اليها فبقى على هذا ثمانية أشهر فأنكرت ابنة عمه أحواله فقالت لجاريتها اذا خرج فانظرى أين يمضى فتبعته الجارية فجاء الى الدكان فلما جاءت الظهر قام فتبعته الجارية وهو لا يدرى الى ان دخل بيت تلك المرأة فجاءت الى الجيران فسألتهم لمن هذه فقالوا قد تزوجت برجل بزاز فعادت الى سيدتها فاخبرتها الخبر ثم قالت للجارية اياك ان تعلمى بهذا أحدا ولم تظهر لزوجها شيأ فأقام الرجل تمام السنة على ذلك ثم مرض ومات فى بيت ابنة عمه وخلف ثمانية آلاف دينار فقامت ابنة عمه فافردت ما يستحقه الولد وهو سبعة آلاف وقسمت الالف الباقية نصفين وجعلت النصف فى كيس وقالت للجارية خذى هذا الكيس واذهبى الى المرأة واعلميها ان الرجل قد مات وخلف ثمانية آلاف دينار وقد أخذ الابن سبعة آلاف وبقيت ألف قسمتها بينك وبينها وهذا حقك فمضت الجارية فطرقت الباب ودخلت فاخبرتها خبر الرجل وحدثتها بموته واعلمتها الحال فبكت ثم فتحت صندوقا وأخرجت منه رقعة يعنى ورقة وقالت

تعالى عن مباشرة الاشياء اذا كانت تنقاد لمشيئته وتطوع لقدرته فتنفذ قدرته ارادته وتظهر حكمته أفعاله اذا أراد شيأ قال له كن يخفى قدرته فكان بظاهر حكمته والرب سبحانه قادر على كل شئ بيده ملكوت كل شئ حكيم فى كل شئ والعبد ضعيف عاجز جاهل لا يقدر على شئ قد ابتلى بالاسباب ووقع عليها الحجاب وجعل مكانا للاحكام بالعقاب والثواب فالاسباب أواسط البلاء والعبد موضع الابتلاء والاول سبحانه وتعالى هو المبلى المريد المبدئ المعيد وينشئكم فيما لا تعلمون وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وليس يشهد العبد الا ما أشهد فبكذلك تفاوت العباد فى المشاهدة ولا يستبين له الا ما أبين له وأريد به فمن ذلك اختلفوا فى الادلة فاذا أراد الله عز وجل اظهار شئ من خزائن الغيب حرك النفس بلطيف القدرة فتحركت باذنه فقدح من جوهرها بحركتها ظلمة تكتب فى القلب همة سوء فينظر العدو الى القلب وهو مراصد ينتظر والقلوب له مبسوطة والنفوس لديه منشورة يرى ما فيها ما كان من عمله المبتلى به المصرف فيه فاذا رأى همة قد قدحت فى النفس فأثرت ظلمة فى القلب ظهر مكانه فقوى بذلك سلطانه والهمة ترد على أحد ثلاث معان لا تحصى فروعها لان همة كل عبد على قدر بغيته احدها هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنيته وهذا عن الجهل الغريزى أو دعوى حركة أو سكون وهو آفة العقل ومحبة القلب فأى هذه الثلاث قدح فى القلب فهو وسوسة نفس وحضور عدو منسوب اليه محكوم عليه بالذم ليست تصدر الا باحد ثلاثة أصول بجهل أو غفلة أو طلب فضول دنيا وهن مما لا يعنى ومضافات الى الدنيا واعمالها والافضل مجاهدة النفس والعدو عن امضائها وحبس الجوارح عن السعى فيها ان كن من فضول الدنيا المباحات فان كن هذه الثلاث وردن بمحرمات ففرض عليه كف الجوارح عن السعى فيها فان أمرح قلبه فى ذكرها أو نشر خطواته فى طلبها كن حجابا بين قلبه وبين اليقين وان كن وردن بمباحات ففضل له بنفيها عن قلبه كيلا يكون قلبه موطنا للغفلات وأصلهن الابتلاء من الله تعالى بالتقليب والامتحان منه فى التصريف ولذلك خلق النفس والروح والموت والحياة وجعل ما على الارض زينة لها ليظهر أحسن العمل بالزهد فيها وينظر كيف تعملون فاذا أراد الله تعالى سلامة هذا العبد بعد ان اشرف على الهلاك والبعد بتسليط العدو عليه وتسويل النفس له نظر القلب عند الابتلاء فهدى النفس بنور ايمانه الى الله تعالى فاسر الالتجاء اليه وأخفى التوكل عليه عائذا لائذا به واضطر بخلاصه فهنالك توكل عليه فكان حسبه وعندها فوض اليه أمره فوقاه مكر عدوه وحينئذ اضطر اليه واتقاه فجعل له مخرجا ونجاه فينظر الله تعالى الى القلب نظرة تخمد النفس وتمحق الهمة وتخنس العدو لسقوط مكانه وتذهب لخنوسه شدة سلطانه فيصفو القلب من التأثير بنور السراج المنير ويخلص من التحير بقوة القهار العزيز فيخاف العبد مقام الرب لصفاء القلب عن نظر الرب تعالى فيفزع من الخطيئة ويهرب أو يستغفر منها ويتوب ويظهر عليه شعار تقواه وان أراد الله تعالى بعبد هلكة وكان قد حكم بوقوع الشر نظر القلب بعد الهمة بهوى النفس الى العقل فرجع العقل الى النفس فسولت وطوعت فسكن العقل واطمأن الى تسويل النفس وطوعها فانشرح الصدر بالهوى لسكون العقل وانتشر الهوى فى القلب لشرح الصدر وتوسعته فقوى سلطان العدو لاتساع مكانه فأقبل بتزيينه وغروره وأمانيه ووعده يوحى بذلك زخرفا من القول وغرورا فيضعف سلطان الايمان لقوة سلطان العدو وخفاء نور اليقين فغلب الهوى لقوة الشهوة فأحرقت الشهوة العلم والبيان فارتفع الحياء واستتر الايمان بالشهوة فظهرت المعصية لغلبة الهوى وارتفاع الحياء وهذان المعنيان من ظهور الخير والشر والطاعة والمعصية بهذه الاسباب يوجدان فى طرفة عين فتصير اجزاء العبد جزأ واحدا ومفصلاته تعود بالمراد منه فصلا واحدا كالبرق فى السرعة بتغليب القدرة على المشيئة اذا قال جل وعلا له كن فيكون وان أراد الله تعالى اظهار خير والهام تقوى من خزائن الملكوت حرك الروح بخفى اللطف فتحركت بامره جلت قدرته فقدح من جوهرها نور وسطع فى القلب همة عالية وهمة الخير ترى باحد ثلاثة معان لا تحصى فروعها لان كل عبد همته فى الخير مبلغ علمه ومنتهى مقامه فاحد الاصول مسارعة

الى

عودى الى سيدتك وسلى عليها منى واعلميها ان الرجل طلقنى وكتب لى براءة وردى عليها هذا المال فانى ما استحق منه شيأ فرجعت الجارية وأخبرتها بذلك رضى الله عنهما ونفعنا ببركاتهما فانظرن يا نساء هذا الزمان الى قوة دينهما واقتدين بمثلهما من المؤمنات الصالحات فى ترك الخصومة مع الزوج بتزوجه أخرى وفى اداء الحق والاحتراز عن غير الحق ولا تقتدين بنسوة زماننا فانهن جنود ابليس يسخطن على الازواج بفعلهم ما أمر الله به ورسوله ويتكلمن بسبب ذلك بكلام يهدم الدين ويخرج من الايمان ويخلد فى النيران وعن على رضى الله عنه قال غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل ايمان فالحذر يا نساء المؤمنات من ذلك فما أقرب الموت وما أشد أهوال الآخرة وأنا والله لكن ناصح أمين ويحكن يا نساء زماننا تأخذن المال الحرام وتتزين به فكأنى بكن وقد صار ذلك نارا على أجسامكن وفى بطونكن واعلمى أيتها المؤمنة الطالبة للخيرات ان لم تتعلمى بما ذكرت لك فاعلمى انك مطرودة عن الخير ملقية نفسك فى نار حامية فان لم تقدرى على حبس نفسك عن هذا الذنب فضعى يديك فى النار يحصل لك

الى أمر يفرض أوندب لفضل يكون عن عمل حال العبد أو علم يكون فطنة له اظهر عليه من مكاشفة غيب من ملك أو ملكوت والمعنى الثالث بتحمل مباح من تصرف فيما يعنى مما يعود صلاحه عليه واستراحة النفس بما أبيح له يكون نفعه لغيره أو ترويحات من الافكار لقلبه الغائص فى البحار يكون حملا لكربه وتخفيفا لثقله فهذه مرافق للعبد باختيار من المعبود وحكمة من الحكيم وفى كلها رضاه سبحانه وتعالى فامضاؤها أفضل للعبد وبعضها أفضل من بعض وهذه الاصول الستة من الخير والشر هى الفرق بين لمة الملك وبين لمة العدو وبين الهام التقوى والهام الفجور التى هى النية والوسوسة وهما الاختيار أو الاختبار وقد تكون هذه المعانى مكاشفات مزيد للعبد ينظر الى الله تعالى منها ويجد الله تعالى بما أوجده منه عندها ويكون تعريفا من الله يتعرف اليه بها ويفتح له باب الانس والشوق منها ثم تتفاوت العباد فى مشاهدتها على حسب علوهم فى اليقين وعلى قدر قوتهم ومكانهم من التمكين الا أن أصول معانى الخير وأواسطها الهام الملك والالقاء فى الروح وقوادح الانوار فى كتب الايمان وفروعها الآخرة والعلم مما أمر به أوندب اليه والمباح وأصول معانى الشر أضدادها وأواسطها النفس والعدو وأسبابها الشهوة والهوى يظهرن عن الجهل ويقعن الحجاب ويصدرن الى عقاب فاذا أراد الله تعالى اظهار خير من خزانة الروح حركها فسطعت نورا فى القلب فأثرت فينظر الملك الى القلب فيرى ما أحدث الله تعالى فيه فيظهر مكانه فيتمكن على مثال فعل العدو فى خزانة الشر وهى النفس والملك مجبول على الهداية مطبوع على حب الطاعة كما ان العدو مجبول على الغواية مطبوع على حب المعصية فيلقى الملك الالهام وهو خطوره على القلب بقدح خواطره بامر بتقييد ذلك ويحسنه له ويحثه عليه وهذا هو الهام التقوى والرشد وينظر الملك الى اليقين كما نظر العدو الى النفس فيشهد اليقين للملك بذلك فيطمئن العقل ويسكن الى شهادة اليقين ويصير العقل الآن باذن الله تعالى مع الملك بتأييد الله تعالى كما كان مع النفس أول مرة مطمئنا اليها فينشرح الصدر لطمأنينة العقل فتظهر أدلة العلم لانشراح الصدر فيقوى سلطان اليقين لصفاء الايمان وتندرج ظلمة الهوى فى نور اليقين وتنطفى شعلة الشهوة لظهور نور الايمان ويزين الايمان بزينة الحياء فتضعف صفات النفس لسقوط الشهوة ويقوى القلب لضعف النفس ويزيد الايمان بقوة اليقين وظهور أدلة العلم فتغلب الهداية لمزيد الايمان ولبسة الحياء فتظهر الطاعة لغلبة الحق والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون *(ذكر نوع آخر من البيان)* وقد تختلف اللمتان من الملك والعدو ويتفاوت الالهام والوسوسة فى المعانى من الخير والشر فربما تقدمت لمة العدو بالامر بالشر وتقدح بعدها لمة الملك نصرة للعبد وتثبيتا على الخير وعناية من الرب تعالى فينهى عن ذلك فعلى العبد ان يعصى الخاطر الاول ويطيع الخاطر الثانى وقد يتقدم الهام الملك بالامر بالخير ثم يقدح بعده خاطر العدو بالنهى عنه والتثبيط والاملاء فيه بالتأخير محنة من الله تعالى للعبد لينظر كيف يعمل وحسدا من العدو فعليه ان يطيع الخاطر الاول ويعصى الخاطر الثانى ثم تدق الخواطر من الهام الملك بالخير ومن وسوسة العدو بالشر وقد يتفاوت ذلك من ضعف خاطر الخير لقوة الرغبة فى الدنيا ومن قوة خاطر الشر لقوة الشهوة والهوى وفى المزيد والنقص منهما والتقديم والتأخير بهما التفاوت الاحكام والارادة من الحاكم ومن قبل تقليب القدرة وغرائب الاحكام بالمشيئة لان له فى خزانة الخير خزانة الشر اذا شاء وله فى خزانة الشر خزائن الخير اذا أحب لمن يحبه لئلا يسكن الى سواه ولا يدل العبد بما منه ابداه فاذا شهد العارف ذلك لم يقطع بخير ولم يدل به ابدا لانه لا يأمن مكر الله تعالى بتقليب خزائن الشر من خزائن الخير اذا عليه ابداه ولم ييأس من شر عليه ابداه لانه يرجو تقليب خزائن الخير من خزائن الشر فيكون بين الخوف والرجاء ولا يدرك ذلك الا بدقائق العلوم ولطائف الفهوم وغوامض الفطن وصفاء الانوار من تعليم الرحيم الجبار فما كان لابد يجد بعد خطرة الشر خطرة خير منها تنهاه عنها فهو منظور اليه متدارك به وهذا هو الواعظ القائم فى القلب والزاجر المؤيد للعقل وقد تترادف خواطر الشر من النفس

اليقظة اللهم أيقظنا من نومة الغافلين وجنبنا موارد الهالكين واغفر لنا ولاحبابنا وللمحسنين الينا وللمسلمين والمسلمات

(فصل) فى الندب والنوح والدعاء بالويل والثبور ولطم الخدود ونحوها وكل ذلك حرام ومن أمور الجاهلية خ م عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية م قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب ت عن أبى موسى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول واجبلاه واسنداه ونحو ذلك الا وكل الله به ملكين يلزمانه ويقولان أهكذا كنت خ م عن أبى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برئ من الصالقة والحالقة والشاقة قال الحصنى فى كتاب المؤمنات الصالحات وسبب عقوبة هذه المسكينة بما تقدم وتبرؤ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ان هذه الامور تفيد معنى التظلم فكأنها تقول بلسان الحال ظلمنى بموت ولدى أو زوجى

والهوى فلا يتعاقبها خاطر خـير من الملك وهـذا عـلامة البعـد ونهـاية قسوة القلب وقد تتابع خواطر الخير والبر من الروح والملك و يعافى العبد من خاطر الهوى والنفس وهذا علامة القرب وهو حال المقربين وقد ترد خواطر العدوّ ووساوسه بالخير والبر ابتلاء من الله تعالى لعبـده وحيلة من العدوّ ومكرا من النفس يريد العدوّ بذلك الشر أو يخرجه آخرا الى اثم أو خير ليقطعه بذلك عن واجب أو يشغله به عن الافضـل فى الحال فيكون ظاهره برا و باطنه اثما و يكون أوّله خـيرا وآخره اثما و بغية العدوّ من ذلك باطنه وآخره وشـهوة النفس فى ذلك هواها ومناها قد لبسا ظاهره بالخير تزيينا وموها أوّله بالبر تحسينا وهذا من أدق ما يبتلى به العاملون ولا يعرف بواطنه وسرائره الا العالمون فاما خاطر الملك فلا يرد الا بخبر صريح و بر محض على كل حال اذ او ردلان الخداع والحيلة ليس من وصف الملائكة ولكن قد تنقطع خواطر الملك من القلب اذا اشتدت قسوته ودامت معصيته من المتعبـدين فيخلى بين القلب و بين نوازع العدوّ اللعين و يتخلى العدوّ بهوى النفس فيستحوذ و يقترن بالعبـد نعوذ بالله من ابعاده وعدم خيره وارشاده ولا يزال العبد مع الهام الملك فى مقام الايمان فاذا رفع الى مقام اليقين تولاه الله تعالى بواسطة أنوار الروح فكان الروح مكان القاء الحق حتى يرد عليـه من الله تعالى بواسطة أنوار الروح من السرائر ما لا يطلع عليه الملك ولا يكون ذلك حتى تفـنى خواطر النفس بالهوى ولا تبقى منها باقية وتطوى النفس فتندرج فى الروح فلا يظهر منها داعية ثم يتولاه الله تعالى بنور اليقـين فيسطع له نور اليقين من خزانة الغيب المحجوب بمكاشـفات الجبروت فيشهد العبد شهادة الحق بالحق معاينة الغيب بفقد كونه ووجد كينونته وما لا يصلح بعد ذلك كشفه الا لاهله أو لمن سأل عنه وهذا يكون فى مقام التوحيد وهذا انصبة المقربين *(ذكر بيان آخر من تفصيل المعانى) وكل عمل وان قل لا بد فيه من ثلاثة معان قد استأثر الله تعـالى بتوليها أوّلها التوفيق وهو الاتفاق أن يجمع بينك وبين الشئ ثم القوّة وهو اسم لثبات الحركة التى هى أوّل العقل ثم الصـبر وهو تمام الفعل الذى به يتم فقدرة الله عز وجل هـذه الاصول التى يظهر عنها كل عمل اليه فقال سبحانه وما توفيقى الا بالله وقال ما شاء الله لا قوّة الا بالله وقال عز وجل واصبر وما صبرك الا بالله وقد أجمل الله عز وجل ذكر تقليب الكون بمشيئته فى قوله تعـالى يقلب الله الليل والنهار والمعنى بمـا فيهما لانهما ظرفان للاشياء فعبر عنهما بهما كقوله تعـالى بل مكر الليـل والنهار والمعنى مكركم فى الليل والنهار فعبر بهما عن مكرهم لانهما مكانان لمكرهم وكذلك قوله تعـالى وله ما سكن فى الليـل والنهار فيها وجهان أحدهما أى ما أقام من السكن والثانى ما سكن من السكون وانما ذكر السكون دون الحركة لانه هو الاصـل حتى تحرك وهو الاقرب الى العجز والعدم والتحريك حادث جار باحداث الله تعـالى واجرائه و يجوز أيضا ذكر السكون ليستدل به على الحركة لانه ضدها كما قال الله تعالى سرابيـل تقيكم الحر وهى أيضا تقى البرد فذكر أحد الوصفين ليستدل به على الآخر وقال سبحانه ونقلب أفئـدتهم وأبصارهم وكان قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ومقلب القلوب لما شهد من عظيم القدرة ولطيف الصنع فى التقليب ولمـا رأى من سرعة نفاذ القدرة بالمراد فى المقلبات ممـا لم يشهد سواه فجعله قسما له تعظيما لقـدرة المحلوف به وخوفا من سابق العلم بالتقليب فكان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك قالوا وتخاف يا رسول الله قال وما يؤمننى والقلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفى لفظ حديث آخر ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه أزاغه وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم مثل القلب مثل العصفور فى تقلبه يتقلب فى كل ساعة وفى خبر آخر مثل القلب فى تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليا والخبر المشتهر مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن فالقلب مكان للتقليب بمـا فيه من خزائن الغيب كالليل والنهار مكان للاحكام بالتصريف من اختلاف الازمان فى الاوقات والايمـان بتقليب القلوب و بان المقلب يحول بين القلب و بين صاحبـه واجب وقد قرن الله عز وجـل الايمـان بالبعث الامر بهـما فى قوله تعـالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون وفسره

أوأخـنى والرب سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد فمن نسـبه الى الظلم فهو كافر وهو أسوأ حالا من اليهود والنصارى فالجاهلة تفعل بنفسها أعظـم المصائب ومع ذلك لا يحصل لها عود ميتها فهذه تضاعف مصيبتها و يتضاعف عذابها ومن شاركها فى ذلك كان عليه وزر مشاركتها وكذا من صنع طعاما فاكل منه النائحات يأثم لانه اعانة عـلى معصـية قال وأى مصيبة أعظم على المرأة من ان يتبرأ منها رسول الله صلى الله عليه وسـلم هذه أعظم من موت أولادها والمصيبة بفـقد الاجر أيضا عظيمـة وربما تمادى بها ذلك فوقعت فى كلمة هبطت بها فى النار سـبعين خريفا وربما كانت الكلمـة تتضمن كفرا وهى لا تعلمها لقـلة علمها وتعلمها فتكفر فتخسر دينها مـع معصيتها وتقـع بذلك فى العـذاب الذى لا آخر له عافانا الله عز وجـل من ذلك ولا خلاف انه يحرم نشر الشعر وضرب الخـد والصـدر وخمش الوجه ونحوه ومن فعل ذلك فهو ملعون وكذا من حضره وأعان عليـه أوسمع النياحة ففى سـنن أبى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن النائحة والمستمعة وكما يحرم النياحة يحرم رفع الصوت فى البكاء و يلحق الميت مـن ذلك

ابن عباس فقال يحول بين المؤمن و بين الكفر و يحول بين الكافر و بين الايمان وقيل يحول بين العبد وبين الاستجابة لله تعالى والرسول وقيل يحول بين المؤمن و بين سوء الخاتمة وبين الكافر و بين حسن الخاتمة وقيل يحول بين المؤمن و بين ان يلقيه فى كبيرة يهلك فيها و بين المنافق و بين ان يوفقه لطاعة فينجو بها و يحول بين الموحد و بين الخاتمة بالتوحيد وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون باسره عند الموحدين فى القدرة بالتقليب كمثل ريشة فى ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر وليس فى القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج الى زمان ولا مكان فاظهر من الملك وثبت للعيون بمكان و زمان فلاجل الحكمة والصنعة والاتقان وماخفى من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطائف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين وقسمه من اليقين على قربه من القريب وقربه على حسب قرب الله تعالى من قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله تعالى واتساعه فى العلم بالله عز و جل على نحو مكانه من مزيد الايمان ومن يد ايمانه على قدر احسان الله تعالى اليه واحسانه اليه على قدر عنايته به وايثاره له وعلم الله من وراء ذلك وذلك سر القدرة المحجوب المختزن ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على حسب حب الدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوة الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه على كثافة الحجاب والبعد بينه و بين الله عز وجل والحجاب والبعد ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك فى المعاصى وادمان المعاصى عن الاعراض والمقت والاعراض والمقت من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له ومن وراء ذلك سر القدر الذى به عن الخلق قد استأثره فهذه الاوصاف المذمومة العبد مبتلى بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التى هى من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين العدو له وتسليطه عليه فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فاذا كان الهادى هو المضل فمن يهدى وقد قال تعالى فان الله لا يهدى من يضل أى فان الله من شأنه ان أحدا لا يهدى من أضله ومن كان أضله الله فى سابق علمه فكيف يهديه الآن كذلك قال على الحرف الآخر فان الله لا يهدى من يضل فاذا كان المعطى هو المانع فمن يعطى ولو كان الخير كله فى قلب عبد ماقدر ان يوصل الى قلبه من قلبه ذرة ولا استطاع ان ينفع نفسه بنفسه خردلة لان قلبه وان كان جارحته فهو خزانته وله فيه مالا يعلم هو فهو لا يطلع على مافيه كما قال معجبا لمن جهله وأضله اطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا فكيف به ان علك مافيه فيصرفه بما يحب وقد قال صلى الله عليه وسلم سبحان مصرف القلوب وقد خاطب الله تعالى سيد البشر وأمره ان يخبر فقال قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ثم قال بعد ذلك قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا واذا كان المالك عز وجل جبارا وكان كل شئ بيده لم يوصل الى ماعنده بقوة ولا حيلة فليس الطريق اليه الا الصدق والاخلاص والذل والافتقار وقد حجب العقل المكيد عن النظر الى المبدئ المعيد بما أظهر له من صورته وحركته فستره عن الاول المصور وعن القادر المحرك فادعى عن نظره الى حركته وسكونه التى هى محجبة له عن المحرك لغيب ادعاء الحركة والسكون بنفسه لوقوف نظره على نفسه اذ كان مشهودا وعمى عن النظر الى الشاهد المحرك المسكن لبعد مقامه لانه غيب من وراء الحركة والغيب لا يشهد الا بغيب وهو اليقين كما لا تدرك الشهادة الا بشهادة وهى العين فمن عمى بصره لم ير من الملك شيأ كذلك من حجب قلبه لم ير من الملك شيأ فلعدم اليقين عمى عن المشاهدة ولا يقاع الحجة والحجاب أدرك بالمعقول الشهادة ولو كان من أولى البصائر لاعتبر الحركة الغيبية بالمتحرك المشاهد فكما ان الحركة غيب فى الجسم ظهر عنها التحرك فاظهر سبحانه المتحرك وأخفى الحركة فيما أظهر الصنعة وأخفى

عذاب الان لا يرضى وأما دمع العين وحزن القلب فمعفو عنه وعلاج هذه المسكينة ان تذكر ما أمامها من سكرات الموت وهول المطلع وظلمة القبر ودبدانه وهول منكر ونكير وفتح طاقة من جهنم وتصور اعمالها فى صورة قبيحة النظر لها عذاب وتذكرة الصراط ودقته والعرض على الله تعالى وخفة الميزان والفرار من الاخ والام والصاحبة والابن ومهبطها بعد ذلك الى النار فان لم تتعظ بذلك فتضع يدها على النار فانها والله تنسى كل ما يصدع قلبها فراقه والله أعلم انتهى وتذكر أيضا ما ورد فى الصبر من الثواب وصبر عباد الله الصالحين والمؤمنات الصالحات فقد روى البخارى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله ما لعبدى المؤمن عندى جزاء اذا قبضت صفيه من أهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة م عن أبى حسان قال قلت لابى هريرة رضى الله عنه انه قد مات لى اثنان من الولد فما أنت محدثى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا تطمئن به أنفسنا عن موتانا قال نعم صغاركم دعاميص الجنة أى لا يمنعون من بيت فيلقى أحدهم أباه أو قال أبويه فيأخذ بثوبه أو بيده كما آخذ أنا بصنفة

الصنع فيها التفصيل حكمته كذلك الصانع ذو الصنعة الاول والحاكم الاعلى ذو الحكمة الاغلب غيب عن الحركة التى أخفاها هو من رآها بلطائف القدرة فشهد المعقول ما شهدهما أظهر له ووجه به لانه معقول عليه محدود له وعمى عما غيب عنه لفقد اليقين منه فعندهما ادعى الحركة والسكون للشاهد فحجبه ذلك عن الشهيد وشهد الموحد بشهادة التوحيد فوجدا لما كشف له الملكوت بنور اليقين فافرد وقد قال بعض العارفين من نظر فى توحيده الى عقله لم ينجه توحيده من النار ومن كان توحيده فى الدنيا معلقا بمعقوله لم يحمل توحيده معه لى اليقين أحسب أن هذا ايمان الذى يقال أخرجوا من النار من كان فى قلبه وزن مثقال من ايمان فمازاد على هذا المقدار فهو متصل باليقين وهو مؤيد بالروح بعد مروح التأييد فلا ينطفى فهو المزحزح عن النار وقد قال بعض علمائنا من ظن انه يصل الى الله بغير الله تعالى قطع به ومن استعان على عبادة الله تعالى بنفسه وكل الى نفسه ثم ان الخلق محجوبون بعد هذا الحجاب بثلاثة حجب بعضها أكثف من بعض أحدها أواسط وأسباب معترضة وشهوات جاذبة وعادات راجعة صادرة فالاسباب توقفهم عليها والشهوات تجذبهم اليها والعادات تردهم فيها فاى هذه الحجب ظهر فى القلب وبعضها أشد عليه من بعض فهو مكان للعدو وأوسع من مكان فتمكن سلطانه على قدر سعة مكانه فقويت النفس بتزيين العدو وسولت بتأميلها فملكت العبد ملكا أشد من ملك فاذا ملكت النفس العبد كان مملوكها وأسيرها وكانت بالهوى أميرة فاستهواه الشيطان حينئذ بالغواية والاضلال واستحوذ عليه بمعانى المشاركة فى الاولاد والاموال فشغله بذلك عن الله سبحانه وتعالى وأنساه ذكر الله عز وجل وهذا هو الاقتران الذى ذمه الله تعالى فى قوله ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وهو فوق النزغ والهمز والخاطر بعد الهمة وهو خطور العدو على القلب بالوسوسة تزين الهمة ويملى للعبد ويرجيه ويفسح له فى أمله ويمنيه التوبة حتى تهون عليه المعصية ويعده بعدها بالمغفرة حتى يجرئه على الخطيئة وهذا هو الوعد بالغرور وبعده الهلاك والثبور كما قال يعدهم أى التوبة ويمنيهم المغفرة ومايعدهم الشيطان الا غرورا وهذا كله تصديق ظن العدو بالعبد واتباع العبد له بالهوى عن مقام البعد وكشف لعلم الله تعالى باظهار الحكم وانفاذ المشيئة وهو الابتلاء بالاسباب فصار العدو سببا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ثم أحكم ذلك بسابق علمه فقال وما كان له عليهم من سلطان يعنى بحوله وقوته وبقهره ومشيئته الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك أى لنرى وقيل لنعلم العلم الذى يجازى عليه بالثواب والعقاب وقيل لنختبر ونكشف وقيل لنعلم المؤمنين ذلك فيستبين لهم ويعلم من عمل تلك الاعمال التى ظهرت منه فتوقع عليه بذلك الحجة ويتبين له كذبه كما قال فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين فعلى هذه المعانى مجاز كل ما فى كتاب الله عز وجل من قوله لنعلم وحتى نعلم اذ كان علمه تعالى قد سبق المعلومات واذا كانت الاشياء عن علمه بعلمه جاريات فجعل تسليط العدو بسلطانه كشفا واظهارا لما أخفاه من سابق علمه كما جعل افعال العباد الظاهرة كشفا واظهارا لارادته الباطنة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق العلم وجف القلم وقضى القضاء وتم القدر بالسعادة من الله تعالى لاهل طاعته وبالشقاء من الله تعالى لاهل معصيته * ذكر تقسيم الخواطر وتفصيل أسمائها * فاما تسمية جملة الخواطر فما وقع فى القلب من عمل الخير فهو الهام وما وقع من عمل الشر فهو وسواس وما وقع فى القلب من المخاوف فهو الحساس وما كان من تقدير الخير وتأميله فهو نية وما كان من تدبير الامور المباحات وترجيها والطمع فيها فهو أمنية وأمل وما كان من تذكرة الآخرة والوعد والوعيد فهو تذكر وتفكر وما كان من معاينة الغيب بعين اليقين فهو مشاهدة وما كان من تحدث النفس بمعاشها وتصريف أحوالها فهو هم وما كان من خواطر العادات ونوازع الشهوات فهو لمم ويسمى جميع ذلك خواطر لانه خطور همة نفس أو خطور عدو بحسد أو خطرة ملك بهمس ثم ان ترتيب الخواطر المنشأة من خزائن الغيب القادحة فى القلب على ستة معان وهذه حدود الشئ المظهر ثلاثة منها معفوة وثلاثة منها مطالب

نوبك هذا فلا يتناهى حتى يدخل هو وأبوه الجنة قال صلى الله عليه وسلم مامن مسلمين يتوفى لهما ثلاثة الا أدخلهما الله الجنة بفضله ورحمته اياهما فقالوا يارسول الله أو اثنان قال أو اثنان قالوا أو واحد قال أو واحد ثم قال والذى نفسى بيده ان السقط ليجر أمه بسرره الى الجنة اذا احتسبته ق قال صلى الله عليه وسلم ان السقط ليراغم ربه اذا أدخل أبويه النار فيقال أيها السقط المراغم ربه أدخل أبويك الجنة فيجرهما بسرره حتى يدخلهما الجنة وفى كتاب المؤمنات الصالحات للمعنى حكى ان معاذة بنت عبد الله العدوية من عابدات البصرة كانت تصلى كل يوم وليلة ستمائة ركعة وكانت تقول عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد فى القبور وكانت معاذة لها ابن وزوج فخرجا الى الغزو فقال له أبوه أى بنى تقدم فقاتل حتى أحتسبك فحمل على الكفار وقاتل حتى قتل ثم تقدم أبوه ففعل كذلك فاجتمعت النساء عند معاذة فقالت مرحبا ان كنتن جئتن لتهنيننى وان كنتن جئتن لغير ذلك فارجعن رضى الله عنها ونفعنا ببركاتها هكذا كن رضى الله عنهن يفرحن بما يحبه الله ورسوله ويجعلنه فرحا

بها فاول ذلك الهمة وهو ما يبدو من وسوسة النفس بالشئ يجده العبد بالحس كالبرقة فان صرفها بالذكر امتحت وان تركها بالغفلة كانت خطرة وهو خطور العدو بالتزيين وان نفى الخاطر ذهب وان ولى عنه قوى فصار وسوسة وهذا محادثة النفس للعدو واصغاؤها اليه وان نفى العبد هذه الوسوسة بذكر الله خنس العدو وضعفت النفس وهذه الثلاث معفوة برحمة الله تعالى غير مؤاخذ بها العبد وان أمرج العبد النفس فى محادثة العدو وطاولت النفس العود بالاصغاء والمحادثة قويت الوسوسة فصارت نية فان أبدل العبد هذه النية بنية خير فاستغفر منها وتاب والاقويت فصارت عقدا فان حل هذا العقد بالتوبة وهو الاصرار والاقوى فصار عزما وهو القصد وهذه الثلاثة من أعمال القلب مأخوذ بها العبد ومسؤل عنها فان تداركه الله تعالى بعد العزم والا تمكن العزم فصار طلبا وسعيا وأظهر العمل على الجوارح من خزائن الغيب والملكوت فصار من أعمال الجسم فى خزانة الملك والشهادة فهذه الاعمال توجد من أعمال البر والاثم فما كان منها من البر همة ونية وعزما كان محسوبا للعبد فى باب النيات مكتوبا له فى ديوان الارادة له به حسنات وما كان منها من الشر نية وعقدا وعزما فعلى العبد فيه مؤاخذة من باب اعمال القلوب ونيات السوء وعقود المعاصى وليس شئ مجانس للعدو ومؤاخ له الا النفس جمع الله تعالى بينهما فى الوسوسة بقوله الوسواس الخناس وقوله ونعلم ماتوسوس به نفسه وكل شئ خلقه الله تعالى فله مثل وضد فمثل النفس الشيطان وضدهما الروح ثم ان أعمال الجوارح من النوعين الطاعة والمعصية أعظم فى الاجر والوزر معا الا مالا يتأتى ان يعمله بظاهر الجسم من شهادة التوحيد أو وجود شك أو كفر او اعتقاد بدعة

(باب آخر من البيان والتفصيل) فاما ما كان من لائح يلوح فى القلب من معصية ثم ينقلب فلا يلبث فهذا نزغ من قبيل العدو وما كان فى القلب من هوى ثابت أو حال مزعج دائم لابث فهو من قبل النفس الامارة بطبعها أو مطالبة منها بسوء عادتها وما ورد على العبد من همه بخطيئة ووجد العبد فيها كراهتها فالورود من قبل العدو والكراهة من قبل الايمان وما وجده العبد وجدا بهوى أو معصية ثم ورد عليه المنع من ذلك فالوجد من النفس والوارد بالمنع من الملك وما وجده العبد من فكر فى عاقبة الدنيا أو تدبير الحال ونظر الى معهود فهذا من قبل العقل وما وجد من خوف أو حياء أو ورع أو زهد أو من شأن الآخرة فهذا عن الايمان وما شهده القلب من تعظيم أو هيبة أو اجلال أو قرب فهذا من اليقين وهو من مزيد الايمان واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه كما قال صاحب الامر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك منك وانما هذا تفصيل الحدود واظهار المكان واحكام العلم كما قال تعالى وكل شئ فصلناه تفصيلا وقال قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وليس فى التوحيد ولا فى المشاهدة تفكر ولا فى الاشارة عيان ولا فى القدرة ترتيب ولكن لابد من علم التفصيل لا عن التوحيد وهو التفرقة بلسان الشرع عن عين الجمع لاظهار الطرق واستنارة السبل وتطريق السالكين وترتيب العاملين ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة والله غالب على أمره وقد فصل بعض العلماء أعمال العباد وفرق بين الامر والارادة فقال ان أعمال العباد لا تخلو من ثلاثة أنواع فرض وفضل ومعصية قال فنقول ان الفرض بأمر الله تعالى ومحبة الله ومشيئة الله تجتمع هذه المعانى الثلاثة فى الفرائض قال ونقول ان النفل لا بأمر الله لانه لم يوجبه ولم يعاقب على تركه ولكن بمحبة الله ومشيئته جل وعلا أى لانه شرعه وندب اليه فقال ونقول ان المعصية لا بأمر الله لانه لم يشرعها على السنة المرسلين ولا بمحبة الله لانه قد كرهها اذ لم يأمر بها ولم يندب اليها ولكن بمشيئة الله جلت عظمته ان لا يخرج شئ من ارادته كما لم يخرج شئ من علمه والارادة والمشيئة اسمان بمعنى واحد فقد دخل كل شئ فيها كما دخل كل شئ فى العلم فالله سبحانه عالم بما أراده وقد سبق به علمه كذلك هو مريد لما علمه أظهرت ارادته سابق علمه وكشف علم الغيب بظهور ارادته الشهادة فهو عالم الغيب والشهادة فالغيب علمه والشهادة معلومه فكيف يخالف المعلوم العلم وهو اجراؤه والارادة نفذت العلم فى معلومات الخلق وهذا فرض

وسرور اوانستني بانساه زماننا ترى ذلك مصائب فتجزع لذلك جزعا شديدا حتى ترتكبن العظائم من أمر الجاهلية

شعر

الا أيها القلب الكثير العلائق
ألم تر ان الدهر تجرى بوائقه
الا أيها الباكى على الميت بعده
رويدك لا تعجل فانك لاحقه
رويدك لا تنسى المقابر والبلا
وطعم رود الموت لابد ذائقه
اذا اعتصم المخلوق من فتن الهوى
بخالقه أنجاه منهن خالقه
أرى صاحب الدنيا مقيما بجهله
على ثقة من صاحب لا يفارقه
فلا تتمن الموت يا صاح انه
سيأتيك منه عن قريب طوارقه

اللهم أجرنا من مصيبتنا واخلف لنا خيرا منها

(فصل) فى العقوق وقطيعة الرحم قال الله سبحانه وتعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا واما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا وقال تعالى واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام أى اتقوا الارحام ان تقطعوها د عن عبد الرحمن بن عوف قال النبى صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى انا

التوحيد فخرجت النوافل عن الامر وخرجت المعاصى عن المحبة فى تفصيل الاحكام وتبين الحلال والحرام ولم تخرج معصية عن مشيئة وقد قال الله جل ثناؤه وكل صغير وكبير مستطر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ بقضاء وقدر حتى العجز والكيس فذكر عرضين لطيفين هما سببا المنع والعطاء وقد فرق عالمنا بين الامر والارادة فرقا لطيفا فحدثنى بعض أصحابنا انه سئل عن قول الله عز وجل لما أمر ابليس بالسجود لآدم أراد منه ذلك أم لا فقال أراده ولم يرده منه يعنى أراده شرعا واظهارا وعليه ايجابا ولم يرده منه وقوعا ولا كونا اذ لا يكون الا ما أراد الله تعالى اذ لو أراد كونه لكان ولو أراده فعلا لوقع لقوله تعالى انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فلما لم يكن علمت انه لم يرده فقد كان الامران معا ارادته بالتكليف والتعبد وارادته بان لا يسجد فلم يقدر أن يمتنع من ان لا يسجد كما لم يقدر من ان يمتنع من ان يؤمن فكذلك القول فى نهيه لآدم صلى الله عليه وسلم عن أكل الشجرة انه أراد الاكل منه ولم يرده له أى أراده وقوعا وكونا لانه قد وجد وكان كقوله اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فلما كان علمت انه أراده ولم يرده شرعا ولا امرا لانه لم يأمره به ولا شرعه له فقد كان الامران جميعا ارادته ان يكون العبد مكلفا مأمورا وارادته الاكل منه لانه قد كان وكذلك القول فى كل ما أمر به وأراده انه أراد الامر والنهى لهم ليكونوا مكلفين متعبدين ولم يرده ممن لم يكن منه الائتمار والانتهاء لانه قال تعالى انما أمرنا الشئ اذا أردناه ان نقول له كن فيكون فاخبر انه اذا أراد شيأ كونه كما انه اذا كون شيأ فقد أراده بدلالة كونه فلما لم يمكن الامر من العاصين علمنا انه لم يرده اذ لو أراده كان ولما كان النهى من المأمورين علمنا انه أراد كونه اذ لو لم يرده لم يكن فصار كون الشئ دليلا على ارادته وقد وقعت الارادة بالامر والنهى فكان الكل مأمورين منتهين ولم يقع الفعل من الكل لانه لم يرد وقوعه اذ لو أراده كان وهذا أصل الابتلاء وارادة ظهور البلاء يأمر الله تعالى بالشئ ويريد كون ضده وقد أراد الامر به حسب وينهى عن الشئ ويريد كونه وقد أراد النهى عنه فقط وقد كان عالمنا أبو الحسن رحمة الله عليه يتكلم فى علم الامر والخبر وفى الابتلاء والقهر بمعان لا يهتدى اليها اليوم ولا يسأل عنها أحد أى يظهر الامر بالترك ويظهر النهى بالفعل ويظهر الاحكام لوقوع البلاء ويقهر الجوارح بالجبر على ارادته للابتلاء وقد فرق الحسن البصرى رحمه الله قبله وهو امامنا فى هذا العلم بين التعذيب على جريان العلم ومخالفة الامر لما بلغه ان عمرو ابن عبيد وهو امام المعتزلة اليوم واليه نسبوا لما اعتزل عن الحسن البصرى بعد ان صحبه ولم يختم له بصحبته بلغه انه يقول ان الله لا يقضى بالشئ ثم يعذب عليه فقال له ويلك ان الله عز وجل لا يعذب على جريان حكمه وانما يعذب على مخالفة أمره تفسير ذلك ان ما حكمه الله تعالى منفردا به لم يجعل فيه أمرا ولا نهيا لا يعذب عليه لانه لم يجعل للعبد مدخلا فيه بشهوة ولا فعل وان ما قضاه على العبد مما أدخله فيه بقصده وشهوته عذبه عليه وهذا من شؤم النفس وتكدر الخلق انها اذا أدخلت فى شئ انقلب عليها شره والامة مجمعة على قول ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن واجتمعت على قول لا حول ولا قوة الا بالله فهذا عام فى كل شئ ليس فى بعض الاشياء دون بعض والحول فى اللغة هو الحركة والعرب تقول للشخص يبدو من بعيد يظن انه انسان أو شجرة أو صخرة انظروا اليه فان كان يحول فهو انسان أى يتحرك والقوة هو الثبات بعد الحركة وهو أول الصبر حتى يظهر الفعل بقوة الله تعالى وقدر وينافى تفسير ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حول عن معصية الله الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله الا بعون الله وهذا التفصيل فى هذه المعانى من الاحكام هو ظاهر العلم وفرض القدر وفحوى التنزيل والشرع والجبر للملك الجبار يجبر خلقه على ما شاء كما خلقهم لما شاء ويردهم الى ما شاء كما ينشئهم فيما يشاء فالحكم لله العلى الكبير الواحد القهار يقهر عباده كيف شاء ويجرى عليهم ما يشاء وله الحجة البالغة والعزة القاهرة والقدرة النافذة والمشيئة السابقة بوصف الربوبية ويحكم الجبرية وعليهم الاستسلام والانقياد والطاعة والاجتهاد طوعا وكرها بوصف العبودية وبحق الملكة

الله وانا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته س قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر وفى حياة الحيوان عن المستدرك عن أبى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قد مسخوا خنازير وليخسفن بقبائل منها أو بدور منها حتى يصبحوا فيقولوا خسف الليلة ببنى فلان خسف الليلة بدار فلان وليرسلن الله عليهم حجارة كما أرسلت على قوم لوط وليرسلن عليهم الريح العقيم لشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير واتخاذهم القينات وقطعهم الرحم ه عن عبد الله بن أبى أوفى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم اخوانى احذروا العقوق وقطيعة الرحم فانهما يعجلان العقوبة فى الدنيا مع عقوبة الآخرة ولا يغرنكم الشيطان فيوقعكم فيهما فتذوقون عذابا شديدا واذهبوا عن قلوبكم هاتين العلتين بذكر آفاتهما وذكر ثواب البر والصلة ففى الصحيحين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن

ان كان الله يريدان يغويكم هو ربكم ان تعذبهم فانهم عبادك وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين لله الامر من قبل ومن بعد

(الفصل الحادى والثلاثون) فيه كتاب العلم وتفصيله وأوصاف العلماء وذكر فضل علم المعرفة على سائر العلوم وكشف طرق العلماء من السلف الصالح وذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين فى العلم والفرق بين العلم الظاهر والباطن وبين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وفضل أهل المعرفة على علماء الظاهر وذكر علماء السوء الآكلين بعلومهم الدنيا ووصف العلم وطريق التعليم وذم ما احدثه المتأخرون من القصص والكلام وباب ذكر ما احدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف وبيان فضل الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الرأى وذكر معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفى الحديث الآخر اطلبوا العلم ولو بالصين فان طلب العلم فريضة على كل مسلم قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله أراد بذلك علم حال يعنى علم حال العبد من مقامه الذى أقيم فيه بان يعلم أحدكم حاله الذى بينه وبين الله عز وجل فى دنياه وآخرته خاصة فيقوم باحكام الله تعالى عليه فى ذلك وقال بعض العارفين معناه طلب علم المعرفة وقيام العبد بحكم ساعته وما يقتضى منه فى كل ساعة من نهاره وقال بعض علماء الشام انما عنى به طلب علم الاخلاص ومعرفة آفات النفس ووساوسها ومعرفة مكايد العدو وخدعه وغروره وما يصلح الاعمال ويفسدها فريضة كله من حيث كان الاخلاص فى الاعمال فريضة ومن حيث أعلم بعداوة ابليس ثم أمر بعداوته وذهب الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الارموى ومن تابعه وقال بعض البصريين فى معناه طلب علم القلوب ومعرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لانها رسل الله تعالى الى العبد ووسواس العدو والنفس فيستجيب لله تعالى بتنفيذ ما منه اليه ومنها ابتلاء الله تعالى للعبد واختبار تقتضيه مجاهدة نفسه فى نفيها ولانها أول النية التى هى أول كل عمل وعنها تظهر الافعال وعلى قدرها تضاعف الاعمال فيحتاج ان يفرق بين لمة الملك ولمة العدو وبين خاطر الروح ووسوسة النفس وبين علم اليقين وقوادح العقل ليميز بذلك الاحكام وهذا عند هؤلاء فريضة وهو مذهب مالك بن دينار وفرقد السنجى وعبد الواحد بن زيد وأتباعهم من النساك وقد كان أستاذهم الحسن البصرى يتكلم فى ذلك وعنه حملوا علوم القلوب وقال عباد أهل الشام معناه طلب علم الحلال فريضة اذ قد أمر الله تعالى به وأجمع المسلمون على تفسيق آكل الحرام وقد جاء فى خبر مفسر طلب الحلال فريضة بعد الفريضة ومال الى هذا القول ابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط ووهيب بن الورد وحبيب بن حرب وقال بعض هذه الطائفة من أهل المعرفة معناه طلب علم الباطن فريضة على أهله قالوا وهذا مخصوص لاهل القلوب ممن استعمل به واقتضى منه دون غيره من عوام المسلمين ولانه جاء فى لفظ الحديث تعلموا اليقين فمعناه اطلبوا علم اليقين وعلم اليقين لا يوجد الا عند الموقنين وهو من أعمال الموقنين المخصوص فى قلوب العارفين وهو العلم النافع الذى هو حال العبد عند الله تعالى ومقامه من الله تعالى كما شهد له الخبر الآخر فى قوله صلى الله عليه وسلم وعلم باطن فى القلب وهو العلم النافع فهذا تفسير ما أجمل فى غيره وقال جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنا الايمان ثم يعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وسيأتى زمان قوم يتعلمون القرآن قبل الايمان يعنى تعلمنا علم الايمان وهذا مذهب نساك أهل البصرة وقال بعض السلف انما معناه طلب علم ما لم يسع جهله من علم التوحيد وأصول الامر والنهى والفرق بين الحلال والحرام اذ لا غاية لسائر العلوم بعد ذلك وكلها يقع عليها اسم علم من حيث هى معلومات ثم قد أجمعوا ان ليس تعليم ما زاد على ما ذكرناه فرضا وانما فيه فضل أوندب وقال بعض فقهاء الكوفة معناه طلب علم البيع والشراء والنكاح والطلاق واذا أراد الدخول فيه افترض عليه مع دخوله فى ذلك طلب علمه لقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا يتجر فى سوقنا هذا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أم أبى وكما قيل

يبسط له فى رزقه وينسا له فى أثره فليصل رحمه خ عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها ٥ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ولد بار ينظر الى والديه نظرة رحمة الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا وان نظر كل يوم مائة مرة قال نعم الله أكبر وأطيب ت عن ابن عمر قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أصبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة قال هل لك من أم قال لا قال فهل لك من خالة قال نعم قال فبرها ٥ قال صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده ق عن أبى أمامة أن رجلا قال يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما قال هما جنتك ونارك وحكى أن على بن الحسين رضى الله عنه كان كثير البر بوالدته وكان لا يأكل معها فى صحفة واحدة فقال أخاف أن تسبق يدى الى ما سبق اليه نظرها فأكون عققتها اخوانى فروا من العقوق والقطيعة الى البر والصلة تظفروا فى الجنة بالنعم الجزيلة وكونوا على حذر من مفاجأة الموت على الغفلة يا أخى خلص نفسك من أسر الذنوب وتأهب

تفقه ثم انجر ومال الى هـذا سفيان الثورى وأبو حنيفـة وأصحابهما وقال بعض المتقـدمين من علماء خراسان هو أن يكون الرجل فى منزله فيريد أن يعمل شيأ من أمر الدين أو يخطر على قلبه مسئلة لله سبحانه وتعالى فيها حكم وتعبد وعلى العبد فى ذلك اعتقاد أو عمل فلا يسعه أن يسكت على ذلك ولا يجوز له أن يعمل فيه برأيه ولا يحكم بهواه فعليه أن يلبس نعليه و يخرج فيسأل عن أعلم أهل بلده فيسأله عن ذلك عند النازلة فهذا فريضة وحكى هـذا القول عن ابن المبارك و بعض أصحاب الحـديث وقال آخرون يعنى طلب علم التوحيد فرض وانما اختلفوا فى كيفية الطلب وماهيـة الاصابة فنهم من قال من طريق الاسـتدلال والاعتبار ومنهم من قال من طريق البحث والنظر ومنهم من قال من طريق التوفيق والاثر وقالت طائفة من هؤلاء انما أراد طلب علم الشـبهات والمشـكلات اذا سمعها العبد وابتلى بها وقد كان يسعه ترك الطلب اذا كان غافلا عنها على أصل التسليم ومعتقد جملة المسلمين لا يقع فى وهمه ولا يحيك فى صـدره شئ من الشبهات فيسعه ترك البحث فاذا وقع فى سمعه شئ من ذلك ووقر فى قلبـه ولم يكن عنده تفصيل ذلك وقطعه ومعرفة تمييز حقه من باطله لم يحل له أن يسكت عليه لئلا يعتقد باطلا أو ينفى حقا فافترض عليـه طلب ذلك من العلماء به فيستكشفه حتى يكون على اليقين من أمره فيعتقد من ذلك الحق و ينفى الباطل ولا يقعد عن الطلب فيكون مقيما على شبهة فيتبع الهوى أو يكون شاكا فى الدين فيعدل عن طريق المؤمنين أو يعتقد بدعة فيخرج بذلك عن السنة ومذهب الجماعة وهو لا يعلم ولهـذا المعنى كان أبو بكر الصـديق رضى الله عنـه يقول فى دعائه اللهم أرنا الحق حقا فنتبعـه وأرنا الباطل باطلا فنجتنبه ولا تجعـل ذلك متشابها علينا فنتبع الهوى وهذا مذهب أبى ثور ابراهيم بن خالد الكلبى وداود بن على والحسين الكرابيسى والحرث بن أسد المحاسبى ومن تابعهم من المتكلمين فهذه أقوال العلماء فى معنى هذا الخبر حكيناذلك عن علمائهم على معنى مذهب كل طائفة واحتج لكل قول فالالفاظ لنا والمعنى لهم وهـذا كله حسن ومحتمـل وهؤلاء كلهم وان اختلفوا فى تفسير الحديث بألفاظ فانهم متقاربون فى المعنى الا أهـل الظاهر منهم فانهم حملوه على ما يعلمونه وأهل الباطن تأولوه على علمهم ولعمرى ان الظاهر والباطن علمان لا يستغنى أحدهما عن صاحبه بمنزلة الاسلام والايمان مرتبط كل واحد بالآخر كالجسم والقلب لا ينفك أحـدهما عن صاحبه وهؤلاء المختلفون فى الاقوال مجمعون انه صـلى الله عليه وسلم لم يرد بذلك طلب علم الاقضيـة والفتاوى ولا علم الاختـلاف والمذاهب ولا كتب الاحاديث مما لا يتعين فرضه وان كان الله تعالى لا يخلى من ذلك من يقيمـه بحفظه والذى عندنا فى حقيقة معنى هـذا الخبر والله أعلم ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة يعنى علم هذه الفرائض الخمس التى بنى الاسلام عليهـا من حيث لم يفترض على المسلمين غيرها ثم ان العمل لا يصح الا بعلمه فاول العمل العلم به فصار علم العمل فرضا من حيث افترض العمل فلما لم يكن على المسلمين فرض من الاعمـال الا هذه الخمس فصار طلب علم هذه الخمس فرضا لانه فرض الفرض وعلم التوحيد داخل فيها لانه فى أوله شهادة أن لا اله الا الله باثبات صفاته المتصـلة بذاته ونفى صفات سواه المنفصلة عن اياه كله داخل فى علم شهادة أن لا اله الا الله وعلم الاخلاص داخل فى صحة الاسلام اذ لا يكون مسلما الا باخلاص العمل لقوله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العـمل لله فبدأ به واشترطه للاسلام والاصل فى هذا انه لم يرد صلى الله عليه وسلم علم كل ما جاز أن يكون معلوما باجماع الامة انه لم يعن بذلك علم الطب أو علم النجوم ولا علم النحو أو الشعر أو المغازى وهذه تسمى علوما لانها تكون معلومة وأربابها علماء بها الا أن الشرع لم يرد بالامر بمقتضاها والامة مجمعة أيضا انه لم يرد بذلك علم الفتيا والقضاء ولا علم افتراق المذاهب واختـلاف الآراء وهذه تسمى علوما عند أهلها وبعضـها فرض على الكفاية وكلها ساقطة عن الاعيان والخبر جاء بلفظ العموم بذكر الكلية وبمعنى الاسم فقال طلب العـلم فريضة ثم قال على كل مسـلم بعد قوله اطلبوا العلم فكان هذا على الاعيان فكأنه على ما وقع عليه اسم العـلم ومعناه المعهود المعروف بادخال التعريف

فانك مطلوب وتذكر بقلبك يوم تقلب القلوب قبل أن يمسك اللسان و يتحير الانسان ويزول العرفان وتنشر الاكفان وتنزل الحفرة وتطول السفرة ويأتى منكر ونكير ويقوى الشهيق والزفير ويأتى العبد مسلفه و ينسى من خلفه ويبقى هنالك أسيرا الى أن يعود فيقوم عريانا حسيرا فحينئذ تبين الكرائم وتنشر الجرائم وتعظم المصائب وتنسد المذاهب وتثقل على الظهور الاوزار و يؤخذ الكتاب باليمين أو باليسار ليس لاحد هنالك قرار الا الجنة أو النار فبادروا رحمكم الله بالمتاب قبل أن تعاينوا هذه الاهوال والعذاب شعر

يا نفس قد طاب فى امهالك العمل
فاستدركى قبل أن يدنو لك الاجل

الى متى أنت فى لهو وفى عمه
يغرك الخادعان الحرص والامل

وأنت فى سكر سهو ليس يدفعه
عن قلبك الناصحان العتب والعذل

تزودى لطريق أنت سالكة
فيها فعما قليل يأتك المثل

ولا يغرك أيام الشباب ففى
أعقابها الموبقات الشيب والاجل

يا نفس توبى من العصيان واجتهدى
ولا يغرنك الابعاد والملل

عليه فاشير بالالف واللام اليه فاذا بطلت هذه الوجوه صح ان قوله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على
كل مسلم أى طلب علم ما بنى الاسلام عليه فافترض على المسلمين علمه فريضة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم
للاعرابى حين سأله أخبرنى ماذا افترض الله تعالى على وفى لفظ آخر أخبرنا بالذى أرسلك الله تعالى الينا
به فاخبره بالشهادتين والصلوات الخمس والزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت فقال هل على غيرها فقال لا
الا ان تطوع فقال والله لا أزيد عليه شيأ ولا أنقص منه شيأ فقال أفلح ودخل الجنة ان صدق فكان علم
هذه الخمس فريضة من حيث كان معلومه فريضة اذ لا عمل الا بعلم وقد قال عز وجل الا من شهد بالحق وهم
يعلمون وقال فى مثله حتى تعلموا ما تقولون وقال هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وقال بل
اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدى من أضل الله وقال تعالى ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون
انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وقال سبحانه وتعالى فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو وقال
فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهذه الآى افترض الله فيها طلب العلم وذلك الخبر الذى جاء فى أبنية
الاسلام الخمسة افترض رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه هذه الاعمال ثم قال مجملا طلب العلم فريضة ثم وكده
بقوله صلى الله عليه وسلم على كل مسلم فكان تفسير ذلك وتفصيله ان علم هذه الخمس التى هى بنية الاسلام
فرض لاجل فرضها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق مرسل انه مر برجل والناس
مجتمعون عليه فقال ما هذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر والانساب وأيام العرب فقال هذا علم
لا يضر جهله وفى لفظ آخر علم لا ينفع وجهل لا يضر وروينا فى الخبر ان من العلم جهلا وان من القول
عيا وفى الخبر الآخر قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وفى خبر غريب كل شئ يحتاج الى العلم والعلم
يحتاج الى التوفيق والخبر المشهور قوله صلى الله عليه وسلم أعوذ بك من علم لا ينفع فسماه علما اذ له معلوم
وان أصحابه علماء عند أصحابهم ثم رفع المنفعة عنهم واستعاذ بالله منه وقد روينا فى خبر ان الشيطان ربما
سبقكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسبقنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال فى العلم قائلا
وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل ففى هذا الخبر دليلان أحدهما انه أريد به طالب فضول العلم الذى لا نفع
له فى الآخرة ولا قربة فى طلبه من الله والثانى ان العلم المفضل المندوب اليه انما هو الذى يقتضى العمل
لان النبى صلى الله عليه وسلم لا يأمر بعمل بغير علم ولا يكره طلب علم للعمل به ألا تسمع الى قوله صلى الله عليه
وسلم فى الخبر الآخر فضل من علم أحب الى من فضل من عمل وخير دينكم الورع * ذكر فضل علم المعرفة
واليقين على سائر العلوم وكشف طريق علماء السلف الصالح من علماء الدنيا والآخرة * قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن ألوف من صحابته كلهم علماء بالله فقهاء عن الله تعالى أهل رضوان من الله تعالى ولم
ينصب نفسه الى الفتيا ولا حلت عنه الاحكام والقضايا الا بضعة عشر رجلا وكان ابن عمر اذا سئل عن الفتيا قال
اذهب الى الامير الذى تقلد أمور الناس فضعها فى عنقه وروى ذلك عن أنس ثم جماعة من الصحابة والتابعين
باحسان وكان ابن مسعود يقول ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وكان ابن عمر رضى الله
عنهما يسأل عن عشر مسائل فيجيب عن مسئلة ويسكت عن تسعة وكان ابن عباس على ضد ذلك كان
يسئل عن عشرة فيجيب فى تسعة ويسكت عن واحدة وكان من الفقهاء من يقول لا أدرى أكثر من أن
تقول أدرى منهم سفيان الثورى ومالك بن أنس وأحمد بن حنبل وفضيل بن عياض وبشر بن الحرث
رضى الله عنهم وكانوا فى مجالسهم يجيبون عن بعض ويسكتون عن بعض ولم يكونوا يجيبون فى كل ما يسئلون
عنه وروينا عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما منهم من أحد يسئل عن حديث أو فتيا الا ود ان أخاه كفاه ذلك وفى لفظ آخر كانت
المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر الى الآخر حتى ترجع الى الذى سئل عنها اول
مرة وروى عن ابن مسعود وابن عمر وغيرهما من التابعين وقد روينا مسندا لا يفتى الناس الا ثلاثة أمير

ثم احذرى موقفا صعبا لشدته
يغشى الورى المتلفتات الخوف والوجل
ويختم الفم والاعضاء ناطقة
فيظهر المفضحات الخطا والخطل
ويحكم الله بين الناس معدلة
فتدرك الحالتان البر والزلل

اللهم اعصمنا من الزلل والخطايا وارزقنا توبة نصوحا قبل فجأة المنايا وانفعنا ببركة الصالحين واحشرنا تحت أقدام المتقين

(فصل) فى الاحسان الى المماليك والجار قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وبالوالدين احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم خم عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن جعل الله أخاه تحت يديه فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما يغلبه فان كلفه ما يغلب فليعنه عليه ه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كفى بالرجل اثما أن يحبس عمن يملك قوته وفى رواية كفى بالمرء اثما أن يضيع من يقوت م عن أبى مسعود الانصارى قال كنت أضرب غلاما لى

أومأمورا ومتكاف تفصيل ذلك ان الامير هو الذى يتكلم فى علم الفتيا والاحكام كذلك كان الامراء يسئلون ويفتون والمأمور الذى يأمره الامير بذلك فيقيمه مقامه ويستعين به لشغله بالرعية والمتكاف هو القاص الذى يتكلم فى القصص السالفة ويقص أخبار من مضى لان ذلك لا يحتاج اليه فى الحال ولم يندب اليه من العلوم وقد تدخله الزيادة والنقصان والاختلاف فلذلك كره القصص فصار القاص من المتكلفين وقد جاء فى لفظ الحديث الآخر بتأويل معناه لا يتكلم على الناس الا ثلاثة أمير أو مأمور أو مراء فكان قولهم أمير هو المفتى فى الاقضية والاحكام كما ذكرنا آنفا ومعنى مأمور هو العالم بالله عز وجل الزاهد فى الدنيا يتكلم فى علم الايمان واليقين وفى علم القرآن والحث على مصالح أعمال الدين بأمر من الله تعالى اذن الله تعالى له فى ذلك بقوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه وقد كان أبو هريرة وغيره يقولون لولا آيتان فى كتاب الله تعالى ما حدثتكم بحديث أبدا ثم يتلو هذه والآية التى قبلها ويقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتى الله تعالى عالما علما الا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينه ولا يكتمه وأما المرائى فهو المتكلم فى علوم الدنيا الناطق عن الهوى يستميل بذلك قلوب الناس ويجتلب بكلامه المزيد من الدنيا والرفعة فيها وقال بعض العلماء كان الصحابة والتابعون باحسان يتدافعون أربعة أشياء الامانة والوديعة والوصية والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم الى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وقال بعض السلف كان شغل الصحابة والتابعين باحسان فى خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل كلام ابن آدم عليه لا له الا ثلاثا أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله تعالى وقال الله أصدق القائلين لا خير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس ورأى بعض أصحاب الحديث بعض فقهاء الكوفة من أهل الرأى بعد موته فى المنام قال فقلت له ما فعلت فيما كنت عليه من الفتيا والرأى قال فكره وجهه وأعرض عنى وقال ما وجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وحدثونا عن على بن نصر بن على الجهضمى عن أبيه قال رأيت الخليل بن أحمد فى النوم بعد موته فقلت ما أجد أعقل من الخليل لا سألنه فقال لى أرأيت ما كنا فيه فانى لم أر شيأ ما رأيت أنفع من قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وحدثونا عن بعض الاشياخ قال رأيت بعض العلماء فى المنام فقلت له ما فعلت تلك العلوم التى كنا نتجادل فيها ونتناظر عليها قال فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا ما انتفعت الا بركعتين حصلتا لى فى جوف الليل وحدثت عن أبى داود السجستانى قال كان بعض أصحابنا كثير الطلب للحديث حسن المعرفة به فمات فرأيته فى المنام فقلت ما فعل الله بك فسكت فأعدت عليه فسكت فقلت غفر الله لك قال لا قلت لم قال الذنوب كثيرة والمناقشة دقيقة ولكن قد وعدت بخير وأنا أرجو خيرا قلت أى الاعمال وجدتها فيما هنالك أفضل قال قراءة القرآن والصلاة فى جوف الليل قلت فأيما أفضل ما كنت تقرأ أو تقرئ فقال ما كنت أقرأ قلت فكيف وجدت قولنا فلان ثقة وفلان ضعيف فقال ان خلصت فيه النية لم يكن لك ولا عليك وحدثت عن بعض الشيوخ قال حدثنى أحمد بن عمر الخاقانى قال رأيت فى منامى كأنى فى طريق أمضى اذ صادفنى رجل فأقبل على وهو يقول وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله فقلت له لى تعنى فقال لك ولذاك الذى خلفك فالتفت فاذا سرى رحمه الله فأعرضت عن الرجل وأقبلت على السرى وقلت هذا استاذنا ومؤدبنا الذى كان يؤدبنا فى الدنيا ثم قلت له يا أبا الحسن انك قد صرت الى الله تعالى فأخبرنا بأى عمل تقبله الله تعالى فأخذ بيدى ثم قال تعال فجئت أنا وهو الى بنية مثل الكعبة فوقفنا الى جانبها اذا أشرف علينا من البنية شخص فأضاء ذلك الموضع منه فأومأ سرى اليه وأشار الى نحوه وكان سرى قصيرا وأنا أيضا قصير فمد ذلك الشخص الذى كان فوق البنية يده فأخذنى فشالنى اليه فلم أقدر أفتح عينى من أنوار كانت فى ذلك المكان ثم قال لى قد سمعت كلامك مع الشيخ

فسمعت من خلفى صوتا اعلم يا أبا مسعود الله أقدر عليك منك عليه فالتفت فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هو حر لوجه الله فقال أما لو لم تفعل للفحتك النار أو لمستك النار ٥ عن أم سلمة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول فى مرضه الصلاة وما ملكت أيمانكم ق ت قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة سيئ الملكة ت عن النبى صلى الله عليه وسلم من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة وروى الطبرانى عن جابر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة ذات الرقاع حتى اذا كنا بحرة واقم أقبل جمل يرقل حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يرغو على هامته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا الجمل يستعدينى على صاحبه يزعم انه كان يحرث عليه منذ سنين حتى اذا أجربه وأعجفه وكبر سنه أراد نحره اذهب يا جابر الى صاحبه فأت به قلت ما أعرفه قال انه سيدلك عليه قال فخرج بين يدى معنقا حتى وقف بى فى مجلس بنى خطمة فقلت أين رب هذا الجمل قالوا هذا لفلان بن فلان فجئته فقلت أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معى حتى اذا جاء

كل خلق فى القرآن محمود تفعله وكل خلق فى القرآن مذموم تنتهى عنه وحسبك هذا وقد حدثونا عن سرى السقطى قال كان شاب يطلب علم الظاهر و يواظب عليه ثم ترك ذلك وانفرد واشتغل بالعبادة فسألت عنه فاذا هو قد اعتزل الناس وقعد فى بيته يتعبد فقلت له قد كنت حريصا على الطلب لعلم الظاهر فما بالك انقطعت قال رأيت فى النوم قائلا يقول لى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت انى لاحفظه فقال ان حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على النظر فيه للعمل وقد كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ليس العلم بكثرة الرواية وانما العلم الخشية وقال غيره من الفقهاء انما العلم نور يقذفه الله تعالى فى القلب وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول اعلموا ما شئتم أن تعملوا فوالله لا يؤجركم الله تعالى عليه حتى تعملوا فان السفهاء همتهم الرواية وان العلماء همتهم الرعاية وروينا عنه أيضا انه قال ان الله لا يعبأ بذى قول ورواية انما يعبأ بذى فهم ودراية وقال أبو حصين ان أحدهم ليفتى فى مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أهل بدر وقال غيره يسئل أحدهم عن الشئ فيسرع للفتيا ولو سئل أهل بدر عنها لاعضلتهم وقال عبد الرحمن بن يحيى الاسود وغيره من العلماء ان علم الاحكام والفتاوى كان الولاة والامراء يقومون به وترجع العامة اليهم فيه ثم ضعف الامر وعجزت الولاة عن ذلك لميلهم الى الدنيا وشغلهم بالحروب عنها فصاروا يستعينون على ذلك بعلماء الظاهر وبالمفتين فى الجوامع فكان الامير اذا جلس للمظالم قعد عن يمينه وشماله مفتيان يرجع اليهما فى القضاء والاحكام ويأمر الشرط بمثل ذلك فكان من الناس من يتعلم علم الفتيا والقضاء ليستعين بهم الولاة على الاحكام والقضاء حتى كثر المفتون رغبة فى الدنيا وطلبا للرياسة ثم اختلف الامر بعد ذلك حتى تركت الولاة الاستعانة بالعلماء ومما يدلك على ذلك حديث عمر رضى الله عنه حيث كتب الى ابن مسعود عقبة بن عامر ألم أخبر انك تفتى الناس ولست بامير ولا مأمور وفى حديث أبى عامر الهروى قال حججت مع معاوية فلما قدمنا مكة حدث عن رجل يقضى و يفتى الناس مولى لبنى مخزوم فارسل اليه فقال أمرت بهذا قال لا قال فما حملك عليه قال نفتى وننشر علما عندنا فقال معاوية لو تقدمت اليك قبل يومى هذا لقطعت منك طابقا ثم نهاه ولم يكونوا يقولون ذلك فى علم القلوب ولا علم الايمان واليقين بل قد كتب عمر الى أمراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تجلى لهم أمور صادقة وقد كان عمر رضى الله عنه يجلس الى المريدين فيستمع اليهم وفى الخبر اذا رأيتم الرجل قد أوتى صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه تلقى الحكمة وقال بعض أصحاب الحديث رأيت سفيان الثورى حزينا فسألته فقال وهو برم ما صرنا الا متجرا لابناء الدنيا قلت وكيف قال يلزمنا أحدهم حتى اذا عرف بنا وحمل عنا جعل عاملا أو جابيا أو قهرمانا وكان الحسن يقول يتعلم هذا العلم قوم لا نصيب لهم منه فى الآخرة يحفظ الله تعالى بهم العلم على الامة لئلا يضيع وقال المأمون رحمه الله لولا ثلاث لخربت الدنيا لولا الشهوة لانقطع النسل ولولا حب الجمع لبطلت المعايش ولولا حب الرياسة لذهب العلم فهذا كله وصف علماء الدنيا وأهل علم الالسنة وأما علماء الآخرة واهل المعرفة واليقين فانهم كانوا يهربون من الامراء ومن اتباعهم وأشياعهم من اهل الدنيا وكانوا ينتقصون علماء الدنيا ويطعنون عليهم و يتركون مجالستهم وقال ابن أبى ليلى أدركت فى هذا المسجد مائة وعشرين من الصحابة ما سئل أحدهم عن حديث ولا استفتى فى فتيا الا ودّ ان صاحبه قد كفاه ذلك وقال مرة أدركت ثلثمائة يسئل أحدهم عن الفتيا أو الحديث فيرد ذلك الى الآخر و يحيل الآخر على صاحبه وكانوا يتدافعون الفتيا ما بينهم ولم يكونوا اذا سئل أحدهم عن مسئلة من علم القرآن أو علم اليقين والايمان يحيل على صاحبه ولا يسكت عن الجواب وقد قال الله سبحانه فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فهم أهل الذكر لله تعالى وأهل التوحيد والعقل عن الله تعالى ولم يكونوا يتلقنون هذا العلم دراسة من الكتب ولا يتلقاه بعضهم من بعض بالالسنة انما كانوا أهل عمل وحسن معاملات فكان أحدهم اذا انقطع الى الله تعالى واشتغل به واستعمله المولى بخدمته باعمال القلوب وكانوا عنده فى الخلوة بين يديه لا يذكرون سواه

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان جملك يزعم انك حرثت عليه زمانا حتى اذا أجربته واعجفته وكبرسنه امرت ان تنحره فقال والذى بعثك بالحق ان ذلك كذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هكذا جزاء المملوك الصالح ثم قال بعنيه قال نعم فابتاعه منه ثم أرسله صلى الله عليه وسلم فى الشجر حتى نصب سنامه فكان اذا اعتل على بعض المهاجرين والانصار من نواضحهم شئ اعطاه اياه فمكث كذلك زمانا خم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله قال الذى لا يأمن جاره بوائقه م عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه ه قال صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالذى يشبع و جاره جائع الى جنبه عن أبى هريرة قال قال رجل يا رسول الله ان فلانة تذكر من كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها غير انها تؤذى جيرانها بلسانها قال هى فى النار قال يا رسول الله فان فلانة تذكر من قلة صيامها وصدقتها وصلاتها فانها تبعث بالاثوار من الاقط ولا تؤذى بلسانها جيرانها قال هى فى الجنة ت قال

ولا يشتغلون بغيره فاذا ظهروا للناس فسألوهم الهمهم الله تعالى رشدهم ووفقهم اسد يد قولهم وآتاهم الحكمة ميراثا لاعمالهم الباطنة عن قلوبهم الصافية وعقولهم الزاكية وهممهم العالية فآثرهم بحسن توفيقه ان الهمهم حقيقة العلم وأطلعهم على مكنون السر حين آثروه بالخدمة وانقطعوا اليه بحسن المعاملة فكانوا يجيبون عما عنه يسألون بحسن اثرة الله تعالى لهم وبجميل اثره عندهم فتكلموا بعلم القدرة وأظهروا وصف الحكمة ونطقوا بعلوم الايمان وكشفوا بواطن القرآن وهذا هو العلم النافع الذى بين العبد وبين الله تعالى وهو الذى يلقاه به ويسأله عنه ويثيبه عليه وهو ميزان جميع الاعمال وعلى قدر علم العبد به تعالى ترجح أعماله وتضاعف حسناته وبه يكون عند الله تعالى من المقربين لانه لديه من الموقنين فهم أهل الحقائق الذين وصفهم على عليه السلام وفضلهم على الخلائق فقال فى وصفهم القلوب أوعية وخيرها أوعاها والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكيه العمل والمال تنقصه النفقة محبة العلم دين يدان به يكسبه الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد موته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء باقون مابقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما لو أجد له حملة بلى أجد لقنا غير مأمون يستعمل الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله تعالى على أوليائه ويستظهر بحججه على خلقه أو منقادا لاهل الحق ينزرع الشك فى قلبه بأول عارض من شبهة لابصيرة له وليسا من رعاة الدين فى شئ الاذا ولاذاك فمنهوم باللذة سلس القياد فى طلب الشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد لهواه أقرب شبها بهما الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذامات حاملوه بل لا تخلو الارض من قائم لله تعالى بحجة اما ظاهر مكشوف واما خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وأين أولئك الاقلون عددا الاعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى بهم حججه حتى يودعها نظراءهم ويزرعوها فى قلوب اشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الامر فباشروا روح اليقين فاستلانوا مااستوعر منه المترفون وانسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى أولئك أولياء الله من خلقه وعماله فى أرضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذه كلها أوصاف علماء الآخرة وهذه نعوت علم الباطن وعلم القلوب لاعلم الالسنة وكذلك وصفهم معاذ بن جبل رضى الله عنه فى وصف العلم بالله تعالى فيما رويناه من حديث رجاء بن حيوة بن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ قال تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لايعلمه صدقة وبذله لاهله قربة وهو الانيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على السراء والضراء والزين عند الاخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله تعالى به أقواما فيجعلهم الله فى الخير قادة وهداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أعمالهم ويقتدى بفعالهم وينتهى الى رأيهم وترغب الملائكة فى خلتهم وباجنحتها تمسحهم حتى كل رطب ويابس لهم مستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وانعامه والسماء ونجومها لان العلم حياة القلوب من العمى ونور الابصار من الظلم وقوة الابدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الابرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله تعالى وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه توصل الارحام العلم امام والعمل تابعه تلهمه السعداء وتحرمه الاشقياء فهذه أوصاف علماء الآخرة ونعت العلم الباطن وقد كان من أفضل الامراء بعد الخلفاء الاربعة عمر بن عبد العزيز فحدثونا عن زكريا بن يحيى الطائى قال حدثنى عمى زحر بن حصين ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الحسن رحمهما الله أما بعد فاشر على بقوم أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلن يريدوك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالاشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة وكان الحسن يتكلم فى بعض علماء البصرة ويذمهم

وكان

صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره فاتقوا الله عباد الله حق تقواه وراقبوه مراقبة من يعلم أنه يراه وتأهبوا لوثبات المنون فانها كامنة فى الحركات والسكون بينما المرء مسرور بشبابه مغمورا باعجابه مغرورا بسعة اكتسابه مستورا عما خلق له بما يغرى به اذ سعرت فيه الاسقام شهابها وكدرت له الايام شرابها وحومت عليه المنية عقابها وأعلقت فيه ظفرها وانيابها فسرت فيه أوجاعه وتنكرت عليه طباعه وأظل رحيله ووداعه وقل عنه ممنعه ودفاعه فاصبح ذا بصر حائر وقلب طائر ونفس غائر فى قطب هلاك دائر قد أيقن بمفارقة أهله ووطنه وأذعن بانتزاع روحه من بدنه فاوما الى حاضرى عواده موصيا لهم باصغر أولاده والنفس بالسياق تجذب والموت بالفراق يقرب والعيون لهول مصرعه تسكب والحامة عليه تعدد وتندب حتى تجلى له ملك الموت من حجبه فقضى فيه قضاء أمر به فعافه الجليس وأوحش منه الانيس وزود من ماله كفنا وحصل فى القبر بعمله مرتهنا وحيدا على كثرة الجيران بعيدا على

وكان أبو حازم وربيعة المدنيان يذمان علماء بنى مروان وقد كان الثورى وابن المبارك وأيوب وابن عون يتكلمون فى بعض علماء الدنيا من أهل الكوفة وكان الفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون فى بعض علماء الدنيا من أهل مكة والشام كرهنا تسمية المتكلم فيهم لان السكوت أقرب الى السلامة وكان بشر يقول حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى وقد كان سفيان الثورى امامه من قبله يقول لاهل علم الظاهر طلب هذا ليس من زاد الآخرة وقال ابن وهب ذكر طلب العلم عند مالك فقال ان طلب العلم لحسن وان نشره لحسن اذا صحت فيه النية ولكن انظر ماذا يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى ومن حين تمسى الى حين تصبح فلا تؤثرن عليه شيأ وقال أبو سليمان الدارانى اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وأما علم الايمان والتوحيد وعلم المعرفة واليقين فهو مع كل مؤمن موقن حسن الاسلام وهو مقامه من الله وحاله بين يدى الله ونصيبه منه فى درجات الجنة به يكون من المقربين عنده والعلم بالله تعالى والايمان به قرينان لا يفترقان فالعلم بالله تعالى هو ميزان الايمان به يستبين المزيد من النقصان لان العلم ظاهر الايمان يكشفه ويظهره والايمان باطن العلم يهيجه ويشعله فالايمان مدد العلم وبصره والعلم قوة الايمان ولسانه وضعف الايمان وقوته ومزيده ونقصه بمزيد العلم بالله عز وجل ونقصه وقوته وضعفه وفى وصية لقمان الحكيم لابنه يا بنى كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب كذلك لا يصلح الايمان الا بالعلم والعمل ومثل المشاهدة من المعرفة من اليقين من الايمان كمثل النشا من الدقيق من السويق من الحنطة والحنطة تجمع ذلك كله كذلك الايمان أصل ذلك والمشاهدة أعلى فروعه كالحنطة أصل هذه المعانى والنشا أعلى فروعها فهذه المقامات موجودة فى أنوار الايمان عددها علم اليقين ثم ان المعرفة على مقامين معرفة سمع ومعرفة عيان فمعرفة السمع فى الاسلام وهو انهم سمعوا به فعرفوه وهذا هو التصديق من الايمان ومعرفة العيان فى المشاهدة وهو عين اليقين والمشاهدة أيضا على مقامين مشاهدة الاستدلال ومشاهدة الدليل عنها فمشاهدة الاستدلال قبل المعرفة وهذه معرفة الخبر وهو فى السمع لسانها القول والواجد بها واجد بعلم اليقين من قوله تعالى بسبأ بنبأ يقين انى وجدت فهذا العلم قبل الوجد وهو علم السمع وقد يكون سببه التعليم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين أى جالسوا الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين لانهم علماؤه وأما مشاهدة الدليل فهى بعد المعرفة التى هى العيان وهو اليقين لسانه الوجد والواجد بها واجد قرب وبعد هذا الوجد علم من عين اليقين وهذا يتولاه الله تعالى بنوره على يده بقدرته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فوجدت بردها فعلمت فهذا التعليم بعد الوجد من عين اليقين باليقين وهذا من أعمال القلوب وهؤلاء علماء الآخرة وأهل الملكوت وأرباب القلوب وهم المقربون من أصحاب اليمين وعلم الظاهر من علم الملك وهو من أعمال اللسان والعلماء به موصوفون بالدنيا وصالحوهم أصحاب اليمين وجاء رجل الى معاذ بن جبل فقال اخبرنى عن رجلين أحدهما مجتهد فى العبادة كثير العمل قليل الذنوب الا انه ضعيف اليقين يعتريه الشك فى أموره فقال معاذ ليحبطن شكه اعماله قال فأخبرنى عن رجل قليل العمل الا انه قوى اليقين وهو فى ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول اعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقام قائما ثم قال ما رأيت الذى هو أفقه من هذا وقد روينا معناه مسندا قيل يا رسول الله رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال ما من آدمى الا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة وروينا فى حديث ابى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن (٣) أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار وفى وصية لقمان لابنه يا بنى لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء الا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يعمل العمل الضعيف اذا كان متيقنا أفضل من العمل

قرب المكان مقيما بين قوم كانوا فزالوا وجرت عليهم الحادثات فحالوا لا يخبرون بما اليه آلوا ولو قدروا على المقال لقالوا قد شربوا من الموت كأسا مرة ولم يفقدوا من أعمالهم ذرة وآلى عليهم الدهر ألية برة ان لا يجعل لهم الى دار الدنيا كرة كأنهم لم يكونوا للعيون قرة ولم يعدوا فى الاحياء مرة أسكنهم الله الذى أنطقهم وأبادهم الذى خلقهم وسيجددهم كما أخلقهم ويجمعهم كما فرقهم يوما يعيد الله العالمين فيه خلقا جديدا ويجعل الظالمين لنار جهنم وقودا

(فصل فى الشفقة) على الخلق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال النبى صلى الله عليه وسلم من عال على جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو هكذا وضم أصابعه ت قال النبى صلى الله عليه وسلم ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن خ م قال صلى الله عليه وسلم من ابتلى من هذه البنات بشئ فأحسن اليهن كن له سترا من النار خ م قال صلى الله عليه وسلم لا يرحم الله من لا يرحم الناس ت عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر

القوى الضعيف فى يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الاثم وقد كان يحيى بن معاذ يقول ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وان نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واليقين على ثلاث مقامات يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره فالعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء ويقين تصديق واستسلام وهذا فى الخبر والعالم به مخبر مسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الابرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك كقوله تعالى جده ومازادهم الا ايمانا وتسليما وقد يضعف هؤلاء بعدم الاسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم الى الاواسط ويكاشفون بها ويجعلون مزيدهم وانسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلوين الاشياء وتغيرها عليهم * المقام الثالث من اليقين وهو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله تعالى والنصيب منه لهم ويضعف بفقد الادلة وصمت القائلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا فى المعقول وهو يقين المتكلمين من عموم المسلمين من أهل الرأى وعلوم العقل والقياس والنظر وكل موقن بالله تعالى فهو على علم من التوحيد والمعرفة ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء ايمانه وقوته وايمانه على مقتضى معاملته ورعايته فاعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا المخصوص للمقربين فى مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى انسهم ولطيف تملقهم وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الانكار وفقد الشكوك وهذا العموم المؤمنين وهو من علم الايمان ومزيد التصديق وهذا لاصحاب اليمين وبين هذين مقامات لطبقات من أعلى طبقات المقربين الى أوسط المقامات ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين الى أعلى أواسط الاعلين * (ذكر بيان تفضيل علوم الصمت وطريق الورعين فى العلوم) وروينا فى الخبر العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدرى وعن الشعبى انه قال لا أدرى نصف العلم يعنى انه من الورع وكان الثورى رضى الله عنه يقول انما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل أحد يحسنه يعنى ان التورع والتوقف فى الامور هو سيرة المؤمنين وان لم يكونوا علماء لان الورع هو الجبن عن الاقدام والهجوم على الشبهات والوقوف عند المشكلات بسكون أو سكوت واليقين هو الاقدام على الاشياء ببصيرة وتمكين والقطع بالامر على علم وخبر فهذا صفة العلماء الموثوق بعلمهم لا يحسنه سواهم كما قال على عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية وقدمه امامه يوم الجمل وجعل يقول له أقدم أقدم ومحمد يتأخر وهو ركزه بقائم رمحه فالتفت اليه محمد ابنه فقال هذه والله الفتنة المظلمة العمياء فوكزه على برمحه ثم قال تقدم لا أم لك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها والمرء اذا قال لا أدرى فقد عمل بعلمه وقام بحاله فله من الثواب بمنزلة من درى فقام بحاله وعمل بعلمه فأظهره فلذلك كان قول لا أدرى نصف العلم ولان حسن من سكت لاجل الله تعالى تورعا كحسن من نطق لاجله بالعلم تبرعا وقال على بن الحسين ومحمد بن عجلان اذا أخطأ العالم قول لا أدرى أصيبت مقالته وقاله مالك والشافعى بعدهما واعلم ان مثل العلم والجهل فى تفاوت الناس فيهما مثل الجنون والعقل والمجانين طبقات كالعقلاء طبقات وكذلك الجهال طبقات كالعلماء فخصوص الجهال يشبهون عموم العلماء فهم يشتبهون على العامة حتى يحسبوهم علماء وهم مكشوفون عند العلماء بالله تعالى وكذلك العارفون يشتبهون على عموم العلماء وهم ظاهرون للموقنين وقال بعض العلماء العلم علمان علم الامراء وعلم المتقين فأما علم الامراء فهو علم القضايا وأما علم المتقين فهو علم اليقين والمعرفة وقد قال الله سبحانه فى وصف علم المؤمنين وذكر علم الايمان يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات فجعل المؤمنين علماء فدل على ان العلم والايمان لا يفترقان والواو هنا عند أهل اللغة للمدح لا للجمع العرب اذا مدحت بالاوصاف أدخلت الواو للمبالغة فقالوا فلان العاقل والعالم والاديب ومثل هذا قوله تعالى لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة كله نعت فالمؤمنون هم الراسخون فى العلم وهم المقيمون والمؤتون أيضا وكلهم وصف الراسخون فى العلم ولذلك

ق قال صلى الله عليه وسلم خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه تا قال صلى الله عليه وسلم من مسح رأس يتيم لم يمسحه الا لله كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات ومن أحسن الى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو فى الجنة كهاتين وقرن بين أصبعيه م قال صلى الله عليه وسلم المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله م قال صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى ههنا ويشير الى صدره ثلاث مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه وروى ابن عساكر فى تاريخه عن بعض أصحاب الشبلى قال رأيت الشبلى فى النوم بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه فقال يا أبا بكر أتدرى بماذا غفرت لك فقلت بصالح عملى قال لا فقلت باخلاصى فى عبوديتى قال لا فقلت بحجى وصومى وصلاتى قال لم أغفر لك بذلك فقلت بهجرتى الى الصالحين وبادامة أسفارى فى طلب العلوم فقال لا فقلت يارب هذه المنجيات التى كنت أعقد خنصرى

انتصب قوله والمقيمين الصلاة لانه مدح والعرب تنصب وترفع بالمدح وبمعناه قوله تعالى والراسخون فى العلم يقولون آمنا فوصف العلماء بالايمان كما وصف المؤمنين بالعلم وكذلك قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ومن هذا حديث أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أمتى خمس طبقات كل طبقة أربعون عاما فطبقتى وطبقة أصحابى أهل العلم والايمان والذين يلونهم الى الثمانين البر والتقوى والذين يلونهم الى المائة وعشرين أهل التواصل والتراحم فقرن العلم بالايمان وقدمهما على سائر الطبقات وقد قرن الله سبحانه الايمان بالقرآن وهو علم كما قرن القرآن بالايمان كما قال تعالى كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه فقيل القرآن وتكون الهاء عائدة الى الله تعالى فى أكثر الوجوه كما قال ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا فأهل الايمان هم أهل القرآن وأهل القرآن أهل الله وخاصته وقال المهدى لسفيان بن الحسين لما دخل عليه وكان أحد العلماء أمن العلماء أنت فسكت فأعاد عليه فسكت فقيل ألا تجيب أمير المؤمنين فقال يسألنى عن مسئلة لا جواب لها ان قلت لست بعالم وقد قرأت كتاب الله تعالى كنت كاذبا وان قلت انى عالم كنت جاهلا وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع عن أنس فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء قال من لم يخش الله تعالى فليس بعالم ألا ترى ان داود صلى الله عليه وسلم قال ذلك بأنك جعلت العلم خشيتك والحكمة والايمان بك فما علم من لم يخشك وما حكم من لم يؤمن بك وقد سمى عبد الله بن رواحة العلم ايمانا فكان يقول لاصحابه اقعدوا بنا نؤمن ساعة فيتذاكرون علم الايمان وقد جعل الله للمؤمنين سمعا وبصرا وقلبا وهذه طرائق العلم التى يؤخذ العلم منها وبوجدها وهى أصول العلم والنعم التى أنعم الله على الخلق بها وطالبهم بالشكر عليها فقال سبحانه والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيأ وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون فأثبت العلم بها بعد النفى بها له وقال تعالى فى وصف من لم يكن مؤمنا ونفى الغنية بالعلم بها وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ اذ كانوا يجحدون بآيات الله فمن آمن بآيات الله تعالى أغنى عنه سمعه وبصره وقلبه فكانت طرق العلم اليه * وقال عز وجل فى معنى ذلك أيضا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فلولا ان العلم يقع بالسمع والبصر والقلب ما نهى عما لا يعلم هذه الاشياء ففى النهى عن قفو ما لا يعلم هذه الاواسط ويتبعه اثبات العلم بها فكل مؤمن هو ذو سمع وبصر وقلب فهو عالم بفضل الله ورحمته

* ومما فضل الله تعالى به هذه الامة على سائر الامم وخصها به ثلاثة أشياء تبقية الاسناد فيهم يأثره خلف عن سلف متصلا الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والى من خلا من أنبيائنا وانما كانوا فيهم يستنسخون الصحف كلما اختلقت صحيفة جددت فكان ذلك أثرة لعلم فيهم والثانى حفظ كتاب الله تعالى المنزل عن ظهر غيب وانما كانوا يقرؤن كتبهم نظرا ولم يحفظ جميع كتاب أنزله الله تعالى قط غير كتابنا هذا الا ما ألهمه الله تعالى عزيرا من التوراة بعد ان كان بختنصر احرق جميعها عند احراق بيت المقدس فلذلك قال سبط من اليهود انه ابن الله تعالى الله عز عن ذلك علوا كبيرا لما خصه به وأفرده من حفظ جميع التوراة والثالث ان كل مؤمن من هذه الامة يسئل عن علم الايمان ويسمع قوله ويؤخذ من رأيه وعلمه مع حداثة سنه ولم يكونوا فيما مضى يسمعون العلم الا من الاحبار والقسيسين والرهبان لا غير من الناس وزادها رابعة على أمة موسى صلى الله عليه وسلم ثبات الايمان فى قلوبهم لا يعتريه الشك ولا يختلجه الشرك مع تقليب القلوب فى المعاصى وكانت أمة موسى عليه السلام تتقلب قلوبهم فى الشك والشرك كما تتقلب جوارحهم فى المعاصى فلذلك قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة بعد ان رأوا الآيات العظيمة من انفلاق البحر وسلوكهم فيه طرائق وانجاهم من الغرق وأهلك فرعون وروينا فى بعض الاخبار ان فى بعض الكتب المنزلة يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به ولا فى تخوم الارضين من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبره يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى

ظنى انك بها تعفو عنى فقال كل هذه لم أغفر لك بها فقلت الهى فبماذا قال أتذكر حين كنت تمشى فى دروب بغداد فوجدت هرة صغيرة قد أضعفها البرد وهى تنزوى الى جدار من الثلج والبرد فأخذتها رحمة لها فأدخلتها فى فرو كان عليك وقاية لها من ألم البرد فقلت نعم فقال برحمتك لتلك الهرة رحمتك

خ م عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله انصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تمنعه من الظلم فذلك نصرك اياه

خ م قال صلى الله عليه وسلم مثل المدهن فى حدود والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة فصار بعضهم فى أسفلها وصار بعضهم فى أعلاها فكان الذى فى أسفلها يمر بالماء على الذين فى أعلاها فتأذوا به فأخذ فاسا فجعل ينقر أسفل السفينة فأتوه فقالوا مالك قال تأذيتم بى ولا بد لى من الماء فان أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم وان تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم

ت عن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من

بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم و يغمركم وفى الانجيل مكتوب لا تطلبوا علم مالم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم وفى أخبارنا نحن من عمل بما يعلم ورثه الله علم مالم يعلم حتى قيل من عمل بعشر ما يعلم ورثه الله علم ما يجهل وقد روينا عن حذيفة بن اليمان انكم اليوم فى زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك و يأتى بعدكم زمان من عمل منهم بعشر ما يعلم نجا هذا لقلة العاملين وكثرة البطالين وفى كتابنا المجمل المختصر واتقوا الله و يعلمكم الله واتقوا الله واعلموا واتقوا الله واسمعوا واعلم أن من عمل بعلم أو نطق به فأصاب الحقيقة عند الله تعالى فله أجران أجر التوفيق وأجر العمل وهذا مقام العارفين ومن نطق بجهل أو عمل به وأخطأ الحقيقة فعليه وزران وهذا مقام الجهال ومن قال أو عمل بعلمه وأخطأ الحقيقة فله أجر لأجل العلم وهذا مقام علماء الظاهر ومن قال بجهل أو عمل عملا وأصاب الحقيقة فعليه وزر لتركه طلب العلم وهذا مقام جهلة العابدين ومثل العالم مثل الحاكم وقد قسم النبى صلى الله عليه وسلم الحكام ثلاثة أقسام فقال صلى الله عليه وسلم القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذاك فى الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو قضى بالجور وهو لا يعلم فهما فى النار ومن أحسن ما سمعت فى قوله تعالى يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم قيل العلم وريشا قيل اليقين ولباس التقوى أى الحياء وروينا عن وهب بن منبه اليمانى فى معناه الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم وقد أسنده حمزة الخراسانى عن الثورى فرفعه الى عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد رويناه أيضا مسندا قال مسعر عن سعد بن ابراهيم وسأله سائل أى أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله عز وجل وقال بعض العلماء لو قال لى قائل أى الناس أعلم لقلت أورعهم ولو قال لى قائل أى أهل هذه المدينة خير لقلت تعرفون أنصحهم لهم فاذا قالوا نعم قلت هو خيرهم وقال آخر لو قيل لى من أحمق الناس لاخذت بيد القاضى فقلت هذا وقال الله تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله وقولوا قولا سديدا فجعل تعالى مفتاح القول السديد والعلم الرشيد والسمع المكين التقوى وهى وصية الله تعالى من قبلنا وايانا اذ يقول الله سبحانه وتعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن ومداره عليها كمدار الرحى على الخشبان وروينا عن عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به وهو لا يطلبه ليعمل به وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض الا الورع وهم اليوم يتعلمون الكلام وفى الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أعطوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وفى الحديث فأما الذين فى قلوبهم زيغ الآية هم أهل الجدل الذين عنى الله تعالى فاحذروهم وعن بعض السلف يكون فى آخر الزمان علماء يغلق عنهم باب العمل و يفتح عليهم باب الجدل وفى بعض الاخبار انكم فى زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتى قوم يلهمون الجدل وعن ابن مسعود أنتم اليوم فى زمان خيركم فيه المسارع و يأتى بعدكم زمان خيركم فيه المتبين يعنى الآن لبيان الحق واليقين فى القرن الاول و بعد ذلك فى زماننا هذا لكثرة الشبهات والالتباس ودخول المحدثات مداخل الليل فى السير فأشكل الامر الا على الفرد الذى يعرف طرائق السلف فيجتنب المحدث كله وروينا عن بعض العلماء اذا أراد الله بعبد خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل واذا أراد الله بعبد سوأ أغلق عنه باب العمل وفتح عليه باب الجدل وفى الخبر المشهور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبغض الخلق الى الله عز وجل الالد الخصم وقد روينا خبرا الحياء والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وفى بعضها مفسرا والعى عى اللسان لا عى القلب والخبر الآخر ما رواه الحكم بن عيينة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتى قوم المنطق الا منعوا العمل وفى الحديث ان الله تعالى ليبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقرة الخلاء بلسانها والخلاء هو الحشيش الرطب وكان أحمد ابن حنبل يقول العلم انما هو ما جاء من فوق يعنى الهاما من غير تعليم وقال أيضا علماء أهل الكلام زنادقة وقال

عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم • عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله عز وجل الى جبريل عليه السلام أن أقلب مدينة كذا وكذا بأهلها فقال يارب ان فيهم عبدك فلانا لم يعصك طرفة عين قال فقال اقلبها عليه وعليهم فان وجهه لم يتمعر فى ساعة قط • عن معاوية أنه كتب الى عائشة أن اكتبى الى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى فكتبت سلام عليك أما بعد فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله الى الناس والسلام عليك شعر

أيها العاصى المسىء الى متى * تعصى الاله وتتندى بنواله
قم فى الدياجى طالبا الامانه * واخضع وذل لعزه وجلاله
واضرع اليه وناده بتذلل
يا من يجود على الكئيب الواله
يا من اذا سأل المقصر عفوه
فهو المجيب بفضله لسؤاله
مالى اليك وسيلة الا الرجا
وتشفعى بمحمد وبآله
المصطفى المختار أكرم شافع
فيمن يرجيه ليوم مآله
صلى عليك الله ماجن الدجى
وبدا الصباح بنور حسن جماله

اللهم انقلنا من ذل معصيتك الى عز طاعتك

قبله أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق ***بيان آخر في فضل علم الباطن على الظاهر*** مما يدلك على ان العلم الذي فضله العلماء وأعظموا ذكره وخطره ووصفوا به العالم ومدحوه به وجاءت بفضله الآثار وندب اليه وفضل في الاخبار أهله انما هو العلم بالله تعالى الدال على الله تعالى الراد اليه الشاهد بالتوحيد في علم الايمان واليقين وعلم المعرفة والمعاملة دون سائر علوم الفتيا والاحكام انهم يقولون من عمل بعلمه ويذكرون العمل بالعلم ويصفون جملته بالخشية والخشوع فهذا انما هو علم القلوب لا علم اللسان الذي يكون به العلم ولا تتأتى عنه المعاملات من أعمال الايمان مثل أعمال القلوب التي هي مقامات اليقين وصفات المتقين ومثل أعمال الجوارح من الصالحات التي هي مزيد الايمان والذين أربابها أهل الفقر والزهد وذو التوكل والخوف وأصحاب الشوق والمحبة وليس يعنون ان يكون الانسان اذا علم علم الاحكام والقضايا عمل بها والتزم الدخول في أحكامها العامل منها مثل ان يطلب القضاء فيقضي بين الناس اذا كان عالما به أو يقتني المال ويدخل في البيع والشراء اذا كان عالما بالزكوات والبياعات أو يتزوج النساء ويطلق لانه عالم بالنكاح والطلاق ليكون بهذه الاشياء عاملا بعلمه هذا ما قاله أحد بل قد روي في كراهة ذلك وذمه ما يكثر ذكره وأهل هذه العلوم موصوفون بالرغبة في الدنيا والحرص على جمعها ويلابسون الامراء فيعاملون لهم فبطل انهم هم المعنيون بالعلم الموصوفون بالخشوع والزهد ومثل ذلك أيضا تفضيل الجمهور من السلف العلم على العمل وقولهم ذرة من علم أفضل من كذا من العمل وركعتان من عالم أفضل من ألف ركعة من عابد وحديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والخبر المشهور كفضل القمر على سائر الكواكب وقول ابن عباس وسعد وقد روينا مسندا عالم واحد أشد على الشيطان من ألف عابد وكذلك قيل في موته أحب اليه من موت ألف عابد انما يعنون بذلك العلم بالله تعالى أفضل من العمل لان العلم بالله تعالى وصف من الايمان ومعنى من اليقين الذي لم ينزل من السماء أعز منه فهو لا يعادله شئ ولا يصح عمل ولا يقبل الا به ولانه معيار الاعمال كلها على وزنه تتقبل الاعمال قبولا حسنا بعضه أحسن من بعض ويثقل في الميزان ثقلا فوق ثقل ويرفع به العاملون في درجات علين بعضها من بعض وقد قال تعالى ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ثم قال فلنقصن عليهم بعلم وقال تعالى والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فلما كان العائد منه الى الربوبية أقرب كان أفضل والعمل وصف العامل وحكم العبودية لأنهم يعنون العلم بالفتيا والاحكام والقضاء التي هي أماكن الخلق عائدة عليهم أفضل من معاملات الله سبحانه وتعالى بالقلوب من مقامات التوكل والرضا والمحبة التي هي معاينة اليقين الذي هو مقام المقربين هذا لا يقوله عالم وقد روينا عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل الا تراه كيف جعل العلم دالا على الله تعالى كالجهاد وكذلك جاء في الخبر أول من يشفع الانبياء ثم الشهداء وفي الخبر للانبياء على العلماء فضل درجة وللعلماء على الشهداء فضل درجتين وقال ابن عباس في معنى قوله عز وجل يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات قال للعلماء درجات فوق الذين آمنوا بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين خمسمائة عام وقال ابن مسعود لما مات عمر رضي الله عنهما اني لاحسب انه ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل تقول هذا وفينا اجلة الصحابة فقال ليس أعني العلم الذي تريدون انما أعني العلم بالله تعالى فجعل العلم بالمعلومات غير حقيقة العلم وفضل العلم بالله تعالى بتسعة أعشارها وليس يزيد علم الظاهر على الاعمال كثير زيادة اذ هو من الاعمال الظاهرة لانه صفة اللسان ولانه للعموم من المسلمين فاعلى مقاماته الاخلاص فان فاتهم فهو دنيا كسائر الشهوات والاخلاص هو أول حال العالم بالله تعالى بالعلم الباطن ولانهاية لمقاماتهم الى أعلى مقامات العارفين ودرجات الصديقين

***(فصل)* في شرب الخمر** وسائر المسكرات قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون م لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه م عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يتب لم يشربها في الآخرة م عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى بعثني رحمة للعالمين وهدى للعالمين وأمرني ربي عز وجل بمحق المعازف والمزامير والاوثان والصلب وأمر الجاهلية وحلف ربي عز وجل بعزتي لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من خمر الا سقيته من الصديد مثلها ولا يتركها من مخافتي الا سقيته من حياض القدس اق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث اق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مدمن الخمر ان مات لقي الله تعالى كعابد وثن س عن أبي موسى انه كان يقول

*(باب ذكر الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة وذم علماء السوء) الآكلين بعلومهم الدنيا وقد فرقت العلماء بين العلم بالله تعالى وبين العلم بأمر الله تعالى وفرقوا بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة فقال سفيان العلماء ثلاثة عالم بالله وبأمر الله فذلك العالم الكامل وعالم بالله تعالى فذلك التقى الخائف وعالم بأمر الله تعالى غير عالم بالله تعالى فذلك العالم الفاجر وقيل أيضا عالم لله تعالى وهو العامل بعلمه وعالم بأيام الله تعالى وهو الخائف الراجي وسئل سفيان عن العلم ما هو فقال هو الورع قيل وأى شئ هو الورع فقال طلب العلم الذى يعرف به الورع وهو عند قوم طول الصمت وقلة الكلام وما هو كذلك انما هو المتكلم العالم عندنا أفضل من الصامت وروينا عن لقمان فى وصيته لابنه للعلم ثلاث علامات العلم بالله وبما يحبه الله تعالى وبما يكره فجعل حقيقة العلم ودليل وجوده هذه الثلاث ومما يدلك على الفرق بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ان كل عالم بعلم اذا رآه من لا يعرفه لم يتبين عليه اثر علمه ولا عرف انه عالم الا العلماء بالله عز وجل فانما يعرفون بسيماهم للخشوع والسكينة والتواضع والذلة فهذه صبغة الله تعالى لأوليائه ولبسته للعلماء به ومن أحسن من الله صبغة فمثلهم فى ذلك مثل الصناع اذ كل صانع لو ظهر لمن لا يعرفه لم يعرف صنعه دون سائر الصنائع ولم يفرق بينه وبين الصناع الا الصانع فانه يعرف بصنعته لأنها ظاهرة عليه اذ صارت له لبسة وصفة لالتباسها بمعاملته فكانت سيماه كما قيل ما ألبس الله تعالى عبدا لبسة أحسن من خشوع فى سكينة هى لبسة الانبياء وسيما الصديقين والعلماء فاعلم الناس بلطف ما يحب الله تعالى وخفى ما يكره أهل القلوب الفاقهة عن الله تعالى وهم العارفون به وقد كان سهل رحمه الله يقول العلماء ثلاثة عالم بالله تعالى وعالم لله تعالى وعالم بحكم الله تعالى يعنى العالم بالله تعالى العارف الموقن والعالم لله عز وجل هو العالم بعلم الاخلاص والاحوال والمعاملات والعالم بحكم الله تعالى هو العالم بتفصيل الحلال والحرام فسرنا ذلك على معانى قوله ومعرفة مذهبه وقد قال مرة فى كلام أبسط من هذا عالم بالله لا بأمر الله ولا بأيام الله وهم المؤمنون وعالم بأمر الله لا بأيام الله وهم المفتون فى الحلال والحرام وعالم بالله تعالى عالم بأيام الله وهم الصديقون يعنى قوله بأيام الله أى بنعمته الباطنة وبعقوباته الغامضة ثم قال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء نيام الا الخائفين والخائفون منقطعون الا المحبين والمحبون أحياء شهداء وهم المؤثرون لله تعالى على كل حال وقد كان يقول طلاب العلم ثلاثة واحد يطلبه للعمل به وآخر يطلبه ليعرف الاختلاف فيتورع ويأخذ بالاحتياط وآخر يطلبه ليعرف التأويل فيتناول الحرام فيجعله حلالا فهذا يكون هلاك الحق على يديه وقد حدثت عن أبى يوسف انه كان اذا صار رأس الحول وهب ماله لامرأته واستوهبها مالها فتسقط عنهما الزكاة فذكر ذلك لأبى حنيفة فقال ذلك من فقهه فانما طلب العلم لمعرفة الورع والاحتياط للدين فهذا هو العلم النافع فاذا طلب لمثل هذا والتأويل للهوى كان الجهل خيرا منه وصار هذا العلم هو الضار الذى استعاذ الرسول صلى الله عليه وسلم منه وروينا عن ابن عمر وغيره كم من عالم فاجر وعابد جاهل فاتقوا الفاجر من العلماء والجاهل من المتعبدين وعن عمر أيضا وقد رويناه مسندا اتقوا كل منافق عليم اللسان يقول ما تعرفون ويعمل ما تنكرون وروينا عنه أيضا تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وروينا عن على وابن عباس رضى الله عنهما وعن كعب الاحبار يكون فى آخر الزمان علماء يزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون ويخوفون ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ولا ينتهون ويؤثرون الدنيا على الآخرة ويأكلون الدنيا بألسنتهم أكلا يقربون الاغنياء ويباعدون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه اذا جالس غيره ذلك حظهم من العلم وفى حديث على رضى الله عنه علماؤهم شر الخليقة منهم بدت الفتنة وفيهم تعود وفى حديث ابن عباس أولئك الجبارون أعداء الرحمن وروينا عن على عليه السلام ما قطع ظهرى فى الاسلام الا رجلان عالم فاجر ومبتدع ناسك فالعالم الفاجر يزهد الناس فى

فما بالى شربت الخمر أو عبدت هذه السارية دون الله قال فى التمشية لارشاد الغاوى وما يغير العقل من غير سكر كالبنج والافيون والحشيشة يعزر عليها وقال الدميرى فى شرح المنهاج والصواب تحريم بيع الافيون والتجارة فيه لانه مسكر مخدر مفسد العقول والابدان والاديان اه فاتقوا الله عباد الله فى ازالة العقل فان الله تعالى أعطاكم العقل لتميزوا به الحسن عن القبيح فى أمر الدنيا والآخرة وميزكم بالعقل عن الحيوان فقد روى البيهقى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أول ما خلق الله عز وجل العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزتى وجلالى ما خلقت خلقا أعز على منك بك آخذ وبك أعطى وبك أحاسب وبك أعاقب فالعقل نعمة عظيمة ومنة جسيمة من الله تعالى بها على الانسان فمن أزال عقله بأكل المنهى عنه فقد أزال عنه نعمته التى بها صلاح الدنيا والدين فصار أخس من كلب لا يميز بين الطعام الحسن والجيفة القذرة كيف لا وان الكلب لا يعق وليه ويطيع مطعمه وهذا ترك طاعة خالقه الذى يطعمه ويكسوه ويعطيه جميع النعم ومال الى ما نهى عنه

علماء لما يرون من فجوره والمبتدع الناسك يرغب الناس فى بدعته لما يرون من نسكه وقال صالح بن حسان البصرى أدركت المشيخة وهم يتعوذون بالله تعالى من الفاجر العالم بالسنة وقال الفضيل بن عياض انما هما عالمان عالم دنيا وعالم آخرة فعالم الدنيا علمه منشور وعالم الآخرة علمه مستور فاطلب عالم الآخرة واحذر عالم الدنيا لا يصدنك بسكره ثم قرأ ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله قال فالاحبار العلماء والرهبان الزهاد وقال سهل بن عبد الله طلاب العلم ثلاثة فواحد يطلب علم الورع مخافة دخول الشبهة عليه فيدع الحلال خوف الحرام فهذا زاهد تقى وآخر يطلب علم الاختلاف والاقاويل فيدع ما عليه ويدخل فيما أباح الله تعالى بالسعة ويأخذ للرخصة وآخر يسأل عن شئ فيقال هذا لا يجوز فيقول كيف أصنع حتى يجوز لى فيسأل العلماء فيخبرونه بالاختلاف والشبهة فهذا يكون هلاك الخلق على يديه وقد أهلك نفسه وهم علماء السوء واعلم ان كل محب للدنيا ناطق بعلم فانه آكل للمال بالباطل وكل من أكل أموال الناس بالباطل فانه يصد عن سبيل الله لا محالة وان لم يظهر ذلك فى مقاله ولكنك تعرفه فى لحن معناه بدقائق الصد عن مجالسة غيره وبلطائف المنع من طرقات الآخرة لان حب الدنيا وغلبة الهوى يحكمان عليه بذلك شاء أم أبى وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يحب العالم المتواضع ويبغض الجبار من العلماء ومن تواضع لله تعالى ورثه الله تعالى الحكمة وفى الخبر عن ابن مسعود ان الله تعالى ليمقت الحبر السمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمالك بن الصيف حبر من أحبار اليهود فقال صلى الله عليه وسلم نشدتك الله تعالى ألم تجد فيما أنزل تعالى على موسى عليه السلام ان الله تعالى يبغض الحبر السمين وكان ابن الصيف سمينا فغضب عندها فقال ما أنزل الله على بشر من شئ ففيه نزلت هذه الآية تعريفا لهم قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا فقال له أصحابه ويحك ماذا قلت جحدت كتاب موسى فقال انه يحكى فقلت ذلك ويقال ما آتى الله تعالى عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك علامة العلم النافع وقد روينا معناه فى الاثر من آتاه عز وجل زهدا وتواضعا وحسن خلق فهو امام المتقين وكان الحسن يقول الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وفى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه يا داود لا تسألن عنى عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتى أولئك قطاع طريق عبادى المريدين يا داود ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتى ان أحرمه لذيذ مناجاتى يا داود اذا رأيت لى طالبا فكن له خادما يا داود من رد الى هاربا كتبته عندى جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا وروينا عن عيسى عليه السلام مثل علماء السوء مثل صخرة وقعت على فم النهر لا هى تشرب الماء ولا تترك الماء يخلص الى الزرع وكذلك علماء الدنيا قعدوا على طريق الآخرة فلا هم نفذوا ولا تركوا العباد يسلكون الى الله عز وجل قال ومثل علماء السوء كمثل قناة الحش ظاهرها حسن وباطنها نتن ومثل القبور المشيدة ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى وقال بشر بن الحارث من طلب الرياسة من العلماء فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه مقيت الله فى السماء والارض وكان الاوزاعى يروى عن بلال بن سعد انه كان يقول ينظر أحدكم الى الشرطى والعون فيستعيذ بالله تعالى من حاله ومقته وينظر الى عالم الدنيا قد تصنع للخلق وتشوف للطمع والرياسة فلا يمقته هذا العالم أحق بالمقت من ذلك الشرطى وقد كان أبو محمد يقول لا تقطعوا أمرا من الدين والدنيا الا بمشورة العلماء تحمدوا العاقبة عند الله قيل يا أبا محمد من العلماء قال الذين يؤثرون الآخرة على الدنيا ويؤثرون الله تعالى على نفوسهم وقد قال عمر رضى الله عنه فى وصيته وشاور فى أمورك الذين يخشون الله تعالى وروينا فى الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلثمائة وستين مصحفا فى الحكمة حتى وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الارض نفاقا ولم تردنى بشئ من ذلك وانى لا أقبل شيأ من نفاقك قال فاسقط فى يديه وحزن وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الاسواق وواكل بنى اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله تعالى الى النبى عليه السلام قل له

مما يصيبه به العذاب الاليم الذى لا يطيقه الجبال الرواسى فتب يا أخى عن القبيح ولا يردعك عن التوبة خوف العود فى الذنب وفى الروض الفائق قال منصور بن عمار رحمه الله كان لى أخ فى الله كثير العبادة والتهجد والبكاء ففقدته اياما فقيل لى هو ضعيف فدخلت داره فوجدته قد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فقلت له وانا خائف منه أكثر من قول لا اله الا الله فنظر الى شزرا ثم غشى عليه فقلت له أكثر من قول لا اله الا الله فنظر الى شزرا فلما قلت له فى المرة الثالثة قال يا أخى هذه كلمة حيل بينى وبينها فقلت له وأين تلك الصلاة والصيام والتهجد قال لى كل ذلك كان لغير وجه الله تعالى بل لاذكر به فاذا خلوت شربت الخمور وبارزت ربى بالمعاصى ودمت على ذلك مدة فاصابنى مرض أشرفت به على الهلاك فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذا القرآن اشفنى وانى لا أعود الى ذنب أبدا ففرج الله عنى ثم عدت الى ما كنت عليه من اللهو واللذات والزهو ثم وقعت بعد مدة فى مرضة أخرى ففعلت كذلك ففرج الله عنى ثم عدت الى اللهو والغى فوقعت فى هذه المرضة فرفعت المصحف وقلت

الآن وافقت رضاى وقال بعض العلماء كان أهل العلم على ضربين عالم عامة وعالم خاصة فاما عالم العامة فهو المفتى فى الحلال والحرام وهؤلاء أصحاب الاساطين وأما عالم الخاصة فهو العالم بعلم التوحيد والمعرفة وهؤلاء اهل الزوايا وهم المنفردون وقد كانوا يقولون مثل الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه مثل دجلة كل أحد يعرفها ومثل بشر بن الحارث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد وقال حماد بن زيد قيل لايوب العلم اليوم أكثر أو فيما مضى فقال العلم فيما مضى كان أكثر والكلام اليوم أكثر ففرق بين العلم والكلام وقد كانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر علما وكان أبو سليمان يقول المعرفة الى السكوت أقرب منها الى الكلام وقال بعض العارفين هذا العلم على قسمين نصفه صمت ونصفه تدرى أين تضعه وزاد آخر ونصفه وجد ونصفه نظار يعنى تفكرا واعتبارا وسئل سفيان عن العالم من هو فقال من يضع العلم فى مواضعه ويؤتى كل شئ حقه وقال بعض الحكماء اذا كثر العلم قل الكلام وقد كان ابراهيم الخواص رحمه الله يقول الصوفى كلما ازداد علما انقصت طينته وقال بعض شيوخنا قلت للجنيد يا أبا القاسم يكون لسان بلا قلب قال كثير قلت فيكون قلب بلا لسان فقال نعم قد يكون ولكن لسان بلا قلب بلاء وقلب بلا لسان نعمة قلت فاذا كان لسان وقلب قال فذاك الزبد بالنرسيان يعنى العسل وقد روينا حديثا مقطوعا عن سفيان عن مالك بن مغول قال قيل يارسول الله أى العمل افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل يارسول الله فاى الاصحاب خير قال صاحب ان ذكرت أعانك وان نسيت ذكرك قيل فاى الاصحاب شر قال صاحب ان سكت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قال فاى الناس أعلم قال أشدهم لله تعالى خشية قال فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى قالوا فاى الناس شر يارسول الله قال اللهم اغفر قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقد وصف على عليه السلام علماء الدنيا الناطقين عن الرأى والهوى بوصف غريب رويناه عن خالد بن طليق عن أبيه عن جده وجده عمران بن حصين قال خطبنا على بن أبى طالب عليه السلام ورضى عنه فقال ذمتى رهينة وانا زعيم لايهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لايعرف قدره وكفى بالمرء جهلا ان لايعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغار فى أغباش الفتنة عمى عما فى غيب الهدنة سماه أشباه الناس وارذالهم عالما ولم يغن فى العلم يوما سالما بكر فاستكثر مما قل منه خير مما كثر حتى اذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس مفتيا لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيا لها حشو الرأى من رأيه فهو من قطع الشبهات فى مثل غزل العنكبوت لايدرى أخطأ أم أصاب ركاب الجهالات خباط عشوات ظلمة لايعتذر مما لايعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتصرخ منه المواريث وتستحل بقضائه الفروج الحرام لاملى والله باصدار ما ورد عليه ولا هو أهل لما فرط به أولئك الذين حلت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا ووصف على عليه السلام علماء الآخرة فى حديث كهيل بن زياد الذى يقول فيه الناس ثلاثة عالم ربانى يعنى عالما بالربوبية فنسبه الى الرب كما سماهم الله فى قوله كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب الآية فسمى العالم بكتابه ربانيا والدارس له ربانيا فهذا قد جمع العلم والعمل وكذلك يقال العالم الربانى هو الذى يعلم ويعمل ويعلم الناس الخير قال فذاك الذى يدعى عظيما فى ملكوت السماء وقال تعالى فى تقدمتهم لولا ينهاهم الربانيون والاحبار فقدم الربانيين على الاحبار وهم علماء الكتب وكذلك رويناه عن مجاهد قال الربانيون فوق الاحبار درجة وقال غيره والاحبار فوق الرهبان يعنى علماء القلوب أرفع من علماء الالسنة والعلماء بالكتب أفضل من العباد بدرجة وقد ضمهم الله تعالى الى أنبيائه فى النصرة له والصبر معه فى قوله تعالى وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير ثم وصفهم بالثبات لامره والقوة فى دينه والصبر لحكمه فى تمام الآية وربيون جمع ربى يقال ربى وربانى

الهوى بحرمة هذا فرج عنى فسمعت هاتفا يقول ولم أر شخصه

شعر

تتوب من الذنوب اذا مرضتا
وترجع للذنوب اذا برئتا
اذا ما الضر مسك انت باك
وأخبث ما تكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلايا اذ بليتا
وكم غطاك فى ذنب وعنه
مدى الايام جهرا قد نهيتا
أما تخشى بان تأتى المنايا
وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا
عليك ولا ارعويت ولا خشيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا
وأنت لكل معروف نسيتا
فدارك قبل نقلك عن دارك * الى قبر اليه قد نعيتا

قال منصور فوالله ماخرجت من عنده الا وعينى تسكب العبرات فما وصلت الى الباب حتى قيل انه قد مات رزقنا الله واياكم حسن الخاتمة واعاذنا واياكم من ميتة السوء وغفر لنا ولوالدينا ولاستاذينا ولاحبابنا وللمسلمين والمسلمات

(فصل) فى الزنا قال الله سبحانه وتعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة أى أقبح المعاصى وساء سبيلا أى بئس مسلكا خ م عن ابن مسعود رضى الله عنه قلت يانبى الله أى الذنب أعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال ان تقتل ولدك مخافة ان

فجمع ربي ربيون وجمع رباني ربانيون وكذلك جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع يوم القيامة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فقدم العلماء على الشهداء لان العالم امام أمة فله مثل أجور أمته والشهيد عمله لنفسه وفي خبر آخر حبر العلماء يوزن بدم الشهداء فاعلى حال الشهيد دمه وأدنى وصف العالم حبره فسوى بينهما وزاد العالم على الشهيد بأعلى مقامه وكان علي عليه السلام يقول العالم أفضل من الصائم القائم والمجاهد في سبيل الله واذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقد روينا معناه مسندا اذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها شئ ما طرد الليل والنهار ألا موت العالم نجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم ثم قال علي عليه السلام في حديث كهيل ومتعلم على سبيل النجاة يعني مريدا طالبا للعلم متعلما من العلماء بالله تعالى على طريق معاملة واخلاص لطلب السلامة وان ينجو من الجهل في الدنيا ومن العذاب في الآخرة ثم قال وهمج رعاع الهمج الفراش الذي يتهافت في النار لجهله واحدته همجة رعاع خفيف طياش لا عقل له يستفزه الطامع و يستخفه الغضب و يزدهيه العجب و يستطيله الكبر ثم بكى علي عليه السلام وقال هكذا يموت العلم بموت حامليه ثم تنفس عند وصف الربانيين فقال واشوقاه الى رؤيتهم يعني الربانيين من العلماء وقد ذكرنا هذا الحديث بطوله في الباب الذي قبل هذا فهؤلاء الذين بكى عليهم شوقاهم الذين اشتاق رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم قبله فقال واشوقاه الى لقاء اخواني ووددت اني قد رأيت اخواني ثم قال هم قوم يجيؤن بعدكم ثم وصفهم فانما كانوا اخوانه لان قلوبهم على قلوب الانبياء عليهم السلام وأخلاقهم بمعاني صفات الايمان وهم ابدال هذه الامة جاء في وصفهم ما يجل عن الوصف هم على ثلاث طبقات صديقون وشهداء وصالحون وان منهم من قلبه على قلب ابراهيم الخليل ومنهم من قلبه على قلب موسى الكليم وعيسى الروح ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم وسلم أجمعين ومنهم قلبه على قلب جبريل وميكائيل واسرافيل والاخوة تقع بين الاثنين في المجانسة وقرب الشبه في الافعال والاخلاق كما قال الله عز وجل ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا لما كانوا على أوصافهم في القلوب من اسرار الكفر واعتقاد الشك جعلهم اخوانا وكذلك قال ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وهؤلاء ليسوا أمثالهم في الخلقة ولا بينهم أبوة ولا أمومة لان الشياطين من ولد ابليس والمبذرين أولاد آدم عليه السلام ولكن تشابهت قلوبهم في المواجيد والاخلاق والافعال فآخى بينهم للتشابه فمن كان من علماء الآخرة فعقله يستضئ عن أنوار قلبه وفهمه ينبئ عن استنباط علمه ومشاهدته وأخلاقه على معاني يقينه وقوته وطريقه وسلوكه في منهاج سنته وسبيله فهو من اخوانه واخوان النبيين الذين اشتاق الى رؤيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الغرباء بين الملأ الذين قال بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء قيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا افسد الناس وفي لفظ آخر الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أمات الناس من سنتي يعني انهم يظهرون طريقته التي تركها الناس وجهلوها وفي خبر آخرهم المتمسكون بسنتي وما أنتم عليه اليوم وفي حديث آخر الغرباء ناس قليلون صالحون بين ناس سوء كثير من يبغضهم أكثر من يحبهم فهؤلاء الغرباء الذين قد أنعم الله عليهم بمرافقة النبيين في أعلى عليين فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين الى قوله رفيقا وقد كان الثوري يقول اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط وقال أيضا اذا رأيت الرجل محببا الى اخوانه محمودا في جيرانه فاعلم انه مراء وقد وصف الله تعالى علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال تعالى في علماء الدنيا واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله ثمنا قليلا وقال في نعت علماء الآخرة وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم الى قوله لهم أجرهم عند ربهم وقد روينا عن الضحاك عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم علماء هذه الامة رجلان فرجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلي عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب

يطعم معك قلت ثم أي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما أي واديا في النار من دم وقيح و يقال جبا يضاعف له العذاب يوم القيامة و يخلد فيه مهانا أي ذليلا لانضمام الكبيرة الى الكفر الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات أي بنفس التوبة النصوح ففي صحيح مسلم عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه و يخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من الكبائر فيقال اعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول ان لي كبائر ذنوبا ما أراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه دس عن أبي هريرة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لما نزلت آية الملاعنة أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله في شئ ولن يدخلها الله الجنة وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤس

الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله تعالى يوم القيامة سيداً شريفاً حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله تعالى علماً في الدنيا فضن به عن عباد الله عز وجل وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً يأتي يوم القيامة ملجماً بلجام من نار ينادي مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله تعالى علماً في الدنيا فضن به على عباد الله تعالى وأخذ عليه طمعاً واشترى به ثمناً يعذب حتى يفرغ من حساب الناس ومن أغلظ ما سمعت فيمن أكل الدنيا بالعلم ما حدثوناه عن عتبة بن واقد عن عثمان بن أبي سليمان قال كان رجل يخدم موسى صلى الله عليه وسلم فجعل يقول حدثني موسى صلى الله عليه وسلم وحدثني موسى نجي الله حدثني موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى صلى الله عليه فجعل يسأل عنه فلا يحس له أثراً حتى جاءه رجل ذات يوم وفي يده خنزير وفي عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلاناً قال الرجل نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده الى حاله حتى أسأله فيما أصابه هذا فأوحى الله تعالى اليه ياموسى لو دعوتني بما دعاني به آدم فمن دونه ما أجبتك فيه ولكني أخبرك لم صنعت به هذا لأنه كان يطلب الدنيا بالدين وروينا عن الحسن أنه انصرف يوماً من مجلسه فاستأذن عليه رجل من أهل خراسان فوضع بين يديه كيساً فيه خمسة آلاف درهم وأخرج من حقيبته رزمة فيها عشرة أثواب من دقيق بز خراسان فقال الحسن ماهذا فقال يا أبا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال له عافاك الله ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالى يوم القيامة لا خلاق له وفي خبر ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وعلماء الدنيا الطالبون لها بالعلم الآكلون لها بالدين المتخذون الاصدقاء والاخلاء من أبنائها المكرمون المحبون لهم المقبلون بالبشر والبشاشة عليهم هم معروفون في كل زمان بأوصافهم ولحن قولهم وسيماهم وقد روينا في مقامات علماء السوء حديثاً شديداً نعوذ بالله من أهله ونسأله أن لا يبلونا بمقام منه فرويناه مرة مسنداً من طريق ورويناه موقوفاً على معاذ بن جبل رضي الله عنه وأنا أذكره موقوفاً أحب الي حدثونا عن منذر بن علي عن أبي نعيم الشامي عن محمد بن زياد عن معاذ بن جبل يقول فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقته أنا على معاذ قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفي الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السلطان فان رد عليه شئ من علمه أو تهاون بشئ من حقه غضب فذلك في الدرك الثاني من النار ومن العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً فذلك في الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتي بالخطأ والله عز وجل يبغض المتكلفين فذلك في الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك في الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروأة ونبلاً وذكراً في الناس فذلك في الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك في الدرك السابع من النار عليك بالصمت فبه تغلب الشيطان واياك أن تضحك من غير عجب أو تمشي في غير أرب وقد روينا حديثاً يدل على أوصاف علماء الآخرة وفيه أصول ما يدعون الخلق اليه من مقامات الايمان وأسباب الدين والايقان رويناه عن شقيق بن ابراهيم البلخي عن عباد بن كثير عن أبي الزبير عن جابر ذكره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووافقته أنا على جابر بن عبد الله قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة ومما يدلك أن علم اليقين والتقوى وعلم المعرفة والهدى هو العلم المذكور المقصود عند السلف أن الصحابة والتابعين كانوا يشفقون من فقد ذلك ويخافون عدمه ويخبرون عن رفعه وقلته في آخر الزمان وانما يعنون بذلك علم القلوب والمشاهدات الذي هو نتيجة التقوى وعلم المعرفة واليقين الذي هو من مزيد

الايمان

الخلائق في الاولين والآخرين م عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما أحد أغير من الله ان يزني عبده أو أمته تزني يا أمة محمد لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال بعض الصالحين بينا أنا أطوف بالكعبة اذا بجارية تقول يا كريم عهدك القديم فاني على عهدك مقيم فقلت للجارية وما العهد الذي بينك وبينه قالت يا أخي أمري عجيب وذلك أني ركبت في البحر فعصفت بنا ريح فدمرت كل من في السفينة وغرق كل من فيها فلم ينج منها غيري وهذا الطفل وبقيت على لوح ورجل أسود على لوح آخر فلما أصبح الصبح جعل يدافع الماء بذراعيه حتى وصل الي واستوى معنا على اللوح وجعل يراودني عن نفسي فقلت له يا عبد الله نحن في بلية لا نرجو السلامة منها بطاعة فكيف بالمعصية فقال دعيني فوالله لابد من ذلك ومد يده وأخذ الطفل ورمى به في البحر فقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الاسود بحولك وقوتك انك على كل شئ قدير واذا بدابة من دواب البحر قد فتحت فاها والتقمت الاسود وغابت به في البحر ورمت الامواج بي الى جزيرة من جزائر العرب وقصصت لهم قصتي

الايمان وثمرة الهدى فاذا فقد المتقون وقل الخائفون وعدم الزاهدون ذهبت هذه العلوم لانها قائمة بهم موجودة عندهم هم أربابها والناطقون بها وهى أحوالهم وطرائقهم هم السالكون لها والقائمون بها فلاجل معرفة الصحابة والتابعين عزة ذلك كانوا يبكون على فقده وقد وصف الله العلماء بالزهد فى الدنيا والاستصغار لها وبعمل الصالحات والايمان بها كما وصف أبناء الدنيا بالرغبة فيها والاستعظام لها قال تعالى فى معنى ذلك فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ثم قال عز وجل ولا يلقاها الا الصابرون أى لا يلقى هذه الحكمة الا الصابرون عن زينة الدنيا التى خرج فيها قارون وروينا عن جندب بن عبد الله البجلى قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غلمانا حزاورة فيعلمنا الايمان قبل القرآن ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا وعن ابن مسعود قال أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتى قوم يثقفونه تثقيف الغناء ليسوا بخياركم وفى لفظ آخر يقيمونه اقامة القدح يتعجلونه ولا يتأجلونه وروينا عن ابن عمر وغيره لقد عشنا برهة من دهرنا وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغى أن يتوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم اليوم القرآن ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحته الى خاتمته لا يدرى ما آمره ولا زاجره وما ينبغى أن يقف عنده وينثره نثر الدقل وفى الخبر الآخر بمعناه كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده ويقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم منه وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة فاما العلم المأثور الذى نقله خلف عن سلف والخبر المرسوم فى الكتب المستودع فى الصحف الذى يسمعه من غبر عمن قدم فهذا علم الاحكام والفتيا وعلم الاسلام والقضايا طريقه السمع ومفتاحه الاستدلال وخزانته العقل وهو مدون فى الكتب ومحبر فى الورق يتلقاه الصغير عن الكبير بالالسنة وهو باق ببقاء الاسلام وموجود بوجود المسلمين لانه حجة الله تعالى على عباده وحجة العموم من خلقه فضمن اظهاره فلم يكن ليظهر الا بحملة تظهره ونقلة تحمله فقال تعالى ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم بمعناه وعلم ظاهر على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن سمع منكم فأخبر صلى الله عليه وسلم بالعلم العتيد المستودع ظهور الكتب الذى هو ظاهر الدين وفى جهله وعدمه وجود الشرك كما ضمن الله تعالى تبقية الاسلام على كره المشركين وقال صلى الله عليه وسلم رحم الله من سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه فرب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وقد أخبر أن حامل الفقه قد يكون غير فقيه القلب اذا لم يعمل بعلمه وانه قد يحمله الى من هو أفقه منه اذا عمل به اذا وعاه كما قال فى الخبر الآخر رب مبلغ أوعى من سامع فمدحه بالعمل به اذا وعاه فتذكر به وتفكر فيه وان لم يكن سمعه منه صلى الله عليه وسلم وقال الله سبحانه وتعالى وتعيها اذن واعية يعنى اذن القلب الحافظة ما سمعت الذاكرة لما وعت كما قال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد يعنى أصغى بسمعه الى سامعه وشهد بقلبه ما سمعه من شاهده وقد جاء فى تفسير قوله تعالى وتعيها أذن واعية قال أذن عقلت عن الله تعالى أمره ونهيه فوعته وعملت به كما وصف سبحانه وتعالى المؤمنين الذين نعتهم بقوله فى تمام وصفهم والحافظون لحدود الله تعالى وقد روينا عن على رضى الله عنه اطلبوا العلم تعرفوا به واعملوا به تكونوا من أهله وقال أيضا رضى الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف من ضحك ضحكة مج مجة من العلم وقال الخليل بن أحمد رحمه الله ليس العلم ما حواه القمطر * انما العلم ما وعاه الصدر واذا جمع العالم ثلاثا تمت النعمة به على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة به على العالم العقل والادب وحسن الفهم والله أعلم

فتعجبوا من ذلك وقالوا لقد أخبرتنا بعجيب ونحن نخبرك بأمر تعجبين منه وذلك انا كنا سائرين فى البحر اذ اعترضتنا دابة وقعت امامنا واذا الطفل على ظهرها ومناد ينادى خذوا عنى من على ظهرى والا هلكتم فنزل واحد منا على ظهرها وأخذه وغاصت الدابة فى البحر وعاهدنا الله تعالى أن لا يرانا على معصية أبدا واعطونى الطفل أيها الغافل عن طاعة المولى أيها الحريص على اتباع الهوى كيف بك اذا انشقت السماء بالغمام ونزل الملائكة الكرام وأحاطت بك النيران وجمعت الانس والجان واشتد غضب الرحمن على أهل العصيان وكيف بك اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان مالها وذهلت كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد وكيف بك اذا غلت الرؤس من حر الشموس وطاشت العقول والنفوس وزفرت جهنم بالغضب وجثت الخلائق على الركب يوم يعض الظالم على يديه ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا يوم يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والاقدام قد جعل الله

(ذكر وصف العلم وطريقة السلف وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام)

لابد للعالم بالله تعالى من خمس هى علامة علماء الآخرة الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق والزهد قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال تعالى خاشعين لله الآية فلابد له من التواضع وحسن الخلق قال الله عز وجل واخفض جناحك للمؤمنين وقل انى أنا النذير المبين وقال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الآية والزهد فى الدنيا قال الله تعالى وقال الذين أوتوا الكتاب ويلكم ثواب الله خير فمن وجد فيه هذه الخلال فهو من العلماء بالله عز وجل واعلم انه انما يستبين العالم عند المشكلات فى الدين ويحتاج الى العارف عند شبهات حاكت الصدور كما قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لاتزالون بخير ما اذا حاك فى صدر أحدكم شئ وجد من يخبره به ويشفيه منه وايم الله أوشك أن لاتجدوا ذلك وكما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الناس أعلم فقال الله ورسوله أعلم فقال أعلمهم بالحق اذا اشتبهت الامور ووقعت المشكلات وان كان يزحف على أسته فكذلك اذا اختلف الناس وان كان فى عمله تقصير وكما قال فى حديث عمران بن حصين ان الله تعالى يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات ويحب السخاء ولو على تمرات ويحب الشجاعة ولو على قتل الحيات وقد حصلنا فى زماننا هذا فى مثل ماخافه ابن مسعود لان مشكلة لو وردت فى معانى التوحيد وشبهة لو اختلجت فى صدر مؤمن من معانى صفات الموحد وأردت كشف ذلك على حقيقة الامر بما يشهده القلب الموفق ويثلج له الصدر المشروح بالهدى كان ذلك عزيزا فى وقتك هذا ولكنت فى استكشاف ذلك بين خمسة نفر مبتدع ضال يخبرك برأيه عن هواه فيزيدك حيرة أو متكلم يفتيك بقصور علمه عن شهادة الموقنين وبقياس معقوله على ظاهر الدين وهذا شبهة فكيف تنكشف به شبهة أو صوفى شاطح تائه غالط يجاوز بك الكتاب والسنة لايبالى بهما ويخالف بقوله الائمة لايتحاشاها فيجيبك بالظن والوسواس والحدس والتمويه ويمحو الكون والمكان ويسقط العلم والاحكام ويذهب الاسماء والرسوم وهؤلاء تائهون فى مفازة التيه لم يقفوا على الحجة قد غرقوا فى بحر التوحيد لم يجعلوا أئمة المتقين ولاحجة للمتقين وهذا ساقط القول اذ ليس معه حجة ولا هو على سنن الحجة أو مفت عالم عند نفسه موسوم بالفقه عند أصحابه يقول لك هذا من أحكام الآخرة ومن علم الغيب لانتكلم فيه لانا لم نكلفه وهو فى أكثر مناظرته يتكلم فيما لم نكلف ويجادل فيما لم ينطق به السلف ويتعلم ويعلم ماعلمه به تكلف ولايعلم المسكين انه كلف علم يقين الايمان وحقيقة التوحيد ومعرفة اخلاص المعاملة وعلم مايقدح فى الاخلاص ويخرج من جملته قبل ماهو فيه لانه متكلف لبعض ماهو يبتغيه لان علم الايمان وصحة التوحيد واخلاص العبودية للربوبية واخلاص الاعمال من الهوى الدنيوية وما يتعلق بها من أعمال القلوب هو من الفقه فى الدين ونعت أوصاف المؤمنين اذ مقتضاه الانذار والتحذير لقوله تعالى ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم الآية ولقول الرسول صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين فانى متعلم معكم ولقول الصحابة رضى الله عنهم تعلمنا الايمان ثم تعلمنا القرآن فازددنا ايمانا فهذا مزيد الهداية بالايقان وهو زيادة المؤمنين فى الايمان كما قال تعالى فزادهم ايمانا وقال عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولا يشعر ان حسن الادب فى المعاملة بمعرفة ويقين هو من صفات الموقنين وذلك هو حال العبد فى مقامه بينه وبين ربه عز وجل ونصيبه من ربه تعالى وحظه من مزيد آخرته وذلك معقود بشهادة التوحيد الخالصة المقترنة بالايمان من خفايا الشرك وشعب النفاق وهو مقترن بالفرائض وفرض فرضها الاخلاص بالمعاملة وان علم ماسوى هذا انما قد أشرب بقلبه وحبب اليه من فضول العلوم وغرائب الفهوم انما هو حوائج الناس ونوازلهم فهو حجاب عن هذا واشتغال عنه فآثر هذا الغافل لقلة معرفته بحقيقة العلم النافع ماز بن له طلبه وحبب اليه قصده آثر حوائج الناس وأحوالهم على حاجته وحاله وعمل فى انصبتهم منه فى عاجل دنياهم من نوازل طوارقهم وفتياهم ولم يعمل فى نصيبه الاوفر من ربه الاعلى لاجل آخرته التى هى خير وأبقى اذ مرجعه اليها ومثواه المؤبد فيها فآثر التقرب منهم على القربة من ربه عز وجل وترك للشغل بهم حظه من الله تعالى

بعضهم سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا فهم فى جهنم يعذبون وعلى وجوههم يسحبون سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار وتقمعهم الزبانية بمقامع من حديد لو ضربت بها الجبال لطارت كالغبار ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا لهم فيها مايشاؤن خالدين كان على ربك وعدا مسؤلا اللهم اجعلنا من المتقين الذين كانت لهم الجنة دارا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا

(فصل) خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت رجلين أتيانى فأخذا بيدى فأخرجانى الى أرض مقدسة حتى أتينا الى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نار فاذا اوقدت ارتفعوا حتى كادوا يخرجون منها واذا خمدت رجعوا فيها وفيها رجال ونساء عراة فقلت ماهذا قالا هم الزناة (ا) عن عمرو بن العاص قال رسول

الاجل وقدم التفرغ لهم على فراغ قلبه لما قدم لغده من تقواه بالشغل بخدمة مولاه وطلب رضاه واشتغل بصلاح ألسنتهم عن صلاح قلبه وظواهر أحوالهم عن باطن حاله وكان سبب ما بلى به حب الرياسة وطلب الجاه عند الناس والمنزلة بموجب السياسة والرغبة فى عاجل الدنيا وعزها بقلة الهمة وضعف النية فى عاجل الآخرة وذخره فافنى أيامه لايامهم واذهب عمره فى شهواتهم ليسميه الجاهلون بالعلم عالما وليكون فى قلوب البطالين عندهم فاضلا فورد القيامة مفلسا وعندما يراه من أنصبة المقربين مبلسا اذفاز بالقرب العاملون وربح الرضا العالمون ولكن انى له وكيف بنصيب غيره وقد جعل الله تعالى لكل عمل عاملا ولكل علم عالما أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب كل ميسر لما خلق له هذا فصل الخطاب بينهما فان الامة لم تختلف ان علم التوحيد فريضة سيما اذا وقعت الشبهات وأدخلت فيه المشكلات وانما اختلفوا فى مسئلتين أى شئ هو التوحيد وفى كيفية طلبه والتوصل اليه فمنهم من قال بالبحث والطلب ومنهم من يقول بالاستدلال والنظر ومنهم من قال بالسمع والاثر وقال بعضهم بالتوقيف والتسليم وقال بعض الناس يدرك دركه بالعجز والتقصير عن بلوغ دركه والرجل الخامس من العلماء هو صاحب حديث وآثار وناقل رواية الاخبار يقول لك اذا سألته اعتقد التسليم وأمر الحديث كما جاء ولا تفتش وهذا يتلو المفتى فى السلامة وهو أحسنهم طريقة وأشبههم بسلف العامة خليقة ليس عنده شهادة يقين ولا معرفة بحقيقة ما رآه ولا هو مشاهد واصف لمعنى ما نقله انما هو للعلم رواية وللاثر والخبر ناقلة عن غير خبر بخبره ولا فقه فى نقله فهو على بينة من ربه وليس يتلوه شاهد منه وقد كان الزهرى يقول حدثنى فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول وكان عالما وكان مالك بن أنس رحمه الله يقول ادركت سبعين شيخا من التابعين منهم عباد ومنهم مستجاب الدعاء ومنهم من يستسقى به ما حملت عنهم علما قط قيل ولم ذاك قال لم يكونوا من أهل هذا الشأن وفى رواية لم يكونوا يدرون ما يحدثون به ولم يكن لهم فقه فيما يسألون عنه قال مالك وتقدم علينا ابن شهاب الزهرى وهو حديث السن فنزدحم عليه حتى لا نصل اليه لانه كان عالما بما يحدث به فهذا بمعنى ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وقال بعض السلف ما كانوا يعدون علم من لا يعرف اختلاف العلماء علما وقال آخر من لم يعرف اختلاف العلماء لم يحل له أن يفتى ولم يسم عالما وقال قتادة وسعيد ابن جبير أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس وقيل للامام أحمد رضى الله عنه اذا كتب الرجل مائة ألف حديث له أن يفتى قال لا قيل فمائتى ألف حديث قال لا قيل فثلاثمائة ألف حديث قال ارجو وفى التوراة مكتوب الطبيب الحاذق للعلة الباطنة يصلح وكتب سلمان الفارسى من المدائن الى أبي الدرداء وكان قد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فيمن آخى يا أخى بلغنى انك أقعدت طبيبا تداوى المرضى فانظر فان كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وان كنت متطبيبا فالله الله لا تقتل مسلما قال فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك اذا سئل عن شئ وسأله انسان عن شئ فأجابه ثم قال ردوه فقال له أعد على فأعاد فقال متطبب والله فرجع فى جوابه ولعمرى انه قد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم منه طب فقتل فهو ضامن وقد كان ابن عباس رضى الله عنه يقول سلوا جابر بن زيد فلو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان من صالحى التابعين وكان ابن عمر رضى الله عنهما اذا سئل عن شئ يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان أنس بن مالك رضى الله عنه يقولوا سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا وقال بعض البصريين قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتينا الحسن فقلنا ألا نذهب الى هذا الصحابى فنسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجئ معنا قال نعم فاذهبوا قال فجعلنا نسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يحدثنا حتى حدثنا عشرين حديثا قال والحسن ينصت يستمع اليه ثم جثا الحسن على ركبتيه فقال يا صاحب رسول الله أخبرنا بتفسير ما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نتفقه فيه فسكت الصحابى وقال ما عندى الا ما سمعت قال فابتدأ الحسن رحمه الله يفسر ما رواه فقال أما الحديث الاول

الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يظهر فيهم الزنا الا أخذوا بالسنة وما من قوم يظهر فيهم الرشا الا أخذوا بالرعب وفى الوسيط للواحدى باسناده عن على رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى الزنا ست خصال ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الآخرة فاما التى فى الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأما اللواتى فى الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول فى النار ونحوه فى الكشاف ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل الى رجل أتى رجلا او امرأة فى دبرها وفى بيان العمرانى روى معاوية ابن قرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما أحسن ما أثنى عليك ربك ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين فما قوتك وما أمانتك فقال جبريل عليه السلام أما أمانتى فما أمرت بشئ قط عدوت به الى غيره وأما قوتى فهو انى قلعت مدائن قوم لوط من الارض السفلى وكانت أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذرارى فهويت بها فى الهواء حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح الدجاج ونباح الكلاب حتى ألقيتها ويحرم اتيان المرأة المرأة

الذى حدثنا به فان تفسيره كيت وكيت والحديث الثانى تفسيره كذا وكذا حتى سرد عليه الاحاديث كلها التى حدثنا بها وأخبرنا بتفسيرها قال فلا ندرى نعجب من حسن حفظه اياه واداثه الحديث أو من علمه وتفسيره قال فأخذ الصحابى كفا من حصى وحصبنا به ثم قال تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم فهؤلاء أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يردون الامور فى الفتيا وعلم اللسان الى من هو دونهم فى القدر والمنزلة وهو فى علم التوحيد والمعرفة والايمان فوقهم درجات ولا يرجعون اليهم فى الشبهات ولا يردون اليهم فى علم المعرفة واليقين فهذا كما قيل انما العلم نور يقذفه الله تبارك وتعالى فى قلوب أوليائه فقد يكون ذلك تفضيلا للنظراء بعضهم على بعض وقد يكون تخصيصا للشباب على الشيوخ ولمن جاء بعد السلف من التابعين وربما كان تكرمة للخاملين المتواضعين لينبه عليهم ويعرفون شأنهم ليعظموا ويرفعوا كما قال الله تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم أئمة والنور اذا جعل فى الصدر انشرح القلب بالعلم ونظر باليقين فنطق اللسان بحقيقة البيان وهو الحكمة التى يودعها الله تعالى فى قلوب أوليائه كما جاء فى تفسير قوله عز وجل وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قيل الاصابة فى القول فكأنه يوفقه للحقيقة وقوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا قيل الفهم والفطنة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف الهداية حين تلا قوله عز وجل فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل يا رسول الله ماهذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فذكر سببه الزهد فى الدنيا والاقبال على خدمة المولى وحسن التوفيق والاصابة فى العلم مواهب من الله عز وجل وأثرة يختص بها من يشاء كما سئل أبو موسى الاشعرى وهو أمير الكوفة عن رجل قتل فى سبيل الله مقبلا غير مدبر أين هو فقال أبو موسى فى الجنة فقال ابن مسعود للسائل أعد على الامير فتيالك فلعله لم يفهم قال السائل قلت أيها الامير ماقولك فى رجل قاتل فى سبيل الله فقتل مقبلا غير مدبر أين هو فقال أبو موسى فى الجنة فقال ابن مسعود رضى الله عنه أعد على الامير فلعله لم يفهم فأعاد عليه ثلاثا كل ذلك يقول أبو موسى فى الجنة ثم قال ما عندى غير هذا فما تقول أنت فقال ابن مسعود لكنى لا أقول هكذا قال فما قولك فقال أقول ان قتل فى سبيل الله فأصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى صدق لا تسألونى عن شئ مادام هذا الحبر بين أظهركم والقول فى تسليم اخبار الصفات والسكوت عن تفسيرها كما قال أصحاب الحديث الان بعرفة معانى الاسماء والصفات وشهودها ينفى الظن والوسواس فيها وترك التشبيه والتمثيل بها والطمأنينة الى اليقين بالمعرفة بمشاهدتها هو مقام الموقنين واعتقاد انها صفات لله تعالى يتجلى بها وبما شاء من غيرها بلا حد ولا عدد يظهر بصفة صفة كيف شاء غير موقوف على صفة ولا محكوم عليه بصورة بلا اظهار غيرته بل هو كيف ظهر وبأى وصف تجلى مع نفى الكيفية والمثلية لفقد الجنس والجوهرية هو مقام المقربين من الشهداء وهؤلاء هم الصديقون وخصوص الموقنين فمن عدل به عن وجهة هؤلاء ولم يواجه بشهادتهم عدل الى التسليم والتصديق فوقف عند فكان معقله واستراحته وليس بعد هؤلاء مقام يمدح ولا وصف يذكر فمن فتش ذلك بعقله وفسره برأيه دخل عليه التشبيه أو خرج الى النفى والابطال ومن الدليل على فضل هذا العلم على سائر العلوم ماجاء فى الاخبار المأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين فى فضل مجالس الذكر وفضل الذاكرين انما يريدون به علم الايمان والمعرفة وعلوم المعاملات والتفقه فى بصائر القلوب والنظر بعين اليقين الى سرائر الغيوب وليس يريدون به مجالس القصص ولا يعنون بذلك القصاص لانهم كانوا يرون القصص بدعة ويقولون لم يقص فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى بكر ولا عمر حتى ظهرت الفتنة فلما وقعت الفتنة ظهر القصاص ولما دخل على رضى الله عنه البصرة جعل يخرج القصاص من المسجد ويقول لا يقص فى مسجدنا حتى انتهى الى الحسن وهو يتكلم فى هذا العلم فاستمع اليه ثم انصرف ولم يخرجه وجاء

ابن

قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان قال العلماء ويجب تعزيرهما وقال مالك يجب مائة جلدة ابن آدم تب من قبيح فعالك واهرب من ذميم خصالك قبل ان يعلق بقلبك سم ذنبك فيزول ايمانك من قلبك وفى الوسيط للواحدى قال ابن عباس كان فى بنى اسرائيل عابد عبد الله زمانا من الدهر حتى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوذهم فيبرؤن على يده وانه أتى بامرأة فى شرف قد جنت وكان لها اخوة فأتوه بها وكانت عنده فلم يزل به الشيطان يزين له حتى وقع عليها فحملت فلما استبان حملها قتلها ودفنها فلما فعل ذلك ذهب الشيطان حتى لقى أحد اخوتها رجلا رجلا فذكر ذلك له فجعل الرجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتانى آت فذكر لى شيأ يكبر على ذكره فذكر بعضهم لبعض حتى بلغ ذلك ملكهم فسار الملك والناس فاستنزلوه فأقر لهم بالذى فعل فأمر به فصلب فلما رفع على خشبة تمثل له الشيطان فقال انا زينت لك هذه والقيتك فيها فهل أنت مطيعى فيما أقول لك أخلصك مما أنت فيه قال نعم قال اسجد لى سجدة فقال فسجد له وقتل الرجل شعر

ابن عمر الى مجلسه من المسجد فوجد قاصا يقص فوجه اليه صاحب الشرطة ان أخرجه من المسجد فأخرجه فلو كان القصص من مجالس الذكر والقصاص علماء لما أخرجهم ابن عمر من المسجد هذا مع ورعه وزهده وقد روينا عن ابن شوذب عن أبي التياح قال قلت للحسن امامنا يقص فيجتمع الرجال والنساء فيرفعون أصواتهم بالدعاء ويمدون أيديهم فقال الحسن رفع الصوت بالدعاء بدعة ومد الايدى بالدعاء بدعة وروى أبو الاشهب عن الحسن القصص بدعة وقيل لابن سيرين لو قصصت على اخوانك فقال قد قيل لا يتكلم على الناس الا أحد ثلاثة امير أو مأمور أو أحمق فلست بأمير ولا مأمور وأكره ان أكون الثالث وروينا عن عون بن موسى عن معاوية بن قرة قال سألت الحسن البصرى قلت أعود مريضا أحب اليك أو أجلس الى قاص فقال عد مريضك فقلت أشيع جنازة أحب اليك أو أجلس الى قاص قال شيع جنازتك قلت وان استعان بي رجل فى حاجة أعينه أو أجلس الى قاص قال اذهب فى حاجتك حتى جعله خيرا من مجالس الفراغ فلو كانت مجالس الذكر عندهم هى مجالس القصاص ولو كان القصص هو الذكر لما وسع الحسن أن يثبط عنه ولا يؤثر عليه كثيرا من الاعمال لانه قد كان يدعو الى الله تعالى بالتوحيد ويتكلم فى علم المعرفة واليقين والذاكرين لله تعالى وحضور مجلس الذكر من مزيد الايمان وقد رفع الله تعالى مقام الذاكرين فوق مقام المؤمنين فى قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات فجعل الذاكرين والذاكرات أعلى المقامات وقد روينا فى خبر أبي ذر حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة قيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن فقال وهل تنفع قراءة القرآن الا بعلم وقال بعض السلف حضور مجلس ذكر يكفر عشرة من مجالس الباطل وأما عطاء فانه قال مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وحدثونا عن معاذ الاعلم قال رآنى يونس ابن عبيد وأنا فى حلقة المعتزلة فقال تعال فجئت فقال ان كنت لابد فاعلا فعليك بحلقة القصاص وقد كان الحسن البصرى أحد المذكرين وكانت مجالسه مجالس الذكر يخلو فيها مع اخوانه واتباعه من النساك والعباد فى بيته مثل مالك بن دينار وثابت البنانى وأيوب السختيانى ومحمد بن واسع وفرقد السبخى وعبد الواحد بن زيد فيقول هاتوا انشروا النور فيتكلم عليهم فى هذا العلم من علم اليقين والقدرة وفى خواطر القلوب وفساد الاعمال ووسواس النفوس وربما قنع بعض أصحاب الحديث رأسه فاختفى من ورائهم ليسمع ذلك فاذا رآه الحسن قال له يا لكع وأنت ما تصنع ههنا انما خلونا مع اخواننا نتذاكر والحسن رحمه الله هو امامنا فى هذا العلم الذى نتكلم به اثره نقفو وسبيله نتبع ومن مشكاته نستضىء أخذنا ذلك باذن الله تعالى اماما عن امام الى ان ينتهى ذلك اليه وكان من خيار التابعين باحسان قيل ما زال يبغى الحكمة أربعين سنة حتى نطق بها وقد لقى سبعين بدريا ورأى ثلثمائة صحابى وولد لليلتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه سنة عشرين من التاريخ ولد بالمدينة وكانت أمه مولاة لام سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ويقال انها ألقمته ثديها تعلله حين بكى فدر ثديها عليه وكان كلامه يشبه بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى عثمان بن عفان وعلى بن أبي طالب ومن بقى فى وقته من العشرة ثم رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من عهد عثمان ومن سنة نيف وعشرين من الهجرة الى سنة نيف وتسعين ومن آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبصرة أنس بن مالك وبالمدينة سهل بن سعد الساعدى وبمكة أبو الطفيل وباليمن أبيض ابن جمال المازنى وبالكوفة عبد الله بن أبي أوفى وبالشام أبو قرصافة وبخراسان بريدة الاسلمى ودخلت سنة مائة من التاريخ ولم يبق على وجه الارض عين تطرف رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع أطراف الارض ثم توفى الحسن فى سنة عشر ومائة وكان أبو قتادة العدوى يقول عليكم بهذا الشيخ فوالله ما رأينا أحدا لم يصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وكانوا يقولون كنا نشبهه بهدى ابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم فى حلمه وخشوعه ووقاره وسكينته فكان على شمائله ونذرت

فيا من بات يخلو بالمعاصى
وعين الله شاهدة تراه
أما تخشى من الديان طردا
وتحرم دائما أبدا نداه
تبارز بالمعاصى منك مولى
على جهل يراك ولا تراه
أتعصى الله وهو يراك دان
اليك وليس تخشى من سطاه
وتنكر فعلها وله شهود
بمكتوب عليك وقد حواه
فويل العبد من صحف وفيها
مساويه اذا وافى مساه
ويا حزن المسىء بشؤم ذنب
وبعد الحزن يكفيه جزاه
ويندم حسرة من بعد فوت
ويبكى حين لا يجدى بكاه
يعض يديه من ندم وحزن
ويندب حسرة ما قد عراه
فكن بالله ذا ثقة وحاذر
هجوم الموت من قبل أن تراه
وبادر بالمتاب وأنت حى
لعلك ان تنال به رضاه
ولذ بالمصطفى خير البرايا
رسول قد حباه واجتباه
عليه من المهيمن كل وقت
سلام عطر الدنيا شذاه
اللهم أفض علينا من بحر احسانك واجبرنا بغفرانك وارو عطاش قلوبنا برضوانك واكتب لنا توقيع امانك يا رب العالمين

(فصل فى حد الزنا) قال الله تعالى الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اعلم ان الزنا أقبح المعاصى وأشنعها

امرأة بالبصرة نذرا ان فعل الله تعالى ذلك بها أن تنسج ثوبا من غزلها وصفته وتكسوه خير أهل البصرة فرأت تمام نذرها فوفت بما نذرت ثم سألت من خير أهل البصرة فقالوا الحسن وكان الحسن رضي الله عنه أول من انتهج سبيل هذا العلم وفتق الالسنة به ونطق بمعانيه وأظهر أنواره وكشف به قناعه وكان يتكلم فيه بكلام لم يسمعوه من أحد من اخوانه فقيل له يا أبا سعيد انك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك فمن أخذت هذا فقال من حذيفة بن اليمان قيل وقالوا لحذيفة بن اليمان نراك تتكلم في هذا العلم بكلام لا نسمعه من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أين أخذته فقال خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وقال مرة فعلمت ان من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كان الناس يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الاعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وبسرائر العلم ودقائق الفهم وخفايا اليقين من بين الصحابة فكان عمر وعثمان وأكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن الفتن العامة والفتن الخاصة ويرجعون اليه في العلم الذي خص به ويسألونه عن المنافقين وهل بقي منهم ممن ذكر الله تعالى وأخبر عنهم أحد فكان يخبر باعدادهم ولا يذكر أسماءهم وكان عمر يستكشفه عن نفسه هل يعلم فيه شيئا من النفاق فبرأه منه ثم يسأله عن علامات النفاق وآية المنافق فيخبر من ذلك بما يصلح مما أذن له فيه ويستعفي مما لا يجوز له ان يخبر به فيعذر في ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها وان لم ير حذيفة لم يصل عليها وكان حذيفة يسمى صاحب السر وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سئلوا عن علم يقول أحدهم تسألوني عن هذا وصاحب السر فيكم يعني حذيفة وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه انه لما حدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في فضل مجالس الذكر لان أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب الي من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى يزيد الرقاشي وزياد النميري فقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم ويخطب على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله تعالى علينا وقد كان عبد الله بن رواحة يقول لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالوا حتى نؤمن ساعة فيجلسون اليه فيذكرهم العلم بالله تعالى والتوحيد والآخرة وكان يخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قيامه فيجتمع اليه الناس يذكرهم الله تعالى وأيامه ويفقههم فيما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فربما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيجلس اليهم ويأمرهم أن يأخذوا فيما كانوا فيه ويقول صلى الله عليه وسلم بهذا أمرت والى هذا دعوت وروي نحو هذا عن معاذ بن جبل رضي الله عنه وقد كان يتكلم بهذا العلم وقد روينا هذا مفسرا في حديث جندب كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعلمنا الايمان قبل أن نتعلم القرآن فسمى علم الايمان ايمانا كما سماه ابن رواحة لان علم الايمان وصف الايمان والعرب تسمي الشئ بوصفه وتسميه بأصله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مثله تعلموا اليقين أي علم اليقين وكما قال تعالى وابيضت عيناه من الحزن أي من البكاء فسماه بأصله لان الحزن أصل البكاء وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله تعالى ويرغبون اليه والآخر يتفقهون في الدين ويعلمون الناس فوقف بينهما ثم قال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وان شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس ويتفقهون في الدين وانما بعثت معلما ثم عدل الى الذين يفقهون الناس في الدين ويذكرون الله تعالى فجلس معهم ويحكى عن بعض السلف قال دخلت المسجد ذات يوم فاذا بحلقتين احداهما يقصون ويدعون والاخرى يتكلمون في العلم وفقه الاعمال قال فملت الى حلقة الدعاء

فجلست

ومن ثم أوجب الحد وهو جلد مائة وتغريب عام الى مسافة القصر ان لم يكن محصنا وان كان محصنا رجم لما اشتهر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رجم اليهوديين وماعزا والغامدية وعلى ذلك جرى الخلفاء بعدهم وعن عمرو ابن ميمون الاودي قال رأيت في الجاهلية قردة قد زنت فرجموها ورجمتها معهم ولا قصاص على قاتل الزاني المحصن وقاتل تارك الصلاة ولا دية عليه للمنتظر قتلهما أو كلاهما بخلاف الذمي ولا يجوز أعطاء الماء لهما ان كان لا يكفي الوضوء والغسل فعلى العاقل أن يحرس نفسه من هذه الخصلة الذميمة المحرمة في ملل جميع الانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم ولو استحل أحد الزنا أو ظن انه لا يحرم الزنا فقد كفر وان لم يقم عليه الحد في الدنيا وقع في العذاب الشديد والفضيحة العظيمة من الوقوع في ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته النار كما في البخاري وغيره ثم الوقوع في النار الكبرى يوم القيامة وغير ذلك من الشدائد والخزي العظيم ولذلك أقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحد على ولده أبي شحمة ففي المنتقى الديلمي عن ابن عباس

جلست اليهم فحملتني عيناي فنمت فهتف بي هاتف أو قال لي شخص جلست الى هؤلاء وتركت مجلس العلم أما لو جلست اليهم لوجدت جبريل صلى الله عليه وسلم عندهم فحقيقة الذكر هو العلم بالله تعالى الا تسمع الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر قول لا اله الا الله وقال سبحانه وتعالى في تصديقه فاعلم انه لا اله الا الله وقال في مثله فاعلموا انما أنزل بعلم الله وأن لا اله الا هو ثم ان العلم من الذكر علم المشاهدة والمشاهدة صفة عين اليقين فاذا كشف غطاء العين شهدت معاني الصفات بأنوارها وهو مزيد نور اليقين الذي هو كمال الايمان وحقيقته فهذا الذكر الموصوف بمشاهدة المذكور بنور وصفه ألم تر الى قوله تعالى وكانت أعينهم في غطاء عن ذكري فمن كانت عينه في كشف من ذكره شهد المذكور فعند هذا ذكر ثم توجد حقيقة العلم بعد نسيان الخلق كقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فحق الذكر نسيان ما سواه كما ان حقيقة الايمان الكفر بكل اله كقوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله وقال بعض أهل الحديث جاءني رجل من اخواني من أهل المعرفة فقال قد وجدت من قلبي غفلة فأريد أن تحملني الى مجلس من مجالس الذكر فقلت نعم فمضى له مذكرا يتكلم في علوم العامة قال فحضرنا عنده واجتمع الخلق فأخذ في شيء من القصص وذكر الجنة والنار فنظر الى صاحبي فقال أليس زعمت ان هذا يذكر الله ويذكر به عز وجل ويذكر أيامه فقلت نعم هكذا هو عندنا فقال ما أسمع الا ذكر الخلق فأين ذكر الله تعالى ثم توقف ساعة ينتظر منه ما يريد من علم المعرفة فتوسم ما سمعه من شيوخه الصوفية قال فليس الا القصص والحكايات فالتفت الي وقال قم بنا فانه لا يسعني الجلوس لانه لا نية لي في ذلك فقلت اما أنا فاستحيي أن أتخطى الناس فاصنع أنت ما ترى فقام يتخطى الناس حتى خرج وقد روى الزهري عن سالم عن ابن عمر انه خرج من المسجد وقال ما أخرجني الا القصاص ولولاه ما خرجت وقال ضمرة قلت للثوري رحمه الله نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الامير القصاص أن يقصوا وحدثنا عن أبي معمر عن خلف بن خليفة قال رأيت سيارا أبا الحكم يستاك على باب المسجد وقاص يقص في المسجد فجاءه رجل فقال يا أبا الحكم ان الناس ينظرونك فقال اني في خير مما هم فيه أنا في سنة وهم في بدعة وقد فعل الاعمش أبلغ من ذلك دخل البصرة وكان فيها غريبا فنظر الى قاص في الجامع وهو يقول حدثنا الاعمش عن أبي اسحق وحدثنا الاعمش عن أبي وائل قال فتوسط الاعمش الحلقة ورفع يده وجعل ينتف شعر ابطه فبصر به القاص فقال يا شيخ ألا تستحي نحن في علم وأنت تفعل هذا فقال له الاعمش الذي أنا فيه أفضل من الذي أنت فيه قال كيف قال لاني في سنة وأنت في كذب أنا الاعمش وما حدثتك مما تقول شيأ فلما سمع الناس ذكر الاعمش انفضوا عن القاص واجتمعوا حوله وقالوا حدثنا يا أبا محمد وأخبرونا عن محمد بن أبي هرون ان اسحق حدثه قال صليت مع الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه صلاة العيد فاذا قاص يقص يلعن المبتدعة ويذكر السنة فلما قضينا الصلاة ومررنا ببعض الطريق ذكر أبو عبد الله القاص فقال ما أنفعهم للعامة وان كان عامة ما يحدثون به كذبا وأخبرت عن محمد بن جعفر ان أبا الحرث حدثه انه سمع الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول أكذب الناس القصاص والسؤال وحدثونا عنه أيضا انه قال ما أحوج الناس الى قاص صدوق لانهم يذكرون الميزان وعذاب القبر قلت له أتحضر مجالسهم قال لا وروينا عن حبيب بن أبي ثابت عن زياد النميري قال أتيت أنس بن مالك وهو بالزاوية فقال لي قص فقلت كيف والناس يزعمون انه بدعة فقال ليس شيء من ذكر الله تعالى بدعة قال فقصصت وجعلت أكثر قصصي ودعائي رجاء أن يؤمن قال فجعلت أقص وهو يؤمن وقد كانوا يجعلون الدعاء قصصا وحدث يوسف بن عطية عن محمد بن عبد الرحمن الخراز قال فقد الحسن عامر بن عبد الله العنبري فقال اذهبوا بنا الى أبي عبد الله فأتاه الحسن فاذا عامر في بيت قد لف رأسه وليس في البيت الارمل فقال له الحسن يا أبا عبد الله لم نرك منذ أيام فقال اني كنت أجالس هذه المجالس فأسمع تخليطا وتغليطا واني كنت أسمع

رضي الله عنهما قال كنت ذات يوم في المسجد وعمر جالس والناس حوله اذ أقبلت جارية فقالت ان ولدك أبا شحمة جرني الى حائط بني النجار ونال مني ما ينال الرجل من المرأة فوضعت منه هذا الغلام فاحكم بحكم الله بيني وبينه فأمر عمر مناديا فنادى فأقبل الناس يهرعون اليه فقام عمر وقال لا تفرقوا حتى آتيكم ثم خرج ثم قال لي أسرع معي فلم يزل حتى أتى منزله فدخل على أبي شحمة وهو على الطعام فقال كل فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه وارتعد وسقطت اللقمة من يده فقال له عمر هل دخلت حائط بني النجار فرأيت امرأة فواقعتها قال قد كان ذلك وأنا تائب فجره عمر الى المسجد فقال يا أبت لا تفضحني وخذ السيف وقطعني اربا اربا قال أوما سمعت قوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ثم جره الى بين يدي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وقال صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت وكان له مملوك يقال له أفلح فقال يا أفلح خذ ابني هذا اليك واضربه مائة سوط ولا تقصر في ضربه فنزع ثيابه وضج الناس بالبكاء والنحيب وجعل الغلام

مشيختنا فيما يروون عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه كان يقول ان أصفى الناس ايمانا يوم القيامة أكثرهم فكرة في الدنيا وأكثر الناس ضحكا في الجنة أكثرهم بكاء في الدنيا وأشد الناس فرحا في الآخرة أطولهم حزنا في الدنيا فوجدت البيت أخلى لقلبي وأقدر لي من نفسي على ما أريد منها قال الحسن اما انه لم يعن مجالسنا هذه انما عنى مجالس القصاص في الطرق الذين يخلطون و يغلطون و يقدمون ويؤخرون وقد قسم بعض العلماء المتكلمين ثلاثة أقسام فوصفهم بأماكنهم فقال المتكلمون ثلاثة أصحاب الكراسي وهم القصاص وأصحاب الاساطين وهم المفتون وأصحاب الزوايا وهم أهل المعرفة فمجالس أهل العلم بالله تعالى وأهل التوحيد والمعرفة هي مجالس الذكر وهي التي جاءت فيها الآثار وفي الخبر اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا فيها قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر وفي الحديث ان لله تعالى ملائكة سياحين في الهواء فضلا عن كتاب الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم حتى يجلسوا اليهم فيحفون بهم و يستمعون منهم ألا فاذكروا الله واذكروا أيامه وقال وهب بن منبه اليماني مجلس يتنازع فيه العلم أحب الى من قدره صلاة لعل أحدهم يسمع الكلمة فينتفع بها السنة أو ما بقي من عمره وسئل أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى عن مجالس الذكر وفضلها فرغب فيها وقال رحمه الله وأي شئ أحسن من أن يجتمع الناس فيذكرون الله عز وجل و يعددون نعمه عليهم كما قالت الانصار وروينا عن علي كرم الله وجهه ما يسرني ان الله تعالى أماتني طفلا وأدخلني الدرجات العلى من الجنة قيل ولم قال لانه أحياني حتى عرفته وقال مالك بن دينار خرج الناس من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شئ فيها قيل وما هو قال المعرفة ثم أنشأ يقول

ان عرفان ذي الجلال لعز * وضياء وبهجة وسرور * وعلى العارفين أيضا بهاء
وعليهم من المحبة نور * فهنيئا لمن عرفك الهي * هو والله دهره مسرور

وقال يحيى بن معاذ الرازي في الدنيا جنة من دخلها لم يشتق الى شئ ولم يستوحش قيل وما هي قال معرفة الله تعالى وقال آخر لم يخطئك من العارف احدى ثلاث خلال تدل عليه هيبة أو حلاوة أو أنس وقال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله خرج العلماء والزهاد والعباد وقلوبهم مقفلة ولم يفتح الا قلوب الصديقين والشهداء ثم تلا وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو يعني مقفلة عن مفاتح المعرفة وشهادة عين التوحيد فمجالس الذكر هذه قديما كانت لاهل المعرفة وأصحاب معاملات القلوب وعلم الباطن وهم علماء الآخرة وأهل الفقه في الدين وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين الآية فذكر الفقه الذي هو من صفة القلب والخوف الذي هو سبب الفقه وعلم العقل داخل في علم الظاهر والعلم بالله داخل في اليقين كما روي في الخبر اليقين الايمان كله وقال الله تعالى وما يعقلها الا العالمون فجعل العقل وصفا من العلم وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم اليقين كما أمر بطلب العلم فكان هذا الحديث مخصوصا من ذلك فيكون قوله صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين للخصوص لان اليقين مقام فوق العلم ويكون قوله طلب العلم فريضة للعموم وفي قوله تعلموا اليقين أمر بمجالسة الموقنين لان اليقين لا يظهر بذاته وانما يوجد عند الموقنين فقد أمرهم ولم يقل تعلموا علم المعقول ولا علم الفتاوى وكان علماء الظاهر قديما يسمون المفتين ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتاك المفتون فرده الى فقه القلب وصرفه عن فتيا المفتين فلولا أن القلب فقيه لم يجز أن يرده صلى الله عليه وسلم على غير فقيه ولولا أن علم الباطن حاكم على علم الظاهر ما دفعه من علوم أهل الظاهر وهم علماء الالسنة الى علم الباطن وهو علم أهل القلوب ما رده اليه ولا يجوز أن يرده من فقيه الى فقيه دونه كيف وقد جاء هذا الحديث بلفظ مؤكد بالتكرير والمبالغة فقال استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وهذا مخصوص لمن كان له قلب وألقى سمعه وشهد قيام شاهده وعرى عن شهواته ومعهوده لان الفقه ليس من وصف اللسان ألم تسمع قوله تعالى لهم

يشير الى أبيه يا أبت ارحمني فقال عمر وهو يبكي وانما أفعل هذا كي يرحمك ربك ويرحمني ثم قال يا أفلح اضرب فضربه وهو يستغيث وعمر يقول اضربه حتى بلغ سبعين فقال يا أبت اسقني شربة من ماء فقال يا بني ان كان ربك راضيا عنك اسقيك محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا تظمأ بعدها أبدا يا غلام اضربه فضربه حتى بلغ ثمانين فقال له يا أبت السلام عليك فقال وعليك السلام ان رأيت محمدا صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام وقل له خلفت عمر يقرأ القرآن ويقيم الحدود يا غلام اضربه فلما بلغ تسعين انقطع كلامه وضعف فرأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا عمر انظر ما بقي اخره الى يوم آخر فقال كما لم تؤخر المعصية لم تؤخر العقوبة وجاء الصريخ الى أمه فجاءت باكية صارخة وقالت يا عمر أحج بكل ضربة حجة ماشية وأتصدق بكذا وكذا درهما فقال ان الحج والصدقة لا ينوب عن الحد اضربه فلما كان آخر ضرب وقع الغلام ميتا فصاح وقال يا بني محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول بأبي من قتله الحق بأبي من مات عند انقضاء الحد بأبي من لم يرحمه أبوه وأقاربه

قلوب لا يفقهون بها فمن كان له قلب سميع بسميع شهيد بشهيد فقه به الخطاب فاستجاب لما سمع وأناب وذكر في قوله تعالى ليتفقهوا في الدين وصفين ظهرا عن الفقه أحدهما النذارة وهو مقام في الدعوة الى الله عز وجل ولا يكون النذير الا مخوفا ولا يكون المخوف الا خائفا والخائف عالم والثاني الحذر وهو حال من المعرفة بالله عز وجل وهو الخشية له والفقه والفهم اسمان لمعنى واحد والعرب تقول فقهت بمعنى فهمت وقد فضل الله تعالى الفهم عنه على العلم والحكمة ورفع الافهام على القضاء والاحكام فقال تعالى ففهمناها سليمان فأفرده بالفهم عنه وهو الذي فضله به على حكم أبيه في القضية بعد أن أشركهما في الحكم والعلم وقد فضل الحسن بن علي رضي الله عنهما علماء الهداية الى الله سبحانه وتعالى الدالين عليه عز وجل وسماهم العلماء وحققهم بالعلم في كلام روي لنا عنه منظوما وقد رويناه أيضا عن علي كرم الله وجهه ورضي عنه

ما الفخر الا لاهل العلم انهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء
ووزن كل امرئ ما كان يحسنه * والجاهلون لاهل العلم أعداء

فمن كان عالما يعلم معلومه الله سبحانه وتعالى فمن أفضل منه وأي قيمة تعرف له اذ كل علم قيمته معلومه ووزن كل عالم علمه وقد قال عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين كلاما في هذا المعنى و يفرد به العلماء بالله تعالى و يرفع طريقتهم فوق كل طريق أنشدوناه عنه رحمه الله تعالى

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تسلك مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وروينا عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال لما مات عمر رضي الله عنه اني لاحسب هذا الرجل قد ذهب بتسعة أعشار العلم فقيل له تقول هذا وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم متوافرون فقال اني لست أعني العلم الذي تذهبون اليه انما أعني العلم بالله عز وجل وكان ابن مسعود يقول المتقون متوا رون وكذلك كان يقول المتقون سادة والعلماء قادة ومجالستهم زيادة يعني ان المتقين سادة الناس كما قال الله عز وجل ان أكرمكم عند الله أتقاكم والعلماء قادة المتقين أي أئمتهم يقتفون آثارهم لانه قال تعالى واجعلنا للمتقين اماما ففضل العلماء على المتقين وجعلهم أئمة لهم صار المتقون أصحابهم وأخبر بالمزيد في مجالستهم أي مجالستهم زيادة على مجالسة المتقين غير العلماء لان كل عالم تقي وليس كل تقي عالما كما روي بمعناه العلماء كثير والحكماء من العلماء قليل والصالحون كثير والصادقون من الصالحين قليل وسئل ابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال من يأكل بدينه وقال مرة في رواية الذين يتلبسون و يطلبون و يتعرضون للشهادات وقال فرقد السنجي للحسن رحمهما الله تعالى في شئ سأله عنه فأجابه يا أبا سعيد ان الفقهاء يخالفونك فقال ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت بعينيك فقيها انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف عن أعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم جمعنا قوله هذا في ثلاث روايات عنه مختلفة فهذه صفات العالم بالله تعالى وهم العارفون وحدثنا عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال قلت لابي بلغنا انك كنت تختلف الى معروف أكان عنده حديث فقال يا بني كان عنده رأس الامر تقوى الله عز وجل وقيل للامام أحمد رضي الله عنه بأي شئ ذكر هؤلاء الائمة ووصفوا فقال ماهو الا الصدق الذي كان فيهم قيل له وما الصدق قال هو الاخلاص قيل له فالاخلاص ماهو قال الزهد قيل وما الزهد فأطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحرث وقد حدث عن بشر في منصور بن عمار رحمهما الله حكايات ظريفة كان منصور بن عمار من الواعظين المذكورين ولم يكن العلماء في وقته مثل بشر وأحمد وأبي ثور يعدونه عالما كان عندهم من القصاص وكانت العامة تسميه عالما

فنظر الناس اليه فاذا هو قد فارق الدنيا فلم ير يوم أعظم منه وضج الناس اليه بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يوما أقبل علينا حذيفة بن اليمان صبح يوم الجمعة فقال اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ عمر مني السلام وقل له هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة اقرأ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرتني والسلام اه ملخصا فانتبه من رقدتك أيها السامع وارحم نفسك بترك العصيان وسكب المدامع شعر

متى تهجر الدنيا وتهوى لها بغضا
متى تترك العصيان قل لي متى ترضى
متى يا شقي الحظ تأتي بتوبة
وعمرك في الدنيا يساق به ركضا
فلا بد بعد الموت أن تسكن البلى
وضمك ثقل الارض تحت الثرى رضا
وتعطى كتابا فيه كل فضيحة
وتشهد أهوال القيامة والعرضا
فقم في الدجا بالليل ربك طائعا
لعل الذي يسخط عليك عسى يرضى

اللهم صل على شافع الامة

فحدثت عن نصر بن على الجهضمى انه مزح ذات يوم مزاحا أفرط فيه فقيل له تقول هذا وأنت من العلماء فقال ما رأيت أحدا من العلماء الا وهو يمزح فقيل له قد رأيت بشر بن الحرث فهل سمعته يمزح قال نعم كنت جالسا معه ذات يوم فى بعض الدروب فجاء منصور بن عمار بعد وفقال يا أبا نصر الامير قد أمر بجمع العلماء والصالحين فترى لى أن أختفى فدفعه بشر وقال تنح عنا الا يمر رجل شوك فيلقيك علينا فيمترق فهذا كان محل القصاص عند العلماء فيما سلف حتى ذهب أهل هذا العلم وجهلت مجالس الذكر وعلوم اليقين والمعاملات الا من عرف سيرة المتقدمين وطريقة السالفين الذين كانوا يفرقون بين مجالس الذكر وبين القصاص ويميزون بين العلماء وبين المتكلمين وبين علم اللسان وفقه القلب وبين علم اليقين وعلم العقل لان الفرق بين العالم والقاص ان العالم يسكت حتى يسئل فاذا سئل أجاب فيما يعلم بما هيأ الله تعالى له وكشف وينطق فيما أجراه الله عز وجل عليه وعرف فان كان الصمت أفضل آثر السكوت لعلمه بالافضل فان لم ير أهله تربص حتى يضعه فى أهله وأهله من عرفه وكان له نصيب من مشاهدته ووجده وقال الله سبحانه وتعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ففى ذلك معنيان أحدهما ان أهل الذكر هم العلماء بالله تعالى لقوله ان كنتم لا تعلمون فلا يجوز أن يقول سلوا من لا يعلم وهم جاهلون فيزدادوا جهلا والمعنى الثانى يدل على أن العلماء سكوت حتى يسألوا فاذا سئلوا وجب عليهم أن يجيبوا لقوله تعالى لمن لا يعلم فاسئلوا فدل ان مجالس الذكر هى مجالس العلماء التى وردت الاخبار بفضائلها وفى تدبره ان أهل الذكر هؤلاء المسؤلون هم الذين وصل لهم القول لعلهم يتذكرون فلما وصل لهم المفصل تذكروا عما وعد تعالى فلما تذكروا علموا فعندها أمر أن يسألوا ولذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغى للجاهل أن يستقر على جهله ولا ينبغى للعالم أن يسكت على علمه وقد قال الله تعالى فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى رويناه من طريق أهل البيت العلم خزائن مفتاحها السؤال فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ان من يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون وقال الاعمش من الكلام كلام جوابه السكوت وقال ذو النون المصرى رحمه الله تعالى حسن سؤال الصادقين مفتاح قلوب العارفين فاما القاص فهو الذى يبتدئ فيقص الاخبار ويذكر القصص والآثار ولذلك سمى قاصا أى يتبع قصة من سلف ومنه قوله تعالى وقالت لاخته قصيه أى تتبعى أثر موسى تعرفى قصته وأخبرينى خبره وقال مالك بن أنس رحمه الله تعالى من اذالة العلم أن ينطق به قبل أن يسأل عنه وقال مرة من اذالة العلم أن يجيب عن كل ما يسأل عنه أى من اهانته ووضعه يقال أشل هذا وأذل هذا أى ارفع وضع يقال اذا تكلم بالعلم قبل أن يسأل عنه ذهب ثلثا نوره وقد قال ابراهيم بن أدهم وغيره سكوت العالم أشد على الشيطان من كلامه لانه يسكت بعلم وينطق بعلم فيقول الشيطان انظروا الى هذا سكوته أشد علىّ من كلامه ولذلك يقال الصمت زين العالم وستر الجاهل وعن القاسم بن محمد انه قال من اكرام المرء نفسه أن يسكت على ما عنده حتى يسأل عنه وكذلك هو لعمرى لانه اذا تكلم بعد السؤال فهو صاحبها وربما كان فرضا وليس الحاجة الا القيام بالفرض من الشهوات ولقوله تعالى فاسئلوا أهل الذكر فأوجب أن يجيبوا من حيث أمر أن يسألوا وقال صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار فتوعده عليه بالعقاب وقد يكون الابتداء بالشئ من خفايا الشهوات والشهوات من الدنيا ووصف رجل لمالك بن أنس فقال لا بأس به لولا انه يتكلم بالشئ قبل أن يسأل عنه وقال مرة لا بأس به الا انه يتكلم بكلام شهر فى يوم وقد قيل فى معنى ما ذكران الكلام من الشهوات قال هو الذى يبتدئ به قبل أن يسأل عنه ووصف بعضهم الابدال فقال فى وصفهم أكلهم فاقة وكلامهم ضرورة وكانوا لا يتكلمون حتى يسألوا عن شئ فيجيبوا ومن لم يتكلم حتى يسأل فليس بعد لاغيا ولا متكلما فيما لا يعنيه لان الجواب بعد السؤال كالفرض بمنزلة رد السلام وكما قال ابن عباس رضى الله عنهما

انى

وكاشف الغمة وادفع عنا كل نقمة واجلب الينا كل نعمة

(فصل) اعلم ان ترك الزنا من خوف الله تعالى من موجبات الجنة والثواب الجزيل والنعمة العظيمة وظل الله تعالى يوم لا ظل الا ظله قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى قال مقاتل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها خم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال سبعة يظلهم الله تعالى فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ فى عبادة الله ورجل قلبه متعلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ورجل ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى أخاف الله ورجل تصدق بصدقة حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه وفى تنبيه الغافلين وغيره انه كان فى بنى اسرائيل عابد قد أوتى جمالا وحسنا وكان يعمل القفاف بيده ويبيعها فمر ذات يوم بباب الملك فنظرت اليه جارية لامرأة الملك فدخلت على سيدتها وقالت لها ههنا رجل ما رأيت أحسن وجها منه يطوف بالقفاف ويبيعها

انى لارى رد الجواب واجبا كرد السلام وقد قال أبو موسى وابن مسعود رضى الله عنهما من سئل عن علم فليقل به ومن لا فليسكت والا كتب من المتكلفين ومرق من الدين ورويناه عن ابن عباس أيضا وقد كانوا يخافون من دخول التكلف عليهم فى كل شئ ويعد بعضهم بالابتداء بالكلام من غير حاجة تدعو اليه أو قبل سؤال عنه من غير أن يرى له موضعا أو يجد له أهلا يعدونه من التكلف وفى وصية ابن عباس لمجاهد لا تتكلم فيما لا يعنيك فانه أفضل ولا آمن عليك الخطأ ولا تتكلم فيما يعنيك حتى ترى له موضعا فرب متكلم فيما يعنيه قد وضعه فى غير موضعه فعنت وروى فى حديث الانصارى الذى قالت له أمه عند موته هنيأ لك الجنة جاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك انه فى الجنة ولعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه ومن أظهر علما من غير أن يسأل عنه ونشره فى غير أهله فأنكر عليه سئل عنه وكان عليه فيه مطالبة لانه قد تكلف اظهاره فان كان سئل عنه ثم تكلم فيه لم يكن عليه فيه مطالبة فمن أنكر لانه خرج جوابا على سؤال ومن هذا كان السلف المتكلمون فى هذا العلم يسكتون حتى يسألوا عنه وكان أبو محمد يقول العالم يقعد فيسكت ويرفع قلبه الى مولاه فيفتقر اليه فى حسن توفيقه ويسأله ان يلهمه الصواب فاى شئ سئل عنه تكلم بما فتح له مولاه فجعل العالم فى حالة سكوته ونظره الى سيده محتاجا الى التوكل ومنتظر الوكيل فى أى شئ يجريه وقال بعضهم انما العالم الذى اذا سئل عن المسئلة كانما تقلع ضرسه وقال رقبة بن مصقلة وغيره ليس العالم الذى يجمع الناس فيقص عليهم انما العالم الذى اذا سئل عن العلم كانما يسعط الخردل وقد روينا انه تاله الاعمش وقد كان محمد بن سوقة يسأله عن الحديث فيعرض عنه ولا يجيبه فالتفت الاعمش الى رقبة فقال له هو اذا أحمق مثلك ان كان يدع فائدته لسوء خلقى فقال محمد بن سوقة ويحك انما أجعله بمنزلة الدواء أصبر على مرارته لما أرجو من منفعته وقد روينا عن على وابن مسعود رضى الله عنهما انه مر برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفونى وحدثنى بعض علماء خراسان عن شيخ له عن أبى حفص النيسابورى الكبير وكان هذا هناك نظير الجنيد ههنا انه قال انما العالم الذى يسأل عن مسئلة فى الدين فيغتم حتى لو جرح لم يخرج منه دم من الفزع يخاف ان يسئل فى الآخرة عما سئل عنه فى الدنيا ويفزع ان لا يتخلص من السؤال الان يرى انه قد افترض عليه الجواب لفقد العلماء ومن ههنا كان ابن عمر رضى الله عنهما يسكت عن تسع مسائل ويجيب عن واحدة ويقول تريدون ان تجعلونا جسرا تعبرون عليه فى جهنم تقولون افتانا ابن عمر بهذا وكان ابراهيم التيمى اذا سئل عن مسئلة يبكى ويقول لم تجد من تسأله غيرى أو احتجتم الى قال وجهدنا بابراهيم النخعى ان نسنده الى سارية فابى وكان اذا سئل عن شئ بكى وقال قد احتاج الناس الى وقد كان سفيان بن عيينة تفرد فى زمانه بعلوم انفرد بها فى وقته وكان مع ذلك يضرب المثل لنفسه ويقول

خلت الديار فسدت غير مسوّد * ومن الشقاء تفردى بالسودد

وأما أبو العالية الرياحى فكان يتكلم على الاثنين والثلاثة فاذا صار واأربعة قام وكذلك كان ابراهيم والثورى وابن أدهم رحمهم الله تعالى يتكلمون على النفر فاذا كثر الناس انصرفوا وكان أبو محمد سهل رحمه الله يجلس اليه خمسة أو ستة الى العشرة وقال لى بعض الشيوخ كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضع عشرة قال وما تم أهل الجلسة عشرون وقد حدثت عن أبى الحسن بن سالم شيخنا رحمه الله ان قوما اجتمعوا فى مسجده فارسلوا اليه بعضهم ان اخوانك قد حضروا ويحبون اللقاء لك والسماع منك فان رأيت ان تخرج اليهم فذاك وكان المسجد على باب بيته ولم يكن يدخل عليه فى منزله فقال للرسول بعد ان خرج اليهم من هم فقال فلان وفلان وسماهم فقال ليس هؤلاء من أصحابى هؤلاء أصحاب المجلس ولم يخرج كانه رآهم عموما لا يصلحون لتخصيص علمه فلم يذهب وقته لوقتهم وكذلك العالم خلوته تعز عليه فان وافق خصوص أصحاب آثرهم على خلوته فكان ذلك مزيدا لهم وان هو لم يوافق لم يؤثر على

فقالت أدخليه فلما دخل نظرت اليه فأعجبها فقالت له اطرح تلك القفاف وخذ هذه الملحفة وقالت لجاريتها هات الدهن والطيب وقالت له نغنيك عن هذا البيع فقال لها ما أريد ذلك مرارا فقالت فانك غير خارج حتى تقضى حاجتى منك فأمرت بالابواب فغلقت فلما رأى ذلك قال هل فوق قصرك متوضأ قالت نعم قالت ياجارية آتيه بوضوئه فلما رقى جاء الى ناحية السطح فرأى قصرا مرتفعا ولا شئ يتعلق به ليرسل نفسه فاخذ يعاتب نفسه ويقول أنت منذ سبعين سنة تطلبين رضا الله تعالى جاءتك عشية واحدة تفسد عملك وجعل يعاتب نفسه ثم عزم على القاء نفسه فرارا من سخط الله فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله تعالى لجبريل عليه السلام عبدى يريد قتل نفسه فرارا من سخطى فتلقه بجناحك كيلا يصيبه مكروه فبسط جبريل عليه السلام جناحه وأخذ بيده فوضعه على الارض وضع الوالد الرحيم لولده فاتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس فقالت أين ثمن قفافك فقال لها ما أصبنا اليوم لها ثمنا قالت فعلى أى شئ نفطر الليلة قال لها نصبرا ليلتنا هذه ثم قال قومى فاسجرى التنور فانا نكره أن يرى جيراننا

خلوته غيره فيكون مناخا للبطالين وقد كان ابن سالم أبو الحسن يخرج الى اخوانه من يراه موضع العلم فيجلس اليهم ويذاكرهم وربما أدخلهم اليه نهارا أو ليلا ولعمرى ان المذاكرة تكون بين النظراء والمحادثة تكون مع الاخوان والجلوس للعلم يكون للاصحاب والجواب عن السؤال نصيب العموم وكان عند أهل هذا العلم ان علمهم مخصوص لا يصلح الا للخصوص والخصوص قليل ولم يكونوا ينطقون به الا عند أهله ويرون ان ذلك من حقه وانه واجب عليهم كما وصفهم على كرم الله وجهه فى قوله حتى يودعوه أمثالهم ويزرعوه فى قلوب أشكالهم وكذلك جاءت الآثار بذلك عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق الذى يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها جهل ومن منعها أهلها ظلم ان للحكمة حقا وان لها أهلا وان لاهلها حقا فاعط كل ذى حق حقه وفى حديث عيسى صلاة الله وسلامه عليه لا تعلقوا الجوهر فى أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنزير وكان بعض هذه الطائفة يقول نصف هذا العلم سكوت ونصفه تدرى أين تضعه وقد قال بعض العارفين من كلم الناس بمبلغ علمه وبمقدار عقله ولم يخاطبهم بقدر حدودهم فقد بخسهم حقهم ولم يقم بحق الله عز وجل فيهم وكان يحيى بن معاذ يقول اغرف لكل واحد من نهره واسقه بكأسه ونحن نقول بمعناه كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان علمه حتى تسلم منه وينتفع بك والا وقع الانكار لتفاوت المعيار وحدثنى بعض أشياخنا من هذه الطائفة عن أبى عمران وهو المزين الكبير المكى قال سمعته يقول لابى بكر الكتانى وكان سمحا بهذا العلم بذولا له لجميع الفقراء فجعل أبو عمران يعاتبه وينهاه عن بذله له وكثرة كلامه فيه الى ان قال انا منذ عشرين سنة أسأل الله تعالى ان ينسينى هذا العلم قال ولم قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فسمعته يقول ان لكل شئ عند الله تعالى حرمة ومن أعظم الاشياء حرمة الحكمة فمن وضعها فى غير أهلها طالبه الله تعالى بحقها ومن طالبه خصمه وقد كان بعض السلف يقول اذا استند الرجل الى سارية أو أحب ان يسأل فلا تجالس اليه ولا ينبغى ان يسأل ولم ير فى مجالس أهل هذا العلم فيما سلف ثلاثون رجلا ولا عشرون الا نادرا غير لزام ولا دوام انما كانوا من الاربعة الى العشرة وبضعة عشر وقد كان يجتمع فى مجالس القصاص والمذكرين والواعظين مئون من عهد الحسن الى وقتنا هذا فهذا أيضا من الفرق بينهما ان العلم مخصوص لقليل وان القصص عام لكثير وقال بعض علمائنا كان فى البصرة مائة وعشرون متكلما فى الذكر والوعظ ولم يكن من يتكلم فى علم المعرفة واليقين والمقامات والاحوال الا ستة منهم أبو محمد سهل والصبيحى وعبد الرحيم وقد قيل من لم ينتفع بسكوت العالم لم ينتفع بكلامه أى ينبغى ان يتأدب بصمته وخشوعه وورعه ويقتدى بيقينه فى ذلك كما يتأدب بنطقه ويقتدى بكلامه على انهم كانوا يقولون علم الظاهر من علم الملك وعلم الباطن من علم الملكوت يعنون ان ذلك من علم الدنيا لانه يحتاج اليه فى أمور الدنيا وهذا من علم الآخرة لانه من زادها وهذا كما قالوه لان اللسان ظاهر فهو من الملك وهو خزانة العلم الظاهر والقلب خزانة الملكوت وهو باب العلم الباطن فقد صار فضل العلم الباطن على الظاهر كفضل الملكوت على الملك وهو الملك الباطن الخفى وكفضل القلب على اللسان وهو الظاهر الجلى وقد كان بشر بن الحرث رحمه الله يقول حدثنا وأخبرنا باب من أبواب الدنيا وقال مرة الحديث ليس من زاد الآخرة وحدثنا بعض أشياخنا عن بعض أصحابه قال دفن له بضعة عشر ما بين قمطر وقوصرة كتبا لم يحدث منها بشئ الا ما سمع منه نادرا فى الفرد وكان رحمه الله تعالى يقول انى أشتهى ان أحدث ولو ذهب عنى شهوة الحديث لحدثت ثم قال انا أجاهد نفسى منذ أربعين سنة وقال اذا سمعت الرجل يقول حدثنا وأخبرنا فانما يقول أوسعوا لى وكان زاهدا عالما وقال هو وغيره اذا اشتهيت ان تحدث فلا تحدث واذا لم تشته ان تحدث فحدث وقد كانت رابعة العدوية رحمها الله تعالى قبله تقول للثورى رضى الله عنه نعم الرجل سفيان لولا انه يحب الحديث وكانت تقول فتنة الحديث أشد من

منا ما يخالف عليهم من أمرنا فيشتغل قلوبهم بنا فقامت فسجرته ثم جاءت فقعدت وجاءت امرأة من جيرانها فقالت يا فلانة أعندك وقود قالت نعم ادخلى فخذى من التنور فدخلت لتأخذ فقالت يا فلانة مالى أراك جالسة تحدثين مع فلان تعنى زوجها وقد نضج خبزك فى التنور فقامت فاذا التنور محشو خبزا نقيا فجعلته فى جفنة ثم جاءت الخبز وجها فقالت له انر بك لم يصنع بك هذا الا وأنت عليه كريم فادع الله ان يبسط علينا بقية عمرنا فى معيشتنا فلم تزل به حتى قام فى جوف الليل وصلى ودعا وقال اللهم انى زوجتى قد سألتنى فاعطها ما تتوسع به فى بقية عمرها فانفرج السقف فنزل عليهم كف عليه ياقوتة أضاء بها البيت كما يضئ الشمع فغمزها وكانت نائمة فقال لها اجلسى وخذى ما سألت فقالت لا تعجل الهذا أيقظتنى رأيت فى المنام كانى أنظر الى كراسى مصفوفة من الذهب مكللة بالدر والزبرجد آخرها فيه ثلمة فقلت لمن هذه قال لزوجك ومقدار الثلمة مقدار هذا الكف ثم قالت ما بنا حاجة الى شئ نثلم عليك مجالسك فادع ربك أن يردها الى موضعها المثلم فدعا به فرجع الكف اعلم انك لا تصل الى حفظ

فتنة المال والولد وقالت مرة لولا انه يحب الدنيا يعني اجتماع الناس حوله للحديث وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى يقول من تزوج أو كتب الحديث أو طلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقال بعض هذه الطائفة كل من أدرك العلوم غير العلم بالله عز وجل فقد استدرك والذي أدرك العلم بالله فقد تدورك ثم تلا قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء أي تدورك بعلم المعرفة لطارح في بعد الهوى والعرا البعد وعلم المعقول بعد الى جنب علم اليقين وقال أيضا في فهم قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم أي ثبتناك بالمعرفة لقد كدت تسكن الى علوم العقل وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى في قوله عز وجل واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا قال لسانا ينطق عنك لا عن سواك وفضل العلم بالله عز وجل والعلم بالايمان وعلم اليقين على العلم بالاحكام والقضايا كفضل المشاهدة على الخبر وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم ليس الخبر كالمعاينة وفي لفظ آخر ليس المخبر كالمعاين وقد روى عياض بن غنم عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير قوله عز وجل الهاكم التكاثر علم اليقين كرأي العين وفي هذا الخبر ان من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه أقدامهم في الارض وقلوبهم في السماء أرواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة فالفتيا هي الاخبار والاستفتاء هو الاستخبار ومنه قوله تعالى فاستفتهم وقوله تعالى ويستفتونك أي يستخبرونك فعلم الخبر قد يدخله الظن والشك والمشاهدة ترفع الظن وتزيل الشك كما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى أي فاثبت الرؤية للقلب بالعين فرؤية القلب هو اليقين وذو القلب هو الموقن وقال النبي صلى الله عليه وسلم كفى باليقين غنى ففي علم اليقين غنية عن جميع العلوم لانه حقيقة العلم وخالصه وليس في جميع العلوم غنى عن علم اليقين ولان الفقر بالشك والحاجة الى اليقين في علم التوحيد وعلم الايمان أشد من الفقر بالحاجة الى علوم الفتيا وغيرها فلذلك صار الغنى باليقين أعظم من الاستغناء بسائر العلوم ففي هذا العلم مثل من فاتحة الكتاب الى سائر القرآن كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب تجزي من كل القرآن وليس القرآن كله يجزي من فاتحة الكتاب فكذلك مثل العلم بالله عز وجل الى العلم بما سواه ففي العلم بالله تعالى عوض من كل العلوم وليس في سائر العلوم عوض من العلم بالله عز وجل من حيث كان في الله تعالى عوض به عن كل ما سواه وكل علم موقوف على معلومه فعلم اليقين معلومه الله تعالى ففضله كفضل الله تعالى على ما سواه وقد قال بعض الحكماء في معنى ما ذكرناه من عرف الله تعالى فماذا جهل ومن جهل الله تعالى فماذا عرف فالعلماء بالله تعالى هم ورثة الانبياء لانهم ورثوا عنهم الدلالة على الله تعالى والدعوة اليه والاقتداء بهم في أعمال القلوب وقد قال الله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وكما قال تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة وكما أمره بالدعاء وأشرك معه أتباعه في الدعاء الى الله تعالى لا في البصيرة فقال تعالى قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ويحشرون يوم القيامة مع الانبياء كما قال تعالى أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين وكما قال تعالى وجيء بالنبيين والشهداء ثم فسره فقال بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء وقد روينا معناه عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم وأهل الجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الانبياء وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل وعلماء الدنيا يحشرون مع الولاة والسلاطين وقد قال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وكان اسمعيل بن اسحق القاضي من علماء أهل الدنيا ومن سادة القضاة وعقلائهم وكان مؤاخيا لابي الحسن بن أبي الورد وكان هذا من أهل المعرفة فلما ولي اسمعيل القضاء هجره ابن أبي الورد ثم انه اضطر الى ان دخل عليه في شهادة فضرب ابن أبي الورد يده على كتف اسمعيل القاضي وقال يا اسمعيل علم أجلسك هذا المجلس لقد كان الجهل خيرا منه فوضع اسمعيل رداءه على وجهه وجعل يبكي حتى بله وعلماء الظاهر هم زينة الارض والملك وعلماء الباطن

الهرج الا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن التفكر وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع وان هذه محركات الشهوة ومغارسها وكذا ينبغي ان تجتنب صحبة أهل الفجور ومجالستهم وتختار صحبة من نهى النفس عن الهوى وفاز بجنة المأوى

شعر

نالوا بذلك فرحة وسرورا
وسعوا فاصبح سعيهم مشكورا
قوم أقاموا للاله نفوسهم
فكسا وجوههم الوسيمة نورا
تركوا النعيم وطلقوا لذاتهم
زهدا فعوضهم بذاك سرورا
قاموا يناجون الحبيب بادمع
تجري فتحكي لؤلؤا منثورا
ستروا وجوههم باستار الدجى
ليلا فاضحت في النهار بدورا
عملوا بما علموا وجادوا بالذي
وجدوا فاصبح حظهم موفورا
واذا بدى ليل سمعت أنينهم
وشهدت وجدانهم وزفيرا
تعبوا قليلا في رضا محبوبهم
فاراحهم يوم المعاد كثيرا
صبروا على مر البلا فجزاهم
يوم القيامة جنة وحريرا

اللهم ارزقنا اتباع الصالحين واحشرنا في زمرتهم يا رب العالمين

(فصل) في اتيان الكاهن والمنجم والطيرة وهي التشاؤم بالشئ عن حفصة قالت قال النبي صلى الله

زينة السماء والملكوت وعلماء الظاهر أهل الخبر واللسان وعلماء الباطن أرباب القلوب والعيان وقال بعض العلماء لما خلق الله تعالى اللسان قال هذا معقل خبري ان صدق في نجيته ولما خلق الله تعالى القلب قال هذا موضع نظري ان صفا لي صافيته وقال بعض الخلف الجاهل ينجو بالعلم والعالم ينجو بالجنة والعارف ينجو بالجاه وقال بعض العارفين علم الظاهر حكم وعلم الباطن حاكم والحكم موقوف حتى يجيء الحاكم يحكم فيه وقد كان علماء الظاهر اذا أشكل عليهم العلم في مسئلة لاختلاف الادلة سألوا أهل العلم بالله لانهم أقرب الى التوفيق عندهم وأبعد من الهوى والمعصية منهم الشافعي رحمه الله تعالى كان اذا اشتبهت عليه المسئلة لاختلاف أقوال العلماء فيها وتكافؤ الاستدلال عليها رجع الى علماء أهل المعرفة فسألهم قال وكان يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يجلس الصبي بين يدي المكتب ويسأله كيف يفعل في كذا وكيف يصنع في كذا فيقال له مثلك يا أبا عبد الله في علمك وفقهك تسأل هذا البدوي فيقول ان هذا وفق لما علمناه وكان الشافعي رحمه الله قد اعتل علة شديدة وكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب اليه المعافري من سواد مصر يا أبا عبد الله لست وإياك من رجال البلاء فنسأل الرضا الاولى بنا ان نسأل الرفق والعافية فرجع الشافعي رحمه الله عن قوله هذا وقال استغفر الله تعالى وأتوب اليه فكان بعد ذلك رحمه الله يقول اللهم اجعل خيرتي فيما أحب وقد كان أحمد بن حنبل ويحيى بن معين رضي الله عنهما يختلفان الى معروف بن فيروز الكرخي رحمهم الله ولم يكن يحسن من العلم والسنن ما يحسنانه فكانا يسألانه وقد روي في الخبر قيل يارسول الله كيف نصنع اذا جاءنا أمر لم نجده في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولا تقضوا فيه أمرا دونهم وفي حديث معاذ رضي الله عنه فان جاءك ماليس في كتاب الله تعالى ولا سنة رسول الله قال أقضي فيه بما قضى الصالحون فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسوله وفي بعضها اجتهد رأيي وحدثونا عن الجنيد قال كنت اذا قمت من عند سري السقطي قال لي اذا فارقتني من تجالس فقلت الحارث المحاسبي فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه للكلام ورده على المتكلمين قال فلما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفيا ولا جعلك صوفيا صاحب حديث يعني انك اذا ابتدأت بعلم الحديث والاثر ومعرفة الاصول والسنن ثم تزهدت وتعبدت تقدمت في علم الصوفية وكنت صوفيا عارفا واذا ابتدأت بالتعبد والتقوى والحال شغلت به عن العلم والسنن فخرجت اما شاطحا أو غالطا لجهلك بالاصول والسنن فاحسن أحوالك ان ترجع الى العلم الظاهر وكتب الحديث لانه هو الاصل الذي تفرع عليه العبادة والعلم وانت قد بدئت بالفرع قبل الاصل وقد قيل انما حرموا الوصول بتضييع الاصول هو كتب الحديث ومعرفة الآثار والسنن فاذا أنت رددت الى الاصل فقد انحططت عن مرتبة الناقدين ونزلت من درجة العارفين وفاتك مزيد اليقين والايمان وقال سفيان الثوري رضي الله عنه كان الناس اذا طلبوا العلم عملوا فاذا عملوا أخلصوا فاذا أخلصوا هربوا وقال آخر العالم اذا هرب من الناس فاطلبه واذا طلب الناس فاهرب منه وقال أبو محمد سهل العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقال ذو النون يقول اجلس الى من تكلمك صفته ولا تجلس الى من يكلمك لسانه وقد كان الحسن قبله يقول جالس من تكلمك أعماله ولا تجالس من يخاطبك مقاله وقد كان طائفة يصحبون كثيرا من أهل المعرفة للتأدب بهم والنظر الى هديهم واخلاقهم ان لم يكونوا علماء لان التأديب يكون بالافعال والتعلم يكون بالمقال ومن أبلغ ما سمعت منهم في هذا المعنى ما قال بعض الحكماء وعظ واحد لالف بفعل أنجع فيهم وأوقع من وعظ ألف لواحد بقول وكان سهل يقول العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل هباء الا الاخلاص وقال مرة الناس موتى الا العلماء والعلماء سكارى الا العاملين والعاملون مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له به ولم يكن العالم عند العلماء من كان عالما بعلم غيره ولا حافظا الفقه سواه هذا كان اسمه راوية وأعيا وحاملا وناقلا وقد

كان

عليه وسلم من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة اد عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى كاهنا فصدقه بما يقول أو امرأة حائضا أو أتى امرأة في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قال في المفاتيح من جامع امرأة في حال الحيض أو في دبرها معتقدا تحليله أو سأل كاهنا عن حال معتقدا انه حق أو صدق فقد كفر وان علم تحريمه كان فاسقا د عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت وفي حياة الحيوان قال ابن عبد الحكم لما خرج عمر بن عبد العزيز من المدينة قال رجل من لخم تطيرت فاذا القمر في الدبران فكرهت ان أقول له فقلت له الا تنظر الى القمر ما أحسن استواءه في هذه الليلة قال فنظر عمر فاذا هو في الدبران فقال كأنك كرهت ان تعلمني انه في الدبران انا لا نخرج بشمس ولا بقمر ولكنا نخرج بالله الواحد القهار اعلم ان المرأة اذا أتت الكاهن والعراف فهو معصية على معصية فتضاعف العقوبة لانه يحرم نظرها الى الاجنبي ونظره اليها لاسيما اذا كان كافرا فانه تزداد معصية وقبحا كيف وقد

كان أبو حازم الزاهد يقول ذهب العلماء وبقيت علوم فى أوعية سود وقد كان الزهرى يقول كان فلان وعاء للعلم وحدثنى فلان وكان من أوعية العلم ولا يقول كان عالما وكذلك جاء الخبر رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه وكانوا يقولون حماد الراوية يعنون انه كان راويا ودخول الهاء فى الاسم للمبالغة فى الوصف كما يقال علامة ونسابة وانما كان العالم عندهم الغنى بعلمه لا بعلم غيره وكان الفقيه فيهم هو الفقيه بفقه علمه وقلبه لا بحديث سواه كما جاء فى الاثر أى الناس أغنى قال العالم الغنى بعلمه ان احتيج اليه نفع والا اكتفى عن الناس بعلمه لان كل عالم بعلم غيره فانما صار عالما بمجموعه فمجموعه هم العلماء وكل فاضل بوصف سواه فموصوفه هم الفضلاء فاذا تركهم وانفرد سكت فلم يرجع الى علم لنفسه يختص به فصار فى الحقيقة موصوفا بالجهل واصفا لطرائق أهل الفضل موسوما بعلم السمع والنقل فمثل العالم بعلم غيره مثل الواصف لاحوال الصالحين العارف بمقامات الصديقين ولا حال له ولا مقام فليس يعود عليه من وصفه الا الحجة بالعلم والكلام وسبق العارفون بالله فى الجنة بالاعمال والمقام فمثله كما قال الله تعالى ولكم الويل مما تصفون وكقوله عز وجل كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا الا يرجع الى بصيرة فيه بما اشتبه من ظلمات الشبه عليه مما اختلف العلماء فيه ولا يتحقق بوجد منه فيه بجده عن حال ألبسها بوجده وانما هو متواجد بوجد غيره فغيره هو الواجد وشاهد على شهادة سواه فالسوى هو الشاهد وقد كان الحسن يقول ان الله تبارك وتعالى لا يعبأ بصاحب خبر وانما يعبأ بذى فهم ودراية وقال أيضا من لم يكن له عقل يسوسه لم تنفعه كثرة رواياته للحديث وقد أنشدنا لبعض الحكماء فى معنى ذلك

العلم علمان فمصنوع ومطبوع * ولا ينفع مجموع اذا لم يك مصنوع
* كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع * وكان الجنيد رحمه الله كثيرا ينشد

علم التصوف علم ليس يعرفه * الا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يعرفه من ليس يشهده * وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

لان الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس واتخاذ قوله والحكاية له فى كل شئ والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرن الاول والثانى وهذه المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين ومائة من التاريخ وبعد وفاة كل الصحابة وعلية التابعين يقال ان أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف من التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس رضى الله عنه فى الفقه ثم جمع ابن عيينة كتاب الجوامع فى السنن والابواب وكتاب التفسير فى أحرف من علم القرآن وجامع سفيان الثورى الكبير رضى الله عنه فى الفقه والاحاديث فهذه من أول ما صنف ووضع من الكتب بعد وفاة سعيد بن المسيب وخيار التابعين وبعد سنة عشرين أو أكثر ومائة من التاريخ فكان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء من طبقات الصحابة الاربعة ومن بعد موت الطبقة الاولى من خيار التابعين هم الذين انقرضوا قبل تصنيف الكتب وكانوا يكرهون كتب الحديث ووضع الناس الكتب لئلا يشتغل بها عن القرآن وعن الذكر والفكر وقالوا احفظوا كما حفظنا ولئلا يشتغل الناس عن الله تعالى برسم ولا وسم كما كره أبو بكر الصديق رضى الله عنه وعلية الصحابة تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيأ لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشوا اشتغال الناس بالصحف واتكالهم على المصاحف فقالوا نترك القرآن يتلقاه الناس بعضهم من بعض تلقنا بالتلقين والاقراء ليكون هو شغلهم وهمتهم وذكرهم حتى أشار عليه عمر رضى الله عنه وبقية الصحابة أن يجمع القرآن فى المصاحف لانه أحفظ له ولئلا يرجع الناس الى المصحف لما لا يؤمن من الاشتغال بأسباب الدنيا عنه فشرح الله تعالى صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فجمع القرآن فى الصحف المتفرقة فى المصحف

أوجب الاحتجاب عن الكافرة وكذا يحرم الخلوة مع الاجنبى ومع الكافر أشد خ م قال النبى صلى الله عليه وسلم اياكم والدخول على النساء فقال رجل من الانصار أفرأيت الحمو قال الحمو الموت والحمو قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وعمه وخاله وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت لما كشف الله تعالى مما يقع منه ولو خرجت المرأة لذلك بغير اذن زوجها فهو بلاء على بلاء ولو اذن الزوج لذلك أو لغيره مما فيه اظهار الزينة لغير البعل ونحوه عصى لانه اعانة على معصية فهو من الديوثين قد صار عبدا للشيطان فى ارضاء زوجته الخبيثة المظهرة زينتها لغير البعل والاب ونحوه بل صار عدوا لها ولنفسه فى الحقيقة قال الحسن رضى الله عنه والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا كبه الله فى النار فيا ماشية الى الكهان ويا خارجة من بيتها لاظهار الزينة اطاعة للشيطان كيف بك اذا وقع بك الموت فى وقت لا تحسبينه ونقلك من بيت الحبور الى بيت الثبور وكيف بك اذا شم منكر ونكير رجليك فوجداهما قد سعتا الى منجم أو عرس فيه المناهى من النظر المحرم واظهار الزينة لغير من يباح اظهار الزينة

الواحد وكذلك كانوا يتلقون العلم بعضهم عن بعض ويحفظونه حفظا هذا لطهارة القلوب من الريب وفراغها من أسباب الدنيا وصفائها من الهوى وعلو الهمة وقوة العزيمة وحسن النية ثم ظهرت بعد سنة مائتين وبعد تقضى ثلاثة قرون فى القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام وكتب المتكلمين بالرأى والمعقول والقياس وذهب علم المتقين وغابت معرفة الموقنين من علم التقوى والهام الرشد واليقين فخلف من بعدهم خلف فلم نزل فى الخلوف الى هذا الوقت ثم اختلط الامر بعد هذا التفصيل فى زماننا هذا فصار المتكلمون يدعون علماء والقصاص يسمون عارفين والرواة والنقلة يقال علماء من غير فقه فى دين ولا بصيرة فى يقين وروينا عن ابن أبى عبلة قال كنا نجلس الى عطاء الخراسانى بعد الصبح فيتكلم علينا فاحتبس ذات غداة فتكلم رجل من المؤذنين لا بأس به بمثل ما كان يتكلم به عطاء فأنكر صوته رجاء بن أبى حيوة فقال من هذا المتكلم فقال أنا فلان فقال اسكت فانه يكره أن يسمع العلم الا من أهله وكذلك كانوا يقولون ابى أهل العلم بالله تعالى أن يسمعوا هذا العلم الا من أهله الزاهدين فى الدنيا وكرهوا أن يسمعه من أبناء الدنيا وزعموا انه لا يليق بهم واعلم أن العبد اذا كان يذكر الله تعالى بالمعرفة وعلم اليقين لم يسعه تقليد أحد من العلماء وكذلك كان المتقدمون اذا افتتحوا هذا المقام خالفوا من حملوا عنه العلم لمزيد اليقين والافهام وقال ابن عباس رضى الله عنهما ليس أحد الا يؤخذ من قوله ويترك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبى بن كعب ثم خالف زيدا فى الفقه وأبيا فى القراءة وقال بعض الفقهاء من السلف ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة فنأخذ به ونترك وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال قالوا ونقول ولاجل ذلك كان الفقهاء يكرهون التقليد ويقولون لا ينبغى للرجل ان يفتى حتى يعرف اختلاف الفقهاء أى فيختار منها على علمه الاحوط للدين والاقوى باليقين فلو كانوا يستحبون أن يفتى العالم بمذهب غيره لم يحتج أن يعرف الاختلاف ولكان اذا عرف مذهب صاحبه كفاه ومن ثم قيل ان العبد يسأل غدا فيقال ماذا عملت فيما علمت ولا يقال له فيما علم غيرك وقد قال الله تعالى وقال الذين أوتوا العلم والايمان ففرق بينهما بما يدل به ان من أوتى ايمانا ويقينا أوتى علما كما ان من أوتى علما نافعا أوتى ايمانا وهذا أحد الوجوه فى معنى قوله سبحانه كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أى قواهم بعلم الايمان فعلم الايمان هو روحه وتكون الهاء عائدة الى الايمان وكذا العالم الذى هو من أهل الاستنباط والاستدلال من الكتاب والسنة فانه اداة لصنعة وآلة الصنع لانه ذو تمييز وبصيرة ومن أهل التدبر والعبرة فأما الجاهل والعامى الغافل فله أن يقلد العلماء والعالم عموم أيضا ان يقلد عالم خصوص وللعالم بالعلم الظاهر ان يقلد من فوقه ممن جعل على علم باطن من أهل القلوب لان النبى صلى الله عليه وسلم رد من علم الالسنة والفتيا الى علم القلوب ولم يرد أهل القلوب فى علمهم الذين يختصون به الى المفتين لانهم يأخذون من المفتين فتياهم ثم يجدون فى قلوبهم حكاوحزازة فيلزمهم فتيا القلب لقوله استفت قلبك بعد قوله وان أفتاك المفتون مع قوله الاثم حزاز القلوب الى قوله ما حاك فى صدرك فدعه وان أفتوك وأفتوك ثم درس معرفة هذا لجهل فصار كل من نطق بكلام وصنعه غرب على السامعين لا يعرف حقه من باطله سمى عالما وكل كلام مستحسن زخرف رونقه لا أصل له يسمى عالما لجهل العامة بالعلم أى شئ هو ولقلة معرفة السامع بوصف من سلف من العلماء كيف كانوا فصار كثير من متكلمى الزمان فتنة المفتون وصار كثير من الكلام والرأى والمعقول الذى حقيقته جهل كانه علم عند الجاهلين فلا يفرقون بين المتكلمين والعلماء ولا يميزون بين العلم والكلام وقد قلنا ان خصوص الجهال يشبهون بالعلماء فيشتهون على مجالسهم فى الحال فأعلم الناس فى زمانك هذا أعرفهم بسيرة المتقدمين وأعلمهم بطرائق السالفين ثم أعلمهم بالعلم أى شئ هو وبالعالم من هو من المتعلم والمتهالم وهذا كالفرض على طالبى العلم أن يعرفوه لانه لما قال صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة وجب عليهم ان يعرفوا أى شئ هو العلم

حتى

لم تنفخا فيه ما نفختما فالتهبا مع جسمك نارا وكيف بك اذا شماسمعك الذى أصغيت به الى كلام الكاهن أو الغناء المحرم فوجدا فيه نتن الاصغاء فنفخا فيه فالتهب مع جسمك نارا وكيف بك اذا التهبت عيناك الناظرتان الى الكافر والاجنبى نارا وكيف بك اذا جاءت العطية للكاهن وصارت مرصعة فى أجنابك نارا فيا ذل وخيبة من أطاع الشيطان وترك طاعة رسول الرحمن فالحذر الحذر من ذلك فانها من أسباب المهالك فتوبى قبل خروج الامر من يدك ووقوع الحسرة والندامة على سوء صنعك

شعر

ويحك يا نفس البدار البدار
فما هذه الدار لحى بدار
منزلة والناس سفر وكم
خانهم صرف الليالى وجار
قد نفد العمر وقل البقا
الى متى يا نفس ذا الاغترار
من كان فى الدنيا يرى راحلا
كيف له فيها يقر القرار
أم كيف يهنا العيش فيها لمن
عليه كاسات المنايا تدار
يا أيها النائم قم وانتبه
قد فاتك المطلوب والركب سار
ان كنت أذنبت فقم واعتذر
الى كريم يقبل الاعتذار
وانهض الى مولى عظيم الرجا
يغفر فى الليل ذنوب النهار
اللهم انا نستغفرك من كل ذنب أذنبناه عمدا أو خطأ

حتى يطلبوه اذلا يصح طلب مالا يعرف ثم وجب عليهم من هذا أن يعرفوا العالم من هو ليطلبوا عنده العلم اذ العلم عرض ولا يقوم الا بجسم فلا يوجد الا عند أهله كما قيل لعلى كرم الله وجهه وقيل له انك خالفت فلانا فى كذا فقال خيرنا أتبعنا لهذا الدين وكما قيل لسعد ان ابن المسيب يقرأ ما ننسخ من آية أو ننسأها فقال ان القرآن لم ينزل على ابن المسيب ولا على أبيه ثم قرأ أو ننسها فاعلم الناس فى هذا الوقت وأقربهم من التوفيق والرشد أتبعهم لمن سلف وأشبههم بشمائل صالحى الخلف كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل من أعلم الناس فقال أعرفهم بالحق اذا اشتبهت الامور وقال بعض السلف أعلم الناس أعرفهم باختلاف الناس وكان الحسن البصرى رضى الله عنه يقول محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سوء زعم ان الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار اعرفوا انكارهم لربهم بأعمالهم ان رجلا أصبح فى هذه الدنيا بين مترف يدعو الى دنياه وصاحب هوى يدعو الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحب الى السلف الصالح يسأل عن فعالهم ويقتص آثارهم لتعرض لاجر عظيم فكذلك فكونوا وكذا روينا عن ابن مسعود رضى الله عنه وقد جاء مسندا انما هما اثنتان الكلام والهدى فاحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها ان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ألا لا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا ان البعيد ما ليس بآت وفى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم التى رويناها عن أبان عن انس طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الذل والمعصية طوبى لمن ذل فى نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة وقال بعض الادباء كلاما منظوما فى وصف زماننا هذا كأنه شاهده

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم * والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت فى خلف يزكى بعضهم * بعضا ليدفع معور عن معور
ابنى ان من الرجال بهيمة * فى صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة فى ماله * فاذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيها مثله * من يسع فى أمر بحقه يظفر

وقد كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول حسن الهدى فى آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال فى وصف زمانه باليقين وفى وصف زماننا بالشك فقال انكم فى زمان خيركم فيه المسارع فى الامور وسيأتى بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف يعنى لكثرة الشبهات وقال حذيفة رضى الله عنه أعجب من هذا قال ان معروفكم هذا منكر زمان قد مضى وان منكركم معروف زمان قد يأتى وانكم لن تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف وكان يقول أيضا يأتى فى آخر الزمان قوم يكون العالم فيهم بمنزلة الحمار الميت لا يلتفتون اليه يستخفى المؤمن فيهم كما يستخفى المنافق فينا اليوم المؤمن فيهم أذل من الامة وفى حديث على كرم الله وجهه يأتى على الناس زمان ينكر الحق تسعة أعشارهم لا ينجو منهم يومئذ الا كل مؤمن نومة يعنى صموتا متغافلا أولئك مصابيح العلم وأئمة الهدى وليسوا بالمذاييع البذر يعنى المتكلمين كثيرا المتظاهرين بالكلام افتخارا وفى خبر يأتى على الناس زمان من عرف فيه الحق نجا قيل فأين العمل قال لا عمل يومئذ لا ينجو فيه الا من هرب بدينه من شاهق الى شاهق وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه يأتى على الناس زمان من عمل منهم بعشر ما أمر به نجا وفى بعضها بعشر ما يعلم وعن بعض الصحابة أنتم اليوم فى زمان من ترك منكم عشر ما يعلم هلك ويأتى عليكم زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وقال بعض الخلفاء يأتى عليكم زمان يكون أفضل العلم الصمت وأفضل العمل النوم يعنى لكثرة المنافقين بالشبهات فصار الصمت

أوسترا أوعلانية ونسألك التوفيق

(فصل فى آفات اللسان) وهى كثيرة منها النميمة وهى كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو اليه أو ثالث وهى من الكبائر خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يدخل الجنة نمام خ م قال صلى الله عليه وسلم تجدون شر الناس ذا الوجهين يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه عافانا الله من ذلك وروى الدارمى عنه صلى الله عليه وسلم من كان ذا وجهين فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار قال الغزالى وغيره ويجب على من قيل له قال فلان فيك كذا أن لا يصدقه وينهاه عن ذلك ويبغضه فى الله ولا يظن بالمنقول عنه السوء ولا يبحث عن الحقيقة ولا يحكى نميمة ومنها الغيبة وهى ذكرك أخاك بما يكرهه لو سمعه سواء كان فى بدنه أو دينه أو دنياه أو خادمه أو عمامته أو غير ذلك وروى أبو يعلى الموصلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال من أكل لحم أخيه فى الدنيا قرب اليه لحمه فى الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكل ويضج ويكلح د عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما عرج بى مررت بقوم لهم أظفار من

للجاهل علما ولكثرة العاملين بالشهوات فصار النوم عبادة البطال ولعمري ان الصمت والنوم أدنى أحوال العالم وهما أعلى أحوال الجاهل وكان يونس بن عبيد يقول أصبح اليوم من يعرف السنة غريبا وأغرب منه من يعرفه يعني طريقة السلف يقول فمن يعرفه عرف طريق من مضى وهو غريب أيضا لانه قد عرف غريبا وقال حذيفة المرعشي كتب الى يوسف بن اسباط ذهبت الطاعة ومن يعرفها وكان أيضا يقول ما بقي من يؤنس به وقال ما ظنك بزمان مذاكرة العلم فيه معصية قيل ولم ذلك قال لانه لا يجد أهله وقد كان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول انكم لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم وقيل فيكم الحق فعرف وويل لكم اذا كان العالم فيكم كالشاة النطيح وقد كان للمتقدمين علوم يجتمعون عليها ويتفاوضونها بينهم قد درست في زماننا وكان للصالحين معان وطرائق يسلكونها ويسألون عنها قد ذهبت في وقتنا وكان لليقين والمعرفة مقامات وأحوال يتذاكرها أهلها ويطلبون أربابها قد عفت آثارها عندنا لقلة الطالبين لها ولعدم الراغبين فيها وفقد العلماء بها وذهاب السالكين في طرقها منها طلب الحلال وعلم الورع في المكاسب والمعاملات وعلم الاخلاص وعلم آفات النفوس وفساد الاعمال وعلم نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق العلم والعمل والفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس وبين اظهار النفس شهوتها واخفائها اذ ذلك والفرق بين سكون القلب بالله وسكون النفس بالاسباب والفرق بين خواطر الروح والنفس وبين خاطر الايمان واليقين والعقل وعلم خلائق الاحوال وأحوال طرائق العمال وتفاوت مشاهدات العارفين وتلوينات الشواهد على المريدين وعلم القبض والبسط والتحقيق بصفات العبودية والتخلق بأخلاق الربوبية وتباين مقامات العلماء الى غير ذلك مما لا نذكره من علم التوحيد ومعرفة معاني الصفات وعلوم المكاشفة بتجلي الذات واظهار الافعال الدالة على معاني الصفات الباطنة وظهور المعاني الدالة على النظر والاعراض والتقريب والابعاد والنقص والمزيد والمثوبة والعقوبة والاجتباء والاختيار وقد ذكرنا من جميع هذه المعاني فصولا ورسمنا جملا وأصولا تنبه على فروعها وندل على اشكالها لمن وفق لتدبرها وأريد بتذكرها وجعل له نصيب منها وقال بعض علمائنا أعرف للمتقدمين سبعين علما كانوا يتحاورونها ويتعارفونها في هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد يعرف قال وأعرف في زماننا هذا علوما كثيرة من الاباطيل والدعاوى والغرور وقد ظهرت وسميت علوما لم تكن فيما مضى تعرف فهذا كالشراب الذي وصفه الله تعالى فقال يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ وكان الجنيد رحمه الله تعالى من قبله يقول علمنا هذا الذي نتكلم فيه قد طوى بساطه منذ عشرين سنة وانما نتكلم في حواشيه وكان يقول أيضا قد كنت أجالس قوما سنين يتحاورون في علوم لا أفهمها ولا أدري ما هي وما بليت بالانكار قط كنت أتقبلها وأحبها من غير أن أعرفها وكان أيضا يقول كنا نتجارى مع اخواننا قديما في علوم كثيرة ما تعرف في وقتنا هذا ولا سألني عنها أحد وهذا باب قد أغلق وردم ولما صنف شيخنا أبو سعيد بن الاعرابي كتاب طبقات النساك ووصف أول من تكلم في هذا العلم وأظهره ثم من بعده من البصريين والشاميين وأهل خراسان الى ان كان آخرهم البغداديين وقال آخر من تكلم في هذا العلم صاحبنا جنيد القواريري وكانت له بصيرة فيه وحقيقة وحسن عبارة وما بقي بعده الا من يحاسبه غيظا وقال مرة أخرى ما بقي بعد جنيد الا من يستحي من ذكره وقد كان امامنا أبو محمد سهل رحمه الله يقول بعد سنة ثلثمائة لا يحل لاحد ان يتكلم بعلمنا هذا لانه يحدث قوم يتصنعون للخلق ويتزينون بالكلام لتكون مواجيدهم لباسهم وحليتهم كلامهم ومعبودهم بطونهم وقد كان حذيفة رضي الله عنه اذا سئل أي الفتن أشد فقال ان يعرض عليك الخير والشر فلا تدري أيهما تأخذ لكثرة الشبهات كما كان سهل يقول بعد سنة ثلثمائة لا يصح لاحد توبة لانه يفسد خبزهم وهم لا يصبرون عن الخبز يعني ان أول التوبة أكل الحلال وقد روينا في خبر يأتي على الناس زمان يضلون فيه دينهم فلا يعرفونه يصبح الرجل على دين ويمسي على دين يضل أمره على غير يقين وتسلب عقول أكثر أهل ذلك

نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم * قال صلى الله عليه وسلم الغيبة أشد من الزنا قالوا يا رسول الله وكيف الغيبة أشد من الزنا قال ان الرجل يزني فيتوب فيغفر الله وان صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفرها له صاحبه واعلم أنه يجب على سامعها الانكار بلسانه فان لم ينزجر به فبيده وان لم يستطع بهما فبقلبه وفارق المجلس ان قدر عليه وروى الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينصره فلم ينصره أذله الله عز وجل يوم القيامة على رؤس الخلائق ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة ومنها القذف وشهادة الزور وسب المسلم واللعن والكذب قال الله تعالى والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون خ م قال صلى الله عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله وماهي قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق وأكل

الزمان وأوّل ما يرفع عنهم الخشوع ثم الاجابة ثم الورع ويقال أوّل ما يرفع من الناس الالفة

(ذكر ما أحدث الناس من القول والفعل فيما بينهم مما لم يكن عليه السلف)

كان الناس قديما اذا التقوا يقول أحدهم لصاحبه ما خبرك وما حالك يعنون بذلك ما خبر نفسك فى مجاهدتها وصبرها وما حال قلبك من مزيد الايمان وعلم اليقين ويريدون أيضا ما خبرك فى المعاملة لمولاك وما حالك فى أمور الدنيا والآخرة هل ازددت أم انتقصت فيتذاكرون أحوال قلوبهم ويصفون أعمال علومهم ويذكرون ما وهب الله تعالى لهم من حسن المعاملة وما فتح لهم من غرائب الفهوم فكان هذا من تعديد نعم الله تعالى عليهم ومن جميل شكرهم ويكون مزيدا لهم فى المعرفة والمعاملة وقد كان بعضهم يقول أكثر علومنا ومواجيدنا ما يعرفه بعضنا من بعض وما يخبر به أحدنا أخاه اذا التقينا فقد جهل هذا اليوم فترك فهم اذا تساءلوا عن الخبر والحال انما يريدون به أمور الدنيا وأسباب الهوى ثم يشكو كل واحد مولاه الجليل سبحانه وتعالى الى عبده الذليل ويتسخط أحكامه ويتبرم بقضائه وينسى نفسه وما قدمت يداه فمثله كما قال تعالى ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه وكما قال تعالى ان الانسان لربه لكنود قيل كفور بنعمته نعدد المصائب وينسى النعم كل ذلك جهالة بالله تعالى وغفلة عنه ومنه قولهم الآن كيف أصبحت وكيف أمسيت هذا محدث انما كانوا اذا التقوا قالوا السلام عليكم ورحمة الله وفى الخبر من بدأكم بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وانما حدث هذا فى زمان الطاعون الذى كان يدعى طاعون عمواس بالشام من الموت الذريع كان الرجل يلقى أخاه غدوة فيقول كيف أصبحت من الطاعون ويلقاه عشية فيقول كيف أمسيت منه لان أحدهم كان اذا أصبح لم يمس واذا أمسى لم يصبح فبقى هذا الى اليوم ونسى سببه وكان من عرف حدوثه من المتقدمين يكرهه حدثونا عن أحمد بن أبى الحوارى قال قال رجل لابى بكر بن عياش كيف أصبحت أو كيف أمسيت فلم يكلمه وقال دعونا من هذه البدعة قال وقلت لبعض السلف كيف أصبحت فاعرض عنى وقال ما كيف أصبحت قل بالسلام وروى أبو معشر عن الحسن رضى الله عنه انما كانوا يقولون السلام عليكم سلمت والله القلوب فأما اليوم كيف أصبحت أصلحك الله كيف أمسيت عافاك الله فان أخذنا بقولهم كانت بدعة ألا ولا كرامة فان شاؤا غضبوا علينا ومن ذلك ابتداء الرجل فى عنوان الكتاب باسم المكتوب اليه وانما السنة ان يبتدئ بنفسه فيكتب من فلان الى فلان قال ابن سيرين رحمه الله تعالى غبت غيبة فكتبت الى أبى فابتدأت باسمه فكتب الى يا بنى اذا كتبت الى فابدأ باسمك فى الكتاب فان ابتدأت باسمى قبل اسمك لا اقرأ لك كتابا ولارددت اليك جوابا وكتب العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبدأ بنفسه وكتب من العلاء بن الحضرمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال أوّل من أحدثه زياد فعابه العلماء عليه وعدوه من احداث بنى أمية وقد بقى سنة هذا فى كتب الخلفاء والامراء الى اليوم على نحو ما مضى فهم يقدمون اسماءهم فى كتبهم ومن الاحداث قول الرجل اذا جاء منزل اخيه يا غلام يا جارية فيه مخالفة لامر الله عز وجل وأمر رسوله عليه السلام قال الله عز وجل لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها قال أهل التفسير الاستئناس الدق أو التنحنح أو الحركة حتى يؤذن بذلك ان وراءها انسانا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء أحدكم منزل أخيه فليسلم ثلاثا فان أذن له فليدخل والا فليرجع وكان السلف يقرع احدهم باب أخيه ثم يسلم ثلاثا يقف بعد كل تسليمة هنيهة فان أذن له دخل وقد لا يحب صاحب المنزل أن تدخل عليه فى ذلك الوقت لسبب عذرله فيقول وعليكم السلام ورحمة الله ارجع عافاك الله فانى على شغل فيرجع عنه غير كاره لرجوعه ولا يؤثر ذلك عليه فى نفسه وقد يكون قوله ارجع أحب اليه لانه أفضل له رجاء الاجابة والتزكية لقوله تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم فربما رجع فى اليوم مرتين أو ثلاثا بعد رد صاحبه له وهو يعود لان ذلك لم يؤثر فى قلبه شيأ وهذا الفعل بعض الناس من أهل عصرنا هذا المنكر همولعل أن لا يعود يومه ذلك فاما

الزنا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات خ م عن أبى بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت خ م قال صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقتاله كفر خ م قال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين بملة غير الاسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال ومن قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة وليس على رجل نذر فيما لا يملكه ولعن المسلم كقتله خ م قال صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا ائتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر يا مسكين لا تضيع عمرك سدى بكلام لا يعنيك ت عن أنس قال توفى رجل من الصحابة فقال رجل أبشر بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم أولا تدرى فلعله تكلم فيما لا يعنيه أو بخل بما لا ينقصه واياك أن تضيعه بكلام فيه العقوبة ت عن أبى هريرة سئل رسول الله صلى

العلماء فقد كان بعض الناس لا يستأذن عليهم الا لهم لا بد منه بل كانوا يقعدون على أبوابهم وفى مساجدهم ينتظرون خروجهم لاوقات الصلاة اجلالا للعلم وهيبة للعلماء وحدثونا عن أبى عبيد قال ماقرعت على عالم قط بابه كنت أجىء الى منزله فاقعد على بابه انتظر خروجه من قبل نفسه أتأول قول الله عز وجل ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم وقد روينا مثل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى موضعه من العلم والشرف ان المار كان يمر به وهو قائم على باب منزل الرجل من الانصار تسفى عليها الرياح فيقول ما يجلسك ههنا يا ابن عم رسول الله فيقول أنتظر خروج صاحب المنزل فيخرج الرجل فيقول ابن عم رسول الله لو أرسلت الى لجئتك فيقول لا أنا كنت أحق أن آتيك فيسأله عما يريد من حديث بلغه انه يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن هو سمعه منه ومن ذلك استقصاء الرجل فى المسئلة عن حال أخيه وخبره وقد كره ذلك تزوج سلمان الفارسى رضى الله عنه فلما دخل على أهله خرج الى الناس من الغد فقال له رجل كيف أنت يا أبا عبد الله قال بخير أحمد الله تعالى قال كيف حالك وكيف بت البارحة وفى لفظ آخر كيف وجدت أهلك فغضب سلمان وقال لم يسأل أحدكم فيحفى المسئلة وليسأل عما وراء البيوت يكفى أحدكم أن يسأل عن ظاهر الامر وأما سليمان بن مهران الاعمش فان رجلا قال له فى منزله كيف أنت يا أبا محمد قال بخير قال كيف حالك قال فى عافية قال كيف بت البارحة فصاح بجارية انزلى بالفراش والمخاد فأنزلت بذلك فقال افرشى واضطجعى حتى اضطجع الى جنبك لنرى أخانا كيف بت البارحة وكان يقول يلقى أحدهم أخاه فيسأله عن كل شئ حتى عن الدجاج فى البيت ولو سأله درهما ما أعطاه وكان من مضى من السلف اذا لقى أخاه لا يزيد على قوله كيف أنتم أوحيا كم الله بالسلام ولو سأله شطر ماله قاسمه ومن ذلك قول الرجل لاخيه اذا لقيه ذاهبا فى الطريق الى أين تريد أو من أين جئت فقد كره هذا وليس من السنة ولا الادب وهو داخل فى التجسس والتحسس لان التحسس فى الآثار والتجسس فى الاخبار وهذا السؤال عن ذلك يجمعهما وقد لا يحب الرجل أن يعلم صاحبه أين يذهب ولا من أين جاء وقد كره ذلك مجاهد وعطاء قالا اذا لقيت أخاك فى طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين يذهب فلعله ان يصدقك فتكره ذلك ولعله ان يكذبك فتكون قد حملته عليه وقد كانوا يكرهون بيع المصاحف وشراءها وكان بعضهم لبيعها أكره منه لشرائها وقد ابتدع الناس علوما لم تكن تعرف فيما سلف منها علم الكلام والجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم بأدلة الرأى والمعقول ومنها ايثار علم العقل والرأى والقياس على ظواهر القرآن وعلى الاخبار ومنها اظهار الاشارات بالمواجيد من غير علومها ولا بيان تفصيلها وفى ذلك تحيير للسامعين واضلال للعاملين وانما كان العلماء بهذا العلم يظهرون علوم المواجيد ويخفون الاشارة بالوجد فيظهرون للناس ما ينفع ويخفون ما يضر ولان المواجيد أحوال قلوبهم فكتمها أفضل وعلومها أنصبة المريدين والعاملين فاظهارها هو البغية لهم فاظهروه واخفوا وجدهم لانه سر لهم فسلموا من التصنع والدعوى وأعطوا السامعين نصيبهم ومنعوهم ما ليس لهم فعدلوا فى الوصفين معا ففضلوا فى الحالين جميعا فهل هذا الآن فأظهر ضده وكان الى الضرر أقرب ومن السلامة أبعد فمن لم يحسن التفصيل ولم يرزق العبارة فانه يحسن الصمت فهو واسع ان من لم يتكلم بعلم على سنة فسكوته أقرب له الى الله تعالى فمثله فى ذلك كما قال الله عز وجل ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ومما ظهر اظهار علوم المعرفة بمعانى الرغبة ليتميزوا عن الفقراء تكبرا منهم فلا يجعلون بجعلهم فليصرف اليهم من الاسباب على قدر انسهم وأحوالهم وهذا من أكبر أبواب الدنيا وأضره على مريدى الآخرة وألطفه تمويها فى الدين ومنها الكلام فى التوحيد بمخالفة علم الشرع وأن الحقيقة تخالف العلم والحقيقة هى علم وهى أحد طرقات الشريعة وعلم الشرع عنها فكيف تنافيها وهى التى أوجبته وانما هى عزيمة وضيقة وعلم الظاهر هو الرخصة والسعة فمن تكلم فى علم الباطن على غير قواعد العلم الظاهر وأصوله فذلك

الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار قال الفم والفرج واقطع صحبة صديق يدعوك اليه فانه عدوك وأى عدو يحملك على دخول نار لا تطيقها الجبال واياك ثم اياك أن لا تنكر الغيبة حتى لا تكون لك حبة خردل من ايمان كما فى صحيح مسلم فتنبه لذلك فخلق كثير لا يهتدون لذلك وربما يسمع شخصا يغتاب آخر يصغى اليه وربما ساعده عليه ولا تغتر بكثرة من لا يبالى بذلك من فقهاء السوء والمتصوفة الجهلة فانهم لصوص الدين وبهم فساد أمة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال صلى الله عليه وسلم هلاك أمتى على يد اثنين عالم فاسق وعابد جاهل

(شعر)

يا أيها الغافل جد الرحيل
وأنت فى لهو وزاد قليل
لو كنت تدرى ما تلاقى غدا
لذبت من فرط البكا والعويل
فاخلص التوبة تحظى بها
فما بقى فى العمر الا القليل
ولا تنم ان كنت ذا غبطة
فان قدامك نوما طويل

اللهم صل على محمد هادينا وآله واغفر لنا ولوالدينا ولاحبابنا وللمسلمين

(فصل فى الغضب والكبر والحسد) خ م عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك

من الالحاد فى الشريعة والوليجة بين الكتاب والسنة وقد قال بعض العارفين نظرت الى هؤلاء الشاطحين فما وجدت الا جاهلا مغرورا أو خاسئا حبورا أو مستظهرا بلاشئ ومنها الكلام فى الدين بالوساوس والخطرات عن غير ردمواجيدها الى الكتاب والسنة والواجب معرفة تفصيلها ونفى مالم يشهد له الكتاب والسنة منها اذ فى المواجيد ضلال وغرور وفى المشاهدات باطل وزور مع دعواهم المحبة وانكارهم الصفة التى جاءت بها السنة وعن غير شهادة موصوف وادعائهم المعرفة من غير تعرف معروف ومما أحدثوا السجع فى الدعاء والتغريب فيه ولم يرد الكتاب به ولا نقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا الصحابة بل كانوا ينهون عن الاعتداء فى الدعاء ويجتنبون مجاوزة ما أخبر الله تعالى عن أوليائه من الادعية الجامعة المختصرة المعروفة ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذبك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور وسمع عبد الله بن مغفل ابنه يدعو بدعاء يعمق فيه فقال يابنى اياك والحدث والاعتداء فى الدعاء وفى قوله عزوجل ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لايحب المعتدين قيل فى الدعاء فالاعتداء فى الدعاء هو ترك ما أخبر الله عزوجل عن أوليائه الصالحين من الدعاء بالمغفرة والرحمة والتوبة ومعنى ذلك من الدعاء المعروف والقول المشهور الى التنطع والتعميق والتغريب والتدقيق ويقال ان العلماء والابدال لايزيد أحدهم على سبع كلمات فى الدعاء ووجدت تصديق ذلك فى الكتاب ان الله تعالى ما أخبر عن عباده فى الدعاء فى مكان واحد اكثر من سبع دعوات وهى التى فى آخر سورة البقرة والاانما يخبر عنهم بالدعوتين والثلاث والاربع الى الخمس فى مواضع من الكتاب متفرقة ومر بعض السلف بقاص يدعو ويسجع فى دعائه ويتعمق فقال له ويلك على الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو ومايزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لاتفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير قال والناس يبكون من كل ناحية وكانتعرف اجابة دعائه وبركته وكان أبو يزيد البسطامى يقول سله بلسان الحاجة لا بلسان الحكمة وقال الحسن ادع بلسان الاستكانة والافتقار لا بالفصاحة والانطلاق ومما أحدثوه أخذ القرآن بالادارة وتنازع الاثنين الآية أوتلقى الرجلين للآيتين فى مكان واحد بمنزلة الاختلاس والنهبة من غير خشوع للقرآن ولاهيبة وقراءة القرآن تحتاج الى حزن وسكون وخشوع ومن ذلك أخذ المقرئ على الاثنين وليته قام بقراءة الواحد لسهو القلب كما قيل لابراهيم الحربى ان فلانا يأخذ على الاثنين فقال هاه يحتاج اثنان أن يأخذا على واحد ومن البدع التلحين فى القراءة حتى لاتفهم التلاوة وحتى يجاوزا اعراب الكلمة بمد المقصور وقصر الممدود وادغام المظهر واظهار المدغم ليستوى بذلك التلاحن ولا يبالى باعوجاج الكلم واحالته عن حقيقته فهو بدعة ومكروه استماعه قال بشر بن الحرث سألت ابن داود الحربى أمر بالرجل يقرأ فاجلس اليه قال يقول بطرب قلت نعم قال لاهذا قد أظهر بدعته ومن ذلك التلحين فى الاذان وهو من البغى والاعتداء فيه قال رجل من المؤذنين لابن عمر رضى الله عنهما انى لاحبك فى الله تعالى فقال له لكنى أبغضك فى الله تعالى قال يا أبا عبد الرحمن لم قال لانك تبغى فى أذانك وتأخذ عليه أجرا وكان أبو بكر الآجرى رحمه الله يقول خرجت من بغداد ومايحل لى المقام بها قد ابتدعوا فى كل شئ حتى فى قراءة القرآن وفى الاذان وكان يعنى بذلك قراءة الادارة والتلحين وقدم علينا مكة فى سنة ثلاثين ومن جل ما أحدث الخلف فخالفوا به سنن السلف انهم شددوا فى أشياء كان السلف يسهلون فيها وسهلوا أشياء كان السلف يشددون فيها فمثلهم فى ذلك كالخوارج شددوا فى الصغائر من الذنوب وسهلوا فى الآثار والسنة وفى ترك مذهب الجماعة حتى فارقوهم فمما شدد فيه الخلف مما كان السلف يسهلونه كتب الاحاديث من أنواع طرقها وتتبع الغرائب من طرقاتها وتحرى الالفاظ فيها وقد قال ابن عون أدركت ثلاثة يرخصون فى المعانى ابراهيم والشعبى والحسن رحمهم الله تعالى وعن

نفسه عند الغضب م عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لايكلمهم الله يوم القيامة ولايزكيهم وفى رواية ولاينظر اليهم ولهم عذاب أليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبرا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجرع عبد أفضل عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاء وجه الله تعالى ه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الغضب ليفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل خ عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم قريب وروى أحمد فى الزهد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يجاء بالجبارين والمتكبرين يوم القيامة هم رجال فى صورة الذر يطؤهم الناس من هوانهم على الله تعالى حتى يقضى بين الناس ثم قال اذهب بهم الى نار الانيار قيل يارسول الله ومانار الانيار قال عصارة أهل النار م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة فقال ان الله جميل

جماعة من علماء السلف والصحابة التوسعة في معاني الاحاديث وان لم يؤد ألفاظها ومن ذلك تجريد الحروف وتحري المقرئ الواحد في جميع اختياره حتى كأنه فرض عليه ومن ذلك التدقيق في القياس والنظر والتبحر في علوم النحو والعربية كما قال ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى أعربنا في الكلام فلم نلحن ولحنا في الاعمال فياليتنا لحنا في الكلام وأعربنا في الاعمال وذكرت العربية عند القاسم بن المخيمرة فقال أولها كبر وآخرها بغي وقد قال بعض السلف النحو يذهب الخشوع من القلب وقال آخر من أحب أن يزدري الناس كلهم فليتعلم العربية وشددوا في الطهارة بالماء وتنظيف الثياب وكثرة غسلها من عرق الجنب ولبس الحائض ومن أرواث ما يؤكل لحمه وأبواله وغسل اليسير من الدم ونحو ذلك وكان السلف يرخصون في هذا كله ومما سهلوه مما كان السلف يشددون فيه أمر المكاسب وترك التحري فيها والكلام فيما لا يعني والخوض في الباطل والغيبة والنميمة والاستماع اليهما والعقد على البلاغات وسوء الظن لأجلها وهو اشتراك في الغيبة والنميمة وكل بلاغة تزيد وتنقص ان كان شرا ازددت فيه وان كان خيرا نقصت منه وسهلوا في النظر الى الزور واللهو ومجالسة البطالين والمشي في أسباب الهوى والتعصب وشدة الحرص على الدنيا وهذا كله كان السلف يشددون فيه ومما أحدثوا دخول النساء الحمام من غير ضرورة ودخول الرجل بغير مئزر وهو فسق وسئل ابراهيم الحربي رحمه الله تعالى عمن يشرب النبيذ ولا يسكر أيصلي خلفه قال نعم قيل فمن دخل الحمام بغير مئزر فقال لا يصلي خلفه هذا الآن شرب النبيذ يختلف فيه اذا لم يسكر ودخول الحمام بغير مئزر محرم باجماع وكان بعض العلماء يقول يحتاج داخل الحمام الى مئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته والا لم يسلم في دخوله وكان ابن عمر يقول الحمام من النعيم الذي أحدثوه ومن المنكر في الحمام تولي القيم لعورة الرجل المسلم في الاطلاء بالنورة وقد كان من هدى العلماء في قعودهم أن يجتمع أحدهم في جلسته فينصب ركبتيه ومنهم من يقعد على قدميه ويضع مرفقيه على ركبتيه كذلك كان شمائل كل من تكلم في هذا العلم خاصة من عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن زمن الحسن البصري وهو أول من أظهر هذا العلم وفتق الالسن به الى وقت أبي القاسم الجنيد قبل أن تظهر الكراسي وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقعد القرفصاء ويحتبي بيديه وفي رواية أخرى انه كان يقعد على قدميه ويجعل مرفقيه على ركبتيه وأول من قعد على كرسي من أهل هذا العلم يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى بمصر وتبعه أبو حمزة ببغداد فعاب الاشياخ عليهما ذلك ولم يكن ذلك من سيرة العارفين الذين يتكلمون في علم المعرفة واليقين انما كان يجلس متربعا النحويون واللغويون وأبناء الدنيا من العلماء المفتين وهي جلسة المتكبرين ومن التواضع الاجتماع في الجلسة

(ذكر تفصيل العلوم معروفها وقديمها ومحدثها ومنكرها)

اعلم أن العلوم تسعة أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف فأما الاربعة المعروفة فعلم الايمان وعلم القرآن وعلم السنن والآثار وعلم الفتاوى والاحكام وأما الخمسة المحدثة فالنحو والعروض وعلم المقاييس والجدل في الفقه وعلم المعقول بالنظر وعلم علل الحديث وتطريق الطرقات فيه وتعليل الضعفاء وتضعيف النقلة للآثار فهذا العلم من المحدث الا انه علم لأهله فيه سمعه أصحابه منهم وقد كانوا يرون القصص بدعة وينهون عنه ويكرهون مجالسة القصاص وقال بعض العلماء نعم الرجل فلان لولا انه يقص وقال بعض هذه الطائفة مثل أصحاب الحكايات في أهل المعرفة مثل القصاص في الفقهاء وقال آخر مثل القصاص في العلماء مثل أهل السواد في أهل المدن فأما أكل الدنيا بالدين وأخذها على الصلاح وبيع العلم بالدنيا والتصنع والتزين للعموم فمن قبيح ما أحدث وهو أظهر من أن يدل على فساده عند من عرف ظاهر العلم وقد سمى هؤلاء في زماننا هذا الجاهلون بالعلم علماء وجعلهم الناقصون عن الفضل فضلاء لقلة معرفتهم بطريق المتقدمين وعدم بصيرتهم بحقيقة علم الدين واعلم أن الكلام ينقسم

وغمط الناس أي دفع الحق واحتقار الناس ه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة منجيات وثلاثة مهلكات فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا والسخط والقصد في الغنى والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع واعجاب المرء بنفسه وهو أشدهن اعلم ان الكبر أول معصية عصى الله تعالى بها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر فمن تكبر شارك ابليس في ذنب أورثه الطرد والبعد والعذاب الذي لا آخر له فلا يأمن على نفسه سوء الخاتمة د قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ت ا عن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وروى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لنعم الله تعالى أعداء قيل من أولئك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله اعلم أن الحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها سواء كانت

عندنا سبعة أقسام العلم منه قسم واحد وسائر الستة لغو مطرح يلتقطه من لا يعرفه ولا يفرق بين العلم والجهل والعرب تقول لكل ساقطة لاقطة ولكل قائلة ناقلة فالستة افك وسفه وخطأ وظن وزخرف ووسوسة فهذه أسماؤها عند العلماء يفصلون ذلك بما فصل الله تعالى لهم من بيانه واستحفظهم من كتابه وجعلهم شهداء على دينه وعباده فالقسم السابع من الكلام هو ما عدا هذه الستة ولم يقع عليه اسم منها مذموم فهو علم وهو نص القرآن والسنة أو ما دل عليه واستنبط منهما أو وجد فيهما اسمه ومعناه من قول وفعل والتأويل اذا لم يخرج عن الاجماع داخل في العلم والاستنباط اذا كان مستودعا في الكتاب يشهد له المجمل ولا ينافيه النص فهو علم وقد كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد جمع الله تعالى بين زين العقل ومتعة الدنيا بتسمية الزخرف فقال تعالى ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وكما قال زخرف القول غرورا فذهاب الجاهل بالاستحسان لزخرف القول من المموه من غل الدنيا كمتعة الجاهل من أبناء الدنيا بزخرف الذهب ذاهبا عن حقيقة الامر والزخرف ما موه على الذهب فيشبه به بحسبه الجاهل والصبي عين الذهب كذلك الزخرف من القول ما موه ويشبه على العلم بحسبه المستمع من الجهال علما فكذلك جمع بينهما في التسمية الزخرف وقد قيل ان الزخرف هو الذهب فعلى هذا شبه قول الغرور بالذهب الذي يذهب بقاؤه وتقل حقيقته عند الربانيين وأهل الحقيقة الزاهدين اذ شبهه الانبياء والصديقون كالحجر والمدر وكان الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ما أقل العلم فيهم والله المستعان وقال الامام مالك بن أنس رضى الله عنه لم يكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال في أكثر الامور أدركتهم يقولون مستحب ومكروه وكان مالك كثير التوقف في الاجوبة اذا سئل ويكثر أن يقول لا أدري سل غيري وقال رجل لعبد الرحمن بن مهدي ألا ترى الى قول فلان في العلم حلال وحرام وقطعه في الامور بعلمه يعني رجلا من أهل الرأي والى قول مالك اذا سئل أحسب أحسب فقال عبد الرحمن ويلك قول مالك أحسب أحسب أحب الي من قول فلان اشهد اشهد وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوا فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن اسألوهم عن السنن فانهم لا يعرفونها وكان الشعبي رحمه الله تعالى اذا نظر الى ما أحدث الناس من الرأي والهوى يقول لقد كان القعود في هذا المسجد أحب الي مما يعدل به فمذ صار فيه هؤلاء المراؤن فقد بغضوا الي الجلوس فيه ولان أقعد على مزبلة أحب الي من أن أجلس فيه وكان يقول ما حدثوك عن السنن والآثار فخذ به وما حدثوك عما أحدثوا من رأيهم فامخط عليه وقد قال مرة فبل عليه وقد كان السلف يستحبون العي والبله عن علوم المعقول وقد جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الايمان اذ قرنه بالحياء فقال الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق وقال عليه السلام أبغض الخلق الى الله عز وجل البليغ الذي يتخلل الكلام بلسانه كما يتخلل الباقر الخلا بلسانها يعني الحشيش الرطب وقال في حديث آخر العي عي اللسان لا عي القلب وقال ان الله عز وجل كره لكم البيان كل البيان فصار الفقه انما هو فقه القلب عن الرب سبحانه وتعالى وصار فقه اللسان بالبيان انما هو عي القلب عن الشهادة والايقان وعي اللسان وطول الصمت الذي كان يستحبه السلف هو اليوم عيب ومن المتكلمين من لا يعرف من كلام البدع وعلم المنافقين الذي ذمه القدماء هو اليوم سنة وأهل التدقيق به هم العلماء اليوم ولقد صار المعروف منكرا والمنكر معروفا وصارت السنة بدعة والبدعة سنة وكذلك جاءت به الاخبار في وصف علماء آخر الزمان وفي الخبر المشهور ان الله تعالى يبغض الثرثارين المتشدقين فمن غلب عليه هذا الوصف فكان متشدقا بليغا في علم الرأي والمعقول عيي القلب عن مشاهدة اليقين وعلم الايمان كان الى النفاق أقرب ومن حقيقة الايمان أبعد وقد كان أبو سليمان الداراني يقول لا ينبغي لمن ألهم شيأ من الخيرات أن يعمله حتى يسمع به في الأثر فيحمد الله تعالى اذا وافق ما في نفسه

النعمة دينا أو دنيا فاحذره يا أخي فانه يؤدي الى محذور عظيم لانه منازعة في الربوبية وعدم رضا بما قسمه الله لعبده من خزائنه بعلمه وحكمته وفي منهاج العابدين حكي ان تلميذا لفضيل بن عياض رحمه الله حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لا تقرأها فسكت ثم لقنه الشهادة فقال لا أقولها فاني بريء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله وجعل يبكي أربعين يوما لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب به الى النار فقال بأي شئ نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلامذتي فقال بثلاثة أشياء أولها النميمة فاني قلت لاصحابي خلاف ما قلت لك والثاني الحسد حسدت لاصحابي والثالث كان بي علة فجاء الى طبيب فسألته عنها فقال اشرب في كل سنة قدحا من خمر فان لم تفعل تبقى بك العلة فكنت أشربه نعوذ بالله من السخط الذي لا طاقة لنا به * اخواني انظروا الى ما فعلت به الآثام ووقع به عند الحمام أبيدكم كتاب أمان من زوال الايمان اخواني الى متى تؤخرون المتاب هذا الشيب قد دنا وقد تولى الشباب أخي متى تصالح مولاك متى تقف بالباب أما اعتبرت

وقال بعض العارفين ماقبلت خاطرا من قلبي حتى يقيم لى شاهدى عدل من كتاب وسنة وكان امامنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول لايبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون فيه هذه الاربع أداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهى من الظاهر والباطن والصبر على ذلك حتى الممات وقد كانوا يعيبون على من تكلم بعد طلوع الفجر الى طلوع الشمس بغير ذكر الله تعالى وكانوا يخرجون المتحدثين من المساجد فلا يبقى فيه الا مصل أو ذاكر لله تعالى وقد كان السلف يستعظمون يسير الحديث فى الدين ودقائق البدع فى الاسلام لعظم الايمان والسنة فى قلوبهم ولمعرفتهم بحقيقة المعروف قال عبد الله بن مغفل لابنه وقد سمعه يقرأ خلف الامام يابنى اياك والحدث اياك والحدث وقال سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع فى كلامه هذا الذى يبغضك الى لاقضيت حاجتك أبدا وكان قد جاءه يسأله حاجته وقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أوتى امرؤ شرا من طلاقة فى لسانه وقال صلى الله عليه وسلم لابن رواحة حين سجع سمعه فوالى بين ثلاث وقال اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع مازاد على كلمتين وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى أمره بدية الجنين لما قال كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل فمثل هذا بطل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أسجع كسجع الاعراب وروينا أن مروان لما أحدث المنبر فى صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدرى فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست بدعة هى خير مما تعلم ان الناس قد كثروا فأردت أن يبلغهم الصوت قال أبو سعيد رضى الله عنه ولا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لاصليت وراءك اليوم فانصرف ولم يصل معه صلاة العيد فالخطبة على منبر فى صلاة العيد وخطبة الاستسقاء بدعة وكان عليه السلام يخطب فيهما على الارض متوكئا على قوس أو عصا وروى ان عمر رضى الله عنه أخر صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فأعتق رقبة وفعله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أيضا فأعتق رقبة استنانا بعمر وهو جده لامه وروينا عن ابن عمر رضى الله عنهما انه أخر صلاة المغرب حتى طلع كوكبان فأعتق رقبتين وفى الخبر لاتزال أمتى على مسكة من دينها مالم يؤخروا صلاة المغرب الى اشتباك النجوم تشبها باليهودية ولم يؤخروا صلاة الصبح الى افتراق النجوم تشبها بالنصرانية وقال سفيان الثورى رحمه الله ويوسف بن أسباط لاتقلد دينك من لادين له وقال وكيع لان أزنى أحب الى من أن أسأل مبتدعا عن دينى وكان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قد أكثر عن عبيد الله بن موسى العبسى ثم بلغه عنه أدنى بدعة قيل انه كان يقدم عليا على عثمان وقيل بل ذكر معاوية بسوء فانصرف احمد ومزق جميع ماحمل عنه ولم يحدث عنه شيأ وقيل له مرة يا أبا عبد الله أوكيع أشبه بالسلف أم عبيد الله فقال وكيع وان زنى وحدثونا عن ابراهيم الحربى قال كتبت عن على بن المدينى رضى الله عنه جعل لله تعالى على أن لاأحدث عنه بحرف قيل ولم يا أبا اسحق فذكر صلاته خلف مبتدع وكان رحمه الله تعالى يقول صحبت الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل العربية وأهل اللغة سبعين سنة ماسمعت هذه المسائل التى أحدثت فى هذا الوقت من أحد منهم قط يعنى الاسم والمسمى ونحو ذلك وقال واحرج على من كان من أهل الكلام والجدل أن يحضر مجلسى أو يسألنى عن شئ فانه لاعلم لى بالكلام ولا أنا أحسنه ولا أقول بأهله ولو عرفت أحدا منهم ماكلمته ولا أجبته عن شئ وهجر الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى أبا ثور صاحب الشافعى لما سئل عن معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق آدم على صورته قال ان الهاء عائدة على آدم فغضب وقال ويله وأى صورة كانت لآدم يخلقه عليها ويله يقول ان الله تعالى خلق على مثال فأى شئ يعمل فى الحديث المفسر ان الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن فبلغ ذلك أبا ثور فجاءه واعتذر وحلف انه ماقلت عن اعتقاد وانما هو رأى رأيته والقول ماقلت وهو مذهبى وهجر أيضا حارثا المحاسبى رحمه الله تعالى فى رده على المبتدعة وكان من أهل السنة فقال أنت ترد عليهم وقد حكيت قولهم وأيضا فانك تحملهم على التفكر والرأى فيما قلت فيكون سببا لرد الحق بالباطل وهجر أيضا يحيى بن معين فى كلمة تكلم بها وهو قوله لوأعطانى

الشيطان

بالراحلين من الاحباب والاتراب شعر

اليك من مكرك ياسيدى
كل البرايا دائما يحذرون
فكم عيوب وذنوب مضت
ونحن عنها سيدى غافلون
نضيع العمر بكسب الخطا
فنحن فى أوقاتنا لاعبون
نشاهد الموتى ولا نعتبر
ولا انتبهنا لريب المنون
بل غفلة تعمى أبصارنا
وشقوة خابت لديها الظنون
فنحن يارب الورى كلنا
اليك من زلاتنا هاربون
لكننا نسأل رب الورى
عفوا وصفحا كى تقر العيون

(فصل) فى الرياء وهو طلب المنزلة فى قلوب الناس بارائهم الخصال المحمودة قال الله عز وجل فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وفى الحديث ان رجلا قال يارسول الله انى أقف الموقف أبتغى به وجه الله عز وجل وأحب أن يرى موطنى فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الآية الكريمة ن عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يارسول الله وما جب الحزن قال واد فى جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يارسول الله ومن يدخله قال القراء المراؤن بأعمالهم رواه ابن ماجه وزاد فيه وان من أبغض القراء الى

الشيطان شيأ أخذته وقال مالك بن أنس رضى الله عنه ليس من السنة أن تجادل عن السنة ولكن تخبر بها فان قبل منك والا فاسكت وقيل لعبد الرحمن بن مهدى رضى الله عنه ان فلانا يرد على المبتدعة فقال بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قالوا لا بل بالمعقول قال بئسما صنع رد بدعة ببدعة وحدث زيد بن أخزم عن وهب بن جرير قال سمعت شعبة رحمه الله تعالى يقول أتيت الحرث العكلى فقلت ما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم اذا تبع أحدكم جنازة فلا يجلس حتى توضع قال أرأيت ان جئنا ولم يحفر له ينبغى لنا أن نقوم قياما فخبت قال لى أرأيت تركته وروى محمود بن غيلان أيضا عن وهب أيضا عن شعبة قال أتيت المنهال بن عمرو أسأله عن حديث فسمعت من منزله صوت طنبور فرجعت ولم أسأله ثم ندمت بعد ذلك فقلت هلا سألته فعسى كان لا يعلم به ومما أحدثوا البيع والشراء على الطريق وكان الورعون لا يشترون شيأ ممن قعد يبيعه على طريق وكذلك اخراج الرواشن من البيوت وتقديم العضايد بين يدى الحوانيت الى الطريق مكروه ومما كرهه أهل الورع البيع والشراء من الصبيان لانهم لا يملكون وكلامهم غير مقبول وحدثت عن أبى بكر المروزى ان شيخا كان يجالس الامام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ذا هيبة فكان أحمد يقبل عليه ويكرمه فبلغه عنه انه طين حائط داره من خارج قال فاعرض عنه فى المجلس فاستنكر الشيخ ذلك فقال يا أبا عبد الله هل بلغك عنى حدث أحدثته قال نعم طينت حائطك من خارج قال ولا يجوز قال لا لانك قد أخذت من طريق المسلمين أنملة قال فكيف أصنع قال اما أن تكشط ما طينته واما أن تهدم الحائط وتؤخره الى وراء مقدار أصبع ثم تطينه من خارج قال فهدم الرجل الحائط وأخره أصبعا ثم طينه من خارج قال فاقبل عليه أبو عبد الله كما كان ومما كرهه السلف طرح السنور والدابة على المزابل فى الطرقات فيتأذى المسلمون بروائح ذلك وكان شريح وغيره اذا مات لهم سنور دفنوها فى دورهم ومثله اخراج الميازيب وصبها الى الطرقات وكان الامام أحمد بن حنبل رحمه الله وأهل الورع يجعلون ميازيبهم الى داخل دورهم وقال ابراهيم النخعى رحمه الله كان أحدهم يكذب مرتين ولا يشعر يقول لا شئ الا شئ ليس بشئ يعنى قول الناس للشئ اليسير الذى لا يوصف بكثير لا شئ فاستعظم هذا ورآه كذبا مرتين ورويناعن عمر رضى الله عنه انه قال لعوانة كنت أرثى لك من العمى فصرت الآن أغبطك به قال وكيف قال صرت لا ترى أبا الصغرى بعينيك مبتدع كان بالمدينة وقيل لقتادة تود لو انك بصير فقال لا على من كنت أفتح عينى بل لو كان فى وقت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنظر اليهم وحدثونا عن الفضل بن مهران قال قلت ليحيى بن معين أخ لى يقعد الى القصاص فقال انهه فقلت لا يقبل قال عظه قلت لا يقبل أأهجره قال نعم قال فأتيت الامام أحمد بن حنبل فذكرت له نحو ذلك فقال قل له يقرأ فى المصحف ويذكر الله تعالى فى نفسه ويطلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت فان لم يفعل قال بلى ان شاء الله تعالى فان هذا الاجتماع محدث قلت فان لم يقبل أأهجره فتبسم وسكت وسأل رجل بشر بن الحرث رحمه الله تعالى عن مسئلة من علم القلوب فتوقف ثم أجابه ثم سأله مسئلة أخرى من علم المعاملات فسكت ونظر اليه ثم قال من تجالس من الناس فقال منصور بن عمار وابن السماك فقال ألا تستحى تسألنا عن علم القلوب ثم تجالس القصاص قال واعرض عنه حتى قلنا له يا أبا نصر انه لا بأس به انه من أهل السنة وقد كانوا يكرهون الصلاة فى المقصورة ويرونها انها أول بدعة أحدثت فى المساجد ويكرهون تزويق المساجد وكذا القبلة بالزخرف وتحلية المصاحف وهذا من البدع وفى الخبر اذا ما زخرفتم مساجدكم وحليتم مصاحفكم فالدبار عليكم وقد كانوا يكرهون كثرة المساجد فى المحلة الواحدة روى ان أنس بن مالك رضى الله عنهما لما دخل البصرة جعل كلما خطا خطوتين رأى مسجدا فقال ما هذه البدعة لما كثرت المساجد قل المصلون أشهد لقد كانت القبيلة بأسرها ليس فيها الا مسجد واحد وكان أهل القبائل يتبانون المسجد الواحد فى الحى من الاحياء واختلفوا فى أيهما يصلى اذا اتفق مسجدان فى محلة فمنهم من قال فى أقدمهما واليه ذهب أنس بن مالك وغيره من

الله تعالى الذين يزورون الامراء قال المحاربى يعنى الجورة دقا عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه الا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة يعنى ريحها اه عن شداد بن أوس انه بكى فقيل له ما يبكيك قال شئ سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكرته فابكانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتخوف على أمتى الشرك والشهوة الخفية قال قلت يا رسول الله أتشرك أمتك من بعدك قال نعم اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولا وثنا ولكن يراؤن بأعمالهم والشهوة الخفية أن يصبح أحدهم صائما فتعرض له شهوة من شهواته فيترك صومه وروى ابن أبى الدنيا ان المرائى ينادى يوم القيامة يا فاجر يا غادر يا مرائى ضل عملك وحبط أجرك اعلم ان الرياء ضربان رياء محض وهو أن يريد بعمل الآخرة نفع الدنيا ورياء تخليط وهو أن يريد نفع الدنيا ونفع الآخرة وكلاهما محبطة للاجر ويكون الرياء بخمسة بالبدن والهيئة والثياب والقول وصفات الاعمال قال بعضهم الاخلاص أن يريد بالطاعة

الصحابة قال وكانوا يجاوزون المساجد المحدثة الى المساجد العتق وكان الحسن يقول يصلى فى أقربهما منه و يقال أول ماحدث من البدع أربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع وكانوا يكرهون ان تكون أوانى البيت غير الخزف ولا يتوضأ أهل الورع فى آنية الصفر والنحاس قال الجنيد قال لى سرى السقطى اجتهد ان لا تستعمل من آنية بيتك الا جنسك يعنى من الطين و يقال لا حساب عليه ومما كرهه السلف تشييد البناء بالجص والآجر يقال أول من طبخ الطين هامان أمره به فرعون و يقال هو بناء الجبابرة وكرهوا النقوش والتزويق فى السقوف والابواب وكانوا يغضون من النظر الى ذلك وغاب الاحنف بن قيس غيبة فرجع وقد خضر واسقف بيته وصفروه فلما نظر اليه خرج من منزله وحلف ان لا يدخله حتى يقلعوا ذلك منه و يعيدوه كما كان وقال يحيى بن معاذ من أصحاب الثورى رحمه الله كنت أمشى مع الثورى فى طريق فمررنا بباب منقوش مزوق فنظرت اليه فجذبنى سفيان حتى جزت فقلت ما تكره من النظر الى هذا فقال انما بنوه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لا ينظر اليه ما بنوه فكأنه خشى ان يكون بنظره اليه معاونا له على بنائه ومما أحدث الناس مما كانوا يكرهونه الثياب الرقاق مثل القصب ورقيق بزمصر للنساء والرجال وهو للنساء أكره وأغلظ وكانوا يقولون الثياب الرقاق لباس الفساق ومن رق ثوبه رق دينه و يقولون أول النسك الزى وقال ابن مسعود رضى الله عنه لا يشبه الزى الزى حتى يشبه القلب القلب وخطب بشر بن مروان وعليه ثوب رقيق فجعل رافع بن خديج رضى الله عنه يهزأ به و يقول انظروا الى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق ولما جاء عبد الله بن عامر بن كريز فى بزته الى أبى ذر رضى الله عنه وسأله عن الزهد وأخذ يتكلم فيه فجعل أبو ذر يضرط به فى كفه ثم أعرض عنه ولم يكلمه فغضب ابن عامر وكان قرشيا شريفا وشكاه الى ابن عمر رضى الله عنهما فقال له أنت فعلت بنفسك تأتى أبا ذر فى هذه الثياب وتسأله عن الزهد وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وصف نساء يكن فى آخر الزمان فقال كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن أمثال اسنمة البقر يعنى المعاجر والاكوار لا يجدن رائحة الجنة كان ابن عباس يفسر التبرج انه منه لبس مارق من الثياب وقال فى قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال كانت المرأة تلبس ثيابا قيمتها كذا وكذا لا تواري لها عورة مما لا يجوز فيه الصلاة لانه يصف أو ينشف فكره ولبسه وانما كانت ثياب السلف السنبلانى والقطوانى وعصب اليمن ومعافرى مصر والقباطى مثل كسوة الكعبة والثياب السحولية اليمانية والكرابيس الحضرمية وهذه كلها غلاظ كثيفة وكانت الاثمان من خمسة دراهم الى ثلاثين درهما ومابين ذلك ثم أحدث الناس الثياب الرقاق من كتان مصر وقطن خراسان وكان طول متزر رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ونصفا وثمنه الى الاربعة والخمسة وكانت أثمان ثيابهم القمص من الخمسة الى العشرة فيما بينهما من الثمن ولكن قد جاء فى الخبر لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكرا والمنكر معروفا وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لا يأتى على الناس عام الا أماتوا فيه سنة وأحيوا فيه بدعة حتى تموت السنن وتحيا البدع وانما قيل منكر لانه لا يعرف فاذا خفى الحق فلم يعرف وقع عليه اسم منكر وكذلك قيل معروف لانه مشهور مألوف فاذا فشا الباطل وكثر الجهل حتى ألف وعرف وقع عليه اسم المعروف وكذلك قيل يكثر الجور حتى يولد فيه من لا يعرف العدل وكان الشعبى رحمه الله يقول يأتى على الناس زمان يصلون فيه على الحجاج وهذا قد أتى منذ زمان لان الحجاج قد ابتدع أشياء أنكرها الناس عليه فى زمانه هى اليوم سنن معروفة وأعمال مستحسنة يترحم الناس و يغبطون من أحدثها و يحسبون انه مأجور عليها مشكور له سعيه فيها الا انهم لا يعرفون انه أحدثها فهم وان لم يفوهوا بالصلاة عليه قولا فان استعمالهم لما أحدث واستحسانهم لما ابتدع ترحم منهم عليه والترحم هو الصلاة وأيضا فانه ابتدع أشياء من الخير وداخلة فى أبواب الآخرة ثم ظهرت ولاة بعده أحدثوا احداثا من الجور وابتدعوا بدعا من الفسوق فصارت سننا بعدهم فوجب بذلك الصلاة على الحجاج

التقرب الى الله عز وجل دون التصنع للخلق أو تحصيل أن يحمد عند الناس أو قصد معنى من المعانى غير التقرب الى الله عز وجل قالوا وللاخلاص علامات منها استواء المدح والذم ومنها أن ينسى أن يرى عمله فى حال طاعته ومنها طلب ثواب الآخرة اعلم أن الرياء والحسد والكبر وغيرها من المعاصى كالظلم وترك الزكاة والربا ونحوها تتشعب من حب الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ن قال صلى الله عليه وسلم ان لكل أمة فتنة وفتنة أمتى المال اه قال صلى الله عليه وسلم من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على ما يفنى وفى حياة الحيوان وغيرها عن عبد الله بن المبارك انه كان يتجر ويقول لولا خمسة ما تجرت السفيانان وفضيل وابن السماك وابن علية ليصلهم فقدم سنة فقيل له ولى ابن علية القضاء فلم يأته ولم يصله بشئ فاتى اليه ابن علية فلم يرفع رأسه اليه ثم كتب اليه ابن المبارك شعر

يا جاعل العلم له بازا
يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها
بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعد ما
كنت دواء للمجانين

الى جنب ما أظهر بعده فما أحدث هذه المحامل والقباب التى خالف بها هدى السلف بالتنعم والرفاهية وانما كان الناس يخرجون على الرواحل والزوامل فيضحون للشمس و ينصبون فى سبيل الله تعالى و يشعثون و يغبرون و يقل أكلهم ونومهم و تكثر رفاهة الابل وتقل المشقة والحمل عليها فيكون ذلك أثوب لهم وأزكى لحجهم وأدنى الى السلامة لابلهم و يوافقون به سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخرجهم من جميع ذلك بما أدخلهم فيه من بدعته فصار وا يخرجون فى بيوت ظليلة مع الحمل على الابل ما لا تطيق فيكون سبب تلفها فيشركونه فيه و يشركهم بسنته وابتدع أيضا هذه الاخماس والعواشر ورؤس الآى وحمر السواد وخضره وصفره فادخل فى المصحف ما ليس فيه من الزخرف وكان السلف يقولون جردوا القرآن كما أنزله الله تعالى ولا تخلطوا به غيره فانكر العلماء ذلك عليه حتى قال أبو رزين يأتى على الناس زمان ينشأ فيه نشء يحسبون ان ما أحدث الحجاج فى المصاحف هكذا أنزله الله تعالى يذمه بذلك وحتى نقل الاختلاف وان بعضهم كان لا يقرأ فى مصحف منقوط بحمرة لان بعضهم كان لا يرى القراءة فى مصحف منقوط كما نقل ان بعضهم كان يرى شراء المصحف ويكره بيعه اى وكذلك اذا لم تنقطه انت فلا بأس ان تقرأ فيما نقطه غيرك وقد كانوا يكرهون أخذ الاجر على تنقيط القرآن لاجل انه مبتدع وقال أبو بكر الهذلى سألت الحسن رحمه الله عن تنقيط المصاحف بالاجر قال وما تنقيطها قلت يعربون الكلام بالعربية فقال أما اعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقال فراس بن يحيى وجدت ورقا منقوطا بالنحو فى سجن الحجاج فعجبت منه وكان أول نقط رأيته فاتيت به الشعبى فاخبرته فقال لى اقرأ عليه ولا تنقطه أنت بيدك ومنها انه جمع من القراء ثلاثين رجلا فكانوا يعدون حروف المصحف و يعدون كلمه شهرا ولو رآهم عمر أو عثمان أو على يصنعون هذا بالقرآن أى يعدون حروفه وكلمه لاوجعوهم ضربا وهذا الذى كرهته الصحابة ووصفوا به قراء آخر الزمان انهم يحفظون حروفه و يضيعون حدوده وكان الحجاج اقرأ القراء واحفظهم لحروف القرآن كان يختم القرآن فى كل ثلاث وكان أضيع الناس لحدوده ومنها انه ابتدع اخراج الحصى والرمل من المساجد وفرشها بالبوارى كما روى ان قتادة سجد فدخلت فى عينه قصبة وكان ضريرا فقال لعن الله الحجاج ابتدع هذه البوارى يؤذى بها المصلين وقد كانوا يستحبون السجود على الارض والتراب تواضعا لله تعالى وتخشعا وذلا الى غير ذلك من بدعه التى لم نقصد تعديدها عليه ولا جمعها فهى اليوم سنن معروفة وشرائع مألوفة مع ما أحدث غيره مما يكثر عدده منكر كله عند من عرف المعروف من سيرة المتقدمين وشمائل الصالحين وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه يظهر المنكر والبدع حتى اذا غير منها شئ قيل غيرت السنة وقال فى آخر حديثه كيسهم فى ذلك الزمان الذى يروغ بدينه روغان الثعالب وقد كان أنس بن مالك رضى الله عنه فى سنة ثمانين وأيام الحجاج يقول ما أعرف اليوم شيأ كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قد غير الا شهادة ان لا اله الا الله قيل فالصلاة يا أبا حمزة قال أوليس قد أحدثوا فى الصلاة ما علمتم يعنى تأخيرها والتثويب قبلها وتعين السلام حتى انهم يضاهون به الاقامة فجعلوه كالسنة وكان يقول للقراء اذا دخلوا عليه مثل يزيد الرقاشى وزياد النميرى وفرقد السنجى ما أشبهكم باصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيفرحون فيقول نعم رؤسكم ولحاكم فهذا كما قال المجنون

أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نسائها

وعن جماعة من الصحابة لو نشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأوكم لما عرفوا شيأ مما انتم عليه الآن الا الصلاة فى جماعة وفى لفظ آخر الا انكم تصلون جميعا وكان الحسن يقول صحبت طوائف لو رأيتموهم لقلتم مجانين ولو رأوا اخياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق وقال أبو حازم أدركت القراء وهم القراء حقا ولو كان حامل القرآن فى مائة رجل لعرف بشدة تواضعه وحسن سمته وخشوعه ووقره

أين رواياتك فى سردها عن ابن عوف وابن سيرين أين رواياتك والقول فى * لزوم أبواب السلاطين ان قلت أكرهت فذا باطل * زل حمار العلم فى الطين فلما وقف اسمعيل بن علية على الابيات ذهب الى الرشيد ولم يزل به الى ان استعفاه من القضاء فعفاه انتهى * اخوانى استغفروا الله من الذنوب وطهروا منها ضمائر القلوب واعجبا لمن يطهر منظر الخلق ولا يطهر منظر الخالق و يستحيى من الناس ولا يستحيى من الله الله اصغر عندك من الناس أم نار جهنم أهون عليك من حر الظهيرة كلا ولكن شبهات الغفلة قد استحكمت على القلوب أقفالها

شعر

يا غاديا فى غفلة و رائحا
الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا
يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وأنت مبصر
كيف تجتنب الطريق الواضحا
كيف تكون حين تقرأ فى غد
صحيفة قد حوت الفضائحا
وكيف ترضى ان تكون خاسرا
يوم يفوز من يكون رابحا
فاعمل لميزانك خيرا فعسى
يكون فى يوم الحساب راجحا

ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين واجعلنا من المخلصين وصل على محمد سيد

القرآن في سمته وقد خضعه القرآن وأخشعه فاما هؤلاء فوالله ماهم بالقراء ولكنهم الجراء وقد قال بعضهم كنا نشهد الجنازة فلا نعرف صاحب المصيبة ولا ندري من نعزي من شدة حزن القوم قال وكان أحدهم يبقى بعد شهود الجنازة ثلاثا لا ينتفع به وكان الفضيل رحمه الله يحذر من قراء زمانه فقال اياك وصحبة هؤلاء القراء فانك ان خالفتهم في شئ كفروك وقال سفيان الثوري رحمه الله ماشئ أحب الي من صحبة فتى ولا شئ أبغض الي من صحبة قارئ وكان كثيرا يقول من لم يحسن يتغنى لم يحسن يتقرى وكان بشر بن الحارث يقول لان أصحب فتى أحب الي من ان أصحب قارئا فاياك وصحبة القراء فانهم يذمون غير مذموم وان تركت الصلاة معهم في جماعة تشاهدوا عليك كل ذلك لانهم يجاوزون الحد في الشئ ويسرعون الانكار الى كل شئ لغلبة الجهل عليهم وقلة مجالستهم للعلماء ومعاناتهم للعلم وانهم موصوفون بدقائق الرياء والتصنع للعامة فينكرون غير منكر ويتعصبون بالبغضة والهجر في الشئ اليسير الذي قد يغتفر مثله وهم غير موصوفين بمحاسن الاخلاق ولا موسومين بالبشاشة والانطلاق اذ فيهم كزازة وتغليظ على الناس ولزازة وحنق على الاغنياء حتى كأنهم يأكلون أرزاقهم وكأنهم يعملون العبادة لهم وفيهم كثرة مقت لاهل البشر والطلاقة فلذلك قال بعضهم الشريف اذا تقرى تواضع والوضيع ان تقرى تكبر وقال آخر السفلة اذا تقرى أكثر الامر بالمعروف واعترض على جيرانه في كل شئ يعني أكثر الامر بالمعروف ليعرف به فمن أجل ذلك رفضهم العلماء وذمهم الحكماء لان العلم يبسط ويوسع وتكون معه الاخلاق الحسنة والآداب والمروآت الواسعة والعالم يضع الاشياء في مواضعها من الناس ولا يجاوز بها أولا بهم المقادير ويستخرج لهم المعاذير ومن صفة العلماء الانقباض في بسط خلق وقد قال الامام الشافعي رحمه الله الانقباض على الناس مكسبة لعداوتهم فكن بين المنقبض والمنبسط وفي الخبر انكم لا تسعون الناس باموالكم فليسعهم منكم وجه طلق وخلق حسن وفي لفظ آخر وبشر وبشاشة وهذا كله معدوم من القراء ولا يعرفونه وقد جعل الله تعالى لكل شئ قدرا فمن تعدى حد الشئ فقد أفسده وقال بعض السلف قليل التواضع يكفي من كثير العمل وقليل الورع يكفي من كثير العلم ومن اخلاق السلف مما تهاون به الخلف انهم كانوا يعدون من النفاق ان يتكلم الرجل فيمن يكلمه أو يكلم من تكلم فيه لانهم كانوا اذا كلموا أحدا أو سلموا عليه سلمت له قلوبهم ولم يتكلموا فيه واذا تكلموا في أحد لبدعته أو ظهور فسقه لم يكلموه وكانوا اذا مدحوا أحدا بقول لم يذموه بفعل واذا ذموا أحدا بفعل لم يمدحوه بقول لان في ذلك لسانين واختلاف وجهين واختلاف سر وعلانية وكانوا يقولون معنى سلام عليك اذا لقيته أي سلمت مني ان اغتابك وأذمك فكان اختلاف هذا عندهم من أبواب النفاق وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وفي حديث آخر من كان ذا لسانين في الدنيا جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وكان بعضهم يقول ماذكر عندي انسان قط الا مثلته جالسا فقلت في غيبته ما يحب ان يسمع وقال آخر ماذكر عندي رجل الا تصورت في نفسي مثاله فكل ما أحب ان يقال لي قلته له وقال بعض السلف قليل التواضع يكفي عن كثير العمل وقليل الورع يكفي عن كثير العلم فهذه كانت صفات المسلمين الذين يسلم الناس على أيديهم وقلوبهم كان أحدهم اذا ذكر عنده غيره بسوء وقف وتفكر في شأن نفسه فان كان فيه مثل ذلك السوء قطعه الحياء عن الكلام في أخيه فسكت وان لم يكن ذلك فيه حمد الله عز وجل ورحم أخاه فشغله الشكر لمولاه اذ عافاه فهذه كانت سيرة السلف ويقال في بعض كتب الله تعالى عجبا لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ولمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وأعجب من ذلك من أحب نفسه على اليقين وأبغض الناس على الشك ومن طريقة السلف مما كانوا يشددون فيه حب المدح وطلب الحمد حتى قال بعضهم من أحب المدح وكره الذم فهو منافق وقال عمر رضي الله عنه لرجل من سيد قومك قال انا قال لو كنت كذلك لم تقل وكتب محمد بن كعب فانتسب فقال

(فصل) في طول الامل

قال الله سبحانه وتعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون خ م عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصي فيه يبيت ليلتين الا ووصيته مكتوبة عنده قال ابن عمر ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك الا وعندي وصيتي ت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بادروا بالاعمال سبعا هل تنتظرون الا فقرا منسيا وغنى مطغيا ومرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر والساعة والساعة أدهى وأمر وفي شرح السنة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بقرب الماء فتيمم بالتراب فاقول يا رسول الله ان الماء منك قريب يقول ما يدريني لعلي لا أبلغه وفيه عن سفيان الثوري قال ليس الزهد في الدنيا بلبس الغليظ والخشن وأكل الجشب انما الزهد في الدنيا قصر الامل وروي عن علي رضي الله عنه أخوف ما أخاف عليكم اثنان طول

القرظى قيل له قل الانصارى قال أكره ان أمن على الله عز وجل بعالم أفعل وقال الثورى رضى الله عنه اذا قيل لك بئس الرجل انت تغضب فانت بئس الرجل وقال آخر لا يزال فيك خير مالم تران فيك خيرا وسئل بعض العلماء ما علامة النفاق قال الذى اذا مدح بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وكان سفيان رضى الله عنه يقول اذا رأيت الرجل يحب ان يحبه الناس كلهم ويكره ان يذكره أحد بسوء فاعلم انه منافق فهذا داخل فى وصف الله تعالى المنافقين بقوله تعالى ستجدون آخرين يريدون ان يأمنوكم ويأمنوا قومهم فينبغى لمن امن فى أهل السنة ان يخاف فى أهل البدع وهذا مما دخل على القراء الذى ذمهم العلماء مداخل الليل فى النهار واعل مغرور اجاهلا يتأول الحديث الذى جاء اذا مدح المؤمن ربا الايمان فى قلبه على غير تأويله ويحمله على غير محمله فانما قال ربا الايمان ولم يقل ربا المؤمن فربو الايمان زيادته وزيادته بالخوف والاشفاق من المكر به والاستدراج وفيه طريق للعارفين بان يعلو الايمان العلى الى المؤمن الاعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه الى سيده الذى به تولاه فيرد الصنعة الى صانعها ويشهد فى الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحا للصانع ووصفا للفاطر لا ينظر الى نفسه ولا يعجب بوصفه وهذه طرقات قد درست وانقطع سلاكها الامن رحم ربك

(باب تفضيل علم الايمان واليقين على سائر العلوم والتحذير من الزلل فيه وبيان ماذكرناه)

اعلم أن كل علم من العلوم قد يتأتى حفظه ونشره لمنافق أو مبتدع أو مشرك اذا رغب فيه وحرص عليه لانه نتيجة الذهن وثمرة العقل الا علم الايمان واليقين فانه لا يتأتى ظهور مشاهدته والكلام فى حقائقه الا لمؤمن موقن من قبل ان ذلك تقرير مزيد الايمان وحقيقة العلم والايقان فهو آيات الله تعالى وعهده عن مكاشفة قدرته وعظمته وآيات الله تعالى لا تكون للفاسقين وعهده لا ينال الظالمين وعظمته وقدرته لا تكون شهادة للزائغين ولا وجد للمبطلين اذ فى ذلك توهين لآيات الله وحججه وانتقاص لبراهينه وقدرته ودخول الشك فى اليقين الذى هو محجة المخلصين والذين هم بقية الله تعالى من عباده واشتباه الباطل بالحق الذى هو وصف أهل الصدق الذين هم أدلته عليه من أهل وداده وهذا من أدل دليل على فضل علم المعرفة على غيره قال الله عز وجل أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل وقال تعالى بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم وقال سبحانه وتعالى ان فى ذلك لآيات للمتوسمين وقال قد بينا الآيات لقوم يوقنون وقال عز وجل ولنبينه لقوم يعلمون فهؤلاء العلماء بالله تعالى الناطقون عن الله عز وجل جعل لهم انصبة منه ومكانا عنده ولا يكون ذلك لمن ليس اهلا له ولا حقيقا به لانهم آيات الله تعالى وبيناته وشهوده وبصائره كاشفو طريقه ومظهرو بيانه اذ يقول تعالى ثم ان علينا بيانه ثم قال تعالى خلق الانسان علمه البيان بعد قوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين مع قوله تعالى وكانوا أحق بها وأهلها فنصروه بما نصرهم به وتحققوا بما حققهم منه وشهدوا له ماشهد لهم عنه فكانوا للمتقين اماما والى الهداية أعلاما وقال بعض أهل المعرفة من لم تكن له مشاهدة من هذا العلم لم يعر من شرك أو نفاق لانه عار من علم اليقين ومن عرا من اليقين وجد فيه دقائق الشك وقال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم شئ بدعة أو كبر وقال طائفة من أهله من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقال أبو محمد سهل أقل عقوبة من أنكر هذا العلم ان لا يرزق منه شئ أبدا واتفقوا على انه علم الصديقين وان من كان له منه نصيب فهو من المقربين وينال درجة أصحاب اليمين واعلم ان علم التوحيد ومعرفة الصفات مباين لسائر العلوم فالاختلاف فى سائر العلوم الظاهرة رحمة والاختلاف فى علم التوحيد ضلال وبدعة والخطا فى علم الظاهر مغفور وربما كانت حسنة اذا اجتهدوا والخطا فى علم التوحيد وشهادة اليقين كفر من قبل ان العباد لم يكلفوا حقيقة العلم عند الله تعالى فى طلب العلم الظاهر وعليهم

الامل واتباع الهوى ألا وان طول الامل ينسى الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق ق عن ابن عمر انه قال كنت جالسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء رجل من الانصار فسلم على النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أى المؤمنين أفضل قال أحسنهم خلقا قال فاى المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم لما بعده استعدادا أولئك الاكياس ت قال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله أى المقصر من اتبع الشهوات وتمنى على الله ان يغفر له وهذا هو الاغترار فان الله تعالى أمره ونهاه وعن معروف الكرخى رحمة الله عليه انه قال رجاؤك الرحمة ممن لا تطيعه حماقة وخذلان قال الغزالى رحمة الله عليه اعلم انه اذا طال الامل هاج منه أشياء ترك الطاعة والكسل فيها وترك التوبة وتسويفها والحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا وقسوة القلب ونسيان الآخرة قال لقد وعظت نفسى بالقرآن والموت فقبلت قولا وعملا الا قليلا ولم تجتهد فى تزود الآخرة كاجتهادها فى تدبير العاجلة ولم تستح من الله كما

واجب طلب موافقة الحقيقة عند الله فى التوحيد ومن ابتدع شيأ ردت عليه بدعته وكان مسؤلا عنه ولم يكن حجة لله تعالى على عباده ولا غياثا نافعا فى بلاده بل كان موصوفا بالدنيا وفيها من الراغبين ولم يكن دليلا على الله عز وجل ولا من دعاة الدين ولا اماما للمتقين وقد جاء فى الخبر العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا فى الدنيا فاذا دخلوا فى الدنيا فاحذروهم على دينكم والخبر المشهور من أحدث فى ديننا ماليس فيه فهو رد وقد روينا عن عيسى عليه السلام وقيل له من أشد الناس فتنة فقال زلة عالم اذا زل زل بزلته عالم وقد روينا معناه عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مما أخاف على أمتى زلة عالم وجدال المنافق فى القرآن وكان بعض السلف يقول مثل العالم اذا زل مثل سفينة اذا غرقت غرق معها خلق كثير ومثل كسوف الشمس يصيح الناس يا غافلون الصلاة وانها عند العامة آية يفزع منها وروى فى خبر غريب من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة فى الاسلام يحمل الناس عليها وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول ويل للعالم من الاتباع وويل للاتباع من العالم يزل العالم زلة فيتبعه عليها فئام من الناس وتبلغ الآفاق وما أعلم أحدا أعظم جرما ممن ابتدع فى دين الله عز وجل فنطق فى كتاب الله تعالى وفى علم المعرفة بما لم يأذن به الله ثم لم يعبأ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو حجة الله تعالى على جميع خلقه وطريق مقربيه من عباده فاضل بذلك عباد الله عز وجل فان مثل من ابتدع فى الدين واتخذ وليجة دون الكتاب والسنة وبين طريق المؤمنين الى جنب من يكاثر فى أمور الدنيا وارتكب فيها شهوات الأهواء كمثل من اجترح المظالم بين الناس فى الاموال والدماء الى جنب من ظلم نفسه بكسب الذنوب بينه وبين ربه ان مظالم العباد أعظم وهو الديوان الذى لا يترك كذلك التمويه فى الدين أعظم لانه مظالم الآخرة وقطع طرقات المؤمنين ومحو شريعة المرسلين ومثله أيضا مثل من أذنب وجحد ذنبه واحتج لنفسه الى من أذنب واعترف بذنبه واعتذر من نفسه فهو أقرب للعفو وأرجى للرحمة من الآخر كذلك من اعتل بالتقصير والتفريط فى العمل ولم ينصح لنفسه الا انه أظهر حقيقة العلم ونصح لله تعالى ولرسوله ببيان كتابه وذكر سنته أقرب الى حسن الاخلاص وأولى بالتدارك فى العاقبة ممن شرع فى دين الله تعالى وابتدع فى الامة ما يخالف به الكتاب والسنة هكذا كأنه قد قلب ملة وبدل شريعة فهذا يولد النفاق فى قلبه حتى يختم له به ومثل من ابتدع فى الملة مخالفا للسنة الى من أساء الى نفسه بالذنوب مثل من عصى الملك فى قلب دولته وتظاهر عليه فى ملكه بالازالة الى جنب من عصى أمره وقصر فى حقه من الرعية وقد قال بعض الحكماء ثلاث لا يحسن من الملك ان يغفرها من قلب دولة من رعيته أو عمل فيما يوهن الملك أو أفسد حرمة من حرمه وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعته وقال على كرم الله وجهه الهوى شريك العمى وقال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ثم قال تعالى أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله فسوّى بين الكذاب فى الفرية على الله تعالى وبين المتشبه المضاهى للربوبية وكذلك من أعظم المنكر بعد هذا انكار الحق من أهله ورده عليهم بالتكذيب وقد سوّى الله تعالى أيضا بين التكذيب بالحق وبين ابتداء الكذب على الخالق فى قوله عز وجل ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه وقال تعالى فى مثله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه كذلك أيضا فى ضده سوّى كما سوّى عز وجل بين الصادق بالصدق والمصدق به فقال تعالى والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العالم والمتعلم شريكان فى العلم وقال عيسى عليه السلام بمعناه المستمع شريك القائل ولكن الله تعالى قد جعل هذه الطائفة من أهل العلم بالله تعالى ترد على جميع الطوائف من الشاطحين والمبتدعين أهل الجهالة بالدين والحيدة عن سبيل المؤمنين بما أراهم الله تعالى من علم اليقين وبما شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعلم والتعديل فى قوله يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله

تستحى من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها فى الصيف لاجل الشتاء وفى الشتاء لاجل الصيف ففتشت عن سبب تماديها فوجدت سببه اعتقاد تراخى الموت واستبعاد هجومه على القرب فانه لو أخبره صادق فى بياض نهاره انه يموت من ليلة أو يموت الى أسبوع أو شهر لاستقام واستوى على الصراط المستقيم وترك جميع ما هو فيه مما يظن انه يتعاطاه لله تعالى وهو فيه مغرور فضلا عما ليس لله تعالى فانكشف لى تحقيقا ان من أصبح وهو يأمل انه يمسى أو أمسى وهو يأمل انه يصبح لم يخل من الفتور والتسويف ولم يقدر الا على سير ضعيف انتهى فاتقوا الله عباد الله وبادروا الموت الذى ان هربتم أدرككم وان أقمتم أخذكم وان نسيتموه ذكركم فعجبا لمن نسى الموت وهو يرى من يموت فعجبا للبخيل يستعجل الفقر الذى منه هرب ويفوته الغنى الذى اياه طلب فيعيش فى الدنيا عيش الفقراء ويحاسب فى الآخرة حساب الاغنياء اللهم عافنا من كل بلاء الدنيا وعذاب الآخرة وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين

(فصل) فى سبب طول الامل قال الله تعالى انما أموالكم وأولادكم فتنة

ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فالغالون هم الشانعون لانهم قد جاوزوا العلم ومحوا الرسم فاسقطوا الحكم والبطلون هم المدعون المبتدعون لانهم جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وافتروا بالدعوى وابتدعوا بالرأى والهوى والجاهلون هم المنكرون لغرائب العلم المفترون لما عرفوا من ظاهر العقل كما روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله عز وجل فاذا نطقوا به لم يجهله الا أهل الاغترار بالله تعالى ولا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما فان الله عز وجل لم يحقره اذ آتاه وكل من تأول السنن بالرأى أو المعقول أو نطق بما لم يسبق اليه السلف من القول أو بمعناه فهو متكلف مبطل فأهل العلم بالله تعالى يردون علوم المعقول بعلم اليقين وعلم الرأى بعلم السنة ويثبتون أهل الآثار ويؤيدون نقلة الاخبار بما يفصلون من أخبارهم ويفسرون من حديثهم بما لم يجعل للنقلة طريق اليه ولم يهتد الرواة الى كشف منه بما أشهدهم الله عز وجل واستودعهم ونور به قلوبهم ونطقهم فهم ينطقون عن الله سبحانه وتعالى فيما يخبرون عنه ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وجعلنا منهم أئمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وقد قال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف وقال آخر الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى وقال على رضى الله عنه عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى ويرتفع عنه القالى وهكذا سيرة السلف انه لا يستمع الى مبتدع لانه منكر ولا يرد عليه بالجدل والنظر لانه بدعة ولكن يخبر بالسنن ويحتج بالاثر فان قبل فهو أخوك فى الله عز وجل ووجبت عليك موالاته وان لم يرجع وأنكر نقض بانكاره وعرف ببدعته وحقت عداوته وهجر فى الله تعالى وهذا طريق لا يسلكه فى وقتنا هذا الا من عرف فضله وطريقة السلف فيه وحدثت عن ابليس لعنه الله انه بث جنوده فى وقت الصحابة فرجعوا اليه محسورين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء القوم ما نصيب منهم شيأ قد أتعبونا فيقول انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فيهم فرجعوا اليه منكسرين منكوسين فقال ما شأنكم قالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء القوم نصيب منهم الشئ بعد الشئ من الخطايا فاذا كان من آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فتبدل سيآتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم سنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بازمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فتبدل حسناتهم سيئات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبعث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون منها ولا يتوبون الى الله قال فتسلطت عليهم الاعداء وقادتهم أين شاؤا وقد قال ابن عباس رضى الله عنه ان للضلالة حلاوة فى قلوب أهلها وقد قال الله تعالى اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وقال تعالى أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا كما قال تعالى أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه فالعلم رحمك الله هو الذى كان عليه السلف الصالح المقتفى آثارهم والخلف التابع المقتدى بهديهم وهم الصحابة أهل السكينة والرضا ثم التابعون لهم باحسان من أهل الزهد والنهى والعالم هو الذى يدعو الناس الى مثل حاله حتى يكونوا مثله فاذا نظروا اليه زهدوا فى الدنيا لزهده فيها كما كان ذوالنون رحمه الله يقول جالس من يكلمك علمه لا من يكلمك لسانه وقد قال الحسن رضى الله عنه تبله عظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك وقال سهل رحمه الله العلم يهتف بالعمل فان أجابه والا ارتحل وقد روينا معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قيل له أى جلسائنا خير فقال من ذكركم بالله تعالى رؤيته وزاد فى علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله فأما الذى يطلب دنياهم حتى يكون مثلهم فاذا رأوه اغتبطوا بحالهم فهذا شر منهم لانه يدعو الى نفسه لا الى مولاه ولانه طامع فيهم وهم زاهدون فيه فالعلماء الذين هم ورثة الانبياء هم الورعون فى دين الله عز وجل الزاهدون فى فضول الدنيا الناطقون بعلم اليقين والقدرة

اختبار وامتحان ليختبركم انكم تشتغلون بها عن الله سبحانه وتعالى فتنسونه وتعصونه أى تذكرونه وتطيعونه فيها وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حب الدنيا رأس كل خطيئة اعلم أن طول الامل له سببان أحدهما حب الدنيا لانه اذا أنس بها وبشهواتها وعلائقها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن التفكر فى الموت الذى هو سبب مفارقتها والانسان مشغوف بالامانى الباطلة فيمنى نفسه أبدا بما يوافق مراده وهو البقاء فى الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره فى نفسه ويقدر توابع البقاء وما يحتاج اليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر الموت ولا يقدر قربه وان خطر به فى بعض الاحوال أمر الموت والحاجة الى الاستعداد له سوّف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك فالى أن تكبر ثم تتوب واذا كبر قال الى أن تصير شيخا فاذا صار شيخا قال الى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أوتفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له أوتفرغ من قهر هذا العدو الذى يشمت

لاعلم الرأى والهوى الصامتون عن الشبهات والآراء لايختلف هذا الى يوم القيامة عند العلماء الشهداء على الله تعالى برأى قائل ولا بقول مبطل جاهل كما روى عن عبد الله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم صلح أول هذه الامة بالزهد واليقين و يهلك آخرها بالبخل والامل وقال يوسف بن اسباط كتب الى حذيفة المرعشى ماظنك بمن قد بقى لايجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما وكانت مذاكرته معصية وذلك انه لايجد أهله قلت ليوسف يا أبا محمد وتعرفهم قال لايخفون علينا و يقال ان الابدال انما انقطعوا فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم لايطيقون النظر الى علماء هذا الوقت ولا يصبرون على الاستماع لكلامهم لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء فقد صاروا من أهل الجهل وأهل الجهل بالجهل على الوصف الذى قال سهل رحمه الله ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة أيسر عندهم لانهم لايعدمون ذلك حيث كانوا من أطراف الامصار لان العامة لايموّهون فى الدين ولا يغرون المؤمنين ولا يدعون انهم علماء لانهم يتعلمون و بالجهل معترفون فهم الى الرحمة أقرب ومن المقت أبعد وكان أبو محمد أيضا يقول قسوة القلب بالجهل بالعلم أشد من القسوة بالمعاصى لان الجاهل بالعلم تارك ومدع والعاصى بالفعل مقر بالعلم ويقول أيضا ان العلم دواء به تصلح الادواء فهو يزيل فساد الاعمال بالتدارك والجهل داء يفسد الاعمال بعد صلاحها فهو يزيل الحسنات فيجعلها سيئات فكم بين ما يصلح الفاسد و بين ما يفسد الصالحات وقد قال الله تعالى ان الله لايصلح عمل المفسدين وقال تعالى انا لانضيع أجر المصلحين فهذا من أدل دليل على فضل العالم المقصر على العابد المجتهد واعلم ان العبد اذا باين الناس فى كل شئ من أحوالهم انفرد عن جمعهم ولم يألف أحدا منهم وان باينهم فى أكثر أحوالهم اعتزل عن الاكثر منهم فان فارقهم فى بعض الاحوال ووافقهم فى بعض حاله خالط أهل الخير وفارق أهل الشر

(باب تفضيل الاخبار و بيان طريق الارشاد وذكر الرخصة والسعة فى النقل والرواية)

جميع ماذكرناه فى هذا الكتاب من الاخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم ثم عن الصحابة وعن التابعين وتابعيهم رسمناه حفظا وسقناه على المعنى الا يسيرا اتفق وجوده فى أيدينا وقرب تناوله منا من أخبار فيها طول فانا نقلناها من مواضعها وما بعد علينا فلم نفقه ولم نشغل همتنا به فما كان فيه من صواب و بيان وتثبت فمن الله تعالى بحسن توفيقه وقوة تأييده وما كان فيه من خطا وعجلة وهوى فمنا بالسهو والغفلة ومن عمل الشيطان بالعجلة والنسيان كذلك روينا عن ابن مسعود رضى الله عنه فى قضيته التى قضاها برأيه وقولنا لرأيه تبع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم البيان والتثبت من الله عز وجل والعجلة والنسيان من الشيطان يعنى بواسطته و بقلة التوفيق ولم أعتبر ألفاظ الاخبار فى أكثره ولم آل عن سياق المعنى فى كله اذ ليس تحرير الالفاظ عندى واجبا اذا أتيت بالمعنى بعد أن تكون عالما بتصريف الكلام و بتفاوت وجوه المعانى مجتنبا لما يكون به تحريف أو احالة بين اللفظين وقد رخص فى سوق الحديث على المعنى دون سياقه على اللفظ جماعة من الصحابة منهم على وابن عباس وأنس بن مالك وواثلة بن الاسقع وأبو هريرة ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم امام الائمة الحسن البصرى ثم الشعبى وعمرو بن دينار وابراهيم النخعى ومجاهد وعكرمة رضى الله عنهم نقلنا ذلك عنهم فى كتب سيرهم بأخبار مختلفة الالفاظ وقال ابن سيرين كنت أسمع الحديث من عشرة المعنى واحد والالفاظ مختلفة ولذلك اختلف الصحابة فى رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنهم من يرويه تاما ومنهم من يجىء به مختصرا ومنهم من يرويه على المعنى و بعضهم يغاير بين اللفظين و يراه واسعا اذا لم يخالف المعنى ولم يحل البغية وكلهم لايتعمد الكذب وجميعهم يقصد الصدق ومعنى ماسمع ولايحيل البغية فلذلك وسعهم وكانوا يقولون انما الكذب على من تعمده وقد روينا عن عمران بن مسلم قال قال رجل للحسن يا أبا سعيد انك تحدث بالحديث أنت أحسن له سياقا وأجود تحبيرا

وافصح

بك فلا يزال يسوّف و يؤخر ولا يخوض فى شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخر الى أن تختطفه المنية فى وقت لايحتسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه من سوف وثانيهما الجهل لان الانسان قد يعوّل على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدّوا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وانما قلوا لان الموت فى الشباب أكثر فالى أن يموت شيخ يموت ألف صبى وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض انما يقع فجأة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب ومشيب وكهولة وصيف وشتاء وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه الى طول الامل والى الغفلة عن تقريب الموت القريب فهو أبدا يظن ان الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو أبدا يظن انه يشيع الجنائز ولا يقدر أن تشيع جنازته وسبيله ان يقبس

وأفصح به لسانا منا اذا حدثتنا به فقال اذا أصبت المعنى فلا بأس بذلك وقد قال النضر بن شميل كان هشام لحانا فكسوت لكم حديثه كسوة حسنة يعنى بالاعراب وكان النضر نحويا ونحن قائلون فى جميع مارويناه أو كما قيل ونحوه وشبهه وبمعناه كذلك قال ابن مسعود فى حديثه وكان سليمان التيمى يقوله فى كل ما يحدث به وقد كان سفيان رحمه الله يقول اذا رأيت الرجل يشدد فى ألفاظ الحديث فى المجلس فاعلم انه يقول اعرفونى قال وجعل رجل يسأل يحيى بن سعيد القطان عن حرف فى الحديث على لفظه فقال له يحيى يا هذا ليس فى أيدينا أجل من كتاب الله تعالى وقد رخص القراءة فيه بالكلمة على سبعة أحرف فلا تشدد وفى بعض مارويناه مراسيل ومقاطيع ومنها ما فى سنده مقال وربما كان المقطوع والمرسل أصح من بعض المسند اذ رواه الائمة وجاز لنا رسم ذلك لمعان أحدها انا لسنا على يقين من باطلها والثانى ان معنا حجة بذلك وهو روايتناه وانا قد سمعنا فان أخطأنا الحقيقة عند الله تعالى فذلك ساقط عنا كما قال الاسباط وما شهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين فى قولهم ان ابنك سرق فاخطؤا الحقيقة عند الله تعالى الا انهم كانوا معذورين لوجود الدليل وهو شهادتهم للصاع مستخرج من رحل أخيهم والثالث ان الاخبار الضعاف غير مخالفة للكتاب والسنة لا يلزمنا ردها بل فيهما ما يدل عليها والرابع انا متعبدون بحسن الظن منهيون عن كثير من الظن مذمومون بظن السوء والخامس انه لا يتوصل الى حقيقة ذلك الا من طريق المعاينة ولا سبيل اليها فاضطررنا الى التقليد والتصديق بحسن الظن بالنقلة مع ما تسكن اليه قلوبنا وتلين له أبشارنا ونرى انه حق كما جاء فى الخبر وأيضا فانه ينبغى أن نعتقد فى سلفنا المؤمنين انهم خير منا ثم نحن لا نكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على التابعين فكيف نظن بهم أن يكذبوا وهم فوقنا على انه قد جاءت أحاديث ضعاف بأسانيد صحاح فكذلك يصلح ان نورد أحاديث صحاحا بسند ضعيف لاحتمال ان يكون قد روى من وجه صحيح اذ لم نحط بحملة العلم أو لان بعض من يضعفه أهل الحديث يقويه بعضهم وبعض من يجرحه ويذمه أحد يعدله ويمدحه آخر فصار مختلفا فيه فلم نرد حديثه بقول واحد دون من فوقه أو مثله أو لان بعض ما يضعف به رواة الحديث وتعلل به أحاديثهم لا يكون تعليلا ولا جرحا عند الفقهاء ولا عند العلماء بالله تعالى مثل أن يكون الراوى مجهولا لايثاره الخمول وقد ندب اليه أو لقلة الاتباع له اذ لم يقم لهم الاثرة عنه أو ينفرد بلفظ أو حديث حفظه أو خص به دون غيره من الثقات أو يكون غير سائق للحديث على لفظه أو لا يكون معتنيا بحفظ ودرسه وقد يتكلم بعض الحفاظ بالاقدام والجراءة فيجاوز الحد فى الجرح ويتعدى فى اللفظ ويكون المتكلم فيه أفضل منه وعند العلماء بالله تعالى أعلى درجة فيعود الجرح على الجارح أو يكون رأى عليه لباسا أو سمع منه كلاما يجرحه عند الفقهاء علله به بعض القراء من الرواة وأن بعض من يضعفه أصحاب الحديث هو من علماء الآخرة ومن أهل المعرفة بالله تعالى وله فى الرواية والحديث مذاهب غير طريقة بعض أصحاب الحديث فيعمل فى روايته بمذهبه فلا يكون أصحاب الحديث حجة عليه الا كان هو حجة عليهم اذ ليس هو عند أصحابه من العلماء دون أصحاب الحديث ممن ضعفه اذ رأى غير رأى مذهبه وقال بعض العلماء الحديث وان كان شهادة فقد وسع فيه بحسن الظن كما جوز فيه قبول شهادة واحد أى للضرورة كشهادة القابلة ونحوها وروينا معناه عن الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه والحديث اذا لم ينافه كتاب أو سنة وان لم يشهدا له ان لم يخرج تأويله عن اجماع الامة فانه يوجب القبول والعمل بقوله صلى الله عليه وسلم كيف وقد قيل والحديث الضعيف عندى آثر من الرأى والقياس وهذا مذهب الامام أبى عبد الله أحمد بن حنبل رضى الله عنه والحديث اذا تداوله عصران أو رواه القرون الثلاثة أو دار فى العصر الواحد فلم ينكره علماؤه وكان مشهورا لا ينكره الطبقة من المسلمين احتمل ووقع به حجة وان كان فى سنده قول الا ما خالف الكتاب والسنن الصحيحة أو اجماع الامة أو ظهر كذب ناقليه بشهادة الصادقين من الائمة وقال وكيع بن الجراح ما ينبغى لاحد أن يقول هذا الحديث باطل لان

نفسه بغيره ويعلم انه لا بد ان تحمل جنازته ويدفن فى قبره ولعل اللبن الذى يغطى به قبره ولحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى فتسويفه جهل محض واذا عرف ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالفكر الصافى من القلب الحاضر وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج فى اخراجه عن القلب شديد وهو الداء العضال الذى أعيا الاولين والآخرين علاجه فلا علاج له الا الايمان بالله وباليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذى يمحق عن القلب حب الحقير فاذا رأى حقارة الدنيا ونفاسة الآخرة استنكف أن يلتفت الى الدنيا كلها وان أعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها او يرسخ فى القلب حبها مع الايمان بالآخرة فنسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولا علاج فى تقرير الموت فى القلب مثل النظر الى من مات من

الحديث أكثر من ذلك وقال أبو داود قال أبو زرعة الرازى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألف عين تطرف كل واحد قد روى عنه ولو حديثا ولو كلمة أو رواية فحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من أن يحصى وذكر رجل عند الزهرى حديثا فقال ماسمعنا بهذا فقال أكل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعت قال لا قال فثلثاه قال لا قال فنصفه فسكت وقال عد هذا من النصف الذى لم تسمعه وقال الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يزيد بن هرون يكتب عن الرجل وهو يعلم انه ضعيف وكان له ذكاء وعلم بالحديث وقال اسحق بن راهويه قيل للامام أحمد بن حنبل هذه الفوائد التى فيها المناكير ترى أن تكتب الجيد منها فقال المنكر أبدا منكر قيل له فالضعفاء قال قد يحتاج اليهم فى وقت كأنه لم ير بالكتابة عنهم باسا وقال أبو بكر المروزى عنه ان الحديث عن الضعفاء قد يحتاج اليه ومما يدلك على مذهبه فى التوسعة انه أخرج حديثه كله فى المسند المأثور عنه الذى رويناه عن أشياخنا عن ابنه عبد الله عنه ولم يعتبر الصحيح منه وفيه أحاديث كثيرة يعلم الثقات انها ضعيفة وهو أعلم بضعفها منهم ثم أدخلها فى مسنده لانه أراد تخريج المسند ولم يقصد تصحيح السند فاستجاز رواياتها كما سمعها وقد كان قطع أن يحدث الناس فى سنة ثمان وعشرين وتوفى فى سنة احدى وأربعين فلم يسمع أحد منه فى هذه المدة الا ابنه عبد الله وابن منيع جزأ واحدا بشفاعة جده أحمد بن منيع وحدثونا عنه أعنى الامام أحمد قال كان عبد الرحمن ينكر الحديث ثم يخرج الينا بعد وقت فيقول هو صحيح قد وجدته قال وأما وكيع فلم ينكر ولكن يقول اذا سئل عنه لا أحفظه وحدثونا عن ابن أخت عبد الرحمن بن مهدى قال كان خالى قد خط على أحاديث ثم صحح عليها بعد ذلك وقرأتها عليه فقلت قد كنت خططت عليها قال نعم ثم تفكرت فاذا انى ان ضعفتها أسقطت عدالة ناقلها فان حاجنى بين يدى الله تعالى وقال لم أسقطت عدالتى رأيتنى سمعت كلامى لم يكن لى حجة هذا كان مذهب الورعين من السلف وقد كان بعضهم يقول كان ترك مجالسة شعبة لانه كان يدخلنا فى الغيبة وانما كان كلامه فى التضعيف وقال بعضهم فى تضعيف الرواة ان خلعت نعليك يعنى ان أردت الله عز وجل والدين بذلك لم يكن لك ولا عليك فهذه الفصول الذى ذكرناها هى أصول فى معرفة الحديث وهو علم لاهله وطريق هم سالكوه ثم حدث قوم لم يكن لهم علم يختصون به ولا حال من علم يوصفون به ولا شغل من عبادة تقطعهم فجعلوا النفوس علما تشاغلوا به وشغلوا من استمع اليهم فصنفوا كتبا وأخذوا يتكلمون فى نقلة الاخبار بالتعليل وتتبع العثار فطرقوا لاهل البدع الى رد السنن وايثار الرأى والمعقول عليها المارين من طعنهم فيها واغتبطوا بالقياس والنظر لما وجدوا من زهدهم فى السنة والخبر سيما فى زمانك هذا والاحاديث فى الترغيب فى الآخرة والتزهيد فى الدنيا والترهيب لوعيد الله تعالى وفى فضائل الاعمال وتفضيل الاصحاب متقبلة محتملة على كل حال مقاطيعها ومراسيلها لا تعارض ولا ترد وكذلك فى أهوال القيامة ووصف زلازلها وعظائمها لا تنكر بعقل بل تتقبل بالتصديق والتسليم كذلك كان السلف يفعلون لان العلم قد دل على ذلك والاصول قد وردت به وقد روينا من بلغه عن الله فضيلة أو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل به أعطاه الله ثواب ذلك وان لم يكن ما قيل والخبر الآخر من روى عنى حقا فأنا أقوله وان لم أكن قلته ومن روى باطلا فانى لا أقول بالباطل وفى كل ما رسمناه من هذا الكتاب نقول الله أعلم وأحكم وعلمه المقدم وعنده حقائق العلوم واليه ترجع الامور وماشاء كان والله المستعان ولا حول ولا قوة الا بالله وهذا آخر كتاب العلم وتفصيل العلوم ووصف طريق السلف ونشر ما أحدث بعدهم الخلف

(الفصل الثانى والثلاثون فيه شرح مقامات اليقين وأحوال الموقنين) أصول مقامات اليقين التى ترد اليها فروع أحوال المتقين تسعة أولها التوبة والصبر والشكر والرجاء والخوف والزهد والتوكل والرضا والمحبة وهذه محبة الخصوص وهى محبة المحبوب

(ذكر فروض التوبة وشرح فضائلها ووصف التوابين)

الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت فى وقت لم يحتسبوه أما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما ومن كان مغرورا بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا ولينظر الانسان كل ساعة فى أطرافه وأعضائه وليتدبر كيف انها يأكلها الديدان ولا محالة وكيف تتفتت عظامها وليتفكر فى أن الدود يبدأ بحدقته اليمنى أولا وباليسرى ثانيا فما على بدنه شئ الا وهو يطعمه الدود وماله من نفسه الا العلم والعمل الخالص لوجه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر وأهوال يوم القيامة وفزع النداء يوم العرض الاكبر فأمثال هذه الافكار التى تجدد ذكر الموت على قلبه وتدعوه الى الاستعداد له ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب

(فصل) اعلم أن للموت ثلاث دواه الاولى الالم بسكراته قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده قدح عند الموت يجعل يده فيه ثم يمسح وجهه ويقول اللهم هون على محمد سكرات الموت وفاطمة تقول واكرب

قال الله تعالى فى البيان الاول من خطاب العموم وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون معناه ارجعوا اليه من هوى نفوسكم ومن وقوفكم مع شهواتكم عسى أن تظفروا ببغيتكم فى المعاد وكى تبقوا ببقاء الله عز وجل فى نعيم لا زوال له ولا نفاد ولكى تفوزوا وتسعدوا بدخول الجنة وتنجوا من النار فهذا هو الفلاح وقال فى البيان الثانى من مخاطبته الخصوص يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار فنصوحا من النصح جاء على وزن فعول للمبالغة فى النصح وقد قرئت نصوحا بضم النون فتكون حينئذ مصدر نصحت له نصحا ونصوحا فمعناه خالصة لله تعالى وقيل اشتقاقه من النصاح وهو الخيط أى مجردة لا تتعلق بشئ ولا يتعلق بها شئ وهو الاستقامة على الطاعة من غير روغان الى معصية كما تروغ الثعالب وأن لا يحدث نفسه بعود الى ذنب متى قدر عليه وان يترك الذنب لاجل الله تعالى خالصا لوجهه كما ارتكبه لاجل هواه مجمعا عليه بقلبه وشهوته فتى أتى الله عز وجل بقلب سليم من الهوى وعمل خالص مستقيم على السنة فقد ختم له بحسن الخاتمة فحينئذ أدركته الحسنى السابقة وهذا هو التوبة النصوح وهذا العبد هو التواب المتطهر الحبيب وهذا الخبار عمن سبقت له من الله الحسنى ومن تداركه نعمة من ربه رحمه بها من تلوث السوأى وهو وصف لمن قصده بخطابه اذ يقول فى كتابه ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له وسئل الحسن عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار أن لا يعود اليه وقال أبو محمد سهل رحمه الله ليس من الاشياء أوجب على هذا الخلق من التوبة ولا عقوبة أشد عليهم من فقد علم التوبة وقد جهل الناس علم التوبة وقال من يقول ان التوبة ليست بفرض فهو كافر ومن رضى بقوله فهو كافر وقال التائب الذى يتوب من غفلته فى الطاعات فى كل طرفة ونفس وقد جعل على كرم الله وجهه ترك التوبة مقاما فى العمى وقرنه باتباع الظن ونسيان الذكر فقال فى الحديث الطويل ومن عمى نسى الذكر واتبع الظن وطلب المغفرة بلا توبة ولا استكانة ففرض التوبة الذى لا بد للتائب منه ولا يكون محقا صادقا الا به الاقرار بالذنب والاعتراف بالظلم ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذى كان عقده على أعمال السيآت واطابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه لان الطعمة أساس الصالحين ثم الندم على ما فات من الجنايات وحقيقة الندم ان كان حقا اذ لكل حق حقيقة أن لا يعاود الى مثل ما وقع الندم عليه ثم اعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهى وحقيقة الاستقامة أن لا يقابل ما استقبل من عمره بمثل ما وقع الاعوجاج به وان يتبع سبيل من أناب الى الله وأن لا يصحب جاهلا فيرديه ثم الاشتغال باصلاح ما أفسد فى أيام بطالته ليكون من المصلحين الذين تابوا وأصلحوا ما أفسدوا فان الله عز وجل لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع أجر المحسنين ثم الاستبدال بالصالحات من السيآت والصالحات من الحسنات ليكون ممن تبدل سيآته حسنات لتحققه بالتوبة وحسن الانابة لان التبديل يكون فى الدنيا يبدل بالاعمال السوأى أعمالا الحسنى بدليل قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فاذا غير ما بهم من سيئ حسنا بدل سيآتهم حسنات ثم الندم ودوام الحزن وحقيقة الندم والحزن على الفوت أن لا يفرط ولا ينى فى وقت دركه ولا يرجع ولا ينثنى فى حيز استبداله فيفوت نفسه وقتا ثانيا اذ كان يعمل فى درك ما فات ولا يفوت ما أدرك فى حال تيقظه فتكون يقظته شبيها بما مضى من غفلته اذ كان فى درك ما فات شبيها بما مضى من غفلته اذ لا يدرك الفوت بالفوت ولا ينال النعيم بالنعيم ليكون كما وصف الله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قبل الاعتراف والندم وقال أبو سليمان الدارانى لو لم يبك العاقل فيما بقى من عمره الا على فوت ما مضى منه فى غير الطاعة لكان خليقا أن يحزنه ذلك الى الممات فكيف بمن يستقبل ما بقى من عمره بمثل ما مضى من جهله وقال سهل بن عبد الله التائب لا يقله شئ يكون قلبه متعلقا بالعرش حتى يفارق النفس ولا عيش له الا الضرورة للقوام ويغتم على ما مضى والجد فى الامر ومباينة النهى

أبتاه وفى رواية ابن خزيمة واكرباه لكربك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أبيك بعد اليوم وروى ابن أبى الدنيا من رواية الحسن مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال هو قدر ثلثمائة ضربة بالسيف وقال شداد بن أوس الموت أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور ولو أن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت لما انتفعوا بعيش ولا التذوا بنوم وقال عمر لكعب الاحبار حدثنا عن الموت فقال نعم هو كغصن كثير الشوك أدخل فى جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب فاخذ ما أخذ وابقى ما أبقى وفى دلائل البيهقى عن أبى سعيد قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بظبية مربوطة الى خباء فقالت يا رسول الله حلنى حتى أذهب فارضع خشفى ثم أرجع فتربطنى فقال صلى الله عليه وسلم صيد قوم وربيطة قوم فقالت يا رسول الله ارجع قال فاخذ عليها العهد فاحلفت له فحلها فما مكثت الا قليلا حتى جاءت وقد نفضت ما فى ضرعها فربطها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتى الى خباء أصحابها فاستوهبها منهم فوهبوها له فحلها ثم قال صلى الله عليه وسلم

فيما بقي ولا يتم له ذلك الا باستعمال علم اليقين في كل شيء ثم المتابعة باعمال الصالحات ليكون ممن قال الله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة الآية أي يدفعون ما سلف من السيآت بما يعملون من الحسنات وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر فاذا عملت سيئة فاعمل بعدها حسنة السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي وصية معاذ أتبع السيئة الحسنة تمحها وليدخل في الصالحين كما قال الله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين ثم المسارعة الى الخيرات اذا قدر عليها ليدرك بها ما ضيع وفات ليكون من الصالحين وفي هذا المقام يصلح لمولاه فيحفظه ويتولاه كما قال الله وهو يتولى الصالحين وجملة ما على العبد في التوبة وما تعلق بها عشر خصال أولها فرض عليه أن لا يعصى الله تعالى والثانية ان ابتلى بمعصية لا يصر عليها والخصلة الثالثة التوبة الى الله تعالى منها والرابعة الندم على ما فرط منه والخامسة عقد الاستقامة على الطاعة الى الموت والسادسة خوف العقوبة والسابعة رجاء المغفرة والثامنة الاعتراف بالذنب والتاسعة اعتقاد ان الله تعالى قدر ذلك عليه وانه عدل منه والعاشرة المتابعة بالعمل الصالح ليعمل في الكفارات لقوله صلى الله عليه وسلم واتبع السيئة الحسنة تمحها وفي جميع هذه الخصال جمل آثار رويناها عن الصحابة والتابعين يكثر ذكرها ويقال ان ملك الموت اذا ظهر للعبد أعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين قال فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا من أولها الى آخرها لخرج منها على أن يضم الى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها أو يستدرك بها فلا يجد الى ذلك سبيلا وهذا تأويل قوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون قيل التوبة وقيل الزيادة في العمر وقيل حسن الخاتمة حيل بينهم وبين ذلك كما فعل بأشياعهم من قبل أي بنظرائهم وأهل فرقتهم قال فاذا كل ساعة تمضي على العبد فهي بمنزلة هذه الساعة قيمتها الدنيا كلها اذا عرف قيمة ذلك فلذلك قيل ليس لما بقي من عمر العبد قيمة اذا عرف وجه التقدير من الله تعالى بالتصريف والحكمة وقيل في معنى قوله تعالى من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب قال الوقت القريب أن يقول العبد عند كشف الغطاء يا ملك الموت أخرني يوما أعتب فيه ربي وأعتب فيه ذنبي وأتزود صالحا لنفسي فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول أخرني ساعة فيقول فنيت الساعات فلا ساعة قال فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه عند الغرغرة فيغلق باب التوبة ويحجب عنه وتنقطع الاعمال وتذهب الاوقات وتتصاعد الانفاس يشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره فاذا كان في آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبق له من السعادة فتخرج روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة أو يدركه ما سبق له من الشقوة فتخرج روحه على الشك فهذا الذي قال الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فهذا سوء الخاتمة نعوذ بالله منه وقيل هذا هو المنافق ويقال المدمن على المعاصي المصر عليها وقد قال الله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قيل قبل الموت وقبل ظهور آيات الآخرة وقيل الغرغرة أي تغرغر النفس في الحلقوم لانه تعالى قد حكم أن التوبة بعد ظهور اعلام الآخرة لا تقبل ومنه قوله عز وجل يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل يعني من قبل معاينة الآيات أو كسبت في ايمانها خيرا قيل التوبة هي كسب الايمان وأصول الخيرات وقيل الاعمال الصالحة هي مزيد الايمان وعلامة الايقان وقد قيل ثم يتوبون من قريب أي عن قريب عهد بالخطيئة لا يتمادى فيها ولا يتباعد عن التوبة وتوبته من قريب أن يعقب الذنب عملا صالحا ولا يردفه ذنبا آخر وان يخرج من السيئة الى الحسنة ولا يدخل في سيئة أخرى وقيل أول من يسأل الرجعة من هذه الامة من لم يكن أدى زكاة ماله أو لم يكن حج بيت ربه فذلك تأويل قول الله تعالى فاصدق وأكن من الصالحين وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول هذه الآية من أشد شيء على أهل التوحيد هذا لقوله تعالى في أولها يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله وقد قيل لا يسأل العبد الرجعة عند الموت وله عند الله عز وجل مثقال ذرة من خير وروينا معناه من كان

لو علمت البهائم من الموت ما تعلمون لما أكلتم منها سمينا أبدا الثانية مشاهدة ملك الموت وهي مزعجة لاهل الشقاوة دون أهل السعادة والثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم في النار وخوف الكل قبل المشاهدة الى أن يسمعوا نغمة الملك باحدى البشارتين اما ابشر يا عدو الله بالنار واما ابشر يا ولي الله بالجنة وفي كتاب المؤمنات الصالحات للحصني وفي هذه الحالة يحضر الشيطان جنده عليه ويقول ان فاتكم في هذه الحالة لا تدركوه أبدا فيأتون اليه في صورة أب وأم وشيخ وصديق وغير ذلك ويقولون قد متنا على دين كذا غير دين الاسلام ووجدناه حقا وخفنا عليك الموت على الاسلام فتهلك فلا يزالون به كذلك حتى يفتنوه عن دين الاسلام فيهلك هلاك الابد الا أن يكون قد سبقت له السعادة فيموت على التوحيد فحينئذ يحثو الشيطان على رأسه التراب ويقول ويلكم كيف تفلت هذا منكم وفي مختصر الاحياء للبلالي وسببه عقيدة فاسدة تثمر عند الموت الجحود أو الشك ومن أسبابه الاصرار على فعل منهي أو صفة مذمومة كعجب ونحوه ومنها الغفلة قد خطف خلق كثير بنزغة الشيطان لتمكنه منه اه وروى أحمد ان رسول الله

له فى الآخرة مثقال ذرة من خير لوان له الدنيا بما فيها من أولها الى آخرها لم يحب أن يعود الى الدنيا وقال بعض العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه يوجده ذلك بالهام يلهمه أحدهما اذا ولد وخرج من بطن أمه يقول له عبدى قد أخرجتك الى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك عمرك ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الامانة وانظر كيف تلقانى كما أخرجتك وسر عند خروج روحه يقول عبدى ماذا صنعت فى أمانتى عندك هل حفظتها حتى تلقانى على العهد والرعاية فألقاك بالوفاء والجزاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب فهذا داخل فى قوله عزوجل والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون وفى قوله تعالى أوفوا بعهدى أوف بعهدكم عمر العبد أمانة عنده ان حفظه فقد أدى الامانة وان ضيعه فقد خان الله ان الله لا يحب الخائنين وفى خبر ابن عباس رضى الله عنه من ضيع فرائض الله عزوجل خرج من أمانة الله وعند التوبة النصوح تكفير السيآت ودخول الجنات وكان بعضهم يقول قد علمت متى يغفر الله لى قيل ومتى قال اذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف منى من أن أحرم المغفرة وقال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا فتاب عليكم وعفا عنكم وقال تعالى فى مثله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت وقال بعض العلماء لا تصح التوبة لعبد حتى ينسى شهواته ويكون ذاكرا للحزن لا يفارق قلبه ذاهبا عن الذنب لا يخالج سره وقال بعض علماء الشام لا يكون المريد تائبا حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال معصية عشرين سنة وقال بعض السلف من علامة صدق التائب فى توبته أن يستبدل بحلاوة الهوى حلاوة الطاعة و بفرح ركوب الذنب الحزن عليه والسرور بحسن الانابة وقال بعض العلماء فى معناه لا يكون العبد تائبا حتى يدخل مرارة مخالفة النفس مكان حلاوة موافقتها وحدثنا فى الاسرائيليات ان الله عزوجل قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد ان اجتهد سنين فى العبادة ولم ير قبول توبته فقال له وعزتى وجلالى لو شفع فيه أهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذى تاب منه فى قلبه ومن بقيت حلاوة المعصية فى قلبه أو نظر اليها اذا ذكرها بفكره خيف عليه العود فهم الا بشدة مجاهدة وكراهة لها ونفى خاطرها عن سره اذا ذكرها بالخوف والاشفاق منها وقال أبو محمد سهل أول ما يؤمر به المبتدئ المريد التوبة وهو تحويل الحركات المذمومة الى حركات محمودة و يلزم نفسه الخلوة والصمت ولا تصح له توبة الا بأكل الحلال ولا يقدر على الحلال حتى يؤدى حق الله تعالى فى الخلق وحق الله تعالى فى نفسه ولا يصح له هذا حتى يتبرأ من حركته وسكونه الا بالله تعالى وحتى لا يأمن الاستدراج بأعمال الصالحات وحقيقة التوبة أن يدع ماله حتى لا يدخل فيما عليه ولا يكون يسوف أبدا انما يلزم نفسه الحال فى الوقت * وحدثونا عن سرى السقطى انه قال من شرط التوبة انه ينبغى للتائب المنيب انه يبدأ بمباينة أهل المعاصى ثم بنفسه التى كان يعصى الله تعالى بها ولا ينيلها الا ما لابد منه ثم الاعتزام على أن لا يعود فى معصية أبدا و يلقى عن الناس مؤنته ويدع كل ما يطرف طرفه الى حيرة ولا يتبع هوى و يتبع من مضى من السلف و ينبغى لاهل التوبة أن يحاسبوا نفوسهم فى كل طرفة و يدعوا كل شهوة و يتركوا الفضول وهى ستة أشياء ترك فضول الكلام وترك فضول النظر وترك فضول المشى وترك فضول الطعام والشراب واللباس قال ولا يقوى على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات وسئل يحيى بن معاذ رحمه الله كيف يصنع التائب فقال هو من عمره بين يومين يوم مضى و يوم بقى فيصلحهما بثلاث أما ما مضى فبالندم والاستغفار وأما ما بقى فبترك التخليط وأهله ولزوم المريدين ومجالسة الذاكرين والثالثة لزوم تصفية الغذاء والدؤب على العمل ومن علامة صدق التوبة رقة القلب وغزارة الدمع وفى الخبر جالسوا التوابين فانهم أرق شئ أفئدة ومن التحقق بالتوبة أن يستعظم ذنوبه فانه يقال ان الذنب كلما استعظمه العبد صغر عند الله تعالى و يقال ان استصغار الذنب كبيرة كما جاء فى الخبر المؤمن الذى يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف أن يقع عليه والمنافق الذى يرى ذنبه كذباب مر على انفه فأطاره وقد روينا فى خبر مرسل ليتق أحدكم أن يؤخذ عند أدنى ذنوبه فى نفسه وقال بعضهم الذنب الذى لا يغفر

صلى الله عليه وسلم قال آخر من يخرج من النار من يخرج بعد ألف عام انه ينادى يا حنان يا منان كان الحسن يقول ياليتنى ذلك الرجل خوفا من سوء الخاتمة التى تقتضى عذاب الابد فى نار جهنم عافانا الله من ذلك بمنه وكرمه * وفى التذكرة للقرطبى روى فى الخبر الشهير المروى فى أربعين عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من بيت الا وملك الموت يقف على بابه كل يوم خمس مرات فاذا وجد الانسان قد نفد أكله وانقطع أجله ألقى عليه غمرات الموت فغشيته كرباته وغمراته وعلزاته فمن أهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها والباكية لشجوها والصارخة بويلها فيقول ملك الموت عليه السلام ويلكم مم الفزع وفيم الجزع ما أذهبت لواحد منكم رزقا ولا قربت له أجلا ولا أتيته حتى أمرت ولا قبضت روحه حتى استأمرت وان لى فيكم عودة ثم عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو يرون مكانه و يسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على نفوسهم حتى اذا حمل الميت على نعشه رفرفت روحه فوق النعش وهو ينادى يا أهلى و ياولدى

قول العبد ليت كل شئ عملته مثل هذا فهذا كما قال بلال بن سعد لا تنظر الى صغر الخطيئة ولكن انظر الى من عصيت وقد حدثنا عن انه تعالى انه أوحى الى بعض أوليائه لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظمة مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء من واجهته بها فانما عظمت الذنوب عن تعظيم المواجه بها وكبرت فى القلوب لمشاهدة ذى الكبرياء ومخالفة أمره اليها فلم يصغر ذنب عند ذلك وكانت الصغائر عند الخائفين كبائر وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قيل الحرمات تعظم فى قلبه فلا ينتهكها ومن هذا قول الصحابة للتابعين انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم من الموبقات ليسوا يعنون أن الكبائر التى كانت على عهد النبى صلى الله عليه وسلم صارت بعده صغائر ولكن كانوا يستعظمون الصغائر لعظمة الله تعالى فى قلوبهم لعظيم نور الايمان ولم يكن ذلك فى قلوب من بعدهم وأوحى الله تعالى الى بعض أوليائه كم من ذنب رأيته منك قد أهلكت بدونه أمة من الامم وقد روينا عن أبان بن اسمعيل عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أهلك الله تعالى أمة من الامم كانوا يعبثون بذكورهم فاما نسيانه الذنوب وذكرها فقد اختلف قول العارفين فى ذلك فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تنصب ذنبك بين عينيك وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وهذان طريقان لطائفتين وحالان لاهل مقامين فاما ذكر الذنوب فطريق المريدين وحال الخائفين يستخرج منهم تذكرها الحزن الدائم والخوف اللازم وأما نسيان الذنوب شغلا عنها بالاذكار وما يستقبل من مزيد الاعمال فطريق العارفين وحال المحبين ووجهة هؤلاء شهادة التوحيد وهى مقام فى التعرف ووجهة الاولين مشاهدة التوقيف والتحديد وهى مقام فى التعريف ففى أى المقامين أقيم عبد قام بشهادة وجهته وعمل بحكم حالته ومقام شهادة التوحيد أفضل عند العارفين من مقام مشاهدة التعريف وان كانت هذه أوسع وأكثر الا انها فى أصحاب اليمين وفى عموم المقربين وشهادة التوحيد أضيق وأقل وأهلها أعلى وأفضل وهى فى المقربين وخصوص العارفين وقد يعترض المريد بقصة داود عليه السلام فى تذكره ونوحه على خطيئته فان الانبياء لا يقاس عليهم لمجاوزتهم حدود من دونهم وقد يقلبون فى أحوال المريدين ويسلك بهم سبيل المتعلمين وذلك لاجل الامة ليكون طريقا للعالمين واعلم انه لا يؤمن على ضعيف اليقين قوى النفس عند تذكر الذنوب نظر القلب اليها بشهوة أو ميل نفس معها بحلاوة فيكون ذلك سبب فتنته فيفسد من حيث صلح كما لا يؤمن على معتاد خطيئة بالنظر الى سببها حركة النفس اليها وان كان الافضل الاتفاق معها ما لم يكن الاتفاق معصية لمجاهدة النفس بالصبر عنها الا ان ذلك غرور وفيه خطر فترك الاجتماع وقطع الاسباب حينئذ أسلم وما كان أسلم للمريد فهو أفضل وفى نسيان الذنوب الذكر لما يستقبل والانكماش على ما يفوت من الوقت خوف فوت الثانى وقد كان بعض أهل المعرفة يكره للمريد أن يكون وسواسه الجنة أو نذكر ما فيها من النعيم واللباس والازواج وقال واستحب للمريد أن يكون وسواسه ذكر الله تعالى وخواطره وهممه متعلقة بالله تعالى لا سواه قال لان المريد حديث عهد بتوبة غير معتاد لطول الاستقامة والعصمة فاذا تذكر نعيم الجنة لم آمن عليه لضعف قلبه أن يشتهى مثله مما يشاهد فى الدنيا من اللباس والطيبات والنكاح لان هذا عاجل وذاك آجل فتطلب نفسه مثل ما تذكرت من نعيم الآخرة معجلا فى الدنيا قال فاذا كان همه الله تعالى كان أبعد له من زينة الدنيا وشهواتها ولم يحتر العدو بتمثيل ذلك له من العاجل الى أن يقوى يقينه وتنتقل عادته وتدوم عصمته وقد اختلف أهل العلم أيضا فى عبد ترك ذنبا وعمل فى الاستقامة ونفسه تنازعه اليه وهو يجاهدها وفى آخر ترك الذنب وانكمش فى الاصلاح فلم تكن نفسه تطالبه فلا تنازعه الى الذنب ولم يكن على قلبه منه ثقل ولا مجاهدة أى هذين أفضل فقال بعض علماء أهل الشام الذى تنازعه نفسه الى الذنب وهو يجاهدها أفضل لان عليه منازعة وله فضل مجاهدة ومال الى هذا القول أحمد بن أبى الحوارى وأصحاب أبى سليمان الدارانى

وقال

لا تلعبن بكم الدنيا كما لعبت بى جمعت المال من حله ومن غير حله ثم خلفته لغيرى فالمهناة له والتبعة على فاحذروا مثل ما حل بى فاجتهد أيها العبد فى صالح أعمالك يسلم ايمانك الذى هو رأس مالك فانه ان فاتك خلدت فى نار جهنم مع ما لا يحصى من الحسرات والندم واشفق من كأس لا بد أنت ذائقه وارحل عن عيش لا بد أنت مفارقه يا ناسيا رحيله اعتبر بمن سبقك ولا تغتر بشبابك فان موت الاطفال والشبان أكثر من الشيوخ و يروى أن بعض المتعبدين أتى قبر صاحب له فانشد يقول شعر

مالى مررت على القبور مسلما
قبر الحبيب فلم يرد جوابى
أحبيب مالك لا تجيب مناديا
أمللت بعدى خلة الاصحاب

فهتف هاتف من جانب القبر يقول شعر

قال الحبيب وكيف لى بجوابكم
وأنا رهين جنادل وتراب
أكل التراب محاسنى فنسيتكم
وحجبت عن أهلى وعن أحبابى

اللهم انا نعوذ بك من زوال نعمتك ومن تحول عافيتك و فجأة نقمتك وجميع سخطك

(فصل) فى القبر قال الله تعالى قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم

وقال علماء البصرة الذى سكنت نفسه عن المنازعة بشاهد من شواهد اليقين والطمأنينة فلم يبق فيه فضل لعود ولا طلب لعتاد أفضل ومال الى هذا رباح بن عمرو القيسى وهو من كبار علماء البصريين وقال لوفتر هذا لكان هذا أقرب الى السلامة ولم يؤمن على الآخر الرجوع وهذا كما قال وقد اختلف العلماء أيضا فى عبدين سئل أحدهما شيأ من بذل ماله فى سبيل الله فأبت نفسه عليه وثقل عليها ذلك فجاهدها وأخرج ماله وسئل آخر بذل ماله فبذله مع السؤال طوعا من غير منازعة نفس ولا ثقل عليها ولا مجاهدة منه لها أيهما أفضل فقال قوم المجاهد لنفسه أفضل لانه اجتمع له الاكراه والمجاهدة فحصل له عملان وذهب الى هذا القول ابن عطاء وأصحابه وقال آخرون الذى سمحت نفسه بالبذل طوعا من غير اكراه ولا اعتراض أفضل قال لان مقام هذا فى سخاوة النفس والتحقق بالزهد أفضل من جميع أعمال الاول من الاكراه والمجاهدة ومن بذل ماله على ذلك ولان الاول وان غلب نفسه فى هذه الكرة لايأمن غلبتها له فى كرة ثانية أو ثالثة اذ ليس السخاء من مقامها لانها كانت محمولة عليه والى هذا ذهب الجنيد رحمه الله وهو عندى كما قال اللفظ لنا وسئل أبو محمد سهل عن الرجل يتوب من الشئ ويتركه ثم يخطر ذلك الشئ بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجد حلاوة فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة الا ان يرفع قلبه الى مولاه بالشكوى وينكره بقلبه ويلزم نفسه الانكار ولا يفارقه ويدعو الله تعالى ان ينسيه ذكر ذلك ويشغله بغيره من ذكره وطاعته وقال فان هو غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه ان لا يسلم وتعمل الحلاوة فى قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار والحزن فانه لا يضره وهذا عندى هكذا لان التوبة لا تصح مع بقاء الشهوة ويكون العبد مرادا بالمجاهدة وهذا حال المريدين ومحو الشهوات من القلب بدوام التولى وصف العارفين وربما تعلق بالذنب ذنوب كثيرة هى أعظم منه مثل الاصرار عليه والاغتباط به والتسويف بالتوبة بعده ووجد حلاوة الظفر بمثاله أو وجد الحزن والكراهة على فوته والسرور بعمله أو حمل غيره عليه ان كان ذنبا بين اثنين أو انفاق مال الله سبحانه وتعالى فيه فهو كفر النعمة به وقد قيل من أنفق درهما فى حرام فهو مسرف ومن ذلك ان يستصغر الذنب ويحتقره فيكون أعظم من اجترائه أو يتهاون بستر الله تعالى عليه ويستخف بحلم الله تعالى عنه فيكون ذلك من الاغترار والامن أو يجهل نعمة الله تعالى عليه فى ستره واظهار ضده كما قال فى الدعاء المأثور الذى يمدح الله سبحانه وتعالى به يامن أظهر الجميل وستر على القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ويقال كل عاص تحت كنف الرحمن فاذا رفع يديه عنه انهتك ستره ومن ذلك المجاهرة بالذنب والصول به والتظاهر وهذا من الطغيان وفى الخبر كل الناس معافى الا المجاهرين يبيت أحدهم على الذنب قد ستره الله تعالى عليه فيصبح فيكشف ستر الله تعالى ويتحدث بذنبه ومن عاش من العاصى بالذنب سنة تبع عليها فتبقى سيآت ذنبه عليه مادام يعمل به وقد قيل طوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يؤاخذ بها بعده وطوبى لمن لم يعد ذنبه غيره وقال بعضهم لا تذنب فان كان لابد فلا تحمل غيرك على الذنب فتكتسب ذنبين وقد جعل الله تعالى هذا المعنى وصفا من أوصاف المنافقين فى قوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف فمن حمل أخاه على ذنب معه فقد أمر بالمنكر ونهى عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المرء من من أخيه حرمة أعظم من ان يساعده على معصيته ثم يهونها عليه وقد يعيش العبد أربعين سنة ثم يموت فتبقى ذنوبه بعده مائة سنة يعاقب عليها فى قبره اذا كان قد سنها سننا واتبع عليها الى ان تندرس أو يموت من كان يعمل بها ثم تسقط عنه ويستريح منها ويقال أعظم الذنوب من ظلم من لا يعرفه ولم يره من المتقدمين مثل ان يتكلم فيمن سلف من أهل الدين وأئمة المتقين فهذه المعانى كلها تدخل على الذنب الواحد وهى أعظم منه ومن ذلك قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم قيل سننهم التى عمل بها بعدهم وفى الخبر من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه مثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ وكان ابن عباس رضى الله عنهما

السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره ت عن أبى سعيد رضى الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما مصلاه فرأى ناسا كأنهم يكتشرون فقال أما انكم لو أكثرتم ذكر هاذم اللذات لشغلكم عما أرى الموت فأكثروا ذكر هاذم اللذات الموت فانه لم يأت على القبر يوم الا تكلم فيه يقول انا بيت الغربة انا بيت الوحدة انا بيت التراب انا بيت الدود والهوام فاذا دفن العبد المؤمن قال له القبر مرحبا وأهلا اما ان كنت لأحب من يمشى على ظهرى الى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك قال فيتسع له القبر مد بصره ويفتح له باب من الجنة واذا دفن العبد الفاجر أو الكافر يقول له القبر لا مرحبا ولا أهلا اما ان كنت لمن أبغض من يمشى على ظهرى فاذ وليتك اليوم وصرت الى فسترى صنيعى بك فيلتئم عليه القبر حتى يلتقى ويختلف اضلاعه قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم باصابع يديه فشبكها ثم يقيض له تسعون تنينا أو قال تسعة وتسعون لو ان واحدا منها نفخ فى الارض ما أنبتت شيأ ما بقيت الدنيا فينهشنه ويخدشنه حتى يفضى به الى الحساب قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما القبر

يقول ويل للعالم من الاتباع يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعض أهل الادب مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق ويغرق الخلق معها وفي الخبر الاسرائيلي ان عالما كان يضل الناس بالبدع ثم أدركته توبة فرجع الى الله تعالى وعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له ان ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك بالغاما بلغ ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فادخلتهم النار فاما استحلال المعصية أواحلالها للغير فليس من هذه الابواب في شئ انما ذلك خروج عن الملة وتبديل للشريعة وهو الكفر بالله تعالى كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد سمى الله تعالى عملة السوء جهلة فقال تعالى انه من عمل منكم سوأ بجهالة وقال تعالى بل أنتم قوم تجهلون وقال بل أنتم قوم مسرفون ويقال ان العرش يهتز ويغضب الرب تعالى لثلاثة أعمال لقتل النفس بغير نفس واتيان الذكر الذكر وركوب الانثى الانثى وفي خبر لواغتسل اللوطي بالبحار لم يطهره الاالتوبة ولولم يكن في يسير المعصية من الشؤم الاحرمان الطاعة وفقد حلاوة الخدمة ومقت المولى لكان هذا من أعظم العقوبات كما قال وهيب بن الورد وقد سئل هل يجد العاصي حلاوة الطاعة قال لا ولا من هم بمعصية ولذلك سمى الله تعالى يحيى سيدا لانه لم يهم بمعصية فصار علامة السيد بقدر سودد من لا يهم بالمعاصي فصار من لا يهم بالمعاصي سيدا وفي خبر من لبس ثوب شهرة وفي بعضها من نظر الى عطفيه فاختال أعرض الله تعالى عنه وان كان عنده حبيبا كيف وفي الحال فقوحود البعد والوحشة والانقطاع من المعاملة وروينا في خبر ان آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته قال فاستحيا التاج والاكليل من وجهه ان يرتفعا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فاخذ التاج عن رأسه وحل ميكائيل الاكليل عن جبينه ونوديا من فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم الى حواء باكيا وقال هذا أول شؤم المعصية أخرجنا من جوار الحبيب وروينا ان سليمان نبي الله صلى الله عليه وسلم لما عوقب على خطيئته من أجل التمثال الذي عبد في داره أربعين يوما وقيل ان المرأة سألته ان يحكم لابيها على خصمه فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه ان يكون الحكم لابيها على خصمه لكانها فسلب ملكه أربعين يوما فهرب تائها على وجهه وكان يسأل بكفه فلا يطعم فاذا قال اطعموني فاني سليمان بن داود شج وضرب ولقد بلغني انه استطعم من بيت فطرد وبزقت امرأة في وجهه وفي رواية قال فاخرجت اليه عجوز جرة فيها بول فصبته على رأسه الى ان خرج له الخاتم من بطن الحوت فلبسه بعد انقضاء الاربعين وهي أيام العقوبة قال فجاءت الطير فعكفت عليه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فلما عرفه الصيادون عقروا بين يديه واعتذروا اليه مما كانوا طردوه وشجوه فقال لا ألومكم فيما صنعتم قبل ولا أحدكم فيما تصنعون الآن هذا أمر من السماء فلا بد منه ولقد بلغني انه كان في مسيره والريح تحمله في جنوده اذ نظر الى قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكانه أعجبه فوضعته الريح بالارض فقال لها لم فعلت ولم آمرك قالت انما نطيعك اذا اطعت الله تعالى وقد قال بعض العلماء في معنى هذا من خاف الله تعالى خافه كل شئ ومن خاف غير الله تعالى أخافه الله تعالى من كل شئ فكذلك أيضا من أطاع الله تعالى سخر له كل شئ ومن عصاه سخره لكل شئ أوسلط عليه كل شئ ولولم يكن في الاصرار على المعصية من الشؤم الاان كل ما يصيب العبد يكون له عقوبة ان كان سعة وقبل بذلك ولم يأمن بها الاستدراج وان كان ضيقا كان عقوبة له وفي الخبر ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وقد قيل الرزق من الحرام من قلة التوفيق للاعمال الصالحة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول اني لاحسب ان العبد ينسى العلم بالذنب يصيبه ولولم يكن من بركة التوبة والعلم والاستقامة على الطاعة الاان كل ما يصيب العبد فهو خير له ان كان سعة فهو رفق من الله تعالى به عليه ولطف له منه وان كان ضيقا فهو اختبار من الله تعالى وخيرة للعبد ويجد حلاوة ذلك ولذته لانه في سبيله وقد أصابه وهو مقيم على طاعته ولولم يكن من شؤم الناس وجد

روضة من رياض الجنة وحفرة من حفر النار ت عن هانئ مولى عثمان بن عفان كان عثمان اذا وقف على القبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتذكر القبر فتبكي فقال اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر أول منزل من منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده أيسر منه وان لم ينج منه فما بعده أشد منه وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما رأيت منظرا قط الا والقبر أفظع منه وكان ينشد

شعر

فان تنج منها تنج من ذي عظيمة
وإلا فاني لا أخالك ناجيا

• عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في القبر الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من أب أوأم أوأخ أو صديق فاذا لحقته كانت أحب اليه من الدنيا وما فيها وان الله تعالى ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الارض أمثال الجبال وان هدية الاحياء الى الاموات الاستغفار لهم وفي الاحياء قال أبو قلابة أقبلت من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر

النقص لمخالطتهم الآن المعصية معهم أشد وهي بهم أعظم لتعلق الظالم في أمر الدنيا وشأن الدين وكل من قلت معارفه قلت معهم خطاياه وقال بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع في مثله أو شر منه وذلك ان اللعنة هي الطرد والبعد فاذا طرد من الطاعة فلم تيسر له بعد عن القربات فلم يوفق لها فقد لعن وقد قيل في معنى الخبر الذي رويناه آنفا ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قيل ان يحرم الحلال ولا يوفق له بوقوعه في المعصية وقيل يحرم مجالسة العلماء ولا ينشرح قلبه لصحبة أهل الخير وقيل يمقته الصالحون وأهل العلم بالله تعالى فيعرضون عنه وقيل يحرم العلم الذي لا صلاح للعمل الا به لاجل اقامته على الجهل ولا تنكشف له الشبهات باقامته على الشهوات بل تلتبس عليه الامور فيتحير فيها بغير عصمة من الله تعالى ولا يوفق للاصوب والافضل وقد كان الفضيل يقول ما أنكرت من تغير الزمان وجفاء الاخوان فذنوبك أورثتك ذلك ويقال نسيان القرآن بعد حفظه من أشد العقوبات والمنع من تلاوته وضيق الصدر بقراءته والاشتغال عنه بضده عقوبة الاصرار وقال بعض صوفية أهل الشام نظرت الى غلام نصراني حسن الوجه فوقفت انظر اليه فمر بي ابن الجلاء الدمشقي فأخذ بيدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحان الله تعجبت من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحكمة كيف خلقت للنار فغمز يدي وقال لتجدن عقوبته بعد حين قال فعوقبت بعد ثلاثين سنة وقال بعضهم اني لاعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق جاري وقال آخر أعرف العقوبة حتى في فار بيتي وحدثونا عن منصور الفقيه قال رأيت أبا عبد الله السكري في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوقفني بين يديه في العرق حتى سقط لحم خدي قلت ولم ذاك قال نظرت الى غلام مقبلا ومدبرا والعقوبة موضوعها الشدة والمشقة فعقوبة كل عبد من حيث يشتد عليه فأهل الدنيا يعاقبون بحرمان رزق الدنيا من تعذر الاكتساب واتلاف الاموال وأهل الآخرة يعاقبون بحرمان رزق الآخرة من قلة التوفيق للاعمال الصالحات وتعذر فتوح العلوم الصادقة ذلك تقدير العزيز العليم وكان أبو سليمان الداراني يقول الاحتلام عقوبة وقال لا يفوت أحدا صلاة في جماعة الا بذنب يحدثه فدقائق العقوبات على قدر ترافع الدرجات وقد جاء في الاخبار ما أنكرتم من زمانكم فبما غيرتم من أعمالكم وفي الخبر يقول الله عز وجل ان أدنى ما أصنع بالعبد اذا آثر شهوته على طاعتي ان أحرمه لذيذ مناجاتي فهذه عقوبة أهل المعاملات ولو ظهر تغير القلب عند المعصية على وجه العاصي لاسود وجهه ولكن الله تعالى سلم بحلمه وستره فغطى ذلك في القلب مع تأثيره فيه وحجابه لصاحبه وقسوته عن الذكر وعن طلب الخير والبر والمسارعة الى الخير وهو من أكبر العقوبات ويقال ان العبد اذا عصى اظلم قلبه ظلمة يثور على القلب منها دخان يشهده الايمان فهو مكان حزن العبد الذي تسوءه سيئته ويكون ذلك الدخان حجابا له عن العلم والبيان كما تحجب السحابة للشمس فلا ترى ويكون غلفا يجده في نفسه للخلق فاذا تاب العبد واصلح انكشف الحجاب فيظهر الايمان فيأمر بالعلم كما تبرز الشمس من تحت الحجاب ومن هذا قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون قيل هو الذنب على الذنب حتى يسود القلب ويصير الايمان تحت الحجاب فلا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا وعندها ينكس أعلاه أسفله اذا استكمل سواده فحينئذ مرد على النفاق فأملس فيه واطمأن به وثبت الى ان ينظر الله تعالى اليه فيعطف بفضله عليه وقد كان الحسن رضي الله عنه يقول ان بين العبد وبين ربه عز وجل حدا من المعاصي معلوما اذا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفقه بعدها للخير وفي حديث ابن عمر الطابع معلق بقائمة العرش فاذا انتهكت الحرمات واستحلت المحارم أرسل الله تعالى الطابع فطبع على القلوب بما فيها وفي حديث مجاهد القلب مثل الكف المفتوحة فكلما أذنب ذنبا انقبضت أصبع حتى تنقبض الاصابع كلها فتشد على القلب فذلك هو القفل ويقال لكل ذنب نبات ينبت على القلب فاذا كثرت الذنوب قام النبات حول القلب مثل الكم للثمرة فانضم على القلب فذلك هو الغلاف ويقال انه الكنان احد الاكنة التي ذكر الله تعالى ان القلب لا يسمع معها ولا يفقه وقد حدثني بعض هذه

يشتكيني يقول آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون ونحن نعلم وتعملون ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله أهل الدنيا عنا خيرا أقرئهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال ومما وجد من الشعر مكتوبا على قبر شعر

ان الحبيب من الاحباب مختلس
لا يمنع الموت بواب ولا حرس
وكيف تفرح بالدنيا ولذتها
يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا
وانت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته *
ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به
عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف
وقبرك اليوم في الاجداث مندرس

اللهم ارزقنا حسن النظر فيما يعنينا وجنبنا الغفلة عن ما بنا

(فصل) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا

لطائفة عن أبي عمرو بن علوان في قصة تطول قال فيها فكنت قائما أصلي ذات يوم فخامر قلبي هواء طاولته بفكري حتى تولد منه شهوة الرجل قال فوقعت الى الارض واسود جسدي كله فاستترت في البيت ثلاثة أيام فلم أخرج وقد كنت أعالج غسله في الحمام بالصابون والالوان الغاسلة فلا يزداد الا سوادا قال ثم انكشف عني بعد ثلاث فرجعت الى لوني البياض قال فلقيت أبا القاسم الجنيد رحمه الله وكان وجهالي فاشخصني من الرقة فلما أتيته قال لي أما استحييت من الله تعالى كنت قائما بين يديه فسامرت نفسك شهوة حتى استولت عليك برقة فأخرجتك من بين يدي الله تعالى لولا اني دعوت الله عز وجل لك وتبت اليه عنك للقيت الله تعالى بذلك اللون قال فعجبت كيف علم بذلك وهو ببغداد وأنا بالرقة ولم يطلع عليه الا الله عز وجل فذكرت هذه الحكايات لبعض العلماء فقال كان هذا رفقا من الله تعالى به وخبيرة له اذ لم يسود قلبه وظهر السواد على جسده ولو بطن في قلبه لاهلك ثم قال ما من ذنب يرتكبه العبد يصر عليه الا اسود القلب منه مثل سواد الجسم الذي ذكره لا يجلوه الا التوبة ولكن ليس كل عبد يصنع له صنع ابن علوان ولا يجد من يلطف له به مثل أبي القاسم الجنيد رحمه الله ولكل ذنب عقوبة الا ان يعفو الله والعقوبة ليست على قدر الذنب ولا من حيث يعلم العبد لكنها على تقدير المشيئة وعن سابق علم الربوبية فربما كانت في قلب وهي من أمراض القلوب وربما كانت في الجسد وقد تكون في الاموال والاهل وتكون في سقوط الجاه والمنزلة من عيون علماء الاسلام والمؤمنين وقد تكون مؤجلة في الآخرة وهذه أعظم العقوبات وهي لاهل الكبائر من الموبقات الذين ماتوا عن غير توبة ولاهل الاصرار والعزة والاستكبار لانها اذا كانت في الدنيا كانت يسيرة على قدر الدنيا واذا تأخرت كانت عظيمة على قدر الآخرة وفي الخبر اذا أراد الله تعالى بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه واذا أراد به شرا أخره حتى يوافي به الآخرة واعلم أن الغم على ما يفوت من الدنيا والهم بالحرص عليها من العقوبات والفرح والسرور بما نال من الدنيا مع ما لا يبالي ما خرج من دينه من العقوبات وقد يكون دوام العوافي واتساع الغنى من عقوبات الذنوب اذا كانا سببين الى المعاصي وقد تكون عقوبة الذنب ذنبا مثله أو أعظم منه كما يكون مثوبة الطاعة طاعة مثلها أو أفضل منها وفي أحد الوجوه من معنى قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قال الغنى والعافية كما يكون الفقر والسقم رحمة من الله تعالى اذا كانا سببا للعصمة وهما أمهات المعاصي اذا كانا سببين لها ومقارنين لهما واعلم أن الحلم لا يرفع العقوبة ولكن يؤخرها ومن شأن الحليم أن لا يعجل بالعقوبة وقد يعاقب بعد حين وروي في معنى قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ أي الرخص والرغد حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة قيل بعد ستين سنة وفي الخبر من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي لفظ آخر لا يكفرها الا الهموم والاحزان والاهتمام بالمباحات من حاجات الدنيا الفقراء كفارات وهو على ما يفوت من قربات الآخرة للمؤمنين درجات وهو على حب الدنيا والجمع منها والحرص عقوبات وقال بعض السلف كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا وقال آخر لو لم يكن للعبد من الذنوب الا أنه يقيم بمصائب الدنيا بما لا يقيم بما لا يفوته فيها من نصيب الآخرة والتزودلها وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له من الاعمال ما يكفرها أدخل الله عز وجل عليه الغموم والهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يعرض للقلب في وقت لا يعرف العبد سبب ذلك فهو كفارات الهم بالخطايا ويقال هو حزن العقل عند تذكره الوقوف والمحاسبة لاجل جنايات الجسد فيلزم العقل ذلك الهم فيظهر على العبد منه كأنه لا يعرف سبب غمه ومن أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه لولا ما سبق لك في علمي من عنايتي بك لجعلت نفسي عندك أبخل الباخلين لكثرة ترداد الى بطول سؤالك لي وتأخيري اجابتك ولكن من عنايتي بك ان جعلت نفسي في قلبك اني أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وقد سبق لك عندي منزلة لم تكن تنالها بشئ من عملك الا بحزنك على يوسف فأردت أن أبلغك تلك المنزلة وكذلك ما روينا ان جبريل عليه

السلام

حوله كان على رؤسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا ثم قال العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاء فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملاء من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهي به الى السماء السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب

السلام لما دخل على يوسف عليه السلام فى السجن قال له كيف تركت الشيخ الكئيب قال قد حزن عليك
حزن مائة ثكلى قال فما اذا له عند الله تعالى قال أجر مائة شهيد وفى خبر رويناه عن السلف ما من عبد
يعصى الا استأذن مكانه من الارض ان يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفا فيقول
الله عز وجل للارض والسماء كفا عن عبدى وامهلاه فانكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه لعله يتوب الى
فاغفر له لعله يستبدل صالحا فأبدله حسنات فذلك معنى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن
تزولا أى من معاصى العباد ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما أى عن
معاصيهم غفورا لمساويهم وقيل فى تفسير ذلك ان الله عز وجل اذا نظر الى معاصى العباد غضب فترجف
الارض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الارضين وتصعد ملائكة الارضين فتمسك
على أطراف السموات ولا يزالون يقرؤن قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه سبحانه وتعالى فذلك قوله تعالى
ان الله يمسك السموات الآية وقال بعض العلماء اذا ضرب الناقوس فى الارض ودعى بدعوة الجاهلية اشتد
غضب الرب سبحانه وتعالى فاذا نظر الى صبيان المكاتب ورأى عمار المساجد وقيل اذا نظر الى المتحابين
فى الله أو المتزاورين له وسمع أصوات المؤذنين حلم وغفر فذلك قوله تعالى انه كان حليما غفورا فاذا
اتبع العبد الذنب بالذنب ولم يجعل بين الذنبين توبة خيف عليه الهلكة لان هذا حال المصر ولانه قد شرد
عن مولاه بترك رجوعه اليه ودوام مقامه مع النفس على هواه وهذا مقام المقت فى البعد وافضل ما يعمله
العبد قطع شهوات النفس أحلى ما يكون عنده الهوى اذ ليس لشهواتها آخر ينتظر كما ليس لبدايتها أول
وترسم فان لم يقطع ذلك لم يكن له نهاية فان شغل بما يستأنف من مزيد الطاعة ووجد حلاوة العبادة والا
أخذ نفسه بالصبر والمجاهدة فهذا طريق الصادقين من المريدين وقيل فى قوله تعالى استعينوا بالله
واصبروا أى استعينوا به على الطاعة واصبروا على المجاهدة فى المعصية وقال على كرم الله وجهه أعمال
البر كلها الى جنب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كتفلة الى جنب البحر والامر بالمعروف والنهى عن
المنكر الى جنب الجهاد فى سبيل الله تعالى كتفلة فى جنب بحر والجهاد فى سبيل الله تعالى الى مجاهدة النفس
عن هواها فى اجتناب النهى كتفلة فى جنب بحر لجى وعلى هذا معنى الخبر الوارد رجعتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر مجاهدة النفس وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة
صبر على معصية ثم الصبر على الطاعة وقد روينا فى الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة فى بلدة وأرسل عبده
يحملها اليه فراودته نفسه وطالبته بها فجاهدها واستعصم بالله قال فنبأه الله تعالى فكان نبيا فى بنى
اسرائيل وفى بعض قصص موسى عليه السلام انه قال للخضر عليه السلام بأى شئ أطلعك الله تعالى على
علم الغيب فقال بترك المعاصى لاجل الله تعالى فالجزاء من الله تعالى يجعله غاية العطاء لا على قدر العمل
لكن اذا عمل له عبد شيأ لاجله أعطاه أجره بغير حساب ثم انه لا يتخذ التائب عادة من ذنب فيتعذر بها توبته
فان العادة جند من جنود الله تعالى لولاها لكان الناس كلهم تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون
مستقيمين ثم ان يعمل فى قطع معتاد ان كان ثم ليصبر على مجاهدة النفس فى هوى ان بلى به فهذه الخصال من
أفضل أعمال المريدين وأزكاها ومعها تلهم النفس المطمئنة رشدها وتقواها وبها تخرج من وصف
الامارة بالسوء الى وصف المطمئنة الى أخلاق الايمان وهذا أحد المعانى فى الخبر الذى روى أفضل الاعمال
ما أكرهتم عليه النفوس لان النفس تكره خلاف الهوى والهوى هو ضد الحق والله تعالى يحب الحق
فصار جبار النفس على خلاف الهوى وعلى وفاق الحق لان محبة الحق من أفضل الاعمال كما قال تعالى
والوزن يومئذ الحق الآية واستثنى من أهل الخسر الذين تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر وهذا أول اليقين
وحدثت عن بعض أهل الاعتبار انه كان يمشى فى الوحل فكان يتقى ويشمر ثيابه عن ساقيه ويمشى فى جوانب
الطريق الى ان زلقت رجله فى الوحل فادخل رجليه فى وسط الوحل وجعل يمشى فى المحجة قال فبكى فقيل له

عبدى فى عليين وأعيدوه
الى الارض فانى منها خلقتهم
وفيها أعيدهم ومنها
أخرجهم تارة أخرى قال
فتعاد روحه فى جسده
فيأتيه ملكان فيجلسانه
فيقولان له من ربك فيقول
ربى الله فيقولان له ما دينك
فيقول دينى الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل
الذى بعث فيكم فيقول هو
رسول الله فيقولان له
ما علمك فيقول قرأت كتاب
الله فآمنت به وصدقت
فينادى مناد من السماء
ان صدق عبدى فافرشوه
من الجنة وألبسوه من الجنة
افتحوا له بابا الى الجنة قال
فيأتيه من روحها وطيبها
ويفسح له فى قبره مد بصره قال
ويأتيه رجل حسن الوجه
حسن الثياب طيب الريح
فيقول أبشر بالذى يسرك
هذا يومك الذى كنت توعد
فيقول له من أنت فوجهك
الوجه الذى يجىء بالخير
فيقول انا عملك الصالح
فيقول رب أقم الساعة حتى
أرجع الى أهلى ومالى
وقال ان العبد الكافر اذا
كان فى انقطاع من الدنيا
واقبال من الآخرة نزل اليه
من السماء ملائكة سود
الوجوه معهم المسوح
فيجلسون منه مد البصر ثم
يجىء ملك الموت حتى
يجلس عند رأسه فيقول
أيتها النفس الخبيثة
اخرجى الى سخط من الله
قال فتفرق فى جسده

ما يمكيك فقل هذا مثل العبد لا يزال يتوقى الذنوب و يجانبها حتى يقع فى ذنب منها وذنبين فعندها يخوض الذنوب خوضا وعلى العبد ان يتوب من الغفلة التى هى كائنة فاذا عرف هذا لم تنقطع أبدا توبته وقد جعل الله تعالى أهل الغفلة فى الدنيا هم أهل الخسران فى العقبى فقال عز من قائل وأولئك هم الغافلون لا جرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون ولكن غفلة دون غفلة وخسران دون خسران ولا تستحقرن الغفلة فانها أول المعاصى وهى عند الموقنين أصل الكبائر وقد جعل على كرم الله وجهه الغفلة احدى مقامات الكفر وقرنها بالعمى والشك وأمال صاحبها عن الرشد ووصفها بالحسرة فقال فى الحديث الذى يروى من طريق أهل البيت فقام عمار بن ياسر فقال يا أمير المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما بنى فقال على أربع دعائم على الجفاء والعمى والغفلة والشك فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت العلماء ومن عمى نسى الذكر ومن غفل حاد عن الرشد وغرته الامانى فأخذته الحسرة والندامة وبدا له من الله ما لم يكن يحتسب ومن شك تاه فى الضلالة وقال بعض العلماء من صدق فى ترك شهوة وجاهد نفسه لله تعالى سبع مرات لم يبتل بها وقال آخر من تاب عن ذنب واستقام سبع سنين لم يرجع اليه أبدا وقال بعض العلماء كفارة الذنب المعتاد أن تقدر عليه عددا ما أتيته ثم لا تقع فيه فيكون كل ترك كفارة لفعل وهذا حال الاقوياء من التوابين وليس هو طريق الضعفاء من المريدين بل حال الضعفاء الهرب والبعد ومن حدث نفسه بمعصية فى عدمها لم يملك نفسه عند وجودها فليعمل المريد فى قطع وساوس النفس بالخطايا والا وقع فيها لان الخواطر تقوى فتكون وسوسة فاذا كثرت الوساوس صارت طرقا للعدو بالتزيين والتسويل فاضر شئ على التائب تمكينه خاطر السوء من قلبه بالاصغاء اليه فانه يدب فى هلكته وكل سبب يدعو الى معصية أو يذكر بمعصية فهو معصية وكل سبب يؤل الى ذنب ويؤدى اليه فهو ذنب وان كان مباحا وقطعه طاعة وهذا من دقائق الاعمال وكان يقال من أتى عليه أربعون وهو العمر وكان مقيما على الذنب لم يكد يتب منه الا القليل من المتداركين وقد روى فى الخبر المؤمن كل مفتن تواب وان للمؤمن ذنبا قد اعتاده الفينة بعد الفينة يعنى حينا بعد حين وفى الحديث كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون وفى الخبر الآخر المؤمن واه راقع فخيرهم من مات على رقعه أى واه بالذنوب راقع بالتوبة والاستغفار وقد وصف الله تعالى المؤمنين بترك متابعة الذنوب وترادف السيئة بالحسنة فى قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة وقد جعل هذا من وصف العاملين الذين صبروا فقال تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة فجعل تعالى لهم صبرين عن الذنب وعلى التوبة فآتاهم به أجرين وقد اشترط الله تعالى على التائبين من المؤمنين ثلاث شرائط وشرط على التائبين من المنافقين أربعة لانهم اعتلوا بالخلق فى الاعمال فاشركوهم بالخالق فى الاخلاص فزاد عليهم الشرط تشديد الشدة دخولهم فى المقت واعتل غيرهم بوصفه فخفف عنهم شرطين فقال عز وجل الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فقوله تعالى تابوا أى رجعوا الى الحق من أهوائهم وأصلحوا يعنى ما أفسدوا بنفوسهم وبينوا فيها وجهان أحدهما بينوا ما كانوا كتموا من الحق وأخفوا من حقيقة العلم وهذا لمن عصى بكتم العلم ولبس الحق بالباطل وقيل بينوا توبتهم حتى تبين ذلك فيهم فظهرت أحكام التوبة عليهم وقال فى الشرطين الآخران المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله لانهم كانوا يعتصمون بالناس وبالاموال وكانوا يراؤن بالاعمال فلذلك اشترط عليهم الاعتصام بالله والاخلاص لله عز وجل فينبغى أن تكون توبة كل عبد عن ضد معاصيه قليلا بقليل أو كثيرا بكثير ويكون التائب على ضد ما كان أفسد ليكون كما قال الله تعالى انا لا نضيع أجر المصلحين ولا يكون العبد تائبا حتى يكون مصلحا ولا يكون مصلحا حتى يعمل الصالحات ثم يدخل فى الصالحين وقد قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين وهذا وصف للتواب وهو المتحقق بالتوبة والحبيب لله تعالى كما قال تعالى ان الله يحب التوابين أى يتولى الراجعين اليه من أهوائهم المتطهرين له من المكاره وكما قال رسول الله صلى الله

عليه

فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان باقبح اسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه فى سجين فى الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء ان كذب فأفرشوه من النار وافتحوا لها بابا الى النار فيأتيه من حرها

عليه وسلم التائب حبيب الله وسئل أبو محمد سهل متى يكون العبد التائب حبيب الله تعالى فقال حتى يكون كما
قال الله تعالى التائبون العابدون الآية ثم قال الحبيب لا يدخل فى شئ لا يحبه الحبيب وقال لا تصح
التوبة حتى يتوب من الحسنات وقد قال غيره من العارفين العامة يتوبون من سيئاتهم والصوفية يتوبون
من حسناتهم يعنى من تقصيرهم فى أدائها العظيم ما يشهدون من حق الملك العزيز سبحانه وتعالى المقابل
بها ومن نظرهم اليها أو نظرهم الى نفوسهم بها وهى منة الله تعالى اليهم واصلة وكان سهل يقول التوبة من
أفضل الاعمال لان الاعمال لا تصح الا بها ولا تصح التوبة الا بترك كثير من الحلال مخافة أن يخرجهم
الى غيره والاستغفار قوت التوابين ومفزع الخطائين قال الله تعالى وهو أصدق القائلين استغفروا ربكم ثم
توبوا اليه وقال تعالى افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه فابتدئ التوبة بالاستغفار وعقب الاستغفار بالتوبة
فالاستغفار مع الذنب سؤال الستر من الله تعالى ومغفرة الله تعالى لعبده فى حال ذنبه ستره عليه وحلمه عنه
ويقال ما من ذنب ستره الله تعالى على عبده فى الدنيا الا غفره له فى الآخرة ان الله تعالى أكرم من أن يكشف
ذنبا كان قد ستره وما من ذنب كشفه الله فى الدنيا الا جعل ذلك عقوبة عبده فى الآخرة فالله أكرم
من أن يثنى عقوبته على عبده وروى عن على وابن عباس رضى الله عنهما نحو ذلك وقد أسنداه من طريق
الاستغفار بعد التوبة هو سؤال العبد مولاه العفو عن المؤاخذة ومغفرة الله تعالى لعبده بعد التوبة
تكفيره اسيآته وتجاوزه عنها بالعفو الكريم وهو تبديل السيآت حسنات كما جاء فى الخبر ان تفسير
قول العبد يا كريم العفو قال هو ان عفا برحمته عن السيآت ثم بدلها بكرمه حسنات وقد أحكم الله تعالى
ذلك بقوله فاستقيموا اليه واستغفروه بعد قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا أى وحدوا الله تعالى ثم استقاموا على التوحيد فلم يشركوا وقيل
استقاموا على السنة فلم يحدثوا وقيل استقاموا على التوبة فلم يروغوا معها أن لا تخافوا أعقاب الذنوب
فقد كفرها عنكم بالتوحيد ولا تحزنوا على ما فاتكم من الاعمال فقد تداركها الله تعالى لكم بالتوبة
وبلغكم منازل المحسنين بالاستقامة ثم قال تعالى وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون فى السابق نحن
أولياؤكم أى نليكم ونقرب منكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بالتثبيت لكم على الايمان ولكم فيها ما تشتهى
أنفسكم أى اجسامكم من النعيم المقيم ولكم فيها ما تدعون أى ما تمنون بقلوبكم من النظر الى الملك الرحيم
وفى الخبر التائب من الذنب كمن لا ذنب له والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بآيات الله تعالى
وكان بعضهم يقول أستغفر الله من قولى أستغفر الله باللسان عن غير توبة وندم بالقلب وفى خبر الاستغفار
باللسان من غير توبة وندم بالقلب توبة الكذابين وكانت رابعة تقول استغفارنا هذا يحتاج الى استغفار
فكم من توبة تحتاج الى توبة فى تصحيحها والاخلاص من النظر اليها والسكون والادلال بها فمن عقب
السيئات بحسنات وخلط الصالحات بالطالحات طمع له فى النجاة ورجى له الاستقامة قبل الوفاة قال الله تعالى
خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ عسى الله أن يتوب عليهم أى يعطف عليهم وينظر اليهم وقيل خلطوا عملا
صالحا هو الاعتراف بالذنوب والتوبة المستأنفة وآخر سيأ ما سلف من الغفلة والجهالة وقد كان ابن عباس
يقول غفور لمن تاب رحيم حيث رخص فى التوبة وقد قال الله تعالى وانى لغفار لمن تاب أى من الشرك
وآمن بالتوحيد وعمل صالحا أدى الفرائض واجتنب المحارم ثم اهتدى كان على السنة وقيل استقام على
التوبة فهذه صفات المؤمنين فلم يرد الله تعالى المخلصين الى ما رد اليه المنافقين وهو التوبة وكذلك رد اليها
المشركين اذ لا طريق للكل الا منها ولا وصول الى المحبة والرضا الا بها وقال تعالى فى وصف المنافقين وآخرون
مرجون لامر الله اما يعذبهم أى مع الاصرار واما يتوب عليهم أى بالاستغفار وأحكم ذلك وفصله بما شرطه
كما قال فى شأن الكافرين فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وقد قرن الله تعالى الاستغفار
للعبادة ببقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فى الامة ورفع العذاب عنهم بوجوده فضلا منه ونعمة وقال تعالى وما كان

وسمومها ويضيق عليه قبره
حتى تختلف فيه اضلاعه
ويأتيه رجل قبيح الوجه
قبيح الثياب منتن الريح
فيقول أبشر بالذى يسوءك
هذا يومك الذى كنت
توعد فيقول من أنت
فوجهك الوجه الذى يجئ
بالشر فيقول انا عملك الخبيث
فيقول رب لا تقم الساعة
وفى رواية أبى داود وغيره ثم
يقيض له يعنى للكافر أعمى
أصم ومعه مرزبة من
حديد لو ضرب بها الجبال
لصارت ترابا فيضربه بها
ضربة يسمعها ما بين المشرق
والمغرب الا الثقلين فيصير
ترابا ثم يعاد فيه الروح
وقال عمر بن عبد العزيز
لبعض جلسائه يا فلان
لقد أرقت الليلة أتفكر فى
القبور وساكنيها انك
لو رأيت الميت بعد ثلاثة
فى قبره لاستوحشت من
قربه بعد طول الانس
منك به ولو رأيت بيتا تجول
فيه الهوام ويجرى فيه
الصديد وتخرقه الديدان
مع تغير الريح وبلى الاكفان
بعد حسن الهيئة وطيب
الريح ونقاء الثوب ثم شهق
شهقة خر مغشيا عليه ومما
وجد على قبر مكتوبا شعر
اسلمنى الاهل ببطن الثرى*
وانصرفوا عنى فيا وحشتا
وغادرونى معدما بائسا
ما بيدى اليوم الا البكا
وكل ما كان كأن لم يكن
وكل ما حذرته قد أتى

الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وكان بعض السلف يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وبقي الآخر فان ذهب الآخر هلكنا يعني الذي ذهب الرسول صلى الله عليه وسلم والذي بقي الاستغفار وسئل سهل رحمه الله عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الانابة ثم التوبة فالاستجابة أعمال الجوارح والانابة أعمال القلوب والتوبة اقباله على مولاه وترك الخلق ثم يستغفر من تقصيره الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه ثم ينقل الى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتفويض مراده والتوكل صاحبه ثم ينظر الله تعالى اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وكان يقول العبد لابد له من مولاه على كل حال وأحسن حاله أن يرجع اليه في كل شيء اذا عصى يقول يارب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب علي فاذا تاب قال يارب ارزقني العصمة فاذا عمل قال يارب تقبل مني ومن أحسن ما يتعقب الذنب من الاعمال بعد التوبة وحل الاصرار مما يرجى به كفارة الخطيئة ثمانية أعمال أربعة من أعمال الجوارح وأربعة من أعمال القلوب فأعمال الجوارح أن يصلي العبد ركعتين ثم يستغفر سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة ويصوم يوما وأعمال القلوب هي اعتقاد التوبة منه وحب الاقلاع عنه وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له ثم يحتسب على الله تعالى بحسن ظنه وصدق يقينه كفارة ذنبه فهذه الاعمال قد وردت بها الآثار انها المكفرة للزلل والعثار وقد يشترط في بعضها فيتوضأ ويسبغ الوضوء ويدخل المسجد فيصلي ركعتين وفي بعض الاخبار فيصلي أربع ركعات قال ويقال اذا أذنب العبد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه وان لم يستغفر كتبها ويقال صدقة الليل تكفر ذنوب النهار وصدقة السر تكفر ذنوب الليل وفي بعض الاخبار اذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية وفي أخبار متفرقة جمعناها ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر ويا ليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فيقول الآخر ياليتهم اذ علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا وفي بعضها تجالسوا فتذاكروا ما علموا فيقول الآخر وياليتهم اذ لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا فأول ما يجب لله عز وجل على عبده أن لا يعصيه بنعمه لئلا تكون معصيته كفرانا لنعمته وجوارح العبد وماله من نعم الله تعالى عليه لان قوام الانسان بجوارحه وثبات جوارحه بالحركة ومنافع الحركة بالعافية فاذا عصاه بالنعمة فقد بدلها كفرا كما قال تعالى بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بها على معاصيه ثم توعد على التبديل بالعقاب الشديد فقال ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب فقد يكون العقاب على تبديل النعمة بالمعصية معجلا في الدنيا ويكون مؤجلا في الآخرة وقد يكون العقاب في أسباب الدنيا وقد يكون في حرمان أسباب الآخرة لانها مآله ومثواه وقد يكون فيهما معا وقد تكون نفس المعصية بالنعمة عقوبة والجهل بالنعمة وتضييع الشكر عليها واستصغارها والسكون اليها والتطاول والتفاخر والتكاثر بها كل هذه الاسباب عقوبات ثم يفترض على العبد اذا عصاه الرجوع الى مولاه وهو التوبة عقيب وقوفه مع نفسه وهو موافقة الهوى بالخطيئة فتأخيره بالتوبة واصراره على الذنب ذنبان مضافان الى الخطيئة فاذا تاب من ذنبه وأحكم التوبة منه اعتقد الاستقامة على الطاعة ودوام الافتقار الى الله تعالى في العصمة ثم يتوب أبدا من الصغائر الى الهم والتمني ومن الخوف والطمع في المخلوق وهي ذنوب الخصوص الى الطرفة والنفس والسكون الى شيء والراحة بشيء وهذه ذنوب المقربين حتى لا يبقى على العبد فيما يعلم مخالفة وحتى يشهد له العلم بالوفاء فتبقى حينئذ ذنوبه من مطالعة علم الله تعالى فيه لما استأثر به عنه من علم غيبه يكاشفه به ومن معنى نفس العبودية وكون الخلقة عن

وذا كم المجموع والمقتنى *
قد صار في كفي كمثل الهبا
ولم أجد لي مؤنسا ههنا
غير فجور كان لي أوخنا
فلو تراني أو ترى حالتي
بكيت لي يا صاح مستعلنا
اللهم انا نعوذ بك من عذاب
القبر وفتنة المحيا والممات
وفتنة المسيح الدجال اللهم
انا نعوذ بك من المأثم والمغرم
(فصل) فيما يكون
منه عذاب القبر قال الله
تعالى ألهاكم التكاثر حتى
زرتم المقابر كلا سوف
تعلمون يعني ما ينزل بكم من
العذاب في القبر ثم كلا سوف
تعلمون أي في الآخرة اذا
حل بكم العذاب خ عن
سمرة بن جندب رضي الله
عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكثر
أن يقول لاصحابه هل رأى
منكم أحد رؤيا فيقص
عليه ما شاء الله أن يقص
وانه قال لنا ذات غداة انه
أتاني الليلة آتيان وانهما
قالا لي انطلق فانطلقت
معهما وانا أتينا على رجل
مضطجع فاذا آخر قائم
عليه بصخرة واذا هو يهوي
بالصخرة لرأسه فيثلغ رأسه
فيتدهده الحجر ههنا
فيتبع الحجر فيأخذه فلا
يرجع اليه حتى يصح
رأسه كما كان ثم يعود عليه
فيفعل به مثل ما فعل المرة
الاولى قال قلت لهما
سبحان الله ما هذا قالا لي
انطلق انطلق فانطلقنا

تسليط الربوبية بوصفها وكبرها فيكون هذا الخوف مثوبة لما فزع من علم نفسه الى مالا يمكن ذكره ولا يعرف نشره من ذنوب المقربين التى هى صالحات أصحاب اليمين لفقد مشاهدتها والجهل بمعرفة مقاماتها عند العموم فيكون حال هذا المقرب الاشفاق من البعد فى كل طرفة ونفس الى وقت اللقاء والخوف من الاعراض والحجب فى كل حركة وهم فى هذه الدار الى دار البقاء وقد روينا فى خبر غريب ان الله عز وجل أوحى الى يعقوب عليه السلام أتدرى لم فرقت بينك وبين يوسف قال لا قال لقولك لاخوته انى أخاف أن يأكله الذئب لم خفت عليه الذئب ولم ترجنى له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له فهذا معنى قول يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قال الله تعالى فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين فهذا مما يعتب على الخصوص من خفى سكونهم ولمح نظرهم الى ماسوى الله تعالى وانما حرم بعض التابعين ذلك المزيد ولم يجدوا حلاوة التوبة لتهاونهم بحال الرعاية وتسامحهم بترك حسن القيام بشاهد المراقبة وذلك يكون من قلة احكام أمر التوبة ولو قاموا بحكم التوبة من الذنب الواحد وأحكموا حال تواب من الصادقين فى التوبة لم يعدموا من الله تعالى المزيد لانهم محسنون فهم فى تجديد قال الله تعالى سنزيد المحسنين فاذا رأيت مستقيما على التوبة عاملا بالصالحات ولم تجدك على مزيد من ميراث يوجد حلاوة أو حسن خليقة أو عروض زهد أو خاصية معروفة فارجع الى باب المراقبة أو موقف الرعاية فتفقدهما واحكم حالهما فمن قبلهما أتيت وقال بعض العلماء من تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن عندنا من التائبين ولا تغفلن عن التفقد وتجديد التوبة أدبار الصلوات فانما دخل الخسران على العمال من حيث لا يعلمون من تركهم التفقد ومحاسبة النفس ومسامحتها بما يعملون واعلم أن حقيقة كل ذنب عشرة أعمال لا يكون العبد توابا يحبه الله تعالى ولا تكون توبته نصوحا التى شرطها الله تعالى وفسرتها النبوة الا أن يحكم العبد عشر توبات من كل ذنب أولها ترك العود الى فعل الذنب ثم يتوب من القول به ثم يتوب من الاجتماع مع سبب الذنب ثم التوبة من السعى فى مثله ثم التوبة من النظر اليه ثم التوبة من الاستماع الى القائلين به ثم التوبة من الهمة ثم التوبة من التقصير فى حق التوبة ثم التوبة من ان لا يكون أراد وجه الله تعالى خالصا بجميع ما تركه لاجله ثم التوبة من النظر الى التوبة والسكون اليها والادلال بها ثم يشهد بعد ذلك تقصيره عن القيام بحق الربوبية لعظيم ما يشهد بالمزيد من الاشراف على التوحيد من كبير جلال الله تعالى وعظم كبريائه فتكون توبته بعد ذلك من تقصيره عن القيام بحقيقة مشاهدته ويكون استغفاره لما ضعف قلبه ونقص همه عن معاينة مشاهدة لعلو مقامه ودوام مزيده واعلامه ولا نهاية لتوبة العارف ولا الغاية وصفه لما هو عليه عما كشف ولا وصف محتمل ذكر دقيق بلائه ولا يكبر عن التوبة نبى فمن دونه ولكل مقام توبة ولكل حال من مقام توبة ولكل مشاهدة ومكاشفة توبة فهذا حال التائب المنيب الذى هو من الله تعالى مقرب وعنده حبيب وهذا مقام مفتن تواب أى مختبر بالاشياء مبتلى بها تواب الى الله تعالى منها الناظر مولاه أينظر بقلبه اليه أو اليها أو يعتكف بهمته عليه أو عليها أو يطمئن اليه بوجودها أو اليها أو يطلب اياه هربا منها أو اياها فعليه لكل مشاهدة لسواه ذنب وعليه فى كل سكون الى سواه عتب كما له فى كل شهادة علم ومن كل اظهار فى الكون حكم فذنوبه لا تحصى وتوباته الى الله تعالى لا تستقصى فهذه حقيقة التوبة النصوح وصاحبها مسلم وجهه لله تعالى محسن من نفسه مستريح ودينه عند الله تعالى مستقيم ومقامه وحاله من الله تعالى سليم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب كل مفتن تواب واعلم أن الذنوب على سبعة ضروب بعضها أعظم من بعض كل ضرب منها مراتب فى كل مرتبة من المذنبين طبقة منها معاص يعتل بها العبد من معانى صفات الربوبية مثل الكبر والفخر والجبرية وحب الحمد والمدح ووصف العز والغنى فهذه مهلكات وفيها من العموم طبقات ومعاص تكون من معانى أخلاق الشياطين مثل الحسد والبغى والحيلة والخداع والامر بالفساد فهذه موبقة وفيها من أهل الدنيا طبقات ومعاص تكون من ضد السنة وهو ما خالفها الى بدعة

فأتينا على رجل مستلق لقفاه واذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد واذا هو يأتى احدى شقى وجهه يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه ثم يتحول الى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الاول فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل فى المرة الاولى قال قلت سبحان الله ما هذان قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على مثل التنور فأحسب انه قال فاذا فيه لغط وأصوات فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة واذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا قلت ما هؤلاء قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت انه كان يقول أحمر مثل الدم واذا فى النهر رجل سابح يسبح واذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة واذا ذلك السابح يسبح ما يسبح ثم يأتى ذلك الرجل الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر فاه فيلقمه حجرا فيسبح ثم يرجع اليه كلما رجع اليه فغر فاه فالقمه حجرا قلت لهما ما هذان قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة أو كأكره ما أنت راء رجلا مرآى

والاحداث المبتدعة وهى كبائر منها مايذهب الايمان و ينبت النفاق وست من كبائر البدع وهى تنقل عن الملة وهى القدرية والمرجئة والرافضية والاباضية والجهمية والشاطحون من المغالطين وهم الذين لا يقولون بخلق ولا رسم ولا حكم فى تعدى الحدود ومجاوزات العلم فهم زنادقة هذه الامة ومعاص متعلقة بالخلق من طريق المظالم فى الدين والالحاد بهم عن طريق المؤمنين وهو ما أضل به عن الهدى وأزاغ به عن السنن وحرفه من الكتاب وتأوله من السنة ثم أظهر ذلك ودعا اليه فقبل منه واتبع عليه وقد قال بعض العلماء لا توبة لهذه المعاصى كما قال بعضهم فى القاتل لا توبة له للاخبار بثبوت الوعيد وحق القول عليه والضرب الخامس من المعاصى ما تعلق بمظالم العباد فى أمر الدنيا مثل ضرب الانسان وشتم الاعراض وأخذ الاموال والكذب والبهتان فهذه موبقات ولا بد فيها من القصاص للموافقة بين يدى الحاكم العادل والقطع منه بقضاء فاصل الا أن يقع استحلال أو يستوهبها الله عز وجل من أربابها فى المآل بكرمه و يعوض المظلومين عليها من جنابه بجوده وقد جاء فى الخبر الدواوين ثلاثة ديوان يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فاما الديوان الذى يغفر فذنوب العباد بينهم و بين الله تعالى وأما الديوان الذى لا يغفر فالشرك بالله تعالى وأما الديوان الذى لا يترك فمظالم العباد أى لا يترك المطالبة به والمؤاخذة عليه والضرب السادس من الذنوب ما كان بين العبد و بين مولاه من نفسه الى نفسه متعلق بالشهوات والجرى فى العادات وهذه أخفها والى العفو أقربها وهذه على ضربين كبائر وصغائر فالكبائر ما نص عليه بالوعيد وما وجبت فيه الحدود والصغائر دون ذلك الى نظرة وخطرة والتوبة النصوح تأتى على جميع ذلك بعموم قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم و باخباره عز وجل عن حكمه اذ يقول ثم تاب عليهم ليتوبوا وبظاهر قوله تعالى ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ومثله ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا الى قوله ان ربك من بعدها لغفور رحيم هكذا قراءة أهل الشام بنصب الفاء والتاء ولان البغية من التوبة اذا كانت غفران الذنب والزحزحة عن النار ونحن لا نرى أبدية الوعيد على أهل الكبائر بل نجعلهم فى مشيئة الله ونجوز تجاوز الله تعالى عنهم فى أصحاب الجنة كما جاء فى الخبر فى تفسير قوله تعالى فجزاؤه جهنم خالدا فيها أى ان جازاه وكذلك روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن وعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه وكما قال ابن عباس رضى الله عنه يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقد قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلم يحد للمغفرة ذنبا غير الشرك وترك المسلمين مع سائر الذنوب فى مشيئته فقد يحتج محتج بالخبر المأثور فى ترك قبول توبة المبتدع ان الله تعالى احتجر التوبة على كل صاحب بدعة فهذا مخصوص لمن لم يتب ممن حكم عليه بدرك الشقاء ألا ترى انه لم يقل ان الله تعالى احتجر قبول التوبة عن تاب انما أخبر عن حكم الله تعالى فيمن لم يتب بان الله تعالى حجب التوبة عنه فهكذا نقول أيضا ان القاتل اذا كان قد سبق له سوء الخاتمة بانه يموت على غير توحيد وكذلك المبتدع ان جعل اسمه فى أصحاب النار ثم كان القتل والبدعة علامة ذلك وسببه انهما جميعا ممنوعان من التوبة فانها محتجرة عنهما وكذلك القول فيمن حقت عليه كلمة العذاب بسبق سوء الخاتمة فلو انه تاب سبعين توبة لم تنقذه من النار وليست توبته باكثر من قوله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس انه من أهلها ولا يبقى بينه و بينها الا شبر ثم يدركه الشقاء وفى لفظ آخر ثم يسبق عليه الكتاب بعمل أهل النار فيدخلها فقد دخلت التوبات فى صالح أعماله الحسنات ثم أحبطها عنه فى جملة عمله بسبق الكتاب بالشقاء له وأما من لم يسبق له سوء الخاتمة ووهب له التوبة النصوح ولم يدركه الشقاء فانها لم تحتجر عنه وان الله تعالى يعفو عنه بما وهب له من التوبة كقوله تعالى فى المنافقين اما يعذبهم واما يتوب عليهم وليس النفاق دون البدعة ولا كل المنافقين تاب عليهم ولا جميعهم ختم لهم به ولعموم قوله تعالى فتاب عليكم وعفا عنكم فهذا مجمل فيمن تاب والخبر مخصوص فيمن لم يتب ولقوله تعالى ثم تاب عليهم ليتوبوا ولقوله تعالى عسى الله أن يتوب عليهم

واذا هو عنده نار يحشها و يسعى حولها قلت لهما ما هذا قالا لى انطلق انطلق فانطلقنا الى أن قال قلت لهما فانى رأيت منذ الليلة عجبا فما هذا الذى رأيت قالا لى اما انا سنخبرك أما الرجل الاول الذى يثلغ رأسه بالحجر فانه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه و ينام عن الصلاة المكتوبة و أما الرجل الذى يشرشر شدقه الى قفاه ومنخره الى قفاه وعينه الى قفاه فانه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق واما الرجال والنساء العراة الذين هم فى مثل بناء التنور فانهم الزناة والزوانى فاما الرجل الذى يسبح فى النهر ويلقم الحجارة فانه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرأى الذى عند النار يحشها و يسعى حولها فانه مالك خازن جهنم وانا جبريل وهو ميكائيل ابن آدم ان جاءك رسول ملك بلدك وقال لك ان فعلت كذا ثلغ الملك رأسك بالحجر أو شق شدقك الى قفاك أو حبسك فى تنور ضيق واوقد تحته النار انتهيت عنه لا محالة وهذا رسول رب العالمين قد جاءك وقال ان نمت عن الصلاة المكتوبة ثلغ رأسك بالحجر وان كذبت شق شدقك ومنخرك وعينك الى قفاك وان زنيت حبست فى بناء مثل التنور الضيق الاعلى الواسع الاسفل

ان الله غفور رحيم ثم ان الناس فى التوبة على أربعة أقسام فى كل قسم طائفة لكل طائفة مقام منهم تائب من الذنب مستقيم على التوبة والانابة لا يحدث نفسه بالعود الى معصية أيام حياته مستبدل بعمل سيآته صالح حسناته فهذا هو السابق بالخيرات وهذه هى التوبة النصوح ونفس هذا هى المطمئنة المرضية والخبر المروى فى مثل هذا سيروا سبق المفردون المستهترون بذكر الله وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا والذى يلى هذا فى القرب عبد عقد التوبة ونيته الاستقامة لا يسعى فى ذنب ولا يقصده ولا ينحوه ولا يهتم به وقد يبتلى بدخول الخطايا عليه عن غير قصد منه ويمتحن بالهم واللمم فهذا من صفات المؤمنين يرجى له الاستقامة لانه فى طريقها وهو ممن قال الله تعالى يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وداخل فى وصف المتقين الذين قال الله تعالى فيهم والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية ونفس هذا هى اللوامة التى أقسم الله تعالى بها وهو من المقتصدين وهذه الذنوب تدخل على النفوس من معانى صفاتها وغرائز جبلاتها وأوائل أنسابها من نبات الارض وتركيب الاطوار فى الارحام خلقا من بعد خلق ومن اختلاط الامشاج بعضها ببعض ولذلك عقبه تعالى بقوله هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم الآية فلذلك نهى عن تزكية النفس المنشأة من الارض والمركبة فى الارحام بالامشاج للاعوجاج فقال تعالى فلا تزكوا أنفسكم أى فهذا وصفها عن بدء انشائها وكذلك وصف مشيج خليقته بالابتلاء فى قوله انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا وشرح هذا يطول ويخرج الى علم تركيبات النفوس ومجبول فطرتها وقد ذكرنا أصوله فى بعض الابواب من هذا الكتاب وفى مثل هذا العبد معنى الخبر الذى جاء المؤمن مفتن تواب والمؤمن كالسنبلة تفىء أحيانا وتميل أحيانا فازراء هذا العبد على نفسه ومقته لها عن معرفته بها وترك نظره اليه وسكونه الى خير ان ظهر عليها يكون من كفارات ذنوبه لانه من تدبر الخطاب فى قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بكم والعبد الثالث هو الذى يقرب من هذا الثانى فى الحال عبد يذنب ثم يتوب ثم يعود الى الذنب ثم يحزن عليه بقصده له وسعيه فيه وايثاره اياه على الطاعة الا انه يسوّف بالتوبة ويحدث نفسه بالاستقامة ويحب منازل التوابين ويرتاح قلبه الى مقامات الصديقين ولم يأن حينه ولا ظهر مقامه لان الهوى يحركه والعادة تجذبه والغفلة تغمره الا انه يتوب خلال الذنوب ويعاود لتقدم المعتاد فتوبته هذا فوت من وقت الى وقت ومثله ترجى له الاستقامة لمحاسن عمله وتكفيرها السالف سيئته وقد يخاف عليه الانقلاب لمداومة خطئه ونفس هذا هى المسوّلة وهو ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليه فيستقيم فيلحق بالسابقين فهذا بين حالين بين أن يغلب عليه وصف النفس فيحق عليه ما سبق من القول وبين أن ينظر اليه مولاه نظرة تجبر له كل كسر ويغنى له كل فقر فيتداركه بمنة سابقة فتلحقه بمنازل المقربين لانه قد سلك طريقهم بفضله ورحمته ونيته الآخرة والعبد الرابع أسوأ العبيد حالا وأعظمهم على نفسه وبالا وأقلهم من الله نوالا عبد يذنب ثم يتبع الذنب مثله أو أعظم منه ويقيم على الاصرار ويحدث نفسه به متى قدر عليه ولا ينوى توبة ولا يعقد استقامة ولا يرجو وعدا بحسن ظنه ولا يخاف وعيدا لتمكن أمنه فهذا هو حقيقة الاصرار ومقام بين العتو والاستكبار وفى مثل هذا جاء الخبر هلك المصرون قدما الى النار ونفس هذا هى الامارة وروحه أبدا من الخير فرارة ويخاف على مثله سوء الخاتمة لانه فى مقدماتها وسالك طريقتها ولا يبعد منه سوء القضاء ودرك الشقاء ولمثل هذا قيل من سوف الله تعالى بالتوبة أكذبه وان اللعنة خروج من ذنب الى أعظم منه وهذه الطائفة فى عموم المسلمين وهم فى مشيئة الله من الفاسقين كما قال تعالى مرجون لامر الله أى مؤخرون لحكمه اما يعذبهم بالاصرار واما يتوب عليهم بما سبق من حسن الاختيار نعوذ بالله تعالى من عذابه ونسأله نعيما من ثوابه وهذا آخر كتاب التوبة

(شرح مقام الصبر ووصف الصابرين وهو الثانى من مقامات اليقين)

قد جعل الله عز وجل الصابرين أئمة المتقين وتمم كلمته الحسنى عليهم فى الدين فقال تعالى وجعلناهم أئمة يهدون

وأوقد تحته النار وان أكلت الربا تسبح فى نهر من دم وتلقم الحجارة هذا كله الى يوم القيامة فان لم تنته عن هذه المعاصى فاما أن يكون ذلك لعدم تصديقه صلى الله عليه وسلم فأنت كافر تخلد فى نار جهنم واما لظنك اطاقتك هذه العقوبات الى يوم القيامة فجرب نفسك بامرك واحدا أن يفعل بك شيأ من هذه العقوبات يوما تاما فان لم تطق ذلك يوما واحدا فأنت عن هذه العقوبات العظيمة الى يوم القيامة أعجز واما أن يكون لطمع فى التوبة بعد فليس بيدك كتاب أمان من مفاجاة المنية فلم لا تتوب عنها ولا تنتهى سريعا نعوذ بالله من قلة الفكر فى أمر الآخرة وفى التذكرة للقرطبى روى الطحاوى عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أمر بعبد من عباد الله عز وجل أن يضرب فى قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت جلدة واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه أفاق فقال علام جلدتمونى قالوا انك صليت صلاة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره وفى الزهر الفائح وغيره ان حسان بن أبى سنان كان لا ينام بالليل ولا يأكل سمينا ولا يشرب باردا فلما مات رؤى فى النوم فقيل

بأمرنا لما صبروا وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا وقال المسيح عليه السلام انكم لا تدركون ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون وقال بعض الصحابة ماذا جعل الله تعالى من الشقاء والفضل في التقى والصبر وقال ابن مسعود الصبر نصف الايمان وقد جعل علي كرم الله وجهه الصبر ركنا من أركان الايمان وقرنه بالجهاد والعدل والايقان فقال بني الاسلام على أربع دعائم على اليقين والصبر والجهاد والعدل وقال علي كرم الله وجهه الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبر في العلو والفضل الى مقام اليقين وقرنه به وكذلك قال الله تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان من أوتي نصيبه منهما لم يسأل ما فاته وأخبر عليه السلام ان الصبر كمال العمل والاجرة قال في حديث رويه شهر بن حوشب الاشعري عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطي حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار ولان تصبروا على مثل ما أنتم عليه أحب الي من أن يوافيني كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تفتح عليكم الدنيا بعدي فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكمال ثوابه ثم قرأ ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون وفي حديث ابن المنكدر عن جابر قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان فقال الصبر والسماحة وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وقال عز وجل انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فضاعف أجر الصابرين على كل عمل ثم رفع جزاء الصبر فوق كل جزاء فجعله بلا نهاية ولا حد فدل ذلك انه أفضل المقامات وجمع للصابرين ثلاثا فرقها على جل أهل العبادات الصلاة والرحمة والهدى بعد البشارة في الآخرة والعقبى وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعمت العلاوة للصابرين يعني بالعدلين الصلاة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يعلى به فوق الحملين على البعير فيكون كعدل ثالث وقد أخبر الله تعالى انه مع الصابرين ومن كان الله تعالى معه غلب كما أن من كان معه علا فقال تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين كما قال الله عز وجل وانتم الاعلون والله معكم واشترط الصبر لامداده بجنده ونصرته تأييده بقوله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وكان سهل يقول الصبر تصديق الصدق وأفضل منازل الطاعة الصبر على المعصية ثم الصبر على الطاعة وقال في معنى قوله عز وجل استعينوا بالله واصبروا أي استعينوا بالله على أمر الله واصبروا على أدب الله وقال لم يمدح الله تعالى أحدا الا من صبر للبلاء والشدة فبذلك يثني عليه وكان يقول الصالحون في المؤمنين قليل والصادقون في الصالحين قليل والصابرون في الصادقين قليل فجعل الصبر خاصية الصدق وجعل الصابرين خصوص الصادقين وكذلك الله تعالى وهو أصدق القائلين قد رفع الصابرين على الصادقين في ترتيب المقامات فجعل الصبر مقاما في الصدق ان كانت الاوصاف المنسوقة نعتا واحدا للمسلمين وكانت الواو للمدح وان كانت مقامات فالواو للترتيب فقد جعل الله الصابرين فوق الصادقين والقانتين أعني في قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وفي حديث عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار فقال أمؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر رضي الله عنه نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم قال نشكر في الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة والصبر ينقسم على عملين أحدهما لاصلاح الدين الا به والثاني هو أصل فساد الدين ثم يتنوع الصبر فيكون صابرا على الذي فيه صلاح الدين فيكمل به ايمانه ويكون صابرا عن الذي فيه فساد الدين فيحسن به يقينه وروينا معنى هذا عن علي رضي الله عنه انه لما دخل البصرة واستقام له الامر دخل جامعها فجعل يخرج القصاص ويقول القصص بدعة

لما فعل الله بك قال أنا محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها لصاحبها وعن قبيصة بن سفيان قال رأيت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت له ما فعل الله بك فقال شعر

نظرت الى ربي عيانا فقال لي
هنيأ رضائي عنك يا ابن سعيد
لقد كنت قواما اذا الليل قد دجى
بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر أي قصر تريده
وزرني فاني عنك غير بعيد

اللهم ارزقنا اتباع الصالحين واحشرنا في زمرتهم يا أرحم الراحمين

(فصل) قال الله تعالى وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب خم عن ابن عباس رضي الله عنهما مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال انهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة ثم أخذ جريدة رطبة فشقها بنصفين ثم غرز في كل قبر واحدة فقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا وفي التذكرة للقرطبي روى البيهقي عن الربيع ابن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه

فانتهى الى حلقة شاب يتكلم على جماعة فاستمع اليه فاعجبه كلامه فقال يافتى أسألك عن شيئين فان خرجت منهما تركتك تتكلم على الناس والا أخرجتك كما أخرجت أصحابك فقال سل يا أمير المؤمنين فقال أخبرني ماصلاح الدين ومافساده قال صلاحه الورع وفساده الطمع قال صدقت تكلم فمثلك يصلح ان يتكلم على الناس يقال ان هذا الشاب هو امامنا في هذا العلم وهو امام الائمة الحسن بن يسار مولى الانصار البصري وكان ميمون بن مهران يقول الايمان والتصديق والمعرفة والصبر واحد وقال أبو الدرداء رضي الله عنه ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر واعلم ان الورع أول الزهد وهو أول باب من أبواب الآخرة والطمع أول الرغبة وهو باب كبير من أبواب الدنيا وهو استشعار الطمع من حب الدنيا وحب الدنيا رأس كل خطيئة ويقال أول معصية عصى الله تعالى بها الطمع وهو ان آدم عليه السلام طمع في الخلود فأكل من الشجرة التي نهي عنها وابليس طمع في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوسوس اليه فاتفقا في اسم المعصية لربهما تعالى بالطمع ثم افترقا في المطموع فيه وفي الحكم فتدورك آدم عليه السلام بحسن سابقته من الله تعالى وهلك ابليس بما سبق عليه من الشقوة والطمع هو تصديق الظن ولذلك وصف الله تعالى به عدوه في قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه والظن ضد اليقين ولا يغني من الحق شيأ وقال الله تعالى في وصف المشركين ان نظن الاظنا ومانحن بمستيقنين فمن صبر عن الطمع في الخلق أخرجه الصبر الى الورع ومن صبر عن الورع في الدين أدخله الصبر في الزهد ومن طمع في تصديق الظن الكاذب أدخله الطمع في حب الدنيا ومن استشعر حب الدنيا أخرجه حبها من حقيقة الدين وقد قال بعض العلماء انما كان نعد ايمان من لم يؤذ فيحتمل الاذى ويصبر عليه ايمانا وقد فعل الله تعالى ذلك بالمؤمنين اختبارا واخبران ذلك ليس منه عذابا وانما هو فتنة لمن أراد فتنته وبلاء من الناس فصار ذلك فتنة عليهم وابتلاء لهم وصار رحمة للمؤذى وخيرا في قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله يعني فتنة الناس به كعذاب الله تعالى يعني اياه أي ليس ذلك عذابا مني انما هو رحمة باطنة فهو كقوله تعالى وأما اذا ماابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا أي لم أهنك بالفقر كما لم أكرم الآخر بالاكرام والتنعيم وعلى معنى هذا خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر الذي أمره به فقال تعالى واصبر على مايقولون واذكر عبدنا داود فسلاه به وفضله عليه وقد روينا في خبر يؤتى بأشكر أهل الارض فيجزيه الله تعالى جزاء الشاكرين ويؤتى بأصبر أهل الارض فيقال له أترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى كلا أنعمت عليه فشكر وابتليتك فصبرت لاضعفن لك الاجر عليه فيعطى أضعاف جزاء الشاكرين وكتب ابن أبي نجيح يعزي بعض الخلفاء فقال في كتابه ان أحق من عرف حق الله فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أبقى واعلم أن الماضي قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو المأجور فيك واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون فيه أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون به وفي الاخبار مامن عبد الا يعطى أجره بحساب وحد الا الصابرين فانهم يجازفون مجازفة بغير ميزان ولا حد وجاء في الخبران أبواب الجنة مصراعان يأتي عليها زحام كثير الا باب الصبر فانه مصراع واحد لا يدخل منه الا الصابرون أهل البلاء في الدنيا واحد بعد واحد وقد قال الله تعالى في جزاء المخلصين أولئك لهم رزق معلوم وقال تعالى في جزاء الصابرين انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قيل في التفسير يغرف لهم غرفا والمعنى في ذلك ان الصبر أشق شئ على النفس وأكرهه وأمره على الطبع وأصعبه فيه الالم والكظم عند الذل والحلم ومنه التواضع والكتم وفيه الادب وحسن الخلق وبه يكون كف الاذى عن الخلق واحتمال الاذى من الخلق وهذه من عزائم الامور التي يضيق منها أكثر الصدور وفيها اكراه النفوس وحملها على الشدة والبؤس وقد جاء أفضل الاعمال ماأكرهت عليه النفوس ولاجل ذلك اشترط الله تعالى على المتقين والصادقين الصبر في الشدائد والمكاره وحقق بالصبر صدقهم وتقواهم وأكمل به وصفهم وأعمال

الآية سبحان الذي أسرى بعبده ليلا الآية قال أتى بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم كلما حصد واعاد كما كان فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنات بسبعمائة وما انفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم أتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخرة كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شئ من ذلك فقال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تثاقل رؤسهم عن الصلاة قال ثم أتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى أدبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وماظلمهم الله وماالله بظلام للعبيد ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج فقال ياجبريل من هؤلاء قال هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلال طيبا فيأتي المرأة الخبيثة فتبيت معه حتى يصبح ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمر بها

برهم فقال تعالى والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون فمعنى الصبر حبس النفس عن السعى فى هواها وحبسها أيضا عن مجاهدتها المرضاة ولاها بل مايوجب المجاهدة على قدر ما يبتلى به العبد لان المجاهدة على قدر البلاء والحبس عن نحو الشر ودوحبسها على دوام الطاعة وصبرها عن شره الطبع الذى يظهر سوء الادب بين يدى الرب سبحانه وتعالى وصبرها على حسن الادب فى المعاملة ثم يتفرع الصبر الى معان شتى من الصبر عن تفاوت الاهواء والصبر على الثبات فى خدمة المولى فمن ذلك ماتوجب المجاهدة صرف الهمة عنه وتطهير القلب منه من خطرات الهوى ونزغات الاعداء وتزيين الدنيا ومن الآفات مايوجب الصبر كف الجوارح عنها وحبس النفس عن المشى فيها ومن الصبر حبس النفس على الحق وعكوفها عليه بمعاملة اللسان والقلب والجسم وبذلك وصف الله تعالى المؤمنين الذين يعملون الصالحات واشترط لصلاح أعمالهم الصبر وأخبران الناس كلهم فى خسران الامن كان من أهل الحق والصبر وعظم الصبر فأفرده باعادة التواصى به ومن الصبر حبس النفس على عبادة الخالق سبحانه وتعالى وصبرها على القناعة وعلى صنع الرازق ومن الصبر كف الاذى عن الخلق وهو مقام العادلين يدخل فى قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل ثم احتمال الاذى عن الخلق وهو مقام المحسنين يدخل فى قوله والاحسان ومن الصبر الصبر على الانفاق واعطاء أهل الحقوق حقوقهم الاقرب فالاقرب وهذا مقام المنفقين يدخل فى قوله تعالى وايتاء ذى القربى ومنه الصبر على الفحشاء وهو الامر الفاحش فى العلم والايمان والصبر عن المنكر وهو ما أنكره العلماء والصبر عن البغى وهو التطاول والغلو ومجاوزة الحد بالكبر والاسراف فى أمور الدنيا فهذه الآية كلها جامعة لمعنى الصبر وهى قطب القرآن ثلاث منها وهى الاول الصبر على العدل والاحسان والاعطاء وثلاث منها الصبر عن الفحشاء والمنكر والبغى وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول أجمع آية فى كتاب الله عز وجل لامر ونهى هذه الآية وقال الله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا فما أنعم أجرهم حتى وصفهم بالصبر وما أكرم رزقهم ووصفهم حتى مدحهم بالصبر والصبر يحتاج اليه قبل العمل ومعه وبعده يحتاج فى أول العمل ان يصبر على تصحيح النية وعزم العقود والوفاء بها حتى تصح الاعمال لان النبى عليه السلام قال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ مانوى وقال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وحقيقة النية الاخلاص ولان الله تعالى قدم الصبر على العمل فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة وأجر كبير والصبر الثانى فى العمل حتى يتم ويعمل لقوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه وترك التظاهر به والنظر اليه ليخلص من السمعة والعجب فيكمل ثوابه كما خلص من الرياء كما قال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم وقال تعالى فى مثله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعض السلف لا يتم المعروف الا بثلاث تعجيله وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافأة والصبر على الاذى توكلا على المولى عز وجل ومنه قوله تعالى ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا صبر الخصوص ومنه قال بعض أهل المعرفة لا يثبت للعبد مقام فى التوكل حتى يؤذى ويصبر على الاذى وقد ذكر الله تعالى ذلك فى قوله عز وجل ودع أذاهم وتوكل على الله وفى قوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وهذا هو أول الرضا والمقام الثانى من الرضا هو الصبر على الاحكام وهو صبر أهل البلاء الامثل فالامثل بالانبياء لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل ولقوله تعالى فى المجمل ولربك فاصبر ثم فسره فى الكلام المفسر واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا ومن الصبر حبس النفس على التقوى والتقوى اسم جامع لكل خير فالصبر معنى داخل فى كل بر فاذا جمعهما العبد فهو من المحسنين وما على المحسنين من سبيل ومنه قوله تعالى انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وقال تعالى لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا

اذى

شئ الاقصطته ٧ يقول الله عز وجل ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ثم مر على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال ياجبريل من هذا قال هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها ثم أتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم شئ من ذلك قال ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء خطباء الفتنة ثم أتى على جحر صغير يخرج منه ثور عظيم فجعل الثور يريد أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع قال ماهذا ياجبريل قال هذا الرجل الذى تكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها فلا يستطيع وذكر الحديث وخرج من حديث ابن هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال له أصحابه يارسول الله أخبرنا عن ليلة أسرى بك الحديث وفيه قال فصعدت أنا وجبريل فاذا أنا بملك يقال له اسمعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك جنده مائة ألف ملك قال وقال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فاستفتح جبريل فاذا أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح

أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور أى ان تصبروا على الاذى عن المكافأة وتتقوا عند الابتلاء والمكاره ولا تجاوز وافانه أفضل كما قال تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم قال عز وجل ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور قال فالاول أعنى المكافاة والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثانى أعنى العفو والصبر من الفضل وهو الاحسان وهذا مجاز قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب فاستماع القول هو العدل والعدل حسن وهو الانتصار والعفو أحسن وفيه المدح بالهدى والعقل وهذا هو مقام المخبتين قيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا فالمدح بالوصف لاهل هذا المقام هو الاخبات وهو الخشوع والطمأنينة بحسن الجزاء من الله سبحانه وتعالى فى الآخرة لقرب اللقاء وسرعة فناء الدنيا أمدح كما قال تعالى وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل والتقوى والصبر معنيان أحدهما منوط بالآخر لا يتم كل واحد منهما الا بصاحبه فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الاحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات اذ الاتقى هو الاكرم عند الله تعالى والاكرم على الله تعالى هو الافضل وقد شرف الله تعالى الصبر بأن أضافه اليه بعد الامر به فقال واصبر وما صبرك الا بالله وقال تعالى ولربك فاصبر وان كان كل شئ به وكل عمل صالح له ولا يصف الله تعالى عبدا ولا يثنى عليه حتى يبتليه فان صبر وخرج من البلاء سليما مدحه ووصفه والا بين له كذبه ودعواه وقيل لسفيان الثورى رضى الله عنه ما أفضل الاعمال قال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء وأى شئ أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كتابه فى نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيأ ذكره الله تعالى هذا العدد الا الصبر فلا يطمعن طامع فى مدح الله له وحسن ثنائه عليه قبل ان يبتليه فيصبر له ولا يطمعن أحد فى حقيقة الايمان وحسن اليقين قبل ان يمدحه الله تعالى ويثنى عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الاعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه بخير لم يؤمن عليه سوء الخاتمة وذلك ان من اخلاق الله تعالى انه اذا أحب عبدا ورضى عمله مدحه ووصفه فمن ابتلاه بكراهة ومشقة أو بهوى وشهوة فصبر لذلك أو صبر عن ذلك فان الله تعالى يمدحه ويثنى عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد فى أسماء الموصوفين ويصير واحدا من الممدوحين فعندها يثبت قدمه من الزلل ويختم له بما سبق من صالح العمل ومن الصبر صبر على العوافى ان لا يجريها فى المخالفة والصبر على الغنى ان لا يبذله فى الهوى والصبر على النعمة ان لا يستعين بها على معصية فحاجة المؤمن الى الصبر فى هذه المعانى ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر وعلى الشدائد والضر ويقال ان البلاء والفقر يصبر عليهما المؤمن والعوافى لا يصبر فيها الا صديق وكان سهل يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة رضى الله عنهم لما فتحت الدنيا فنالوا من العيش واتسعوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فعظموا الاختبار بالسراء وهو ما سر على الاختبار بالضراء وهو ما ضر وقد قال تعالى الذين ينفقون فى السراء والضراء فمدحهم بوصف واحد فى الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى قول الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لان فيهما ما يسر ويشغل عن الذكر ثم قال عز وجل ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم لان فى الازواج والاولاد ما يفرح به فيوافق فيه الهوى ويخالف بوجودهما المولى فصارا عدوين فى العقبى لما يؤول اليه من شأنهما ومن هذا الخبر الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لما نظر الى ابنه الحسن يتعثر فى قميصه فنزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة أى لما رأيت ابنى هذا لم أملك نفسى ان أخذته ففى هذا عبرة لاولى الابصار وروى عنه فى الحديث أيضا الولد محزنة مبخلة مجبنة فهذه مصادر الحزن والبخل والجبن اى يحمل حب الاولاد والاموال على ذلك فمن صبر على السراء وهى العوافى والغنى والاولاد وغير ذلك وأخذ الاشياء

ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين ثم مضيت هنية فاذا انا باخونة عليها لحم مشروح ليس يقربها أحد واذا أنا باخونة أخرى عليها لحم قد أروح وأنتن عندها ناس يأكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام قال ثم مضيت هنية فاذا انا باقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجىء السابلة فتطؤهم قال فسمعتهم يضجون الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم مشافرهم كمشافر الابل قال فتفتح أفواههم ويلقمون ذلك الجمر ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون الى الله عز وجل فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ثم مضيت هنية فاذا

من حقها ووضعها فى حقها فهو من الصابرين الشاكرين لا يزيد عليه أهل البلاء والفقر الا بحقيقة الرضا والشكر وقد جمع الله تعالى بين ما سر وضر وجعلهما من وصف المتقين ومدحهم بالاحسان معهما فقال تعالى أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ومن الصبر كتمان المصائب والاوجاع وترك الاستراحة الى الشكوى بهما فذلك هو الصبر الجميل قيل هو الذى لا شكوى فيه ولا اظهار وروينا عن ابن عباس رضى الله عنهما الصبر فى القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض لله تعالى وصبر عن محارم الله تعالى وصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فمن صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلثمائة درجة ومن صبر على محارم الله تعالى فله ستمائة درجة ومن صبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فله تسعمائة درجة وهذا يحتاج الى تفسير ولم يفضل ابن عباس الصبر على المصيبة لانه أفضل من الصبر عن المحارم وعلى الفرائض بل لان الصبر على ذينك من أحوال المسلمين والصبر على المصيبة من مقامات اليقين وانما فضل المقام فى اليقين على مقام الاسلام ومن ذلك ما روى من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم أسألك من اليقين ما تهون به على مصائب الدنيا فاحسن الناس صبرا عند المصائب أكثرهم يقينا وأكثر الناس جزعا وسخطا فى المصائب أقلهم يقينا ومثل هذا الخبر الذى روينا عن سلمة بن وردان عن أنس ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ومن ترك المراء وهو مبطل بنى له فى وسط الجنة ومن ترك الكذب بنى له فى ربض الجنة فقد علمت ان ترك الكذب وترك المراء مبطلا أفرض وأوجب فينبغى ان يكونا أفضل ولكن المعنى فيه ان الكذب والمراء بالباطل يتركه المسلمون فأما المراء والعبد محق صادق ثم لا يمارى زهدا فى التظاهر ورغبة فى الصمت والسلامة فلا يصبر على هذا الا الموقنون وهم خصوص المؤمنين فمقامه من اليقين والزهد وايثار الخمول والصمت على الكلام والشهوة به أفضل وهو من اليقين فصار هذا المؤمن بمقامه أفضل من عموم المؤمنين الذين يتركون الكذب والمماراة وان كانا أفرض وأوجب فهذا بيان ذلك ومعناه ومن الصبر اخفاء أعمال البر ومنع النفس الفكاهة والتمتع بذكرها واخفاء المعروف والصدقات فان كتمه من الادب مع السلامة فى الاعلان وبره الساحة فى الاخبار ولكن اخفاؤه أفضل وأزكى وأحب الى الله تعالى بل هى من كنوز البر أعنى هذه الثلاثة اخفاء الاوجاع والمصائب والصدقة أى من الذخائر النفيسة عند الله تبارك وتعالى ومن الصبر صون الفقر واخفاؤه والصبر على بلاء الله تعالى فى طوارق الفاقات وهذا حال الزاهدين الراضين وأفضل الصبر الصبر على الله تعالى بالمجالسة له والاصغاء اليه وعكوف الهم عليه وقوة الوجد به وهذا خصوص للمقربين أو حياء منه أو حبا له أو تسليما أو تفويضا اليه وهو السكون تحت جريان الاقدار وشهودها من الانعام ومن حسن تدبير الاقسام فى شهود المشيئة له والحكمة فيها والقصد بالابتلاء بها وهو داخل فى قوله تعالى ولربك فاصبر وفى قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وغيره من الائمة أصبحت ومالى سرور الا فى مواضع القدر وروى أيضا الا انتظار القضاء ويقال من علامة اليقين تسليم القضاء بحسن الصبر والرضا وهو مقام العارفين وقال سهل فى تأويل قول على رضى الله عنه ان الله تعالى يحب كل عبد نومة قال هو الساكن تحت جريان الاحكام يعنى من غير كراهة ولا اعتراض وأما اشتراط الصبر فى المصيبة عند الصدمة الاولى فى قول النبى صلى الله عليه وسلم انما الصبر عند الصدمة الاولى فلانه يقال ان كل شئ يبدو صغيرا ثم يكبر الا المصيبة فانها تبدو كبيرة ثم تصغر فاشترط لعظم الثواب لها عند أول كبرها قبل صغرها وهى فى صدمة القلب أول ما يبغته الشئ فينظر الى نظر الله تعالى فيستحى فيحسن الصبر كما قال فانك بأعيننا وهذا مقام المتوكلين على الله تعالى والصبر أيضا عن اظهار الكرامات وعن الاخبار بكشف القدرة والآيات داخل فى حسن الادب من المعاملات وهو من معنى الحياء من الله تعالى وهذا طريق المحبين لله تعالى وهو حقيقة الزهد ومن فضائل الصبر حبس النفس عن حب المدح والحمد

والرياسة

انا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يضججن الى الله عز وجل قلت يا جبريل من هؤلاء النساء قال هؤلاء الزناة من أمتك قال ثم مضيت هنية فاذا انا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له كل كما كنت تأكل من لحم أخيك قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون وذكر الحديث وقال بعض الصالحين مات لى أخ فى الله فرأيته فى النوم فقلت له يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لى لان أقدر أن أقولها يعنى الحمد لله رب العالمين أحب الى من الدنيا وما فيها ثم قال الم تر حيث كانوا يدفنون فان فلانا جاء فصلى ركعتين لان أقدر ان أصليهما أحب الى من الدنيا وما فيها وروى ان بعض النباشين نبش ذات ليلة قبرا فلما كشف عن الميت اذا بنار تحرق الميت فاهوت اليه منها شرارة فهرب وتاب الى الله تعالى وقيل رؤى الاوزاعى فى المنام فقال ما رأيت ههنا درجة ارفع من درجة العلماء ثم المحزونين وعن منصور بن اسمعيل قال رأيت عبد الله البزاز فى المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال أوقفنى بين يديه وغفر لى كل ذنب أقررت به الا واحدا فانى استحييت ان أقر به فوقفنى فى

والرياسة و روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا مقطوعا الصبر فى ثلاث الصبر عن تزكية النفس والصبر عن شكوى المصيبة والصبر على الرضا بقضاء الله تعالى على خيره وشره ومن الصبر حبس النفس عن الخمول والتواضع والذلة ايثارا للآخرة على الدنيا وهربا الى الله تعالى وتحققا بوصف العبودية وترك المنازعة والتشبه بمعانى أوصاف الربوبية تسليما للالهية واستسلاما للاحدية فلا يخرج لقلة الصبر عن ذلك الى الطلب بشئ منه فتزل قدم بعد ثبوتها نعوذ بالله من ذلك ومن الصبر صبر على العيال فى الكسب لهم والانفاق عليهم والاحتمال للاذى منهم فان فى العيال طرقات الى الله تعالى أدناها الاهتمام بهم وأعلاها الرضا عن الله تعالى والتوكل عليه فيهم وأوسطها الانفاق وحبس النفس عليهم واعلم ان أكثر معاصى العباد فى شيئين قلة الصبر عما يحبون أو قلة الصبر على ما يكرهون وقد قرن الله تعالى الكراهة بالخير والمحبة بالشر فى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم وحد الصبر وهو أوله فريضة بمثل أول الاخلاص والصبر أيضا حيلة من لا حيلة له لان الامر اذا كان بيد غيرك لم يكن الا الصبر عليه ولان الشئ اذا كان لا يأتيك الا قليلا قليلا وأنت محتاج اليه لم يكن الا الصبر عليه والانقطاع ذلك القليل وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لانه لو قوى يقينه كان الآجل من الوعد عاجلا اذا كان الواعد صادقا فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد الا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين أو النظر الى المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين فمن شهد العوض عنى بالصبر ومن نظر الى المعوض حمله النظر وقد جعل بعض العارفين الصبر على ثلاثة معان وانه فى أهل مقامات ثلاث فقال أوله ترك الشكوى قال وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصادقين وقد نوع القدماء من السلف الصبر على ثلاثة أنواع وروينا عن الحسن وغيره الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها وصبر على الطاعة وصبر فى المصائب وهذا داخل فى جمل ما فرقناه من معانى الصبر ومجمل ذلك ان الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الاحكام فما كان أمرا وايجابا فالصبر عليه أو عنه فرض وما كان حثا وندبا فالصبر عليه أو عنه فضل والتصبر غير الصبر وهو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو التعمل للصبر والتصنع للصبور بمنزلة التزهد وهو أن يعمل فى أسباب الزهد ليحصل الزهد والصبر هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام ولا يخرج العبد من الصبر كراهة النفس ولا وجدان المرارة والالم بل يكون مع ذلك صابرا لان هذا وصف البشرية لما ينافى طبعها ولكن يكون حاله الكظم عن الشكوى ونفى السخط لحكم المولى لان عدم ذلك وفقده هو الرضا وحقيقة التوكل وهذان من أعلى مقامات اليقين وفقد مراتب اليقين لا يخرج عن حد الصبر والذى يخرج عن حد الصبر ضده وهو الجزع ومجاوزة الحد من العلم واظهار السخط وكثرة الشكوى وظهور الذم والتبرم ومن رياضة النفس على التصبر وهو مقام المتصبرين وحال ضعفاء المريدين ان النفس الامارة اذا جنحت بك الى فضول الشهوات أو نازعتك الى مطالبة متقدم العادات أن تمنعها حاجتها من كل شئ فيشغلها منع الحاجة ووجود الفاقة مما لابد منه عن طلب فضول الشهوات فاذا رضتها بالمنع ومنعتها محبوبها بالتصبر عن الحلال انقادت لك بالصبر عن فضول الشهوات فتكون تاركة للشهوة بعوض عاجل من مباح وتكون صابرة عن فضول شهوة لما منعتها من منال الفاقة وتاركة للهوى طمعا فى نوال الحاجة من الغذاء وهذا من أكبر أبواب الرياضات للنفوس الطامحات وفيه فضل الاقوياء من المتصبرين الذين لم تستجب لهم نفوسهم بالصبر والصلاة ولم تنقد بالجوع والظمأ فأما الضعفاء من أهل الطبقة الثالثة لا من الاولين اهل الصوم والصلاة ولا من هؤلاء فانهم لا يصبرون على تصبر النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة فرياضة هؤلاء لنفوسهم ان يقطعوها من كل حرام معناه من الحلال ومن كل شهوة مهلكة وصفها من شهوة مقتصدة لتسكن نفوسهم

العرف حتى سقط لحم وجهى فقلت وما كان ذلك فقال نظرت الى شخص جميل فاستحييت ان أذكره وروى عن هشام بن حسان انه قال مات لى ابن حدث فرأيته فى النوم فاذا شيب فى رأسه فقلت يا بنى ماهذا الشيب قال لما قدم علينا فلان زفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق أحد منا الا شاب وروى ان بعض الصالحين قال كان لى ابن استشهد فلم أره فى المنام الى ليلة توفى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه فتراءى لى تلك الليلة فقلت يا بنى الم تك ميتا فقال لا ولكنى استشهدت وأنا حى عند الله تعالى ارزق فقلت ماجاء بك فقال نودى فى أهل السموات ان لا يبقى نبى ولا صديق ولا شهيد الا وحضر الصلاة على عمر بن عبد العزيز فجئت لاشهد الصلاة ثم جئتكم لاسلم عليكم فتفكر يا أخى فى هذه العقوبات فانها من بعض عذاب القبر وتزود لنفسك يا أخى بالتقوى ومن عرف ما بين يديه لم يؤثر الهوى ومن تفكر فى رحيل من كان لديه صار النهوض مستيقنا عليه كم من مغرور بشبابه وصحة حاله اختطفه الموت من خلاله كم من مائل الى جمع ماله ترك تركه ومر باثقاله هل رحم الموت مريضا لضعف أوصاله هل ترك

بذلك فى حبسها عن المحرمات وتنقطع شهوتها عما وراء ذلك من الموبقات فبهذا تطمئن نفوس الضعفاء وقد اختلف الناس فى الصبر والشكر أيهما أفضل وليس يمكن الترجيح بين مقامين لان فى كل مقام طبقة متفاوتين والمحققون من أهل المعرفة يقولون انه لا يجتمع عبدان فى مقام بالسواء بل لابد من ان يكون أحدهما أعلى بعلم أو عمل أو وجد أو مشاهدة وان كان الصواب والقصد والاصل واحدا وأعلى التفاوت مشاهدات الوجه وقد قال الله تعالى ومن أصدق من الله حديثا ولكل وجهة هو موليها وقال تعالى قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا قيل أقصد وأقرب طريقا وظاهر الكتاب والسنة يدلان على تفضيل الصبر لقوله تعالى يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فالشاكر يؤتى أجره مرة فأشبه مقام الصبر مقام الخوف وأشبه مقام الشكر مقام الرجاء وقد قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقد اتفق أهل المعرفة على تفضيل الخوف على الرجاء من حيث اتفقوا على فضل العلم على العمل فالصبر حال من مقام الخوف فقرب حال الصابر فى الفضل من مقامه والشكر حال من مقام الرجاء كذلك يقرب حال الشاكر من مقامه ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم فى الخبر الذى ذكرناه من قبل من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاته وذكر الحديث المتقدم فقرن الصبر باليقين الذى لا شئ أعز منه ولا أجل وارتفاع الاعمال وعلو اليقين به وفى مناجات أيوب عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه يا أيوب انى آليت على نفسى لا نشرت للصابرين ديوان توبيخ ولا نظروا الى حد الصراط ولا ار وعهم نقص الميزان دارهم دار السلام *بيان آخر من تفضيل الصبر الصبر حال البلاء والشكر حال النعمة والبلاء أفضل لانه على النفس أشق لقول الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فالشاكر يوفى أجره بحساب لان انما تحقيق للوصف ونفى ماعداه *بيان آخر من فضل الصبر قد رفع على كرم الله وجهه الصبر على أربع مقامات اليقين وجعلها دعائمه التى بها يستبين وجعله فيه فوقها فقال فى حديثه الطويل الذى وصف فيه شعب الايمان والصبر على أربع دعائم على الشوق والشفقة والزهد والترقب فمن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن زهد فى الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ارتقب الموت سارع الى الخيرات فجعل هذه المقامات أركان الصبر لانها توجد عنه وتحتاج اليه فى جميعها وجعل الزهد أحد أركانه وقد جعل الله تعالى الصبر حال التقوى ورفع للمتقين فى الاكرام درجات فقال عز وعلا انه من يتق ويصبر وقال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فاكرم واتقى فوق أن يقال كرامكم المتقون لان اكرم واتقى يدل على تفاوت فمن كان أتقى كان أكرم عند الله سبحانه وتعالى ومن كان أصبر على ما يوجب التقوى كان أتقى واعلم أن الصبر سبب دخول الجنة وسبب النجاة من النار لانه جاء فى الخبر حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات فيحتاج المؤمن الى صبر على المكاره ليدخل الجنة ويحتاج الى صبر عن الشهوات لينجو من النار فأما تفصيل التفضيل فعلى ثلاثة أوجه أحدها ان المقامات أعلى من الاحوال وقد يكون الصبر والشكر حالين وقد يكونان مقامين فمن كان مقامه الصبر كان حاله الشكر على فهو أفضل لانه صاحب مقام ومن كان مقامه الشكر كان حاله الصبر عليه فحاله مزيد لمقامه فقد صار الصبر مزيدا للشاكر فى مقامه الوجه الثانى من التفضيل المقربون أعلى من أصحاب اليمين فالصابرون من المقربين أفضل من الشاكرين من أصحاب اليمين والشاكرون من المقربين أفضل من الصابرين من أصحاب اليمين فان قيل فان كان الشاكر والصابر من المقربين فايهما أفضل قيل فقد قلنا ان اثنين لا يتفقان فى مقام من كل وجه لانفراد الوجه بمعانى لطائف اللطيف بمثل ما انفردت الوجوه بلطيف الصنعة مع تشابه الصفات واستواء الادوات فافضلهما حينئذ أعرفهما لانه أحبهما الى الله تعالى وأقربهما منه وأحسنهما يقينا لان اليقين أعز ما أنزل الله تعالى وجه آخر من بيان التفضيل نقول ان الصبر عما يوجب الشكر أفضل وان الشكر على ما يوجب الصبر أفضل فقد يختلف باختلاف الاحوال تفسيره ان الصبر عن حظ

النفس

شعر

لقد أخبرتك الحادثات نزولها
ونادتك الان سمعك ذو وقر

تنوح وتبكى للاحبة ان مضوا
ونفسك لا تبكى وأنت على الاثر

اللهم ارحمنا ولا تعذبنا وانصرنا ولا تخذلنا وعافنا ولا ترض عنا وأكرمنا ولا تهنا وآثرنا ولا تؤثر علينا انك على كل شئ قدير

(فصل) فى أشراط الساعة قال الله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون م عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذاكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ويروى نار تخرج من قعر عدن تسوق الناس الى المحشر ا عن عبد الله ابن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج الدجال فى أمتى فيمكث

النفس وعن التنعم والترفه أفضل ان كان عبدا حاله النعمة فالصبر عن النعيم والغنى مقام فى المعرفة وهو أفضل لان فيه الزهد المجمع على تفضيله ونقول ان الشكر على الفقر والبلاء والمصائب أفضل ان كان عبدا حاله الجهد والبلاء فالشكر عليه مقام له فى المعرفة فهو حينئذ أفضل لان فيه الرضا المتفق على فضله * نوع آخر من الاستدلال على فضل الصابر وتفضيل الصبر جملة الصابر العارف أفضل من الشاكر العارف لان الصبر حال الفقر والشكر حال الغنى فمن فضل الشكر على الصبر فى المعنى فكأنه قد فضل الغنى على الفقر وليس هذا مذهب أحد من القدماء انما هذه طريقة علماء الدنيا طرقوا لنفوسهم بذلك وطرقوا الخلق الى نفوسهم من ذلك فان من فضل الغنى على الفقر فقد فضل الرغبة على الزهد والعز على الذل والكبر على التواضع وفى هذا تفضيل الراغبين والاغنياء على الزاهدين والفقراء ويخرج ذلك الى تفضيل أبناء الدنيا على أبناء الآخرة وانما فضلنا الصبر على الشكر فى الجملة والمعنى لان الصبر حال من مقامه البلاء وأهل البلاء هم الامثل فالامثل بالانبياء ولان الصبر أبعد من أهواء النفوس وأقرب الى الضر والبؤس وأشد فى مكاره النفوس وأنفر لطباعها وأشد مباينة لما يلائمها فاذا سكنت معه ووجد عندها كان أعجز لوصفها وأعجب فى طمأنينتها فمدحت بالسكون والطمأنينة وكانت راضية مرضية وأيضا فان الله تعالى أمر بالصبر وبالغ فيه بالمصابرة ووكدهما بالمرابطة فى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قيل فى أحد الوجوه رابطوا عليهما فهذه ثلاثة أمور فى مكان واحد بمعنى الصبر فهذا يدل على تعظيمه للصبر ومحبته تعالى له فمن وجد منه ذلك كان أشد تعظيما لشعائر الله عز وجل ومن عظم شعائر الله فهو أتقى لله تعالى ومن كان اتقى لله كان أكرم على الله لقوله تعالى ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ثم قال الله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم والصبر أيضا مقام أولى العزم من الرسل الذين أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالقدوة بهم وباهى الله تعالى بهم عبده فقال تعالى فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وأيضا فان العزائم فى الدين أولى من الرخص وروينا عن سفيان الثورى رضى الله عنه عن حبيب بن أبى ثابت قال سئل مسلم البطين ايما أفضل الصبر أم الشكر فقال الصبر والشكر والعافية أحب الينا وقد قيل فى معنى قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه قيل شدائده وعزائمه لان اباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن وقد جعل الله تعالى الصبر من العزائم فى قوله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقد شرك الله تعالى عباده فى الشكر وأفرد عز وجل لنفسه تعالى الصبر فينبغى ان يكون المفرد للمفرد أعلى من المشترك بالعبد فقال تعالى أن اشكر لى ولوالديك وقال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل ولم يشرك فى الصبر من خلقه أحدا فقال تعالى ولربك فاصبر وقال واصبر لحكم ربك واعلم ان الشكر داخل فى الصبر والصبر جامع للشكر لان من صبر ان لا يعصى الله بنعمة فقد شكرها ومن أطاع الله فصبر نفسه على طاعته فقد شكر نعمته وقد سئل الجنيد رحمه الله عن غنى شاكر وفقير صابر أيهما أفضل فقال ليس مدح الغنى للوجود ولا مدح الفقير للعدم انما المدح فى الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى يصحبه فيما عليه أشياء تلائم صفته وتمتعها وتلذذها والفقير يصحبه فيما عليه أشياء تؤلم صفته وتقبضها وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشروط ما عليهما كان الذى الم صفته وأزعجها أتم حالا ممن متع صفته ونعمها هذا نقل كلام الجنيد رحمه الله تعالى وكان أبو العباس بن عطاء قد خالفه فى ذلك فقال ان الجنيد دعا عليه فلحقه ما أصابه من البلاء منه قتل أولاده واتلاف ماله وزوال عقله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجنيد اصابتنى ورجع عن قوله فى تفضيل الغنى على الفقر فصار يفضل الفقر ويشرفه وأيضا فقد روينا فى الخبر أعرفكم بنفسه أعرفكم بما ابتلاه به منها وما ابتلاها به منه فاعظم ما ابتلانا به محبتنا بها وابتلاها بعداوتنا فمن أفضل ممن صبر على مجاهدة عدوه على انه مع ذلك عدو الله تعالى منازع لصفات الربوبية ومن أشد بلاء ممن ابتلى بعداوتك وابتليت بمحبته وأنت فى ذلك تترك محبته لمحبة الله تعالى وتصبر على عداوته

أربعين لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما فيبعث الله عيسى بن مريم عليه السلام كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فيهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله عز وجل ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الارض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيبون فيقولون فماذا تأمرنا فيأمرهم بعبادة الاوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليتا ورفع ليتا قال فاول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق الناس ثم يرسل الله أو قال ينزل الله مطرا كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا الى ربكم وقفوهم انهم مسؤلون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك

بدوام مجاهدته لمرضاة الله تعالى فهذا أعدل العدل وأفضل الفضل ولا سبيل الى ذلك الا بفضل أثرة من الله تعالى وحسن عنايته ودوام نظره اذلا توفيق ولا قوّة ولا صبر الا به سبحانه وتعالى فاما المسئلة التى سئل عنها بعض القدماء عن عبد بن ابتلى أحدهما فصبر وانعم على الآخر فشكر فقال كلاهما سواء قال لان الله تعالى اثنى على عبدين أحدهما صابر والآخر شاكر بثناء واحد فقال تعالى فى وصف أيوب عليه السلام نعم العبد انه أواب وقال فى وصف سليمان عليه السلام نعم العبد انه أواب ففى قول هذا رحمه الله غفلة عن لطائف الافهام وذهاب عن حقيقة تدبر الكلام اذ عندنا بين ثناء الله عز وجل على أيوب فى الفضل على ثنائه على سليمان عليهما السلام ثلاثة عشر معنى وشركه سليمان عليه السلام بعد ذلك فى وصفين آخرين وافراد أيوب عليه السلام بفضل ثناء ثلاثة عشر معنى أول ذلك قوله عز وجل فى أول مدحه واذكر فهذه كلمة مباهاة باهى بأيوب عند رسوله المصطفى عليه السلام وشرفه وفضله بقوله تعالى واذكر يا محمد فامره بذكره والاقتداء به كقوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قيل هم أهل الشدائد والبلاء منهم أيوب عليه السلام قرضوا بالمقاريض ونشروا بالمناشير وكانوا سبعين نبيا وقيل هم ابراهيم واسحق ويعقوب وهؤلاء آباء الانبياء وأفاضلهم لقوله تعالى واذكر فى الكتاب ابراهيم ولقوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار يعنى أصحاب القوّة والتمكن وأهل البصائر واليقين ثم رفع أيوب الى مقامهم فضمه اليهم وجعله سلوة له صلى الله عليه وسلم ثم ذكره باياه وذكره به ثم قال تعالى عبدنا فاضافه اليه عز وجل اضافة تخصيص وتقريب ولم يدخل بينه وبينه لام الملك فيقول عبدا لنا فالحقه بنظرائه من أهل البلاء فى قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب وهم أهل الابتلاء الذين باهى بهم الانبياء وجعل من ذرياتهم الاصفياء فاضاف أيوب اليهم فى حسن الثناء وفى لفظ التذكرة به فى الثناء ثم قال اذ نادى ربه فافرده بنفسه لنفسه وانفرد له فى الخطاب بوصفه وقال مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فوصفه بمواجهة التملق له ولطيف المناجاة وظهر له بوصف الرحمة فاستراح اليه به فناداه فشكا اليه واستغاث به فاشبه مقامه مقام موسى ويونس عليهما السلام فى قولهما سبحانك تبت اليك وفى قول الآخر لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين وهذا خطاب المشاهدة ونظر المواجهة ثم وصفه بالاستجابة له وأهله لكشف الضر عنه وجعل كلامه سببا لتنفيذ قدرته ومكانا لمجارى حكمته ومفتاحا لفتح اجابته ثم قال بعد ذلك كله ووهبنا له أهله فزاد على سليمان فى الوصف اذ كان بين من وهب لاهله وبين من وهب له أهله فضل فى المدح لانه قال فى وصف سليمان ووهبنا لداود سليمان فاشبه فضل أيوب فى ذلك على سليمان كفضل موسى على هرون لانه قال عز وجل فى مدح موسى عليه السلام وتفضيله على هرون ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وكذلك قال فى مدح داود ووهبنا لداود سليمان فوهب لموسى أخاه كما وهب لداود ابنه وأشبه مقام أيوب فى المباهاة والتذكرة به مقام داود عليه السلام لانه قال تعالى فى وصف داود لنبيه عليه السلام فاصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود وكذلك قال تعالى فى نعت أيوب واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه فقد شبه أيوب بداود وموسى عليهما السلام فى المعنى ورفعه اليهما فى المقام وهما فى نفوسنا افضل من سليمان عليهم السلام فاشبه ان يكون حال أيوب على من حال سليمان وعلم الله تعالى المقدم ولكن هكذا ألقى فى قلوبنا والله أعلم ثم قال تعالى بعد ذلك كله رحمة منا فذكر نفسه ووصفه عند عبده تشريفا له وتعظيما ثم قال عز وجل وذكرى لاولى الالباب فجعله اماما للعقلاء وقدوة لاهل الصبر والبلاء وتذكرة وسلوة من الكروب للاصفياء ثم قال تعالى انا وجدناه صابرا فذكر نفسه سبحانه وتعالى ذكرا ثانيا لعبده ووصل اسمه باسمه حباله وقربا منه لان النون والالف فى وجدنا اسمه تبارك وتعالى والهاء اسم عبده أيوب صلى الله عليه وسلم ثم قال صابرا فوصفه بالصبر فاظهر مكانه فى القوة وخلقه بخلقه ثم قال تعالى فى آخر أوصافه نعم العبد انه أوّاب فهذان أوّل وصف سليمان وآخره ههنا شركه فى الثناء وزاد أيوب بما تقدم من المدح والوصف الذى لا يقوم

له

يوم يجعل الولدان شيبا
وذلك يوم يكشف عن ساق
يا أخى أشفق من هذا اليوم
العقيم وأخلص النية فان
الخطر عظيم وبادر بالعمل
فان الاجل قريب وجوّده
فان الناقد بصير وأكثر
الزاد فان الطريق سحيق
وأوثق السفينة فان البحر
عميق كما ينادى بالمحسن
ليجازى باحسانه فكذلك
ينادى بالمسىء ليؤخذ
بعصيانه فيقال أين من أدبر
وتولى أين من تمرّد وعصى
أين من تجبر وعلا أين من
أذنب وطغى أين من ضل
وغوى أين أصحاب الفجور
أين أهل الجور أين من
أكل الربا أين من جاهر
بالفسق والزنا أين من خان
واعتدى ليجزى الذين
أساؤا بما عملوا ويجزى
الذين أحسنوا بالحسنى
كان ابليس كالبلدة العامرة
فوقعت فيها صاعقة الطرد
فتلك بيوتهم خاوية بما
ظلموا انما طرد ابليس لانه
لم يسجد لكم فالعجب كيف
صالحتموه وهجرتمونا شعر
طويل العمر فى الدنيا قصير
وغاية كل ما يفنى يسير
وما أحد من الايام يبقى
وكل سلامة فيها غرور
يحث بنا المسير الى المنايا
تخال بنا بسرعتها تطير
وأحسن حالة الانسان فيها
كفاف العيش والعمل
الكثير
الهى بحرمة فقرنا اليك
وغناك عنا لا تطردنا عن

له شئ فى قوله عز وجل واذكر عبدنا أيوب الى قوله نعم العبد انه أوّاب عظيم من الفرقان عند أهل الفهم والتبيان وجعل فى أوّل وصف سليمان انه وهبه لابيه داود عليهما السلام فصار حسنة من حسنات داود عليه السلام واشتمل قوله تعالى نعم العبد انه أوّاب على أوّل وصفه وأوسطه وهو آخر وصف أيوب عليه السلام وعلى جميع الانبياء الصلاة والسلام وقد روينا فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الانبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه وآخر أصحابى دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لمكان غناه وفى لفظ آخر يدخل سليمان بن داود الجنة بعد الانبياء بأربعين خريفا وقد جاء فى الآثار ان أوّل من يدخل الجنة أهل البلاء امامهم أيوب وهو امام أهل البلاء وان أبواب الجنة كلها مصراعان الا باب الصبر فانه مصراع واحد وأوّل من يدخله أهل البلاء فقد زاد أيوب على سليمان عليهما السلام بعموم هذه الاخبار لانه سيد أهل البلاء وتذكرة وعبرة لاولى النهى وامام أهل الصبر والضر والابتلاء ولم نقصد بما ذكرناه التفضيل بين الانبياء لانا قد نهينا عن ذلك فيما روينا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انه قال لا تفضلوا بين الانبياء ولكن الله تعالى قد أخبرنا أن بعضهم مفضل على بعض فى قوله ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وانما أظهرنا فضل الثناء المستودع فى الكتاب فاستنبطنا باطن الوصف المكرر فى الخطاب فى قصة أيوب على قصة سليمان عليهما السلام بما ظهر لنا من فهم فصل الخطاب وتدبر معانى الكلام والله تعالى المقدم وهو عز وجل أعلم وأحكم وقد ندبنا الى الاستنباط فى قول الرسول عليه السلام اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ولان فى ذلك عزا لاهل الصبر والبلاء وتقوية لقلوبهم وتعريفا لسوابغ نعم الله تعالى عليهم واظهارا لبواطن النعم وتنبيها على لطائف الكلم وتزهيدا فى الدنيا والنفس وترغيبا فى الآخرة والصبر وتفضيلا لطريق أهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء فجاء من ذلك تفضيل المبتلى الصابر على بلائه ورضاه بحكم مولاه وتسليمه لمرضاته على المنعم عليه الشاكر على نعمائه اذ النعم ملائمة للطبع موافقة للنفس لا يحتاج معها الى كد النفس بالصبر عليها ولا حملها على المشقة فيها بالرضا بها والبلاء مباين للطبع نافرة منه النفس يحتاج الى حمل عليه ومشقة فيه وما كرهته النفس فهو خير وأفضل ولا سبيل اليه الا بسكينة من الله تعالى وتصبير عليه بقوّة به عز وجل وعناية منه واصبر وما صبرك الا بالله وهذا آخر شرح مقامات الصبر

(شرح مقام الشكر ووصف الشاكرين) وهو الثالث من مقامات اليقين قال الله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم فقرن الشكر بالايمان ورفع بوجودهما العذاب وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر وقال ابن مسعود رضى الله عنه الشكر نصف الايمان وقد أمر الله تعالى بالشكر وقرنه بالذكر فى قوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون وقد عظم الذكر بقوله ولذكر الله أكبر فصار الشكر أكبر لاقترانه به ورضا الله تعالى بالشكر مجازاة من عباده لفرط كرمه لان قوله تعالى فاذكرونى أذكركم واشكروا لى خروج من لفظ المجازاة لتحقيق الامر وتعظيم الشكر لان الفاء للشرط والجزاء والكاف المتقدمة للتمثيل فقوله تعالى فاذكرونى متصل بقوله كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فاذكرونى واشكروا لى والمعنى كمثل ما أرسلت فيكم رسولا منكم فاشكروا لى والعرب تكتفى من مثل بالكاف كما كتفت من سوف بالسين فى قوله تعالى سنؤتيهم وسنستدرجهم وهذا تفضيل للشكر عظيم لا يعلمه الا العلماء بالله تعالى وقد روينا فى أخبار أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه انى رضيت بالشكر مكافأة من أوليائى فى كلام طويل وفى أحد الوجوه من قوله عز وجل لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق الشكر فلولا أن الشكر طريق يوصل الى الله تعالى لما عول العدو على قطعه ولولا أن الشاكر حبيب رب العالمين ما نقصه ابليس اللعين فى قوله تعالى ولا تجد أكثرهم شاكرين وكذلك قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور كما قال تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وقد قطع الله

بابك ولا تبعدنا من جنابك يا أرحم الراحمين

(فصل) قال الله سبحانه وتعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوّامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبؤ الانسان يومئذ بما قدم وأخر خ م عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء جميعا ينظر بعضهم الى بعض فقال يا عائشة الامر أشد من أن ينظر بعضهم الى بعض قال المحاسبى يحشر الله الامم من الجن والانس عراة أذلاء قد نزع الملك من ملوك أهل الارض ولزمهم الصغار بعد عتوهم والذلة بعد تجبرهم على عباد الله فى أرضه ثم أقبلت الوحوش من أماكنها منكسة رؤسها بعد توحشها من الخلائق وانفرادها ذليلة من هول يوم النشور من غير ريبة ولا خطيئة أصابتها حتى وقفت من وراء الخلائق بالذلة والانكسار للملك الجبار

تعالى بالمزيد مع الشكر ولم يستثن فيه واستثنى فى خمسة أشياء فى الاغناء والاجابة والرزق والمغفرة والتوبة فقال تعالى فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء وقال تعالى فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال تعالى يرزق من يشاء ويغفر لمن يشاء وقال عزوجل ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء وختم بالمزيد عند الشكر من غير استثناء فقال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم فالشاكر على مزيد والشكور فى نهاية المزيد وهو الذى يكثر شكره على القليل من العطاء ويتكرر منه الشكر والثناء على الشئ الواحد من النعم وهذا خلق من أخلاق الربوبية لانه سماه باسم من أسمائه والمزيد هو الى المنعم يجعله ما شاء فأفضل المزيد حسن اليقين ومشاهدة الاوصاف وأول المزيد شهود النعم انها من المنعم بها من غير حول ولا قوة الا به عزوجل وأوسط المزيد دوام الحال ومتابعة الخدمة والاستعمال وقد يكون المزيد أخلاقا وقد يكون علوما وقد يكون فى الآخرة وتثبيتا عند فراق العاجلة وقد جعل الله تعالى الشكر مفتاح كلام أهل الجنة وختام تنعمهم فى قوله تعالى الحمد لله الذى صدقنا وعده وقال تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين فلولا انه أحب الاعمال اليه ما بقاه عليهم لديه وروينا فى مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه فى صفة الصابرين دارهم دار السلام اذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أستزيدهم وبالنظر الى أزيدهم وهذا غاية الفضل فأول الشكر معرفة النعم انها من المولى وحده لا شريك له فيها ولا ظهير له عليها اذ قد نفى ذلك عن نفسه لانه هو الاول فى كل شئ لا شئ معه ولا ظهير له فى شئ اذ قد جعل الضراء والسراء منه واليه جاريين على عباده فقال تعالى وما له فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الشرك الخلط والظهير المعين ثم قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون وقال تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير وقال تعالى فى جمل النعم بعد اضافتها اليه وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وقال تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة فالاسباب مع صحتها والاواسط مع ثبوتها الغاهى حكمه وأحكامه فظروف العطاء وآثار المعطى لا تؤثر فى الحكم بها ولا الجعل لها حكما ولا جعلا يعنى لا تحكم ولا تجعل لانها المحكومات فكيف تحكم ومجعولات فكيف تجعل لا حاكم الا الله وحده ولا يشرك فى حكمه أحدا وهذا الحرف فى مقرأ أهل الشام أبلغ وأوكد لانه يخرج على الامر لانهم قرؤه بالتاء وجزم الكاف ولا تشرك فى حكمه أحدا فالاسباب أحكام حق وأواسط حكمه فمشاهدة المنعم فى النعمة وظهور المعطى عند العطاء حتى ترى النعمة منه والعطاء عنه هو شكر القلب لان الشكر عند الشاكرين معرفة القلب ووصفه لا وصف اللسان وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وأمر باقتناء الشكر واتخاذه مالا فى الآخرة عوضا من اقتناء الاموال فى الدنيا فقال فى حديث ثوبان وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما حين نزل فى الكنوز ما نزل سأله عمر أى المال نتخذ فقال ليتخذن أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وروينا فى أخبار موسى عليه السلام وداود عليه السلام يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفى لفظ آخر وشكرى لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتنى وفى خبر آخر اذا عرفت أن النعم منى فقد رضيت منك بذلك شكرا وشكر اللسان حسن الثناء على الله تعالى وكثرة الحمد والمدح له واظهار انعامه واكرامه ونشر أياديه واحسانه وأن لا يشكو المالك الى المملوك ولا المعبود الجليل الى العبد الذليل وفى الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل كيف أصبحت قال بخير فأعاد عليه النبى عليه السلام السؤال ثانية كيف أنت فقال بخير فأعاد عليه الثالثة كيف أنت فقال بخير أحمد الله تعالى وأشكره فقال هذا الذى أردت منك يعنى اظهار الحمد والشكر والثناء وانما كان السلف يتساءلون عن أحوالهم اذا التقوا ليستخرجوا بذلك حمد الله تعالى وشكره فيكونوا شركاءه فى ذلك لانهم سبب ذكره لله تعالى فمن علمت انه يشكو مولاه ويتنكره عند قضائه اذا سألته عن حاله فلا تسأله فتكون أنت سبب شكواه وشريكه فى جهله وما أقبح بالعبد أن يشكو المولى

وأقبلت الشياطين بعد تمردها وعتوها خاضعة ذليلة للعرض على الديان حتى تكاملت عدة أهل الارض من انسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وانعامها وهوامها تناثرت نجوم السماء من فوقهم وطمست الشمس والقمر فأظلما عليهم ومارت سماء الدنيا من فوقهم فدارت بعظمها فوق رؤسهم وجميع ذلك بعينك وعين أهل الموقف ينظرون الى هوله ثم انشقت بغلظها وهو خمسمائة عام فيا هول صوت انشقاقها فى سمعهم وتمزقت وتفطرت لهول يوم القيامة من عظيم يوم الطامة ثم ذابت حتى صارت مثل الفضة المذابة كما قال الجبار تبارك وتعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان وقال يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن أى كالصوف المنفوش وهو أضعف الصوف وهبطت الملائكة من حافاتها الى الارض بالتقديس لربها فتوهم انحدارهم من السماء بعظم أجسامهم وكثرة أخطارهم وهول أصواتهم وشدة فرقهم من خوف ربهم فتوهم فزعك حينئذ وفزع الخلائق لنزولهم مخافة أن يكونوا قد أمروا بهم فأخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسى

الذى ليس كمثله شئ والذى بيده ملكوت كل شئ الى عبد مملوك لا يقدر على شئ ومن الشكر أن يشكر الله تعالى على اليسير لان القليل من الحبيب كثير ولان الله تعالى حكيم فنعه حكمة وقدرة فاذا عرف وجه الحكمة فى المنع مع القدرة على العطاء علم انه منعه ليعطيه فثم صار المنع عطاء واليسير منه كثيرا ويعلم أن الذل والصبر عند المنع عز وشرف وهو أفضل وأنفس عند العلماء من التعزز بالعبيد والشرف بهم وان الطمع والتذلل اليهم والاستشراف الى عبد مملوك مثلك ذل ذليل وحسن الذل للعز يز كحسن الذل للحبيب وقبح الذل للذليل كقبح الذل للعدو وقد قال الله تعالى ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه وقال تعالى فى معناه ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم والعبادة هى الخدمة والطاعة بذل ولا يحسن للعبد المقبل أن يظهر فقره وفاقته الى غير مولاه الذى يلى تدبيره ويتولاه لانه عليم خبير بحاله يسمعه و يراه فهو أعلم بما يصلحه منه وقد قال الله تعالى فى معناه ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض فعلى الموقن أن يشكر فى القبض والمنع كما يشكر فى العطاء والبسط ثم يشهد الشاكر بقلبه شهادة يقين و يعلم ان وصفه وصف العبودية وحكمه أحكام العبيد محكوم عليه بأحكام الربوبية وانه لا يستحق على الله شيأ وان الله عز وجل يستحق عليه كل شئ فالعبد خلقه وصنعته والرب صانعه ومالكه فاذا شهد العبد هذه الشهادة رأى لله عز وجل عليه كل شئ فرضى منه بأدنى شئ ولم ير له على الله تعالى شيأ فلم يقنع لله تعالى منه بشئ ولم يطالب مولاه بشئ فكثرة الذكر وحسن الثناء وجميل النشر للنعماء وتعديد النعم والآلاء هو شكر اللسان لان معنى الشكر فى اللغة هو الكشف والاظهار يقال كشر وشكر بمعنى اذا كشف عن ثغره فأظهره فيكون اظهار الشكر وكشفه باللسان ماذكرناه كما جاء فى الخبر ليس شئ من الاذكار يضاعف ما يضاعف الحمد وفى الحديث من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة ليس ان الحمد أعلى من التوحيد ولكن لفضل مقام الشاكر ولان الله تعالى افتتح به كلامه فى كتابه وفى الخبر الحمد رداء الرحمن عز وجل وفى الخبر أفضل الذكر لا اله الا الله وأفضل الدعاء الحمد لله رب العالمين و يكون أيضا ظهور الشكر وغلبته فى القلب شكر القلب و يكون شكر الله تعالى لعبده كشفه له ما ستره عنه واظهاره له ما حجبه منه من العلوم والقدر وهو المزيد فيفيده ذلك حسن معرفته به سبحانه وتعالى وعلو مشاهدته منه وكله يرجع الى معنى الكشف والاظهار وأما شكر الجوارح للمنعم المفضل سبحانه وتعالى فهو أن لا يعصيه بنعمة من نعمه وانه يستعين بنعمته على طاعته ولا يستعين بها على معاصيه فيكون قد كفرها كما قال تعالى ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قيل استعانوا بنعمه على معاصيه فالخلق لا يقدرون على تبديل نعمة الله عز وجل ولكن معناه بدلوا شكر نعمة الله كفرا وهذا من المضمر معناه لظهور دليله عليه لانه أمرهم بالطاعة بالنعم فخالفوه فعصوه بها فكان ذلك تبديلهم لما أمروا ومثله قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون المعنى شكر رزقكم تجعلونه تكذيبكم برسل الله تعالى وهذا من المحذوف أيضا وهى فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم مظهرة مفسرة روينا عنه عليه السلام انه قرأ وتجعلون شكركم فهذا ظاهر و بمعناه ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب أى يعاقب من كفر بالنعمة فضيع شكرها بمعصيته بها يعاقبه بزوالها وكذلك قوله تعالى ولئن كفرتم ان عذابى لشديد قيل ان كفرتم النعمة فقد يكون العذاب فى الدنيا تبديل النعمة عقوبات وتغييرها هوان ومذلات وقد يكون العذاب مؤجلا كقوله تعالى ان عذابها كان غراما قال طالبهم على النعم بالشكر فلم يكن عندهم فأغرمهم ثمن النعمة فحبسهم فى جهنم وقد قال الله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة ثم قال وذروا ظاهر الاثم و باطنه ففيه تنبيه لذوى الالباب الذين وصل لهم القول ليتذكروا أن يذروا ظاهر الاثم شكر الظاهر النعم و يذروا باطن الاثم شكر الباطن النعم وظاهر النعم عوافى الاجساد ووجود الكفايات من الاموال وظاهر الاثم أعمال الجوارح من معانى حظوظ النفس و باطن النعم معافاة القلوب وسلامة العقود و باطن الاثم

رؤسهم لعظيم هول يومهم قد نسر بلوا أجنحتهم ونكسوا رؤسهم بالذلة والخضوع لربهم وكذلك ملائكة كل سماء الى السابعة قد أضعف أهل كل سماء على أهل السماء الذين قبلهم فى العدة وعظم الاجساد والاصوات حتى اذا وافى الموقف أهل السموات السبع والارضين السبع كسيت الشمس حر عشر سنين ثم أدنيت من الخلائق قاب قوس أو قوسين فلا ظل ذلك اليوم الا ظل عرش الرحمن فمن بين مستظل بظل العرش و بين مضح لحر الشمس قد صهرته واشتد فيها كربه وأقلقته وقد ازدحمت الامم وتضايقت ودفع بعضها بعضا واختلفت الاقدام وانقطعت الاعناق من العطش قد اجتمع عليهم فى مقامهم حر الشمس مع وهج أنفاسهم وتزاحم أجسامهم ففاض العرق منهم على وجه الارض على أقدامهم على قدر مراتبهم ومنازلهم عند ربهم من السعادة والشقاوة فمنهم من يبلغ العرق الى كعبيه ومنهم من يبلغ الى ركبتيه ومنهم من يبلغ الى حقويه ومنهم من يبلغ الى شحمة أذنيه ومنهم من قد ألجمه العرق وكاد أن يغيب فيه قال فى الاحياء فتأمل يا مسكين فى عرق أهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادى

أعمال القلوب السيئة مثل الاصرار وسوء الظن ونيات السوء وقال مطرف بن عبد الله لان اعافى فاشكر أحب الى من أن ابتلى فاصبر لان مقام العوافى أقرب الى السلامة فلذلك اختار حال الشكر على الصبر لان الصبر حال أهل البلاء وقد روينا عن الحسن البصرى معنى ذلك الخبر الذى لاشر فيه العافية مع الشكر والصبر عند المصيبة فكم من منعم عليه غير شاكر وكم من مبتلى غير صابر وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم معنى هذا فى قوله وعافيتك أحب الى وقال لعلى رضى الله عنه حين سمعه يقول فى مرضه اللهم انى أسألك الصبر قال لقد سألت الله تعالى البلاء فسله العافية ومن الشكر الاعمال الصالحة و بالعمل فسر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم الشكر للمنعم فقال تعالى اعملوا آل داود شكرا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عوتب فى اجتهاده وقيامه حتى تورمت قدماه أفلا أكون عبدا شكورا فاخبر أن المجاهدة وحسن المعاملة شكر المستعمل وجزاء المنعم وقد قال بعض العلماء شكر القلب المعرفة بان النعم من المنعم لا غير وشكر العمل كلما وهب الله عز وجل لك عملا أحدثت له عملا ثانيا شكرا منك للعمل الاول وعلى هذا يتصل الشكر بدوام المعاملة وأول الشكر عند العارفين أن لا تعصيه بنعمة من نعمه فتجعلها فى طاعة الهوى فأما شكر الشاكرين فهو ان تطيعه بكل نعمة فتجعلها فى سبيل المولى وهذا شكر جملة العبد وحقيقة الشكر التقوى وهو اسم يستوعب جل العبادة التى أمر الله تعالى بها عباده فى قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ثم عبر عن حقيقة الشكر بتقواه وأخبر سبحانه وتعالى ان التقوى هو الشكر فقال سبحانه وتعالى فاتقوا الله لعلكم تشكرون وفى الشكر مقامان عن مشاهدتين أعلاهما مقام شكور وهو الذى يشكر على المكاره والبلاء والشدائد واللاواء ولا يكون كذلك حتى يشهد ذلك نعما توجب عليه الشكر بصدق يقينه وحقيقة زهده وهذا مقام فى الرضا وحال من المحبة وبهذا الوصف ذكر الله تعالى نبيه نوحا عليه السلام فى قوله تعالى انه كان عبدا شكورا وفى التفسير انه كان يشكر الله تعالى على كل حال من خير أو شر أو نفع أو ضر وروينا فى الخبر ينادى مناد يوم القيامة ليقم الحامدون فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قيل ومن الحامدون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال وفى لفظ آخر على السراء والضراء وقد قال بعض العلماء فى قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ظاهرة العوافى والغنى وباطنة البلوى والفقر فهذه نعم الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عيش الا عيش الآخرة والمقام الثانى من الشكر أن ينظر العبد الى من هو دونه ممن فضل هو عليه فى أمور الدنيا وأحوال الدين ثم يعظم نعمة الله تعالى عليه بسلامة قلبه ودينه وعافيته مما ابتلى الآخر به و يعظم نعمة الدنيا عليه لما آتاه الله تعالى وكفاه فيما أحوج الآخر وألجأه اليه فيشكر على ذلك ثم ينظر الى من هو فوقه فى الدين ممن فضل عليه بعلم الايمان و بحسن يقين فيمقت نفسه و يزرى عليها و ينافس فى مثل ما رأى من أحوال من هو فوقه و يرغب فيها فاذا كان كذلك كان من الشاكرين ودخل تحت اسم الممدوحين وقد روينا معنى ذلك فى حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من نظر فى الدنيا الى من هو دونه ونظر فى الدين الى من هو فوقه كتبه الله تعالى صابرا شاكرا ومن نظر فى الدنيا الى من هو فوقه ونظر فى الدين الى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا وقد شرحنا هذا فى مقام الرضا فكرهنا اعادته ههنا وكل وصف يكون العبد شاكرا به يكون الشكر مقاما له فيه فان كفر النعمة يلزمه بضده لان الكفر ضد الشكر ومن كبائر النعم ثلاث من جهلها أضاع الشكر عليها ومعرفتها شكر العارفين أولها استتار الله تعالى بقدرته وعزته عن الابصار ولو ظهر للعباد لكانت معاصيهم كفرا لانهم لم يكونوا ينقصون من المعاصى المكتوبة عليهم جناح بعوضة ولانه تبارك وتعالى كان يظهر بوصف لا يمتنعون معه عن المعاصى ووراء هذا اسرار الغيوب الا انهم كانوا يكفرون بالمواجهة لانتهاك حرمة المشاهدة وأيضا لما كان لهم فى الايمان به من عظيم الدرجات ما لهم الآن لانهم حينئذ يؤمنون بالشهادة وهم اليوم يؤمنون بالغيب فرفعت لهم

فيقول رب ارحمنى من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا وانك واحد منهم ولا تدرى الى أين يبلغ بك العرق واعلم أن كل عرق لم يخرجه التعب فى سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد فى قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة فى أمر بمعروف ونهى عن المنكر فيستخرجه الحياء والخوف فى صعيد القيامة و يطول فيه الكرب ولو سلم ابن آدم عن الجهل والغرور لعلم ان تعب العرق فى تحمل مصاعب الطاعات أهون أمرا وأقصر زمانا من عرق الكرب والانتظار فى القيامة فانه يوم عظيم شديد طويل مدته شعر

فليندم المذنب العاصى اذا لم ينتبه من قبل ما يأتى الردى
ما الامر سهل فاستعد الى اللقا
واعلم بانك لن تكون مخلدا
واذكر وقوفك فى المعاد وأنت فى ذل العتاب وقد نأى عنك الهدى
وسمعت توبيخ العتاب وأنت فى كرب الحساب وحدت عبدا مفردا
سوفت حتى ضاع عمرك باطلا
وأطعت شيطان الغواية والعدا
فانهض وتب مما جنيت وقم الى

الدرجات بحسن اليقين ولذلك مدحهم الله تعالى ووصفهم والنعمة الثانية اخفاء القدر والا يات عن عموم الخلق لانها من سر الغيب وصلاح العبيد واستقامة الدنيا والدين ولو ظهرت لهم لكانت خطاياهم الصغائر كبائر مع معاينة الآيات ولما ضوعفت لهم على أعمالهم الحسنات كمضاعفتها الآن للايمان بالغيب والنعمة الثالثة تغيب الآجال عنهم اذ لو علموا بها لما كانوا يزدادون ولا ينقصون من أعمالهم الخير والشر ذرة فكان مع علمهم بالاجل أشد مطالبة لهم وأوقع للحجة عليهم فأخفى ذلك عنهم معذرة لهم من حيث لا يعلمون والطافا بهم ونظرا لهم من حيث لا يحتسبون ثم بعد ذلك من لطائف النعم شمول ستره لهم فحجب بعضهم من بعض وسترهم عند العلماء والصالحين ولولا ذلك لما نظروا اليهم ثم حجب الصالحين والاولياء عنهم ولو أظهر عليهم آيات يعرفون بها حتى يكون الجاهلون على يقين من ولاية الله تعالى لهم وقربهم منه لبطل ثواب المحسنين اليهم ولحرم قبول عملهم ولحبطت أعمال المسيئين اليهم ففي حجب ذلك وستره ماعمل العاملون لهم في الخير والشر على الرجاء وحسن الظن بالغيب من وراء حجاب اليقين وتأخرت عقوبات المؤذين لهم عن المعاجلة لما ستر عليهم من عظيم شأنهم عند الله تعالى وجليل قدرهم ففي ستر هذا نعم عظيمة على الصالحين في نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم ونعم جليلة عن المنتهكين لحرمتهم المصغرين لشعائر الله تعالى من أجلهم اذ كانوا أساؤا اليهم من وراء حجاب فهذا هو لطف خفي من لطف المنعم الوهاب سبحانه وتعالى كما جاء في الخبر يقول الله عز وجل من آذى وليا من أوليائي فقد بارزني بالمحاربة ثم انا الثائر لوليي لا أكل نصرته الى غيري وعن جعفر الصادق رضي الله عنه في معنى هذه النعم التي أوجبنا الشكر في اخفائها قال ان الله تعالى خبأ ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحتقر وامنها شيأ لعل رضاه فيه وخبأ غضبه في معاصيه فلا تحتقروا منها شيأ لعل غضبه فيه وخبأ ولايته في عباده المؤمنين فلا تحتقروا منهم أحدا لعله ولي لله تعالى ويكون مثل ذلك مثل من آذى نبيا وهو لا يعلم بنبوته وان الله تعالى نبأه قبل ان يخبره انه نبي الله عز وجل ورسوله اليه فلا يكون وزره ووزر من انتهك حرمة نبي قد أعلمه انه نبي الله تعالى اعظم حرمة النبوة وللشاكرين طريقان أحدهما أعلى من الآخر أولهما شكر الراجين وهو حسن المعاملة لما أملوه ورجوه من ظواهر النعم فعملوا رجاء اتمامها فكان حالهم المسارعة والمسابقة الى الاعمال الصالحة شكرا لما ابتدأهم به وخصهم دون سائر خلقه وأعلاهما شكر الخائفين وهو خوف سوء الخاتمة والاشفاق من درك الشقاء بحكم السابقة نعوذ بالله تعالى منه فكان خوفهم دليلا على اغتباطهم بموهبة الايمان وكان اغتباطهم يدل على عظيم قدر الاسلام في قلوبهم ونفاسة مكانه عندهم فعظمت النعمة به عليهم فعرفتهم بذلك هو شكرهم فصار الخوف والاشفاق طريقا لهم في الشكر للرازق وقد جعل الله تعالى ذلك نعمة وكل نعمة تقتضي شكرا في قوله تبارك وتعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قال بعض المفسرين أنعم الله عليهما بالخوف وهذا أحد وجهي الكلام ولو لم يشكر العبد مولاه الا انه تبارك وتعالى على هذه الاوصاف والاخلاق التي هي صفاته وأخلاقه من نهاية الكرم والجود الذي لا غاية له ومن غاية التفضل والحلم الذي لا نهاية له فلما كان تبارك وتعالى بهذه الاخلاق المرجوة والصفات الحسنى وجب أن يشكره العبيد لاجله تعالى لا لاجل نعمه وأفعاله وهذا ذكر المحبين اذ لو كان الله تعالى على غير هذه الصفات والاخلاق التي عرفهم بها العارفون ولا بد لهم منه اى شئ كان يصنع العباد وأى حيلة كانت لهم فله الحمد كله وله الشكر كله كما هو مستحقه وأهله بحمده لنفسه ولا ينبغي الا له سبحانه وتعالى كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله اذ كان ولم يزل على ما هو الآن ولا يزال أبدا على ما كان من الاوصاف والنعوت التامات والاسماء الحسنى والامثال العلى ومعرفة هذا هو شكر العارفين ومشاهدته هو مقام المقربين فشكر هؤلاء لله تعالى لاجل الله تعالى ودعاء هؤلاء التحميد والتقديس وأعمالهم الاجلال والتعظيم للاجل العظيم وسؤالهم تجلي الصفات والنصيب من مشاهدة معاني الذات ووصف هذا لا يوصف وشرحه بالمعقول لا يعرف وهذا اذا

باب الكريم ولذبه متفردا
واذا طردت عن الجناب فقم على
أعتابه بالنوح منك معددا
وادعوه في الاسحار دعوة مذنب
واعزم ولا تك في المتاب مفندا
ولعل رحمته تعم فانها
تسع العباد ومن تجاوز واعتدى
واذا أردت بأن تفوز وتتقي
نار الجحيم وحرها المتوقدا
لذ بالنبي الهاشمي محمد
خير الورى نسبا وأكرم محتدا
صلى عليه الله ما سرت الصبا
وشدى الهزار على الغصون وغردا

اللهم انا نسألك أن تهون علينا سكرات الموت وأهوال القيامة وان تحشرنا في زمرة المتقين وتجيرنا من عذاب السعير

(فصل) في طول يوم القيامة قال الله تعالى سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه ومن

فى مشاهدة قوله لمن شهد سر الكلام اذ يقول عز وجل ليس كمثله شئ وعن هذه المشاهدة اغتبط موسى عليه السلام بالربوبية وأنس بالتقريب فانبسط بالتمكين فقال لى ماليس لك فقال الله تعالى وماهو فقال لى مثلك وليس لك مثل نفسك فقال عز وجل صدقت يعنى لى أنت على هذه الاوصاف التى هى غاية الطالبين ولامزيد عليها للراغبين وليس لك كأنت اذ ليس كمثلك شئ وأن لا اله الا أنت فمن غامض النعم الشكر على هذه المعانى مازوى عنك وصرفه من فضول الدنيا فانه أقل للشغل والاهتمام وأيسر للحساب ثم ابتلى به غيرك من الدنيا مما شغله به عنه وقطعه دونه ففى صرف الدنيا عنك وابتلاء غيرك بها نعمتان عليهما شكران وكذلك اذا رأيت مبتلى فى دينه بصفات المنافقين أو مبتلى بنفسه باخلاق المتكبرين أو منهمكا فيما عليه من أفعال الفاسقين عددت جميع ذلك نعما من الله تعالى عليك اذ لم يجعلك كذلك لانك قد كنت أنت ذاك لولا فضل الله عليك ورحمته فتحسب كل ما وجه الى غيرك من الشر أو صرفه عنك من الخيرات تعده نعما عليك بمثل ما وجه اليك من الخير وصرف عنك من الشر لان النفوس كنفس واحدة فى الامر بالسوء والمشيئة والقدرة واحدة فقدر حلك بما صرف عنك من السوء فذلك من فضل الله تعالى عليك فمعرفته بذلك شكر منك لله تعالى وأكثر عقوبات الخلق من قلة الشكر على النعم وأصل قلة الشكر الجهل بالنعمة وسبب الجهل بالنعمة قصور العلم بالله تعالى وطول الغفلة عن المنعم وترك التفكر فى نعمه والتذكر لآلائه ومننه سبحانه وتعالى فقد أمر بذلك فى قوله تعالى واذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قيل نعمه وقال المفسرون واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به وبمعناه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون يعنى على نعمة الهداية وتوفيق الطاعة فاذا جهل العبد النعمة لم يعرفها واذا لم يعرفها لم يشكر عليها واذا لم يشكر عليها انقطع مزيده ومن انقطع عنه المزيد فهو فى نقصان ما ادعى وأيضا فان من لم يشكر النعم لجهله بها لم يؤمن عليه كفرها فان كفرها أدركه العذاب الشديد للوعيد الا أن تداركه نعمة من ربه وأصول نعم المرافق للاحراث أربعة أولها النطفة التى أخرجت من خزانة الارحام جميع البهائم والانام ثم الحرث الذى أخرج من خزانة الارض جميع الثمر ثم الماء الذى لنا منه شراب ومنه شجر ثم النار التى فيها ضياء ومصالح الاطعمة وبه الاهل البصائر تذكرة وهذه النعم هى التى ذكرها المنعم فى آخر سورة الواقعة وأضافها الى نفسه عز وجل ولم يجعل فيها شريكا معه وفتح للعباد العمال أبوابها ومن أفضل النعم وأجلها نعمة الايمان به سبحانه وتعالى ثم نعمة الرسول ثم نعمة القرآن ثم ان جعلنا من خير أمة أخرجت للناس وقبل ذلك أول نعمة عقلناها ان جعلنا موجودين دون سائر المعدومات ثم جعلنا حيوانا دون سائر الموات ثم جعلنا بشرا دون سائر الحيوان ثم ان جعلنا ذكورا دون الاناث ثم صورنا فى أحسن تقويم ثم عوافى القلوب من الزيغ عن السنة ومن الميل الى دواعى النفس الامارة ثم صحة الاجسام ثم كشف الستر ثم حسن الكفاية للحاجة ثم صنوف ما أظهر من الازواج للاقوات ثم تسخير الصنعة لنا مما بين السماء والارض فهذه أمهات النعم فكلما كثرت هذه المعانى وحسنت كثر الشكر عليها لعظيم النعم بها وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول خص بمعرفة النعم وبمعرفة عظائم حلم الله تعالى وستره الصديقون وقد قال الله تعالى أصدق القائلين وأحسن الواصفين وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم فتمت النعمة بوصفيه اللذين هو لهما أهل من المغفرة والرحمة ثم قال أيضا فى مثله ان الانسان لظلوم كفار فكان أعظم للنعمة وأوسع فى الكرم والمنة على وصفى الانسان اللذين هو أهل لهما من الظلم والكفر فهو سبحانه وتعالى أهل التقوى وأهل المغفرة والعبد أهل لما وصفه به مولاه عز وجل الى ان يجود عليه بقديم ما به تولاه فبنعمته أطاعه العاملون ومن نعمته جازاهم وبنعمته عصاه الجاهلون ومن نعمته ستر وحلم عنهم ومن النعم اظهار الجميل وستر القبيح فلا ندرى أى النعمتين أعظم جميل ما أظهر أو قبيح ما ستر وقد مدح الله

تعالى

فى الارض جميعا ثم يحييه كما روى الطبرانى فى معجمه الكبير عن عبد الله بن عمرو ابن العاص انه قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله عز وجل كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر اليكم قال الحسن ما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لم يأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت أعناقهم عطشا واحترقت أجوافهم جوعا انصرف بهم وسقوا من عين آنية قد أنى حرها واشتد لفحها عن عبد الله ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتى يوم القيامة ليس فى وجهه مزعة لحم وقال ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم وزاد عبد الله حدثنى الليث قال حدثنى أبو جعفر فيشفع ليقضى بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم وروى البيهقى فى شعب الايمان عن أسماء بنت يزيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

تعالى بالوصفين معا فى الدعاء المأثور يامن أظهر الجميل وستر القبيح ومن النعمة الصحة والفراغ هما أول نعيم الدنيا وأصول أعمال الآخرة وبهما تكون المغابنات كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقال الفضيل بن عياض عليكم بمداومة الشكر على النعم فقل نعمة زالت عن قوم فعادت اليهم وقال بعض السلف النعم وحشية فقيدوها بالشكر وقد روى فى خبر ماعظمت نعمة الله تعالى على عبد الا كثرت حوائج الناس اليه فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة للزوال وقد قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم قيل لا يغير نعمه عليهم حتى يغيروها بتضييع الشكر فيعاقبهم بالتغيير والوجه الآخر لا يغير ما بهم من عقوبة حتى يغيروا معاصيهم بالتوبة فذكر بذلك السبب الاول من حكمه ثم ذكر السبب الثانى من حكمته وهو مسبب الاسباب للحكمة والمشيئة ويقال ان تحت كل شعرة من جسم العبد نعمة وبكل عرق فى جسده نعمتان فى تسكينه وتحريكه وفى كل عظم أربع نعم وبكل مفصل سبع نعم وفى جسم الانسان ثلاثمائة وستون مفصلا ومثل ذلك من العظام وفى كل طرفة نعمتان وبكل نفس نعمتان وفى كل دقيقة تأتى عليه من عمره نعم لا تحصى والدقيقة جزء من اثنى عشر جزأ من شعيرة والشعيرة جزء من اثنى عشر جزأ من ساعة والانفاس أربعة وعشرون ألف نفس فى اليوم والليلة وفى أخبار موسى عليه السلام يارب كيف أشكرك ولك فى كل شعرة من جسدى نعمتان ان لينت أصلها وان طمنت رأسها وقد روينا الاثر من لم يعرف نعم الله تعالى عليه الا فى مطعمه ومشربه فقد قل علمه وحضر عذابه هذا مع سوابغ العوافى والكفايات والوقايات ويقال ان فى باطن الجسم من النعم سبعة أضعاف النعم التى فى ظاهره وان فى القلب من النعم أضعاف ما فى الجسم كله من النعم وان نعم الايمان بالله تعالى والعلم واليقين اضعاف نعم الاجسام والقلوب فهذه كلها نعم مضاعفة على نعم مترادفة لا يحصيها الا من انعم بها ولا يعلمها الا من خلقها ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير سوى نعم المطعم والمشرب والملبس والمنكح من دخول ذلك وخروجه وكثرة تكرره وترايده بان أدخل مهناه وأخرج اذاه وبأن طيب مدخله ويسر مخرجه وبقى منفعته وما أحال من صورته وغير من صفته فللتزهيد والذلة والاعتبار والتذكرة وتلك أيضا نعم قال يقال ان الرغيف لا يستدير حتى يعمل فيه ثلثمائة وستون صنعا من السماء والارض وما بينهما من الاجسام والاعراض والافلاك والرياح والليل والنهار وبنى آدم وصنائعهم والبهائم ومعادن الارض أولها ميكائيل الذى يكيل الماء من الخزائن فيفرغه على السحاب ثم السحاب التى تحمله فيرسله ثم الرياح التى تحمل السحاب والرعد والبرق والملكان اللذان يسوقان السحاب وآخرها الخباز فاذا استدار رغيفا طلبه سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصنائع فهذه كلها نعم فى حضور رغيف فكيف بما زاد عليه مما وراءه فعلى العبد بكل نعمة شكران طولب بشكر نعمة واحدة على حقيقتها هلك الا ان تغمده رحمة من ربه فتغمره لتمام النعمة وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال هل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقيل لبعض الحكماء ما النعيم قال الغنى فانى رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فانى رأيت السقيم لا عيش له قيل زدنا قال الامن فانى رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال الشباب فانى رأيت الهرم لا عيش له قيل زدنا قال لا أجد مزيدا وبعض ما ذكره أحد الوجوه فى قوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا قيل الشباب وقيل الفراغ وقيل الامن والصحة وفى قوله تعالى وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافى والغنى وبمعناه فى قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلاوى لانها سبب نعيم الآخرة ومزيدها لقوله تعالى ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين وقد جاء فى الخبر من أصبح معافى فى بدنه آمنا فى سربه وعنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها وأنشدت فى معناه لبعض أهل القناعة

اذا القوت تأتى لك * والصحة والامن * وأصبحت أخا حزن * فلا فارقك الحزن

يحشر الناس فى صعيد واحد يوم القيامة فينادى مناد فيقول أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يؤمر بسائر الناس الى الحساب وفى الاحياء وكتاب المؤمنات الصالحات فتفكر يامسكين فى طول ذلك اليوم وشدة أهواله وطول الانتظار حتى يخف عليك الصبر عن الشهوات والمعاصى فى عمرك القصير المحتقر بالنسبة الى ذلك اليوم يوم يغضب فيه الرب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم يؤخذ بالنواصى والاقدام يوم لا تجزى نفس عن نفس شيأ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه يوم الحسرة يوم الخزى يوم المحاسبة قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون يوم العدل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتؤدن الحقوق الى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم

وأنشد الآخر كن وفلقة خبز * وكوز ماء وأمن * ألذ من كل عيش * يحويه سحب وسجن

وحدثونا ان عابدا عبد الله تعالى سبعين عاما فارسل الله تعالى اليه ملكا يبشره بدخول الجنة برحمة الله تعالى فهجس في نفسه بل بعملي فاطلع الله تعالى على ذلك منه فأوحى الى عرق ساكن من عروقه ان تحرك عليه قال فاضطرب لذلك وقلق وانقطعت عبادته وذهبت أعماله شغلا منه بنفسه وقلق بنفسه ثم أوحى الله تعالى الى العرق ان اسكن فسكن فرجع العبد الى عبادته فأوحى الله تعالى اليه انما قيمة عبادتك عرق واحد سكن من عروقك فاعترف وروينا معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصف آخر ان رجلا عبد الله سبعين عاما قال فيأمر الله عز وجل به الى الجنة برحمته فيقول بلى بعملي فيقول الله عز وجل أدخلوا عبدي الجنة بعمله قال فيمكث في الجنة سبعين عاما فيأمر الله تعالى به أن يخرج ويقال له قد استوفيت ثواب عملك قال فيسقط في يديه ويندم فينظر أقوى شئ كان في نفسه بينه وبين ربه فاذا هو الرجاء وحسن الظن فيقول يارب اتركني في الجنة برحمتك لا بعملي قال فيقول الله عز وجل دعوا عبدي في جنتي برحمتي وحدثت عن رجل شكا الى بعض أهل المدينة فقره وأظهر لذلك غمه فقال له الرجل أيسرك انك أعمى ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك أخرس ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرة آلاف قال لا قال فيسرك انك مجنون ولك عشرة آلاف قال لا قال أفما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروض بخمسين ألفا وهذا كما قال لان في الانسان قيم هذه الاشياء من الجوارح وزيادة من المال لانها ديات جوارحه لو قطعت وحدثني بعض الشيوخ في معناه ان بعض القراء المقربين اشتد به الفقر حتى أحزنه وضاق به ذرعا قال فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنسيناك سورة الانعام وان لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيم مائة ألف وأنت تشكو الفقر فأصبح وقد سرى عنه همه وهكذا جاء في الخبر تغنوا بالقرآن أي استغنوا به ومن لم يستغن بآيات الله تعالى فلا أغناه الله عز وجل وان القرآن هو الغنى الذي لا فقر معه ولا غنى بعده ومن آتاه الله القرآن فظن ان أحدا أغنى منه فقد استهزأ بآيات الله تعالى وفي لفظ آخر فقد استخف بما أنزل الله عز وجل وفي الخبر من لم يتغن بالقرآن فليس منا وفي الخبر المجمل كفى باليقين غنى والقرآن هو حق اليقين وروينا عن بعض السلف يقول الله عز وجل ان عبدا أغنيته عن ثلاث فقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأتيه وطبيب يداويه وعما في يد أخيه وروينا في مناجاة أيوب عليه السلام ان الله تبارك وتعالى أوحى اليه ما من عبد لي من الآدميين الا ومعه ملكان فاذا شكر على نعمائي قال الملكان اللهم زده نعما على نعمه فانك أهل الشكر والحمد فكن من الشاكرين قربا وزدهم شكرا وزدهم من النعماء وكفى بالشاكرين يا أيوب علو الرتبة عندي وعند ملائكتي فأنا أشكر شكرهم وملائكتي تدعو لهم والبقاع تحبهم والآثار تبكي عليهم فكن لي يا أيوب شاكرا ولآلائي ذاكرا ولا تذكرني حتى أذكرك ولا تشكرني حتى أشكر أعمالك أنا أوفق أوليائي لصالح الاعمال واشكرهم على ما وفقتهم واقتضيهم الشكر ورضيت به مكافأة فرضيت بالقليل عن الكثير وتقبلت القليل وجازيت عليه بالجزيل وشر العبيد عندي من لم يشكرني الا في وقت حاجته ولم يتضرع بين يدي الا في وقت عقوبته وذكر الكلام وقد جعل الله تعالى الشاكرين بوصف الصالحين والمقربين والعالمين وهذه الاوصاف الثلاث من أعالي مقامات الموقنين فقال عز وجل وقليل من عبادي الشكور كما قال الله تعالى الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وكما قال في وصف المقربين ثلة من الاولين وقليل من الآخرين وكما قال عز وجل ما يعلمهم الا قليل وفي حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم سلوا الله العافية وما أعطى عبد أفضل من العافية الا اليقين ففضل العافية على كل عطاء ورفع اليقين فوق العافية لان بالعافية يتم نعيم الدنيا واليقين معه وجود نعيم الآخرة فلليقين فضل على العافية كفضل الدوام على الانتقال والعافية سلامة الابدان من الاسقام والعلل

واليقين

اللعنة ولهم سوء الدار فالويل كل الويل لنا معشر الغافلين ان يرسل الله الينا سيد الاولين والآخرين وينزل عليه الكتاب يخبرنا بهذه الصفات من نعوت يوم الدين فنتلوه بالسنتنا ونحن عنه غافلون نعوذ بالله من هذه الغفلة التي عاقبتها هذه الاهوال والحسرة فبينما هم في هذه الاهوال اذ نزلت ملائكة من ارجاء السماء باجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا بأخذ النواصي الى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملكا ما بين شفري عينيه مسيرة خمسمائة عام فما ظنك بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك ويسوقوك الى مقام العرض وعند نزولهم لا يبقى صالح ولا صديق ولا نبي الا ويخر لذقنه خوفا من ان يكون هو المأخوذ فاذا كان هذا حال المقربين فكيف حال المقصرين فيبدأ بالرسل فيقول الله تعالى ماذا أجبتم فيقولون لا علم لنا فيا لشدة هول تذهل فيه عقول الرسل حتى لا يدرون ماذا يجيبون ثم يقبل الملائكة فينادون واحدا واحدا باسمه هلم الى موقف العرض فعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول حتى يتمنى أقوام ان يذهب

ا ليقين سلامة الاديان من الزيغ والاهواء فهاتان نعمتان تستوجبان عظيم الشكر من العبد كما
ستوعب القلب والجسم جسيم النعم من الملك ومن أقوى المعانى فى قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون
الا من أتى الله بقلب سليم قيل سالم من الشك والشرك والسالم الصحيح المعافى و يوجد عافية اليقين فى القلوب
عدم الشك والنفاق وهى أمراض القلوب كما قال تعالى فى قلوبهم مرض قيل شك ونفاق وعافية القلب
أيضا من الكبائر كما قال تعالى فيطمع الذى فى قلبه مرض يعنى الرياء و يقال ما من مصيبة الا ولله تعالى
فيها خمس نعم أولها انها لم تكن فى الدين و يقال كل مصيبة فى غير الدين فهى طريق من الدين والثانية
انها لم تكن أكبر منها والثالثة انها كانت مكتوبة عليه لا محالة فقد نفذت واستراح منها والرابعة انها
عجلت فى الدنيا ولم تؤجل فى الآخرة فتعظم على مقدار عذاب الآخرة والخامسة ان ثوابها خير منها فان
المصيبة اذا كانت فى أمر الدنيا فانها طريق الى الآخرة وعند نا فى قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار قيل
ظلوم بالتسخط كفار بالمعاصى و بالنعم وحدثت ان العباس رضى الله عنه لما توفى قعد ابنه عبد الله رضى
الله عنه للتعزية فدخل الناس أفواجا يعزونه فكان فيمن دخل اعرابى فانشده

اصبر نكن بك صابرين فانما * صبر الرعية بعد صبر الراس
خير من العباس أجرك بعده * والله خير منك للعباس

فقال ابن عباس ما عزانى أحد تعزية الاعرابى واستحسن ذلك وفى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود
قيل هو الذى يشكو المصائب و ينسى النعم ولو علم ان مع كل مصيبة عشر نعم بحذائها او زيادة قلت شكواه
و بدلها شكرا ثم ان المصائب لا تخلو من ثلاثة أقسام كلها نعم من الله تعالى اما أن تكون درجة وهذا
للمقربين والمحسنين واما أن تكون كفارة وهذا لخصوص أصحاب اليمين وللابرار أو تكون هذا عقوبة
وهذا للكافة من المسلمين فتعجيل العقوبة فى الدنيا رحمة ونعمة ومعرفة هذه النعم طريق الشاكرين ومن
أفضل النعم عند العلماء نعمة الايمان ثم دوامه لان دوام الشئ نعمة ثانية لانه بحكم ثان عن مشيئة ثانية لان
الارادة منه تعالى بحكم الاظهار لا توجب دوام المظهر فكان الشئ يظهر بارادته ثم يتلاشى كان لم يكن الا أن
يحكم سبحانه وتعالى حكما ثانيا بنعمة ثانية بالثبات والدوام اذ لو لم يرد دوام السموات والارض ما داما ولو لم يرد
دوام ثبات الجبال ما ثبتت كذلك لو لم يرد دوام الايمان وثباته فى القلوب بعد الكتب لظهر بالكتب ثم
انمحى ورجع القلب الى الكفر لكنه أنعم نعما لا تحصى بدوامه وثباته فى القلب ومنه قوله تعالى يمحو الله
ما يشاء و يثبت أى يمحو ما لا يشاء ثبوته و يثبت ما يحب ولا يستطيع العبد شكر نعمة الايمان ومعرفة بداية
التفضل به وقديم الاحسان من غير قدم من العبد ولا استحقاق بل بفضل الله و برحمته وهذا أحد الوجوه
فى قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره أى لا يقضى العبد أبدا شكر ما أمره الله تعالى من نعمة الاسلام التى
هى أصول النعم فى الدنيا والآخرة وهى سبب النجاة من النار ومفتاح دخول الجنة ولا أول للعبد فيها ولا
تشفيع كان له الى الله تعالى بها ثم دوام ذلك وثباته مع الطرف والانفاس بمدد منه نعم مترادفة ومن هذا قوله
تعالى كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه أى قواهم بمدد يثبته ويقويه وهو معنى قوله تعالى يثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب
القلوب أى عن الايمان ومقلبها فى الشك والشرك ثبت قلبى على طاعتك ومعرفة هذه النعمة اللطيفة العظيمة
تخرج من القلب خوف سوء الخاتمة لمشاهدة سرعة تقليب القلب بالمشيئة وذلك مزيد شكرها وهذا
داخل فى معنى قوله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله تعالى لما أسدى اليكم من نعمه ولما يغذوكم به أيضا من
فضل ما غذانا به نعمة الايمان له والمعرفة به وغذاؤه لنا منه دوام ذلك ومدده بروح منه وتثبيتنا عليه فى
تصريف الاحوال اذ هو اصل الاعمال التى هى مكان النوال فلو قلب قلوبنا عن التوحيد كما يقلب جوارحنا
فى الذنوب ولو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلبنا تنافى الاعمال أى شئ كنا نصنع وعلى أى شئ كنا

بهم الى النار ولا يعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف أستارهم على الخلائق و يظن كل واحد انه المقصود دون غيره فيقول الجبار لجبريل عليه السلام ائتنى بالنار فيجيئها ويقول لها أجيبى الجبار فلا تلبث بعد ندائه ان تثور وتزفر الى الخلائق فيسمع الخلائق تغيظها و زفيرها وتنبث خزانها الى الخلائق غضابا على العصاة فتمتلئ قلوب الخلائق رعبا ويتساقطون على ركبهم وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون و ينادى الظلمة وأعوانهم وهم تحت أرجل الخلائق بالويل والثبور جزاء لهم من جنس صنيعهم بالخلق فى الدنيا و ينادى الصديقون كل منهم نفسى نفسى فبينما هم كذلك اذ زفرت النار زفرة ثانية فتضاعف خوفهم فيظنون انهم مأخوذون ثم تزفر الثالثة فيتساقط الخلق لوجوههم و يشخصون بابصارهم ينظرون من طرف خفى و ينضم عند ذلك قلوب الظالمين فتبلغ لدى الحناجر كاظمين ما لهم من ولى ولا حميم انتهى

شعر

يا ناقض العهد يا من حاله قبحت
مع الاله بلا خوف ولا جزع
ضيعت عمرك يا هذا بلا عمل
تمسى وتصبح بين الحرص والطمع

نعول و باى شئ كان طامعين ونرجو فهذا من كبائر النعم ومعرفته هو من شكر نعمة الايمان والجهل بهذا غفلة عن نعمة الايمان يوجب العقوبة وادعاء الايمان انه عن كسب معقول أو استطاعة بقوة وحول هو كفر نعمة الايمان وأخاف على من توهم ذلك ان يسلب الايمان لانه بدل شكر نعمة الله كفرا وقد جعل الله تعالى الخيرات من كسب الايمان وليس لنا فيما يكسبنا الخيرات مكان بل الله تعالى من علينا ان هدانا للايمان وجعله سببا يكسب لنا باحسانه الاحسان كما قال تعالى أو كسبت فى ايمانها خيرا قيل التوبة وقيل الصالحات كلها كسب الايمان ومن النعم بعد الايمان توفيقنا للحسنى وتيسيرنا لليسرى ثم صرف الكفر وأخلاق الكفرة وأعمالهم ثم تزيين الايمان وتحبيبه الينا وتكريه الفسوق والعصيان فضلا منه ونعمة الى ما لا يحصى من نعمه فشكر ذلك لا يقام به الا بما وهب أيضا وانعم به من المعرفة بذلك والمعونة عليه والحياء من تتابع النعم هو من الشكر والمعرفة بالتقصير عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والمعرفة بعظيم الحلم وكثيف الستر شكر والاعتراف بما أعطى من حسن الثناء وجميل النشر انه من النعم من غير استحقاق من العبد بل هو مضاف الى نعمه بل هو من الشكر وحسن التواضع بالنعم والتذلل فيها شكر وشكر الخلق بالدعاء لهم وحسن الثناء عليهم لانهم ظروف العطاء وأسباب المعطى تخلقا باخلاق المولى جل وعلا هو من الشكر وقلة الاعتراض وحسن الادب بين يدى المنعم شكر وتلقى النعم بحسن القبول وتكثير تصغيرها وتعظيم حقيرها من الشكر لان طائفة هلكت باستصغار الاشياء واستحقار وجود المنافع بها جهلا بحكمة الله تعالى واستصغار النعمه فكان ذلك كفرا بالنعم ومن الناس من يقول ان الصبر أفضل من الشكر وليس يمكن التفضيل بينهما عند أهل التحصيل من قبل ان الشكر مقام جملة من المؤمنين والترجيح بين جماعة على جماعة لا يصح من قبل تفاوتهم فى اليقين فى المشاهدات لان بعض الصابرين أفضل من بعض الشاكرين لفضل معرفته وحسن صبره وخصوص الشاكرين أفضل من عموم الصابرين لحسن يقينه وعلو مشاهدته ولكن تفضيل ذلك من طريق الاحوال والمقامات انا نقول والله أعلم ان الصبر عن النعيم أفضل لان فيه الزهد والخوف وهما أعلى المقامات وان الشكر على المكاره أفضل لان فيه البلاء والرضا وان الصبر على الشدائد والضراء أفضل من الشكر على النعم والسراء من قبل انه أشق على النفس وان الصبر مع حال الغنى والمقدرة ان يعصى بذلك أفضل من الشكر على النعم من قبل ان الصبر عن المعاصى بالنعم أفضل من الطاعة بها لمن جاهد نفسه فيها فاذا شكر على ما يصبر عليه فقد صار البلاء عنده نعمة وهذا أفضل لانها مشاهدة المقربين واذا صبر عما يشكر عليه من النعم كان أفضل لانها حال المجاهدة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يعنى الاقرب شبها بنا فالاقرب فرفع أهل البلاء اليه ووصف نفسه به وجعلهم الامثل فالامثل منه فمن كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل كان هو الافضل وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم شاكرا على شدة بلائه كذلك الشاكر من الصابرين يكون أفضل لشكره على البلاء اذ هو الاقرب والامثل بالانبياء وكل مقام من مقامات المقربين يحتاج الى صبر وشكر وأحدهما لا يتم الا بالآخر لان الصبر يحتاج الى شكر عليه ليكمل والشكر يحتاج الى صبر عليه ليستوجب المزيد وقد قرن الله تعالى بينهما ووصف المؤمنين بهما فقال ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور فذكر الشكر بلفظ المبالغة فى الوصف على وزن فعول كما ذكر الصبر على وزن فعال وهو وصف للمبالغة أيضا ولذلك انقسم الايمان نصفين كما جاء فى الخبر الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله لان اليقين أصلهما وهما ثمرتاه عنه يوجدان لان الشاكر أيقن بالنعمة انها من المنعم وأيقن بانجاز ما وعده من المزيد فشكر كما أيقن الصابر بعوضه بالبلاء لانه هو المبتلى وايقن بثواب المبلى وحسن ثنائه على الصابرين فصبر فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهما حالا الموقن اذ لا يخلو فى أدنى وقت من أحد اثنين بلية وتحية اذ فى كل شئ له آية فحاله فى البلية الصبر وحاله فى التحية الشكر والله يحب

بل أنت فى غفلة عن ذلك فارتدع
فقم لتقرع بابا للذى كثرت للسائلين عطاياه وأنت معى
لعله أن يرانا تائبين له يمن بالعفو عن عصياننا الشنع
اللهم ارحمنا واسبل علينا سترك وأظلنا بظل عرشك ولا تخزنا بنار سياستك فاعف عنا وعن والدينا ومشايخنا وأصدقائنا وأحبائنا ومحبينا آمين يارب العالمين

(فصل فى المسئلة) قال الله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون خ م عن عدى بن حاتم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر ايمن منه فلا يرى الا ما قدم من عمله و ينظر أشأم منه ولا يرى الا ما قدم و ينظر بين يديه فلا يرى الا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة ت عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيم أبلاه ص قال قال رسول الله صلى الله عليه

الصابرين ويحب الشاكر وهذا آخر شرح مقام الشكر والحمد لله رب العالمين

(شرح مقام الرجاء ووصف الراجين وهو الرابع من مقامات اليقين)

قال الله تعالى الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وقال جلت قدرته وكان بالمؤمنين رحيما وقال تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ورويناه في قراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبالى انه هو الغفور الرحيم وفي الاخبار المشهورة فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا أبالى المعنى والله أعلم ان رحمتى وسعت كل شئ فليس يضيق هؤلاء عنها ولا أبالى بدخولهم فيها ويكون هؤلاء أيضا في الجنة ولا أبالى باعمالهم السيئة كلها وقال سبحانه وتعالى في وصف المتقين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وقال عز وجل في وصف المتوكلين الا اللمم ان ربك واسع المغفرة وقال تعالى مخبرا عن الملائكة الحافين حول عرشه والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض واخبر عز وجل ان النار أعدها لاعدائه وانه خوف بها أولياءه فقال تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ومثله قوله عز وجل واتقوا النار التى أعدت للكافرين وقال فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وقال تعالى في عفوه عن الظالمين وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ورويناان النبي عليه السلام لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وفي تفسير قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال لا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم ان يدخل واحد من أمته النار وكان أبو جعفر محمد بن على رضى الله عنه يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله تعالى قوله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وعده ربه عز وجل ان يرضيه في أمته ورويناه في حديث أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى أمتى أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة جعل عقابها في الدنيا الزلازل والفتن فاذا كان يوم القيامة دفع الى كل رجل من أمتى رجلا من أهل الكتاب فيقال هذا فداؤك من النار ورويناه في لفظ آخر يأتى كل رجل من هذه الامة بيهودى أو نصرانى الى جهنم فيقول هذا فدائى من النار فيلقى فيها وفي الخبر ان الحمى من فيح جهنم وهى حظ المؤمنين من النار ورويناه في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزى الله النبي والذين آمنوا معه ان الله تبارك وتعالى أوحى الى نبيه صلى الله عليه وسلم تريد ان أجعل حساب أمتك اليك فقال لا يا رب أنت خير لهم منى قال اذا لا نخزيك فيهم وقال سفيان الثورى رضى الله عنه ما أحب ان يجعل حسابى الى أبوى لانى أعلم ان الله تبارك وتعالى ارحم بى منهما ورويناه في خبر سلمة ابن وردان عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه تعالى في ذنوب أمته فقال يا رب اجعل حسابهم الى لئلا يطلع على مساويهم غيرى فاوحى الله تعالى اليه هم أمتك وهم عبادى وأنا أرحم بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيرى كيلا تنظر في مساويهم أنت ولا غيرك وقد رويناه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال حياتى خير لكم وموتى خير لكم أما حياتى فانى أبين لكم السنن واشرع الشرائع وأما موتى فاعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عز وجل وما رأيت منها شيأ استغفرت الله عز وجل لكم ورويناه في الاثر اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله عز وجل ملائكته وبقاع الارض معاصيه وبدلها حسنات حتى يرد القيامة وليس شئ يشهد عليه وكذلك يقال ان المؤمن اذا عصاه ستره الله تعالى عن أبصار الملائكة كيلا تراه فتشهد عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يا كريم العفو فقال له جبريل عليه السلام تدرى ما تفسير يا كريم العفو هو انه عفا عن السيآت برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم انى أسألك تمام النعمة فقال هل تدرى ما تمام النعمة قال لا قال دخول الجنة وقد أخبرنا الله تعالى انه قد أتم نعمته علينا برضاه الاسلام لنا فهذا دليل على دخول الجنة

وسلم أول ما يحاسب عليه العبد الصلاة وأول ما يقضى بين الناس الدماء ت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته فان صلحت فقد أفلح وأنجح وان فسدت فقد خاب وخسر وان انتقص من فريضته شيأ قال الرب تبارك وتعالى انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ما انتقص من الفريضة ثم يكون سائر أعماله على ذلك ط عن يحيى بن سعيد قال بلغنى ان أول ما ينظر فيه من عمل المرء الصلاة فان قبلت منه نظر فيما بقى من عمله وان لم تقبل منه لم ينظر في شئ من عمله م عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى فيقول فانى لا أجيز اليوم على نفسى شاهدا الا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وروى في شرح السنة ان رسول الله

فقال عز وجل اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقد اشترك
ذلك مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن نرجو المغفرة لذنوبنا بفضله فقال عز من قائل ليغفر لك ا
ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك وفي خبر علي رضي الله عنه من أذنب ذنبا فستره الله تعالى عل
في الدنيا فالله تبارك وتعالى أكرم من ان يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا وعوقب عليه في الدنيا فا
تعالى أعدل من ان يثني عقوبته على عبده في الآخرة وفي لفظ آخر لا يذنب عبد في الدنيا فيستره الله تعا
عليه الا غفره له في الآخرة وعن بعض السلف كل عاص فانه يعصي تحت كنف الرحمن والكنف م
الانسان حضنه ما بين يديه وصدره قال فمن ألقى عليه كنفه ستر عورته ومن رفع عنه كنفه افتضح ويقا
ان من فضح في الدنيا بذنب فهو كفارته ولا يفضح به في الآخرة وفي الخبر اذا أذنب العبد فاستغفر ا
يقول الله سبحانه وتعالى للملائكة انظروا الى عبدي أذنب ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب فيأخذ بالذن
أشهدكم اني قد غفرت له وحدثت عن محمد بن مصعب قال كتب الى اسود بن سالم بخطه ان العبد اذا كا
مسرفا على نفسه يرفع يديه يدعو يقول يا رب فاذا قال يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الثانية يا ر
حجبت الملائكة صوته فاذا قال الثالثة يا رب حجبت الملائكة صوته فاذا قال الرابعة يقول الله تعالى حتى م
تحجبوا صوت عبدي عني قد علم عبدي انه ليس له رب يغفر الذنوب غيري أشهدكم اني قد غفرت له و
الحديث اذا أذنب العبد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفرني ورجاني وفي حديث آ
لو لقيني عبدي بقراب الارض ذنوبا لقيته بقرابها مغفرة ما لم يشرك بي شيئا وفي الخبر ان الملك ليرفع القلم عن
العبد اذا أذنب ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبه عليه والا كتبها سيئة وفي لفظ آخر فاذا كتبها عل
وعمل حسنة قال لصاحب الشمال وهو أمير عليه ألق هذه السيئة حتى ألقي من حسناته واحدة من تضعيف
العشرة وأرفع تسع حسنات فيلقي عنه هذه السيئة ويقال ان الله تعالى جعل في قلب صاحب اليمين م
الرحمة للعبد اضعاف ما جعل في قلب صاحب الشمال مع انه أمره عليه فاذا عمل العبد حسنة فرح بها ال
اليمين ويقال فرح بها الملائكة فيكتب للعبد بفرحه الحسنات وروينا في حديث أنس بن مالك الطو
اذا أذنب العبد ذنبا كتب عليه فقال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال فان عاد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الاعرابي فان تاب قال محي من صحيفته قال الى متى يا رسول الله قال ال
ان يستغفر ويتوب الى الله تعالى وان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد من الاستغفار فاذا هم العب
بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فاذا عملها كتبها عشر حسنات ثم ضاعفها الله عز وج
الى سبعمائة ضعف واذا هم بخطيئة لم تكتب عليه فان عملها كتبت خطيئة واحدة وو راءها حسن عف
الله تعالى وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لا أصوم الا الشهر لا أزيد عليه و
أصلي الا الخمس لا أزيد عليهن وليس لله تبارك وتعالى في مالي صدقة ولا حج ولا أتطوع أين أنا اذا مت فقا
النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة قال يا رسول الله معك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال نعم معي ا
حفظت قلبك من اثنين الغل والحسد ولسانك من اثنين الغيبة والكذب وعينك من اثنين النظر الى ما حر
الله تعالى وان تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين وروينا في الخبر الطويل عن أنس
رضي الله عنه ان الاعرابي قال يا رسول الله من يلي حساب الخلق قال الله عز وجل قال هو بنفسه قال نعم قا
فتبسم الاعرابي فقال النبي صلى الله عليه وسلم مم ضحكت يا أعرابي فقال ان الكريم اذا قدر عفا وروى
تجاوز واذا حاسب سامح فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق ألا ولا كريم أكرم من الله عز وجل هو أكر
الاكرمين ثم قال عليه السلام فقه الاعرابي وفيه أيضا ان الله تبارك وتعالى شرف الكعبة وعظمها ولو ان
عبدا هدمها حجرا حجرا ثم أحرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من أولياء الله تعالى قال الاعرابي من أولياء
الله قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت الله تعالى يقول الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من

صلى الله عليه وسلم سمع رجلا
يتجشأ فقال اقصر من
جشائك فان أطول الناس
جوعا يوم القيامة أطولهم
شبعا في الدنيا فتوهم
نفسك يا مسكين وقد
أخذت الملائكة بعضديك
وأنت واقف بين يدي الله
تعالى يسألك شفاها عن
كل قليل وكثير وسر
وعلانية وجميع جوارح
فيقول لك ألم أنعم عليك
بالشباب ففيماذا أبليته
ألم أمهلك في العمر
ففيما أفنيته ألم أرزقك
الاموال فمن أين اكتسبتها
وفيما أنفقتها ألم أعلمك
العلم فماذا عملت فيه فكيف
ترى حياءك وخجلتك وهو
يعدد عليك انعامه
ومعاصيك فان أنكرت
شهدت عليك جوارحك
فيا أيها الانسان ما غرك
بربك الكريم حيث
اغلقت الابواب وأرخيت
الستور واستترت من
الخلائق وقارفت الفجور
فماذا تفعل وقد شهدت
عليك جوارحك هنالك
هب انه قد ستر عن غيرك
ليس قد قرع سمعك النداء
الى العرض فيكفيك تلك
الروعة جزاء عن ذنوبك
اذ قد تؤخذ بناصيتك
فتنقاد وفؤادك مضطرب
ولبك طائر وفرائصك
مرتعدة وجوارحك
مضطربة ولونك متغير
والعالم عليك من شدة
الهول مظلم فقدر نفسك

الظلمات الى النور وفى الخبر المفرد عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أفضل من الكعبة والمؤمن طيب طاهر والمؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة وفى الخبر المشهور عن عبد الله بن عمرو وأبى هريرة رضى الله عنهما وكعب الاحبار انه نظر الى الكعبة فقال ما أشرفك وما أعظمك وللمؤمن أعظم حرمة عند الله منك وقد أمر الله سبحانه وتعالى أنبياءه بتطهير بيته لاوليائه اجلالا لهم فشرف البيت بهم وفى الخبر عن الله تعالى من أهان لى وليا فقد بارزنى بالمحاربة وأنا الثائر لوليى فى الدنيا والآخرة وفى أخبار يعقوب عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تدرى لم فرقت بينك وبين يوسف عليه السلام هذه المدة قال لا قال لقولك لاخوته أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لم خفت الذئب عليه ولم ترجنى له ولم نظرت الى غفلة اخوته ولم تنظر الى حفظى له ومن سبق عنايتى بك انى جعلت نفسى عندك أرحم الراحمين فرجوتنى ولولا ذلك لكنت أجعل نفسى عندك أبخل الباخلين فالرجاء هو اسم لقوة الطمع فى الشئ بمنزلة الخوف اسم لقوة الحذر من الشئ ولذلك أقام الله تعالى الطمع مقام الرجاء فى التسمية وأقام الحذر مقام الخوف فقال علت كلمته يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال تعالى يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه وهو وصف من أوصاف المؤمنين وخلق من أخلاق الايمان لا يصح الايمان الا به كما لا يصح الايمان الا بالخوف فالرجاء بمنزلة أحد جناحى الطير لا يطير الا بجناحيه كذلك لا يؤمن من لا يرجو من آمن به ويخافه وهو أيضا مقام من حسن الظن بالله تعالى وجميل التأميل له فلذلك أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يموتن أحدكم الا وهو حسن الظن بالله تعالى لانه قال عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وكان ابن مسعود رضى الله عنه يحلف بالله تعالى ما أحسن عبد بالله تعالى ظنه الا أعطاه الله تعالى ذلك لان الخير كله بيده أى فاذا أعطاه حسن الظن بالله تعالى فقد أعطاه ما يظنه لان الذى حسن ظنه به هو الذى أراد أن يحققه له وروينا عن يوسف بن أسباط قال سمعت سفيان الثورى رضى الله عنه يقول فى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين قال اى احسنوا بالله تعالى الظن وكذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرجل وهو فى سياق الموت فقال كيف تجدك فقال أجدنى أخاف ذنوبى وأرجو رحمة ربى فقال عليه السلام ما اجتمعا فى قلب عبد فى هذا الموطن الا أعطاه الله تعالى ما رجاه وأمنه مما يخاف ولذلك قال على كرم الله وجهه للرجل الذى أطار الخوف عقله حتى أخرجه الى القنوط فقال له ياهذا ايأسك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنبك صدق رضى الله عنه لان الاياس من روح الله تعالى الذى يستريح اليه المكروب من الذنوب والقنوط من رحمة الله تعالى التى يرجوها المبتلى بالذنوب أعظم من ذنوبه وهو أشد من جميع ذنوبه لانه قطع بهواه على صفات الله تعالى المرجوة وحكم على كرم وجهه بصفته المذمومة فكان ذلك من أكبر الكبائر وان كانت ذنوبه كبائر وهكذا جاء فى التفسير ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة قال هو العبد يذنب الكبائر ويلقى بيده ولا يتوب ويقول قد هلكت لا ينفعنى عمل فنهوا عن ذلك الا ان الرجاء مقام جليل وحال شريف نبيل لا يصلح الا للكرماء من أهل العلم والحياء وهو حال يحول عليهم بعد مقام الخوف يروحون به من الكرب ويستريحون اليه من مقارفة الذنب ومن لم يعرف الخوف لم يعرف الرجاء ومن لم يقم فى مقام الخوف لم يرفع الى مقامات أهل الرجاء على صحة وصفاء ورجاء كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوة من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفة فان كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات مثل الذنوب والعيوب والاسباب رفع من حيث تلك المقامات الى مقامات الرجاء بتحقيق الوعد وغفران الذنب وتشويق الجنان وما بهما من الاوصاف الحسان وهذه مواجهات أصحاب اليمين وان كان أقيم مقام مخاوف الصفات عن مشاهدة معانى الذات مثل سابق العلم وسوء الخاتمة وخفى المكر وباطن الاستدراج وبطش القدرة وحكم الكبر والجبروت رفع من هذه المقامات الى مقام المحبة والرضا فرجا من معانى الاخلاق وأسماء الكرم والاحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان وليس يصح أن نخبر بكل ما نعلم من شهادة أهل الرجاء فى مقامات الرجاء من قبل انه

وأنت بهذه الصفة تتخطى الرقاب وتخترق الصفوف وتقاد كما يقاد الفرس الجنوب وقد رفعت الخلائق اليك أبصارهم فتوهم نفسك فى أيدى الموكلين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك الى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله يا ابن آدم ادن منى فدنوت بقلب خافق محزون وجل وطرف خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ثم تفكر فى عظم حيائك اذا ذكرك ذنوبك شفاها اذ يقول يا عبدى أما استحييت من مبارزتى بالقبيح واستحييت من خلقى أكنت أهون عليك من عبادى استخففت بنظرى اليك وأعظمت نظر غيرى أظننت أنك لا تلقانى ألم أرسل اليك رسولا يتلو عليك كتابى ومن يقدر على هذا الخطاب فما أعظم مصيبة من فرط فى طاعة مولاه واتبع هواه شعر

نحن المسيئون ومن ذنبنا
اليك يارب الورى تائبون
فلا تؤاخذنا بأفعالنا
انا على أنفسنا مسرفون
قد مسنا الضر ولا راحم
سواك يا من لا تراه العيون
لا نشتكى الا الى راحم
يطمع فى رحمته المذنبون

(فصل فى الميزان والقصاص) قال الله تعالى فأما من ثقلت

لا يصلح لعموم المؤمنين وهو يفسد من لم يرزقه أشد الفساد فليس يصلح الا بخصوصه ولا يجديه ولا يستجيب له ولا يستخرج الا من المحبة ولا محبة الا بعد نصح القلب من الخوف وأكثر النفوس لا يصلح الا على الخوف كعبيد السوء لا يستقيمون الا بالسوط والعصا ثم يواجهون بالسيوف صلتا ومن علامة صحة الرجاء فى العبد كون الخوف باطنا فى رجائه لانه لما تحقق برجاء شئ خاف فوته لعظم المرجو فى قلبه وشدة اغتباطه به فهو لا ينفك فى حال رجائه من خوف فوت الرجاء والرجاء هو ترويحات الخائفين ولذلك سمت العرب الرجاء خوفا لانهما وصفان لا ينفك أحدهما عن الآخر ومن مذهبهم أن الشئ اذا كان لازما للشئ أو وصفا له أو سببا منه أن يعبروا عنه به فقالوا مالك لا ترجو كذا وهم يريدون مالك لا تخاف وعلى هذا المعنى قول الله تعالى مالكم لا ترجون لله وقارا أجمعوا على تفسيره مالكم لا تخافون لله عظمة وهو أيضا أحد وجهى تفسير قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه أى يخاف من لقائه ومثل الخوف من الرجاء مثل اليوم من الليلة لما لم ينفك أحدهما عن الآخر جاز أن يعبر عن المدة بأحدهما فيقال ثلاثة أيام وثلاث ليال ومنه قول الله تعالى مخبرا عن قصة واحدة فقال عز وجل آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا ثم قال تعالى ثلاثة أيام الا رمزا فلما لم يكن اليوم ينفك عن ليلته والليلة لا تنفك عن يومها أخبر عن أحدهما بالآخر لان أحدهما يشبه الآخر مندرج فيه ولا يظهر الا أحدهما بحكمة الله تعالى وقدرته لتفاوت أحكامه فيهما وافتراق انعامه بهما فاذا ظهر النهار اندرج الليل فيه بقدرته تعالى واذا ظهر الليل استتر النهار بحكمة الله تعالى وهو حقيقة ايلاجه أحدهما فى الآخر وتحقيق تكوره أحدهما على صاحبه فكذلك حقيقة الرجاء والخوف فى معانى الملكوت اذا ظهر الخوف كان العبد خائفا وظهرت عليه أحكام الخوف عن مشاهدة التجلى بوصف مخوف فسمى العبد خائفا لغلبته عليه وبطن الرجاء فى خوفه واذا ظهر الرجاء كان العبد راجيا وظهرت منه أحكام الرجاء عن مشاهدة تجلى الربوبية بوصف مرجو فوصف العبد به لانه هو الاغلب عليه وبطن الخوف فى رجائه لانهما وصفان للايمان كالجناحين للطير فالمؤمن بين الخوف والرجاء كالطائر بين جناحيه وكلسان الميزان بين كفتيه ومنه قول مطرف لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فهذا أصل فى معرفة حقيقة الرجاء وصدق الطامع فى المرجو فللمؤمنين فى اعتدال الخوف والرجاء مقامان أعلاهما مقام المقربين وهو ما حال عليهم من مقام مشاهدة الصفات المخوفة والاخلاق المرجوة والثانى مقام أصحاب اليمين وهو ما عرفوه من بدائع الاحكام وتفاوت الاقسام من ذلك انه أنعم سبحانه وتعالى على الخلق بفضله عن كرمه اختيارا لا اجبارا فلما أعلمهم ذلك رجوا تمام النعمة من حيث ابتدأوها ومن ههنا طمع السحرة فى المغفرة لما ابتدوا بالايمان فقالوا انا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا أول المؤمنين أى من حيث جعلنا أول المؤمنين من هذا المكان نرجو أن يغفر لنا بان جعلنا مؤمنين به فرجوه منه وقد ذم الله تعالى عبدا أوجده نعمة ثم سلبها فأيس من عودها عليه فقال تعالى ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم استثنى عباده الصابرين عليه الصالحين له فقال تعالى الا الذين صبروا وعملوا الصالحات وروى أن لقمان عليه السلام قال لابنه خف الله تعالى خوفا لا تأمن فيه مكره وارجه رجاء أشد من خوفك قال وكيف أستطيع ذلك وانما لى قلب واحد قال أما علمت أن المؤمن كذى قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر والمعنى أن الخوف والرجاء وصف الايمان لا يخلو منهما قلب مؤمن فصار كذى قلبين حينئذ ثم ان الخلق خلقوا على أربع طبقات فى كل طبقة طائفة فمنهم من يعيش مؤمنا ويموت مؤمنا فمن ههنا رجاؤهم لانفسهم ولغيرهم من المؤمنين اذ قد أعطاهم فرجوا أن يتم عليهم نعمته وأن لا يسلبهم بفضله ما به بدأهم ومن الناس من يعيش مؤمنا ويموت كافرا فهذا موضع خوفهم عليهم وعلى غيرهم لمكان علمهم بهذا الحكم ولغيب حكم الله تعالى بعلمه السابق فيهم ومن الناس من يعيش كافرا ويموت مؤمنا ومنهم من يعيش كافرا ويموت كافرا فهذان الحكمان أوجبا رجاءهم الثانى للمشرك اذا رأوه فلم يقنطوا بظاهره أيضا لخوف هذا الرجاء خوفا ثانيا أن يموت على تلك الحال وأن يكون ذلك هو

حقيقة

موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية وفى التذكرة للقرطبى وحياة الحيوان ذكر خيثمة بن سليمان فى مسنده عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيآت فمن رجحت حسناته على سيآته مثقال صؤابة دخل الجنة ومن رجحت سيآته على حسناته مثقال صؤابة دخل النار قيل يارسول الله فمن استوت حسناته وسيآته قال أولئك أصحاب الاعراف لم يدخلوها وهم يطمعون وروى أحمد بسند صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقتص للخلق بعضهم من بعض حتى للجماء من القرناء حتى للذرة من الذرة خ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت عنده مظلمة لاخيه من عرضه أو من شئ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات أخذ من سيآت صاحبه فحمل عليه ت عن عائشة رضى الله عنها قالت جاء رجل فقعد بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لى مملوكين يكذبوننى ويعصوننى ويخونوننى

حقيقة عند الله تعالى فعلم المؤمن بهذه الاحكام الار بعة ورثه الخوف والرجاء معا فاعتدل حاله بذلك لاعتدال ايمانه به وحكم على الخلق بالظاهر ووكل الى علام الغيوب السرائر ولم يقطع على عبد بظاهره من الشر بل يرجوله مابطن عند الله تعالى من الخير ولم يشهد لنفسه ولا لغيره بظاهر الخير بل يخاف أن يكون قد استسر عند الله تعالى باطن شر الا ان حال التمام أن يخاف العبد على نفسه ويرجو لغيره لان ذلك هو وجد المؤمنين من قبل انهم متعبدون بحسن الظن فهم يحسنون الظن بالناس ويخرجون لهم المعاذير بسلامة الصدور وتسليم ماغاب الى من اليه تصير الامور ثم هم فى ذلك يسيؤن الظن بنفوسهم لمعرفتهم بصفاتها ويوقعون الملاوم عليها ولا يحتجون لها الباطن الاشفاق منهم عليهم والخوف التزكية منهم لهم فمن قلب عليه هذان المعنيان فقد مكر به حتى يحسن الظن بنفسه ويسيء ظنه بغيره فيكون خائفا على الناس راجيا لنفسه عاذرا لنفسه محتجا لها لائما للناس ذاما لهم فهذه أخلاق المنافقين ثم ان للراجى حالا من مقامه وحاله علامة من رجائه فمن علامة الرجاء عن مشاهدة المرجو دوام المعاملة وحسن التقرب اليه وكثرة التقرب بالنوافل لحسن ظنه به وجميل أمله منه وانه يتقبل صالح ما امر به تفضلا منه من حيث كرمه لا من حيث الواجب عليه ولا الاستحقاق منا وانه أيضا يكفر سيء ما عمله احسانا منه ورحمة من حيث لطفه بنا وعطفه علينا الاخلاقه السنية وألطافه الخفية لا من حيث اللزوم له بل من حيث حسن الظن به كما قال سفيان الثورى رضى الله عنه من أذنب ذنبا فعلم أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله عز وجل له ذنبه قال لان الله تعالى عير قوما فقال تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم وقد قال سبحانه وتعالى فى مثله وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا أى هلكى ففى دليل خطابه عز وجل ان من ظن حسنا كان من أهل النجاة وقد جاء فى الاثر ان من أذنب ذنبا فاحزنه ذلك غفر له ذنبه وان لم يستغفر ومقام الرجاء كسائر مقامات اليقين منها فرض وفضل فعلى العبد فرض أن يرجو مولاه وخالقه ومعبوده ورازقه من حيث كرمه وفضله لا من حيث نظره الى صفات نفسه ولؤمه وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول من سأل الله تبارك وتعالى شيأ فنظر الى نفسه والى أعماله لا يرى الاجابة حتى يكون ناظرا الى الله تبارك وتعالى وحده والى لطفه وكرمه ويكون موقنا بالاجابة ولعمرى ان من سأل الله تعالى ورغب اليه فى شيء ورجاه ناظرا الى نفسه وعمله فانه غير مخلص فى الرجاء له تعالى لشركه فى النظر اليه واذا لم يكن مخلصا لم يكن موقنا ولا يقبل الله تعالى عملا ولا دعاء الا من موقن بالاجابة مخلص فاذا شهد التوحيد ونظر الى الوحدانية فقد أخلص وأيقن وهكذا جاء فى الخبر اذا دعوتم فكونوا موقنين بالاجابة فان الله تعالى لا يقبل الا من موقن ومن داع دعاء بينا من قلبه لان من استعمله الله تعالى بالدعاء له فقد فتح له بابا من العبادة وفى الخبر الدعاء نصف العبادة ولا يقبل الله تعالى من الدعاء الا الناخلة يعنى المنخول وهو الخالص فأقل ما يعطيه من دعائه أن يكون ذلك حسنة منه يضعفه له عشرا الى سبعمائة ضعف وأعلاه أن يدخر له فى الآخرة ما هو خير له من جميع الدنيا وما فيها مما لم يخطر على قلبه قط ويكون ذلك حسن نظر من الله تعالى له واختيار وأوسط ذلك أن يصرف عنه من البلاء الذى هو لو كان علمه كان صرفه أهم عليه وأحب اليه مما سأل فيه وقدره وينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من داع دعا موقنا بالاجابة فى غير معصية ولا قطيعة رحم الا أعطاه الله تعالى احدى ثلاث اما أن يجيب دعوته فيما سأل أو يصرف عنه من السوء مثله أو يدخر له فى الآخرة ما هو خير له وفى أخبار موسى عليه السلام يارب أى خلقك أنت عليه أشد تسخطا فقال تعالى من لم يرض بقضائى ومن يستخيرنى فى أمر فاذا قضيت له كره ذلك وفى الخبر الآخر انه قال يارب أى الاشياء أحب اليك وأيها أبغض فقال سبحانه وتعالى أحب الاشياء الى الرضا بقضائى وأبغضها الى أن تطرى نفسك وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم انه قال للرجل الذى قال أوصنى فقال لا تتهم الله تعالى فى شيء قضاه عليك وفى الخبر الآخر انه نظر الى السماء وضحك صلى الله عليه وسلم فسئل عن ذلك فقال عجبت لقضاء الله تعالى للمؤمن فى كل قضائه له خيران قضى له بالسراء رضى وكان خيرا له وان قضى عليه بالضراء

وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة يحسب ماخانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان كفافا لالك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما تقرأ قول الله عز وجل ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيأ وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين فقال الرجل ما أجد لى ولهؤلاء شيأ خيرا من مفارقتهم أشهدك انهم كلهم أحرار خ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها ثغاء فيقول يا محمد فاقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغت فى الدنيا وفى التذكرة للقرطبى روى رزين عن أبى هريرة قال كنا نسمع ان الرجل يتعلق بالرجل يوم القيامة وهو لا يعرفه فيقول مالك الى وما بينى وبينك معرفة فيقول كنت ترانى على الخطايا وعلى المنكر ولا تنهانى وفيها روينا فى الاربعين عن أبى هريرة

رمى به وكان خيراله ومن حسن الظن بالله تعالى لطف التملق له سبحانه وتعالى وهو من قوة الطامع فيه وفى الخبر حسن الظن بالله عزوجل من حسن عبادة الله عزوجل كما روى ينافى تفسير قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ان الكلمات هى قوله عليه السلام يارب هذا الذنب الذى أصبته كان من قبل نفسى أومن شئ سبق فى علمك قبل أن تخلقنى قضيته على فقال بل شئ سبق فى علمى كتبته عليك قال يارب فكما قضيته على فاغفره لى قال فهى الكلمات التى لقاه الله تعالى اياها وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة مامنعك اذ رأيت المنكر أن تنكره قال فان لقن الله تعالى العبد حجته قال يارب رجوتك وخفت الناس قال لقد غفرت له وفى الخبر المشهور أن رجلا كان يداين الناس فيسمح لهم ويتجاوز عن المعسر فلقى الله تعالى ولم يعمل خيرا قط فقال الله سبحانه وتعالى نحن أحق بذلك منك قال فغفر له برجائه وظنه ثم يتفاوت الراجون فى فضائل الرجاء فالمقربون منهم رجوا النصيب الاعلى من القرب والمجالسة والتجلى بمعانى الصفات مما عرفوه وهذا عن علمهم به وأصحاب اليمين من الراجين رجوا النصيب الاوفر من مزيده والفضل الاجزل من عطائه يقينا بما وعد ومن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق والمبادرة بها خوف فوتها ورجاء قبولها ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انجاز الموعود وتقربا الى الرحيم الودود ومنه قول أصدق القائلين ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرة والمجاهدة فقال المهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد نفسه فى الله تعالى واقام الصلاة التى هى خدمة المعبود وبذل المال سرا وعلانية وقليلا وكثيرا وان لا يشتغل عن ذلك بتجارة الدنيا كما وصف الله سبحانه وتعالى المحققين من الراجين اذ يقول عزمن قائل ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ومن الرجاء القنوت فى ساعات الليل وهو طول القيام للتهجد والدعاء عند تجافى الجنوب عن المضاجع لما وقر فى القلوب من المخاوف ولذلك وصف الله الراجين بهذا فى قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فسمى أهل الرجاء والحذر وأهل التهجد آناء الليل علماء وحصل من دليل الكلام ان من لم يخف ولم يرج غير عالم لنفيه المساواة بينهما وهذا مما يحذف خبره اكتفاء بأحد وصفيه اذ فى الكلام دليل عليه فالرجاء هو أول مقام من اليقين عند المقربين وهو ظاهر أوصاف الصديقين ولا يكمل فى قلب عبد ولا يتحقق به صاحبه حتى يجتمع فيه هذه الاوصاف الايمان بالله تعالى والمهاجرة اليه سبحانه وتعالى والمجاهدة فيه وتلاوة القرآن واقام الصلاة والانفاق فى سبيل الله تعالى ثم السجود آناء الليل والقيام والحذر مع ذلك كله فهذه جملة صفات الراجين وهو أول أحوال الموقنين ثم تتزايد الاعمال فى ذلك ظاهرا و باطنا بالجوارح والقلوب عن تزايد الانوار والعلوم ومكاشفات الغيوب بالاوصاف الموجودة وفصل الخطاب ان الخوف والرجاء طريقان الى مقامين فالخوف طريق العلماء الى مقام العلم والرجاء طريق العمال الى مقام العاملين وقد وصف الله عزوجل الراجين مع الاعمال الصالحة لقوة رجائهم بالخوف تكملة لصدق الرجاء وتتمة لعظيم الغبطة به فقال تعالى وتقدس والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة وقال عزوجل مخبرا عنهم فى حال وفائهم وأعمال برهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقال عزوجل يوفون بالنذر ويخافون يوما ومن قبل أن الخوف مرتبط بالرجاء فمن تحقق بالرجاء صارعه الخوف أن يقطع به دون مارجا وقال أهل العربية فى معنى قوله تعالى قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله أى للذين لا يخافون عقوبات الله تعالى فاذا كان هذا أمره بالمغفرة لمن لا يرجو فكيف يكون غفره وفضله على من يرجو وبعضهم يقول فى معنى قوله تعالى وترجون من الله مالا يرجون أى تخافون منه مالا يخافون فلولا ان ما عند العلماء كشئ واحد ما فسر أحدهما بالآخر ومن الرجاء الانس بالله تعالى فى الخلوات ومن الانس به الانس بالعلماء والتقرب من الاولياء وارتفاع الوحشة بمجالسة أهل الخير وسعة الصدر

والروح

قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالس اذ رأيته ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له فيم تضحك يارسول الله قال رجلان من أمتى جثيا بين يدى ربى عزوجل فقال أحدهما يارب خذلى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى اعط أخاك مظلمته فقال يارب مابقى من حسناتى شئ فقال يارب فليحمل من أوزارى وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم يحتاج فيه الناس الى ان تحمل عنهم أوزارهم ثم قال قال تعالى للطالب بحقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فرفع رأسه فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة فقال لمن هذا يارب فقال لمن أعطانى ثمنه قال ومن يملك ذلك يارب قال أنت قال بماذا قال بعفوك عن أخيك قال يارب فانى قد عفوت عنه قال خذ بيد أخيك فادخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا الله واصلحوا ذات بينكم قال القرطبى وهذا لبعض الناس ممن أراد الله ان يعفو عنه انتهى اعلم أن الناس بعد السؤال منهم من لاحسنة له فتلقطهم عنق النار ومنهم من لاسيئة له فيسرحون الى الجنة ومنهم من خلط عملا صالحا وآخر سيئا وهم الاكثرون فتعدل فى حقهم بالميزان

والروح عندهم ومن الرجاء سقوط ثقل المعاونة على البر والتقوى لوجود حلاوة الاعمال والمسارعة اليها والحث لاهلها عليها والحزن على فوتها والفرح بدركها ومن ذلك الخبر المأثور من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن والخبر المأثور خيار أمتي الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا لان المؤمن على يقين من أمره وبصيرة من دينه والخوف والرجاء وصف الموقن بالله تعالى فهو اذا عمل حسنة أيقن بثوابها لصدق الوعد وكرم الموعد واذا عمل سيئة أيقن بالكراهة لها وخاف المقت عليها لخوف الوعيد وعظمة المتوعد من قبل ان دخوله في الطاعة دخول في محبة الله تعالى ومرضاته لما دل العلم عليه فهذا رضا الله سبحانه وتعالى في الدنيا فكيف لا يسره رضاه ومن قبل ان دخوله في المعصية دخول في غضب الله تعالى ومكارهه بما دل العلم عليه فذلك الذي يسوءه لان مقت الله تعالى اليوم معاصيه وسخطه غدا تعذيبه ومن هذا قول الله عز وجل وهو أصدق القائلين ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم قال لما نظروا الى أنفسهم بتشويه خلقهم في النار مقتوها فنودوا لمقت الله في الدنيا على معاصيه أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم في العذاب كما أن رضاه غدا تنعيمهم في جنته كذلك رضاه اليوم عملهم بطاعته ومرضاته وهذا وصف عبد مراد مكاشف بعلم اليقين ومن هذا حديث زيد الخيل اذ قال للنبي صلى الله عليه وسلم جئتك أسألك عن علامة الله تعالى فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت فقال أصبحت أحب الخير وأهله واذا قدرت على شئ منه سارعت اليه وأيقنت بثوابه واذا فاتني شئ منه حزنت عليه وحننت اليه فقال صلى الله عليه وسلم هذه علامة الله تعالى فيمن يريد ولو أرادك للاخرى هيأك لها ثم لم يبال في أي أوديتها هلكت ومن الرجاء التلذذ بدوام حسن الاقبال والتنعم بمناجاة ذي الجلال وحسن الاصغاء الى محادثة القريب والتلطف في التملق للحبيب وحسن الظن به في العفو الجميل ومنال الفضل الجزيل وقال بعض العارفين للتوحيد نور وللشرك نار ونور التوحيد أحرق لسيئات المؤمن من نار الشرك لحسنات المشرك ولما احتضر سليمان التيمي قال لابنه يا بني حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله تعالى على حسن الظن به وكذلك لما احتضر سفيان الثوري رضي الله عنه الوفاة جعل العلماء حوله يرجونه وحدثنا عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه انه قال لابنه عند الموت اذكر لي الاخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن فلولا أن الرجاء وحسن الظن من فواضل المقامات ما طلبه العلماء في آخر الاوقات عند فراق العمر ولقاء المولى لتكون الخاتمة به وهم يسألون الله حسن الخاتمة طول الحياة ولذلك قيل ان الخوف أفضل ما دام حيا فاذا حضر الموت فالرجاء أفضل وقد كان يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى يقول في مقامات الرجاء اذا كان توحيد ساعة يحبط ذنوب خمسين سنة فتوحيد خمسين سنة ماذا يصنع بالذنوب وقال أبو محمد سهل رضي الله عنه لا يصح الخوف الا لاهل الرجاء وقال مرة العلماء مقطوعون الا الخائفين والخائفون مقطوعون الا الراجين وكان يجعل الرجاء مقاما في المحبة وهو عند العلماء أول مقامات المحبة ثم يعلو في الحب على قدر ارتفاعه في الرجاء وحسن الظن وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث في الرجاء لا يصلح ذكرها للعموم الناس ولكن نذكر من ذلك ما ظهر خلق الله تعالى لجهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله عز وجل به عباده الى الجنة وخبرا آخر يقول الله تعالى انما خلقت الخلق ليربحوا علي ولم أخلقهم لاربح عليهم وفي حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلق الله تعالى شيأ الا جعل له ما يغلبه وجعل رحمته تغلب غضبه والخبر المشهور ان الله تعالى كتب على نفسه قبل أن يخلق الخلق ان رحمتي تغلب غضبي والاخبار المشهورة عن معاذ بن جبل وأنس بن مالك رضي الله عنهما من قال لا اله الا الله دخل الجنة ومن كان آخر كلامه قول لا اله الا الله لم تمسه النار ومن لقي الله تعالى لا يشرك به شيأ حرمت عليه النار ولا يدخل النار من في قلبه وزن ذرة من ايمان وقد قال في خبر آخر لو يعلم الكافر سعة رحمة الله تعالى ما ايس من رحمته أحد وقد قال الله تعالى في حسن عفوه عن أكبر الكبائر

ليعرفهم ان الغالب حسناتهم أو سيئاتهم فيتطاير الصحف وينصب الميزان ويشخص الابصار الى الكتب أتقع في اليمين أم في الشمال ثم الى لسان الميزان أيميل الى جانب السيئات أم الحسنات وهذه حالة هائلة فيها تطيش عقول الخلق فمن رجحت سيئاته أخذت الزبانية بناصيته وأهوى بها في النار واعلم انه لا ينجو من خطر الميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان الشرع أعماله وأحواله وخطراته في جميع لحظاته وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن كل معصية توبة نصوحا ويتدارك في طاعة الله ويرد المظالم حبة حبة ويستحل كل من آذاه بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وان مات قبل رد المظالم أحاطت به خصماؤه فهذا يأخذ بيده وهذا بعضده وهذا يقبض بناصيته وكل أحد يتعلق به ويذكر مظلمته فيقول هذا شتمني ويقول الآخر استهزأ بي ويقول الآخر اغتابني والآخر أساء جواري والآخر غشني في المعاملة والآخر طفف على المكيال والميزان والآخر قد أخذ مني الربا

بعد ظهور الآيات ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وقال في خطاب لطيف لاوليائه يعرفهم نفاذ أحكامه فيهم وجريان مشيئته عليهم فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم عزيز لا يوصل اليه الا به حكيم حكم بمشيئته على عباده ثم يغفر الذنوب جميعا فلا يبالي كما أجرى على من فضله على العالمين مقالة الكافرين فلم يضرهم مع تفضيله لهم اذ قالوا لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم آلهة فقال أغير الله أبغيكم الها وهو فضلكم على العالمين وبهذا المعنى عارض على كرم الله وجهه رأس الجالوت لما قال له لم تلبثوا بعد نبيكم عليه السلام الا ثلاثين سنة حتى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف فقال على كرم الله وجهه أنتم لم تجف أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم و ينفرهم وقال في حديث آخر بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا ولما وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا الحديث فهبط جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول لم تقنط عبادي فخرج اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجاهم وشوقهم ولما تلا الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الآية ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال أتدرون أي يوم هذا يوم يقال لآدم عليه السلام قم فابعث نصيب النار من ذريتك فقال كم قيل من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة قال فبكوا يومهم ذلك وتركوا الاشغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما بالكم أنتم في الامم مثل شعرة بيضاء في جلد ثور اسود والخبر المشهور لو لم تذنبوا الخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وفي لفظ آخر لذهب بكم وجاء بقوم يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم أي ان وصفه سبحانه وتعالى المغفرة والرحمة فلا بد أن يخلق مقتضى وصفه حتى يحق وصفه عليهم هذا كما يقول في علم المعرفة ان له سبحانه وتعالى من كل اسم وصفا ومن كل وصف فعل وفي هذا سر المعرفة ومنه معرفة الخصوص وحكى لنا معناه عن ابراهيم بن ادهم رضي الله عنه قال خلا لي الطواف ذات ليلة وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يارب اعصمني حتى لا أعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا ابراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون ذلك فاذا اعصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وكان الحسن البصري رضي الله عنه يقول لو لم يذنب المؤمن لكان يطير طيرا ولكن الله تعالى قمعه بالذنوب وفي الخبر مثله لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو شر من الذنوب قيل وما هو قال العجب ولعمري ان العجب من صفات النفس المتكبرة وهو يحبط الاعمال وهو من كبائر أعمال القلوب والذنوب من أخلاق النفس الشهوانية ولان يبتلى العبد الشهواني بعشر شهوات من شهوات النفس خير له من أن يبتلى بصفة من صفات النفس مثل الكبر والعجب والبغي والحسد وحب المدح وطلب الذكر لان هذه منها معاني صفات الربوبية ومنها أخلاق الابالسة وبها هلك ابليس وشهوات النفس من وصف الخلقة وبها عصى آدم ربه فاجتباه بعدها وتاب عليه وهدى وقد قال بشر بن الحرث سكون النفس الى المدح أضر عليها من المعاصي ورأى يوسف بن الحسين مخنثا فأعرض عنه ازراء عليه فالتفت اليه المخنث وقال وأنت أيضا يكفيك ما بك ففزع من قوله فقال وأي شئ تعلم قال لان عندك انك خير مني فاعترف يوسف بقوله فتاب واستغفر وكان بعض الراجين من العارفين اذا تلا هذه الآية آية الدين التي في سورة البقرة يسر بذلك ويستبشر لها ويعظم رجاؤه عندها فقيل له في ذلك انها ليس فيها رجاء ولا ما يوجب الاستبشار فقال بلى فيها رجاء عظيم قيل وكيف ذلك فقال ان الدنيا كلها قليل ورزق الانسان فيها قليل من قليل وهذا الدين من رزقه قليل ثم ان الله تبارك وتعالى احتاط في ذلك ورفق النظر لي بان وكد ديني بالشهود والكتاب وأنزل فيه أطول آية في كتابه ولو فاتني ذلك لم أبال به فكيف يكون فعله بي في الآخرة التي لا عوض لي من نفسي فيها وكذلك كان بعض الراجين يفهم من قوله تعالى اذا تلا وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون يرجو من

والآخر قد أخذ مني المكس والآخر وجدني مظلوما فداهن الظالم مع القدرة ويذكر كل ناظلم فيه حتى شكوته عمن يضربه ولو معلمه ويقول الآخر وجدني محتاجا فلم يسد حاجتي الى غير ذلك مما لا يكاد ينحصر فبينما أنت كذلك مبهوت متحير من كثرتهم وقد ضعفت عن المقاومة ورجوت ان يخلصك مولاك من أيديهم اذ سمعت نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار فعند ذلك يؤخذ حسناتك التي تعبت فيها عمرك وتنقل الى خصمائك وان فنيت حسناتك قبل ان يقضى ما عليك حملت من أوزارهم وطرحت في النار فكيف أنت يا مسكين في يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت الى صحيفة خصمائك وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك فتقول هذه سيئات ما قارفتها فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة وسائر أصناف المعاملة

شعر

ذلك بوادى الجود والكرم والاحسان مما لم يحسبه فى الدنيا قط وقد كان الجنيد رحمه الله يقول ان بدت عين من الكرم ألحقت المسيئين بالمحسنين وعلى ذلك جاء فى الخبر ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد حتى ان ابليس يتطاول رجاء ان تصيبه وفى الخبر ان لله تعالى تسعا وتسعين رحمة أظهر منها فى الدنيا رحمة واحدة بها يتراحم الخلائق فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة الى تلك التسعة والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والارضين قال فلا يهلك على الله تعالى الا هالك وقد قال بعض العلماء ان الله تعالى اذا غفر لعبد فى موقف القيامة ذنبا غفر ذلك الذنب لكل من عمله وقال النبى صلى الله عليه وسلم اعملوا وأبشروا واعلموا ان أحدا لن ينجيه عمله وفى الحديث الآخر ما منكم من أحد يدخله عمله الجنة ولا ينجيه من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله تعالى برحمة وفضل وروى عنه صلى الله عليه وسلم انى اختبأت شفاعتى لاهل الكبائر من أمتى وفى لفظ آخر أترونها للمصفين المتقين بل هى للمخلصين المتلوثين وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ وأبى موسى رضى الله عنهما وقد بعثهما واليين على اليمن فأوصاهما فيما أمرهما به فقال يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا فعلم المؤمنين بكرم الله تعالى وخفى لطفه ولطيف منه لا يقعدهم عن تأميله ولا يقصر بهم عن رجائه ولا حسن ظنهم به ولا يقوى الخوف فيخرجهم الى الاياس من رحمته لاجل علمهم بجبريته وكبريائه من قبل ان المهوب هو المحبوب فمحبته تؤنسهم وترجيهم وهيبته تزعجهم وتخفيهم تخوفهم فى المهابة فى لذاذة ونعيمهم بالحب فى مهابة فهم فى مقام الخوف والمحبة معتدلون وبقوة العلم بهما متمكنون وفى مشاهدة المخوف والمحبوب مستقيمون وهذا المقام هو وصف العارفين من الموقنين وهم أهل كمال الايمان وصفوة خصوص ذوى الايقان اذ قد عرفوا ان الله تبارك وتعالى كامل فى صفاته لا يعتريه نقصان فى وصف دون وصف وانما الرحمة لسعة العلم كما العلم لسعة القدرة لما شهدوا من وصفه بما سمعوا من كلامه انه كان عليما قديرا كذلك قال تعالى وسعت كل شئ رحمة وعلما وكذلك فهموا من قوله تعالى ورحمتى وسعت كل شئ فدخلت جهنم وغيرها فى توسعة الرحمة من حيث كن شيأ وقوله عز وجل فسأكتبها للذين يتقون معناه خصوص الرحمة ووصفها لا كنهها اذ لا نهاية للرحمة لانها صفة الراحم الذى لا حد له ولانه لم يخرج من رحمته شئ كما لم يخرج من حكمته وقدرته شئ لان جهنم والنار الكبرى وغيرهما ليس كنه عذابه ولا كلية تعذيبه فمن ظن ذلك به لم يعرفه ولانه لما أظهر من عذابه مقدار طاقة الخلق كما انه أظهر من ملكه ونعمه مقدار مصالح الخلق وما لا يصلح للخلق ولا يطيقون اظهاره أكثر مما أظهر من النعيم والعذاب بل لا ينبغى لهم أن يعرفوا فوق ما أبدى لان نهاية تعذيبه وتنعيمه من نهاية ملكه الذى هو قائم به وملكه عن غاية قدرته وسلطانه ولا نهاية لذلك ولا يطيق الخلق كله اظهار ذلك وذلك أيضا عن تعالى صفاته وبهاء أسمائه المتناهيات ولا سبيل الى كشف ذلك من الغيوب فسبحان من لا نهاية لقدرته ولا حد لعظمته ولا أمد لسلطانه وكذلك شهدوا ما سمعوا من قوله عز وجل انه كان حليما غفورا وكان الله عليما حليما فعلموا ان المغفرة على سعة الحلم كما ان الحلم سعة العلم فلما رأوا عظيم حلمه رجوا عظيم مغفرته ولما شهدوا كثيف ستره أملوا جميل عفوه وكذلك يقال ان حملة العرش يتجاوبون بأصوات سبحانك على حلمك بعد علمك سبحانك على عفوك بعد قدرتك فللراجين من العارفين فهوم من السمع للكلام نحو علو نظرهم عن سمو علومهم بمعانى الصفات وكل صاحب مقام يشهد من مقامه ويسمع من حيث شهادته فأعلاهم شهادة الصديقون ثم الشهداء ثم الصالحون ثم خصوص المؤمنين فبه تبارك وتعالى استدلوا عليه ومنه اليه نظروا هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وكان سهل رضى الله عنه يقول المحسن يعيش فى سعة الرحمة والمسئ يعيش فى سعة الحلم وصفاته تبارك وتعالى كاملات فمن شهد ترجيح بعضها على بعض دخل عليه النقص من مشاهدته لقصور علمه عن تمام علم من فوقه من الشهداء ولاجل مقامه المراد به دون

أيا من أضاع العمر فى غفلة * ولم ينل من فعل خير مناه
بادر الى التوبة من قبل ان تعدم والله سبيل النجاة
واستحلل الاخوان من كل ما آذيتهم من قبل تأتى الوفاة
وازرع ليوم البعث زرع البقا لعل ان ينمو وتجنى جناه
وان تخف من قبح ذنب مضى * فلذ بمن تاوى اليه العصاة
محمد المختار خير الورى * من طبق الارض جميعا شذاه
صلى عليه الله ما أشرقت * شمس وما حنت اليه الحداة

الهى ان سألتنى حجة لم يكن لى حجة وان تحرقنى لم يكن لى طاقة فاعف عنا وعن أحبابنا بمحض فضلك وكرمك آمين يا مجيب دعوة المضطرين

(فصل فى الصراط)

اعلم ان الناس بعد الاهوال يساقون الى الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر خم عن حذيفة وأبى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل أخرجكم من الجنة الا خطيئة أبيكم لست بصاحب ذلك اذهبوا الى ابراهيم خليل الله قال فيقول ابراهيم لست بصاحب ذلك انما كنت خليلا من وراء وراء

طريق الصدّيقين من الاقوياء فعاد ذلك على العبد فصار ذلك مقاماله فى القرب والبعد تعالى وصف المشهود عن النقصان والحدوث مثل الرجاء من الخوف مثل الرخصة فى الدين من العزائم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه وفى لفظ آخر أبلغ من هذا وكذا ان الله يحب أن يقبل رخصه كما يكره أن يؤتى معاصيه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض الى نفسك عبادة الله تعالى وخير الدين أيسره وقال هلك المتعمقون هلك المتنطعون وقال عليه الصلاة والسلام بعثت بالحنيفية السهلة السمحة وقال صلى الله عليه وسلم أحب أن يعلم أهل الكتاب ان فى ديننا سماحة وقال الله عز وجل ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم واستجاب للمؤمنين فى قولهم ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا فقال عز وجل قد فعلت فهذه العلوم هى أسباب قوة الرجاء فى أولى الالباب كيف وقد جاء ما يغلب حكم الرجاء من غير اغترار ماروى عن الله تعالى أنا الى الرحمة والعفو أقرب منى الى العقوبة وفى الخبر اذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بما يفزعهم ويشق عليهم وفى كلام لعلى رضى الله عنه انما العالم الذى لا يقنط الناس من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم مكر الله تعالى وأوحى الله سبحانه وتعالى الى داود عليه السلام مالك وحدانيا قال عاديت الخلق فيك قال أما علمت ان محبتى ان تعطف على عبادى وتأخذ عليهم بالفضل هنالك أكتبك من أوليائى وأحبابى ولا تنظر الى عبيدى نظرة جفاء ولا قسوة فاذا أنت قد أبطلت أجرك فاحفظ عنى ثلاثا خالص حبيبى مخالصة وخالف أهل الدنيا مخالفة ودينك فقلد نيه وعن داود وغيره من الانبياء عليهم الصلاة والسلام أحبنى وأحب من يحبنى وحببنى الى خلقى قال يارب هذا أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك الى خلقك فقال عز وجل اذكرنى بالحسن الجميل واذكر آلائى واحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون منى الا الجميل وروى عن يزيد الرقاشى عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الا أخبركم عن أقوام ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء بمنازلهم من الله تعالى على منابر من نور يعرفون عليها قالوا من هم قال الذين يحببون عباد الله الى الله تعالى ويحببون الله عز وجل الى عباده ويمشون فى الارض نصحاء فقلنا هذا أحببوا الله الى عباده فكيف يحببون عباد الله الى الله قال يأمرونهم بما يحب الله وينهونهم عما حرم الله فاذا أطاعوهم أحبهم الله وروى أبان بن عياش فى النوم بعد موته وكان من أكثر الناس حديثا بالرخص وأبواب الرجاء فقال أوقفنى ربى عز وجل بين يديه فقال ما حملك على ان حدثت عنى بما حدثت به من الرخص قال فقلت يارب أردت أن أحببك الى خلقك قال قد غفرت لك وحدثت عن مالك بن دينار انه لقى أبانا فقال الى كم تحدث للناس بالرخص فقال يا أبا يحيى انى لأرجو أن ترى من عفو الله تعالى يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرح وفى حديث ربعى بن حراش عن أخيه وكان من خيار التابعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات أخى سجى بثوبه وألقيناه على نعشه فكشف الثوب عن وجهه واستوى قاعدا وقال انى لقيت ربى عز وجل فحيانى بروح وريحان ورب غير غضبان وانى رأيت الامر أيسر مما تظنون ولا تغتروا فان محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظرنى وأصحابه حتى أرجع اليهم قال ثم طرح نفسه فكأنها كانت حصاة وقعت فى طست فحملناه فدفناه وقال بكر بن سليمان دخلنا على مالك رحمه الله تعالى فى العشية التى قبض فيها فقلنا كيف تجدك قال ما أدرى ما أقول لكم الا أنكم ستعاينون غدا من عفو الله تعالى ما لم يكن لكم فى حساب قال فما برحنا حتى أغمضناه ودفناه وروى يحيى بن أكثم فى النوم فقيل ما فعل الله تعالى بك فقال أوقفنى بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذنى من الرعب والفزع ما يعلم الله تعالى ثم قلت يارب ماهكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى فقلت حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهرى عن أنس بن مالك عن نبيك صلى الله عليه وسلم عنك انك قلت تباركت وتعاليت أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء وقد كنت أظن بك أن لا تعذبنى فقال عز وجل صدق نبيى وصدق أنس وصدق الزهرى وصدق معمر

وصدق

اعبدوا الى موسى الذى كلمه الله تكليما فيأتون الى موسى عليه السلام فيقول لست بصاحب ذلك اذهبوا الى عيسى عليه السلام كلمة الله وروحه فيقول لست بصاحب ذلك فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيقوم فيؤذن له وترسل الامانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا فيمر أولهم كالبرق قال قلت بابى أنت وأمى أى شئ كالبرق قال ألم تروا الى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين ثم كمر الريح ثم كمر الطير وشد الرحال تجرى بهم أعمالهم ونبيكم صلى الله عليه وسلم قائم على الصراط يقول يارب سلم سلم حتى يعجز أعمال العباد حتى يجئ الرجل ولا يستطيع السير الا زحفا قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من مرت به فمخدوش ناج ومكردس فى النار والذى نفس أبى هريرة بيده ان قعر جهنم لسبعون خريفا قال فى حياة الحيوان روى الدارقطنى والبيهقى وشيخه الحاكم وشيخه ابن عدى عن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى محفل أصحابه اذ جاء اعرابى من بنى سليم قد صاد ضبا وجعله فى كمه ليذهب به الى رحله فرأى جماعة فقال علام هؤلاء الجماعة فقالوا على هذا فاتى فقال يا محمد

صدق عبد الرزاق وصدقت قال فغلقت وخلع على وألبست ومشى بين يدى الولدان الى الجنة فقلت
لها من فرحة وفى الخبران رجلا من بنى اسرائيل كان يشدد على الناس و يقنطهم من رحمة الله تعالى
يقول الله تعالى له يوم القيامة اليوم أؤيسك من رحمتى كما كنت تقنط عبادى منها وفى الحديث ان
جلين تواخيا فى الله تعالى من بنى اسرائيل فكان أحدهما عابدا والآخر مسرفا على نفسه فكان هذا
عابد ينهاه و يزجره فيقول له دعنى وربى أبعثت على رقيبا حتى رآه ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر
ه لك قال فيقول الله تعالى له يوم القيامة أتستطيع ان تحظر رحمتى على عبادى اذهب فقد غفرت لك ثم قال
عابد وأنت فقد أوجبت لك النار قال فوالذى نفسى بيده لقد تكلم بكلمة أهلكت دنياه وآخرته وروينا
معناه ان لصا كان يقطع الطريق أربعين سنة فى بنى اسرائيل فمر عليه عيسى عليه السلام وخلفه عابد من
ياد بنى اسرائيل من الحواريين فقال اللص فى نفسه هذا نبى الله يمر والى جنبه حواريه لو نزلت فكنت معهما
لثا قال فنزل فجعل يريد أن يدنو من الحوارى و يزدرى نفسه تعظيما للحوارى و يقول فى نفسه مثلى لا يمشى
ى جنب هذا العابد قال وأحس به الحوارى فقال فى نفسه هذا يمشى الى جانبى قال فضم نفسه وتقدم الى
يسى عليه السلام فمشى الى جانبه فبقى اللص خلفه قال فأوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام قل لهما
ستأنفان العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لعجبه بنفسه وأما
آخر فقد أحبطت سيآته بما ازدرى على نفسه قال فاخبرهما بذلك وضم اللص اليه فى سياحته وجعله
ن حواريه وروينا عن مسروق بن الاجدع ان نبيا من الانبياء كان ساجدا فوطئ بعض العتاة على عنقه
تى الزق الحصى بجبهته قال فرفع النبى عليه السلام رأسه مغضبا فقال اذهب فلن يغفر الله لك قال فأوحى
ه تعالى اليه تتألى على فى عبادى انى قد غفرت له قال ابن عباس رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه
لم يقنت يدعو على المشركين و يلعنهم فى صلاته فنزلت ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم الى قوله
س لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم قال فترك الدعاء عليهم قال فهدى الله تعالى عامة أولئك
ى الاسلام والاخبار فيما يوجب الرجاء وحسن الظن أكثر من أن تجمع ولم نقصد جمعها وانما دللنا بقليل
ى كثير ونبهنا عقول ذوى التبصير وقد قال الله سبحانه وتعالى يا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فنبه
عبد مع غرته على كرمه وذكره مع جهله حسن تسويته اياه بتعديله يدل على نعمته وروينا عن الضحاك
ى العبد ليدنو من ربه تبارك وتعالى عند العرض فيقول عبدى أتحصى عملك فيقول الهى كيف أحصيه
ن دونك وأنت الحافظ للاشياء فيذكره الله تعالى جميع ذنوبه فى الدنيا فى ساعاتها فيقول أنت عبدى فقر
اعرفتك رذكرتك فيقول نعم سيدى فيقول الله سبحانه أنا الذى سترتها عليك فى الدنيا فلم أجعل للذنوب
يحة توجد منك ولم أجعل فى وجهك شينها وأنا أغفرها لك اليوم على ما كان منك بايمانك بى وتصديقك
رسلين وروينا عن محمد بن الحنفية عن أبيه على كرم الله وجهه قال لما نزلت هذه الآية على رسول
ه صلى الله عليه وسلم فاصفح الصفح الجميل قال يا جبريل وما الصفح الجميل قال يا محمد اذا عفوت عمن ظلمك فلا
ماتبه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل فالله مع كرمه تعالى أولى أن لا يعاتب من عفا عنه قال
كى جبريل وبكى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث الله عز وجل اليهما ميكائيل فقال ان ربكما يقرئكما السلام
يقول لكما كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ما لا يشبه كرمى ومن الرجاء شدة الشوق الى ما شوق اليه
كريم وسرعة التنافس فى كل نفس ندب اليه الرحيم فأما الرجاء الذى هو همة جلة الناس من الاقامة
المعاصى والاثم مالك فى الخطايا وهو يرجو المغفرة و ينتظر الكرامة فليس هذا برجاء عند العلماء لان
جاء مقام من اليقين وليس هذا وصف الموقنين لان هذا اسمه هو اغترار بالله تعالى وغفلة عن الله تعالى
جهل بأحكام الله تعالى وقد تهدد الله تعالى قوما ظنوا مثل هذا وأصروا على حب الدنيا والرضا بها وتمنوا
مغفرة على ذلك فسماهم خلفا والخلف الردىء من الناس وتوعدهم بشديد الباس فى قوله عز وجل فخلف

ما شملت النساء على ذى لهجة أكذب منك فلولا ان تسمينى العرب عجولا لقتلتك فسررت بقتلك الناس أجمعين فقال عمر يا رسول الله دعنى أقتله فقال صلى الله عليه وسلم أما علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم أقبل الاعرابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لما آمنت بك أو يؤمن بك هذا الضب وأخرج الضب من كمه فطرحه بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان آمن بك آمنت فقال صلى الله عليه وسلم يا ضب فكلمه الضب بلسان فصيح عربى مبين صريح يفهمه القوم جميعا لبيك وسعديك يا رسول الله رب العالمين فقال صلى الله عليه وسلم من تعبد قال الذى فى السماء عرشه وفى الارض سلطانه وفى البحر سبيله وفى الجنة رحمته وفى النار عذابه قال فمن أنا يا ضب قال أنت رسول رب العالمين وخاتم النبيين قد أفلح من صدقك وقد خاب من كذبك فقال الاعرابى أشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا لقد أتيتك وما على وجه الارض أحد أبغض الى منك والله لأنت الساعة أحب الى من نفسى ومن ولدى فقد آمن بك شعرى وبشرى وداخلى وخارجى وسرى وعلانيتى فقال له رسول الله صلى الله

من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفر لنا والاخبار فى حقيقة الرجاء تزيد المغترين اغترارا وتزيد المستدرجين بالستر والنعيم خسارا وهى مزيد للتوابين الصادقين وقرة عين المحبين المخلصين وسرور لاهل الكرم والحياء وروح وارتياح لذوى العصمة والوفاء ينتفع به و يشتد عنده حياؤهم ويروح به كروبهم وترتاح اليه عقولهم فهؤلاء يستخرج منهم الرجاء وحسن الظن من العبادات مالا يستروحه الخوف اذ المخاوف تقطع عن أكثر المعاملات فصار الرجاء طريقة لاهله وصاروا ناجين به كما قال عمر رضى الله عنه رحم الله صهيبا لو لم يخف الله تعالى لم يعصه أى يترك المعاصى للرجاء لا للخوف فصار الرجاء طريقه فهؤلاء هم الراجون حقا وهذه علامتهم ولمثل هذا ذكرنا الاسباب التى توجب الرجاء وتولد حسن الظن فى قلوب أهل الصفاء ومن الرجاء تحسين الاخلاق مع الخلق وجميل الصبر عليهم وحسن الصفح ولطيف المداراة لهم تقربا الى الله عز وجل بذلك وتخلقا باخلاقه رجاء ثوابه وطمعا فى تنجيز وعده واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن الرجاء ترك الاهواء الرديئة والشهوات المطغية و يحتسب فى ذلك على الله نفيس الذخائر العالية فقد روينا عن حميد عن أنس قال مقابل عرش الرحمن غرفة يرسل اليها جبريل عليه السلام فاذا انتهى اليها خر لله ساجدا ثم يقول يارب لمن خلقت هذه لاى نبى لاى صديق لاى شهيد قال فيرد عليه عز وجل لمن آثر هواى على هواه ومن الرجاء فتعال الطاعات وحسن الموافقات ينوى بها و يسأل مولاه الكريم عظيم الرغائب وجليل المواهب لما وهب له من حسن الظن به كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سألتم الله تعالى فاعظموا الرغبة وسلوه الفردوس الاعلى فان الله عز وجل لا يتعاظمه شئ وفى حديث آخر فاكثروا وسلوا الدرجات العلى فانما تسألون جوادا كريما وفى الآثار رجلين كانا من العابدين متساويين فى العبادة فاذا دخلا الجنة رفع أحدهما فى الدرجات العلى على صاحبه فيقول الآخر يارب ما كان هذا فى الدنيا بأكثر عبادة لك منى فرفعته على فى عليين فيقول الله سبحانه وتعالى انه كان يسألنى فى الدنيا الدرجات العلى وكنت أنت تسألنى النجاة من النار فأعطيت كل عبد سؤله وروينا فى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يخرج من النار فيوقف بين يدى الله تعالى فيقول له كيف وجدت مكانك فيقول يارب شر مكان فيقول ردوه الى مكانه قال فيمشى و يلتفت الى ورائه فيقول الله عز وجل الى أى معنى تلفت فيقول له يارب قد رجوت ان لا تعيدنى اليها بعد اذ اخرجتنى منها فيقول تعالى اذهبوا به الى الجنة فقد صار الرجاء طريقه الى الجنة كما كان الخوف طريق صاحبه فى الدنيا اليها كما روينا ان الآخر سعى مبادرا الى النار لما قال ردوه فقيل له فى ذلك فقال لقد ذقت من وبال معصيتك فى الدنيا ماخفت من عذابه فى الآخرة فقيل اصرفوه الى الجنة وقال الله سبحانه فى وصف قوم أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب و يرجون رحمته و يخافون عذابه فطرق لاوليائه من القرب والوسيلة الرجاء كما طرق الخوف منه اليها وهذا أحد الوجهين فى الآية لمن لم يجعله وصفا للاصنام لانها قرئت بالتاء تدعون قرأها طلحة بن مصرف فكذلك ندب المؤمنين الى طلب القرب منه فى قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة فهذه جملة أحكام الرجاء وأوصاف الراجين فمن تحقق بجميعها فقد استحق درجات أهل الرجاء وهو عند الله تعالى من المقربين ومن كان فيه وصف من هذه الاوصاف فله مقام من الرجاء واعلم أن مقامات اليقين لا يزيل بعضها بعضا ولكن يندرج بعضها فى بعض فمن غلب عليه حال مشاهدته وصف بما غلب عليه واستمر بما سوى ذلك من المقامات فيه ومن عمل بشرط مقام منها وقام بحكم الله تعالى فيه نقل الى ماسواه وكان المقام الاول له علما والثانى الذى أقيم فيه له وجدا اذ كتم الوجد لانه سره وعبر عن العلم لانه قد جاوزه فصار له علانية ومقام الرجاء هو جند من جنود الله عز وجل يستخرج من بعض العباد مالا يستخرج غيره لان بعض القلوب تلين وتستجيب عن مشاهدة الكرم والاحسان وتقبل وتطمئن بمعاملة النعم والاحسان مالا يوجد ذلك منها عند التخويف والترهيب بل قد يقطعها ذلك

عليه وسلم الحمد لله الذى هدانى الى هذا الدين الذى يعلو ولا يعلى ولا يقبله الله الا بصلاة ولا تقبل الصلاة الا بقرآن قال فعلمنى فعلمه النبى صلى الله عليه وسلم سورة الحمد وقل هو الله أحد وقال يارسول الله ما سمعت فى البسيط ولا فى الوجيز أحسن من هذا قال صلى الله عليه وسلم ان هذا كلام رب العالمين وليس بشعر اذا قرأت قل هو الله فكأنما قرأت ثلث القرآن وان قرأتها مرتين فكأنما قرأت ثلثى القرآن وان قرأتها ثلاثا فكأنما قرأت القرآن كله فقال الاعرابى الهنا يقبل اليسير و يعطى الكثير ثم قال له النبى صلى الله عليه وسلم ألك مال فقال مافى بنى سليم قاطبة رجل أفقر منى فقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه أعطوه فاعطوه حتى أبطروه وقال عبد الرحمن بن عوف يارسول الله انى أعطيته ناقة عشراء تلحق ولا تلحق أهديت الى يوم تبوك فقال صلى الله عليه وسلم قد وصفت ما تعطى واصف لك ما يعطيك الله جزاء قال نعم قال لك ناقة من درة جوفاء قوائمها من زمرد أخضر وعيناها من زبرجد أخضر عليها هودج وعلى الهودج السندس والاستبرق تمر بك على الصراط كالبرق الخاطف فخرج الاعرابى من عند رسول الله صلى الله

ويوحشها

و يوحشها اذ قد جعل الرجاء طريقها فوجدت فيه قلوبها ومثل الرجاء فى الاحوال مثل العوافى والغنى فى الانسان من الناس من يقبل قلبه و يجتمع همه عند هما و يوجد نشاطه و تحسن معاملته بهما كما روينا عن الله سبحانه وتعالى ان من عبادى من لا يصلحه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك ومن عبادى من لا يصلحه الا الصحة ولو أسقمته لافسده ذلك انى أدبر عبادى بعلمى انى بهم خبير فكذلك من عبادى من لا يصلحه الا الرجاء ولا يستقيم قلبه الا عليه ولا تحسن معاملته الا بوجود حسن الظن فهو طريقه اليه ومقامه منه ومنه علمه به وعنده يجد قلبه معه الا أنه وان كان طريقا يخرج الى الله عز وجل فان الخوف أقرب منه وما كان أقرب فهو أعلى كما أن الغنى والعوافى طريقان الى الله تعالى الا أن الفقر والبلاء عندى أقرب منهما وأعلى والله غالب على أمره وقد روينا عن معمر عن الحسن انه قال انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن وأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساء بالله الظن ولكن أكثر الناس لا يعلمون

(شرح مقام الخوف ووصف الخائفين وهو الخامس من مقامات اليقين)

قال الله عز وجل وما يعقلها الا العالمون فرفع العلم على العقل وجعله مقاما فيه وقد قال سبحانه وتعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فجعل الخشية مقاما فى العلم حققهم بها والخشية حال من مقام الخوف والخوف اسم لحقيقة التقوى والتقوى معنى جامع للعبادة وهى وصية الله تعالى للاولين والآخرين ينتظم هذين المعنيين قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون وقوله تعالى ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله وهذه الآية قطب القرآن مداره عليها والتقوى سبب أضافه تعالى اليه تشريفا له ومعنى وصلة به وأكرم عباده عليه تعظيما له فقال لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وقال ان أكرمكم عند الله أتقاكم وفى الخبر اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم يقول يا أيها الناس انى قد أنصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم هذا فانصتوا الى اليوم فانما هى أعمالكم ترد عليكم أيها الناس انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فوضعتم نسبى و رفعتم نسبكم قلت ان أكرمكم عند الله أتقاكم وأبيتم الا فلان بن فلان أغنى من فلان فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبى أين المتقون قال فينصب للقوم لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم فيدخلهم الجنة بغير حساب والخوف حال من مقام العلم وقد جمع الله تعالى للخائفين ما فرقه على المؤمنين وهو الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهذه جمل مقامات أهل الجنان فقال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال انما يخشى الله من عباده العلماء وقال جل ذكره رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وفى خبر موسى عليه السلام وأما الخائفون فلهم الرفيق الاعلى لا يشاركون فيه فافردهم من غير مشاركة بالرفيق الاعلى كما حققهم اليوم بشهادة التصديق وهذا مقام من النبوة فهم مع الانبياء فى المزية من قبل انهم ورثة الانبياء لانهم هم العلماء قال تعالى فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ثم قال تعالى فى وصف منازلهم وحسن أولئك رفيقا يعنى رفقاء عبر عن جماعتهم بالواحد لانهم كانوا كانهم واحد وقد يكون رفيقا مقاما فى الجنة من على عليين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عند الموت وقد خير بين البقاء فى الدنيا وبين القدوم على الله تعالى فقال اسألك الرفيق الاعلى وفى خبر موسى عليه السلام فاولئك لهم الرفيق الاعلى فدل انهم مع الانبياء بتفسير النبى صلى الله عليه وسلم لذلك وشرف مقامهم فوق كل مقام لطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فالخوف اسم جامع لحقيقة الايمان وهو علم الوجود والايقان وهو سبب اجتناب كل نهى ومفتاح كل أمر وليس شىء يحرق شهوات النفوس فيزيل آثارها فاتها الا مقام الخوف وقال أبو محمد سهل رحمه الله تعالى كمال الايمان العلم وكمال العلم الخوف وقال مرة العلم كسب الايمان والخوف كسب المعرفة وقال أبو الفيض المصرى لا يسقى المحب كأس المحبة الا من بعد ان ينضج الخوف قلبه وقال خوف النار عند خوف الفراق بمنزلة قطرة قطرت فى بحر لجى وكل مؤمن بالله تعالى خائف منه ولكن

عليه وسلم وفد لقاه ألف اعرابى على ألف دابة بألف سيف فقال لهم أين تريدون فقالوا نريد هذا الذى يكذب ويزعم انه نبى فقال الاعرابى أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقالوا له صبوت فحدثهم بحديثه فقالوا كلهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا يا رسول الله مرنا بأمرك فقال كونوا تحت راية خالد ابن الوليد فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألف غيرهم اعلم يا مسكين ان من استقام فى هذا العالم على الصراط المحمدى نجا ومن عدل عن الاستقامة فى الدنيا وأثقل ظهره بالاوزار زل بأول قدم من الصراط وتردى فتفكر الآن فيما يحل من الفزع بفؤادك اذا رأيت الصراط ودقته ثم أبصرت سواد جهنم من تحته ثم سمعت شهيق النار وتغيظها وقد كلفت أن تمشى على الصراط مع اضطراب قلبك وثقل ظهرك بالاوزار فكيف بك اذا وضعت احدى رجليك فأحسست بحدته واضطررت الى أن ترفع القدم الثانى والخلائق بين يديك يزلون و يتناولهم الزبانية بالخطاطيف والكلاليب وأنت تنظر اليهم ينتكسون فيتسفل الى جهة النار رؤسهم وتعلو أرجلهم فانظر الى حالك وأنت ترجف عليه وتصعد اليه تلتفت

خوفه على قدر قربه فخوف الاسلام اعتقاد العزة والجبرية لله تعالى وتسليم القدرة والسطوة له والتصديق لما أخبر به من عذابه وما تهدد به من عقابه وقال الفضيل بن عياض اذا قيل لك تخاف الله فاسكت لانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف من يخاف وشكا واعظ الى بعض الحكماء فقال الاترى الى هؤلاء أعظهم واذكرهم فلا يرقون فقال وكيف تنفع الموعظة من لم يكن فى قلبه لله تعالى مخافة وقد قال الله تعالى فى تصديق ذلك سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى أى يتجنب التذكرة الشقى فجعل من عدم الخوف شقيا وحرمه التذكرة فخوف عموم المؤمنين بظاهر القلب عن باطن العلم بالعقد وخوف خصوصهم وهم الموقنون بباطن القلب عن باطن العلم بالوجد فاما خوف اليقين فهو للصديقين من شهداء العارفين عن مشاهدتها آمن به من الصفات المخوفة وقد جاء فى خبر اذا دخل العبد فى قبره لم يبق شئ كان يخافه دون الله عز وجل الا مثل له يفزعه ويرعبه الى يوم القيامة فاول خوف اليقين الموصوف الذى هو نعت الموصوفين من المؤمنين المحاسبة للنفس فى كل وقت والمراقبة للرب فى كل حين والورع عن الاقدام على الشبهات من كل شئ من العلوم بغير يقين بها ومن الاعمال بغير فقه فيها وفى خبر موسى عليه السلام وأما الورعون فانه لا يبقى أحد الا ناقشته بالحساب وفتشته عما فى يديه الا الورعين فانى استحييهم وأجلهم ان أوقفهم للحساب فالورع حال من الخوف ثم كف الجوارح عن الشبهات وفضول الحلال من كل شئ بخشوع قلب ووجود اخبات وقال على كرم الله وجهه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ثم سجن اللسان وخزن الكلام لئلا يدخل فى دين الله عز وجل ولا فى العلم مالم يشرعه الله فى كتابه أو لم يذكره رسوله صلى الله عليه وسلم فى سنته أو لم ينطق به الأئمة من السلف فى سيرهم مما لم يكن أصله موجودا فى الكتاب والسنة وتسميته واضحة فى العلم فيجتنب ذلك كله ولا تقف ماليس لك به علم خوفا من المسائلة ولا يدخل فيه لدقيق هوى يدخل عليه ولا لعظيم حظ دنيا يدخل فيه وان ينصح نفسه لله تعالى لانها أولى الخلق ثم ينصح الخلق فى الله تعالى فيبتدئ بالنصح فى أمور الدين والآخرة ثم يعقبه فى أسباب الدنيا لان أمور الآخرة أهم والغش فى الدين أعظم والتزود للمنقلب آثر روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من غش أمتى فعليه لعنة الله قيل وما غش أمتك يارسول قال ان يبتدع لهم بدعة فيتبع عليها فاذا فعل ذلك فقد غشهم وغرة الخوف العلم بالله عز وجل والحياء من الله عز وجل وهو أعلى سر برز أهل المزيد يستبين أحكام ذلك فى معنيين هما جلة العبدان يحفظ رأسه وما حوى من السمع والبصر واللسان وان يحفظ بطنه وما وعاه وهو القلب والفرج واليد والرجل وهذا خوف العموم وهو أول الحياء فاما خوف الخصوص فهو ان لا يجمع مالا يأكل ولا يبنى مالا يسكن ولا يكاثر فيما عنه ينتقل ولا يغفل ولا يفرط عما اليه يرتحل وهذا هو الزهد وهو حياء مزيد أهل الحياء من تقوى أصحاب اليمين وقد روينا معنى ماذكرناه فى حديثين أحدهما عام والآخر خاص وكل من لم يستعمل قلبه فى بدايته ويجعل الخوف حشو ارادته لم ينجب فى خاتمته ولم يكن اماما للمتقين عند علو معرفته وأعلى الخوف ان يكون قلبه معلقا بخوف الخاتمة لا يسكن الى علم ولا عمل ولا يقطع على النجاة بشئ من العلوم وان علت ولا لسبب من أعماله وان جلت لعدم علمه تحقيق الخواتم فقد قيل انما الوزن من الاعمال خواتمها وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى يقال انه من أهل الجنة وفى خبر حتى ما يبقى بينه وبين الجنة الا شبر ثم يسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل أهل النار ولا يتأتى فى هذا المقدار من الوقت شئ من عمل الجسم بالجوارح انما هو من أعمال القلوب بمشاهدة العقول وهو شرك التوحيد الذى لم يكن متحققا به وشك فى اليقين الذى لم يكن فى الحياة الدنيا مشاهدا له فظهر له بيان ذلك عند كشف الغطاء فغلب عليه وصفه وبدت فيه حاله كما ظهر له أعماله السيئة يستحلها قلبه أو ينطق بها لسانه أو يخامرها وجده فتكون هى خاتمته التى تخرج عليها روحه وذلك فى سابقته التى سبقت له من الكتاب كما قال تعالى أولئك ينالهم نصيبهم

من

عيناوشمالا الى الخلق وهم يتهافترن فى النار والزعقات بالويل والثبور وقد ارتفعت البلمنى فغر جهنم لكثرة من زل عن الصراط فكيف بك لو زلت بك قدمك ولم ينفعك ندمك فناديت بالويل وقلت ياليتنى قدمت لحياتى وعند ذلك تخطفك النار والعياذ بالله فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع الكفار فى دركات جهنم وان كنت مؤمنا بها وبالاستعداد لها متهاونا فما أعظم حسراتك فطول فكرك فى هذه الاهوال ولا يحملك الا خوف يعقلك عن المعاصى ويحثك على الطاعة ولا ينفع رقة النساء وخوف الحمقى واذا سمعوا الاهوال سبق الى ألسنتهم الاستعاذة والبكاء وهم مع ذلك مصرون على المعاصى شعر

يانفس توبى الى مولاك واجتهدى
وصابرى فيه ايقانا برؤياه
يانفس من منقذى يوم الحساب غدا
سواه ومشهدى اياه الاهو
ومن لقلب اذا لج الغرام به
الا الذى جلة العشاق تهواه
فقم باشوقا اذا جن الظلام تجد
قوما سكارى نشاوى عند ذكراه
وكيف يبعدنى عن بابه والى
بحماه قد جئت أرجو طيب لقياه

من الكتاب تكون عند مفارقة الروح من الجسد وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وقد جاء في خبر حتى لا يبقى بينه وبين الجنة الا فواق ناقة فيختم له بعمل أهل النار وهذا يكون عند بلوغ الروح التراقي وتكون النفس قد خرجت من جميع الجسد واجتمعت في القلب الى الحلقوم فهذا هو شبر وفواق ناقة هو ما بين الحلبتين وقيل هو شوط من عدو هابين سيرين وهذا من تقلبات القلوب عند حقيقة وجهة التوحيد الى وجهة الضلال والشرك عندما يبدو له من زوال عقل الدنيا وذهاب علم المعقول فيبدو له من الله مالم يكن يحتسب وأكثر ما يقع سوء الخاتمة لثلاث طوائف من الناس أهل البدع والزيغ في الدين لان ايمانهم مرتبط بالمعقول فاول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى ان يطيح عقله عند شهودها فيذهب ايمانه ولا يثبت لمعاينتها كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح والطبقة الثانية أهل الكبر والانكار لآيات الله عز وجل وكراماته لاوليائه في الحياة الدنيا لانهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة وعدة الايمان فيعتورهم الشك ويقوى عليهم لفقد اليقين والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة وجميعهم دون تينك الطائفتين في سوء الخاتمة لان سوء الختم على مقامات أيضا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة منهم المدعي المتظاهر الذي لم يزل الى نفسه وعمله ناظرا والفاسق المعلن والمصر المدمن يتصل بهم المعاصي الى آخر العمر ويدوم تقلبهم فيها الى كشف الغطاء فاذا رأوا الآيات تابوا الى الله تعالى بقلوبهم وقد انقطعت أعمال الجوارح فليس يتأتى منهم فلا تقبل توبتهم ولا تقال عثرتهم ولا ترحم عبرتهم وهم من أهل هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فهم مقصودون بقوله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون وهم معنيون بمعنى قوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده فنصوص الآية للكفار ومعناها ومقام منها لاهل الكبائر وذوي الاصرار من الفاسقين الزائغين من حيث اشتركوا في سوء الخاتمة ثم تفاوتوا في مقامات منها تظهر لهم شهوات معاصيهم ويعاد عليهم تذكرها لخلو قلوبهم من الذكر والخوف حتى يختم لهم بشهادتها فهذه الاسباب تجتنب الخوف وتقطع قلوب ذوي الالباب وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وكذلك قال أبو يزيد رحمه الله تعالى قبله اذا توجهت الى المسجد كان في وسطي زنار أخاف ان يذهب بي الى البيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد فيقطع عني الزنار فهذا لي في كل يوم خمس مرات هذا لعلمهم بسرعة تقلب القلوب في قدرة علام الغيوب وقد روينا معنى ذلك عن عيسى عليه السلام انه قال يا معشر الحواريين أنتم تخافون المعاصي ونحن معشر الانبياء نخاف الكفر وروينا في أخبار الانبياء أن نبيا شكا الى الله تعالى الجوع والقمل والعري سنين فأوحى الله تعالى اليه امارضيت ان عصمت قلبك أن تكفر بي حتى تسألني الدنيا فأخذ التراب فوضعه على رأسه وقال بلى قد رضيت يارب فاعصمني من الكفر فلم يذكر له نعمته عليه بنبوته وعرضه للكفر وجوز دخوله عليه بعد النبوة فاعترف النبي عليه السلام بذلك ورضي به واستعصم وقد كان عبد الواحد بن زيد امام الزاهدين قبلهما يقول ما صدق خائف قط ظن انه لا يدخل النار وما ظن أن يدخل النار الا خاف أن لا يخرج منها أبدا وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى امام العلماء قبلهم يخرج من النار رجل بعد ألف عام وياليتني ذلك الرجل هذا لشدة خوفه من الخلود في الابدية قال فبعد أن أخرج منها بوقت لا أبالي والعدو يدخل على العارفين من طريق الالحاد في التوحيد والتشبيه في اليقين والوسوسة في صفات الذات ويدخل على المريدين من طريق الآفات والشهوات فلذلك كان خوف العارفين أعظم ومن قبل أن العدو يدخل على كل عبد من معنى همه فيشككه في اليقين كما يزين له الشهوات فأرواحهم معلقة بالسابقة ماذا سبق لهم من الكلمة هنالك مشاهدتهم ومن ثم فزعهم لا يدرون أسبق لهم قدم صدق عند ربهم فيختم لهم بمقعد صدق فيكونون ممن قال تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ويخافون أن يكونوا قد حقت عليهم الكلمة فيكونون ممن قال فيهم الرسول

ولي شفيع اليه لا يرد وفي
جاهه الكل قد حاروا وقد تاهوا
محمد المصطفى المختار من مضر
من طبق الارض طيبا عند رياه
أموت شوقا ولا أحظى برؤيته
واحسرتا فمتى أحظى برؤياه
تالله ما في فؤادي قط جارحة
الا وذكراه فيها ليس تنساه
صلى عليه اله العرش ما طلعت
شمس وغابت حياء من محياه

اللهم انظر الينا بنظر رحمتك واغفر لنا جميع معاصيك وارزقنا جوازا على الصراط ونصيبا من الجنة

(فصل في الشفاعة)

خ م عن أبي سعيد الخدري ان اناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا لا يارسول الله قال ما تضارون في رؤية الله تعالى يوم القيامة الا كما تضارون في رؤية أحدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد ولا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الاصنام والانصاب الا يتساقطون في النار حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين وقال فماذا تنتظرون يتبع كل أمة ما كانت

صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه وتعالى هؤلاء فى النار ولا أبالى فلا ينفعهم شفاعة شافع ولا ينقذهم من النار دافع كما قال مولاهم الحق أفمن حقت عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار وكقوله تعالى ولكن حق القول منى لأملأن جهنم فهذه الآية ومعناها تخويف لأولى الابصار وقال عالم رحمه الله فى قوله تعالى واياى فاتقون عموم أى فيما نهيت عنه وقوله تعالى واياى فارهبون أى فى السابقة وهذا خصوص وقد نوّع بعض العارفين خوف المؤمنين على مقامين فقال قلوب الابرار معلقة بالخاتمة يقولون ليت شعرى ماذا يختم لنا به وقلوب المقربين معلقة بالسابقة يقولون ليت شعرى ماذا سبق لنا به وهذان المقامان عن مشاهدتين احداهما أعلى وأنفذ من الاخرى لحالين أحدهما أتم وأكمل فهذا كما قيل ذنوب المقربين حسنات الابرار أى ما رغب فيه الابرار فهو عندهم فضائل قد زهد فيه المقربون فهو عندهم حجاب ومن حقت عليه كلمة العذاب وسبق له من مولاه الختم بسوء الاكتساب لم ينفعه شئ فهو يعمل فى بطالة لا أجر له ولا عاقبة قد نظر اليه نظرة بعد فهو يزداد بأعماله بعدا من قبل أن سوء الخاتمة قد تكون فى وسط العمر فلا ينتظر بها آخره يوافق معصية تكون سببها كعقد الخاتمة اذ هما فى سبق العلم سواء فالخاتمة حينئذ فاتحة والوقتان واحد فاذا انقطعت الآجال وانتهت الاعمال تناهى فى الابعاد فحل فى دار البعد وقد روينا فى الخبر والله لا يقبل الله تعالى من مبتدع عملا انه زد على الله تعالى سنته فرد عليه عمله كلما ازداد اجتهادا ازداد من الله تعالى بعدا كما قال الحكيم

من غص داوى بشرب الماء غصته * فكيف يصنع من قد غص بالماء
بل كيف يصنع من أقصاه مالكه * فليس ينفعه طب الاطباء

وعن مشاهدة هذا المعنى كان خوف الحسن البصرى رحمه الله تعالى وحزنه لعلمه بانه عز وجل لا يبالى ما فعل فخاف أن يقع بوصف الجبرية فى ترك المبالاة وأن يجعله نكالا لاصحابه وموعظة لاهل طبقته يقال انه ما ضحك أربعين سنة وكنت اذا رأيته قاعدا كأنه أسير قدم ليضرب عنقه واذا تكلم كأنه يعاين الآخرة فيخبر عن مشاهدتها واذا سكت كأن النار تسعر بين عينيه وعوتب فى شدة حزنه فقال ما يؤمننى أن يكون قد اطلع على فى بعض ما يكره فمقتنى فقال اذهب فلا غفرت لك فأنا أعمل فى غير معمل فتحرج أحق بهذا من الحسن رحمه الله ولكن ليس الخوف يكون لكثرة الذنوب فلو كان كذلك لكان أكثر خوفا منه انما يكون لصفاء القلب وشدة التعظيم لله تعالى وقد بشر العلاء بن زياد العدوى بالجنة وكان من العباد فغلق عليه بابه سنة ولم يذق طعاما وجعل يبكى و يقول أنا أنا فى قصة طويلة حتى دخل عليه الحسن فجعل يعذله فى شدة خوفه وكثرة بكائه فقال يا أخى من أهل الجنة ان شاء الله تعالى أقاتل نفسك فما ظنك برجل يعذله الحسن فى الخوف وقد كان من فوقهم من علية الصحابة يتمنون انهم لم يخلقوا بشرا وقد بشروا بالجنة يقينا فى غير خبر من ذلك قول أبى بكر رضى الله عنه ليتنى مثلك يا طير وانى لم أخلق بشرا وقول عمر رضى الله عنه وددت انى كنت كبشا فذبحنى أهلى لضيفهم وأبو ذر رضى الله عنه يقول وددت انى شجرة تعضد وطلحة والزبير رضى الله عنهما يقولان وددنا انا لم نخلق وعثمان رضى الله عنه يقول وددت انى اذا مت لا أبعث وعائشة رضى الله عنها تقول وددت انى كنت نسيا منسيا وابن مسعود رضى الله عنه يقول ليتنى انى أكون رمادا وفى رواية عنه ليتنى كنت بعرة ليتنى لم أك شيأ فى طبقة يكثر عددهم ونحن فى ارتكاب الكبائر وتحدث نفوسنا بالدرجات العلى والقرب من سدرة المنتهى ونسينا ان أبانا آدم صلوات الله عليه أخرج من الجنة بعد ان دخلها بذنب واحد ونحن لم نرها بعد فانما نضرب فى حديد بارد وروينا فى خبر أن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت فى سبيل الله تعالى فقال النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك فلعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفى حديث آخر بمثل هذه القصة انه دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع أمه تقول هنيئا لك الجنة فقال من

الناس فى الدنيا أفقر ما كنا اليهم ولم نصاحبهم وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فاذا جاء ربنا عرفناه وفى رواية أبى سعيد فيقول هل بينكم و بينه آية تعرفونه فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة و يقولون اللهم سلم سلم فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس فى نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة فى الحق قد تبين لكم من المؤمنين لله يوم القيامة لاخوانهم الذين فى النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا ما بقى فيها أحد ممن أمرتنا به فيقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا

هذه المتألية على الله عز وجل فقال الرجل هي امي يارسول الله فقال ومايدريك لعل فلانا كان يتكلم بما لا يعنيه و يبخل بما لا يغنيه ورو ينا بمثل معنى هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على طفل منفوس ففى رواية انه سمع يقول له فى دعائه اللهم قه عذاب القبر وعذاب جهنم وفى رواية ثانية انه سمع قائلة تقول هنيأ لك عصفور من عصافير الجنة فغضب وقال ومايدريك انه كذلك والله انى رسول الله وما أدرى مايصنع بى ان الله عز وجل خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم وقد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الاول واستشهد لما قالت أم سلمة رضى الله عنها ذلك وكانت تقول والله لا أزكى أحدا بعد عثمان رضى الله عنه وأعجب من ذلك انا روينا عن محمد بن الحنفية رضى الله عنه انه قال والله لا أزكى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذى ولدنى قال فتكلمت الشيعة فأخذ يذكر من فضائل على كرم الله وجهه ومناقبه فهذه المعانى أحرقت قلوب الخائفين واعل ذكر البعد فى الابعاد الذى شيب الحبيب القريب فى قوله صلى الله عليه وسلم شيبتنى هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون لان فى سورة هود ألا بعدا لثمود ألا بعدا لعاد قوم هود الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وفى سورة الواقعة ليس لوقعتها كاذبة يعنى وقعت السابقة لمن سبقت له وحقت الحاقة بمن حقت عليه خافضة رافعة خفضت قوما فى الآخرة كانوا مرتفعين فى الدنيا حين ظهرت الحقائق وكشفت عواقب الخلائق وأما سورة التكوير ففيها خواتم المصير وهى صفة القيامة لمن أيقن وفيها تجلى معانى الغضب لمن عاين آخر ذلك واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت علمت نفس ما أحضرت هذا فصل الخطاب أى عند تسعير النيران واقتراب الجنان حينئذ يتبين للنفس ما أحضرت من شر يصلح له الجحيم أو خير يصلح له النعيم وتعلم اذ ذاك من أى أهل الدارين تكون وفى أى منزلين تحل فكم من قلوب قد تقطعت حسرات على الابعاد من الجنان بعد اقترابها وكم من نفوس تصاعدت زفرات عن يقينها بمعاينة النيران انها تصيبها وكم من أبصار ذليلة خاشعة لمشاهدة الاهوال وكم من عقول طائشة لمعاينة الزلزال وحدثنا عن أبى محمد سهل رحمه الله تعالى قال رأيت كأنى أدخلت الجنة فلقيت فيها ثلثمائة نبى فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون فى الدنيا فقالوا سوء الخاتمة فالخاتمة هى من مكر الله تعالى الذى لا يوصف ولا يفطن له ولا عليه يوقف ولا نهاية لمكره لان مشيئته وأحكامه لا غاية لها ومن ذلك الخبر المشهور ان النبى صلى الله عليه وسلم وجبريل بكيا خوفا من الله تعالى فأوحى الله اليهما لم تبكيان وقد أمنتكما فقالا ومن يأمن مكرك فلولا انهما علما ان مكره لا نهاية له لان حكمه لا غاية له لم يقولا ومن يأمن مكرك مع قوله قد أمنتكما ولكان قد انتهى مكره بقوله ولكانا قد وقفا على آخر مكره ولكن خافا من بقية المكر الذى هو غيب عنهما وعلما انهما لا يقفان على غيب الله تعالى اذ هو علام الغيوب فلا نهاية للعلام فى علم ولا غاية للغيوب بوصف فلم يحكم عليهما القول لعنايته بهما وفضل نظره اليهما ولانهما على مزيد من معرفة الصفات اذ المكر عن الوصف واظهار القول لا يقضى على باطن الوصف فكأنهما خافا أن يكون قوله تعالى قد أمنتكما مكرى مكرا منه أيضا بالقول على وصف مخصوص عن حكمة قد استأثر بعلمها يختبر بذلك حالهما و ينظر كيف يعملان تعبدا منه لهما به اذ الابتلاء وصفه من قبل أن المبتلى اسمه فلا يترك مقتضى وصفه لتحقق اسمه ولا تبدل سنته التى قد خلت فى عباده كما اختبر خليله عليه السلام لما هوى به المنجنيق فى الهواء فقال حسبى الله ربى فعارضه جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال لا وفاء بقوله حسبى الله فصدق القول بالعمل فقال الله تعالى وابراهيم الذى وفى أى بقوله حسبى الله ولان الله تعالى لا يدخل تحت الاحكام ولا يلزمه ما حكم به على الانام ولا يختبر صدقه سبحانه وتعالى ولا يجوز أن يوصف بضد الصدق وان بدل الكلام هو بتبديل منه لان كلامه قائم به فله أن يبدل به ماشاء وهو الصادق فى الكلامين العادل فى الحكمين الحاكم فى الحالين لانه حاكم عليه ولا حكم يلزمه فيه لانه قد جاوز العلوم والعقول التى هى أماكن للحدود

كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم الله فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم لكم ما رأيتم ومثله معه ق قال صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان ما تعرفنى انا الذى سقيتك شربة وقال بعضهم انا الذى وهبت لك وضوأ فيشفع له فيدخله الجنة اعلم ان الله تعالى يقبل شفاعة الانبياء والصديقين والعلماء والشهداء والصالحين فاحرص أنت على رتبة الشفاعة بان لا تحقر آدميا ولا معصية ولا طاعة أصلا فانك لا تدرى

من الامر والنهى وفات الرسوم والمعقول التى هى أواسط الاحكام والاقدار وفى مشاهدة ماذكرناه علم دقيق من علوم التوحيد ومقام رفيع من أحوال التوحيد وبمثل هذا المعنى وصف صفيه موسى فى قوله تعالى فأوجس فى نفسه خيفة موسى بعد قوله تعالى لاتخافا اننى معكما الآية فلم يأمن موسى أن يكون قد أسر عنه فى غيبه واستثنى فى نفسه سبحانه مالم يظهره له فى القول لمعرفة موسى عليه السلام بخفى المكر وباطن الوصف ولعلمه انه لم يعطه الحكم اذ هو محكوم عليه مقهور فخاف خوفا ثابتا حتى أمنه أمنا ثانيا بحكم ثان فقال لاتخف انك أنت الاعلى فاطمأن الى القائل ولم يسكن الى الاظهار الاول لعلمه بسعة علمه انه هو علام الغيوب التى لانهاية لها ولان القول أحكام والحاكم لاتحكم عليه الاحكام كما لاتعود عليه الاحكام وانما تنفصل الاحكام من الحاكم العلام ثم تعود على المحكومات أبدا ولانه جلت قدرته لايلزمه مالزم الخلق الذين هم تحت الحكم ولايدخل تحت معيار العقل والعلم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا عند من عرفه فأجله وعظمه عن معارف من جهله ومن هذا قول عيسى عليه السلام ان كنت قلته فقد علمته تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك لما قال له أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله ومثل هذا قوله فى يوم القيامة ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فجعلهم فى مشيئته لعزته وحكمته ولا يصلح أن نكشف حقيقة شئ مما فصلناه فى كتاب ولا ينبغى أن نرسم مارمزناه من الخطاب خشية الانكار وكراهة تفاوت علم أهل المعقول والمعيار الان يسأل عنه من أقيم فيه وأريد به من ذوى القوة والابصار فينقل من قلب الى قلب فحينئذ يتلوه شاهد منه أو يكشفه علام الغيوب فى سرائر القلوب بوحى الالهام ويقذفه بنور الهدى للاعلام والله الموفق لمن شاء من العباد لما شاء من الحيطة بالعلم وهو الفتاح العليم اذا فتح القلب علمه واذا نوره باليقين ألهمه ومن خوف العارفين علمهم بان الله تعالى يخوف عباده بمن شاء من عباده الاعلين يجعلهم نكالا للادنين ويخوف العموم من خلقه بالتنكيل ببعض الخصوص من عباده حكمة له وحكما منه فعند الخائفين فى علمهم ان الله تعالى قد أخرج طائفة من الصالحين نكالا خوف بهم المؤمنين ونكل طائفة من الشهداء خوف بهم الصالحين وأخرج جماعة من الصديقين خوف بهم الشهداء والله تعالى أعلم بما وراء ذلك وقد أخرج جماعة من الملائكة وعظ بهم النبيين وخوف بهم الملائكة المقربين فصار من أهل كل مقام عبرة لمن دونهم وموعظة لمن فوقهم وتخويف وتهديد لاولى الابصار وهذا داخل فى بعض تفسير قوله عز وجل آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال بعض أهل التفسير فى أخبار بلعم بن باعوراء انه أوتى النبوة والمشهور انه أوتى الاسم الاكبر فكان سبب هلاكه وهو مقتضى وصف من أوصافه وهو ترك المبالاة بما أظهر من العلوم والاعمال فلم يسكن عند ذلك أحد من أهل المقامات فى مقام ولا نظر أحد من أهل الاحوال الى حال ولا أمن مكر الله تعالى عالم به فى كل حال كيف وقد سمعوه تبارك وتعالى يقول ان عذاب ربهم غير مأمون فأجهل الناس من امن غير مأمون وأعلمهم من خاف فى الامن حتى يخرج من دار الخوف الى مقام أمين وهذا الخوف لايقوم له شئ وكرب لايوازيه مقام ولا عمل لولا ان الله تعالى عدله بالرجاء لاخرج الى القنوط ولولا انه روحه بروح الانس بحسن الظن لادخل فى الاياس ولكن اذا كان هو المعدل وهو المروح كيف لايعتدل الخوف والرجاء ولايمتزج الكرب بالروح والرضا حكمة بالغة وحكما نافذا لعلم سابق وقدر جار ماشاء الله تعالى لاقوة الا بالله وفى شهود ماذكرناه علم عن مشاهدة توحيد لمن أشهده فأقل مايفيد علم هذا الخائفين ترك النظر الى أعمالهم ورفع السكون الى علومهم وصدق الافتقار فى كل حال ودوام الانقطاع بكل هم والازراء على النفس فى كل وصف وهذه مقامات لقوم فيكون هذا الخوف سبب نجاتهم من هذه الوقائع اذ قد جعل الله تعالى التخويف أمنه من الاخذ بالمفاجأة وسببا للرأفة والرحمة لمن ألبسه اياه وهو أحد الوجهين فى قوله تعالى أفأمن الذين مكروا السيآت أن يخسف الله بهم الارض الآية ثم قال تعالى أو يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم وليس يصلح أيضا أن نكشف سر المخاوف من الخاتمة والسابقة

لان

فى أى عباده خبأ ولايته وفى أى معصية غضبه وفى أى طاعة رضاه واجتهد كل الجهد فى تقويه بمحبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لترحم بشفاعة المحبوب ولاتترك طاعة الله اتكالا على الشفاعة لان المعاصى بريد الكفر فلاتأمن أن ينزع ايمانك فلاشفاعة أصلا وأن يسلم فلاتقدر على نار جهنم وان علم منك شك فيه فاجلس على نار الدنيا لتعرف قدرتك على نار جهنم شعر

سلام على قبر النبى محمد نبى الهدى والمصطفى والمهتدى
وكان رسول الله أفضل من مشى على الارض الا انه لم يخلد
وأول من ينشق عنه ضريحه وخير الورى الهادى المشفع فى غد
وأكوابه مثل النجوم وحوضه لوراده فازوا بأعذب مورد
فياخير مبعوث الى خير أمة ومن خص بالدين القويم المؤيد
سألتك ياخير الانام شفاعة بها أرتجى سؤلى وأبلغ مقصدى
عليك سلام الله ياخير مرسل وأشرف مخلوق وأكرم سيد

(فصل فى الحوض)

قال الله تعالى انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ق

لان ذلك يكون عن حقائق معانى الصفات التى ظهرت عن حقيقة الذات فأظهرت بدائع الافعال وغرائب المآل لو اعادت الاحكام على من أظهر بها وجعل لها من حقت عليه الكلمات وجعل نصيبه من معانى هذه السريرة من الصفات فيؤدى ذلك منا الى كشف باطن الاوصاف وهذا غير مأمور به ولا مأذون فيه لانه لا يجب فلم يؤمر به ولانه لم يبح فلم يؤذن فيه وهو من سر القدر وقد نهى عن افشائه فى غير خبر ولو لم يطلع الاولياء عليه لما قيل فلا تفشوه فان أقام الله تعالى عبدا مقام هذه المشاهدة أغناه بالمعاينة عن الخبر وآنسه بالحادثة عن الاثر وذلك هو العلم النافع الذى يكون العلام معلمه وذلك هو الاثر اللازم الذى يكون الجاعل مؤثره ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه فالكتب الذى لا يمحى ما كان من نوره والعين التى لا تخفى لانها بحضوره والنور الذى لا يطفأ لانه من روحه والروح الذى لا كرب فيه لانه من ريحانه والمدد الذى لا ينقطع فمن روحه وقد كتب وأيد وكل كتاب بيد مخلوق فغير محفوظ وقد يضيع وكل أيد بغير روحه فمقطوع وما كتبه الصانع بصنعه فى قلب حفيظ فثبت عتيد وقد روينا عن زيد بن أسلم فى قوله تعالى فى لوح محفوظ قال قلب المؤمن وقال آخر فى قوله والبيت المعمور قلب العارف وقال بعض أهل المعرفة فى بيوت اذن الله أن ترفع قلوب المقربين رفعت الى وصف الخالق عن ذكر المخلوقين ويذكر فيها اسمه بالتوحيد على تجريد الوحدانية عن شهادة الاحدية وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله تعالى يقول الصدر هو الكرسى والقلب هو العرش والله تبارك وتعالى واضع عليه عظمته وجلاله وهو مشهود بلطفه وقربه فصدر المؤمن أوله صمدية وآخره روحانية وأوسطه ربوبية فهو صمدى روحانى ربانى وقلبه أوله قدرة وآخره بر وأوسطه لطف فاذا كان كذلك فهو مشكاة فيها مصباح يرى به الزجاج كأنها كوكب درى تشهد به الآلاء فهو مرآة جسدى يرى فيرى به الوجه ويجده عنده كما يراه من وراء مرآة مشاهدة من قلب موقن بعين يقين يشهد الصدر الكرسى والقلب العرش والله تعالى عليه ولا يحل للعلماء أيضا كشف علامات سوء الخاتمة فيمن رأوها فيه من العمال لان لها علامات جلية عند المكاشفين بها وأدلة خفية عند العارفين المشرف بهم عليها ولكنها من سر المعبود فى العبد خبيئة وخباءة فى خزائن النفوس لم يطلع عليها الا الافراد وقد ستر ذلك وغطاه بسعة رحمته وحلمه وكثيف ستره وفضله وسيخرج ذلك الخباء يوم تبلى السرائر عند غضبه وعظيم سطوته فماله من قوة من عمل ولا ناصر من علم لا قوة له فينتصر بها لان النصرة عزة وهو ذليل ولا ناصر لان الناصر هو الخاذل والمقوى هو المضعف فما أسوأ حال من لا ينصر نفسه وليست له من مولاه محبة ولو محبه لنصره ولو نصره لاعزه ولو وليه لهرب منه عدوه قال تعالى لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منها يصحبون وقال تعالى قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض الآية فمن حكمته غفره ومن رحمته ستره وقال تعالى يخرج الخبء فى السموات والارض ويعلم ما تخفون وما تعلنون فهذه العلوم التى ذكرناها توجب حقائق المخاوف وهى من سر الملك وخباء الملكوت على أن للعبد عند الموت علامات ليس يخفى على العارف بسوء الخاتمة بها المشاهد ته لها وللاحياء علامات عند المكاشفين على الاطلاع يعرفون بها سوء الخاتمة منهم وهذا علم مخصوص به من أقيم مقام مقامات المكاشفات عن مشاهدة حقيقة من ذات وهو سر علام الغيوب عند من أطلعه عليه من أهل القلوب لان الكشف يتنوع أنواعا من المعانى فمنه كشف معانى الآخرة ومنه كشف بواطن الدنيا ومنه الاطلاع على حقائق الاشياء المستورة لظواهر الاحكام فهذا من سر الملكوت ومن معانى كشوف الجبروت وقد جاء فى خبر القدر سر الله فلا تفشوه فهذا خطاب لمن كوشف به وفى خبر آخر ستر الله فلا تكشفوه فهذا خطاب لمن لم يكاشف به وهذا نهى عن السؤال عنه وهو داخل فى قوله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم أى لا تتبع نفسك علم ما لم تكلف ولا تسأل عما لم يجعل من عملك ولم يوكل اليك ولانه اذا علمه لم ينفعه علمه شيأ وانما ينفعه علم الاحكام والاسباب لانها طرقات وبمثل مخاطبة المؤمنين خاطب أنبياءه عليهم السلام فى

عن ثوبان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حوضى من عدن الى عمان البلقاء وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة ليس يظمأ بعدها أبدا وأول الناس ورودا فقراء المهاجرين الشعث رؤسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم السدد ت عن كعب بن عجرة ان امراء يكونون من بعدى فمن غشى أبوابهم فصدقهم فى كذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس منى ولست منه ولا يرد على الحوض ومن غشى أبوابهم ولم يصدقهم فى كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو منى وأنا منه وسيرد على الحوض يا كعب بن عجرة انه لا يربو لحم نبت من سحت الا كانت النار أولى به وفى التذكرة قال علماؤنا والمرتدون والمبتدعون كالروافض والمعتزلة والظلمة المسرفون فى الجور وطمس الحق والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصى مطرودون عن الحوض انتهى ملخصا وفى الاحياء فليرج كل عبد أن يرد على الحوض وليحذر أن يكون متمنيا ومغترا فان الراجى للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها ورجا فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى الحصاد

هذا المعنى في قوله تعالى لنوح عليه السلام حين قال ان ابني من أهلي وان وعدك الحق لانه قد كان وعده نجاة أهله فقال سبحانه وتعالى انه ليس من أهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم أي دعاءك ومسألتك لي مالم أجعله من عملك ولم أكله اليك عمل غير صالح فعندها استغفر ربه واسترحمه وان العبد عند موته في آخر ساعة من عمره يكشف له عند كشف الغطاء عن بصره وجوه كثيرة قد اتخذت آلهة من دون الله أو أشرك بها مع الله تعالى وكلها تزيين وغرور فان وقف القلب مع أحدها أو زن له بعضها أو تقلب قلبه في شيء منها عند آخر أنفاسه ختم له بذلك فخرجت روحه على الشك أو الشرك وهذا هو سوء الخاتمة وهو نصيب العبد من الكتاب في السابقة عند خلق الارواح معدومة لهما في الاشباح في الآباد والآزال قبل اظهار الاكوار والادوار فشهدتها الارواح هناك غرورا ووقفت معها وقد زادت لها زورا رسوم في القلب في التخطيط قبل خلق الاجسام لها وقبل حجبها بكشف الهياكل عند ظهورها في الوجود وقبل اقامتها بشاهد العقل لكن بشاهد الاولية بدت وبمعنى القيومية وجدت وبوصف الجامع جمعت ثم فرقت ههنا فظهرت الآن عند الفراق لما كانت شهدت في التلاقي واعترفت في الآخر بما كانت نطقت في الاول وخرجت الروح على ما شهدت وهذا كان خبر السابقة التي أدركت الارواح المرافقة لها في الاجسام عند الخاتمة ومن ذلك جاء في الاثر يأخذ ملك الارحام النطفة في يده فيقول يارب اذكر أم أنثى أسوي أم معوج ما رزقه وما عمله وما أثره ما خلقه قال ثم يخلق الله تعالى على يده كما قال فاذا صوره قال يارب انفخ فيه بالسعادة أو بالشقاوة فلذلك خرجت الروح بما دخلت به فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة كما بدأنا أول خلق نعيده ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني وقال سبحانه وتعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين فهذه الآي ونظائرها وردت في السوابق الاول والخواتم الاخر وفيها أسرار الغيوب وغرائب الفهوم وهي من آي المطلع لأهل الاشراف على شرفات العرش والاعراف وقال بعض العارفين لو علمت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه اسطوانة فمات لم أقطع له بالتوحيد لاني لا أدري ما ظهر من التقليب وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل حركة وكل خطرة وهمة يخافون البعد من الله تعالى وهم الذين مدح الله تبارك وتعالى وقلوبهم وجلة وقال لا يصح خوفه حتى يخاف من الحسنات كما يخاف من السيآت وقال أيضا أعلى الخوف ان يخاف سابق علم الله تعالى فيه ويحذر ان يكون منه حدث خلاف السنة يجره الى الكفر وقال خوف التعظيم ميزان خوف السابقة وكان بعض العارفين يقول لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم قال لاني لا أدري ما يعرض بقلبي من المشاهدة فيما بين باب الحجرة وباب الدار فيغير التوحيد وروينا عن زهير بن نعيم البابي قال ما أكبر همي ذنوبي انما أخاف ما هو أعظم علي من الذنوب وهو ان أسلب التوحيد وأموت على غيره وروى ابن المبارك عن أبي لهيعة عن بكر بن سوادة قال كان رجل يعتزل الناس أينما كان يكون وحده فجاء أبو الدرداء فقال أنشدك الله تعالى ما يحملك على ان تعتزل الناس قال اني أخشى ان أسلب ديني وأنا لا أشعر قال أترى في الحي مائة يخافون ما تخاف فلم يزل ينقص حتى بلغ عشرة قال فحدثت بذلك رجلا من أهل الشام فقال ذلك شرحبيل بن سمط يعني من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان أبو الدرداء يحلف بالله تعالى ويقول ما أحد أمن على ايمانه ان يسلبه عند الموت الا سلبه وقد كان بعض علمائنا يقول من أعطى التوحيد أعطيه بكماله ومن منعه منعه بكماله اذا كان التوحيد

في

وأما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها ورجا انبات الله الحب والفاكهة فغرور ومتمن وهكذا رجاء أكثر الخلق وهو غرور والحمق نعوذ بالله منه فان الاغترار بالله أعظم من الاغترار بالدنيا عن أبي سعيد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ما طول هذا اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا فاجتهد ان تكون من أولئك المؤمنين بترك هواك لمولاك فما بقي لك نفس من عمرك فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل في أيام قصار لايام طوال تربح ربحا كثيرا لامنتهى لسروره شعر

يا ذا الذي قد نام وهنا أو غفا * ماذا يفوت النائمين من الوفا
فهيا غفولا عن وصال حبيبه * اجر الدموع على الخدود تأسفا
واسمع ودع عنك التكلف انه * ما طاب من أضحى هواه تكلفا
لي بالعقيق وبين جرعاء الحمى * بدر رشيق القد اسمر هيفا
أعيا عيون الناظرين بحسنه * وقضى لطرف ماله ان يطرفا
ان يبد في ليل ترى بدرا بديل * ولو انثنى قلب الحسام المرهفا

في نفسه لا يتبعض ولما احتضر سفيان الثوري رضي الله عنه جعل يبكي و يجزع فقيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله أعظم من ذنوبك فقال أوعلى ذنوبي أبكي لو علمت اني أموت على التوحيد لم أبال ان ألقى الله تعالى بأمثال الجبال من الخطايا وقال مرة ذنوبي أهون من هذه ورفع حبة من الارض انما أخاف أن أسلب التوحيد في آخر الوقت وقد كان رحمه الله أحد الخائفين كان يبول الدم من شدة الخوف وكان عرض المرضة من المخافة وعرض بوله على بعض الكتابيين فقال هذا بول راهب من الرهبان وكان يلتفت الى حماد بن سلمة فيقول يا أبا سلمة ترجو لمثلي العفو أو يغفر لمثلي فيقول له حماد نعم أرجوله وقد كان بعض العلماء يقول لو أني أيقنت ان يختم لي بالسعادة كان أحب الي مما طلعت عليه الشمس في حياتي أجعله في سبيل الله تعالى وحدثني بعض اخواني عن بعض الصادقين وكان خائفا انه أوصى بعض اخوانه فقال اذا احضرتني الوفاة فاقعد عند رأسي فاذا عاينت فانظر الي فان رأيتني مت على التوحيد فاعمد الى جميع ما أملكه فاشتر به لوزا وسكرا وانثره على صبيان أهل المدينة وقل هذا عرس المنفلت وان رأيتني مت على غير التوحيد فاعلم الناس اني قدمت على غير التوحيد حتى لا يغتروا بشهود جنازتي ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء فاكون قد خدعت المسلمين فقلت ومن أين أعلم انك قدمت على التوحيد فذكر له علامة تظهر من بعض الاموات لا نحب ذكرها قال فكنت عند رأسه انظر اليه كما أمر حتى عاين فرأيت علامة حسن الخاتمة وأمارة الموت على التوحيد قد ظهرت وفاضت روحه قال فنفذت وصيته كما أمر ولم أحدث بذلك الا خصوص اخواني من العلماء وذلك ان العبد مهما عمل في حياته من سوء أعيد ذكره عليه عند فراق الحياة ووقعت مشاهدته فيه عند آخر ساعة من عمره فان استحلى ذلك بقلبه أو استهواه بنفسه وقف معه فاذا وقف معه حسب عليه عملا له وان قل وكان ذلك خاتمته وكذلك ما عمل من خير أعيد ذكره ومشاهدته عليه فان عقد عليه بقلبه أو أحب ووقف معه حسب عملا له وكان ذلك حسن خاتمته وقال بعض هذه الطائفة في قول الله تعالى خلق الموت والحياة ليبلوكم قال يبلوكم بتقليب القلوب في حال الحياة بخواطر الذنوب وفي حال الموت بالحاد عن التوحيد فمن خرجت روحه على التوحيد وجاوزت البلاوي كلها الى المبلي فهو المؤمن وذلك هو البلاء الحسن كما قال الله تعالى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا فهذه المعاني من العلوم أوجبت خوف الخائفين من علم الله تعالى فيهم فلم ينظروا معها الى محاسن أعمالهم لحقيقة معرفتهم بربهم وهذا الخوف هو الثواب لعلمهم بما يعلمون فلما سلموا من مطالبة بما يعلمون وصحوا على العلم ظهر لهم خوف علم الله تعالى فيهم نعمة من الله تعالى عليهم فكان ذلك مقاما لهم كما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما قيل بالخوف والمقام الآخر لاصحاب اليمين دون هؤلاء خوف الجنايات والاكتساب وخوف الوعيد وسوء العقاب وخوف التقصير في الامر وخوف مجاوزة الحد وخوف سلب المزيد وخوف حجاب اليقظة بالغفلة وخوف حدوث الفترة بعد الاجتهاد عن المعاملة وخوف وهن العزم بعد القوة وخوف نكث العهد بنقض التوبة وخوف الوقوع في الابتلاء بالسبب الذي وقعت منه التوبة وخوف عود الاعوجاج عن الاستقامة وخوف العادة بالشهوة وخوف الحور بعد الكور وهو الرجوع عن المحجة الى طريق الهوى وحرث الدنيا وخوف اطلاع الله تعالى عليهم عند ما سلف من ذنوبهم ونظره اليهم على قبيح فعالهم فيعرض عنهم ويمقتهم وهذه كلها مخاوف وطرقات لاهل المعارف وبعضها أعلى من بعض وبعضهم أشد خوفا من بعض ويقال ان العرش جوهرة يتلألأ لا مل ء الكون فلا يكون للعبد وجد في حال من الاحوال الا طبع مثاله في العرش على الصورة التي يكون عليها العبد فاذا كان يوم القيامة ووقف للمحاسبة أظهرت له صورته من العرش فرأى نفسه على هيئته التي كان في الدنيا فذكر فعله بمشاهدته نفسه فيأخذه من الحياء والرعب ما يجل وصفه ويقال ان الله سبحانه اذا أعطى عبدا معرفة ثم لم يعامله بها لم يسلبه اياها بل

هو سيد الكونين والنور الذي
ظهرت ثرى بعتابه بعد الخفا
وهو المشفع في القيامة وحده
فيمن هوى في النار أومن أشرفا
هو صاحب الخلق العظيم فلا يرى
الا صفوحا عاطفا متلطفا
هو صاحب المعراج من أسرى به
ليلا الى أسمى مقام أشرفا
ملئت به الآفاق نورا باهرا *
وعلا على متن البراق مشرفا
كانت ملائكة السما خدما له *
وله جنان الخلد أبدت زخرفا
أوحى اليه الله جل جلاله
اسراره ولغيره لن تكشفا
يا سيد الكونين جئتك أشتكي
من جور دهر لي غدا متعسفا
أنوي المسير اليك وهو يصدني
والقلب نحوك قد غدا متشوقا
والعمر قد ولى ضياعا حسرة
وانا الاجلك قد فنيت تأسفا
فعسى لديك عزيمة نبوية *
أبغي بها قصدي وعيشا قد صفا
صلى عليك الله يا علم الهدى *
ما ناح قمري الاراك ووصفا
اللهم ارزقنا زيارة نبيك في الدنيا وشفاعته في العقبى واحشرنا تحت أقدام الصالحين يا أرحم الراحمين

(فصل في جهنم) قال الله تعالى وان منكم الا واردها أي بالجواز على الصراط الممدود على جهنم كان أي الورود على ربك حتما أي واجبا أوجبه على نفسه مقضيا أي قضاه الله

أبقاها عليه ليحاسبه على مقدارها ولكن يرفع عنه البركة ويقطع عنه المزيد وقد ذم الله تعالى عبدا أوجد له نعمة فاستعملها بها صالحا بعد ان كان قد ابتلاه بما سواه ففخر الآن بعمله ونسى ما قدمت يداه ولم يخف ان يعيده فيما قد كان جناه فى قوله تبارك وتعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عنى انه لفرح فخور ومن المخاوف خوف النفاق وقد كان السلف الصالح من الصحابة رضى الله عنهم وخيار التابعين يخافون ذلك كان حذيفة رضى الله عنه يقول ان كان الرجل ليتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا حتى يلقى الله تعالى انى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وكان يقول تأتى على القلب ساعة يمتلئ بالايمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتى عليه ساعة يمتلئ بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وفى لفظ آخر من الموبقات وقد كان الحسن رحمه الله يقول لو انى أعلم انى برىء من النفاق كان أحب الى مما طلعت عليه الشمس وقيل لا يعرى من النفاق الا ثلاث طبقات من المؤمنين الصديقون والشهداء والصالحون وهؤلاء الذين مدحهم الله تعالى بكمال النعمة عليهم وألحقهم بمقامات أنبيائه لكمال الايمان وحقيقة اليقين فيهم وقيل من أمن من النفاق فهو منافق وكان بعضهم يقول علامة النفاق ان يكره من الناس ما يأتى مثله وان يحب على شئ من الجور وان يبغض على شئ من الحق ومن النفاق من اذا مدح بما ليس فيه أعجبه ذلك وعلامات النفاق أكثر من ان تحصى يقال هى سبعون علامة والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أربع هن أصولها تتشعب منها الفروع فقال عليه السلام أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مسلم وان كانت فيه خصلة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى لفظ آخر اذا عاهد غدر فصارت خمسا وقال رجل لابن عمر رضى الله عنهما انا ندخل على هؤلاء الامراء نصدقهم بما يقولون فاذا خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا عنه من طريق آخر انه سمع رجلا يذم الحجاج ويقع فيه فقال له أرأيت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشد من ذلك ان نفرا قعدوا على باب حذيفة رضى الله عنه ينتظرونه فكانوا يتكلمون فى شئ من شأنه فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعظم من هذا ما كان الحسن رحمه الله يذهب اليه كان يقول ان من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج فدقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى وخوف حبوط الاعمال من ذلك ما كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول ان الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه فيرجع الى منزله وليس معه من دينه شئ يلقى الرجل فيقول انك لذيت وذيت ويلقى الآخر فيقول لانت وأنت ولعله لا يخلى منه بشئ وقد سخط الله تعالى عليه يعنى به التزكية بلا علم والمدح لمن يستحق الذم واختلاف قلبه ولسانه فى هذا مقت من الله تعالى وفوق هذه المخاوف خوف سلب الايمان الذى هو عندك فى خزانة المؤمن يظهره كيف شاء ويأخذه متى شاء لا يدرى أهبة وهبه لك فيبقيه عليك لكرمه أو وديعة وعارية أودعك اياه وأعارك هو فيأخذه اذ لا محالة لعدله وحكمته وقد أخفى عنك حقيقة ذلك واستأثر بعاقبته وقال بعض العارفين انما قطع بالقوم عند الوصول مع الخاتمة وقال آخر واخطراه كما قال أبو الدرداء وحلف ما احد أمن من ان يسلب ايمانه الا سلبه أفرأيت الوقت الذى قال حذيفة يأتى على القلب ساعة فيمتلئ نفاقا حتى لا يكون فيه للايمان مغرز ابرة ان صادف الموت ذلك الوقت وكان هو آخر وقت أليس تخرج روحه على النفاق وكذلك تقلبات القلوب

عليكم ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا فتفكر يا أخى فانك من الورود على يقين ومن النجاة على شك م عن سمرة بن جندب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال منهم من تأخذه النار الى كعبيه ومنهم من تأخذه النار الى ركبتيه ومنهم من تأخذه النار الى حجزته ومنهم من تأخذه النار الى ترقوته خ عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهون أهل النار عذابا هو أبو طالب وهو متنعل بنعلين يغلى منهما دماغه ق عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم ولولا انها أطفئت بالماء مرتين ما انتفعتم بها وانها لتدعو الله ان لا يعيدها فيها ق عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها حتى اسودت فهى سوداء مظلمة (ا) عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان فى النار لحيات كأمثال البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها أربعين خريفا وان فى النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع احداهن اللسعة فيجد حموتها أربعين وفى الاحياء وهذه الحيات والعقارب انما تسلط على من

في معاني الشرك وتلويحات الشك ان وافق وقت الوفاة كان خاتمته عند لقاء مولاه وانما سميت الخاتمة لانها آخر عمله وآخر ساعة من العمر وخاتم الشئ آخره ومن ذلك قوله تعالى وخاتم النبيين أى آخرهم ومثله ختامه مسك وخاتمه مسك أى آخر الكاس بدلا من الثفل يكون مسكا ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الايمان مع بقية المعرفة المبتدأة ليكون مستدرجا بها كما قال بعض العلماء ان الله تبارك وتعالى اذا أعطى عبدا معرفة فلم يعامله بها لم يسلبه تلك المعرفة ولكن بقاؤها فيه حجة عليه ليحاسبه على قدرها وانما يقطع عنه المزيد وقد يقسى قلبه وتجرى عينه وذلك من النقصان الذى لا يعرفه الا أهل التمام لانه يمنعه منه ماينفعه عنده ويعطيه مايغتر به ويفتتن عند الخلق لان عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة وقال مالك بن دينار قرأت فى التوراة اذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فيبكى متى شاء وقد كانوا يستعيذون بالله عز وجل من بكاء النفاق وهو ان يفتح للعبد الوان البكاء ويغلق عنه باب الذل والخشوع وقد قال الله عز وجل وجاؤا أباهم عشاء يبكون وكان السلف أيضا يقولون استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما هو قال ان تبكى العين والقلب قاس فلأن يعطى الانسان رقة القلب فى جمود عين خير من ان يعطى دموع عين فى قسوة قلب ورقة القلب عند أهل القلوب هو خشوعه وخوفه وذله وانكساره واخباته فمن أعطاه هذا فى قلبه لم يضره مامنعه من بكاء عينه فان رجله بفيض العين فهو فضل ومن أعطاه بكاء العين وحرمه خشوع القلب وذله وخضوعه واخباته فهو مكر به وهذا هو حقيقة المنع وعدم النفع وجملة بكاء العين انما هو فى علم العقل فاما علم التوحيد بمشاهدة اليقين فلا بكاء فيه لانه يذهل شاهد الوحدانية فيحمله على علم القدرة فتفيض الدموع بانشاق القوة وقد وصف الله تعالى البكائين ان البكاء يزيدهم خشوعا فى قوله تعالى يبكون ويزيدهم خشوعا فاذا زادنا البكاء كبرا وفخرا علمنا بذلك عدم الخشوع فى القلب فكان تصنعا وعجبا الخفايا آفات النفوس فاعلى المخاوف خوف السوابق والخواتم كما كان بعض العارفين يقول ما بكائى وغمى من ذنوبى وشهواتى لانها أخلاقى وصفاتى لا يليق بى غيرها انما حزنى وحسرتى كيف كان قسمى منه ونصيبى حين قسم الاقسام وفرق العطاء بين العباد فكيف كان قسمى منه البعد فهذا الذى ذكرناه هو جل خوف العلماء الذين هم ورثة الانبياء وهم أبدال النبيين وأئمة المتقين أولوا القوة والتمكين وسئل أبو محمد رحمه الله هل يعطى الله أحدا من الخوف مثقالا فقال من المؤمنين من يعطى من الخوف وزن الجبل قيل فكيف يكون حالهم يأكلون وينامون وينكحون قال نعم يفعلون ذلك والمشاهدة لا تفارقهم والمأوى يظلهم قيل فاين الخوف قال يحمله بحجاب القدرة بلطيف الحكمة ويسترا قلب تحت الحجاب فى التصريف بصفات البشرية فيكون مثل هذا العبد مثل المرسلين وهذا كما قال لان مشاهدة التوحيد بالتصريف والحكمة تقيمه بالقيام بالاحكام وذلك ان نور الايمان فى القلب عظيم لو ظهر للقلب لاحرق الجسم وما تصل به من الملك الا انه مستور بالفضل مغطى بالعلم لايقاع الاحكام وايجاب التصريف فيها والقيام يجرى مجرى الغايات من معانى القدر والصفات لان الانوار محجوبة بالاسماء والاسماء محجوبة بالافعال والافعال محجوبة بالحركات فتظهر الحركة بالقدرة وهى غيب من ورائها كذلك يظهر التصريف بالحكمة عن نور الايمان وأنوار الايمان مستورة من ورائه وقال بعض العارفين لو كشف وجه المؤمن للخلق عند الله تعالى لعبدوه من دون الله تعالى ولو ظهر نور قلبه للدنيا لم يثبت له شئ على وجه الارض فسبحان من ستر اقدرة ومعانيها بالحكمة وأسبابها احكاما منه ورحمة وتطريقا للخلق اليه للمنفعة وفى قراءة أبى بن كعب مثل نور المؤمن فلولا ان نوره من نوره ما استجاز ابدال الحرف بغيره معناه وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول الخوف مباينة للنهى والخشية الورع والاشفاق الزهد وكان يقول دخول الخوف على الجاهل يدعوه الى العلم ودخوله على العالم يدعوه الى الزهد ودخوله على العامل يدعوه الى الاخلاص وقال أيضا الاخلاص فريضة لا تنال الا بالخوف ولا ينال الخوف الا بالزهد

سلطا عليه فى الدنيا الجعل وسوء الخلق وايذاء الناس ت ف عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ق عن الحسن قال قال عتبة ابن غزوان على منبر البصرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصخرة العظيمة تلقى من شفير جهنم فتهوى فيها سبعين عاما وما تفضى الى قرارها وكان عمر يقول أكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد وعن أحمد عن النبى صلى الله عليه وسلم لو ضرب جبل بمقمع منها التفتت وفى التذكرة قال ابن زيد وان الحلقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته وفى الوسيط عنه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى ولهم مقامع من حديد لو وضع مقمع من حديد فى الارض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الارض وقال كعب لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى ت قال النبى صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق

فقد صار الخوف يصلح للمكافأة اذ دخوله على العامة يخرجهم عن الحرام ودخوله على الخاصة يدخلهم في الورع والزهد لان من خاف ترك . وقال أيضا من أحب ان يرى خوف الله تعالى في قلبه فلا يأكل الا حلالا ولا يصلح علم الرجاء الا للخائف وقال الخوف ذكر والمحبة أنثى ألا ترى ان أكثر النساء يدعون المحبة يريد بهذا ان فضل الخوف على الرجاء كفضل الذكر على الانثى وهذا كما قال لان الخوف حال العلماء والرجاء حال العمال وفضل العالم على العابد كفضل القمر على الكواكب وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل من علم أحب الى من فضل من عمل وخير دينكم الورع واعلم ان الخوف عند العلماء على غير ما يتصور في أوهام العامة وخلاف ما يعدونه من القلق والاحتراق أو الوله والانزعاج لان هذه خطرات وأحوال ومواجيد للوالهين وليست من حقيقة العلم في شئ بمنزلة مواجيد بعض الصوفية من العارفين في أحوال المحبة من احتراقهم ووالههم والخوف عند العلماء انما هو اسم لصحيح العلم وصدق المشاهدة فاذا أعطى عبد حقيقة العلم وصدق اليقين سمى هذا خائفا فلذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم من أخوف الخلق لانه كان على حقيقة العلم ومن أشدهم حبا لله تعالى لانه كان في نهاية القرب وقد كان حاله السكينة والوقار في المقامين معا والتمكين والتثبيت في الاحوال كلها ولم يكن وصفه القلق والانزعاج ولا الوله والاستهتار قد أعطى أضعاف عقول الخليقة وعلومهم ووسع قلبه لهم وشرح صدره للبر عليهم فكان صلى الله عليه وسلم مع الاعرابي كأنه اعرابي ومع الصبي بمعناه ومع المرأة في نحوها يقاربهم في علومهم ويخاطبهم بعقولهم ويظهر منه مثل وجدهم ليعطيهم نصيبهم من الانس به ويوفيهم حقوقهم من الدرك منه ولئلا تعظم هيبته في صدورهم فينقطعون عن السؤال له والانس به حكمة منه لا يفطنون لها ورحمة منه قد جبل عليها قد ألبس مواجيدهم لبسة وأدخل ذلك عليه صبغة بغير تكلف ولا تصنع تعلم ذلك من الحكيم العليم فلذلك وصفه عز وجل بخلقه وتعجب من وصفه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم قيل على أخلاق الربوبية وقرئت بالاضافة ليكون عظم اسم الله سبحانه لا يظهر من حاله ونصيبه شيأ لقوة التمكين وفضل العقلاء ولا يبخس من نصيبهم منه شيأ لحقيقة العدل ولا يتظاهر بشئ لحقيقة الزهد ونهاية الخشوع والتواضع ولا يظهر عليه شئ لمكانة القوة ورسوخ العلم والحكمة وعلى منهاجه وسنته وصف العارفين من أهل البلاء الذين هم الامثل فالامثل بالانبياء وقال بعض أهل المعرفة من طالب الخلق بعلمه وخاطبهم بعقله فقد بخسهم حقوقهم منه ولم يقم بحق الله تعالى فيهم وقال بعض العلماء لا يكون اماما من حدث الناس بكل ما علمه وأظهر لهم نصيبه وكان يحيى بن معاذ يقول لا تخرج أحدا من طريقه ولا تخاطبه بغير علمه فتتعب ولكن اغرف له من نهره واسقه بكأسه وسئل بعض العلماء عن العارف هل يستوحش من الخلق قال لا يستوحش ولكن قد يكون نفورا قيل فهل يستوحش منه فقال العارف لا يستوحش منه ولكن قد يهاب ومما يدلك ان الخوف اسم لحقيقة العلم ان في قراءة أبي بن كعب في قوله تعالى فخشينا ان يرهقهما فخاف ربك ان يرهقهما وقال يحيى ابن زياد النحوى ومعناه فعلم ربك وقال الخوف من أسماء العلم والله أعلم * بيان آخر في معنى الخوف والخوف أيضا من أسماء المعاني فوجوده بانتفاء ضده فاذا عدم من القلب الامن من كل وجه من أحوال الدنيا وأمور الآخرة فلم يأمن مكر الله تعالى في كل الاحوال في تصريف أحكام الدنيا وتقليب حركات القلوب والنفوس وجواذب الشهوات واثارة طبائع العادات ولم يسكن الى عرف ولا اعتياد ولم يقطع بسلامته وبراءته في شئ كان هذا خوفا وسمى العبد بفقد الامن من جميع ذلك خائفا فهذا مستعمل فاش في كلام العرب ومذهبهم يقول أحدهم أخاف من كذا اذا لم يأمنه أو أخاف ان يكون ذا اذا تحقق علمه وقيل لبعض العلماء ما بال العارف يخاف في كل حال فقال لعلمه ان الله تعالى قد يأخذ في جميع الاحوال ثم ان للخائفين بهذا طرقا ووجهة من قبل الخوف القلق والاشفاق المزعج والوجل المحرق هي مجاوزات للطرق السابلة التي هي محاج للائمة المختارة الفاضلة وفيها مناوه ومهالك نقلت عنها العلماء السادة والصفوة المختارة

الا

يهراق في الدنيا الا نتن أهل النار ت عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته ت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قالوا الحميم الماء الحار عن ابن عباس لو سقطت نقطة على جبال الدنيا لاذابتها ت عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا أدنى شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فاذا شرب به قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يعظم أهل النار في النار حتى ان بين شحمة اذن أحدهم الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وان غلظ جلده سبعون ذراعا وان ضرسه مثل أحد وفي شرح السنة عن أنس عن النبي صلى الله عليه

الا انه قد سلك ببعض الزهاد والعباد فيها وأريد بعض العارفين بها ليست بمفضلة كل ذلك عن العلماء ولا يتنافس فيها مغبوط عليها عند العارفين لانها قد تخرج من طرقات المسالك الى مفاوز المهالك وانما أريد ببعضهم التعريف لها والاطلاع عليها ومنهم من أريد منه التيه والوله فيها الا انها أشهر فى اسماع العامة وأعجب وأهول عند العموم * ذكر تفصيل هذه المخاوف اعلم ان للخوف سبع مغائض تفيض اليها من القلب فالى أى مفيض فاض من القلب اليه أتلف صاحبه به الامابه تثنيه فقد يفيض الخوف من القلب الى المرارة وهى أرق صفات الادمة وهى باطن البشرة فيحرقها فيقتل العبد وهؤلاء هم الذين يموتون من الغشى والصعق وبداوة الوجه وهم ضعفاء العمال وقد يطير الخوف من القلب الى الدماغ فيحرق العقل فيتيه العبد فيذهب الحال ويسقط المقام وقد يحل الخوف السحر وهو الرئة فينقبها فيذهب الاكل والشرب حتى يسل الجسم وينشف الدم وهذا لاهل الجوع والطى والاضرار وقد يسكن الخوف الكبد فيورث الكمد اللازم والحزن الدائم ويحدث الفكر الطويل والسهو الذاهب وفى هذا المقام يذهب النوم ويدوم السهر وهذا من أفضلها وفى هذا الخوف العلم والمشاهدة وهو من خوف العاملين وقد يقدح الخوف فى الفرائص والفريصة هى اللحمة التى تكون على الكتف يقال للحمتى الكتفين الفريصتان وجمعها الفرائص ومنه الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعجبه الفريصتان من الغنم وهو أرق لحم الحيوان وأعذبه فمن هذا الخوف يكون الاضطراب والارتعاش واختلاف الحركة وقد يبدو الخوف من القلب فيغشى العقل فيعمى سلطانه لقهر سلطان القدرة ويمحو الشمس اذا برزت ضوء القمر للبادى الذى يسدو على السرمن خزائن الملكوت فيضعف لاجله العقل فيضطرب لضعفه الجسم فلا يتمكن العبد من القرار لضعف صفته وذلك ان أجزاء الانسان وان كانت متفرقة فى البنيان للحكمة والاتقان فهى كشئ واحد يجمعها لطيف القدرة باظهار المشيئة فاسفل البنية منوط باعلاها فاذا اضطرب أعلاها مال أسفلها واذا وصل الداء والدواء الى عضو منها تداعى له سائرها وهذه الطائفة أشبه بالفضل وأدخل فى وصف العلم وقد سلك فى هذا الطريق أكابر العلماء وأفاضل أهل القلوب وقد كان هؤلاء فى التابعين كثير منهم الربيع بن خيثم وأويس القرنى وزرارة بن أوفى ونظراؤهم من الاخيار رضى الله عنهم ولم ينكر هذا عليه الصحابة مثل عمر وابن مسعود رضى الله عنهم وقد كان عمر رضى الله عنه يغشى عليه حتى يضطرب مثل البعير ويسقط من قيام وقد كان ذلك يلحق سعيد بن جذيم وكان من زهاد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أمراء الاجناد بعثه عمر رضى الله عنه واليا على أهل الشام وكان يوصف له من زهده وشدة فاقته ما يعاتبه عمر فى ذلك ويبعث اليه بالمائة دينار وبار بعمائة دينار ليستنفقها على أهله فيفرق ذلك على الغزاة فى قصة طويلة فكتب اليه أهل الشام يذكرون شأنه وكان يغشى عليه فى مجلسه فخشوا عليه من دخيلة فى عقله ولم يعرف ذلك أهل الشام فسأله عمر لما لقيه عن الذى يصيبه اذا تحدث فاخبره بما يجد من مشاهدته وهو وجد الصوفية من أهل الاحوال فعرف عمر ذلك وعذره وما زاده ذلك عنده الا خيرا فكان يكرمه ويعرف له فضله وكتب الى أهل الشام ان لا تعنفوا فى أمره ودعوه وقد كان أقوى الاقوياء وهادى الهداة رسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم يغشى عليه عند نزول الوحى اذا لبسه أزال ترتيب العقل منه ورفع مكان الكون عنه ويغط ويتربد وجهه ويتحدر منه مثل الجمان من العرق فى اليوم الشاتى الا أن هذا كان يصيبه فى ضرب من الوحى اذا تغشاه وينزل عليه روح القدس فى روحه واستبطن باطن قلبه لان الوحى على أربعة أضرب ضربان متصلان هذا أحدهما وضربان منفصلان ومن كل واحد يلحق العلماء بالله تعالى أهل القلوب الناظرة والشهادة الحاضرة وشرح هذا يطول وليس يعرفه علم يقين الا من سلك طريقه ولا يشهده شهادة تحقيق الا من ذاق حقيقته ومن آمن به تصديق تسليم فله منه نصيب الا ان هذا فى أهل مقامات ثلاث من المقربين مقام المعرفة والمحبة والخوف وكل ضروب الوحى بعد هذه الاربعة وهى عشرة لاهل هذه المقامات

وسلم قال يا أيها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا فتباكوا فان أهل النار يبكون فى النار حتى يسيل دموعهم على وجوههم كانها جداول حتى ينقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو أن سفنا أرخيت فيها لجرت

شعر

فيا عاملا للنار جسمك لين
فجربه تمرينا بحر الظهيرة
ودرجه فى لسع الزنابير تجترى
على نهش حيات هناك عظيمة
فان كنت لا تقوى فويلك ما الذى
دعاك الى اسخاط رب البرية
تبارزه بالمنكرات عشية
وتصبح فى اثواب نسك وعفة
فأنت عليه منك أجرى على الورى
بما فيك من جهل وخبث طوية
تقول مع العصيان ربى غافر *
صدقت ولكن غافر بالمشيئة
وربك رزاق كما هو غافر
فلم لم تصدق فيهما بالسوية
فانك ترجو العفو من غير توبة
ولست ترجو الرزق الا بحيلة
على انه بالرزق كفل نفسه
لكل ولم يكفل لكل بجنة
الهى أجرنا من عظيم ذنوبنا *
ولا تخزنا وانظر الينا برحمة
الهى اهدنا فيمن هديت وخذ بنا
الى الحق نهجا فى سواء الطريقة
وخذ بنواصينا اليك وهب لنا
يقينا يقينا كل شك وريبة

(فصل) قال الله تعالى فاما من طغى وآثر الحياة

الثلاث منه نصيب خواطر أو وجد أو شهادة أو حال أو مقام وهو وصف التمام الا نوعين من أنواع الوحى فانه مما ممتنع ومخصوص بهما المرسلون أحدهما ظهور الملك فى صورته وسمع كلام الله بصفته ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام فى صورته بالابطح فصعق وروى حمزة عن حمران بن أعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ آية فى سورة الحاقة فصعق وقال الله تعالى وخر موسى صعقا وقد يفيض الخوف من القلب الى النفس فيحرق الشهوات ويمحو العادات ويخمد الطبع ويطفئ شعل الهوى وهذا أحد المخاوف وأعلاها عند أهل المعارف وهؤلاء أفضل الخائفين وأرفعهم مقاما وهو خوف الانبياء والصديقين وخصوص الشهداء وليس فوق هذا وصف يغبط عليه الخائف ولا يفرح به عارف فان جاوز الخوف هذه الاوصاف فقد خرج من حده وجاوز قدره لانه اذا أحرق الشهوات ومحا الاهواء فلم يترك شهوة ولا هوى ثم ان لم يعصم العبد من مجاوزة حد الخوف خرج به الخوف الى أحد ثلاثة معان خيرها أن يسرى الى النفس فيحرقها فيتلف العبد فتكون له شهادة وليس هذا محمودا عند علماء الخائفين من أرباب العلوم والمشاهدات الا انه قد قال بعض العلماء ما شهداء بدر بأعظم أجرا ممن مات وجدا وهذه أوصاف ضعاف المريدين اذ للعلماء الموقنين بكل شهادة من اليقين اجر شهيد وأوسطها أن يعلو الى الدماغ فيبدو فيه فتنحل عقدة العقل لذوبه فتضطرب الطبائع لانحلال عقدة العقل ثم تختلط المزاجات لاضطرابها فتحترق الصفراء فتحول سوداء فيكون من ذلك الوسواس والهذيان والتوه والوله وذلك أن الدماغ جامد وهو مكان للعقل هو مركب عليه معقود به فاذا اختلطت المزاجات اشتعلت فتلهب شعلها الى الدماغ فأحرقه وأذابه فحل محل العقل الذى مكانه مخ الدماغ وسلطانه صقال القلب الظاهر كصقال الرقعة وهو بمنزلة الشمس الطالعة محلها الفلك العلوى وشعاعها على الارض كذلك العقل محله المخ وسلطانه فى القلب وفى هذا المقام الطيش والهيمان وهذا مكروه عند العلماء وقد أصاب ذلك بعض المحبين فى مقام المحبة فانطبق عليهم فولهوا بوجده ومنهم من فزع ذلك عن قلوبهم فسرى عنهم فنطقوا بعلمه وقد كان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول لاهل التقال الطاوين المتقشفين احفظوا عقولكم فانه لم يكن ولى الله ناقص العقل والمعنى الثالث وهو شرها فى مجاوزة الخوف هو أن يعظم الخوف ويقوى فيذهب الرجاء اذا لم يواجه بعلم الاخلاق من الجود والكرم والاحسان التى تعدل المقام فتروح كروب الحال فيخرجه ذلك الى القنوط من رحمة الله والاياس من روح الله تعالى دخلت عليهم هذه المشاهدة من قبل العدل والانصاف بمعيار العقل فجاوزتهم علم وصفه بالكرم وخفى الالطاف فتعدت بهم الحدود من قبل قوة نظرهم الى الاكتساب وتمكن تحكم شهادة الاسباب ورجوعهم الى أنفسهم فى الحول والاستطاعة واثباتهم لتحقيق الوعيد عليهم خاصة لا محالة والحكم على الحاكم الراحم بعقولهم وعلوهم من غير تفويض منهم الى مشيئته ولا استسلام لقدرته ولا تأميل لاحد معانى صفاته الحسنى التى تعم جميع صفاتهم السوأى فظهرت سيآتهم الثوانى أمامهم فحجبتهم عن المحسن الاول ولم يعلموا انهم باحسانه اليهم أساؤا وبسبق علمه فيهم تعدوا وان قلمه لم يكن بأيديهم اذ جرى عليهم وان قهر قدرته وسلطان جبره أظهر منهم من خزائنه مافيهم يدلك على صحة ماذكرناه ان أكثر هذه المخاوف كانت فى البصريين وأهل عبادان والعسكريين فكان مذهبهم القدر والقول بالالطف وتفويض المشيئة وتقديم الاستطاعة منهم العمرية أصحاب عمرو والعبادية شيعة عباد والفوطية والعطوية أصحاب هشام الفوطى وابن عطاء الغزال ومنهم التميمية نفوا نصف القدر ومنهم المنازلية أصحاب المنزلة بين المنزلتين والقول بقدور من قادرين وفعل من فاعلين فابتلوا بالاعتماد على الاسباب وبالنظر الى أوّلية الاكتساب فحجبهم ذلك عن القدر الوهاب فهرب هؤلاء من الامن والاغترار فوقعوا فى أعظم منهما من القنوط والاياس فصاروا فى كبائر المعاصى من خوفهم منها فمثلهم مثل الخوارج خرجوا على الائمة بالسيف لانكار المنكر فوقعوا فى أنكر المنكر من تكفير الائمة وانكارهم السلطان وتكفيرهم الامة بالصغائر وهذا من أبدع البدع وهؤلاء كلاب

الدنيا فان الجحيم هى المأوى وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وفى التذكرة المكاره كل ما شق على النفس فعله كالطهارة فى السبرات وغيرها من أعمال الطاعات والشهوات كل ما وافق النفس وتدعو اليه أعلم النبى صلى الله عليه وسلم ان الجنة لا تنال الا بقطع مفاوز المكاره وبالصبر عليها وان النار لا ينجى منها الا بترك الشهوات وفطام النفس عنها مقس عن أبى هريرة رضى الله عنه قال صلى الله عليه وسلم أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارئ ألم أعلمك ما أنزلت على رسولى فيقول بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت فيقول كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول له الملائكة كذبت انما أردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج الى أحد فيقول بلى يارب فيقول فماذا عملت فيما آتيتك فيقول كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله تعالى له كذبت وتقول له الملائكة كذبت ويقول الله بل أردت ان يقال فلان

أهل النار ومثلهم أيضا مثل المعتزلة هربوا من طريق المرجئة ان الموحدين لا يدخلون النار فحققوا الوعيد على الموحدين وخلدوا الفاسقين فى النار فجازوا حد المرجئة وزادوا عليهم كما جاوزت المرجئة طريق أهل السنة وقصرت عنهم وكان شيخنا أبو محمد رحمه الله تعالى يقول أهل البدع كلهم يرون الخروج على السلطان و يرون السيف على الامة و يكفرون الائمة فهذا أضر الوجوه فى مجاوزة الخوف عن قدره وهو من التعدى لحدود الله تعالى وأمره قد جعل الله لكل شئ قدرا ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه فصدق الرجاء واعتدال الخوف به من حقيقة العلم بالله تعالى ومجاوزة الشئ كالتقصير عنه والمؤمن حقا هو المعتدل بين الخوف والرجاء فالخوف المتلف للنفس بالموت أو المزيل للعقل بالفوت خير من هذا الوصف الذى هو القنوط لان هذا مزيل للعلم ومسقط للمقام موقع فى الكبائر على أن هذين المقامين من الخوف ليس فيهما علم ولا مشاهدة على الكشف وانما هو قوة وجد تصطلم مرارته فتوجد اتلاف النفس ومحو العقل من عبد بمنزلة خوف الكروبيين خاصة من الاملاك أهل الكرب والتمكن لانهم لا ينقلون فى المقامات التى يعدلون بها كمقربى الروحانيين و بلغنى أن منهم جيلا يخرج كل يوم من تحت العرش بعدد البشر قد أقلقه الشوق وحقره الكرب يريد النظر الى وجه العلى الاعلى فيحرقهم شعاع سبحات وجهه الكريم سبحانه وتعالى فيحترقون احتراق الفراش فى المصباح ثم يعود مثلهم من الغد فهذا أبهم الى يوم القيامة كل ملك لو جمع السموات والارضين فى كفة غابت فى قبضته ولعمرى ان سائر الملائكة لا ينتقلون فى المقامات كالمؤمنين بل لكل ملك مقام معلوم لا ينتقل منه الى غيره انما يمدون من ذلك المقام بمدد لا نهاية له الى يوم القيامة باكثر مما يزاد جميع البشر ولكن أولئك يحمل خوفهم قواهم و يثبت بمشاهدة وصف المخوف خوفهم وصفاتهم فلا يؤودهم ولا يقتلهم لانهم يمدون بالقوى و يعصمون من الموت بحفظ آجالهم الى وقتها فى الآخر على أن منهم من يطيش عقله و يتوله قلبه ومنهم من يصيح فى تيهه ومنهم من يتيه فلا يرد وجهه شئ الى يوم القيامة ومنهم من يفزع الفزعة فلا يرتد اليه طرفه ولا يرجع اليه عقله الى يوم الحشر ومنهم من يصعق صعقة فلا يزال فى صرخة واحدة الى نفخ الصور وكثير منهم يصعقون عند سماع الكلام من الملك الجبار حتى اذا فزع عن قلوبهم سألوا الروحانيين من المقربين ذوى الحجب القريبة والرتب العلية منهم جبريل واسرافيل وميكائيل ماذا قال ربكم فهؤلاء الحاضرون من الناظرين والمتمكنون من الشاهدين بحجبة القدس أولو المحبة والانس قالوا الحق وهو العلى الكبير فمثل هؤلاء الخائفين مثل المخلصين من المؤمنين الذين قال الله أولئك لهم رزق معلوم ومثل الاقوياء من العالمين أولى البصائر والتمكين مثل الصابرين الذين يؤتون أجرهم بغير حساب وعلماء الموقنين ينقلون فى مقامات اليقين بمقتضى احكامها من مقام خوف الى مقام رجاء مثله فاذا عملوا فى هذه المقامات بما يقتضيهم رفعوا الى ما فوقها من مقام رجاء الى مقام رجاء هو خير منه ومن حال خوف الى حال خوف أشرف منه ثم ينتقلون من مقامات الاشفاق الى حال الاشتياق ومن أحوال الوجل والاحتراق الى مقام التملق والطمأنينة ومن حال الفزع الى مقام الانس ومن الابعاد والوحشة والتهويل الى الرضا والمحبة والتأميل فهذا امكان فضلهم على من وقف فى مقامه لم يجاوز من العموم ومن استتر بحاله وقام فى ظله فلم يقطعه الى ظل ممدود فوقه ولم يرفع منه الى محل رفيع أعلاه ومثل الخائفين من المؤمنين مثل الكروبيين من الملائكة ومثل الراجين من المحبين كمثل الروحانيين من المقربين وأصل الرجاء وتفضيله ان عند العلماء بالله تعالى من عظيم الرجاء ما يضاهى عظيم الخوف فيعدل البنية و يحكم بين المقامين بالسوية فلا يبدو على قلوبهم باد من الخوف عن مشاهدة وصف من الصفات المخوفة تكربهم الاطلع طالع وراء من عظيم الرجاء أشهد خلقا من الاخلاق اللطيفة تروحهم ولا يطرأ على قلوبهم طارئ من الخوف يرهبون منه الابدا عليهم باد من الرجاء يأنسون به اليه فتعتدل صفاتهم وتستوى مقاماتهم عن معاينة معنى من معانى صفاته لاستواء كمال ذاته فتكون قلوبهم كلسان الميزان بين الخوف والرجاء وتكون كالطائر مقوما بين

جوادوقد قيل ذلك ثم يؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله فيماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت وتقول له الملائكة كذبت و يقول الله بل أردت ان يقال فلان جرىء وقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبة أبى هريرة فقال يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة فاخبر معاوية بهذا الحديث عن أبى هريرة فقال قد فعل بهؤلاء هذا فكيف بمن بقى من الناس ثم بكى معاوية بكاء شديدا حتى ظن انه هالك ثم أفاق ومسح عن وجهه وقال صدق الله ورسوله من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون خ م ت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة فمالى لا يدخلنى الا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم فقال الله تعالى للجنة انما أنت رحمتى أرحم بك من أشاء من عبادى وقال للنار انما أنت عذابى أعذب بك من أشاء من عبادى ولكل

جناحيه عن شهود وصف وخلق اقتضاء ظهور البلاء والنعماء فيحمل الخوف الرجاء ويستولى الرجاء على الخوف ويفيضان معانى سعة القلب وقوّته فيغيبان فيه لانه قوى بقوى ووسع بواسع وقادر بمقتدر وينفرد الهم عن المعنيين فيقف بمشاهدة منفرد فيحكم عليه مابه أفرد ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم بك أحول وبك أقول وبك أصول ومن ذلك قوله فى علو شهادته ونفاذ علمه من كونه بشاهده أعوذ بك منك ومثله قوله * ألا كل شئ ماخلا الله باطل * فهذا نطق عن وجد فى مقام البقاء بعد فقد حال الفناء هنالك سمع قول الباقى المغنى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ومن ذلك الاثر المشهور عن الله سبحانه وتعالى لم تسعنى سمائى ولا أرضى ووسعنى قلب عبدى المؤمن الشاكر اللين الوادع ولا يصلح تفصيل ما أجملناه ولا شرح مارمزناه وقال بعض علماء السلف ما ألبس المؤمن لبسة أحسن من سكينة فى خشوع وذلة فى خضوع فهذا حالان من الخوف وهى لبسة الانبياء وسيما علماء الاولياء وقال لقمان لابنه يابنى خف الله تعالى خوفا لاتيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لاتامن فيه مكره ثم فسره مجملا فقال المؤمن كذى قلبين يخاف بأحدهما ويرجو بالآخر ومعنى ذلك أن المؤمن ذو وصفين عن مشاهدتين لان المؤمن الاول والشاهد الاعلى ذو وصف مخوف مثل البطش والسطوة والعزة والنقمة فاذا شهد العبد ما آمن به من هذه الصفات خاف اذ عرفه بها وتجلى له بشاهدها والمعروف أيضا هو المألوف ذو أخلاق مرجوة من الكرم والرفق والرحمة واللطف فاذا شهد القلب ما آمن به من هذه الاخلاق رجا من شهده بها فصار العبد لوصفيه الرجاء والخوف عن معنى شهادتيه المخوفة والمرجوة عن وصفى مخوفه ومرجوه صار كذى قلبين كأنه يرجو بقلب ويخاف بآخر وانما هما شهادتان فى قلب واحد لانهما مقامان لقلب واحد عن شهود مخوف ومرجو واحد فهذا تفسير قول لقمان وهو صفة المؤمن ذى الايقان الا ان الخائف يوصف بما غلب عليه من الحال عما قوى عليه من المشاهدة ويندرج الرجاء فى مقامه ويوصف الراجى بما قوى عليه من الحال عن غلبة شهادته وينطوى الخوف فى مقامه ولا كنه للمخوف تعالى وعلا ولا نهاية للمرجو عز وجل سبحانه وتعالى فأما الشهيد الموقن العالم المقرب فبالحالين جميعا يوصف مع اعتدالهما وبالوصفين جميعا يعرف مع استوائهما ثم يغلب عليه الوصف التام والحال الكامل فاذا عرف به أدرج الوصفان فيه فيقال صديق لانه قد تحقق بالصدق فأغنى عن أن يقال مخلص ثم يقال عارف لانه قد رسخ فى العلم فيكفى أن يقال صادق ثم يقال مقرب لانه قد أشهد القرب فاقترب ولم يحتج الى أن يقال عامل وهذه أسماء الكمال وأحوال التمام لايفتقر الى ذكر حال دونها ولا يوصف بوصف كوصف خائف أو راج لوجودهما فيه واعتدالهما عنده لان الخوف والرجاء قد فاضا عليه ثم غاضا فيه فاذا قلت عارف أو مقرب أو صديق فقد دخل فيه وصف محب خائف راج عامل لامحالة كما اذا قلت فلان هاشمى استغنيت أن تقول قرشى أو عربى لان كل هاشمى يكون عربيا قرشيا لامحالة ثم تصفه بوصف التمام أيضا فيندرج الوصفان فيه فتقول فلان حسنى أو حسينى فاكتفيت أن تقول هاشمى أو قرشى أو علوى وان كان هاشميا قرشيا علويا لانه قد عرف ان كل حسينى فهو هاشمى قرشى علوى لامحالة فأما أن تقول فلان عربى أو هاشمى أو قرشى أو علوى فلا يعرف الا بما وسمته به لانه قد يكون علويا وهو الغاية فى النسب ولا يكون حسينيا وقد يكون هاشميا غير علوى ويكون قرشيا غير هاشمى ويكون عربيا غير قرشى فيلزمه وصف ماعرفته حسب فكذلك قولك عارف أو محب أو مقرب أو صديق هى اسم التمام والكمال فى المقامات التى تحتوى على جميع الاسباب كقولك حسنى هو اسم التمام وشرف الكمال الذى يفوق على كل الانساب ولا يصح مقام المعرفة الا بعين اليقين وشاهد التوحيد بعد أن لايبقى من النفس بقية فى مقام اليقين ولا من الخلق رؤية فى شاهد التوحيد فيكون روحانيا بعد فناء النفس باليقين ربانيا عند شهود الخالق سبق منه التوحيد لان العارف لايوسم بحال دون حال وقد استغرق الاحوال ولا يوسم بمقام دون مقام اذ قد جاوز المقامات

حقيقة

واحد منهما ملؤها طت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها يزل بها الى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب د قال صلى الله عليه وسلم لايحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار م قال صلى الله عليه وسلم أهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رفيق القلب لكل ذى قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال وأهل النار خمسة الضعيف الذى لازبر له الذين هم فيكم تبع لايبغون أهلا ولا مالا والخائن الذى لايخفى له طمع وان دق الا خانه ورجل لايصبح ولا يمسى الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش خم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى فى النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار فى الرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاة كسوف الشمس رأيت النار فلم أر منظرا كاليوم قط ورأيت أكثر أهلها النساء قالوا بم يارسول الله قال بكفرهن

فحقيقة معناه عارف بالمعروف الذى هو بكل نهاية وفضل موصوف وغموض غريبة عند غير أبناء جنسه أن ينكروه فان تعرف اليهم أو عرفوه فليس بعارف وقال بعضهم فى وصف العارف أن يعرف كل شئ ولا يتعرف الى شئ وقيل حقيقته أن يعرف ولا يعرف عن مقتضى وصف من اوصاف الربوبية لانه روحانى ربانى وثلاث مقامات لا يقاس عليها ولا يتمثل بها فمن قاس عليها أخطأ ومن تمثل بها ادعى مقام النبوة ومقام المعرفة ومقام محبوب وقد ذكرنا وصفه فى شرح مقام المحبة فى كتاب المحبين فهذه طرائق الخائفين وجل صفات العارفين لانهم متفاوتون فى القرب والاقتراب متعالون فى التقرب والتقريب مترافعون فى التعرف والتعريف فالمؤمنون من الشهداء وهم المقربون من الصديقين بشهادتهم قائمون لهم من القرب الاقتراب ومن التقرب التقريب ومن التعرف التعريف ومن الايلاف التأليف لان مقامهم من القريب العالى الطريق الاقرب والوجهة العليا وهم السابقون لاهل مقامات اليمين أولى القرب والتقرب وأول الحب التحبب ولهم التألف والتأليف والتعريف وهؤلاء الابرار ومن أفضل طرقات الخائفين ماسرى خوفه الى النفس قاطعا شغل الهوى وأخذ نار الشهوات فسقطت له أثقال المجاهدة وخفت عنده مؤنة المكابدة ووجدت معه حلاوة الطاعة لفقد حلاوة المعصية واجتمع لهم بالحق عند زوال التشتت بالهوى والخلق وسكنت النفس بالطمأنينة لمعاينة القلب للشهادة وظهر نعيم الزهد والرضا الباطن الصدق والاخلاص ثم سكن الخوف فى القلب بعد ذلك ولم يجاوزه فيتعدى الحد الى بعض المفائض التى ذكرناها بل كان منه الحزن الدائم والهم اللازم والخشوع القائم وهذا هو وصف القلب المنكسر وحال العبد المنجبر الذى يوجد عنده الجبار فجبره بعد كسره فصلح له بعد ان عطل من غيره وصار مزيد العالم الخائف من الله تعالى كشوف اليقين وتقبله لديه فى شهادة المقربين فكان القريب لديه موجودا وصار الحبيب عنده مطلوبا لانه من المنكسرة قلوبهم من أجله وبانه صار عنده من أهله واعلم أن الذى قطع الخلق عن هذه حلاوة الهوى ولا يخرجها الا أحد كأسين تجرع مرارة الخوف فيغلب حلاوة الهوى فيخرجه أو غلبة حلاوة المحبة فيستغرق حلاوة الهوى فيغمره فان عدم أحد هذين فهو من المذبذبين بين ذلك وروينا أن عليا رضى الله عنه قال لبعض الخائفين وقد تاه عقله فأخرجه الخوف الى القنوط ما أصارك الى ما أرى فقال ذنوبى العظيمة فقال ويحك ان رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك فقال ان ذنوبى أعظم من أن يكفرها شئ فقال ان قنوطك من رحمة الله تعالى أعظم من ذنوبك والخوف جند من جنود الله تعالى قد يستخرج من قلوب المريدين والعابدين مالا يستخرجه الرجاء فتستجيب له القلوب المرادة به بنهايات الزهد وحقائق التوبة وشدة المراقبة وقد يفعل الله تعالى جميع ذلك باهل الرجاء فى المحبة ومقام الرجاء مستخرج منهم الكرم والحياء والخوف اسم جامع لمقامات الخائفين ثم يشتمل على خمس طبقات فى كل طبقة ثلاث مقامات فالمقام الاول من الخوف هو التقوى وفى هذا المقام المتقون والصالحون والعاملون والمقام الثانى من الخوف هو الحذر وفى هذا المقام الزاهدون والورعون والخاشعون والمقام الثالث هو الخشية وفى هذا طبقات العالمين والعابدين والمحسنين والمقام الرابع هو الوجل وهذا للذاكرين والمخبتين والعارفين والمقام الخامس هو الاشفاق وهو للصديقين وهم الشهداء والمحبون وخصوص المقربين وخوف هؤلاء عن معرفة الصفات لاجل الموصوف لا عن مشاهدة الاكتساب لاجل العقوبات كما جاء فى الخبر أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ياداود خفنى كما تخاف السبع الضارى فالسبع انما يخاف لوصفه بالبطش والسطوة ولما ألبس وجهه من الهيبة والكبر لا لاجل ذنب كان من الانسان اليه وكذلك لهؤلاء من الرجاء العظيم والنصيب الاوفر على معنى خوفهم مالا يسع للعموم أن يذكر فطلبهم برجائهم وحسن ظنهم بما هو لهم لا يصفه الا هم ولا يعرفه سواهم جل ذلك أنصبة القرب ونعيم الانس وروح اللقاء وسرور التملق وحلاوة الخدمة وفرح المناجاة وروح الخلوة وارتياح المحاورة فلهم منه تجلى معانى الصفات وظهور معانى محاسن

فالوا يكفرن بالله قال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيأ قالت ما رأيت منك خيرا قط شعر

وكيف قرت لاهل العلم أعينهم
أو استلذوا لذيذ النوم اذ هجعوا
والموت ينذرهم جهرا علانية
لو كان للقوم اسماع لقد سمعوا
والنار بادية لا بد موردهم
وليس يدرون من ينجو ومن يقع
قد أمست الطير والانعام آمنة
والنون فى البحر لا يغشى لها فزع
والآدمى بهذا الكسب مرتهن
له رقيب على الاسرار مطلع
حتى يوافيه يوم الجمع منفردا
وخصمه الجلد والابصار والسمع
اذا النبيون والاشهاد قائمة
والجن والانس والاملاك قد خشعوا
وطارت الصحف والايدى منشرة
فيها السرائر والاخبار تطلع
فكيف سهوكم والنبا واقعة
عما قليل ولا تدرى بما تقع
فى الجنان وفوز لا انقطاع له *
أم الجحيم فلا تبقى ولا تدع
تهوى بسكانها طورا وترفعهم
اذا رجوا المخرج منها غمها قمعوا
طال البكاء فلم يرحم تضرعهم
هيهات لا رقة تغنى ولا جزع

الاوصاف فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ولاصحاب اليمين اظهار نعيم الافعال ومواهب العطاء والافضال وقد كان يحيى بن معاذ يقول من عبد الله تعالى بالخوف دون الرجاء غرق فى بحار الافكار ومن عبده بالرجاء دون الخوف تاه فى مفاوز الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء معا استقام فى محجة الاذكار وقال مكحول النسفى رحمه الله تعالى فى معناه الا انه جاوز فيه الحد فقال من عبد الله تعالى بالخوف فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجئ ومن عبده بالمحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد والله سبحانه وتعالى أعلم

(شرح مقام الزهد ووصف أحوال الزاهدين)

وهو المقام السادس من مقامات اليقين قد سمى الله تعالى أهل الزهد علماء بقوله تعالى اذ وصف قارون فخرج على قومه فى زينته الى قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن قيل هم الزاهدون فى الدنيا وقال عز وجل أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا جاء فى التفسير صبروا على الزهد فى الدنيا وقال جل وعلا والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قيل على الفقر ويشهد للصبر عن الدنيا فى هاتين الآيتين قوله عز وجل فى وصف العلماء الزاهدين لما قال وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير قال عقيب ذلك فى بقية ثنائه عليهم ولا يلقاها الا الصابرون أى عن زينة الدنيا ثم قال فى مدحهم بوصف آخر يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا فقد حصل للزاهد أجران بصبره على الفقر وبوجود زهده وللفقير المعدم أجر واحد على الغنى لوجود فقره وعدم زهده وعلى ذلك تأويل الخبرين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال فى أحدهما يدخل فقراء أمتى الجنة قبل اغنيائهم بأربعين خريفا وقال فى الخبر الآخر يدخل فقراء المؤمنين الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام لان الفقير الزاهد يدخل الجنة قبل الغنى المصلح بخمسمائة عام وهؤلاء خصوص الفقراء وان الفقير غير الزاهد يدخل الجنة قبل الاغنياء بأربعين خريفا لاجل فقره فقط وهم عموم الفقراء فصار الاغنياء مفضولين فى الحالين معا وان جلة الفقراء يدخلون الجنة قبلهم لمكان غناهم فى الدنيا وان عموم الاغنياء من أهل الدنيا وأبنائها موقوفون للحساب ومطالبون بالانفاق والاكتساب بالخبر الثالث اطلعت فى الجنة فاذا أكثر أهلها الفقراء واطلعت فى النار فاذا أكثر أهلها الاغنياء وفى معناه الخبر الآخر فقلت أين الاغنياء فقال حبسهم الجد اى الحظ وقد سمى الله تعالى الفقراء الزاهدين محسنين ووضع عنهم السبيل فقال تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج ثم قال ما على المحسنين من سبيل ثم نص على ذكر من عليه الحجة والمطالبة فقال جل وعلا انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف يعنى النساء وعلى هذا المعنى جاء تأويل قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا قيل أزهد فى الدنيا فصار الاحسان مقام الزاهدين وهو وصف اليقين كذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل ما الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه يعنى على اليقين وهو المشاهدة ولعمرى ان الزهد حال الموقن لانه مقتضى يقينه وقد يحتج متوهم بفضل الاغنياء على الفقراء عنده لقوله تعالى مخبرا عن الفقراء تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون ولا يعلم ان هذا عند أهل التدبر للقرآن مزيد للفقراء لتمام حالهم لما كانوا محسنين كما قال سبحانه وتعالى وسنزيد المحسنين فكان مزيدهم الحزن والاشفاق وخوف التقصير لمشاهدة عظم حق الربوبية عليهم حتى كأنهم مسيؤن حتى بشرهم الله تعالى بأنهم محسنون لما قال عز وجل ما على المحسنين من سبيل لانه ضمهم اليهم فى الوصف وعطفهم عليهم فى المعنى وأيضا فلم يكن بكاؤهم على فوت الدنيا ولا على طلب الغنى والله تعالى يمدحهم بصبرهم عن الدنيا ويذم الدنيا اليهم بل حزنهم على طلب المزيد من الفقر ليجدوا الانفاق فيخرجوه فيفتقروا منه فيزدادوا دون فقر ابتذاله الى فقرهم فعلى كثرة الانفاق وحقيقة الفقر من الدنيا كان حزنهم فهذا فضل ثان للفقراء لا على الجمع والادخار والموضع الاعلى الذى فضل

ليشفع العلم قبل الموت علله قد سال قوم بها الرجعى فما رجعوا

(فصل) قال الله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى روى الدارمى عن النعمان ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنذرتكم النار فما زال يقولها حتى لو كان فى مقامى هذا سمعه أهل السوق وحتى سقطت خميصة كانت عليه عند رجليه *اخوانى حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل ان توزنوا وتطالبوا واعرضوا المعاصى على أنفسكم فما كان منها فى أنفسكم توبوا عنه توبة نصوحا كى لا توقعها فى نار وقودها الناس والحجارة فأى بدن يصبر عليها وأى قلب يطيقها وفى التذكرة قال كعب لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب يغلى دماغه حتى يسيل من حرها وان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى مقرب ولا نبى مصطفى الا خر جاثيا على ركبتيه ويقول نفسى نفسى وقال ابن يزيد وان الحاقة من غل أهل جهنم لو ألقيت على أعظم جبل فى الدنيا لهدته

الفقراء من هذه الآية عند أهل الاستنباط والتفكر وهو مشاركتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حاله ووصف الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بمثل حالهم في قوله تعالى قلت لا أجد ما أحملكم عليه ثم نعتهم بمثله لأنهم هم الأمثل فالأمثل به فقال تعالى أن لا يجدوا ما ينفقون فمن كان برسول الله صلى الله عليه وسلم أمثل فهو أفضل كيف وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم تحفة المؤمن في الدنيا الفقر فجعل الفقر تحية له من ذي التحيات المباركات مع الخبر المشهور الفقر على المؤمن أزين من العذار على خد الفرس الجواد والفقر اختيار رسول الله صلى الله عليه وسلم وشعار الأنبياء وطريقة علية الصحابة والأصفياء وروينا في الخبر آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه في الدنيا وفي الخبر الآخر رأيته يدخل الجنة زحفا ولا نعلم في الأمة أفضل من طائفتين المهاجرون وأهل الصفة وجميعا مدح الله تعالى بالفقر فقال للفقراء المهاجرين الذين أحصروا في سبيل الله فقدم وصفهم بالفقر على أعمالهم الهجرة والحصر والله تعالى لا يمدح من يحب الإعجاب ولا يصفه حتى يحبه وروينا في قوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا قيل عن الدنيا وفي خبر العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم وجاء في الأثر لا يزال لا إله إلا الله ترفع عن العباد سخط الله تعالى ما لم ينالوا ما نقص من دنياهم وفي خبر آخر ما لم يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله عز وجل كذبتم لستم بها صادقين وقد روينا في خبر عن أهل البيت إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فإذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قال لم يترك له أهلا ولا مالا وفي أخبار أهل الكتب أوحى الله تعالى إلى بعض أوليائه احذر إذا مقتك فتسقط من عيني فأصب عليك الدنيا صبا ويقال ليس عمل من أعمال البر يجمع الطاعات كلها إلا الزهد في الدنيا وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم تابعنا الأعمال كلها فلم نر أبلغ في أمر الآخرة من زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين أنتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا أزهد منكم في الدنيا وفي وصية لقمان لابنه واعلم أن أعون الأشياء على الدين زهادة في الدنيا ويقال من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله تعالى ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وفي خبر آخر إذا رأيتم العبد قد أعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فإنه يلقى الحكمة وقد قال الله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وروينا في الآثار جل هذه الأخبار من أصبح وهمه الدنيا شتت الله تعالى عليه أمره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم ينل من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة وقال الله تعالى في معنى ذلك من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب وقد روينا في خبر قلنا يا رسول الله أي الناس خير قال مخموم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخموم القلب قال التقي النقي الذي لا غل فيه ولا غش ولا حسد ولا بغي قيل يا رسول الله فمن على أثره قال الذي يشنأ الدنيا ويحب الآخرة والشيء يعرف بضده كما يعرف بمثله وضد الشنآن المحبة وضد الزهد الرغبة وفي دليل خطابه أن شر الناس الذي يحب الدنيا وأن الراغب فيها هو المحب لها والاقتناء لها والاستكثار منها علامة الرغبة فيها كيف وقد جاء أيضا إن أردت أن يحبك الله تعالى فازهد في الدنيا فجعل الزهد سبب محبة الله تعالى فصار الزاهد حبيب الله تعالى فينبغي أن يكون الزهد من أفضل الأحوال إذ المحبة أعلى المقامات وفي دليل الكلام أن من رغب في الدنيا فقد تعرض لبغض الله تعالى الذي لا شيء أعظم منه وأن المحب للدنيا بغيض الله تعالى وكان أبو محمد رحمه الله تعالى يقول اجعلوا أعمال البر كلها في موازين الزهاد ويكون ثواب زهدهم زيادة لهم وقال أيضا العباد في موازين العلماء والعلماء في موازين الزهاد يوم القيامة فلا يطمعن طامع في محبة الله تعالى وهو محب للدنيا لأن الله تعالى يمقتها وفي خبر ما نظر إليها منذ خلقها يقول لها اسكني يا لاشي

وخف يا مسكين من زوال إيمانك بشؤم ذنوبك فتخلد في عذاب جهنم بأهوالها وتلحقك حسرة لا منتهى لها فقد روى البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جيء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يذبح ويقال يا أهل الجنة خلودا بلا موت ويا أهل النار خلودا بلا موت ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وفي رواية الترمذي ويقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم فيجيء فيذبح ولولا أن الله عز وجل قضى لأهل الجنة بالحياة والبقاء لماتوا فرحا ولولا أن الله عز وجل قضى لأهل النار بالحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا وعن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع فيستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم

أنت وأهلك الى النار وفى الخبر يقول الله تعالى يوم القيامة للدنيا ميز واما كان منها لى والقوا سائرها فى النار وكذلك روينا فى الاثر الدنيا ملعونة ملعون مافيها الاذكر الله تعالى وماوالاه وفى لفظ آخر فمثل الدنيا مثل ابليس خلقه الله تعالى للبعد واللعنة ليبتليه ويبتلى به ويهلكه ويهلك به وقد شهد ذلك بعض المكاشفين فقال رأيت الدنيا فى صورة جيفة ورأيت ابليس فى صورة كلب وهو جاثم عليها ومناد ينادى من فوق أنت كلب من كلابى وهذه جيفة من خلقى وقد جعلتها نصيبك منى فمن نازعك شيأ منها فقد سلطتك عليه فجاء من هذا النم امكانه فمن تمكن فى شئ منها تسلط العدو بالمكانة منه بقدر ما أصاب منها وقد كوشف بها بعض الاولياء فى صورة امرأة ورأى أكف الخلق ممدودة اليها وهى تجعل فى أيديهم شيأ قال فقلت له ماهو قال شئ يلتذ وطائفة تمر عليها مكتوفى الايدى لا تعطيهم شيأ وكوشف بها مورق العجلى فى صورة عجوز شمطاء ذدانية مسمجة عليها ألوان المصبغات وأنواع الزينة قال فقلت أعوذ بالله منك فقالت ان أردت أن يعيذك الله تعالى منى فابغض الدرهم وكذلك جاء فى الخبر الدنيا موقوفة منذ خلقها الله تعالى بين السماء والارض لا ينظر اليها فتقول يوم القيامة يارب اجعلنى لادنى أوليائك نصيبا اليوم فيقول اسكتى يالاشى أنالم أرضك لهم فى الدنيا أأرضاك لهم اليوم وقال بعض السلف الدنيا دنيئة وأدنى منها قلب من يحبها وروى عن على كرم الله وجهه الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مزاحمة الكلاب وفى أخبار موسى عليه السلام ان لم تلق الفقير بمثل ماتلقى به الغنى فاجعل كل علم علمتك تحت التراب واذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال امامنا أبو محمد رحمه الله تعالى ورويناعن بعض علمائنا فى أخبار داود عليه السلام انى خلقت محمدا لاجلى وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت ماخلقت لاجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته عنى ومن اشتغل منهم بى سقت اليه ماخلقته لاجله وكان يقول الصديقون فى بداياتهم طلبوا الدنيا من الله تعالى فمنعهم فلما تمكنوا من أحوالهم عرضها عليهم فامتنعوا منها وكان عيسى عليه السلام يقول للدنيا اليك عنى ياخنزيرة وقد روينا هذا القول عن يزيد بن ميسرة وكان من علماء الشام قال كان أشياخنا يسمون الدنيا خنزيرة ولو وجدوا لها اسما شرا من هذا سموها به قال وكانت اذا أقبلت على أحدهم الدنيا قال لها اليك عنا ياخنزيرة لاحاجة لنا بك انا قد عرفنا الهنا عز وجل معناه قد عرفنا بالابتلاء بك لينظر كيف نعمل فى الزهد فيك والاثرة له سبحانه وتعالى وعرفناه أيضا بالمقت لك فوافقناه فى ذلك وعرفناه أيضا فتألهت قلوبنا اليه وأعرضنا عما سواه وكذلك كان الحسن رحمه الله تعالى يصف أشياخه كان أحدهم يعرض عليه المال الحلال فيقال خذه فاستغن به فيقول لاحاجة لى فيه أخاف أن يفسد على قلبى فهذا كان له قلب صالح راعاه فخاف تغيره كذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه مر بجدى ميت أجرب فقال أترون هذا هان على أهله قلنا يارسول الله من هوانه القوه فقال الدنيا أهون على الله تعالى من هذا على أهله وفى لفظ آخر انه قال أيكم يحب ان هذا له بدرهم قلنا لا أينا وأى شئ يساوى هذا قال صلى الله عليه وسلم الدنيا اهون على الله تعالى من هذا عليكم وكذلك أخبر بالغاية فى قلتها وعدم قيمتها بقوله لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ماسقى كافرا منها شربة ماء وضرب المثل فى نتنها وانقلابها على أهلها بقوله للاعرابى أرأيت ماتأكلون وتشربون ألستم تتغوطون وتبولون قال بلى قال فالى أى شئ يصير قال الى ماعلمت يارسول الله قال أليس يقعد أحدكم خلف بيته فيجعل يده على أنفه من نتن ريحه قال نعم قال فان الله تعالى جعل الدنيا مثلا لما يخرج من ابن آدم وكذلك روينا فى تأويل قوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون قيل مواضع الغائط والبول وقال سبحانه وتعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع قال بعض أهل اللغة متاع أى جيفة سمعت عن الاصمعى قال بعض العرب يقول متع اللحم اذا تغير وانتن وقد كان الحسن رحمه الله تعالى يقول لما هبط آدم عليه السلام الى الدنيا كان أول شئ عمل فيها انه أحدث وروينا عن ابن عباس رضى الله

عنهما

بكلاليب الحديد فاذا آدنيت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخلت بطونهم قطعت مافى بطونهم فيقولون أدعوا خزنة جهنم فيقولون أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الافى ضلال قال فيقولون أدعوا مالكا فيقولون يامالك ليقض علينا ربك قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش ثبت ان بين دعائهم واجابة مالك اياهم ألف عام قال فيقولون أدعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك يأخذون فى الزفير والحسرة والويل وروى الحسن جالسا فى زاوية وهو يبكى فقيل له لم تبكى قال اخشى ان يطرحنى الله فى النار ولا يبالى شعر

يانفس توبى عن فعال منكرة
واسعى الى دار البقا مستبصرة
يانفس فاز القوم من رب العلى
بالعفو عن زلاتهم والمغفرة
يانفس قد قطعوا النهار لربهم
بصيامهم وقيامهم ماأكثره
يانفس ويحك للمتاب فبادرى
من قبل يأتيك الذنوب مسطرة

عنهما قال انه نظر الى ماخرج منه فاّذاه ريحه فاغتم لذلك فقال له جبريل هذه رائحة خطيئتك فشهد العقلاء عن الله تعالى الدنيا فى صورة كنيف فلم يدخلوا فيها الاضرورة فكلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان أفضل وشهدها بعضهم جيفة فلم ينالوا منها الابلغة فكلما تقللت من الجيفة كان خيرا وقال وهب بن منبه قرأت فى بعض الكتب يا ابن آدم ان تردنى اترك الدنيا وان ترد الدنيا طال عنائك وفى بعض كتب الله تعالى يا ابن آدم أنا بدك اللازم فلا تؤثر على مامنه بد وقال بعض المخبرين عن الله سبحانه وتعالى انه أوحى الى الدنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك وقال آخر وقد روينا مسندا ان الله تعالى أوحى الى الدنيا تمررى لاوليائى حتى تكون رغبتهم فيما عندى واحلولى لاعدائى حتى يكرهوا لقائى وفى حديث عائشة رضى الله عنها من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله تعالى كره الله لقاءه فهذه الاّثار كلها قاصمة لظهر أبناء الدنيا مسخنة لعين محبيها واضدادها من الاخبار الحسنى فى فضل الزهد وشرف الفقر رافعة لرؤس الفقراء الصادقين وقرة عين الصالحين لله عزوجل الزاهدين فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون وأصل الرغبة فى الدنيا من ضعف اليقين لان العبد لوقوى يقينه نظر بنوره الى الاّجل فغاب فى نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فاّثر ماهو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه أرضى وقدم مايفنى و ينقطع الى مايدوم و يتصل وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن وان الحاضر لايحب ماغاب وانتقل الى ألم تر الى وصفه عزوجل لابراهيم وليكون من الموقنين قال لاأحب الاّفلين والموقن مأمور باتباع ملة ابراهيم بقوله تعالى ملة أبيكم ابراهيم أى عليكم ملة أبيكم ابراهيم واتبعوا ملته وليس يشهد الوعد والوعيد الاّجل بنور العقل انما يشهد بنور اليقين على انا نقول ان الانوار أربعة والقلب موجه جهات أربعة الى الملك والملكوت والى العز والجبروت فبنور العقل يشهد الملك و بنور الايمان يشهد الملكوت وهو الاّخرة و بنور اليقين يشهد العزة وهى الصفات و بنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية والجبار تعالى فوق القلب محيط به يكاشفه بماشاء فيغاب عليه وجد ماأشهده وضعف اليقين قد يدخل فى كل شئ وقوة اليقين تحتاج اليه فى كل عمل والافهو دنيا يهتدى اليه بنور العقل فمن لم يعط نور اليقين لم ير الملك الكبير فاستهواه الملك الصغير فأحب لاشئ فلم تكن همته فى العلو ولا عنده الاعلى شيأ ✻ ذكر ماهية الزهد أى شئ هو وليس يمكن عبد أن يعرف الزهد حتى يعرف الدنيا أى شئ هى فقد قال الناس فى الزهد أشياء كثيرة ونحن غير محتاجين الى ذكر أقوالهم بما بين الله تعالى وأغنى بكتابه الذى جعل فيه الشفاء والغنى وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحبل المتين والصراط المستقيم من طلب الهدى فى غيره أضله الله وقال سبحانه وتعالى وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله وقال عزوعلا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه فقد ذكر الله جل اسمه فى كتابه ان الدنيا سبعة أشياء وهو قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ثم قال تعالى فى آخرها ذلك متاع الحياة الدنيا ووصف حب الشهوات بالتزين ثم نسق الاوصاف السبعة على الحب لها ثم أشار لها بقوله تعالى ذلك فذا اشارة الى الكاف والكاف كناية عن المذكور المتقدم المنسوق واللام بين ذا والكاف للتمكين والتوكيد فحصل من تدبر الخطاب ان هذه السبعة جملة الدنيا وان هذه الدنيا هذه الاوصاف السبعة وما تفرع من الشهوات رد الى أصل من هذه الجمل فمن أحب جميعها فقد أحب جملة الدنيا نهاية الحب ومن أحب أصلا منها أو فرعا من أصل فقد أحب بعض الدنيا فعلمنا بنص الكلام ان الشهوة دنيا وفهمنا من دليله ان الحاجات ليس بدنيا لانها تقع ضرورات فاذا لم تكن الحاجة دنيا دل انها لاتسمى شهوة وان كانت قد تشتهى لان الشهوة دنيا ولتفرقة الاسماء لايقاع الاحكام عليها واستند ذلك الى خبر رويناه عن الله سبحانه وتعالى فى الاسرائيليات ان ابراهيم صلوات الله عليه أصابته حاجة فذهب الى صديق يستقرض منه شيأ فلم يقرضه فرجع مغموما فأوحى الله تعالى اليه لو سألت

يانفس ان القوم زادوا خيفة
من مكره وقلوبهم متذكره
يانفس جدى فى التقى
وتزودى
عجلا وكونى للبقا مستشعره
يانفس كم قوم على الدنيا
احتووا
ظلما ومالهم اذا من آخره
يانفس كم أمم تفانوا فى البلى
وعظامهم أضحت عظاما
ناخرة
يانفس توبى اليوم من قبل
الردى
فعسى تكونى فى غد مستبشرة
يانفس من لى بالذنوب وكلها
يوم القيامة فى الكتاب محررة
يانفس ماينجيك فى يوم اللقا
من عظم أهوال الحساب
المحضرة
الاشفاعة أحمد الهادى
الذى
يرجى لديه العفو عند المقدرة
فهو النبى الهاشمى المصطفى
المجتبى من خلقه اذ أظهره
يانفس جدى فى المسير لقبره
واصغى الى أبوابه مستصغره
وتمتعى بجماله ووصاله
كى لاتكونى فى الورى متحيرة
واذا وصلت الحرباه فعظمى
تلك المواقف وادخلى متوقرة
فعسى تنالى الفوز من رب
العلى
وتعود زلات الذنوب مكفرة
وتشاهدى ذاك الضريح
وقد بدت
أنواره للكائنات منورة
هو صفوة الرحمن من كل الورى
وبأحسن التكوين حقا
صوره

خليلك لا عطائك فقال يارب عرفت مقتك للدنيا فخشيت أن أسألك منها فتمقتنى فأوحى الله تعالى اليه ليس الحاجة من الدنيا ثم سمعناه تعالى وجل قدرده هذه السبعة الاوصاف فى مكان آخر الى خمسة معان فقال جل من قائل اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فهذه الخمسة هى وصف من أحب تلك السبعة ثم اختصر الخمسة فى معنيين منهاهما جامعان للسبعة فقال انما الحياة الدنيا لعب ولهو ثم رد الاثنين الى وصف واحد وعبر عنه بمعنيين فصارت الدنيا ترجع الى شيئين جامعين مختصرين يصلح ان يكون كل واحد منهما هو الدنيا فالوصف الواحد الذى رد الاثنين اليه اللذان هما اللعب واللهو هو الهوى اندرجت السبعة فيه فقال عز وجل ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فصارت الدنيا طاعة النفس للهوى بدليل قوله تعالى فامامن طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى فلما كانت الجنة ضد الجحيم كان الهوى هو الدنيا لان النهى عنه ضد الايثار له فمن نهى نفسه عن الهوى فانه لم يؤثر الدنيا واذا لم يؤثر الدنيا فهذا هو الزهد كانت له الجنة التى هى ضد الجحيم التى هى لمن لم ينه نفسه عن الهوى بايثاره الدنيا فصارت الدنيا هى طاعة الهوى وايثاره فى كل شئ فينبغى ان يكون الزهد مخالفة الهوى من كل شئ وأما المعنى الآخر الذى عبر به عن هذا الوصف الذى هو الهوى فجعله دنيا أيضا فهو حب البقاء لمتعة النفس استنبطنا ذلك من قوله تعالى وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا الى أجل قريب فالقتال هو فراق الحياة الدنيا لانه المشى بالسيف الى السيف والفناء بين السيفين فقالوا هلا بقيتنا الى وقت آخر وهو أجلنا بالموت لا بالقتل وهذا هو حب البقاء ففسر حب البقاء بانه هو الدنيا فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى فانكشف الناس وافتضح المنافقون وابتلى المؤمنون عند فرض القتال وظهر المحبون الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وعندها ربح الذين هم لانفسهم وأموالهم بائعون وخسر الذين هم للحياة الدنيا بالآخرة مشترون لما قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة فلما اشتراها باعوها وقال فى المشترين الخاسرين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة يعنى رغبوا فى البقاء الادنى لما اشتروه ببيع البقاء الآخرة اذ باعوه فمن اشترى ثلاثين سنة أو أربعين سنة بألف ألف وبأبد الابد فما ربحت تجارته ولا هدى سبيله فهذه تجارة من رغب فى حياة دنياه فاشتراها ببقاء الابد فقد صار بائعا للحياة العالية بما استبدل به من اشتراء ضدها فهذا تدبر قوله تعالى اشتروا الحياة الدنيا أى باعوا الحياة العليا وذلك الاول تجارة من باع حياة نفسه وفرق مجموع ماله فاشتراه الله تعالى منه وعوضه داره وأسكنه عنده جواره فقد ربحت تجارته واهتدى سبيله لما باع حياة عشرين سنة وثلاثين سنة بحياة الابد الابد فهذا ربح تجار الآخرة الزاهدين فى الدنيا وذلك خسر تجار الدنيا الراغبين فى الهوى فشتان بين التجارتين فما أعظم حسرة الفوت على من خسر ماربحه الزاهدون بعد الموت وقد كان الناس مستورين باظهار الزهد فى البقاء ومظنونا بهم حب الباقى الاعلى حتى نزلت ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية الآية وحتى نزل ياأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كانوا قالوا انا نحب ربنا ولو علمنا فى أى شئ محبته لفعلناه فلذلك قال تعالى كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه ما كنت أحسب ان فينا أحدا يريد الدنيا حتى نزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة وكذلك قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم مافعلوه الا قليل منهم قال ابن مسعود قال لى رسول الله عليه السلام قيل لى أنت منهم أى من القليل الذى كان يفعل ذلك فاذا كان حب البقاء هو الدنيا فينبغى ان يكون حب بقاء الباقى هو الزهد فصار الزهد فى الدنيا هو الزهد فى البقاء فمن زهد فى الحياة الفانية وفى ماله المجموع بالجهاد للنفس والانفاق فى سبيل الله فقد زهد فى الدنيا ومن زهد فى الدنيا أحبه الله تعالى كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولذلك صار الجهاد أفضل الاعمال

لانه

أسرى به البارى ليجهره
فى جنح ليل صبحه ما أسفره
ورقى على ظهر البراق معظما
والكون من أنواره قد نوره
واستبشرت بقدومه أهل السما
فبذاك أضحت من شذاه معطرة
وهو الذى جليت جمال عروسه
فى ليلة المعراج لما أظهره
وهو الذى بالحق جاء وبالهدى
وأباحنا الدين القويم وأظهره
صلى عليك الله ما سرت الصبا
وأتت بطيب ثنائه متعطرة

اللهم أجرنا من النار اللهم لا تشوه خلقنا بالنار اللهم لا تجعلنا من حطب النار فانها بئس الدار وبئس المثوى وبئس القرار

(فصل فى الجنة) قال الله تعالى وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون خم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين خم عن

لانه حقيقة الزهد فى الدنيا ولان الله تعالى يحب من زهد فى الدنيا ثم كان مخالفة الهوى أفضل الجهاد لانه هو حقيقة الرغبة فى الدنيا وقد عبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فى الدنيا اذ قال فى الحديث الاول ازهد فى الدنيا يحبك الله تعالى ثم قال فى الخبر الثانى بمعناه اجتنب المحارم يحبك الله تعالى واجتنابها زهد فى الدنيا فالزاهد فى الدنيا حبيب ربه تعالى والراغب فى حب البقاء لنفسه منافق فى دين ربه تعالى ومنه الخبر الذى جاء من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق وبه كشف الله تعالى الكاذبين ووصفهم بمرض القلوب فقال سبحانه وتعالى فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض يعنى نفاقا ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فاولى لهم تهدد ووعيد أى وليهم العذاب وقرب منهم ثم قال طاعة وقول معروف أى يظهر منهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر وحقت الحقائق كذبوا ولن يكتموا فلو صدقوا الله أى فى الوفاء لكان خيرا لهم وهذا من الكلام المضمر فلذلك أشكل والبقاء والحياة اسمان لمعنى ولذلك جعل الله تعالى الدنيا وصفا للحياة فتكون الدنيا هى الحياة ونعتها بالدنيا نعت مؤنث لدخول الهاء فى الاسم التى هى احدى علامات التأنيث فصارت الحياة هى الدنيا وصار قوله الدنيا نعتها بالدناءة ولو كان الاسم مذكرا مثل البقاء نعته بمذكر فقال الادنى وقد قال فى مثله يأخذون عرض هذا الادنى فالادنى تذكير الدنيا والدنيا تأنيث أدنى كالاعين والاقنى والاشعث تذكير عيناء وقنواء وشعثاء والعرض اسم لما يعرض ويقل بقاؤه فمن أحب ذلك فقد أحب الدنيا بعينه الادنى وهذا يرجع الى حب حياة الاصل لانه انما يريد العرض الادنى لاجل الحياة فصار حب البقاء الذى لاجله يريد عرض الادنى هو الدنيا وصار حب العرض لاجل البقاء من الدنيا فجاء من هذا الذى ذكرناه ان حقيقة الدنيا حب البقاء لطاعة الهوى وموافقة الهوى فى حب العرض لاجل البقاء فدخل أحد هذين فى الآخر ولان حب البقاء لاجل المتعة هو من الهوى الذى هو صفة النفس الامارة بالسوء وطاعة الهوى الذى هو عيش النفس انما يكون لحب البقاء لان العبد لو أيقن بالموت ساعته لآثر الحق على الهوى ولو أنس من البقاء لما رغب فى العرض الادنى فصار حب البقاء من الهوى وصار ايثار الهوى انما هو لحب البقاء فكان ذلك حقيقة الدنيا وكان أقصر الناس أملا للبقاء أزهدهم فى الدنيا حتى لا يدخر شيأ لغد لانه عنده غير باق الى غد وصار أرغب الناس فى الدنيا أطولهم أملا لان رغبته اشتدت فيها وحرصه كثر عليها الامتداد أمله للحياة فيها اذ لو قصر أمله لغد لاختار الفقر حينئذ واختيار الفقر هو الزهد * بيان آخر من الزهد أى شئ هو قال الله سبحانه وتعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فهذه تسمية لهم بالزهد لتحققهم بالمعنى نحتاج ان نكشفه ليكون من يتحقق بمعنى ذلك زاهدا قوله تعالى وشروه باعوه العرب تقول شريت بمعنى بعت لانهم يقولون ابتعت بمعنى اشتريت فلما باعوه وخرج من أيديهم صاروا زاهدين كذلك العبد اذا باع نفسه وماله من الله تعالى وخرج من هواه الى سبيل مولاه فهو من الزاهدين وكذلك قال المولى عز وعلا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة كما قال عز من قائل ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فاذا كان العوض واحدا وهو الجنة ذكر فى المعنيين كان بيع النفس والمال واخراجهما لله تعالى بمعنى النهى عن الهوى فيهما الذى هو الحياة الدنيا وهو اقتناؤه النفس وحبس النفس عليه أعنى المال فاستبدال ذلك بضده من اخراج الهوى من النفس وادخال الفقر على المال هو الزهد فى الدنيا وليس ذلك من أمر النفس الامارة بالسوء لان هذا نهاية الخير فصار ثمنها لها من الهوى الذى هو اقتناء المال للجمع والمنع وهذا هو الدنيا بوصف النفس الامارة بالسوء لان هذا حينئذ سوء كله فمن كان بهذا الوصف فنفسه غير مرحومة لامرها بالسوء واذا لم تكن مرحومة لم يكن صاحبها بائعها واذا لم يبعها لم تكن مشتراة فلا يكون صاحب هذه النفس الا جامعا للمال مانعا له راغبا فى الدنيا محبا لها وليس هذا من صفة المؤمن والله أعلم * وصف آخر من البيان والتفصيل لما حقق الله تعالى الزهد بعنى النفس واخراج

أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوة فى سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولو ان امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها ثم قال صلى الله عليه وسلم ان للمؤمنين فى الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة عرضها وفى رواية طولها ستون ميلا وفى كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون يطوف عليهم المؤمنون وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن ت عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم لو أن ما يقل ظفر مما فى الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والارض ولو ان رجلا من أهل الجنة اطلع فبدت أساوره لطمس ضوءه ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ات عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة ما بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها

المسالك فذكر المبيع والمشترى فى قوله تعالى يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وكان الزهد هو ترك طاعة الهوى وبيع النفس بنهيها عنه من المولى وكان العوض من ذلك الجنة كان الزاهد هو الخائف مقام ربه البائع نفسه طوعا قبل ان يخرج نفسه اليه كرها وكان الله تبارك وتعالى هو المحبوب له القريب منه فصار العبد محباله فجعله من المقربين عنده تعالى واذا كانت الدنيا هى طاعة الهوى وحب الحياة الدنية لمتعة النفس الشهوانية كان الراغب فى ذلك آمنا لمكر الله تعالى مشتريا بالحياة الدنيا بائعا لذلك الحياة العليا فلم يكن محباله وكان من المبعدين عنه بسوء اختياره وحق عليه الخسران والجحيم فى الآخرة لانه ضد الزاهد المقرب الظافر بدار القرب فى جوار الحبيب القريب * ذكر بيان حقيقة الزهد وتفصيل أحكامه ووصف الزاهد اعلم ان الزهد يكون بمعنيين ان كان الشئ موجودا فالزهد فيه اخراجه وخروج القلب منه ولا يصح الزهد فيه مع تبقيته للنفس لان ذلك دليل الرغبة فيه وهذا زهد الاغنياء وان لم يكن موجودا وكان العدم هو الحال فالزهد هو الغبطة به والرضا بالفقد وهذا هو زهد الفقراء وكذلك القول فى الزهد فى ترك الهوى لا يصح الا بعد الابتلاء به والقدرة عليه الم تر ان اخوة يوسف عليهم السلام هموا بالزهد فيه بقولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ولم يسمهم الله تعالى زاهدين وتكلموا بالزهد فيه بقولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم ولم يسموا زاهدين وأرادوا الزهد فيه بقولهم أرسله معنا غدا نرتع ونلعب ولم يتحققوا بالزهد فيه وعزموا على الزهد فيه واجمعوا عليه ولم يسمهم الله تعالى زاهدين مع قوله تعالى مخبرا عنهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه فى غيابة الجب لان هذا كله من أسباب الزهد ومقدماته قد يلتبس ويشكل على من لا يعرف حقيقة الزهد فيظنه زهدا وليس هو زهدا لانه فى أيديهم فلما اخرج من أيديهم واعتاضوا منه سواه حق زهدهم فيه فقال تعالى مخبرا عن حقيقتهم وشروه أى باعوه وكانوا فيه من الزاهدين وكذلك الثوب تهم ببيعه وتريد بيعه ويغلب عليك بيعه ولا تكون زاهدا ولكن تكون موصوفا بالارادة للزهد حتى تبيعه وتعتاض منه فحينئذ حق زهدك فيه ففى تدبر الخطاب من قوله وكانوا فيه من الزاهدين ان من اخرج الشئ من يده طوعا ونفسه تتبعه فله مقام فى الزهد بالمجاهدة ومن أمسك الشئ وأظهرت نفسه الزهد فيه بالارادة والهمة فلا مقام له فى الزهد لان الامساك علامة الرغبة والرغبة ضد الزهد فكيف يوصف بالشئ وضده فى حال قائمة فالممسك للشئ المتوهم للزهد فيه باظهار نفسه ذلك باحد وصفين اما ان لا يعرف الزهد أو لا يعرف خفى شهوة النفس هذا ان لم يموه على الراغبين والمخرج لقلبه عنه هو المتحقق بالزهد فيه وهذا هو الذى وصف الله تعالى به اخوة يوسف والممسك للشئ المغتبط به الذى همه فيه وقلبه عاكف عليه هو المتحقق بالرغبة فيه وهذا وصف عزيز مصر فى يوسف لما اشتراه فحققه الله تبارك وتعالى بالرغبة فيه لاقتنائه له فقال مخبرا عنه بعد ما اشتراه اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا وكذلك وصف امرأة فرعون فى رغبتها فى موسى عليه السلام بقولها قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا أو نتخذه ولدا فكذلك كل من أمل شيأ ادخره لنفسه لا يكون زاهدا فيه حتى يخرجه عن يده وقلبه اذ لم يكن ذلك وصف اخوة يوسف الزاهدين فيه الا بعد ان اخرجوه استصغارا له وتعوضوا منه * بيان آخر مستنبط من الكتاب اعلم ان زهد اخوة يوسف عليهم السلام فى أخيهم قد كان يقارب زهدهم فى يوسف عليه السلام لانه كان نظيره عند أبيه وقد كانوا هموا بالزهد فيه أيضا ليخلو لهم وجه أبيهم منهما الم تسمع الى قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا وكذلك جاء فى الخبر انهم أرادوا ان يلقوا أخاه معه فى الجب حتى أتى نفسه عليه يهوذا فشفع فيه فرجه ومنعهم منه وكان شديدا منهم منيعا مهيبا فيهم وقد قيل انه استوهبه منهم وقال دعوه يكون فيه سلوة للشيخ الكبير لا تفجعوه بهما ولا تفقدوه اياهما معا فوهبوه له ثم ان الله تعالى لم يقل مع ارادتهم لذلك وهمهم به وكانوا فيهما من الزاهدين من قبل انهم لم يتحققوا بالزهد فيه كالزهد فى أخيه لانه كان فى أيديهم لم يخرجوه فكذلك أنت اذا كان الشئ موجودا عندك وأنت ممسكه لنفسك ثم توهمت انك زاهد فيه لخواطر

ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ت عن عبد الله ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة من نساء أهل الجنة ليرى بياض ساقيها من وراء سبعين حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كأنهن الياقوت فانه حجر لو أدخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرأيته خ م عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم فى السماء اضاءة ثم هم بعد ذلك منازل لا يتغوطون ولا يبولون ولا يتمخطون ولا يتفلون أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وأزواجهم الحور العين اخلاقهم على خلق رجل واحد على طول أبيهم آدم صلوات الله عليه ستون ذراعا فى السماء ت عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ق عن أبى هريرة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما التى تغرس قال غراسا قال ألا أدلك على غراس خير من هذا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله

الارادة أو لارادة الزهد فقد كذبت على نفسك بتمسكك اياها زاهدا وكذبتك نفسك بوجودها جهلا منها بالعلم زهدا أو كذب وجدك على العلم جهلا منك بربك عز وجل أو موّهت على نفس غيرك ممن لا يعرف الزهد وهذا زهد منك في الزهد ورغبة منك أيضا في الدنيا حتى يخرج الشئ الذي تظن انك زهدت فيه وتعتاض منه محبة الله تعالى وطلب مرضاته تبارك وتعالى أو ما عنده من ثوابه فحينئذ يصح زهدك فيه على العلم وعند العلماء فتكون صادقا فهنالك وصلك الزاهد بالزهد وسماك الزاهدون زاهدا فأما اذا لم يكن الشئ موجودا لك فان زهدك فيما لا علاك لا يصح والزهد في معدوم باطل من قبل أن تصرفك لا يصح فيما لا علاك فكذلك لا يصح زهدك فيه ولعله لو كان موجودا تغير قلبك به وتقلب فيه اذ ليس الخبر كالمعاينة لان الخبر قد يشتبه ويوهم والمعاينة تكشف الحقيقة وتحكم على الخلقة ولان النفس ذات بدوات لما طبعت عليه من حب المتعة بالرفاهية فكذلك لا يجعل ظنا معدوما كيقين موجود اذ لو كان كيف كان الامر ولكن قد يكون لك مقام من الزهد في المعدوم يقابلك بشرطه وهو أن لا تحب وجود الشئ ولا تأسى على فقده أو تكون مغتبطا بعدمك مسرورا بفقرك يعلم الله تعالى ذلك من غيبك ويطلع على سرك انك لا تفرح بوجوده لو وجدته وتخرجه ان دخل عليك وان قلبك قانع بالله سبحانه وتعالى راض عن الله تعالى بحالك التي هي العدم من الدنيا غير محب للاستبدال بها من الغنى بصدق يقينك بفضيلة الزهد فاذا كنت بهذا الوصف حسب لك جميع ذلك زهدا وكان لك بأحد هذه المعاني ثواب الزاهدين وان لم تكن للدنيا واجدا وهذا زهد الفقراء الصادقين وهو التحقق بالفقر وقد قال بعضهم حقيقة الفقير أن يكون مغتبطا بفقره خائفا أن يسلب الفقر كما يكون الغني مغتبطا بغناه يخاف الفقر وقد كان مالك بن دينار رحمه الله تعالى يقول اذا قيل له انك زاهد قال انما الزاهد عمر بن عبد العزيز جاءته الدنيا وملكها فزهد فيها فأما أنا ففي أي شئ زهدت وقد يصح الزهد للعارف في الشئ مع وجوده عنده اذا لم يقتنيه لمتعة نفسه ولم يتملكه ويسكن اليه بل كان موقوفا في خزانة الله سبحانه وتعالى التي هي يده منتظرا لحكم الله تعالى فيه ومحنة ذلك استواء وجوده وعدمه والمسارعة اذا رأى حكم الله تعالى الى تنفيذه فيكون في ذلك كأنه لغيره من عيلته أو اخوانه أو سبيل من سبيل الله تعالى وهذا المقام زائد على الزهد فكذلك لم يخرج منه بل كان مخصوصا فيه بخصوص وهو أيضا مقام من التوكل وبيان آخر مستنبط من السنة في ماهية الزهد أي شئ هو الزهد أيضا تقليل الدنيا وتقريبها واحتقارها بالقلب واستصغارها من ذلك الخبر الذي جاء في ساعة يوم الجمعة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هي في آخر ساعة قال وجعل يزهدها يقللها أي يقرب وقتها ويدنيه من الغروب والمعنى الآخر في الخبر الثاني من قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه لما نزلت آية الامر بالصدقة لمناجاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال له كم ترى أن نجعل عليهم من الصدقة مقدمة للمناجاة فقال شعيرة من ذهب قال انك لزهيد أي مقلل مصغر للدنيا ولكن نجعل عليهم دينارا وزهيد كأنه معدول من زاهد للمبالغة في الوصف بالزهد كما عدل شهيد من شاهد ومجيد من ماجد وكما عدل عليم وقدير ورحيم من عالم وقادر وراحم للمبالغة في العلم والقدرة والرحمة * ذكر وصف الزاهد وفضل الزهد قوت الزهد الذي لا بد منه وبه تظهر صفة الزاهد وينفصل به عن الراغب هو أن لا يفرح بعاجل موجود من حظ النفس ولا يحزن على مفقود من ذلك وأن يأخذ الحاجة من كل شئ عند الحاجة الى الشئ ولا يتناول عند الحاجة الا سد الفاقة ولا يطلب الشئ قبل الحاجة وأول الزهد دخول غم الآخرة في القلب ثم وجود حلاوة المعاملة لله تعالى ولا يدخل غم الآخرة حتى يخرج هم الدنيا ولا تدخل حلاوة المعاملة حتى تخرج حلاوة الهوى وكل من تاب من ذنب ولم يجد حلاوة الطاعة لم يؤمن عليه الرجوع فيه وكل من ترك الدنيا ولم يذق حلاوة الزهد رجع في الدنيا ولا يدخل حلاوة المعاملة حتى يخرج حلاوة الهوى وخالص الزهد اخراج الموجود من القلب ثم اخراج ما خرج من القلب عن اليد وهو عدم الموجود على الاستصغار له

والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة ت عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة خ قيل لوهب أليس لا اله الا الله مفتاح الجنة قال بلى ولكن ليس مفتاح الا له اسنان فان جئت بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح لك ت عن بريدة بن خصيب قال اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بلالا فقال يا بلال بم سبقتني الى الجنة فما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك امامي فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط الا صليت ركعتين وما أصابني حدث الا توضأت عنده ورأيت ان لله ركعتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بهما ت قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وفي الاحياء قال علي الطلحي رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء الدنيا فقلت من أنت قالت حوراء

والاحتقار والتقالل لهوان الدنيا عنده وصغرها في عينه فبهذا يتم الزهد ثم ينسى زهده في زهده فيكون حينئذ زاهدا في زهده لرغبته في مزهده وبهذا يكمل الزهد وهذا البعو حقيقته وهو أعز الاحوال في مقامات اليقين وهو الزهد في النفس لا الزهد لاجل النفس ولا للرغبة في الزهد للزهد وهذه مشاهدة الصديقين وزهد المقربين عند وجد عين اليقين ودون هذا مقامات اخراج المرغوب فيه عن اليد مع نظره اليه وعلى مجاهدة النفس فيه وهو زهد المؤمنين وذلك العمل بالزهد عقد وعمل اذ كان الزهد عن الايمان والايمان قول وعمل وكذلك الزهد عقد وعمل فعقده خروج حب الدنيا من القلب بدخول حب الآخرة في القلب والعمل بالزهد اخراج المحبوب من اليد في سبيل الله تعالى معتاضا منه ما عنده سبحانه وتعالى من وجهه الكريم جل وتعالى أو قرب جواره في داره وان لم تكن الدنيا موجودة فان ترك الاسف عليها وقلة الحرص فيها وترك الطلب والتمني لها وسكون القلب مع العدم ورضاه بيسير القسم يحسب للعبد زهدا لان ذلك حال الفقير فاذا قام بحكمه لم يجب عليه أكثر من القيام به والورع هو من الزهد كالزهد من الايمان والحياء والايمان في قرن واحد كما جاء في الخبر اذا نزع أحدهما تبعه الآخر وروينا في ذلك حديثا من طريق أهل البيت الزهد والورع يجولان في القلب كل ليلة فان صادفا فيه الايمان والحياء اقاما فيه والا ارتحلا والقناعة باب من الزهد أيضا والرضا باليسير من الاشياء حال من الزهد والتقلل في الاشياء مفتاح الزهد وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله قد حجبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم واذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب واذا سررت بالمدح فأنت معجب والعجب يحبط العمل وقال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم أي منها وهذان الوصفان هما أتم حال في الزهد من أعطى أحدهما تبعه الآخر لان الذي لا يأسى على ما فاته من الدنيا هو الذي لا يفرح بما أتاه منها لانه مثله والذي لا يفرح بما أتاه منها هو الذي لا يحزن على ما فاته وهذا وصف عبد غير مملك للملك وسما عبد قائم بحكم رب ونعت عبد موقن محب قد شغلته مشاهدة الآخرة عن التفرغ لمتعة الدنيا وقد فرغته معاينة الآخرة من الاشتغال بما يفنى وفي أحد الوجوه من قوله تعالى وانه هو أغنى وأقنى قيل أغنى أهل الآخرة بالله سبحانه وتعالى وأغناهم عن الدنيا بالآخرة وأقنى أهل الدنيا من الدنيا أي جعل لهم قنية ومدخرا وعدة كما وصف من ذمه من قوله تعالى جمع مالا وعدده أي قال هذا عدة لكذا وهذه عدة لكذا فهدده بالويل فحصل من ذلك ان الزاهد في المال عدته الله تعالى في كل الاحوال وكنزه وذخره وطوبى له وحسن مآب وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كفى باليقين غنى وكفى بالعبادة شغلا وكفى بالموت واعظا وهذا جملة وصف الزاهد الموقن الذي هو للموت مرتقب مع الخبر المشهور ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد في الدنيا علما لحقيقة الايمان وقربه بمشاهدة الايقان في قوله عليه الصلاة والسلام لحارثة عرفت فالزم عبد نور الله قلبه لما قال أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك فابتدأ بالزهد فقال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها وكأني بالجنة والنار وكأني بعرش ربي بارزا وأشد من هذا الخبر الآخر الذي جعل النبي صلى الله عليه وسلم الزهد من علامة شرح الصدر بالنور وهو نور التصديق الذي هو عموم وصف المؤمنين لانه هو في التحقيق الاسلام ففسر قوله تعالى فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام قيل يا رسول الله ما هذا الشرح قال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فهذا هو الزهد جعله شرطا لحقيقة الاسلام وأشد من هذين الخبرين الخبر الثالث الذي فسر الحياء من الله تعالى بالزهد في الدنيا فقال استحيوا من الله تعالى حق الحياء قلنا انا نستحي قال تبنون ما لا تسكنون

وتجمعون

فقلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني فقلت ما مهرك فقالت حبس نفسك عن آفاتها شعر

فيا عجبا ندري بنار وجنة
وليس لذي نشتاق أو تلك نحذر
اذا لم يكن خوف وشوق ولا حيا
فماذا بقي فينا من الخير يذكر
ولسنا لحر صابرين ولا بلى
فكيف على النيران يا قوم نصبر
وفوت جنان الخلد أعظم حسرة
على تلك فليتحسر المتحسر
فاف لنا اف كلاب مزابل
الى نتنها نغدو ولا نتدبر
نبيع خطيرا بالحقير عماية
وليس لنا عقل وقلب منور
فطوبى لمن يؤتى القناعة والتقى
وأوقاته في طاعة الله يعمر

اللهم انا نسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ونية واعتقاد

* (فصل في الرؤية) * قال الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ت عن سعيد بن المسيب انه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة

وتجمعون مالا تأكلون ويعني هذا تمام ايمان الوفد الذين سألهم ما أنتم فقالوا مؤمنون قال وما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت بالاعداء فقال عليه الصلاة والسلام ان كنتم كذلك فلا تجمعوا ما لا تأكلون ولا تبنوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فهذا هو الزهد جعله تكملة ايمانهم وعلو مقامهم وتماما على احسانهم وأعظم من هذه كلها الخبر الرابع الذي جعل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد من شرط اخلاص التوحيد في حديث رويناه عن ابن المنكدر عن جابر قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من جاء بلا اله الا الله لا يخلط معها غيرها وجبت له الجنة فقام اليه علي كرم الله وجهه فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لا يخلط بها غيرها صفه لنا فسره لنا فقال حب الدنيا وطلبا لها واتباعا لها وقوم يقولون قول الانبياء ويعملون أعمال الجبابرة فمن جاء بلا اله الا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة فلذلك كان علي رضي الله عنه يجعل الزهد مقاما في الصبر ويجعل الصبر عمدة الايمان في حديثين رويناهما عنه أولهما قوله في الحديث الطويل الذي رواه عكرمة وعتبة بن حميد والحرث الاعور وقبيصة بن جابر الاسدي في مباني الايمان انه قال الايمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد ثم قال فيه والصبر منها على أربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات ومن أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات ومن ترقب الموت سارع في الخيرات والخبر الآخر في الصبر الذي جعله عمود الايمان يهدم الايمان بهدمه هو قوله والصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد لا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وروينا في خبر مقطوع السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن والبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك فكان هذا الحديث مفسرا للخبر المجمل السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار فسر في ذلك الخبر بأي معنى يكون السخي قريبا من الله تعالى قريبا من الجنة لان السخاء من اليقين وبأي معنى يكون البخيل بعيدا من الله تعالى قريبا من النار لان البخل من الشك فالسخاء وصف الزاهد ولا يكون الزاهد الا سخيا والبخل وصف والراغب ولا يكون الحريص الا بخيلا ولا يكون البخيل زاهدا لان الزاهد يدعو الى اخراج الشيء والبخل يدعو الى امساكه فنفس السخاء زهد فلذلك ذم البخل لانه رغبة في الدنيا ثم ان الحرص علامة البخل لانه دليل الرغبة والقناعة علامة السخاء لانها باب الزهد فلذلك قيل سخاء النفس عما في أيدي الناس أفضل من سخاء البذل ثم يفترقان في الحكم بعد اجتماعهما في الاسم فمن جاد بملكه لله تعالى كان زاهدا فيه لله تعالى ووقع أجره على الله ومن جاد بماله لاجل الناس كان أيضا زاهدا في ذلك موصوفا بالسخاء ولكن ذلك لنفسه ولاجل هواه ولا أجر له عند الله تعالى اذ لم يكن من عمال الله تعالى فبطل أجره لانه عمل لنفسه وحصل شكره وذكره في الدنيا لانه عمل لاجل الناس كما قال ابن المبارك رحمه الله ما رأيت بين الفتوة والقراءة فرقا الا في شيء واحد ما حاضرت القراءة شيئا الا قبحته الفتوة وانما يفترقان في ان القراءة يراد بها وجه الله تعالى والفتوة يراد بها وجوه الناس ومدحهم وقد كان أستاذه سفيان الثوري رحمه الله يقول من لم يحسن يتفتى لم يحسن يتقرى اي من لم يعرف أحكام التفتي فيقوم بها حتى يستحق وصف فتى لم يحكم أوصاف التقرى حتى يوصف بانه قارئ ثم ان العبد قد يجاهد نفسه على الزهد كما يجاهدها على مخالفة الهوى وكما يجاهدها بالصبر على الحق بان يخرج المرغوب وينفق المحبوب على كراهة من النفس وحمل بالزهد عليها فيكون له مقام في الزهد ينال البر ويستوجب مدحا من البر والمتزهد غير الزاهد وهو الذي يتصنع للزهد ويعمل في أسبابه من التقلل ورثاثة الحال في كل شيء فمثله مثل المتصبر من الصابر الذي يحمل على نفسه بالصبر ويصابرها على العلم فيكون له مقام من الصبر وصفوة الزهد انتظار الموت وقصر الامل لان فيهما ترك الادخار وتحسين الاعمال وقال ابن عيينة

أسأل الله ان يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أفيها سوق قال نعم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من ياقوت ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيهم دني على كثبان المسك والكافور ما يرون ان أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلسا قال أبو هريرة قلت يا رسول الله وهل نرى ربنا قال نعم هل تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر قلنا لا قال كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس رجل الا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم يا فلان بن فلان أتذكر يوم قلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا فيقول يا رب أفلم تغفر لي فيقول بلى فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه فبينما هم على ذلك

حد الزاهد أن يكون شاكرا عند الرخاء صابرا عند البلاء وقال بشر بن الحرث رحمه الله الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الناس من زهد فيهم فقد زهد فى الدنيا وكذلك قال بعض الحكماء اذا طلب الزاهد الناس فاهرب منه واذا هرب من الناس فاطلبه وقيل ليحيى بن معاذ رحمه الله متى يكون الرجل زاهدا فقال اذا بلغ حرصه فى ترك الدنيا حرص الطالب لها كان زاهدا وقال قاسم الجوعى الزهد فى الدنيا هو الزهد فى الجوف بقدر ماتملك من بطنك كذلك تملك من الزهد فكانت الدنيا عنده الشبع وأكل الشهوات وقال فضيل بن عياض رحمه الله الزهد هو القناعة فكانت الدنيا عنده هو الحرص والشره وقال الثورى الزهد هو قصر الامل فكانت الدنيا عنده طول الامل وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول الدنيا كل مايشغلك عن الله تعالى فكان الزهد عنده التفرغ لله تعالى وقد قال انما الزاهد من تخلى عن الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فأما من تركها وتبطل فانما طلب الراحة لنفسه وكان داود الطائى رحمه الله تعالى يقول كلما شغلك عن الله تعالى من أهل أومال فهو عليك شؤم وقال أبو سليمان من تزوج أوكتب الحديث أوطلب معاشا فقد ركن الى الدنيا وقرأ قوله تعالى الا من أتى الله بقلب سليم قال هو القلب الذى ليس فيه غير الله تعالى. وقال انما زهدوا فى الدنيا لتفرغ قلوبهم من همومها للآخرة وقد قال أويس القرنى رحمه الله تعالى اذا خرج يطلب ذهب الزهد وكان امامنا وشيخنا أبو محمد سهل بن عبد الله رحمه الله يقول أول الزهد التوكل وأوسطه اظهار القدرة وقال لا يزهد العبد زهدا حقيقيا لا رجعة بعده الا بعد مشاهدة قدرة فان أول القدرة عندى ان يشهد ماسمع من كلام القادر المزهد اذ يقول تبارك وتعالى ومما توقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أومتاع زبد مثله فالحلية الذهب والفضة وهما قيم الاشياء اللذان ماسكا النفوس ونكسا الرؤس فالمتاع ماسواهما من معادن الارض فاذا شهد العبد الذهب الذى هو سبب الدنيا ولاجله أشرك من أشرك و بحبائله ارتبك من ارتبك ولوقوع حلاوته فى القلب وقع من وقع فاذا شهد جوهر الذهب والفضة زبدا طافيا على وجه الماء لانفع فيه ولا غنية به ولا قيمة له زهد فيه حينئذ زهدا صادقا فكان زهده معاينة لا خبرا وكان من المؤمنين حقا الذين وصفهم الحق بالحق فى قوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا فالزهد مزيد الايمان ثم قال وعلى ربهم يتوكلون فالزهد يدخل فى التوكل ثم قال فاتخذه وكيلا واصبر على مايقولون فالتوكل يوقف على الصبر وكان هذا قد سمع من كلام الله تعالى فعقله فابلغه الله تعالى مأمنه فى المقام الامين فى جنات وعيون واستحق وصف الله تعالى بالايمان اذا تلا القرآن بحقيقة الايقان فقال عز وجل الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به وذلك ان هذا الزبد تشبيه من الله تعالى لمثل ضربه للحق والباطل فالمثل هو الماء والزبد فمثل الحق فى نفعه و بقائه بالماء ومثل الباطل فى ذهابه وقلة نفعه بالزبد ثم شبه الذهب لذهابه عن الحقيقة بالزبد تشبيه مماثلة لا تشبيه مجاز لقوله زبد مثله والمماثلة مستقصاة ثم قال كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى أى الجنة والبقاء وقال تعالى للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء هم المريدون للحياة الدنيا وزينتها الراضون المطمئنون بها ليس لهم فى الآخرة الا النار فسبحان من نفذ بصره الابصار وسبحان مقلب الليل والنهار وسبحان من كل شئ عنده بمقدار يبصر مالا نبصر كما يقدر على مالا نقدر خص المشاهدين بمعنى مشاهدته كما خصهم بالاحاطة بشئ من علمه فأحاط عليهم بما شاء لما أحاط لهم ماشاء فكان الذهب والفضة عندهم زبدا طافيا تفرقه الرياح فيكون فوق الماء متجافيا وهما من معادن الجبال فكانت الجبال عندهم امواجا ثابتة باثبات وساكنة بتسكين تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ وصارت الارض بحرا عجاجا يضرب بالامواج فيظهر بينهما من المدن والقفار للاستواء والاعوجاج وصار الانام يسبحون فى الاسراب يدبون بين المناكب والاحداب أظهر فيهما من كل شئ موزون بمقدار كتنفس النهار فى الليل وكالغشاء على السيل ذلك لظهور حكمته وخفى قدرته ولطيف صنعه ودقيق صنعته ذلك لشهود نعمته من القيام

غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيبا لم يجدوا مثل ريحه قط ويقول ربنا قوموا الى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا مااشتهيتم فنأتى سوقا قد حفت به الملائكة فيها مالم تنظر العيون الى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب فيحمل لنا مااشتهينا ليس يباع فيها ولا يشترى وفى ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا قال فيقبل الرجل ذو المنزلة المرتفعة فيلقى من هو دونه ومافيهم دنى فيروعه مايرى عليه من اللباس فماينقضى آخر حديثه حتى يتخيل عليه ماهو أحسن منه وذلك انه لاينبغى لاحد ان يحزن فيها ثم ننصرف الى منازلنا فيتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا لقد جئت وان بك من الجمال أفضل مما فارقتنا عليه فنقول انا جالسنا اليوم ربنا الجبار ويحقنا ان ننقلب بمثل ما انقلبنا ت عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدنى أهل الجنة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية الى صنعاء

بشكره وجعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وهم من كل حدب ينسلون ان ربى لطيف لما يشاء فاجتمع الفرق وارتتق الفتق وغاب كل متفرق ونطق وكان عرشه على الماء ليبلوكم فهذه مشاهدة ابناء الآخرة هى أعلى من زهدهم فى الدنيا وافترق الجمع وافتتق الرتق وظهر من الماء كل شئ حى ظاهر واتسع الفضاء واستتر الغطاء ووجد التفصيل وحكم الحسبان بالتحصيل كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شئ حى أفلا يؤمنون هذه مشاهدة أبناء الدنيا هى أعظم عليهم اذا تيقظوا من غيبهم وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد والنازعات غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا هذه مشاهدة العموم عند الموت فيعظمه عليهم بالحسرة الفوت وقد فرغ الخصوص من نصيبهم لمشاهدته فهم ناظرون الى مستقبل المزيد مشغولون به عن العبيد قائمون بشاهد الحق لهم متصرفون باشهاده اياهم ظاهرا وباطنا ولطيفا ومستترا ومعروفا ومنكرا والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون فما غلب عليه لا يظهر وما غلبه عليهم اياهم قهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر

* ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وقال فالحق والحق أقول خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول لو فسرت لكم هذه الآية لكفرتم قيل وكيف قال كنتم تنكرونها وانكاركم لها كفر بها وفى لفظ آخر لو فسرت الآية التى فى سورة النساء القصرى لرجمتمونى بالحجارة معناه لكفرتمونى لانهم لا يقتلون الا كافرا عندهم وروينا عنه فى قوله تعالى جميعا منه قال فى كل شئ اسم حرف من أسمائه فاسم كل شئ من اسمه فانما أنت بين أسمائه وصفاته وأفعاله ناطقا بقدرته وظاهرا بحكمته وبمعناه كان أبو محمد رحمه الله تعالى يتأول قوله ما نزل من السماء أعز من اليقين فغابت السبع ٧ فى السبع العلى والسبع السفلى لما طوى نفس الهوى وغابت العليا والسفلى فى ملكوت العرش والثرى لما طوى طى النفس وغاب العرش والثرى فى جبروت الاعلى لما محى طى الطى وحضر الازلى الاول اذا غاب الحدثان الثانى وظهر الباطن الاخير حين بطن الظاهر الساتر فصار العبد شهيد القول الرسول صلى الله عليه وسلم ألا كل شئ ما خلا الله باطل وأراه الآيات فى الآفاق فتبين الحق بقول الحق سبحانه وتعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط وكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال اللهم أرنى الدنيا كما تراها فقال لا تقل هكذا فان الله تعالى لا يرى الدنيا كما تراها ولكن قل أرنى الدنيا كما يراها الصالح من عبادك وهذه شهادة أهل الله تعالى وغابت فيه الشهادة الاولى كما غيبت تلك الاولى مشاهدة أهل الدنيا فكشف هذا المقام واظهار هذه الشهادة لا تحل الا لشهيد ذى مقام فى الصديقين عتيد وقال الحكيم لقد عزت معانيه فغابت عن الابصار الا الشهيد وهم أولو المطلع فى القرآن الذين سلموا من هول المطلع فى العيان وافشاء سر الربوبية معصية واعلان سر السر كفر ولكن يحتاج هذا الزاهد أن يشهد المزهود بمنزلة الزبدان لم يبلغ نظاره شهادة المزهد الاحد ليكون من أهل السمع والشهادة فينسى بذكر قلبه معارفه والعادة ويكون عند الله شهيدا له أجره ونوره كما قال الشاهد الاعلى والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم فكيف يكون شهيدا من لم يشهد بشهادته بل كيف يشهد وصف الاولية بغير نورها أم كيف يقوم بشهادته من لم يشهد قيوميته بل كيف يرى قيوميته بغير نور وحدانيته فان لم يقرب فى هذا المكان فكما قال أو ألقى السمع وهو شهيد فيسمع من مكان هو الى جنب أقرب بعيد ويكون من أهل البيان والفكر كقول الحق المبين كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة أى تتفكرون فى فناء الدنيا وزوالها وبقاء الآخرة ودوامها فتؤثرون الباقى الدائم وترغبون فيه على الزائل الفانى وتزهدون فيه لان ما يكون

خ م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تبارك وتعالى له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل اليه انها ملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها ملأى فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها أو ان لك عشرة أمثال الدنيا قال فيقول أتسخر بى أو تضحك بى وأنت الملك قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه قال وكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة ت عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف سنة وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة رزقنا الله تعالى واياكم النظر الى

آخره فناء يشبه آخره أوّل أمره وأوّله لم يكن وما يكون آخره بقاء فكأنه لم يزل فاشبه أوّله آخره فى البقاء وكذلك قال العليم الحكيم والآخرة خير وأبقى فوصفها بالبقاء كما فى المآل بوصفين من صفاته كما قال تعالى والله خير وأبقى ولانه قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فنسب الدنيا الينا ليذلنا بها لانا أهل الفناء وليزهدنا فيها وأضاف الآخرة اليه ليعزها به لانه أهل البقاء وليرغبنا فيها فاذا شهد العبد بعين قلبه يقين ايمانه ما صدّق به مما عقله الذى هو فهم ما سمعه وادراك خبره ما يفنى آخره كأنه لم يكن وما يبقى آخره كأنه لم يزل كان من المتفكرين فى هذه الآية المشاهدين لها وممن تلاها حق تلاوتها فآمن حقيقة الايمان وزهد فى الدنيا حقيقة الزهد ورغب فى الآخرة حق الرغبة وكان من أولى الايدى والابصار أى من ذوى القوى فى الدين والبصائر فى اليقين فلما أبصر بقواه عبر الدنيا الى الله تعالى وكان زاده تقواه كما قال تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون أى تذكرون الفرد ففروا الى الله أى من الاشكال والاضداد وكما قال فاعتبروا يا أولى الابصار فعبر لما أبصر معه عندها كان ممن أخذ الكتاب بقوة قيل بعمل فيه وقيل بيقين فيه ويقال بجد واجتهاد فكان من المحسنين الذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض الآية وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها ويل لمن تلاها ومسح بها سبلته وذلك ان السموات والارض عبر بهما عما وراءهما من درجات الجنان ودركات النيران وهو الملكوت الى الملك الباطن والملك الكبير فكشف هذان عما علا وسفل وأحاط بهما من العرش والثرى لمن تفكر فيهما ثم كشف ذلك لله ورآه من العزة وجاوزت الافكار الملكوت لما شرحت القلوب بانوار اليقين الى الافق الاعلى والجبروت فنفذت أبصار المتفكرين بقواها الى مشاهدة ذلك وبقيت أنوار يقينهم معاينة ما أحاط بذلك وهو ما قد مناذكره آنفا مما لم يظهر كشفه كنحو ما نبه الله تعالى العباد بما يشهدون الى ما وراءه مما به أيقنوا والمؤمنين مشاهدة للدنيا قريبة يقدون هذه من طريق العقول يشهدون انها عقوبة كما قيل ما فتحت الدنيا على عبد الا مكرا به ولازويت عنه الا نظرا له وسمعنا فى أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه تدرى لم ابتليت آدم بأكل الشجرة لانى جعلت معصيته سببا لعمارة الدنيا فينبغى فى دليل الخطاب أن تكون الطاعة سبب خرابها وهو الزهد فيها فصح بذلك الخبر المشهور حب الدنيا رأس كل خطيئة لانه كان أساسها ولكن لا يسع ذلك العامة لانهم مرادون بالعمارة وصلح لنفر من الخاصة لان نقصان عددهم من الكافة لا ينقص عمارة الدنيا اذ المراد عمارتها باهلها ويقال عن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا فى شئ من أطعمة الجنة الا فى هذه الشجرة فلذلك نهيا عن أكلها قال فجعل يدور فى الجنة فأمر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال له أى شئ تريد فقال آدم عليه السلام أريد أن أضع ما فى بطنى من أذى فقيل للملك قل له فى أى مكان تضعه على الفرش أم على السرر أم على الانهار أم تحت ظلال الاشجار هل ترى ههنا موضعا يصلح لذلك ولكن اهبط الى الدنيا قال وتلطف الله تعالى له بهذا المعنى فاهبطه الى الارض وقد نغص الله تعالى فاكهة الدنيا وغيرها بحشو العجم والثفل ليزهد فيها وأخبر انها مقطوعة ممنوعة ليرغب فى الدائم الموهوب وكان بعض العلماء يقول ما سطع لى زينة من زخرف الدنيا الا كشف لى باطنه فظهر لى عزوف عنه فهذه عناية من الله تعالى بمن وليه من أوليائه المقربين منه فمن شهد الدنيا بأول وصفها لم يغتر بآخره ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم يستهوه زخرفها وكان عيسى عليه السلام يقول ويلكم علماء السوء مثلكم مثل قناة حش ظاهرها جص وباطنها نتن وقال مالك بن دينار رحمه الله اتقوا السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعنى الدنيا فمن حرص على الدنيا بالباطل فقد قتل نفسه فان قوى حرصها عليها واشتد عشقه لها قتل غيره قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم وقال فى قتل غيره بصده اياه عن سبيل الله ان كثيرا من الاحبار

وجهه الكريم وادخلنا دار النعيم بمحض فضله وكرمه العظيم أيها المسكين لا حزم ولا احتياط للعبد أحسن من اطاعة سيده الذى رباه ولا حماقة ولا سفاهة أكبر من الاغترار بحلم مولاه ولا حسرة أعظم من فوت الجنة ونعيمها ولا زاد أفضل من التقوى ورعايتها ولله در القائل شعر

حياة القلب علم فاغتنمه * وموت القلب جهل فاجتنبه
وخير الزاد تقوى فادخره * كفاك الوعظ هذا فاتبعه

اللهم ارزقنا اتباعه واغفر لنا زلاتنا وعثراتنا واغفر لنا خطيئاتنا واستر عيوبنا وامح ذنوبنا واعف عن زلة اللسان وعثرة القلم انك أنت الاعز الاكرم

شعر

اياعدتى عند الشدائد والبلى
وذخرى لما قد كان يأتى مهوّلا
كسبت ذنوبا لا أطيق أعدها
وذكرت ناسا من عبادك غفلا
وانى غفول ذو معاص كثيرة
أسير الهوى كسلان طاعة ذى العلا

والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وروينا في أخبار عيسى عليه السلام انه مر في سياحته ومعه طائفة من الحواريين بذهب مصبوب في الارض فوقف عليه ثم قال هذا القاتول فاحذروه ثم عبر وأصحابه فتخلف ثلاثة لاجل الذهب فأقام اثنان ودفعا الى واحد شيأ منه يشترى لهم من الطيبات من أقرب الامصار اليهم فوسوس اليهما العدو ترضيان أن يكون هذا المال بينكم أثلاثا اقتلاه هذا فيكون المال بينكم نصفين فاجمعا على قتله اذا رجع اليهما قال وجاء الشيطان الى الثالث فوسوس اليه أرضيت لنفسك أن تأخذ ثلث المال اقتلهما فيكون المال كله لك قال فاشترى سما فجعله في الطعام فلما جاءهما به وثبا عليه فقتلاه ثم قعدا يأكلان الطعام فلما فرغا ماتا فرجع عيسى عليه السلام من سياحته فنظر اليهم حول الذهب صرعى والذهب بحاله فعجب أصحابه وقالوا ما شأن هؤلاء فأخبرهم بهذه القصة وقيل لابن المبارك من الناس قال العلماء قيل فمن الملوك قال الزاهدون وروينا عن ابن المسيب عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زهد في الدنيا أدخل الله تبارك وتعالى الحكمة قلبه وأنطق بها لسانه وبصره داء الدنيا ودواءها وأخرجه منها سالما الى دار السلام وروينا في الخبر الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وكان الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول رأيت سبعين بدريا كانوا والله فيما أحل الله تعالى لهم أزهد منكم فيما حرم الله تعالى عليكم وفي حديث آخر كانوا بالبلاء والشدة تصيبهم أشد فرحا منكم بالخصب والرخاء لو رأيتموهم قلتم مجانين ولو رأوا خياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب قال وكان أحدهم يعرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على قلبي فمن كان له قلب حفظه من فساده وخاف من تغيره وأبعاده وعمل في صلاحه وارشاده ومن لم يكن له قلب فهو يتقلب في ظلمات الهوى فربما انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة أو يكون من أهل الرضا بالدنيا وأهل الغفلة عن آيات الله تعالى فيكون قد رضي بلا شيء وآثره على من ليس كمثله شيء كوصف من أخبر الله تعالى عنه في قوله تعالى ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون فيستحق الاعراض من الحبيب ويستوجب المقت من القريب كمثل من أمر الله تعالى بالاعراض عنهم وترك القبول منهم اذ يقول عز من قائل فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم وقال عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أي مجاوزا المانهي عنه مقصرا عما أمر به وقيل مقدما الى الهلاك وقد نهى الله تعالى رسوله أن يوسع نظره الى أهل الدنيا مقتا لهم وأخبر أن ما أظهره من زهرة الدنيا فتنة لهم وأعلمه أن القناعة والزهد خير وأبقى تنتظم هذه المعاني في قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى قيل القناعة وقيل قوت يوم بيوم ويقال الزهد في الدنيا وهذا الوجه أشبه بكتاب الله تعالى بدليل قوله تعالى والآخرة خير وأبقى وكذلك قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى يعني الزهد في الدنيا وقال أيضا في مثله بقية الله خير لكم يعني القناعة وقيل الحلال وفي خبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في أصحابه بعشار من النوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم اليهم وأنفسه عندهم لأنها تجمع الظهر واللحم واللبن والولد والوبر وهي الرواحل من الابل التي ضرب النبي عليه السلام بها مثل خيار الناس فقال عليه السلام الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة أي الابل كثيرة والراحلة التي تجمع هذه الاوصاف الحسنة من الابل قليل وهي العشار التي ذكر الله تعالى في قوله واذا العشار عطلت أي تركها أهلها وهربوا لهول قيام الساعة شغلا بنفوسهم عنها قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره فقيل له يا رسول الله هذه أنفس أموالنا لا تنظر اليها فقال قد نهاني الله تعالى عن ذلك ثم تلا هذه الآية ولا تمدن عينيك الآية وفي حديث عمر رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للدينار والدرهم قال فقلنا نهانا الله تعالى

عليم باني لست أهلا لوعظهم
ولكن جرى ما كان في اللوح فصلا
ولو لم يعظ الا تقي موفق
لصار الهي الوعظ للناس عطلا
فما كان من جهل وسهو وعثرة
وكبر وعجب والرياء تنزلا
أغثني منها يا الهي وسيدي
وأحبابنا انصر والعدى افن خاذلا
وبلغ مرادي واقض حاجة باطني
وسلم ووفق واعف عنا تفضلا
بحق كتاب قد أنلت محمدا
وما فيه من اسم عظيم مبجلا
وتوراة موسى ثم انجيل ذي الكلا
م مهد صبيا ثم اسم سائلك العلا
وحق جميع الانبياء وآلهم
واعلام دين والمشايخ كملا
وصل على خير الانام وآله
وصحب وكل الانبياء على الولا
وأرض جميع الاولياء ومشايخ
واعلام دين صار منهم مكملا

عن كنز الذهب والفضة فأى شئ نذخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة صالحة تعينه على أمر الآخرة وفى حديث حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله تعالى بثلاث هما لا يفارق قلبه أبدا وفقرا لا يستغنى أبدا وحرصا لا يشبع أبدا ورويناه حديثا مرسلا عن على بن معبد عن على بن أبى طلحة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرة الشئ ورويناه عن عيسى عليه السلام الدنيا قنطرة خلقت يعبر عليها الى الآخرة فاعبروها ولا تعمروها وقال له رجل احملنى معك فى سياحتك فقال اخرج مالك وألحقنى قال لا أستطيع فقال عيسى عليه السلام بشدة يدخل الغنى الجنة أو قال بعجب وقالوا له لو أمرتنا يا نبى الله أن نبنى بيتا نعبد الله فيه فقال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء قالوا كيف يستقيم بنيان على الماء قال فكيف تستقيم عبادة على حب الدنيا وقال لا يبلغ أحدكم حقيقة الايمان حتى لا يحب أن يحمد بعبادة الله تعالى ولا يبالى من أكل الدنيا وكان بشر ابن الحرث يقول لا تحسن التقوى الا بزهد وقال مرة العبادة لا تليق بالاغنياء مثل العبادة على الغنى مثل روضة على المزبلة ومثل العبادة على الفقير مثل عقد الجوهر فى جيد الحسناء وقد استنبطنا ذلك من كتاب الله تعالى فى معنى وصف الفقراء فى العبادة فى قوله سبحانه وتعالى للفقراء المهاجرين الذين أحصروا فى سبيل الله ثم قال تراهم ركعا سجدا فحسنت لبسة العبادة عليهم لحسن سيماهم بالفقر ورويناه فى وصية لقمان لابنه وهو يحذره مداخل العدو قال واذا جاءك من قبل الفقر فاخبره أن الغنى من أطاع الله تعالى والفقير من انتهك معصيته واذا شهى اليك الغنى فاخبره أنه لا يحسن جمع الغنى والقراءة وقال بعض السلف أبى أهل العلم بالله تعالى أن يسمعوا الحكمة والوعظ الا من الزاهدين فى الدنيا وقالوا ليس أهل الدنيا لذلك أهلا ولا يليق بهم ورويناه عن عيسى عليه السلام فيما أوحى الله تعالى اليه يا ابن آدم ابك أيام الحياة بكاء من ودع الدنيا وارتفعت رغبته الى ما عند الله تعالى اكتف بالبلغة من الدنيا يكفك منها الجشب والخشن بحق أقول لك ما أنت الا بيومك وساعتك مكتوب عليك ما أخذت من الدنيا وفيما أنفقته فاعمل على حسب هذا فانك مسؤل عنه لو رأيت ما وعدت الصالحين لزهقت نفسك فكان عيسى عليه السلام يقول حلاوة الدنيا مرارة الآخرة وجودة الثياب خيلاء القلب يعنى اعجابه وكبره وملء البطن جمام النفس يعنى قوتها واجتماعها بحق أقول لكم كما لا يلذ المريض بطيب الطعام كذلك لا يجد حلاوة العبادة من أحب الدنيا ومن الزهد فى الدنيا ترك الملبس الناعم والمنظور اليه المرتفع واجتناب النزهات من لطائف الطعام والتفنق فى الشهوات التى يرغب فيها المتنعمون وترك الزينة والمفاخر من الآلة والاثاث الذى يستأنس فيه المترفون ومن الزهد أن يكون الشئ الواحد يستعمل فى أشياء كثيرة كذلك كان سيرة السلف فى الاثاث وهو التقلل كما ان أبناء الدنيا يستعملون للشئ الواحد أشياء كثيرة وهو وصف من التكاثر وذلك من أبواب الدنيا وقال بعض السلف أول النسك الزى وقال بعض العلماء من رق ثوبه رق دينه وقال ابن مسعود رضى الله عنه لا يشبه الزى الزى حتى يشبه القلب القلب وفى الخبر المشهور البذاذة من الايمان قيل هو التقارب فى اللباس والحديث المفسر من ترك ثوب جمال وهو يقدر عليه تواضعا لله تعالى خيره الله تعالى من حلل الايمان أيها شاء وفى لفظ آخر من ترك زينة لله تعالى ووضع ثيابا حسنة تواضعا لله تعالى وابتغاء وجهه كان حقا على الله تعالى أن يدخله من عبقرى الجنة فى تخات الياقوت ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قبا أتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح من يده قال أما انى لست أحرمه ولكنى أتركه تواضعا لله تعالى وأتى عمر رضى الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل فى يوم صائف فقال اعزلوا عنى حسابها وأوحى الله تعالى الى نبى من أنبيائه قل لاوليائى لا تلبسوا ملابس أعدائى ولا تدخلوا مداخل أعدائى فتكونوا أعدائى كما هم أعدائى ولما خطب بشر بن مروان على منبر الكوفة قال بعض الصحابة انظروا الى أميركم

وشفعهم فينا انجو من
ردى
ومن نار تعذيب وما كان
هائلا
اللهم اغفر لنا ما سلف من
الذنوب واعصمنا فيما بقى
من الاجل الهنا ومولانا
نسألك ان تصلح شأننا
وشأن أولادنا وأقاربنا
وأصحابنا وأحبابنا واعف
عنا وعن والدينا ومشايخنا
وأحبابنا وعن أحب
وأحسن الينا والمسلمين
برحمتك يا أرحم الراحمين
تم الكتاب بعون الله الملك
الوهاب المسمى بسراج
القلوب وعلاج الذنوب
وصلى الله على خير خلقه
سيدنا محمد وآله وصحبه
أجمعين والحمد لله رب العالمين
ويليه كتاب حياة القلوب فى
كيفية الوصول الى المحبوب

يعظ الناس وعليه ثياب الفساق قلت وما كان عليه قال ثياب رقاق وجاء عامر بن عبد الله بن ربيعة الى أبي ذر رضي الله عنه في بزته فجعل يتكلم في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرط به فغضب عامر فأتى ابن عمر رضي الله عنهما فقال ألم تر ما لقيت من أخيك أبي ذر قال وماذاك قال جعلت أقول في الزهد فأخذ يهزأ بي فقال ابن عمر أنت صنعت بنفسك تأتي أباذر في هذه البزة وتتكلم في الزهد وقال علي كرم الله وجهه ان الله تعالى أخذ على أئمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزري بالفقير فقره وقد عوتب عمر رضي الله عنه في لباسه وكان يلبس الخشن من القطن قيمة قميصه ثلاثة دراهم وخمسة دراهم ويقطع ما فضل عن أطراف أصابعه وقال هذا أدنى الى التواضع وأجدر أن يقتدي بي المسلم وأتت برود من اليمن الى عمر رضي الله عنه فقسمها على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بردا بردا ثم صعد المنبر يوم الجمعة فخطب الناس في حلة منها والحلة عند العرب ثوبان من جنس واحد وكان ذلك من أحسن زيهم فقال ألا اسمعوا ألا اسمعوا ثم وعظ فقام سلمان فقال والله لا نسمع والله لا نسمع قال وما ذاك قال لانك قد أعطيتنا ثوبا ثوبا ورحت في حلة فقد تفضلت علينا بالدنيا فتبسم ثم قال عجلت يا أبا عبد الله رحمك الله اني كنت غسلت ثوبي الخلق فاستعرت برد عبد الله بن عمر فلبسته مع بردي فقال سلمان قل الآن حتى نسمع ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التنعم وقال ان عباد الله تعالى ليسوا بالمتنعمين وروى فضالة بن عبيد وهو والي مصر أشعث حافيا فقيل له أنت الامير وأنت هكذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا وروينا أن عمر رضي الله عنه خطب الناس فقال أنشد الله رجلا علم في عيبا الا أخبرني به فقام شاب فقال فيك عيبان اثنان قال وما هما رحمك الله قال تذيل بين البردين وتجمع بين الادمين قال فما أذال بين البردين وما جمع بين الادمين حتى لقي الله تعالى هكذا حدثنا به قال الشيخ باسناده يذيل بالذال فمعناه تجمع بين ذيليهما فيتفق ذيل الاعلى على ذيل الاسفل من طول البرد الاعلى وأنا أحسب أن معناه تديل بالدال أي تبدل أحدهما بالآخر دولة ذا ودولة ذا ويصلح أن يكون بالذال من الاذالة أي الوضع يقال أذل هذا وأذل هذا مثل قول الناس من اذالة العلم ان يجيب العالم عن كل ما يسأل عنه كأنه أراد تضعهما عندك معا وهو راجع الى معنى تديل من الدولة وقال علي لعمر رضي الله تعالى عنهما ان أردت أن تلحق بصاحبيك فارقع القميص ونكس الازار واخصف النعل وكل دون الشبع وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول اخلولقوا واخشوشنوا وتمعددوا واياكم وزي العجم كسرى وقيصر وقال علي رضي الله تعالى عنه من تزيا بزي قوم فهو منهم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد من هذا ان من شرار أمتي الذين غذوا بالنعيم الذين يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام ولما قدم عمير بن سعد أمير حمص على عمر رضي الله عنه قال له ما معك من الدنيا يا عمير قال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعي جرابي أحمل فيه طعامي ومعي قصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثوبي ومعي مطهرتي أحمل فيها شرابي ووضوأ للصلاة يعني السطيحة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال له عمر صدقت رحمك الله وكان عمر رضي الله عنه قد كتب الى أهل حمص أن عدوا الى فقرائكم فسموا له في الكتاب نفرا وذكروا فيهم سعيد بن حذيم ويقال بل عمير بن سعد فقال عمر من سعيد بن حذيم فقالوا أميرنا يا أمير المؤمنين قال أوفقير هو قالوا نعم ما فينا أفقر منه قال فما فعل عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يترك لنفسه ولا لاهله شيأ منه فوجه اليه عمر رضي الله عنه بأربعمائة دينار وسأله أن ينفقها على نفسه وأهله فلما وصلت اليه دخل على زوجته وهو يبكي فقالت له ما شأنك مات أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك قالت فتق فتق في المسلمين قال أشد من ذلك قالت فما هو قال أتتني الدنيا فقد كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفتح الدنيا علي وكنت في أيام أبي بكر رضي الله عنه فلم تفتح الدنيا علي وخلفت الى أيام عمر رضي الله عنه ألا وشر أيامي أيام عمر ثم حدثها فقالت نفسي فداؤك فاصنع بها ما بدا لك فقال أوتساعديني على ما أريد قالت نعم قال اعطيني خلق ذلك البرد قال فجعل يجزئه

(هذا كتاب حياة القلوب
في كيفية الوصول الى المحبوب)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العامل المتقن المحقق عماد الدين محمد بن الحسن بن علي القرشي الاموي الاسنوي الاشعري رحم الله سلفه وبوأه من أعلى الجنان غرفه الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل الحمد لله القديم بالالهية الازلي بالربوبية الذي وجب له نعت الوحدانية وصفة الفردانية تفرد بالربوبية واختص بالالوهية لم يكن لازليته ابتداء ولا لابديته انتهاء أحاط بالاشياء قبل كونها علما ونفذت فيها ارادته أبد الابد ومدا السرمد وأحدث الاشياء الحي منها والميت والناطق والصامت وأبدع موادها وصورها وأشكالها وتراكيبها وسائر أعراضها ليظهر لاولي العقول من مخلوقاته باهر عظمته وعظيم قدرته وبالغ حكمته وعجائب صنعته ونفوذ مشيئته وارادته فظهر لهم بذلك عظيم القدرة وبالغ الحكمة وعجائب الصنعة وأسرار التدبير ونفوذ المشيئة واحاطة العلم وعلم

و يصرها فيه صرر اما بين العشرة والخمسة والثلاثة حتى أفناها ثم حملها فى مخلاة و تأبطها وخرج فاعترض جيشا من المسلمين و بدون الغزو فجعل يدفع اليهم مرة صرة على نحو مايرى من حالهم ثم رجع ولم يترك لاهله منها دينارا فهذه كانت شمائل جملة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان رضى الله تعالى عنهم ورويناه فى حديث عياض بن غنم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف الاخيار ان من خيار أمتى فيما أنبأنى الملأ الاعلى قوم يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذابه مؤنتهم على الناس خفيفة وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان و يتبعون الرهبان أجسامهم فى الارض وأفئدتهم عند العرش وفى حديث أبى الدرداء رضى الله عنه لما وصف الابدال قال فقلت له فكيف لى أن أكون بهذا الوصف وأنى لى أن أكون مثلهم فقال يا ابن أخى ما بينك و بين أن تكون فى أول ذلك وأوسطه الا أن تزهد فى الدنيا فتعاين الاخرة بقلبك فتعمل لها وروينا فى الخبر أن الله تعالى يحب المتبذل الذى لا يبالى مالبس وقال الثورى وفضيل رحمهما الله تعالى جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الرغبة فى الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وسئل يوسف بن أسباط وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى أى الاعمال أفضل فقالا الزهد فى الدنيا وهذا موجود فى ظاهر الخبر المنقول عن عيسى عليه السلام ورويناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة ففى تدبره أن بغضها رأس كل طاعة كذلك كان بعض السلف يقول كفى به ذنبا لا يستغفر منه حب الدنيا وأشد من ذلك مارواه سفيان عن يحيى بن سليم الطائفى رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن عبدا عبد الله تعالى عبادة أهل السموات والارض ولقيه محبا للدنيا الا أقامه الله تعالى فى الموقف مقاما شهره فيه بين الخلائق ألا ان فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى وقال يحيى بن جابر الطائى قال عمرو بن الاسود العنسى لا ألبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على مأبور أبدا ولا أملأ جوفى من طعام أبدا فقال عمر رضى الله عنه من سره أن ينظر الى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمرو بن الاسود وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل على فاطمة رضى الله تعالى عنها فرأى على بابها سترا وفى يديها قلبين من فضة فرجع فدخل عليها أبو رافع وهى تبكى فأخبرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال من أجل الستر والسوارين فهتكت الستر ونزعت السوارين فأرسلت بهما بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت به فضعه حيث ترى فقال اذهب فبعه وادفعه الى أهل الصفة فباع القلبين بدرهمين ونصف وتصدق به عليهم فدخل عليها وقال بأبى أنت قد أحسنت وفى الخبر مامن عبد لبس ثوب شهرة الا أعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وان كان عنده حبيبا وقال سفيان الثورى وغيره البس من الثياب مالم يشهرك عند العلماء ولا يحقرك عند الجهال وكان يقول ان الفقير ليمر بى وأنا أصلى فادعه يجوز ويمر بعض هؤلاء من أبناء الدنيا وعليه هذه البزة فأمقته فلا أدعه يجوز قال بعضهم مارأيت الغنى فى مجلس قط أذل منه فى مجلس الثورى رحمه الله تعالى ولا رأيت الفقير أعز منه فى مجالس الثورى وقال آخر كنا اذا جلسنا الى سفيان تمنينا انا كنا فقراء لما نرى من اقباله عليهم واعظامه لهم وقال بعضهم انما العالم هو الذى يقوم الفقير من عنده غنيا والغنى من عنده فقيرا وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان ونعليه بدرهم وأربعة دوانيق وقال ابن شبرمة خير الثياب ماخدمنى وشرها ماخدمته وقال بعض السلف أحب الثياب الى مالا يستخدمنى وأحب الطعام الى مالا أغسل يدى منه وقال بعض العلماء البس من الثياب مايخلطك بالسوقة ولا تلبس منها مايشهرك فينظر اليك قال وعددنا فى قميص عمر رضى الله عنه أربعة عشر رقعة بعضها من أدم وكان بعض العلماء يقول كثرة الثياب على ظهر ابن آدم عقوبة من الله تعالى له وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين ازار بن أو قميص ومئزر تحته و يعطف ذيل قميصه على رأسه و يحله فى وسطه فيغطى به رأسه وكذلك استحب للفقير وهو حد الايثار وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى الثياب ثلاثة ثوب لله تعالى وثوب للنفس وثوب للناس فالذى لله

لا اله الا الواحد الحى القيوم العليم الحكيم الخبير الفعال لما يريد ليس كمثله شئ وهو السميع البصير أحاط علمه بما كان وما هو كائن وما هو سيكون على مااستترفى حجب الغيوب وخفى فى سرائر القلوب حصر الضمائر فراصدها ودنا من السرائر فراقبها وعلم جيش الضمائر وكسر الحواجب واغضاء الجفون وعلل الحركات وموجبات السكون لا يغيب عنه شئ باستتاره ولا مواضع الذرفى حالتى استقراره وانتشاره الاشياء كلها ظاهرة مكشوفة بسلطان القهر محبوسة موقوفة حتى يجرى عليها الاحكام بما قضاه لها فى القدم من الاقسام وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك العلام والصلاة والسلام على أنبيائه ورسله الذين هم الصفوة من خلقه خصوصا امام المتقين وسيد الزاهدين وسلطان العارفين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب النبى العربى المكى المدنى رسول رب العالمين الى الثقلين أجمعين وصفيه وخليله وحبيبه وخيرته من خلقه ووليه أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون دينه أشرف الاديان وأمته خير الامم جعل منهم الاصفياء والاولياء والحكماء العارفين

تعالى ماستر العورة وأديت فيه الفرائض والذى للنفس ماطلبت لينه ونقاءه والذى للناس ماطابت جوهره وحسنه ثم قال وقد يكون الثوب الواحد لله تعالى وللنفس وقد كان بعض العلماء يكره أن يكون على الرجل من الثياب مايجاوز قيمة أربعين درهما وبعضهم يقول الى المائة ويعده سرفا فيما جاوزها وكان جهور العلماء وخيار التابعين قيمة ثيابهم مابين العشرين الى الثلاثين وكان المتقدمون من الصحابة أثمان ازارهم اثنا عشر درهما فكانوا يلبسون ثوبين قيمة نيف وعشرين درهما واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم وكان قيمة ثوبيه عشرة الى دينار وكان طول ازاره أربعة أذرع ونصف واشترى سراويل بثلاثة دراهم وكان يلبس شملتين بيضاوين من صوف وكانت تسمى حلة لانهما ثوبان من جنس واحد وربما لبس ثوبين من جنس واحد وربما لبس بردتين يمانيين أو سحوليين من هذه الغلاظ وفى الخبر كان قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قميص زيات وقد لبس عليه السلام يوما واحدا ثوب سيراء من سندس قيمته مائتا درهم فكان أصحابه يلمسونه ويقولون انزل عليك هذا من الجنة تعجبا منه وكان قد أهداه اليه المقوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بقبول هديته ولبسه ثم نزعه وأرسل به الى رجل من المشركين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباج وقد يكون لبسه اياه توكيدا للتحريم بعده كما لبس خاتما من ذهب يوما واحدا ثم نزعه فحرم لبسه على الرجال وكما قال لعائشة رضى الله عنها فى شأن بريرة اشترطى لاهلها الولاء فلما اشترطته صعد المنبر فحرمه فهذا يكون مؤكدا للتحريم وكما أباح المتعة ثلاثا ثم حرمها لتوكيد أمر النكاح وقد يحتج بمثل هذا علماء الدنيا ويطرقون به لنفوسهم ويدعون الناس منه اليهم ويظهرون الدعوة الى الله تعالى تأولا بمتشابه الحديث كما تأول أهل الزيغ متشابه القرآن على أهوائهم ابتغاء الفتنة وطلبا للدنيا لان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على معانى كلام الله تعالى فيه ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه وخاص وعام وعدل علماء الدنيا وأهل الاهواء عن المحكم السائر من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله الى ماذكرناه وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خميصة لها علم فلما سلم قال شغلنى النظر الى هذه اذهبوا بها الى أبى جهم وأتونى بانبجانيته يعنى كساءه فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم ورأى على باب عائشة رضى الله عنها سترا فهتكه وقال كلما رأيته ذكرت الدنيا أرسلى به الى آل فلان وفرشت له عائشة رضى الله عنها ذات ليلة فراشا جديدا وكان ينام على عباءة مثنية فمازال يتقلب ليلته فلما أصبح قال أعيدى العباءة الخلقة ونحى هذا الفراش عنى قد أسهرنى الليلة وكذلك أتته دنانير خمسة أو ستة عشاء فبيتها فسهر ليلته حتى أخرجها من آخر الليل قالت عائشة فنام حينئذ حتى سمعت غطيطه ثم قال ماظن محمد بربه لولقى الله تعالى وهذه عنده وكان شراك نعله العربى قد أخلق فابدل بسير جديد فصلى فيه فلما سلم قال أعيدوا الشراك الخلق وانزعوا هذا الجديد فانى نظرت اليه فى الصلاة ولبس خاتما فنظر اليه وهو على المنبر بنظرة فرمى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة اليه ونظرة اليكم وقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحبنى فليستن بسنتى وقال فى الخبر المشهور عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول من علامة حب الله تعالى حب النبى عليه السلام ومن علامة حب النبى صلى الله عليه وسلم حب السنة ومن علامة حب السنة بغض الدنيا وعلامة بغضها أن لا يأخذ منها الا زادا أو بلغة وقال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها ان أردت اللحوق بى فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى نعلين جديدتين فأعجبه حسنهما فخر ساجدا وقال أعجبنى حسنهما فتواضعت لربى خشية ان يمقتنى ثم خرج بهما فدفعهما الى أول مسكين رآه وأمر عليا رضى الله عنه فاحتذى له نعلين سبتيتين قال فرأيته وقد لبسهما يعنى جرداوين أى معطوفتين وقال صلى الله عليه وسلم ان أقرب الناس منى مجلسا يوم القيامة من كان على مثل ما أنا عليه من الدنيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وقال عليه

الابرار والعلماء الاخيار ذوى البصائر النافذة والسرائر الطاهرة والاعمال الباطنة والظاهرة رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون *(أما بعد)* فان علم الباطن وهو المسمى بعلم القلب وبعلم التصوف علم جليل شريف نفيس وهو أجل العلوم وأشرفها وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التى لم تبعث الانبياء عليهم السلام الا لاجلها وقد حض الشرع عليه تحضيضا كثيرا فى الكتاب العزيز وفى السنة النبوية وأكد فى طلبه وتعلمه وفى العمل به بعد ان بينه وقسمه وأجله وفضله وهو الطريق التى توصل الى الله وبه تعرف كيفية المسير اليه والفرار اليه وبالعمل به تنال سعادة الابد فيما سلف من الايام ومضى من الاعوام وحين اقامتى ببلاد الشام طالعت كثيرا من كلام الائمة الاعلام أرباب هذا العلم فجمعت منه ماقدره الله منحة لى ويسره رحمة منه بى وقد حركنى التمنى فى هذا الزمان داعية وقوى عندى عزيمة على تأليف كتاب فى هذا العلم أجمع فيه ما كنت قد حصلته من كلام هؤلاء السادة ووقفت عليه فى كتب المصنفين فى علومهم فشرعت فيه متوكلا على الله تعالى

السلام لا يعذب الله عبدا جعل رزقه فى الدنيا قوت يوم بيوم وقال عليه السلام طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان رزقه فى الدنيا قوتا وقنع به وفى لفظ آخر وصبر عليه وقال عليه السلام ما من أحد غنى ولا فقير الا ود يوم القيامة ان رزقه كان فى الدنيا قوتا وروينا عنه صلى الله عليه وسلم اللهم من أحبنى وأجاب دعوتى فاقلل ماله وولده ومن أبغضنى ولم يجب دعوتى فاكثر ماله وولده واوطئ عقبيه يعنى كثرة الاتباع وكانت هذه دعوة الصحابة على من مقتوه وروينا فى الخبر نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان الآخرة وفى الاثر ما من أحد أعطى من الدنيا شيأ الا نقص من درجته وان كان على الله تعالى كريما وقال ابراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله فى وصف المدعين وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من الثياب يموهون بذلك على الناس ليهدوا اليهم مثل لباسهم ولئلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها الى الفقراء فيحتقرون فيعطون كما يعطى المساكين ويحتجون لنفوسهم باتساع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وانما يأخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقائق والجؤا الى المضايق وكل هؤلاء أكلة الدنيا بالدين لم يعنوا بتصفية أسرارهم ولا بتهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فغلبتهم فادعوا احالا لهم مائلون الى الدنيا متبعون الهوى وكان الخواص رحمه الله تعالى لا يلبس أكثر من قطعتين ازار بن وقميص ومئزر تحته ويعطف ذيل قميصه على رأسه ويغطى به رأسه وكذلك استحب للفقير هذا اللباس والاخبار فى فضائل الفقر وفضل الفقراء وفى ذم الدنيا ونقص الاغنياء أكثر من ان تذكر ولم نقصد جمعها ولا كثرة الاستدلال بها ومن الزهد ترك فضول البنيان وان لا يبنى عاليا ولا مشيدا ولا من الطين الا ما يحتاج اليه وقيل أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل والموائد وأول شئ ظهر من طول الامل التدريز والتشييد يعنى درز الثياب وانما كانت تشل شلا والبنيان بالجص والآجر وهو التشييد وانما كانوا يبنون بالسعف والجريد وقد جاء فى الاثر يأتى على الناس زمان يوشون بنيانهم كما توشى البرود اليمانية ونظر عمر رضى الله عنه فى طريق الشام الى صرح قد بنى بجص وآجر فكبر وقال ما كنت أظن ان فى هذه الامة من يبنى بنيان هامان لفرعون يعنى قول فرعون فأوقد لى يا هامان على الطين يعنى به الآجر يقال أول من بنى بالجص والآجر فرعون وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة فهذا هو الزخرف وذكر بعض السلف جامعا فى بعض الامصار فقال أدركت هذا المسجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأيته مبنيا من رهوص ثم رأيته الآن مبنيا باللبن فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهوص وكان أصحاب الرهوص خيرا من أصحاب اللبن وقد كان فى السلف من يبنى داره مرارا فى مدة عمره لضعف بنائه وقصر أمله ولزهده فى اتقان البنيان وكان منهم من اذا حج أو غزا نزع بيته أو وهبه لجيرانه فاذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الحشيش والثمام والجلود وعلى ذلك العرب ببلاد اليمن الى اليوم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس رضى الله عنه ان يهدم علية كان قد علا بها ومر عليه السلام بجنبذة معلاة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فرجع فهدمها فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فسأل عنها فاخبر انه هدمها فدعا له بخير وكان سمك بناء السلف قامة وبسطة وقال الحسن كنت اذا دخلت بيوت أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ضربت بيدى الى السقف وقال عمرو بن دينار اذا اعلى العبد البناء فوق ستة أذرع ناداه ملك الى أين يا فاسق الفاسقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى فوق ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيامة ومر عمر رضى الله عنه ببيت عال فقال أبت الدراهم الا ان تخرج رؤسها ومر بعامل له فرآه قد على وشيد فقال لى على كل خائن أمينان الماء والطين ثم شاطره ماله فجعله فى بيت المال وفى الخبر كل نفقة يؤجر عليها العبد الا ما أنفقه على الماء والطين وقد روينا عن بعض السلف اذا مقت الله تعالى مال عبد سلط عليه الماء والطين وقال يحيى بن عمان رحمه الله كنت أمشى مع الثورى رحمه الله فى طريق فنظرت الى

باب

مستعيذا به متبرئا من الحول والقوة الا به واذا فرغت منه ان شاء الله تعالى شرعت فى غيره (وسميته بحياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب) ليوافق اسمه مسماه ويطابق لفظه معناه ورتبته على مقدمة وقسمين وخاتمة اللهم اجعل ذلك حجة لى ولا تجعله حجة على وانفعنى به وأيقظنى ونبهنى وانشطنى ورغبنى وزكنى وطهرنى واغفر لى وارحمنى انك أنت الغفور الرحيم الجواد الكريم ذو الفضل العظيم ولنشرع فى مقدمة الكتاب وفيها فصول* (الفصل الاول فى حد هذا العلم وحقيقته وفائدته وموضوعه اما حد علم الباطن وحقيقته فقيل هو علم يعرف منه أحوال النفس فى الخير والشر وكيفية تنقيتها من عيوبها وآفاتها وتطهيرها من الصفات المذمومة والرذائل والنجاسات المعنوية التى ورد الشرع باجتنابها والاتصاف بالصفات المحمودة وهى الصفات التى طلب الشرع تحصيلها وكيفية السلوك والسير الى الله تعالى والفرار اليه وأما فائدته وثمرته فهى النجاة فى الآخرة والفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الابد وأما موضوعه فهو الباطن أعنى القلب من ناحية ما يعرض له من

باب مشيد قال لا تنظر اليه فقلت يا أبا عبد الله ما تكره من النظر قال اذا نظرت اليه كنت عونا له على بنائه لانه انما بناه لينظر اليه ولو كان كل من مر به لم ينظر اليه ما عمله وقد قال بعض السلف قبله ولا تنظر الى بنيانهم فانهم انما زخرفوه لاجلكم وفى قول الله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا قيل حب الكثرة والرياسة والتطاول فى البنيان وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة الا ما أكن من حر أو برد وقال للرجل الذى شكا اليه ضيق منزله اتسع فى السماء أى فى الجنة وهذا أحد التأويلين والثانى اتسع فى المعرفة ولا تطلب اتساع المكان واعلم ان الزهد لا ينقص من الرزق ولكنه يزيد فى الصبر ويديم الجوع والفقر فيكون هذا رزقا للزاهد من الآخرة على هذا الوصف من حرمان نصيبه من الدنيا وحمايته عن التكثر منها والتوسع فيها ويكون الزهد سببه فيكون ما صرف عنه ومنعه من الغنى والتوسع رزقه من الآخرة والدرجات العلى بحسن اختيار من الله تعالى وحيطة نظر كما حدثنا عن بعض العلماء ان بقالا جاءه فقال انى كنت أبيع فى محلة لا بقال فيها غيرى فكنت أبيع الكثير ثم قد فتح على بقال آخر فهل ينقص ذلك من رزقى شيأ فقال لا ولكن يزيد فى بطالتك عن البيع فاعل بطالا لا عبا يحتج لتوسعه وهواه ويموه على أبناء الدنيا ممن يتولاه فيقول بان الزهد فى الدنيا لم ينقص من رزقى شيأ قد صح مقامالى مع التوسع والاستكثار وعلى التنعم والرفاهية والاستئثار لانى انما آكل رزقى وآخذ قسمى فلى فى الزهد مقام ومن الرضا والتوكل حال أو يقول ان الزهد قد يصح مع التكاثر والزينة يزخرف بقوله على من لا يعرف الزهد ويغر بمقالته من لا يعرف طريق الزاهدين ولعله ممن يأكل الدنيا بالدين أو يزخرف القول ويشبه العلم على الغافلين فمثله كما قال على رضى الله عنه للخوارج حين قالوا لا حكم الا لله فقال كلمة حق أريد بها باطل وصدق رضوان الله عليه لانهم أرادوا بذلك اسقاط حكم الأئمة وترك الطاعة للامام العادل كما أراد القائل انما آكل رزقى وآخذ من الاشياء قسمى الاحتجاج لنفسه بهواه والاعتذار عند الجاهلين خيفة لومهم اياه ولا يعلم المغرور بداء الغرور انه وان كان يأكل رزقه من الدنيا ويأخذ قسمه من العطاء فبحكم النقص والبعد وبوصف الرغبة والحرص لان السارق والغاصب أيضا يأكل رزقه ويأخذ قسمه ولكن بحكم المقت وسوء الاختيار اذ كان الله سبحانه وتعالى يرزق الحرام للظالمين كما يرزق الحلال للمتقين وانما بينهما سوء القضاء ودرك الشقاء للاعداء وحسن التوفيق والاختيار بالسعادة للاولياء من المولى الكريم فقد حرم المدعى لذلك رزقه من الزهد وبخس نصيبه الاوفر من حب الفقر ونقص حظه الافضل من الآخرة اذ كانت الدنيا ضدها وجعل ما صرف فيه وما صرف اليه سببا النقصان مرتبته من طرائق الزاهدين وانه قد اختبر بالدنيا بما فتح عليه من السراء ليظهر صدقه من كذبه فوقع فى الفتنة ولم يفطن للابتلاء وصارت مشاهدته هذه اذا كان صادقا فيها غير كاذب على وجده حجابا له عن علوم العارفين المعصومين واستدرج بعلمه هذا لانه علم من علوم الدنيا يفنى بفنائها لا ثمرة له فى الباقية مكر به فيه وعدل به اليه عن علوم الخائفين ومشاهدة الورعين الزاهدين الذين نظروا من الحلال فى الدقيق وصدقوا القول فى ترك الرغبة بالعمل بالزهد للتحقيق وان كان كاذبا فى مشاهدته ظالما لنفسه بما ادعاه من وجده فهو من أولياء الشياطين ومن أئمة المضلين قيض للاعبين وسيق اليهم فتنة لهم ليس اماما للمتقين بل من الأئمة المضلين الحر ومين أبناء الدنيا الغافلين رغبة فى الدنيا وزهدا فى طرائق السلف لوجود الطمع وعدم اليقين فقد مكر بهذا المعدول به عن علوم الموقنين وحقائق مشاهدتهم على هذا الوصف الذى يريده بالذى تقلب فيه وهو لا يشعر بالمكر ولا يعرف الاستدراج بالنعم وانى له بعلم ذلك والله تبارك وتعالى يقول سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون فهيهات هيهات ان يفطن الممكور لما مكر به أو يعلم المستدرج ما درج فيه لان الماكر ألطف الماكرين والمدرج أحكم الحاكمين نعوذ بالله تعالى من الاغترار بعلم الاظهار ونسأله الصلاة على نبيه محمد وآله

النفحات والخواطر والهواجس والوساوس والعلوم والنيات والقصود والعزائم والاعتقادات وحديث النفس وغير ذلك وأما مسائله فالاحكام المتعلقة بهذه الخواطر والهواجس والنيات والقصود والعزائم وسائر أحوال النفس

(الفصل الثانى) فى جلالة هذا العلم وشرفه وعظم قدره وبيان ان أهله هم الصفوة من بنى آدم بعد الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام اعلم أن علم الباطن وهو علم طريق الآخرة وهو العلم الذى درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو العلم الذى لم يبعث الله الانبياء الا لاجله وقد سماه الله تعالى فى كتابه فقها وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا وهو مستخرج من القرآن أو السنة ومدلول عليه منهما اما تصريحا وتلويحا وكناية واشارة وغير ذلك من أصناف الدلالة قال الغزالى علم الباطن هو علم يقين المقربين وثمرته الفوز برضا الله تعالى ونيل سعادة الابد وبه تزكية النفس وتطهيرها وتنوير القلب وصفاؤه بحيث ينكشف بذلك النور أمور جليلة ويشهد أحوالا عجيبة ويعاين ما غيبت عنه بصيرة غيره من المعرفة الحقيقية بذات الله

أجمعين وحسن التوفيق لمشاهدة علم التحقيق وبمثل ما قلناه جاءت الآثار وكثرت الاخبار ان مثل الدنيا والآخرة كضرتين برضا احداهما فى سخط الاخرى وانهما بمنزلة المشرق والمغرب من استقبل احدهما استدبر الآخر وانهما بمنزلة كفتى الميزان رجحان احداهما بنقصان الاخرى وكان عمر رضى الله عنه يقول والله ان هما الا بمنزلة قدحين لك ملئ أحدهما فما هو الا ان تفرغ أحدهما فى الآخر يعنى انك ان امتلأت من الدنيا تفرغت من الآخرة وان امتلأت من الآخرة تفرغت من الدنيا وان كان لك ثلث قدح الآخرة أدركت ثلثى قدح الدنيا وان كان لك ثلثا قدح الآخرة يكون لك ثلث قدح الدنيا وهذا تمثيل حسن الا أن فيه شدة وتدقيقا وقال بعض السلف مثل من زهد فى الدنيا مع التنعم فيها كمثل من يغسل يديه من الغمر بسمك وقال آخر مثل من زهد وهو يطلب الدنيا مثل من يطفئ النار بالحلفاء وكان بعض الزاهدين من أهل الشام يتكلم عليهم فكان رجاء بن حيوة فقيه أهل الشام يحضر مجلسه فاحتبس يوما عنهم وقد اجتمعوا فتكلم عليهم مؤذن الجامع فانكر صوته رجاء بن حيوة فقال من هذا فقال انا فلان فقال اسكت عافاك الله انا نكره ان نسمع الزهد الا من أهله وفى لفظ آخر انا نكره ان نسمع الوعظ الا من أهل الزهد وقال عيسى عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بنور ايمانكم وقال بعض العلماء تقليب الاموال يمص حلاوة الايمان وروينا فى الخبر لكل أمة عجل وعجل هذه الامة الدينار والدرهم وكان أصل العجل من الحلية وقال عز وجل ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله فكان فهم هذه السنة عن سمع هذه الآية يقال ما من يوم ذى شارقة الا وأربعة أملاك ينادون فى الآفاق بأربعة أصوات ملكان بالمشرق وملكان بالمغرب يقول أحدهما من المشرق يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أقصر ويقول الاخر اللهم أعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا ويقول احد اللذين فى المغرب لدوا للموت وابنوا للخراب ويقول الآخر كلوا وتمتعوا لطول الحساب وقال بعض العلماء ان الله تعالى وسم الدنيا بالوحشة ليجعل أنس المطيعين به وبلغنا ان من دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه اللهم انى أسألك الذل عند النصف من نفسى والزهد فيما جاوز الكفاف وقال بعض العارفين ما من شئ الا وهو مطروح فى الخزائن الا الفقر مع المعرفة فانه مخزوم مختوم عليه لا يعطاه الا من طبع بطابع الشهداء وقد يحتج بعض علماء الدنيا لانفسهم بتفضيل الغنى على الفقر بتأويل الخبر من قوله تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا عند أولى الالباب فى تدبر الخطاب معنى به الفقراء لانه قيل لهم فى أول الكلام ان فعلتم كذا لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم فثبت هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وسلم فصح لانه معصوم فى قوله كما هو معصوم فى فعله فلا ينبغى أن ينقض أول الكلام آخره فما جاء بعده محمول عليه ولم يصلح أن ينقلب لانه اخبار عن شئ فلا يجوز الرجوع عنه ولما فعل الاغنياء ما أمر به الفقراء وقف الفقراء فى نظر الرسول صلى الله عليه وسلم لنظرهم الى مزيد الاغنياء عليهم بالقول فرجعوا اليه يستفتون منه ما أخبر به فقال لا تجعلوا فان الذى قلت لكم كما قلت هو فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء وأنتم ممن شاء أن يؤتيه فضله فصح تأويلنا هذا وبطل تأويلهم بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم الاول فكان قوله الثانى بالآخر مواطئا لقوله الاول ولم يناقض الاول بالآخر كيف وقد جاء دليل ما قلنا مكشوفا فى الحديث المفسر الذى رويناه عن زيد بن أسلم عن أنس رضى الله عنه قال بعث الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا فقال انى رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم من عند قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبلغ عنى الفقراء انه من صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للاغنياء أما خصلة واحدة فان فى الجنة غرفا ينظر اليها أهل الجنة كما ينظر أهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبى فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة اذا قال الغنى سبحان

وبآياته وحكمته فى خلق الدنيا والآخرة والمعرفة بمعنى النبوة والنبى ومعنى الوحى ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية الوحى والمعرفة بملكوت السموات والارض وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين ومعرفة الفرق ومعرفة القلب بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعرفة معانى المتشابهات ومعنى قوله تعالى وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ومعنى لقاء الله والنظر اليه ومعنى القرب منه والنزول فى جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الاعلى ومرافقة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى فى جو السماء كما ورد ذلك فى صحيح البخارى الى غير ذلك مما يكثر شرحه ويطول تفصيله وهذه هى العلوم التى عناها نبى الرحمة ومعدن الحكمة الذى لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم بقوله ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا أهل المعرفة بالله وقال أيضا فى موضع آخر كان اسم الفقه

الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا يدل على صحة تأويلنا وقد روينا معنى هذا مجملا في الخبر الذي رويناه عن اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أي الناس خير قالوا موسر من المال يعطي حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال مؤمن فقير يعطي جهده فذهب القوم الى علم العقل فردهم الرسول صلى الله عليه وسلم الى علم اليقين فكذلك من فضل حال الغني على حال الفقير فانه ينظر في العلم بعين العقل وانما يشهد الآخرة والحقيقة بعين اليقين وهذا نص في تفضيل حال الفقير فمن فضل الغني بعده فقد عاند السنة ان كان عالما فأحسن حاله الجهل بالآثار وان كان جاهلا فقد أمه في الجهل أضر عليه من نطقه بالعلم بهوى وفي الخبر الآخر خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وقال صلى الله عليه وسلم لبلال الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف لي بذلك قال اذا سئلت فلا تمنع واذا أعطيت فلا تخبأ افتراه كان يأمر بلالا بأدنى الحالين فكيف وهو من أعلى الصحابة فأشبه الفقر في الاحوال اليقين في الايمان كما قال لابن عمر اعمل لله بالرضا واليقين فان لم يكن فان في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا فرفعه الى اليقين لفضله كما رفع بلالا الى الفقر لشرفه في الاحوال فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرضى لبلال الا ما يرضاه لنفسه فصار الفقر حال الموقن لانه يكشف الآخرة وصار الشكر في الغنى حال المؤمن لانه يوجد الدنيا ففضل الفقير الزاهد على الغني الشاكر كفضل الموقن الشاهد على المؤمن الجاهد وكذلك روينا في حديث عطاء عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا ولم يكن ليأمر بلالا بأدنى الحالين فيقول الق الله تعالى فقيرا كما لم يندب ابن عمر الى أخفض المقامين لقوله اعمل لله تعالى بالرضا في اليقين وكذلك جاء في الخبر المشهور الذي دعا فيه صلى الله عليه وسلم لنفسه أن يحييه الله تعالى مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره في زمرة المساكين كل ذلك لتفضيل الفقر وتشريف الفقراء مع قوله صلى الله عليه وسلم يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وروينا عن عيسى عليه السلام انه قال اني لاحب المسكنة وأبغض المال للغني وان في المال داء كثيرا قيل يا روح الله وان كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن ذكر الله تعالى قال وهب بن منبه لابن عباس انا نجد في التوراة ان الفقير المصلح خير من الغني المصلح قال ابن عباس أما علمت انه لا شيء أحب الى الله تعالى من الفقير اذا كان صالحا وقيل كان أحب الاسماء الى عيسى عليه السلام أن يدعى به أن يقال له يا مسكين وكان يقول من شر الغنى أن العبد يعصي ليستغني ولا يعصي ليفتقر وقد قال بعض حكمائنا في كلام منظوم

يا عائبا للفقر تبغي الغنى * عيب الغنى أعظم لو تعتبر
انك تعصي لتنال الغنى * ولست تعصي الله كي تفتقر

وروينا في حديث عطاء عن أبي سعيد الخدري يا أيها الناس لا تحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بني ان من أعون الاخلاق على صلاح الدين زهدا في الدنيا من زهد في الدنيا رغب فيما عند الله تعالى ومن رغب فيما عند الله تعالى يعمل لله تعالى ومن يعمل لله تعالى يأجره الله تعالى وقال الحواريون يا روح الله نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله تعالى كما أمرتنا ولا نقدر نمشي على الماء كما تمشي أنت فقال أخبروني كيف حبكم للدنيا قالوا انا لنحبها فقال ان حبها يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وفي خبر آخر انه رفع حجرا فقال أيهما أحب اليكم هذا أو الدينار والدرهم قالوا الدينار قال فانهما عندي سواء ويقال ان من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده الذهب والحجر مشى على الماء وقد اشتهر ذلك في العامة حتى قال الشاعر

في الزمن الاول ينطلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الاعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع الى نعيم الآخرة الذي أشار اليه الحق سبحانه وتعالى بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وأشار اليه نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله ان الله أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر الى غير ذلك من دقائق علم القلب وانما أرباب العلم الظاهر تصرفوا في هذا اللفظ بالتخصيص والقصر لا بالنقل والتحويل كما تصرف أهل العرف في لفظ الدابة ويدلك على هذا قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومابه الانذار والتخويف هو المتعلق باصلاح القلب واستقامته والفقه الذي به تزكية النفس وتطهيرها دون تعريفات السلم والاجارة والطلاق واللعان فان ذلك لا يحصل به انذار وتخويف ولا ينجي النفس من مهلكاتها ولا يخلصها من ورطاتها قال السادة الائمة أرباب البصائر وأهل اليقين المعرض عن علم طريق الآخرة ومابه النجاة والفوز مع اقباله على العلوم الظاهرة والعمل بها أيضا من الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب

لو كان زهدك في الدنيا كزهدك في * وصلي مشيت بلا شك على الماء

وروينا أن عيسى عليه السلام مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال قم يا نائم فاذكر الله تعالى فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له عيسى عليه السلام نم حبيبي اذا نم وروينا عن موسى عليه السلام انه مر برجل نائم على التراب وتحت رأسه لبنة ووجهه ولحيته في التراب وهو متزر بشمل عباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع فأوحى الله تعالى اليه يا موسى أما علمت اني اذا نظرت الى عبدي بوجهي كله زويت عنه الدنيا كلها وأوحى الله سبحانه وتعالى الى نبيه اسمعيل عليه السلام اطلبني عند المنكسرة قلوبهم قال يا رب ومن هم قال الفقراء الصادقون فهذا كأنه مفسر لخبر موسى عليه السلام في قوله أين أجدك قال عند المنكسرة قلوبهم وقد كان أحمد بن عطاء وهو من المتأخرين يفضل حال الغنى على الفقر لشبهة دخلت عليه وهو أن بعض الشيوخ سأله عن الوصفين أيهما أفضل قال الغنى لانه صفة الحق فقال له الشيخ فالله غني بالاعراض والاسباب فانقطع ولم ينطق بحرف وهذا كما قال الشيخ لان الله تعالى غني بوصفه والفقير أحق بهذا المعنى لانه غني بوصفه بالايمان لا بالاسباب لانفراده عنه فهو الافضل فأما الغني فانه مشتت مجتمع بالاسباب فهو مفضول بالارتياب وقد خالفه الخواص فوفق للصواب وكان فوقه في المعرفة فقال في كتاب شرف الفقر والفقر صفة الحق أي صفة منه يصف به الفقراء فوافقنا في التأويل يعني انه تعالى متخل عن الاشياء منفرد عنها ووجه آخر من الغلط الذي دخل عليه من جهة الغنى الذي ذكره لانه ان كان فضل الغنى على الفقر لانه صفة الحق فينبغي أن يفضل المتكبر الجبار ومن أحب المدح والعز والحمد لان ذلك كله صفة الحق فلما أجمع أهل القبلة على ذم من كان هذا وصفه كان من وصفه الغنى في معناه لان وصف الغنى صفة الحق مقترن بالعز والكبر وينبغي أن يسلم صفات الحق للحق ولا ينازع اياها ولا يشارك فيها فبطل قول ابن عطاء لصحة قول الرسول صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى العز ازاري والكبرياء ردائي من نازعني أحدهما قصمته في النار وقد خالفه أيضا ووافقنا من لا يشك الخاص والعام في فضل معرفته عليه أبو محمد سهل بن عبد الله فقال من أحب الغنى والبقاء والعز فقد نازع الله تعالى صفاته وهذه صفات الربوبية يخاف عليه الهلكة فاذا ثبت ذلك كان الفقر أفضل لانه وصف العبودية فمن جعل وصفه فقد تحقق بالعبودية وأوصاف العبودية هي أخلاق الايمان وهي التي أحبها الله تعالى من المؤمنين مثل الخوف والذل والتواضع والفقر مضاف اليها وأوصاف الربوبية ابتلى به قلوب أعدائه الجبارين والمتكبرين مثل العز والكبر والبقاء والغنى مضموم اليها وكان الحسن رحمه الله يقول ما رأيت الله تعالى جعل البقاء الا لابغض خلقه اليه وهو ابليس وكذلك كان العلماء يقولون لا ترغبوا في البقاء في هذه الدنيا فان شرار الخلق أطولهم بقاء وهم الشياطين والغنى عمارا للبقاء ويقال ان الجنيد رحمه الله تعالى باهل ابن عطاء في هذه المسئلة ودعا عليه لانه أنكر قوله أشد الانكار وكان يقول الفقير الصابر أفضل من الغني الشاكر وان تساويا في القيام بحكم حالهما لان الغني التقي يمتع نفسه وينعم صفته والفقير الصابر قد أدخل على صفته الالام والمكاره فقدرا دعا عليه بذلك وهذا كما قال وكذلك كان أحمد بن حنبل يقول ما أعدل بالفقر شيأ وكان يفضل حال الفقر ويعظم شأن الفقير الصابر وقال المروزي وذكر بعض الفقراء فجعل يمجده ويكثر السؤال عنه قال فقلت له يحتاج الى علم فقال ويحك اسكت صبره على الفقر ومقاساته للضر فيه خير من كثير من العلم ثم قال هؤلاء خير منا بكثير وأقول ان من فضل حال الغنى على الفقر فانه لم يذق مرارة الفقر ولا حلاوته فهو غر بشدته فاقد لحلاوته لانه لو ذاق مرارته من الضر والهم لفضله ولو أذيق حلاوته من الزهد والرضا لما فضل عليه وقد روينا في الخبر يقول ابليس لم ينج الغني مني من احدى ثلاث خصال ان أحب اليه المال فكتسبه من غير حقه أو يضعه في غير حقه أو يمنعه من حقه فلو لم يعلم العدو ان الفقر من أفضل الاحوال ما قعد على طريقه وقد قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم فأخبر الخبير عنه فقال الشيطان يعدكم الفقر أي يخوفكم

والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وعلماء الآخرة يدورون مع الاعمال الظاهرة بتطهير الباطن وقطع مواد الشر والآفات والامراض بافساد منابتها وقلع مغارسها وهي في القلب قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان في الجسد لمضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب وأما بيان ان أهل العلم بالله وبطريق الآخرة هم الصفوة من بني آدم بعد الانبياء والرسل عليهم السلام فنقول ان أرباب هذا العلم هم الذين ورثوا علوم الانبياء والمرسلين عليهم السلام واقتفوا آثارهم وسلكوا طريقهم فرفضوا الدنيا وفرغوا عنها واجتهدوا في جهاد أنفسهم قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وصبروا على مرارات الطريق ومشاق السير وكابدوا وحشة الطريق وصبروا على وعثاء السفر حتى وصلوا الى مقصودهم وظفروا بالقرب من معبودهم فهم الفارون الى الله عند ما سمعوا أمره بالفرار حيث قال الله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين وهؤلاء هم عباد الصحابة وزهادهم من أهل الصفة وغيرهم ومن التابعين وتابعيهم فمن الصحابة مثل

به فجاء الفقير الصادق فسلك الطريق المستقيم الى الآخرة واطرح تخويف العدو بحول الله وقوته وقبل الاغنياء المغبوطون بغناهم تخويف العدو فجاء بنو الفقر فحاق بهم مثل السوء من ذلك قوله انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون فقبلوا تخويف الشيطان وخالفوا ندب الرحمن فكانوا كمن قيل فيهم ومن الناس من يعبد الله على حرف فان أصابه الآية فلو لم يكن من فضل الزاهدين الا انهم توسطوا الطريق الذي هرب الناس منه وأمنوا بالتوكل على الله والرضا عنه ما خافه أبناء الدنيا لكفاهم *(ذكر ماهية الدنيا وكيفية الزهد فيها وتفاوت الزهاد في مقاماتهم)* ثم ان الدنيا هي نصيب كل عبد من الهوى وما دنا من قلبه من الشهوات فمن زهد في نصيبه وملكه من هواه المذموم فهذا هو الزهد المفترض ومن زهد في نصيبه من المباح وهو فضول الحاجة من كل شئ فهذا هو الزهد المفضل يرجع ذلك الى حظوظ جوارحه التي هي أبواب الدنيا منه وطرقها اليه فالزهد في محرماتها هو زهد المسلمين به يحسن اسلامهم والزهد في شبهاتها هو زهد الورعين به يكمل ايمانهم والزهد في حلالها من فضل حاجات النفس هو زهد الزاهدين به يصفو يقينهم ورويناه في حديث عمرو بن ميمون عن الزبير بن العوام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا زبير اجهد نفسك عند نزول الشهوات والشبهات بالورع الصادق عن محارم الله عز وجل وتدخل الجنة بغير حساب وكان سهل يقول في فضائل الزهد وأعلى مقاماته لا يتم زهد عبد حتى يزهد في هذه الثلاث في الدرهم الذي يريد أن ينفقه في أبواب البر يتقرب بذلك الى الله تعالى و يزهد في الثياب التي تستر بدنه في الطاعات و يزهد في قوته الذي يستعين به على العبادة وانما قال هذا لان عنده حقيقة الزهد من أفضل المقامات كلها لانه كان يقول يعطى الزاهد جميع ثواب العلماء والعباد ثم يقسم على المؤمنين ثواب أعماله وقال لا يوافى القيامة أحد أفضل من ذي زهد وعالم وورع وقال أيضا لا ينال الزهد الا بالخوف لان من خاف ترك فجعل الزهد مقاما في الخوف رفعه مزيد الهم عليه وقد روى مسروق عن ابن مسعود ركعتان من زاهد قلبه خير له وأحب الى الله تعالى من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا ولا نهاية للزهد عند طائفة من العارفين لانه يقع عن نهاية معارفهم بدقائق أبواب الدنيا وخفايا لوائح الهوى وقال بعضهم نهاية الزهد أن تزهد في كل شئ وتتورع عن كل شئ للنفس فيه متعة وبه راحة فهذا كما روى عن عيسى عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما ارتفع رأسه عن الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم ألست تزعم انك قد زهدت في الدنيا قال نعم قال فهذا الذي وطأته تحت رأسك من أي شئ هو قال فرمى عيسى عليه السلام بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت ومثله ورويناه عن يحيى بن زكريا عليهما السلام انه لبس المسوح حتى نقب جلده فسألته أمه أن ينزع مدرعته الشعر ويلبس مكانها جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى اليه يا يحيى آثرت علي الدنيا قال فبكى ونزع الصوف ورد مدرعته الشعر على جسده وكان الحسن يقول أدركت سبعين من الاخيار مالاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط كان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واعلم اني رأيت جمل النعم ثلاثا وتمامها بالزهد وذلك ان أصل النعم كلها الاسلام لان من ورائه مقامات كثيرة أخطؤا فيها حقيقة التوحيد ثم النعمة الثانية السنة اذ من ورائها بدع كثيرة كلهم أخطؤا حقيقة السنة والنعمة الثالثة العلم بالله تعالى لان من ورائه جهلا كثيرا بعظمة الله تعالى وقدرته ثم الزهد في الدنيا فمن أعطيه مع الثلاث تمت عليه النعم فكان مع الذين أنعم الله تعالى عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أي تمت نعمة الله عليهم لان من ورائه حرصا كثيرا على الشبهات ورغبة عظيمة في الشهوات وقد كان سهل رحمه الله تعالى يجعل الزهد من شرط السنة والاتباع لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني قال ففي السنة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان زاهدا ثم تفاوت الزاهدون لاي شئ زهدوا ومقامات على نحو علوا المشاهدات فمنهم من زهد اجلالا لله تعالى ومنهم من زهد حياء من الله تعالى ومنهم من زهد خوفا من الله تعالى ومنهم من زهد رجاء موعود الله تعالى ومنهم

حارثة والبراء بن مالك وأبو اسرائيل وحذيفة وأبي الدرداء وأبي ذر وعكاشة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسلمان وصهيب وأبي رافع وبلال وخباب وهم قريب من ألف عارف زهاد عباد قائمون لله بالعبودية باذلون له حقوق الربوبية ومن التابعين علي بن الحسين ابن زين العابدين وابنه محمد الباقر وابنه جعفر الصادق وأويس القرني وابن حازم وسلمة بن دينار والحسن البصري وعلقمة والاسود بن زيد وابراهيم النخعي ومالك بن دينار ومحمد بن سيرين وغيرهم ممن لا يحصى عددهم وهم يزيدون على ألف ولي ومن تابعيهم وهم مثل عبد الواحد بن زيد وعتبة الغلام والفضيل بن عياض وابراهيم بن أدهم وداود الطائي وسفيان الثوري وأبي سليمان الداراني وابنه سليمان وذي النون الاخميمي وأخيه ذي الكفل وبشر ابن الحرث والسري السقطي والحرث المحاسبي وأبي القاسم الجنيد وابراهيم الخواص وغيرهم ممن لا يحصى عددهم ومن أراد أن يطلع على أكثر مما ذكرنا فعليه بكتاب حلية الاولياء لابي نعيم وكتاب صفوة الصفوة لابن

من زهده مسارعة منه لامر الله تعالى ومنهم من زهد حبا لله تعالى وهو أعلاهم وأدناهم من زهد مخافة طول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهمين أشد حسابا يوم القيامة من ذى الدرهم ولان طريق المتقين لا يسلكه من ملك فى الدنيا زوجين من شئ وما أحد يعطى من الدنيا شيأ الا قيل خذه على ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الاغنياء ليوقف للحساب مالو ورد مائة بعير عطاش على عرقه لصدرن رواء وانه ليرى منازله من الجنة فلما وقر هذا فى قلوب الورعين أشفقوا من طول الحساب فزهدوا فى الجمع والمنع وفارقوا افضول الا مال طلبا لخفة السؤال وسرعة الوقوف فى الاهوال ومن الزهد فى الدنيا حب الفقر وأهله ومجالسة المساكين فى أوطانهم والتذلل لهم كما كان مطرف رحمه الله تعالى يجالس المساكين فى بزته يتقرب بذلك الى ربه وكان محمد بن يوسف الاصفهانى عالما زاهدا ومن الناس من كان يفضله على الثورى رحمهما الله تعالى الا انه كان يؤثر الخمول فلم يكن يعرفه الا العلماء وكان من حسن رعايته وشدة يقظته يعمل فى كل وقت أفضل ما يقدر عليه فى ذلك الوقت فلما طلبه ابن المبارك بالمصيصة قال له بعض من يعرف حاله ان ذاك لا يكون فى المصر الا فى أفضل موضع فيه قال فهو اذا فى الجامع فطلبه فقيل له انه لا يقعد الا فى أفضل مكان قال فطلبه عند الفقراء فاذا هو دس رأسه وأخمل نفسه مع المساكين فكان عنده ان أفضل وطن فى المصر الجامع لانه يقال ان الصلاة فيه بخمسين صلاة وان أفضل الاماكن موضع الفقراء من الجامع وان أفضل الاحوال الخمول فلذلك أخمل نفسه فيما بين الفقراء فى الجامع ليحوز فواضل الاعمال ومن الزهد أن يكون بفقره مغتبطا مشاهدا لعظيم نعمة الله تعالى عليه به يخاف أن يسلب فقره ويحول عن زهده كما يكون الغنى مغتبطا بغناه يخاف الفقر ثم وجود حلاوة الزهد حتى يعلم الله تعالى من قلبه ان القلة أحب اليه من الكثرة وان الذل أحب اليه من العز وان الوحدة آثر عنده من الجماعة وان الخمول أعجب اليه من الاشتهار فهذا من اخلاصه فى زهده وروينا عن عيسى عليه السلام وعن نبينا عليه السلام أربع لا يدركن الا بعجب الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة الشئ وقال الثورى رحمه الله تعالى لا يكون الرجل عالما حتى يعد البلاء نعمة والرخاء عقوبة وقال بعض السلف لا يفقه العبد كل الفقه حتى يكون الفقر أحب اليه من الغنى والذل آثر عنده من العز وقد روينا خبرا مقطوعا لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يكون أن لا يعرف أحب اليه من أن يعرف وحتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرته وكان السلف الصالح يقولون نعمة الله علينا فيما صرف عنا من الدنيا أعظم من نعمته فيما صرف الينا وكان الثورى رحمه الله تعالى يقول الدنيا دار التواء لا دار استواء ودار ترح لا منزل فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء وكان سهل بن عبد الله رحمه الله يقول لا يصح التعبد لاحد ولا يخلص له عمل حتى لا يجزع ولا يفر من أربعة أشياء الجوع والعرى والفقر والذل كما روينا أن ابراهيم التيمى رحمه الله تعالى دفع اليه خمسون ألف درهم فردها فقيل له لم رددتها فقال أكره أن أمحو اسمى من ديوان الفقراء بخمسين ألفا ومن الزهد عند الزاهدين ترك فضول العلوم التى معلوماتها تؤل الى الدنيا وتدعو الى الجاه والمنزلة عند أبنائها وفيما لا نفع فيه فى الآخرة ولا قربة به عند الله تعالى وقد تشغل عن عبادة الله تعالى وتفرق الهم عن اجتماعه بين يدى الله تعالى وتقسى القلب عن ذكر الله تعالى وتحجب عن التفكر فى آلائه وعظمته وقد أحدثت علوم كثيرة لم تكن تعرف فيما سلف اتخذها الغافلون علما وجعلها البطالون شغلا انقطعوا بها عن الله تعالى وحجبوا بها عن مشاهدة علم الحقيقة لا نستطيع ذكرها لكثرة أهلها الا أن نسئل عن شئ منها أعلم هو أم كلام أم حق أو تشبيه أو صدق ومحكمة أم زخرف وغرور أم سنة هو عتيق أو محدث وتشديق فحينئذ نخبر بصواب ذلك ومن أفضل الزهد الزهد فى الرياسة على الناس وفى المنزلة والجاه عندهم والزهد فى حب الثناء والمدح منهم لان هذه المعانى هى من أكبر أبواب الدنيا عند العلماء فالزهد فيها هو زهد العلماء كان الثورى رحمه الله تعالى يقول الزهد فى الرياسة

الجوزى وغيرهما من الكتب واعلم أن الصوفية دخلوا مع الفقهاء والمفسرين والمحدثين والمتكلمين فى علومهم فسمعوا الحديث ونظروا فى الاحاديث وقرؤا القرآن واشتغلوا بتدبره ونظروا فى أصول الدين وعلم الفقه فالبداية فقهية والنهاية صوفية ومن لم يبلغ من الصوفية مبلغ الفقهاء وأصحاب الحديث ولم يحط بما أحاطوا به فانه يرجع فيما وقع له من المسائل الى العالمين بأحكام أفعال الجوارح الظاهرة وهم أصحاب العلوم الظاهرة والصوفية يلزمون أنفسهم بالاخذ بالاغلظ والاشق من أقوال العلماء فى المسائل الخلافية ثم انهم خصوا مع ذلك بعلوم عالية وأحوال شريفة ومقامات رفيعة فتكلموا فى علوم المعاملات وعيوب النفس وآفات القلب وشريف المقامات مثل اليقظة وهى الانتباه والتوبة والزهد والورع والصبر والرضا والتوكل وكيفية جهاد النفس والهوى والشيطان ومعاداته والخشية والمراقبة واليقين وغير ذلك من المقامات والاحوال وفى معرفة النفس ورياضتها ودقائق الرياء والشهوة الخفية والشرك الخفى وكيفية الخلاص منها وألهموا أيضا علوما مستنبطة من أمور مشكلة على فهوم الفقهاء

ومدح الخلق أشد من الزهد فى الدينار والدرهم قال لان الدينار والدرهم قد يبذلان فى طلب ذلك وكان يقول هذا باب غامض لا يبصره الا سماسرة العلماء وقال الفضيل رحمه الله تعالى نقل الصخور من الجبال أيسر من ازالة رياسة قد ثبتت فى قلب جاهل وذهب أويس القرنى رحمه الله تعالى الى أن الزهد هو ترك الطلب للمضمون قال هرم بن حيان لقيته على شاطئ الفرات يغسل كسرا وخرقا قد التقطها من المنبوذ وكان ذلك أكله ولباسه قال فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال فى أى شئ خرجت قلت أطلب المعاش فقال اذا وقع الطلب ذهب الزهد وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه يقول لا زهد الا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد فى قوصرة وكان أبو سليمان الدارانى رحمه الله تعالى يقول الزهد فى النساء ان تختار المرأة الدون أو اليتيمة على المرأة الجميلة والمرأة الشريفة وذهب الى هذا مالك بن دينار وقال سهل بن عبد الله رحمه الله تعالى لا يصح الزهد فى النساء لانهن قد حببن الى سيد الزاهدين ووافقه ابن عيينة فقال ليس فى كثرة النساء ذنب لان أزهد الصحابة علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وكان له أربع نسوة وبضعة عشر سرية وكان الجنيد يقول احب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بهذه الثلاث والا تغير حاله التكسب وطلب الحديث والتزوج وقال أحب للصوفى أن لا يقرأ ولا يكتب لانه أجمع لهمه وفى الخبر انما الزهد أن تكون بما فى يد الله سبحانه وتعالى أوثق منك بما فى يديك فهذا مقام التوكل وذهب قوم الى أن الزهد ترك الادخار وكانت الدنيا عندهم هو الجمع وقال بعضهم الدنيا هو ما شغل القلب واهتم به فجعلوا الزهد ترك الاهتمام وطرح النفس تحت تصريف الاحكام وهذا هو التفويض والرضا وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى ان مالك بن دينار قال للمغيرة اذهب الى البيت فخذ الركوة التى كنت أهديتها لى فان العدو يوسوس الى ان اللص قد أخذها فقال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد فى الدنيا ما عليه من أخذها فأراد أبو سليمان منه حقيقة الرضا بجريان الاحكام وأراد مالك من نفسه حقيقة الزهد بأن يصرف عن قلبه الاهتمام وقال بعض العلماء الدنيا هو العمل بالرأى والمعقول والزهد انما هو اتباع العلم ولزوم السنة وهذه طريقة أهل الحديث وهذا القول من الظواهر يشبه قول علماء الظاهر كما روينا عن سفيان قال قالوا للزهرى ما الزهد قال مالا يغلب الحرام صبره ولا يمنع الحلال شكره يعنى أن يكون العبد صابرا عن الحرام حتى لا تغلبه شهوة الحرام ويكون شاكرا فى الحلال حتى لا يغلبه الحلال فيشغله عن الشكر وأما الحسن فانه قال الزاهد هو الذى اذا رأى أحدا قال هذا أفضل منى فذهب الى أن الزهد هو التواضع وكان الفضيل يقول القناعة هو الزهد وقال أبو سليمان الورع هو أول الزهد وقال أحمد بن أبى الحوارى قلت لابى هشام المغازلى أى شئ الزهد قال قطع الآمال واعطاء المجهود وخلع الراحة وكان يوسف ابن اسباط يقول من صبر على الاذى وترك الشهوات وأكل الخبز من حلاله فقد أخذ باصل الزهد وقال أحمد قلت لابى صفوان الرعينى ما الدنيا التى ذمها الله تعالى فى القرآن وينبغى للعاقل أن يجتنبها قال كل ما عملت فى الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها فحدثت به مروان فقال الفقه ما قال أبو صفوان انما قال ذلك لان الدنيا كل شئ الا الاخلاص فما وافق العلم فهو مباح وما خالفه فهو الهوى والهوى حظ النفس والاخلاص حظ الرب عز وجل فالمخلصون بينة الله عز وجل من عباده على عدوه وهم أهل الآخرة فى الدنيا وكان ابن السماك يقول الزاهد قد خرجت الافراح والاحزان من قلبه فهو لا يفرح بشئ من الدنيا أتاه ولا يحزن على شئ منها فاته لا يبالى على عسر أصبح أم على يسر وقال أبو سعيد بن الاعرابى عن أشياخه الصوفية انما الزهد عندهم خروج قدر الدنيا من القلب اذ هى لا شئ ولا يكون فى نفسه زاهدا لانه لم يترك شيأ اذ كانت لا شئ وهذا العمرى هو الزهد فى الزهد لانه زهد ثم لم ينظر الى زهده فزهده اذ لم ير شيأ لانه زهد فى لا شئ وهذا يشبه ما نقول ان حقيقة الزهد هو الزهد فى النفس لانه قد يزهد

والمتكلمين وذلك مثل العوارض والعوائق وحقائق الاذكار وتجريد التوحيد ونعنى بتجريد التوحيد ان لا يشوب توحيده خاطر تشبيه أو تعطيل ومنازل التفريد وخبايات السر وتلاشى المحدث اذا قوبل بالقديم وعيون الاحوال وجميع المفترقات والاعراض عن الاعراض وترك الاعتراض والتفويض فهم مخصوصون بالوقوف على المشكل من ذلك بالمنازلة والمباشرة والهجوم ببذل المهج فهم حماة الدين وأنصاره وأعوانه وهم ورثة الانبياء وهم نازلوا المقامات وباشروا الاحوال وكابدوا الرياضات وقاسوا شدائد الطريق وركبوا المنازل وعبروا المفاوز أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم المفلحون

(الفصل الثالث) فى معنى التصوف وأحوال الصوفية وأدبهم مع الحق والخلق قال الائمة أول التصوف علم وأوسطه عمل وآخره موهبة فالعلم يكشف عن المراد والعمل يعين على المطلوب والموهبة تبلغ غاية الامل وأهله على ثلاث طبقات طبقة مريد طالب ومتوسط سالك ومنتهى واصل فالمريد صاحب وقت والمتوسط صاحب حال والمنتهى صاحب نفس وأفضل الاشياء عندهم عد الانفاس فالمريد الطالب متعوب فى طلب المراد

فى الدنيا لنفسه طلبا للعوض فيكون ذلك رغبة على صفة فاذا زهد فى النفس التى يريد لها الاعواض على الزهد فهو حقيقة الزهد وهذا أشبه بقول من قال ان حقيقة الزهد فى الفناء هو الزهد فى البقاء لان العبد ربما زهد فى الفناء فلم يزهد فى البقاء فيكون فيه بقية من الرغبة فاذا زهد فى البقاء فهو حقيقة الزهد فى الفناء اذ كان الفناء يراد للبقاء

(فصل آخر) ان الرغبة فى الهوى حقيقة الدنيا وان كان العبد زاهدا فى المال من قبل انه يعطى الزهد فى شئ دون شئ كما يزهد فى الثناء ولا يزهد فى المال ولا يعطى الزهد فى الاطعمة وقد يعطى الزهد فى المال ولا يعطى الزهد فى منصبه لغلبة الهوى فاذا أعطى الزهد فى الهوى كائنا ما كان فقد أعطى حقيقة الزهد فى الدنيا وهذا هو الزهد فى النفس لان النفس عين الرغبة والهوى روح النفس فاعرف هذا وكان يونس بن ميسرة الجيلانى يقول ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما فى يد الله تعالى أوثق منك بما فى يدك وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك اذا لم تصب بها سواء وأن يكون ذامك ومادحك فى الحق سواء وقال سلام بن أبى مطيع رحمهما الله الزهد على ثلاثة أوجه واحد أن تخلص العمل لله عز وجل والقول فلا يراد بشئ منه الدنيا والثانى ترك ما لا يصلح والعمل بما يصلح والثالث الحلال أن يزهد فيه وهو تطوع وكان امامنا فى هذا العلم ابراهيم بن أدهم رحمه الله يقول الزهد ثلاثة أصناف زهد فرض وزهد فضل وزهد سلامة فالزهد الفرض فى الحرام والفضل الزهد فى الحلال والسلامة الزهد فى الشبهات وأما أيوب السختيانى رحمه الله فكان يقول الزهد أن يقعد أحدكم فى منزله فان كان قعوده لله تعالى رضا والا خرج وان يخرج فان كان خروجه لله تعالى رضا والا رجع فان كان رجوعه لله تعالى رضا والا ساح ويخرج درهمه فان كان اخراجه لله رضا والا حبسه ويحبسه فان كان حبسه لله تعالى رضا والا رمى به ويتكلم فان كان كلامه لله تعالى رضا والا سكت فان كان سكوته لله تعالى رضا والا تكلم فقيل هذا صعب فقال هذا الطريق الى الله عز وجل والا فلا تتعبوا فقد ذهب الى أن الزهد هو المراقبة والمراقبة هى الاخلاص وسئل حاتم الاصم صاحب شقيق البلخى رحمهما الله تعالى عن الزهد فقال أوله الثقة وأوسطه الصبر وآخره الاخلاص فاذا كان الاخلاص عندهم هو آخر الزهد فكيف يصح لعبد آخر الزهد قبل أوله أم كيف يجاوز الاخلاص الى مقامات المعرفة فقد صار آخر الزهد عندهم أول المعرفة وذهبت طائفة الى أن الزهد فى الدنيا فريضة على المؤمنين لان حقيقة الاخلاص هو الزهد عندهم فأوجبوه من حيث أوجبوا على المؤمنين الاخلاص ومال الى هذا القول عبد الرحيم بن يحيى الاسود وقد روينا معناه عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله قيل لاحد بأى شئ ذكر القوم وصاروا أئمة قال بالصدق قالوا وما الصدق قال الاخلاص قيل وما الاخلاص قال هو الزهد قيل وما الزهد يا أبا عبد الله فأطرق ثم قال سلوا الزهاد سلوا بشر بن الحرث وقال قوم الزهد فى الدنيا طلب الحلال وانه واجب مفترض فى مثل زماننا هذا لاختلاط الاشياء وغلبة الشبهات قالوا فقد تعين فرض الزهد وهذا مذهب ابراهيم بن أدهم ووهيب بن الورد وسليمان الخواص وجماعة من أهل الشام وقد كان سهل يقول أزهد الناس فى الدنيا أصفاهم مطعما وقال أقصى مقام فى الورع أدنى مقام من الزهد وقد روينا عن يوسف بن اسباط ووكيع رحمهما الله قالا لو زهد عبد فى زماننا هذا حتى يكون كأبى ذر وأبى الدرداء ما سميناه زاهدا لان الزهد عندنا انما هو فى الحلال المحض ولا نعرف الحلال المحض اليوم وكذلك كان الحسن البصرى رحمه الله امام الائمة يقول لا شئ أفضل من رفض الدنيا وقال الفضيل بن نور قلت للحسن يا أبا سعيد رجلان يطلب أحدهما الدنيا بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه ورجل رفض الدنيا قال أحبهما الى الذى رفض الدنيا قلت يا أبا سعيد هذا طلبها بحلالها فأصابها فوصل بها رحمه وقدم منها لنفسه قال أحبهما الى الذى جانب الدنيا وانما

والمتوسط السالك مطالب بآداب المنازل وهو صاحب تلوين لانه يترقى من حال الى حال وهو فى الزيادة والمنتهى الواصل محول قد جاوز المقامات وهو فى محل التمكين لا تغيره الاحوال ولا تؤثر فيه الاهوال كما نقل فى قصة يوسف عليه السلام عند زليخا لما كانت صاحبة تمكين فى حب يوسف لم تؤثر فيها رؤية يوسف كما أثرت فى اللاتى قطعن أيديهن لانها كانت أتم حالا فى حبه منهن فى بلائها بحبه وهذا قول الدقاق فمقام المريد المجاهدات والمكابدات وتحمل المشاق وتجرع المرارات ومجانبة الحظوظ ومقام المتوسط ركوب الاهوال فى طلب المراد ومراعاة الصدق فى الاحوال واستعمال الادب فى المقامات ومقام المنتهى الصحو والتمكين واجابة الحق من حيث دعاه قد استوى فى حقه الشدة والرخاء والمنع والعطاء والعافية والبلاء قد فنيت حظوظه باطنه مع الحق وظاهره مع الخلق وكل ذلك منقول معلوم مشهور من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم وحركاته وسكناته فى ابتداء أمره وانتهائه ومن أحوال الصحابة والنقباء والنجباء والاصفياء العلماء الحكماء أرباب البصائر واليقين مثل حارثة والبراء بن مالك وأبى ذر وعمار وبلال وصهيب

شرف الحسن الذي رفض الدنيا لان مقام الزهد يجمع التوكل والرضا ألا تسمع الى الخبر الذي جاء الزهد أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك فهذا هو التوكل ثم قال وان تكون بثواب المصيبة أفرح منك لو انها بقيت لك وهذا هو الرضا ثم ان المعرفة والمحبة بعد الزهد داخلان عليه فأي مقام أعلى من مقام جمع هذه الاربعة وهي غاية الطالبين ولعمري انه هكذا لانه روي عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث فيه شدة قال يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء أنيابها بادية مشوّه خلقتها فتشرف على الخلائق فيقال أتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله تعالى من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي أي رب أين اتباعي واشياعي فيقول الله الحقوا بها اتباعها واشياعها وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا أشد من هذا حدثنا عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة فيؤمر بهم الى النار قالوا يارسول الله مصلين قال نعم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون هنة من الليل فاذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه وكذلك كان الحرث ابن أسد المحاسبي رحمه الله يقول انما الزهد اسقاط قيمة الدنيا من القلب وأن لا يكون لشيء عاجل في القلب وزن فاذا سقطت قيم الاشياء واستوت في القلب فهو الزهد فأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فانه كان يقول ليس الزاهد من لا يملك شيأ انما الزاهد من لا يملكه شيء وقال عالم مثله في معناه الزاهد من لا يملك الاشياء ولم يسكن اليها وكان يقول الزاهد قوته ما وجد وثوبه ما ستر وبيته ما أواه وحاله وقته وقال بعض العارفين الزهد انما هو ترك التدبير والاختيار والرضا والتسليم لاختياره شدة كان أو رخاء وهذا طريق الخواص والثوري وذي النون رحمهم الله تعالى وقال أبو يزيد رحمه الله مرة انما الزاهد من لا يملك شيأ ولا يملكه شيء وقال حقيقة الزهد لا يكون الا عند ظهور القدرة والعاجز لا يصح زهده هوان يعطيه كن ويطلعه على الاسم ويقدره على الاشياء باظهار الكون فيزهد في ذلك حياء من الله تعالى ويتركه حباله وكان يستعيذ بالله من أربعة عشر مقاما من اظهار القدرة وقال لابي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم قلت في الزهد قال في أي شيء قلت في الدنيا قال فنفض يده وقال ظننت انه يتكلم في الزهد في شيء الدنيا لا شيء ايش تزهد فيه وذهب الى هذا المعنى سول وغيره وقال سبعة عشر مقاما في المعرفة أدناها المشي على الماء وفي الهواء وظهور كنوز الارض وهذا كله من زخرف الدنيا وقد حكي لنا معنى هذا عن الجنيد قال اجتمع أربعة من الابدال في جامع المنصور ليلة العيد فلما أسحروا قال أحدهم أما انا فقد نويت ان أصلي العيد في بيت المقدس وقال الآخر أما أنا فقد نويت أن أصلي العيد بطرسوس وقال الثالث أما أنا فقد نويت ان أصلي العيد بمكة وسكت الرابع وكان أعرفهم فقيل له أنت أي شيء نويت فقال أما انا فقد نويت اليوم ترك الشهوات لا أصلي الا في هذا المسجد الذي بت فيه فقالوا أنت أعلمنا فقعدوا عنده فصار عند هؤلاء كما ذكرناه آنفا ان هذه الآيات هي من الشهوات اذ ليست حاجات مقامات والشهوة من الدنيا لانها من الهوى وأيضا ففيها تدبير واختيار وعند الزهاد العارفين والمحبين ان هذا مكر وخداع يبتلون به ويقتطعون لينظر كيف يعملون اذا ابتلاء كل عبد على قدر مرتبته وحاله فيلزمه الزهد فيه ويقال هي في المقام السابع عشر من المعرفة فمن سلك به الطريق رآها فيه وفوقها نيف وسبعون مقاما أفضل من ذلك وقد سئل الجنيد عن الزهد فقال معنيان ظاهر وباطن فالظاهر بغض ما في الايدي من الاملاك وترك طلب المفقود والباطن زوال الرغبة عن القلب ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك فاذا تحقق بذلك رزقه الله تعالى الاشراف على الآخرة والنظر اليها بقلبه فحينئذ يجد في العمل بتقصير الامل وتقريب الاجل لان الاسباب عن قلبه منقطعة والقلب منفرد بالآخرة وحقيقة الزهد قد خلصت الى قلبه فامتلأ من الذكر الخالص

وحذيفة ومحمد بن مسلمة وعكاشة بن محصن الاسدي وأبي الدرداء وحنظلة بن الراهب وأبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وسلم ورابضة وعمرو بن ثعلب وعمرو بن الاسد ومصعب ابن عمير والبراء بن معرور وسلمان الفارسي وابن الهيثم بن التيهان وغيرهم من أصحاب الصفة وأصحاب بيعة العقبة وأهل بيعة الرضوان والخلصاء من المهاجرين والانصار كان صلى الله عليه وسلم قبل نزول الوحي عليه وبعده مختليا في غار حرا ثم صار مع الخلق ولا فرق عنده بين الخلوة والجلوة وكذا أصحاب الصفة صار جماعة منهم بعد التمكين أمراء لانهم تمكنوا في الايمان بالله والمعرفة به والاخلاص له فلم تؤثر المخالطة بالخلق فيهم ولا في أحوالهم وهذه أحوال المشايخ من بعدهم واعلم أن التصوف له ظاهر وباطن فظاهره استعمال الادب مع الخلق بالاخلاق الحسنة معهم وباطنه منازلة الاحوال والمقامات مع الحق فالظاهر علامة الباطن والباطن حقيقة الظاهر ألا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر الى المصلي وهو يعبث فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه قال الله تعالى ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين

لربه سبحانه وتعالى فالزهد عن حقيقة الايمان والمشاهدة للآخرة تكون بعد الزهد واستواء الاشياء فيكون عدمها كوجودها بعد المشاهدة لاستواء القلب ومعه يستوى المدح والذم لسقوط النفس وذهاب رؤية الخلق فعندها خاص الاخلاص الى قلبه لصفاء الزهد وثبت الزهد لسقوط النفس دليل ذلك الخبر الذى رويناه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل استويت قال وكيف أستوى قال يستوى عندك المدح والذم وقول حارثة لما سأله عن حقيقة الايمان عزفت نفسى عن الدنيا فابتدأ بالزهد ثم ذكر الاستواء لحجرها وذهبها ثم ذكر المشاهدة بعد ذلك الحديث وهذه كلها مقامات فى الزهد وكل من جعل الدنيا شيأ مبلغ علمه وعلو مشاهدته جعل الزهد ضده وقد نوع أهل المعرفة الايمان فى القلب على مقامين فجعل لهما زهدين فقال اذا تعلق الايمان بظاهر القلب أحب العبد الدنيا وأحب الآخرة وعمل لهما فاذا بطن الايمان فى سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر اليها ولم يعمل لها وقد كان أبو سليمان يقول من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه سبحانه وتعالى شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين ولهذين المقامين دليل من السنة ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الناس خير فقال من يشنأ الدنيا ويحب الآخرة فأوقع الشنآن للدنيا ووقوع ضده من حب الآخرة والمقام الاعلى دليله من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله تعالى أمر آخرته ودنياه والهم الواحد بوجد واحد لرب واحد هو وصف عبد متوحد لواحد مقاله الى واحد وقد وهب له خلقا من أخلاقه فهو الاحد بوحدانية صفته وعبد متوحد بوجده بين خلقه فهو منفرد الهم مجتمع القلب وانفراد الهم يكون بعد محو الهوى ومحوه بعد امتحان القلب للتقوى واجتماع القلب يكون مع طيب النفس وطمأنينتها بالايمان أو فلاحها بالتزكية والرضا كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم طيب النفس من النعيم وقال الله تعالى قد أفلح من زكاها وقال تعالى راضية مرضية فيكون متوحدا بالروح متخلقا بأخلاق الايمان مواطئة للقلب بمشاهدة اليقين وقال وهب بن منبه وجدت فيما أنزل الله تعالى على موسى عليه السلام من أحب الدنيا أبغضه الله تعالى ومن أبغضها أحبه الله تعالى ومن أكرم الدنيا أهانه الله تعالى ومن أهانها أكرمه الله تعالى وأما علماء الظاهر فقالوا الزهد فى الدنيا هو موافقة العلم والقيام بأحكام الشرع وأخذ الشئ من وجهه ووضعه فى حقه وما خالف العلم فهو هوى كله فذكروا فرض الزهد وظاهره ولم يعرفوا دقائقه وبواطنه وقد روينا عن سفيان بن عيينة والثورى معنى هذا أنهما سئلا أيكون الرجل زاهدا وله مال قالا نعم اذا كان اذا ابتلى فصبر واذا أنعم عليه شكر قال ابن أبى الحوارى فقلت له يا أبا محمد يعنى ابن عيينة قد أنعم عليه فشكر وابتلى فصبر وحبس النعمة كيف يكون زاهدا فضربنى بيده وقال اسكت من لم تمنعه النعماء من الشكر ولا البلوى عن الصبر فذلك الزاهد ووافقهما الزهرى فقال كذلك وقد فصل ذلك أبو سليمان فقال ابن أبى الحوارى قلت له أكان داود الطائى رحمه الله تعالى زاهدا قال نعم قلت بلغنى انه ورث من أبيه عشرين دينارا فانفقها فى عشرين سنة فكيف يكون زاهدا وهو يمسك الدنانير فقال أردت منه أن يبلغ حقيقة الزهد ولعمرى انا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما بالمال الصالح للمرء الصالح والمال الصالح هو الحلال والمرء الصالح المنفق ماله بالليل والنهار سرا وعلانية فى سبيل الله ابتغاء مرضاته كما وصفه الله تعالى ومدحه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطى الدين الا من يحب والذى يحبه الله تعالى ممن أعطاه الدنيا لا يخالف حبيبه الى هواه ولا يؤثر نفسه على محبة مولاه تبارك وتعالى اذ قد تولاه فيما أعطاه وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر والطاعم الشاكر هو الذى يستعين بطعمته على خدمة مولاه ويعبده بشكر ما أولاه وقد قالوا فى الزهد وصفان جامعان لاحوال القلوب قال مضاء بن عيسى قلت للسباع الموصلى يا أبا محمد الى أى شئ أفضى بهم الزهد قال

الى

امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم وقال أبو نصر السراج أدب أهل الدنيا بالفصاحة والبلاغة وحفظ العلوم والتاريخ والشعر وأدب أهل الدين معرفة العلم به ورياضة النفس وتأديب الجوارح وتهذيب الطباع وحفظ الحدود وترك الشهوات والمسارعة الى الخيرات وأدب أهل الخصوصية من أهل الدين حفظ القلوب ومراعاة الاسرار واستواء السر والعلانية والنظر الى الاعداء بعين الرحمة كما كان دابه صلى الله عليه وسلم مع عداته وداب سائر الانبياء مع أعدائهم كسرت رباعيته صلى الله عليه وسلم وشج وجهه فى بعض غزواته فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون ومسكه اعرابى بردائه وجذبه حتى أثرت حاشية الرداء فى عنقه وما كلمه بكلام قط خشن وقال اعدل يا محمد فقال له صلى الله عليه وسلم ويحك من يعدل ان لم أعدل خبت وخسرت اذا لم أعدل وفى كتب السنة من هذا الباب شئ كثير ومر المسيح على قوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقال له بعض الحواريين يقولون لك شرا وتقول لهم خيرا فقال عيسى كل ينفق مما عنده ولما فتح صلى الله عليه وسلم مكة ودخلها ساء أهلها فلما

الى الانس بالله تعالى وقال عثمان بن عمارة كان يقال الورع يبلغ بالعبد الى الزهد والزهد يبلغ به حب الله تعالى فهذان الحالان غاية الطالبين الحب للجليل والانس باللطيف فمن لم يتحقق بالزهد لم يبلغ مقام الحب ولم يدرك حال الانس ثم ان سرائر الغيوب فى مقام الحب والخلة وفى حال الانس والقربة وفقنا الله واياكم لما يحب وبلغنا ما نؤمل بفضله ورحمته ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

وهذا آخر كتاب الزهد

(تم الجزء الاول من قوت القلوب ويليه الجزء الثانى)

(أوله شرح مقام التوكل ووصف أحوال المتوكلين)

راهم مقبلين قال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اشارة الى اختلاف مسالكهم اعلم ان مسالكهم مختلفة لاختلاف أحوالهم ومقاماتهم فمنهم من سلك طريق الزهد والعبادة ولازم الماء والمحراب واشتغل بكثرة الذكر والنوافل وواظب على الاوراد وهى أسلم الطرق أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب ومنهم من سلك طريق الرياضات والمكابدة وقهر النفس بالمخالفة وهى أفضل الطرق أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ومنهم من سلك طريق العزلة والخلوة طلبا للسلامة من المخالطة وهى أصح الطرق أولئك ما عليهم من سبيل ومنهم من سلك طريق التجرد عن الخلق والتفرد بالحق والموالاة فى الله والمعاداة فيه وهى أعضد الطرق أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ومنهم من سلك طريق السياحة والاسفار والاغتراب عن البلدان وخمول الذكر وهى أوضح الطرق أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عن سيآتهم ومنهم من سلك طريق الخدمة وبذل الجاه للاخوان وادخال السرور عليهم وهى أظرف الطرق أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ومنهم من سلك طريق المجاهدات وركوب الاهوال ومباشرة الاحوال وهى أعز الطرق أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ومنهم من سلك طرق اسقاط الجاه عند الخلق وقلة الالتفات اليهم وترك الاشتغال بخيرهم وشرهم ونفعهم وضرهم وهو أوعر الطرق أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون تلك أمة قد خلت فتلك مسا كنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا ومنهم من سلك طريق العجز والانكسار وهى أقرب الطرق أولئك يرجون رحمة الله ومنهم من سلك طريق التعلم وحفظ المسائل ومجالسة العلماء واستماع الاخبار والاحاديث وحفظ العلوم وهى أظهر الطرق أولئك لهم الامن وهم مهتدون ولكل طريق من هذه الطرق أهل ولهم فيها آداب وشرائط ولهم أعلام ومناهل وكل سالك الطريق يحتاج فيه الى موقف ودليل يأخذ به ليسلم من الحيرة والفتنة فان لم يكن معه فى سيره من يعرفه كيفية السفر ويؤنسه والا خيف عليه الرجوع والهلاك لبعضهم ان فلانا قد رجع فقال ما أراه رجع الامن وحشة الطريق وقلة سالكيه

ويأتى بعد هذا فى هامش الجزء الثانى الفصل الرابع فى شرح عقيدتهم

(الجزء الثاني)

من كتاب قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق
المريد الى مقام التوحيد لسيدنا ومولانا الشيخ الامام
العالم المحقق أبي طالب محمد بن أبي الحسن على
ابن عباس المكى تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين



(وبهامشه بقية كتاب حياة القلوب في كيفية الوصول الى)
(المحبوب لعماد الدين الاموى رحمه الله)

بسم الله الرحمن الرحيم

(شرح مقام التوكل ووصف أحوال المتوكلين)

وهو المقام السابع من مقامات اليقين التوكل من أعلى مقامات اليقين وأشرف أحوال المقربين قال الله الحق المبين ان الله يحب المتوكلين فجعل المتوكل حبيبه وألقى عليه محبته وقال الله عزوجل وعلى الله فليتوكل المتوكلون فرفع المتوكلين اليه وجعل مزيدهم منه وقال جلت قدرته ومن يتوكل على الله فهو حسبه أى كافيه مما سواه فمن كان الله تعالى كافيه فهو شافيه ومعافيه ولا يسأل عما هو فيه فقد صار المتوكل على الله تعالى من عباد الرحمن الذين أضافهم الى وصف الرحمة ومن عباد التخصيص الذين ضمن لهم الكفاية وهم الذين وصفهم فى الكتاب بقوله سبحانه وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر أوصافهم وهم الذين كفاهم فى هذه الدار المهمات ووقاهم بتفويضهم اليه السيآت بقوله تعالى أليس الله بكاف عبده وقوله تعالى وأفوّض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت ما مكروا وليس هؤلاء من عباد العدد فقط الذين قال الله عزوجل ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا لقد احصاهم وعدّهم عدّا وقال بعض الصحابة وغيره من التابعين التوكل نظام التوحيد وجماع الامر وحدثونا عن بعض السلف قال رأيت بعض العباد من أهل البصرة فى المنام فقلت ما فعل الله بك قال غفر لى وأدخلنى الجنة قلت فأى الاعمال وجدت هنالك أفضل قال التوكل وقصر الامل فعليك بهما وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الاخلاص والتوكل والاستسلام للرب عز وجل وكان أبو محمد سهل رحمه الله يقول ليس فى المقامات أعز من التوكل وقد ذهب الانبياء بحقيقته وبقى منه صبابة انتشقها الصديقون والشهداء فمن تعلق بشئ منه فهو صديق أو شهيد وقال بعض العارفين وهو أبو سليمان الدارانى فى كل المقامات لى قدم الا هذا التوكل المبارك فمالى منه الا مشام الريح وقال لقمان فى وصية لابنه ومن الايمان بالله عزوجل التوكل على الله فان التوكل على الله يحبب العبد وان التفويض الى الله من هدى الله وبهدى الله يوافق العبد رضوان

الله

(الفصل الرابع)
فى شرح عقيدتهم التى اجمعوا عليها وما أخذوا به من المذاهب فى فروع الاحكام أما عقيدتهم فعقيدة شيخ السنة ابى الحسن الاشعرى وأصحابه من فاتحتها الى خاتمتها فاجمعوا على ان الله تعالى واحد فرد صمد قديم أزلى باق أبدى وان ما سواه فهو صنعه وخلقه لا شريك له ولا ضد له ولا ند له ولا شبيه له موصوف بكل ما وصف به نفسه من الحياة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام مسمى بكل ما سمى به نفسه ليس بجسم فان الجسم ما كان مؤلفا والمؤلف يحتاج الى مؤلف ولا هو بجوهر فان الجوهر ما كان متحيزا والرب سبحانه وتعالى ليس بمتحيز بل هو خالق كل متحيز ولا هو عرض فان العرض لا يبقى ولانه يحتاج الى الجوهر وهو سبحانه وتعالى لا يكيفه العقل ولا تمثله الفكر ولا تحققه العبارات ولا تعينه الاشارات ولا تحيط به الافكار ولا تدركه الابصار العقول محجوبة عن درك حقيقته اذ العقول للعبودية لا للاشراف على الربوبية

لله وبعوا فقد تعرضوا لرضوان الله يستوجب العبد كرامة الله وقال لقمان أيضا ومن يتوكل على الله ويسلم لقضاء
الله ويفوض الى الله ويرض بقدر الله فقد أقام الدين وفرغ يديه ورجليه لكسب الخير وأقام الاخلاق
الصالحة التى تصلح للعبد أمره وقال بعض علماء الابدال وهو أبو محمد سهل العلم كله باب من التعبد
والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التوكل قال فليس للتوكل
حد ولا غاية تنتهى اليه وقال أيضا فى قول الله عز وجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أصدق توكلا
وقال التقوى واليقين مثل كفتى الميزان والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والنقصان وسئل عن قول
الله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم قال باظهار الفقر والفاقة اليه وسئل عن قوله تعالى اتقوا الله حق
تقاته فقال اعبدوه بالتوكل وقال أبو يعقوب السوسى لا تطعنوا على أهل التوكل فانهم خاصة
الله الذين خصوا بالخصوصية فسكنوا الى الله واكتفوا به واستراحوا من هموم الدنيا والآخرة وقال من
طعن فى التوكل فقد طعن فى الايمان لانه مقرون به ومن أحب أهل التوكل فقد أحب الله تعالى فأول
التوكل المعرفة بالوكيل وانه عزيز حكيم يعطى لعزه ويمنع لحكمه فيعتز العبد بعزه ويرضى بحكمه وكذلك
أخبر عن نفسه ونبه المتوكلين عليه فقال سبحانه ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم عز من أعز بعطيته
ونظر لمن منعه بحكمته فاذا شهد العبد الذليل الملك الجليل قائما بالقسط والتدبير والتقدير وعنده خزائن كل
شئ وكل شئ عنده بمقدار لا ينزله الا بقدر معلوم وشهد الوكيل قابضا على نواصى المماليك له خزائن السموات
من الاحكام والاقدار الغائبات وله خزائن الارض من الايدى والقلوب والاسباب المشاهدات فخزائن
السموات ما قسمه من الرزق وخزائن الارض ما جعله على أيدى الخلق وفى السماء رزقكم وما توعدون وفى
الارض آيات للموقنين ولكن المنافقين لا يفقهون فأيقن العبد ان فى يده ملكوت كل شئ وانه يملك
السمع والابصار ويقلب القلوب والايدى تقايب الليل والنهار وانه حسن التدبير والاحكام للموقنين
وانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ثم استوى على العرش يدبر
الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه عندها نظر العبد الذليل الى سيده العزيز فقوى بنظره اليه وعز
بقوته به واستغنى بقربه منه وشرف بحضوره عنده وكذلك جاء فى الخبر كفى باليقين غنى حينئذ نظر
اليه فى كل شئ ووثق به واعتمد عليه دون كل شئ وقنع منه بأدنى شئ وصبر عليه ورضى عنه اذ لا بدله منه
فثم لا يطمع فى سواه ولا يرجو الا اياه ولا يشهد فى العطاء الا يده ولا يرى فى المنع الا حكمته ولا يعاين فى
القبض والبسط الا قدرته هنالك حقت عبادته وخلص توحيده فعرف الخلق من معرفة خالقه وطلب
الرزق عند معبوده ورازقه وقام بشهادة ما قال تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ان الذين
تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه فعندها لم يحمد خلقا ولم يذمه
ولم يمدحه لاجل انه منعه أو انه أعطاه ان كان الله هو الاول المعطى ولم يشكره الا لان مولاه مدحه وأمره
بالشكر له تخلقا بأخلاقه واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فان ذمه أو مقته فلاجل مخالفته لمولاه
بموافقته هواه لانه تعالى قد مدح المنفقين وذم الباخلين والفرق بين الحمد والشكر ان الحمد مفرد لا ينبغى
الا لله وهو الاعتراف بان النعمة من الله عز وجل وحسن المعاملة بها لوجه الله لا شريك له فيها ولذلك
قال الحمد لله رب العالمين أى الحمد كله لا يكون ولا ينبغى الا لله لانه رب العالمين وفى الخبر الحمد رداء الرحمن
عز وجل والشكر اظهار الثناء واسرار الدعاء للاواسط فهذا مشترك يدخل فيه الوالدان وهو أيضا
مخصوص لمن هو أهل ان يشكر من الناس حدثونا عن يوسف بن اسباط قال قال لى الثورى لا تشكر
الا من عرف موضع الشكر قلت وكيف ذاك قال اذا أوليتك معروفا فكنت به أسر منك وكنت منك
أشد استحياء فاشكر والا فلا وسأل ابراهيم رجلا من أصحابه درهمين فلم يكن معه فاخرج فتى فى مجلسه
كيسا فيه ما ئتا درهم فعرضه عليه فلم يقبله وقال أو كل من بذل لنا شيأ قبلناه منه لا نقبل الا ممن نرى نعمة

وقالوا فى الاستواء ما قاله
مالك بن أنس رحمه الله حين
سئل عن ذلك فقال الاستواء
معلوم والكيف غير معقول
والايمان به واجب والسؤال
عنه بدعة وكذلك مذهبهم
فى النزول وأجمعوا على ان
كلام الله تعالى قديم غير
محدث واجمعوا على جواز
رؤية الله تعالى فى الدار
الآخرة بالابصار وأوجبوه
بالآيات القاهرة والاخبار
الصحيحة وانما نفى الله تعالى
الادراك بالابصار لان ذلك
يوجب كيفية واحاطة
وليست كذلك الرؤية
والنبى صلى الله عليه
وسلم شبه النظر بالنظر
لا المنظور بالمنظور اليه
بقوله صلى الله عليه وسلم
انكم سترون ربكم الحديث
واجمعوا على الاقرار
والايمان بجملة ما ورد فى
الكتاب العزيز وجاءت به
الروايات الصحيحة عنه صلى
الله عليه وسلم من اعادة
الارواح الى الابدان وبعثها
للحساب والمجازاة والجنة
والنار واللوح والقلم
والحوض والصراط
والشفاعة والميزان
والصور وعذاب القبر
وسؤال منكر ونكير
واخراج قوم من النار
بالشفاعة وان أهلها فيها
مخلدون غير أهل الكبائر من
المؤمنين فانهم لا يخلدون
فى النار وأجمعوا على انه
خالق لافعال العباد وان

الله عليه فيما أعطى أعظم من نعمته علينا فيما نأخذ وحدثونا عن الحسن في قصة طويلة ان رجلا بذل له جملة من المال فرده فلما انصرف قال له هاشم الاوقص عجبت منك يا أبا سعيد رددت على الرجل كرامته فانصرف حزينا وأنت تأخذ من مالك بن دينار ومحمد بن واسع الشيء بعد الشيء فقال له الحسن ويحك ان مالكا وابن واسع ينظران الى الله فيما أخذ منهما فعلينا ان نقبل وان هذا المسكين ينظر الينا فيما يعطى فرددنا عليه صلته وعندها لا تذم أحدا ولا تبغضه لاجل انه كان سببا للمنع اذ كان الله هو المانع الاول واذ له في المنع من الحكمة مثل ماله في العطاء من النعمة ولكن تذمه وتنقصه وتبغضه ان كان استوجب ذلك من مولاه فيكون موافقا له والله تعالى يشهد يده في العطاء ويمدح المنفقين نهاية في كرمه ويشهد في المنع والمكروه مشيئته ويذم الباخلين والعاصين قدرة من حكمته وحكما من تقديره لاظهار الاحكام وتفصيل الحلال والحرام وعود الثواب والعقاب على الانام فقد أظهر الامر واستأثر بسر القدر فعمل المؤمن بما أمر وسلم له ما استأثر وروى بعض العلماء عن الله تعالى لو ان ابن آدم لم يخف غيري ما أخفته من غيري ولو ان ابن آدم لم يرج غيري ما وكلته الى غيري وروى أعظم من هذا قال وضع العبد في قبره مثل له كل شئ كان يخافه من دون الله عز وجل يفزعه في قبره الى يوم القيامة وقال الفضيل بن عياض من خاف الله خاف منه كل شئ ويقال ان الخوف من المخلوقات عقوبة نقصان الخوف من الخالق وان ذلك من قلة الفقه عن الله تعالى وقد قال الله أحسن القائلين في معناه لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون فكان العبد اذا تم خوفه من الله تعالى أزال ذلك الخوف خوف المخلوقين عن قلبه وحول ذلك في قلوب المخلوقات فصارت هي تخافه ان لم يخفها هو كما اذا كملت مشاهدة العبد وقام بشهادته وغيبت تلك المشاهدة وجود الكون مع الله عز وجل فلم يرها وقام له القيوم بنصيبه من الملك لما تفرغ قلبه لمعاينة الملك وقال سنيد عن يحيى بن ابى كثير مكتوب في التوراة ملعون من ثقته مخلوق مثله وقال سنيد يعني ان يقول لولا فلان هلكت لولا كذا ما كان كذا ويقال ان قول العبد لولا كذا ما كان كذا من الشرك وقال في الخبر اياكم ولو فانه يفتح عمل الشيطان وقال بعض العلماء سوف جند من جنود ابليس وقد جاء في تفسير قوله تعالى فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قالوا كان الملاح فارها ومثله في قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قيل قالوا لولا نباح الكلاب وزقاء الديكة لاخذنا السرق وروينا عن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد أذله الله وقد جاء في الخبر لو انكم كنتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ولزالت بدعائكم الجبال وقد كان عيسى عليه السلام يقول انظروا الى الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان قلتم نحن أكبر بطونا من الطير فانظروا الى الانعام كيف قيض الله لها هذا الخلق ويقال لا يدخر من الدواب الا ثلاثة النملة والفارة وابن آدم وقال أبو يعقوب السوسي المتوكلون على الله تجري أرزاقهم بعلم الله واختياره على يد خصوص عباده بلا شغل ولا تعب وغيرهم مكدودون مشغولون وقال أيضا المتوكل اذا رأى السبب أو ذم أو مدح فهو مدع لا يصح له التوكل وأول التوكل ترك الاختيار والمتوكل على صحة قد رفع أذاه عن الخلق لا يشكو ما به اليهم ولا يذم أحدا منهم لانه يرى المنع والعطاء من واحد فقد شغله عما سواه وقيل لسهل ما أدنى التوكل قال ترك الاماني وأوسطه ترك الاختيار قيل فما أعلاه قال لا يعرفه الا من توسط التوكل وترك الاختيار أعلى فذكر كلاما طويلا وقال بعض هذه الطائفة العبيد كلهم يأكلون أرزاقهم من المولى ثم يفترقون في المشاهدات فمنهم من يأكل رزقه بذل ومنهم من يأكل رزقه بامتهان ومنهم من يأكل رزقه بانتظار ومنهم من يأكل رزقه بعز بلا مهنة ولا انتظار ولا ذلة فاما الذين يأكلون أرزاقهم بذل فالسؤال يشهدون أيدي الخلق فيذلون لهم والذين يأكلون بامتهان فالصناع يأكل أحدهم رزقه بمهنة وكره والذين يأكلون أرزاقهم بانتظار فالتجار ينتظر أحدهم نفاق سلعته فهو متعوب القلب معذب بانتظاره والذين يأكلون أرزاقهم بعز من

الخلق كلهم يموتون بآجالهم وان المقتول يموت بأجله وان الشرك والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره من غير أن يكون لاحد من الخلق على الله حجة بل لله الحجة البالغة ولا يرضى لعباده الكفر والمعاصي والرضا غير الارادة ويرون الصلاة خلف كل بار وفاجر ولا يوجبون الثواب بالطاعة ولا العقاب بالكبيرة ويتبرؤن من المعتزلة والقدرية والجهمية والمشبهة والمعطلة والخوارج والروافض وسائر أهل البدع ولا يرون الخروج على الولاة وان كانوا ظلمة وان محمدا أفضل الانبياء وان الله ختم به النبوة وأجمعوا على تفضيل الرسل على الملائكة وان بين الملائكة تفاضلا كما بين الانبياء وأجمعوا على ان الايمان قول وعمل واعتقاد وان من ترك الاقرار فهو كافر ومن ترك التصديق فهو منافق ومن ترك العمل فهو فاسق وان الايمان يزيد وينقص وان المعرفة بالقلب لا تنفع ما لم يتكلم بكلمتي الشهادة الا أن يكون له عذر يثبته بالشرع ويرون الاستثناء في الايمان من غير شك وأجمعوا على ان أفعال العباد ليست بسبب للسعادة والشقاوة لقوله صلى الله عليه وسلم السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من

غير مهنة ولا انتظار ولا ذل فالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون قسمهم من يده بعزة فاما الذين يأكلون من أرباب السلاطين فباعوا أرواحهم فتلك قسمة خاسرة ووقعوا فى الذل الواضح وسئل بعض العلماء عن معنى الخبر المأثور الخلق عيال الله فاحبهم الى الله أنفعهم لعياله فقال هذا مخصوص وعيال الله خاصته قيل كيف قال لان الناس أربعة أقسام تجار وتجارة وصناع وزراعة فمن لم يكن منهم فهو من عيال الله فأحب الخلق الى الله أنفعهم لهؤلاء وهذا كما قال لان الله سبحانه وتعالى أوجب الحقوق وفرض الزكاة فى الاموال لهؤلاء لانه جعل من عياله من لا تجارة له ولا صنعة فجعل معاشهم على التجار والصناع ألا ترى ان الزكاة لاتجوز على تاجر ولا صانع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتحل الصدقة لغنى ولا لقوى مكتسب فأقام الاكتساب مقام الغنى وقال الله تعالى وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين فكان من تدبر الخطاب ان من ليس واله برازقين هو من ليس له فيها معيشة فى الارض وقال عامر بن عبد الله قرأت ثلاث آيات من كتاب الله عز وجل استغنت بهن على ما أنا فيه فاستغنت قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله فقلت ان أراد ان يضرنى لم يقدر أحد أن ينفعنى وان أعطانى لم يقدر أحد أن يمنعنى وقوله فاذكرونى أذكركم فاشتغلت بذكره عن ذكر من سواه وقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فوالله ما اهتممت برزقى منذ قرأتها فاسترحت وقد كان سهل بن عبد الله يقول المتوكل اذا رأى السبب فهو مدع وقال ليس مع الايمان أسباب انما الاسباب فى الاسلام معناه ليس فى حقيقة الايمان رؤية الاسباب والسكون اليها انما رؤيتها والطمع فى الخلق يوجد فى مقام الاسلام ومن ذلك ما قال لقمان لابنه للايمان أربعة أركان لا يصلح الايمن كما لا يصلح الجسد الا باليدين والرجلين التوكل على الله والتسليم لقضائه والتفويض الى الله والرضا بقدر الله فحال المتوكل سكون القلب عن الاستشراف الى العبيد والتطلع وقطع الهم عن الفكرة فيما بايديهم من التطمع عما كف القلب على المقلب المدبر مشغول الفكر بقدرة المصرف المقدر لا يحمله عدم الاسباب على ما حظره العلم عليه وذمه ولا يمنعه ان يقول الحق وان يعمل به أو يوالى فى الله ويعادى فيه جريان الاسباب على أيدى الخلق فيترك الحق حياء منهم أو طمعا فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة ولا تدخله نوازل الحاجات وطوارق الفاقات فى الانحطاط فى أهواء الناس والميل الى الباطل أو الصمت عن حق لزمه أو يوالى فى الله عدوا أو يعادى وليا اليرب بذلك حاله عندهم أو يشكر بذلك ما أسدوه اليه بالكف عنهم ولا يرب الصنعة التى قد عرف بها النظره الى الصانع ولا يتصنع لمصنوع دخله لعلمه بسبق الصنع لدوام مشاهدته ولا يسكن الى عادة من خلق ولا يثق بمعتاد من مخلوق اذ قد أيقن برزقه ونفعه وضره من واحد فهذه المعانى من فرض التوكل فان وجدت فى عبد خرج بها عن حد التوكل دون فضائله وتدخله فى ضعف اليقين وقد كان الاقوياء اذا دخل عليهم شئ من هذه الاهواء المفسدة لتوكلهم قطعوا تلك الاسباب وحسموا أصولها واعتقدوا تركها وعملوا فى مفارقة الامصار والتغرب عن الاوطان وترك الالاف والايلاف فاخرجوا ذلك من حيث دخل عليهم ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق اليهم حتى ربما فارقوا ظاهر العلم وخالفوا علم أهل الظاهر الى علوم الباطن وحكم مشاهدتهم وقيامهم بحق أحوالهم اذ ليس أهل الظاهر بحجة عليهم فى شئ الا وهم عليهم حجة فى مثله لان الايمان ظاهر وباطن والعلم محكم ومتشابه ولان أهل الحق أقرب الى التوفيق وأوفق لاصابة الحقيقة كل ذلك رعاية لصحة توكلهم ووفاء بحسن عهدهم وعملا باحكام حالهم لئلا تسكن قلوبهم لغير الله ولا تقف هممهم مع سوى الله ولا تطمئن نفوسهم الى غيره ولا يتخذوا سكناسواه ولا يسكنوا الى أهواء النفوس ويخدعوا السكون بها عن سكون القلب فيسئ ذلك يقينهم ويوهن ايمانهم الذى هو الاصل ويستأسر قلوبهم التى هى المكان للكشف والشهادة فيخسروا رأس المال فتفوتهم حقيقة الحال فماذا يرتجون وبأى شئ يقومون وهذا لا يفطن له الا العاقلون ولا تشهده العيون وقد قال بعض المقربين فى حقيقة التوكل لما سئل عنه فقال هو الفرار من التوكل يعنى

شـقى فى بطـن أمه فان العقاب والثواب ليسا من جهة الاستحقاق بل من جهة الفضـل والعدل والمشيئة وان الخوف والرجاء زمامان للعبد من سوء الادب وان كل قلب خلا منهـما فهو خراب وان الصفات الذميمة تنفى من العارفين وتحمد فى حق المريدين وان العبـد ينتقل فى الاحوال والمقامات حتى يصير الى نعت الروحانيين فتظهر عليـه الكرامات وان الحب فى الله والبغض فى الله من أوثق عرا الايمان فى الدين وأوجبـوا الامر بالمعـروف والنهى عن المنكر وان نبوة الانبياء لم تثبت بالمعجـزة بل بارسال الله تعالى اياهم ووحيه اليهم وأما المعجـزة فهى لاثبات الحجـة على المنكرين وان الانبياء متعبدون باظهار المعجزة لاثبات الحجة والاولياء متعبدون بكتمان الكرامة لدفع الفتنة وأنكروا المراء فى الدين ومنعوا من المناظرة والجدال فى أحكام الدين ويرون الاقتصار عـلى الادون مـن الثياب دون النفيس منها والخلقان والمـرقعات أفضـل من الجديد لان النبى صلى الله عليه وسلم فعل ذلك وفعله أهل الصفة وغيرهـم من أجلاء الصحابة وفى البخارى ان ستين من أصحاب الصفة لم يكن لهـم أردية وأما المذاهب التى أخذوا بها فى الفروع فاوجبوا طلب

ترك السكون الى المقام من التوكل أي يتوكل ولا ينظر الى توكلهم انه لاجله يكفى أو يعافى أو يوقى فجعل نظره الى توكله علة فى توكله يلزمه الفرار منها حتى يدوم نظره الى الوكيل وحده بلا خلل و يقوم له بشهادة منه بلا ملل فلا يكون بينه و بين الوكيل شئ ينظر اليه أو يعول عليه أو يدل به حتى التوكل أيضا الذى هو طريقه وكذلك قال قبله بعض العارفين فى معنى قوله عز و جل أمن يجيب المضطر اذا دعاه فقال المضطر الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع اليه يديه بالمسئلة فلا يرى بينه و بين الله حسنة يستحق بها شيأ فيقول هب لى مولاى بلا شئ فتكون بضاعته عند مولاه الافلاس و يصير حاله مع كل الاعمال الافلاس فهذا هو المضطر فهؤلاء القوم من الذين وصفهم الله عز و جل بالتقوى والمخافة وجعلهم أهلا للدعوة والنذارة وأخبرانهم لا يرون بينه و بينهم سببا يليهم ولا شفاعة فقال تعالى يأمر رسوله بانذارهم بكلامه فجعلهم وجهة لخلقه ومكانا لكلامه كما جعل رسوله وجهة لهم ومكانا لتكليمهم فقال تعالى وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ثم قال تعالى فى وصف أمثالنا من أهل اللعب واللهو والغرة والسهو تهددا لنا متوعدا وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وقيل لبعض علمائنا ما التوكل قال التبرى من الحول والقوة والحول أشد من القوة يعنى بالحول الحركة والقوة الثبات على الحركة وهو أول الفعل يعنى بهذا لا تنظر الى حركتك مع المحرك اذ هو الاول ولا الى ثباتك أيضا بعد الحركة فى تثبيته اذ هو المثبت الآخر فتكون الاولية والآخرية حقيقة شهادتك له بانه الاول الآخر بعين اليقين أى فعندها صح توكلك بشهادة الوكيل وقال مرة التوكل ترك التدبير وأصل كل تدبير من الرغبة وأصل كل رغبة من طول الامل وطول الامل من حب البقاء وهذا هو الشرك يعنى انك شاركت الربوبية فى وصف البقاء وقال الله سبحانه خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه وانما جعل حجابهم تدبيرهم وقد كثر قوله رحمه الله فى ترك التدبير وينبغى ان يعرف ما معناه ليس يعنى بترك التدبير ترك التصرف فيما وجه العبد فيه وأبيح له كيف وهو يقول من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن فى ترك التكسب فقد طعن على التوحيد انما يعنى بترك التدبير ترك الامانى وقوله لم كان كذا اذا وقع ولم لا يكون كذا أولو كان كذا فيما لا يقع لان ذلك اعتراض وجهل بسبق العلم وذهاب عن نفاذ القدرة وشهادة الحكمة وغفلة عن رؤية المشيئة وجريان الحكم بها ويعنى ترك التدبير فيما بقى وما يأتى بعد أى لا تشتغل بالفكر فيه بعقلك وعلمك فيقطعك عن حالك فى الوقت الذى هو ألزم لك وأوجب عليك حتى قطعك فيما يأتى من الاحكام والتصريف فى ترك التدبير والتقدير لها بالزيادة والنقصان اونقلها من وقت الى غيره أو من عبد الى آخر بالتقديم والتأخير تكون فى ذلك كما كنت فيما قد مضى ألا ترى أن الانسان لا يدبر ما قد مضى قال فينبغى ان يكون فيما يستقبل تاركا للتدبير له تاركا للامانى فيه بمعانى ما ذكرنا كتركه اياه فيما مضى فيستوى عنده الحالان لان الله أحكم الحاكمين ولان العبد مسلم للاحكام والافعال راض عن مولاه فى الاقدار مع جهله بعواقب المآل وترك التدبير بهذه المعانى هو اليقين واليقين هو مكان المعرفة اذ جعل الله تعالى قلب الموقن مكانا تمكن فيه على قدر المكان ما يليق به وكان يقول يا مسكين كان ولم تكن و يكون ولا تكون فلما كنت اليوم قلت انا وأنا كن فيما أنت الآن كما لم تكن فانه هو اليوم كما كان وكان يقول أيضا الزهد انما هو ترك التدبير فهذا يعنى به ترك الاسباب التى توجب التدبير واخراج السبب الذى يجب تدبيره لانه يكون مسببا متيقنة للاسباب وهو ترك تدبيرها لان التدبير فى هذا الموضع انما هو التمييز والقيام بالاحكام ووضع الاشياء مواضعها فكيف لا يكون العبد كذلك مع وجود الاشياء وهو عاقل مميز متعبد بالعلم مطالب بالاحكام وانما يقول أترك الاشياء المدبرة وازهد فى الاسباب المميزة حتى يسقط عنك التدبير والتقدير فيكون بتركها تاركا للتدبير بسقوط أحكامها عنك واسترحت من القيام بها والنظر فيها فهذا هو تفصيل جملة قوله فى ترك التدبير وهذا هو حال المتوكلين والمتوكل لا يهتم بما قد كفى كما لا يهتم الصحيح بالدواء اذا عوفى ولكن قد يحتمى قبل

العلم وبعلمه لقوله صلى الله عليه وسلم العلم فريضة على كل مسلم واختاروا من المذاهب فى أحكام الفروع مذهب فقهاء أصحاب الحديث و يرون ان اختلاف الفقهاء فى الفروع رحمة للحديث الوارد فى ذلك وأوجبوا طلب الحديث وسماعه وحفظه وروايته وكتابته وعظموا المحدثين لانهم أساس الدين وحراس السنة الذابون عنهما وعظموا الفقهاء والمتكلمين و المفسرين لقيامهم بعلوم الدين واظهارهم العلوم الخفية وتقريرهم الاحكام بالادلة وردهم على المبتدعين والمخالفين خصوصا الشيخ أبا الحسن حتى قالوا طريقة ابى الحسن الاشعرى هى باب الفتح وقالوا لا تنتحل حالة سنية الا بطريقة سنية وعنوا بها طريقة أبي الحسن الاشعرى هذا هو الكلام فى المقدمة وأما مقاصد الكتاب فهى فى قسمين كما تقدم فى ديباجة الكتاب * القسم الاول فى ذكر عيوب النفس وآفات القلب وكيفية محوها والتخلى عنها والتنقى منها والتطهير من النجاسات والقاذورات التى ورد الشرع باماطتها ومحوها قال الله تعالى قد أفلح من زكاها والتزكية التطهير وقد قال الله تعالى فى حق قوم من الصحابة رجال

النزال كما يحمى المعانى قبل ورود العلل قال الله سبحانه ومامن دابة فى الارض الاعلى الله رزقها وكأين من
دابة لاتحمل رزقها الله يرزقها واياكم فالمتوكل قدعلم بيقينه اذ كل ماينالهمن العطاء من ذرة فما فوقها ان
ذلك برزقه من خالقه وان رزقه هوله وان ماله واصل اليه لامحالة على أى حال كان وان ماله لايكون لغيره أبدا
وكذلك مالغيره من القسم والعطاء لايكون لهذا أبدا فقد نظر الى قسمه ونصيبه من موه لابعين يقينه الذى به
تولاه من احدى ثلاث مشاهدات وان دنت مشاهدته نظر الى قسمه من العطاء فى الصحيفة التى كتبت له عند
تصوير خلقه فكتب فيها رزقه وأجله وأثره وشقى أوسعيد فكما لايقدر أحد من الخلق ان يجعله سعيدا ان
كان قسمه شقيا فلا يقدر أحد ان يجعله شقيا ان كان قسمه سعيدا كذلك لايقدر أحد ان يمنعه ما أعطاه
مولاه من القسم فيجعله محروما ولا يعطيه مامنعه من الحكم فيجعله مرزوقا لان ذلك قد كتب كتبا واحدا
وجعل مجعلا سواء فان ارتفعت مشاهدته نظر الى هذا فى اللوح المحفوظ مفروغا منه وهو ام الكتاب
الذى استنسخ منه هذه الصحيفة فكان بقينه يكتب رزقه فى اللوح وانه لا يزاد فيه بحول ولاحيلة ولا ينقص
منه لعجز ولاسكينة كيقينه بما كتب فيه من انه من أهل الجنة فهو داخلها لامحالة وان عمل أى عمل بعد ان
يكون قد كتب اسمه فى اللوح وجعل له فيها أثر كقوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادى الصالحون فقد كتبت الآثار والارزاق من كل شئ كتبا واحدا فى ثلاث مواضع توكيدا للعلم
وتسكينا للقلب فى القسم كتب ذلك فى الذكر الاول وهو اللوح المحفوظ ثم فى الزبر الاولى وهى الصحف ثم
أنزل ذلك فى كتابنا هذا الذى به عرفنا ماسلف من ذلك وان علت مشاهدة كل عبد عن مقامه ومن معبوده
ومن مكانه فى دنوه وعلوه يشهد هذا الذى ذكرناه معلوما فى علم الله تعالى قبل خلق اللوح فسكن قلبه
واطمأن الى علم الله سبحانه وتعالى وماسبق له منه ولهذا جاء فى الاثر ان الزهد فى الدنيا ان تكون بما فى يد الله
أوثق منك بما فى يدك وان يكون ثواب المصيبة أرغب منك فيها لو انها بقيت لك أى فيقل حرصك لنفاذ
شهادتك ويذهب فى الخلق طمعك فهذا هو الرضا والزهد فقد جمع التوكل المقامين معا فما فى يد الله سبحانه
وتعالى هو رزقك الواصل اليك لاشك فيه على أى حال وهو الذى لك عند الله وهو معلوم علم الله تعالى الذى
لاينقلب وذلك أحد ثلاثة أشياء ما أكلت فأفنيت أولبست فابليت أوتصدقت فامضيت فهذا هو الذى
لك فى الدنيا والآخرة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالى تعجب من جهل ابن آدم وغفلته ثم
قال انما لك من مالك فذكر هذه الثلاث واشترط مع كل واحدة آخر غايتها فقال ما أكلت فافنيت أولبست
فابليت أوتصدقت فامضيت فاشترط الافناء والابلاء والامضاء ثم قال بعد ذلك وماسوى ذلك فهو مال الوارث
فهذه الثلاث على هذه الاوصاف هى رزق العبد وهى التى فى يد الله عز وجل له الواصلة اليه فاما ماجعله فى يد
العبد فقد لايكون له وانما هو مستودع اياه ومستخلف فيه وان تملكه وحازه خمسين سنة وانما للعبد مافرغ منه
العبد وهو الذى فرغ له منه لما سبق له به فان تملك سوى هذا وادعاه لاجل انه فى خزانته أوقبض يده فذلك
لجهله بالله تعالى وقلة فقهه عن الله سبحانه وغفلته عن حكمة الله تعالى لانه لو عرف حكمة الله وقدرته علم
ان صندوقه وخزانته ويده من خزائن الله تعالى فى أرضه يودعها من يشاء الى الوقت الذى يشاء حتى يستقر الى
كيف يشاء فقد قال تعالى فمستقر ومستودع وقال لكل نبأ مستقر وقال سبحانه ولله خزائن السموات والارض
وهكذا روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله وقال صلى الله عليه وسلم
وان لكل عبد رزقا هو آتيه لامحالة فمن قنع به ورضى بورك له فيه ومن لم يقنع به ولم يرض لم يبارك له فيه ولم
يسعه ويقال لوهرب العبد من رزقه كما لوهرب من الموت لادركه وفى وصية النبى صلى الله عليه وسلم لابن
عباس اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الخلائق لو جهدوا ان ينفعوك بما لم يكتبه
الله لك ماقدروا على ذلك ولو جهدوا ان يضروك بشئ لم يكتبه الله سبحانه لك لم يقدروا على ذلك طويت
الصحف وجفت الاقلام فمن كانت هذه مشاهدته فى القسم المعلوم سقط عنه جملة من الهموم واستراح

يحبون أن يتطهروا وقال
صلى الله عليه وسلم الطهور
شطر الايمان وانما كان
شطر الايمان لان الايمان
ينقسم الى فعل المأمورات
واجتناب المنهيات وهو
يتناول الطهارة المعنوية وهى
طهارة النفس من نجاساتها
كما يتناول الطهارة عن
النجاسات المحسوسة وقال
النبى صلى الله عليه وسلم
الايمان بضع وسبعون
شعبة أعلاها قول لا اله الا
الله وأدناها اماطة الاذى
عن الطريق والطريق
يشمل السفر الى الله تعالى
كما يشمل طريق المشى
وهذه المعاصى والقبائح
النفسية مؤذيات تؤذى
السالك بطريق الله تعالى
فيجب اماطتها عن الطريق
ولهذا المعنى قدم الشرع
حرف النفى وهو لا فى كلمة
التوحيد على حرف الاثبات
وهو الا لان حرف النفى يجرى
مجرى التطهير من الاضداد
فوجب تقدمه فوجب لذلك
تقديم هذا القسم وهو
قسم التطهير والتخلى عن
الصفات المذمومة على قسم
الاتصاف والتحلى بالصفات
المحمودة وهو الترقى فى
المقامات والاحوال لان
الصفات المذمومة وهى قبائح
النفس ورذائلها ونقائصها
أضداد للصفات المحمودة
تعوق النفس عن الاتصاف
بها فوجب تقديم ذكر
كيفية ازالتها على ذكر
الاتصاف بالصفات المحمودة

من النظر الى الخلق واستراح الخلق من أذاه وشغل عنهم بخدمة مولاه وكان قد فهم شيأ من الخطاب وممن أقبل على الله الكريم بصالح مادعاه اليه واستجاب كما روى ان رجلا لزم باب عمر بن الخطاب رضى الله عنه كل غداة فشهد عمر منه مجيئه لاجل الطلب فقال له ياهذا اهاجرت الى عمر أو الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل فغاب زمانا حتى افتقده عمر فسأل عنه فدل عليه فأتاه فاذا هو قد اعتزل الناس واقبل على العبادة فقال له عمر رضى الله عنه انى قد افتقدتك حتى اشتقت اليك فما الذى شغلك عنا فقال انى قد قرأت القرآن فاغنانى عن عمر وعن آل عمر فقال له عمر رحمك الله فما الذى وجدت فيه فقال وجدت فيه وفى السماء رزقكم وماتوعدون فقلت رزقى فى السماء وانا أطلبه فى الارض فبكى عمر وكانت موعظة له منه فكان عمر بعد ذلك يشابه فى الاحايين فيجلس اليه ويسمع منه وجاء رجل الى بشر بن الحارث فقال انى قد عزمت على سفر الى الشام وليس عندى زاد فماترى فقال ياهذا أخرج فيما قصدت له فان لم يعطك ماليس لك لم يمنعك مالك وشكا رجل الى فضيل حاله فقال ياهذا امدبر غير الله تريد وكان الحسن يقول التوكل هو الرضا وفى تفسير قوله عز وجل وقدر فيها أقواتها قال خلق الارزاق قبل الاجسام بألفى عام فالمتوكل لايطالب مولاه برزق غد كما لايطالبه مولاه بعمل غد فاما المتوكل فى المضمون من الرزق المعلوم من القسم فهو توكل العموم يستحيى الخصوص من ذكره ويتكرمون عن نشره اذ كان الله تعالى قد قسم بنفسه ان الرزق فى السماء حق كما أقسم بنفسه ان كلامه حق فجمع بينهما فى الحقيقة بالقسم بالذات دون سائر الافعال لتسكن بذلك نفوس الخليقة عن النظر الى الادوات ليرتفع الشك فيهما ويحصل اليقين بحقيقتهما فقال سبحانه فورب السماء والارض انه لحق كما قال تعالى ويستنبؤنك أحق هو قل اى وربى انه لحق وليس فى القرآن قسم بالذات فيما سبرناه الاخمسة القسم الذى فى سورة النساء على تسليم الاحكام فلاوربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية وفى سورة التغابن على بعث الكافرين وأبنائهم زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن وفى سورة الواقع من سأل سائل فى تبديل الخلق خلقا خيرا منهم فلا أقسم برب المشارق والمغارب الى قوله بمسبوقين وهذان القسمان المتقدمان وسائر الاقسام بالافعال ولان العبد قد وكل برزقه من يقوم له به من الخلق فان لم يرزق من كسبه وعن يده رزق من كسب غيره ويده ولكن شغل الخصوص باعمال الآخرة ومايقربهم من القربات الى الله عز وجل وبالخدمة للمولى الذى وكل اليهم فان لم يقوموا به لم يقم به غيرهم لهم ولم ينب غيره من الدنيا منابه لقوله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى وقوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية واقوله تعالى والآخرة خير وأبقى وقوله تعالى والله يريد الآخرة ولقوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ولم يقل هذا فى أرزاق الدنيا ومعنى الزيادة ان لايحاسبه على مايعطيه من الدنيا اذلازيادة فى القسم وقد قيل ان الله تعالى يعطى الدنيا على نية الآخرة ولايعطى الآخرة على نية الدنيا وهذا لعلو الآخرة ودناءة الدنيا وكان على رضى الله عنه يقول الاان حرث الدنيا المال وحرث الآخرة العمل الصالح وقد قيل ان الزيادة فى الآخرة رفعة الدرجات لمن كانت نيته وقصده ولها يعمل فشغل الخصوص بما وكل اليهم وبما لايعمله غيرهم لهم عما تكفل به لهم فاقيم غيرهم فيه مقامهم وناب أيضا عنهم مثله من أسباب دنياهم كما روى فى أخبار داود عليه السلام انى خلقت محمدا الاجلى وخلقت آدم لاجل محمد وخلقت ماخلقت لاجل آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لاجله حجبته عنى ومن اشتغل منهم بى سقت اليه ماخلقته لاجله وتوكل الخصوص أيضا فى الصبر على الاذى من القول والفعل اذ كان أمر بذلك الرسول فى قوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على مايقولون مع قول الرسل عليهم السلام ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وكذلك أمر نبيه عليه السلام لما قال تعالى أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده فأمره باتباعهم وقال ودع أذاهم وتوكل على الله الى قوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم وقال بعض العارفين لايثبت لاحد مقام فى

لان ما كان متقدما فى الرتبة وجب تقدمه فى الذكر وفى هذا القسم أبواب فلنشرع فى ذكرها

(باب فيما يقبح ويذم من أفعال الجوارح الظاهرة وفيه فصول)

(فصل فى شره الطعام)

وهو مكروه فى الشرع لان الشبع منبع الشهوات لان من الشبع يتولد شهوة الجماع ثم اذا غلبت شهوة الاكل والجماع تولد عنها الشره فى المال لانه لايتوصل الى تحصيلها الا بالمال وتتولد عن شهوة المال وجمعه شهوة الجاه والرياسة لانهما أمران معينان على تحصيل المال ثم يتولد عن محبة الجاه والرياسة أمور منها الشحناء والتباغض والتنافس والمعاداة والحسد والكبر والحقد ولهذا اعظم النبى صلى الله عليه وسلم أمر الجوع وقال لايدخل ملكوت السماء من ملأ بطنه وقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش وقام النبى صلى الله عليه وسلم يوما على المنبر فقال ياأيها الناس استحيوا من الله حق الحياء ومن استحيا من الله حق الحياء فليثبت ٧ راحلته بين عينيه وليحفظ الرأس وما حوى والبطن وماوعى وليذكر القبور والبلى ومن أحب الآخرة فليترك

التوكل حتى يستوي عنده المدح والذم من الخلق فيسقطان وحتى يؤذى فيصبر على الأذى يستخرج بذلك منه وقع السكون الى الخلق والنظر الى علم الخالق الذي سبق ثم التوكل في الصبر على حسن المعاملة وترك الطلب للمعارضة حياء من الله واجلالا له وتخوفا منه وحباله فقد وصفهم بذلك ظاهرا وباطنا فالظاهر قوله تعالى نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون فلما علموا صبروا وعلى علمهم ثم توكلوا عليه في جميع ذلك فانعم أجرهم وأجزل ذخرهم والباطن فيما أخبر عنهم انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا وافقطعهم الخوف عن الطلب ففي قوله منكم وجه حسن غريب وهو باطن الآية قد يكون بمعنى لانريد بدلا منكم كقوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ليس انه جعل من البشر ومنكم ملائكة ولكن المعنى بدلا هذا أحد الوجهين في الآية وهو أعلاهما والوجه الظاهر ان يكون الكاف والميم اسماء المطعمين أي لانريد من عندكم جزاء أي مكافأة ولا شكورا أي حسن ثناء فلما لم يطالبوا العوض من أجلهم ولا المكافأة من عندهم وقالوا انا نخاف من ربنا جزاهم أفضل الجزاء وأحسن لهم غاية العطاء فقال تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اذلم يطلبوا جزاء ولا شكورا جعل جزاءهم شرابا طهورا وجعل سعيهم لديه مشكورا ثم التوكل عليه في تسليم الحكم والرضا به ومنه قول يعقوب عليه السلام حين سلم الحكم توكلا على الوكيل الحاكم ان الحكم الا لله عليه توكلت لان العبد اذا كان مريد المراد نفسه من الاشياء قد لا يوجد في كل شيء اراده ثم هو على يقين من اراده مولاه لكل شيء وان كل شيء مراد لوكيله فينبغي أن يريد ما يريد مولاه اذلم يتفق له ما يريد بل ينبغي أن يكون مراد مولاه أحب اليه وأبر عنده لان ما أراده مولاه مما لاعقوبة على العبد فيه ولا مسخطة لمولاه فانه محبوب لله مختار له فلتكن محبة الله عز وجل مقدمة لديه على محبته هو واختياره اذ لله عاقبة الامور وقد شرف المتقين ونزههم عن أمور العاجلة الدنية بقوله عز وجل والعاقبة للمتقين وكما روي في أخبار موسى عليه السلام اذا لم يكن ما تريد فرد ما يكون فان أبيت الا ما تريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد وروي عن الحسن وددت ان أهل البصرة في عيالي وان حبة بدينار وهذا من نهاية التوكل وليس ذلك الا في تسليم الاحكام والرضا بها كيف جرت بهم لان هذا كلام قد جاوز المعقول وقد كان وهيب بن الورد المكي يقول لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا ثم اهتممت برزقي لظننت اني مشرك ويقال من اهتم برزق غد وعنده اليوم قوت غد فهي خطيئة تكتب عليه وقال سفيان الصائم اذا اهتم في أول النهار بعشائه كتب عليه خطيئة وكان سهل يقول ان ذلك ينقص من صومه وقال اعرف في البصرة مقبرة عظيمة يغدو على موتاهم برزقهم من الجنة بكرة وعشية يرون منازلهم من الجنان وعليهم من الغموم والكروب مالو قسم على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل ولم قال كانوا اذا تغدوا قالوا بأي شيء نتعشى واذا تعشوا قالوا بأي شيء نتغدى وقال مرة أخرى لم يكن لهم من التوكل نصيب وهذه المقامات من فضائل التوكل ووجوهاما لايصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين منها انه أعطاهم كن باطلاعه اياهم على الاسم فزهدوا في كون كن لاجل كان توكلا عليه وحياء منه أن يعارضوه في قدرته ورغبوا عن تقديره أو يضاهوه في تكوينه لان تدبيره عندهم احكم وأيقنوا وهم بالعواقب اعلم واخبر وهم له أشد اجلالا واعظاما مما نقدر نحن ونعلم فأما التوكل عليه في القوت فانه عندهم فرض التوكل يستحيون من ذكره مع الوكيل وكذلك التوكل عليه في تسليم الاقدار حلوها ومرها خيرها وشرها من الله حكمة وعدلا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس وكما قال تعلم ان ما أخطأك لم يكن ليصيبك وان ما أصابك لم يكن ليخطئك وكذلك قال الله عز وجل وكل صغير وكبير مستطر فالعلم بهذه الاشياء وطمأنينة القلب بها وسكينة العقل عند ورودها وأن لا يضطرب بالرأي والمعقول ولا ينازع بالتشبيه والتمثيل فان هذا عندهم من فرائض الايمان لا يصح ايمان عبد حتى يسلم ذلك كله

زينة الحياة الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم لعائشة أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف ذلك وكيف نديم قال بالجوع والعطش وقال المسيح عليه السلام طوبى للجياع العطاش من أجل العدالة والبر فانهم هم الذين يرون الله واعلم ان للجوع فوائد كثيرة منها صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب ولان مفتاح السعادة هو المعرفة بالله وبآياته ولا ينال ذلك الا بصفاء القلب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان الجوع قرع باب الجنة ومنها رقة القلب حتى يدرك لذة المناجاة ويتأثر بالذكر والعبادة ومنها ذل النفس وانكسارها والعفة عن الغضب والبطش والطغيان وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ماشبع من خبز بر ولا شعير قط وانه كان يربط الحجر على بطنه من الجوع وكان أكثر أيامه صائما وكان يواصل في صيامه وكان يتردد في ذهابه الى غار حرا للخلوة بتمرات يسيرة لايام كثيرة صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله عنها أول بدعة حدثت بعد النبي صلى الله عليه وسلم الشبع اذ القوم لما شبعوا اجتاحت بهم نفوسهم الى الدنيا ومنها خفة البدن للعبادة والتهجد وقيام الليل للاوراد وزوال النوم المانع من ذلك قال بعضهم صاحب الرياضة والجوع نفسه تجول حول العرش وصاحب الشره والبطنة نفسه تجول حول الحش

وليس هذا من التوكل فى شئ ومنه قول ابن عباس القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر كان تكذيبه بالقدر نقصا لتوحيده فجعل الايمان بالاقدار كلها انها من الله مشيئة وحكما بمنزلة الخيط الذى ينتظم عليه الحب وان التوحيد منتظم فيه يقول اذا انقطع الخيط سقط الحب قال كذلك اذا كذب بالقدر ذهب الايمان فالتوكل فرض وفضل ففرضه منوط بالايمان وهو تسليم الاقدار كلها للقادر واعتقادان جميعها قضاؤه وقدره ألم تر الى ربك كيف أقسم بنفسه فى نفى الايمان عمن لم يحكم الرسول فيما اختلف عليه من حاله فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فكيف بالحاكم الاول والقاضى الاجل فأما فضل التوكل فانه يكون عن مشاهدة الوكيل فانه فى مقام المعرفة ينظر عين اليقين كما قال العبد الصالح فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون فظهرت منه قوة عظيمة بقوى وأخبر عن عزيز بعز فكأنه قيل ولم ذاك وأنت بشر مثلنا ضعيف فقال انى توكلت على الله ربى وربكم فكأنه سئل عن تفسير توكله كيف سببه فأخبر بمشاهدة يد الوكيل آخذة بنواصى دواب الارض فقال ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها ثم أخبر عن عدله فى ذلك وقيام حكمته وانه وان كان آخذا بنواصى العباد فى الخير والشر والنفع والضر فان ذلك مستقيم فى عدله فقال ان ربى على صراط مستقيم وقال تعالى فى فرض التوكل وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى فى مثله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين وقال تعالى فى فضله وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالى ان الله يحب المتوكلين

(ذكر اثبات الاسباب والاواسط لمعانى الحكمة ونفى انها تحكم وتجعل لثبوت الحكم والقدرة)

اعلم ان الله عز وجل ذو قدرة وحكمة فأظهر أشياء عن وصف القدرة وأجرى أشياء عن معانى الحكمة فلا يسقط المتوكل ما أثبت من حكمته لاجل ما شهد هو من قدرته من قبل ان الله تعالى حكيم فالحكمة صفته ولا يثبت المتوكل الاشياء حاكمة جاعلة نافعة ضارة فيشرك فى توحيده من قبل ان الله قادر والقدرة صفته وانه حاكم جاعل ضار نافع لا شريك له فى أسمائه ولا ظهير له فى أحكامه كما قال عز وجل ان الحكم الا لله ولا يشرك فى حكمه أحدا وكما قال تعالى وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير الظهير المعين على الشئ فالمتوكل مع مشاهدته قدرة الله على الاشياء وانه منفرد بالتقدير والتدبير قائم بالملك والمملوك هو أيضا عالم بوجوه الحكمة فى التصريف والتقليب باظهار الاسباب والاواسط لاظهار الاشخاص والاشباح لايقاع الاحكام على المحكوم وعود الثواب والعقاب على المرسوم من حيث كان المتوكل قائما بأحكام الشريعة ملتزما لمطالبات العلم مع تسليمه الحكم الاول لله واعترافه ان كلا بقدر الله اذ سمع الله تعالى يقول لا يسئل عما يفعل وهم يسألون وان الله تعالى فى جميع ما أظهر أخفى قدرته فى حكمه فظهرت حكمته فى الاشياء لعود الاحكام على المظهرين لها وبطنت قدرته فى الاشياء لرجوع الامر كله اليه ولاتقان الصنعة الظاهرة لصنع الباطن فلذلك قال عز وجل صنع الله الذى أتقن كل شئ أى صنعه الباطن أتقن صنعه الظاهر ثم قال تعالى واليه يرجع الامر كله من الظاهر والباطن فاعبده وتوكل عليه فى جميع ذلك فالعارف المتوكل من الصنع الباطن شهادة هو قائم بها وله فى الحكمة الظاهرة علم شرع وتسليم اسم ورسم هو عامل به وهذا هو شهادة التوحيد فى عبادة التفضيل وهو مقام العلماء الربانيين وكل مؤمن بالله متوكل على الله ولكن توكل كل عبد على قدر يقينه فتوكل الخصوص ما قدمناه من ذكر المشاهدة ومعانى الرضا وتوكل العموم ما عقبناه من الايمان بالاقدار خيرها وشرها وقد أخبر الله تعالى انه هو الرزاق كما هو الخالق كما هو المحيى المميت فقرن بين هذه الاربع فى قرن واحد مع ترتيب الحكمة والقدرة فكيف يختلف حكمها أو يتبعض وصفها لظهور الاسباب ووجود الاواسط فقال سبحانه وتعالى الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم فكما ليس فى الثلاث الاخر جاعل ومظهر الا واحد فكذا ليس فى الرابعة من الرزق الا هو ألا ترى انك

وقال آخر الجيعان يدور حول المساجد (١٠) والشبعان يدور حول المزابل وقال آخر من كانت همته ما يدخل فى بطنه كانت قيمته ما يخرج من بطنه واعلم انه ينبغى لمن أراد ان يعوّد نفسه الرياضة وقلة الاكل ان يفعل ذلك بتدريج فينقص كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا فى مقدار شهر فلا يظهر له أثر ويصير القليل عادته وما قدر ما يتناول من الطعام فأقل ما يكون من ذلك الاقتصار على ما يحفظ الحياة ويسد الرمق وهذه طريقة المجاهدة وهو اختيار سهل بن عبد الله التسترى وكان يرى ان الصلاة قاعدا لضعفه بالجوع أفضل من الصلاة قائما مع الشبع وأوسطه نصف مد كل يوم وهو ثلث البطن وعلى ذلك كان عمر رضى الله عنه وجماعة من الصحابة فانه كان قوتهم فى الاسبوع صاعا من شعير وهذا القدر أولى فى حق عمر والصحابة لاشتغالهم بجهاد الكفار واقامة الدين والسعى بالحركة فى مصالح المسلمين فيحتاجون الى ما يحتاج يحفظ به القوة ويعين على الحركة وأكثره مد للواحد وهو ما رضيه الله تعالى قوتا للمساكين فى الكفارة وهو رطل وثلث بالبغدادى وينبغى أن لا يتعوّد الطيبات ولا يكثر من اللحم بل يأكل اللحم فى الاسبوع مرة وكانت هذه طريقة عمر وكثير من الصحابة واحتج عمر على ذلك بأن الله تعالى قد عاب على أقوام همهم أكل الطيبات بقوله تعالى أذهبتم طيباتكم فى حياتكم

لا

لاتقول خلقني أبي وان كان هو سبب خلقك ولاتقول أحياني وأماتني فلان وان كان أواسط فى الاحياء والقتل لان هذا شرك ظاهر اشتهر قبحه فترك ولذلك قال الله تعالى أفرأيتم ماتمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون وكذلك قال تعالى أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون فأضاف الامناء والحرث الينا لانها أعمال ونحن عبيد عمال ولانه اصفاتنا وأحكامها عائدة علينا وأضاف الخلق والزرع اليه لانها آيات عن قدرته وحكمته والله هو القادر الحكيم وكذلك كل ماذكر فى الكتاب من الاعمال والاكتساب أضيف الى الجوارح المجترحة ونسب الى الادوات المكتسبة وما كان من القدرة والارادة وصف نفسه به لانه المريد الاول والقادر الاعلى فافهم عن الله خطابه كيلا يزيغ قلبك فيما تشابه ثم قد يقول العبد أعطاني ومنعني فلان لان هذا شرك خفي ولان الاسباب تظهر على أيديهم وتجرى بأواسطهم فحجبوا بها عن المسبب واستترعنهم المعطى المانع فقبح هذا أيضا عند الموقنين كقبح ذاك لان الله تعالى نفى الرزق عن سواه كما نفى الخلق فقال تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم ولم يرد اللفظ على اللفظ وان حسن فيقول يخلقكم لانه أراد سبحانه أن يفيد نافضل بيان و يعلمنا اقتران الرزق بالخلقة وانهما سيان عن القدرة فالمتوكل قد أيقن انه لم يكن على الله أن يخلقه فلما خلقه كان عليه أن يرزقه وهكذا روى عن الله تعالى أأخلق خلقا ولا أرزقه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لامانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد رداعليهم حين قالوا جدى فى كذا وجدى فى كذا يعنون صنوف الاسباب فنفى ذلك بقوله هذا فى صلاته واسمعهم اياه خشية دخول الشرك عليهم أى جدا عبد لا ينفعه منك شيأ فهذا كما قال الله تعالى ان الظن لايغنى من الحق شيأ قال بعض العلماء فى معنى ذلك من جد فى الطلب وحرص وجد منك المنع لم ينفعه جده فى طلبه وحرصه شيأ وقال أيضا فى معنى قول الله عز وجل يمحو الله مايشاء و يثبت قال يمحو الاسباب من قلوب العارفين و يثبت القدرة و يمحو المشاهدة من قلوب الغافلين ويثبت الاسباب فى صدورهم وقال هذا أيضا خلق الله النفس متحركة ثم أمرها بالسكون وهذا هو الابتلاء فان تداركها بالعصمة سكنت وهذا خصوص وان تركها تحركت بطبعها وجبلتها وهذا هو الخذلان وفى وصية لقمان لابنه يابنى اردد رغبتك الى الله ان شاء أعطاك وان شاء منعك فان حيلتك لن تزيدك ولن تنقصك من قسمة الله التى قسم لك واعتبر رزقك بخالقك فان استطعت أن تزيد فى خلقك بحيلتك فانك اذا تزيد فى رزقك والافاعلم ان الله هو الذى عدل الخلق وقسم الرزق فلن تستطيع أن تزيد فى أحدهما فان منهم المحتال الجلد البطوش ولا يزداد الا فقرا ومنهم المعي الواهن المهين ولا يزداد ماله الا كثرة ولو كان من الحيلة لسبق القوى الضعيف الى كل شئ ولكن الله يخلق و يرزق ولا يملك العباد من ذلك شيأ وهكذا حكى ان بعض الاكاسرة سأل حكيما فى زمانه فقال مابالى أرى العاقل محروما والاحمق مرزوقا فقال أراد الصانع أن يدل على نفسه ولو كان كل عاقل مرزوقا وكل أحمق محروما لوقع فى العقول ان العاقل يرزق نفسه والاحمق حرم نفسه فلما رأوا الامر بخلاف هذا علموا أن الصانع هو الرازق وروينا عن ابن مسعود فى اعطاء هذا المال فتنة وفى منعه فتنتان أعطيه عبد مدح غير الذى أعطاه وان منعه عبد ذم غير الذى منعه وقد روينا معناه فى حديث مطرف عن بعض أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم انه خطب فقال ألا ان فى اعطاء هذا المال فتنة وفى منعه فتنة يغدو الرجل الى ابن عمه فيسأله الحاجة التى قد كتبها الله له فلا يملك منعه فيعطيه ما كتب له فيظل يشكره و يثنى عليه بالخير ثم يعود اليه العام المقبل فيسأله الحاجة التى لم يكتبها الله له فلا يملك أن يعطيه كما لم يعطه فى العام الاول أن يمنعه فيمنعه مالم يكتب له فيرجع فيحمله بها عليه ذنبا و يثنى عليه بها شرا الا ان فى اعطاء هذا المال فتنة وفى منعه فتنة واللفظ للخبر ولم آل يعنى بالفتنة الاختبار وصدق صلى الله عليه وسلم يختبر بذلك الموقنون للخبير والغافلون لينظر كيف يعملون فأما أهل اليقين فيعتبرون بالاسباب و يحجبون من التسبب فيزدادون بذلك هدى وايمانا لشهودهم المعطى

الدنيا الآتية وكان عمر رضى الله عنه اذا بلغه عن أحد أنه يكثر التردد الى المجازر ضربه بالدرة و يقول ان لهذه المجازر ضراوة كضراوة الخمر

(فصل) فى الفضول من القول و يدخل فى ذلك الكلام فيما لاينبغى من الحديث المباح والكذب والغيبة والنميمة والمراء والمجادلة والمزاح الذى يغضب القلب والاطراء فى المدح وتزكية النفس بكثرة الدعاوى والشتم واللعن والسفه والدعاء على الناس ولو كان ظالما والاستهزاء والسخرية بالناس أما ماينبغى من الكلام كالتحدث بما يتفق للناس من الامور والاهوال المباحة فينبغى تركه لان الاسترسال فيه يؤدى الى الوقوع فى الكلام المحرم كالغيبة ومساوى الناس ونحو ذلك قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وقال عليه الصلاة والسلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ووصى معاذا بحفظ لسانه وحذره من حصائد الالسن وقال من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه فالنار أولى به و يدخل فى الكلام فيما لاينبغى حكاية الاسفار وأحوال أطعمة البلاد وأحوال الصناعات والتجارات ونحو ذلك وأما الكذب فهو حرام فى كل شئ الا لضرورة كما اذا كان الكذب يتضمن نجاة مؤمن من ظالم يقصد دمه أو ماله فيباح الكذب كما يباح الميتة للمضطر واعلم ان الجوارح تؤثر أعمالها فى القلب سيما

المانع واحدا فى العطاء والمنع ولمعرفتهم بجريان الحكمة فيما جاءت به الشريعة ثبت لهم مقامان الشكر له والصبر عليه وأما الغافلون فيضطربون لذلك ويثبتون بنظرهم الى الاسباب والايدى فيمدحون المعطين ويذمون المانعين عندهم فينقصون بذلك فقد صار المال فتنة للفريقين يكشف ايمانهم وتمتحن للتقوى قلوبهم وكذلك جاء فى الخبران العبد ليهم من الليل بالامر من أمور الدنيا من التجارة وغيرها الذى لو فعله كان فيه هلاكه فينظر الله اليه من فوق عرشه فيصرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يتطير بجاره وبابن عمه من سبقنى من دهانى وما هو الا رحمة رحمه الله بها وعن ابن مسعود أنه قال من الاخلاص أن لا تحب أن يحمدك الناس على عبادة الله وأن لا تمدحهم على ما رزقك الله وقد روينا عن عيسى عليه السلام وعن ابن مسعود وغيره ان من اليقين أن لا تحمد أحدا على ما أعطاك الله ولا تذمه على مالم يؤتك الله وقال الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وفى حديث الافك الذى رواه معمر بن أبان عن حمران عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها انها قالت فقام الى أبواى فقبلانى فى صدورهما وعلت بغير حمدكما ولا حمد صاحبكما أحمد الله تعالى الذى عززنى وبرأنى وفى حديث غيره فقال لها أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال النبى صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر فهذه المعانى التى قدمناها تكون من ضعف اليقين ونقصان المعرفة فاذا انطوت فى سر العبد وخالدته وكثرت من قوله وفعله أذهبت حقيقة الايمان كما قال عبد الله وان العبد ليخرج من منزله ومعه ايمانه فيرجع الى منزله وليس معه من ايمانه شئ يأتى الرجل لا يملك له ضرا ولا نفعا فيقول انك لذيت وذيت ويأتى الآخر كذلك حتى يرجع الى منزله ولعله لم يخل منه بشئ وقد أسخط الله عليه وسئل بعض علمائنا عن معنى الخبر المنقول من التوراة من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه فقال لان الايمان عقد وفعل وقول فاذا تواضع للغنى لاجل دنياه بالثناء والحركة اليه ذهب ثلثا ايمانه وبقى الثلث وهو العقد فان جعلت الاواسط فى الرزق أوائل فى الجعل لثبوتها فان الله تعالى قد أظهرها أسبابا وأثبت نفسه فيها فقال تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم رفعه وأظهر نفسه فقال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها وكذلك قال أفرأيتم ما تحرثون فذكر الاواسط ثم قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وقال فى التفصيل فأرسلنا اليها روحنا ثم قال تعالى فى التوحيد فنفخنا فيها من روحنا وكان النافخ جبريل عليه السلام كما قال تعالى فاذا قرأناه فاتبع قرآنه * قال أهل التفسير فاذا قرأه عليك جبريل فخذه عنه بعد قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وكذلك قال جبريل لأهب لك غلاما زكيا لان الله تعالى وهب له أن يهب لها فذكر نفسه وهو يشهد به ثم قال فى الحرف الآخر ليهب لك يعنى الله تعالى ومثله قول موسى عليه السلام لا أملك الا نفسى وأخى لاجل ان الله تعالى قال ووهبنا له من رحمتنا أخاه وهو فى الحقيقة لا يملك نفسه ولا أخاه اذ لا مالك أصلا الا الله عز وجل وهذا على أحد الوجهين اذا كان وأخى فى موضع نصب والوجه الآخر ان يكون قوله وأخى فى موضع رفع فيكون المعنى وأخى أيضا لا يملك الا نفسه وكذلك قال سبحانه فى التفصيل والامر اقتلوا المشركين وقال فى مثله من ذكر واسطة الامر قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ثم قال فى التوحيد فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وقال فى اثبات الاسباب ورفع حقائقها وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وقال تعالى فى ذكر الاواسط فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها وقال فى مثله الذى علم بالقلم ثم قال تعالى الرحمن علم القرآن وقال تعالى علمه البيان ثم قال ان علينا بيانه وقال فى تثبيت الاملاك وبيعها منه بالاعواض كرما منه وفضلا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم فجاز ذلك لما ملكهم ماله كقوله تعالى الا ما ملكت أيمانكم وعند أهل المعرفة أن لا فاعل حقيقة الا الله عز وجل لان حقيقة الفاعل هو الذى لا يستعين بغيره بآلة ولا سبب وعندهم ان فعلا لا يتأتى من فاعلين والا كان شركا لان الفاعل الثانى المظهر الذى فعل بيده وأجرى الفعل بواسطته هو ثان ومحدث والاول القديم هو الفاعل الاصلى كما ان عندهم ان حقيقة

اللسان فانه يؤدى عن القلب ما فيه من الصور فيقتضى لكل كلمة صورة فى القلب مخالفة لما هو الواقع ان كان الكلام كذبا فيعوج وجه القلب ويسود ويظلم ويعرض من ذلك آفات كثيرة منها عدم صدق ما يراه فى منامه كما فى المرآة المعوجة التى ترى فيها الصورة على خلاف ما هى عليه ثم اذا اضطر الى الكذب فليبادر الى المعاريض ما أمكنه حتى لا تتعود نفسه الكذب كما حكى عن أبى بكر رضى الله عنه من قوله لذلك الكافر الذى سأله عن النبى صلى الله عليه وسلم وهما ذاهبان الى المدينة من هذا الذى معك فقال رجل يهدينى السبيل وأراد سبيل الايمان وقوله أيضا نحن من قبيلة ماء من العرب وأراد ماء مهين وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول ان الله ليعلم ما قلت من هذا فيوهم النفى بحرف ما وهو يريد غير ذلك وتباح المعاريض لغرض تخفيف من تطييب قلب الشخص بالمزاح معه كقوله صلى الله عليه وسلم لسلمان لما دخل عليه بعوده من رمد كان به فوجده يأكل تمرا فقال أتأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله أنا آكل على الناحية الصحيحة وكقوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل الجنة عجوز وأحملك على ولد الناقة وزوجك الذى فى عينه بياض وأما الغيبة فحرام بالنص من القرآن والسنة واجماع الائمة قال الله تعالى ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا

المالك هو خالق الشيء ومن جعل في يده فهو مملك لانه لم يخلق ما بيده كما المجرى على يده الفعل مفعول لان الله تعالى هو الاول القيوم بنفسه لا يستعين بغيره وقد جعل الله أيضا بحكمته وعزته للخلقة والحياة واسطة وهو ملك الارحام في الخبر انه يدخل الرحم فيأخذ النطفة في يده ثم يصورها جسدا فيقول يارب أذكر أم أنثى أسوى أم معوج فيقول الله ما شاء ويصور الملك وفي لفظ آخر يخلق الملك ثم ينفخ فيها الروح بالشقاوة أو بالسعادة ويقال ان الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الارواح في الاجساد ويقال انه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم ولذلك سمي الروح وقد قال الله تعالى في وصف نفسه البارئ المصور كما قال الخالق وقال تعالى خلق الموت والحياة وقد جعل للاحياء واسطة كما جعل للموت وهو اسرافيل صاحب الصور ينفخ فيه النفخة الثانية فيحيا كل ميت ثم يرفعه الله تعالى فقال يوم ينفخ في الصور ووصف نفسه بأنه المحيي المميت وفي بعض الاخبار ان ملك الموت وملك الحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الاحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي كل ميت فأوحى الله اليهما كونا على عملكما وما سخرتما له من الصنع فأنا المميت وأنا المحيي ولا مميت ولا محيي سواي وكذلك أيضا قيل عن الله تعالى أنا الدليل على نفسي ولا دليل على أدل مني ولم يمنع وجود هذه الاواسط أن يكون الله سبحانه هو الاول في كل شيء وهو الفاعل لكل شيء وحده لا شريك له في شيء ولم يقل أحد من المسلمين الملك خلقني ولا عزرائيل أماتني ولا اسرافيل قد أحياني كذلك أيضا لا يصلح أن يقول الموقن المشاهد للتوحيد فلان أعطاني أو منعني كما لا يقول فلان رزقني ولا فلان قدر على وان جعل واسطة في ذلك وأجرى على يديه ذلك لان العطاء هو الرزق والمنع هو القدر ولا كان عندهم شركاء في أسماء الله غيره اذ كان الله هو المعطي المانع الضار النافع كما هو المحيي المميت لا شريك له في ملكه ولا ظهير له من عباده في خلقه ورزقه وهذا عندهم يقدح في حقيقة التوحيد للعبد وهو من الشرك الخفي الذي جاء في الاثر الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل في الليلة المظلمة وقال بعضهم في معنى قوله تعالى وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون قال مؤمن بالاقرار ان الله هو المقدر المدبر ومشرك في الاعتماد على الاسباب ورد الافعال اليها ومن الاخلاص عند المخلصين بلا اله الا الله ولا معطي ولا مانع الا الله ولا هادي ولا مضل الا الله كما لا اله الا الله هذا عندهم في قرن واحد ومشاهدة واحدة وهو أول التوحيد وان كان قد جعل هادين ومضلين ومعطين ومانعين ولكن بعد اذنه ومن بعد مشيئته وحكمه كما قال تعالى أحسن الخالقين خير الرازقين لانه خلقهم وخلق خلقهم ورزقهم ورزق رزقهم وكذلك هو هداهم وهدى بهم وأضلهم وأضل بهم فعن هدايته هدوا به وعن اضلاله ضلوا بعد ارادته كما عن خلقه خلقوا ومن رزقه رزقوا وكيف وقد فسر ما ذكرناه بقوله واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني وبقوله تعالى لو هدانا الله لهديناكم وقال في مثله فأغويناكم انا كنا غاوين فبمشاهدة ما ذكرناه يخرج العبد من الشرك الخفي وهو تحقيق قوله لا اله الا الله بعد التصديق أي ليس من تأله القلوب وتأله اليه الا الله ثم يقول معها وحده لا شريك له أي وحده في قدرته وتوحيده لا شريك له في ملكه من خلقه ثم وكد ذلك بقوله له الملك أي جميع ما أظهر وله الحمد في جميع ما أعطى ومنع يستحق الحمد كله فهو لا يستحقه غيره وهو على كل شيء قدير أي من الخلق والامر فالقدرة كلها له والخلق كله له يحكم في خلقه بأمره ما شاء كيف شاء ومثل الاواسط مثل الآلة بيد الصانع الا ترى انه لا يقال الشفرة حذت النعل ولا السوط ضرب العبد انما يقال الحذاء حذا النعل وفلان ضرب عبده بالسوط وان كانت هذه الاواسط مباشرة للافعال الا انها آلة بيد صانعها وكذلك الخليقة يباشرون الاسباب في ظاهر العيان والله من ورائهم محيط القادر الفاعل بلطائف القدرة وخفايا المشيئة ألم تر الى قولهم الامير أعطاني كذا وخلع على كذا وان لم يناوله بيده ولا يصلح أن يقول خادم الامير أعطاني لاجل انه جرى على يده وان كان باشر العطاء بنفسه اذ قد علم أن الخادم لا يملك ولا يتصرف في ملك الامير الا بامره الا أن يسئل الانسان بيد من أعطاك الامير أو على يد من وجه

وحد الغيبة كما نبه النبي صلى الله عليه وسلم أن تذكر أخاك بما يكره هو لو بلغه وأعظم من الغيبة (١٣) اشاعة ما سمعه من الكلام السوء في حق غيره قال الله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم وروى ان عيسى عليه السلام قال يوما لبعض جلسائه لو ان أحدكم مر على رجل نائم فوجد الريح قد كشف عن عورته ما الذي يصنع به قالوا يستره ويغطيه قال لا بل تريدون كشف عورته لان أحدكم يسمع في غيره بالكلمة السوء فيزيد عليها ويشيعها قال بعض العلماء ولا تقتصر الغيبة على اللسان بل قد تكون بالاشارة أو بالرمز أو بحكاية الشيء من أعضائه وكذلك أيضا تحرم الغيبة اذا كانت بالقلب وهو أن يحدث نفسه بشيء من الظن بمساوى الغير ويعتقد ذلك فيه ويحكم به عليه وأما مجرد الخواطر وحديث النفس من غير عقد بالقلب ولا حكم فهو معفو عنه بل الشك أيضا معفو عنه واعلم انه رخص في الغيبة في ستة مواضع أحدها التظلم عند السلطان الثاني عند الاستغاثة بالغير على تغيير المنكر الثالث المستفتي اذا افتقر الى ذكر ذلك الرابع تحذير المسلم من شر الغير ويدخل في ذلك جرح الشاهد الخامس أن يكون معروفا باسم أو كنية يكرههما كالاعمش والاعرج والبطين ونحو ذلك السادس أن يكون مجاهرا بذلك العيب كالمخنث وصاحب الماجور والفاسق والمعلن بالفسق والامام الجائر فهؤلاء مجاهرون

البسك بالعطاء لبغية تكون للسائل فى معرفة أى عبد جاءبه فيجوز أن يقول حينئذ بيد عبده فلان فاما أن يبتدئ المعطى من غير أن يسأل اذا أراد أن يظهر العطاء فيقول الامير أعطانى على يد عبده فلان فان هذا لغو لا يحتاج الى ذكر العبد مع ذكر الملك لان البغية اظهار العطاء من الملك المعطى فلا معنى لذكر العبد الذى جرى العطاء على يده فافهم ومن ذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم للرجل الذى ناوله التمرة خذها ولو لم تأتها لأتتك والتمرة لاتأتى ولم يقل لجاءك بها رجل اذ لا بغية فى ذكر ذلك ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذى قال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله وانما ذكر الله تعالى الاسباب لان الاسماء متعلقة بها والاحكام عائدة على الاسماء بالثواب والعقاب فلم يصلح ان لا تذكر فتعود الاحكام على الحاكم تعالى عن هذا انه هو يبدئ ويعيد يبدئ الاحكام من الحاكم ويعيدها على المحكوم وهذا هو سبب اظهار المكان من الموات والحيوان لئلا يكون تعالى محكوما وهو الحاكم ولا يكون مأمورا وهو العزيز الآمر فعادت على المحكومات المأمورات ومن هذا قوله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق فجميع عنده وفى خزائنه الا أنه أضاف الدنيا الينا لرجوع الاحكام علينا ولنزهد نافيها وأضاف الآخرة اليه تخصيصا لها وتفضيلا لنرغب نافيها وكما أخبر عن عيسى واذ تخلق من الطين ومثله فارزقوهم فيها فسماه خالقا اذ خلق الله على يده وسماهم رازقين لما أجرى على أيديهم رزق أهليهم فهو عندى كقوله لمريم وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا وقد علمت ان الرطب لم يتساقط بهزها ولا جعل ولا فعل لهزها فى الرطب ولكن أراد أن يظهر كرامتها ويجعل الآية منه بيدها ومثله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فنبعت عينان فشرب من احداهما واغتسل من الاخرى ولا فعل لرجله فى اظهار العينين وقد نفى لبيد ماسوى الله فى قوله * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نشد ذلك صدق وفى لفظ آخر ان النبى صلى الله عليه وسلم قال أصدق بيت قاله الشاعر * ألا كل شئ ما خلا الله باطل * وهو يعلم صلى الله عليه وسلم ان فى الاشياء أواسط حق وأسباب صدق ثم لم يمنعه ذلك ان قال أصدق بيت قاله الشاعر كذا ايثارا منه للتوحيد وتوحيدا للمتوحد هذا مع قرب عهدهم بتكذيب الرسل وابطال الكتب ولكن لما كانت الاشياء بعد ان لم تكن ولا تكون بعد ان كانت أشبهت الباطل الذى لا حقيقة له أولية ولا ثبات له آخرية وكان الله تعالى الاول الازلى الآخر الابدى فهو الحق ولا هكذا سواه ومثله الاسباب أيضا فى ثوانيها وأواسطها الى جنب الاول المسبب مثل ما يقول فى القرآن قال الله كذا ولك أن تقول قال نوح وقال يوسف كذا فكل صواب فاذا قلت قال الله سبحانه وتعالى فهو القائل الاول قبل القائلين متكلما بوصفه مخبرا عن علمه بغير وقت لموقت ولا حد لمحدود ولا حدثان وان قلت قال صالح وقال شعيب فقد قالوه بانهم ثوان فى القول وأواسط به قالوا ذلك عنه بحدوث أوقات وظهور أسباب كذلك الاسباب فى أواسطها هى ثوان عن الاول المبدئ ومن ههنا وفى مثله دخلت الشبهة على المبتدعين فقالوا بخلق القرآن فلو لم يدخل عليهم الا انهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله أحكم الحاكمين فاثبتوا قبل قوله قبلا وهو القول منهم لنفيهم قدم الكلام فوقعوا بجهلهم فى أعظم مما هربوا منه لانهم هربوا من اثبات قديم آخر بزعمهم فوقعوا فى اثبات حدث أولا واحداث قدم ثانيا تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وسبحانه بكرة وأصيلا ولم يعلموا بجهلهم انهم انما قالوه بعد قوله فصار قولهم عن قوله وكان هو الاول فى القول من حيث كان هو الاول بالقدم والسابق بالعلم وصاروا هم ثوان فى المقال من حيث كانوا حوادث من الافعال فكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين أوائل فى الفعل من قبل ان الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم فاشركوا فى أسماء الله كما أشركت المبتدعة فى صفات الله عز وجل ان حجبوا عن شهادة سبق علم الله كما حجب الزائغون عن حقيقة توحيد الله تعالى الا أن شرك الزائغين ضلال ينقل عن الملة

لايكرهون الذكر قاله المحققون من السلف كالحسن البصرى ومن وافقه وأما النميمة فهى حرام قال الله تعالى هماز مشاء بنميم وقال تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث الذى يشعل نار الفتنة وقال النبى صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى الله المشاؤن بالنميمة وقال أبوذر قال النبى صلى الله عليه وسلم من اشاد على مسلم كلمة يسبه بها بغير حق شانه الله فى النار يوم القيامة وقال أبو الدرداء قال النبى صلى الله عليه وسلم أيما رجل أشاع كلمة على رجل وهو منها برىء يسبه بها فى الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها فى النار يوم القيامة وحد النميمة على ما قاله الغزالى فى الاحياء انها كشف ما يكره كشفه سواء كان الكشف بالقول أم بغيره من كتابة أو رمز أو ايماء أو اشارة وسواء كان المكشوف قولا أو فعلا أو عينا أو غير ذلك فحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر لما يكره وليست مختصة بنقل كلام الشخص الى المقول فيه كقوله فلان يتكلم فيك بكذا وكذا بل هى أعم من ذلك وأما المراء والمجادلة فالمراء هو الاعتراض على كلام الغير لاظهار خلل فيه اما فى اللفظ واما فى المعنى والباعث عليه محبة الترفع باظهار الفضيلة وتنقيص الغير بتهجين كلامه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا قال مالك بن أنس وهو

وجه الله المراء يقسى القلب ويؤثر الضغائن وأما المجادلة فمذمومة قال عليه الصلاة والسلام ما ضل قوم الا أوتوا الجدال وقال عمر

وهو شرك جلى وشرك ضعفاء اليقين غفلة وجهل لا ينقل عن الملة لانه شرك خفى وحكى أن بعض العلماء صلى خلف رجل فلما انفتل الامام نظر اليه فى زى غير مكتسب فقال يا شيخ من أين تأكل فقال اصبر حتى أعيد الصلاة التى صليتها خلفك ثم أجيبك وحدثونا فى معناه عن آخر انه لزم العكوف فى المسجد ولم يكن ذا معلوم من عيش فقال له الامام الذى يصلى بالناس لو تكسبت وتعيشت كان أفضل لك فلم يجبه فأعاد عليه وقتا آخر نحو ذلك فقال يهودى فى جوار المسجد قد ضمن لى كل يوم رغيفين فقنعت بذلك وتركت التكسب فقال الامام ان كان صادقا فى ضمانه فان عكوفك فى المسجد خير لك فقال له الرجل يا هذا أنت لو لم تكن اماما للمسلمين تقوم بينهم وبين الله لنقص توحيدك كان خيرا لك وحدثت ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين أدرك لى لطف الفطنة وخفى اللطف فانى أحب ذلك قال يا رب وما لطف الفطنة قال ان وقعت عليك ذبابة فاعلم انى أوقعتها فسلنى أرفعها قال وما خفى اللطف قال ان أتتك فولة مسوسة فاعلم انى قد ذكرتك بها وهذا الذى ذكرناه من ان الله سبحانه وتعالى هو المعطى المانع الضار النافع حيث كان هو الخالق الرازق كيف شاء ومتى شاء وبمن شاء هو فى عقود عموم المؤمنين وفى علمهم الا أنهم جهلا بالحكمة وغفلة عن الحيا كم يحيلون ذلك الى عاداتهم ويريدون أن يكون رزقهم من حيث معتادهم أو من حيث معقولهم باختيارهم ومعقولهم وبالعز والفخر والتطاول والانفة لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة ولا يكلون أمورهم الى الله ويرضون بتدبيره وتقديره وأن يرزقهم كيف شاء وبيد من شاء فيؤثرون أخلاق الجبابرة على أخلاق المؤمنين لبعدهم من مشاهدة اليقين ولاستيلاء أخلاق النفس عليهم ثم ان نفوسهم مع علمهم ان الخلق والارض كله لله عز وجل وان الحمد والملك له قد تطمع فى غير الله وترجو سواه وقد تضطرب بجبلتها عند أثقال الحقائق وقلوبهم لا تطمئن بل تتزعزع عند الابتلاء بالمصائب والفاقات ولا تصبر للخالق وان ألسنتهم قد تسبق بالمدح والفرح مع رؤية الاواسط أو بالذم والاسى على فوت العطاء لوجود الغفلة وذهابهم عن مشاهدة ما يعلمون فهذا دليل نقص توحيدهم وضعف يقينهم وان معرفتهم معرفة سمع وخبر لا معرفة شهادة وخبر وقد شركهم الموقنون بتسليم ذلك لله فى العلم والقدرة واثبات الاواسط والاسباب لمجارى الحكمة وعود الثواب والعقاب على الخليقة ولكن زادوا عليهم بحسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضا فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس وثبتوا فى الابتلاء لشهود المبلى يدبر الخلائق كيف شاء فحصل لهم مقام فى اليقين وحال من التوكل ونصيب من الرضا وخرج أولئك من حقائق هذه المعانى ودخلوا فى عمومها ودخل عموم المؤمنين مع الموقنين فى فرض التوكل قد جاوزهم الموقنون فارتفعوا عليهم وعلوا فى فضله ووقف العموم ونكصوا عن العلو لقعود اليقين بهم وحجب الاسباب لهم وسبق المقربون الى الفضل ويؤت كل ذى فضل فضله هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وقال بعض العلماء احتجب عن العموم بالاسباب فهم يرونها وحجب الاسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونه ولا يرونها وحدثونا عن سرى السقطى قال ثلاث يستبين بهن اليقين القيام بالحق فى مواطن الهلكة والتسليم لامر الله عند نزول البلاء والرضا بالقضاء عند زوال النعمة وقال يوسف بن أسباط قبله كان يقال ثلاث من كن فيه استكمل ايمانه من اذا رضى لم يخرجه رضاه الى باطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا قدر لم يتناول ما ليس له

* (ذكر التكسب والتصرف فى المعايش) *

ولا يضر التصرف والتكسب لمن صح توكله ولا يقدح فى مقامه ولا ينقص من حاله قال الله سبحانه وجعلنا النهار معاشا وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور وقد كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر والتاجر أحب اليهم من البطال وقال ابن مسعود انى لاكره أن يكون الرجل بطالا ليس فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة ولان التوكل من شرط الايمان ووصف الاسلام قال الله تعالى ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين

رضى الله عنه ينهى عن الجدال وضرب منيعا بالدرة وبرطائب الجريد لما تكلم فى المشتبهات وأكثر من البحث فيها وهجره وأمر الناس بهجره والجدال عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح ونسبته الى القصور والعجز والجهل لكنه يباح عند الحاجة وذلك اذا كان لتحقيق مسئلة دينية فانه يباح فى هذه الحالة بل يجب بشرط أن يقصد به اظهار الحق والاعانة على الارشاد للغير على الصواب وكانت مناظرة الصحابة والتابعين كلها معاونة على اظهار الحق واتباع السلوك جهة الصواب فهذا كان قصدهم من المناظرة ثم أحدث من بعدهم هذه المصطلحات فى المناظرة وفيها من الآفات شئ كثير ان أردت الاطلاع عليها فعليك بكتاب الاحياء وكتاب قوت القلوب وغيرهما من الكتب وأما المزاح الذى يغضب القلب فحرام لانه يؤثر الضغائن لما فيه من الايذاء قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها فى النار أبعد من الثريا حكى ان الحسن البصرى أقام ثلاثين سنة لم يضحك وقيل ان عطاء السلمى لم يضحك أربعين سنة وهذا كان حال سائر عباد البصرة غلبت عليهم المخاوف فكان حالهم الحزن وترك الانبساط وأما

فاشترط فى الايمان به والاسلام له التوكل عليه فان كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه ودخل فى الاسباب وهو ناظر الى المسبب فى تصريفه معتمد عليه واثق به فى حركته متسبب فيما يقلبه فيه مولاه متعيش فيما يسببه له ويوجهه فيه عالم بأن الله تعالى قد أودع الاشياء منافع خلقه وجعلها خزائن حكمته ومفاتح رزقه ويكون أيضا متبعا للسنة والاثر تاركا للترفه والتنعم فهو فى تكسبه وتصرفه أفضل ممن دخلت عليه العلل فى توكله فساكنها وقد ذكرنا عن بعض العلماء انه روى يطحن برجله وكان قد ترك العمل أربعين سنة فقيل له دخلت فى التكسب بعد ان كنت قد تركته فقال ياهذا اذا عدم مناعز التوكل لم نصبر على ذل الاستشراف فكذلك الامر فيمن دخلت عليه الآفة فى ترك التكسب فليخرج منها الى الاحتراف ومن دخل عليه اليقين فاقتطعه فليقعد عن الاكتساب فالتكسب خير من التشرف الى الخلق واعتياد المسئلة وسالك على طريق فهو يصل وان كان فى طريقه بعد والتوكل لمن أقعد به ناظر الى الوكيل أفضل لمن صح له لفراغ قلبه من الخلق وشغله بالخالق وهو طريق قريب فصاحبه مقرب والتارك للتكسب طمعا فى الخلق وترفها للنفس وحبا للمسئلة واتباعا للهوى سالك على غير طريق لا قريب ولا بعيد وهو عن المحجة جائر كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم لان يأخذ أحدكم فاسه وحبله فيذهب الى الجبل فيحتطب فيأكل ويتصدق خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه وقال صلى الله عليه وسلم استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك يعنى بمضغه وقال من يضمن لى خصلة واحدة أضمن له الجنة لا يسأل الناس شيأ وقال بعض علمائنا من أنكر التكسب فقد طعن فى السنة ومن أنكر القعود عن التكسب فقد طعن فى التوحيد وقال بعث النبى صلى الله عليه وسلم الى الخلق وهم أصناف كما هم اليوم منهم التاجر والصانع والقاعد ومن يسأل الناس ومن لم يسأل الناس فما قال للتاجر اترك تجارتك ولا قال للقاعد اكتسب واصنع بل جاءهم بالايمان واليقين فى جميع أحوالهم وتركهم مع الله فى التدبير فعمل كل واحد بعمله فى حاله وقد كان بعض المتوكلين يقول من لم يصبر على جوع ثلاثة أيام أخاف أن لا يسعه ترك العمل اذا وجده وقال أيضا من فقد الاسباب فضعف قلبه أو كان وجودها أسكن لقلبه من عدمها لم يصح له القعود عن المكاسب لان فيه انتظارا لغير الله وقال بعض العلماء من طرقته فاقة تسعة أيام فتصور فى قلبه طمع فى خلق أو استشراف الى عبد فالسوق أفضل له من المسجد وقال أبو سليمان الدارانى لاخير فى عبد لزم القعود فى البيت وقلبه معلق بقرع الباب متى يطرق بسبب وقال بعض علمائنا اذا استوى عنده وجود السبب وعدمه وكان قلبه ساكنا مطمئنا عند العدم لم يشغله ذلك عن الله تعالى ولم يتفرق همه فترك التكسب والقعود لهذا أفضل لشغله بحاله وتزوده لمعاده وقد صح له مقام فى التوكل وقال سهل وقد سئل متى يصح للعبد التوكل فقال اذا دخل عليه الضر فى جسده والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه ولم يحزن عليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله عليه وقال ابراهيم الخواص وهو امام المتوكلين من المتأخرين ثلاثة مواطن حمل الزاد فيهن من آداب التوكل القعود فى المسجد والركوب فى سفينة وصحبة القافلة وقال سفيان الثورى العالم اذا لم يكن له معيشة صار وكيلا للظلمة والعابد اذا لم تكن له معيشة أكل بدينه والجاهل اذا لم تكن له معيشة كان سفيرا للفساق وقال بعض أهل المعرفة الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فهذه درجة الفائزين ورجل شغله معاشه لمعاده فتلك حال الناجين وآخر شغله معاشه عن معاده فهذه صفة الهالكين وروينا عن على رضى الله عنه الرزق رزقان رزق يطلبك ورزق تطلبه ففسره بعض العلماء فقال الرزق الذى يطلبك هو رزق الغذاء والرزق الذى تطلبه هو رزق التمليك وهو طلب فضول القوت وقال أبو يعقوب السوسى وقد كان له مقام مكين فى التوكل على ثلاثة مقامات عام وخاص عام وخاص خاص فمن دخل فى الاسباب واستعمل العلم وتوكل على الله تعالى ولم يتحقق باليقين فهو عام ومن ترك الاسباب وتوكل على الله وحقق فى اليقين فهو خاص عام ومن خرج من الاسباب على حقيقته بوجود اليقين ثم دخل فى الاسباب فتصرف لغيره فهذا خاص خاص وهذا وصف الطبقة العليا

المزاح الذى لا يغضب القلب فهو مباح بل مستحب فى بعض الاحوال لما فيه من جبر القلب وتطييب النفس قال النبى صلى الله عليه وسلم لصهيب وهو يأكل تمرا وكان أرمد اتأكل التمر وأنت أرمد فقال يارسول الله أنا آكل على الجانب الآخر ومازح النبى صلى الله عليه وسلم أنسا خادمه وكان صبيا اذ ذاك وقال له ياذا الاذنين قال أنس خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى فى شئ فعلته لم فعلته ولا فى شئ تركته لم تركته وكان يمازحنى وربما قال لى ياذا الاذنين وقال انى أمزح ولا أقول الا حقا وأما الاطراء فى المدح كما جرت عادة الناس عند زيارة الرؤساء المحتشمين من أهل الدنيا فحرام قال النبى صلى الله عليه وسلم احثوا التراب فى وجوه المداحين وفى الاطراء بالمدح ست آفات احداها ان المادح قد يقع فى الكذب عند الافراط فى المدح الثانية انه قد يظهر من الحب مالم يكن عنده وذلك نفاق الثالثة انه قد يقول فيه مالا يتحققه فيكون مجازفا الرابعة انه يفرح الممدوح وربما كان ظالما فيعصى بادخاله السرور على قلب الظالم الخامسة انه بمدحه له يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان الثالثة أن يغره بمدحه فيفتر عن العمل ويرضى بنفسه وعلمها بما هو فيه وعلاج ذلك أن ينظر الممدوح الى عيوب نفسه ويتذكر مايعرفه من قبائحها فلا يؤثر فيه عند المدح شيأ

من

من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم العشرة وغيرهم جودهم اليقين من الدنيا فادخلهم العلم في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير واتسعوا بالعلم على حقيقة اليقين ولذلك كان الخواص رحمه الله تعالى يقول دخول الخصوص في الاسباب لغيرهم ردت عليهم أحوال الغير وجعلوا رازقين لهم فتصرفوا فيها لاجلهم وهم بريئون من التعلق بها وقد كان أبو جعفر الحداد شيخ الجنيد أحد المتوكلين وقال أخفيت التوكل عشرين سنة ولا فارقت السوق أكتسب في كل يوم دينارا وعشرة دراهم أبيت منه دانقا ولا أستريح فيه الى قيراط أدخل به الحمام بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرة أبي جعفر يقول أستحي من الله أن أتكلم في مقامه وهو حاضر وقد شرط النبي صلى الله عليه وسلم للعطاء ترك المسئلة والاستشراف تنزيها للفقراء ووردا لهم الى الله تعالى لان في مسئلة العبد الفقير ذلا ذليلا وحرصا على الدنيا جليلا وفي الاستشراف الى العبيد طمع في غير مطمع ونظر الى غير الله واتيان البيوت من غير أبوابها ومنه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وقال صلى الله عليه وسلم من استغنى أغناه الله ومن استعف أعفه الله ومن فتح على نفسه باب مسئلة فتح الله عليه باب فقر فكان الفقراء الصادقين جعل لهم أخذ العطاء بل ندبوا الى قبوله عوضا لهم من ذلك لما منعوا من الاستشراف والسؤال تنزيها لهم وتفضيلا فمثلهم في ذلك مثل أهل البيت جعل لهم خمس الخمس من الغنائم لما حرمت عليهم الصدقة تفضيلا لهم وتشريفا وقد كان أحمد بن حنبل رحمه الله أمر أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيأ فيه فضل عما كان استأجره عليه فرده فلما ولى قال له أحمد الحقه فادفعه فانه يأخذه قال فلحقه المروزي فدفعه اليه فأخذ فسأل أحمد عن ذلك كيف رد في الاول وأخذ في الثاني فقال انه كان قد استشرف لذلك فرده وقد أحسن فلما انصرف أيست نفسه منه فلذلك قبل وقد كان الخواص اذا نظر الى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس له لم يقبل منه شيأ وكان يقول صوفي لا يكون بحريف وهذا كله يحسن في حال المنفرد فاما ذو العيال فالامر عليه واسع من ذلك ولا بأس أن يأخذ لعياله كما يأخذ لاجل غيره من الناس لان عياله عيال الله عنده قد وكله بهم وأجرى أرزاقهم على يده فان طلب لهم وحث على استخراج حقهم مما أوجب الله لهم لم ينقص ذلك من حاله وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سعد بن الربيع وبين عبد الرحمن بن عوف فقال له سعد أشاطرك مالي وأهلي فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فعمل يومه ذلك فراح بشيء من سمن واقط فلو كان التكسب في الاسواق ينقص التوكل لم يختر عبد الرحمن وهو امام الائمة ما ينقص توكله ولكنه أحب ادخال المشقة على نفسه وكره التنعم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ اياك والتنعم فان عباد الله ليسوا بالمتنعمين وروى فضالة بن عبيد أشعث أغبر حافيا وهو أمير مصر فقيل له لم أنت هكذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهانا عن الارفاه وأمرنا أن نحتفي أحيانا ثم اختار عبد الرحمن أيضا ايثار أخيه بما أمره به ورعاية لحق اخوته ولان الله تعالى قد ندب الى الايثار ووصف به الاحباب وأعلى من عبد الرحمن مقاما امام الائمة أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أخذ الاثواب تحت حضنه ودخل السوق ينادي هذا في أتم أحواله حين أهل للخلافة وأقيم مقام النبوة حتى اجتمع المسلمون فكرهوا له ذلك فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين لا وكس ولا شطط فلما رضوا جميعا بذلك وأنفقوا عليه ترك السوق لشغله بهم وبامورهم ألا تراه كيف آثر القيام بحقه وما أوجب الله عليه لاهله وتواضع لله في حال رفعته وأسقط الخلق عن عينه حتى كره المسلمون ذلك فتركه بحكم ثان فكذلك التوكل لا يزال مع الحكم الاول حتى ينهج الله طريقا آخر فيسلكه بطريق ثان وقد كان بعض علماء السلف يجمع اليه الناس للكلام عليهم فكان يقول لو اعلم ان أهلي يحتاجون الى باقة بقل ما تكلمت عليكم ففي هذا بيان وبرهان لمن لم تستهوه الاهواء في انكار التكسب على أهل التوكل احتجاجا لنفسه واعتذارا من بطالته

وحينئذ ليس الخبر كالمعاينة وصاحب الدار أدرى بالذي فيها وأمارة تزكية النفس بكثرة الدعاوى والعلم والديانة فهو حرام قال الله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ومادح نفسه ان كان كما قال عن نفسه لم يسلم عن الرياء والعجب وان لم يك كذلك فهو كاذب قال النبي صلى الله عليه وسلم المتشبع بما لم يعطه كلابس ثوبي زور وأما الشتم واللعن والنبذ والدعاء على الناس فهو حرام قال النبي صلى الله عليه وسلم سباب المؤمن فسوق وقال صلى الله عليه وسلم المؤمن لا يكون لعانا وقال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب والاخبار في هذا كثيرة وأما الاستهزاء والسخرية بالناس فحرام قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم الآية ومعنى السخرية الاستحقار والاستهانة والتنبيه على العيوب على وجه يضحك منه وذلك يكون بالقول والفعل كالمحاكاة وبالاشارة وبالغمز والرمز

(فصل في النظر الى محارم الله تعالى) يجب عليك أن تحفظ عينك عن ثلاثة أشياء أحدها عن أن تنظر بها الى مسلم بعين الازدراء والاحتقار الثاني أن لا تطلع بها الى عيب مسلم الثالث تحفظها عن النظر الى صورة مليحة من امرأة أجنبية أو أمرد بشهوة فانها لم تخلق لذلك بل خلقت لرؤية المنزهات المباحة ولتهتدوا بها في الظلمات وتستعينوا بها في الحاجات وتنظروا بها الى

ولا اسع العلماء فى الدين الا البيان وكشف حقيقة العلم بالبرهان فالتكسب والاسباب طرق أودعها الله العطاء والارزاق لاهى تعطى وترزق بمنزلة الاواسط من الاشخاص فالمتوكل المتسبب موقن ان الله سبحانه هو المعطى والمانع وانه هو المسبب الرازق وانه هو الاول فى التصريف والآخر فى التقليب فقلبه ناظر الى القسام ونفسه ساكنة الى القسم وقلبه قانع راض بالمقسوم وجسمه متحرك فى المعلوم الذى وجه فيه وسبب له وهو عارف بمقامه وبالمراد منه راض بحاله وما قدا استعمل فيه والزم اياه والذى ينقص المتوكل ويخرجه من حد التوكل اكتساب الشبهات للاستكثار أو السعى بالتكسب للجمع والافتخار أو الحرص على طلب ماحظره العلم عليه أو لطلب مايكره المنال منه أو التسخط للاقدار واذا لم تؤاته على ماقدر أو ترك النصح لمن عامله بان يحتال عليه أو يدبر أو التشرف الى الخلق أو الطمع فى سبب فهذا كله لايصح معه التوكل وقد قال بعض العلماء ان العبد اذا دخل السوق للتكسب فكان درهمه أحب اليه من درهم غيره لم ينصح للمسلمين فى المبايعة وهذا عنده يخرجه من التوكل ودخول الآفات ومساكنتها القصور علم أو غلبة هوى يخرج العبد من التوكل وهو أن يكون متوكلا على الناس بأن يطمع فيهم أو يتصدى لهم بالتعرض والتصنع أو يكون متوكلا على صحة جسمه ودوام عوافيه وانه لا يرزق الا من كده أو يكون متوكلا على ماله بأن يثق به ويطمئن اليه ويحسب انه ان افتقر انقطع رزقه وعلامة ذلك ضنته به واعداده له عدة لكذا وعدة لكذا فهذه المعانى تخرج من التوكل فقد تخفى دقائقها وتدق حقائقها الا على جهابذة العلماء الراسخين فى العلم المتضلعين باليقين القائمين على الدوام بالشهادة فمن نظر الى هذه المعانى من الاسباب والاشخاص أو سكن اليها سكون انس فيقوى قلبه بوجودها فانه يضطرب ويستوحش أو يضعف قلبه لفقدها فهى علة فى توكله وروينا عن بشر بن الحرث قال ان العبد ليقرأ اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت ماباى تعبد ولابى تستعين لو كنت تعبد اياى لم تؤثر هواك على رضاى ولو كنت بى تستعين لم تسكن الى حولك ولاقوتك ولا الى مالك ونفسك وان التارك للتكسب والتصرف فى الاسواق اذا كان فى أدنى كفاية وأعين بالصبر والقناعة فى مثل زماننا هذا أفضل وأتم حالا من المتكسب اذا خاف أن لاينال المعيشة الا بمعصية الله من دخوله فى شبهة عيانا أو خيانة لاخوانه المسلمين ولانه قد تعذر القيام بشرائط العلم مع مباشرة الاسباب وكثرة دخول الآفات والفساد فى الاكتساب فترك ملابسة أهل الاسواق ومخالطتهم على هذا الوصف المكروه أقرب الى السلامة لبعده من رؤية الاشياء وفقده مباشرتها لان الحكم متعلق بالرؤية ومثل الحرام مثل المنكر اذا لم تره سقط عنك حكمه وليس الخبر كالمعاينة ولا المجاورة كالمباشرة ولا المعاين كالمخبر وذلك كمن زل عن حقيقة الكعبة على البعد الا انه متوجه الى الشطر فصلاته جائزة ولو زل عنها أنملة مع المعاينة لها بطلت صلاته والتكسب ليس بفرض وقد يفترض بأحد معنيين بوجود العيال وعدم كفايتهم من وجه من الوجوه المباحة أو بأن يقطع عدمه عن فرض ويضعف عنه مع فقد مايقام به الفرض مما لابد منه وقد كان بشر بن الحرث ترك التكسب وكان يتكلم فى الحلال ويشدد فيه فقيل له يا أبا نصر فأنت من أين تأكل فقال من حيث تأكلون ولكن ليس من يأكل وهو يبكى مثل من يأكل وهو يضحك وقال مرة ولكن يد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وقد كان للثورى خمسون دينارا يتجر لها ثم أخذها فى آخر أمره ففرقها على اخوانه وترك التكسب ويقال انه فعل ذلك لما مات عياله وليس للعبد أن يحمل حال عياله على حاله الا أن يكون اختيارهم كاختياره وصبرهم على فقرهم ومعرفتهم بفضله كمعرفته فجائز حينئذ أن يسير بهم سيرته ويسقط عنه التكسب لاجلهم لانهم كهو فى الحال مع سقوط المطالبة منهم له بحقوقهم عليه وقد فعل ذلك جماعة من السلف وبعض العارفين يفضلون من لامعلوم له على من له معلوم وهم لا يرون ترك التكسب أفضل لانه معلوم وبعد هؤلاء سكون القلب مع وجود المعلوم علة ولكن اذا سكن قلبه مع غير معلوم واجتمع همه وانقطع طمعه فى حال المعدوم فهذا هو

المقام

أذنك عن سماع كلام المبتدعة فى الدين والعقائد وعن سماع الغيبة والفحش من الكلام وعن سماع الهجر والتغزل بالمردان أو بامرأة مغنية وعن سماع المزامير والاوتار فانك لم تخلق لذلك بل خلقت لتسمع بها كلام الله وكلام رسوله وتتوصل بها الى الاطلاع على معانى القرآن وتدبر ألفاظه وفهم أسراره وحكمه وتسمع بها المواعظ من كلام الله وكلام رسوله والزجر والوعيد والامثال والترغيب والترهيب والتهذيب فاذا أصغيت بها الى شئ من المكاره فقد استعملتها فى غير ماينبغى لها وخبت وخسرت وكان فقدها لك خيرا من وجودها

(فصل فى صيانة اليدين والرجلين عن المحرمات) يجب عليك أن تحفظ يديك عن البطش بغير حق أو تشير بهما الى غيبة مسلم أو انتقاصه والتهزؤ به أو تكتب بهما مالايجوز وعن البطش باليد وبالجملة فصنهما عما يصان به اللسان من الكلام فان الكتابة كلام اليد كما ان الالفاظ كلام اللسان وأما الرجلان فصنهما عن أن تمشى بهما الى حرام أو تسعى بهما الى باب ظالم من غير ضرورة فقد خلقا لتمشى بهما فى ضرورات معيشتك وتسعى بهما الى المساجد ومواضع الذكر والعبادة فاسمع ذلك واعمل به ترشد

المقام وتفصيل هذا في التوسط من المقال عندي والله أعلم ان العبد لا يفضل بنفس عدم المعلوم كما لا يفضل بنفس القعود عن المكاسب وانما يفضل بحاله من مقامه فاذا كان ذو المعلوم أحسن معرفة وأقوى يقينا فضل على من لا معلوم له ولا يكون سكون القلب وطمأنينة النفس أيضا مع وجود المعلوم علة في الحال على قدر المقام ولكن لا يكون مقاما يرفع به ولا حالا يفضل فيه الا أن الطمع في الخلق وتشتت القلب مع وجود معلوم الكفاية نقصان عند الكل وعندي وقطع الطمع في الخلق واجتماع القلب مع العدم أفضل وأعلى درجة عند الجماعة وفي حديث حبة وسواء ابني خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهما لا تيأسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان ابن آدم تلده أمه أحمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله بعد وقال صلى الله عليه وسلم للرجل الذي ناوله التمرة لو لم تأتها لاتتك ويقال ان العبد لو هرب من رزقه لادركه كما لو هرب من الموت لادركه الموت وان الرزق لا ينقطع عن العبد حتى يظهر له ملك الموت فحينئذ ينقطع عنه رزق الدنيا ويدخل في رزق الآخرة فيكون أول رزق الآخرة آخر رزق الدنيا ولا آخر لهذا الرزق وقال سهل بن عبد الله الدستوائي لو أن العبد سأل الله أن لا يرزقه لم يستجب له ولقال له يا جاهل أنا خلقتك ولا بد من أن أرزقك أبدا وقال وقد سئل عن القوت فقال هو الحي الذي لا يموت فقيل انما سألناك عن القوام فقال القوام هو العلم قيل سألناك عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سألناك عن طعمة الجسد فقال مالك وللجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخرا اذا دخل عليه علة فرده الى صانعه أما رأيت الصنعة اذا عابت ردوها الى صانعها حتى يصلحها وقال الخواص وقد روينا عن سهل ان الله تعالى يلقي على الخصوص الفاقة ويحوجهم الى الخلق بالطمع فيهم ويلقي في قلوب الخلق المنع لهم فيحرمهم ما في أيديهم ليردهم اليه فاذا رجعوا اليه آيسين منقادين رزقهم من حيث لا يحتسبون ومن علامة الخصوص انهم اذا استشرفوا الى شيء حرموا ذلك الشيء واذا سكنوا الى عبد سلط عليهم ليرفع سكونهم اليه وقد كان بعضهم اذا جاءه السبب بعد تطلع اليه رده ومنهم من كان يخرجه ولا يتناول منه عقوبة لنفسه وكان ذو النون المصري يتكلم على اخوانه في علم التوحيد والمعرفة فسأله غلام شاب عن الخبز من أين هو فقال خذوا بيده واذهبوا به الى الصوفية حتى يعلموه الادب وقد حكى عن معروف أبي محفوظ الكرخي انه ذكر له انقباض بشر عن الاسباب التي تفتح له فقال ان أخي بشرا قبضه الورع وأنا نشطتني المعرفة الا أن معروفا كان لا يأخذ السبب الا عند الحاجة ويأخذ منه ما لا بد له منه وكان لا يدخر وكان قصير الامل لم يكن يأمل البقاء من وقت صلاة الى صلاة أخرى كان اذا صلى الظهر يقول للجيران اطلبوا لكم من يصلي صلاة العصر وكان يقول انما أنا ضيف في دار مولاي ان أطعمني أكلت متى أطعمني وان أجاعني صبرت حتى يطعمني وقد كان أبو محمد سهل يقول المتوكل لا يسأل ولا يرد ولا يحتكر

(ذكر الادخار مع التوكل) ولا يضر الادخار مع صحة التوكل اذا كان مدخر الله وفيه وكان ماله موقوفا على رضا مولاه لا مدخرا لحظوظ نفسه وهواه فهو حينئذ مدخر لحقوق الله التي أوجبها عليه فاذا رآها بذل ماله فيها والقيام بحقوق الله لا ينقص مقامات العبد بل يزيدها علوا وحدثونا عن بعض أصحاب بشر بن الحرث قال كنت عنده ضحوة من النهار فدخل عليه كهل أسمر خفيف العارضين فقام اليه بشر قال وما رأيته قام لاحد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم فقال اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب قال وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته بين يديه فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل فجمعه في ثوبه فجعله تحت يده وانصرف قال فعجبت من فعله ذلك وكرهته له اذ لم يأمره بشر بذلك ولا هو استأذنه فيه فقال لي بشر بعد ذلك لعلك أنكرت فعله ذلك قلت نعم أخذ بقية الطعام من غير اذن فقال تعرفه قلت لا قال ذلك أخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما أراد أن يعلمنا أن التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار وترك الادخار انما هو حال من مقامه قصر الامل وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء فان كان أمله للحياة لطاعة مولاه وخدمته والجهاد في سبيل الله فضل ذلك

(فصل) بقي في مذموم أعمال الجوارح الزنا ومقدماته والسرقة وشرب الخمر وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وقتل النفس بغير حق والغضب وكل هذه قبائح عظيمة الذنب كبيرة الاثم فاجتنبها كل الاجتناب تأمن من سطوة منزل العذاب يوم العرض والحساب فهذا ما يحرم ويكره من أفعال الجوارح الظاهرة أما ما يحرم ويكره من أفعال القلب فالجهل والغفلة وغرور الدنيا والنفس والشيطان وعداوته والشهوة والهوى واللهو والانتصار للنفس والقيام مع حظوظها وسوء الظن والتجسس والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس والحسد والغضب والغيظ والعداوة والبغضاء واتخاذ اخوان العلانية على معاداتهم في السر والغل والحقد والامن من مكر الله وعذابه والاشر والبطر والرغبة في الدنيا وخوف الفقر والشره والطمع وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والفخر والخيلاء ومحبة الرياسة والجاه والرياء والمداهنة والغش والمكر والخيانة والطيش وقلة الحياء وزوال الحزن من القلب والفرح بالدنيا والقوة وقلة الرحمة وقلة الشفقة على خلق الله والكبر والعجب ومحبة الثناء والمدح فهذه وأمثالها من أعمال القلب وصفاته المذمومة مغارس الفواحش ومنابت الاعمال السيئة فلنذكر منها ما تيسر ذكره . *(باب الجهل والغفلة وغرور الدنيا والنفس والشيطان وعداوتهم)*

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان جائعان في غنم تفرقت احداهما في أولها والاخرى في آخرها بأسرع منه فسادا من امرئ في دينه يبتغي شرف الدنيا ومالها قال العلماء أرباب المعارف والبصائر الغرور هو نوع من الجهل وهو أن تعتقد الشيء وتراه على خلاف ما هو به فالغرور سكون النفس الى ما يوافق الهوى وتميل اليه الطبائع عن شبهة وخدعة من الشيطان ومن اعتقد انه على خير وصلاح عن شبهة فهو مغرور وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه فأكثر الناس اذا مغرورون وان اختلفت أصناف غرورهم وأشدهم غرورا الكفار آثروا العاجلة على الآجلة وقالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والآخرة نسيئة فاذا هي خير وقالوا لذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة الآية وصدورهما من الكفار لعدم ايمانهم بالبعث والثواب والعقاب وأما المبتدعة والفساق وأهل المعاصي فهم أصناف صنف اغتر باعتقاده والارجاء وهم طائفة المرجئة غرتهم الشبه في الارجاء وصنف منهم غره التسويف والامل

وهذا طريق طائفة من الراجين والمستأنسين وان كان أمله للحياة لاجل متعة نفسه وأخذ حظوظها من دنياه نقص ذلك من زهده في الدنيا فسرى النقص الى توكله وما نقص من الزهد نقص من التوكل بحسابه وليس ما زاد في الزهد يزيد في التوكل بحسابه لان الزهد من شرط خصوص التوكل وليس التوكل من شرط عموم الزهد فكل متوكل ذي مقام زاهد لا محالة وليس كل زاهد في مقام متوكلا لان التوكل مقام والزهد حال والمقامات للمقربين والاحوال في أصحاب اليمين الا ان من أعطى حقيقة الزهد فانه يعطى التوكل لا محالة لان حقائق الاحوال وثبوتها ودوام استقامة أهلها فيها ولزومها القلوب هي مقامات فاذا جاز للمتوكل تأميل البقاء لشهر أو شهرين جاز له الادخار لذلك الا ان طول الامل يخرج من حقيقة التوكل عند الخواص ولا يخرجه من حده عندي وأكره للمتوكل الادخار لاكثر من أربعين يوما كما يكره تأميل البقاء لاكثر من أربعين ومن ادخر لاصلاح قلبه وتسكين نفسه وقطع تشرفه الى الناس أن كان مقامه السكون مع المعلوم فالادخار له أفضل فأما من ادخر لعياله لتسكن قلوبهم ولوجود رضاهم عن الله ولسقوط حكمهم عنه ليتفرغ لعبادة ربه فهو فاضل في ادخاره اتفقوا عليه ولانه في ذلك قائم بحكم ربه راع لرعيته التي هو مسؤول عنها وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ليسن ذلك وقد نهى أم أيمن وغيرها أن تدخر شيأ لغد ونهى بلالا أيضا عن الادخار ليقتدي به أهل المقامات في ذلك كما روي انه قبض صلى الله عليه وسلم وله بردان في الحف ينسجان وقد كان عليه السلام أقصر املا من ذلك كان يبول فيتيمم قبل أن يصل الى الماء فيقال له في ذلك ان الماء منك قريب فقال وما يدريني لعلي لا أبلغه ولكن فعله لئلا يهلك من طال أمله من أمته فجعل فعله نجاة له فهذا يدلك أن الادخار يتسع ويضيق على قدر مشاهدات العارفين من قبل أن الشريعة جاءت بالرخصة والعزيمة فالعزائم من الدين للاقوياء الحاملين والرخص من الدنيا للضعفاء المحمولين وقد كان الخواص يدقق في أحوال التوكل ويذكر أن الادخار يخرج من حد التوكل ولم يكن يفارقه أربعة أشياء وكان يقول ادخارها من تمام حال المتوكل لانها من أمور الدين الركوة والحبل والابرة والخيوط والمقراض وكان سهل يضرب للمدخر مثلا في قصر الامل وطوله فيقول مثل من يترك الادخار مثل رجل يقول أريد أن أخرج الى الايلة فيقال له خذ رغيفا فان قال أريد أن أخرج الى عبادان قيل له خذ رغيفين فان قال أريد أن أخرج الى العسكر قيل له خذ أربعة أرغفة قال فكذلك ترك الادخار على قدر قصر الامل وطوله وأعجب ما سمعت في انقطاع الامل ما حكي أن موسى والخضر اجتمعا فشكا موسى الى الخضر الجوع فقال اقعد فقعد فتكلم الخضر بشيء فأقبل ظبي يمخض حتى وقف بينهما فوقع نصفين نصفه الى الخضر مشويا ونصفه الى موسى نيأ فقال له الخضر قم فاقدح نارا واشو نصيبك وأخذ الخضر يأكل ففعل ذلك موسى ثم سأله لم وقع نصفه اليك مشويا فقال انه لم يبق لي في الدنيا أمل وعلى ذلك فان الادخار ينقص من فضائل الزاهد بمقدار ما يمنع من حقيقة الزهد وفي حديث شهر بن حوشب عن أبي أمامة في ذكر الفقير الذي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا وأسامة فغسلاه وكفنه ببردته فلما دفنه قال لاصحابه انه يبعث يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبعث ووجهه كالشمس الضاحية فقلنا وما هي يا رسول الله قال انه كان صواما قواما كثير الذكر لله غير انه كان اذا جاءه الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه واذا جاءه الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه من قابل ثم قال من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار وحدثونا عن بعض العارفين قال رأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وكان الناس يساقون زمرة زمرة الى الجنة على طبقات قال فنظرت الى طبقة أحسن الناس هيئة وأعلاهم مرتقى وأسرعهم سبقا فقلت هذه أفضلهم أكون فيهم قال فذهبت لاخطو اليهم وأدخل معهم في طريقهم فاذا بملائكة حولهم قد منعوني وقالوا قف مكانك حتى يجيء أصحابك فتدخل معهم فقلت تمنعوني أن أكون مع هؤلاء السابقين فقالوا هذا طريق لا يسلكه الا من لم يكن له الا قميص واحد ومن كل شيء واحد وأنت لك

قميصان ومن الاشياء وجان قال فانتهت بما كلما خرينا فعلت على نفسي أن لا أملك من كل شيء الا واحدا وقد كان حذيفة المرعشي يقول منذ أربعين سنة لم أملك الا قميصا واحدا وكان كثير من السلف اذا استجد ثوبا أو شيأ أخرج الاول منهما وكانوا يستعملون الشيء الواحد من الاشياء الكثيرة وهذا كله داخل في التحقق بالزهد وهو من فضائل المتوكلين والخبر المشهور أن رجلا من أهل الصفة توفي فما وجد واله كفنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فتشوا ثوبه قال فوجدنا داخل ازاره دينارين فقال كيتان وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف عدة فلا يقول له ذلك لان هذا كان حاله الزهد واظهار الفقر فعابه الادخار *(ذكر التداوي وتركه للمتوكل)* وتفصيل ذلك ولا ينقص التداوي أيضا توكل العبد لان النبي صلى الله عليه وسلم أمر به وأخبر عن حكمة الله تعالى فيه فقال صلى الله عليه وسلم ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت وقال عليه الصلاة والسلام تداووا عباد الله وسئل عن الدواء والرقى هل يرد من قدر فقال هي من قدر الله وفي الخبر المشهور ما مررت بملأ من الملائكة الا قالوا مر أمتك بالحجامة وفي الحديث انه أمر بها فقال احتجموا السبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم وفي ذكر تبيغ الدم دليل على توقيت هذا العدد من الايام للحجامة الا انه أريد به هذه الايام من الشهر واحسبه لاهل الحجاز خاصة لشدة حر البلد كقول عمر رضي الله عنه في الماء المشمس انه يورث البرص سمعت أن ذلك في أرض الحجاز خاصة وكان من سيرة السلف أن يحتجموا في كل شهر مرة الى أن يجاوز الرجل الاربعين وكانوا يستحبون الحجامة في آخر الشهر وقد يروى في خبر منقطع من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دواء من داء سنة وقد روينا من طريق أهل البيت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب دواء كل سنة والتداوي رخصة وسعة وتركه ضيق وعزيمة والله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه وقد قال الله سبحانه وتعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج أي ضيق وربما كان المتداوي فاضلا في ذلك لمعنيين أحدهما أن ينوي اتباع السنة والاخذ برخصة الله وقبول ما جاءت به الحنيفية السمحة وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غير واحد من الصحابة بالتداوي والحمية وقطع لبعضهم عرقا وكوى آخر وقال لعلي رضي الله عنه وكان رمد العين لا تأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك يعني سلقا قد طبخ بدقيق أو شعير وقد تداوى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث من العقرب وغيرها وروي انه كان اذا نزل عليه الوحي صدع رأسه فكان يغلفه بالحناء وفي الخبر انه كان اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء وهو أعلى المتوكلين وأقوى الاقوياء فان قيل انما تداوى لغيره وليس ذلك قلنا فلا رغب عن سنته ولا نزهد في بغيته اذا كان فعل ذلك لنا لئلا يكون فعلا لغوا وتكون الرغبة عن سنته الى توهم حقيقة التوكل طعنا في الشرع وقد كان صلى الله عليه وسلم ظاهره للخلق ليقتفوا آثاره من ذلك انه صام في السفر في شدة الحر فكان يصب على رأسه الماء ويستظل بالشجر ليسن بذلك الرخصة في التبرد بالماء للصائم فقيل له ان قوما صاموا وقد شق عليهم فدعا بقدح فيه ماء فشرب فأفطر الناس فترك حاله صلى الله عليه وسلم لاجلهم فقيل له ان قوما لم يفطروا فقال أولئك العصاة والمعنى الثاني الذي يفضل به المتداوي انه يحب سرعة البرء للطاعة وخدمة مولاه والسعي في أوامره اذ كانت العلل قاطعة عن التصرف في العمل ومشغلة للنفس عن الشغل بالآخرة وذكر بعض علمائنا ان موسى عليه السلام اعتل علة فدخل عليه بنو اسرائيل فعرفوا علته فقالوا لو تداويت بكذا لبرأت فقال لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء قال فطالت علته فقالوا له ان دواء هذه العلة معروف مجرب وانا نتداوى به فنبرأ فقال لا أتداوى فدامت علته فاوحى الله عز وجل اليه وعزتي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك فقال لهم داووني بما ذكرتم فداووه فبرأ فأوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه أردت ان تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الاشياء وفي بعض الاخبار شكا نبي من الانبياء الى الله علة يجدها فأوحى

والطمع في العفو وصنف غره الستر فاسترسل في المعاصي ومنهم من غره العلم فتعلموا العلوم (٢١) وأحكموها وأهملوا تعهد الجوارح وحفظها عن المعاصي واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وانهم قد بلغوا مبلغا لا يعذب مثلهم بل يقبل بالخلق شفاعتهم وهم مغترون بذلك ومنهم من غره التذكير والوعظ ومنهم من غره التكلم في أحوال النفس وآفاتها وخواطر القلب والتكلم على المقامات والمنازل والاحوال وهم قوم عوام الصوفية وقال السيد الامام ولي الله أبو عبد الله الحرث المحاسبي الغرة هي اعتماد القلب على ما لا ينبغي ان يعتمد عليه كاعتماد العالم على علمه والحكيم على حكمته والراضي على زهده والعابد على عبادته والعارف على معرفته والعصاة على امهال الله تعالى اياهم والاغنياء على غناهم وهذا شرك فان الاعتماد ليس الا على وجه الله تعالى اذ لا ينجي أحدا عمله الا ان يتغمده الله برحمته والمعتزلة مغترون لانهم رأوا لانفسهم أعمالا اعتقدوا وجوب النجاة والفوز بها واعلم ان الغرور قد يلتبس على العامة بالرجاء فيجترئون على الفعل القبيح اغترارا بسعة رحمة الله تعالى وكثرة النعمة وجهلهم بالفرق بين الرجاء والغرور فان الرجاء انما يتحقق عند وجود أسباب الفلاح وطرق النجاح فيأتي بالطاعات ويرجو قبولها والثواب عليها والغرور يكون عند عدم أسباب

الله اليـه كل البيض وفى خبر آخر ان نبيا من الانبياء شكا الى الله تعالى الضعف فأوحى الله اليه كل اللحم باللبن فان فيهما القوة قال الشيخ أحسبه الضعف عن الجماع وذكر وهب بن منبه ان ملكا من الملوك اعتل علة وكان حسن السيرة فى أهل مملكته فاوحى الله تعالى الى شعياء النبى صلى الله عليه وسلم قل له اشرب ماء التين فانه شفاء من علتك وقد روينا أعجب من ذلك ان قوما شكوا الى نبيهم قبح أولادهم فاوحى الله تعالى اليه مرهم ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد فقد كانوا يطعمون الحبالى السفرجل والنفساء الرطب وهذا والله أعلم يكون فى الشهر الثالث والرابع من حملها وعلى ذلك كله فان ترك التداوى أفضل للاقوياء وهو من عزائم الدين وطريقة أولى العزم من الصديقين لان فى الدين طريقين طريق تبتل وعزيمة وطريق توسع ورخصة فمن قوى سلك الطريق الاشد فهو أقرب وأعلى وهذه المقربين وهم السابقون ومن ضعف سلك الطريق الارفه وهو الاوسط الا انه أبعد وهو لاصحاب اليمين وهم المقتصدون وفى المؤمنين أقوياء وضعفاء ولينون وأشداء وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى أحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير وروى عنه صلى الله عليه وسلم فى المؤمنين من هو أشد فى الله عز وجل من الحجارة وفيهم من هو الين من اللبن وقال فى وصف الاقوياء مثل المؤمن كمثل النخلة لا يسقط ورقها وقال الله تعالى فى معنى ذلك أصلها ثابت وفرعها فى السماء وقال صلى الله عليه وسلم مثل المؤمن كمثل السنبلة تفيئها الرياح يمينا وشمالا وقال عليه السلام فى صفة المؤمن المطعم مثل المؤمن كمثل النخلة أكلت طيبا ووضعت طيبا وقال فى وصف المستطعم مثل المؤمن كمثل النملة تجمع فى صيفها لشتائها فأوصاف المؤمنين متفاوتة فى الضعف والقوة وفى الجبن والشجاعة وفى الصبر والجزع فشتان بين من شبه فى القوة والعلو بالنخلة قلبه ثابت وهمه فى السماء يطعم جناه ولا يدخر الى من شبه بالنملة فى الضعف والذى يستطعم ويحتكر وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ومدحهم انهم لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وذكر انهم يدخلون الجنة بغير حساب فعلل بالتوكل وأخبر انهم تركوا ذلك توكلا ثم سأله عكاشة ان يدعو الله ان يجعله منهم ففعل لانه رأى ذلك طريقه ورأى معه زاده وشهد فيه القوة فاهله لذلك فلما قال له الآخر ادع الله ان يجعلنى منهم والمقامات لا يقتدى بها ولا يتمثل فيها كالادعى لانها مواجيد قلوب باتحاد قريب ومشاهدات غيوب باشهاد حبيب فلما لم ير ذلك طريقه ولم يشهد معه زاده لم يؤهله لذلك فاوقفه على حده وحكم عليه بضعفه فرده ردا جميلا لانه كان حبيبا كريما فقال سبقك بها عكاشة فهذا كما يقول الحاكم الحكيم اذا ضعف أحد الشاهدين زدنى شاهدا آخر ولا يصرح بجرح الشاهد ولو عدله لقبله ولم يطالب الزيادة والا فالمقامات لا تضيق لمن سبق اليها والرسول غير بخيل مع قوله تعالى شاهدا له وما هو على الغيب بضنين ولكن لم ير فيه شاهد ذلك من القوة وتبين فيه الضعف عن الحمل فلم يخاطر به وقد نهى عن الكى فى غير حديث وقال لرجل أراد ان يداوى أخاه الا انه مات من علته فقال أما لو رأيته لقلت رأيته لعله علم حسن فى بعض النفوس ان الشفاء والنفع من فعل الدواء وذلك من الشرك فكره المحققون بالتوحيد التداوى خشية دخول ذلك عليهم وروى عن موسى عليه السلام يارب ممن الدواء والشفاء قال منى قال فما يصنع الاطباء قال يأكلون أرزاقهم ويطيبون نفوس عبادى حتى يأتى شفائى أو قبضى وقد كان ابن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوى من الاشربة وغيرها واعتل عمران بن حصين فأشاروا عليه بان يكتوى فامتنع فلم يزالوا به وعزم عليه زياد بذلك وكان أميرا حتى اكتوى فكان يقول كنت أرى نورا واسمع صوتا واسمع تسليم الملائكة على فلما اكتويت انقطع ذلك عنى وفى خبر كانت الملائكة تزوره فيأنس بها حتى اكتوى فكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما أفلحنا ولا أنجعنا ثم تاب من ذلك وأناب الى الله تعالى فرد الله عليه ما كان يجد من أمر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله ألم تر ان الكرامة التى

النجاح والفلاح ومدار الغرور كله على الجهل قال أصحاب المعارف والاخلاص يحجب الله تعالى الخلق فى الدنيا بثلاث حجب حجاب الشك والفكرة فى طلب الاعداء للاهانة وحجاب الغفلة والشبهة فى قلوب العوام للمحنة وحجاب الحس لزيادة الهيبة فيزول الاول فى الدنيا والثانى فى الدنيا عند الموت والثالث انما يزول فى الآخرة ولماسد باب الرؤية على الخلق فى الدنيا فتح عليهم فيها أبواب الادلة فمن عمى عن أبواب الادلة دخل فى أبواب الشبهة وكان من المغرورين

(فصل) والنفس الامارة هى شر أعداء الانسان ولهذا سعت فى غروره وهى اشد عداوة من الشيطان قال الله تعالى حكاية عن ابليس ما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلومونى ولوموا أنفسكم وقال النبى صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ولان الشيطان عدو مباين للانسان بخلاف الدنيا والنفس فانهما عدوان من داخل فعداوتهما أشد فان قيل الشيطان أيضا عداوته من داخل لانه يجرى من ابن آدم مجرى الدم قلنا النفس تصل الى أماكن من القلب لا يصل اليها الشيطان ولا تخرج الا بالموت والشيطان انما يدخل البدن احيانا دليل رابع هو ان النفس مباشرة للمعاصى والشيطان والدنيا متسببان وفى فتاوى العلماء بالاحكام تقديم المباشرة على السبب

كان أكرمني الله بها قدردها على بعد ان كان أخبره بفقدها فلولا ان ذلك كان عنده ذنباله لما ندم عليه وتاب منه ولولا ان ذلك كان نقصا ما صرفت الملائكة عنه ومرض أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقيل له لو دعونا لك طبيبا فقال قد نظر الى الطبيب فقال انى فعال لما أريد وقيل لابى الدرداء فى مرضه ما تشتكى قال ذنوبى قيل فما تشتهى قال مغفرة ربى قيل أفلا ندعو لك طبيبا قال الطبيب أمرضنى وقيل لابى ذر وقد رمدت عيناه لو داويتهما قال انى عنهما لمشغول قيل فلو سألت الله ان يعافيك فقال أسأله فيما هو أهم الى منهما وقيل لابى محمد متى يصح لعبد التوكل قال اذا دخل عليه الضر فى جسمه والنقص فى ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله والنظر الى قيام الله عليه وقد كان أصاب الربيع بن خيثم الفالج فقيل له لو تداويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع وكانت فيهم الاطباء فهلك المداوى والمداوى ولم تغن الرقى شيأ وقد أصاب عبد الواحد بن زيد الفالج فعطل عن القيام فسأل الله أن يطلقه فى أوقات الصلاة ثم يرده الى حاله بعد ذلك فكان اذا جاء وقت الصلاة فكأنما أنشط من عقال فاذا قضى الصلاة رجع اليه الفالج كما كان قبل ذلك ومن لم يتداو من الصديقين والسلف الصالح أكثر من ان يحصى الا انه مخصوص لمخصوصين الم تر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ذكر السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ثم وصفهم بانهم لا يكتوون ولا يسترقون فقام اليه عكاشة بن محصن الاسدى فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فدعا له فقام رجل آخر فقال ادع الله ان يجعلنى منهم فقال سبقك بها عكاشة فلم يعمم الدعاء بخلاف عليه الا ان طريق الخصوص الاقوياء لا يسلكه العموم الضعفاء كما ان طريق العموم قد زهد فيه الخصوص وأعجب ما سمعت قال بعض العارفين أصفى ما أكون قلبا اذا كنت محموما ومن مواجيد العارفين ما حكى لنا ان موسى والخضر عليهما السلام اجتمعا فى فلاة من الارض فشكا موسى الى الخضر الجوع فقال له الخضر اجلس بنا حتى ندعو فتكلم الخضر بشئ فاقبل ظبى حتى وقع بينهما فصفين نصفه الى الخضر مشويا ونصفه الى موسى نيأ فقال له الخضر قم فاحمل هموما كما حملت همومها فاوقد نارا واشو نصيبك وكل قال فقدح موسى نارا واشعل حطبا وشوى نصيبه فلما فرغ قال للخضر كيف وقع نصفه اليك مشويا قال انه لم يبق لى فى الدنيا أمل وقيل عنه أيضا مرة أخرى انه ليس لى فى هذه الخلق حاجة وقد كان مذهب سهل ان ترك التداوى وان أضعف عن الطاعات وقصر عن الفرائض أفضل من التداوى لاجل الطاعات وكانت به علة فلم يكن يتداوى منها وقد كان يداوى الناس منها وكان اذا رأى العبد يصلى من قعود أولا يستطيع أعمال البر من الامراض فيتداوى للقيام فى الصلاة والنهوض الى الطاعة يعجب من ذلك ويقول صلاته من قعود مع رضاه بحاله أفضل له من التداوى للقوة ويصلى من قيام وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل فى شئ من الدواء فانما هو سعة من الله لاهل الضعف ومن لم يدخل فى شئ منه فهو أفضل لانه ان أخذ شيأ من الدواء ولو كان الماء البارد سئل عنه لم أخذت ومن لم يأخذ فليس عليه سؤال وقال من لم يأخذ الماء البارد فليس عليه سؤال وقال من يأخذ الماء البارد على سبيل الدواء سئل وأصله فى هذا ان عنده من أفضل الاعمال ان يضعف العبد قوته حتى لا يكون لنفسه حراك لاجل الله تعالى وان ذرة من أعمال القلوب مثل التوكل والرضا والصبر أفضل من أعمال جبال من عمل الجوارح وهذا مذهب البصريين فى اسقاط القوة بالتجوع الطويل والطى الكثير لتضعف النفس لان عندهم ان فى قوة النفس قوة الشهوات وغلبة الصفات وفى ذلك وجود المعاصى وكثرة الهوى وطول الرغبة والحرص على الدنيا وحب البقاء يقول اذا أدخل الله عليها الامراض من حيث لا تحتسب فلا يتعالج لرفع الامراض عنها فان المرض من نهاية الضعف ومن أبلغ ما ينقص به الشهوة وقد كان يقول علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة وقال مرة أمراض الجسم للصديقين وقد كان ابن مسعود يقول تجد المؤمن أصح شئ قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصح شئ جسما وأمرضه قلبا وعن رسول الله صلى الله

(فصل) واعلم ان الجهل والغفلة والغرور أسباب الحجب عن الله تعالى وعن رحمته (٢٣) ورضوانه وأكثر الخلق محجوبون عن الوصول الى الله بشهوات الدنيا وهوى النفس وغرورها وأصناف المحجوبين كثيرة فمنهم من حجب بالظلمة العظمى أعنى ظلمة الكفر وهم الملحدة وسائر أصناف الكفرة الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن هؤلاء المشركون الذين مر النبى صلى الله عليه وسلم بقبورهم وقال ان هذه القبور لمملوأة عليهم ظلمة ومنهم من حجب بظلمة الشهوة والهوى قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فهؤلاء اطاعوا شهواتهم وعبدوا أهواءهم فاعرضوا عن طاعة مولاهم وأقبلوا على لذات دنياهم من مأكل ومشرب ومنكح واستبدلوا هذه اللذات الخسيسة عن النعيم الذى هو قرة العين وهؤلاء بمنزلة البهائم بل البهائم أحسن حالا منهم اذ لا عقاب عليها ومنهم من حجب بظلمة الصفات السبعية وهى شهوة الانتقام والاعتداء على الخلق وكسر القلوب وايذاء النفوس فغلبت عليهم محبة القتل والضرب والقهر للخلق وهؤلاء رضوا لانفسهم ان يكونوا بمنزلة السباع ومنهم من حجب بظلمة المال فهم يجتهدون فى جمعه وكثرته وادخاره فيركب الواحد منهم الاخطار فى البرارى والبحار فى تحصيله وجمعه ويشح به على نفسه فضلا عن غيره وهؤلاء هم المرادون بقول النبى صلى الله

عليه وسلم تحبون ان تكونوا كالحمر الصيالة لاتمرضون ولا تسقمون وقد قيل لا يخلو المؤمن من علة فى جسمه أو قلة فى ماله وقيل لا يخلو من علة أو ذلة وللعبد ان لم يتداو أعمال حسنة منها ان ينوى الصبر على بلاء الله تعالى والرضا بقضائه والتسليم لحكمه اذ قد حسن عنده لانه موقن واذ قد عرف الحكمة فى ذلك والخيرة فى العاقبة لانه حكيم ومنها ان مولاه أعلم به منه وأحسن نظرا واختيارا وقد حبسه وقيده بالامراض عن المعاصى كما روى عن الله تعالى الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحب من خلقى فلا يأمن ان تداوى فعوفى ان تقوى النفس فيفسده هواها الان المعاصى فى العوافى وعلة سنة خير من معصية واحدة لقى بعض الناس بعض العارفين فقال له العارف كيف كنت بعدى قال فى عافية فقال ان كنت لم تعص الله فأنت فى عافية وان كنت قد عصيته فاى داء أدوى من المعصية ما عوفى من عصى وقال على رضى الله عنه لما رأى زينة النبط بالعراق يوم عيدهم ماهذا الذى أظهروه قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد لنا وقال الله تعالى وهو أصدق القائلين وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون قيل العوافى والغنى وقال بعضهم انما جعل فرعون ان قال أنا ربكم الاعلى طول العوافى لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو أخذته الشقيقة والمليلة فى كل يوم لشغله ذلك عن دعوى الربوبية واعلم ان الانسان قد يطغى بالعوافى كما يطغى بالمال لانه قد يستغنى بالعافية كما يستغنى بالمال وكل فيه فتنة وقد قال الله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وقال الرسول صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والعصمة فى حال العافية نعمة ثانية كالعصمة فى الغنى نعمة النعمة وهذا أحد الوجوه فى قوله عز وجل أذهبتم طيباتكم فى حياتكم ومنها ان الامراض مكفرة للسيآت فاذا كره الامراض بقيت ذنوبه عليه موفورة وفى الخبر لا تزال الحمى والمليلة بالعبد حتى يمشى على وجه الارض وما عليه خطيئة وفى خبر حمى يوم كفارة سنة وأحسن ما سمعت فى معناه قال لان حمى يوم تهد قوة سنة وقيل فى الانسان ثلثمائة وستون مفصلا يدخل حمى يوم فى جميع المفاصل فيكون له بكل مفصل كفارة يوم ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة الذنوب بالحمى سأل زيد بن ثابت ربه ان لا يزال محموما قال فلم تكن الحمى تفارقه فى كل يوم حتى مات وسأل ذلك طائفة من الانصار وكذلك لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذهب الله كريمتيه لم يرض له ثوابا دون الجنة قال فقد رأيت الانصار يتمنون العمى ولما جاءت الحمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستأذن عليه قال اذهبى الى أهل قباء وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا أى بالامراض من الذنوب وعن عيسى عليه السلام يقول لا يكون عالما من لم يفرح بدخول المصائب على جسده وماله لما يرجو فى ذلك من كفارة خطاياه والصديقون يبتلون بعلل الجوارح والمنافقون يبتلون بامراض القلوب لان فى أمراض الاجسام ضعفها عن الآثام والطغيان وفى أمراض القلوب ضعفها عن أعمال الآخرة والايقان وفى معنى قوله عز وجل وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قيل ظاهرة العوافى وباطنة البلاوى لانها نعم الآخرة وروى ان موسى عليه السلام نظر الى عبد عظيم البلاء فقال يارب ارحمه فأوحى الله عز وجل اليه كيف ارحمه مما به ارحمه وقد قال الله وهو أصدق القائلين فى تصديق هذا المعنى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا فى طغيانهم يعمهون فاخبر ان فى ترك الرحمة لهم لطفا ورحمة وروينا عن عبد الواحد انه خرج فى نفر من اخوانه الى بعض نواحى البصرة فاواهم المسير الى كهف جبل فاذا فيه عبد مقطع بالجذام يسيل جسده قيحا وصديدا لا يطاق به فقالوا يا هذا لو دخلت البصرة فتعالجت من هذا الداء الذى بك فرفع طرفه الى السماء وقال سيدى باى ذنب سلطت هؤلاء على يسخطونى عليك ويكرهون الى قضاءك سيدى أستغفرك من ذلك الذنب لك العتبى انى لا أعود فيه أبدا قال ثم أعرض بوجهه فانصرفنا وتركناه وفى الحديث نحن معاشر الانبياء أشد الناس بلاء ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب

عليه وسلم تعس عبد الدنيا تعس عبد الدرهم تعس عبد القطيفة تعس عبد الخميصة ومنهم من يحجب بظلمة الرياسة والجاه ومن يحجب بظلمة محبة الصور الجميلة ومنهم من يحجب بظلمة الحسد ومنهم من يحجب بظلمة الرياء ومنهم من يحجب بظلمة الكبر ومنهم من يحجب بظلمة العجب الى غير ذلك من الصفات الذميمة التى هى قواطع وحجب وعوائق تعوق عن السلوك الى الله تعالى والوصول الى رضوانه

(باب فى الهوى واللهو والشهوة)

قال الله تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى وقال تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه وقال النبى صلى الله عليه وسلم انما مثلى ومثل الناس كمثل رجل استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التى تقع فى النار تقع فيها فجعل يردهن ويغلبنه ويقتحمن فيها فانا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقتحمونها أى تقتحمونها بفعلكم المعاصى والشهوات وهوى أنفسهم الذى يرديهم فى النار والهوى هو ارادة ما تحب النفس من اللذات والمشتهيات اعلم ان أمراض القلوب أنواع يجمعها كلها الهوى والشهوة واللهو وهذه الامراض بعد مرض الكفر والجهل بالله وبآياته وبحكمته وبما يجب من محبته وطاعته وتصديق أنبيائه ورسوله وملائكته وكتبه هى خوف الفقر

الايمان

الايمان شدد عليه البلاء وان كان في ايمانه ضعف خفف عليه البلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الابريز ومنهم دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترقا وقد روينا حديثا من طريق أهل البيت اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه ومنها ان الملك يكتب له مثل أعماله الصالحة التي كان يعملها في صحته وانه يجري له من الحسنات مثل ما كان يجري له على أعماله فيكتب الملك له أعمالا صالحة خيرا له من أعماله لانه قد يدخلها الفساد واختيار الله له ان يستعمله بالاوجاع خير له من اختياره لنفسه ان يستقل الى الله بالاعمال الصالحة وهذا أحد المعنيين في معنى الخبر أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس قيل هو ما دخل عليها من المصائب في الانفس والاموال فهي تكره ذلك وهو خير لها ومن هذا المعنى قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم فقد يكره العبد الفقر والعيلة والضر والخلة وهو خير له في الآخرة واحمد عاقبة وقد يحب الغنى والعوافي والشهرة وهو شر له عند الله واسوأ عاقبة وفي الخبر أيضا يقول الله تعالى لملائكته اكتبوا لعبدي صالح ما كان يعمل فانه في وثاقي ان أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وان توفيته توفيته الى رحمتي فابدال صفة لحسن اختيار الله له خير له من الدنيا والآخرة ومن شهوته والاصل في التوكل وتركه ان المتوكل على الله قد علم في توكله ان للعلة وقتا اذا انتهت اليه برأ العليل باذن الله لا محالة ولكن الله عز وجل قد يحكم انه ان تداوى شفاه في عشرة أيام وان لم يتداو أبرأه في عشرين يوما ليترخص العليل بما أباحه الله له فيطمع في تعجيل البرء في عشرة أيام ليكون أسرع لشفائه وأقرب الى عاقبته على انه معتقد ان الدواء لا يشفي وان التداوي لا ينفع لعينه لان الله هو الشافي وهو النافع فالشفاء والنفع فعله لعبده وجعله في الدواء من لطائف حكمته لا يجعله سواه ولا يفعله الا اياه اذ كانت العقاقير مطبوعة مجبولة على خلقها لجاعل الاسباب فيها هو جاعلها الا الجعل فيها والخاصية منها ليس من عمل المتطبب وان كان يعمل بها ويجمع بينها وبين العليل لانه ظهر على يديه سببا لرزقه فالله خالق جميع ذلك وفاعله وكذلك قال الله تعالى والله خلقكم وما تعملون وكذلك أيضا عند العارفين ان الخبز لا يشبع وان الماء لا يروي كما ان المال لا يغني والعدم لا يفقر لان الله هو المطعم المسقي وهو المشبع والمروي كما هو المغني المفقر بما شاء كيف شاء وهو جاعل الشبع والري في المطعوم والمشروب وفي النفس بالغنى والفقر لحكمته ورحمته كما ان الله تعالى هو المجيع المظمئ فيدخل الطعام والشراب على الجوع والعطش اللذين جعلهما فيهم مما أدخل عليهما كما يدخل الليل على النهار ويدخل النهار على الليل فيغلب سلطان كل واحد على الآخر فيذهب به فسواء هذا عند الموحدين من وصف الليل والنهار ومن العلل والادوية يتسلط الشئ على ضده فيزيله بقلبه فهذه باذن الله والشرك في هذه الاشياء في العموم أخفى من دبيب النمل على الصفا والموقنون الصحيحو التوحيد من جميع ذلك برآء وعلى هذه المعاني أحد الوجهين في قوله تعالى الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى أي أعطى كل لون وجنس خلقته وطبعه أي صورة الشئ ووصفه للضر والنفع فان تعجل العليل البرء بالتداوي فبرأ كان ذلك بقضاء الله وقدره على وصف السرعة من المعافاة فان كان ناويا في تداويه واستعجاله شفاءه الطاعة لمولاه والقيام بين يديه للخدمة كان مثابا على ذلك فاضلا فيه غير منقوص في مقام توكله وان أراد بذلك صحة جسمه لنفسه والنعيم بالعوافي كان ذلك بابا من أبواب الدنيا ودخولا فيما أبيح له منها وهو يخرجه من فضيلة التوكل وحقيقته بمقدار ما نقصه من الزهد في الحياة والنعيم وان أراد باستعجال العوافي قوة النفس لاجل الهوى وليسعى في مخالفة المولى كان مأزورا لسوء نيته ووجود عزمه وخرج من المباح الى المحظور وذلك يخرجه من حد التوكل وأوله وهذا من مذموم أبواب الدنيا ومقوتها وان كانت نيته في في تعجيل العوافي التصرف في المعايش والتكسب للانفاق والجمع نظرا في شأنه فان كان يسعى في كفاف وعلى عيلة ضعاف وعن حاجة واجحاف لحق هذا بالطبقة الاولى وهذا باب من أبواب الآخرة وهو مأجور

وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والكبر والعجب ومحبة الثناء والمدح والغضب والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والفخر والخيلاء وحب كثرة الكلام وتحسينه والتفاصح والصلف والتزين للخلق والمداهنة والرياء والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية من القلب والفرح بالدنيا وشدة الانتصار للنفس والقيام مع حظوظها وضعف الانتصار للحق والامن من مكر الله تعالى والمكر والخيانة وطول الامل والقوة والطيش وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها هي أمراض القلوب وهي صفات قبيحة وخصال خبيثة مهلكة وكلاب عاقرة وهي نجاسات تحل القلب تمنع من دخول الملائكة فيه قال صلى الله عليه وسلم لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت وهو منزل الملائكة والصفات الرذيلة مثل الحسد والحرص والشره والشر والحقد وغيرهما كلاب نابحة عقارة مؤذية فلا تدخله الملائكة وهو مشحون بهذه الرذائل التي هي كلاب مؤذية

(فصل) واعلم ان القلب لا ينبت الاعمال الصالحة ولا يصير منبعا للحكم الا بعد تنقيته من عيوبه وتطهيره من الصفات الذميمة كالغل والحسد والكبر والعجب والرياء والشهوات الردية التي

هي قاذورات وغير ذلك مما هو منبت الفواحش ومغارس أعمال السوء كان الارض اذا غلب عليها منابت السوء مثل الشوك والعليق والحلفاء لم تصلح للزرع والاشجار الكريمة الا بعد محاولة كثيرة من قلع تلك المؤذيات من الارض وتنقيتها منها فان بذر فيها وهي على هذه الحالة كان الزارع في ذلك مضيعا تعبه وخسر بذره فلا نفع يعود عليه

(فصل) وكل قلب لا تدخله محبة الله فهو مريض وعلامة محبة الله ان لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره فمن عنده شيء أحب من الله اليه فقلبه مريض فهذا يعرف ان أكثر القلوب مريضة الان من الامراض ما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه فان دواءه مخالفة الشهوات وهو ذبح النفس وان وجد من نفسه قوة الصبر لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه فان الاطباء هم العلماء وقد استولى المرض على قلوبهم والطبيب المريض قل ما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الداء عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وأنكر بالكلية طب القلوب وأنكر

عليه، ولا يخرجه من التوكل وان كان يسعى في تكاثر وتفاخر ولا يبالي من أين كسب وفيما أنفق لحق هذا في الطبقة الثالثة من العاصين وهذا من أكبر الدنيا المبعدة عن الله عز وجل فهذه نيات الناس في التداوي المحمودة والمذمومة فان لم يتداو المتوكل تسليما للوكيل وسكونا تحت حكمه ورضا باختياره وصنعه اذ قد أيقن ان للعلة وقتا اذا جاء برئ باذن الله تعالى الا انها بعد عشرين يوما فيصبر ويرضى ويحمل على نفسه ألم عشرة أيام رضا بقضاء الله وصبرا على بلائه وحسن ظن باختياره له ولا يتهمه في قضائه عليه فهذا هو أحد الوجوه في حسن الظن باختيار الله ان لا يتهم الله في فضيلة كيف وقد روي فيه نص ان رجلا قال يا رسول الله أوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه عليك وقد روي في معنى هذا خبر فيه شدة يقول الله تعالى من لم يصبر على بلائي ويرض بقضائي ويشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وهذا باب من الزهد في الدنيا بمقدار ما نقص من الرغبة في نعيم النفس لان الجسم من الملك فما نقص منه نقص من الدنيا والقلب من الملكوت فما زاد فيه زاد في الآخرة وهو باب من الصبر بقدر ما صبر عليه من النقص كما قال تعالى ونقص من الاموال والانفس يعني أمراضها واسقامها وبشر الصابرين ونقص الاموال اقلالها واذهابها فكذلك جعلنا مزهدا لاقترانه بالمال ومع هذا فهو لا يأمن في تعجيل العوافي من المعاصي فاذا انتهى وقت العلة برئ من غير دواء باذن الله وله في الامراض تجديد التوبة والحزن على الذنوب وكثرة الاستغفار وحسن التذكرة وقصر الامل وكثرة ذكر الموت وفي الخبر أكثروا من ذكر هاذم اللذات ومن أبلغ ما يذكر به الموت وتوقع نزوله الامراض فقد قيل الحمى بريد الموت وفي قوله عز وجل أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين الآية قيل بالامراض والاسقام يختبرون بها ويقال ان العبد اذا مرض مرضتين ثم لم يتب قال ملك الموت يا غافل جاءك مني رسول بعد رسول فلم تقبل وقد كانوا يستوحشون اذا خرج عنهم عام لم يصابوا فيه بنقص أو مال ويقال لا يخلو المؤمن في كل أربعين يوما ان يروع بروعة أو يصاب بنكبة فكانوا يكرهون فقد ذلك في ذهاب هذا العدد من غير ان يصابوا فيه بشيء وروي ان عمارا تزوج امرأة فلم تكن تمرض فطلقها وان النبي صلى الله عليه وسلم عرضت عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم ان يتزوجها فقيل له انها ما مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاوجاع من الصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اليك عني من أراد ان ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا لان في الخبر ان الحمى حظ المؤمن من نار جهنم وفي حديث أنس وعائشة يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم فقال نعم من ذكر الموت في كل يوم عشرين مرة وفي لفظ الحديث الآخر الذي يذكر ذنوبه فتحزنه وان ترك التداوي وبرئ بغير دواء كان هذا من قضاء الله وقدره على وصف الابطاء وقد اختلف رأي الصحابة في مثل هذا المعنى عام خرج عمر رضي الله عنه الى الشام فلما بلغوا الجابية انتهى اليهم خبر الشام ان به وباء عظيما وموتا ذريعا فوقف الناس وافترقوا فرقتين فمنهم من قال لا ندخل على الوباء فنلقي بايدينا الى التهلكة فنكون سببا لاهلاك أنفسنا وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل على الله ولا نهرب من قدره ولا نفر من الموت فنكون كمن قال الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فرجع الجميع الى عمر فسألوه عن رأيه فوافق عمر الذين قالوا نرجع ولا ندخل على الوباء فقال له آخرون أنفر من قدر الله فقال عمر نعم نفر الى قدر الله ثم ضرب لهم مثلا فقال أرأيتم لو كان لاحدكم غنم وله شعبتان احداهما مخصبة والاخرى مجدبة أليس ان رعى المخصبة رعاها بقدر الله وان رعى المجدبة رعاها بقدر الله فسكتوا ثم دعا عمر بعبد الرحمن بن عوف يسأله عن رأيه فقيل هو غائب وقد تأخر في المنزل الذي نزلنا فيه فبيت عمر وأصحابه على ذلك الرأي وعلى ان يسأل عبد الرحمن عن رأيه فيه فلما أصبحوا جاء عبد الرحمن بن عوف فسأله عمر عن ذلك فقال عندي فيه يا أمير المؤمنين شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر رضي الله عنه الله أكبر يقول اذا سمعتم بالوباء في أرض

فلا

فلا تقدموا عليه وإذا وقع في أرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ففرح عمر بذلك إذ وافق رأيه فرجع بالناس من الجابية * بيان آخر من التمثيل في التداوي وتركه وشبه التداوي وتركه في أنهما مباحان وإن أحدهما طريق الأقوياء الصابرين وهو تركه مثل التكسب وتركه أن التكسب عند الجوع الذي هو علة الجسم ليستعجل العبد الدواء بالخبز جائز له لا يقدح في توكله لأنه مباح له مأمور به فإن نوى بالتكسب القوة على الطاعة والسعي في سبيل الله والمعاونة على البر والتقوى كان فاضلا فيه وإن نوى بالتكسب الأكل للشهوات والقيام بحظوظ النفس من الرفاهية نقص ذلك من توكله وأخرجه من حقيقته فكان طريقا من طرقات الدنيا إلا أنه مباح وإن قصد بتكسبه التكاثر والحرص للجمع والمنع كان عاصيا بكسبه مخالفا لربه وهذا من أكبر طرق الهوى ثم إن لم يتكسب وصبر على الجوع ورضي بالقلة والفقر فإن رزقه يأتيه لا محالة فيجيء وقته وإن كان قليلا لا دون سعة ولكنه يحتاج إلى فضل صبر وحسن رضا وسكون نفس وطمأنينة قلب فإن وجد هذه المعاني فهذا هو التوكل كان فاضلا في ترك التكسب بحسن يقينه وثقته برازقه وشغله بما هو أفضل وأنفع له في عاقبته وإن تشتت همته واضطربت نفسه وتكره قضاء ربه فأخرجه ذلك إلى الجزع والهلع والتبرم والشكوى فالتكسب لهذا أفضل وهو منقوص بتركه كذلك أيضا من أكثر الشكوى من علته وتسخط حكم ربه وتبرم وضجر وسطا على الناس وساء خلقه بمرضه فإن الأفضل لهذا أن يتداوى وهو ناقص بتركه وروينا عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره إن الله بحلمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط * ذكر استواء شهادة المتوكل مع اختلاف ظهور الأسباب ويستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم وأسباب كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم إذا كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا إذ كانت الأيدي ظروف العطاء فيستوي كان الظرف يدك أو يد غيرك وسواء كان الكسب كسبك أو كسب غيرك إذ جميعه رزقك ولأن لكل شيء حكما وفي كل شيء حكمة وبكل شيء نعمة قال الله تعالى إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد فأضافها إليه في الخلق بعد أن بنوها بأيديهم وفرغوا منها ومثل هذين أيضا يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به وما ظهر بأيديهم عن الحكمة وترتيب العرف لأن القدرة أيضا بمنزلة ظرف للعطاء ظهر العطاء بها فهي كأيدي العباد من يد الإنسان نفسه أو يد غيره إذ القدرة والحكمة خزانتان من خزائن الملكوت والملك فهذه المعاني الثلاث أعني ما ظهر عن يدك وتكسبك وما ظهر بيد غيرك وعن كسبه لك وما أظهرته القدرة عن غير عرف معتاد ولا واسطة مرتبة هذا كله عند الموقنين سواء لا يترجح بعضه على بعض لرجحان إيمانهم وقوة يقينهم ونفاذ مشاهدتهم إذ كله حكمة بالغة وقدرة نافذة عن حكيم واحد وقادر واحد * ومما يدلك على استواء ما ظهر بيد الأواسط وما أظهرته القدرة عند العلماء أن كل من جمع كرامات الأولياء وإجابات الصديقين ذكر فيها ما ظهر لهم عن القدرة وما ظهر لهم على أيدي الخلق من الإنفاق عند وقت الفاقات عن غير مسألة ولا استشراف نفس فسووا بينهما في الكرامات وجعلوهما واحدا من الإجابات وحسبوا كل ذلك من الآيات على أن العارفين يشهدون ما وصل العبيد إليهم من أقسام رزقهم أنها ودائع لهم عندهم وأنه حق لهم بأيديهم يؤدونه إليهم قليلا قليلا ويوفونهم إياه شيئا فشيئا إلا أنهم لا يسألونهم إياه ولا يطالبونهم به وإن كان لهم عندهم حسن أدب فيهم وحسن اقتضاء لأن من حسن الاقتضاء ترك الطلب والقوة بيقينهم برازقهم أنه يوفيهم نصيبهم غير منقوص فقد سكنوا إلى قديم وعده كالناظر وإلى بسط يده وكذلك مشاهدة العالمين الموصلين إليهم قسمهم الدافعين إليهم حقوقهم يشهدون أنهم قد خرجوا إليهم من حقهم وأدوا إليهم

مرضها وأقبل الخلق على حب الدنيا وعلى أعمال تقرب من الكفر وما يأتون من العبادات على النذور والقلة فهي عبادات في الظاهر وغباوات في الباطن وقال المسيح عليه السلام ما أكثر الأشجار وليس كلها مثمرة وما أكثر الثمار وليس كلها بطيب وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد واعلم أن هذه الأمراض يكون علاجها بأن تداوي كل خصلة منها بضدها فتعالج البخل ببذل المال للمساكين والصدقة عليهم وتعالج حب الدنيا وشهواتها بالزهد فيها والرغبة عنها وأنها فانية زائلة عن قريب ونعيم الآخرة باق لا يفنى ولا يزول والعاقل لا يشتري الكثير الباقي بالقليل الفاني وينبغي لمريد طريق الآخرة أن يكون له صديق صالح ناصح يوقفه على عيوب نفسه وينبهه عليها فإن الإنسان أعمى عن عيوب نفسه كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله عبدا أهدى إلي عيوب نفسي ولما قدم سلمان من السفر كان عمر يسأله عن عيوبه ويقول له ما الذي بلغك عني ما تكرهه فاستعفى فألح عليه فقال سمعت عنك أنك جمعت بين أدمين على مائدة وأن لك ثوبين ثوب بالليل وثوب بالنهار فقال هل بلغك غير هذا فقال لا فقال أما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له أنت صاحب سر النبي صلى الله عليه وسلم في المنافقين هل ترى في شيئا من آثار النفاق فهو على جلالة قدره في الإيمان وعلو

ودائعهم فيستريحون الى اخراج ذلك ويفرحون بادائه الى أربابه ويشكرون الله على حسن توفيقه واعانتهم على سقوط ذلك عنهم كما يفرح من عليه الدين الثقيل اذا أداه فسقط عنه حكمه وقضاؤه وهذا مقام للموصلين فى المعرفة وحال لهم من اليقين حسنة وهو مشاهدة عالية للآخذين من المتوكلين * ذكر تشبيه التوكل بالزهد اعلم ان التوكل لا ينقص من الرزق شيأ ولكنه يزيد فى الفقر ويزيد فى الجوع والفاقة فيكون هذا رزق المتوكل ورزق الزاهد من الآخرة على هذا الوصف المخصوص من حرمان نصيب الدنيا وحمايته عن التكاثر منها والتوسع فيها فيكون التوكل والزهد سبب ذلك فيكون ما صرفه عنه من الدنيا زيادة له فى الآخرة من الدرجات العلى وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقصان الدنيا زيادة الآخرة وزيادة الدنيا نقصان الآخرة ومن أعطى من الدنيا شيأ نقص ذلك من منزلته فى الآخرة وان كان على الله كريما وقيل ان الدنيا والآخرة مثل ضرتين من أرضى احداهما أسخط الاخرى وقال رجل لبعض العلماء كنت فى محلة ليس فيها بقال غيرى ففتح الى جنبى بقال آخر فخاف ان ينقص ذلك من رزقى شيأ فقال ليس ينقص من رزقك شيأ ولكن يزيد فى بطالتك تقعد كثيرا لا تبيع شيأ وقد غلط فى هذا الطريق قوم ادعوا التوكل والزهد واتسعوا فى المآكل والملابس على ان ذلك لا ينقصهم من رزقهم شيأ وهو ادلى من دونهم ممن لا يعرف طريق الزهد والتوكل * (ذكر كتم الامراض وجواز اظهارها) * الافضل لمن لم يتداو ان يخفى علله لان ذلك من كنوز البر ولانها معاملات بينه وبين خالقه فسترها أفضل وأسلم له الا أن يكون له نية فى الاظهار أو يكون اماما يستمع اليه ويقتبس منه الآثار ويكون ممكنا فى المعرفة يخبر بعلته وقلبه راض عن الله فيما قدره أو يكون ممن يشهد البلاء نعمة فيكون أخباره بمثابة التحدث بنعمة الله والافاظهار العلل لمن لا يتداوى نقص لحاله وداخل فى الشكاية لمولاه لان فى الشكوى استراحة النفس من البلوى كالاستراحة بالدواء وهذا لا يفعله عالم لان الاستراحة بالدواء الذى أباحه المولى خير من استراحته الى العبيد بالشكوى على انه لا يأمن دخول الآفات عليه فى الاخبار من التصنع او التزيد فى العلة وغير ذلك وقد قيل فى قوله عز وجل فصبر جميل قال لا شكوى فيه وقال بعضهم من بث شكواه فلم يصبر وقيل ليعقوب عليه السلام ما الذى أذهب بصرك فقال مر الزمان وطول الاحزان فاوحى الله اليه تفرغت تشكونى الى خلقى فقال يارب أتوب اليك وعن طاوس ومجاهد يكتب على المريض أنينه فى مرضه قال وكانوا يكرهون أنين المريض لانه اظهار معنى يدل على شكوى قيل ما أصاب ابليس من أيوب الا أنينه فى مرضه فجعل الانين حظه منه وفى الخبر اذا مرض العبد أوحى الله تعالى الى الملكين انظرا الى عبدى ما يقول لعواده فان حمد الله وأثنى عليه بخير ادعواله وان شكا وذكر شرا قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد العيادة خشية الشكاية وخوف الزيادة فى القول ان يخبر عن العلة بأكثر منها فيكون فى ذلك كفرا النعمة بين بلاءين وكان بعضهم اذا مرض أغلق بابه فلم يدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج اليهم منهم فضيل ووهيب وبشر كان يقول اشتهى ان أمرض بلا عواد وقال فضيل ما أكره العلة الا لاجل العواد وقد رأينا من الصالحين من فعل ذلك ممن هو امام وقدوة ولا ينقص توكل المتوكل اخباره بعلته على معنى التحدث بها مع فقد آفات النفوس اذا كان قلبه شاكرا لله راضيا بقضائه ويكون بذلك مظهرا للافتقار والعجز بين يدى مولاه أو راغبا فى دعاء اخوانه المؤمنين أو يشهد ذلك نعمة فيحدث بها شاكرا وقد حكى ان بشر بن الحرث كان يخبر عبد الرحمن المتطبب باوجاعه فيصف له أشياء وقيل عن أحمد بن حنبل انه كان يخبر بامراضه ويقول انما أصف قدرة الله تعالى فى وروى عن الحسن البصرى اذا حمد المريض الله عز وجل وشكره ثم ذكر علته لم يكن ذلك شكوى وقد كان أحمد بن حنبل لا يخبر بامراضه اذا سئل عنها ثم رجع الى قول الحسن هذا فكان بعد ذلك يحمد الله ويثنى عليه ويقول أجد كذا وأجد كذا وروى انه قيل لعلى رضى الله عنه فى مرضه كيف أنت فقال بشر فنظر بعضهم الى بعض كأنهم كرهوا ذلك فقال أتجلد

منصبه فى الدين هكذا كانت ثم منه لنفسه وكان أهل الدين يحرصون على أن ينبهوا لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر فى هذا الزمان الى أن صار أبغض الناس الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويكاد يكون هذا عن ضعف الايمان ونقص فى العمل فان الصفات الذميمة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا منبه على ان تحت ثوب أحدنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرح بذلك واشتغل بابعاد العقرب وقتلها فكيف لا نحب نحن من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا ويشبه أن يكون هذا من القسوة التى أثمرتها كثرة الذنوب وأصل ذلك كله ضعف الايمان فانا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله ونسأله العفو والمغفرة وأن يجنبنا الفواحش كلها

* (فصل) * واذا كثرت خبائث القلب أظلم القلب وعمى وقسا وظهر منه على الجوارح الذنوب والمعاصى والاستهتار وقلة المبالاة بخشية الله تعالى ويظهر على الوجه الخزى والاجرام وقلة الحياء والمقت لان أعمال الجوارح رشح القلب وكان بعض العمال كثيرا ما يقول فى دعائه اللهم اصلح الراعى والرعية يريد القلب والجوارح وروى عبد الله بن وهب صاحب مالك بن أنس فى جامعه عن حذيفة بن اليمان صاحب النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال القلوب أربعة قلب أغلف مشدود عليه غلافه فهو قلب الكافر وقالوا قلوبنا

على الله كأنه أحب أن يظهر افتقاره الى الله وأراد أيضا أن يعلمهم أنه لا بأس بذلك لأن من يقول بخير اذا سئل كثير كما قال الثوري انما العلم الرخصة من ثقة فأما التشديد فكل أحد يحسنه فكان على رضي الله عنه أراد أن يتحقق بتأديب النبي صلى الله عليه وسلم له ونهيه اياه عن اظهار القوى لانه روى انه مرض فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم صبرني على البلاء فقال لقد سألت الله البلاء ولكن سل الله العافية ومن ههنا قال مطرف لان أعافى فأشكر أحب الى من ان ابتلى فأصبر لان البلاء طريق الاقوياء وكره أهل الاشفاق والخشية اظهار الجلد والقوة بين يدي القوي العزيز وقد حكى ان الشافعي مرض مرضة شديدة بمصر فكان يقول اللهم ان كان في هذا رضاك فزدني منه فكتب اليه بعض العلماء وهو ادريس ابن يحيى المعافري يا أبا عبد الله لست من رجال البلاء فسل الله العافية فرجع عن قوله هذا واستغفر منه فبعد هذا والله أعلم لعله ما حكى عنه انه كان يقول في دعائه اللهم اجعل خيرتي فيما أحببت

(ذكر فضل التارك للتكسب) قد يفضل التارك للتكسب شغلا بالعبادة عن المتكسب من حيث فضل المتقدمون الزاهد في الدنيا على كاسب المال حلالا ومنفقه في سبيل الله وسئل الحسن عن رجلين احدهما محترف والآخر مشغول بالتعبد أيهما أفضل فقال سبحان الله ما اعتدل الرجلان المتفرغ للعبادة أفضلهما وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالموت واعظا وبالتقوى غنى وبالعبادة شغلا وقد علم التارك للتكسب توكلا على الله وثقة به ورعاية لمقامه وصبرا على فقره وشغلا بمعاده عن معاشه ومقاساة الفتنة ان مولاه قد تكفل له برزقه في الدنيا وقد وكل اليه عمل الآخرة وانه ان شغل بما وكله اليه من عمل آخرته أقام له من يقوم بكفايته من دنياه فلو لم يتصرف المتوكل تصرف له غيره وان عمل آخرته الذي وكله اليه هذا فلم ان لم يعمله لم يقم غيره مقامه وان الله تكفل له بعمل الدنيا فان لم يعمل لعمل له سواه كيف شاء فهذا هو الفرق بين ما تكفل له به من عمل الدنيا وبين ما وكله به من عمل الآخرة قال الله سبحانه في رزق الدنيا الذي تكفل به وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وقال تعالى في رزق الآخرة الذي وكل به وأن ليس للانسان الا ما سعى ثم قد علم المتوكل بعد توحيده ان هذه الاربعة الاشياء منتظمة في سلك واحد كشيء واحد يقع وقعة واحدة رزق مقسوم لا يزاد فيه في وقت معلوم ولا يتقدم ولا يتأخر بسبب محكوم لا ينقلب عند أثر مكتوب ولا يتغير فالرزق بفضل الرازق والوقت الذي يظهر فضل العطاء لا يقع الا في ظرف والسبب حكمة القاسم والاثر حد المرزوق فلما أيقن المتوكل بهذا كان ان تصرف تصرف بحكم وان قعد قعد بعلم فاستوى تصرفه وقعوده لانه قائم بحكم ما يقتضي منه في علم حاله عالم بحكم مصرفه ومقعده فان شغله مولاه بخدمته عن خدمة من سواه فصرفه في معاملته دون معاملة العبيد ساق اليه رزقه كيف شاء من الوجوه وبيد من شاء من العبيد يحفظه له عن مجاوزة الحدود كما قال تعالى حافظات للغيب بما حفظ الله وبتوليه له وعصمته اياه عن التورط في محظور كما أخبر عن أوليائه في قوله عز وجل وهو يتولى الصالحين وكان عبدا فاضلا في قعوده لشغله عن العبيد بمعبوده وبانقطاعه الى معاملة الملك دون ما يقطعه من معاملة المملوك وبهمة الآخرة عن الدنيا وكان داخلا في وصف ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أهل كفاية الله فيما روى عنه من جعل الهموم هما واحدا كفاه الله آخرته وخارجا عن وصف من قطعه عن الله بهمة غيره وعرضه للهلكة في أودية الهموم في قوله عليه السلام من أصبح وهمه غير الله فليس من الله وفي قوله ومن تشعبت به الهموم لم يبال الله في أي أودية هلك فان كان حال المتوكل ان يجري رزقه على يد نفسه وكسب جارحته فهو خزانة من خزائن الملك وهو عبد من عبيد الملك يوصل اليه عن يد نفسه بما يوصله اليه عن يد غيره وسواء ساق اليه الرزق أو ساقه الى الرزق بعد ان يرزقه لان ما لقيته فقد لقيك والعبد متوكل على الله في الحالين ناظر اليه بالمعنيين قائم بحكم حاله في الامرين عارف بحسن اختيار الله له في الحكمين ومن ترك التكسب لاجل الله ثقة به وسكونا اليه أو لدخول الآثام وتعذر القيام بالاحكام فحسنه كحسن من عمل شيأ

غلف وقالوا قلوبنا في أكنة أولئك لم يرد الله أن يطهر قلوبهم وقلب منكوس وهو قلب المنافق وقلب أجرد مثل السراج أزهر وهو قلب المؤمن وقلب مصفح مثل الخير والشر فيه كمثل العين تمد الخيرة ومثل القرحة تمد القيح فتجد الرجل يكون عاملا بما يحب الله حينا من دهره ثم يتحول فيكون عاملا بما يكرهه الله فيموت على ذلك فغلبت القرحة التي تمد القيح على العين التي تمد الخيرة ويكون الرجل على ما يكرهه الله زمانا ثم يتحول فيكون على ما يحب فيموت على ذلك فغلبت العين الذي تمد الخيرة القرحة التي تمد القيح

(فصل) واعلم أن الهوى أصل للجهل وفرع له كما ان أصل كل شيء يظهر في فرعه كالنواة أصل للنخلة وهي تظهر في فروعها التي هي الثمرة فلما خلق الله ابن آدم مجبولا على هوى النفس أفاده حينئذ عقلا يجاهد به هواه عونا الهواه على الرغبة في الدنيا ثم غلب الهوى على العقول أكثر الناس فصرفها عن طلب العلم بالله فبقيت في منزلة الجهل ثم تمادت بهم غلبة الهوى الى راحة المنشا وضروة حلاوة ما تألفه النفس من اللذات في الصبا وما بعده واستمر بهم الحال وهم على ذلك حتى تبعدوا عن أمر ربهم واستولت عليهم العادات والمألوفات والضراوة فترا كم عليهم الخذلان من الله عز وجل لاعراضهم عن أمره وطاعتهم لهواهم وترك أعمالهم بعقولهم فيما

لاجل الله لان الترك عمل يحتاج الى نية صالحة وأفضل الناس عند الله أتقاهم له وأتقاهم له أعرفهم به منصرفا كان أوقاعدا هذا هو فصل الخطاب وروينا في حديث عبد الله بن دينار عن عمرو بن ميمون عن النبي صلى الله عليه وسلم أتدرون ماقال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال حين استوى على عرشه ونظر الى خلقه عبادي أنتم خلقي وأنا ربكم أرزاقكم بيدي فلا تتعبوا أنفسكم فيما تكفلت لكم به واطلبوا أرزاقكم مني وانصبوا أنفسكم لي وارفعوا حوائجكم الى أصب عليكم أرزاقكم أتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم قال عبدي أنفق أنفق عليك ووسع أوسع عليك ولا تضيق فأضيق عليك ان أبواب الرزق بالعرش لاتغلق ليلا ولانهارا فأنزل الرزق منها لكل عبد على قدر نيته وعطيته وصدقته ونفقته فمن أكثر أكثرله ومن أقلل أقلل له ومن أمسك أمسك عليه يازبير ان الله يحب الانفاق ويبغض الاقتار فكل واطعم ولاتقتر فيقتر الله عليك ولا تعسر فيعسر عليك أطعم الاخوان ووقر الاخيار وصل الجار ولاتماش الفجار تدخل الجنة بغير حساب فهذه وصية الله لي ووصيتي لك يازبير بن العوام والاسواق موائد الاباق يطعم المولى منها من ابق من خدمته وهرب من مجالسته ووهن عن معاملته وجبن في متاجرته قال الله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون وقال بعض أهل العربية من القدماء ما أريد أن يرزقوا خلقي ان الله هو الرزاق أي لهم لايطالبهم أن يرزقوا نفوسهم اذا خدموه فذكر الله الوجوه الثلاثة واختار لنفسه أحدها وهي الخدمة وعليه الكفاية واختار من العبيد أحدهم فجعله عابده وتنزه عن أحدهما وتعالى عنه وهو الاطعام من العبيد له وصرف عموم العبيد في الوجه الثالث من الاطعام لانفسهم وهو التكسب وضرب هذا مثلا بينه وبين خلقه في الارض وله المثل الاعلى في السموات والارض فبقي العبيد مع الله تعالى بحكمين أحدهما ما اختاره لنفسه من العبادة وهي المعاملة وعليه الرزق كيف شاء ومتى شاء وهؤلاء عباد الرحمن لاعبيد الدنيا والثاني ماصرف العبيد فيه من التكسب لانفسهم وجعل ذلك رزقا منه لهم بجوارحهم ومدحهم على هذا الوصف وهؤلاء عموم العبيد منهم عبيد الدنيا وعبيد الهوى وبقي المولى مع العبيد على الاحكام الثلاثة التي أباحها الله تعالى لهم وضرب بها المثل بينه وبينهم أيها اختاره كان ذلك لهم وتفسير ذلك أن للمولى من الخلق أن يقول لعبده اذهب فاطعمني لانك عبدي وملك يدي فأنا أملك كسبك كما أملك نفسك وهذا هو الوجه الذي ذكرناه ان الله تنزه عنه وتعالى علوا كبيرا فقال تعالى وما أريد أن يطعمون كما يريد الموالي من عبيدهم هذا ثم يقول المولى منا لعبده اذهب فاطعم نفسك واسع في قوتك فقد أبحت لك ذلك ووهبت لك كسبك فهو رزق مني لك وتفضل مني عليك وبهذا صار المكاتب لعبده في فكاك عتقه كالمعتق بان كان له الولاء وقد يكون له الميراث في حال لانه منعم عليه بالكتابة له كالمعتق وان كان العبد هو الذي سعى في فكاك رقبة نفسه بكسبه من قبل أن المولى يستحق عليه كسبه ويملك رقبته فلما ملك عبده ذلك صار محسنا اليه فهذا حال عموم العبيد مع الله تعالى لانه مولاهم الحق وهم عبيده قن فقال اذهبوا فاكتسبوا وأطعموا انفسكم فقد رزقتكم ذلك ووهبته لكم وهذا هو الوجه الثاني الذي نزه الخصوص عنه تفضلا لهم فلم يستسعهم وقطعهم فشغلهم بخدمته عن خدمة نفوسهم وخليقته وتوكل لهم بكفاياتهم ولم يوكلهم فيها كما وكل غيرهم بل وكل بأرزاقهم من يشاء من عباده وهو معنى قوله تعالى ما أريد منهم من رزق لنفوسهم بدليل قوله تعالى ان الله هو الرزاق أي لهم باقامة غيرهم وباظهاره في قوله وما أريد أن يطعمون فكانت هذه الياء اسما مكنى بها وهذه ارادة مخصوصة لاعامة لكل مراد فهي ارادة ابتلاء ومحبة بمعنى ما أحب ومخصوصة بمخصوصين من عباده كما كان قوله تعالى وماخلقت الجن والانس الا ليعبدون كانت هذه الآية مخصوصة ان عبده منهم معناها مؤمني الجن والانس لاعامة لجميع خلقه والوجه الثالث أن يقول المولى منا لعبده اخدمني وعلى طعمتك تقوم خدمتك لي مقام كسبك لنفسك وهذا هو الوجه الاعلى الذي اختاره الله تعالى وأحبه لمن يحبه واختاره من عبده من العبيد من خصوص العاملين له وهم العالمون به دون من صرفه في رزق نفسه

أمروا به ونهوا عنه حتى بعدوا بذلك عن كنف الله المنيع فنودوا من مكان بعيد فلم يسمعوا بقلوبهم حقيقة المعنى لاشتغال حاسة قلوبهم بالهوى والشهوات فقد صار الهوى أصلا للجهل وفرعا له واعلم ان الهوى والطبع يدعوان أبدا الى اتباع اللذات الحاضرة وايثارها من غير فكر في العاقبة ولاروية في ذلك وان كانت تلك اللذات جالبة لآلام وشدائد ونقص فيما بعد ومانعة من لذات مستقبلة هي أضعاف تلك العاجلة لان الهوى والطبع لاينظران الا الى حالهما في وقتهما الذي هما فيه ولا يعتبران الا الأمر العاجل كلا بل يحبون العاجلة ويذرون الآخرة وهذا كالصبي الرمد الذي لايفكر في العواقب يحك عينيه ويؤثر اللعب في الشمس وأكل التمر والرطب على أكل الهليلج وشرب الدواء والحجامة فحق على العاقل الناظر لنفسه ان يردعها ويقمعها عن هواها ولايطلقها الا بعد التثبت والنظر فيما يعقب الشئ من خير فيقدم عليه أوشر فيكف عنه قيل مر الجنيد بفقير جالس تحت حائط ملتفا بعباءة فرفع رأسه الى الجنيد وقال يا أبا القاسم متى يكون الداء دواء فقال له الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها فقام الفقير ومضى وهو يقول لنفسه قد سمعت الجواب *(فصل)* واعلم ان جميع شهوات الدنيا تنقسم على ثلاثة أقسام موبق ومبعد ومخلف فالموبق مايحجب فيه

بنفسه وهو قوله تعالى الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق أى أن يرزقوا نفوسهم بكسبهم الذى أبحته لهم فيكونوا كغيرهم ممن قلت له اذهب فتكسب فقد أردت منك الرزق لنفسك بكسبك وقد وهبته لك أى أنا أريد من هؤلاء العبادة ولها خلقتهم فكل ميسر لما خلق له فمن كانت صنعته العبادة وخلق لها يسرت له ومن كانت صنعته الدنيا وخلق لها يسرت له وفى الخبر ان الله تعالى خلق كل صانع وصنعته ويقال ان الله تعالى لما أظهر الخلق فى العدم أظهر لهم الصنائع كلها ثم خيرهم فاختار كل واحد صنعته فلما أبداهم فى الوجود أجرى على كل واحد ما اختار لنفسه قال وانفردت طائفة فلم تختر شيأ فقال لها اختارى فقالت ما أعجبنا شئ رأيناه فنختاره قال فأظهر مقامات العبادات فقالت قد اخترنا خدمتك فقال وعزتى وجلالى لأخدمنكم اياهم ولأسخرنهم لكم وفى الخبر أوحى الله تعالى الى الدنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك فالعبادة هى الخدمة ومن ذلك قولهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد واليك نسعى ونحفد أى اليك نعمل ونخدم مثل قوله تعالى بنين وحفدة أى خدما فى أحد الوجوه والعبادة هى الخدمة بذل وتواضع والعرب تقول طريق معبد اذا كان مذللا ممهدا وموطوأ بالاقدام ويقولون بعير معبد اذا كان ممتهنا بالكد نضوا من السير والحمل عليه ومنه قول القبط أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون يعنون بنى اسرائيل خدمنا نستذلهم ونمتهنهم بالكد والعمل وقال بعض العارفين ان الله سبحانه وتعالى اطلع على قلوب طائفة من عباده فلم يرها تصلح لمعرفته ولا موضعا لمشاهدته فرحمها فوهب لها العبادات والاعمال الصالحات ثم اطلع على قلوب طائفة أخرى من خلقه فلم ير جوارحهم تصلح لخدمته ولا موضعا لمعاملته فاستعملهم للدنيا وعبدهم لأهلها ومن هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس عبد الزوجة تعس عبد الخميصة أى الذين يذلون لهذه الاشياء ويسعون لها وفى أخبار داود عليه السلام انى خلقت محمدا لأجلى وخلقت آدم لأجل محمد وخلقت جميع ما خلقت لأجل ولد آدم فمن اشتغل منهم بما خلقته لأجله حجبته عنى ومن اشتغل منهم بى سقته ما خلقته لأجله *(ذكر حكم المتوكل اذا كان ذا بيت)* فان كان المتوكل ذا بيت فليغلقه اذا خرج احرازا لله لأجل الامر بالحذر ولاتباع السنة والاثر قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم وقال تعالى واحذرهم أن يفتنوك وقد روى فى خبر اعقلها وتوكل ولا ينقص ذلك توكله اذا كان ساكن القلب الى الله لا الى خلقه ناظر الى حسن تدبيره فى تبقية رحله أو اذهابه لا الى احرازه غير مختار لبقاء ما فى بيته على اختيار الله له لحسن احكامه عنده لان الله تعالى اذا رفع عبدا الى مقام التوكل عليه فى شئ أعطاه التوكل فى كل شئ كما لا يكون توابا يحبه الله حتى يتوب الى الله بكل شئ وفى كل شئ أى يرجع اليه بالاشياء وفيها فلذلك قال الله تعالى ان الله يحب المتوكلين كما قال ان الله يحب التوابين مع قوله وعلى الله فليتوكل المتوكلون أى ليتوكل عليه فى كل شئ من توكل عليه فى شئ هذا أحسن وجوهه والوجه الآخر وعليه فليتوكل فى كل توكله من توكل عليه فى الاشياء لان الوكيل فى شئ واحد فينبغى أن يكون التوكل عليه واحدا فى كل شئ فالتوكل مقام رفيع من مقامات الانبياء ومن أعالى درج الصديقين والشهداء من تحقق به فقد تحقق بالتوحيد وكمل ايمانه وكان على مزيد وانتفى عنه دقائق الشرك وخفايا تولى العدو فانقطع سلطانه عنه قال الله سبحانه وتعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه يعنى العدو والذين هم به مشركون يعنى الله سبحانه فلم يشترط نفى سلطان العدو بالايمان مجردا حتى يقيمه فى مقام التوكل فى اليقين فلذلك فصلنا شرحه وأطلقنا تفصيله لان من أعطى مقاما من التوكل على حقيقة مشاهدة الوكيل انتظم له جل مقامات اليقين وأحوال المتقين كما قال عبد الله بن مسعود التوكل جماع الايمان وقد يبتلى المتوكل فى توكله بالاسباب والاشخاص والاغراض وضروب المعانى كما يبتلى سائر أهل المقامات ويبقى عليه من العدو نزغ وطيف لا غير دون الاقتران والاستحواذ يختبر بذلك صدقه فى توكله حتى يرد فى جميع ذلك نظره الى وكيله ليجزى جزاء الصادقين المقربين أو ليكشف له دعواه فيعلم كذب

عذاب الآخرة وهو الحرام البين والبعد مما يجب فيه حساب الآخرة وهو الشبهات والخلف ما أوجب التخلف عن السابقين ويقطع عن لحاق المقربين وهو الحلال فهذه جنايات الشهوات على أهلها فى الآخرة ولها فى الدنيا عقوبات فى القلوب والابدان أما الحرام فانه يورث القلوب امراضا ثم يعود لمن أصر عليه وداوم استهتارا وشكا يشبه الكفر ويورث البدن ضعفا عن أداء الفرائض فما وراءها وأما الشبهات فانما تورث القلوب قسوة تدعو الى التجرؤ على الحرام البين وتمنع وصول الذكر والخشوع الى القلب وتورث البدن ضعفا عن أداء المندوبات المؤكدة المسنونة لما وراءها وتورث القلب ضعفا عن اتقان الفرائض بما يجب به اتقانها وأما الحلال فانه يغشى نور القلب ويمنعه من مواريث اليقين مثل التوكل والتفقه ويحجب عن فوائد المعرفة مثل العلوم العالية المخصوصة بالعلماء بالله وبآياته ويورث البدن ضعفا عن أعمال الفضائل التى هى نوافل مطلقة وينازعه الى طلب الراحة والكسل

(فصل) ومن تفرق عن الله بهواه وتبع شهواته وما يهواه فاته الحق وكيف لا يفوته وقد اتخذ الهه هواه فمن اتبع ما يهواه نفسه للاشياء المذوقة فرقته الاهواء لانه يصير له الى كل شئ منها هوى فتقسمه الاهواء وتصير فيه شركاء قال الله

نفسه فيكون مردودا الى التوبة كما قال تعالى ليجزى الله الصادقين بصدقهم وحسب جزاء المتوكلين أن يكون الصادق حسبهم وأن يكون خلعة الصدق شعارهم ثم قال تعالى ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم فاحسن حال المدعين التوبة بها يخرجون من ظلمهم وقال تعالى أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ثم أخبر بسنته التى قد خلت فى عباده فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ولن تجد لسنة الله تبديلا فاذا قال المتوكل عند خروجه من منزله معتقدا لذلك بعد غلق بابه للامر والسنة اللهم ان جميع مافى منزلى ان سلطت عليه من يأخذه فهو فى سبيلك صدقة منى على من أخذه فان أخذ مافى منزله كان له فى ذلك سبع معاملات احداها قبول توكله على الله بتدبير الله أمره كيف شاء واختيار الله له نقصان الدنيا واذهاب ما عله يفتتن بتبقيته والثانية اختيار الله تعالى لعبده وابتلاؤه اياه بفقد محبوبه ليظهر صدقه ومسالمته أو ليستبين للعبد كذبه فان حمد الله وشكره على حسن بلائه ولم تضطرب نفسه أعطى ثواب الشاكرين الراضين كما جاء فى العلم المكنون عن بعض أنبيائه قال يارب من أولياؤك قال الذين اذا أخذت منه المحبوب سالمنى والثالثة ان اضطربت نفسه وجزعت جاهدها بالصبر والصمت وحسن الثناء على الله وترك الشكاية الى عبيده فأعطى ثواب الصابرين المجاهدين والرابعة ان لم يكن فى هذا المقام ولا فى المقام الاول انكشف له بطلان دعواه وظهر له خفى كذبه فى حياته فاعترف بذلك واعتذر الى الله واستكان وخضع فيكون هذا أيضا مزيدا مثله على معنى الاعلام والبيان فيعلم انه كذاب لكراهية ماقضى الله وقلة صبره أو بسخطه ماحوله الله من خزانته التى هى فى يده الى خزانته الاخرى التى هى فى يد غيره اذ قد علم ان يده خزانة مولاه وان ماحوله منها لم يكن له وانما كان قد استودعه فحزن وساءه حين استرجع منه ما أودعه وأعاره وأودعها غيره أودفعها الى من هى رزقه وكانت له من قبل ان المتوكل قد علم ان الله تعالى اذا وهب شيأ من الدنيا للاجسام من الملك وشيأ من الآخرة من الملكوت وصار ذلك رزقا للمتوكل فى آخرته فانه لم يضعف يقينه رزق دنياه على رزق آخرته لنقصان زهده ليس ذلك الا للطمع فيه وفضل الرغبة والشره اذ قد علم ان ما أخذ منه كان وديعة لغيره عنده فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين موجبات للتوبة والاستغفار عند الموقنين من قبل أن المتوكل قد علم أن الله تعالى اذا وهب شيأ من الملك فى الدنيا للاجسام أو شيأ من ملكوت الآخرة فى القلوب لم يأخذه أبدا فما كان فى الدنيا بقى لصاحبه الى آخر أثره حتى يفنيه ويبليه وما وهبه من الآخرة من الايمان والعلم والعمل لم يأخذه أبدا بل ينميه ويزيده فيه الى أبد الابد فى دار الابد ولكن قد يعير ويستودع من أمور الدنيا وأمور الآخرة فهذا النوع لابد أن يستردّه ويسترجعه فى الدنيا لان حكمته أوجبت ردّه كما أوجب كرمه تبقية ماوهبه فلا ينبغى للمتوكل الموقن ماذكرناه أن يحزنه ماحول الله من خزانته التى فى يده مما أعاره واستودعه الى خزانته الاخرى التى هى يد غيره ممن لعله يهبه له أو يبتليه باحكامه فيه فيخرج أيضا من يده الى يد غيره لانه ماخرج من الدار شئ ولله حكمة وابتلاء فى كل شئ فالحزن والاسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية ومن المؤمنين خيانة يستغفرون الله ويتوبون اليه كما يتوبون من المعاصى لانهم قد شهدوا ما بيناه ولانه قد أمرهم بترك الاسى على فائت الدنيا وقلة الفرح بما أتى منها اذ لابد من كونهما لانه قد علمه وبعد علمه قد كتبه وبعد كتبه قد أعلم به فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين ان ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها فما ظهر من المصائب فى الاموال والانفس فقد سبق قبل خلق الخلق وهذا قوله تعالى من قبل أن نبرأها قيل من قبل أن نخلق الخليقة وقبل أن نبرأ الارض وقيل من قبل أن نبرأ الانفس وقيل من قبل أن نبرأ المصيبة ثم قال تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فالاسى على فقد الشئ على قدر الفرح بوجوده أولا يستحى العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاه فيأسى على ماليس له ويحزن على ما أخذ منه واستودعه أو يفرح بما ليس له لانه لا يعلم انه قد وهب له فيبقى عليه أو قد أعيره فيؤخذ منه فلما استرجعه من يده التى هى يده تعالى

وقبضه

تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا واعلم ان الحرية المحضة هى الخروج عن ملك سلطان الشهوة والهوى والقهر لهما بالصبر والعبودية المحضة هى طاعة الارادة فيما لا تضطر النفس اليه الا بشق العادة واتيان اللذة وكل من خدم فى زمان الحداثة الشهوة والهوى شق عليه فى زمان الشيخوخة ما يلحقه من ضعف بدنه عن خدمة لذته ومن خدم فى زمان حداثته الرأى والادب والدين وشق ذلك عليه فى الحداثة كان فى زمان الشيخوخة مستريحا ويقال ان بعض الملوك مر ببعض الزهاد فسلم عليه فقال له الزاهد وعليك السلام ياعبد عبدى فقال له الملك ولم قلت ذلك قال له الزاهد لانك عبد الهوى والشهوات وأنا استعبدتهما فأنت عبد لمن هو عبدى نسأل الله تعالى ان يخلصنا من رق الهوى وعبودية الشهوات وان يجعل حركاتنا وسكناتنا كلها مصروفة فى طاعته وخدمته بمنه وكرمه وسعة جوده

(باب الحسد)

اعلم ان الحسد من نتائج الحقد الذى هو من نتائج الغضب فهو فرع الغضب والغضب أصل أصله وقد ورد ذم الحسد فى آيات وأخبار كثيرة قال الله تعالى ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وذلك فى معرض الانكار وقال الله تعالى من

قبضه أيقن انه لم يكن له وانه انما كان وديعة عنده فحزن وساء فهذا ما أيقن شك ولما علم جهل ورغب فيما ينبغي أن يزهد فيه فأي شك مع ذلك يتوهم المتوكل على الله ويدعى منازل الاقوياء الاغنياء بالله الشاهدين لمجاري قدر الله في تصاريف حكمه فاذا علم العبد انه كاذب استكان استكانة الكذابين وتاب توبة المدعين ولم ينطق بكلام الصادقين ولا يدل ادلال المحبوبين فيكون تعريف الله اياه هذه المعاني تأديباله ومزيدمثله وهذا مزيد الناقصين * والمعاملة الخامسة أن يكون له بكل درهم تلف سبعمائة درهم كانه قد أنفقه في سبيل الله حسب له ذلك لانه قد كان نواه وكذلك ان لم يؤخذ ما في بيته استنباطا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفة قرارها ان له أجر غلام ولد له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله وان كان لم يولد له فقال أنت تخلقه أنت ترزقه اليك محياه اليك مماته أقرها قرارها ولك ذلك * والمعاملة السادسة أن لا يأثم أخوه الذى أخذ رحله ان كان قد جعله صدقة عليه فيؤجر أجرا ثانيا لاشفاقه على أخيه وحسن نظره للعصاة من حيث لا يعلمون تخلقا بأخلاق مولاه وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين ويتحقق بمقام المتقين ويكون ممن وقع أجره على الله فيخفى له مالا تعلم نفس من قرة العين ولانه قد علم كيف جرى الامر وان الآخذ مبتلى بسوء القضاء وانه قد عوفي اذلم يكن هو ذلك العبد فيرحم أهل البلاء حينئذ و يحمد الله على ما عافاه فيشغله الشكر لله عن الدعاء على ظالمه قال بعض العارفين لبعض أصحابه لم أسقط أهل المعرفة اللائمة عن الظالمين لهم فقلت لا أدري قال لعلمهم ان الله قصدهم بذلك وابتلى الظالمين بهم فرحموهم وذلك داخل في نصر أخيه الظالم لنفسه وطاعة لامر رسوله في قوله انصر أخاك ظالما أو مظلوما أى تمنعه عن الظلم فاذا عفا عنه فقد منعه من الظلم لانه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفوه عنه مقام رؤيته * والمعاملة السابعة تحققه في الزهد فيما ذهب وقال أبو سليمان الداراني لما بلغه عن مالك بن دينار انه قال للمغيرة اذهب فخذ تلك الركوة من البيت فلا حاجة لي بها وكان قد أهداها اليه وقبلها منه فقال ولم قال يوسوس الى العدو ان اللص قد أخذها وكان مالك لا يغلق بابه انما كان يشده بشريط وكان يقول لولا الكلاب ما شددته أيضا فقال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفيين هو قد زهد في الدنيا فما عليه بمن أخذها وهذا كما قال أبو سليمان لان الزهد اذا صح دخل الرضا فيه ولقول مالك وجه كأنه كره أن يعصى الله به فيكون هو سبب معصية الله ولكن قول أبي سليمان اعلى لاجل التوكل والرضا وهذا الذى ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لكل من ذهب له مال في سفر أو حضر ولكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل هذه المعاملات كلها اذا اعتقدها بقلبه وكانت في خلده ووجده وان لم ينطق بها أو يظهرها فأكثر الناس ايمانا وأحسنهم يقينا أقلهم غما وأيسرهم أسى على مافات من الدنيا وأحسنهم رضا وأنفذهم شهادة من رأى ان ذلك نعمة أوجبت عليهم شكرا وأقل الناس ايمانا وأضعفهم يقينا أشدهم أسى وأكثرهم غما على مافات وأطولهم شكوى وأقلهم شكرا فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا والرغبة ألم تسمع الى الحديث الذى جاء فيه هذا الدعاء وأسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا فشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها وعلامة ضعف اليقين بخبوه وسهولة الغم على فوتها دليل على الزهد فيها وقوة اليقين بربه فان وجد المتوكل رحله بحاله لم يضره بتبقيته شيء وكان له أجر ما قد نوى من المعاملات ولا أعلم هذا القول واعتقاده عند خروج العبد من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينفعه شيأ ولا يضره ولا يقدم ضياع شيء حكم الله ببقائه له ولا يؤخر ترك العقد لهذا تبقية ما حكم الله بذهابه ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقامات في المعاملات الاشيا واحدا من باب نقصان الدنيا من طريق الورع فانه ينقصه وهو انه ان أخذ ما توكل على الله فيه وفوض اليه أمره به ثم رد عليه لم يستحب له في الورع ان يتملكه ولا أن يرجع فيه في حسن الادب لانه قد كان جعله صدقة في سبيل الله فان رجع فيه لم ينقص ذلك توكله لانه قد صح تفويضه الى الوكيل في الحالين معا فيكون رده عليه لانه قد كان وهبه له بمنزلة ابتداء عطاء منه وقد روينا أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد وصلى

سر حاسد اذا حسد وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا الحديث مشهور وهو في مسلم وغيره وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم داء الامم من قبلكم الحسد والبغضاء والبغضاء هي الحالقة ولا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين والحاسد عدو لا يرضى الا بزوال النعمة واذا أراد الله أن يسلط على عبد عدوا لا يرحمه سلط عليه حاسدا وقيل الحسود لا يسود وقيل الحسود مغتاظ على من لا ذنب له *(فصل)* والحسد هو كراهة حصول النعمة لغيرك وتمنى زوالها عنه وله أسباب منها أن يكون عدوا له أو مبغوضا له ومنها أن يكون قبول الناس عليه أكثر ومحبتهم له أقوى ومنها أن يكون موصوفا عند الناس بزيادة في العلم والفضل فيحسده على ذلك ومنها كثرة المال والجاه الى غير ذلك من الاسباب وأكثر ما يكون الحسد بين الاقران والامثال والاخوة وبني العم والاقارب وانما يكون غالبا بين أقوام تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس المخاطبات ويتواردون في الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من أغراضه نفر طبعه عنه وأبغضه وثبت الحقد في قلبه فعند ذلك يريد أن يستحقره ويتكبر عليه ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى أغراضه ولا تحاسد بين شخصين في بلدين

ركعتين فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان ناقتك فى مكان كذا فلبس نعله وقام ثم نزعهما ثم قال أستغفر الله
وجلس فقيل له ألا تذهب فتأخذها فقال انى قد كنت قلت فى سبيل الله وحدث عن بعضهم قال رأيت
بعض اخوانى فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى وأدخلنى الجنة وعرضت على منازلى فيها
فرأيتها قال وهو فى ذلك كئيب حزين فقلت قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين فتنفس الصعداء ثم قال نعم
انى لا أزال حزينا الى يوم القيامة قلت ولم ذلك قال انى لما رأيت منازلى من الجنة رفعت لى مقامات فى عليين
ما رأيت مثلها فيما رأيت ففرحت بها فلما هممت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست
هذه له انما هذه لمن أمضى السبيل فقلت وما أمضى السبيل قيل لى قد كنت تقول للشئ اذا ذهب منك فى سبيل
الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لامضيناها لك وقد حدثونا ان الربيع بن خيثم سرق فرسه
وكان ثمنه عشرين ألفا وكان قائما يصلى فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال اما انى قد
كنت رأيته وهو يحله قيل وما منعك أن تزجره قال كنت فيما هو أحب الى من ذلك يعنى الصلاة قال فجعلوا
يدعون عليه فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فانى قد جعلتها صدقة عليه وقيل لبعضهم فى شئ قد كان سرق له الا
تدعو على ظالمك فقال ما أحب أن أكون عونا للشيطان عليه قيل أفرأيت لو ردت اليك سرقتك أكنت
تأخذها قال ولا كنت أنظر اليها انى قد كنت أحللته منها وقيل لآخر ادع الله على من ظلمك قال ما ظلمنى أحد
ثم قال انما ظلم نفسه فلا يكفيه المسكين ظلمه لنفسه حتى أزيده شرا وذهب لبعض المسلمين مال فجاء قوم
يعزونه عليه فقال ما تعزونى على أمر الدنيا فوالله ما حزنت على ذهابها فكيف على ذهاب شئ منها قيل ولم
قال شغلنى الشكر عليه عن الحزن وقد كانوا يقولون اذا ظلموا من الغصب والسرقة وغير ذلك هذه نعمة الله
علينا اذ لم يجعلنا ظالمين وجعلنا مظلومين أعظم مما فاتنا من الظلامة وقد كان السلف يخافون أن يذكروا
الظالم بالسب له والدعاء عليه فيكون ذلك زيادة على مظلمتهم وقد روينا من دعا على ظالمه فقد انتصر وأكثر
بعضهم بشتم الحجاج عند بعض السلف فقال له لا تغرق فى شتمه فان الله ينتصف للحجاج ممن انتهك عرضه كما
ينتصف منه لمن أخذ ماله وفى الخبر أن العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه
ثم يبقى للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتص له من المظلوم وقال بعض العلماء لرجل وقد كان شكا اليه
قطع الطريق وأخذ ماله فقال له ان لم يكن غمك انه قد صار فى المسلمين من يستحل هذا أكثر من غمك بمالك فما
نصحت للمسلمين وسرق من على بن الفضيل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يبكى ويحزن فقال
أعلى الدنانير تبكى فقال لا والله ولكن على المسكين انه يسئل يوم القيامة بهم ولا يكون له حجة وقيل لبعضهم
فى معنى هذا ادع على من ظلمك فقال انى مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فان رد على المتوكل كل ما أخذ
منه فالافضل له أن لا يتملكه ان كان قد جعله فى سبيل الله ليمضى السبيل فان كان قد جعله صدقة على الآخذ
نظر فى ذلك فان كان فقيرا حمله فقره على السرقة والخيانة والحاجة أمضى صدقته عليه وان كان غير ذلك صرفها
الى فقير وقد كان بعضهم اذا أخذ له الشئ يشترط فيقول ان كان فقيرا فهو صدقة عليه وان كان محتاجا فهو فى
حل وقد أخبرنى بعض الاشياخ عن شيخ كان بمكة من العباد انه اتهم بعض الحاج بسرقة هميانه لانه كان قائما
الى جانبه فقال له كم كان فيه فأخبره فحمله الى منزله فوزن له من المال ثم ان أصحابه علموا انهم من جوامعه
وحلوا هميانه وهو نائم فجاءه هو وأصحابه اليه فردوا عليه ماله فقال ما كانت لتعود الى بعد اذ خرجت
هى لكم فقلنا لا حاجة لنا فيها فقال خذوها قال فأبينا فقال يا بنى ودع ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها
الى قوم حتى فرغ منها وهذا كانت نيته اخراجها لله سبحانه فلم يعد فيما أخرجه كما نقول فيمن أخرج رغيفا
الى سائل أو أعد درهما لفقير فلم يصادفه انا نستحب أن لا يرجع الى ملكه بل يعزله لسائل آخر أو فقير غيره
لم يزل هذا من أخلاق المؤمنين وقد رأينا من كان بهذا الوصف وهذا طريق قد عفا أثره ودرس خبره فمن
عمل به فقد أحياه وأظهره وقد كان قد عمل طريقا الى الله تعالى عليه السابلة من الاولياء *ذكر بيان آخر من

لارابطة بينهما تجمعهما ولا تحاسد أيضا بين شخصين لا اتحاد بينهما فلا يحسد العطار النجار ولا الفلاح البزار ولا العالم العابد
ولا الامير القاضى ولا عكسه

(فصل) وعلاج الحسد يكون بكف جوارحك من أن تعمل بمقتضى ما فى قلبك من الحسد حتى لا يظهر على جوارحك شئ مما يؤلم المحسود وهذا بعد أن تسعى فى محوه من قلبك بكل ما يمكنك من الاسباب بحيث يحصل عندك كراهة من جهة العقل لزوال نعمته فى مقابلة الميل الطبيعى الحيز والهاما فاذا فعلت ذلك فقد أديت ما يجب عليك وقال قوم لا يأثم بما فى القلب ما لم يظهر الحسد على جوارحه وهذا ضعيف فان الحسد أمر قائم بالقلب وانما يظهر أثره على الجوارح وقد ورد ذم الحسد والنهى عنه وذلك مصروف الى المعنى القائم بالقلب وهو مساءة الغير وكل محنة ساءت المسلم فهى حسد واعلم أن الحسد ينشأ عن أمور منها الكبر والعجب والرياسة وحب المنزلة والعداوة والبغضاء *(فائدة)* الحسد القائم بالقلب ذنب بين الله تعالى وبين الحاسد لا تتوقف صحة التوبة منه على تحليل المحسود وابرائه منه بخلاف آثار الحسد فانها أذية للمحسود فلا تصح التوبة عنها الا بالخروج عن عهدتها لانه الضرر ليس بمجرد الحسد وانما هو بتعاطى آثاره *(باب الغضب والغيظ والعداوة والبغضاء والحقد والبخل)*

أحكام المتوكل اعلم ان التوكل على الله فى الاسباب لايوجب بقاءها للعبد ولا ايثاره بها ولا حفظها عليه ولا يقدم شيأ عن شئ ولا يؤخره لصلاح دنيا أو اختيار عبد بل هو الى الاذهاب والاتلاف أقرب لان التوكل قرين الزهد هكذا هو عند الخصوص ولاجل اختيار العبد وتحقيق صدقه محنته له ولاجل من نفى الشئ من الدنيا قال الله سبحانه وتعالى فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة فان ذهب ماله فصبر أو شكر أو رضى كان صادقا فى توكله وهذه أحوال المتوكلين فى التوكل ان كانوا صادقين وان عجز واضطرب كان كاذبا فى توهمه للتوكل ويلزمه من مجاهدة النفس عند اضطرابها بعد عدم الاشياء ما يلزمه من مجاهداتها ونفى الآفات فى سائر الاعمال فان حفظ عليه ماله فقد رفق به فى ذلك وستر عليه عن كشف حقيقة حاله بتلف ذلك وجعلت كرامة من الدنيا له ليطمئن بذلك فى حاله ويسكن به قلبه فى طريقه وهذا مقام الضعفاء وان نقص من الدنيا فقد أقيم مقام أهل البلاء الامثل فالامثل بالانبياء ولولا الامتحان لكثر الصادقون وكذلك التوكل على الله فى ترك الدواء لا يجلب العوافى ولا يعجلها ولا ينقص من الامراض ولا يذهبها بل هو الى الازدياد منها أقرب للتمحيص والابتلاء ومنه قوله عز وجل وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فمن لم يشهد نقصان الدنيا من النفس والمال نعمة توجب عليه الشكر ويرى المنع عطاء فقد جهل تلك النعمة باضاعة شكرها فافاته من جهل النعمة وترك الشكر أعظم مما يترك من جميع الدنيا وأخاف عليه لطيفة من المحق والمحق نقصان الشئ الى ذهاب جملته عند الكفر بنعمته لقوله تعالى ويمحق الكافرين فالله أعلم أى شئ يمحقه وينقصه بمقدار ما كفر شكر نعمته وقد قال سبحانه ولنبلونكم بشئ من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين فهذا النقص من هذه الخمس التى المزيد منها هو جملة الدنيا هو المزيد من الآخرة لا ضد الدنيا كما قال تعالى وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فصبروا على مصائبهم توكلا على ربهم ثم توكلوا فى صبرهم لشهادة وكيلهم وحسن ظنهم به ثم صبروا على توكلهم لتمام حالهم ويعلو بذلك فيه مقامهم فالصبر أول مقام فى التوكل وهو عند مشاهدة القضاء بلاء والشكر أعلى من ذلك وهو شهود البلاء نعمة والرضا فوق ذلك كله وهو أعلى التوكل وهو مقام المحبين من المتوكلين قال الله عز وجل فى وصف عموم المتوكلين وما عند الله خير للذين يتقون أفلا تعقلون فمن اتقى الله وعقل خطابه توكل عليه فيما أصابه فلم ييأس على ما فات ولم يفرح من الدنيا بما هو آت وهذا أوسط الزهد وأول التوكل وقال تعالى فى وصف الخصوص وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فأهل العقل عن الله والمتقون له هم المتوكلون عليه وقد زهدهم فيما يفنى برغبته اياهم فيما يبقى حين فهموا الخطاب اذ هم أولو الالباب وذلك انه أضاف ما عنده اليه ووصفه بالبقاء ليرغبوا فيه لانهم قد توكلوا عليه وأضاف ما عندهم اليهم ليزهدوا فيه ووصفه بالفناء لانهم قد زهدوا فى نفوسهم اذ قد باعوها منه فكيف يتملكون ما عندها والعبد وماله لسيده وهو تعالى قد اشتراها منهم لرغبتهم فيه وعوضهم منها ما يبقى لهم فقال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق * ذكر بيان آخر من فضيلة المتوكل اعلم يقينا ان الله تعالى لو جعل الخلائق كلهم من أهل السموات والارضين على علم أعلمهم به وعقل أعقلهم عنه وحكمة أحكمهم عنده ثم زاد كل واحد من الخلائق مثل عدد جميعهم واضعافه علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم العواقب واطلعهم على السرائر وأعلمهم بواطن النعم وعرفهم دقائق العقوبات وأوقفهم على خفايا اللطف فى الدنيا والآخرة ثم قال لهم دبروا الملك بما أعطيتكم من العلوم والعقول عن مشاهدتكم عواقب الامور ثم أعانهم على ذلك وقواهم له لما زاد تدبيرهم على ما يراه من تدبير الله تعالى من الخير والشر والنفع والضر جناح بعوضة ولا نقص جناح بعوضة ولا أوجبت العقول المكاشفات ولا العلوم المشاهدات غير هذا التدبير ولا قضت بغير هذا التقدير الذى يعاينه ويقلب فيه ولكن لا يبصرون لانه أجراه على ترتيب العقول وعلى معانى العرف والمعتاد من الامور بالاسباب المعروفة والاواسط المشهورة على معيار ما طبع العقول فيه وجبل العقول عليه ثم غيب

روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وروى ابن مسعود نحوه وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله دلنى على عمل يدخلنى الجنة قال لا تغضب واعلم أن حركة النفس يحدث بها غليان دم القلب شهوة للانتقام فاذا كانت هذه الحركة عنيفة أججت نار الغضب وأضرمتها فاحتد غليان القلب وملئت الشرايين والدماغ دخانا مظلما مضطربا ينتشر به حال العبد ويختل ادراكه فلذلك يعمى الغضبان عن الرشد ويصم عن الموعظة بل تصير المواعظ كلها فى تلك الحال سببا للزيادة فى الغضب وليس ترجى له فى تلك الحالة حيلة وينبغى للانسان ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله الا على حد يستحب فى الشرع وذلك يكون بالمجاهدة ويتكلف الحلم والاحتلام فيعظ نفسه ويخاطبها بانك عن قريب مراحلة ووطنك القبر ومستقرك الآخرة وانما الدنيا معبر يعبر عنها ويتزود منها قدر الضرورة فيزهد فى الدنيا وتهون مصائبها وينمحى حبها من قلبه واعلم ان الحلم وترك الغضب من نتائج التوحيد فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى فانه لا يغضب على أحد من خلقه اذ يراهم مسخرين فى قبضة قدرته فيندفع الغضب والغيظ بغلبة التوحيد ويندفع أيضا بحسن الظن بالله وان الله لا يفعل

مع ذلك العواقب وحجب السرائر وأخفى المثاوب فغاب بعينها حسن التدبير وجميل التقدير فجهل أكثر الناس الحكم الا المتوكلين وما يعقلها الا العالمون ويقال أصغر ما خلق الله من الحيوان والموات البعوضة والخردلة وفي كل واحدة منهما ثلثمائة وستون حكمة ثم يتزايد الحكم في المخلوقات على قدر تفاوتها في العظم والمنافع ومزيد آخر من الهدى والبيان لو تمنى أهل النهى من أولي الالباب الذين كشف عن قلوبهم الحجاب نهاية أمانيهم فكونت أمانيهم على ما تمنوا لكان رضاهم عن الله في تدبيره ومعرفتهم بحسن تقديره لهم خيرا لهم من كون أمانيهم وأفضل لهم عند الله من قبل ان الله أحكم الحاكمين وقال تعالى موبخا للانسان مجهلا للمتمني لقلة الايقان أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى أي يحكم فيهما بترك الاماني لانه قال تعالى ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن فالمتوكل محب لله تعالى مسرور به فرح له بملكه بان له الآخرة والاولى يحكم فيهما كيف شاء والعبد عاجز لا يقدر على شئ فهذا أول مقام في المحبة فقد كفى الخلائق هذا كله بحسن تدبير الخالق العليم الخبير البصير وانما يحتاجون الى معرفة بالحكمة ومشاهدة للحكم والرحمة والى بصيرة ويقين يسكن عنه قلوبهم ولا يضطرب هذا الذي ذكرناه عند الموقنين وستطلع العموم على سر ما ذكرناه من لطيف التدبير وباطن التقدير وهو سر القدر ولطائف المقدر في الآخرة عند المعاينة وقد كشف الغطاء وظهر ما تحته من عجائب الخبء في السموات والارض وقد اطلع الله على ذلك العلماء به في الدنيا وهو محمود ومشكور على ما أظهر وأخفى ففي كل واحد منهما نعمة ومع كل واصف منها حكمة ورحمة ولكن قد خلق الله العلماء بأخلاقه فليس يكشفون من علمه الا بقدر ما كشف وليس يعرفون من سر قدره الا بمعيار ما عرف وقال تعالى وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فقد تأدبوا بهذا الخطاب ووقفوا عنده وقال أبو سليمان الداراني اذا لاحظت الاشياء من فوق وجدت لها طعما آخر وقال بعض العارفين اذا رأيت الاشياء كلها كشئ واحد من معدن واحد رأيت ما لم تسمع وفهمت ما لم تفهم الخلق وقال بعضهم لا ترى العجب حتى ترى عجبا فان لم تر عجبا رأيت العجب * ذكر بيان آخر من وصف المتوكلين اعلم أن العلماء بالله سبحانه لم يتوكلوا عليه لاجل أن يحفظ لهم دنياهم ولا لاجل تبليغهم مرادهم ولا ليشترطوا عليه حسن القضاء بما يحبون ولا ليبدل لهم جريان أحكامه عما يكرهون ولا ليغير لهم سابق مشيئته الى ما يعقلون ولا ليحول عنهم سنته التي خلت في عباده من الابتلاء والاختبار هو أجل في قلوبهم من ذلك وهم أعقل عنه وأعرف به من هذا ولو اعتقد عارف بالله أحد هذه المعاني مع الله في توكله كان كبيرة توجب عليه التوبة وكان توكله معصية وانما أخذوا نفوسهم بالصبر على أحكامه كيف جرت فطالبوا قلوبهم بالرضا عنه كيف جرت وقال رجل لمالك بن أنس يا أبا عبد الله اني تعلقت بأستار الكعبة فتبت من كل ذنب وحلفت أن لا أعصي الله فيما استقبل فقال له ويحك ومن أعظم معصية منك تتألى على الله أن لا ينفذ حكمه فيك وأنشدنا بعض العلماء لبعض الحكماء

لما رأيت القضا جاريا * لا شك فيه ولا مرية * توكلت حقا على خالقي * وألقيت نفسي مع الجرية

وانما كرهوا ما كره الله طاعة لله فذلك كراهتهم ما كره حبا لله وأكثر ما الحكمة عليهم لا كراهة ما قضى اذ ليس لهم أن يقولوا لم قضيت ما تكره ولم كرهت ما قضيت هو أجل وأعظم وفي نفوسهم أخوف وأهيب أن يواجهوه بهذا الخطاب في قول أو عقد بل عرفوا حكمته فيه وصبروا على حكمه به وانما توكل العلماء به عليه لاجل انه يحب المتوكلين ولاجل انه يستحق التفويض اليه ويستوجب التسليم له اذ كان هو الوكيل الاول والكفيل الاجل حين سمعوه يقول والله على كل شئ وكيل ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه وحين فقهوا قوله ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون ولما عقلوا من خطابه أليس الله بأحكم الحاكمين أو لاجل انه أمر بالتوكل وندب اليه وحقق الايمان به اذ سمعوه تعالى يقول أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أمن يملك السمع والابصار ومن يدبر الامر وما من دابة في الارض الا على الله

رزقها

به الا ما فيه الخيرة وربما تكون الخيرة في جوعه وعطشه ومرضه وموته وقتله ولكن غلبة التوحيد الى هذا الحد انما تكون كالبرق الخاطف فيغلب في أحوال مختلفة ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام لتصور للنبي صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى قال اللهم انا بشر أغضب كما يغضب البشر وايما مسلم سببته أو لعنته أو ضربته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله أكتب عنك كل ما قلت في حال الغضب والرضا فقال أكتب والذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا الحق وأشار الى لسانه فلم يقل اني لا أغضب ولكن قال ان الغضب لا يخرجني عن الحق وسب رجل أبا بكر فقال له ما ستر الله عنك أكثر والغضب ينقسم الى محمود ومكروه ومحرم فالغضب لله محمود وهذا كالغضب عند المشاهدة للمنكرات والفواحش غيرة على الدين وطلبا للانتقام ولهذا مدح الله تعالى الصحابة بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله وأما المكروه فالغضب عند فوات حظوظه المباحة كغضب الانسان على خادمه وعبده عند كسر آنية أو توانيه في خدمته فهذا لا ينتهي الى حد المذموم ولكن التغافل والتجاوز فيه أولى

ر زقها وفى السماء رزقكم وما توعدون ثم أقسم عليه بنفسه انه حق فتوكلوا عليه استحياء منه ولوجود اليقين الذى رفع خفايا الشك وحذر من التهمة له وتوثقة بالاعتقاد عليه فمنهم من توكل عليه لاجل هذه المعانى كلها ومنهم من توكل عليه لمشاهدة بعضها فكل عبد توكله عن الوصف الذى به عرفه وكل عرفه عن العذر المتجلى الذى عرفه فكل يطيعه على قدر قربه منه وكل يقرب على قدر علمه بقربه منه بقدر ما يعرف من كينونيته فى مكنون كانه وكل يعلمه على قدر عنايته به ومن ورائه سر القدر فشاهدة كل عبد من مقامه وحاله عن وجد شهادته وجزاؤه نحو معاملته والله يضاعف لمن يشاء هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون فدار السلام جامعة لهم وهم متفاوتون فى درجاتها كدار الدنيا تجمعهم وهو يرفعهم لديه فى ملكوتها بتخصيص التولى وحسن الولايات عن تحسين المعاملات الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب ومن الخصوص من توكل عليه تعظيما له واجلالا ومنهم من توكل عليه يقينا بوعده لتحقق صدقه كأنه قد أخذ الموعود بيده اذ يقول تعالى ومن أوفى بعهده من الله انه كان وعده مأتيا ومنهم من توكل عليه استسلاما لما شاهد من قهر عزه وعظيم قدرته ومنهم من توكل عليه ليحفظ عليه ماله فيه ومنهم من توكل عليه ليحفظ له ما استحفظه ويعصمه فى ماله عليه ومنهم من توكل عليه لقيامه بشهادته عن حسن معرفته ومنهم من توكل عليه تسليما له عن جميل معاملته ومنهم من فوض اليه لحسن تدبيره عنده وبحكم تقديره ومنهم من توكل عليه لان توحيده له وشهادة قيوميته ذلك يقتضيه فهذه كانت مواجيد أوليائه ومناهج أحبابه عن مشاهدة القرب ومعرفة القريب وبعضهم أعلى مقاما من بعض وبعض هذه المشاهدات أقرب وأرفع فأعلاها من توكل عليه للاجلال والتعظيم وأوسطها من توكل عليه للمحبة والخوف وأدناها من توكل عليه تسليما له وتحببا اليه وقد ذكرنا أيضا من توكل العموم ما يستحى العارفون من ذكره وينزهون قلوبهم عن فكره وهو التوكل عليه فى القلوب وقد طوينا ذكر توكل خصوص الخصوص من صديقى المقربين لانه لا يحتمله عقل عاقل ولا يسع أن يستودع فى كتاب الناقل اذ ربما نظر فيه منكر جاهل والله المستعان فدخل من عرفه فيما يحب لاجله ورغبوا فيما مدح لوصفه ليحصل لهم وصف يعطيهم به الولى حسن ثنائه ينالون بذلك قربة منه ومحبة لديه *ذكر بيان آخر فى التوكل وما لا ينقص المتوكل ولا ينقص المتوكل على الله سبحانه مسئلة مولاه فيما أحب من صالح الدنيا ومزيد الآخرة اذ لم يقصد غير مطلوب وكان مفوضا الى الله الامور ولكن يحتاج الى معرفة الاجابة فقد يكون المنع اجابة وقربا اذا كان العطاء شغلا عنه وبعد الان الخيرة فيما لا يعلم العبد وقد يكون فيما يكره مما يعلم الله سبحانه حسن عاقبته لانهما يعقل العبد عاجل منفعته فعليه التسليم لحكم الحاكم والرضا بقسم القاسم فان سأل تكاثرا من الدنيا أو ما لا يحتاج اليه وما ليس فيه صلاح قلبه ولا قربة الى ربه أخرجه من حقيقة التوكل بقدار ما يخرجه من الزهد وان انقطع بالذكر عن المسئلة أعطاه فوق عطاء من سأله وان سكت حياء من الوكيل اذ هو حسبه فشهد الكفاية ورضى بجميع التصرف فهذا مقام من المواجهة عن مشاهدة القيومية وهو حال المقربين ولا يقدح فى التوكل تشرف المتوكل الى رزقه لانه خلق ضعيفا ذا فاقة ورزقه معلوم لا بد منه والمعلوم مقسوم فتشرفه الى القسم تشرق منه الى القاسم ومن تشرف الى مولاه شرفه وتولاه ولكن ان تشرف الى الزيادة وخرج من القناعة وطلب العادة وأراد الشئ قبل وقته أو كره تأخره عنه الى وقت مقدوره فان هذا يقدح فى توكله وينقص من زهده ولو كان التشرف الى الرزق منها والتطلع الى الرزق مجملا ينقص التوكل لعللنا من باع واشترى وجهلنا من تعالج من علة بالدواء لان فى ذلك تشرفا الى الرزق وتطلعا الى البرء فجاء من ذلك تضعيف التابعين وطعن على المتداوين من الصحابة والسلف الصالح وأخرجهم ذلك من التوكل والزهد فلهم منها مقامات ولا يخرجه من التوكل مطالعته للعوض على معاملته من جزاء الآخرة لانه قد شوق الى ذلك وندب اليه ولكن لا يدخله ذلك فى حقيقة الاخلاص ولا يرفعه الى علو درجة الصديقين من المتوكلين وقد يكون مزيدا

وأحب وأما المذموم فهو الانشاطة الصادرة عن الفخر والتكبر والمباهاة والمنافسة والحسد والحقد وغير ذلك من الحظوظ الدنيوية دون الدينية وهذا هو الغالب على أكثر الخلق

(فصل) وينبغى لكل من حصل عنده غيظ ان يمسكه ويجتهد فى ان لا تظهر آثاره عليه قال الله تعالى والكاظمين الغيظ الآية قال المفسرون هم الذين يمسكون غيظهم فى نفوسهم على ما فيها من غمومهم ولا يصرحون من كرب ذلك بقول ولا فعل لا يحل لهم كما يفعله المتغيظون من الاشرار (سؤال) أيما رجل أفضل يغتاظ ويكتم غيظه بالتقى أو رجل لا يغتاظ لوفور نصيبه من الحلم والنهى (الجواب) الحليم أفضل من الكظيم لان الحلم درجة اذ هو من جملة المقامات والكظم مثوبة وأين أهل المثوبات من أهل الدرجات والمقامات لكن هذا بشرط ان يكون الحلم اختيارا يحمله عليه متابعة الشرع لا ما اذا كان فطريا يبعثه عليه الطبع

(فصل فى دواعى الغضب والغيظ والاسباب المهيجة لهما ومباشرة الغضب والغيظ) قال العلماء الفهماء الحكماء النجباء أرباب البصائر واليقين الاسباب المهيجة للغضب والغيظ هى الكبر والعجب والهزل والتعيير والمماراة وشدة الحرص على فضول الدنيا والجاه وهى باجمعها صفات ردية وأخلاق مذمومة ولا خلاص عن الغضب مع بقاء

على قدر حاله الا انه لا يدخله فى اخلاص المحبين ولا يرفعه فى درجات المقربين ولا يصح التوكل الا بزهد فى الدنيا وأول الزهد ترك الرغبة فى الحرام وأول أحوال المتوكل التوكل فى القوت ثم الصبر على حكم الحى الذى لا يموت وأعلى التوكل التوكل عليه فى الاستسلام للاحكام والرضا عنه فى المسابقة بين الاقدام وهو اطراح النفس ونسيانها شغلا منه عنها بنفسها وحباله وحقيقة التوكل بعد مشاهدة يد الوكيل فاذا ظهرت يده غابت الايدى فيها فعندها توكلت عليه بتذلل فقبل توكلك واستسلمت اليه فسلمك فانه يتجلى لك بوصف يلزمك حكما يضطرك الحكم الى الحاكم ويوقفك الوصف على الوكيل كما يضطرك الحاكم الى الحكم ويجرى لك وعليك ماشاء من القسم فاعلى توكلك عليه حياء منه واشهاده اياك توكله لك بحسن التدبير فلم يكلك الى سواه ولم يولك الا اياه فاما أن يقتضيك تصبرا له واما أن يقتضيك تفويضا اليه واما أن يقتضيك رضا عنه أو تسليما له أو استراحة من تدبيرك لنفسك أو يسقط عنك اهتمامك بتقديرك وأمانيك ومن يتوكل على الله فهو حسبه والحسب اى الحسيب يجعله ماشاء كيف شاء فقد قيل حسبه اى التوكل وقد قيل التوكل حسبه من سائر المقامات وقيل الله حسبه أى يكفيه ممن سواه قال تعالى معرفا الكافة مسليا للجماعة ان الله بالغ أمره أى منفذ حكمه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا ان من توكل عليه يكون الله حسبه أى يكفيه أيضا مهم الآخرة والدنيا ولا يزيد من لم يتوكل عليه جناح بعوضة فى قسمه كما لا ينقص من توكل عليه ذرة من رزقه لكن يزيد من توكل عليه هدى الى هداه ويرفعه مقاما فى اليقين على تقواه ويعزه بعزه وينقص من لم يتوكل عليه من اليقين ويزيده من التعب والهم ما يشتت قلبه ويشغل فكره والمتوكل عليه يوجب له بذلك تكفير سيآته ويلقى عليه رضاه ومحبته والكفاية فقد ضمنهما تعالى لمن صدق فى توكله عليه والوقاية فقد وهبهما لمن أحسن تفويضا اليه الا أن الاختيار وعلم الاستئثار اليه والكفاية والوقاية يجعل ذلك ماشاء كيف شاء وأين شاء ومتى شاء من أمور الدنيا وأمور الآخرة ومن حيث لا يعلم لان العبد موجود يجرى عليه الاحكام فى الدارين وفقير محتاج الى اللطف والرحمة والرفق فى المكانين والله هو الغنى الحميد المبدئ المعيد وقيل لابى محمد سهل متى يصح للعبد التوكل فقال اذا علم أن تدبير مولاه له خير من تدبيره لنفسه فان نظر مولاه له أحسن من نظره لنفسه فيترك التفكر فيما كان والتمنى لما يكون فيترك التدبير ولله عاقبة الامور وهو على كل حال محمود مشكور * ذكر أحكام مقام الرضا الرضا عن الله سبحانه وتعالى من أعلى مقامات اليقين بالله وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان فمن أحسن الرضا عن الله جازاه الله بالرضا عنه فقابل الرضا بالرضا وهذا غاية الجزاء ونهاية العطاء وهو قوله عز وجل رضى الله عنهم ورضوا عنه وقد رفع الله الرضا على جنات عدن وهى من أعلى الجنات كفضل الذكر على الصلاة فقال تعالى ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر كما قال تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والذكر عند الذاكرين المشاهدة فمشاهدة المذكور فى الصلاة أكبر من الصلاة وهو أحد الوجهين من الآية والوجه الثانى ذكر الله للعبد أكبر من ذكر العبد لله وقال أبو عبد الله الساجى من خلق الله عباد يستحيون من الصبر يتلقفون مواقع اقداره بالرضا تلقفا وقد كان عمر بن عبد العزيز يقول أصبحت ومالى سرور الا فى مواقع القضاء فالراضون عن الله عز وجل هم الذاكرون لله بما يحب ويرضى فالرضوان الاكبر جزاء أهل الذكر الاكبر وهذا أحد المعانى فى قوله من شغله ذكرى عن مسئلتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين أى الرضا عنه لان السائلين يسألونه لهم فاعطاهم العفو والذاكرون ذكروه فاعطاهم الرضا عنه عز وجل ويكون أيضا معناه أعطيته النظر الى لان الذكر يدخل فى المشاهدة فقابل النظر اليه اليوم بالنظر اليه غدا كما قابل الوصف بالوصف فى قوله عز وجل وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وقال الرسول صلى الله عليه وسلم يتجلى لنا ربنا ضاحكا والذكر قرب السمع والسمع يخرج الى النظر والرضا هو حال الموفق واليقين هو حقيقة الايمان والى هذا ندب النبى صلى الله عليه وسلم ابن عباس فى وصيته له فقال اعمل لله باليقين فى

هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب بالاتصاف باضدادها فينبغى أن يميت الكبر بالتواضع ويميت العجب بالمعرفة بنفسه ويزيل العجب بالجد فى طلب الفضائل الدينية وتصحيح القصد فى طلبها والعمل الصالح وتهذيب الاخلاق وأما تعيير الناس فيزيله بالحذر عن الكلام الفحش وقول القبيح وصيانة اللسان عن سوء الخطاب وأما شدة الحرص على فضول الدنيا فيزيله بالقناعة بقدر الضرورة ليصون نفسه عن ذل الحاجة واعلم ان آفة الغضب عظيمة وكيف لا تعظم آفته وهو يحمل الجوارح الظاهرة على القتل والضرب والشتم واطالة اللسان ويحمل القلب على الحقد والحسد واضمار السوء أو الشماتة والعزم على افشاء السر وهتك الستر والفرح بمصيبة المغضوب عليه والغم بمسرته وكل واحد من هذه الخبائث سم قاتل مهلك فعليك فى كسر سورة الغضب بوظائف احداها ماتقدم من ازالة أسبابه بالاتصاف باضدادها والثانية كسره فى الرياضة ولست أعنى بكسره ازالته من أصله فانه لا يزول بأصله ولو زال فينبغى تحصيله فانه آلة القتال مع الكفار والمنع من المنكر اذ به يحصل كثير من الخيرات كان النبى صلى الله عليه وسلم لا ينتصر لنفسه ولا يغضب لها ولا للدنيا فاذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد ولم يقم لغضبه شئ حتى ينتصر للحق واعلم ان الغضب كجارحة الصيد

الرضا فان لم يكن فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا فرفعه الى أعلى المقامات ثم رده الى أوسطها كذلك قال لابن عمر واعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فندبه الى المشاهدة وهو الاحسان لانه سأل ما الاحسان قال تعبد الله كأنك تراه ثم رده الى الصبر والمجاهدة وهو الايمان وهذا مكان العلم بان الله يراه وليس بعد هذا مكان يوصف وقد رفع الله تعالى الرضا منه فوق ما أعطى من النظر ففى الخبر ان الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلونى فيقولون رضاك فسؤالهم الرضا بعد النظر تفضيل عظيم للرضا ولان بالرضا دام لهم النظر لما كان الرضا موجب النظر سألوا دوام الرضا ليدوم القرب والنظر فسألوه تمام النعمة من حيث بدايتها ولا يصلح ان يظهر فى معنى قولهم رضاك أكبر من هذا ولا يرسم فى كتاب حقيقة الامر لانه على كشف وصف من صفات الذات يوجب على العبد هيبة الربوبية ويخوف هذا عن القلوب محجوب وحكمة من سرائر الغيوب وهذا فى الدنيا ثواب لاهل الخشية عن معرفة خاصية قال الله سبحانه رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى ولدينا مزيد قال يأتى أهل الجنة فى وقت المزيد ثلاث تحف من عند رب العالمين أحدها هدية من عند الله ليس عندهم فى الجنان مثلها وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فهو قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم والثالثة يقول الله تعالى انى عنكم راض فيكون ذلك أفضل من الهدية ومن التسليم فذلك قوله تعالى ورضوان من الله أكبر من النعيم الذى هم فيه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لطائفة من المؤمنين ما أنتم قالوا نحن المؤمنون فقال ما علامة ايمانكم قالوا نصبر عند البلاء ونشكر عند الرضاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة وفى خبر آخر انه قال حلماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا أنبياء فشهد لهم بالايمان بعد وصف الرضا وكذلك جعل لقمان الحكيم الرضا من شرط الايمان لا يصلح الا به فقال فى وصيته للابن الايمان أربعة أركان لا يصلح الا بهن كما لا يصلح الجسد الا باليدين والرجلين ذكر منها الرضا بقدر الله وحدثونا فى الاسرائيليات ان عابدا عبد الله دهرا طويلا فرأى فى المنام فلانة الراعية رفيقتك فى الجنة فسأل عنها الى ان وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر الى عملها فكان يبيت قائما وتبيت نائمة ويظل صائما وتظل مفطرة فقال أما لك عمل غير ما رأيت قالت ما هو والله الا ما رأيت لا أعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خصيلة واحدة هى فى ان كنت فى شدة لم أتمن أنى فى رخاء وان كنت فى مرض لم أتمن انى فى صحة وان كنت فى الشمس لم أتمن انى فى الظل قال فوضع العابد يده على رأسه فقال أهذه خصيلة هذه والله خصلة عظيمة يعجز عنها العباد وقد روينا عن ابن مسعود من رضى بما ينزل من السماء الى الارض غفر له وقال أبو الدرداء ذروة الايمان الصبر للحكم والرضا بالقدر وروى عن محمد بن حويطب عن النبى صلى الله عليه وسلم من خير ما أعطى العبد الرضا بما قسم الله وفى الخبر المشهور طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضى به وفى مثله أيضا من رضى من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضى الله منه بالقليل من العمل وقد روينا عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا من طرق أهل البيت اذا أحب الله عبدا ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى اصطفاه فالرضا عن الله عز وجل والرحمة للخلق وسلامة القلب والنصيحة للمسلمين وسخاوة النفس مقام الابدال من الصديقين وقد روينا فى أخبار موسى عليه السلام ان بنى اسرائيل قالوا سل لنا ربك أمرا اذا فعلناه رضى به عنا قال موسى الهى قد سمعت ما يقولون فقال ياموسى قل لهم يرضون عنى حتى أرضى عنهم ويشهد لهذا الخبر المروى عن نبينا صلى الله عليه وسلم من أحب ان يعلم ماله عند الله فلينظر ما لله عنده فان الله ينزل العبد منه بحيث أنزله من نفسه وقد روينا حديثا حسنا كالمسند عن حماد ابن سلمة عن ثابت البنانى عن أنس بن مالك اذا كان يوم القيامة أنبت الله لطائفة من أمتى أجنحة فيطيرون من قبورهم الى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون كيف شاؤا قال فتقول لهم الملائكة هل رأيتم الحساب فيقولون ما رأينا حسابا فيقولون هل جزتم الصراط فيقولون ما رأينا الصراط فيقال لهم هل رأيتم جهنم

المنازل ناصية فى باديته حتى ينقاد العقل والشرع ولا يخرج عن حدودهما فيهيج باشارة العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولا يخالفهما كما ينقاد الكلب للصياد وهذا يمكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال فان الغيوظ للمغضبات قال السرى رحمة الله عليه ثلاث من كن فيه استكمل الايمان من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا رضى لم يخرجه رضاه الى الباطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له الثالثة ضبط الغضب عند الهيجان بالكظم ويعين عليه علم وعمل أما العلم فهو ان يعلم انه لا سبب لغضبه الا انه أنكر ان يجرى على مراد الله لا على مراده وهذا غاية الجهل والامن يعلم ان غضب الله عليه أعظم من غضبه وان فضل الله أكثر وكم عصاه وخالف أمره فلم يغضب ان خالفه غيره فليس أمره الزم على عبده وأهله ورفيقه من أمر الله وأما العمل فهو ان يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فان لم يسكن غضبه بذلك جلس ان كان قائما فان لم يسكن فليتوضأ ورد بذلك الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم

(فصل) والحقد من الغل وهو من الرذائل المبعدة عن رضوان الله والخبائث الموجبة لسخطه تعالى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن ليس بحقود والموجب للحقد هو ان الانسان اذا أوذى بشئ فظهر عليه الغضب وعجز عن السعى فى الحال رجع الغضب الى الباطن

فيقولون ما رأينا شيأ فتقول الملائكة من أمة من أنتم فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون نشدنا كم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبلغنا الله هذه المنزلة بفضل رحمته فيقولون وما هما فيقولون كنا اذا خلونا نستحي ان نعصيه ونرضى باليسير مما قسم الله لنا فتقول الملائكة يحق لكم هذا هكذا كان في كتاب شيخنا عن أنس وقال فيه لطائفة من أمتي ففيه دليل على المسند وقد جاء ان من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله عنه بالقليل من العمل وقال بعض علمائنا أعرف في الموتى عالما ينظرون الى منازلهم من الجنان في قبورهم يغدى عليهم ويراح من الجنة بكرة وعشيا وهم في غموم وكروب في البرزخ لو قسمت على أهل البصرة لماتوا أجمعين قيل وما كانت أعمالهم قال كانوا مسلمين الا انهم لم يكن لهم من التوكل ولا من الرضا نصيب وقد جاء في فرض الرضا قول النبي صلى الله عليه وسلم أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وقرن لقمان الرضا بالتوحيد فقال في وصيته لابنه أوصيك بخصال تقربك الى الله وتباعدك من سخطه الاولى تعبد الله لا تشرك به شيأ والثانية الرضا بقدر الله فيما أحببت وكرهت وقال في وصيته ومن يتوكل على الله ويرضى بقدر الله فقد أقام الايمان وفرغ يده ورجليه لكسب الخير وأقام الاخلاق الصالحة التي تصلح للعبد أمره فمن الرضا سرور القلب بالمقدور في جميع الامور وطيب النفس وسكونها في كل حال وطمأنينة القلب عند كل مفزع مهلع من أمور الدنيا وقناعة العبد بكل شيء واغتباطه بقسمة ربه وفرحه بقيام مولاه عليه واستسلام العبد للمولى في كل شيء ورضاه منه بادنى شيء وتسليمه له الاحكام والقضايا باعتقاد حسن التدبير وكمال التقدير فيها وتسليم العبد الى مولاه ما في يديه رضا بحكمه عليه وان لا يشكو الملك السيد الى العبد المملوك ولا يتبرم بفعل الحبيب ولا يفقد في كل شيء حسن صنع القريب ومن الرضا عند أهل الرضا ان لا يقول العبد هذا يوم شديد الحر ولا هذا يوم شديد البرد ولا يقول الفقر بلاء ومحنة والعيال هم وتعب والاحتراف كد ومشقة ولا يفقد بقلبه من ذلك ما لا يغيره به بل يرضى القلب ويسلم ويسكن العقل ويستسلم بوجود حلاوة التدبير واستحسان حكم التقدير كما قال عمر بن عبد العزيز أصبحت ومالي سرور الا في انتظار مواقع القدر وقال ابن مسعود الفقر والغنى مطيتان ما أبالي أيهما ركبت ان كان الفقر فان فيه الصبر وان كان الغنى فان فيه البذل وقال أحمد بن ابي الحواري قلت لابي سليمان ان فلانا قال وددت ان الليل أطول مما هو فقال قد أحسن وقد أساء أحسن حيث تمنى طوله للعبادة وأساء اذ أحب ما لم يحب الله وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما أبالي على أي حال أصبحت وأمسيت من شدة أو رخاء وقال ذات يوم لامرأته عاتكة وقد غضب والله لاسوءنك فقالت أتستطيع ان تصرفني عن الاسلام بعد ان هداني الله قال لا قالت فأي شيء تسوءني اذا وقال جعفر بن سليمان الضبعي قال سفيان الثوري يوما عند رابعة اللهم ارض عنا فقالت أما تستحي من الله ان تسأله الرضا وانك غير راض عنه فقال استغفر الله قال جعفر فقلت لها متى يكون العبد راضيا عن الله تعالى فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وقال فضيل بن عياض اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضي وفي أخبار داود مالاوليائي والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم وفي بعضها يا داود اياك والاهتمام بالدنيا محبتي من أوليائي ان يكونوا روحانيين لا يغتمون اياك والغم ولا تهتم للخير أنت تريدني ويقال أكثر الناس هما في الدنيا أكثرهم هما في الآخرة وأقلهم هما في الدنيا أقلهم هما في الآخرة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن واعلم ان الفرح بالدنيا يخرج هم الآخرة من القلب والغم على الدنيا يحجب عن الحزن على فوت الآخرة وذكر عند رابعة عابد له عند الله منزلة وكان قوته ما يقمم من مزبلة لبعض ملوكهم فقال رجل عندها فما يضر هذا اذا كانت له عند الله منزلة ان يسأله فيجعل قوته في غير هذا فقالت له أسكت يا بطال أما علمت ان أولياء الله هم أرضى عنه ان يتخيروا عليه ان ينقلهم من معيشة حتى يكون هو الذي يختار لهم وقال أحمد بن أبي الحواري قال لي أبو

سليمان

والخنق واحتقن وصار حقدا او الحقد يثمر أمورا منها الحسد وتمني زوال النعمة والشماتة والغيبة فيه والنميمة عليه والشتم والضرب والبغض له والنفر عنه وعلاجه بتعاطي الحلم والعفو والصفح وذكر ما ورد في ذلك كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقوله تعالى والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقوله تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون ان يغفر الله لكم وقوله صلى الله عليه وسلم صل من قطعك واعف عمن ظلمك

(باب الامن من مكر الله تعالى وعذابه والاشر والبطر والرغبة في الدنيا ومحبة المال ومحبة الصور)

قال الله تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون قال العلماء بالله من ركب الذنوب والمعاصي وضيع الفروض فهو ممن أمن مكر الله وعذابه لانه قد سكن عند هيجان الخوف من غضب الله ووعيده وزال عنه الحذر من ذلك وأما الخائف من عذاب الله الذي لا يأمن مكره فانه اذا خطر له خاطر من النفس أو من العدو وعرض له سبب أو داع الى تضييع فرض أو ركوب معصية هاج من قلبه فزع من الله ورغبة منه والخائفون من الله في ضعف هذا الداعي وقوته على مراتب وأعلى هؤلاء مرتبة هم الذين

سليمان ان الله تعالى من كرمه قد رضي من عبيده بما رضي العبيد من مواليهم قلت وكيف ذلك قال أليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله من عبيده ان يرضوا عنه وقال الاعمش قال لي أبو وائل يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا وقال الله عز وجل في معناه ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي يعطيهم ويستجيب لهم والاستجابة الطاعة كقوله تعالى فليستجيبوا لي فلما استجابوا له استجاب لهم أطاعوه فيما أحب فأطاعهم فيما يحبون وهذا أحد وجهي الآية كقوله تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وهو على تأويل من قرأ هل يستطيع ربك ان يطيعك قال ابن عباس كان الحواريون أعلم بالله ان يشكوا ان الله يقدر على ذلك وانما معناه هل يستطيع ان يطيعك وروينا أيضا عن عائشة مثله وقال الفضيل من أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ومن خاف من الله خاف منه كل شيء وفي أخبار موسى عليه السلام يارب دلني على أمر فيه رضاك حتى أعمله فأوحى الله تعالى اليه ان رضاي في كرهك وأنت لا تصبر على ما تكره قال يارب دلني عليه قال فان رضاي في رضاك بقضائي وقد روي على وجه آخر ان بني اسرائيل سألوا موسى فقالوا علمنا في أي شيء رضا ربنا لفعلناه فأوحى الله اليه قل لهم رضاي في رضاهم بقضائي وفي مناجاة موسى عليه السلام يارب أي خلقك أحب اليك قال من اذا أخذت منه المحبوب سالمني قال فأي خلقك أنت عليه ساخط قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي وقد ورد أشد من هذا كله ان الله تعالى قال أنا الله الذي لا اله الا أنا من لم يصبر على بلائي ويرض بقضائي ويشكر نعمائي فليتخذ ربا سواي وقد رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريق ومثله في الشدة يقول الله تعالى قدرت المقادير ودبرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضي فله الرضا مني حين يلقاني ومن سخط فله السخط مني حين يلقاني وفي الخبر أول ما كتب لموسى عليه السلام اني أنا الله لا اله الا أنا من رضي بحكمي واستسلم لقضائي وصبر على بلائي كتبته صديقا وحشرته مع الصديقين يوم القيامة وروينا في الخبر المشهور بمعناه يقول الله جل جلاله قدرت الخير والشر وأجريتهما على أيدي عبادي فطوبى لمن خلقته للخير وأجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر وأجريت الشر على يديه وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكا الى الله الجوع والفقر عشر سنين كل ذلك لا ينظر في مسئلته فأوحى الله اليه لم تشكو هكذا كان بدؤك عندي في أم الكتاب قبل أن أخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أفتريد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبدل ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزتي وجلالي لئن تخالج في صدرك مرة أخرى لأمحونك من ديوان النبوة وروينا ان آدم عليه السلام كان بعض أولاده الصغار يصعدون على جسمه وينزلون يجعل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد الى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك قال وهو مطرق الى الارض لا ينطق ولا يرفع رأسه فقال له بعض ولده يا أبت ألا ترى ما يصنع هذا بك لو نهيته عن هذا فقال يابني اني رأيت ما لم تروا وعلمت ما لم تعلموا اني تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار الكرامة الى دار الهوان ومن دار النعيم الى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك حركة أخرى فيصيبني ما لا أعلم وروينا في بعض الاخبار انه قال ان الله ضمن لي ان حفظت لساني أن يردني الى الدار التي أخرجني منها وقال أبو محمد سهل حظ الخلق من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله وروى عطية عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل الغم والحزن في الشك والسخط ومن الرضا ان لا تذم شيئا مباحا ولا تعيبه اذا كان بقضاء مولاه شاهدا للصانع في جميع الصنعة ناظرا الى اتقان الصنع والحكمة وان لم يخرج ذلك عن معتاد المعقول والعادة وبعض العارفين يجعل هذه الاشياء في باب الحياء من الله عز وجل ومنهم من يقول هي من حسن الخلق مع الله تعالى ومنهم من جعله من باب الادب بين يدي الله فاذا كان هذا كذلك كان ذم

اذا عرض لهم عارض من النفس أو من الشيطان هاج من قلبه في الحال ما لو انشقت السماء لدخل فيها أو الارض لهوى فينقطع كان أهون عنده من الركون الى ما عرض له من الوسواس في القلب للحذر من الله والرغبة منه قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقد جاء ان جماعة من الصحابة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يارسول الله انه يخطر بقلوبنا أشياء لأن نخر من السماء فتخطفنا الطير أو تهوي بنا الريح في مكان سحيق أحب الينا ان نتكلم به قال وقد وجدتم ذلك قالوا نعم قال ذلك محض الايمان لانه لما هاج من قلوبهم الفزع من الله تعالى والرغبة منه عند اعتراض الوساوس من الشيطان دل ذلك على قوة قلوبهم

(فصل) والامن من مكر الله هو مخالفة الرب مع عدم الخوف من عاقبة المخالفة كالاخذ بغتة بعقوبة متكامله أو بموت على غير توبة أو استدراج بنعم يزاد بها اثما قال تعالى فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو ممن آمنه الله تعالى في الدنيا والآخرة انه كان اذا رأى سحابة مظلمة أكثر الدخول والخروج ويتغير لونه فيقول له بعض أزواجه مالك يارسول الله فيقول ما يؤمنني

الاشياء التى أبحث وعيبهما من سوء الخلق مع الله وكانت من سوء الادب بين يدى الله وأعظم من ذلك انها تدخل فى باب قلة الحياء من الله ويصلح ان يكون هذا أحد معانى الخبر الذى جاء قلة الحياء كفر يعنى كفر النعمة بان يذم ويعيب بعض ما أنعم الله به عليه من الارفاق والالطاف اذ كان فيهما تقصير عن تمام مثلها أو كانت مخالفة لهواه منها فيكون ذلك كفر النعمة وقلة حياء العبد من المنعم اذ قد أمره بالشكر على ذلك فبدل الشكر كفرا الا ان أحدا لو اصطنع لك طعاما فعبته وذممته كره ذلك منك فكذلك تعالى يكره ذلك منك وهذا داخل فى معرفة معانى الصفات وفى معنى ما قيل أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه لانك اذا عرفت صفات نفسك فى معاملة الخلق عرفت منها صفات خالقك وبعض الراضين يجعل ذم الاشياء وعيبها بمنزلة الغيبة لصانعها لانها صنعته ونتاج حكمته ونفاذ علمه وحكم تدبيره وتدبير مقاديره ولانه أحكم الحاكمين وخير الرازقين وأحسن الخالقين له فى كل شئ حكمة بالغة وفى كل صنعة صنع متقن ولانك اذا عبت صنعة أحد وذممتها سرى ذلك الى الصانع لانه كذلك صنعها وعن حكمته أظهرها اذ كانت الصنعة مجبولة لم تصنع نفسها ولا صنع لها فى خلقتها وكان الورعون لا يعيبون صنعة عند كراهة الغيبة له وذلك ان الراضى عن الله متأدب بين يدى الله يستحيى ان يعارضه فى داره أو يعترض عليه فى حكمه فصاحب الدار يصنع فى حكمه ما شاء والحاكم يحكم بامره كيف شاء والعبد راض بصنع سيده مسلم لحكمة حاكمه وروى فى الاسرائيليات ان عيسى عليه السلام مر مع نفر من أصحابه بجيفة كلب فغطوا آنافهم وقالوا أف أف ما أنتن ريحه فلم يخمر عيسى عليه السلام أنفه وقال ما أشد بياض أسنانه أراد ان ينهاهم بذلك عن الغيبة ويعلمهم ترك عيب الاشياء كيف هو يرى بعين نفسه ان الصنعة من صانعها فهو يقلبها ويصرفها على معانى نظره وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ما عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه وقال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين ليس كل امرئ كما يريد صاحبى ما قال لى لشئ فعلته لم فعلته ولا لشئ لم أفعله الا فعلته ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا لشئ لم يكن ليته كان وكان يقول لو قضى شئ لكان وهذا وصف الراضى الموقن القائم بشهادته فبالنظر فى هذه الدقائق والوقوف عندها رفع القوم عند الله الى مقام المقربين وبالتهاون بها والغفلة عنها نغلت القلوب ففسدت حتى لم تصلح للمحبة والرضا وهذه المعانى من الاعتراضات والتخير هو تقدم بين يدى الله وذلك التدبير الذى يشير اليه سهل ويقول ان تدبير الخلق حجبهم عن الله عز وجل وحكى لنا ان بعضهم صحب بعض العارفين فى طريق فعبث بشئ نحاه من مكان الى مكان آخر فقال له العارف ماذا صنعت أحدثت فى الملك حدثا عن غير ضرورة ولا سنة ولا تصحبنى أبدا فلو لم يكن لنا من الذنوب الا هذه الاشياء لقد كان كافيا وفوق ذلك تهاونا بها وأعظم من ذلك ترك التوبة والاستغفار منها وأعمال طلاب الرضا من الله مضاعفة على أعمال المجاهدين فى سبيل الله لان أعمال المجاهدين تضاعف الى سبعمائة ضعف وتضعيف طالبى الرضا لا تحصى قال الله تعالى والله يضاعف لمن يشاء وقال تعالى فيضاعفه له اضعافا كثيرة قيل الحسنة الى ألفى ألف حسنة وقد قال سبحانه ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة فكم فى هذه الجنة من سنبلة وحبة فهؤلاء الذين قال والله يضاعف لمن يشاء هم أهل الرضا عنه وهم الذين اقرضوا الله قرضا حسنا لاجله فضاعفه لهم اضعافا كثيرة فمن عقل عن الله حكمته كان مع الله تعالى فيما حكم مسلما له ما شهد لانه سبحانه باختياره انشأ الاشياء وبمشيئته أبداها وعنه يتصرف المقدور واليه عواقب الامور لا يكون مع نفسه فيما يهواه ولا مع معتاده وعرفه فيما يعقل وقال بعض العارفين قد نلت من كل مقام حالا الا الرضا فمالى منه الا مشام الريح وعلى ذلك لو أدخل الخلائق كلهم الجنة وأدخلنى النار لكنت بذلك راضيا وقيل لعارف فوقه نلت غاية الرضا عنه فقال الغاية لا ولكن مقام من الرضا قد نلته حتى لو جعلنى جسرا على جهنم يعبر الخلائق على الى الجنة ثم ملأ بى جهنم تحلة لقسمه وبدلا من خليقته لاحببت ذلك من حكمه ورضيت به من قسمه وحدثونا عن الروذبارى قال قلت لابى عبد الله بن

ان تنكون كما قال الله تعالى فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا فلم يأمن صلى الله عليه وسلم مكر الله بأهل الارض قال أبو حازم اذا رأيت تتابع نعم الله عليك وأنت تعصيه فاحذره

(فصل) والرغبة فى الدنيا ومحبة المال أمران مذمومان فى كتب الله المنزلة على السنة أنبيائه عليهم السلام والقرآن الكريم مملوء من ذمهما والتنفير عنهما وصرف الخلق عنهما ودعوتهما الى الآخرة بل هو مقصود الانبياء ولم يبعثوا الا لذلك قال الله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وقال تعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وقال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور والى غير ذلك من الآيات وعنه صلى الله عليه وسلم انه مر على شاة ميتة فقال أترون هذه الشاة هينة على أهلها فقالوا من هوانها القوها فقال والذى نفسى بيده للدنيا أهون عند الله من هذه الشاة على أهلها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم وقف على مزبلة عليها عظام قد نخرت وخرق بالية وأرواث وعذرة فقال هلموا انظروا هذه هى الدنيا فأشار الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الابدان تصير عظاما وان أطعمتها تصير عذرة وروى أبو الدرداء رضى الله عنه قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولهانت عليكم الدنيا ولآثرتم

الجلاء الدمشقي يقول فلان وددت ان جسدي قرض بالمقاريض وان هذا الخلق أطاعوه فما معناه قال يا هذا ان كان من طريق الاشفاق على الخلق والنصح فاعرف وان كان من طريق التعظيم والاجلال فلا أعرف قال ثم غشي عليه وقد كان عمران بن حصين استسقى بطنه فابث ملقى على ظهره ثلاثين سنة سطيحا لا يقوم ولا يقعد قد نقب له في سرير من جريد كان تحته موضعا لغائطه وبوله فدخل عليه مطرف أو أخوه العلاء فجعل يبكي لما يرى من حاله فقال لم تبكي فقال لاني أراك على هذه الحال العظيمة فقال لا تبكي فان أحبه الى أحبه الى الله ثم قال أحدثك شيأ لعل الله ان ينفعك به واكتم عني حتى أموت ان الملائكة تزورني فآنس بها وتسلم علي فاسمع تسليمها أراد عمران رحمه الله بذلك أن يعلم ان هذا البلاء ليس بعقوبة لان مثل هذه الآية انما هو درجة ورحمة وبلاء العقوبات لا يكون معه الآيات ولا يوجد عنده الحلاوات ولا مزيد القلوب من نسيم ريحان الغيوب ولانه كان حزن عليه فأراد أن يبشره فلا تذكر الحبيب ولا حب لقاء الطبيب كما أنشد بعض المحبين

يا حبيبا بذكره نتداوى * وصفوه لكل داء عجيب

من أراد الطبيب سر اذا * اعتل اشتياقا الى لقاء الطبيب

من أراد الحبيب سار اليه * وجفا الاهل دونه والقريب

ليس داء المحب داء يداوى * انما برؤه لقاء الحبيب

قال ودخلنا على سويد بن شعبة نعوده فرأينا ثوبا ملقى فما ظننا ان تحته شيأ حتى كشف فقالت له امرأته أهلي فداؤك ما نطعمك ما نسقيك فقال طالت الضجعة ودبرت الحراقيف وأصبحت نضوا لا أطعم طعاما ولا أسيغ شرابا منذ كذا فذكر أياما ثم قال وما يسرني اني نقصت من هذا قلامة ظفر واعتل حذيفة علة الموت فجعل يقول اخنق خناقك فوعزتك انك لتعلم اني أحبك فلما حضره الموت جعل يقول حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وروي أيضا مثل هذا عن أبي هريرة ولما قدم سعد الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس يهرعون كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ولهذا وكان مجاب الدعوة دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك قال عبد الله بن السائب فأتيته وانا غلام فتعرفت اليه فعرفني وقال أنت قارئ أهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها فقلت له يا عم أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم ثم قال يا بني قضاء الله عندي أحسن من بصري ويقال ان بعض هذه الطائفة ضاع ولده وكان صغيرا ثلاثة أيام لا يعرف له خبرا فقيل له لو سألت الله ان يرده عليك فقال اعتراضي عليه فيما قضى أشد من ذهاب ولدي وقد روينا عن بعض العباد انه قال أذنبت ذنبا فانا أبكي عليه منذ ثلاثين سنة وكان قد اجتهد في العبادة لاجل التوبة من ذلك الذنب قيل له وما هو قال قلت مرة لشيء كان ليته لم يكن وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب الى من ان أقول لشيء قضاه الله ليته لم يقضه وحدثونا عن بشر الحافي قال رأيت بعبادان رجلا قد قطعه البلاء وقد سالت حدقتاه على خديه وهو في ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله قال واذا هو قد صرع من حبه به قال فوضعت رأسه في حجري وجعلت أسأل الله عز وجل كشف ما به وادعو له فأفاق فسمع دعائي فقال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين ربي ويعترض عليه في نعمه على قال ونحى رأسه قال بشر فاعتقدت ان لا اعترض على عبد في نعمة أراها عليه من البلاء وقيل لعبد الواحد بن زيد ههنا رجل قد تعبد خمسين سنة فقصده فقال حبيبي أخبرني عنك هل قنعت به قال لا قال هل أنست به قال لا قال فهل رضيت عنه قال لا قال فانما مزيدك منه الصوم والصلاة قال نعم قال لولا اني استحي منك لاخبرتك ان معاملتك خمسين سنة مدخولة أراد بذلك انه لم يقربك فيجعلك في مقام المقربين فيكون مزيدك لديه من أعمال القلوب وكذلك يصنع باوليائه انما أنت عنده في طبقة أصحاب اليمين فمزيد العموم من أعمال الجوارح وقد يكون الرجل مخلصا في مقامه وان كان فوقه فوق وقدر وروينا عن ابن محيريز وكان من عباد أهل الشام وعلمائهم كلمة غريبة المعنى دقيقة في معنى المخالفة لله عز وجل وان كان قد فسرها فانه لم يكشف معناها الفهم السامعين

الآخرة ولو علمتم ما أعلم لخرجتم الى الصعدات تبكون على أنفسكم وهو حديث طويل يشتمل على مواعظ جليلة وقال بعض العلماء الدنيا جيفة فمن أراد منها شيأ فليصبر على معاشرة الكلاب وقال أبو الدرداء رضي الله عنه من هوان الدنيا على الله تعالى انه لا يعصى الله تعالى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل اذا امتحن الدنيا لبيب * تكشفت له عن عدو في ثياب صديق وقال أبو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة وذكرت الدنيا وما عند الحسن البصري رحمة الله عليه فقال احلام نوم أو كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع وقال بعضهم الدنيا عدوة محبوبة شأنها قتل عشاقها تبيت عاشقها في العافية ويصبح بها في الهاوية وهو مع ذلك يحبها حب الصبي لانه يفرح بها اذا أقبلت ويحزن عليها اذا أدبرت قال أبو بكر بن عياش رحمة الله عليه رأيت الدنيا في صورة عجوز شوهاء شمطاء تصفق بيديها وخلفها خلق كثير يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما جاءت بحذائي أقبلت على وقالت اني لو ظفرت بك لصنعت بك كما صنعت بهؤلاء ثم بكى أبو بكر وقال رأيت هذا قبل ان أقدم بغداد وقال النبي صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب سار في يوم صائف فرفعت له شجرة فقال تحت ظلها ساعة ثم راح وتركها وقال من القيلولة ورأى بعض الصحابة يبني بيتا من جص فقال له

منه والحاضر بن عنده يحتاج تفسيرها الى تفسير وروينا عنه انه قال كما كم يلقى الله تعالى ولعله قد كذبه وذلك ان أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان به شلل ظل يواريها يعني بذلك ان الذهب من زينة الدنيا وقد ذم الله تعالى الدنيا وان البلاء زينة أهل الآخرة وقد مدح الله الآخرة أي فانت اذا أعطاك زينة الدنيا أظهرتها وفخرت بها واذا أعطاك زينة الآخرة وهي المصائب والبلاء كرهتها وأخفيتها لئلا تعاب بذلك فحسب عليه حب الدنيا والتزين بها وكراهة البلاء تكذيبا له ورداً عليه ماوصفه وهذا يدخل في باب الزهد وفي باب الرضا ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء حياء من الناس لئلا يعاب بذلك فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعمة الله فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا وكذلك قال أبو سليمان الداراني ثلاث مقامات لاحد لها الزهد والورع والرضا وخالفه سليمان ابنه وكان عارفا ومن الناس من كان يقدمه على أبيه فقال بلى من تورع في كل شئ فقد بلغ حد الورع ومن زهد في كل شئ فقد بلغ حد الزهد ومن رضى عن الله في كل شئ فقد بلغ حد الرضا ولا ينقص الراضي من مقام الرضا مسئلة مولاه مزيد الآخرة وصلاح الدنيا تعبدا بذلك وافتقارا اليه في كل شئ لان في ذلك رضاه ومقتضى تمدحه بمسئلة الخلائق له فان صرف مسائله الى طلب النصيب من المولى وابتغاء القرب منه حباله وآثره على ماسواه كان فاضلا في ذلك لانه قد رد قلبه اليه وجمع همه بذلك وهذا على قدر مشاهدة الراضي عن معرفته وهو مقام المقربين ومقتضى حاله لانه يسئل عن علمه بعلمه في وقت من أحواله كما يسئل عن جملة أعماله بعلومه في جملة عمره وهذا أصل فاعرفه فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف فلم يكن يضرهم عندهم خلاف من خالف وان كان دعاؤه تمجيد السيد وثناء عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره وولها بحبه لانه مستوجب لذلك بوصفه ولانه واجب عليه فقد استغرقه وجوب ماعليه عما له فهذا أفضل وهو مقام المحبين وهو من القيام بشهادته وقد دخل فيما ذكرناه من مقتضى حاله بالعمل بعلمه في وقته وللعلماء مسئلة قد اختلفوا فيها في أهل المقامات ثلاث أيهم أفضل عبد يحب الموت شوقا الى لقاء الله وعبد يحب البقاء للكد والخدمة للمولى وعبد قال لا اختار شيئا بل ارضى مايختار لي مولاي ان شاء أحياني أبدا وان شاء أماتني غدا قال فتحاكموا الى بعض العارفين فقال صاحب الرضى أفضلهم لانه أقلهم فضولا وهذا كما قاله في الاعتبار بترك الاعتراض والاختيار لانه دخل في الدار بغير اختيار وكذلك يكون خروجه منها على معنى دخوله بلا اختيار لان مقام الرضا أعلى من مقام التشوق ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا الى لقاء الله وهذا مقام في المحبة وفي حقيقة الزهد في الحياة وفي الخبر من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة المعاملة هو فاضل بعد هذين مقامه قوة الرجاء وحسن الظن في العصمة وله أيضا مطالعات من الانس وملاحظات في القرب به طاب مقامه وعنده سكنت نفسه وقصرت أيامه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل المؤمنين ايمانا أو قال أكمل المؤمنين ايمانا من طال عمره وحسن عمله هذا لان الاعمال مقتضى الايمان اذ حقيقة الايمان انما هو قول وعمل وليس بعد هؤلاء مقام يفرح به ولا يغبط صاحبه عليه ولا يوصف بمدح انما هو حب البقاء لمتعة النفس وموافقة الهوى وقد تشرف النفس على الضعفاء من أهل هذا الطريق ويختفي فيها علة وهو ان يحب البقاء لاجل النفس وللمتعة بروح الدنيا وما طبعت عليه من حب الحياة وتكره الموت لمنافرة الطبع ولطول الامل فيتوهم انه ممن يحب البقاء لاجل الله وطاعته وهذا هو من الشهوة الخفية التي لا يخرجها الا حقيقة الزهد في الدنيا ولا يفضل في هذا الطريق الثالث الا عارف زاهد دائم المشاهدة باليقين فاما المعتل بوصفه وهواه فليس يقع به اعتبار في طريق ولا مقام واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال الثوري قد كنت أكره موت الفجاءة قبل اليوم فاما اليوم فوددت اني مت فقال له يوسف ولم قال لما أتخوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول البقاء فقال الثوري ولم تكره الموت قال لعلي أصادف يوما أتوب فيه وأعمل صالحا فقيل

لوهيب

أرى الامر أعجل من ذلك وأنكر ذلك وقال المسيح عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها واعلم ان للمال آفات منها انه يجر الى المعصية لانك تجد الداعية لا تتحرك الى المعصية الا باستشعار القدرة فان صبر فالصبر مع القدرة شديد لان فتنة السراء أعظم من فتنة الضراء ولان المال يجسر الى التنعم بالمباحات ومتى تعود ذلك تولد منها آفات كثيرة وهي كل ماترى الناس فيه من الدخول في الشبهة والحرام والعداوة والبغضاء والمنافسة ومن لا مال له بمعزل عن ذلك كله

(فصل) وأما محبة الصور فهو الداء العضال والسم القاتل وهو الذي يأسر القلب ويقطعه عن عبودية الهه وخالقه الى عبودية معشوقه ومحبوبه من البشر ولا شئ أضر على العبد منه فانه عذابه وسجنه وحجابه عن ربه ويجمع همه وغمه وأحزانه فهو معذب بمعشوقه قبل وصوله اليه وبعد فراغه ولولا سكر اللذة في حال الوصال لرأى عذاب قلبه في تلك الحال ولكن غاب وارد الشهوة واللذة فتوارى حكم الالم والسم والا فالقلب محشو بالآلام والغم في الاحوال الثلاثة قبل الوصال وحال الظفر وبعد الفراق فعشاق الصور أبدا في بلاء وعناء وخوف فقبل حصول معشوقه له هو في هم وغم حتى يحصل عنده فاذا حصل فهو خائف من ذهابه وهو لا بد وم فاذا ذهب فهو حزين على فقده فلا يزال

لوهيب أى شئ تقول انت فقال انا لا اختار شيأ أحب ذلك الى احبه الى الله قال فقبل الثورى ما بين عينيه وقال روحانية ورب الكعبة يعنى مقام الروحانيين وهم المقربون أهل الروح والريحان وأولو المحبة والرضوان كما قال تعالى فروح وريحان يعنى لهم ريح من نسيم القرب وريحان من طيب الحب وأيضا انه تعالى لما ذكر ان لاصحاب اليمين فى كل شدة وهول سلامة وكان المقربون هم الاعلون كان أيضا فيما دل الفهم عليه ان المقربين من كل هول روحا به لشهادتهم القريب وفى كل قرب منهم ريحان لقرب الحبيب فبذلك علوا وبذلك فضلوا وهكذا قال بعض الصوفية سر العارف فى الاشياء واقف مثل الماء فى البئر لا يختار المقام وان أخرج خرج فان ذم هذا الراضى ماذمه الله وكره ما كرهه الله لم ينقص ذلك رضاه وكان محسنا فى فعله او افقته مولاه وان لم يرض بحاله نقص فى الدين والآخرة أو كره مزيد الدنيا من الكثرة والجمع والادخار لم يقدح ذلك فى رضاه لانه من التحقق بالزهد وهو فى جميع ذلك موافق للعلم والله تعالى أعلم باحكامه من العبد واغير على نفسه من الغير واعلى مشاهدة من الخالق له المثل الاعلى فهو على ذلك يشهد أحكامه ويذم المحكوم عليه اذ تعدى حدود أمره وينفذ علمه بمشيئته ويمقت العاصين له باجتراح نهيه حكمة منه وعدلا كما انه يشهد يده فى العطاء ويمدح المنفقين ويمضى ارادته بالقضاء بتوفيقه ويشكر العاملين كرما منه وفضلا كذلك الراضى عنه موافق فيما حكم ومتبع له فيما رسم ومسلم له فيما قدر وعالم منه راض بما دبر ومستعمل لما شرع ومواطئ لرسوله يذم ماذمه مولاه ويمدح ما مدحه لاجل مولاه لا لاجل نفعه اياه والتحدث بالاوجاع والاخبار عن المصائب لا ينقص حال الراضى اذا رآها نعمة من الله عليه وكان القلب مسلما راضيا غير متسخط ولا متبرم بمر القضاء وأول الرضا الصبر ثم القناعة ثم الزهد ثم المحبة ثم التوكل فالرضا حينئذ حال المتوكل والتوكل مقام الرضا وقال فضيل اذا استوى العطاء والمنع عند العبد فهو الرضا وقال غيره اذا لم يختلف قلبه فى العدم والوجود وفى الصحة والسقم فقد رضى وقال الثورى منع الله عطاء لانه يمنع من غير بخل ولا عدم فمنعه اختيار وحسن نظر وهذا كما قال لان حقيقة المنع انما يكون لمن لك عنده شئ فمنعك أو تستحق عليه شيأ فلم يعطك فامامن لا تستحق عليه شيأ ولا لك معه شئ لانه الاول قبل كل شئ والمظهر لكل شئ والمالك لما أظهر والمختار لما خلق وليس لاحد من خلقه اختيار ولا فى حكمه اشتراك له الخلق والامر ولا يشرك فى حكمه أحدا والعبد لم يكن شيأ مذكورا فكل شئ اختاره فهو عطاء منه على تفاوت مقادير وضروب أحكام وتصاريف تدبير حلو ومر ولطف وعنف وشدة ورخاء وموافقة للنفس ومرفق ومخالفة لما يهوى مما الطبع بها لا يوافق فالصبر على الاحكام مقام المؤمنين والرضا بها مقام الموقنين ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين واعلم ان الرضا فى مقامات اليقين وأحوال المحبين ومشاهدة المتوكلين وهو داخل فى كل أفعال الله سبحانه لانها عن قضائه لا يكون فى ملكه الا ما قضاه فعلى العارفين به الرضا بالقضاء ثم يرد ذلك الى تفصيل العلم وترتيب الاحكام فما كان من خير وبر أمر به أو ندب اليه رضى به العبد وأحبه شرعا وفعلا ووجب عليه الشكر وما كان من شر نهى عنه وتهدد عليه فعلى العبد أن يرضى به عدلا وتدرا ويسلمه لمولاه حكمة وحكما وعليه أن يصبر عنه ويقر به ذنبا ويعترف به لنفسه ظلما ويرضى بعود الاحكام عليه بالعقاب وانه اجترحه بجوارحه اكتسابا ورضا بان لله الحجة البالغة عليه وان لا عذر له فيه ويرضى بانه فى مشيئة الله عز وجل من عفو عنه برحمته وكرمه ان شاء أو عقوبة له بعدله وحقه ان شاء وفصل الخطاب انه يرضى بسوء القضاء عقدا الا من نفسه فعلا ويرضى به عن الله ولا يرضى به من نفسه لان الموقنين والمحبين لا يسقطون الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا ينكرون انكار المعاصى وكراهتها بالالسنة والقلوب من قبل ان الايمان فرضها والشرع ورد بها ولان الحبيب كرهها فكانوا معه فيما كره كما كانوا معه فيما أحب ومقام اليقين لا يسقط فرائض الايمان ومشاهدة التوحيد لا تبطل شرائع الرسول ولا تسقط اتباعه فمن زعم ذلك فقد افترى على الله ورسوله وكذب على الموقنين والمحبين ألم تر أن الله تعالى ذم قوما

مغمور بانواردات الهموم والمخاوف والاحزان كما برئ من داء ظهر به داء آخر ولا يزال هذا الحال حاله حتى انه يجعل تناول اللذات والشهوات من باب التداوى فيتداوى بالوصال مع محبوبه ومشاهدته فاذا حصل الوصال تأكدت أصول المحبة وازدادت عماهى عليه واضطرمت نيرانها فى القلب وقويت لكنها خافية كامنة لكونها مغمورة بلذات الوصال التى هى المروحات من الآلام ثم اذا حصلت المفارقة تأججت تلك النيران فى القلب وأسعر بها وعظم اشتعالها فيعظم البلاء وتشتد المحبة وتصير سببا لاعراض هذا المسكين عن طاعة مولاه وحجابا له عن ربه لانه صار مقبلا على تلك الصورة متوجها بظاهره وباطنه وجميع حواسه نحوها وهكذا حال كل من أحب شيأ سوى الله تعالى من مال أو جاه أو غير ذلك ولا خلاص من ذلك الا بعلاج النفوس وقمعها عن هذه الاشياء الفانية التى لا بقاء لها الى جناب الله تعالى الذى هو قرة العين والانابة اليه قال بعضهم من لم تقر عينه بالله تقطعت نفسه عن الدنيا حسرات اللهم علق قلوبنا بك واجعل همتنا فى الاقبال على جنابك والاعراض عما سواك.

(باب الحرص والبخل والامل وخوف الفقر والشره والطامع) اعلم ان الحرص والبخل مذمومان شرعا وعرفا قال الله عز وجل ومن يوق شح نفسه فأولئك هم

رضوا بالدنيا ورضوا بالمعاصى ورضوا بالتخلف عن السوابق فقال سبحانه رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها
فذمهم بذلك وقال تعالى ولتصغى اليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون
فعابهم به وقال تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف يعنى النساء وهذا جمع التأنيث وطبع على قلوبهم فهم
لا يفقهون فمن رضى بالمعاصى والمناكير منه أو من غيره وأحب لاجلها ووالى ونصر عليها أو ادعى ان ذلك
فى مقام الرضا الذى يجازى عليه بالرضا أو انه حال الراضين الذين وصفهم الله تعالى ومدحهم فهو مع هؤلاء
الذين ذم الله ومقت وفى الخبر الدال على الشر كفاعله وعن ابن مسعود ان العبد ليغيب عن المنكر ويكون
عليه مثل وزر فاعله قيل وكيف ذلك قال يبلغه فيرضى به وقد جاء فى الحديث لو أن عبدا قتل بالمشرق ورضى
بقتله آخر بالمغرب كان شريكه فى قتله وقد روينا حديثا حسنا عن النبى صلى الله عليه وسلم من طريق
مرسل من نظر الى من فوقه فى الدين والى من دونه فى الدنيا كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه فى
الدين ومن فوقه فى الدنيا لم يكتبه الله صابرا ولا شاكرا وقد غلط فى باب الرضا بعض البطالين من المتأخرين
ممن لا علم له ولا يقين فحمل الرضا على جميع ما يكون منه من معصية وهوى لجهله بالتفصيل وقلة فهمه بعلم
التأويل ولاتباعه ما تشابه من التنزيل طلبا للفتنة وغربة الحال وابتداعا فى القول والفعال لان أوقاته
قد ذهبت فلا يذهب وقت غيره بذكرها وبطلان قول هذا عند العلماء أظهر من ان يدل على فساده والاشتغال
بالبطال بطالة وانما الرضا فيما كان غير مخالفة لله ولا معصية مثل ما يكون من نقص الدنيا ونقص الاموال
والانفس من الاهل والولد وفيما على النفس فيه مشقة ولها منه كراهة وفيما كان مزيدا فى الآخرة لا عقوبة
فيه من الله ولا وعيد عليه ولا ذم لفاعليه وقد يحتج أيضا بطال لبخله وقلة مواساته وبذله أو يعتل لاتساعه فى
أمر الدنيا واستئثاره على الفقراء الذى يمنعه من البذل والايثار والزهد فيما فى يديه والاخراج رضاه بحاله
وقلة اعتراضه على مجريه فيه وان هذا مقام من مقامات الرضا خص به عند نفسه وهذا قول لاعب ذى هوى
وهو من خدع النفوس وأمانيها ومن غرور العدو ومكايده لان الرضا لا يمنع من اختيار الفقر والضيقة لمعرفة
الراضى بفضل الزهد وأوصافه كيف يكون فالراضى لا يأمر بالاستئثار والاتساع لما كره من النعمة والاستكثار
لان الرضا لا يوقف عما ندب العبد اليه ولا يحمل على ما كره له وهذا اعتذار من النفس وتمويه على الخلق ليسلم
منهم ولا عذر بهذا عند مالكه ولا سلامة له فيه من خالقه وبجمل ما ذكرناه ان الرضا لا يصح الا فيما يحسن الصبر
عليه والشكر عليه لان الرضا مقام فوق الصبر والشكر ومزيد الصابرين والشاكرين فاما ان كان العبد على
نقصان من الدين وفى مزيد من الدنيا ثم رضى بحاله فرضاه بحاله شر من أعماله لمخالفة الامر قال الله عز وجل
اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وقال تعالى يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وقال تعالى سابقوا الى مغفرة
من ربكم وسارعوا الى مغفرة من ربكم وقال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى يسارعون الى
الخيرات وهم لها سابقون فندب الى المسارعة والسوابق وذم التخلف عنها والتثبط بالعوائق فعلى هذا
طريق المؤمنين وفيه مقامات الموقنين وانما كان سبب ترك سرى السقطى السوق وزهده فى الدنيا قوله
الحمد لله لانها كلمة رضا ظهرت منه فى موضع الاسترجاع للمصيبة وذلك انه بلغه ان الحريق وقع فى سوقه
فأحرق دكانه فخرج فى قطع من الليل فاستقبله قوم فقالوا يا أبا الحسن احترقت دكاكين الناس الا دكانك
فقال الحمد لله ثم تفكر فى ذلك فقال قلت الحمد لله فى سلامة مالى وهلك أموال اخوانى المسلمين فتصدق بجميع
ما كان فى دكانه من السقط والآلة كفارة لكلمته هذه وخرج من السوق فشكر الله له فعله فزهد فى الدنيا
ورفعه الى مقام المحبة فأوصله ترك الرضا الى الرضا وبلغنى عنه انه كان يقول قلت كلمة فانا أستغفر الله منها
ثلاثين سنة يعنى قوله الحمد لله وقد جاء فى الخبر من لم يهتم بأمر المسلمين فليس من المسلمين وفى الخبر المشهور
أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فيه فجعل ذلك من أوثق العرى لانه منوط بالايمان لا يستطيع
الشيطان حله ولا سلطان له عليه كما لا سبيل له على حل عقد الايمان لان الله يحول بينه وبينه وقد تولى تأييد

المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيامة وقال تعالى الذين
يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل وروى عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال
ثلاث مهلكات شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء
بنفسه وعن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال اياكم
والبخل فانه أهلك من كان
قبلكم واعلم ان أصل البخل
حب المال وهو مذموم
ومن لا مال له لا يظهر بخله
بالامساك لكن يظهر بحبه
المال وذلك مذموم لان
حب المال يلهى عن ذكر
ربه تعالى ويصرف وجه
القلب الى الدنيا ويحكم
علاقته بها حتى تشتد
كراهته للموت وقال رجل
يا رسول الله انى لا احب الموت
قال هل لك مال قال نعم قال
قدم مالك فان قلب الرجل
مع ماله ان قدمه أحب أن
يلحقه وان أخره أحب ان
يتخلف معه وقال صلى الله
عليه وسلم اذا مات العبد
قالت الملائكة ما قدم
وقالت الناس ما خلف وقال
صلى الله عليه وسلم تعس
عبد الدينار وتعس عبد
الدرهم وقال صلى الله عليه
وسلم حب الدنيا رأس كل
خطيئة فينبغى للعبد أن
يكون قانعا من الدنيا
باليسير وأن لا يكون
حريصا على جمع المال
واكتسابه ولا بخيلا بصرفه
وانفاقه فى وجوهه ويجتزى منه بقدر الضرورة ويقصر أمله على يومه أو شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان

الايمان بروحه بعد كتبه فى القلوب برحمته وفى الحب فى الله بالموالاة والنصرة بالنفس والمال والفعل والمقال وفى البغض فى الله ترك ذلك فبغض المبتدع والفاجر المجاهر والظالم المعتدى وترك موالاتهم ونصرتهم واجب على المؤمنين فلاجل ذلك صارت الموالاة لاولياء الله والمعاداة لاعدائه من أوثق عرى الايمان لانك قد تعصى وتخالف مولاك تسليط العدوّ وغلبة هواك الا انك تبغض العاصين ولا تواليهم على المعاصى ولا تحبهم لاجلها من قبل أن العدو لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على فعله من نفسك كما انه لم يسلط على حل عقد ايمانك كما سلط على حل المراقبة والخوف منك ولم يسلط أيضا عليك فى استحلال المحارم ولا استحسانها ولا التدين بها ولا فى ترك التوبة منها ولا بالرضا بها كما سلط عليك باقترافها فان سلط على مثل هذا منك العدو حتى تحب الفساق وتواليهم وتنصرهم على فسقهم أو تستحل ما ارتكب من الحرام أو ترضى به أو تدين به فقد انسلخ منك الايمان كما انسلخ النهار من الليل فلست منه فى كثير ولا قليل لان هذه العقود منوطة بعرى الايمان وهى هو فى قرن واحد مقترنان ألم تسمع الله تعالى يقول لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ أوما سمعته تعالى يقول لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ومثله لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا أى حجة قاطعة أن يجمعكم واياهم فى النار وكذلك قال الله تعالى وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين وقال تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ثم قال تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وقد روينا فى خبر ان الله تعالى أخذ على كل مؤمن فى الميثاق أن يبغض كل منافق وأخذ على كل منافق أن يبغض كل مؤمن وفى الخبر المشهور المرء مع من أحب وله ما احتسب وفى حديث آخر من أحب قوما ووالاهم فى الدنيا جاء معهم يوم القيامة وفى معنى قوله أوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فيه وجه خفى هو أن يحبك المؤمنون ويبغضك المنافقون فيكون ذلك علامة وثيقة عرى ايمانك لان قوله الحب فى الله يصلح أن يبغضك المنافقون كما تبغضهم أنت فكأنك تتحبب الى المؤمنين حتى يحبوك وتتبغض الى المنافقين حتى يبغضوك باظهار التباعد عنهم وبترك الموالاة لهم وبنصحك اياهم فيدل ذلك على قوة ايمانك لم تأخذك فى الله لومة لائم منهم كما وصف تعالى بذلك من يحبهم ويحبونه ويكون ذلك أبعد لك من المداهنة والنفاق وأقرب الى الورع والاخلاص فاذا فعلت ذلك بهم أبغضوك أومقتوك فهذا على معنى ما قال الله سبحانه أشداء على الكفار رحماء بينهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وكما أمر نبيه عليه السلام فى قوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة وروى عن عيسى عليه السلام ان الله عز وجل قال أحب عبادى الى الذين يذكرونى بالاسحار ويبغضون الى الفجار معناه أن يظهر لهم البغض وينابذهم العداوة حتى يبغضوه فاذا أبغضوه أبغضهم الله فيكون قد بغضهم اليه بهذا المعنى أى كان سبب عقوبة اهم بالبغض والمقت وقد كان الثورى يقول اذا رأيت الرجل محببا الى جيرانه فاعلم انه منافق وقال كعب الاحبار لابى ادريس الخولانى وكان من علماء الشام كيف أنت فى قومك قال يحبونى ويكرمونى قال كعب ما صدقتنى التوراة اذن قال وما فى التوراة قال أجد فى التوراة ان الرجل العالم لا يحبه جيرانه وقال بعض المريدين قلت لبعض أهل المعرفة انى كثير الغفلة عن الله قليل المسارعة الى مرضاته أوصنى بشئ أعمله أدرك به ما يفوتنى من هذا قال يا أخى ان استطعت ان تتحبب الى أولياء الله وتتقرب من قلوبهم فافعل لعلهم يحبونك فان الله عز وجل ينظر الى قلوب أوليائه فى كل يوم سبعين نظرة فلعله ان ينظر اليك فى قلوبهم لمحبتهم لك فيجبرك خيرة الدنيا والآخرة اذا لم تكن ممن ينظر اليه كفاحا وكذلك يقال ان الله تعالى عز وجل ينظر الى قلوب الصديقين والشهداء مواجهة ثم ينظر الى قلوب قوم فى قلوب قوم والى قلوب قوم من قلوب آخرين فهكذا عندى من عزائم الدين وسبيل الورعين ان تتبغض الى أعدائه وتتمقت اليهم من المبتدعين والظالمين ليبغضوك ويمقتوك فيكون لك

تشوّق الى الكثير لزمه طول الامل وفاته عز القناعة ودخل فى ذل الحرص والطمع وقاده ذلك الى صفات مذمومة وقال النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة فى الطلب فقال ألا أيها الناس اجملوا فى الطلب فانه ليس لعبد الا ما كتب له فى الدنيا ولن يذهب عبد عن الدنيا حتى يأتيه ما كتب له من الدنيا وهى راغمة وقال أبو هريرة قال لى النبي صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة اذا اشتد بك الجوع فعليك برغيف وكوز ماء وعلى الدنيا الدمار وقال مالك بن عوف الاشجعى كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال ألا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قلنا أوليس قد بايعناك يا رسول الله ثم قال ألا تبايعون رسول الله فبسطنا أيدينا فبايعناه فقال قائل منا قد بايعناك فعلى ماذا نبايعك بعد قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ والصلاة الخمس وتسمعوا وتطيعوا وأسر كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيأ لقد كان بعض أولئك النفر يسقط سوطه وهو راكب بعيره فلا يسأل أحدا ان يناوله اياه وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلوم من قلوب العلماء بعد ان وعوها وعقلوها

من القربة كحب أوليائه لك وحبك لهم فهذا من أسباب ولاية الله وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عندى يدا فيحبه قلبى ووصل بعض الامراء أباهريرة بالف دينار وعشرة أثواب فردها عليه وقال ما كنت لاقبل منه ياخذ المال من غير حله ويضعه فى غير حقه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا هدية الفاجر عليه لا يرى انكم ترضون عمله وأقل مالك فى هذا الزهد وهو باب كبير من أبواب الدين اذا كانت المداهنة والممالاة من اكبر أبواب الدنيا لان بذلك يستوى عيش اهل الدنيا وتتم سلامتها لهم فهذا هو الطرف الآخر من معنى قوله الحب فى الله والبغض فى الله وهو وجه غامض ومعناه اذا كشف جلى ظاهر موجود عند علماء الآخرة وقد جعل الله من أراد أن يحبه الفاسقون ويامن فيهم وجعل من يسارع بالادهان واظهار المتابعة للظالمين خشية دور الدوائر عليه علمين من اعلام النفاق فقال سبحانه ستجدون آخرين يريدون أن يامنوكم ويؤمنوا قومهم كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها وقال تعالى فى المعنى الثانى فترى الذين فى قلوبهم مرض يعنى المنافقين يسارعون فيهم يعنى يواطئون الكافرين سرا يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة أى نخاف أن تكون الدولة للكافرين على المؤمنين قال الله تعالى فعسى الله أن يأتى بالفتح أو أمر من عنده الآية فينبغى لمن آمن فى المؤمنين وأهل السنة وأحبوه أن يخاف فى المنافقين وأهل البدع وأن يبغضوه وينبغى لمن سارع فى مواطأة المؤمنين أن ينىء ويبطئ فى مداهنة الظالمين ومتابعتهم حتى يخلص له ايمانه من النفاق وتستقيم طريقه من الضلال وقد نفى الله الايمان عمن أحب من حاده وأثبت الايمان والتأييد باليقين لمن أبغض فيه أعداءه فقال تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية فأما من قال من الجاهلين بان الرضا قد يكون بالمعاصى منه أو من سواه كما يكون فى الطاعات فقد جعل المعاصى والمخالفات من القربات وسوى بينهما وفى هذا هدم شرائع الانبياء وابطال تفصيل الله ما أحل لنا مما حرم علينا وما أمرنا به مما نهانا عنه وقد روى فى خبر من شر الناس منزلة عند الله من يقتدى بسيئة المؤمن ويترك حسنته وقال بعض العلماء من حمل شاذ العلماء فقد حمل شرا كثيرا ومن حسن الادب فى المعاملة اذا عملت صالحا فقل يا سيدى أنت استعملتنى وبحولك وقوتك وحسن توفيقك أطعتك لان جوارحى جنودك واذا عملت سيأ ظلمت نفسى وبهواى وشهوتى اجترحت جوارحى وهى صفاتى ثم يعتقد فى ذلك انه بقدره ومشيئته كان ما قضاه فتكون بالمعنيين قد وافقت مرضاة مولاك وتكون فى الحالين عاملا بما يرضيه بالقول والعقود وينتفى عنك العجب فى أعمال برك ويصح منك المقت لنفسك واعترافك بظلمك وقد ثقلت هذه المشاهدة على الجاهل فاذا عمل حسنا شهد نفسه ونظر الى حوله وقوته فهلك بالكبر وبطل عمله بالعجب واذا عمل سيأ لم يعترف بالذنب ولم يقر على نفسه بالظلم ولم تصح له توبة ولم يرض له عملا نعوذ بالله من مشاهدة الضلال وقال أبو محمد سهل رحمه الله تعالى اذا عمل العبد حسنة فقال يا رب أنت استعملتنى شكر الله له ذلك فقال أنت عملت فاذا نظر الى نفسه فقال أنا عملت يقول الله بل أنا استعملت قال واذا عمل سيئة فقال أنت قدرت وأنت أردت يقول الله تعالى أنت ظلمت وأنت عصيت بشهوتك وهواك فان قال العبد ظلمت نفسى وعصيت بجهلى استحيا الله منه فقال بل أنا قدرت وأنا قضيت قد غفرت لك باعترافك بالظلم على نفسك فهذه آداب العاملين ومشاهدة العالمين وهذا داخل فى قوله أعرفكم بربه أعرفكم بنفسه فكذلك يحب ابن آدم ممن عامله الاعتراف والتواضع وهذا أيضا أحد المعانى فى قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ قيل هو الاعتراف عقيب العمل السيئ لانه قد تقدم ذكره فكان الصالح بعده اعترافه وفى الحديث الذى رويناه عن النبي صلى الله عليه وسلم آنفا انه قال من نظر الى من فوقه فى الدين والى من دونه فى الدنيا كتبه الله صابرا شاكرا ومن نظر الى من دونه فى الدين ومن فوقه فى الدنيا لم يكتبه صابرا ولا شاكرا فيه أربعة معان حسان اذا تدبرها العبد وتفكر فيها لم يعدم ان يرى أهلها الا انه لا يخلو أن يرى بعينه أو بقلبه لسيرة المتقدمين فيرى من فوقه فى باب الدنيا فيشكر الله على حاله ويقنع منه برزقه

قال الطمع وشره النفس وطلب الحوائج *(فصل)* وعلاج هذه الامراض يكون بالعلم والصبر والعمل أما العلم فبان يعلم ما فى الحرص والبخل والطمع من الذل وما فى القناعة والسخاوة من عز النفس فاذا تحقق ذلك عنده انبعثت رغبته الى السخاء والقناعة وأما الصبر فبأن يصبر على ألم الشهوات وفضول العيش الموجبان للحرص والطمع واذا صبر على ذلك انقطع طمعه وضعف حرصه وقوى على متابعة الحق والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان من كثر جمعه للدنيا وحرصه عليها وطمعه فيها كثرت حاجته الى الناس فلا يمكنه دعوتهم الى الحق ولا الانكار عليهم وتلزمه المداهنة والمراآة لهم وفى ذلك هلاك نفسه وأما العمل بان يقتصد فى المعيشة ويرفق فى الانفاق ويقنع من كل جنس من أجناس المأكول والملبوس والمنكوح بأدونه واذا تيسر له ما يكفيه فى الحال فلا ينبغى ان يكون شديدا لاضطراب لاجل المستقبل ويعينه على ذلك قصر الامل والتحقق بان الرزق الذى قدر له لابد وان يأتيه ولا يحدث نفسه بانه ان لم يحرص على الجمع والادخار فربما عرض أو يعجز ويحتاج الى احتمال الذل فى السؤال فلا يزال الشيطان طول العمر يتبعه فى الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه فى احتماله التعب عاجلا لاجل تعب آجل

فيكون

فيكون صابرا شاكرا بمعرفته بما قنع به ورضي باختيار ما صرف عنه من الفضول وزوى عنه من الحساب الطويل ولا يخلو أن يرى من فوقه في أمر الدين يسارع اليه ويسابقه اذ قد ندب الى ذلك فيكون حضا له وحثا على افتعال الخيرات وأعمال الصالحات وأقل ما يفيده ذلك الازراء على نفسه والمقت لها في تقصيره ثم ينظر في الامرين الآخرين من وجه آخر فلا يخلو أن يرى من هو دونه في الدنيا من ذوي الفاقات والحاجات فيحمد الله على تفضيله عليه وحسن صونه له ويشكر نعمته لفضل احسانه وكفايته له ويجد أيضا في المعنى الآخر من هو دونه في أمر الدين من الفجرة والظالمين وأهل البدع والزائغين فيفرح بفضل الله ورحمته ويشكر الله على حسن اسلامه وجميل معافاته مما ابتلى به غيره فيكون أيضا صابرا شاكرا فيكون للعبد في هذه الطبقات من الناس أربع معاملات بما وهب الله من البصيرة والاعتبار ويشهد لما ذكرناه قوله لاحسد الا في اثنين رجل آتاه الله حكمة فهو يبثها في الناس ويعلمها ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق وفي لفظ حديث آخر ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار فيقول الرجل لو آتاني الله ما أتى هذا فعلت كما يفعل فندب الى الحسد على أعمال البر وفضل الحاسد لما ندب الله اليه من المنافسة في أعمال الخير فمن حسد على هذه المعاني من أعمال الخير كان ذلك مزيدا له في مقام الرضا للغبطة به والطلب له فأما من قلبت عليه هذه المعاني فجهل عواقب الامور وغلبت عليه الغفلة واستحوذت عليه الجهالة فجعل ينظر الى من فوقه في الدنيا فيغبطه على حاله أو يتمنى مكانه أو يدخله نظره اليه في استصغار نعمة الله عليه ويزدري يسير ما قسمه الله له ثم ينظر الى من دونه في الدين من عموم المسلمين فيرضى بنقصان مقامه ويجعل ذلك معذرة له وتأسيا به ويثبطه عن المسارعة الى القربات ولعله أن يداخله العجب والكبر حتى يتفضل عليه بحاله أو ينظر الى نفسه بأعماله لتقصير غيره عن مثل فعاله فهذا اذا يكتب جزوعا عن الصبر كفور النعمة باضاعة الشكر لانه ليس بصابر ولا شاكر وهذا وصف من أوصاف المنافقين وهو مقام الهالكين اذ الصبر والشكر من صفات المؤمنين وقد وصف هذا البلد بمثل هذا المعنى فالله المستعان وقد حدثونا عن عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى انه قال طفت الشرق والغرب فما رأيت بلدا شرا من بغداد قيل وكيف ذلك يا أبا عبد الرحمن قال هو بلد تزدرى فيه النعمة وتستصغر فيه المعصية وحدثونا عنه انه قيل له لما قدم خراسان كيف رأيت الناس ببغداد قال ما رأيت بها الا شرطيا غضبان أو تاجرا لهفان أو قارئا حيران وقيل انه كان يتصدق كل يوم بدينار لاجل مقامه ببغداد الى أن يخرج الى مكة فبلغني انه كان يتصدق بستة عشر دينارا وقد وصفها الشافعي انها هي الدنيا فروينا عنه انه قال الدنيا كلها بادية وبغداد حاضرتها ورويناعن يونس بن عبد الاعلى قال قال لي الشافعي يا يونس رأيت بغداد قلت لا قال ما رأيت الدنيا ولا رأيت الناس وقد ذم العراق جماعة منهم عمر بن عبد العزيز وكعب الاحبار فروينا عن عمر انه قال لمولى له أين تسكن قال العراق قال ما تصنع هناك بلغني انه ما من أحد سكن العراق الا قيض له قرين من البلاء وذكر كعب الاحبار العراق يوما فقال فيه تسعة أعشار الشر وفيه الداء العضال ومن سكن بلدا كثير المنكر ظاهر المعاصي فكان منزعجا فيه غير مطمئن اليه ورغب الى الله عز وجل في اخراجه منه لحسن اختياره له وكان مضطرا في المقام فيه لعيلة تثقله أو قلة ذات يد حقيقة لا يستطيع حيلة في الخروج ولا يعرف طريقا وهو على يقين من سلامة دينه فيه فانه معذور عند الله لحسن تفضل من الله وهو أقرب الى العفو والسلامة ممن اغتبط بمقامه واطمأن ورضي بحاله أو كان مقامه على هوى أو لاختلاف أسباب الفتنة والدنيا قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها في التفسير اذا كنت في بلد يعمل فيه بالمعاصي فتحول منه الى غيره وقيل اذا كان العبد في بلد من يعمل فيه بالمنكر والمعاصي أضعف أو أقل من أهل الدين والمعروف ثم لم ينكر ذلك فقد وجب الخروج منه ثم قال عز وجل في قوم من المستضعفين عذرهم وأرجى الى العفو أمرهم والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها وقال تعالى في تمام وصفهم واستثنائهم

متوهم مع ما في ذلك من الغفلة عن الله تعالى واساءة الظن بوعده فان الله تعالى قد وعد بالرزق وتكفل به قال الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والفضل هو الرزق

(فصل) في حد البخل قال بعضهم البخل منع الواجب وكل من أدى ما عليه فليس ببخيل وهذا القدر غير كاف في تعريف البخل فان من رد الخبز على الخباز لنقصان زنة درهم خبزا ورد اللحم على الجزار لنقصان حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من سلم الى عياله القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة زائدة على فرضهم أو تمرة أكلوها من ماله فانه يعد بخيلا فالصواب في تعريف البخل ان يقال البخيل هو الذي يمنع ما وجب عليه شرعا ولا تقتضيه المروءة والعادة ويختلف ذلك بحسب الاشخاص وقدر المال

(فصل) وأما الامل وخوف الفقر فهما عائقان عن كل خير وطاعة موصلان لكل شر وفتنة وهما الداء العضال الذي يوقع الخلق في أنواع البليات واعلم ان طول الامل يهيج عنه أربعة أشياء أحدها ترك الطاعة والكسل والتسويف بالطاعات من وقت الى وقت يقول سوف افعل كذا والايام بين يدي ولا يفوتني ذلك ولقد صدق داود الطائي رحمة الله عليه حيث قال من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن أطاع أمله أساء عمله وقال يحيى بن معاذ رحمة الله

من غيرهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم ولا يصح الرضا الا بالعصمة من جميع الهوى وأول الرضا القناعة وقال بعض أهل المعرفة لا يكون العبد قانعا حتى لو جاء الى باب منزله جميع ما رغب فيه أهل الدنيا من الاتساع والنعمة فعرض عليه لم ينظر الى ذلك ولم يفتح بابه قناعة منه بحاله والعصمة حال الراضي عن الله عز وجل وهي ظاهر الرحمة والرحمة أول الرضا من الله تعالى قال الله سبحانه وتعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وقال تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم فالعصمة من الله لعبده دليل على الرحمة منه ثم تدخله الرحمة في مقام المحبة وهي رحمة المحبوبين ثم ترفعه المحبة الى الرضا فتكون المحبة مقامه عن شهادة محبوب ويكون الرضا حاله في جميع تصريف البقية والمطلوب وهذا آخر كتاب الرضا * (ذكر أحكام المحبة ووصف أهلها وهو المقام التاسع من مقامات اليقين) * المحبة من أعلى مقامات العارفين وهي ايثار من الله تعالى لعباده المخلصين ومعها نهاية الفضل العظيم قال الله جلت قدرته يحبهم ويحبونه ثم قال تعالى ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا الخبر متصل بالابتداء في المعنى لان الله تعالى وصف المؤمنين المحبين بفضله عليهم وما اعترض بينهما من الكلام فهو نعت المحبوبين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان الله ليعذب حبيبه بالنار وقال الله عز وجل مصداق قول نبيه عليه السلام ردا على من ادعى محبته واحتجاجا عليهم قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق وقال زيد بن أسلم ان الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول اصنع ما شئت فقد غفرت لك ورويناعن اسمعيل بن أبان عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد اشترط الله للمحبة غفران الذنوب بقوله تعالى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم فكل مؤمن بالله فهو محب لله ولكن محبته على قدر ايمانه وكشف مشاهدته وتجلي المحبوب له على وصف من أوصافه دليل ذلك استجابتهم له بالتوحيد والتزام أمره وتسليم حكمه ثم تفاوتهم في مشاهدات التوحيد وفي دوام الالتزام للاوامر وفي تسليم الاحكام فليس ذلك يكون الا عن محبة وان تفاوت المحبون على حسب أقسامهم من المحبوب وليس يقصر عن المحبة صغير كما لا يصغر عن المعرفة من عرف ولا يكبر عن التوبة كبير ولو كان على كل العلوم قد أوقف لان الله تعالى وصف المؤمنين بشدة الحب له فقال تعالى والذين آمنوا أشد حبا لله وفي قوله أشد دليل على تفاوتهم في المحبة لان المعنى أشد فاشد ولم يقل شديد والحب لله فاشبه هذا الخطاب قوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم فدل على تفاوتهم في الاكرام على قدر تفاضلهم في التقوى ولم يقل ان الكرام المتقون ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب فالمؤمنون متزايدون في الحب لله عز وجل عن تزايدهم في المعرفة به والمشاهدة له وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الايمان قال ان يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفي حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وفي خبر آخر أشد توكيدا وأبلغ من هذين قوله والله لا يؤمن العبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي خبر آخر ومن نفسك وقد أمر صلى الله عليه وسلم بالمحبة لله فيما شرعه من الاحكام فقال أحبوا الله لما أسدى اليكم من نعمه وأحبوني لحب الله فدل ذلك على فرض الحب لله وان تفاضل المؤمنون في نهايات فضائله ومن افضل ما أسدى الينا من نعمه المعرفة به فافضل الحب له ما كان عن المشاهدة والمحبون لله على مراتب من المحبة بعضها أعلى من بعض فاشدهم حبا لله أحسنهم تخلقا باخلاقه مثل العلم والحلم والعفو وحسن الخلق والستر على الخلق وأعرفهم بمعاني صفاته وأتركهم منازعة له في معاني الصفات كي لا يشركوه فيها مثل الكبر والحمد وحب المدح وحب الغنى والعز وطلب الذكر ثم أشدهم حبا لرسوله اذ كان حبيب الحبيب واتبعهم لآثاره أشبعهم هديا بشمائله وقد روى ان رجلا قال يا رسول الله اني أحبك فقال استعد للفقر فقال اني أحب الله فقال استعد للبلاء والفرق بينهما ان البلاء من أخلاق المبلي وهو الله تعالى المبتلي

عليه الامل قاطع عن كل خير والطامع مانع من كل حق والصبر صائر الى كل ظفر والنفس داعية الى كل شر الثاني ترك التوبة وتسويفها يقول سوف أتوب وفي الايام فسحة وأنا شاب فيأتيه الموت على غفلة فيخترمه على غرة قال بعض أهل البصائر من تجاوز الخمسين ومات فبعيد عليه أن يتوب والثالث الحرص على الجمع والاشتغال بالدنيا عن الآخرة يقول أخاف الفقر في الكبر وربما أضعف عن الاكتساب ولابد لي من شيء فاضل أدخره لمرض أو هرم هذا ونحوه مما يحرك الرغبة الى الدنيا والحرص عليها والاهتمام بالرزق فتشغل قلبك وتضيع عليك وقتك ويكثر همك وغمك بلا فائدة ولا طائل قال أبو جعفر الخياط طاوس الحرمين كنت يوما أصلح مرقعة لي واذا أنا بالشيخ أبي جعفر الحداد قد لطمني فقلت يا سيدي ما لك فقال أي شيء الزهد عندك فقلت قصر الامل قال فمن قصر الامل تجود خياطة مرقعتك قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه شغل قلبي هم يوم لم أدره قيل له وكيف ذلك يا أبا ذر فقال ان أملي جاوز أجلي والرابع القسوة في القلب والنسيان للآخرة لانك اذا أملت العيش الطويل لا تذكر الموت ولا القبر كما قال علي كرم الله وجهه أخوف ما أخاف عليكم اثبات طول الامل واتباع الهوى ألا وان طول الامل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق فاذا بصير . فاما.

فلماذ كر محبته أخبره بالبلاء ليصبر على أخلاقه كما قال تعالى ولو بلك فاصبر فدل على أحكامه و بلائه والفقر من أوصاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلماذ كر محبته دله على اتباع أوصافه ليقتفى آثاره لقوله عليه السلام احينى مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى فى جملة المساكين ومن علامة المحبة كثرة ذكر الحبيب وهو دليل محبة المولى لعبده وهو من أفضل منته على خلقه وفى الخبر ان لله فى كل يوم صدقة يمن بها على خلقه وما تصدق على عبد بصدقة أفضل من ان يلهمه ذكره وفى حديث سفيان عن مالك بن مغول قيل يا رسول الله أى الاعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة الذكر لله كما أمر بمحبة الله لان الذكر مقتضى المحبة وقال أكثر من ذكر الله حتى يقول الناس انك مجنون وقد روينا اكثروا من ذكر الله حتى يقول المنافقون انكم مراؤن وفى حديث أبى سلمة المدنى عن أبيه عن جده أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الى مسجد قباء فذكر حديثا فيه طول قال فى آخره من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه ومن أكثر ذكر الله أحبه الله وقد أخبر ان الذاكرين هم السابقون المفردون ورفعهم الى مقام النبوة فى وضع الوزر ورفع الذكر ان كان الذكر موجب الحب فى قوله سير واسبق المفردون قيل من المفردون قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم يردون القيامة خفافا ومن أعلام المحبة حب لقاء الحبيب على العيان والكشف فى دار السلام ومحل القرب وهو الاشتياق الى الموت لانه مفتاح اللقاء وباب الدخول الى المعاينة وفى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم وقال بعض السلف ما من خصلة أحب الى الله تكون فى العبد بعد حب لقائه من كثرة السجود فقدم حب لقاء الله وقد شرط الله لحقيقة الصدق القتل فى سبيله وأخبر انه يحب قتل محبوبه فى قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص بعد قوله تقريرا لهم لم تقولون ما لا تفعلون حيث قالوا انا نحب الله فجعل القتل محنة محبته وعلامة أخذ مال محبوبه ونفسه اذ يقول تعالى يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وفى وصية أبى بكر لعمر رضى الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مرئ والباطل خفيف وهو مع خفته وبئ فان حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب اليك من الموت وهو مدركك وان ضيعت وصيتى لم يكن غائب أبغض اليك من الموت ولن تعجزه وكان الثورى وبشر بن الحرث يقولان لا يكره الموت الا مريب وهو كما قالا لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب وهذا لا يجده الا عبد يحب الله بكل قلبه عندها يشتاق اليه مولاه فينزع القلب لشوق الغيب فيحب لقاءه وروى ان أبا حذيفة بن عتبة بن زمعة لما تبنى سالما مولاه عاتبته قريش فى ذلك وقالوا أنكحت عقيلة من عقائل قريش بمولى فقال والله لقد أنكحتها اياها وانى لاعلم انه خير منها فكان قوله أشد عليهم قالوا وكيف وهى أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه فلينظر الى سالم فمن الدليل ان من المؤمنين من يحب الله ببعض قلبه فيؤثره ببعض الايثار ويوجد فيه محبة الاعتبار ومنهم من يحبه بكل قلبه فيؤثره على ما سواه فهذا عابده ومألوهه الذى لا معبود له ولا اله الا اياه وفيه دليل على انهم على مقامات فى المحبة عن معانى مشاهدات الصفات ما بين البعض فى القلوب والكلية وقد كان نعيمان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحده فى معصية يرتكبها الى أن أتى به يوما فحده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله ورسوله فلم يخرجه من المحبة مع المخالفة وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان فى ظاهر القلب يعنى على الفؤاد كان المؤمن يحب الله حبا متوسطا فاذا دخل الايمان باطن القلب فكان فى سويدائه أحبه الحب البالغ ومحبة ذلك ان ينظر فان كان يؤثر الله على جميع هواه ويغلب محبته على هوى العبد حتى تصير محبة الله هى محبة العبد من كل شئ فهو محب لله حقا كما انه مؤمن به حقا وان رأيت قلبك دون ذلك فلك من المحبة بقدر ذلك فادل علامات المحبة الايثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك

فكرك ومعظم قابلك فى حديث الدنيا وأسباب العيش فى صحبة الخلق ونحوها فيقسو القلب من ذلك وانما رقتها لما موصوفه بذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة فاذا لم يكن عندك شئ من ذلك فمن أين يحصل لقلبك رقة قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم واعلم ان الامل على قسمين أمل العامة وأمل الخاصة فأمل العامة يريدون الحياة والبقاء بجمع الدنيا والتمتع بها وهذه معصية محضة قال الله تعالى ويلههم الامل فسوف يعلمون وأما أمل الخاصة فانهم يريدون البقاء لاتمام عمل خير واصلاح عبادة وطاعة واعلم ان مما يخلص من الامل فى أمور الدنيا الاستثناء بالمشيئة فاذا قال أفعل كذا فى وقت كذا ان شاء الله لم يكن ذلك الامل مذموما لانه لم يجزم ببقائه الى ذلك الوقت بل قيده بمشيئة الله تعالى قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ويخرج الانسان عن الامل فى الامور الدنيوية أيضا بالتفويض ليسلم من خطر المفسدة فى الفعل فانه لا يدرى أهو صواب أم لا فاذا وجد الاستثناء لاجل خطر الوصول والتفويض ليسلم من خطر المفسدة وحصلت الارادة بهذه الشروط تكون نية الفعل فى المستقبل نية محمودة خارجة عن حد الامل والله تعالى أعلم *(فصل)* وأما الشره والطمع فمذمومان ويخرج الانسان عنهما بان لا يطلب

وصف الله المحبين بالايثار ووصفه العارفون بذلك فقال تعالى فى وصفه المحبين يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة ثم قال تعالى ويؤثرون على أنفسهم وقال فى وصفه تالله لقد آثرك الله علينا وقال بعض العلماء ان ظاهر القلب محل الاسلام وان باطنه مكان الايمان فمن ههنا تفاوت المحبون فى المحبة لفضل الايمان على الاسلام وفضل الباطن على الظاهر وفرق بعض علمائنا البصريين بين القلب والفؤاد فقال الفؤاد مقدم القلب وما استدق منه والقلب أصله وما اتسع منه وقال مرة فى القلب تجويفان فالتجويف الظاهر هو الفؤاد وهو مكان العقل والتجويف الباطن هو القلب وفيه السمع والبصر وعنه يكون الفهم والمشاهدة وهو محل الايمان وقد قال الله كتب فى قلوبهم الايمان وقال ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فمحبة الاسلام مفترضة على الخلق وهى متصلة باداء الفرائض واجتناب المحارم طاعة لله ومحبة له فاما محبة المقربين فعن مشاهدة معانى الصفات وبعد معرفة أخلاق الذات وهى مخصوصة بمخصوصين والاصل فى هذا ان المحبة اذا كانت عن المعرفة فان للمعرفة عموم وخصوص فللخصوص العارفين خاصة المحبة ولعمومهم عموم المحبة ويروى فى الاخبار السالفة ان زليخا لما آمنت وتزوج بها يوسف عليه السلام انفردت عنه وتخلت للعبادة وانقطعت فكان يدعوها الى فراشه نهارا فتدافعه الى الليل فاذا دعاها ليلا سوفته نهارا فقالت يا يوسف انما كنت أحبك قبل ان أعرفه فاما اذ عرفته فما أبقت محبته محبة لسواه وما أريد به بدلا حتى قال لها فان الله أمرنى بذلك وأخبرنى انه مخرج منك ولدين وجاعلهما نبيين فقالت أما اذا كان الله أمرك بذلك وجعلنى طريقا اليه فطاعة لامر الله فعندها سكنت اليه وقال بعض العلماء بالله اذا تم التوحيد تمت المحبة واذا جاءت المحبة تم التوكل فتم ايمانه وخلص فرضه وسمى ذلك يقينا وقال الفضيل بن عياض فى فرض المحبة اذا قيل لك تحب الله فاسكت فان قلت لا كفرت وان قلت نعم فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت وقال بعض علمائنا ليس فى الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا فى جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشىء من ذلك وقال عالم فوقه كل أهل المقامات رجى أن يعفى عنهم ويسمح لهم الا من ادعى المعرفة والمحبة فانهم يطالبون بكل شعرة مطالبة وبكل حركة وسكون وكل نظرة وخطرة لله وفى الله ومع الله واعلم ان المحبة من الله لعبده ليست كمحبة الخلق اذ محبة الخلق تكون حادثة لاحد سبع معان لطبع أو لجنس أو لنفع أو لوصف أو لهوى أو لرحم ماسة أو لتقرب بذلك الى الله فهذه حدود الشىء الذى يشبهه الشىء والله يتعالى عن جميع ذلك لا يوصف بشىء منه اذ ليس كمثله شىء فى كل شىء ولان هذه أسباب محدثة فى الخلق لمعان حادثة ومتولدة من المحبين لاسباب عليهم داخلة وقد تتغير الاوقات وتنقلب لانقلاب الاوصاف ومحبة الله سابقة للاسباب عن كلمته الحسنى قديمة قبل الحادثات عن عنايته العليا لا تتغير أبدا ولا تنقلب لاجل ما بدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعنى الكلمة الحسنى وقيل المنزلة الحسنى فلا يجوز أن يسبقها سابق منهم بل قد سبقت كل سابقة تكون كقوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فكذلك قال هو سماكم المسلمين من قبل وقال تعالى لهم قدم صدق عند ربهم وقال تعالى فى آخر آياتهم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر ولا يصلح أن يكون قبل قدمه الصدق منهم قدم كما لا يصلح أن يكون قبل علمه بهم منهم عمل بهم منهم لان علمه سبق المعلوم ومحبته لاوليائه سبقت محبتهم اياه ومعاملتهم له ثم هى مع ذلك خاصية حكم من أحكامه ومزيد من فضل اقسامه وتتمة من سابغ انعامه خالصة لخالصين ومؤثرة لمؤثرين بقدم صدق سابق لخالصين يؤول لى مقعد صدق عند صادق لسابقين ليس لذلك سبب معقول ولا لاجل عمل معمول بل يجرى بجرى سر القدر ولطف القادر وافشاء سر القدر كفر ولا يعلمه الا نبى أو صديق ولا يطلع عليه الا من يظهره وما ظهر فى الاخبار من الاسباب فانما هو طريق الاحباب ومقامات أهل القرب من أولى الالباب وانما تستبين المحبة وتظهر للعبد بحسن توفيقه وكلاءة عصمته ولطائف تعليمه من غرائب علمه وخفايا لطفه فى سرعة ردهم اليه فى كل شىء

الاقدر الكفاية ولا يزيد فى الطلب على ذلك فان قلت ما قدر الكفاية الذى يخرج الانسان بالاقتصار عليه عن الشره والطمع فنقول اعلم أن الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط فان تركت التجمل فى الملبس فيكفيك فى السنة ديناران اثنان لك وصيفك فتتخذ به ثوبا خشنا تدفع به الحر والبرد ولئن تركت التنعم فى طعامك والشبع من الطعام فى جميع أحوالك فيكفيك فى كل يوم مد فيكون فى السنة خمسمائة رطل ويكفيك لادمك ان لم توسع فيه واقتصرت على اليسير منه فى بعض الاوقات ثلاثة دنانير على التقريب فى السنة عند رخاء الاسعار فاذا بلغ كفايتك خمس دنانير وخمسمائة رطل وهذا القدر الذى نقدره اذا فرضنا عدم نفقة القريب كالمرأة والاب فان كنت معيلا فتخذ لكل واحد منهم ذلك فاذا كنت كسوبا وكسبت فى بعض اليوم ما يكفيك لليوم فانصرف واشتغل بعبادتك فان طلبت الزيادة صرت من أهل الدنيا ودخلت فى أهل الشره والطمع فان لم تكن كسوبا وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت صنعة يدخل منها هذا القدر دائما فارجو أن لا تصير بذلك من أهل الدنيا لاسيما فى هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات فاقتناء هذا أولى من السؤال وربما لا يحمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذى ذكرنا الا بشدة ومشقة ووقوفهم

ووقوفهم عنده ونظرهم اليه دون كل شئ وقربه منهم أقرب من كل شئ وكثرة استعماله لهم لحسن مرضاته وكشف اطلاعهم على معاني صفاته ولطائف تعريفه لهم مكنون أسراره وفتوحه لافكارهم من بواطن انعامه واستخراجه منهم خالص شكره وحقيقة ذكره فهذه طرقات المحبين له عن كشوف اطلاعه لهم من عين اليقين يقال اذا أحب الله عبدا استخدمه فاذا استخدمه اقتطعه وقيل اذا أحب الله عبدا نظر اليه واذا نظر الله الى عبد لم يعذبه وروى بعض هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروينا في الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه واذا أحبه الحب البالغ اقتناه قيل وما اقتناؤه قيل لم يترك له أهلا ولا مالا فالمحبة مزيد ايثار من المحب الاول وهو الله لعبده وأحكام تظهر من المحبوب وهو العبد في حسن معاملته أو حقيقة علم يهبه له كما قال اخوة يوسف حين عرفوا محبة الله ليوسف عليهم تالله لقد آثرك الله علينا ثم قالوا وان كنا لخاطئين فذكروا سالف خطاياهم وانه آثره بعلم يؤثرهم به فقال الله تعالى في وصفه اياه قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقال في موهبته له آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزي المحسنين فذكر ما سلف من احسانه لما آثره به وقالت الرسل ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وقال تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس وفي الخبر اذا أحب الله عبدا ابتلاه يعني اختبره فان صبر اجتباه وان رضي اصطفاه وقال بعض العلماء اذا رأيتك تحبه ورأيته يبتليك فاعلم انه يريد أن يصافيك وقال بعض المريدين لاستاذه قد طولعت بشئ من المحبة فقال يابني هل ابتلاك بمحبوب سواه فآثرت عليه اياه فقال لا فقال فلا تطمع في المحبة فانه لا يعطيها عبدا حتى يبلوه ومن دلائل المحبة حب كلام الحبيب وتكريره على الاسماع والقلوب وحدثونا عن بعض المريدين قال كنت وجدت حلاوة المناجاة في سوء الارادة فادمنت على قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول لي في المنام ان كنت تزعم انك تحبني فلم جفوت كتابي أما ترى ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد اشرب في قلبي محبة القرآن فعاودت الى حالي الاول وقد قال بعض العارفين لا يكون العبد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد وقد كان ابن مسعود يقول لا على أحدكم ان يسأل على نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله وان لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله ومن علامة حب القرآن حب أهل القرآن وكثرة تلاوته آناء الليل وأطراف النهار وقال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب القرآن وحب الله حب النبي عليه السلام وعلامة حب النبي عليه السلام حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها الا زادا وبلغة الى الآخرة وقال تعالى وهو أحسن القائلين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أي لا يرتدون لانهم ابدال من المرتدين ولا ينبغي أن يكونوا أمثالهم كما قال يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ومن علامة محبة المولى تقديم أمور الآخرة من كل ما يقرب من الحبيب على أمور الدنيا من كل ما تهوى النفس والمبادرة بأوامر المحبوب وبواديه قبل عاجل حظوظ النفس ثم ايثار محبته على هواك واتباع رسوله صلى الله عليه وسلم فيما أمرك به ونهاك والذل لاوليائه من العلماء به والعاملين ثم التعزز على أبناء الدنيا الموصوفين بها المؤثرين لها كما قيل لابن المبارك ما التواضع فقال التكبر على المتكبرين وقال الفتح بن شحرف رأيت علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في النوم فقلت أنبئني بحرف خير فقال ما أحسن تواضع الاغنياء للفقراء رجاء ثواب الله وأحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة بالله وانما وصف الله أحباءه بالذل للاولياء والعز على الاعداء لانه يصف من يحبه بأحسن الاوصاف فالذل للحبيب حسن والعز على العدو في حسنه مثل العز على الذليل فلذلك وصف الله محبه بالذل للولي وبالعز على العدو وقبح العز على الحبيب كقبح الذل للعدو والله لا يصف أولياءه بقبيح ومن علامات الحب المجاهدة في طريق المحبوب بالمال والنفس ليقرب منه ويبلغ مرضاته ويقطع كل قاطع يقطعه عنه بالمسارعة الى قربه كما قال تعالى وعجلت اليك رب لترضى وكما أمر حبيبه

فحينئذ لا حرج عليه في الازدياد على هذا القدر اذ لا يصير بذلك من أبناء الدنيا ولا يخرج من حزب أبناء الآخرة واعلم ان المسافر الى الله تعالى لا يقصد بطعامه وشرابه التلذذ ونهب البيت في الدنيا بل يقصد به دفع ألم الجوع عن العبادة والاذكار ثم ما يفضل عن ذلك يصرفه الى المساكين قال أبو بكر الشبلي وددت ان فاقات الخلائق كلها لقمة واحدة آكلها فيبقى الخلق مع الله تعالى بلا علاقة فان قلت أنا لا أقتني المال للتنعم به بل لخوف آفات الفقر قلنا هذا عين سوء الظن بكرم الله تعالى ورحمته بل ينبغي ان تدفع ذلك عن نفسك بحسن الظن بتدبير الله فان المال قد تصيبه آفة وينفتح للرزق باب من حيث لا يحتسبه فاتكل على فضل الله وكل الامور الى مدبر الملك والملكوت وهو اعلم بمصالحك فجاهد نفسك بالصبر عن شهوات الدنيا وجوع نفسك لوليمة الفردوس غدا على خوان عليه من الخيرات والنعم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

(باب تعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين والفخر والخيلاء ومحبة الرياسة والجاه)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين أستغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه وأسأله التوبة والمغفرة والنجاة من النار وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ويقول المريد بعده مثل ما قاله

صلى الله عليه وسلم فى قوله وتبتل اليه تبتيلا فيه معنيان أحدهما انقطع اليه انقطاعا عما سواه بالاخلاص له والاثرة على غيره والاخرى اقطع كل ماقطعك عنه اليه أى اقطع كل قاطع حتى تصل اليه فهذان من أدل الدليل على المحبة ثم أن لايخاف فى حبه لومة لائم من الخلق لامه على محبته أوعلى السلوك اليه بشق النفس وهجران الدار ورفض المال ولا يرجو فى محبته مدح مادح ولا رغب فى حسن ثناء العباد بايثارك له على الاهل والمال ثم وجود الانس فى الوحدة والروح بالخلوة ولطف التملق فى المناجاة والتنعم بكلامه والتنعم بأحكامه ووجد حلاوة الخدمة ورؤية البلاء منه نعمة وقال ثابت البنانى كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة ومن المحبة ترك السكون الى غير محبوبه اذهو السكن وقال أبو محمد خيانة المحب عند الله أشد من معصية العامة وهو أن يسكن الى غير الله ويستأنس بسواه وفى قصة برخ العبد الاسود الذى استسقى به موسى عليه السلام ان الله تعالى قال لموسى ان برخا نعم العبد هو الا أن فيه عيبا قال يارب وماعيبه قال يعجبه نسيم السحر فيسكن اليه ومن أحبنى لم يسكن الى شئ فالسكون فى هذا الموضع الاستراحة الى الشئ والانس به والسكون فى غير هذا الموضع النظر الى الشئ والادلال به والطمأنينة والقطع به ذكرت هذه الحكاية لبعض أهل المعرفة فقال لم يرد بهذا برخا انما أراد به موسى لانه أقامه مقام المحبة فاستحيى أن يواجهه بذلك فعرض له ببرخ وكان هذا جوابا منه نى سألته لم أخبر موسى بعيبه وهو يحبه دون أن يخبره هو بعيب نفسه فأجاب بهذا فالمقربون من المحبين انما نعيمهم بالله وروحهم وراحتهم اليه من حيث كان بلاؤهم منه فاذا وجدوا ذلك فى سواه كانت ذنوبا لهم عن غفلة أدخلت عليهم ليتوبوا منها اليه فيغفرلهم وروينا أن عابدا عبد الله فى غيضة دهرا فنظر الى طير قد عشش فى شجرة يأوى اليها ويصفر عندها فقال لوحولت مسجدى الى تلك الشجرة فكنت آنس بصوت هذا الطائر قال ففعل فأوحى الله الى النبى عليه السلام قل لفلان العابد استأنست بمخلوق لاحطنك درجة لاتنالها بشئ من عملك أبدا فمن صدق المحبة وخالصها الانقطاع الى الحبيب بوجود الانس به ومصادفة الاستراحة والروح عنده بمحادثته فى المجالسة ومناجاة فى الخلوة وذوق حلاوة النعيم فى ترك المخالفة لغلبة حب الموافقة كما أنشدنى بعضهم عن بعض المحبين

ألذ جليل الصبر عما ألذه ✽ وأهوى لما أهواه تركا فاتركه

وقال نظيره فى مثله وأترك ما أهوى لمن قد هويته وأرضى بما يرضى وان سخطت نفسى ثم الطمأنينة الى الحبيب وعكوف الهم على القريب ودوام النظر وسياحة الفكر لان من عرفه أحبه ومن أحبه نظر اليه ومن نظر اليه عكف عليه اما فهمت هذا من قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا ومن فرائض المحبة وفضائلها موافقة الحبيب فيما أحب حبا لله كما قال عمر رضى الله عنه لصهيب رحم الله صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه أى ان محبته له تمنعه من مخالفته عن غير خيفة فهو بطبع محبه له وكان صهيب يقول انه يستخرج منى حب لربى شيئا لا يستخرجه غيره يعنى من معانى الصفات المخوفة والافعال المرجوة وقال بعض علمائنا الايثار يشهد للمحب فعلامة حبه ايثاره على نفسك وقال ليس كل من عمل بطاعة الله صار حبيبا لله ولكن كل من اجتنب مانهاه عنه صار حبيبا وهذا كما قال ان المحبة تستبين بترك المخالفة ولا تبين بكثرة الاعمال كما قيل أعمال البر يعملها البر والفاجر والمعاصى لا يتركها الاصديق وقيل أفضل منازل الطاعات الصبر على الطاعات وان الصبر على الطاعة تضاعف الى سبعين والصبر عن المعصية ضاعف الى سبعمائة كأنه أقيم مقام المجاهد فى سبيل الله لانه يقع اختبارا من الله وضرورة من كلية النفس فاذا ترك هواه فقد ترك نفسه فاقل ماله فى ذلك الزهد فى الدنيا والجهاد فى سبيل الله ومن أجل ذلك ضوعفت حسناته الى سبعمائة ومن أجله ثبتت له المحبة بترك المخالفة ولذلك قال الله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ففضله على غيره بعجبه وأعجب ماسمعت فى هذا ان موسى سأل الخضر بأى شئ بلغت هذه المنزلة فقال بترك المعاصى كلها وقد كان أبو محمد يقول فى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم قال عيش نفوسهم الفانى وهو عاجل

ثم يقول له اللهم انى أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وأولياءك انى قد قبلتك شيخا فى الله تعالى ومريدا ثم يقول له الشيخ اللهم انى أشهدك وأشهد ملائكتك ورسلك وأولياءك انى قد قبلته ولدا فى الله اللهم فاقبله واقبل عليه وكن له ولا تكن عليه مونته وأيده ثم يقول وعاهدتك يا ولدى أن لاتباشر كبيرة ولا تصر على صغيرة وان تعمل بكتاب الله وسنة رسوله وأن تجمع بين الشريعة والحقيقة فيقول المريد قبلت ثم يدعو الشيخ لكل منهما وللمسلمين ويقول فى دعائه اللهم أصلحنا وأصلح بنا واهدنا واهد بنا فمن نكث فانما ينكث على نفسه الى آخره تم والله أعلم٧

✽(فصل) ✽ وأما محبة الرياسة والجاه فهو الداء الوبيل والمحبوبات هى ثلاثة الجاه والرياسة والصور وقد تقدم الكلام على محبة الصور ومافى ذلك من الآفات فهذه الثلاثة هى أصول المحبوبات وماعداها تبع لها والجاه والرياسة عش فهما من أتعب خلق الله تعالى قلوبا وأقلهم راحة وأنكدهم عيشا تسوءهم الكلمة وتسرهم الكلمة وهم أغراض لسهام البلاء من كل جانب ولايمكنهم ارضاء الخلق كلهم فتنشأ العداوة ويبقى طول عمره مشغولا بالفكر فى أعدائه مستعدا لدفع مايرد منهم من اشتغاله بخدمة الذين قامت رياستهم بهم وفكرته فى مصالحهم ومعاشرتهم على قدر أخلاقهم وارادتهم فلا يزال فى العناء والتعب والهموم.

٧ هكذا وجد بالاصل من بعد الترجمة الى هنا ولاتعلق له بالترجمة ولابما الكلام فيه ولعله زيادة من بعض النساخ فليتأمل اه مصححه

عاجل حظوظهم من الشهوات ومن المحبة وجود الروح بالشكوى اليه والاستراحة الى علمه به وحده والاخلاص المعاملة لوجهه وحسن الادب فيها وهو الاخفاء لها وكتم ما يحكم به من الضيق والشدائد واظهار ما ينعم به من الالطاف والفوائد وكثرة التفكر في نعمائه وخفي ألطافه وغرائب صنعه وعجائب قدرته وحسن الثناء عليه في كل حال ونشر الآلاء منه والافضال والصبر على بلائه لانه قد صار من أهله وأوليائه وقد يعسف باوليائه ويعنف باحبابه لتمكنه منهم ومكانتهم عنده واعلمه انهم لا يريدون به بدلا ولا يبغون عنه حولا اذ ليست لهم راحة لسواه ولا بغية في سواه ولا لهم همة الا اياه كما قال بعض المحبين وبلى منك وبلى عليك افزع منك واشتاق اليك ان طلبتك أتعبتني وان هربت منك طلبتني فليس لي معك راحة ولا لي في غيرك استراحة ثم المسارعة الى ما ندب اليه من أنواع البر ووجد الحلاوة وبشرح الصدر كما جاء في الاثر ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى أحبه ثم الرضا بقضائه لانه مستحسن لافعاله ثم اللهج بذكره ومحبة من يذكره ومجالسة من يذكره ودوام التشكي والحنين اليه وخلو القلب من الخلق وسبق النظر الى الخالق في كل شيء وسرعة الرجوع اليه بكل شيء ووجد الانس به عند كل شيء وكثرة الذكر له والتذكر بكل شيء ومن علامة المحبة طول التهجد وروي عن الله سبحانه كذب من ادعى محبتي اذا جنه الليل نام عني الا ان بعضهم جعل سهر الليل في مقام بعينه ذكر له هذا الخبر فقال ذلك اذا أقامه مقام الشوق فاما اذا أنزل عليه السكينة وأواه بالانس في القرب استوى نومه وسهره ثم قال رأيت جماعة من المحبين نومهم بالليل أكثر من سهرهم وامام المحبين وسيد المحبوبين رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام مثل ما يقوم وقد يكون نومه أكثر من قيامه ولم يكن تأتي عليه ليلة حتى ينام فيها ومن المحبة الخروج الى الحبيب من المال بالزهد في الدنيا والخروج اليه من النفس بايثار الحق على جميع الاهواء وقال الجنيد علامة المحبة دوام النشاط والدؤب بشهوة يفتر بدنه ولا يفتر قلبه وقد قال بعض السلف العمل عن المحبة لا يداخله الفتور وقال بعض العلماء والله ما استنسق محب لله من طاعته ولو حل بعظيم الوسائل ومن المحبة التناصح بالحق والتواصي به والصبر على ذلك كما وصف تعالى الرابحين من الصالحين فقال تعالى ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر لان المحبين لسواه كمن وصفه في قوله تعالى يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم يعني ان يسألكم محبوبكم من الاموال ويستقصي عليكم يخرج أحقادكم عليه وروينا في مقرأ ابن عباس ويخرج أضغانكم يعني الاموال فلولم يدخل على هؤلاء الضعفاء الا الشرك في محبة الاموال والشغل بها عن ذكر ذي الجلال فخسروا ما ربح المخلصون من الاحباب وفاتهم ما أدرك الصالحون من طوبى وحسن مآب فالله تعالى يسأل أحبابه اموالهم وأنفسهم حتى لا يبقى لهم محبوب سواه ولئلا يعبدوا الا اياه محبة منه وكشفا لمحبتهم واختبارا لاخبارهم في صدقهم وصبرهم ولانه جواد ملك لا يسأل الا كلية الشيء وجملته وهو غيور لا يحب أن يشركه سواه في محبته فلا يصبر عليه الا من عرفه ولا يحبه الا من صبر عليه ولا يرضى بحكمه فيه الا من أيقن به الا انه لا يسأل الجملة كلها الا ان أحبه المحبة الخاصة وذلك كله من نظام حكمته وقيل لبعض المحبوبين وكان قد بذل المجهود في بذل ماله ونفسه حتى لم يبق عليه منها بقية ما كان سبب حالك هذه من المحبة فقال كلمة سمعتها من خاق لخلق عملت بي هذا البلاء قيل وما هي قال سمعت محبا قد خلا بمحبوبه وهو يقول أنا والله أحبك بقلبي كله وأنت معرض عني بوجهك كله فقال له المحبوب ان كنت تحبني فأي شيء تنفق علي فقال يا سيدي أملكك ما أملك ثم أنفق عليك روحي حتى تهلك فقلت هذا خلق لخلق وعبد لعبد فكيف بخلق لخالق وعبد لمعبود فكان ذلك سببه فقد دخلت الاموال في الانفس تحت الشراء وقد باعوا نفوسهم فبادونها لمحبتهم اياه وقد اشتراها منهم لنفاستها عنده فعلامة محبته لها اشتراؤها منهم وعلامة شرائها طيبها عنهم فاذا طووها فلم يكن عليهم منها بقية هوى في سواه فقد اشتراها واعلم ان آفات النفوس هي ادواؤها وطهرة النفوس

والغموم والاحزان فطالب الرياسة من أذل الناس معاقبة له من الله بنقيض قصده وبالجملة فمن تأمل أحوال الرؤساء من الملوك والامراء والولاة والقضاة وغيرهم يتبين له ان صرف الرياسة لا يفي بنقصها كما قال الشاعر

قايست بين جمالها وفعالها
فاذا الملاحة بالقباحة لا تفي

فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة واعلم ان حب الرياسة يثور عنه آفات عظيمة وهي محبة التعظم ومحبة الثناء والمدح ومحبة الاستعلاء على الخلق واستعبادهم ومن كان في قلبه شيء من ذلك كان مدعيا للربوبية بلسان الحال قال بعض الاكابر ادعى فرعون الربوبية جهارا وادعتها رؤساء الدنيا بلسان الحال نسأل الله تعالى العافية ونعوذ به من الخذلان بمنه وكرمه آمين

(باب الرياء والمداهنة)

قال الله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤن وقال الله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قيل وما هو قال الرياء وقال صلى الله عليه وسلم في حديث طويل يقال للقارئ العالم والمنفق اذا قال فعلت يقال له كنت أردت ان يقال فلان عالم أو شجاع أو جواد فيذهب به الى النار واعلم ان حقيقة الرياء هي طلب المنزلة في قلوب الناس

من الادواء هو دواؤها كما قال تعالى قد أفلح من زكاها فاذا اصطفاها من الآفات فقد صافاها واذا امتحنها بالتمحيص من الشهوات للتقوى فقد اشتراها ولكل داء من النفس دواء على قدر صغره وعظمه فضع الدواء على الداء من حيث دخل عليك بادخال ضده عليه او بقطع أصله عنه فعلامة النفوس المشتراة وهي المحبوبة المجتباة التوبة الى الحبيب بالخدمة له وكثرة الجدله بالساحة اليه ودوام الصلاة بحسن الادب بين يديه والامر بما يحب والنهي عما يكره والحفظ لحدوده التي حدها وترتيب العلم لي مدارج العقل باخفاء علم التوحيد واسرار قيومية القدرة من المحافظة لان العقل حدود ذلك من كتمان علم المحبة فهو عند المحبين كحفظ حدوده على الجوارح التي شرعها بألسنة الرسل ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ان الله يحب التوابين و يحب المتطهرين والله يحب المتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد أن يحبه الله فليزهد في الدنيا فلا يطمعن طامع في محبة الله قبل الزهد في الدنيا فهذه جل أوصاف المحبين ومن المحبة أن لا يطلب خدمه سواه وان يجتمع في محبته همومه واه ولا يهوى الا ما فيه رضا المولى ولا يقضي عليه مولاه الا بما يهواه وروى عن بعض العلماء اذا رأيته يوحشك من خلقه فاعلم انه يريد أن يؤنسك به وفي أخبار داود عليه السلام ان الله تعالى أوحى اليه أن أود الاوداء الي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها وفيما نقل وهب من الزبور ومن أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا لم أكن أهلا أن أطاع أو كما قال وفي أخبار عيسى اذا رأيت التقي مشغوفا في طلب الرب فقد ألهاه ذلك عما سواه وعن عيسى عليه السلام المحب لله يحب النصب وروى عنه انه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية فقال ما أنتم فقالوا نحن عباد قال لاي شئ تعبدتم قالوا اخوفنا الله من النار نخفنا منها فقال حق على الله أن يؤمنكم مما خفتم ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم فقال لاي شئ تعبدتم قالوا شوقنا الله الى الجنان وما أعد فيها لاوليائه فنحن نرجو ذلك فقال حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم ثم جاوزهم فمر بآخرين يتعبدون فقال ما أنتم قالوا نحن المحبون لله لم نعبده خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته ولكن حباله وتعظيما لجلاله فقال أنتم أولياء الله حقا معكم أمرت أن أقيم فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر انه قال للاولين مخلوقا خفتم ومخلوقا أحببتم وقال لهؤلاء أنتم المقربون وممن روى عنه هذا القول وأقيم في هذا المقام جماعة من التابعين باحسان منهم أبو حازم المدني كان يقول اني لاستحيي من ربي أن أعبده خوفا من العقاب فأكون مثل العبد السوء ان لم يعط أجر عمله لم يعمل ولكن أعبده محبة له وقدر و ينا معنى هذا الكلام عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد السوء ان خاف عمل ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل وقال بعض اخوان معروف له اخبرني عنك أي شئ أهاجك الى العبادة والانقطاع عن الخلق فسكت فقلت ذكر الموت فقال وأي شئ الموت قلت ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شئ القبر فقلت خوف النار ورجاء الجنة فقال وأي شئ هذا ان واحدا بيده هذا كله ان أحببته أنساك جميع ذلك وان كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا وحدثت عن علي بن الموفق قال رأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملكان عن يمينه وشماله يلقمانه من جميع الطيبات وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه قوم فيدخل بعضا و يرد بعضا قال ثم جاوزتهما الى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص ببصره ينظر الى الله عز وجل لا يطرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا من ناره ولا شوقا الى جنته بل حباله فقد أباحه النظر اليه الى يوم القيامة وذكر أن الآخران قال اخوال بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل وهذا مقام الابدال من الصديقين لا يقامون مقام أبدال الانبياء ولا يعطون منازل الشهداء حتى تغلب محبة الله على قلوبهم في كل حال فيتالهون اليه و يذهلون به عن غيره و ينسون في ذكره من سواه فيعبدونه لاجله صرفا وهم المقربون ونعيمهم في الجنان صرف و يمزج لاهل المزج وهم أصحاب اليمين كما قال تعالى

بالعبادات وأعمال الخير وهي من خبائث افعال القلوب وهي في العبادات استهزاء بالله تعالى وزد ذلك في بعض الآثار عن بعض العلماء وصدق فان من عمل بطاعة الله تعالى وهو يريد بها الناس فقد استهزأ بجنبة الله تعالى وهذا كما اذا وقف رجل بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك فانه يستحق النكال لاستهزائه بالملك وعدم اعظامه لجنبته

(فصل) ومارآءى به ستة أنواع الاول الرياء من جهة البدن وهو اظهار النحول والاصفرار ليظهر به السهر والصيام واظهار الحزن ليظهر انه شديد الاهتمام بأمر الدين واظهار تشعث الشعر وتفلل اللحية ليظهر انه لشدة اشتغاله بأمر الدين لا يتفرغ لنفسه واظهار ذبول النفس وخفض الصوت ليستدل به على الصوم وكثرة المجاهدة الثاني الرياء بالهيئة كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدو في الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه وتغميض العينين ليظهر انه فناء في الوجه والمكاشفة أو غائص في الشكر الثالث الرياء في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره وترك الثوب مخرقا ووسخا ليظهر انه مستغرق الوقت لا يتفرغ لغسله واصلاحه والبس المرقعة والسجادة ليظن انه من الصوفية مع افلاسه عن حقائق التصوف الرابع الرياء بالقول كرياء أهل الوعظ

في وصف نعيمهم ان الابرار لفي نعيم على الارائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ثم قال في نعت شراب المقربين ومزاجه يعني مزاج شراب الابرار من تسنيم عينا يشرب بها المقربون أي يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لاصحاب اليمين فاطال شراب الابرار الامزاج شراب المقربين فعبر عن جميع نعيم الجنان بالشراب كما عبر عن العلوم والاعمال بالكتاب فقال في نعت الابرار مثله ان كتاب الابرار لفي عليين ثم قال يشهده المقربون فاحسن علمهم ولا صفت أعمالهم ولا علا كتابهم الا بشهادة المقربين لما قرب منهم وحضر وكذلك كانوا في الدنيا تحسن علومهم بعلمهم وترتفع أعمالهم بمشاهدتهم ويجدون المزيد في نفوسهم بقربهم منهم كما بدأنا أول خلق نعيده وقال تعالى جزاء وفاقا أي وافق أعمالهم وقال تعالى سيجزيهم وصفهم أي كوصفهم في الدنيا انه حكيم عليم فمن كان في هذه الدار نعيمه طيبات الملك فكذلك غدا يكون الملك نعيمه ومن كان فيها نعيمه وروحه بالطيب المالك فهو غدا في مقعد صدق عند مليكه كما قال أبو سليمان الداراني من كان اليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقد روينا عن رابعة العدوية وكانت احدى المحبين وكان الثوري يقعد بين يديها ويقول علمينا مما أفادك الله من طرائف الحكمة وكانت تقول نعم الرجل أنت لولا انك تحب الدنيا وقد كان رحمه الله زاهدا في الدنيا عالما الا انه انما كانت تجعل ايثاره كتب الحديث والاقبال على الناس من أبواب الدنيا وقال لها الثوري يوما لكل عبد شريطة ولكل ايمان حقيقة فما حقيقة ايمانك فقالت ماعبدت الله خوفا من الله فاكون كالامة السوء ان خافت عملت ولا حبا للجنة فاكون كامة السوء ان أعطيت عملت ولكني عبدته حبا له وشوقا اليه وروى عنها حماد بن زيد انها قالت اني لاستحي ان أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسألها من لا يملكها وكان هذا جوابا لانه قال لها اذكري لي حوائجك حتى أقضيها وخطبها عبد الواحد بن زيد فقالت ياشهواني اطلب شهوانية مثلك أي شئ رأيت في من آلة الشهوة وخطبها محمد بن سليمان أمير البصرة على مائة ألف وقال لي غلة عشرة آلاف في كل شهر ادفعها اليك فكتبت اليه ما يسرني انك لي عبد وان كل مالك لي وانك شغلتني عن الله طرفة عين وقد قالت في معنى المحبة أبياتا تحتاج الى شرح حملها عنها أهل البصرة وغيرهم منهم جعفر بن سليمان الضبعي وسفيان الثوري وحماد بن زيد وعبد الواحد بن زيد

أحبك حبين حب الهوى * وحبا لانك أهل لذاكا
فاما الذي هو حب الهوى * فشغلي بذكرك عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له * فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي * ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

فاما قولها حب الهوى وقولها حب أنت أهل له وتفريقها بين الحبين فانه يحتاج الى تفصيل حتى يقف عليه من لا يعرفه ويخبره من لم يشهده وفي تسميته ونعت وصفه انكار من ذوي العقول ممن لا ذوق له ولا قدم له فيه ولكنا نحمل ذلك وندل عليه من عرفه يعني حب الهوى اني رأيتك فاحببتك عن مشاهدة عين اليقين لا عن خبر وسمع تصديق من طريق النعم والاحسان فتختلف محبتي اذا تغيرت الافعال لاختلاف ذلك علي ولكن محبتي من طريق العيان فقربت منك وهربت اليك واشتغلت بك وانقطعت عن سواك وقد كانت لي قبل ذلك أهواء متفرقة فلما رأيتك اجتمعت كلها فصرت أنت كلية القلب وجملة المحبة فانسيتني ماسواك ثم اني مع ذلك لا استحق على هذا الحب ولا استاهل ان أنظر اليك في الآخرة على الكشف والعيان في محل الرضوان لان حبي لك لا يوجب عليك جزاء عليه بل يوجب علي كل شئ لك مني كل شئ مما لا أطيقه ولا أقوم بحقك فيه أبدا اذ كنت قد أحببتك فلزمني خوف التقصير ووجب علي الحياء من قلة الوفاء فتفضلت علي بفضل كرمك وما أنت له أهل من تفضلك فاريتني وجهك عندك آخرا كما أريتنيه اليوم عندي أولا فلك الحمد على ما تفضلت به في ذا عندي في الدنيا ولك الحمد على ما تفضلت به في ذاك عندك في

والتذكير وتحسين الالفاظ وتسجيعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام الانبياء والاولياء والزهاد مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو عن حقيقة الصدق والاخلاص بالباطن بل ليظن به ذلك الخامس الرياء بالعمل كاظهار الخشوع في الصلاة وتطويل ركوعها وسجودها والتصدق والحج والاخبات في المشي عند رؤية الناس واطراق الرأس وقلة الالتفات مع ان الله تعالى عالم من باطنه انه لو كان في خلوة بحيث لا يراه أحد لما فعل شيأ من ذلك بل تساهل في الصلاة واسرع في المشي السادس الرياء بكثرة التلامذة والاتباع وكثرة ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة فهذه مجامع ما يرائي به في الدين *(فصل)* الرياء على درجات منها ان يلبس في الخلوة غير ما يلبسه عند الاجتماع بالناس وكالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء أموالا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح فليس ذلك بحرام فان علاج القلب التملك الاموال نعم اذا حصل الافراط في ذلك وجر الى الغفلة والمعاصي فيكون محذورا لذلك لا لنفسه واعلم ان المرائي اذا قصد بالعبادات مراآة العباد فقد اعتقد ان عباد الله أقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظمة العباد في قلبه دعته الى أن يتجمل عندهم بعبادة الله تعالى ولهذا سماه النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك الخفي والشرك الاصغر

الا آخر ولا حدلى فى ذا ههنا ولا حدلى فى دالك هنالك اذ كنت انما وصلت اليهما بك فانت المحمود فيهما لانك وصلتنى بهما فهذا الذى فسرناه هو وجد المحبين المحققين طلبا بقولها ذلك اذ كان لها فى المحبة قدم صدق والله أعلم ولا يسعنا ان نشرح فى كتاب كشف حقيقة ما أجملناه ولا ان نفصل وصف ما ذكرناه ومن لم يكن من المحبين كذلك حتى يدل بمحبته ويقتضى الجزاء عليها من محبوبه ويوجب على حبيبه شيأ لاجل محبته فهو مخدوع بالمحبة ومحجوب بالنظر اليها وانما ذلك مقام الرجاء الذى ضده الخوف وليس من المحبة فى شئ ولا تصح المحبة الا بخوف المقت فى المحبة وقال بعض العارفين ما عرفه من ظن انه عرفه ولا أحبه من توهم انه احبه * (ذكر مخاوف المحبين ومقاماتهم فى الخوف) * وللمحب سبع مخاوف ليست بشئ من أهل المقامات بعضها أشد من بعض أولها خوف الاعراض وأشد منه خوف الحجاب واعظم من هذا خوف البعد وهذا المعنى فى سورة هود هو الذى شيب الحبيب اذ سمع المحبوب يقول ألا بعدا لثمود ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر البعد فى البعد يشيب أهل القرب فى القرب ثم خوف السلب للمزيد والايقاف مع التجديد وهذا يكون للخصوص فى الاظهار والاختبار منهم فيسلبون حقيقة ذلك عقوبة لهم وقد يكون عند الدعوى للمحبة ووصف النفس لحقيقتها وينقصون معه ولا يفطنون لذلك وهو لطيف من المكر الخفى ثم خوف الفوت الذى لا دركه له سمع ابراهيم بن أدهم وهو أحد المحبين قائلا يقول فى سياحته نظاما

كل شئ لك مغفور * سوى الاعراض عنى قد وهبنا منك ما فا * ت يبقى ما فات منى

فاضطرب وغشى عليه فلم يفق يوما وليلة وهذا فى قصة طويلة كانت له بعد مقامات اقيم فيها انقل عنها الى هذا المكان حتى قال فى آخر ذلك فسمعت النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا قال فكنت عبدا فاسترحت معناه لا تملك الا واحدا تكون عبده حراما سواه ولا تملك شيأ فان الاشياء فى خزائن مليكها فلا تملكها فتحجب عن مالك وناسوك بمقدار ما ملكتها وقد ضرب الله مثلا بينه وبين خلقه ان رجلين أحدهما فيه شركاء متشاكسون عليه من أهل ومال وشهوات وآخر سلما خالصا للواحد انهما لا يستويان فى قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون أى الاكثر ليسوا علماء هكذا الواحد وأشد من الفوت خوف السلو وهذا أخوف ما يخافون لان حباله كان به لا بهم وهو نعمة عظيمة لا يعرف قدرها فكيف يشكره عليها ولا يقوم لها شئ فكذلك سلوهم عنه يكون به كما كان حبهم له به فيدخل عليهم السلو عنه من حيث لا يشعرون من مكان ما دخل عليهم الحب له من حيث لا يعلمون فتجد السلو به كما وجدت الحب له فتكون به قد سلوت عنه وأنت لا تدرى كيف سلوت لانه يدرجك فى ذلك ادراجا بلطائف الحكمة كما انك أحببته وأنت لا تدرى لانه أشهدك وصفه باطلاع القدرة عن جنان الرحمة فوجدت نفسك محبا له كذلك ترجع المحبة كما جاءت تحجبك عنه عن وصف المكر والجبر به فتجد قلبك ساليا عنه بلا حول منه ولا قوة ولا اجتلاب ولا حيلة وهذا لا يعرفه الا عارف بدقيق بلائه ولا عذره الا خائف من خفى مكره وابتلائه فاذا سلوت عنه به كان ذلك دليلا منه انه قد رفضك واطرحك كما انت اذا كنت تحبه انما أحببته به وهذا هو تحقيق المكر السريع بسرعة تقليب القدرة للقلوب الذى تحقق بالممكور وهو درك الشقاء الذى أدرك المغرور بما لا يدركه الطرف لسرعته ولا يجول فى الوهم لخفيته كقوله تعالى اذا لهم مكر فى آياتنا أى معصية بالنعم قل الله أسرع مكرا أى اخفى تقليبا قد أظهر لهم نعما أخبوها وكانت عقوبة ونقما باطنة فى لبس النعم الظاهرة يدرجوا بها الى درجة درجة من حيث لا يعلمون وأشد من هذا كله خوف الاستبدال لانه لا مشوبة فيه وهذا حقيقة الاستدراج يقع عن نهاية المقت من المحبوب وغاية البغض منه والبعد والسلو مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب بداية ذلك كله والقبض عن الذكر وضيق الصدر بالبر أسباب هذه المعانى المبعدة والمدارج المدرجة اذا قويت وتزايدت أخرجت الى هذا كله واذا تناقصت وبدل بها الصالحات والحسنات أدخلت فى مقامات المحبة والقربات كما جاء

واعلم ان الرياء كما يعظم ويغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه يعظم أيضا بما يقع فيه المراآة وذلك على درجات أعظمها المراآة فى الايمان وهذا هو النفاق فى الايمان أعاذنا الله تعالى منه كما عليه الزنادقة والملحدة الذين يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر الثانية الرياء باصل العبادات كمن يصلى ويزكى بحضرة الناس والله تعالى يعلم من باطنه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك الثالثة الرياء بالنوافل دون الفرائض كالذى يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيأ من ذلك وهذا أيضا حرام لكن حرمته أخف من حرمة القسم الذى قبله * (فرع) * اذا كانت العبادة باعثة مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زادته رؤية غيره نشاطا وخف عليه العمل لرؤيته فارجو أن لا يحبط ذلك القدر من الرياء عمله بل تصح عبادته ويثاب عليها بل قصد الرياء ينقص من ثوابه * (فرع) * لو تساوى عنده قصد العبادة ومراآة الناس ووقع الفعل بهذين القصدين فهذا قد أفسد العبادة بقصد الرياء من وجه وأصلحها من وجه آخر فالظاهر انه لا يسلم رأسا برأس ويحتمل ان يقال اذا تساوى القصدان فاحدهما كفارة للآخر وقوله تعالى فيما حكاه نبينا عن قوله تعالى أنا أغنى الاغنياء عن الشرك يدل على انه لا يقبله ولا يثيب عليه

في

فى الاثر الثابت عن حبيب الله وكذلك فى تدبر الخطاب ان العا كف على هواه مقيت الله فوجد هذه الاوصاف منك دلائل ماعادعنك من الاستبدال بك والاسقاط لك والخوف من هذه المعانى علامة المعرفة بالاخلاق الملونة ولا يصلح شرح هذه المقامات فى كتاب ولا تفصيلها برسم خطاب انما يشرح فى قلبه بيقينه قد شرح وبه لمصل العبد من نفسه قد فصل فاما قلب مشترك وعبد فى هواه مرتبك فليس لذلك أهلا والله المستعان وثم خوف ثامن عن شهادة حب عال يغرب اسمه فيلتبس ويخفى وصفه لقلة اشتهاره فى الاستماع فيجهل لم نسمه لانه خوف من مقام له اسم من المحبة فيشتبه على كثير من سامعيه فينكرونه ويتشنج فى أوهام غير مشاهد يه بالخالق فيمثلوه لان أسماء صفات الخلق ملتبسة بمعنى صفات الخالق وانما الهم من ذلك ما يعلمون وهم بعلومهم محجوبون فكيف بما يشهدون فان ذكرنا خوفه ثم على ذكر مقامه فظهر باظهاره فكان طيه أفضل من نشره الى أن يسأل عنه من ابتلى بصدره عنه بعد ان تشربت منه لان مقامات المحبة كلها الى جنب مقامه كنهر ضيف الى بحر مثله كمثل مشاهدات اليقين كلها الى جنب شهادة التوحيد بالتوحيد وهو وصف من المحبة يعرف لانه من شوق الحبيب الى المحب وهو من معنى قول رابعة آنفا حب الهوى ومن معنى قول عائشة رضى الله عنها للنبى صلى الله عليه وسلم أرى ربك يسارع الى هواك ومن صدر عن مقام محب بعد ورود ه رفع الى هذا المقام لانه فى مقام محبوب لجميل مشاهدات اليقين وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد هذين البيتين كثيرا

ومن بعد هذا ما تدق صفاته ✱ وما كتمه أحظى لديه وأعدل

ألا ان للسر جن سرا يسره ✱ الى أهله فى السر والستر أجمل

وقد ذكرناه عن بعض المحبوبين فى كلام منظوم فى بيتين وهما

فمنك بدا حب بعز ممازجا ✱ بماء وصال كنت أنت وصلته

ظهرت لمن أبقيت بعد فنائه ✱ فكان بلا كون لانك كنته.

وقال بعض العلماء من عرف الله من طريق المحبة بغير خوف هلك بالبسط والادلال ومن عرفه من طريق الخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عرف الله من طريق المحبة والخوف أحبه الله فقربه وعلمه ومكنه وليس العجب من خوف الخائفين اذ لا يعرفون الا الصفات المخوفات والافعال القاصمات وانما العجب من خوف المحبين مع ما عرفوا من أخلاقه وحنانه وشهدوا من تعطفه والطافه ما لم يعرف الخائفون ثم هم مع حبهم يهابونه وعلى أنفسهم به يخافونه وفى فزعهم منه يشتاقون اليه وفى بسطه لهم ينقبضون بين يديه وفى اعزازه لهم يذلون له لان من قبض فانقبض فليس بعجب ولكن من أعز وأكرم فتواضع وذل فهو العجب فللمحبين الانقباض فى البسط وللخائفين الانقباض فى القبض وللمحبين الذل مع العز والكرامة وللخائفين الذلة مع الهيبة والمهانة فهذا يدل على ان معرفة المحبين به أعظم المعارف اذ كانت أوائل أحوالهم المخاوف فكل محب لله خائف وليس كل خائف محبا يعنى محبة المقربين لانه لم يذق طعم الحب لان طعم محبة المسلمين المفترضة لا يقع بها اعتبار فى مقامات الخصوص لانه لا يوجد عنها مواجيد الاحوال ولا يعلى بها فى مشاهدات الانتقال لانها قوت الايمان منوطة بصحته وموجودة بوجوده والمحبة لا ترفع الهيبة فلذلك كان محبا خائفا لان المحبوب مهوب والخوف قد يقبض عن المحبة اشتغل الخائف بوصفه السالف وهذا كشف الابرار وهو حجاب المقربين لان المحبين لهم من الخوف قوت ومن المحبة اتساع والخائفون لهم من الخوف اتساع ومن المحبة قوت وهذا كما يقول فى الرجاء والخوف لانهما وصفا الايمان الا ان الخائف يتدرج الرجاء فى حاله والراجى ينطوى الخوف فى رجائه وفى سبق ترتيب المقامات من الله تعالى حكم غريب وحكمة لطيفة لا يعرفها الا من أعطى يقين شهادتها ان سبق الى العبد بمقام الخوف كان محبا حب المقربين العارفين وان سبق اليه بمقام المحبة كان محبا محبة أصحاب اليمين ولم يكن له مقامات المحبين المستأنسين ولا المشتاقين فى مقامات المقربين وكل هؤلاء موقنون صالحون وان خرجت أحوالهم من ترتيب علوم أهل الظاهر لان

✱(فصل)✱ والرياء منه أكبر ومنه أصغر فالاكبر هو ان يريد الناس بطاعة الله تعالى وعبادته ولا يريد وجه الله تعالى والرياء الاصغر ان يريد بالعبادة الناس ورب الناس وهذا أخف الرياء لانه أقبل على الله تعالى من وجه وعلى الناس من وجه فاما الاول فلانه أعرض عن الله تعالى بالكلية وأقبل على الناس وكلاهما محبط للعمل لانه جاء عن الله تعالى من عمل عملا أشرك فيه غيرى تركته لشركه ولا يتصور شرك الرياء ممن عبد الله تعالى تعظيما واجلالا لان تعظيمه يمنعه من أن يعصيه بشرك الرياء وكذلك الحياء والحب أيضا مانعان من عصيان المستحيى منه ومن عصيان المحبوب فيما يتقرب به اليه

✱(فصل)✱ والرياء بعضه جلى وبعضه خفى وفيه ما هو أخفى من دبيب النمل أما الجلى فما يبعث على العمل حتى لولاه لم يرغب فى العمل وأخفى منه ان لا يستقل بالحمل عليه ولكن يخفف عليه العمل ويزيده نشاطا وأخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولكن لو اطلع غيره على تهجده قبل فراغه أو بعده فرح بذلك واهتزت نفسه وذلك يدل على ان الرياء مستكن فى القلب استكنان النار تحت الرماد حتى يرشح منه السرور عند الاطلاع عليه وقد كان غافلا عنه قبله وأخفى منه ان لا يسر بالاطلاع عليه لكن يتوقع ان يبدأ بالسلام ويوقر ويتعجب ممن يسىء اليه ولا يحترمه فكانه يتوقع من الناس ان يعظموه

ولو قرؤه لكونه عابدا زاهدا مع لتغفله ذلك عنهم وأمثال هذه الخفايا لا يخلو عنها الا الصديقون وجميع ذلك اثم ويخاف منه
احباط العمل فجاهد
نفسك فى دفع أسباب الرياء
عنك واحرص على ان
تكون الناس عندك
كالبهائم والصبيان ولا تفرق
فى عبادتك بين وجودهم
وعدمهم وعلمهم بها أو
غفلتهم عنها واقنع بعلم الله
تعالى وحده وبطلب
الاجر منه

(فصل) من جرد قلبه
عن الرياء الجلى لكن عجز
عن تجريد قلبه عن الرياء
الخفى فهل تنعقد عبادته
مع ذلك قالوا لا يخلو اما أن
يكون وارد الرياء ورد مع
أول العمل أو فى دوامه أو بعد
الفراغ منه فان قارن ابتداء
العمل فانه يبطل العمل ويمنع
انعقاده لان الرياء صار باعثا
مؤثرا فى الحمل على العمل
وذا لم يكن باعثا مؤثرا على
الحمل على العمل بل وقع
العمل به وبباعث التقرب
الى الله تعالى فقد تقدم
حكمه واذا كان الرياء لم
يقارن ابتداء العمل لكن
ورد على دوامه فان أبطل
باعث العبادة بطلت العبادة
لان النية قد انقطعت مثاله
ان ينسى شيأ فيتذكره ولو
خلا بنفسه لقطع الصلاة
لاجله لكنه أتمها حياء من
الناس وان لم يبطل باعث
العبادة لكنه صار مغمورا
كالوحضر قوم ورأوه فى
تلك العبادة فغلب على قلبه
الفرح باطلاعهم وتغمر باعث العبادة بطلت صلاته لانه يغلب على الظن انه قد انقضى ركن وهو فى باعث الرياء قبل معاودة

منهم

المنكر لهم أكثر من المقر والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وربما كانت المحبة ثوابا للخوف ومزيدا له وهذا فى مقام العاملين وربما كان الخوف مزيد الحب وثوابها وهذا فى مقام العالمين فمن كانت المحبة مزيده بعد الخوف فهو من المقربين المجبرين ومن كان الخوف مزيد محبته فهذا من الابرار المحبين وهم أصحاب اليمين وسئل بعض علمائنا البصريين الحب أفضل أو الحياء فقال الحب الذى يورث من الخوف الحياء أفضل منه والحب الذى يورث الحياء منه أفضل من الحياء وهو الشوق وقال الجنيد المحبة نفسها اقرب القلب من الله بالاستنارة والفرح فاما حب تجلى الصفات عن الاسماء الباطنة فانا لم نذكر منها شيأ وانما ذكرنا محبة الاخلاق عن الاسماء الظاهرة ولا أحسب انه يحل رسمه فى كتاب ولا كشفه لعموم الناس لانه من سر المحبة لا يكاشف به الا من اطلع عليه ولا يحدث به الا من أعطيه وما رأيت أحدا رسمه فى كتاب لانه لا يؤخذ من كتاب وانما يتلقى من أفواه العلماء وينسخ من قلب الى قلب وهو يشبه ما كتبناه آنفا من الخوف الثامن الذى لم نصفه لمن لا يعرفه ومما نقل فى الاثر من وصف من اذيق منه ولم يفصح بذكر وصفه آثار وينافى الاخبار ان بعض الصديقين سأله بعض الابدال ان يسأل الله أن يرزقه ذرة من محبته ففعل ذلك فهام فى الجبال وحار عقله ووله قلبه وبقى شاخصا سبعة أيام لا ينتفع بشئ ولا ينتفع به شئ فسأل له الصديق ربه فقال يارب انقصه من الذرة نصفها فاوحى الله اليه انما أعطيناه جزأ من مائة ألف جزء من ذرة من المعرفة وذلك ان مائة ألف عبد سألونى شيأ من المحبة فى الوقت الذى سألنى هذا فأخرت اجابتهم الى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته فقسمت ذرة من المحبة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقلت سبحانك أحكم الحاكمين انقصه مما أعطيته قال فاذهب الله عنه جملة ذلك الجزء وبقى فيه عشر معشاره وهو جزء من ألف جزء فاعتدل خوفه وحبه وعلمه ورجاؤه وصار كسائر العارفين ومن علم المحبة سهر الليل بمناجاة الجليل والحنين الى الغروب شوقا الى الخلوة بالمحبوب ومناجاة القلب سرائر الوجد ومطالعة الغيب والمناجاة عند أهل المصافاة انما هى بالقلوب وهى مطالعتها بواطن الغيوب وجولانها فى سر الملكوت وعلوها فى معانى الجبروت بانوار أرواحها بحمالها شعاع أنواره فيوقعها على خزائن أسراره والمناجاة دليل رؤية القرب وشاهد وجود الانس وفيما أخبرنا عن الله تعالى انه قال كذب من ادعى محبتى اذا جنه الليل نام عنى أليس كل حبيب يحب الخلوة بحبيبه فها أنا ذا قريب من أحبابى اسمع سرهم ونجواهم واشهد حنينهم وشكواهم وروينا عن بعض العلماء القدماء ان الله عز وجل أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى يحبونى وأحبهم ويشتاقون الى واشتاق اليهم يذكرونى واذكرهم وينظرون الى وانظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى الشفيق غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها عند الغروب فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش ونصبت الاسرة وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد بعينى ما يتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى فاول ما أعطيهم ثلاثا اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت السموات والارض وما فيهما فى موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة اقبل بوجهى عليهم فترى من أقبلت بوجهى عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه وأما الشوق فانه مقام رفيع من مقامات المحبة وليس يبقى الشوق للعبد راحة ولا نعيما فى غير مشوقه والمشتاقون مقربون بما أشهدوا من الشوق اليه وهم المأمور بطلبهم الوجود الحبيب عندهم مثوبة منه لهم لما شوقهم اليه فى قوله لموسى عليه السلام اطلبنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى هم المشتاقون من المحبين والله أعلم وذلك ان الحبيب قرب منهم بوصفه تنكر ما فقرحوا بقربه وعاشوا بمشاهدته ونعموا بالحضور عنده ثم احتجب

عنهم غيرة على نفسه لعزه فانكسرت قلوبهم لاجله فاشتاقوا الى ما وجدوه منه فثبتت لديه حرمتهم فامر أولياءه بطلبهم وأوجد نفسه عندهم لمكانتهم عنده ففرح هؤلاء من المحبين بقربه لا يوصف وانكسارهم وحزنهم لاجله لا يعرف والله سبحانه قد يعرض عن محبيه تعززا ليزعجهم الشوق اليه ويقلقهم الاسف عليه وينظر اليهم في اعراضه عنهم من حيث لا يعلمون لينظروا اليه من حيث يعلمون فيسكنون بالادب بين يديه وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم وكان أحد المشتاقين وهو من ابدال هؤلاء الذين نتكلم في علمهم ونكشف طريقهم وكانت له رحمه الله أماكن من المحبة رفيعة ومكاشفات في القرب عالية قال قلت ذات يوم يارب ان كنت أعطيت أحدا من المحبين لك ما تسكن به قلوبهم قبل لقائك فاعطني ذلك فقد أضر بي القلق قال فرأيت في المنام انه أوقفني بين يديه فقال يا ابراهيم أما استحييت مني ان تسألني ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه أم هل يستروح المحب الى غير مشوقه قال قلت يارب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني كيف أقول فقال قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك وقد حدثونا بمعنى ذلك عن أحمد بن عيسى الخراز وكان مشتهرا بالسماع كثير الحركة والصعق عنده ذكر بعض أصحاب سهل قال رأيته في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال أوقفني بين يديه فقال لي يا أحمد حملت وصفي على ليلى وسعدى لولا اني نظرت اليك في مقام واحد أردتني به خالصا لعذبتك قال وأقامني من وراء حجاب الخوف فارعدت وفزعت ما شاء الله ثم أقامني من وراء حجاب الرضا فقلت يا سيدي لم أجد من يحملني غيرك فطرحت نفسي عليك فقال صدقت من أين تجد من يحملك غيري قال وأمر بي الى الجنة وفي هذا تخويف للسامعين على التشبيه الحائدين عن سمع أهل الفهم والتنبيه لان السماع علم لا يصلح الا لاهل الصفاء فمن سمعه على كدر فذاك له محنة وضرر ويدخل من الآفات على نقصان المشاهدات اذا سمع من قبل النغمة والصوت ما يدخل على من نظر الى الايدي في العطاء لان الصوت ظرف للمعاني بمنزلة اليد ظرفا للارزاق فالناظر الموقن يأخذ رزقه من اليد ويترك النظر والسامع المحق يأخذ المعاني من الصوت ولا يلتفت الى التنغيم فمن سمع على التشبيه والتمثيل الحد ومن سمع على الهوى والشهوة فهو لاعب لاه ومن سمع باستخراج الفهم ومشاهدة العلم على معاني صفات حق ونظر وتطرق ودليل على آيات صدق كان سامعا على مزيد وهذه طرائق أهل التوحيد وفي السماع حرام وحلال وشبهة فمن سمعه بنفس بمشاهدة هوى وشهوة فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية وزوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه وفعل هذا بعض السلف من التابعين ومن سمعه بقلب بمشاهدة معان تدله على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهذا مباح ولا يصح الا لاهله ممن كان له نصيب منه ووجد في قلبه مكان له لعبد أقيم مقام حزن أو شوق أو في مقام خوف أو محبة فيحركه السمع ويخرجه الى الشهادة فيكون ذلك مزيده من السمع فاما من سمعه على نغمة أو لاجل صوت أو ليلهو به أو ليستروح اليه فهذا لاعب لاه لا يحل له اذ ليس مراده به وكان الجنيد يقول تنزل الرحمة على هذه الطائفة في ثلاثة مواطن عند الطعام لانهم لا يأكلون الا عن فاقة وعند المذاكرة لانهم يتذاكرون أحوال النبيين ومقامات الصديقين وعند السماع لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وكان بعض العارفين يقول تعرف مواجيد أصحابنا في ثلاثة أشياء عند المسائل وعند الغضب وعند السماع وانما ذكرنا هذا لانه كان طريقا لبعض المحبين وحالا لبعض المشتاقين فان أنكرناه مجملا فقد أنكرنا على سبعين صادقا من خيار الامة وقد دخل فيه غير أهله فاحالوه عن وجهته وعدلوا به عن قصده وقد كان بعض السامعين يقتات السماع فيجعله قوته ويتقوى به على زيادة طيه وكان أحدهم يطوي اليومين والثلاثة فاذا تاقت نفسه الى القوت عدل بها الى السماع فاثار منه مواجيده وأهاج فيه اذكاره فحمله ذلك عن الطعام واغناه عن الانام فهذا لا يصلح الا لقلب صاف من الاكدار نقي نظيف من الآثام ومن شهد فيه خلقا فذلك علامة كدر قلبه ومن أحدث فيه لعبا ولهوا فهو دليل نقص لبه حدثني بعض الشيوخ عن شيخ

باعث العبادة وأما ما يطرأ بعد الصلاة من المراآة بأن يجد عنده سرورا بعد فراغه من الصلاة باطلاع الناس عليه فلا ينعطف ذلك على ما مضى ولكن يعصى ويأثم

(فصل) واذا عرفت حقيقة الرياء وكرهت مداخلته فعليك بالجد في معالجته وازالته وذلك بدفع الاسباب الباعثة عليه من حب المدح وخوف الذم والطمع فالحب لمدح الناس له يحمله ذلك على المراياة بالاعمال ليمدحوه عليها ومن يخاف ذم الناس على التقصير في العمل يرائي الناس بالعمل ليتوقى ذمهم والطامع في الدنيا يحمله الطمع في الدنيا على المراياة في الاعمال ليتفقده الناس بالاعطاء والهدايا والصلات لاعتقادهم فيه انه من عمال الآخرة وهذا هو آكل الدنيا بالدين ويأبى الله الا أن يكشف سر هؤلاء ويظهر نفاقهم ويسخط عليهم خلقه بعد ان سخط عليهم واعلم ان دفع أسباب الرياء يكون بامور منها تذكر النفس بما أمر الله تعالى به من اصلاح القلب واخلاص العمل وبما قد حرمه المرائي من التوفيق ومنها خوف مقت الله تعالى اذا اطلع على قلبه وهو منطو على الرياء ومنها ما يفوته من ثواب الاخلاص في الآخرة وما يلحقه من عقابها ومنها تقبيح تحبيبه الى الناس بما يبغضه الى الله تعالى ومنها تزيينه لهم بما يشينه عند الله تعالى ومنها التقرب اليهم بما يبعده عن الله تعالى ومنها ارضاؤهم بالتعرض لسخط الله تعالى

له قال رأيت أبا العباس الخضر فقلت ما تقول في هذا السماع الذي يختلف فيه أصحابنا فقال هو الصفا الزلال لا يثبت عليه الا أقدام العلماء وقد صدق في قوله لانا روينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي الشهوة الخفية والنغمة الملهية ولان حمادا روى عن ابراهيم الغناء ينبت النفاق في القلب وعن مجاهد ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله قال الغناء وهذا كما قالاه لان سماع الغناء حرام وأجور المغنيات وأثمانهن حرام والفرق بين الاغاني والقصائد ان الاغاني ما شبب به النساء وذكر فيه الغزل ووصفهن به وشهدن منه ودعا الى الهوى وشوق الى اللهو فمن سمع من حيث قال القائلون بهذه المعاني فالسماع عليه حرام والقصائد ما ذكر بالله ودل عليه وشوق اليه وأهاج مواجيد الايمان وأثار مشاهدات العلوم وذكر به طرقات الآخرة ومقامات الصادقين فمن سمع من حيث شهد بهذه الشهادة فهو من أهله اذ له نصيب منه وقال الله سبحانه ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون فالكلام زوجان منثور ومنظوم فالمنثور كلام العلامة والمنظوم كلام الشعراء فما ذكر به الله ويذكر منه فهو طريق اليه ولم يزل الحجازيون عندنا يسمعون السماع في أفضل أيام السنة وهي الايام التي أمر الله عباده ان يذكروه فيها أيام التشريق من وقت عطاء بن أبي رباح الى يومنا هذا ما أنكره عالم وقد كان لعطاء جاريتان يلحنان فكان اخوانه يستمعون اليهما ويحمل القول في السماع ان من سمع فظهرت عليه صفات نفسه وذكرته حظوظ دنياه فالسماع عليه حرام ومن سمع فظهر له به ذكر ربه وتذكر به أجل ما شوقه الله اليه وأعده لاوليائه فهو له ذكر من الاذكار وسئل عالم رحمه الله فقيل له بلغنا انك تنكر السماع وقد كان الجنيد وسري السقطي وذو النون يسمعون فقال كيف أنكر السماع وقد سمعه عبد الله بن جعفر الطيار يعني ابن أبي طالب وانما أنكر اللهو وأنكر اللعب في السماع ولعمري ان هؤلاء الاشياخ الذين ذكروا قد كانوا يسمعون ولكن كان منهم من سمع السر دون العلانية ومنهم من كان يسمع مع اخوانه ونظرائه دون الاتباع والاصحاب وكانوا يقولون لا يصح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدئ وكان بعض العلماء قد ترك السماع فقيل له فقال ممن فقيل له فانت فقال مع من كانوا لا يسمعون الا من أهله ومع أهله وحدثونا عن يحيى بن معاذ قال فقدنا ثلاثا فما نراها ولا أراها تزداد الا عزة حسن الوجه مع الصيانة وحسن القول مع الديانة وحسن الاخاء مع الوفاء وقد سمع من الصحابة غير عبد الله بن جعفر أربعة منهم ابن الزبير والمغيرة بن شعبة وحدثونا عن ابراهيم بن أدهم قال طفت ذات ليلة بالبيت وكانت ليلة مظلمة ذات مطر ورعد فخلا الطواف فلما انتهيت الى الباب قلت اللهم اعصمني حتى لا أعصيك أبدا قال فسمعت قائلا يقول من جوف البيت يا ابراهيم أنت تسألني ان أعصمك وكل عبادي يسألوني العصمة فاذا عصمتهم فعلى من أتفضل ولمن أغفر وفي خبر وهب ابن منبه أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك تكثر مسألتي ولا تسألني ان أهب لك الشوق قال يارب وما الشوق قال اني خلقت قلوب المشتاقين من رضواني وأتممتها بنور وجهي فجعلت أسرارهم موضع نظري الى الارض وقطعت من قلوبهم طريقا ينظرون به الى عجائب قدرتي فيزدادون في كل يوم شوقا الي ثم أدعو نجباء ملائكتي فاذا أتوني خروا الي سجدا فأقول اني لم أدعكم لعبادتي ارفعوا رؤسكم أركم قلوب المشتاقين الي فوعزتي وجلالي ان سمواتي لتضيء من نور قلوبهم كما تضيء الشمس لاهل الدنيا معنى قوله لداود عليه السلام ولا تسألني الشوق ليس انه قد يعطى الاولياء ما لا يعطى الانبياء كما غلط في هذا بعض الناس ففضل العارف على النبي ولكنه ذكر ذلك لداود عليه السلام ليسأله اياه فيعطيه فلما أخبره به أعطاه مقام الشوق اليه فجاوز مقامات المشتاقين من العارفين وانما أراد أن يجعل ذلك على لسانه ليريه فضل مكانه ويظهر له ذلك عن مسئلته ليفضله ويشرفه بسرعة اجابته كما ان قول داود عليه السلام وما الشوق ليس انه لم يعرف الشوق وقد آتاه الحكمة والنبوة ولكن سكت بين يديه استحياء منه واعترف لديه بالجهل لانه عند علام الغيوب وأراد أن يسمع منه حقيقة وصفه لانه أصدق القائلين وأمدح الواصفين * وأما الغيرة فحال

مع احباط عمله وافلاسه يوم حاجته وخجلته بين يدي ربه اذا عرض عليه اقباله على الخلق واعراضه عن ربه ومن أخلص عمله لله تعالى وفرغ قلبه من الخلق وعن متاع الدنيا فقد سعد كل السعادة وظهرت عليه أحوال النجاة وفاضت عليه أنوار الاخلاص وأمده الله تعالى بعونه وتوفيقه

(فصل) ان الشيطان في الرياء ثلاثة أعمال أحدها ان يخطر الرياء بقلب الانسان والثانية ان يزينه ويحببه اليه والثالثة أن يدعوه اليه ويحثه عليه بعد أن حببه اليه وأسعد الناس من يدفع الخطرة عن نفسه ويصرفها عن قلبه ويليه الذي يدفعها بعد تحسينه وتزيينه ويليه الذي لا يتعاطاه بعد حث الشيطان عليه ودعائه اليه وهذا جار في جميع المعاصي ويندفع دعاء الشيطان الى الرياء والى جميع المعاصي بشيئين أحدهما كراهته المعصية والرياء والثاني الامتناع مما كرهه الله تعالى وانما تحصل الكراهة بتذكير ما في تلك المعصية من سخط الله تعالى وبما ذكرناه من مضار الدنيا والآخرة في الفصل الذي قبله فان الله تعالى جبل الانسان على محبة ما ينفعه وكراهة ما يضره وخلق النفس ميالة الى ما ينفعها ونافرة عما يضرها والشيطان عرضة لها على ذلك وخلق العقل لدفع أعظم الضررين بأدناهما ويقدم أعلى النفعين على أدناهما والشرع هو المعرف للضرر والنفع والعقل كالبصر

منية

سنية من أحوال المحبين لانه قد أظهرهم على معانى نفسه فضنوا بها لما امتلأت بها قلوبهم وحارت فيها عقولهم الا ان هؤلاء خصوص أصحاب اليمين وهم عموم المحبين الا انه اذا رفعهم الى مقام التوحيد فاشهدهم الايجاد بالوحدانية والانفراد بالفردانية نظروا فاذا هو لم يعط منه لسواه شيأ ولا أظهر من معانيه وصفاتها فانطوت الغيرة فى توحيدهم لما عرفوا بيقين التوحيد انه ما نظر اليه سواه ولا عرفه الا اياه فتسقط هممهم بالغيرة عليه وعرفوا حكمته بتعريفه أنواع ما يظهر وأقسام ما ينشر وانه فى غيب غيبه لا يظهر عليه سواه وفى سر سره لا يشهده الا اياه فمقام لهم مقام المعرفة بالتوحيد ومقام الغيرة عليه فهذا اذا طولعوا به مقام الموحدين من الصديقين وقد روينا فى دلائل المحب وأوصافه أبياتا عن يحيى بن معاذ وأبى تراب النخشبى وعن أبى سعيد الخراز أيضا على قافية واحدة فى معان متقاربة وهى جامعة مختصرة فى نعت المحبين من المريدين وفى وصف السالكين من المرادين بالتقرب والانقطاع أولى الاحوال والمشاهدات الرفاع فالذى روينا عن أبى تراب هذه الابيات

لاتخدعن فللحب دلائل * ولديه من تحف الحبيب وسائل
منها تنعمه بمر بلائه * وسروره فى كل ما هو فاعل
فالمنع منه عطية مقبولة * والفقر اكرام ولطف عاجل
ومن الدلائل ان يرى من عزمه * طوع الحبيب وان ألح العاذل
ومن الدلائل ان يرى متبسما * والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما * لكلام من يحظى لديه السائل
ومن الدلائل ان يرى متقشفا * متحفظا من كل ما هو قائل

والذى روينا عن يحيى بن معاذ

ومن الدلائل ان تراه مشمرا * فى خرقتين على شطوط الساحل
ومن الدلائل حزنه ونحيبه * جوف الظلام فما له من عاذل
ومن الدلائل ان تراه مسافرا * نحو الجهاد وكل فعل فاضل
ومن الدلائل زهده فيما يرى * من دار ذل والنعيم الزائل
ومن الدلائل ان تراه باكيا * ان قد رآه على قبيح فاعل
ومن الدلائل ان تراه مسلما * كل الامور الى المليك العادل
ومن الدلائل ان تراه راضيا * بمليكه فى كل حكم نازل
ومن الدلائل ضحكه بين الورى * والقلب محزون كقلب الثاكل

والذى رويناه عن أبى سعيد الخراز دخل فيما ذكرناه عنهما وأحسب انه أخذه منهما لانهما أقدم منه الا أن قوله كان أحد عشر بيتا فقط وجميع ما قدمناه ذكره من العلامات والدلالات هى أوصاف المحبين وكل محب لله فمن محبة الله لان وجود العبد لمحبته لله علامة غيب محبة الله له يبين ذلك الغيب له فى هذه الشهادة الا ان فى المحبة مقامين مقام تعريف ومقام تعرف فمقام التعريف هو معرفة العموم وهذا قبل المحبة الخاصة ومقام التعرف معرفة الخصوص وهذا بعد محبة العموم وهو مزيد الحب الاول وهذا محبة خصوص وكذلك فى المحبة مقامان مقام محب وأعلى منه مقام محبوب وهذا كما عبروا عن قولهم مريد ومراد وعلى الحقيقة كل مريد لله فهو مراد بذلك الا انهم جعلوا اسم مراد بوصف مخصوص يعرف به فيميزونه المبتدى من المبادى والمنيب من المجتبى والطالب من المطلوب والراغب من المرغوب والحافظ من المحفوظ فكذلك لعمرى ليس الحامل مثل المحمول ولا الزائر كالمزور ولا الاشتياق كالحضور ولا المحب مثل المحبوب قال أبو موسى الديبلى عرضت على أبى يزيد البسطامى كتاب صاحبنا عبد الرحيم فى الاخلاص

لايرى النفع والضر الا بنور الشرع كما ان البصر لا يرى الحسن والقبيح الا بنوره فاذا زين الشيطان المعصية وحببها الى النفس امتلأ القلب بحبها فنسى العبد ما كان عزم عليه من الطاعة والاخلاص فيغفل عما فى العقل من مضرته فى دينه ودنياه وانما ينقطع ذلك باستجلاب التذكير فى الذنب من المفاسد التى تربو على ما فى الشهوة من المصالح فاذا علم ما فى طاعة الشهوة من الضرر العظيم كرهتها النفس حينئذ لانها مجبولة على دفع أعظم الضررين بالتزام أخفهما ولا شك ان ضرر الذنوب فى الدنيا والآخرة أعظم من ضرر فوات شهوة فانية فاذا اطلعت النفس على ذلك صارت مع العقل فيغلب جند الرحمن حينئذ جند الشيطان اذ لا يتصور فى العادات يتذكر العبد ما فى الطاعة والاخلاص من مصالح الدنيا والآخرة وما فى الزنا والعصيان مع العلم بما فيهما من فوات المصالح وحصول المفاسد

(فصل) من أراد أن يعلم من نفسه انه مراء أو مخلص فعلامة كونه مرائيا ان يحب الحمد على الطاعة ويكره الذم فيفعل الطاعة خوفا من الذم واذا أخلص لله تعالى فى السر أو عمل عملا لا يعلمه الناس لم يقنع بعلم الله تعالى منه ذلك وهاج قلبه لمحبة اطلاع الناس عليه فاحب الناس اليه من يحمده على ذلك وان طالب نفسه بطاعة خفية تغلب عليه ولم تطاوعه على ذلك

(فصل) وقد

فما أعجبه منه الاحكاية أبي عاصم الشامي في الشوق يعني ان عبد الرحيم ذكر الاخلاص في كتابه فقال قيل لابي عاصم وافد أهل الشام يشتاق الى الله فقال لا قيل ولم قال انما يشتاق الى غائب فاذا كان الغائب حاضرا فالي من يشتاق قلت سقط الشوق وهذا مقام محبوب وفي المشاهدة مقامان مقام شوق ومقام أنس فالشوق حال من القلق والانزعاج عن مطالعة العزة ومعاينة الاوصاف من وراء حجاب الغيب بخفايا الالطاف وفي هذا المقام الحزن والانكسار والانس حال من القرب عن مكاشفة الحضور بلطائف القدرة ففي هذا المقام السرور والاستبشار وقال ضيغم عجبت للخليقة كيف أرادت بك بدلا وعجبت لها كيف أنست بسواك وقال الجنيد علامة كمال الحب دوام ذكره في القلب بالفرح والسرور والشوق اليه والانس به وأثرة محبة نفسه والرضا بكل ما يصنع وعلامة أنسه بالله استلذاذ الخلوة وحلاوة المناجاة واستفراغ كله حتى لا يكاد يعقل الدنيا وما فيها ولا يحمل هذا على الانس بالخلق فيرتب على مدارج المعقول كما لا يحمل المحبة على محبة الخلق فيكون بمعاني العقول لانه حال منها وانما هو طمأنينة وسكون اليه ووجد حلاوة منه واستراحة وروح بما أوجدهم وقد أنكر الانس من لا مقام له فيه كما أنكر المحبة أيضا من لا معرفة له بها لانه تخيل فيها محبة المخلوق وتمثل لها صفاتهم فقال لا يعرف المحبة ولا يعقلها الا المخلوق وليس الا الخوف والهيبة وممن ذهب الى هذا القول أحمد بن غالب المعروف بغلام خليل أنكر على الجنيد وأبي سعيد والثوري كلامهم في المحبة وليس هذا مذهب السلف ولا طريقة العارفين كتب عامر بن عبد الله الى بعض اخوانه آنسك الله بنفسه وقيل لابراهيم بن أدهم وقد نزل من الجبل من أين أقبلت قال من الانس بالله وأنشدونا لبعض العارفين

الانس بالله لا يحويه بطال * وليس يدركه بالحول محتال
والآنسون رجال كلهم نجب * وكلهم صفوة لله عمال

وقد روينا في التفسير عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله عز وجل الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله قال هشت اليه وأنست به وفي مقام الانس يكون التملق والمناجاة ومعه تكون الحادثة والمجالسة ومعنى من البسط ولا يحب الله تعالى هذا النوع من الادلال الا ممن أقامه مقام الانس ولا يحسن ذلك الا منهم نحو قول موسى عليه السلام في مقام الانس يا رب لي ما ليس لك قال وما هو قال لي مثلك وليس لك مثل نفسك قال صدقت معنى قوله مثلك أي لي أنت كقوله تعالى ليس كمثله شيء معناه ليس كهو شيء لانه لا مثل له فيكون لمثله مثل اذ لا يكون لمثله مثل والعرب تعبر بالمثل عن نفس الشيء وفوق هذا من البسط ما أخبر الله تعالى عنه انه قال مواجها للجليل العظيم اني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأعظم من هذا قوله اذهب الى فرعون فقال مجيبا له فأرسل الى هرون ولهم علي ذنب ومثله قوله اني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري فحسن هذا منه لانه أقامه مقام البسط بين يديه والانس به ولان مكانه لديه مكان محبوب فادل به عليه فحمله ذلك وهذا من غير موسى في غير هذا المقام من سوء الادب بين يدي المرسل ولم يحتمل ليونس عليه السلام خاطرا من هذا القول لما أقيم مقام القبض والخوف حتى عوقب بالسجن في بطن الحوت في البحر في ظلمات ثلاث ونودي عليه الى يوم الحشر لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم وقيل بعراء القيامة ونهى الله تعالى حبيبه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به في القول والفعل فقال تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم وقد قال تعالى منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واحتمل لاخوة يوسف ما عزموا عليه واعتقدوه وما فعلوه وما أسروه من قولهم اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم الى نحو ذلك من الكلام والفعال ولقد عددت من أول قولهم ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا الى رأس العشر من اخباره عنهم في قوله وكانوا فيه من الزاهدين نيفا وأربعين خطيئة بعضها أكبر من بعض قد يجتمع في الكلمة الواحدة الاربعة والخمسة من الخطايا ودون ذلك وفوقه بدقائق الاستخراج ومعرفة خفايا الذنوب

يفعل الانسان الطاعة في السر فيطلع عليه الناس فيسر باطلاعهم عليه ليعظموه ويشكروه فهذا لا يحبط عمله بذلك لانه مضى على الاخلاص ولا يأثم به لان من طبع الانسان الميل الى ما يوافق طبعه ولكنه اذا ظهر حبه لذلك لم يأمن من أن يكون خطرت له خطرات الرياء نخفيت عليه لان الرياء في العبد أخفى من دبيب النمل فان اطلع عليه في أثناء العمل فسر بذلك فقد اختلف فيه السادة العلماء أئمة هذا العلم وتردد فيه الحبر الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي واختار الاحباط قال بعضهم فيه نظر لانه لم يراء ببقية عمله ومجرد الحب لاطلاع الناس عليه ميل طبيعي لا معصية فيه فكيف تحبط به الطاعة والحاصل انه لا يعصى العبد بمجرد حب الرياء الا أن يقترن به رياء أو ارادة رياء *(فصل)* لا يجوز الدخول في العمل الا مع يقين الاخلاص الحقيقي أو الحكمي فالاخلاص الحقيقي هو ان يكون منه كون الفعل لله مقرونا بالعمل والحكمي هو ان يتقدم من المكلف انه مهما فعله من الطاعات انما يفعله لله تعالى خالصا فاذا شرع العبد في العمل مع الاخلاص ثم مضى عليه زمن يمكن ان يخطر له فيه الرياء ثم نسيه أجزأته العبادة لانه تيقن الاخلاص في أولها وشك في الرياء المفسد لها فاشبه من دخل في الصلاة على يقين الطهارة ثم شك

فغفر

فغفر لهم ذلك ان كانوا في مقام محبوبين ولم يحتمل لعزير مسئلة واحدة سال عنها في القدر حتى قيل محي من ديوان النبوة وقد قال الله تعالى فوق ذلك كله ثم اتخذتم العجل من بعدما جاءتكم البينات فعفونا عن ذلك فان شاء ان يعفو عفا عن العظائم فلم يعظم عليه شئ وان شاء طالب وناقش على الصغائر ولا اصغر الذرة والخردلة عن مطالبته وكيف بصغر ذنب ممن واجه به الملك الجبار ألا ترى من كشف عورته بين يدي نبي كفر لانتهاك حرمة النبوة فكيف بالعظيم الاكبر لولا فضله ورحمته وفي قوله سبحانه يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قيل يغفر لمن يشاء على الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وقيل يشترك الجماعة في المعصية فيغفرها لبعضهم ويبدلها حسنات فلا تضره بل تكون عاقبتها ايسره ويعذب البعض بذنبه ولا يغفر له وقد لا ينفعه معه عمل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون له الخلق والامر يحكم بامره في خلقه ما يشاء كيف شاء ولا حول ولا قوة الا بالله واحتمل لآصف بن برخيا فوق ذلك كله يقال انه كان أحد المسرفين ولا يصلح أن تذكر ذنوبه لمكان علمه وحسن عطف الله عليه ثم تداركه مولاه واجتباه وأعطاه العلم والفضل وأيد به نبيه وخليفته وجعله وزيره وأطلعه على الاسم الاعظم بعدما كان منه ما يتعاظم لئلا ييأس محب من عطفه ولكيلا يقنط محبوب من لطفه ولم يسمح لبلعم بن باعوراء بذنب واحد من ذنوب آصف بن برخيا الا ان بلعم أكل دنياه بدينه وأدخل الهوى على العلم فضل بذلك وهلك واشتد مقت الله له وآصف كانت معاصيه في جوارحه بينه وبين خالقه فكان آصف مستبدلا به من بلعم لما أرى تلك الآيات فانسلخ منها بعد العبادات اذلم يرد بحقائقها والنيات فيها ويقال انه أوتى الاسم الاعظم المتصل بكل المتصلة بكان وقد قيل كان أوتى فوق ذلك ثم انسلخ من الآيات فسكن الى الدنيا وهوى في الهلكات ولم ينفعه ما كان منه من العبادة والزهادة كي لا يامن عامل من عماله مكره ولئلا يدل عالم عليه بما أظهره وكان آصف في كثرة المخالفات فاستنقذ منها ثم أوتي بعدها الآيات لانه بوصف مراد وفي مقام محبوب هذا بحضرة نبي الله وخليفته في الارض سليمان عليه السلام *فاما قصة بلعام فهي أشهر من أن نذكرها ولها مقدمات فيها قصص واطالة لا نشتغل بذكره ولكن نذكر بعض ما انتهى الينا من قصة آصف وليس كل أحد على قصته يقف حدثونا ان الله تعالى أوحى الى سليمان عليه السلام يا ابن رأس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين الى كم يعصيني ابن خالتك آصف وأنا أحلم عنه مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لئن أخذته عطفة من عطفاتي عليه لاتركنه مثلة لمن معه ونكالا لمن بعده قال فلما دخل آصف على سليمان أخبره بما أوحى الله اليه فخرج حتى علا كثيبا من رمل ثم رفع يديه نحو السماء وهو يقول الهي وسيدي أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب ان لم تتب علي وكيف استعصم ان لم تعصمني لاعودن فاوحى الله اليه صدقت أنت أنت وأنا أنا استقبل التوبة الي فقد تبت عليك وأنا التواب الرحيم وهذا كلام مدل به عليه وهارب منه اليه ومتملق له منه ومن ادلال المحبوبين من المستأنسين مناجاة برخ الاسود الذي أمر الله كليمه ان يسأله ان يستسقى لبني اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين واستسقى لهم موسى في سبعين ألفا فاوحى الله الى موسى كيف استجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين ويأمنون مكري ارجع فان عبدا من عبادي يقال له برخ قل له يخرج حتى أستجيب له فسأل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى عليه السلام ذات يوم يمشي في طريق فاذا بعبد أسود استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى بنور الله فسلم عليه وقال ما اسمك فقال اسمي برخ قال فانت طلبتنا منذ حين أخرج فاستسق لنا قال فخرج فقال في كلامه ما هذا من فعالك وما هذا من حلمك فما هذا الذي بدا لك أنقصت عليك عيونك أم عاندت عن طاعتك الرياح أم نفد ما عندك أم اشتد غضبك على المذنبين ألست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وأمرت بالعطفة فتكون لما تأمر من المخالفين أم ترينا انك ممتنع أم تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطار

في أثنائها أو اهـ اعلم ان الفرق بين النية والاخلاص هو ان النية تتعلق بفعل العبادة وأما الاخلاص النية في العبادة فيتعلق باضافة العبادة الى الله تعالى ويكفيه في اخلاص العبادة ان يتقدم منه انه مهما فعله من العبادات انما يفعله لله تعالى خالصا فيجزيه هذا الاخلاص الحكمي من أول العمل الى آخره والاولى أن يأتي في كل فعل بنية الاخلاص فيه كما يأتي في نية العبادة مثل الصلاة وتسبيح الجنازة والاخلاص الحكمي والحقيقي مشروط فيه عدم طرو ما يناقضه كما في نية العبادة واعلم ان الفقهاء يفتون بصحة صلاة من راءى بصلاته ومن كان فكره مشتغلا بالدنيا وأمورها الا عند عقد النية وهذه الصلاة غير معتد بها في فتوى علماء الآخرة وكذلك الفقهاء يفتون ببراءة ذمة الممتنع من أداء الزكاة اذا أخذها السلطان قهرا ولا يعتد بذلك في فتوى العلماء بالله تعالى وكذلك يفتون العلماء بالاحكام ببراءة ذمة من ضاجر زوجته وضيق عليها في عشرته لها لتبرئه من مهرها وحقوقها فاذا أبرأته من ذلك نفذت البراءة في ظاهر الحكم وباطنه عند العلماء بالاحكام وأما العلماء بطريق الآخرة فلا تصح هذه البراءة عندهم في باطن الامر والطلبة باقية الى يوم العرض والجزاء *(فصل)* وأما المداهنة هكذا بياض بالاصل *(باب)* الكبر والعجب ومحبة

وأنبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع يرخ قال ففي هذا ذكرى الراجين وأنس المشتاقين وطمع للعالمين وتحبب الى المطيعين هذا كما قال بعض العارفين الحبيب لا يحاسب والعدو لا يحسب وروى عن الله سبحانه انه أوحى الى عبد تداركه بعد ان كان أشفى على الهلكة كم من ذنب واجهتني به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الامم وقد اشترك عبدان في اسم المعصية ثم تباينا في الاجتباء والعصمة آدم عليه السلام وابليس لعنة الله عليه ثم اجتبى آدم وهدى لما سبق له من الاصطفاء والكلمة الحسنى وابليس أبلس من رحمته وأغوى لما سبق له من الشقوة والكلمة السوء وقد عاتب الله تعالى نبيه على الاعراض عن عبد وكره له الاقبال على عبد فقال تعالى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى وقال تعالى في الاخرى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك أن لا يزكى وربما واحد وبمثله أمره بالاقبال والسلام على طائفة وأمره بالاعراض وترك القعود مع طائفة فقال تعالى واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وكلاهم عبيد لواحد ومثل المحبوب من المحب مثل مقام المصطفى صلى الله عليه وسلم من مقام موسى عليه السلام قال موسى رب اشرح لي صدري وقال لمحمد ألم نشرح لك صدرك وقال موسى واجعل لي وزيرا من أهلي هرون أخي وقال لمحمد ورفعنا لك ذكرك أي تقرن بي في الشهادة والاذان لا أوازرك بغيري لانك من أهلي والوزير القرين والظهير أي فانت من أهلي فقد وزرتك وقرنتك بذكري فانا ظهيرك ومعينك لا أشد أزرك بغيري فاشبه هذا ما رويناه عن ليث عن مجاهد في قوله عز وجل عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش فكان العرش مكان الربوبية بمشيئته في الدنيا وهو مستغنى عنه بقدرته فوهبه لحبيبه في الآخرة فجعله مكانه تفضيلا له وتشريفا ليكون هنالك فوق المرسلين في الجلالة كما كان ههنا آخرهم في الرسالة وقال لموسى عليه السلام بعد المقام قد أوتيت سؤلك يا موسى ولقد مننا عليك مرة أخرى ففي هذا تحديد وقال لمحمد عليه السلام بعد المقامات وقل رب زدني علما فلم يحد له حدا فهذا غاية المزيد وقال موسى عليه السلام رب أرني أنظر اليك أي في محل العبودية وقال لمحمد عليه السلام ما زاغ البصر وما طغى فكان قاب قوسين أو أدنى أي مكان الربوبية فبين المحب والمحبوب في التقليب كما بين موسى ومحمد عليهما السلام في التقريب كم بين من رأى ما رأى عند نفسه في مكانه وبين من رأى ربه عند ربه في علوه كم بين من عجل اليه شوقا منه ليرضى عنه وبين من عجل به شوقا اليه ليرضاه عنه كم بين من رأى ما رأى فلم يثبت وفاضت عليه الانوار لضيقه وبين من رأى ما رأى فثبت له وغاضت فيه الانوار لسعته فقد جاوز المحبوب مقام المحب في التمكين كما جاوز محمد صلى الله عليه وسلم مقام موسى عليه السلام في المكان أدخل بينه وبين موسى لام الملك وأقام محمدا مقامه في الملك وقال تعالى لموسى واصطنعتك لنفسي وقال لمحمد ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله فكم بين من صنعه لنفسه وبين من جعله بدلا من نفسه تفضيلا وتعظيما كم من فصل مدحه من وصفه وبين من وصل مدحه بوصفه فقال تعالى في الفصل وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني وقال في الوصل لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه الآية وقال في مثله والله ورسوله أحق ان ترضوه وقد قيل في قوله تعالى يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أي خذ ما آتيتك من الكلام فقلا واصطفيتك به على الناس فاشكر عليه والنظر فقد خصصت به محمدا وعن ابن عباس وكعب ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد فاعطى موسى الكلام وخص محمدا بالرؤية ومما يؤيد هذا القول ان الذي آتاه الكلام هو الذي ثبت له فدل انه هو الذي أريد به لان الله تعالى اذا أراد عبدا بشئ ثبته فيه وقواه عليه وقد ثبت محمد لما آتاه من

الثناء والمدح أما الكبر فهو الخصلة المهلكة قال الله تعالى في حق ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين والكبر هو ان يعظم على غيره أنفة واحتقارا له وله أسباب منها العجب فالكبر مسبب عنه ولا يتكبر الا من جهل قدر نفسه وعظمة ربه والكبر على أقسام أحدها الكبر عن بعض طاعة الله تعالى الثاني الكبر عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم الثالث الكبر على عباد الله تعالى وهو ان يرى انه خير منهم فينظر اليهم بعين الازدراء والانفة والاحتقار ولا يقبل منهم الحق مع كونه عالما بانه حق فمن أمره بخير تكبر عن قبوله كما تكبرت اليهود عن متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وكما تكبر ابليس على آدم مع علمه بان الله تعالى فضله عليه قال بعض أهل البصيرة حجبت القلوب عن علوم الوراثة بشيئين أحدهما الذنوب والثاني الكبر على المؤمنين قال الله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق واعلم ان الكبر يكون مسببا عن العجب بالعلم فمن أعجب بعلمه تكبر على من هو دونه في العلم وعلى العامة وينتهر من يرده الى الصواب في العلم وان وعظ أنف ممن يعظه وان أمر بالحق لم يقبله وان ناظر ازدرى من يناظره وكل ذلك لفرط غفلته عن الله تعالى وقد يكون الكبر مسببا عن العجب بالعمل فمن تكبر اعجابا بعمله احتقر من لا يعمل عمله

الرؤية وقواه لها وتمكنه فيها لانه أرادها ومن وصف مقام المحبوب ما قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه صف لنا أصحابك فقال عن أيهم تسألون قالوا عن سلمان قال أدرك علم الاول والآخر قالوا فعمار قال ملئ ايمانا الى مشاشه قالوا حذيفة قال صاحب السر أعطى علم المنافقين قالوا فاخبرنا عن نفسك فقال اياي أردتم بهذا كنت اذا سألت أعطيت واذا سكت ابتدئت فهذا مقام محبوب لانه اذا سأل سمع منه فاستجيب له واذا سكت نظر اليه فعطف عليه وقد روينا عنه من أحب من لا يعرف فانما يمازح نفسه أي من لا يعرف صفات حبيبه وأخلاقه وأفعاله وأحكامه فيحبه بعد خبره فيسارع الى مرضاته ويجانب مكارهه فانما يمازح نفسه اي يلهو بها او يلعب ليس فيه شئ من حد المحبين ولا حقيقة العارفين اذلا يامن انقلاب محبته لتقليب أفعال محبوبه ولا يامن تغيير حبه لابتلاء حبيبه واختلاف أحكامه فكانه كان مازحا بحبه لا محققا به وفي مثل هذا المقام من جهل المحبين بافعال المحبوب اغترار عظيم * ومن المحبة كتمان المحبة اجلالا للحبيب وهيبة له وتعزيزا وتعظيما له وحياء منه وهذا وصف المخصوصين من عقلاء المحبين وهو من الوفاء عند أهل الصفاء اذ كانت المحبة سر المحبوب في غاية القلوب فاظهارها وابتذالها من الخيانة فيها وليس من الادب ولا الحياء الفسحة اليها ولا الاشارة بها الان في ذلك اشتهارا فقد دخل عليه دقائق الدعوى والاستكبار وقد قال بعض العارفين أبعد الناس من الله أكثرهم اشارة به هو الذي يكثر التعريض به في كل شئ ويظهر التزين والتصنع بذكره عند كل أحد هذا ممقوت عند المحبين لله والعلماء به * دخل ذو النون المصري على بعض اخوانه ممن كان يذكر المحبة فرآه مبتلى ببلاء يجل عن الوصف فقال ذو النون لا يحبه من وجد ألم ضربه فقال الرجل لكني أقول لا يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذو النون لكني أقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر الله وأتوب اليه وهذا كما قال ذو النون * ومن علامة الاخلاص في المحبة اذ كانت من أعمال القلوب فوجود الاشفاق والحذر من اظهارها خشية السلب والاستبدال وخوف المكر والاستدراج علامة التحقق بها ودفنها عن النفس وسترها عن أبناء الجنس وترك التظاهر بها علامة الظفر بها لان المحبوب غيور وغيرته على نفسه وعلى ظهور محبته أشد من غيرته على اظهار محبته وغيرته على اظهارهم لغير أبناء جنسهم أشد من غيرة جميع محبيه عليه وهذا كلام على عالم صاح في مقام صحو وتمكين فاما السكران بحاله والولهان بوجده فمغلوب والمغلوب معذور قال رجل لابي محفوظ وقد رأى من بعض المحبين شيأ استجهله فيه فاخبر معروفا بذلك فتبسم ثم قال يا أخي له محبون صغار وكبار ومجانين وعقلاء فهذا الذي رأيته من مجانينهم ومن المحبة كتمان بلاء الحبيب بعد الرضا به لان ذلك من السر عنده وحسن الادب لديه وعوتب سهل في العلة التي كانت به علة مهولة كان يداوي الناس منها ولا يداوي نفسه فقيل له في ذلك فقال ضرب الحبيب لا يوجع وكان حينئذ يقول من علامة المحب في المكاره والاسقام هيجان المحبة وذكرها عند نزول البلاء اذ هو لطف من مولاه وفيه الغربة الى محبوبه وقلة التاذي بكل بلاء يصيبه لغلبة الحب على قلبه وقد كان بعض المحبين يقول أصفى ما أكون ذكرا اذا ما كنت محموما وذكر بعض من ينتمي الى المحبة مقامه في المحبة عند بعض المحبين فقال له المحب أرأيت هذا الذي تذكر محبته أهممت بسواه قط قال نعم قال فهل رأيته في ليلة مرتين وثلاثا قال لا قال لولا اني أستحيي لاخبرتك ان محبتك معلولة تهتم بسوى حبيبك ولا تراه في الليلة ثم قال لكني لا أدعي محبته وعلى ذلك ما اهممت بسواه مذ عرفته ورب ما رأيته في ليلة سبع مرار وذكر بعض المحبين ممن كان بدلا عن ابراهيم ابن أدهم ممن تكلم في علم طريقه ووصفه حاله وذكر القصة بطولها قال رأيت الله عز وجل مائة وعشرين مرة وسألته عن سبعين مسئلة أظهرت منها أربعة فانكرها الناس فاخفيت الباقي وفيما ذكر من وصف المحب كفاية وغنية عن وصف المحبوب وليس يمكننا وصف المحبوب اذ كان حاله يجل عن الوصف وكيف يوصف من يسمع ويبصر من يحبه ويبطش ويعقل عن محبوبه فيكون هو سمعه وبصره وقلبه ويده وقد جاء في الخبر اذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها وقلبه الذي يعقل به

ونظر اليه بعين الازدراء وقد يكون الكبر مسببا عن الرياء ويحمله ذلك على ان يرد الحق على من أمره به وناظره فيه وان كان أفضل منه كما يقال غلب فلان فلانا أو خطاه أو قهره فيخرجه ذلك الى الانفة من قبول الحق والاعتراف به وقد يكون الكبر مسببا عن الحقد فيوجب له هذا الكبر رد الحق مع العلم به

(فصل) قد يكون الكبر عن أسباب دينية وقد ذكرنا جملة منها روي عن حذيفة انه ترك امامة قومه لان نفسه حدثته انه أفضلهم وقد يكون عن أسباب دنيوية منها التكبر بالانساب والاحساب الموجبة لاحتقار الناس والافتخار عليهم مثل ان يقول أنا ابن فلان فمن أبوك ومثلك يقاوم مثلي أو يخاطبه ومنها التكبر بحسن الصورة فيتكبر على من هو دونه في الحسن ومنها التكبر بالاموال والاولاد وكثرة الشعائر

(فصل) وعلاج الكبر يحصل لمن أحضر في قلبه ان الله تعالى خلق أباه من تراب ثم جعل نسله من نطفة في مكان قذر وأوجده بعد العدم وأسمعه بعد الصمم وأنطقه بعد البكم ثم أخرجه من بطن أمه جاهلا ضعيفا عاجزا ثم رباه الى أن أدركه أجله وهو فيما بين ذلك ملابس للاقذار كالبول والغائط والمخاط والبصاق لا ينفك عن ذلك بعضو ويسقم الكلمة الطيبة تنعش قلبه وقرصة البرغوث تؤلمه ضعيف عاجز لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فاذا فكر الانسان في ذلك علم قدر نفسه

ان سالني أعطيته وان سكت ادخرت له لو قسم نوره على أهل الارض لوسعهم فهذا كله في مقام محبوب ويقال ان هذه الآيات والقدر من سرائر الغيوب وخفايا الملكوت التي تسميها العامة المعجزات والآيات وتسميها العلماء الكرامات والاجابات وهي آيات الله في أرضه مودعة وقدرته في عباده جارية وعنايات له في ملكه مستقرة ليس للعباد منها الا كشفها ونظرهم اليها اذا أقيموا مقام الانس من مقام محبوب ويقال انها توجد في المقام السابع عشر من مقامات المعرفة اذا أقيم العبد هذا المقام في المعرفة يؤدي بها انظهرت له وفوقها ثلاثة وثمانون مقاما من مقامات العارفين أفضل من ذلك ويقال انها لا تكون لابدال المرسلين من الصديقين وانما يعطاها أبدال النبيين من الصالحين فابدال المرسلين فضلهم على أبدال النبيين كفضل المرسلين على النبيين وكفضل الصديقين على من دونهم من الصالحين كيف وقد قال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات أظهرت الا على أيدي البله من الصادقين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من يدخل الجنة من أمتي البله وعليون لذوي الالباب فاولو الالباب هم المواجهون بالخطاب الشهداء عليه المستحفظون للكتاب كما قال تعالى بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء والعامة يحسبون انها من أعلى مقامات المعرفة فجميع تلك الاسرار من الغيوب التي تكنها الحجب والاستار لا يظهر عليها الا مطلوب والمطلوب عن نفسه مسلوب فمن بقيت عليه من نفسه بقية أو نظر الى حركته وسكونه بعينه نظرة خفية فسترها عليه رحمة له لانه لو كوشف هلك في حيرة الهوى وغرق في بحر الدنيا ونفس حبه لها وعين طلبه اياها هو حجابها عنه واستتارها منه حتى يكون كارها الظهورها كراهته لظهور الخلق عليه في معصيته وخائفا منها خيفته من نفسه في تظاهرها عليه بها لكنه فاذا بقي بباق وحيي بحياة حي صرفا منه وصرفا عنه بلا طلب ولا نظر ولا سبب ولا فكر أدى اليه عجائبه وفتح له كنوز غرائبه ويفعل الله ما يشاء وقال بعض العارفين ممن يكشف عن مشاهدته عبدت الله ثلاثين سنة باعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت ان لي عند الله شيأ فذكر أشياء من مكاشفات السموات في قصة طويلة قال في آخرها فبلغت صفا من الملائكة بعدد جميع ما خلق الله من شئ فقلت ما أنتم قالوا نحن المحبون لله نعبده ههنا منذ ثلثمائة ألف سنة ما خطر على قلوبنا قط طلب سواه ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أعمالي فوهبتها لمن حق عليه الوعيد تخفيفا عنهم في جهنم وقال بعض العلماء كل مقام يعبر عنه الا مقام المحبة قيل ولم قال لان الشئ يعبر عنه بالطف منه ولا شئ الطف من المحبة وقيل لمعروف أخبرنا عن المحبة أي شئ هي قال يا أخي ليس المحبة من تعليم الناس المحبة من تعليم الحبيب وقد كان الحذاق من العلماء لا يخبرون بحقائق أربع مقامات حقيقة التوحيد وحقيقة المعرفة وحقيقة المحبة وحقيقة الاخلاص وقال بعض العارفين كل المقامات من أنوار الافعال والصفات الا المحبة فانها عن نور حقيقة الذات فلذلك عز وصفها وعز بعلمها وقل من المؤمنين المتحقق بها وذلك انها اسر كالمعرفة اذا ظهر المحبوب أحببته كما اذا رأيت المعروف عرفته وذلك متعلق به وهو الظاهر لظاهر المعرفة والمحبة الباطن لباطن المحبة والمعرفة عن وصف باطن ومن أدرك مقام المحبة لله لم يضره فوت شئ من المقامات ومن فاته المحبة لم يغبط بدرك شئ وقد قيل في قوله عز وجل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الهاء عائدة على التوكل أي فالتوكل حسبه من جميع المقامات والتوكل حال من مقام المحبة وقد قال الله تعالى ورضوان من الله أكبر والرضا مقام من المحبة فقد جلت المحبة ان توصف ودقت عن العلوم بالعقول ان يعرف مثلها مثل العلم بالله فكذلك أي قلب اجل من قلب يكون محبوبه الله ولا أعلم من معلومه الله وقيل ان للقلب حبة هي باطنه عليها يتعلق المحبة ومنه سميت محبة كان اشتقاقه من حبة القلب وهي التي يقال لها سويداؤه والميم في الاسماء قد تزاد للمبالغة في الوصف ومن هذا قول الله عز وجل قد شغفها حبا لما وصفها بنهاية الوصف في الحب أي قد خرق حبه شغاف قلبها فوصل الى حبة القلب وخرق الشغاف وهو حجاب القلب وحبا منصوب على التفسير كانه قيل قد شغفها أي خرق شغافها فقيل ماذا فقيل حبا فالحب اذا

واستحيا من ربه *(فصل)* والعجب من قبائح الاوصاف التي تاتي صاحبها الى الهلاك لان من أعجب بعمله لم ير لنفسه ذنبا فيتوب منه ولم ير لنفسه تقصيرا فيقطع عنه وقد جاءت الشريعة بذم الاعجاب لادائه الى ما ذكرنا والعجب موجب لاستعظام الطاعات والادلال بها على رب الارض والسموات مفض الى الكفر والتكبر والتعظيم على العباد حتى يصير المعجب كأن له منة على الله تعالى لاستعظام أعماله وات وتولد العجب في المعجب لاعتقاده استقلاله أي انفراده بفعله وعبادته وطاعته ومن هنا لزم المعتزلة الخسارة بالادلال على الله تعالى والاعجاب بطاعتهم حتى انهم نزلوا أنفسهم منزلة الاجراء لا منزلة العبيد فاوجبوا على الله تعالى على قولهم العوض على الاعمال والثواب على الطاعات وأهل السنة هم أهل العبودية والمسكنة لانهم رأوا أعمالهم وطاعاتهم كلها مستحقة عليهم لمالكهم ولم يوجبوا ثوابا ولا عوضا بل الثواب من فضله وكرمه ولا يجب عليه شئ أصلا وكذلك يمن على عباد الله تعالى بما يسديه اليهم من معروفه واحسانه في زعمه فما أجدره بان يحبط الله عمله لاعجابه ويكله الى نفسه والمسكين يعجب بنفسه وفيه من كل عيب ويتعاظم وفيه من كل نقص شعر

أنا معيوب وعيبي ظاهر * وعلى الظاهر من عيبي دليل

فابليس لم يبعده الا رؤيته نفسه وصل

وصل الى هذا الموضع من العبد لم يملك المحب نفسه ففرغ قلبه له وامتلأ به ولم يجر على ترتيب مار سمناه وربما خرج الى الوله والاستهتار وجاوز معيار العقل في التصريف والاذكار والعرب تقول قد دمغه وأرأسه وقاده وركبته كذلك قولهم اشغفه اذا أصاب شغاف قلبه فهتك حجابه وقد قرئت بالعين ومعنى قد شعفها بلغ أعلى القلب ونهايته لان الشعف أعلى كل شئ وأبعده فالمعنى ذهب به الحب اقصى المذاهب وغايته حينئذ يملكه الحب فيكون أسيره ويغلب عليه الحبيب فيصير مأسوره فيحكم عليه ولا يجاوز ويفرغ له قلبه من كل شئ رسمه ويمتلئ به فلا يبقى فيه شئ رسمه ولا يقدر على الكذب لظهور سلطان قهر الحب فحينئذ يكشف قناعه ويرسل عذاره فيه ويصفه الحب بالحب وهو صامت بحقيقة المحب الا لمن أحب وهو ظاهر وليس يكون هذا الا في مقام شكر وحال عليه فمن لم يعرف هذا المقام انكر هذا الكلام الا ان يربط قلبه بتأييده ويحفظ سره بتمكينه كما قال تعالى واصبح فؤاد أم موسى فارغا ان كادت لتبدي به لولا ان ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين أي من المصدقين انا نرده اليها ولا تظهر انه ابنها فيقتل وكما لطف للفتية الذين آمنوا وهم أصحاب الكهف لما غلب حب الايمان على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لئلا يظهروا ايمانهم لما غلب حبه عليهم فيقتلوا فهذه لطائف الحكيم وخفي صنع العليم فالمحبون له حافظون للغيب بما حفظ وقال سمنون لبعض الفقراء في قصة ذكرها يفرح بحبه ويذكر المحبة وقال بعض الناس في وصف المحبين اقامهم مقام المحبة فلم يزن الملك في قلوبهم حبة فمحبة غير الله في محبة الله شرك عند المحبين وهي خيانة عند بعضهم وهو من نقض العهد وقلة الوفاء بالعقد وقال سهل من أحب الدرهم لا يحب الآخرة ومن أحب الخبز لم يحب الله عز وجل ولا يخرج حب الوالد والولد المحبين من المحبة لان ذلك جعل الله في القلوب نصيبا لهم ولا يخرجه أيضا حب الزوجة بمعنى الرفق بها والرحمة لها ولا يخرجه أيضا حب مصالح الدنيا من حاجات الاقسام والقلوب مما لا بد منه وليس ذلك كله يكون في مكان محبة الله لان محبة الله في أنوار الايمان ومحبة هذه الاشياء في مكان العقل هكذا عندي في الفرق بين محبة الله ومحبة المخلوق ويخرجه جميع ذلك عند بعض المحبين من السلف فاما الاشتغال بهذه الاشياء بالايثار لها على التفرغ لرضاة الله والانحطاط في أهوائها دون محبة الله فان ذلك يخرجه عند الكل وعندي يخرج العبد من حقيقة المحبة السكون الى غير الله والفرح بسواه والحزن على فوت غيره اياه وقيل لبعض العارفين من الابدال الناس يقولون انك محب فقال لست محبا المحب متعوب ولكني محبوب وقيل له أيضا الناس يقولون انك واحد من السبعة فقال انا كل السبعة وقال هذا اذا رأيتموني فقد رأيتم أربعين بدلا قيل كيف وأنت شخص واحد قال لاني قد رأيت اربعين بدلا فاخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بلغنا أنك ترى الخضر فتبسم ثم قال ليس العجب ممن يرى الخضر ولكن العجب ممن يريد الخضر ان يراه فيحتجب عنه فلا يقدر عليه ولعمري ان من كان عند الله لم يره بشر ولا ملك حدثونا ان الحسن رحمه الله اختفى عند حبيب العجمي من الحجاج فسعى به فدخل عليه الشرط ففزع الحسن وذهب ليتسور الحائط ويهرب فقال له حبيب أبو محمد اقعد حتى تبصر فقال فدخل عليه الشرط فقالوا أين الحسن قيل لنا انه عندك فقال هل ترون شيئا ففتشوا الدار كلها وخرجوا وهم لا يرونه فقال له الحسن كيف لم ينظروا الي قال لانك كنت عند الله فلم يروك ولو كنت عندي لابصروك قال له الحسن اني قد رأيتك لما دخلوا همست بشئ فهل ذكرت اسم الله الاعظم قال لا ولكن قلت اللهم اجعله عندك حتى لا يبصروه وهذا هو واحد من أصحاب الحسن وقد كان الحسن فوقه بدرجات أحوجه الله اليه وقيل لابي يزيد بلغت جبل قاف فقال جبل قاف أمره قريب الشان في جبل كاف وجبل عين وجبل صاد قال وما هذا قال هذه جبال محيطة بالارضين السفلى حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف محيط بهذه الارض الدنيا وهو أصغرها وهذه اصغر الارضين وقد كان أبو محمد يخبر انه صعد جبل قاف ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه وكان يصفه ويصفها وقال لله عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد فيضعها على جبل قاف وقد

واجابهم بقوله أنا خير منه * واعلم ان العجب ظن كاذب في النفس في استحقاق مرتبة هو غير مستحقة وحقيق على من يعرف نفسه ان يعرف كثرة عيوبه ونقائصه والمفتخر بما ليس فيه أحمق واعلم ان سبب العجب على أقسام أحدها العلم فيقع الاعجاب بالعلم والمعارف والتوسع في المنقولات واستخراج دقائق النظريات ويقع الاعجاب بالعمل والاجتهاد في العبادة ويقع الاعجاب بالامور الدنيوية كالحسن وكثرة المال والجاه والنسب والعشيرة وغير ذلك وعلاج العجب بهذه الاشياء ان ترى ذلك كله ليس لك منه شئ ولا هو من صنعك ولا من كسبك وان ذلك مواهب الله تعالى ونعمه عليك فاذا لاحظت ذلك وداومت عليه ارتفع عنك العجب قال الغزالي رحمة الله عليه دواء العجب ان تذكر في قلبك ان ذلك كله من الله تعالى وانه الذي شرفه وعظم ثوابه وقدره وهذا فرض (٧) عند دواء العجب يقل في سائر الاوقات قال والعجب يحبط العمل ان مات ولم يتب منه قاله بعض العلماء قال فان قيل كيف يذهب على العبد العارف ان الله تعالى هو الذي وفقه للعمل الصالح وعظم قدره بفضله فاعلم ان ههنا نكتة لطيفة وهي ان الناس في العجب على ثلاثة أصناف صنف هم المجبون بكل حال وهم المعتزلة والقدرية الذين لا يرون لله تعالى عليهم منة في أفعالهم ويعتقدون انهم مستقلون بافعالهم وينكرون العون والتوفيق الخاص وذلك

قيل الدنيا كلها خطوة للولى وان ولى الله خطا خطوة واحدة خمسمائة عام ورفع رجله على جبل قاف والاخرى على جانب الجبل الآخر فعبر الارض كلها وقيل لابي يزيد دخلت ارم ذات العماد فقال قد دخلت ألف مدينة لله فى ملكه ادناها ذات العماد ثم عدد كلها البيت وناويل وباريس وجابلق وجابرس ومسك ولعل قائلا يقول فقد قال الله فى وصفها التى لم يخلق مثلها فى البلاد قيل فان معناه فى بلاد اليمن لانهم خوطبوا بما فى بلادهم كما قال تعالى أو ينفوا من الارض يعنى أرض بلادهم فذات العماد مدينة عاد فى اليمن بين ابتر والشحر يقال انها سور له ألف باب ما بين البابين فرسخ مركبة على أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد فيها مائة ألف عمود من ذلك كانت الجن اصطنعتها العاد بن شداد بن سام بن نوح استخرجت الجن هذه العمد من قعور البحار والقفار وكانت سخرت الجن له قبل سليمان بن داود بأربعة آلاف عام تجتمع فى هذه المدينة طائفة من الابدال ليالى الجمع وفى الاعياد يقال فيها صناديق من حجارة طول كل صندوق عشرة ذرع فيها قبور الانبياء أجسادهم صحيحة باقية الى يومنا هذا وهى محجوبة عن أبصار العباد وقد كان سهل رحمه الله يزورها فى كل جمعة وهذا واحد من المحبوبين وهذه آيات يسيرة من قدرة الله الكبيرة وقيل لهذا العبد حدثنا عن مشاهدتك من الله فطاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا باشد مجاهدتك لنفسك فى الله فقال وهذا أيضا لا يجوز أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك فى بدايتها قال نعم دعوت نفسى الى الله فى بعض الامور فتلكأت على فعزمت عليها ان لا اشرب الماء سنة ولا أذوق الغمض سنة فوفت لى بذلك وحكى عن يحيى بن معاذ فى بعض مشاهداته انه رآه من بعد صلاة العشاء الى صلاة الفجر مستوفزا على صدور قدميه مرافعا اخمصها وعقبيه على الارض ضاربا بذقنه على صدره شاخصا بعينيه لا يطرف قال ثم سجد عند السحر ثم قعد فقال اللهم ان قوما طلبوك فاعطيتهم طى الارض فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم المشى على الماء والهوى فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك وان قوما طلبوك فاعطيتهم كنوز الارض فانقلبت لهم الاعيان فرضوا بذلك وانى أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاما من كرامات الاولياء قال ثم التفت فرآنى فقال يحيى قلت نعم يا سيدى قال مذ أنت ههنا قلت من صلاة العشاء فسكت فقلت يا سيدى حدثنى بشئ فقال أخبرك بما يصلح لك أدخلنى فى الفلك الاسفل فدورنى فى الملكوت السفلى فارانى الارضين وما تحتها الى الثرى ثم ادخلنى فى الفلك العلوى فطوف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان الى العرش ثم أوقفنى بين يديه فقال لى سلنى أى شئ رأيت حتى أهبه لك فقلت يا سيدى ما رأيت شيأ استحسنته فاسألك اياه فقال أنت عبدى حقا تعبدنى لاجلى صدقا لافعلن ولافعلن بك فذكر أشياء قال يحيى بن معاذ فهالنى ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت يا سيدى لم لا سألته المعرفة به وقد قال سلنى ما شئت فصاح فى صيحة وقال اسكت ويلك غرت عليه منى وقد كان أبو تراب النخشبى رحمه الله معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ويقوم بمصالحه والمريد مشغول بعبادته ومواجيده فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال المريد انى عنه مشغول فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد المريد فقال ويحك ما أصنع بابى يزيد قد رأيت الله فاغنانى عن أبى يزيد قال أبو تراب فهاج طبعى ولم أملك نفسى فقلت له ويلك لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من ان ترى الله عز وجل سبعين مرة فبهت المريد من قولى وانكره وقال وكيف ذلك فقلت له ويلك انما ترى الله عندك فيظهر لك على مقدارك وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره قال فعرف ما أقول فقال احملنى اليه فذكر قصة قال فى آخرها ووقفنا على تل ننتظره يخرج الينا من النهر قال فمر بنا وقد قلب فروة على ظهره فقلت للفتى هذا أبو يزيد فانظر اليه قال فنظر اليه الفتى فصعق فحركناه فاذا هو ميت قال فتعاونا على دفنه فقلت لابى يزيد يا سيدى نظره اليك قتله قال لا ولكن كان صاحبك صادقا واستكن فى قلبه سر لم يكن ينكشف له بوصفه فلما رآنا انكشف له سر قلبه فضاق عن حمله لانه فى مقام الضعفاء المريدين فقتله ذلك فهذه جمل من أوصاف المحبوب المراد ورزق بغير

شبهه ما سلك عليهم ومنهم هم الذاكرون لله بكل حال وهم الخاصون من أهل السنة لا يحجبون بشئ من الاعمال وذلك لبصيرة خصوا بها والثالث عامة أهل السنة تارة يفقهون فيذكرون منة الله تعالى وتارة يغفلون فيحجبون اللهم أيقظنا من نوم الغفلة ونبهنا من رقدة الجهالة وبصرنا بعيوبنا وأصلح فساد قلوبنا فانت مجيب الدعوات والعواد بالخيرات واذ قد فرغنا من القسم الاول وهو قسم الصفات المذمومة فلنأخذ فى القسم الثانى وهو قسم ذكر الصفات المحمودة تم القسم الاول بحمد الله وعونه يتلوه القسم الثانى وهو قسم التحلى والاتصاف بالصفات المحمودة وهذه الصفات المحمودة تسمى مقامات ومنازل وهى التوبة والانابة والتبتل والعزلة والخلوة والمحاسبة والرعاية والتفكر والتذكر والورع والزهد والتوكل والتفويض والفقر والقناعة والايثار والمحبة والشوق والخوف والاشفاق والحزن والخشية والخشوع والاخبات والرجاء والرغبة والمراقبة والحياء والصدق والاخلاص والاستقامة والصبر والشكر والتواضع وحسن الخلق والاحسان والرضا بالمقدور والمجاهدة والتقوى واليقين والصمت والعلم والمعرفة والتقى والغنى والجمع والتفرقة والتفريد والتوحيد فهذه جمل الصفات المحمودة ومن المقامات التى هى منازل السائرين الى الله تعالى ولنذكرها على الترتيب وقبل الشروع فى ذكرها لابد من تقديم مقدمة نذكر فيها حساب

حساب من المحب الجواد بتيسير من الطالب للمطلوب وعناية من المحب للمحبوب ومقام الحبيب أعز من أن يظهر واخفى من أن يعرف غيرته عليهم سترهم بافعالهم وضنانته بهم حجبهم باوصافهم أهل المقامات يشتاقون اليه وهو يشتاق اليهم وأهل القرب ينظرون اليه وهو ينظر اليهم وأهل المحبة يحبون أن يسمعوا كلامه وهو يحب أن يسمع كلامهم وأهل الاحوال يسألونه وهو حسبهم ويحب أن يسألوه وأهل المشاهدات يزورونه وهو فى قلوبهم يزورهم وأهل الآخرة ينظرون اليه فى الآخرة وهو ينظر اليهم فى الدنيا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء كما ذكرنا فى قصة داود الملك الرسول اذ أرسله الملك الجليل الى أحبائه الاربعة عشر الاولياء أن يسألهم أن يسألوه حاجة فلما رأوه نفر وامنه لئلا يشغلهم عنه فذكرناها قبل هذا فلا تنكرن من هذا شيأ فانه يعطى المحبوب فى الدنيا أول عطاء أهل الجنة فى الآخرة وهو كن فيزهدون فى ذلك لاجل بقائه ويكرهون ذلك لحبه قد جاوزوا معارف من سواهم فاذا أعطاهم كن أمرهم أن يقولوا كن فى أمر الساعة ولا يقولوا كن فى كشف الغطاء عن النيران والجنان وما وراءها من الكون والمكان للعيان قبل اللقاء وان كانت ظاهرة لباطن الانام مستورة بالصنع للايقان مقطوع عنها الوهم راجع عنها الفكر والهم وسألهم أن لا يظهر وا ما فى الحكمة والعقل اخفاؤه لان اظهاره لا يصلح للخلائق ولا يستقيم عليه أمر المملكة ولا ينتظم به التدبير لما سبق من التقدير وفيه سقوط الاحكام ووقوع الهلكة للانام فاذا رأوا ذلك منه وما قد استثناه عليهم منها استجابوا له أحسن استجابة وردوها اليه أسرع مردوا بلغه فى مرضاته وهو أن يتركوا اظهار شئ لاظهاره ويزهدوا فى كل معنى منها لوجهه ورضوا بتصريف قدرته فى مجارى حكمته وهذا غاية الجهد ونهاية الزهد والحب فيشكر لهم ذلك أحسن شكر ويدخر لهم عنده أفضل ذخر ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا لو سألت الله عز وجل فى هذا الامر ولو دعوت فسكت ثم قال لله تعالى عباد فى هذه البلد لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الارض ظالم الامات فى ليلة ولكن لا يفعلون قيل ولم قال لانهم لا يحبون مالا يحب ثم ذكر من اجابة الله تعالى لهم أشياء لا نستطيع ذكرها حتى قال لو سألوه ان لا يقيم الساعة لم يقمها واعلم ان العبد اذا بلغ من الله تعالى هذه المكانة حتى يعطيه كن اقتضته الحال أن يقول وفقنى لما تحب واعصمنى مما تكره فانى بشر جاهل لا أحسن التدبير ولا أعرف المقادير ولا علم لى بعواقب الامور وأخاف أن يكون فى قولى تفاوت وفى ارادتى اضطراب واذا أجابه تعالى الى ذلك سكت فلم ينطق وسلم ورضى بالتدبير فاطرق لان الذى يحب الله تعالى أن تكون الامور على ماهى عليه لانها عن تدبير يظهر بمعانى الخير والشر لانه تولى التدبير بنفسه كما استوى على العرش بوصفه ولم يجعل على العباد تدبير الملك انما جعل عليهم الصبر والرضا للملك فرجع العبد الى الصمت والادب فى نفوذ المراد كما كان وترك العبد الفضول والاعتراض وحصل له مقام التوكل والرضا ولذلك كان أبو محمد رحمه الله تعالى اذا قيل له ما مراد الله تعالى من الخلق يقول ماهم عليه فكيف تريد مالا يريد وهو محب لصفاته التى عنها تظهر المرادات ومنها تبدو الاحكام ولا بد مما يكون كما لا بد مما كان وكن منها وتحت كان ولولا كان لم يكن فكان أحب اليهم من كن لان له ولهم مثل كن أمثال وليس لهم ولا له مثل كان مثل فهؤلاء هم الذين لا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وهم المحبون لله من عباده الزاهدون فى ملكوته لوداده وكذلك صنعوا مثل هذا فيما استخلفهم فيه من الاموال لما سمعوه يقول وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فاخرجوا الكل لاجله فكان هو خلفا لهم بعد ان كانوا وكلاء فاذا قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل يقول الله تعالى لهم فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله رضى الله عنهم ورضوا عنه لانهم عملوا بما قالوا فتحققوا بالايمان وقيل ان الايمان قول وعمل ولا ينوب القول عن العمل واذا قالوا اياك نعبد واياك نستعين قال الله تعالى صدقتم لانهم لا يخدمون ولا يذلون لسواه ولا يعدون للنوائب الا اياه ولا يستعينون بغيره ولذلك صار واصديقين لتصديق الصادق

طرفا من الاحكام العامة للمقامات والاحوال فنقول المقامات فى اصطلاح الصوفية معناها الوظائف والآداب الشرعية التى يكون عليها المريد المسترشد ويتوصل بالاتصاف بها الى الاتصاف بما بعدها فاذا اتصف المريد بمقام انتقل بالاتصاف به الى الاتصاف بما بعده وهلم جرا ولا يحصل المريد فى شئ من المقامات الا بالتكسب والتطلب والاجتهاد والرياضة والتخلية فاذا مقام كل سالك موضع اقامته من الآداب والوظائف الشرعية كاليقظة وهى الانتباه والتوبة والانابة والورع والزهد والتوكل والتسليم والتفويض فمن يتحقق بانواع المجاهدة وقطع العلائق فى المقام الاول لا يتصور له الترقى الى الثانى فمن لم يتحقق بقلبه وقالبه أركان التوبة ولم يتصف بها حقيقة لا يرى اشراق نور الهداية ومن لم يتصف بالتوكل على وجه الكمال لا وصول له الى مقام التسليم والتفويض واعلم ان العلماء بالله تعالى قد ذكروا ان بين العبد وبين الله تعالى مائة حجاب من ظلمة وألف حجاب من نور وان حجب الظلمة تمحى بانوار العمل بما كتب فى الشريعة وأما حجب النور فهى التى تخرق السالك من بعضها الى بعض بازمة الاعمال القلبية والقالبية حتى يصل الى الله تعالى قال الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبى فى كتاب كيفية التنقل فى العبادة ينبغى للعبد ان يكون أول شئ يأخذ به لدينه بعد اقراره له تعالى بالربوبية

لهم كما بلغنا ان العبد ليقرأ قوله اياك نعبد واياك نستعين فيقول الله تعالى كذبت لو كنت اياي تعبد لم تخف ولم ترج سواي ولو كنت بي تستعين لم تسكن الى مالك وأهلك وكذلك بلغنا ان العبد ليقرأ السورة من القرآن فتصلي عليه حتى يفرغ منها اذا عمل بها فهذا صديق وان العبد ليقرأ السورة من القرآن فتلعنه الى ان يختمها اذا لم يعمل بما يقول فهذا كذاب فان الايمان ولا ايمان الا بعمل فليس هذا مؤمنا حقا فالاولياء حققوا القول بالعمل وشهدوا الايمان باليقين فاذا قالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر توكلوا عليه ورضوا عنه وتألهوا اليه ولم يكن في صدورهم غيره فيقول الله تعالى صدقتم فيكونون صديقين كما يقول للشئ كن فيكون فتدبروا فاذا قال ونعم الوكيل قاموا مقام التوكل فصار لهم في الصدق مقامات يقول الصادق صدقتم فيكونون صديقين فيقول عبادي أنتم خيرتي من ذوي ودادي وأنا وكيلكم رضيتم بي وأنا حسبكم فهؤلاء الذين انقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله فاعطاهم من الجزاء أربعة معان النعمة والفضل والتوكل عليه وصرف السوء واتباع الرضا برضاهم عنه رضي الله عنهم فالحبيب يعتذر له والعدو لا يقبل عذره والمحبوب لا يحاسب والمبغض لا يحسب له

وقد قال بعض الادباء في معناه

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

وقال آخر في وصف آخر

في وجهه شافع يمحو اساءته * من القلوب ويأتي بالمعاذير

وأنشدت لبعض المريدين المحققين

اني جعلت منظري في مهجتي * وجعلت ودك لي اليك شفاعة

ولو ان وقتا منك بالدهر كله * لكان قليلا لا ألف عام بساعة

فليتق الله تعالى عبد لم يطلعه الله عز وجل على ما ذكرناه فيزهد فيه ويعلوه همه عنه بمشاهدة قدرة عظيمة ومعاينة آيات كثيرة ظاهرا او باطنا أن يدعي المعرفة أو يتوهم المحبة فما عنده منها الأماني وغرور وظنون وزور والله تعالى يعطي قوما الظنون كما يعطي أولياءه اليقين ويعطي قوما المزورات لعلل القلوب كما يعطي أحباءه المحققات في مقام محبوب بآيات بينات وشواهد من اليقين باثبات آيات في القرآن وآيات الرسول ولا يظاهرهم على كن حتى ينكشف الكون عن قلوبهم وفي الكون ما فيه من نفيس الملكوت وعظيم الرغبوت مما لا يصلح ذكره واعلم ان آفات النفوس وزينة الملك حجب قلوب العموم وحظوظ العقل وشهوات الارواح من رغبوت الملكوت حجب قلوب الخصوص وسمو القلب الى معاني الدرجات التي يشاهدها ووقوفها مع خصائص الرحموت والرغبوت التي يطالعها حجب قلوب المحبوبين لانهم اذا جاوزوا شهوات النفوس ورفعت بهم عنه حجب العقول وقعوا في شهوات الارواح فلا يواجهون بالوجه ولا ينظرون الى الوصف حتى يجاوزوا أيضا شهوات الارواح وينكشف عنهم أيضا حجب الانوار فيخلفوا الرسم ويغير والوسم فاذا انكشفت المقامات وانقطعت الفضائل ووقفت المطالعات وسقطت المنازل والدرجات اصطلم الطالب وغاب المطلوب وفنى الراغب وبقي المرغوب أظهر لهم التعلق بالاسم وهو آخر الحجب وأول القرب يبتليهم به لينظر كيف يعملون في الوسم فعندها حقت كل من عليها فان ويبقى وجه ربك الآية وهنالك صح له هذا المقام وفي معناه

ظهرت لمن أفنيت بعد بقائه * فصار بلا كون لانك كنته

فهذا امكان وجده بوجوده وقيامه بقيوميته بعد ان كان واجدا بكونه وقائما بقيامه وقد كان أبو يزيد يقول ان أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فاطلب ما وراء ذلك فان عنده فوق ذلك أضعافا مضاعفة فان سكنت الى ذلك حجبك به وهذا هو بلاء مثلهم في مثل حالهم لانهم الامثل فالامثل بالانبياء فاذا لم ينظر العبد الى جميع المطلوب ولم يقف على كون مرغوب أقامه حينئذ مقام محبوب فآواه في ظله وعطف عليه بحنانه ونظر اليه بعينه وواجهه بوجهه فتوجه اليه ولم يثن

والوحدانية وانه خالقه وموجده ومالكه العلم طلب منه في الشرع بعه فاذا علم ذلك علم وجوب الايمان به عليه فاذا علم بذلك ان قوام ايمانه اليقين فاذا أيقن بما أمر به عرف ان تمام ايقانه الرجاء والخوف فاذا نظر في رجائه وخوفه علم ان الرجاء لا يتم الا بالرغبة والخوف لا يتم الا بالرهبة فاذا فكر في الرجاء علم ان الرجاء لا يكون الا بالقلب وكذلك الخوف واعلم ان حسن الظن بالله تعالى أصل من أصول الايمان والرجاء مخرجه من اليقين وفروعه الثقة والسكون والطمأنينة والقناعة أصل من أصول الايمان وفروعه الرضا والتوكل والتفويض والورع أصل من أصول الايمان وفروعه الزهد في الدنيا وعدم الاسف على فواتها والرضا على الرب تعالى والمعرفة اذا سكنت القلب ظهر منها علوم سدت انخراق الوساوس ونفرت الآفات عن القلب واذا سكن القلب اليقين نفر عنه الشك والريب وخوف الفقر وثبت الخوف والرجاء في القلب والمفاوز لا تقطع الا بادلال الخبير بمسالكها وقال بعض العلماء بالله تعالى أول شئ يبدأ به المريد طلب العبادات من الكتاب والسنة فاذا أحكمه وجب عليه طلب الصدق والاخلاص فاذا أحكمه وجب عليه طلب الترغيب والترهيب وهو علم الخوف والرجاء والرضا والصبر والشكر ويعرف تقوى المريد بمخالفة حظ نفسه فهو

وشارع

وسارع الى قربه ولم ير فلم يشهد فى وجهه وجها ولا رأى فى يده يدا وقام بشهادته لقيوميته مشاهدا فهذا غاية الطالبين من العارفين وقد قال بعض العارفين المحبين كوشفت بأربعين حوراء رأيتهن يتساعين فى الهواء عليهن ثياب من فضة وذهب وجوهر يتخشخش وتتثنى معهن فنظرت اليهن نظرة فعوقبت أربعين يوما قال ثم كوشفت بعد ذلك بثمانين حوراء فوقهن فى الحسن والجمال وقيل انظر اليهن قال فسجدت وغمضت عينى فى سجودى لئلا أنظر وقلت أعوذ بك مما سواك لا حاجة لى بهذا فلم أزل أتضرع حتى صرفن عنى ولله عز وجل مثل هذا العبد فى كل قرن وزمان ما يكثر عدده متفرقين فى أرضه ومنتشرين فى بلاده ومحمولين مختبين تحت ستره فى عباده لا تستطيع العقول حمل وصفهم لضعفها ولا يثبت فى القلوب حق نعتهم لوصفها أقل ما يوصفون به الاخلاص فى الحركة والسكون وهو أجل ما عندنا والاخلاص عند المخلصين خروج الخلق من معاملة الخالق فاذا لم يدخلوا كيف يخرجون وأول الخلق النفس فاذا لم يتكدر القلب بها كيف يصفى منها والاخلاص عند المحبين أن لا يعمل عملا لاجل نفس ولا دخل عليه مطالعة العرض والتشرف الى حظ طبع بل للتعظيم ولا يشرك محبوبا فى حب ذى الجلال والاكرام ولا يعلق قلبه بمأرب وقف نظره من جمال لما ملأه من نهاية الحسن وغاية الجمال ولا سبيل الى هذا الا بعد معرفته ولا معرفة قبل معاينته اذ ليس الخبر كالمعاينة ولا معاينة الا بنور اليقين ولا حق يقين بوجود هوى نفس فاذا انكشف الحجاب وهوى الهوى طلعت عين اليقين فأنوار الصفات من الحسن والجمال والبهاء والكمال فى عين اليقين عينا بعد عين كنور فوق نور والى نور النور والاخلاص عند الموحدين خروج الخلق من النظر اليهم فى الافعال وترك السكون والاستراحة بهم فى الاحوال ومن الاخلاص فى الصدق عند الصديقين سؤال الخبية فى قلوب الناس كما قال بشر وقد سئل بأى شئ بلغت هذه المنزلة فقال كنت أكاتم الله تعالى حالى معناه أسأله أن يكتم على ويخفى أمرى وحدثت انه رأى الخضر عليه السلام فقال ادع الله تعالى لى فقال يسر الله تعالى عليك طاعته قال قلت زدنى فقال وسترها عليك فقيل فى تأويل ذلك معنيان منهم من قال وسترها عليك أى يسترك حتى لا تعرف بها كما ذكرنا آنفا وقال بعضهم أراد سترها عنك حتى لا تنظر أنت اليها وقال بعضهم قلقنى الشوق الى الخضر فسألت الله تعالى مرة أن يرينى اياه ليعلمنى شيأ كان أهم الاشياء على قال فرأيته فما غلب على قلبى ولا همنى الا ان قلت له يا أبا العباس علمنى شيأ اذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لى فيها قدر ولم يعرفنى أحد بصلاح ولا ديانة فقال قل اللهم اسبل على كثيف سترك وحط على سرادقات حجبك واجعلنى فى مكنون غيبك واحجبنى فى قلوب خليقتك قال ثم غاب فلم أره ولم أشتق اليه بعد ذلك قال فما تركت أن أقول هذه الكلمات فى كل يوم فحدثت ان هذا كان يستذل ويمتهن حتى كان أهل الذمة يسخرون به فى الطريق يحملونه الاشياء فى الطريق لسقوطه عندهم وكان الصبيان يولعون به وكانت راحته فى ذلك ووجود قلبه به واستقامة حاله عليه وهذا طريق جماعة من السلف وحال طبقة من صادقى الخلف أخفوا أنفسهم وأسقطوا منازلهم فسموا عقلاء المجانين وهذا من الزهد فى النفس وحقيقة التواضع الا انه زهد مجانين الاولياء وتواضع موقنى الضعفاء فالتكبر يكون بثلاثة معان تكبر على الناس عجبا بالنفس وتكبر فى قلوب الناس عزة من النفس أى يحب أن يكبر فى قلوبهم فيكون ذلك تكبرا منه وتكبر فى القلب عن نظره الى صلاحه ودينه فيكبر ذلك عنده فيدل به ولذلك رآه من نفسه لقصور علم اليقين منه وهذا أدق معانى التكبر ولا يتخلص منه الا صحيحو التوحيد صادقو اليقين مخلصو الصالحين وأما التكبر الظاهر الذى هو التطاول والفخر والتظاهر فذاك جلى وهو من أكثف حجب القلب وأقوى صفات النفس فلذلك فزع العلماء من دقائقه لما عرفوه فطلبوا القلة والذلة للنفس ليمتهنوها بخفايا التواضع لينتفى عنهم دقائق الكبر لتخلص لهم الاعمال والتواضع عند المتواضعين هو حقيقة أن يكون العبد ذليلا لا صلة له لا متذللا متعمدا للذلة وأن يكون عند نفسه فى نفسه وحيدا حقيرا معتقد الصغر وحقارته فى نفسه لا متواضعا متكلفا وعلامة

متق ويعرف اخلاصه فى علمه بالاخذ بعزائم العلم وشدائده فان أخذ بالعزائم وترك الرخص فهو فى غاية مخلص وحكم المريد الصبر وحكم العارف الرضا وحكم العالم التوكل وما أكثر المريدين وما أقل أهل الارادة وما أكثر من يعرف طريق الله تعالى وما أقل من يسلكها وما أكثر من يريد ما عند الناس وما أقل من يريد ما عند الله وقال أحمد العطاوى المقامات مراكب الابرار فمن ركب مركب الخوف نجا ومن ركب مركب الرجاء وجل ومن ركب مركب التوكل كفى ومن ركب مركب التفويض وصل ومن ركب مركب الشوق أدرك ومن ركب مركب الانابة رحل ومن ركب مركب حسن الظن أصاب فمركب الخوف للهرب ومركب الرجاء للطلب ومركب التوكل للراحة ومركب التفويض للسرعة ومركب الانابة للدخول ومركب حسن الظن بالله تعالى للاجتياز واعلم ان المقامات تشرف بأسبابها ومتعلقاتها فالمهابة أفضل من المحبة لانها نشأت عن معرفة الجلال وتليها المحبة لانها نشأت عن معرفة الجمال وتليها المعرفة الناشئة عن معرفة الانعام والافضال ثم التوكل لان منشأه ملاحظة التوحيد بالافعال ثم الخوف والرجاء لانهما نشآ عن ملاحظة الخير والشر لكنهما أشرفا من وجه معرفة قدرة الله تعالى عليهما اذ لا يرجى من يعجز ولا يخاف من لا يقدر

ذلك أن لا يغضب اذا عابه ونقصه عائب ولا يكره أن يذمه ويقذفه بالكبائر ذام وبيان ذلك في وجده أن لا يجد طعم الذل في ذله ولا يشهد الضعة في تواضعه اذ قد صار ذلك له صفة فمن ذل ووجد ذوق ذله فهو متعمل للتواضع ومن تواضع وشهد تواضعه وضعته فهذا متعزز وهي علامة بقية الانفة في نفسه لنفسه ومتى غضب أو كره ذمه من غيره فهو يفرح ويرضى بمدحه فاذا كانت فيه هذه العلامات فهو محجوب عن جميع ما ذكرناه من المقامات ومتى ذل نفسه وتواضع عند نفسه فلم يجد لذله ذوقا ولا لضعته حلاوة صار الذل والتواضع كونه فهذا لا يكره الذم من الخلق لوجد النقص في نفسه ولا يحب المدح منهم لفقد القدر والمنزلة من نفسه فصارت الذلة والضعة صفته لا تفارقه لازمة له لزوم الزبالة للزبال والكساحة للكساح هما صنعتان لهما كسائر الصنائع ورور بما الفخر وابهما العدم النظر الى نقصهما فهذه ولاية عظيمة له من نفسه قد ولاه على نفسه وملكه عليها فقهرها بعزه وهذا مقام محبوب وبعده المكاشفات بسائر العيوب أول ذلك دخول نور الحكمة في القلب وينبوع الحكم من قلبه كما روينا ان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام قال يا بني اسرائيل أين ينبت الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تنبع الحكمة الا في قلب مثل التراب ومن كان حاله مع الله تعالى الذل طلبه واستحلاه كما يطلب المتكبر العز ويستحليه اذا وجده فان فارق ذلك الذل ساعة تغير قلبه لفراق حاله كما ان المتعزز ان فارقه العز ساعة تكدر عليه عيشه لان ذلك عيش نفسه وممن روينا عنه اختيار الذل واسقاط المنزلة والقدر عند الناس ومحو جاهه وموضعه من قلوبهم وأظهر على نفسه ألوان معاني الذم أكثر من أن يحصى وذكرهم يطول وذلك ان حالهم الصدق فقتضيهم القيام بحكمها فلا بد من قيامهم بمقتضى حالهم حدثني بعض الاشياخ عن أبي الحسن الكريني أستاذ الجنيد أن رجلا دعاه ثلاث مرات الى طعامه ثم يرده فرجع اليه بعد ذلك حتى أدخله المنزل في المرة الرابعة فسأله عن ذلك فقال قد رضيت نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينطرد ثم يدعى فيرمى له عظم فيجيء ولو زاد غيره وقال لو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لاجبت وحدثني شيخ آخر عن أستاذه قال نزلت في محلة فعرفت فيها بالصلاح وتشتت قلبي فدخلت حماما في جوف المحلة وعمدت على ثياب فاخرة فسرقتها ولبستها ثم لبست مرقعتي فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا ليفطن بي فلحقوني فنزعوا مرقعتي واستخرجوا الثياب وصفعوني وأوجعوني ضربا فصرت أعرف في الناحية بلص الحمام فسكنت نفسي وحدثت عن بعض الصوفية انه وقف على رجل يأكل فمد يده اليه فقال ان كان ثم شئ لله فقال له اجلس فكل فقال أعطني في كفي فاعطاه في كفه فقعد في مكانه يأكله فسأله عن امتناعه من الجلوس معه فقال ان حالي مع الله عز وجل الذل فكرهت ان أفارق حالي وكان هذا ربما مد يده الى الهراس فيضع فيها هريسته والعرب تأنف ان يوضع الشئ في أكفها العزة نفوسها حتى روينا عن بعض الصحابة من المهاجرين الاول في أول النبوة فقال جعت ثلاثا لم أطعم شيئا فبلغني ان انسانا يتصدق بزبيب فسألته فقال هات كفك فقلت اني رجل من العرب ولا آخذ في كفي فاجعله لي في شئ قال فجعله في كيل ثم ناولنيه فلما فرغته رددته اليه فكانت فيه عزة نفس لاجرم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أنت رجل فيك جاهلية فقال على ما أنا عليه من كبر السن قال نعم وكان قد خاصم رجلا فعاره على عليه تعززا وانما نبهنا ببعض ما ذكرناه العقول المستيقظة وحركنا به القلوب الحية ليحيا من حي عن بينة بذكر أوصاف الصادقين وطرقات المخلصين ليستدل على الكثير باليسير وقد كان شاهد من شهود بسطام عظيم القدر فيهم لا يفارق مجلس أبي يزيد فقال له يوما يا أبا يزيد أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي شيئا من هذا العلم الذي تذكر وأنا أصدق به وأحبه فقال له أبو يزيد لو صمت ثلثمائة سنة وقمت لياليها ما وجدت من هذا ذرة قال ولم قال لانك محجوب بنفسك قال أفلهذا دواء قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبل قال فاذكره لي قال اذهب الساعة الى المزين واحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوأة

*(فصل)*وأما الاحوال فهي معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا تكسب ولا اجتلاب وهي مواهب ربانية ومنح الهية من حكمها الطرب أو الحزن أو القبض أو البسط أو الشوق أو القلق أو الهيبة والاجلال أو الطمانينة والادلال والاحوال تأتي من عين الجود بخلاف المقامات فانها تحصل ببذل المجهود فالمقامات مكاسب والاحوال مواهب فصاحب المقام متمكن في مقامه وصاحب الحال مجذوب من حاله واختلف المشايخ في بقايا الاحوال فاشار قوم الى بقائها ودوامها وقالوا انها اذا لم تدم فهي لوائح ونوادر ولم يصل صاحبها بعد الى الاحوال أي ما حصلت له أهلية ورود الحال على قلبه فاذا دامت تلك الصفة التي هي الموهبة فهي حينئذ تكون حالا وقال آخرون الاحوال لا تبقى كالبرق في الظهور والافول واعلم ان ما قالوه فهو اشارة الى حكم الحال لا الى نفسه اذ المعاني الحادثة لا تبقى زمانين والفرق بين المقام والحال ما أشرنا اليه من أن المقام مكسوب وثابت مستقر وأما الحال فهو حائل زائل متغير وقد يكون الشئ حالا ثم يصير هو بعينه مقاما مثاله ان ينبعث في باطن السالك داعية المحاسبة ثم تزول بغلبة صفات النفس من داعي الهوى والشهوة ثم تعود ولا تزال يتحول بظهور صفات النفس من داعي الهوى والشهوة ثم يعود الى أن تتداركه المعونة من الله تعالى وتنقهر النفس وتنضبط وتتملكها

ـدوزاواجمع الصبيان حولك وقل كل من صفعنى صفعة أعطيته جوزة وادخل الاسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لى مثل هذا فقال أبو يزيد قولك سبحان الله شرك قال كيف قال لانك عظمت نفسك فسبحتها فقال هذا لا افعله ولكن دلنى على غيره فقال ابتدئ بهذا قبل كل شئ فقال لا اطيقه فقال قد قلت لك انك لا تقبل فهذا لما قال سبحان الله كان مشركا عنده لانه سبحه برسم النفس وقد كان أبو يزيد يقول سبحانى ما أعظم شانى وهو موحد لانه وحد باولية بدت وهذا الذى ذكره دواء من اعتل بنظره الى نفسه ثم سقم بنظر الناس اليه لزمه سد نظره الى نظرهم ليس لها من دون الله كاشفة الان هذا من طب المجانين يصلح لضعفاء اليقين ولو ادخل الطبيب الاعلى ذرة من عين اليقين اخرج بها من قلبه كل نظرة فاستراح من كل دواء ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة بشواهد الحق و يحيا من حى عن بينة بشاهد الحق و يتلوه شاهد منه فلا تنكرن من جميع ماذكرناه شيأ فتحسر اول انصبة المؤمنين من علم القدرة واليقين لان للمؤمنين انصبة من هذا العلم منها المشاهدة لما وصفناه والادراك لما رمزناه ومنها الوجد وا الحال ومنها المعاملة والمنازلة ومنها الذوق والشم منه وآخرها التصديق والقبول فاقل النصيب من علم المعرفة ان لم يشهد فلا يجحد وان لم يعرف فليتعرف ويكون معقله التسليم وليس وراء هذا مكان وهذه المقامات التى شرحناها وهى مقامات اليقين أولها التوبة الى هذا المقام من المحبة منوط بعضها ببعض ان اعطى العبد حقيقة من أحدها اعطى من كل مقام حاله ومع كل حال مشاهدة ولكل مشاهدة علم الامن شهد بالحق وهم يعلمون وكلها مجموعة فى حقيقة الايمان ان اعطى العبد حقيقة من ايمان ويقين حتى يكون مؤمنا حقا غير مرتدعنه ولا مستبدل به فى علم الله تعالى وكان ايمانه منة وهبة لا عارية ولا وديعة فيسترد و يرتد على اظهار لبس أوادراج مكر محنة من الله تعالى وخبرة ويكون مستبدلا لا بدلا فاذا لم يكن كذلك وكان بدلا من مستبدل به أعطى من جميعها حالا فحالا وشهادة شهادة وان تفاوت توافى العلوم وتعالوا فى القرب وذلك هو كمال الايمان وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وصف كمال الايمان ثلاثة أحاديث من أصول هذه الاحوال وأساس هذه الافعال منها انه قال لا يستكمل العبد ايمانه حتى يكون قلة الشئ أحب اليه من كثرة الشئ وحتى لا يعرف أحب اليه من ان يعرف فهذان حالا الصادق الزاهد وهما أول الطريق المؤدى الى التحقيق وأس البنيان الرافع الى انه الاتخاف فى الله لومة لائم ولا يرائى بشئ من عمله واذا عرض له أمران احدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر أمر الآخرة على أمر الدنيا فهذه أحوال المحب لله تعالى الخاص بمعاملة الله عز وجل الراغب فيما عند الله تبارك وتعالى والحديث الثالث قوله صلى الله عليه وسلم لا يكمل ايمان أحدكم حتى يكون فيه ثلاث خصال من اذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا رضى لم يدخله رضاه فى باطل واذا قدر لم يتناول ما ليس له فهذه تجمع أحوال العدل والفضل والمراقبة والزهد وهى أصول المقامات ويشبه هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث الرابع ثلاث من أوتيهن فقد أوتى مثل ما أوتى آل داود العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر وخشية الله تعالى فى السر والعلانية وتفسير ماذكرناه قبل من أن هذه المقامات مرتبطة بعضها ببعض وان من أعطى حقيقة من أحدها أعطى جميعها حالا اذ يجمع ذلك كله الايمان بالله تعالى ليتوب العبد الى من آمن به والى ما آمن به من الوعد وما آمن به من الوعيد ليحق ايمانه ويصح يقينه وليستقيم توحيده كما قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك وقال فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فذهب اليه لما آمن به وهو الرجوع وهى التوبة ثم يزهد فيما تاب منه من هواه لتصح توبته وتخلص نيته فيكون نصوحا كما قال تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق وقال والآخرة خير وأبقى وقال وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين لما أخرجوه من أيديهم وتركوه وتابوا الى أبيهم وزهدوا فيه ثم يصبر عما زهد فيه ليحق زهده كما قال وتواصوا بالحق وتواصوا

الحاسبة وتصير فى مقام المحاسبة لاستقرارها بعد ان كانت حالا تتحول وعلى هذا القياس فى غيرها كالمراقبة ونحوها ومنهم من فرق بان المقام مكسوب والحال موهوب كما تقدم والتحقيق ان الكل مكاسب غير ان المقامات يظهر فيها الكسب وتبطن فيها الموهبة والاحوال بالعكس واعلم يا أخى أيدك الله بتوفيق منه ان المقامات والاحوال كثيرة تنتهى فى العد الى مائة وأكثر وان أنا أخذت فى ذكرها على تمامها طالت على وعليك لكنى أذكر أصول المقامات وكلياتها وفيها الاشارة الى أكثر فروعها وشعبها والمقامات مترتبة فى الوجد ترتيبا لا يجوز وقوعها على خلافه عادة لان النهايات لا تصح الا بعد تصحيح البدايات كما ان البناء لا يقوم الا بعد وضع أساس وقد نجزت الكلام فى المقدمة فلنشرع فى المقامات وبالله العون والهداية

(باب التوبة ومقدماتها وما يتبع ذلك)

اعلم ان التوبة مفتاح لكل خير وباب لكل سعادة فاول ما يقدمه مريد السلوك لطريق الله تعالى هو التوبة وللتوبة مقدمات منها العلم بما يجب و يستحب من الاعمال الظاهرة والباطنة ومنها التفكر والمراد بالتفكر النظر فى لطائف الصنعة ووجوه الحكمة وحكم الاعمال والعبادات المفضية الى تيسير طريق وصول العبد الى ربه وأما التذكر فمأخوذ من قوله تعالى وما يتذكر الا من ينيب وهو أعلى من التفكر لان التذكر

بالصبر وقال عز وجل ولربك فاصبر ثم يشكر على ما صبر عنه ليكمل صبره كما قال لا قوة الا بالله وما بكم من نعمة فمن الله واذكروا نعمة الله عليكم ثم يرجو من شكره له ان يزيده من فضله فيعطيه فوق سؤله بحسن ظنه به كما قال تعالى ويرجون رحمة ربه وقد ذم من أيس من رحمته بقوله ولئن أذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ثم يخاف فوت ما رجاه ويخاف من تقصيره في الشكر لما أولى ليحق غبطته برجائه ويتم اشفاقه من تبديل الآية ويخاف نقصان المزيد كما قال سبحانه يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال مخبرا عن أوليائه انا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا وقد عاب الله من فرح بما أظهر له ونخر بما أوتي وأمن عود البلاء ونسي انه كان مبتلى في قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عني انه لفرح فخور ثم يتوكل على من خافه فيسلم نفسه اليه ويستسلم بين يديه ان يحكم فيه بما أحب لقوله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وقوله نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون ثم يرضى بمن توكل عليه وعمن توكل له لعلمه بحكمته البالغة وتدبيره الحسن لقوله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه ولقوله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ثم يحب من رضي به ورضي عنه اذ كان قد اختاره على ما سواه واذ صار حسبه لما رآه فصارت هذه المقامات التسع كمقام واحد بعضها منوط ببعض ودليلها كتاب الله تبارك وتعالى الحق اليقين النور المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه من طريق الهوى ولا من خلفه من خيل الاعداء فأشبهت دعائم الاسلام الخمس في مقام العموم من طريق الاسلام اذ بعضها مرتبط ببعض كهذه في مقام الخصوص من طريق المقربين ثم يرجع بعد مقام المحبة الى حال الرضا فوقه ثم يتردد في مقام المحبة رتبة رتبة وليس فوق حال الرضا مقام يعرف ولا فوق مقام المحبة حال يوصف وهما موجب المعرفة ومنتهاها المعروف وقرارها المألوف وان الى ربك المنتهى الى ربك يومئذ المستقر فليس للرضا نهاية اذ ليس للمحبوب غاية وان الرضا مزيد أهل الجنة في الجنة وليس للحب نهاية لانه عن الوصف ولا غاية للصفات وليس لطالب المحب حد لانه عن القرب ولا غاية للقرب لانه عن وصف قريب ولا حد لقرب فيترافع المؤمنون في الحب مقامات على نحو تجلي الحبيب بمعاني الصفات ويتزايد الرضوان في الرضا درجات حسب تعاليهم في علو المشاهدات ويتعالى أهل عليين في العلو غايات على قدر نصيبهم من قوة الايمان وصفاء اليقين قال الله تعالى وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين فأعطاهم من معاني وصفه العلو ثم وصف نصيبهم بوصفهم فقال ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدراك ما عليون فعليون لانهاية له في العلو اذ هو من اسماء المبالغة في الوصف وقيل انه اسم لا واحد له من جنسه فهو على في علوهم يعلوهم أبدا في علو علوهم في دار الابد وهم أعلون لان الاعلى معهم فهم يعلون به وعليون يعلوهم هذا كله لانه معهم كما قال وأنتم الاعلون والله معكم فالرضا الاول الذي هو قبل المحبة مقام التوكل وحال المحب المحبوب حاله والرضا الثاني الذي يكون بعد المحبة مقام المعرفة وحال المحبوب التوكل حاله والمحبة من أشرف المقامات ليس فوقها الا مقام الخلة وهو مقام في المعرفة الخاصة وهي تخلل أسرار الغيب فيطلع على مشاهدة المحبوب بان يعطي حيطة بشيء من علمه بمشيئته على مشيئته التي لا تنقلب وعلمه القديم الذي لا يتغير وفي هذا المقام الاشراف على بحار الغيوب وسرائر ما كان في القديم وعواقب ما يؤول ومنه مكاشفة العبد بحاله واشهاده من المحبة مقامه والاشراف على مقامات العباد من المآل والاطلاع عليهم في تقلبهم في الابد حالا فحالا وقد ذكر أبو يزيد البسطامي وأبو محمد سهل انهما أقيما في هذا المقام ووصفا حالهما منه وقد كان لشقيق وابن أدهم البلخيين مطالعات في هذه المعاني وقد سلك بأبي الفيض في هذا الطريق فظهر على ما فيه مما يبهر من رأى انقلاب الاعيان وتبصرة بعظيم العيان وهذا محجوب عن أوهام القلوب بعقولها ومستقر في جب غاية القلوب بأرواحها فاذا خرجت النفس من الروح فكان روحانيا خروج الليل من النهار تنفس المكروب واذا خلا العقل عن القلب فكان ربانيا انفرجت الكروب كما قال العارف

بحياتي يا حياتي * لا تبعد قرباتي

لماه وحاصل والتفكر طلب لما هو مفقود ومنها اليقظة وهي الانتباه من الغفلة قال الله تعالى قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى والقومة الى الله تعالى يقظة واليقظة أول منزل من منازل الطريق الى الله تعالى ونورها أول نور يستنير به قلب العبد وهي مبدأ أكل طعام ورأس كل مقام ومن أيقظه الله تعالى فقد نبهه واليقظة تكون بسبب وبغير سبب فالتي تكون بغير سبب هي أول نفحة من نفحات الجذب فيشهد الحق ويلمح لمحة من جلاله وعظمته وجماله وكماله من غير مكابدة نظر ولا مشقة بكسب ولا تعب بفكر واستدلال فاما التي بالسبب فاما أن تكون من نفس العبد أو من غيره فالتي تكون من نفس العبد اما بنظر واستدلال أو بجري على لسانه وهو غافل كما جرى لتحفة العابدة غنت يوما وهي تضرب بالعود هذا الشعر

خاطبني الحق من جنابي
فكان وعظي على لساني
قربني منه بعد بعد
وخصني الله واصطفاني
أجبت لما دعيت طوعا
ملبيا للذي دعاني
وخفت مما جنيت قدما
فوقع الحق بالاماني

فتنبهت وكان ذلك سبب توبتها والتي من الغير اما أن تكون من كتاب الله تعالى كما جرى للفضيل بن عياض وكان قاطع طريق اذ سمع قارئا يقرأ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فقال نعم يارب فتاب وتوجه الى مكة وجاور بها ولم يزل

اخرج النفس من الود * حود قح كرباني

وقد قال أحسن القائلين ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء والاستثناء واقع على اعطاء الحيطة بشئ من شهادة علمه بنور ثاقب من وصفه وشعاع لائح من سبحته اذ شاء وهذا معنى من سر التوحيد لا يكشفه الا عين اليقين ولا نظهره حتى يظهر لنا منه عارف ما عليه قد أوقف وما منه به قد كوشف فحينئذ يقع العين على العين و يضيء الكوكب الدرى فى جوهر مشكاة القلب وقد كان للشيخ أبي الحسن بن سالم رحمه الله تعالى من هذا الطريق مشاهدات ومطالعات وسياحات فى الغيوب وجريان فى الآخريات وانقلبت له الاعيان وظهر له العيان وطوى له المكان و رأى ألف ولى لله تعالى وحمل عن كل واحد علما ثم انقطع الطريق بعد فقده وعفا الاثر ودرس الخبر ثم الله تعالى اعلم بما هو صانع بهذا الطريق وأهله هل ينشئ له أهلا و ينهج له غامضات الطريق طريقا أم يطويهم فى طى طريقهم و يخفى طريقهم فى خفاء الموج الغامض فى غامضات العلم السابق نقول فى ذلك كما قال امام الائمة على بن أبي طالب كرم الله وجهه بعد اذ ذكر فى خطبته قيام الساعة واستقرار اهل الدارين فيهما قال ثم الله أعلم بما هو صانع بالدنيا بعد ذلك فهذا من سر السر الذى أودعه صاحب الامر وليس فوق مقام الخلة مقام الادرجة النبوة وهو محجوب عن القلوب لحجاب هذا المقام من الخلة عن قلوب العموم فهذا الافوت فيه لانه درك منه ولا حزن عليه لانه لا نصيب عنه ولكن مقام الخلة لا يكون الا مقام محجوب على كل حال وما سمعت من أحد من أهل العلم الباطن والمعرفة الثاقبة رسما من علم الخلة ولا من وصف محبوبه شيأ فى كتاب الله تعالى ولا اشاراته الا نتفا فى الاخبار ولعما من الآثار اعلم انه كلام محجوب عن مقام خلة ولكنه مستودع فى كتاب الله تعالى المكنون وغامض من خطابه المصون ومخبو فى سر آياته عن القلوب والعيون وكاشف به الساجدين واظهر عليه أهل السر من العارفين ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض وقوله تعالى قل انزله الذى يعلم السر فى السموات والارض وقد كان الحسن رحمه الله تعالى يروى فى الخلة اخبارا منها ان الله عز وجل أوحى الى بعض أوليائه انما اتخذ خليلى من لا يفتر عن ذكرى ولا يكون له غيرى ولا يؤثر على شيأ من خلقى وان حرق بالنار لم يجد لحرق النار وجعا وان قطع بالمناشير لم يجد لمس الحديد الما وقد روينا عن الخليل الحبيب عليه السلام انه قال تحابوا فى الله وتصافوا وتباذلوا وتخالوا فيه أوليس من كرم الله تعالى ان اتخذ عبدا من عباده خليلا فنبه ان الخلة من الله تعالى كانت لاوليائه عن فرط كرمه وفضل آلائه الحقهم بكرامته وأهلهم بفضله لها وعظمهم عن نصيب تعظيمه فيها والله الواسع الكريم ذو الفضل العظيم اذا رفع عبدا جاوز به الحدود واذا خفضه وضعه تحت الحد ودوقد تكلم الجنيد رحمه الله تعالى فى مقام من هذا وقد سئل عنه فقال هو غاية الحب وهو مقام عزيز يستغرق العقول وينسى النفوس وهو من أعلى علم المعرفة بالله تعالى وقال فى هذا المقام يعلم العبد ان الله عز وجل يحبه و يقول العبد بحقى عليك و بجاهى عندك و يقول بحبك لى قال وهؤلاء هم المدلون على الله تبارك وتعالى والمستأنسون بالله تعالى وهم جلساء الله تعالى قد رفع الحشمة بينه وبينهم و زالت الوحشة بينهم و بينه فهم يتكلمون باشياء هى عند العامة كفر بالله تعالى لما قد علموا ان الله تعالى يحبهم وان لهم عند الله جاها ومنزلة ثم قال عن بعض العلماء اما أهل الانس بالله تعالى فليس الى معرفتهم سبيل هذا من كلام الجنيد ونحو معناه حدثنى به الخاقانى المقرى ولولا انا رو ينا عنه ما ذكرناه لاما كنا نشرح حال هؤلاء اشفاقا على الالباب كما قال المجلى

وان اشرح نناءك غيرانى * أجلك عن كتاب فى كتاب

وقد كان شيخنا أبو بكر بن الجلاء رحمه الله كتب الى شيخنا أبي الحسن بن سالم رحمه الله تعالى يسأله عن مسائل من معانى الصر ائر فى كتاب فحدثنى من رآه رمى بالكتاب وقال أين صاحب هذه المسائل فقيل هو غائب بمكة فقال انا لا اجيب عن هذا فى كتاب فلو اله يحضر ان أراد وقد حدثنى ابن الجلاء بهذا الان مقام

مجدا من ذلك اليوم واما أن تكون من حديث النبي صلى الله عليه وسلم كما روى انه صلى الله عليه وسلم وعظ يوما الناس فقال انى رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان النجاء النجاء فتيقظ بذلك كثير منهم وتنبهوا او تكون من واعظ والواعظ اما بلسان المقال أو بلسان الحال والذى بالمقال قد يكون من مؤمن وقد يكون من عدو ومخالف فى الدين فالتى من المؤمن كما جرى للشبلى رحمة الله عليه انه كان سبب توبته حضور مجلس بعض الوعاظ وكان الشبلى حاجبا للخليفة الموفق بالله تعالى فتاب وصحب الجنيد وغيره من أكابر المشايخ وتعبد وجاهد وهو من كبار مشايخ الرسالة وكذلك جرى لابى سليمان الدارانى فكان يقول عصفور اصطاد كركيا وكما يحكى ان على بن عيسى الوزير ركب يوما فى موكب عظيم فجعل الغرباء يقولون من هذا من هذا فقالت امرأة كانت هنالك واقفة على جناح هذا عبد سقط من عين الله تعالى فابتلاه الله تعالى بما ترون فسمع الوزير على ابن عيسى ذلك منها فرجع الى داره واستعفى الخليفة من الوزارة فاعفاه منها وذهب الى مكة وجاور بها وأما التى من العدو فكما جرى لشقيق البلخى فانه سافر الى بلاد تجارة فدخل الى بيت الاصنام لينظره فرأى شابا من أولاد المشركين فى بيت الاصنام يتعبد بها فقال له شقيق ان لك الها صانعا قادرا مريدا فلم لا تعبده

وترك هذه الاوثان التى لاتضر ولاتنفع فقال الشاب المشرك لشقيق اذا كان الامر على ماتقول فلاى شئ تعنيت فى التجارة الى ههنا وهو نادران رزقك ببلدك فقال له شقيق صدقت فتنبه وتيقظ وترك التجارة وتعبد وكان من كبار المتوكلين وأنشد فى هذا هذا المعنى يقول

جزى الله من عاديت خيرا فاننى
ساجده من حيث لايحمد الخل

وأما التنبيه الذى يكون بلسان الحال فذكر رؤية الموتى والاتعاظ باهل البلاء قال صلى الله عليه وسلم تركت فيكم واعظين ناطق وصامت فالناطق القرآن والصامت الموت وقد يكون التنبيه على جهة التفاؤل وهى المحادثة عند الصوفية كما جرى لداود الطائى رحمة الله عليه انه كان يمشى فى الطريق فجاء المطرقون بين يدى حميد أمير الكوفة فأزالوا داود عن الطريق فنظر لحميد وقال أف للدنيا سبقك اليها حميد

* (فصل) * والتوبة واجبة بالآيات والاخبار قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون وقال تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال تعالى ياأيها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيا تكم وقال تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين أى من الذنب بالتوبة وقال النبى صلى الله

الخلة هو الذى اخفيناه وعظمناه لايعطاه العبد الافى مقام مع مقام فالمقام الاول هو المعرفة الخاصية بظهور تعرف كشفا عن وصف الباطن ثم يدخل عليه المحبة المخصوصة وهو مقام محبوب ثم يرفع من هذا المقام الى مقام الخلة وهو الاشراف على سرائر غيوب من شرفات العرش وسرادقات القدس وغير ذلك والاصل فيما ذكرناه انه سبحانه يعطى مقامات المعرفة فى مقام عارف ولايعطى فيه مقام محبوب وقد يعطى مقامات من المحبة فى مقام محب ولا يعطى شهادة خلة لغير خليل عارف فاذا جمع مقام معرفة تعرف الى مقام محبة محبوب أعطى مقاما من الخلة الذى وصفناه وهذا من أعز ما ظهر فى الكون لمظهر مكنون وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه خطب الناس قبل موته بثلاث فقال ان الله تعالى قد اتخذ صاحبكم خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فرفع صلى الله عليه وسلم فى مقام محبوب الى درجة خليل كما نقل من مقام محب الى حال محبوب كما زيد بالمحبة فى مقام محبوب الصفوة وقال أيضا فى المقام الاول ان الله عز وجل اتخذ موسى صفيا واتخذنى حبيبا فاول العطاء هو الصفاء من الهوى ثم المحبة بعد الصفاء ثم الزيادة بوصف محبوب فوق المحبة ثم ارتفع وعلا بعد القوة والاستواء الى العلى الاعلى فدنا لما علا فتدلى حتى دنا فكان قاب قوسين أو أدنى وكانت البلاد من ورائه والوجه مواجها الوجه

وكان ما كان مما لست اذكره * فظن خيرا ولا تسال عن الخبر

اذ من العلوم علم لاينبغى ان يسئل عنه حتى يبدى العالم ذكره فهذا منها فلا يبدى الابقدر معلوم بمقدار ما أبدى المبدئ ويعيد منه بقدر ما أعاد المعيد وكان لديه خليلا كما كان عنده قريبا فصارت الخلة مقاما فى محبوب وهو نهاية المزيد كما كان مقام محبوب وزيادة على مقام محب كما رفعه الى المحبة بعد الصفوة من كدر الهوى وكذلك أنت أيها السامع الشاهد يجعل لك بعد الصفاء نصيبا من نصيب وشهادة على شهادة ووجدا من وجد وفقد النفس من فقد فلا يذهب كثير النبوة منه صغير العطية لك لانه تعالى رفع الطائعين له ولرسوله صلى الله عليه وسلم مقاما الى مقام النبيين والصديقين والصديقون باقون الى نزول الروح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام وهم الابدال عددهم فى كل الدنيا ثلثمائة وماشاء الله منهم الشهداء والصالحون فهم ثلاث طبقات وكلهم مقربون سابقون ايمان صديق منهم كايمان جميع الشهداء وايمان شهيد كايمان كل الصالحين وايمان كل صالح بمقدار ايمان ألف مؤمن من عموم المسلمين وليس فى الخلة شريك لغير الخليل على خليله ولانها حال مفردة لفرد ووحدة لواحد ولو كان يصلح لها نظير ويوزر بها وزير كان أحق الامة بذلك الصديق فقد اعطاه تعالى ثلاثا لم يعطها غيره منها انار وينات النبى صلى الله عليه وسلم قال له ان الله عز وجل اعطاك مثل ايمان كل من آمن بى من أمتى واعطانى مثل ايمان كل من آمن بى من ولد آدم والحديث الثانى ان الله تعالى ثلثمائة خلق من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه يارسول الله هل فى منها خلق واحد فقال كلها فيك ياأبابكر وأحبها الى الله عز وجل السخاء والحديث الثالث هو المستفيض رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت فى كفة فرجحت بهم ووضع أبو بكر فى كفة وجئ بامتى فوضعت فى كفة فرجح بهم وليس بين الصديق وبين الرسول الادرجة النبوة والقطب اليوم الذى هو امام لاثانى الثلاثة والاوتاد السبعة والابدال الاربعين والسبعين الى ثلثمائة كلهم فى ميزانه وايمان جميعهم كايمانه انما هو بدل من أبى بكر رضى الله تعالى عنه والاثانى الثلاثة بعده انما هم أبدال الثلاثة الخلفاء بعده والسبعة هم أبدال السبعة الى العشرة ثم الابدال الثلثمائة وثلاثة عشر انما هم أبدال البدريين من الانصار والمهاجرين أهل الرحمة والرضوان فمع هذا الفضل العظيم لابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه لم يصلح ان يشرك الحبيب الرسول المقرب الخليل فى مقام الخلة كما صلح ان يشرك فى مقام الاخوة وهو المقام الذى شرك فيه عليا كرم الله وجهه فقال على منى بمنزلة هرون من موسى فهذا مقام اخوة كذلك فى التفرد بمقام الخلة لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله تبارك

وتعالى يعني نفسه صلوات الله عليه لانه واحد لواحد مفرد لمفرد فاعتبروا يا أولى الالباب بتدبر فهم الخطاب فمن أعطى من الصفاء نصيبا أعطى من الحب نصيبا وكان له من المعرفة بقوة محبته ومن المعرفة بقدر معرفته فأما المعرفة الاصلية التي هي أصل المقامات ومكان المشاهدات فهي عندهم واحدة لان المعروف بها واحد والمتعرف عنها واحد الا ان لها أعلى وأول فخصوص المؤمنين في أعلاها وهي مقامات المقربين وعمومهم في أولها وهي مقامات الابرار وهم أصحاب اليمين ولكل منهم وجهة من الصفات المخوفة عنها كانوا خائفين أو الاخلاق المرجوة منها كانوا راجين أو الافعال والاملاك عندها كانوا صابرين شاكرين أو معاني أوصاف ذات منها كانوا محبين متوكلين قال الله سبحانه وتعالى ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات ويقال من أحب شيأ حشر معه وفي الخبر المرء مع من أحب وله ما احتسب وفي الخبر من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها يوم القيامة فاما جمل مقامات المحبين فمذكورة في الكتاب العزيز من الحبيب اثنى عشر مقاما أخص في دليل الخطاب وتدبر الالباب وسبعة في صريح الكلام بظاهر الافهام فأما السبع المصرحة فقوله عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين والله يحب الصابرين والله يحب الشاكرين والله يحب المتقين والله يحب المحسنين والله يحب المتوكلين وأما الخمسة المتدبرة فهم الموحدون لقوله لا يحب الكافرين والعادلون لقوله لا يحب الظالمين والمستقيمون لقوله لا يحب الفاسقين والمتواضعون لقوله لا يحب المستكبرين والموفون لقوله لا يحب الخائنين وهؤلاء طبقات المحبوبين تعرضا وتصريحا وشرح هذه الاوصاف هي مقامات اليقين وفي كل مقام من هذه أحوال يكثر عددها كل حال منها طريق الى الله عز وجل في كل طريق طائفة من المحبين محبتهم على قدر معرفتهم ومعرفتهم على زنة تعرف المعروف اليهم وعن نحو تعريف المعروف لهم وذلك معنى من معارفهم فهم على زنة يقينهم ويقينهم على حسب صفاء ايمانهم وايمانهم على نحو عناية الله بهم وتفضله عليهم وايثاره لهم ومن وراء ذلك سر القدر المخزون المستأثر وليس فوق المحبة مقام مشهور ولا دون التوبة حال مذكور فأول المقامات التوبة يخرج بها من الظلم والظالم حال من الشرك قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وقال الله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا وهذا فصل الخطاب لاضدادهم فأي الفريقين أحق بالامن الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك هم أحق بالامن غدا في المقام الامين وقال تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون فآخر الظلم أول التوبة وآخر التوبة أول المحبة وآخر المحبة أول المعرفة وهي معرفة متعرف وهي الخاصية مزيد المحبة الاولى وآخر نصيب العبد من المعرفة وأول التوحيد وهو توحيد الشاهدين ولا آخر له وأوسط المقامات الزهد وأول الزهد آخر الهوى وآخر الزهد أول العلم وآخر العلم أول الخوف وآخر الخوف أول الحب وهذا حب محبوب والظالم لا مقام له ولا جاه ومن لا جاه له فلا شفاعة ومن لا شفاعة فلا شهادة ومن لا شهادة فلا يقين فلو اعطى مثقال الامن الايمان لم ينجه لانه صلى الله عليه وسلم قال في وصف الداخلين اخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من ايمان ثم قال في الخبر الآخر السخاء من اليقين ولا يدخل النار موقن وقال سبحانه وتعالى في تفصيل ما وصلنا بما عنه شهدناه لا ينال عهدي الظالمين ثم قال في البيان الثاني من الخطاب لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وقال في البيان الثالث ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون وقال في وجد اليقين بعد شهادة العين في الرواية بعد المكاشفة وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال نبأ بيقين اني وجدت وكان اليقين بعد المشاهدة كذلك الوجد بعد اليقين واليقين هو حقيقة الايمان وكماله كما جاء في الاثر الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقد روينا في تفسير قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين قيل الجاه وقيل الشفاعة وقيل الولاية وقيل الامامة لا يكون الظالم اماما للمتقين لان من تبعه أمة من المؤمنين فهو امام للمتقين والظالم متهدد بالنار متوعد بسوء المنقلب مشفوع

عليه وسلم التوبة تجب ما قبلها وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له وقال صلى الله عليه وسلم في حديث الذي أضل راحلته في البادية وعليها طعامه وسقاؤه لله أفرح بتوبة العبد من وجدان هذا لراحلته وللتوبة شروط فمنها ترك الذنوب لامتثال أمر الله تعالى ومنها الندم على ما سلف والعزم على ان لا يعود الى الذنب ولابد لذلك من رد المظالمة الى المظلوم أو تحليله منها فان كانت المعصية بترك فرائض الله تعالى فلابد من قضائها وان كانت شرب مسكر وهو في جوفه فلابد من التقيؤ منه هذا مما لابد منه في التوبة وقال أرباب المجاهدة ولابد فيها من اذابة كل لحم نبت من الحرام واذاقة النفس ألم الطاعة كما أذاقها حلاوة المعصية سئل بعض المشايخ عن العبد اذا خرج الى الله تعالى على أي أصل يخرج فقال على ان لا يعود الى ما منه خرج ولا يراعي غيره من اليه خرج ويحفظ سره عن ملاحظة ما برئ منه فالتوبة قال والتوبة هي أول طريق شرعه الله تعالى للمهتدين وهذا يجب حمله على التوبة من الكفر لان الامر بالتوبة من الكفر هو أول خطاب خاطب الله تعالى به العبد بخلاف التوبة من المعاصي واعلم ان التوبة هي الرجوع سواء كان المرجوع عنه ذنبا كما في توبة أكثر الخلق أو أمرا مباحا كمن رجع عن كسل وبطالة الى الاشتغال بنوافل الطاعة فهو تائب وهذا كتوبة الصالحين وكذا

فيه فكيف يكون شفيعا محجوب عنه فكيف يكون شهيدا الم تسمع الى قول الشاهد ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون والى قوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون مع قوله تعالى فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين ثم اجمل ذلك بقوله ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون فصغير التوبة لصغير الظلم عن صغائر المظالم وكبير التوبة لكبير الظلم عن كبائر المظالم والظلم ظلمة اليوم فى القلب وظلمة غدا فى القيامة فالتوبة تخرج العبد من الظلم وبخروجه من الظلم يدخل فى منازل العهد وبرعاية العهد يعمل فى الاصلاح والله لا يضيع أجر المصلحين كما لا يصلح عمل المفسدين فاذا كان مصلحا بالتوبة مما أفسد بالهوى استعمل بالصالحات لانه قد صلح فاذا عمل بالصالحات أدخل فى الصالحين لانه قد فضل قال الله تعالى ويؤت كل ذى فضل فضله وقال فى البيان الاول وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين فمن صلح له تولاه ومن تولاه علمه وحباه وكاشفه من نفسه وعافاه وأحبه فكان هو حسبه وكفاه وجعله تحت كنفه وآواه فيكون ظاهر حاله العصمة من الهوى واعلاه مشاهدة عين اليقين من المولى ومن اكتسب من المظالم ظلم ومن ظلم ولاه مثله ومن ولاه مثله تولى عنه ومن تولى عنه أفسد ومن أفسد قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن قطع بعد فانقطع ومن انقطع فبعد لعن وطرد ومن طرد عمى وصم تحت الهوى المعمى المصم ومن عمى لم يشهد البصير ومن صم لم يسمع من السميع فكيف يتدبر الخطاب وقلبه مقفل وهمه على هواه مقبل والفتاح العليم عنه معرض فهذا من توصيل القول بعالم المقول من قوله تعالى نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون ومن قوله تعالى ان توليتم أن تفسدوا فى الارض الآية فبينوا والتائب حال من أول الحب والتواب مقام من حقيقة الحب وللناس فى التوبة مقامات حسب كونهم فى الهوى طبقات وهم فى الحب درجات نحو مشاهدتهم لمحاسن الصفات فتجلى لكل وجه بمعنى حسن وجهه هذا فى القلوب عن محاسن الايمان وفى الآخرة على معانى محاسن الوجوه فى العيان فتحكم عليهم المشيئة منه لهم بما أوجدهم به منه على معانى ما أوجدهم منه به اليوم فسبحان من هذه قدرته عن ارادته وسع كل شئ رحمة وعلما ويلزم كل عبد من المجاهدة على قدر ما ابتلى به من الهوى ويثبت له من المحبة بقدر ما صح له من التوبة ويسقط عنه من المجاهدة بقوة ما يكشف له من المشاهدة فيحمل الاشهاد عنه آلام الجهاد فيكون العبد فى البلاء محمولا ويكون يقينه بالشهادة واليقين موصولا وهذا من سوابغ العوافى وتمام من النعماء وهؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء وهم الذين جاء الخبر فيهم ان لله عبادا ضنائن من خلقه يغذوهم برحمته ويحملهم فى ظل عافيته يضن بهم عن القتل والبلاء ويحييهم فى عافية ويدخلهم الجنة فى عافية أولئك الذين تمر عليهم الفتن كقطع الليل المظلم وهم منها فى عافية فالافضل بعد هذا لكل عبد معرفته بعلم حاله ووقوفه على حده ولزوم الصدق فى مقامه وترك التكلف والدعوى فى جميع سكونه وحركته فان هذا أبلغ فيما يريد وأوصل فى طلب ما يرجو فان علم العلماء لا يغنى عنه من علمه بنفسه شيأ لا يسئل عن علومهم كما لا يسئلون عن علمه وهذا طريق رأس ماله الصدق وزاده الصبر وقوته التقوى فمن عدم الصدق لم يربح ومن لم يتزود الصبر انقطع ومن لم يقتت التقوى هلك فذرة من صدق انفع من مثقال من عمل وذرة من صبر خير من مثقال من عمل وذرة من تقوى انفع من مثقال ايمان فان الظن لا يغنى من الحق شيأ ويعطى الله تعالى العبد باداء الفرائض واجتناب المحارم مقاما من مقامات اليقين يرفع به الى عليين وربما أعطاهم مثل ثواب الابدال بعد ان يريد بالفعل والترك وجه الله تعالى وحده وان لم يسلك به طريق الابدال قط ولم يعرف منهم أحدا أبدا ومن نقله ولاه باليقين الذى به تولاه لم يخف عليه التنقيل لان التنقل يضطره الى التنقل فى الاحوال والمشاهدة تحكم عليه بالافعال وربما بلغ الله تعالى العبد بحسن الظن به وقوة الامل والطمع فيه جميع ما ذكرناه بعد ان يكون حسن اليقين وقد يعطيه مقام الصديقين بخلق من أخلاقه اذا تخلقه به وربما بلغه منازل الشهداء بشئ واحد يتركه له أو شئ يؤثره به لانه غفور شكور وأضر شئ على العبد قلة معرفته به فلربما كان العبد على تسع كبائر فيترك العاشرة لوجه الله

تعالى

لو رجع عن غيره لفضول الى غير أفضل منه فهو تائب وعلى هذا النحو توبة الانبياء واستغفارهم عليهم الصلاة والسلام وذلك لما ينتقلون اليه من الدرجات ويرقون فيه من المقامات فيكون رجوعهم عن الفضول الى أفضل منه توبة وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي فاستغفر الله فى اليوم والليلة سبعين مرة والاسباب المسهلة للتوبة منها المعرفة بشدة الوعيد على الذنوب وحسن الوعد لمن تاب وأقلع ومنها معرفة تعظيم المخالفة وعظم قدر الآمر والناهى وهى تنقسم الى واجب ومندوب فالتوبة الواجبة تكون عن المحرمات والتوبة المندوبة تكون عن المكروهات وعن فعل ما تركه أولى أما ما يتاب عنه فهو الافعال وهى تنقسم الى أفعال القلوب وأفعال الجوارح الظاهرة وكل واحد منها ينقسم الى واجب ومندوب فاما الواجب من أفعال القلوب فهى التوبة على العزم على فعل المحرمات أو ترك الواجبات أو العقد والتصميم على معتقد لا يليق بخالق البريات أو برسله عليهم السلام وأما أفعال الجوارح فكثيرة لا تحصر واعلم ان التوبة من ترك الواجبات وكذا التوبة من مظالم العباد وأخذ حقوقهم لابد فيها من الشروط السابقة من الخروج عن تلك الحقوق لمستحقها فلابد من قضاء الصلاة المتروكة وقضاء الصوم المتروك والا فلا تصح التوبة وكذلك

تعالى

تعالى فتكون تلك الحصلة ذرة الى جنب تسعة أجبل فينظر الله تعالى اليه بوجهه لوجهه الذى تركه له نظرة فتمحو تلك النظرة الجبال التسعة فتصير هباء منثورا ورب ما حسن الله تعالى وصفا واحدا من العبد يصفه به فيحبط عنه مائة وصف قبيح يصفه الناس به فتدبروا فلا ييأس عبد من فضل مولاه ولا يقطعن من حبله رجاءه بعد اذ عرفه فان السيد كريم رحيم ولا ينقطعن عبد عن بابه وان يقطع بخلافه ولا يبعدن عن فنائه وان بعد باوصافه ولا يستوحش من التقرب اليه بما يحب بعد ما توحش وتفحش لديه بما يكره فهكذا يحب الله تعالى من عباده فتبينوا ونحو هذا يحب الله تعالى منهم ان يعرفوا فيفعلوا بعد المعرفة فان المعروف مفرط الكرم واسع الرحمة فاضل الفضل فان أعطى المعرفة لم يمنع شيأ ولا يضر ما منع وان منع المعرفة لم يعط شيأ ولم ينفع منه ما أعطى وقد تلتبس الحجاب فتدخل محبة النعم فى محبة المنعم وتدخل محبة النفس على محبة الخالق ويشتبه ذلك عند عموم المحبين ممن لم يكشف له عين اليقين فيكون العبد محبا للنعم وهو يظن بوهمه انه محب للمنعم ويكون محبا لنفسه ويحسب انه محب لمولاه وعلامة ذلك سكونه الى الاشياء وفرحه بالموجودات ووجد راحته ولذته فى هواه فربما اختار الله تعالى ان يكشف له حاله قبل موته وربما ستر عليه حاله ولم يفضحه حتى يلقاه فيثيبه ثواب مثله وجزاءه وليس يظهر فرقان هذا الا فى قلب موقن مراد بنور ثاقب وعلم نافذ ويقين صاف من عين التوحيد وشاهد القيومية لانه من باب مشاهدة الصفات الغيبية ومشاهدة الافعال الملكوتية وهو الفرقان الذى وعده الله تعالى المتقين من المؤمنين فقال يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا قيل نورا تفرقون به بين الشبهات وهو المخرج الذى ضمنه الله تعالى لاهل التقوى والمنهج فى قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا قيل من كل أمر ضاق على الناس به فتفصيل معانى التوحيد من شواهد الناظرين أضيق الضيق وشهادة الجمع فى التفرقة والبقاء فى الفناء أخفى الخفى وشرح غريب عن الاسماع ينكرا كثيرا كثير من سمعه غير أن من له نصيب منه يشهد ما رمزناه فيكشف له به ما غطيناه الا انه استولى على القلب أحد وجهين فالخصوص أحبوه من طريق مشاهدة الصفات فحب هؤلاء بقاب ووجد لا يتغير أبدا وهم مثبتون فيه الى لقاء الحبيب وهؤلاء عبدوه على التعظيم والمحبة والاجلال والكبرياء وفى هؤلاء المقربون والمحبوبون والخائفون والعاملون والمتوكلون والراضون وهو المقام الاعلى وهم الاعلون عنده فى المنتهى والعموم احبوه من طريق مواجيد الافعال وهى النعم والاحسان والايادى والافضال وعما ظهر من العوافى ومما أخبر عنه بما اسر وهم الذين خدموه شهوة وعادة وحاجة احبوه لمنافعه ومرافقه ولاجل ما فى يده من ملكه وحب هؤلاء يتغير لانقلاب الاحكام وهؤلاء لم يتحققوا بالاخلاص ولا الزهد وقد بقى عليهم من نفوسهم هوى حجبهم ذلك عن مخالصته وبعدهم عن مضافاته وهذه هى أوصافهم عائدة لهم وعليهم فحب هؤلاء حول قلب لان الافعال التى احبوه لاجلها تحول فيحولون وتختلف عليهم بالمكاره والمرائر فيختلفون وفى هؤلاء المريدون والعاملون والراجون والطامعون والتائبون وأصحاب اليمين من هؤلاء وقد قال بعض العارفين كل محبة كانت عن عوض اذا زال العوض زالت المحبة فمنهم من عرف حاله فى مقامه فاعترف بنقصان محبته وتقصير شهادته واستغفر منها وأناب ومنهم من لبس عليه ذلك لنقصان مزيده وضعف يقينه فكانت محبته عن صفات متصلة بذات ويخاف على مثل هذا الانقلاب عند كشف الغطاء لانه فى اغترار وفتنة والتباس ومحنة وفى طريق مكر وهلكة الا ان تداركه رحمة من ربه فيوقف فى حده فى مقامه ويرده الى حاله من مكانه فيتوب من محبته ويستغفر من شهادته فحينئذ يرحمه الله تعالى فيدخله فى أهل العفو ويستر عليه فى الآخرة كما ستر عليه فى الدنيا فلقيه تحت الستر فى الدارين وهذه بعض مخاوف الصادقين من المحبين لانها محبة اظهار لا ظهور وفصاحتها فى تقلب وغرور الا ان أهل محبة الافعال ينقسمون قسمين منهم من أحبه لاجل افعاله الا ان يشهدها منه فيراه فيها فهو يتبصر له ويتعمل فى المجاهدة ويجتهد فى تنقية محابه لبقاء حاله فهذا أعلاهما وهذه محبة عموم أهل الآخرة الذين لا يشهدون سواها ولا

لابد من رد حقوق الآدمى اليه وكذلك من شرب الخمر ثم تاب وهو فى باطنه لا تصح توبته حتى يتقايا ما فى بطنه منها

*(فصل) بعد التوبة يأخذ السالك فى العبادة ويلزم العبودية والعبودية هى القيام بحقوق الطاعات كلها قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وقال تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعلى سالك طريق الله تعالى الثبات والصبر فى سلوك هذه الطريق فمن لم يصبر لم يظفر ولم يؤت السالكون من قلة العمل وانما أوتوا من قلة الصبر قال بعض السادة ما رجع من رجع الا من الطريق لو وصلوا ما رجعوا وقد عز فى زماننا هذا القائمون بالعبودية والباذلون حقوق الربوبية قال بعضهم عبيد النعم كثيرون وعبيد المنعم عزيزون ويحكى ان بعض الزهاد رأى رجلا أعجميا فقال له ما حرفتك فقال الرجل خربنداه ومعناه بالعربية خادم الحمار فقال له ذلك الزاهد أمات الله حمارك لتكون خادما لله تعالى لا خادما للحمار ولا تحقيق للعبودية الا بالعبادة والعبادة زينة العبد وكماله فمن تركها فقد تعطل من الزينة والكمال ولا تتم العبودية الا بالعبادة على وجه الاخلاص لله تعالى لا يشوبها شائبة ولهذا لما أتى ذلك الاعرابى من البادية ليتوب فقال أتوب الى الله لا الى محمد فقال

يطالبون الا اياها ومنهم من تتغير عليه الافعال وتخرجه من الاعتياد ويتابع عليه البلاء وينقصه من العوافي في المال والنفس فيخرج صفته ويظهر منه تسخطه وتبرمه به فهذا قد افتضح بدعوى المحبة وقد كشفه بعد ستره فلم يزن في المحبين حبة وهذه محبة أهل الدنيا الذين هم لها يكدحون واياها يطلبون وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن المحبة فقال الناس في محبة الله خاص وعام فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه وكثرة نعمه فلم يتمالكوا ان أرضوه الا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والاحسان فاما الخاصة فنالوا المحبة بعظيم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى لم يمتنعوا ان أحبوه اذ استحق عندهم المحبة بذلك لانه أهل لها ولو زال عنهم جميع النعم ومن الناس من يكون محبا لهواه أو لعدو الله ابليس وهو يدعي لعظيم جهله وطول غرته المحبة لله تعالى قال بعض علمائنا عوتب أبو محمد في قوله لكل احد يا دوست قال وقلت له قد لا يكون حبيبا كما تقول فقال في اذني سرا لا يخلو اما ان يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وان كان منافقا فهو حبيب ابليس ومن محبة الهوى ايثار عاجل حظ النفس على آجل ما وعدت به ويقدم محبتها على محبة الله عز وجل وهي مطبوعة على محبة الهوى وكراهة الحق امارة بالسوء فيما تسر كذابة فيما تظهر من الخير قال الله سبحانه وتعالى وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم فقرن محبتها بالشر وقرن كراهتها بالخير والعرب تسمي النفس كذبة أي التي يكثر منها الكذب يصفونها بالمبالغة فيه على معنى قوله ويل لكل همزة لمزة أي الذي يكثر همز الناس ولمزهم وكذلك وصفها الله تعالى بالمبالغة بالامر بالسوء فقال امارة بالسوء أي فعاله التي يكثر منها الامر ويتكرر مرة بعد مرة من وصفها الفعل ومن محبة العدو طاعته وموافقته لان فيها كراهة الله تعالى ومخالفته وهو مجبول على ضد ما يحب الله تعالى وانه تعالى يحب ضد ما جعله عليه وذلك ابتلاء من الله تعالى له وابتلاء منه به لنا واعلم ان قليل ما أعطاك الله عز وجل من الايمان به وصحة التوحيد له ويسير ما قسم الله تعالى لك من الاخلاص والصدق وحسن المعاملة خير لك وانفع من كثير ما اظهر لك وعرفك وانما لك مما رأيته ما طلبته ونلته بيدك وما ملكته وساطت عليه من منازلتك فاما ما لم تطلبه ولم تنله فهو لغيرك لانك قد ترى السماء ولا تنالها فهي أرض لمن سخرت له وترى ما جعل لغيرك فلا ينفعك ولا يغني عنك وهو نافع مغن لمن سلط عليه فاسكه ومن الناس من يتوهم ان الاظهار هبة له وان ما رآه وعرفه ملكه وحازه وتحقق به واعلم ان ألف خاطر لا يجيء منها حال وألف حال يكون منها مقام والمقام انما هو ما ثبت ودام فمثل الخواطر في مرها كالسحاب في سيرها وقيل في المثل سحابة صيف عن قليل تقشع ومثل الاحوال في حلولها كمثل الازمنة في أحوالها في كل سنة أربعة مشتا ومصيف ومربع وخريف وانما الهبة من الله تعالى ما وقر في القلوب من المشاهدات وما حققته الاعمال من المنازلات فيورث ذلك علما خاصيا أو خلقا مرضيا أو حالا سنيا أو وصفا زكيا من أخلاق الصالحين وسيما المتقين وعلوم العارفين وملاحظات المقربين ولا يصلح الكلام بهذا العلم الا لمن له مشاهدة منه ان كان من علوم القدرة والتوحيد أو منازلة لمن كان له من مواريث الاعمال وعن تنقل الاحوال وعن زهد في الدنيا وسعي في طلب الاخرى ان كان من علم الوعظ والندب الى الفضل فذلك كله بعد التوبة ومع حال الاستقامة وعن كمال علم السنة والجماعة بعد معرفة بعلم الاصول والسنن من آثار الرسول والا كان متكلفا وفي الدعوى داخلا الا ان يحكي شيأ سمعه ويكون به لقائله محبا كي لا تضيف حاله الى صاحبه فيكون عنه راويا فاما التحلي وهو اللبس الظاهر والتصنع المتعمل بالاشارة الفارهة فهو من حلية الدنيا وزينة الهوى وكذلك التمني وهو ما يظنه العقل أو توهمته النفس وقدره الوهم أو من وسوسة العدو الخناس لعنه الله تعالى فليس هذا كله من الايمان ولا من علم اليقين في شيء بل هو من همزات الشياطين وخطراتهم وقرب محضرهم لان هذا داء القلوب من أدواء الذنوب

النبي صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله واعلم ان المريد يبتدئ بالعلم بامور منها اليقظة وهي النهوض من ورطة الفترة وقد تقدم الكلام عليها ونور اليقظة أول نور يدخل القلب بعد نور الايمان والعلم فاذا قام العبد لله بالمبادرة الى حفظ حدود الشريعة والتزم أوامر الله وانخلع عن نواهيه فقد قام لله تعالى وتيقظ من نوم الغفلة ومنها الفرار المستفاد من قوله تعالى ففروا الى الله والفرار على أقسام فرار أهل المبادي وهؤلاء فروا الى الايمان بالله وبتوحيده وافراده بالربوبية وخلع الاضداد والانداد والشركاء وتصديق أنبيائه ورسله وهؤلاء فروا من الكفر الى الايمان والقسم الثاني فرار الصالحين فروا من الجهل الى العلم ومن المعصية الى الطاعة ومن الكسل الى الاجتهاد رجاء الفوز عند الله والقسم الثالث فرار المقربين وهو فرار القلب عن كل ما سوى الله تعالى الا اليه ومنها التفكر والتذكر وقد قدمنا الكلام عليهما ومنها الاعتصام قال الله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا واشار بالاعتصام الى المحافظة على طاعة الله تعالى والوقوف عند أوامره وزواجره فلا يرى غيره أصلا ولا يلتفت الى ما سواه حتى يستوي عنده الاسد والسنور ولما جاء ذلك الاعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في شجر العضاه ليقيل تحتها فسل السيف وأتاه وقال من يمنعك مني يا محمد قال

وقد

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تطبب ولم يعلم الطب فقتل فهو ضامن فالمتكلم للناس بقتلهم يكون قاتلا والاظهار الذى يقع به الاغترار أكثر من ان يحصى والظهور الذى يحق به الحقيقة أعز من ان يرى والله تعالى يظهر من خزائن ملكه ماشاء على الالسنة والجوارح فهى من خزائن الارض فيها من التدبير والحكمة كما فى ملك الارض وعلوم هذه الخزائن هى العلوم الظاهرة وهى حجج الله تعالى فى أرضه على عباده ويظهر من خزائن ملكوته مايحب وهى القلوب والبصائر والكنوز والذخائر فهذه خزائن الملكوت وهى من خزائن السماء وفيها من القدر والآيات كما فى السموات وعلوم هذه الخزائن من علم اليقين وهو العلم الباطن النافع يخص به من يحب وهم أولياؤه المقربون ان الحكم الا لله ولا يشرك فى حكمه أحدا يختص برحمته من يشاء ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وهذا آخر شرح مقام المحبة وهو آخر شرح مقامات اليقين التسعة

(الفصل الثالث والثلاثون فى ذكر دعائم الاسلام الخمس التى بنى عليها) أول ذلك فرض شهادة التوحيد للمؤمنين ووصف فضائلها وهى شهادة المقربين وشهادة الرسول صلى الله عليه وسلم وفضلها للمؤمنين قال الله تعالى وصدقت أنبياؤه لرسوله صلى الله عليه وسلم فاعلم انه لا اله الا هو واستغفر لذنبك وقال لعباده يأمرهم بمثل ذلك فاعلموا انما أنزل بعلم الله وان لا اله الا هو ففرض التوحيد هو اعتقاد القلب ان الله تعالى واحد لامن عدد واول لا ثانى له موجود لاشك فيه وحاضر لا يغيب وعالم لا يجهل قادر لا يعجز حى لا يموت قيوم لا يغفل حليم لا يسفه سميع بصير ملك لا يزول ملكه قديم بغير وقت آخر بغير حد كائن لم يزل ولا تزال الكينونة صفته لم يحدثها لنفسه دائم أبد الابد لانهاية لدوامه والديمومة وصفه غير محدثها لنفسه لابداية لكونه ولا أولية لقدمه ولا غاية لابديته آخر فى أوليته أول فى آخريته وان أسماءه وصفاته وأنواره غير مخلوقة له ولا منفصلة عنه وانه امام كل شئ وو راء كل شئ وفوق كل شئ ومع كل شئ وأقرب الى كل شئ من نفس الشئ وانه مع ذلك غير محل للاشياء وان الاشياء ليست محلا له وانه على العرش استوى كيف شاء بلا تكييف ولا تشبيه وانه بكل شئ عليم وعلى كل شئ قدير وبكل شئ محيط الجو وجه والفضاء من ورائه والهواء وجه والمكان من ورائه والحول وجه والبعد من ورائه وهذه كلها حجب مخلوقات من وراء الارضين والسموات متصلات بالاجرام اللطاف ومنفصلات عن الاجسام الكثاف وهى أماكن لما شاء داخلة فى قوله ومن كل شئ خلقنا زوجين داخلة فى قوله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ماشئت من شئ بعد وانه جل جلاله وعظم شانه هو ذات منفرد بنفسه متوحد بأوصافه لا يمتزج ولا يزدوج الى شئ بائن من جميع خلقه لا يحل الاجسام ولا تحله الاعراض ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه من ذاته شئ ليس فى الخلق الا الخلق ولا فى الذات الا الخالق فتبارك الله أحسن الخالقين وانه تعالى ذو اسماء وصفات وقدرة وعظمة وكلام ومشيئة وأنوار كلها غير مخلوقة ولا محدثة بل لم يزل قائما موجودا بجميع اسمائه وصفاته وكلامه وأنواره وارادته وانه ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت له الخلق والامر والسلطان والقهر يحكم بأمره فى خلقه وملكه ماشاء كيف شاء لامعقب لحكمه ولا مشيئة لعبد دون مشيئته ان شاء شيأ كان ولا يكون الا ماشاء لا حول للعبد عن معصيته الا برحمته ولا قوة لعبد على طاعته الا بمعيته وهو واحد فى جميع ذلك لا شريك له ولا معين فى شئ من ذلك ولا يلزمه اثبات الوعيد بل المشيئة اليه فى العفو ولا يجب عليه فى الاحكام ما أجرى علينا ولا يختبر بالافعال ولا يشار بالمقال حكيم عادل بحكمة وعدل هما صفتاه لا يشبه حكمته بحكمة خلقه ولا يقاس عدله بعدل عباده ولا يلزمه من الاحكام ما ألزمهم ولا يعود عليه من الاسماء المذمومة كما يعود عليهم قد جاوز العقول وفات الافهام والاوهام والعقول هو كما وصف نفسه وفوق ماوصفه خلقه نصفه بما ثبت به الرواية وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليس كمثله شئ فى كل شئ باثبات الاسماء والصفات ونفى التمثيل والادوات وانه سبحانه وتعالى لم يزل موجودا

ومنها التبتل قال الله تعالى وتبتل اليه تبتيلا والتبتل هو الانقطاع الى الله تعالى بالكلية وهو التجرد المحض المشار اليه بقوله تعالى له دعوة الحق فينقطع بقلبه الى الله تعالى عن جميع حظوظ نفسه فلو انقطع الى الله تعالى خوفا من العقاب أو رجاء الثواب كان تبتلا معلولا واعلم ان التوبة على ثلاثة أنواع حسب تنوع الخلق فالاول التوبة والثانى الانابة والثالث الاوبة فمن خاف من العقوبة فهو صاحب توبة ومن طمع فى الثواب والدرجات فهو صاحب انابة ومن طلب مرضاة الآمر لارغبة فى الثواب ولا رهبة من العقاب فهو صاحب أوبة فالتوبة للمؤمنين والانابة صفة الاولياء والصديقين والمقربين قال الله تعالى من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والاوبة صفة الانبياء والمرسلين قال الله تعالى نعم العبد انه أواب

(فصل) قال السادة الائمة العلماء بطريق الله تعالى التوبة تنتظم من ثلاثة مرتبة الاول منها يوجب الثانى والثانى يوجب الثالث فالاول هو العلم بعظم الذنب وكونه حجابا بين العبد وبين الله تعالى فاذا عرف العبد عظم ذنبه وانه حجاب عن الله تعالى تألم منه تألم القلب بسبب حجبه عن الله تعالى وهذا الالم هو الندم وعلامته

بصفاته كما لم تزل له وان صفاته قائمة به لم تزل كذلك ولا تزال بلا نهاية ولا غاية ولا تكييف ولا تشبيه ولا تثنية بل بتوحيد هو متوحد به وتفرد به هو منفرد به لا يجرى عليه القياس ولا يمثل بالناس ولا ينعت بجنس ولا يلمس بحس ولا بجنس من شئ ولا يزدوج الى شئ وان ما سوى أسمائه وصفاته وأنواره وكلامه من الملك والملكوت محدث كله ومظهر كان بعد ان لم يكن ولم يكن قديما ولا أولا بل كان باوقات محدثة وأزمان مؤقتة والله تعالى هو الازلى الذى لم يزل الابدى الذى لم يحل القيوم بقيومية هى صفته الديموم بديمومية هى نعته أول بلا أول ولا عن أول آخر لا الى آخر بكينونة هى حقيقته أحد صمد لم يلد و بمعناه لم يولد ومعنى ذلك لم يتولد هو من شئ ولم يتولد منه شئ ومثل ذلك لم يخلق من ذاته شئ كما لم تخلق ذاته من شئ سبحانه وتعالى عما يقول الملحدون من ذلك علوا كبيرا * ذكر فرض شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى الكبير المتعال واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقال عز وجل من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله ففرض شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم ان تشهد أن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء لا نبى بعده وكتابه خاتم الكتب لا كتاب بعده وهو مهيمن على كل كتاب ومصدق لما سلف من الكتب قبله وان شريعته ناسخة للشرائع قاضية عليها الا ما أقره كتابه ووافقه وكتابه شاهد على الكتب وحاكم عليها وانه هو الذى بشر به عيسى عليه السلام امته وهو الذى أخبر به موسى عليه السلام أمته وهو المذكور فى التوراة والانجيل وسائر كتب الله عز وجل المنزلة وهو الذى أخذ الله ميثاق النبيين أن يؤمنوا به و ينصروه ولو أدركوه فاقروا بذلك وشهد الله تعالى على شهادتهم وهو الذى أخذت الانبياء شهادة الامم على الايمان به وأمرتهم بتصديقه وأخبرتهم بظهوره وان موسى وعيسى عليهما السلام لو أدركاه لزمهما الدخول فى شريعته وان بقية بنى اسرائيل من اليهود والنصارى كفرة بالله لجحودهم رسالته وان ايمانهم بكتابه مفترض عليهم مأمور به فى كتبهم وعلى ألسنة رسلهم وان طاعته ومحبته فريضة واجبة على الكافة كطاعة الله تعالى واتباع أمره واجتناب نهيه مفترضة على الامة ايجابا أوجبه الله تعالى له وفرضا افترضه على خلقه متصل بفرائضه * ذكر فضائل شهادة الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لا يؤمن عبد حتى أكون أحب اليه من أهله وماله والناس أجمعين وقال صلى الله عليه وسلم لو أدركنى موسى وعيسى ما وسعهما الا اتباعى وروينا فى لفظ آخر لم يؤمنا بى لاكبهما الله فى النار وحدثونا فى الاسرائيليات ان رجلا عصى الله تعالى مائتى سنة فى كما يتمرد و يجترئ على الله فلما مات أخذ بنو اسرائيل برجله وألقوه على مزبلة فأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام ان غسله وكفنه وصل عليه فى جميع بنى اسرائيل ففعل ما أمر به فعجب بنو اسرائيل من ذلك وأخبروه انه لم يكن فى بنى اسرائيل أعتى على الله ولا أكثر معاصى منه فقال قد علمت ولكن الله تعالى أمرنى بذلك قالوا فاسأل لنا ربك فسأل موسى عليه السلام ربه فقال يارب قد علمت ما قالوا فأوحى الله تعالى اليه ان صدقوا انه عصانى مائتى سنة الا انه يوما من الايام فتح التوراة فنظر الى اسم حبيبى محمد مكتوبا فقبله ووضعه على عينيه فشكرت له ذلك فغفرت له ذنوب مائتى سنة وحدثنا فى معناه عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مؤاخيا لابى لهب مصافيا له فلما مات وأخبر الله تعالى عنه بما أخبر حزنت عليه وأهمنى أمره فسألت الله تعالى عليه حولا أن يرينى اياه فى المنام قال فرأيته يلتهب نارا فسألته عن حاله فقال صرت الى النار فى العذاب لا يخفف عنى ولا يروح الا ليلة الاثنين فى كل الليالى والايام فانه يرفع عنى العذاب قلت وكيف ذلك قال ولد فى تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءتنى اميمة فبشرتنى بولادة آمنة اياه ففرحت بولده فاعتقت وليدة لى فرحا منى به فاثابنى الله تعالى بذلك ان رفع عنى العذاب فى كل ليلة اثنين لذلك وقال الله تعالى فى تحقيق المحبة يحبون من هاجر اليهم ثم قال تعالى و يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فمن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم

هو الحسرة والحزن فاذا غلب هذا الالم على القلب واستولى عليه ثار منه ارادة وعزم على ترك الذنوب الى آخر العمر وتلافى منه فى الماضى بفعل الخير والقضاء ان كان قابلا للقضاء وهذه الامور الثلاثة من أجزاء التوبة وقد قدمنا الكلام عليها فى هذا الباب فان قيل الندم هو تألم القلب وتألم القلب هو أمر ضرورى لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب قلنا نريد بالسبب السبب البعيد وهو سبب العلم الذى هو النظر فانه مقدور هذا هو الحق عند أهل البصائر واعلم ان مثارات الذنوب والمعاصى أربع صفات فى الانسان صفة جبروتية وصفة بهيمية وصفة سبعية وصفة شيطانية فالصفة الجبروتية يثور منها الكبر والعجب والفخر وحب الثناء والمدح والعز وطلب الاستعلاء على الناس وعن هذا يتشعب جملة من كبائر الذنوب والمعاصى وغفل الخلق عنها ولم يعدوها ذنوبا والصفة البهيمية يثور منها الشره والكلب والحرص على قضاء الشهوة شهوة البطن والفرج والزنا واللواط والحرص على قضاء الشهوة لاجل الشهوات والصفة السبعية يثور منها الغضب والحقد والتهجم على الناس بالشتم والقتل والضرب ونهب الاموال واستهلاكها والصفة الشيطانية يثور منها الحسد والبغى والحيلة والخداع والمكر والغش والنفاق والامر بالفساد والدعوة الى البدع

ايثار

ايثار سنته على الرأى والمعقول ونصرته بالمال والنفس والقول وعلامة محبته اتباعه ظاهرا وباطنا ففى اتباع ظاهره اداء الفرائض واجتناب المحارم والتخلق باخلاقه والتادب بشمائله وآدابه والاقتفاء لآثاره والتجسس عن اخباره والزهد فى الدنيا والاعراض عن ابنائها ومجانبة أهل الغفلة والهوى والترك للتكاثر والتفاخر من الدنيا والاقبال على أعمال الآخرة والتقرب من أهلها والحب للفقراء والتحبب اليهم وتقريبهم وكثرة مجالستهم واعتقاد تفضيلهم على أبناء الدنيا ثم الحب فى الله للبعيد المبغض وهم العلماء والعباد والزهاد والبغض فى الله للقريب المحب وهم الظلمة المبتدعة والفسقة المعلنة ومن اتباع حاله فى الباطن مقامات اليقين ومشاهدات علوم الايمان مثل الخوف والرضا والشكر والحياء والتسليم والتوكل والشوق والمحبة وافراغ القلب لله وافراد الهم بالله ووجود الطمانينة بذكر الله فهذه معاملات الخصوص وبعض معانى باطن الرسول وهو من اتباعه ظاهرا او باطنا فمن تحقق بذلك فله من الآية نصيب موفور أعنى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله وقد كان سهل يقول علامة الحب لله اتباع الرسول وعلامة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا وقال أيضا فى تفسير قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم قال يطع الله فى فرائضه والرسول فى الدخول فى سنته فاذا اجتنب العبد البدع وتخلق باخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فقد اتبعه وقد أحب الله تعالى وكان معه صلى الله عليه وسلم غدا وافقا فى منزلته

* ذكر فضائل شهادة التوحيد ووصف توحيد الموقنين قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط وقال سبحانه وتعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون فشهادة الموقن بيقينه ان الله تعالى هو الاول فى كل شئ وأقرب من كل شئ وهو المعطى المانع الهادى المضل لا معطى ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله كما لا اله الا الله وقرب الله منه ونظره اليه وقدرته عليه وحيطته به فيسبق نظره وهمه الى الله عز وجل قبل كل شئ ويذكره فى كل شئ ويخلو قلبه من كل شئ ويرجع اليه فى كل شئ ويتأله اليه دون كل شئ ويعلم ان الله عز وجل أقرب الى القلب من وريده وأقرب الى الروح من حياته وأقرب الى البصر من نظره وأقرب الى اللسان من ريقه بقرب هو وصفه لا بتقريب ولا بتقرب وانه تعالى على العرش فى ذلك كله وانه رفيع الدرجات من الثرى كهو رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى ومن كل شئ كقربه من العرش وان العرش غير ملامس له بحس ولا مفكر فيه بوجس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط به بدرك لانه تعالى محتجب بقدرته عن جميع بريته ولا نسيب للعرش منه الا كنصيب موقن عالم به واجد بما أوجده من ان الله تعالى عليه وان العرش مطمئن به وان الله تعالى محيط بعرشه فوق كل شئ وفوق تحت كل شئ فهو فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لانه هو العلى الاعلى أين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحد بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان فالتحت للاسفل والفوق للاعلى وهو سبحانه فوق كل فوق وفوق كل تحت فى السمو هو فوق ملائكة الثرى كهو فوق ملائكة العرش والاماكن للممكنات ومكانه مشيئته ووجوده قدرته والعرش والثرى وما بينهما وحد للخلق الاسفل والاعلى بمنزلة خردلة فى قبضته وهو أعلى من ذلك ومحيط بجميع ذلك بحيطة هى صفته وسعة هى قدرته وعلوه وعظمته بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد فى دنوه ولا حس فى وجوده ولا مس فى شهوده ولا ادراك لحضوره ولا حيطة لحيطته وقد قال الله تعالى للكل يخافون ربهم من فوقهم وقال سبحانه سبح اسم ربك الاعلى وقال عز وجل الا انه بكل شئ محيط وان الله تعالى لا يحجبه شئ عن شئ ولا يبعد عليه شئ قرب من كل شئ بوصفه وهو القدرة والدرك والاشياء مبعدة بأوصافها وهو البعد والحجب فالبعد والابعاد حكم مشيئته والحدود والاقطار حجب بريته والمسافة والتلقاء مكانة لسواه والنواحى والجهات وضع للمحدثات والنهار والليل مسكن للمصرفات والبعد والفضاء مكان للمخلوقين والتوسعة والهواء محل للعالمين والاحكام والاقدار واقعة على خلقه وهو سبحانه وتعالى قد جاوز المقدار والاحكام وفات العقول والاوهام وسبق الاقدار واحتجب بعزه عن الافكار

والضلال وهذه الصفات هى جنود الشيطان وهى محارب العقل الذى هو من جند الله تعالى والقتال والتطارد بينهما قائم فى ساحة القلب والحرب بينهما سجال والله يؤيد بنصره من يشاء

(فصل) فيما يجب على التائب من الوظائف اعلم ان التوبة هى مبدأ طريق السير الى الله تعالى والسفر اليه فيجب على من أخذ فى هذا السير بعد التوبة الاستقامة فى طريق هذا السفر وذلك بالمحافظة على الطاعة واجتناب المعصية ويجب عليه تعلم الاحكام من علم الشريعة ويجب عليه محاسبة نفسه على الاعمال فينظر فى جميع أعماله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة ويعتبرهما عملا عملا فما كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فانه من أكمل نعم الله وما كان منها مخالفا تداركه بالتوبة والاستغفار وكذلك كان يفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه فان اخر التوبة اثم بتأخيرها عن كل وقت يمكنه ايقاعها فيه ومن لم يبادر الى التوبة وشغله التسويف والامل فيوشك ان يعاجله الموت ويفاجئه ويلقى الله تعالى بذنوبه وجرمه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثنى الله تعالى من الهدى والعلم كمثل رجل أتى قومه فقال انى رأيت الجيش بعينى وأنا النذير العريان فالنجاء النجاء فاطاعه من أطاعه من قومه وادلجوا وانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثلى ومثل من

لا يصوره الفكر ولا يملكه الوهم تحجب عن العقول تشبح ذاته ولم تحكم العقول بدرك صفاته اذ ليس كمثله شئ فيعرف بالتمثيل ولا له جنس فيقاس على التجنيس وهو الله في السموات وفي الارض ثم استوى على العرش وهو معكم أينما كنتم غير متصل بالخلق ولا مفارق وغير مماس الكون ولا متباعد بل متفرد بنفسه متحد بوصفه لا يزدوج الى شئ ولا يقترن به شئ هو أقرب من كل شئ بقرب هو وصفه وهو محيط بكل شئ بحيطة هي نعته وهو مع كل شئ وفوق كل شئ هو امام كل شئ وو راء كل شئ بعلو ودنوه وقربه فهو و راء الحول الذى هو وراء حملة العرش وهو أقرب من حبل الوريد الذى هو الروح وهو مع ذلك فوق كل شئ ومحيط بكل شئ وليس يحيط به شئ وليس هو تعالى في كل هذا مكانا لشئ ولا مكانا له شئ وليس كمثله في كل هذا شئ لا شريك له في ملكه ولا معين له في خلقه ولا نظير له من عباده ولا شبيه له في اتحاده وأول في آخريته بأوليته هي صفته وآخر في أوليته بآخريته هي نعته و باطن في ظهوره بباطنية هي قربه وظاهر في باطنيته بظهور هو علوه لم يزل كذلك أزلا ولا يزال كذلك أبدا لا يتوجه عليه التضاد ولا تجرى عليه الحوادث والآباد ولا ينتقص ولا يزاد هو على عرشه باختياره لنفسه فالعرش حد خلقه الاعلى وهو غير محدود بعرشه تعالى والعرش محتاج الى مكان والرب غير محتاج اليه كما كان الرحمن على العرش استوى الرحمن اسمه والاستواء نعته متصل بذاته والعرش خلقه منفصل عن صفاته ليس يضطر الى مكان يسعه ولا حامل يحمله ولا حيطة تجمعه ولا خلق يوجده هو حامل للعرش وللحملة بخفى لطفه وجامع للعرش وللحفظة بلطيف صنعه وموجد ما أحب لمن يحب من التجلي بمعالى أسمائه وصفاته بخفى لطفه ولطيف قربه لاختصاص رحمته وهو أظهر الكون من وراء الحول وهو ممكن للعرش ببسطه في توسعة الحول وهو محيط بالعرش والحول بالقدرة والطول لا يسعه غير مشيئته ولا يظهر الا في أنوار صفته ولا يوجد الا في سعة البسطة فاذا قبض أخفى ما أبدى واذا بسط أعاد ما أخفى وكذلك جعله في كل رسم كون وفعله بكل اسم مكان مما جل فظهر وبما دق فاستتر لا يسعه غير مشيئته بقربه ولا يعرف الا بشهوده ولا يرى الا بنوره هذا الاوليائه اليوم بالغيب في القلوب ولهم ذلك غدا في المشاهدة بالابصار ولا يعرف الا بمشيئته ان شاء وسعه أدنى شئ وان شاء لم يسعه كل شئ ان أراد عرفه كل شئ وان لم يرد لم يعرفه كل شئ ان أحب وجد عند كل شئ وان لم يحب لم يوجد بشئ وقد جاوز الحدود والمعيار وسبق القبل والاقدار ذو صفات لا تحصى ولا تتناهى ليس محبوسا في صورة ولا موقوفا بصفة ولا محكوما عليه بحكم ولا موجودا بلمس لا يتجلى بوصف مرتين ولا يظهر في صورة لاثنين ولا يرد منه بمعنى واحد كلمتان بل لكل تجل منه صورة ولكل عبد عند ظهوره له صفة وعن كل نظرة كلام و بكل كلمة افهام ولا نهاية لتجليه ولا غاية لاوصافه ولا نفاد لكلمه ولا انقطاع لافهامه ولا تكييف لمعانيه هذه اذ ليس في التوحيد كيف ولا للقدرة ماهية ولا يشبهه بهذه الاوصاف خلق اذ ليس للذات كفؤ اذا احتجب عن العيان والابصار رفع ذاته عن القلوب والافكار فلم يتخيله عقل ولم يصوره فكر لئلا يملكه الوهم فيكون مربوبا وهو رب ولا ينظر اليه بفكر فيكون مقهورا وهو قاهر لا يعقل بعقل لانه عاقل العقل ولا يدرك بحيطة وهو محيط بكل حيطة حتى يتجلى آخرا باحسانه كما تجلى أولا بحنانه فيشهد بحضوره وينظر بنوره وليس هذا السواه ولا يعرف بهذا الااياه وهذا منه لاوليائه اليوم بأنوار اليقين في القلوب وهو لهم منه غدا بمعاينة الابصار في دار الحبيب أبد الابد في الجنان يتجلى لهم بعظائم القدرة ولطائف الحنان و يكلمهم بما لا غاية له من لذيذ المعاني يتجلى بصفات الجلال و يظهر بمعاني الحسن والجمال و يبدو بلبس البهاء والكمال يجمع لهم بأول معنى من معانيه بما يوجدهم به من النعيم والسرور والفضل والحبور بكل نظرة أو كلمة أو قرب أو لطف أو عطف أو حنان أو احسان جميع ما فرقه من نعيم الجنان وينظر اذا أحب الى حبائبه اختيارا لانه يحجب الاشياء عليه في نظره اجبارا و يعرض عما شاء اختيارا الا تعترض المتفاوتات في نظره اضطرارا يعرض في نظره لكبرياء عزه و ينظر في اعراضه لطائف عطفه الملك في قبضته والخزائن في كلمته والكون في مشيئته والملكوت كله بيده والجبروت

والعظمة

أطاعني واتبع ماجئت به من الحق قال أهل البصائر من تمادى به الحال في تأخير التوبة من وقت الى وقت يخشى عليه ان يموت من غير توبة ومن بلغ خمسين سنة وما تاب فبعيد عليه ان يتوب وكثير من المخذولين المغرورين يتمادى بالمعصية و يقول أنا أطلب من الله التوبة وأتمنى على الله أن يتوب على وهذا المسكين يكره التوبة ويتمنى على الله تعالى الاماني

(فصل) وكان الامر بالتوبة واردا على أرباب المعاصي الظاهرة كالزنا والسرقة والقتل وشرب المسكر والكذب والغيبة والنميمة وظلم الناس الى غير ذلك من المعاصي بالجوارح الظاهرة فهو وارد أيضا على أصحاب المعاصي الباطنة وهم الذين رضوا بترك المعاصي الظاهرة كلها وطهروا جوارحهم منها وعملوا بالصالحات من الصوم والصلاة وقراءة القرآن والزكاة والحج والجهاد والعتق وعيادة المرضى وتشييع الجنائز وانكار المنكر ونصر المظلوم وجميع أعمال البر الظاهرة لكنهم ما وصلوا الى عبادة القلوب وهي عمل القلب بما يحل و يحرم من أفعالهم ولم يقبلوا على اصلاح أنفسهم ولم ينقوها من عيوبها الباطنة ولا حلوها بالصفات المحمودة التي بها سعادتها ورو حها وراحتها وريحانها فاذا جاءتهم نائبة أو حدث بهم أمر من أمور الدنيا ظهر منهما كان كامنا في قلبه من العيوب والمعاصي التي لم ينق قلبه منها فتراه كانه من الجهال الطغاة الذين لم يدينوا لله تعالى ولا عرفوا منهاج دينه ولا مكارم

والعظمة سبحات صفاته ووجود الاشياء لا يضطره الى النظر اليها ان أراد الاعراض عنها لانه مقتدر قهار وعدمها لا يضطره الى ان يراها السبوق علمه بها لانها معلوم علمه ذى الاخبار ولانه هو الجبار اذ الموجود والمعدوم يضطر غيره الى النظر لضعفه عن الامتناع والعدم يضطر سواه الى الفقد لعجزه عن الاختراع وهو تعالى مباين لسواه بعزه غير مماثل لغيره بقهره ولان المعدوم كالمحجوب وهو تعالى يرى المحجوب من الذرة من تحت الثرى من وراء السموات والارضين ولا يحجبن نفاذ نظره اليها ولا يمنعن قربه منها ولا يعجزن قدرته عليها ولا يجاوز دون حيطته بها اذ الحجب واقعة على الخلق غير متصلة بالخالق وبواطن الاشياء وغوامضها منكشفة للخالق وهو أيضا يشهد المآل والاواخر الى نهاية نهاياتها الى أبد أبدها كما يشهد ذلك اليوم أعنى من غد وبعد غد وما وراءه الى يوم القيامة وما فيها وهذا كله عدم لم يخلقه بعد لان علمه بذلك شهادته له لانه ليس بينه وبين علمه حجاب فهو يشهد الكون من أوله الى آخره من حيث علمه بعلمه ووصفه ومشاهدته هى نعته ولان كلامه بذلك يخبر بانه قد كان دليلا على شهوده المآب لانه شهد ما علم كما علم ما به تكلم فلم يتفاوت كلامه وعلمه ولم يختلف علمه وشهادته ومع ذلك كله فلا موجود فى الاولية ولا المشاهدة سواه ولا شريك له فى القدم ولا يقدم شاهد الاياه قوته كنه قدرته وقدرته دوام بقائه ونظره سعة علمه وعلمه مدى نظره يدرك الاشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه ما أدركه بهذه الصفة فصح بذلك انه نظر وعلم وتكلم لا يدخل الترتيب فى صفاته أعنى بقبل وبعد ولا يوصف بوقت وحد ولا يشبه بالتعقيب بقوته واحكامه أعنى بثم ولم واذا وحتى ولزم على ذلك انه يعلم بنظره و ينظر بعلمه فصارت الاوائل والاواخر لديه كشئ واحد وكانت صفاته كلها آحادا كاملات تامات غير محدودة للمحدودات ولا موقتة مرتبة للمرتبات الموقتات اذ لم يكن لها محدثات لانها قديمة بقدمه وكائنة موجودة بكونه ووجوده اذ الترتيب فى النعوت من وصف الخلق والادوات لكونها محدثة مظهرات بحدود وترتيب وأوقات والله تعالى ليس كمثله شئ فى كل الصفات فصفاته قديمة بقدمه وكائنة موجودة بكائنته ووجوده والافعال محدثة مظهرات بحدود وترتيب وأوقات بترتيب فلا موجود فى الاولية ولا المشاهدة سواه ولا شريك له فى القدم ولا قيوم له فى الابد والازل سواه قبل وجود الوقت والحدثان ليست صفاته ذوات جهات فيتوجه الى جهته فيدرك بصفة دون صفة ولا ذاته ذو ذات فيقبل على مكان دون مكان فيضطره الترتيب للمخلوقات ولا يدبر الامور بافكار فيشغله شان عن شان ولا يدخل عليه الاعتراض فيتغير عما كان ولا يخلق بآلة فيستعين بسواه ولا بجزء قدرة فيحتاج الى مباشرة بديه يخلق بيده اذا شاء وعن كلمته ان شاء وبارادته متى شاء وبمعانى صفاته كيف شاء لا يضطره التكوين الى الكلام وكلامه اليه كيف شاء كان خزائنه فى كلمه وقدرته فى مشيئته اذا تكلم أظهر وان شاء قدر ومتى أحب ظهر وباى قدرة شاء استتر هو عزيز فى قربه وقريب فى علوه حجب الذات بالصفات وحجب الصفات بالفعال كشف العلم بالارادة واظهر الارادة بالحركات وأخفى الصنع بالصنعة وأظهر الصنعة بالادوات هو باطن فى غيبه وظاهر بحكمه وقدرته غيب فى حكمته وحكمته شهادة ظاهرة بمكنوماته وهى مجارى قدرته وصنعه سر فى صنعته وهى علانية مشيئته ليس كمثله شئ فى كل صفة ولا كقوله فى ماهية وقدر و يناعن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كلة مجملة بالغة فى وصف التوحيد انه قال فى خطبته الحمد لله الذى لم يجعل السبيل الى معرفته الا بالعجز عن درك معرفته وروينا عن أحمد بن أبى الحوارى عن بعض علماء أهل المعرفة من أهل الشام انه قال رأى عز وجل خلقه قبل ان يخلقهم كما رآهم بعد ما خلقهم وروى عن أبى سليمان الدارانى ان قال أدخلهم الجنان قبل ان يطيعوه وأدخلهم النار قبل ان يعصوه وقال أيضا ان الله عز وجل أعز من ان يغضبه أفعال خلقه لكنه نظر الى قوم بعين الغضب قبل ان يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم باعمال أهل الغضب فاسكنهم دار الغضب وهو أكبر من ان يرضيه أفعال خلقه ولكنه نظر الى قوم بعين الرضا قبل ان يخلقهم

شر بعضه ان جاءت نائبة الغضب ظهر منه أمور لا تظهر الا من الفساد ومن الظلم والتجبر والاعتداء بالضرب والشتم واللعن واذا جاءت نائبة الذل كاد أن يشرك بالله تعالى و ينخلع عن دينه هونا من الذل واقامة لجاهه واذا جاءت نائبة الطمع فهو يسعى فى رضا المخلوقين و يسخط الخالق جل وعلا واذا وعظ فى ذلك قال أنا أفعل ذلك مداراة وكذب أو غلط فى ذلك فان هذا مداهنة لا مداراة لان المداراة تكون عن الدين واما لتحصيل الدنيا وحفظ الجاه بذهاب الدين فهى المداهنة ولو كان صادقا لكفاه الله تعالى واذا جاءت نوبة الرزق فكانه لم يسمع بوعد الله تعالى قط بالرزق ولم يثق بضمانه وكفالته فتراه مغتما محزونا قنطا أعمى عن سبيل الله تعالى واذا جاءت نائبة الرياسة فخاطبه الانسان بغير ما يريد من التعظيم أو قصر فى تعظيمه سمت نفسه وغضبت وولد ذلك فى قلبه البغض له والاحقاد عليه واذا جاءت نوبة الكلام فى العلم فناظره من هو دونه فى العلم أو نظيره وألزمه الحق تراه يظهر على وجهه من الغيظ والغضب ويكمن فى قلبه له من الحقد والعداوة والبغض و يبدو من لسانه من التنقيص والاستهزاء والسفه ما يفضى منه العجب وهو مع هذه الافعال التى تبدو منه راض بها منشرح لها لا يلوم نفسه عليها ولا يؤاخذ قلبه بتركها ولا يتفقده لازال التهامع فلة ذكر المعاد ونسيان ما هو قادم عليه فهو عند نفسه صاحب عبادة وصمت

فلما أظهرهم استعملهم بأعمال أهل الرضا فاسكنهم دار الرضا وقد روينا عن ابن عباس في قوله عز وجل هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا يعني كان في علم الله انه يكوّنه وكانه علق قوله لم يكن بقوله مذكورا والله تعالى يخبر بما يكون في الدنيا وبما يكون في القيامة وبما بعدها بلفظ أنه قد كان لاستواء ذلك في علمه آخرا كأول اذ لا ترتيب في العلم ولا حد ولا مسافة ولا بعد في القدرة وقد قال الله تعالى ومن أصدق من الله قيلا أعنده علم الغيب فهو يرى فنقصه بذلك وذمه وقال تعالى الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين أي ويرى تقلبك وبه انتصب التقلب بالعطف على القيام وجاء في التفسير تقلبك في الاصلاب الزاكية والارحام الطاهرة لم يتفق لك أبوان على سفاح قط كذلك روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في أصلاب الانبياء يقلبك بالتنقيل في صلب نبي بعد نبي حتى أخرجك من ذرية ورثة اسمعيل وقد روينا معنى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى في سمع الاصوات قبل الاشباح وخلقها قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها فاخبر انه سمع الاصوات في القدم في علمه قبل خلق المصوتين في الحديث فكيف لا يرى الكون عن آخره في القدم بعلمه قبل ظهورهم له متصورين بفعله وقد قال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والخلق والتصوير كانا بعد السجود لآدم فاخبر عنه أولا لشهوده له واستوائه في علمه اذ لا بد من كونه فاشبه قوله تعالى خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش والعرش قبل السموات والارض والاستواء صفته لم تزل به ثم أخبر عنه انه أخر الترتيب فالله سبحانه وتعالى عالم بالكون قبل الكون وناظر الى علمه لا حجاب بينه وبين معلومه وسامع لما شهده ومتكلم بما علم فقد سبق النظر والسمع والكلام الكون كله من حيث سبق العلم والقدرة والمشيئة فهو ناظر سامع متكلم بنفسه من حيث كان عالما مقتدرا مريدا بنفسه ثم أظهر الخلق عالما بعد عالم في وقت بعد وقت فجاؤا على نظره وسمعه وكلامه كما كانوا في علمه وقدرته ومشيئته بغير زيادة ذرة ولا نقصان خردلة ألا ترى انه بقدرته وعلمه يرى يوم القيامة وما فيها والآخرة وما يكون منها على حقيقة ما أخبر عنه لا يمنعه عدم الكون ولا يحجبه بعد التأخير كذلك كان يشهد ما قد كان اليوم في قدمه بعلمه به وبقدرته عليه وحيطته به لا يمنعه عدم كونه ولا يحجبه فقد ظهوره ولا يجوز أن يدرك سبحانه وتعالى اليوم مالم يكن ادركه في القدم كما لا يجوز أن يستفيد الآن علم مالم يكن علمه فيما لم يزل فيكون متكلما بما لم يشهده وهو معلومه منطوق في علمه أو يكون مستتر يدا بما أظهر حين ظهر وهو في قبضته وغيبه جل عن ذلك وصفه وعلا عن هذا جلاله وعزه لان نظره سعة علمه وعلمه حيطة نظره فهو ناظر الى ما علمه بوصفه لا يختلف عليه أوصافه فالكون موجود له بعلمه لسبق علمه به ولا بيان له في علمه ولا أثر له في وصفه ولا وجود للكون في وجود كينونته ولا قدم له في قدم أزليته ليس محلا للكون ولا هو حال فيه ولان أوليته سبقت الكون والمكان فليس لهما في قدمه قدم كما انه تعالى يشهد الآن ما يكون من العاقبة والمآل الى آخر الاحوال لا يختلف الاواخر والاول في صفاته ولا تتفاوت صفاته على ترتيبها من نظر وعلم لانها معلوم علمه وموجود ارادته فهو سبحانه وتعالى واجد الاشياء به لا بها وناظر اليها في علمه لا بوجودها لاقتداره عليها واحاطة علمه بها والكون معدوم لنفسه اذ لاشيء لانه سبحانه وتعالى خالق العدم كما هو خالق الوجود وليس للعدم قدم مع قدمه فيكون ثانيا معه ولا الكون كائن موجود بنفسه فيكون أولا مع أوليته جل الواحد المتحد بنفسه عن ثان معه في الازل أو شريك له في القدم ثم ظهرت الاشياء لنفوسها فظهر بعضها للبعض باظهاره فوجدت بايجاده وظهر عليها باظهاره بحدود وقت ولا أول لها ولا قبل بل هو الاول الذي لم يزل بلا أول والقديم الابد بلا وقت ولا أمد قائم بصفاته وصفاته موجودة له قائمة به فمن شهد ما فصلناه بنور اليقين لم يدخل عليه قدم العالم اذ لا قديم مع الله في كينونية أزله ومن لم يهتد بما بيناه ووقف مع العقل ودخلت عليه شبهة قدم العالم فالحدبرقية قدم الحدثان أوجد قدم

العلم

وصوم وصلاة والباطن خراب يقدم على ربه بهذه الذنوب الباطنة غير تائب منها لانه لم يتنبه لها فيبدو من الله تعالى مالم يكن في حسابه اذ كان مغرورا بظاهر أمره لم يصدقه باطنه

(فصل) تصح التوبة عن بعض الذنوب دون بعض عند قوم وقال آخرون لا تصح والحق انها تصح لانها تفيد تخفيف الاثم والذم والعقاب ولا تفيد بمعنى النجاة في القيامة وتوبة العنين والمجبوب من الزنا الذي فارقه قبل طريان الجب والعنة عليه غير مقبولة عند المحققين لان التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله انعدم بنفسه لا بتركه اياه

(فصل) والتائبون أقسام فمنهم من يتوب عن السيآت ومنهم من يتوب عن الغفلات ومنهم من يتوب من رؤية الحسنات والطاعات لان رياء العارفين اخلاص المريدين وهؤلاء يعتبر في التوبة عندهم قتل النفس بمنعها عن الشهوات واماتتها بترك حظوظها حتى من رؤية الطاعات وسائر أعمال البر فالائمة و يعرف كون الشخص تائبا بامور منها هجران اخوان السوء ورفقائه في المعصية ومنها ترك المواطن القبيحة ومنها مصاحبة أهل الخير والصلاح بدلا من اخوان السوء

(فصل) من الذنوب ما لا تكفره الا الهموم وورد بذلك الحديث وفي حديث عائشة رضي الله عنها اذا كثرت ذنوب

العلم ينفي وجود الحدث فيه وهذا شرك بالصفات بترتيبها اياها بالعقل ونحن برءون من شهادته مبطلون لدعواه منكرون لشركه في القدم موحدون باليقين ما الحد بالعقل لان من قال ان شيأ قديم مع الله تعالى أو موجود بنفسه لنفسه فقد أشرك في الصفات ومن قال ان الله سبحانه نظر بعد ان لم ينظر أو علم بعد ان لم يعلم أو تكلم بعد ان لم يتكلم فقد قال بحدوث الصفات وقدم عليها المعلومات بل المعلومات منطوية في العلم لا أثر لها فيه والله قديم بعلمه وواجد لمعلومه بنفسه عن علمه به لقدرته عليه بقهره وناظر اليه بعلمه لا بعدم معلومه والمعلوم معدوم لنفسه غير موجود بنفسه حتى أحدثه وأوجده فظهر حين أظهره لمن أظهره بعضا لبعض لا لنفسه اذ قد فرغ منه لعلمه به لا انه قرب له نظره كالم يحدث به علمه لنفسه وعلمه صفته لم يزل له وهو قائم بوصفه ولا يجوز ان يحدث له شيأ لم يعلمه كذلك لا ينبغي ان يفقد شيأ لم يجده ومن اختلف عليه ماذكرناه دخل عليه مذهب المعتزلة والجهمية لان المعتزلة مجمعة على اختلافهم ان الله تعالى لا يرى الشيء حتى يكون واختلفوا في العلم فقالت العبادية من القدرية وهم أصحاب عباد ان الله تعالى لا يرى الشيء حتى يكون يضاهون بذلك قول النظام وبشر المريسي في أن الله تعالى لا يرى الاشياء حتى تكون والجهمية مجمعة على اختلافهم ان الله تعالى لم يتكلم بالشيء حتى كان ثم خلق الكلام فقدموا الكون قبل كلامه كما قدمه أولئك قبل نظره وقال الجميع بحدوث النظر كما قالوا بحدوث الكلام والنظر لانهم قالوا بحدوث الاسماء بعد حدوث المسميات وتقدم الاستطاعة من الخلق على الارادة من الخالق فاستوى بذلك شركهم وخرجوا به من التوحيد كذلك كذبت العبادية من القدرية أصحاب عباد يضاهون قول النظامية والمريسية تشابهت قلوبهم فيتبعون ما تشابه منه والمعتزلة أيضا مجمعة على نفي العلم والقدرة والمشيئة الا أنهم يقولون عالم ولكن لا يضطر علمه الى شيء ولا يوجب شيأ جعلوه كالظن من الخلق فقالوا عالم بلا علم قديم وقادر بلا قدرة ومريد بلا ارادة سابقة وقدموا الاستطاعة من الخلق فقالوا ثلا يلزمهم سبق المعلومات وان الارادة والكلام من نعوت الافعال مخلوقات والجهمية أيضا مجمعة ان الله تعالى لا يتكلم بوصفه أصلا وانما يظهر في أديم الفضاء الكلام بخلق الاعراض في الاجسام فكان هذا عندهم هو التوحيد لئلا يثبتوا مع الله قدماء وهذا عند أهل السنة والجماعة هو الالحاد لنفي قدم الصفات والقول بحدوثها وانفصالها عن الذات وليس يختلف أهل اليقين بحمد الله تعالى في جميع ماذكرناه كما لا يختلفون في صحة التوحيد وهذه شهادة الموقنين وايمان المقربين فلا يتشبهن لك العقل بالمعقول عن شهود ماذكرناه فيعقلك عن النفاذ للشهادة فليس يشهد ماذكرناه من صفات الشهيد بنور العقل وانما يشهد بنور اليقين لان خالقا لا يشبه بمخلوق ومن ليس كمثله شيء لا يشهد الا بما ليس كمثله شيء وهو نور اليقين من نور القادر ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور وماذكرناه من وصفه تعالى هو ظاهر التوحيد المتصل بفرض الشهادة لا يجري على ترتيب المعقول ولا يمثل بقياس العقول لان نفي الصفات واثباتها بالمماثلات موجود في رأي العقول كان الكفر والضلال موجود في طبائع النفوس لعدم شهادة الابصار ولفقد وجود مشاهدة الالهية في تخيل الافكار ولجريان المعتاد والعرف في ظهور الاسباب كما حدثنا ان بعض الصديقين دعا الى الله سبحانه وتعالى بحقيقة التوحيد فلم يستجب له الا الواحد بعد الواحد فتعجب من ذلك فأوحى الله تبارك وتعالى اليه تريد أن تستجيب لك العقول قال نعم قال اجبني عنهم قال كيف أجيبك وأنا أدعو اليك قال تكلم في الاسباب وفي أسباب الاسباب قال فدعا الى الله تعالى من هذه الطرق فاستجاب له الجم الغفير فانما صحة التوحيد باثبات الصفات وأوصاف الذات التي جاءت بها السنن وشريعة الرسول صلى الله عليه وسلم مع نفي الشبه والماهية ونفي الجنس والكيفية ثم سكون القلب وطمأنينة العقد الى الايمان بهذا والتسليم له لاجل نور اليقين الموهوب لان هذا انما يشهد بنور اليقين وعلمه لا بعلم العقل ونوره لان خالقا لا يرى بمخلوق فالعقل مرآة الدنيا بنوره يشهد ما فيها والايمان مرآة الآخرة به ينظر اليها فيؤمن بما فيها والله

العبد ولم يكن له عمل يكفرها أدخل الله تعالى عليه الهموم فتكون كفارة لذنوبه ويقال ان الهم الذي يدخل القلب والعبد لا يعرف سببه هو ظلمة الذنوب والهم بها وانما كانت الهموم كفارة للذنوب لان الشيء يكفر ضده وقد كان حصل له سرور في قلبه بلذة المعاصي والشهوات فكانت الهموم والغموم جزاء على تلك الافراح

(فصل) ملخص من كلام الشيخ الامام الحبر ولي الله تعالى ابي اسحق الخواص قدس الله روحه نختم به هذا الباب في التوبة قال الشيخ ابراهيم وحقيقة التوبة في قلب التائب ان يبغض الذنب كما يحبه ويبكي منه كما اذ كره ويتركه كما كان يأخذه ويفزع من عارض الذنب اذا وقع به فهذا حد التوبة في القلب وفرضها ونفلها على الظاهر باللسان الاستغفار مما فات على صلاح ما هو آت وعلم القلب بفرض التوبة يلزمه حل الاصرار والندم على المعصية بالانصراف عنها وخوف التخلف عن القيام بفرض التوبة لما قدم من فرضها وخوف العقوبة عن التخلف يهيج خوف التخلف حتى يفرضها العبد على نفسه لقوله تعالى ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون قال الشيخ ابراهيم فكل توبة لا يرى لها علامة على الجوارح فما أسرع رجعتها والعلامة نقصان في الجسم وقلة الطمع وانسيال الدمع ودوام الفزع من الاخذ بالسطوة يصح ذلك قوله

تعالى اغيارى بنور اليقين وفى هذا النور مشاهدة الصفات وهو حقيقة الايمان وأعز ما نزل من السماء وهو السكينة المنزلة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا وانما يعرف صفات المؤمن معها بترك ضرب الاخبار بعضها ببعض ومعارضة بعضها ببعض أو ترتيب بعضها على بعض بل يؤمن بكل خبر ورد فى الصفات والقدرة على حد ما به كما يسلم جميعها على الجملة باسلامه والا أدى ذلك الى نفى بعضها أو ابطال جميعها لانا أخذنا الايمان بمنة الله تعالى ورحمته من قبل التصديق واليقين والنقل لا من قبل التقليد وحسن الظن والعقل وأربعة أشياء نسلم ولا نعارض اعتراضا أخبار الصفات وأصول العبادات وفضائل الاصحاب وفضائل الاعمال ولولا ان الله تعالى تولى قلوب المؤمنين فحبب الايمان اليها وزينه فيها وكره الكفر وشأنه عندها لتاهوا فى الظلمات وغرقوا فى بحار الهلكات لظهور الاغيار ومعاينة الاسباب ولغيب القدرة عن العيان ولما ابتلوا به من الحجب والاعيان ولكن الله تعالى سلم وحبب الايمان فى القلوب وزين وكره الكفر والعصيان وشين وكذلك مدح المؤمنين بالغيب المستور ومن ذلك سبق المقربون بشهادة النور فقال سبحانه وتعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور فلولا انهم كانوا فى ظلمة الطبع ما امتن عليهم من نور اليقين وكذلك جاء الخبر ان الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه اهتدى ومن أخطأه ضل وفى أحد المعانى من قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب قال يمحو الاسباب من قلوب الموحدين ويثبت نفسه ويمحو الوحدانية من قلوب الناظرين ويثبت الاسباب ولولا ان التوحيد لم يرسمه عارف قط فى كتاب ولا كشفه عالم فى خطاب لعجز علوم العموم عن درك شهادته ولسبق انكاره العقول لضعفها عن حل مكاشفته لذكرنا من ذلك ما يبهر العقول ويبهت ذوى المعقول ولكنا كرهنا ان نبتدع ما لم نسبق اليه أو نظهر ما يضطرب العقول بالحيرة فيه وخفنا من عدم النصيب مما نذكره فيعود على السامعين من نفعنا ضرورة وحقيقة علم التوحيد باطن المعرفة وهو سبق المعروف الى من به تعرف بصفة مخصوصة بحبيب مقرب مخصوص ولا يسع معرفة ذلك الكافة وافشاء سر الربوبية كفر * وقال بعض العارفين من صرح بالتوحيد وأفشى الوحدانية فقتله أفضل من احياء غيره وقال بعضهم للربوبية سر لو ظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف بطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهره الله تعالى لبطلت الاحكام فقوام الايمان واستقامة الشرع بكتم السر به وقع التدبير وعليه انتظام الامر والنهى والله غالب على أمره وفوق ذلك علم التوحيد والاسم منه وحدانى فالتوحيد وصفه وفوقه علم الاتحاد فالوصف منه متحد وفوقها علم الوحدانية والاسم منه واحد وفوق ذلك علم الاحدية والاسم منه أحد وهذه اسماء لها صفات وأوصاف لها أنوار وأنوار عنها علوم وعلوم لها مشاهدات بعضها فوق بعض وفوق كل ذى علم عليم ثم علم التوحيد أول هذه العلوم وعموم هذه المشاهدات وظاهر هذه الانوار وأقربها الى الخلق فالاسم منه موحد وههنا بان الخلق وظهر فهذا توحيده الذى وحده به الموحدون من جميع خليقته فعاد ذلك عليهم برحمته والمشاهدات الاول توحيد الرب تعالى نفسه بنفسه لنفسه قبل توحيد خلقه فتوحيدهم اياه عن توحيده فيما كتبناه عنه وأخطيناه فيما أظهرناه فهو محجوب فى خزائن الغيوب عن البصائر والفهوم قد جاوز علم الملكوت كله فهو من ورائها فى خزائن الجبروت وانما ذكرنا من ذلك قوت القلوب من علم التوحيد وما لابد للايمان منه من المزيد وقال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى العالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسع اظهاره الا لاهله وعلم هو سر بين الله وبين العالم هو حقيقة ايمانه لا يظهره لاهل الظاهر ولا لاهل الباطن وقال بعض السلف قبله ما من عالم يحدث قوما بعلم لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم *(شرح ثانى ما بنى الاسلام عليه من الخمس وهو الصلاة)* وأول ذلك وصف الطهارة أولها فرائض الاستنجاء وسننه وفرائض الوضوء وسننه وفضائله وفرائض الصلاة وسننها وأحكام المصلى فى وقت الصلاة وادراكها وما يتعلق بها وهيئات الصلاة وآداب المصلى

تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا (٩٠) فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم فالتائب الصادق لابد ان يتبين عليه آثار توبته لأن الخوف يحمله على طريق الاجتهاد والجد والخائف هارب مجد فى الهرب خوفا ان يدركه طالب فهو متوقع للعقوبة مع مجارى الانفاس فمن لم يخرج الى الله تعالى بالنزع من ذنوبه ولا ندم لخوفه والا فما تاب والخوف الكاذب ان يقول الرجل أنا أخاف من النار وهو يعمل عملا يقربه من النار قال الشيخ ابراهيم ولم يؤت التائبون من قلة الندم والاستغفار وانما أتوا من قلة الوفاء بالعهود المأخوذة فى الشريعة على التائبين ويقال ان الخاسر من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز الله تعالى بالقبيح وهو أقرب اليه من حبل الوريد ويقال ان من الاغترار بالله تعالى المقام على المعاصى والرجاء لثوابه وهذا هو رجاء المغترين وقد هلك فى ذلك خلق كثير لم ينظروا بعين الرحمة لانفسهم واستولى عليهم الغرور وعميت عليهم الانباء قال الشيخ ابراهيم وأول سبب الذنب خطرة فان تداركها صاحبها والا تولد منها الشهوة فان تداركها صاحبها بالمخالفة والمجاهدة والا هاج مع الشهوة هياج فاتصلا القلب بظلمة الهوى والشهوة فاظلم القلب وعمى عن الهدى والعلم والبيان فعند ذلك يقوى العزم على المعصية ويتولد منها الفعل قال الشيخ *(ذكر

*(ذكر فرائض الاستنجاء) قال الله جل ثناؤه وصدقت أنباؤه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور وقال عليه الصلاة والسلام الطهور نصف الايمان وقال مفتاح الصلاة الطهور وأول الطهارة الاستنجاء وفيه فرضان وأربع سنن أحد الفرضين ازالة الحدث والثاني طهارة المزيل وهو ان لا يكون رجيع دابة ولا مستعملا مرة ولا عظم ميتة ويكره له الاستنجاء بفحمة لا أثر في ذلك والسنن الاربع وتر الاستجمار ثلاثا أو خمسا أو سبعا والاستنجاء بالماء ومباشرة الاذى بالشمال ومسح اليد بالتراب فاما كيفية الاستنجاء فأن يأخذ الحجر بشماله ويمره على مقعدته من مقدمها مسحا الى مؤخرها ثم يرمي به هناك ثم يأخذ الحجر الثاني فيبتدئ من مؤخر المقعدة فيمسحها مدا الى مقدمها ثم يرمي به ثم يأخذ الحجر الثالث فيديره حول المسربة ادارة فان احتاج الى حجر آخر فليجعلها خمسا وان اكتفى بحجر واحد فلا بد من ثلاث وان استجمر بحجر كبير ذي ثلاث شعب أجزأه عن ثلاثة أحجار وفي الخبر من استجمر فليوتر وكان صلى الله عليه وسلم اذا أراد الحاجة أبعد وكان يتبوأ لحاجته كما يتبوأ الرجل المنزل لانه كان لا يقعد في فضاء بل كان ينصب وراءه شيأ أو يقعد الى حائط أو نشز من الارض يستره أو كوم من حجارة يحجبه ثم يستتر بذلك وكان صلى الله عليه وسلم لا يستقبل القبلة أيضا لغائط ولا بول ولم يكن يرفع ثوبه للغائط حتى يدنو من الارض فاما من أراد أن يبول قريبا من صاحبه بحيث يراه ويحسه فلا بأس بذلك فانه ارخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع الحياء منها بفعله لانه كان عليه السلام أشد الناس حياء وكان يبول والى جانبه صاحبه ليسن التوسعة في ذلك وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه فقال لا أحسبك تحسن الخراءة فقال بلى وأبيك اني بها الحاذق قال فصفها لي قال أبعد الاثر وأعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح وأقعي اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام والشيح نبت طيب الرائحة يكون بالبادية والاقعاء في هذا الموضع ان يستوفز على صدور قدميه والاجفال ان يرفع عجزه وفي حديث سلمان علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شئ حتى الخراءة أمرنا أن لا نستجمر بعظم ولا روث ونهانا أن لا نستقبل القبلة ببول أو غائط وان يجلس أحدنا على رجله اليسرى وينصب اليمنى فاما وصف الاستبراء فهو ان يستفرغ الرجل بوله رويدا ولا يحرك ذكره فينتشر البول على الحشفة فاذا انقطع البول على مهل مد ذكره ثلاثا من أصله الى الحشفة مدا رفيقا لئلا ينتضح البول ثم ينتره ثلاثا ويتنحنح ثلاثا وان فعل ذلك سبعا سبعا فقد بالغ ثم يأخذ الحجر بيمينه ويأخذ ذكره بشماله ويمده عليه حتى يرى موقعه جافا فهنالك طهر حين انقطعت النداوة ومن مده الى الارض أو الى حائط حتى يرى الجفوف عن أثره فتله وهذا كافيه من الماء لم ينتشر البول على الحشفة ويستحب البول في أرض دمثة رخوة وعلى تراب مهيل ويكره له ان يبول مستقبل الريح أو على ارض صلبة كيلا ينضح البول عليه وقد شبه فقهاء المدينة الذكر بالضرع وقال بعضهم انه لا يزال يخرج منه الشئ بعد الشئ مادمت تمده وقيل اذا وقع الماء على الذكر انقطع البول وقد كان أخفهم استبراء وأقلهم استعمالا للماء في الطهور أفقههم عندهم وقد يكون ما ظهر من النداوة بعد غسل الذكر بالماء ان ذلك من مرجع الماء يتردد في الاحاليل لضيق المسالك وتلاحم انضمامها فاذا خشي الوسواس فلينضح فرجه بعد وضوئه وهو ان يأخذ كفا من ماء فليرشه عليه وفي خبر ان النبي صلى الله عليه وسلم فعله ويكره مس الذكر باليمين ويخرج من الذكر خمسة أشياء البول والمذي والودي وهو لزوجة تتعقب البول اذا طال حبسه والريح والمني ثم كلها توجب الوضوء الا المني وهو الماء الدافق الذي يفتر عنه الذكر وتنقطع الشهوة ومنه يخلق الانسان فانه يوجب الغسل وما خرج من الذكر من غير ذلك من دود وحصى ففيه الوضوء وقد يخفى الريح فلذلك يستحب الوضوء عند كل صلاة وهو من المرأة أطهر *(ذكر فرائض الوضوء)* قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضأ كما أمر وفي لفظ من توضأ فاسبغ الوضوء وصلى ركعتين ولم يحدث

ابراهيم وثلاث خصال هي من حالات العارفين الحذر من خواطر الهوى ان يسبق الى قلوبهم ورد الاشياء كلها الله تعالى واجتماع الهموم في أمره ونهيه ويقال ان العارف اذا تمت معرفته اجتمع همه كله في الله تعالى وكان أمر الله تعالى شغله وخوف المعرفة يدهش وخوف العبادة يصدع وأما أهل المعرفة بالله تعالى فانهم عرفوا قيام الله تعالى على قلوبهم وأخرجوا من قلوبهم وضمائرهم ما يكرهه الله تعالى وعلامة اخراجه ما يكشفه الله تعالى من قلوبهم وحالوا بين أنفسهم وبين هواها فيكشف الله تعالى لهم عند ذلك حجب الغيوب عن عظمته وجلاله وحكمته فصار وا فهماء حكماء فصحاء نطقاء عقلاء ألباء فقبضوا أيديهم عن ضرر الاشياء وغضوا أبصار قلوبهم عن النظر الى الدنيا أقبلوا على ربهم فكفاهم هموم الدنيا والآخرة وطهر واسرائرهم عن الاغيار قال الشيخ ابراهيم ولا يدرك التائب شيأ مما عند الله تعالى الا بالصبر والثبات ومن لم يصبر لم يظفر وما أتى من أتى عليه من العمال والتائبين الامن قلة الصبر واستبطاء الثواب وعدم ممارسة الاعمال بالصدق فرحم الله عبدا نظر لنفسه فان من لم ينظر لنفسه لم ينظر لها غيره ومن علامة عدم نظر المرء لنفسه سعيه فيما فيه اماتة حظوظها وهواها ومن لم يسرع في رعاية نفسه أسرع به هواه الى الهلاك ومن كان من العمال لم يصدق في توبته فليرجع

فيهما نفسه بشئ من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفى لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أنبئكم بما يكفر الله الخطايا به و يرفع به الدرجات اسباغ الوضوء فى المكاره ونقل الاقدام الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط وتوضأ صلى الله عليه وسلم مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به ثم توضأ مرتين مرتين فقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين ثم توضأ ثلاثا ثلاثا فقال هذا وضوئى و وضوء الانبياء قبلى ووضوء ابراهيم عليه السلام * ذكر فرائض الطهارة وهى ثمانية طهارة الاناء ثم الماء الطاهر والنية والترتيب على نسق الكتاب وغسل الاعضاء الثلاثة المأمور بها ومسح الرأس ولا ينفض يديه بالماء عند غسل وجهه وذراعيه فان ذلك يكون مسحا ولا يلطم وجهه بالماء لطما فانه مكروه ولكن ليحمل الماء بيديه معا الى وجهه ثم ليسنه عليه سنا و يغسل وجهه غسلا من أصول شعر رأسه الى ما ظهر من لحيته وعلى ما استرسل منها وليدخل البياض الذى بين أذنه ولحيته فى غسل وجهه وليدخل مرفقيه فى غسل ذراعيه وهذا فرض و ينبغى ان يقطر الماء من وجهه وذراعيه قطرا و يكفيه فى مسح الرأس ان يمسحه بلل ماء جديد بيديه يبتدئ بمقدم رأسه ثم يرد يديه الى مؤخره ثم يردهما الى يافوخه هذه مرة وليمسح رأسه أجمع وهذه الاربعة الاعضاء هى المنصوص عليها فاما ذكر الواو فى الترتيب فانى سمعت بعض فقهاء العرب من أهل اللغة بمكة يقول ان الواو وان كانت للجمع فلا تقتضى الترتيب فى الظاهر فانه اذا لم يرد به الجمع بين شيئين واستحال ان يجمع بها بين اثنين معا فانها تقوم حينئذ مقام ثم وتكون للترتيب لا غير * ذكر سنن الوضوء وهى عشرة التسمية وغسل الكفين والمضمضة والاستنشاق والاستنثار وهو اخراج الماء من الانف وتخليل اللحية ومسح الاذنين وغسل كل عضو ثلاثا ثلاثا وان يبدأ بالميامن وتخليل أصابع القدمين * ذكر فضائل الطهارة وما يقال عند غسل كل عضو من الاذكار أول ذلك ان يتوضأ قاعدا مستور العورة وان لا يكون الماء مشمسا وقد كره ذلك وقيل ان كراهيته فى أرض الحجاز خاصة واسباغ الوضوء سيما فى الشتاء فانه من عزائم الدين وقال بعض السلف وضوء المؤمن فى الشتاء بالماء البارد يعدل عبادة الرهبان كلها وان لا يعتدى فى الطهور فقد نهى عن ذلك وهو ان يغسل كل عضو فوق الثلاث والوضوء على الوضوء نور وهو ان يتوضأ لكل صلاة من غير حدث فان ذلك مستحب اذا أمكن وله بكل وضوء عشر حسنات ويجزيه ان يصلى الخمس بوضوء واحد فقد فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والوضوء على حدته قربة الى الله تعالى اذا نوى به العبد ذلك من غير ان يصلى به وفى الخبر اذا توضأ العبد خرجت ذنوبه من جميع أعضائه وتكون الصلاة نافلة و يستحب ان يتوضأ العبد كلما بال ما لم يشق ذلك عليه وان يصلى ركعتين كلما توضأ ثم ان لا يتكلم فى الوضوء الا بذكر الله تعالى وان يقول عند غسل كل عضو ما يستحب من الدعاء فيقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش و يقول عند التسمية أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون و يقول عند غسل يديه اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة و يقول عند المضمضة اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك و يقول عند الاستنشاق اللهم صل على محمد وأوجد لى رائحة الجنة وأنت عنى راض و يقول عند الاستنثار اللهم انى أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار و يقول عند غسل وجهه اللهم بيض وجهى يوم تبيض فيه وجوه أوليائك ولا تسود وجهى يوم تسود فيه وجوه أعدائك وعند غسل يمينه اللهم آتنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيرا وعند غسل الشمال اللهم انى أعوذ بك أن تؤتينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى وعند مسح الرأس اللهم غشنى برحمتك وانزل على من بركاتك وأظلنى تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك و يقول عند مسح الاذنين اللهم اجعلنى ممن يستمع القول فيتبع أحسنه اللهم اسمعنى منادى الجنة مع الابرار ثم يمسح عنقه فيقول اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال و يقول عند غسل قدمه اليمنى اللهم ثبت قدمى على الصراط مع أقدام المؤمنين و يقول عند غسل اليسرى

الى العمل فيها فان الله تعالى لا يرفع الى مقام من مقامات السفر اليه حتى يحكم المقام الذى قبله فطوبى لمن لزم الجادة فى طريق هذا السفر وتوقى المعاطب والمهالك واخذ على نفسه بالعزم والحزم والحذر فان الهالك من هلك فى آخر سفره وقد قارب المنزل والعمى خفاء عن عمى بعد البصيرة ومن تكاسل يزدد فترة ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره هذا ملخص كلام الشيخ أبى اسحق ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى

(باب العزلة والخلوة)

ورد فى العزلة اخبار وآثار قال النبى صلى الله عليه وسلم ان خير الناس معايش رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله ان سمع فزعة أو هيعة كان على متن فرسه يبتغى الموت أو القتل مكانه أو رجل فى غنيمة له فى رأس شعب من هذه الشعاب أو بطن واد من هذه الاودية يقيم الصلاة و يؤتى الزكاة و يعبد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس الا فى خير وقال النبى صلى الله عليه وسلم يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر يفر بدينه من الفتن وقال النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله ثم رجل فى شعب من الشعاب يعبد الله تعالى وفى رواية يتقى الله ويدع الناس من شره ولاه ريد فى ابتداء أمره من العزلة عن أبناء جنسه ثم فى نهايته الخلوة لتحققه بانسه والعزلة شرائط

اللهم انى أعوذبك ان تزل قدمى عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين وان يبتدئ بغسل الذراعين من أصابع الكفين ويقطع من المرفقين كل غسلة وان يرفع فى غسل الذراعين الى انصاف العضدين وان يبتدئ بغسل القدمين من الاصابع ويخللهما فى الميامن ويقطع غسلهما من الكعبين ويرفع فى غسل الرجلين الى انصاف الساقين ويعين أصابع اليد اليمنى خنصرهما ويعين اليد اليسرى ابهامها واذا فرغ من وضوئه رفع رأسه الى السماء ثم قال اشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى أستغفرك وأتوب اليك فاغفرلى وتب على انك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين واجعلنى شكورا واجعلنى أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا هذا جميع ما روى من القول بعد الفراغ من الوضوء بآثار متفرقة جمعناها يقال ان من قال هذا بعد فراغه من الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الى يوم القيامة وأكره الوضوء فى اناء صفر سمعت ان العبد اذا توضأ احتوشته الشياطين توسوس اليه فاذا ذكر الله خنست عنه وحضرته الملائكة فان كان وضوءه فى اناء صفر أو نحاس لم تحضره الملائكة وروى عن ابن عمر وأبى هريرة كراهة ذلك وقال بعضهم سألنى شعبة ان أخرج له وضوأ فاخرجته فى اناء صفر فلم يتوضأ به وقال حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر انه كره الوضوء فى اناء صفر وتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ركوة ومن اداوة ومن مهراس حجر وقدر وينافى حديث زينب بنت جحش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ واغتسل فى حديث آخر من مخضب لها وهو نحاس وهذه رخصة

(صفة الغسل من الجنابة) يضع الاناء عن يمينه ثم يسمى الله تعالى ويفرغ الماء على يديه ثلاثا قبل ادخالهما الاناء ثم يغسل ذكره ويستنجى ثم يتوضأ وضوأه للصلاة كاملا الا غسل قدميه ثم يدخل يديه فى الاناء بما حملتا من الماء فيصب على شقه الايمن ثلاثا ظهرا وبطنا الى فخذه وساقه ثم يغسل شقه الايسر كذلك ثلاثا ظهره وبطنه الى فخذه وساقه ويدلك ما أقبل من جسده وما أدبر بيديه معا ثم يدخل يديه بما حملتا من الماء فيفيض على رأسه ثلاثا ويخلل شعر رأسه باصابعه ويبل الشعر وينقى البشرة ثم يتنحى من موضعه قليلا فيغسل قدميه فان فضل من الاناء ماء أفاضه على سائر جسده وأمر يديه على ما أدركتا من بدنه فان قدم غسل رجليه فادخلهما فى أول وضوئه فلا بأس ولا وضوء عليه بعد الغسل وليتق ان يمس ذكره فى تضاعيف ذلك بيديه فان مس ذكره فليعد وضوأه وان نسى المضمضة والاستنشاق فى غسل الجنابة حتى صلى أحببت ان يتمضمض ويستنشق ويعيد الصلاة وان نسيهما فى الوضوء فلا اعادة عليه وكيفما أتى بغسل جسده من الجنابة فجائز بعد ان يعم جميع بدنه غسلا ومن لم يتوضأ قبل الغسل أحببت له ان يتوضأ بعده ومن انغمس فى نهر أجزاءه عن الغسل وأحب أن يتوضأ وفرض غسل الميت كغسل الجنابة

(كتاب الصلاة)

ذكر فرائض الصلاة قبل الدخول فيها وهى سبع أول ذلك طهارة الجسد وطهارة الثوب وطهارة البقعة وستر العورة وهى من السرة الى الركبة واستقبال القبلة واصابة الوقت والقيام الا من عذر وفرائض الصلاة فى صلبها اثنتا عشرة خصلة روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة الصلاة وروى عنه صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير وتحليلها التسليم فاول ذلك النية وتكبيرة الاحرام بلفظ التكبير وليس للعرب فى لفظ التكبير بمعنى الاكبار الا وزن افعل والافعل فيقولون الله أكبر والله الاكبر وليس يقولون الله كبير وهم يريدون معنى أكبر مما سواه انما يقولون كبير بمعنى عظيم لان هذه لفظة أعجمية عربت وتقول العرب الله كبار وليس بمعنى أكبر انما هو بمعنى كبير والتفخيم للتعظيم ثم يقرأ سورة الحمد أولها بسم الله الرحمن الرحيم والركوع ثم الطمأنينة فى السجود والجلسة بين السجدتين والتشهد الاخير والصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم والتسليم الاول وروينا عن رسول الله صلى الله

ان ينوى باعتزاله سلامة الناس من شره كما قيل لبعض الزهاد أنت زاهد منقطع الى الله تعالى، فقال أنا حارس كلب ان نفسى كلب عقور يعض الناس فاخرجتها من بينهم ليسلموا من شرها الثانى ان يذهب فى اعتزاله عن نفسه وعما سوى الله ليكون صادقا فى اعتزاله الثالث ان يكون عالما يصح فى اعتزاله عقد توحيده حتى لا يستهويه الشيطان بوساوسه الرابع أن يكون متضلعا بالعلوم الشرعية ليبنى أمره فى العبادة على أساس محكم واعلم ان المتمكنين وأصحاب النهايات معتزلون للخلق بقلوبهم لا باجسادهم سئل بعضهم عن العزلة ماهى فقال الدخول فى الزحام واحفظ سرك لا يزاحموك وتعزل نفسك عن الانام ويكون قلبك مربوطا بالحق ولابد من العزلة بالجسد أولا لاهل البدايات لان العزلة بالقلب أثرها وقال الجنيد رحمة الله عليه من أراد أن يسلم له دينه ويستريح بدنه وقلبه فليعتزل الناس فان هذا زمان وحشة وقال الشبلى رحمة الله عليه هذا زمان السكوت وملازمة البيوت والاتكال على الحى الذى لا يموت وجاء رجل الى شعيب ابن حرب فقال له ما جاء بك قال أكون معك فقال يا أخى العبادة لا تكون بالشركة ومن لم يستأنس بالله لم يستأنس بشئ

(فصل) واعلم ان بالخلوة والتفرد عن الناس يحصل الامن من دواعى الرياء والتزين الى الناس فى الاقوال والافعال وذكر ان هرم بن حيان قال لاويس القرنى رحمهما

عليه وسلم لا ينظر الله تعالى الى من لا يقيم صلبه بين الركوع والسجود وروى عنه صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود ورأى صلى الله عليه وسلم رجلا يصلي لا يقيم ظهره في ركوعه وسجوده فقال له ارجع فصل فانك لم تصل ثم رآه لا يطمئن في الركوع والسجود فأمره أيضا باعادة الصلاة ثم علمه الطمأنينة بينهما والقيام فيهما فقال حتى تطمئن مفاصلك وتسترخي ورأى حذيفة وابن مسعود رضي الله عنهما رجلا يصلي لا يتم ركوعه وسجوده فقالا لو مات هذا لمات على غير فطرة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم وفي حديث أحدهما منذ كم تصلي هذه الصلاة فقال منذ أربعين سنة فقال ما صليت منذ أربعين سنة وعن كعب الاحبار قسمت الصلاة ثلاثة أثلاث ثلث طهور وثلث ركوع وثلث سجود فمن نقص أحدها لم يقبل منه سائرها ويقال من لم تقبل صلاته ردت أعماله كلها عليه *ذكر سنن الصلاة وهي اثنتا عشرة سنة رفع اليدين بتكبيرة الاحرام وصورة الرفع ان يكون كفاه مع منكبيه وابهاماه عند شحمة أذنيه وأطراف أصابعه مع فروع أذنيه فيكون بهذا الوصف من الرفع مواطئا للاخبار الثلاثة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يرفع يديه الى منكبيه وانه كان يرفعهما الى شحمة أذنيه وانه رفع الى فروع أذنيه يعني أعاليهما ولفظ التكبير ان يضم الهاء من الاسم بتخفيف الضمة من غير بلوغ واو ويهمز الالف من أكبر ولا يدخل بين الباء والراء ألفا ويجزم الراء لا يجوز غير هذا فيقول الله أكبر ثم لا يرفع يديه اذا كبر الى قدام دفعا ولا يردهما الى خلف منكبيه وتكون أصابعه تلقاء أذنيه ثم يكبر ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويكون ارساله يديه مع آخر التكبير لا يرسلهما قبل انقضاء التكبير ولا يوقفهما بعد الفراغ من التكبير ثم يستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كبر أرسل يديه فاذا أراد ان يقرأ وضع اليمين على اليسرى وليقبض على زند كفه الشمال وليجعلهما تحت صدره ثم التوجه فيقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ثم يقول ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ويقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك فقد روي جميع ذلك في روايات مختلفة وجمعه حسن الا ان يكون خلف الامام ولا يكون للامام سكتتان فلا يمكنه ان يأتي بهذا التوجه كله مع قراءة الحمد ولا يشتغل حينئذ الا بقراءة الحمد يغتنم قراءتها في سكوت الامام واحذر ان تقرأ في قراءة الامام أو تركع أو تسجد أو ترفع رأسك قبله ثم الاستعاذة ثم قراءة سورة من القرآن أو ثلاث آيات من سورة بعد الحمد والتأمين بعد قراءة الحمد سنة حسنة فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر به ثم رفع اليدين بالتكبير للركوع أيضا سنة ثم التسبيح للركوع واذا أردت عشرا أو سبعا ولا أقل من ثلاث وانما قيل ان الثلاث أدنى الكمال لان الكمال عشرة قال الله تعالى تلك عشرة كاملة ولتكن الثلاث بعد ان يضع يديه على ركبتيه وقبل ان يرفعهما لانه اذا لم يتحفظ في ذلك ويتمهل فيه حصل من التسبيح واحدة بعد الركوع وتكون الاولى والاخرى في الانحطاط والرفع وهذا مكروه وصورة الركوع ان يفرج بين أصابعه فيلا بهما ركبتيه ويجافي عضديه عن جنبيه ولا يرفع رأسه ولا يخفضه وليمد عنقه مع ظهره ممدا فيكون ظهره ورأسه سواء ولا يكون مخفوضا الى أسفل ولا مقبوا الى فوق ثم رفع اليدين بقول سمع الله لمن حمده سنة ويقول اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد ثم التسبيح في السجود ان شاء عشرا أو سبعا وأدناه ثلاث ولتكن الثلاث بعد حصول جبهته على الارض وقبل رفعه اياه والا كانت واحدة تذهب الاولى في حال وضع الوجه والاخرى في حال رفع الرأس فتحصل تسبيحة واحدة في كل سجدة وهذا غير مستحب ان ينقص من ثلاث وقال أنس بن مالك ما رأيت أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من امامكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز قال فكنا نسبح وراءه عشرا عشرا في الركوع والسجود عشرا عشرا ويجعل رأسه بين كفيه في سجوده

الله تعالى يا أويس صلنا بالزيارة واللقاء فقال أويس قد وصلتك بما هو أنفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب لان الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء واجتمع اثنان من أكابر العلماء والاولياء فتذاكرا ساعة في العلم ثم دعيا في آخر حديثهما فقال أحدهما للآخر ما أخليتني جلست مجلسا أنا به أرجى من هذا المجلس فقال له الآخر لكنني ما جلست مجلسا أنا أخوف منه من هذا المجلس الست تعمد الى احسن علومك وحديثك فتحدثني به وتظاهر بين يدي وأنا كذلك فقد وقع الرياء والتصنع من الجانبين فبكى القائل الاول ساعة ثم غشي عليه قال الغزالي في بعض كتبه ولقد رأيت بمكة بعض المشايخ من أهل العلم منفردا عن الناس وهو لا يحضر المسجد الحرام في الجماعات مع قرب منزله من المسجد قال الغزالي فسألته عن ذلك يوما في حال ترددي اليه فذكر من عذره ما أشرنا اليه

(فصل) واعلم ان حال الناس في العزلة على قسمين أحدهما رجل ضعيف العزم تقوى عليه شهواته ويقهره هواه وليس له علم ينتفع به فهذا الاولى في حقه بل الواجب عليه العزلة بعد ان يتعلم من أمر دينه ما يحتاج اليه والثاني رجل عالم متمكن في علمه يحتاج الناس اليه في أمر دينهم فهذا لا ينبغي له العزلة عن الخلق بل ينصب نفسه داعيا ومرشدا وناصحا للخلق ذابا

فانهما

فانهما يسجدان اذا كانتا مفتوحتين فيجافي عضديه عن جنبيه ويبعد ظهره ويرفع بطنه عن فخذيه ويستحب ان يباشر الارض بكفيه فانهما يسجدان مع الوجه ثم التكبير للسجود والرفع بين السجدتين والقيام بين السجود من غير رفع يديه ثم يقول رب اغفرلي وارحمني ثلاثا روي ذلك عن ابن عمر وان قال رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فانك أنت الاعز الاكرم فجائز روي ذلك عن ابن مسعود وان قال رب اغفرلي وارحمني واهدني واجبرني وانعشني فحسن قد روي ذلك عن علي رضي الله تعالى عنه ثم التشهد الاول ثم السلام الاخير بالالف واللام وضم الميم من السلام من غير تنوين ومد الاسم وجزم الهاء منه فيقول السلام عليكم ورحمة الله حتى يتبين خداه لمن عن يمينه وشماله ويلوي به عنقه الى منكبيه كذلك كان تسليم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير أن يحول جسمه عن القبلة ولا يرفع فخذه عن الارض * (ذكر أحكام الصلاة في الادراك) * ومن أدرك من صلاة رباعية ركعتين أو الثالثة من صلاة المغرب فان ما أدرك هو أول الصلاة فليبن على ذلك ومن أدرك مع الامام بعض القيام افتتح سورة الحمد ولم يركع حتى يتمها وان رفع الامام رأسه من الركوع قبله رفع بعده ومن لم يدرك مع الامام من القيام شيئا كبر للاحرام ثم كبر وركع وهي له ركعة وان ركع الامام وهو في قراءة سورة غير الحمد فليقطع حيث انتهى وليركع بعده ومن أدركه في التشهد أو في السجود ابتدأ التكبير للاحرام قائما ثم جلس وسجد للاتباع فاذا سلم الامام قام من غير تكبير يحدثه ثانيا وابتدأ بقراءة الحمد عند قيامه ولا يعتد بشئ مما أدرك مع الامام الا بالركوع وهو ان يكون قد وضع يديه على ركبتيه واطمأن قبل ان يرفع الامام رأسه فهذه له ركعة ومن دخل في صلاة مكتوبة ثم ذكر ان عليه أخرى أحببت ان يتمها ثم يصلي التي ذكر ثم يعيد هذه الصلاة ومن وافق الامام في صلاة العصر ولم يكن صلى الظهر صلاها معه ثم يصلي الظهر ثم أعاد بعدها صلاة العصر فعله بعض الصحابة وهو أحب الوجوه الي ومن تكلم في صلاته ناسيا أو سلم من ركعتين من صلاة رباعية فليسجد سجدتي السهو بعد التشهد فان كان قد خرج من المسجد وتطاول ذلك ثم ذكر أحببت ان يعيد الصلاة ومن تكلم أو سلم عامدا أو استدبر القبلة أو انكشفت عورته أو وقف في صلاته أو ذكر انه نسي مسح رأسه أو غسل عضو من أعضائه أعاد الصلاة ومن فاتته جماعة فتطوع رجل قام يصلي معه أحببت ان يكون هو المصلي به فرضه ولا يخرج من الخلاف ويدخل في فرض الجماعة ولا استحب ان يصلي فرضا خلف رجل يتطوع ولا أكره صلاة النوافل جماعة ولا سجود سهو على العبد فيما جهر فيه مما يخافت فيه مما يجهر ومن شك في ثلاث ركعات أو اثنتين فليجعلهما ثنتين ومن شك في أربع أو ثلاث حسبها ثلاثا يبني أبدا على اليقين وهو الاقل ثم يسجد سجدتي السهو قبل السلام وعليه ان يتشهد ثانيا لسجدتي السهو وصلاته تامة ومن سها عن سجدتي السهو فان ذكر قريبا أو قبل ان يخرج من المسجد فاحب ان يسجدهما ثم يتشهد ويسلم فان تطاول الوقت أو كان قد خرج من المسجد سقط عنه ومن شك في القبلة لدخول ظلمة أو فقد أدلة تحرى جهده فان تبين له ان القبلة بخلاف ذلك أحببت له ان يعيد ذلك واستحب سجود السهو فيما زاد بعد التسليم وفيما نقص قبله فان سجدهما في الزيادة والنقصان قبل السلام فحسن كل ذلك قد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم فان لحقه وهم في الصلاة ليس بشك أو كثر وهمه في الصلاة أحببت ان يجعل سجوده أبدا بعد السلام ومن صلى في حال ضرورة بنقصان طهارة أو نقصان فرض من فرائض الصلاة أحببت ان يعيد متى قدر على ذلك ومن صلى في ثوب ثم رأى فيه نجاسة بعد ذلك أعاد ما دام في الوقت قبل ان يدخل وقت صلاة أخرى فان خرج جميع الوقت فلا اعادة عليه ولو أعاد تلك الصلاة متى رأى تلك النجاسة كان أحب الي ومن كان عليه صلوات فرط فيها باضاعة أو نقصان حدودها صلاها أحب الي متوالية صلاة يوم في وقت واحد ان أمكن أو في أوقات متفرقة نسقا وان يكون ذلك في غير الاوقات المنهي فيها عن الصلاة أحب الي ومن علم في صلاته ان عليه ثوبا فيه نجاسة وانه غير مستقبل القبلة فليلق الثوب وليستقبل القبلة وليتم صلاته وان أعاد فهو أحب الي * ذكر هيئات الصلاة وآدابها

عن دين الله تعالى هاديا للخلق الى سبيل الله تعالى وان كان قد اعتزل فيجب عليه الرجوع الى المخالطة لان بالعزلة تفوته هذه الفضائل لامن لا يخالط الناس ممن هو بهذه المثابة من العلم والقوة على ارشاد الناس ولا يساكنهم وانفرد عنهم ولا يظهر فيه الفقه والنصح لهم ولا ينفعهم بعلمه ووعظه وارشاده تكون اعماله قاصرة عليه معطلة عن نفع الناس لا يتوجه الى خير بفعله ولا نفع بوصله فاذا ألزم نفسه العزلة عن الخلق في البراري والقفار تعطل عن مثل هذه الاعمال وصار بمنزلة الجمادات والموتى الذين لا نفع بهم * ويحكى ان الاستاذ الامام أبا بكر بن فورك رحمة الله عليه قصد ان ينفرد عن الخلق بعبادة الله تعالى فسلك البرية للتعبد فبينما هو في بعض الجبال اذ سمع صوتا ينادي يا أبا بكر لما صرت من حجج الله تعالى على الخلق تركت عبادة الله تعالى فرجع وكان هذا سبب عوده الى الاجتماع بالخلق ولما دخل الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني الشام طلع الى جبل لبنان للاجتماع بالاولياء وزيارة العباد فلما اجتمع بهم قال لهم يا أكلة العشب والكلا تركتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم في ايدي المبتدعة واشتغلتم ههنا بأكل العشب والكلا فقالوا يا أبا اسحق انا لا نقوى على صحبة الخلق وأنت أعطاك الله تعالى ذلك فلزمك ذلك فصنف الاستاذ بعد ذلك كتابه الكبير في أصول الدين وهو كتاب جامع الجلي والخفي وهو

السواك قبل الصلاة من فضائلها روى فى الخبر صلاة بسواك تفضل على صلاة بغير سواك سبعين ضعفا واستحب له ان يقرأ قل أعوذ برب الناس قبل دخوله فى الصلاة فانه جنة له من العدو وان يستعيذ فى كل ركعة قبل قراءة الحمد لانه يكون قارئا للقرآن ولان كل ركعة صلاة وان يضم أصابع كفيه فى التكبير وان يراوح بين قدميه فى القيام لا يضم كعبيه ولكن يجعل بين قدميه مقدار أربع أصابع فان ذلك يستحب قال بعضهم كانوا يفتقدون الامام اذا كبر فى ضم الاصابع واذا قام فى تفرقة الاقدام قال فيستدلون بذلك على فقهه ونظر ابن مسعود الى رجل قد ألزق كعبيه فى الصلاة فقال لو راوح بينهما كان قد أصاب السنة وقد روى فى خبر ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الصفن والصفد فى الصلاة فاما الصفن فرفع احدى الرجلين من قوله تعالى الصافنات الجياد اذا عطف الفرس طرف سنبكه وأما الصفد فهو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين فى الاصفاد واحدها صفد وقد رأيت بعض العلماء يفرق بين أصابعه فى التكبير وتأول ان ذلك معنى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا كبر نشر أصابعه نشرا وذلك محتمل لتوكيده بالمصدر وهو قوله نشرا فيصلح ان يكون قوله نشرا يريد به التفرقة وقد تسمى التفرقة بثا ونشرا لان حقيقة النشر البسط وقد قال الله تعالى وزرابى مبثوثة فهذا هو التفرقة وقال فى معنى البث كالفراش المبثوث ثم قال فى مثله كانهم جراد منتشر فاذا كان النشر مثل البث وكان البث هو التفرقة كان قوله نشرا يعنى فرق الا ان اسحق بن راهويه سئل عن معنى قوله نشر أصابعه فى الصلاة نشرا فقال هو فتحها وضمها أراد بذلك ان يعلم انه لم يكن يقبض كفه وهذا وجه حسن لان النشر ضد الطى فى المعنى والقبض طى ورأيت ثلاثة من العلماء يفرقون أصابعهم فى التكبير منهم أبو الحسن صاحب الصلاة فى المسجد الحرام وكان فقيها ورأيت ثلاثة يضمون أصابعهم منهم أبو الحسن بن سالم وأبو بكر الآجرى وأحسب ان أبا زيد الفقيه كان يفرق فى أكثر ظنى اذا تذكرت تكبيره وقول آمين من فضائل الصلاة روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا آمين فانه من وافق تامينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بآمين وفى لفظ آمين لغتان المد والقصر والميم فيهما مخففة لانك اذا شددت الميم أحلت المعنى فيكون معناه قاصدين من قوله ولا آمين البيت الحرام وان يترك احدى يديه على الاخرى قابضا على الزندين بين السرة والصدر فان ذلك من الخشوع وقال بعض العلماء ما أحسنه ذل بين يدى عزيز وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه من سنن المرسلين وفسر على عليه السلام قوله تعالى فصل لربك وانحر قال وضع اليمين على الشمال وهذا موضع علم على رضى الله تعالى عنه ولطيف معرفته لان تحت الصدر عرقا يقال له الناحر لا يعلمه الا العلماء فاشتق على رضى الله عنه قوله وانحر من لفظ الناحر أى اوضع يدك على الناحر وهذا هو العرق كما يقال ادمغ أى أصب الدماغ ولم يحمله على نحر البدن لانه ذكر فى الصلاة ومن الناس من يظن اشتقاقه من النحر والنحر هو تحت الحلقوم عند ملتقى التراقى واليد لا توضع هناك الا من قال من أهل اللغة فى معناه وانحر اى وجه القبلة بنحرك فهذا العمرى وجه ولا يقعى فى الصلاة وهو ان يجلس على قدميه وينصب ركبتيه هذا مذهب أهل اللغة فى الاقعاء أو على ركبتيه جاثيا وأصابع رجليه فى الارض هذا مذهب أهل الحديث وليجتنب السدل والكف فاما السدل فهو ان يرخى أطراف ثيابه على الارض وهو قائم يقال سدل وسدن بمعنى واحد وقد تبدل اللام نونا لقرب المخرجين اذا أرسل ثيابه ومنه قيل سدنة الكعبة أحدهم سادن وهم قوامها الذين يسبلون عليها كسوتها وسدانة الكعبة ثيابها المسبلة وهذا قول أهل اللغة ومذهب أهل الحديث فى السدل ان يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك ولان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبه بهم والقميص فى معناه ولا يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص ان اتسع فاما ان يدخل يديه فى جسد القميص فى السجود فمكروه وقد قال بعض الفقهاء فى السدل قولا ثالثا قال هو ان يضع وسط ازاره على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير ان يجعلهما على كتفيه

تحتوى على مجلدات رحمة الله عليه ونعلم بهذا ان هؤلاء العلماء مع غزارة علومهم كان لهم العمل الجم والنظر الدقيق فى سلوك طريق الآخرة وحكى القاضى أبو بكر الباقلانى قال كنت أحضر انا والاستاذ أبو اسحق الاسفراينى والاستاذ ابو بكر بن فورك للقراءة على الشيخ ابى الحسن الباهلى صاحب الشيخ ابى الحسن الاشعرى فكان اذا جلس للاقراء يجعل بينه وبين الناس سترا فسأله بعض الحاضرين عن ذلك فقال انكم ترون أهل السوق وهم أهل الغفلة عن الله تعالى فاكره ان ترونى بالعين التى ترونهم بها واعلم ان العالم المحتاج اليه فى باب الدين يحتاج فى صحبة الخلق الى صبر طويل وعلم عظيم ونظر لطيف واستعانة بالله تعالى دائمة وأن يكون فى المعنى منفردا عنهم وان كان معهم بشخصه قال ابن مسعود رحمة الله عليه خالط الناس وزاملهم ودينك لا تكلمنه واعلم انه اذا ماجت الفتن بعضها فى بعض وظهر الهرج والمرج وولى الناس عن أمر الدين مدبرين لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة ولا يطلبون علما ولا يرفقون مفيدا ولا مرشدا ولا يهتهم أمر دينهم وترى الفتن فى الدين تعم العامة وتدب بين الخاصة فللعالم حينئذ العذر فى العزلة والتفرد ودفن العلم كما فى هذا الزمان المنكر الصعب وبالله المستعان

(فصل) وقدمنا ان العالم المتمكن فى علمه وعمله القوى على ارشاد الناس لا ينبغى له العزلة وكذلك نقول ههنا ان مريد

وهذا

وهذا قول بعض المتأخرين وليس بشيء عندي والأول أعجب إلي وهو مذهب القدماء وأما الكف فقد نهي عنه في الصلاة أيضاً وهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه إذا أراد السجود وأكره أن يأتزر فوق القميص فإنه من الكف وقد روي عن أحمد بن حنبل رضي الله عنه كراهية ذلك وروينا عن بعض أولاد عمر ابن الخطاب رضي الله عنه الرخصة في ذلك على أنه صلى الله عليه وسلم محتزماً بعمامته فوق القميص وقد يكون الكف في شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره وفي الحديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعراً ولا ثوباً ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاختصار في الصلاة وعن الصلب فأما الاختصار فأن يضع يده على خاصرته وأما الصلب فأن يضع يديه جميعاً على خصريه ويجافي بين عضديه في القيام ولتقع ركبتاه على الأرض قبل يديه ويداه قبل وجهه وأن يسجد على جبهته وأنفه فإنهما عضو واحد ولينهض على صدور قدميه وإن ضعف فليعتمد على الأرض بيديه وأن لا يلتفت في صلاته يميناً وشمالاً ولا يلحظ عن يمين وشمال فإن لحظ فهو أيسر وليرم ببصره إلى موضع سجوده فإن لم يفعل فليقابل بوجهه تلقاء القبلة ولا يعبث بشيء من بدنه في الصلاة وروي أن سعيد بن المسيب نظر إلى رجل يعبث بلحيته في صلاته فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق ونهى عن المواصلة في الصلاة وهي في خمس اثنان على الإمام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الإحرام ولا يصل ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الإحرام بتكبير الإمام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليم الفرض بتسليم التطوع وليفصل بينهما وقد قيل التسليم جزم والتكبير جزم وقد جاء في الخبر سبعة أشياء في الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشيء وزاد بعضهم والسهو والشك وقال بعض السلف أربعة أشياء في الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح الوجه وتسوية الحصى وأن يصلي بطريق من يمر بين يديه وزاد بعضهم وأن لا يصلي في الصف الثاني وفي الصف الأول فرجة وقد نهى عن صلاة الحاقن والحاقب والحازق فالحاقن من البول والحاقب من وجود الغائط والحازق صاحب الخف الضيق فلا يصلي من كان به هذه الثلاثة لأنها تشغل القلب وأكره صلاة الغضبان والمهتم بأمر ومن عرضت له حاجة حتى يسري عن قلبه هم ذلك ويطمئن القلب ويتفرغ للصلاة ومن شغل قلبه حضور الطعام وكانت نفسه تائقة إليه فليقدم الأكل لقوله صلى الله عليه وسلم إذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤوا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفي الخبر لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مغضب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان وكان الحسن يقول كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع

* ذكر فضائل الصلاة وآدابها وما يزكو به أهلها ووصف صلاة الخاشعين قال الله تعالى وأقم الصلاة لذكري وقال ولا تكن من الغافلين وقال تعالى لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون قيل سكارى من حب الدنيا وقيل من الاهتمام بها وقال جل ثناؤه الذين هم على صلاتهم دائمون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال صلى الله عليه وسلم إنما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتبأس وتنادم وترفع يديك وتقول اللهم فمن لم يفعل فهي خداج أي ناقصة وروينا عن الله سبحانه وتعالى في الكتب السالفة أنه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته إنما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر علي وأطعم الفقير الجائع لوجهي فمن الإقبال على الصلاة أن لا تعرف من على يمينك ولا من على شمالك من حسن القيام بين يدي القائم على كل نفس بما كسبت وكذلك فسروا قوله تعالى هم على صلاتهم خاشعون وقال سعيد بن جبير ما عرفت من على يميني ولا على شمالي في الصلاة منذ أربعين سنة منذ سمعت ابن عباس يقول الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وعن شماله وروينا عن بشر بن الحرث قال قال سفيان من لم يخشع فسدت صلاته وروينا عن معاذ بن جبل من عرف من عن يمينه وشماله في الصلاة متعمداً فلا صلاة له وقد أسنده إسمعيل بن أبي زياد عن بشر بن الحرث

السالك في طريق الله تعالى ينبغي له أن لا يعتزل الناس على العموم بل يختلط بأهل الخير والصلاح فإنه يجد بمخالطتهم معونة عظيمة على الخير والطاعة لأن الخلطة لها تأثير عظيم في نقل الطبائع وتغيير أحوال النفوس وإقبال الخصال المحمودة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة التي فيها السعادة ألا ترى إلى كلب أصحاب الكهف لما تبعهم وصحبهم كيف نال ببركة صحبتهم ما ناله من دخوله الجنة معهم وفي البخاري أن غلاماً يهودياً كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتى النبي صلى الله عليه وسلم إليه يعوده وكان والد الغلام عنده فعاده النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال له يا غلام أما تسلم فنظر إلى أبيه فقال له أبوه يا بني أطع أبا القاسم فأسلم الغلام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وهو يقول الحمد لله الذي هداه بي للإسلام فمن صحب الأبرار أشرقت عليه منهم الأنوار ومن عاشر الزيات نمت عليه روائحه وقد استحب الاجتماع في الله وكثرة التعرف بأهل الخير جماعة من التابعين منهم الحسن البصري وأبو قلابة وكان أبو قلابة يقول لإخوانه أنتم أحب إلي من أهلي وولدي لأن أولئك يذكروني الدنيا وأنتم تذكروني بالآخرة وكره التعرف بالناس سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وأبو سليمان الداراني والفضيل بن عياض وداود الطائي وبشر بن الحارث

وغيره وعن الثورى أيضا من قرأ كلمة مكتوبة فى حائط أو بساط فى صلاته فصلاته باطلة وقال بشر يعنى
بذلك لانه عمل فى الصلاة ومن الدوام فى الصلاة السكون فيها وعلى ذلك فسر قوله تعالى الذين هم على صلاتهم
دائمون قيل هو السكون والطمانينة فى الصلاة من قولك ماء دائم اذا سكن وقال بعض الصحابة يحشر الناس
يوم القيامة على مثال هيآتهم فى الصلاة من الطمانينة والهدو ومن وجود النعيم بها واللذة ثم اصغاء القلب
للفهم وخشوعه للتواضع وسكون الجوارح للهيبة ثم الترتيل فى القراءة والتدبر لمعانى الكلام وحسن
الافتقار الى المتكلم فى الافهام والايقاف على المراد وصدق الرغبة فى الطلب للاطلاع على المطلع من السر
المكنون المستودع فى الكتاب وان مر بآية رحمة سال ورغب أو آية عذاب فزع واستعاذ أو مر بتسبيح أو
تعظيم حمد وسبح وعظم فان قال بلسانه فحسن وان أسره فى قلبه ورفع به همه نابه قصده عن المقال وكان
فقره غاية السؤال وهذا أحد الوجهين فى قوله تعالى يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به هكذا كان وصفهم
فى التلاوة و ينبغى ان يكون قلبه يوصف على ركن من أركان الصلاة وهمه معلق بكل معنى من معانى المناجاة
فاذا قال الله أكبر أى مما سواه ولا يقال أكبر من صغير انما يقال أكبر من كبير فيقال هذا كبير وهذا
أكبر فان كان همه الملك الكبير كان ذكر الله أكبر فى قلبه فليواطئ قلبه قوله ولاه فى قوله تعالى ولذكر
الله أكبر و يواطئ لسانه قلبه فى مشاهدة الاكبر فيكون يتلو و ينظر فان الله تعالى قدم العين على اللسان
فى قوله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين فلا يقدم لسانه و يؤخر بصره و يكون عقده محققا لمقاله
بالوصف حتى يكون عاملا بما يقول فى الحال فقد أخذ عليه ذلك لما أمر به حجة عليه وتنبيها له ولا يكون بقوله
الله أكبر حاكيا لذلك عن قول غيره ولا مخبرا به عن سواه بل يكون هو المتحقق بالمعنى القائم بالشهادة وهذا
عند أهل المعرفة واجب لان الايمان قول وعمل فى كل شئ فاذا قلت الله أكبر فان العمل بالقول ان يكون الله
أكبر فى قلبك من كل شئ وهو من رعاية العهد لتدخل تحت الثناء والمدح فى قوله تعالى والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون فالعهد ما أعطيت بلسانك والرعاية الوفاء بالقلب ليستحق الاجر العظيم كما قال تعالى ومن
أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما ومن كان فى قلبه الملك الصغير الفانى أكبر من الملك الاكبر
فما عمل بقوله تعالى الله أكبر وليس هذا حقيقة الايمان لانه لم يأت بعمل وقول وانما جاء بالقول
وهذا قائم بنفس من مشاهدته الآخرة وكانت قرة عينه الآخرة كما قال تعالى ما عندكم ينفد يعنى
الدنيا وما عند الله باق يعنى الآخرة وقد قال جعلت قرة عينى فى الصلاة لانه كان عند ربه
فجعل قرة عينه به وقد قال سبحانه وتعالى ولذكر الله أكبر فالمذكور أكبر وأكبر وقد
أخبر تعالى ان الصلاة أريد بها الذكر فى قوله تعالى وأقم الصلاة لذكرى وروى معنى ذلك عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف واشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم
يكن فى قلبك للمذكور الذى هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لانس بن مالك واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه
كما قال يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا وكقوله تعالى واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وقال النبي
صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عينى فى الصلاة وكان يرى الاكبر فتقر عينه به وقال من لم تنهه صلاته عن
الفحشاء والمنكر لم يزدد بها من الله الا بعدا كما قال من لم يترك قول الزور والخيانة فليس لله تعالى حاجة فى ان
يترك طعامه وشرابه فانما المراد من الصلاة والصيام المخالفة من الآثام ومن اقامة الصلاة واتمامها
الوضوء لها قبل دخول وقتها لئلا يشغله عن أول وقت غيرها و ينبغى ان يكون قلبه فى همه وهمه مع ربه و ربه
فى قلبه فينظر اليه من كلامه و يكلمه بخطابه و يملقه بمناجاته و يعرفه من صفاته فان كل كلمة عن معنى اسم
أو وصف أو خلق أو حكم أو ارادة أو فعل لان الكلام ينبئ عن معانى الاوصاف ويدل على الموصوف وكل كلمة
من الخطاب تتوجه عشر جهات للعارف من كل جهة مقام ومشاهدات أول الجهات الايمان بها والتسليم

الحافى وسليمان الخواص ويوسف بن اسباط وغيرهم قال سفيان الثورى رحمة الله عليه من عاشر الناس داراهم ومن داراهم
راياهم ومن راياهم وقع
فيما وقعوا فيه وقال بعض
العباد لا خير فى الاجتماع
والجد فى العزلة يوفر العرض
ويستر فى الفاقة ويرفع
مؤنة المكافاة فى الحقوق
اللازمة

(فصل) قال الحرث
المحاسبى رحمة الله عليه من
الاسباب المرغبة فى حق
الخلوة المعينة عليها حجبة
النفس عن الفها وقطعها
عن مخالطة الخلق وفطمها
يعنى الحواس عن الاخذ
من الامور التى بها تهيج
القلوب بالحركات الى
الشهوات واضطرار
الجوارح وتهييجها الى
العمل بما يكره الله تعالى
فاذا فقد القلب ما تجلبه له
الحواس سكن عن الحركة
الى الشهوات واجابته
الجوارح بالهدو فعند
ذلك يتفرغ القلب الى
أعمال البر ويضعف فيه
كيد الشيطان لان سلاحه
قد تعطل عند قطع ما يجتلب
بالحواس عنه ووهن
سلطان الهوى فيه وقويت
دلالات سلطان العقل
بالفكرة وغلب على القلب
اذ ضعف ضده فعند ذلك
يغلى قلب العبد بالفكر
فيجمع من ذلك الخوف
فيحث الخوف على طلب
الآخرة وترك الدنيا وما
فيها فيورثه ذلك حب
العزلة والخلوة فيحبها ويأنس بها ويستوحش من المخلوقين ويفر منهم فاذا الزم الخلوة هاج عنده من الخلوة فنون من أصول

لها

لها والتوبة اليها والصبر عليها والرضا بها او الخوف منها والرجاء لها والشكر عليها والمحبة لها والتوكل فيها فهذه المقامات العشر هي مقامات اليقين لان الكلمة هي حق اليقين وهذه المعاني كلها منطوية في كل كلمة يشهدها أهل التملق والمناجاة ويعرفها أهل العلم والحياة لان كلام المحبوب حياة القلوب لا ينذر به الاحي ولا يحيا به الامستجيب قال الله تعالى ان هو الاذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا وقال سبحانه استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ولا يشهد هذه العشر مشاهدات الامن نقل في العشر المقامات المذكورة في سورة الاحزاب أولها مقام المسلمين وآخرها مقام الذاكرين وبعد مقام الذكر هذه المشاهدات العشر فعندها الاعلى المناجاة لوجود المصافاة ولا يثقل عليه القيام للذة والافهام ويسهل عليه الوقوف لدنو العطوف ويتنعم بالعتاب بحلاوة الاقتراب هنالك يندرج طول القيام في التلاوة فلا يجده كانجدراج القبلة في الصلاة فلا يشهدها فيكون من ورائه القبلة وهو امامها كذلك القيام يحمله وهو مع حامله حدثنا ان المؤمن اذا توضأ للصلاة تباعدت عنه الشياطين في اقطار الارض خوفا منه لانه يتأهب للدخول على الملك فاذا كبر حجب عنه ابليس وضرب بينه وبينه سرادق لا ينظر اليه وواجهه الجبار بوجهه فاذا قال الله أكبر اطلع الملك في قلبه فاذا ليس في قلبه أكبر من الله تعالى فيقول صدقت الله تعالى في قلبك كما تقول قال فيتشعشع من قلبه نور يلحق بملكوت العرش فيكشف له بذلك النور ملكوت السموات والارض ويكتب له حشو ذلك النور حسنات قال وان الغافل الجاهل اذا قام للوضوء احتوشته الشياطين كما يحتوش الذباب على نقطة العسل واذا كبر اطلع الملك في قلبه فاذا كل شيء في قلبه أكبر من الله تعالى عنده فيقول له كذبت ليس الله في قلبك كما تقول قال فيثور في قلبه دخان يلحق بعنان السماء فيكون حجابا لقلبه قال فيرد ذلك الحجاب صلاته ويلتقم الشيطان قلبه فلا يزال ينفخ فيه وينفث ويوسوس اليه ويزين له حتى ينصرف من صلاته ولا يعقل ما كان فيه وقد جاء في الخبر لولا ان الشياطين يحومون حول قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السموات وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت الينا فقال أيكم يحب ان يبزق في وجهه فقلنا لا أينا قال فان أحدكم اذا دخل في صلاته فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليفعل به هكذا ودلك بعضه ببعض وقد روى اذا قام العبد في صلاته فقال الله أكبر قال الله للملائكة ارفعوا الحجاب بيني وبين عبدي فاذا التفت يقول الله تعالى عبدي الى من تلتفت أنا خير لك ممن تلتفت اليه ثم اذا قام المقبل على صلاته شهد قلبه قيامه لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ثم شهد وقوفه بالحضرة بين يدي الملك الجبار اذ ليس من الغافلين فتأخذه غيبة الحضور ويرهقه اجلال الحاضر ويستولي عليه تعظيم القريب ويجمعه خشية الرقيب فاذا تلا وقف همه مع المتكلم ماذا أراد واشتغل قلبه بالفهم عنه والانبساط منه فان ركع وقف قلبه مع التعظيم للعظيم فلا يكون في قلبه أعظم من الله تعالى وحده فان رفع شهد الحمد للمحمود فوقف مع الشكر للودود فاستوجب منه المزيد وسكن قلبه بالرضا لانه حقيقة الحمد وان سجد سما قلبه في العلو فقرب من الاعلى بقوله تعالى واسجد واقترب وأهل المشاهدة في السجود على ثلاث مقامات منهم من اذا سجد كوشف بالجبروت الاعلى فيعلو الى القريب ويدنو من القريب وهذا مقام المقربين من المحبوبين ومنهم من اذا سجد كوشف بملكوت العزة فيسجد على الثرى الاسفل عند وصف من أوصاف القادر الاجل فيكسر قلبه ويخبت تواضعا وذلا للعزيز الاعلى وهذا مقام الخائفين من العابدين ومنهم من اذا سجد جال قلبه في ملكوت السموات والارض فثاب بطرائف الفوائد وشهد غرائب الزوائد وهذا مقام الصادقين من الطالبين وهنالك قسم رابع لا يذكر بشيء ليس له وصف فيستحق المدح وهم الذين يجول همهم في أعطية الملك وأنصبة الممالك فهم محجوبون بالهمم الدنية عن الشهادة العلية

الزهد في الدنيا واجتهد العبد في أن يحصل له شيء منها من غير طريق العزلة والخلوة عظمت عليه فيه المؤنة واشتد عليه فيه العلاج فاما عازم على الصبر واما عائد الى طباعه في التخليط فاول ما يهيج من محبة لزوم الخلوة طلب العبد الاخلاص والصدق في جميع أموره فيما بينه وبين الله تعالى لان الرياء ينتفي في العمل في الخلوة ويسقط عن العبد بالخلوة وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويأمن من مداهنة الناس ويورث راحة القلب من هموم الدنيا ويوقي شرور الخلق وكلفة مداراتهم قال بعضهم مكابدة العزلة أيسر من مداراة الخلطة ويهيج عن الخلوة خمول النفس والاغماض في الناس وهي أول طريق الصدق الذي منه الاخلاص ويهيج عن الخلوة الوحشة بين الناس والانس بالله تعالى وتورث الخلوة طول الصمت من غير تكلف والقوة على الصبر وضعف داعية الهوى والشهوة ومن ذلك يظهر الحلم والايقاظ ويهيج من الخلوة شغل العبد بنفسه وقلة ذكره لغيره ويورث ذلك الغيرة ويورث ذلك ترك الغيبة والنميمة ويهيج عن الخلوة فناء النفس على الفكرة في عظمة الله وجلاله وخوف الشقاء في المعاد ويهيج من الخلوة ترك التزين للناس ومراآتهم ويورث حب الخلوة حياة القلوب ونفاذ البصيرة في الامور المغيبة ويهيج من الخلوة محبة لقاء الله والوحشة من الخلق والانس

مأسورون بالهوى عن السياحة الى الاعلام فان دعا هذا المصلى نظر الى المدعو فكان هو المرجو فاخذ فى التمجيد والثناء والحمد والآلاء ونسى حاجته من الدنيا واشتغل عن نفسه بالمولى وعن مسئلته بحسن الثناء وان استغفر هذا الداعى تفكر فى أوصاف التوبة وأحكام التائب وتفكر ماسلف من الذنوب فعمل فى تصفية الاستغفار واخلاص الانابة والاعتذار وجدد عقد الاستقامة فيكون له بهذا الاستغفار من الله عز وجل تحية وكرامة ففى مثل صلاة هذا العبد وردت الاخبار ان العبد اذا قام الى الصلاة رفع الحجاب بينه وبينه وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلى لينثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادى مناد لو علم المناجى من يناجى ما انفتل وان أبواب السماء تفتح للمصلين وان الله تعالى يباهى ملائكته بصفوف المصلين وفى التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز ان تقوم بين يدى مصليا باكيا فانا الله تعالى الذى اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نورى قال وكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء وتلك الفتوح التى يجدها المصلى فى قلبه من دنو الرب تبارك وتعالى من القلب وقال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم ادع الله تعالى ان يرزقنى مرافقتك فى الجنة فقال أعنى بكثرة السجود وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شئ أحب اليه من الصلاة لتعبد به ملائكته فمنهم راكع وساجد وقائم وقاعد أو كما قال بعض العلماء الصلاة خدمة الله عز وجل فى أرضه وقال آخر المصلون خدام الله عز وجل على بساطه ويقال ان المصلين من الملائكة يسمون فى السموات خدام الرحمن ويفخرون بذلك على سائر المرسلين من الملائكة ويقال ان المؤمن اذا صلى ركعتين عجب منه عشر صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف وباهى الله تعالى به مائة ألف ملك وذلك ان العبد قد جمع فيه أركان الصلاة الاربعة من القيام والقعود والركوع والسجود وفرق ذلك على أربعين ألف ملك والقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وكذلك الراكعون والساجدون ثم قد جمع الله له أركان الصلاة الستة من التلاوة والحمد والاستغفار والدعاء والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وفرق ذلك على ستين ألف ملك لان كل صف من الملائكة عبادته ذكر من الاذكار الستة فاذا رأت الاملاك ما جمع فيه من الاركان الستة والاذكار فى ركعتين عجبت منه وباهاهم الله تعالى به لانه قد فرق تلك الاعمال والاركان على مائة ألف ملك وبذلك فضل المؤمن على الملائكة وكذلك فضل الموقن أيضا فى مقامات اليقين من أعمال القلوب على الاملاك بالتنقل فى المقامات بان جمعت فيه ورفع منها والملائكة لا ينتقلون بل كل ملك موقوف فى مقام معلوم لا ينقل عنه الى غيره مثل الشكر والخوف والرجاء والشوق والانس والخشية والمحبة بل كل ملك له مزيد علم من المقام الواحد على قدر قوته وجمع ذلك كله فى قلب الموقن قال الله تعالى وهو أصدق القائلين فى صفات أوليائه المؤمنين قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون فمدحهم بالصلاة كما ذكرهم بالايمان ثم مدح صلاتهم بالخشوع كما افتتح بالصلاة أوصافهم ثم قال فى آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون فختم بها نعوتهم وقال فى نعت عباده المصلين الذين استثناهم من الجزع عند المصائب والفقر المانعين للمال والخير الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون ثم نسق النعوت وقال فى آخرها والذين هم على صلاتهم يحافظون فلولا انها أحب الاعمال اليه ما جعلها مفتاح صفات أحبائه وختامها ولما وصفهم بالدوام والمحافظة عليها ومدحهم بالخشوع فيها والخشوع هو انكسار القلب واخباته وتواضعه وذلته ثم لين الجانب وكف الجوارح وحسن سمت واقبال والمداومة والمواظبة عليها وسكون القلب والجوارح فيها والمحافظة هى حضور القلب واصغاؤه وصفاء الفهم وافراده مع مراعاة الاوقات واكمال طهارة الادوات ثم قال تعالى فى عاقبة المصلين أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون فجعل أول عطائهم الفلاح وهو الظفر والبقاء وآخره الفردوس وهو خير

بكلام رب العالمين الذى جعله نورا وشفاء للعالمين وهدى ورشدا للمستبصرين انتهى كلام الحرث وقال بعضهم من أراد الخلوة فليخل قلبه من جميع الوسائط والاسباب لان الخلوة حضرة الحق فلا يكن فى قلبه غيره ولا يطالب الا منه ولا ينال شيأ من مواهب الخلوة وفى قلبه ربانية لغير الله تعالى نسأل الله العظيم الاخلاص فى العمل والتوفيق لما يحبه ويرضاه

(باب الرعاية لحقوق الله تعالى ومحاسبة النفس)

قال الله تعالى فما رعوها حق رعايتها وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وورد فى الاخبار انه صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وقال ميمون ابن مهران لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه واجمع العلماء على وجوب حقوق الله تعالى وعلى انه يجب على العبد ان يحاسب نفسه على الاعمال فينظر فى جميع أعماله المتعلقة بالقلب والجوارح الظاهرة ويعتبرها عملا عملا فما كان منها على وفق الشرع حمد الله تعالى عليه فانه من أكمل نعم الله تعالى عليه وما كان منها مخالفا تداركه بالتوبة والاستغفار كذلك كان يفعل المستغفر

المستقر والمأوى وقال فى اضدادهم من أهل النار ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين وقال مو بخا لآخرين منهم فلا صدق ولا صلى ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طاعة من نهاه عن الصلاة ثم أمره بها وأخبره ان فيها القرب والزلفى فى قوله تعالى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى ثم قال كلا لا تطعه واسجد واقترب فالمصلون بقية من خلقه وورثة جنته من عباده وأهل النجاة من دار غضبه وابعاده جعلنا الله منهم بعطفه ورحمته* ذكر الحث على المحافظة على الصلاة وطريقة المصلين من الموقنين قال الله سبحانه وتعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا الآية فاختار لنفسه أصحابه صلوات الله عليه ثم اختار لاصحابه الصلاة فجعلها وصفهم فى الانجيل والتوراة فهذا يدل ان الصلاة أفضل الاعمال لان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العمال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال الصلاة لمواقيتها وعن عمر رضى الله تعالى عنه اذا رأيت الرجل حافظا لصلاته فظن به خيرا واذا رأيته مضيعا لصلاته فهو لما سواها أضيع وكان الحسن يقول ابن آدم ماذا يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك فهو على الله تعالى أهون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين من تركها فقد كفر وفى حديث آخر بين الكفر والايمان ترك الصلاة وفى الخبر من حافظ على الصلوات الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نورا وبرهانا يوم القيامة ومن ضيعها حشره الله تعالى مع فرعون وهامان وفى تفسير قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا قال الصلوات الخمس وعن ابن مسعود وسلمان الصلاة مكيال فمن أوفى وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله تعالى فى المطففين وفى الخبر أسوأ الناس سرقة الذى يسرق من صلاته فلا يتم ركوعها ولا سجودها وفى الخبر اذا صلى العبد فى الملأ فاحسن وأساء صلاته فى الخلا فتلك استهانة يستهين بها ربه عز وجل وفى الخبر اذا أحسن العبد صلاته فى العلانية وأحسنها فى السر قال الله تعالى لملائكته هذا عبدى حقا وعن كعب وغيره من قبلت صلاته قبلت أعماله كلها ومن ردت عليه صلاته ردت عليه أعماله كلها ويقال من تقبلت منه الصلوات الخمس كملا من غير ان تلحق ولا يرفع بعضها من بعض أو غيرها من النوافل اطلع على علم الابدال وكتب صديقا وعلامة قبول الصلوات ان تنهاه فى تضاعيفها عن الفحشاء والمنكر والفحشاء الكبائر والمنكر ما تنكره العلماء فمن انتهى رفعت صلاته الى سدرة المنتهى ومن تخرقته الاهواء فقد ردت صلاته لما غوى فهوى وقال مالك بن دينار وابراهيم بن أدهم انى لارى الرجل يسىء صلاته فارحم عياله وقال الفضيل بن عياض الفرائض رؤس الاموال والنوافل الارباح ولا يصح ربح الا بعد رأس المال وكان ابن عيينة يقول انما حرموا الوصول بتضييع الاصول وقال على بن الحسين من اهتم بالصلوات الخمس فى مواقيتها واكمال طهورها لم يكن له فى الدنيا عيش وكان عليه السلام اذا توضأ للصلاة تغير لونه واصفر وارعد فقيل له فى ذلك فقال تدرون بين يدى من أريد ان أقف وعلى من ادخل ولمن أخاطب وقال بعض العارفين للصلاة أربع فرائض اجلال المقام واخلاص السهام ويقين المقال وتسليم الامر وقال أبو الدرداء خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والاظلة لذكر الله تعالى وكان وكيع يقول من لم يأخذ اهبة الصلاة قبل وقتها لم يحافظ عليها ومن تهاون بتكبيرة الاحرام فاغسل يدك منه وروينا فى تفسير قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم قال تكبيرة الاحرام وفى حديث أبى كاهل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا يفوته منها تكبيرة الاحرام كتب له براءتان براءة من النفاق وبراءة من النار وقال سعيد بن المسيب منذ أربعين سنة ما فاتتنى تكبيرة الاحرام فى جماعة وكان يسمى حمامة المسجد وقال عبد الرزاق من عشرين سنة ما سمعت الاذان الا فى المسجد ويقال انه اذا كان يوم القيامة أمر بطبقات المصلين الى الجنة زمرا قال فتأتى أول زمرة كان وجوههم الكوكب الدرى فتستقبلهم الملائكة فيقولون من أنتم فيقولون نحن المصلون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون ما كانت أعمالكم فى الدنيا فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الى

عمر رضى الله عنه واعلم ان المحاسبة على الاعمال مبنية على معرفة ترتب الطاعات وما يجب تقديمه منها وتوسيطه أو تأخيره فان الشيطان اذا أيس من التائب ان يوافقه على المعاصى الظاهرة دس عليه معاصى خفية لا يشعر بها فيأمر بتقديم طاعة أوجب الله تأخيرها أو توسيطها أو يأمره بتأخير طاعة أوجب الله تعالى تقديمها أو توسطها كل ذلك ليخسر العبد من حيث لا يعلم وقد توافق النفس الشيطان على ذلك فرارا من أثقل العبادتين وأشقهما الى أخفهما وأروحهما وطريقه فى النجاة من ذلك انه اذا خطرت له حسنة فلا يقدم عليها حتى ينظر أهى مما قدمه الله فى ذلك أو مما وسطه فان كانت مما قدمه الله تعالى فى ذلك الوقت على غيره من الطاعات فلا يقدم عليها حتى يخلصها لله تعالى فلا يريد بها سواه وارادة الله تعالى بالاعمال أقسام أحدها ان يعمل له طمعا فى ثوابه الثانى ان يعمل له خوفا من عقابه الثالث ان يعمل له حبا الرابع ان يعمل له اجلالا وتعظيما عن المخالفة الخامس أن يضيف بعض هذه الاقسام الى بعض *(فصل)* فى كيفية رعاية حقوق الله تعالى مضيقها وموسعها ومعينها ومخيرها ومقدمها ومؤخرها وما أوجب الله تعالى على العباد عند الخطرات وكيفية ابتداء الاعمال من ابتدائها الى انتهائها قال الحرث المحاسبى رحمة الله عليه اعلم ان

الطهارة لا يشغلها غيرها فتقول الملائكة يحق لكم ذلك ثم تأتي الزمرة الثانية فوق أولئك في الحسن والجمال كان وجوههم الاقمار فتقول الملائكة من أنتم فيقولون نحن المصلون فيقولون وما كانت صلاتكم فيقولون كنا نتوضأ للصلاة قبل دخول وقتها فتقول الملائكة يحق لكم ذلك ثم تأتي الزمرة الثالثة فوق هؤلاء في المنزلة والجمال كان وجوههم الشمس الضاحية فتقول الملائكة انتم أحسن وجوها وأعلى مقاما فما أنتم فيقولون نحن المصلون فيقولون وما كانت صلاتكم فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد فتقول الملائكة يحق لكم ذلك وقال بعض العلماء رضي الله عنهم سميت الصلاة صلاة لانها صلة بين العبد وبين الله عز وجل ومواصلة من الله تعالى لعبده ولا تكون المواصلة والمنال الا للتقي قال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم ولا يكون التقي الا خاشعا فعندها لا يعظم عليه طول الوقوف ولا يكثر عليه الانتهاء عن المنكر والائتمار بالمعروف كما قال سبحانه وتعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والخاشعون من المؤمنين هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر الحافظون لحدود الله جزاؤهم البشرى كما قال وبشر المؤمنين والخاشعون أيضا الخائفون الذاكرون الصابرون والمقيمون الصلاة فاذا كملت هذه الاوصاف فيهم كانوا مخبتين وقد قال سبحانه وبشر المخبتين وكان ابن مسعود اذا نظر الى الربيع بن خيثم يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد صلى الله عليه وسلم لفرح بك وفي لفظ آخر لاحبك يقال انه كان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة لا تحسب جارية ابن مسعود الا انه أعمى لشدة غض بصره وطول اطراقه الى الارض بنظره وكان اذا دق الباب عليه تخرج اليه الجارية فاذا رأته قالت لعبد الله صديقك ذلك الاعمى قد جاءك فكان ابن مسعود يضحك ويقول ويحك ذلك الربيع ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الاكوار تنفخ والى النيران تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله ابن مسعود على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى الساعة التي صعق فيها حتى فاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله الخوف وكان هذا يقول ما دخلت في صلاة قط فاهمني فيها الا ما أقول وما يقال لي وقد كان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين كان اذا صلى ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يعقل ذلك ولا يسمعه وقيل له ذات يوم هل تحدث نفسك في الصلاة بشئ قال نعم بوقوفي بين يدى الله عز وجل ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيأ مما نجده من أمور الدنيا فقال لان تختلف الاسنة في أحب الى من ان أجد شيأ في الصلاة مما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار من الزاهدين العابدين كان اذا دخل في الصلاة يقول لاهله تحدثوا بما تريدون وافشوا سركم فاني لا أسمع اليكم وكان يقول وما يدريكم أين قلبي وكان يصلي ذات يوم في مسجد البصرة فوقعت خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات فتسامع بها أهل السوق فدخلوا المسجد وهو يصلي كانه وتد وما انفتل من صلاته فلما فرغ جاءه الناس يهنونه فقال أي شئ تهنوني قالوا وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها قال متى وقعت قيل وأنت تصلي قال ما شعرت بها وقال بعض المصلين الصلاة من الآخرة فاذا دخلت في الصلاة خرجت من الدنيا وسئل بعضهم هل تذكر في صلاتك شيأ قال وهل شئ أحب الى من الصلاة فاذكره فيها وكان أبو الدرداء يقول من فقه الرجل ان يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وفي الخبر ان عمار بن ياسر صلى صلاة فخففها فقيل له خففت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيأ قالوا لا قال لاني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له ثلثها ولا نصفها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وقد ذكر هذا عبد الواحد بن زيد انه اجماع فروينا عنه انه قال اجمعت العلماء انه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل وقال الحسن كل صلاة لا يحضرها قلبك فهي الى العقوبة أسرع منها الى

القلوب أول محل التكليف وان أعمال الابدان موقوفة على أعمال القلوب وان الاعمال انما يقع ابتداؤها من القلوب ثم تظهر على الجوارح فاول أفعال القلوب الخاطر ولا تكليف بسبب خطوره على القلب فاذا خطر على القلب وعرفت النفس ما فيه من المصالح أو المفاسد فانها تميل اليه ان وافقها وتنفر عنه ان خالفها ولا يتعلق التكليف أيضا بالميل ولا بالنفور عنه فانهما أمران طبيعيان لا انفكاك عنهما ولا انفصال منهما ولا يكلف الله نفسا الا وسعها فاذا حصل ميل النفس أو نفورها حضر الشيطان فزين لها الاقدام على الفعل ان كان مما لا يرضى الله تعالى وزين لها النفور عن الفعل ان كان مما فيه رضا الله تعالى فهذا ابتداء تكليف القلوب وهو العزم على الفعل أو العزم على الترك فالخطاب المتعلق بالعزم أول تكليف يرد على القلوب بعد الايمان والخواطر ثلاثة خطرة من النفس تخطرها بالقلب لتنال بها هواها وتدرك بها مناها وخطرة من الشيطان يخطرها ليهلك الانسان بما يزينه له من الفواحش وخطرة من الرحمن تخطر رحمة للانسان لما ينيله من الثواب فحق على الانسان اذا خطرت له خطرة ان لا يوافقها حتى يعرفها ويميز ما تخطره النفس والشيطان مما يخطره الرحمن وانما يقع التمييز بالتثبت وعرض تلك الخطرات على الكتاب والسنة فما وافق الكتاب

الثواب

الثواب ويقال ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم الزبير وطلحة كانوا أخف الناس صلاة فسئلوا عن ذلك فقالوا انبادر بها وسوسة العدو وروينا ان عمر رضى الله تعالى عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه فى الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذاك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله تعالى فيها وقال الله جل ذكره ومن أصدق من الله حديثا حتى تعلموا ما تقولون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تشعبت به الهموم لم يبال الله تعالى فى أى أوديتها هلك وسئل أبو العالية عن قوله تعالى الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذى يسهو فى صلاته فلا يدرى على كم ينصرف على شفع أم على وتر وسئل الحسن عن ذلك فقال هو الذى يسهو عن وقت الصلاة حتى يخرج وقتها وكان يقول أما والله لو تركوها لكفروا ولكن سهوا عن الوقت وقال بعض السلف فيها هو الذى ان صلاها فى أول الوقت أو فى الجماعة لم يفرح وان صلاها بعد الوقت لم يحزن وقيل هو الذى لا يرى تعجيلها برا ولا تأخيرها اثما ويقال ان الصلوات الخمس يلحق بعضها الى بعض حتى يتم بها للعبد صلاة واحدة وقيل من الناس من يصلى خمسين صلاة فيكمل له بها خمس صلوات وان الله تعالى ليستوفى من العبد ما أمره به كما فرضه عليه والا تممه من سائر أعمال النوافل لانه ما فرض على العبد الا ما يطيقه بعونه اذ لم يكلفه ما لا طاقة له به برحمته وروينا عن عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجانى عبدى وبالنوافل تقرب الى عبدى وقد جاء مثله عن نبينا صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى لا ينجو منى عبد الا باداء ما افترضته عليه وفى الخبر المفسر أول ما يحاسب به العبد الصلاة فان وجدت كاملة والا يقول الله تعالى انظروا هل لعبدى نوافل فتتم فرائضه من نوافله ثم يعمل بسائر الفرائض كذلك يوفى كل فرض من جنسه من النفل فاذا كانت النوافل فى السهو والتقصير كالفرائض أو لم يوجد نوافل فكيف يكون حاله فى الحساب وكان ابن عباس يفسر قوله تعالى كلا لما يقض ما أمره قال يعنى به الكافر لان عنده ان كل موضع فى القرآن يذكر به الانسان خاصة انه يعنى به الكافر وقد قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها يعنى طاقتها وقال سبحانه وتعالى مخبرا عن المؤمنين ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فى التفسير قد فعلت وفى هذه المسئلة اختلاف وشبهة والصواب من ذلك ان الله عز وجل لا يكلف المؤمنين خاصة ما لا طاقة لهم به فهم مخصوصون بذلك فضلا من الله تعالى ونعمة آثرهم بها على الكافرين اذ له ان يؤثر بعض عباده على بعض لان الفضل بيده يؤتيه من يشاء وهذا مفهوم من دليل الخطاب من قوله لا تحملنا ما لا طاقة لنا به ان له تعالى ان يحمل الكافر ما لا طاقة له به عدلا منه وحكمة كما قال تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته قيل صدقا للمؤمنين وعدلا على الكافرين قال الله تعالى مخبرا عن اخوة يوسف تالله لقد آثرك الله علينا فهذا نص فى الايثار لبعض خلقه على بعض ثم رأيت تصديق ما ذكرته عن ابن عباس رواه اسمعيل عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها يعنى الا طاقتها من العمل لان الله تعالى افترض على المؤمنين أعمالا يطيقونها ولم يفترض عليهم ما لا يطيقون هذا نقل لفظ ابن مسعود فى تخصيص المؤمنين كما ذكرناه آنفا ويقول أيضا فى تفصيل هذه المسئلة للزائغين فيها تعلق ابتغاء التأويل ان الله تعالى كلف العباد ما لا يطيقونه الا به لافتقارهم اليه وعدم استغنائهم عنه فى كل حركة وسكون اذ لا مشيئة لهم دون مشيئته ولا استطاعة الا بتوفيقه ولا حول ولا قوة الا به ألم تسمع الى قوله تعالى فى وصف الكافرين ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون وقال تعالى فى مثله وكانوا لا يستطيعون سمعا وقال فيمن استطاع به ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه توكلت وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى كما أمر غفر له ما تقدم من ذنبه وقد روى فى خبر يقول الله تعالى ليس كل مصل أتقبل صلاته انما أتقبل صلاة من تواضع لعظمتى وخشع قلبه لجلالى وكف شهواته عن محارمى وقطع ليله ونهاره بذكرى ولم يصر على معصيتى ولم يتكبر على خلقى ورحم الضعيف وواسى الفقير من أجلى على ان أجعل

والسنة علم انه من الخاطر الوارد من قبل الرحمن اما بواسطة الملك أو بغير واسطة وما خالف الكتاب والسنة علم انه من خواطر النفس أو من جهة الشيطان ويتميز خاطر النفس من خاطر الشيطان بان عزمها من العزم على ما خطر لها فان ألحت النفس فى طلبه فهو من خواطرها وان نكلت عنه فهو من الخواطر الشيطانية واذا كان العزم ينقسم الى حلال وحرام فنقول اذا التبس أحدهما بالآخر لم يجز الاقدام على أحدهما الا بعد النظر والبيان كما لو اشتبه اناء طاهر باناء نجس أو درهم حلال بدرهم حرام فيجب التثبت عند الاشتباه الى أن تتبين الخطرة فان عرضتها على أصول الشريعة فلم يظهر لك شئ لم يحل لك الاقدام على الحلال الملتبس بالحرام كما اذا اجتهدت بين الانائين فلم يظهر لك شئ فانه لا يحل لك الاقدام على أحدهما كذلك نقول ههنا قال الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبى وأما كيفية رعاية الحقوق فى التقديم والتأخير فمنها تقديم بر الوالدة على الوالد ثم تقديم الاقرب فالاقرب فان استوى قدم أشدهم حاجة الثانى ان يقدم المؤن والنفقات الواجبة على التوسعة فيقدم نفقة العيال على نفقة الحج والعمرة الثالث ان تقدم صلاة الجمعة على رد الوديعة الرابع ان لا يقدم بر الوالدين المندوب على صلاة الجمعة ولا على فريضة ضاق وقتها الخامس

الجهالة له حلما والظلام له نورا يدعوني فألبيه ويسألني فأعطيه ويقسم علي فابره أكلؤه بقوتي وأباهي به ملائكتي لو قسم نوره عندي على أهل الارض لوسعهم مثله كمثل الفردوس لا يتسنى ثمرها ولم يتغير حالها وفي الخبر كم من قائم حظه من قيامه السهر والتعب ومن صلى صلاة وراء امام فلم يدر ماذا قرأ فهو نهاية السهو فانه تارك الامر للاستماع فيخاف عليه مجانبة الرحمة لان الله تعالى ضمن الرحمة بشرطين الاستماع والانصات وقال سبحانه في المعنيين واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون وقال تعالى فلما حضروه قالوا أنصتوا ورويناه في خبر ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى صلاة فترك في قراءته فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما أدري أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم الا ان بني اسرائيل كذلكم فعلوا فأوحى الله الى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني قلوبكم باطل ما تذهبون * وقال بعض علمائنا ان العبد ليسجد السجدة عنده انه يتقرب بها الى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك يا أبا محمد قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه وهذا كما قال لان فيه انتهاك حرمة القرب وسقوط هيبة الرب تعالى واعلم ان طول الصلاة عليك غفلة وقصرها سهو لانها اذا طالت عليك دل على عدم الحلاوة ووجود الثقل بها وكبرها على جوارحك واذا قصرت عليك وخفت دل على نقصان حدودها ودخول الغفلة والسهو فيها فالنسيان قصرها والامنة في الصلاة أن لا تطول عليك لوجود الحلاوة ولذة المناجاة وحسن الفهم واجتماع الهم ولا تقصر عليك لتيقظك فيها ورعايتك حدودها وحسن قيامك بها وهذه مراقبة المصلين ومشاهدة الخاشعين

*ذكر أحكام الخواطر في الصلاة وما ذكر به العبد في الصلاة من الخير فليسارع الى فعله فذلك من أحب الاشياء الى الله تعالى لانه أذكره اياها في أحب المواطن اليه وما ذكر به من المكروه والمقوت اليه من المعتاد والمستأنف فليجتنبه فانه هو الذي يبعده من قرب الله سبحانه وتعالى وتذكيره اياه في محل القرب توبيخا له وتقريرا وقد يكون عتبا وتنبيها فتركه ذلك مما يقرب الى الله تعالى ويدل على حسن الاستجابة له وهو مسلك طريقه الى الله تعالى وما خطر به من خاطر نفس أو هوى أو ذكر بهمة مما يأتي أو ما قد مضى فان ذلك وسوسة اليه من عدو وحسد له ليقطعه بذلك عن وقوف قلبه عند كل ركن من أركان الصلاة ويشغل قلبه عن الوقوف في المناجاة فيحجبه بما يحضره عما يأتيه ويحرمه بذلك ان يشهد عند كل ذكر من أذكار الصلاة ما يوجبه الذكر من تدبر أو تعظيم أو حمد أو دعاء أو استغفار وان خطر بقلبه أمر معاشه وتصريف أحواله وتدبير شأنه من المناجاة فذلك من قبل النفس وفكرها بما توسوس به من أمور الدنيا فاما ان خطرت همة محظورة أو فكر في معصية مأزورة فهذا هو الهلاك والبعد يكون عن وصف النفس الامارة باستحواذ العدو المغوي فهو علامة الابعاد والحجاب دليل المقت والابعاد والاعراض فاذا ابتلي في صلاته بهذه المعاني بقدر اختبر بذلك فعليه ان يعمل في نفيه مع نظر بدوه ولا يمكنه من الظهور من قلبه فيملكه ولا يصغي اليه بعقله فيستولي عليه ولا يحادثه ولا يطاوله فيخرجه من حد الذكر واليقظة الى مسامرة الجهل والغفلة وكل عمل محظور فالهمة به محظورة وفيه نقص وكل عمل مباح فالهمة به مباحة ونفعه افضل وما خطر على قلبه من الخيرات المتأخر فعلها فليعقد النية بذلك فانه قد ذكر به وأريد منه ثم ليمض في صلاته ولا يشتغل بتدبيره كيف يكون ومتى يكون أو كيف أكون فيه وعنده اذا كان فيفوته الاقبال في الحال بتدبير شأنه في المآل وهذا هو استراق من العدو عليه والقاء من خدعه اليه فان جاهد هذا المصلي نفسه عن مسامرة الفكر وقابل عدوه في قطع وسوسة الصدر كان مجاهدا في سبيل الله تعالى مقاتلا لمن يليه من اعداء الله تعالى له أجران أجر الصلاة للتقرب الى الكريم وأجر المصارمة والمحاربة لعدوه الرجيم وقد كان لا قوي له من المؤمنين أهل

تقديم الديون الحالة التي طالب بها أربابها على الحج السادس تقديم طاعة الوالدين على الواجب الموسع السابع يقدم حق الزوجة على رضا الوالدين هذا في المأمورات وأما المنهيات فلا تضرب الاولاد ونهيهم لرضا الزوجات الثاني لا يرضى الوالدين بقطع الارحام الثالث لا تؤدى الحقوق الواجبات من الشبهات وقد استوفى الحرث المحاسبي جميع تفاصيل هذا الباب وأقسامه في الرعاية فمن أحب الوقوف عليها فليطالع الرعاية

(فصل) قال المحققون العلماء الحكام أرباب البصائر وأهل النفاذ السلوك الى الله تعالى له بداية وتوسط ونهاية فالبداية هي اليقظة والتوبة والتوسط المحبة والادب والنهاية المعرفة والعلم ويكون الايمان محبة والتوكل حالته والبرهان حجته والاستسلام مطيته والزهد بضاعته والمحاسبة أمانته والبحث عن خفي عيوب النفس نقايته والاستقامة عدالته والرضا غنيمته والتسليم راحته والتفويض سياحته والتقوى عدته والفكر والذكر فاكهته والتوحيد قناعته والصبر عادته والخلوة بيته فمن كان كذلك فهو منقطع الى الله تعالى ومن انقطع الى الله تعالى أواه الله وقال عليه الصلاة والسلام من انقطع الى الله كفاه الله المؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب وقال بعض الحكماء وهو ابراهيم الخواص رحمة الله عليه أصل الدين بعد

الغلظة على الاعداء والتمكين اذا ابتلوا بداخل يدخل عليهم فى الصلاة من الاسباب يخرجهم عن المشاهدة فيها عجلوا فى قطع ذلك الشئ وابعاده من أصله اذ كان سبب قطعهم وابعادهم من قربهم فيستخرج بادخال ذلك عليهم اخراجهم من الدنيا والزهد فيها فيكون ذلك احسانا من الله اليهم ومزيدا منه لهم وهذا أحد ما زهد لاجله الزاهدون فى الدنيا لتصفو قلوبهم من الاسباب فتخلص أعمالهم من الوسواس بالاكتساب ومن ذلك ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزع الجبة التى كانت عليه فى الصلاة لما نظر الى علمها وقال ألهتنى هذه فى الصلاة يعنى شغلتنى ونظر الى شراك نعله فى الصلاة وكان جديدا فأمر ان ينزع منها ويعاد لها الشراك الخلق وكان قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى أول سائل لقيه ثم أمر عليا ان يشترى له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما وكان الضعفاء من المؤمنين يعملون فى نفيه وترك مساكنته ومحادثته فى الحال لقوادح اليقين فى ايمانهم ولسرعة التيقظ فى قلوبهم لان الآفات تدخل من مكان الهوى وتمكين الاعداء ومكان الهوى وقوة العدو لطول الغفلة وعدم حلاوة الطاعة لاتساع النفس فى الشهوات وقوة سلطانها على الصفات واتساع النفس وقوة صفاتها لضيق القلب وضعف اليقين اذ لو قوى يقين العبد لانشرح صدره ولاطفأ نور يقينه ظلمة هواه ولاندرجت النفس فى القلب اندراج الليل فى النهار ولاسقط مكانه من الشهادة تمكن أعدائه والعادة ولعلم يقينا ان ما هو فيه من الذكر والصلاة أنفع له وأحمد عاقبة مما تفكر فيه من عاجل دنياه فيشتغل حينئذ بما هو فيه له من الذكر عما هو عليه من سوء الفكر وليس بعد هذين المقامين حال ينعت ولا يمدح بشئ وما قدح فى قلبه من فهم الخطاب وتدبر معانى الكلام والايقان على المقصد والمراد فهو تعليم من الله تعالى وتوقيف وتنبيه منه وتعريف وهذا مزيد التلاوة وعلامة الاخلاص فى المعاملة وبركة التدبر ودليل القبول والشكر لحسن الخدمة فليأخذ من ذلك ما عطاه ويغترف منه ما صفا ولا ينتظره ولا يتمناه ولا يتبعه بعد انصرافه بالفكر فى معناه فيسترق العدو عليه السمع ويلقى اليه الوسوسة ويطمع فيه بالغرة ويدخل عليه من باب الامنية لانه قد قرن الامانى بالامال فهى مواعيد الكذب للابطال ألم تسمع الى ربك تعالى كيف أخبرك عنه فى قوله تعالى ولاضلنهم ولامنينهم ثم قال فى مثله وعدهم وشاركهم فى الاموال والاولاد وما يعدهم الشيطان الا غرورا ثم استثنى عباده المسلطين عليه بسلطانه الغالبين له بآياته فلم يصل العدو اليهم لولاية الله لهم وتوكلهم عليه بوكالته اياهم تنتظم هذه المعانى فى قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا وقوله تعالى ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون مع قوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وللعبد فى التفكر والتدبر لما يستقبل من كل كلمة شغل عما فات مما كان عمله وله فى الشغل فى الحال اقتطاع عما قد فهمه وما فهمه من غير ما يتلوه فاستدل به على ما سواه مما يعنيه ويحتاج اليه فهى أبواب من الفطنة تفتح له فيكون التكلم مفتاحها ثم يخرج العبد الى سواها مما هو له أصلح أو عليه أوجب فليعرف بذلك ما عرف وليقف من ذلك على ما عليه وقف وما تفكر فيه من غير تدبر التلاوة أو شغل به من غير فهم المتلو فهو حجاب له عن الفهم وقاطع له عن خالص العلم فليقطع ذلك والتمام فى التلاوة ان يتدبر التالى باطن الكلام ويتفكر فى غوامض الخطاب ويوقف قلبه على معانى المراد ويعمل فكره فى تذكر الوصل والترداد فان الكلام عزيز من عزيز ولطيف من لطيف وحكيم من حكيم وعلى من على ظاهره سهل قريب وباطنه بحر عميق يقول السامع اذا عقله قد فهمته انجلى فحواه فاذا شهده كانه ما سمعه لدقيق معناه يحسب العاقل انه قد عرفه لظهور بيانه وتفصيل حكمته فاذا عرف المتكلم به كانه ما عقله لعمق بحاره وسعة أقطاره قد اغتر به قوم لما سمعوا بيانه فادعوا انهم يحسنونه وخدع به آخرون لما تمثلوا أمثاله فطلبوا غيره وسألوا ابداله وأصغى آخرون الى سمعه فادعوا فهمه فاكذبهم الصادق وعزاهم عن سمعه ثم أخبرنا بجميع ذلك عن جهلهم وعجبنا من جراءتهم فقال فى وصف الاولين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد

الايمان بالله تعالى المحاسبة وصاحب الشهوات لا يصل الى المحاسبة والصدق ينال بالمحاسبة والمحاسبة ان يقف العبد قبل كل حركة وقفة من حركات النفس ووقفاتها حتى يسكن هيجان الحركة بتدبر عواقبها فما كان لله تعالى دخل فيه وما كان لغير الله تعالى تركه ولا ينال هذا الا بالصبر حتى تلزم المحاسبة فى القلوب ولم يكن من العبد حركة ظاهرة ولا باطنة الا والله تعالى أقرب الى قلبه من كل حركة فعندها لا يسقط له فعل ولا ارادة بل تكون افعاله وهممه وارادته وعزائمه مقبولة عند الله تعالى قال ابراهيم الخواص رحمة الله عليه وأما الرعاية فمن لم يحسن رعاية نفسه أسرع به هواه الى الهلكة والخاسر من أبدى للناس أحسن أعماله وبارز بالقبيح من هو أقرب اليه من حبل الوريد انتهى كلام الشيخ ابراهيم وقال بعض المحققين الرعاية على أقسام رعاية الاعمال ورعاية الاحوال ورعاية الوقت فرعاية الاعمال بتوفيرها وتحقيرها والقيام بها من غير نظر اليها ورعاية الاحوال أن يعد الاجتهاد مراياة والفتن تشبعا والحال دعوى ورعاية الوقت ان لا يشغله بشئ مما يسخط الله تعالى ويعمره بكل ما يرضى الله تعالى انتهى

(باب التفكر والتذكر)

قال الله تعالى أولم يتفكروا الآية وقال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم

يتفكرون وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم اجعل صمتى فكرا ونطقى ذكرا ونظرى عبرا وقال العلماء بالله تعالى و بالتفكر
يتوصل الى الحق اذا كان
الفكر مصحوبا بنور
التوفيق الالهى والخطاب
الشرعى فلو انفرد الفكر
العقلى عن مصاحبة
الشرع زل وضل والفكر
الصحيح غاية علم اليقين كما
أن رعاية الاعمان عين
اليقين قال العلماء الفكر
التحدق بعين البصيرة
لادراك البغية وهو ثلاثة
أنواع الاول فكرة فى عين
التوحيد وفى صفات
الكمال ونعوت العظمة
والجلال وذلك بحر لا ساحل
له ولا ينجى من الغرق فى
هذا البحر الا الاعتصام
بحبل الله تعالى والتمسك
بالعلم الظاهر والثانى
الفكرة فى لطائف الصنعة
وفى أسرار الحكمة وعجائب
الابداع والثالث الفكرة
فى معانى الاعمال والاحوال
قال بعضهم خالص الفكر
يوصل الى استقامة القلوب
واستقامة القلوب توصل
الى الصدق والاخلاص
وقال الروذبارى التفكر
على خمسة أقسام الاول
تفكر فى آيات الله يتولد
منه المعرفة والثانى تفكر
فى آلاء الله تعالى ونعمائه
يتولد منه المحبة والثالث
تفكر فى وعد الله وثوابه
يتولد منه الرجاء والرغبة
والرابع تفكر فى وعيده
وعذابه يتولد منه الخوف
والرغبة والخامس تفكر فى
جفاء النفس مع احسان الله تعالى اليها يتولد منه الحياء من الله تعالى وأما الذكر فهو من أفضل العبادات قال الله

سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله وقال فى نعت الآخرين يلقون السمع وأكثرهم كاذبون انهم عن السمع لمعزولون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ثم وصف من أسمعه اياه وأفهمه معناه من الجن الذين هم أشد قوة من الانس وأعظمهم وصفا فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فهؤلاء ممن عقله فدحهم بفهمه وأخبر عن صاحب التنزيل بمثله فقال بل عجبت ويسخرون أى عجبت من القرآن وتفصيله وتنزيله ويسخر منه الجاهلون فان فتح للتالى بالتلاوة عين نفس المتلو باب الفكر فى معانى العظمة والقدرة وكشف له بواسطة الكلام مشاهدة ما كان علمه من وعد الآخرة ووعيدها فله أجران من حيث كان منه عملان الفكرة والصلاة وهذا كله لعموم المؤمنين مزيد وهو بذلك للخصوص من المقربين دون ذلك الا ما وجهوا به من طوالع الغيوب واطلعوا عليه من مطالع سرائر المحبوب فكوشفوا به من بوادى اليقين من العزة والجبروت والاجلال والرهبوت فهجم عليهم من غير تذكر منهم ولا تدبر مما استعملهم به واضطرهم الى مشاهدته القدير فاخرس ألسنتهم عن المقال وعقم عقولهم عن الجدال وأغنى قلوبهم عن الطلب ولم يوكل الى فكرهم بنظر الى سبب بل من غير تعمل منهم لتكييفه ولا رويه ولا اختيار لماهيته ثم يجاوزونه اذا أخذ منهم حقه وأدركوا به نعيمهم الى العالم الاكبر فيقفون بين يديه ويخطون عنده ولا يقفون مع المشاهدة طرفة عين ولا يسكنون اليها خطرة قلب لئلا يقطعهم البيان عن المبين ولا يشغلهم الخبر عن اليقين ولا يحجبهم الشهادة عن الشهيد ولا يحبسهم البادئ العائد عن المبدئ المعيد بل قد أشرف بهم على المراد فاسقط عنهم التشرف وأذهلهم عن الاعتراف والتعريف بما ناداهم به من التعرف واقتطعهم العيان فاغناهم عن الانقطاع وتقطعوا بالمفصل فانساهم الانتفاع وتوصلوا بالموصل فاطلعهم عليه وكان لهم حاملا اليه ودليلا امامهم منه عليه وهذه سطوة الاقوياء بالقوى الاغنياء بالغنى الواجدين للموجد الفاقدين للموجد الذاكرين بذاكر الصابرين بصابر ولا ينبغى للمصلى ان يدخل فى صلاته حتى يقضى نهمته ويفرغ من حاجته ولا يبقى عليه ما يزعج قلبه ويفرق همه ليفرغ قلبه فى صلاته ويجتمع همه فى وقوفه ويصحو عقله لفهمه ويواطئ قلبه قيله ويقبل على المقبل عليه بقوله وهذا يؤمر به الضعفاء عن مجاهدة الاعداء والمرضى عن مسابقة الاولياء وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن القوى أحب الى الله تعالى من المؤمن الضعيف وفى كل خير وقد قال الله تعالى لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله الى قوله فضل الله المجاهدين على القاعدين درجة مع قوله وكلا وعد الله الحسنى (شرح ثالث ما بنى الاسلام عليه وهو الزكاة (كتاب الزكاة) فاما فرائض الزكاة فاربع الحرية وصحة الملك ووجود النصاب وهو مائتا درهم وعشرون دينارا واستكمال الحول وهو من شهر الى مثله * ذكر فضائل الصدقة وآداب العطاء وما يزكو به المعروف ويفضل به المنفقون روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فى المال حق سوى الزكاة وان جماعة من التابعين كانوا يذهبون الى ان فى المال حقوقا غير الزكاة منهم ابراهيم النخعى قال كانوا يرون ان فى المال حقوقا سوى الزكاة ومنهم الشعبى سئل أفى المال حق سوى الزكاة قال نعم اما سمعت قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوى القربى الآية ومنهم عطاء ومجاهد وقد كان المسلمون يرون المساواة والقرض والقيام بمؤن العجزة من أنفسهم وأهلهم من المعروف والبر والاحسان وان ذلك واجب على المتقين وعلى المحسنين من أهل اليسار والمعروف وكذلك مذهب جماعة من أهل التفسير ان قوله عز وجل ومما رزقناهم ينفقون وقوله وانفقوا مما رزقناكم مأمور به وان ذلك غير منسوخ بآية الزكاة وانه داخل فى حق المسلم على المسلمين وواجب بحرمة الاسلام ووجود الحاجة فمن فضائل الزكاة ان يخرجها فى أول ما تجب عليه وان قدمها قبل وجوبها اذا رأى لها موضعا يتنافس فيه ويغتنم خوف فوته من غاز فى سبيل الله عز وجل أو فى دين مطالب أو جهاد وغزو أو الى رجل فقير فاضل طرأ فى وقته أو ان

سبيل غريب كان تقدمتها لى هؤلاء وأمثالهم أفضل وأزكى لانه من المسارعة الى الخير ومن المعاونة على البر والتقوى وداخل فى التطوّع بالخير وفعله الذى أمر به ولا يأمن الحوادث اذفى التأخير آفات وللدنيا نوائب وعوائق وللنفس بدوات وللقلوب تقليب وان جعل رأس الحول أحد الشهرين كان أفضل فان فى هذين خاصية من الفضائل ليست فى غيرهما فاما شهر رمضان فان الله تعالى خصه بتنزيل القرآن وجعل فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر وجعله مكانا لاداء فرضه الذى افترضه على عباده من الصيام وشرفه بما أظهر فيه من عمارة بيوته بالقيام وقد كان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وقد رفعه اسمعيل بن أبى زياد فجاء به مسندا وأما ذو الحجة فانا لا نعلم شهرا جمع خمس فضائل غيره هو شهر حرام وشهر حج وفيه يوم الحج الاكبر وفيه الايام المعلومات وهى العشرة والايام المعدودات وهى أيام التشريق التى أمر الله تعالى بذكره فيها وأفضل أيام فى شهر رمضان العشر الاواخر وأفضل أيام فى شهر الحجة العشر الاول وقد استحب بعض أهل الورع ان يقدم فى كل سنة بشهر لئلا يكون مؤخرا عن رأس الحول لانه اذا أخرج فى شهر معلوم ثم أخرج القابل فى مثله فان ذلك الشهر يكون الثالث عشر وهذا تأخير فقالوا انه اذا أخرج فى رجب فليخرج من القابل فى جمادى الآخرة ليكون آخر سنته بلا زيادة واذا أخرج فى رمضان فليخرج من قابل فى شعبان على هذا لئلا يزيد على السنة شيأ وهذا احسن وأبقى أن يكون مخرجا للفرض فى كل شهر ثم ان يخرجها طيبة بها نفسه مسرورا بها قلبه مخلصا لربه مبتغيا بها وجهه لغير رياء ولا سمعة ولا تزين ولا تصنع لا يحب أن يطلع عليها غير الله عز وجل ولا يرجو فى اعطائها ولا يخاف فى منعها سواه وليكن ناظرا الى الله تعالى عارفا بحسن توفيقه له وان يعتقد فضل من يعطيه من الفقراء عليه ولا ينتقصه بقلبه ولا يزدريه وليعلم ان الفقير خير منه لانه جعل طهرة وزكاة ورفعة ودرجة فى دار المقام والحياة وانه هو قد جعل سخرة للفقير وعمارة لدنياه كما حدثنا بعض العارفين قال أريد منى ترك التكسب وكنت ذا صنعة جليلة فجال فى نفسى من أين المعاش فهتف بى هاتف لا أراه تنقطع الينا وتتهمنا فيك علينا ان نخدمك ولياء من أوليائنا أو نسخر لك منافقا من أعدائنا وان يسر ذلك الى الفقير سرا ولا يذكر ذلك فقد جاء فى تفسير قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان تذكرها والاذى ان تظهرها وحدثت عن بشر بن الحارث قال قال سفيان من من فسدت صدقته قيل كيف المن يا أبا نصر قال ان تذكره أو تحدث به وبعضهم يقول المن هو ان تستخدمه بالعطاء والاذى ان تعيره بالفقر وقيل المن ان يتكبر عليه لاجل أن يعطيه والاذى ان تنهره أو توبخه بالمسئلة وفى الحديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر وقال بعض العلماء ثلاثة من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روينا مسندا من طريق وذلك أسلم لدينه وأقل لآفاته وأزكى لعمله * وقد روينا الخبر لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان فجمع بين المنة والسمعة كما جمع بين السمعة والرياء وورد بهن الاعمال فالمسمع الذى يتحدث بما صنعه من الاعمال ليسمعه من لم يكن رآه فيقوم ذلك مقام الرؤية فسوّى بينهما فى ابطال العمل لانهما عن ضعف اليقين اذ لم يكتف المسمع بعلم مولاه كما لم يقنع المرائى بنظره فاشرك فيه سواه والحق المنان بهما لان فى المنة معناهما من أنه ذكره فقد سمع غيره به أو رأى نفسه فى العطاء ففخر به وأدا اسرا فان أظهره نقل من السر وكتب فى العلانية فان تحدث به محى من السر والعلانية فكتب رياء فلو لم يكن فى اظهار الصدقة مع الاخلاص بها الافوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم فقد جاء فى الاثر تفضل صدقة السر على صدقة العلانية سبعين ضعفا وفى الحديث المشهور سبعة فى ظل عرش الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما أعطت يمينه وفى لفظ آخر فاخفى عن شماله ما تصدقت به يمينه وهذا من المبالغة فى الوصف وفيه مجاوزة الحد فى الاخفاء أى يخفى من نفسه فكيف غيره وقد تستعمل العرب المبالغة فى الشئ على ضرب المثل والتعجب وان كان فيه مجاوزة للعدمن ذلك ان الله عز وجل ذم قوما ووصفهم بالبخل وبالغ فى وصفهم فقال تعالى أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا والنقير لا يريده

تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذكرونى أذكركم وقال تعالى ولذكر الله أكبر أى أكبر من كل شئ قاله بعض المفسرين وورد فى الحديث من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ومن ذكرنى فى ملا ذكرته فى ملا خير منه وقيل لبعض العلماء متى تقرب القلوب من الله تعالى فقال اذا كانت قائمة بذكره غير لاهية عنه قال ابن عطية فى تفسيره الذكر النافع هو العلم والاقبال بالقلب وتفرغه الا من الله تعالى وذكر الله تعالى العبد هو افاضة الهوى ونور العلم عليه وذلك ثمرة ذكره قال الله تعالى فاذكرونى أذكركم قال المحققون الذكر ركن قوى من طريق الحق سبحانه وتعالى بل هو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل أحد الى الله تعالى الا بدوام الذكر والذكر يكون باللسان ويكون بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب وذكر القلب عليه المعوّل فاذا كان العبد ذاكرا بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه حال سلوكه ومن خصائص الذكر انه غير مؤقت بل هو مطلوب فى عموم الاوقات وجميع الاحوال اما على جهة الفرضية واما على جهة النفلية قال الله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية وقال سهل بن عبد الله ما أعرف معصية أقبح من نسيان هذا الرب عز وجل واعلم ان الذكر الذى يقابله النسيان

أحد ولا يطالبه ولا يعطاه لانه هو النقطة التى تكون على ظهر النواة منه منبت النخلة وفيه معنى أشد من هذا وأغمض انه لما قال فاخفى عن شماله كان لهذا القول حقيقة فى الخفاء فهو ان لايحدث نفسه بذلك ولا يخطر على قلبه وليس يكون هذا الا أن لايرى نفسه فى العطاء أصلا ولا يجرى وهم ذلك على قلبه كما يقول فى سر الملكوت ان الله تعالى لايطلع عليه الا من لايحدث نفسه به يعنى انه لايخطر على قلبه ولا يذكره ولا يشهد نفسه فيه شغلا عنه بما انقطع به وبانه لايباليه فعند هذا صلح ان يظهر على السر فان لم يمكنك على الحقيقة ان تخفى صدقتك عن نفسك فاخف نفسك فيه حتى لايعلم المعطى انك أنت المعطى وهذا مقام فى الاخلاص فان أظهرت يدك فى الاعطاء فاخفها سرا الى المعطى هذا حال الصادق فقد كان بعض المخلصين يلقى الدرهم بين يدى الفقير أو فى طريقه أو موضع جلوسه بحيث يراه وهو لايعلم من صاحبه وبعضهم كان يصر ذلك فى ثوبه وهو نائم فلا يعلم من جعله وقد رأيت من يفعل ذلك فاما من كان يوصل الى الفقير على يد غيره ويستكمه شأنه فلا يحصى ذلك من المسلمين وفى الخبر صدقة السر وقيل صدقة الليل تطفئ غضب الرب تعالى وقد أخبر الله تعالى ان الاخفاء أفضل ومعه يكون تكفير السيآت فقال سبحانه وتعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيآتكم فان أظهر مسكين نفسه وكشف نفسه للسؤال وآثر التبذل على الصون والتعفف فلا بأس ان تظهر معروفك اليه فان أظهرت كانت ارادة السنة والاقتداء بك والتحريض على مثل ذلك من غيرك لينافسك فيه أخوك فيسرع الى مثله أمثالهم فحسن وذلك من التحاض على اطعام المسكين وقد ندب الله تعالى اليه وقد قيده فى قوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية قيل سر التطوع وعلانية الصدقة المفروضة وكذلك قوله تعالى وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا القرض الحسن هو التطوع وقد قيل الحلال كما قال ورزقنى منه رزقا حسنا أى حلالا وقد قال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هى فمدح المبدى بنعم الا أن ذلك لايحسن الا الى من أبدى نفسه كانه هذا السائل الذى يسأل بلسانه وكفه وقوله تعالى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء الآية كانه سالم متعفف بالمسئلة وهى لخصوص الفقراء لايظهرون نفوسهم بما يمنعهم الحياء والتعفف فمن أظهر نفسه فاظهر اليه ومن أخفاها فاخف له ومن ذلك كشف عورة الفاسق انما حرم عليك ان تظهر عورة من يخفى عنك نفسه ويستتر فاذا أظهر نفسه بها وأعلن فلا بأس ان يظهر عليه كما جاء فى الخبر من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له وينبغى ان يجعل صدقته من أفضل ما يحبه من المال ومن جيد ما يدخر ويقتنى وتستأثر به النفوس فيؤثر مولاه به كما أمره وضرب المثل له فقال أنفقوا من طيبات ما كسبتم ثم قال ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وقال فى ضرب المثل بالعبيد ولستم بآخذيه الا أن تغمضوا فيه أى لاتقصدوا الردىء فتجعلوه لله تعالى ولو أعطى أحدكم ذلك لم يأخذه الا على اغماض أى كراهية وحياء ولا يجعل مالله تعالى دون ما يستجيد لنفسه أو ما يكره ان يقتنيه لعاقبته أو يأخذه من غيره أو مالا يستحسن أن يهديه الى نبيل من العبيد فتكون قد آثرت نفسك أو عبدا مثلك على مولاك فان هذا من سوء الادب ولا يقوم سوء أدب واحد فى معاملة بجميع المعاملات وقد روى فى معنى قوله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قال طيبا فان الله تعالى طيب لايقبل الا طيبا وفى حديث أبان عن أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية وفى الخبر سبق درهم مائة ألف درهم وقد تهدد الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون ووصفت ألسنتهم الكذب ان لهم الحسنى لاجرم فاكذبهم فى قوله تعالى ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لاجرم أن لهم النار أى حقا لهم النار وفى الآية وقف غريب لايعلمه الا الحذاق من أهل العربية تقف على لافيكون نفيا لوصفهم ان لهم الحسنى ثم يستأنف بجرم أن لهم النار أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار أى بجرمهم واكتسابهم واذا دعا لك مسكين عند الصدقة فاردد عليه مثل دعائه حتى يكون ذلك جزاء لقوله وتخلص لك صدقتك والا كان دعاؤه مكافأة على معروفك فقد كان العلماء يتحفظون من ذلك وهو أقرب

شيأ آخر مع الله تعالى فقد أشرك بين الذكرين لانه التفت مع الله تعالى الى غيره روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قيل وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه الترمذى والمفردون بتشديد الراء وتخفيفها وهم الذين تفردوا بذكر الله تعالى أو أفردوا الله تعالى بالذكر وافراد الله تعالى بالذكر عند المحققين طرد الغفلة فاذا ارتفعت الغفلة حصل الذكر واللسان ترجمان عن ذلك واعلم ان أفضل الاذكار تلاوة القرآن لاسيما لاهل العلم والانبساط الواقفين على حكمه وعجائبه المتدبرين لاسراره ومعانيه وينبغى لمن أراد ذكر الله تعالى ان لايذكره الا بالاذكار الواردة فى القرآن قاصدا بها الذكر والتلاوة معا حتى يكون ذاكرا تاليا فيجمع بين الذكر والتلاوة معا لفظا واحدا فيكون له أجر التالين والذاكرين ولو ذكره بغير أذكار القرآن كان من الذاكرين فقط واعلم ان الذكر يدل على المحبة فمن أحب شيأ أكثر من ذكره فالذكر يستلزم المحبة وهى تستلزم الشوق وهو يستلزم الذكر وهلم جرا والذكر والمحبة والشوق وان كانت أحوالا شريفة لكنها تدل على بقاء حجاب ما اذ الشوق انما يكون الى غائب

الى

الى التواضع ولا ترى انك مستحق لذلك منه لما وصلته به لانك عامل فى واجب عليك لمعبودك أو توفى للمعطى رزقه وما قسم له من تعبدك بذلك وكانت عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما اذا أرسلتا معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم يردان عليه مثل قوله و يقولان حتى تخلص لنا صدقتنا وفعل ذلك عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضى الله تعالى عنهما ولا ينبغى ان تقتضى من الفقير الدعاء لك أو تطالبه بذلك أو تحب منه الثناء والمدح على ذلك فانه ينقص من الصدقة واذا كثر منك وقوى أحبطها وان كان عليه ان يدعو لك و يثنى به عليك فانما يعمل فيما تعبده مولاه به وأمره به فلا يرى ذلك من حقك عليه واذا وصلت الى الفقير معروفا فبحسن أدب ولين جانب ولطف كلام وتذلل وتواضع وقد كان بعض الادباء اذا أراد أن يدفع الى فقير شيأ بسط كفه بالعطاء لتكون يد الفقير هى العليا و بعضهم كان يضعها بين يديه على الارض ويسأله قبولها منه ليكون هو السائل ولا يناوله بيده اعظاما له وهذا يدل على معرفة العبد بربه وحسن أدبه فى عبادته ومن أحب الثناء والذكر على معروفه كان ذلك حظه منه و بطل أجره ووزر بما كان عليه فضل من الوزر لمحبته الذكر والثناء فيما لله تعالى ان يفعله وفى رزق الله لعبده الذى أجراه على يده فان تخلص سواء بسواء فما أحسن حاله واستحب للفقير أن يخص ذا المعروف اليه بدعوات شكر الما أولاه وتأدبا وتخلقا بفعل مولاه لانه قد جعله سببا للخير وواسطة للبر اذ الله سبحانه وتعالى يشهد نفسه بالعطاء ثم قد أثنى على عبده وشكر له فى الاعطاء فليقل طهر الله قلبك فى قلوب الابرار وزكى عملك فى عمل الاخيار وصلى على روحك فى أرواح الشهداء فذلك هو شكر الناس والدعاء لهم وحسن الثناء عليهم ومن شكرهم أيضا أن لا يذمهم فى المنع ولا يعيبهم عند القبض فذلك تأويل الخبر من لم يشكر الناس لم يشكر الله تعالى فان فيه اثبات حكم الاواسط واستعمال حسن الادب فى اظهار النعم والتخلق باخلاق المنعم لانه أنعم عليهم ثم شكر لهم كرما منه وكذلك فى الخبر العبد الموقن يشهد يد مولاه فى العطاء فيحمد ثم شكر للمتقين اذ جعلهم مولاه سبب حمده وطرقا لرزقه فى الخبر من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه فاما شكر الله تعالى على العطاء فهو اعتقاد المعرفة انه من الله تعالى لا شريك له فيها والعمل بطاعته بها ومن فضل الصدقة ان يقصد بها الفقراء الصالحين الصادقين من أهل التصوف والدين ممن يؤثر التستر والاخفاء ولا يكثر البث والشكوى وممن فيه وصف من أوصاف الكتاب للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله أى حبسوا فى طريق الآخرة لعيلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب أو قصور يد لا يستطيعون ضربا فى الارض لانهم مقصوصو الجناح اذ المال للغنى بمنزلة الجناح للطائر يطير به حيث شاء من البلاد و ينبسط فى شهواته كيف شاء من المراد والفقير محصور عن ذلك لا يستطيعه لقبض يده وقدر رزقه ومن هذا قوله تعالى قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا قيل المال وقيل المعاش يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف فسمى الله تعالى من لا يعرفهم بالفقر ولا يشهد وصفهم بالتقلل لغاهو وتعففهم عن المسئلة جاهلا بوصف المؤمنين ثم وكد وصفهم وأظهر للخلق تعريفهم بيانا منه وكشفا لحالهم اذ ستروها بالعفة فقال تعرفهم بسيماهم فالسيما هى العلامة اللازمة والخليقة الثابتة دون التحلى والتبسة الظاهرة لا يسألون الناس الحافا أى بهذه العلامة أيضا تعرفهم ان أشكلوا عليك فانهم لا يسألون عفة وقناعة الحافا لا يلتحفون بالاغنياء ولا يلاحفون أهل الدنيا تملقا وضراعة أى هم منفردون باحوالهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم والالحاف مشتق من اللحاف الذى يلتحف به فيلزم الجسم فقال ليسوا ممن يفعل ذلك لا يلتحفون الاغنياء كاللحاف ولا يلتحفون المسئلة الزاما كالصنعة كما يلتحف بالثوب فاحرص ان يكون معروفك فيمن فيه هذه الاوصاف أو بعضها فيزكو عملك ويشكر فعلك والافضل فى المعروف ان يؤثر الرجل اخوانه من الفقراء على غيرهم من الاجانب فقد روى عن على رضى الله عنه لان أصل أخا من اخوانى بدرهم أحب الى من أن أتصدق بعشرين درهما ولان أصله بعشرين درهما أحب الى من أن أتصدق بمائة درهم ولان أصله بمائة درهم أحب الى من أن أعتق رقبة ولان الله تعالى ضم الاصدقاء

(فصل) التذكر نتيجة اليقظة التى هى انتباه القلب للخير لا غير والتذكر ثلاثة أسباب القاء السمع وحضور القلب وشهوده الفهم قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد والذكر من مقدمات الفكر فلابد من سماع ثم تيقظ ثم تذكر والعلم من لواحق التذكر لان من سمع تيقظ ومن تيقظ تذكر ومن تذكر تفكر ومن تفكر علم ومن علم عمل ومن عمل سعد والسعادة غاية المطلب

(فصل) والذكر أفضل من الفكر عند قوم وعند آخرين الفكر أفضل واحتج من قال بان الذكر أفضل بامرين أحدهما ان الذكر طلب المفقود والفكر استبقاء الموجود فالذكر أفضل الثانى ان أهل الجنة ليس لهم فكر فكان الذكر أفضل من الفكر وانما قلنا ان أهل الجنة ليس لهم فكر لوجوه أحدها ان المعارف فى الجنة ضرورية الثانى ان الفكر تعب ونصب وأهل الجنة لا يمسهم فيها تعب ولا نصب الثالث ان الناظر طالب والطالب فاقد للمطلوب وفقدان المطلوب حجاب والحجاب صفة المطرودين كما قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون الرابع ان المفكر سائر الى المطلوب والذاكر واصل الى المطلوب فيكون الذكر أفضل ولان الفكر ذهاب الى الله تعالى قال الله تعالى ففروا الى الله والذكر حضور مع الله تعالى فيكون الذكر أفضل ولان الذكر اشتغال بالله والفكر

الى الاقارب فكان فضل الصدقة على الاقارب دون البعيد كفضل الصدقة على القرابة دون الاباعد لانه ليس بعد صلة الرحم فى معناها أفضل من صلة الاخوان وكان بعض السلف يقول أفضل الاعمال صلة الاخوان وليقصد ببره من اذا دفع اليه العطاء حمد الله تعالى وشكره ورأى النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فى نعمة فان هذا أشكر العباد لله تعالى لان حقيقة الشكر لله بشهود النعمة منه والاخلاص بحسن المعاملة له وأن لا يشهد فى النعمة بالعطاء والنعمة بالعمل الصالح سواه وفى وصية على رضى الله تعالى عنه لا تجعل بينك وبين الله تعالى منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما فليقدم مثل هذا على من لو أعطاه ورزقه أثنى عليه ومدحه وشهده فيه فحمده فيكون قد حمد غير الذى أعطاه ونظر الى سواه وذكر غير الذى ذكره بالعطاء لان الذى يحمد الله ويشكره ويثنى عليه برزقه ويذكره يرى ان الله سبحانه وتعالى هو المنعم المعطى فينظر اليه من قرب فيقين هذا بالله أنفع لصاحب المعروف عند الله من دعاء الآخر المثنى لانه كان سبب النفع موقن فيكون واضعا الشئ فى حقيقة موضعه ومدح الآخر ودعاؤه له لاجل انه يراه هو المعطى فينظر اليه فيمدحه فضعف يقين هذا بر به أشد على المنفق من دعائه له ان كان ناصحا لله تعالى فى خلقه ولخلق الله تعالى فيه الا أن لا ينصح له لغلبة هواه على تقواه ولجهله بعائد النفع له فى عقباه فنقص هذا حينئذ بمقامه من التوحيد أعظم من زيادته بصدقته على انه لا يؤمن الاستشراف من الآخر اليه والاعتياد منه والطمع فيه بكلام يحبط عمله وأيضا فانه اذا رآه فى العطاء فانه يراه عند المنع فيذمه ويقع فيه فيكون هو سبب حمله عليه وهو آمن مطمئن لهذا كامع الموقن المشاهد وفى الخبر ان الصدقة تقع بيد الله تعالى قبل ان تقع بيد السائل وهو يضعها فى يد السائل فالموقن يأخذ رزقه من يد الله تعالى فهو لا يعبد الا الله تعالى ولا يطلب منه الا كما أمره فى قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بعض الفقراء بمعروف وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أوصله اليه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك فاخبر الرسول رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فسر به وقال قد علمت انه يقول ذلك وقد روى هذا عن عمرو عن أبى الدرداء مع جرير رضى الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله وقالت عائشة رضى الله تعالى عنها فى قصة الافك نحمد الله ولا نحمدك فسره ذلك وقال لها أبو بكر لما نزل تحصينها وبراءتها قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعها يا أبا بكر وفى لفظ آخر انها قالت لابى بكر نحمد الله ولا نحمدك ولا نحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بل سره وأمر أباها بالكف عنها وقد جعل الله تعالى من وصف الكافرين انهم اذا ذكر الله وحده فى شئ انقبضت قلوبهم واذا ذكر غيره فرحوا وجعل من نعتهم انهم اذا ذكر توحيده وافراده عند شئ عصوا ذلك وكرهوه واذا أشرك غيره فى ذلك صدقوا به فقال تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال أيضا ذلكم بانه اذا دعى الله وحده كفرتم والكفر التغطية وان يشرك به تؤمنوا والشرك الخلط ان يخلط بذكره ذكر سواه ثم قال فالحكم لله العلى الكبير يعنى لا يشركه فى حكمه خلق لانه العلى فى عظمته الكبير فى سلطانه لا شريك له فى ملكه وعطائه ولا ظهير له من عباده ففى دليل هذا الكلام وفهمه من الخطاب ان المؤمنين اذا ذكر الله تعالى بالتوحيد والافراد فى الشئ انشرحت صدورهم واتسعت قلوبهم واستبشروا بذكر الله تعالى وتوحيده واذا ذكرت الاواسط والاسباب التى دونه كرهوا ذلك واشمأزت قلوبهم وهذه علامة صحيحة فاعرفهما من قلبك ومن قلب غيرك لتستدل بها على حقيقة التوحيد فى القلب او وجود خفى الشرك فى النفس ان كنت عارفا وينبغى ان يجعل صدقته من أجل ما يقدر عليه وأطيبه فى نفسه وجهده فان الله طيب لا يقبل الا طيبا وزكاء الصدقة ونماؤها عند الله تعالى على حسب حلها وضعها

اشتغال بغير الله تعالى فيكون الذكر (١١٠) أفضل ولان الذكر ظاهر والفكر خفى والعبادة الظاهرة أشرف من العبادة الباطنة لان العبادة الظاهرة مرغبة للغير فى ان يقتدى به فيها ويأتى بمثلها فان قلت الظاهرة يدخلها الرياء قلنا ذلك يكون فى حق المبتدئين لا الواصلين أرباب النهايات وهذا الدليل الاخير فيه نظر لان الذكر المختلف فى كونه أفضل من الفكر انما هو الذى بالقلب دون الذكر باللسان فاستوى الذكر والفكر فى الخفاء وعدم الظهور وأما من قال بان الفكر أفضل فاحتج له باربعة أمور أحدها ان الفكر عمل القلب والروح والذكر عمل اللسان والجسم والروح أفضل من الجسم واللسان فيكون الفكر أفضل من الذكر الثانى ان الفكر وسيلة الى المعرفة التى هى أعظم الطاعات اذ لولا الفكر لما تبين الحق من الباطل والذكر ليس وسيلة الى عبادة فيكون الفكر أفضل الثالث ان الذكر لا يفيد الا اذا كان عن ذكر القلب بخلاف الفكر فانه لا يحتاج الى الذكر بل هو عبادة مستقلة بنفسها الرابع ان المفكر أبدا يكون فى الترقى من درجة الى درجة أعلى منها وصاحب الذكر كالواقف فالفكر أفضل من الذكر

(فصل) والذكر على خمسة أنواع الاول ذكر هو فرض وذكر هو فضل وذكر هو قربة وذكر هو طهارة وذكر هو حقيقة فأما الذكر الذى هو فرض فعند الامر

ى

فى الاخص الافضل من أهلها وينبغى ان يستصغر ما يعطى فان الاستكثار من العجب والعجب يحبط الاعمال قال الله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم ويقال ان الطاعة كلما استصغرت كبرت عند الله تعالى وان المعصية كلما استعظمت صغرت عند الله تعالى وعن بعض العلماء لا يتم المعروف الا بثلاث تصغيره وتعجيله وستره وقد كانوا يدفعون فى الزكاة المئين وفى التطوع الالوف وكانوا يصلون الفقير بما يخرجه من حد الفقر ومن الحاجة والضر الى حد الكفاية والغنية ويبقى لهم فضل وعلى هذا تأويل قوله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما أبقت غنى اى تكفى الفقير لوقته ويبقى له غنية واستغناء لوقت ثان تستقل به عن المسئلة والتشرف فيكون كأنه عمل عملا ثانيا للمعطى غير عمله الاول بالعطاء وهذا أحد تأويل الخبر وقد وصف الله تعالى أهل الحاجة بأوصاف خمسة فرقها فى كتابه فقال سبحانه وتعالى وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وقال تعالى فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر وقال عز وجل فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير فأما السائل فهو الذى يسأل بكفه ويظهر السؤال بلسانه وأما المحروم فهو المحارف الذى حارفه الرزق أى انحرف عنه فقد حرمه وقيل هو الذى لا معلوم له ولا كسب قد حرم التصرف والتعيش وأما القانع فهو الذى يقعد فى بيته ويقنع بما آتاه الله من غير طلب ولا تعرض وقيل ان القنوع هو وصف من أوصاف المسئلة من غير الحاف ولا الحاح وهو اسم من الاضداد يكون القنوع العفة والكف ويكون المسئلة وأما المعتر فهو الذى يعرض بالسؤال ولا يصرح تحمله الحاجة على التعريض ويوقفه الحياء عن التصريح وأما البائس فهو الذى به بؤس وشدة من مرض أو برد أو عضب وزمانة ثم ان الله تعالى قد فضل بين الفقراء والمساكين فقال أهل العلم الفقير الذى لا يسأل والمسكين السائل وقيل الفقير المحارف وهو المحروم والمسكين الذى به زمانة واشتقاقه من السكون أى فقد أسكنه الفقر لما سكنه وأقل حركته وهذه أوصاف يقال قد تمسكن الرجل وسكن كما يقال تدرع وتدرع اذا لبس مدرعة فكذلك الفقير اذا كانت المسئلة لبسة له وأهل اللغة مختلفون فيهما قال بعضهم المسكين أسوأ حالا من الفقير لان الله تعالى قال أو مسكينا ذا متربة فهو الذى لا شئ له قد لصق بالتراب من الجهد وذهب الى هذا القول يعقوب بن السكيت ومال اليه يونس بن حبيب وقال قلت مرة لاعرابى أفقير أنت فقال لا والله بل مسكين أسوأ حالا من الفقير وبعضهم يؤوله على غير هذا فيقول ذا متربة من الغنى يقال أترب الرجل اذا استغنى فهو مترب من المال أى قد كان مترباً غنياً من أهل النعم ثم افتقر فهذا أفضل من أعطى وقال بعض أهل اللغة فى قوله تعالى ذا متربة دليل ان المسكين أسوأ حالا قال ان الله تعالى لما نعته بهذا خاصة علمت انه ليس كل مسكين بهذا النعت ألا ترى انك اذا قلت اشتريت ثوبا ذا علم نعته بهذا النعت لانه ليس كل ثوب له علم فكذلك المسكين الاغلب عليه ان يكون له شئ فلما كان هذا المسكين مخالفاً لسائر المساكين بين الله تعالى نعته وبهذا المعنى استدل أهل العراق من الفقهاء ان اللمس هو الجماع بقوله تعالى فلمسوه بأيديهم ان اللمس يكون بغير اليد وهو الجماع فلما قال بأيديهم خص به هذا المعنى فردوه على من احتج به من علماء الحجاز فى قولهم اللمس باليد وقال آخرون بل الفقير أسوأ حالا من المسكين لان المسكين يكون له الشئ والفقير لا شئ له قال الله تعالى فى أصحاب السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأخبر ان لهم سفينة وهى تساوى جملة وقالوا اسمى فقيرا لانه نزعت فقرة من ظهره فانقطع صلبه من شدة الفقر فهو مأخوذ من فقار الظهر ومال الى هذا القول الاصمعى وهو عندى كذلك من قبل ان الله تعالى قدمه على الاصناف الثمانية التى جعل لهم الصدقة فبدأ به فدل على انه هو الاحوج فالاحوج أو الافضل فالافضل وقال قوم الفقير هو الذى يعرف بفقره لظهور أمره والمسكين هو الذى لا يفطن له ولا يؤبه به لتخفيه وتستره وقد جاءت السنة بوصف هذا فى الخبر المروى ليس المسكين الذى ترده الكسرة والكسرتان والتمرة والتمرتان انما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه * وقد قال بعض الحكماء فى مثل هذا وقد سئل أى الاشياء أشد فقال فقير فى صورة غنى وقيل لحكيم

والنهى وذلك فى حال سماعهما أو حال العمل بهما وأما الذكر الذى هو فضل فذكر اللسان وأما الذى هو قربة فذكر الافعال وأما الذكر الذى هو طهارة فذكر الاخلاق وأما ذكر الحقيقة فقطع الاشياء والذاكر تارة يكون يذكر منته وفضله وتارة يذكر قسمه وعدله فيستغيث بفضله على عدله وشكره على كلا الحالين *(فصل)* واعلم ان الذكر يأتى على وجوه فتارة يذكر الله لعظمته فيتولد منه الهيبة والجلال وتارة يذكره لقدرته وغناه وسطوته فيتولد منه الخوف والحذر وتارة يذكره لفضله ورحمته وجوده وكرمه فيتولد منه الرجاء وتارة يذكره بوعده بالنظر اليه فيتولد منه الشوق وتارة يذكره باسدائه النعم والخيرات ودفعه البلاء والمضرات فيتولد منه الشكر وتارة بالكمال والجمال فيتولد منه المحبة وتارة يذكره بانه الذى له الامر والملك والخلق والايجاد والابداع والضر والنفع وانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فيتولد منه الصبر وتارة يذكره بانه الكافى فى المهمات المتكفل بالارزاق بيده المنع والعطاء ولا يكون الا ما أراده وقدره فيتولد منه التوكل وتارة يذكره بما نصب من الادلة والعلامات والشواهد والآيات فيتولد منه زوائد اليقين وتارة يذكره بانه الذى ترجع اليه مفاتيح الامور ومباديها وانها بدئت منه واليه تعود فيغنى عن جميع ذلك فيتولد منه فناؤه عن نفسه

وبشاوبه *(باب الورع)* قال الله تعالى وثيابك فطهر وقال صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه
وقال عليه الصلاة والسلام دع ما يريبك الى مالا يريبك وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد من المتقين حتى يدع مالا باس به حذرا مما به باس وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام وقال الضحاك أدركتهم وما يتعلمون الا الورع وأنتم تتعلمون الكلام والورع هو ترك الشبهات وهو راجع الى ما أشارت اليه الاحاديث وقال يحيى بن معاذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تاويل ولا قياس وهو أيضا راجع الى معاني الاحاديث المتقدمة قال صاحب منازل السائرين وهو آخر زهد العامة وأول زهد الخاصة وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى تجنب القبائح لصون النفس وتوفير الحسنات فان من خلط العمل الصالح بشئ من السيآت نفسا وفر حسناته ولا صان ايمانه والدرجة الثانية حفظ حدود الشريعة بترك مالا بأس ابقاء على الصيانة والتقوى كما أشار اليه الحديث والدرجة الثالثة التورع عن كل داعية تدعو الى سيآت الوقت وعن كل عارض يعرض حال يجعلك على الله تعالى

وازهد

آخرما أشد الاشياء قال من ذهب ماله وبقيت عادته وقال الفقهاء المسكين الذي له سبب ويحتاج الى أكثر منه لضيق مكسب أووجود عيلة فهذا أيضا قد وردت السنة بفقره وذكر فضله في الحديث الذي جاء ان الله يحب الفقير المتعفف أبا العيال ويبغض السائل الملحف وفي الخبر الآخر ان الله تعالى يحب عبده المؤمن المحترف وكل هذه الاقوال صحيحة فالافضل ان توضع الزكاة في الاحوج فالاحوج والافضل فالافضل من أهل العلم بالله تعالى وأهل المعاملة وأهل الدين لله المنقطعين عن أهل الدنيا المشغولين بتجارة الآخرة عن تجارات الدنيا ثم في ذي العيال بقدر عياله وبقدر اوغناه عن حاجاته فيكون له بعددهم أجور أمثاله من المنفردين اذهم جماعة وقد كان عمر رضي الله عنه يعطي أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكذلك في السنة روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يعطي العطاء على قدر العيلة ويعطي المتاهل ضعف ما يعطي العزب ويعطي كل رجل على قدر أهل بيته وحدثنا عن بعض هذه الطائفة قال صحبنا أقواما كان برهم لنا الالوف من الدراهم انقرضوا وجاء آخرون كان برهم لنا المئين ونحن بين قوم صلاتهم لنا العشرات نخاف ان يجيء قوم شر من هؤلاء وقال بعض السلف رأينا قوما كانوا يفعلون ونخاف ان يجيء قوم يقولون ولا يفعلون وان اتفق ذو دين في عيلة من مساكين فذلك غنيمة المتقين وذخيرة المنفقين والمعروف في مثله واقع في حقيقته وسئل ابن عمر عن جهد البلاء ماهو فقال كثرة العيال وقلة المال وقد جاء في الخبر لا تاكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي لان التقي تستعين به على البر والتقوى فيشركه في قصده وفي الخبر أيضا اطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفي لفظ آخر أضف بطعامك من تحبه لله تعالى وينبغي للموقن ان يكون يفرح ويسر بقبول معروفه من الاتقياء لان ذلك عمله ان لم يقبله منه عارف بالله تعالى وأحكامه وقد ردت عليه أعماله فينبغي ان يحزن بردها عليه اذ كان ذلك ردا من الله تعالى له ومن وصل فقيرا بمعروف فرده عليه فعظم الفقير في عينه فذلك يدل على جهل المعطي بربه لانه لو أخذها لسقط منزلته عنده ثم أخرجها سرا الى من هو أحوج اليها منه كان بذلك فاضلا ومن رد عليه فقير بره فلم يحزنه ذلك أوسره ذلك دل على ضعف نيته في الاخراج وقلة اخلاصه بمعروفه لان الصادق يسوءه رد معروفه اليه ويحزنه وينبغي ان لا يملك ذلك ان رده عليه بل يدفعه لي فقيرا آخر لانه قد أخرجه لله تعالى فلا يرجع فيه والفقراء شركاء في العطاء يرد عليهم من بعضهم الى بعض وكذلك ان أخرج صدقة باسم فقير بعينه ليعطيه اياها فصادف غيره فذكر من هو أحوج منه أو أفضل ووافق طالبا اليه في حق عليه فلا باس ان يدفعها الى من يدفعها الى الثاني مالم تخرج عن يده أو يكون قد وعده بها وكذلك ان دفعها الى من يدفعها الى فقير بعينه ثم رأى من أثر في قلبه فاخرج منه فله ان يسترجعها من المامور ويدفعها اليه مالم يكن قد نقدها أو أعلمه بها وينبغي ان يستبشر بقبول العارفين معروفه لان ذلك قبول من الله تعالى لعلمه اذ كان العارف بالله تعالى وأيامه يتصرف عن الله تعالى في الافعال كما انه ينطق عنه في المقال وليس قبوله منه كقبول غيره ولا رده عليه كرد غيره اذ كان الشاهد فيه من الله سبحانه أقوى وأعلى من الشاهد في غيره ولما هو الى التوفيق والعصمة أقرب مما سواه من الفقراء * حدثني بعض اخواني ان فقيرا بمكة رد على بعض الاغنياء معروفه فاخذ يبكي فقيل له فقال أليس هذا علي قدره على قيل له فان غيره يقبله فقال من أين لي مثل هذه العين وهذا كما قال لان المؤمن ينظر بعين اليقين ونور الله تعالى فرده عن الله تعالى كما قال تعالى ويتلوه شاهد منه والجاهل يتصرف بهواه عن نفسه فرده كقبوله لانه ياخذه لنفسه ويرده بنفسه والعارف ان أخذ فبرب وان رد فعن رب تعالى وليزدد في عينه من قبل منه معروفه نبلا وجلالة ويعظم في عينه محبة ومهابة لانه قد أعانه على بره وتقواه وأكرمه بقبول جدواه فليشهد ذلك نعمة من الله تعالى واحسانا منه اليه وعلى العبد ان يجتهد في طلب الاتقياء وذوي الحاجة من الفقراء ويبلغ غاية علمه بذلك فان قصر علمه ولم تنفذ فراسته ومعرفته في الخصوص استعان بعلم من هو أعلم منه

وأنفذ نظرا وأعرف بالصالحين وأهل الخير منه ممن يوثق بدينه وأمانته من علماء الآخرة لا من علماء الدنيا وعلماء الآخرة هم الزاهدون في الدنيا الورعون عن التكاثر منها فان حب الدنيا غامض قد هلك فيه خلق كثير لم ينج منه الا العلماء ولم يسلم من الدنيا الا المتحققون بالعلم واليقين وهم المتقللون من الدنيا وقد قال الله تعالى وتثبيتا من أنفسهم أي يقينا يعني انهم يتثبتون في صدقاتهم ان لا يضعوها الا في يقين يستروح اليه القلب وتطمئن به النفس وقد كان بعض العلماء يؤثر بالعطاء فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء فقال لا أفعل بل أوثر هؤلاء على غيرهم قيل ولم قال لان هؤلاء همهم الله سبحانه وتعالى فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلان أرد همة واحد الى الله تعالى أحب الي من ان أعطي ألفا من غيرهم ممن همه الدنيا فذكر هذا الكلام لابي القاسم الجنيد فاستحسنه وقال هذا كلام ولي من أولياء الله تعالى ثم قال ما سمعت منذ زمان كلاما أحسن من هذا وبلغني ان هذا الرجل اختل حاله في أمر الدنيا حتى هم بترك الحانوت فوجه اليه الجنيد بمال كان صرف اليه فقال اجعل هذا في بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك ويقال ان هذا الرجل كان بقالا ولم يكن يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه وأما ابن المبارك رحمه الله تعالى فانه كان يجعل معروفه في أهل العلم خاصة فقيل له لو عممت به غيرهم فقال اني لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب العالم بالحاجة أو العيلة لم يتفرغ للعلم ولا يقبل على تعليم الناس فرأيت ان أعينهم وأكفيهم حاجاتهم ليتفرغ قلوبهم للعلم وينشطوا لتعليم الناس هذا طريق السلف الصالح والتوفيق من الله تعالى للعبد في وضع صدقته في الافضل كالتوفيق منه في اطعام الحلال الذي في غيبه يوفقه لاوليائه ويستخرجهم من علمه كيف شاء بقدرته *(شرح رابع ما بني الاسلام عليه) وهو الصيام ذكر فرائض الصيام اعتقاد الصوم ايجابا لله تعالى عليه وقربة منه اليه واخلاصه له وسقوط فرض عنه وان يجتنب الاكل والشرب والجماع بعد طلوع الفجر الثاني وان يتم الصيام الى سقوط قرص الشمس وان لا ينوي في تضاعيف النهار الخروج من الصوم * ذكر فضائل الصوم ووصف الصائمين صوم الخصوص حفظ الجوارح الست غض البصر عن الاتساع في النظر وصون السمع عن الاصغاء الى محرم أو الى زور والقعود مع أهل الباطل وحفظ اللسان عن الخوض فيما لا يعني جملة مما ان كتب عنه كان عليه وان حفظ له لم يكن له ومراعاة القلب بعكوف الهم عليه وقطع الخواطر والافكار التي كف عن فعلها وترك التمني الذي لا يجدي وكف اليد عن البطش الى محرم من مكسب أو فاحشة وحبس الرجل عن السعي فيما لم يؤمر به ولم يندب اليه من غير أعمال البر فمن صام تطوعا بهذه الجوارح الست وأفطر بجارحتين الاكل والشرب والجماع فهو عند الله تعالى من الصائمين في الفضل لانه من الموفين الحافظين للحدود ومن أفطر بهذه الست أو ببعضها وصام بجارحتين البطن والفرج فقد ضيع أكثر مما حفظ فهذا مفطر عند العلماء صائم عند نفسه وقد قال أبو الدرداء أيا حبذا نوم الاكياس كيف يعيبون قيام الحمقى وصومهم ولذرة من تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين ومثل من صام عن الاكل وأفطر بمخالفة الامر مثل من مسح كل عضو فصلاته مردودة عليه لجهله ومثل من أفطر بالاكل والجماع وصام بجوارحه عن النهي مثل من غسل كل عضو مرة واحدة وصلى فهو تارك للفضل في العدد الا انه مكمل للفرض بحسن العمل فصلاته متقبلة لاحكامه للاصل وهو مفطر للسعة صائم في الفضل ومثل من صام من الاكل والجماع وصام بجوارحه الست عن الآثام كمثل من غسل كل عضو ثلاثا ثلاثا فقد جمع الفرض والفضل وأكمل الامر والندب فهو من المحسنين وعند العلماء من الصائمين وهذا صوم الممدوحين في الكتاب الموصوفين بالذكرى من أولي الالباب ومن فضائل الصوم ان يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشهوات من الاشياء وفضول الحلال ويرفض الشهوات الداعية الى العادات ولا يفطر الا على حلال متقللا منه فبذلك يزكو الصيام ولا يقبل امرأته في صومه ولا يباشرها بظاهر جسمه فان ذلك ان لم يبطل صومه فانه ينقصه وتركه أفضل الا القوي متمكن مالك

(فصل) ولا يمنع الورع من السؤال للمحتاج قال بعضهم لا يسمع السكوت مع العدم ولا السؤال مع الوجود وقال بعضهم لا يحتمل الحلال السرف لقلته وندوره وصاحب الحلال يتعذر عليه توسعة الانفاق وقال السري رحمة الله عليه أربعة من أخلاق الابدال استقصاء الورع وتصحيح الارادة أي النية وسلامة الصدر للخلق والنصيحة لهم وقال أيضا خير الرزق ما سلم من الآثام في الكسب والذلة في السؤال والغش في الصناعة واتخاذ آلة المعاصي ومعاملة الظلمة وروي ان السري رحمة الله عليه لما ترك التجارة كانت أخته تنفق عليه من غزلها فابطأت عليه يوما فقال لها ما أبطأك فقالت غزلي ما اشتري وقالوا هذا مخلط فامتنع السري من أكل طعامها فدخلت عليه أخته يوما فرأت عجوزا تكنس بيته وقد جاءت اليه برغيفين فحزنت لذلك وشكته الى أحمد بن حنبل فعاتبه أحمد في ذلك فقال له لما تركت الاكل من أختي قيض الله الى الدنيا تنفق علي وتخدمني

(فصل) والورع أربعة أضرب الاول الورع الذي يشترط في العدالة في الشهادة والرواية وهو الذي يخرج الانسان بتركه عن أهلية الشهادة والرواية والقضاء والولاية ويحصل بالتحرز عن الحرام الظاهر الثاني ورع الصالحين وهو يحصل بالتوقي عن الشبهات التي

لا ربه وليقل نومه بالنهار ليعقل صومه بعمارة الاذكار وليجد مس جوعه وعطشه وقد كانوا يتسحرون بالتمرتين والثلاث وبالحبات من الزبيب والجرعة من الماء ومنهم من كان يقضم من شعير دابته التماسا البركة السحور وليكثر ذكر الله تعالى وليقل ذكر الخلق بلسانه و يسقط الاهتمام بهم عن قلبه فذلك أزكى لصومه ولا يجادل ولا يخاصم وان شتم أو ضرب لم يكافئ على ذلك لاجل حرمة الصوم ولا يهتم لعشائه قبل محل وقته يقال ان الصائم اذا اهتم بعشائه قبل محل وقته أو من أول النهار كتبت عليه خطيئة وليرض باليسير مما قسم له ان يفطر عليه و يشكر الله تعالى عزوجل كثيرا عليه * ومن فضائل الصيام التقلل من الطعام والشراب وتعجيل الفطر وتأخير السحور وليفطر على رطب ان كان والا على تمران وجد فانه بركة أو على شربة من ماء فانه طهور هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على جرعة من ماء أو مذقة من لبن أو تمرات قبل ان يصلي وفي الخبر كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قيل هو الذي يجوع بالنهار و يفطر على حرام وقيل هو الذي يصوم عن الحلال من الطعام و يفطر بالغيبة من لحوم الناس وقيل هو الذي لا يغض بصره ولا يحفظ لسانه عن الآثام و يقال ان العبد اذا كذب أو اغتاب أو سعى في معصية في ساعة من صومه خرق صومه وان صوم يوم يلفق له في صيام أيام حتى يتم بها صوم يوم ساعة ساعة وفي الحديث الصوم جنة مالم يخرقها بكذب أو غيبة وكانوا يقولون الغيبة تفطر الصائم وقد كانوا يتوضؤن من أذى المسلم وروى عن جماعة في الوضوء مما مست النار لان أتوضأ من كلمة خبيثة أحب الي من ان أتوضأ من طعام طيب وروى عن بشر ابن الحرث عن سفيان من اغتاب فسد صومه وروينا عن ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وروى عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة و يقال ان من الناس من يكمل له صوم رمضان واحد في عشر رمضانات وفي عشرين مثل سائر الفرائض من الصلاة والزكاة التي يحاسب عليها العبد فان وجدت كاملة والا تممت من سائر تطوعه و يقال ان العبد يصح له صوم في خمسة أيام كما يصح له صلاة واحدة بخمس صلوات ترفع له الاوقات وفي الخبر من اغتاب خرق صومه فليرقع صومه بالاستغفار و يقال ان الله تعالى لم يفترض شيأ فرضا بدونه وانه يطالب بما فرضه و يحاسب على ما أوجبه وعفو الله سبحانه وتعالى يأتي على كثير من الذنوب والمراد من الصيام مجانبة الآثام لا الجوع والعطش كما ذكرناه من أمر الصلاة لان المراد بها الانتهاء عن الفحشاء والمنكر كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يترك قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يترك طعامه وشرابه *(شرح خامس ما بنى الاسلام عليه وهو الحج)* و بالحج كمال الشريعة وتمام الملة * ذكر فرائض الحج قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستطاعة بالزاد والراحلة فاذا وجد العبد زادا و راحلة لزمه فرض الحج فان أخره بعد وجود ذلك كان مكروها فان مات ولم يحج أو مات على عدم الامكان بعد وجوده كان عاصيا لله تعالى من حين أمكنه الى يوم موته ولم يكن كامل الاسلام لان الله تعالى أكمل الاسلام بالحج لما أنزل هذه الآية في الحج يوم عرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وفي الخبر من لم يمنعه من الحج مرض قاطع أو سلطان جائر ومات ولم يحج فلا يبالي مات يهوديا أو نصرانيا وقال عمر لقد هممت ان أكتب الى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل ان يحج ما صليت عليه و بعضهم كان له جار موسر فمات قبل ان يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وكان يفسر في هذه الآية قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت قال أحج ومثله فيقول رب لولا أخرتني الى أجل قريب فاصدق وأكن من الصالحين قال أزكي وأحج وكان يقول هذه الآية أشد شيء على أهل التوحيد ومن كان ذا قوة على المشي أو ممن يصلح له ان يؤجر نفسه وأمن التهلكة في خروجه فحج على ذلك كان فاضلا في فعله والحاج

تخرجه الى حد الحرام ولا يحصل له ترك الشبهات حتى يترك شيأ من الحلال ليكون بينه وبين الحلال حاجزا روى عن الصحابة انهم كانوا يتركون سبعين بابا من الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام وقد حرض النبي صلى الله عليه وسلم على ترك الشبهات فقال من ترك الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه وقال صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه الاوان لكل ملك حمى الاوان حمى الله تعالى محارمه الثالث ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذي يخاف منه أداؤه الى الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع مالا باس به مخافة مما به بأس وذلك مثل الورع عن التحدث باحوال الناس خشية من الانجرار الى الغيبة والتورع عن أكل الطيبات خيفة من هيجان الشهوة ونشاط النظر المؤدي الى مقارفة المحظورات الرابع ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى مالا يفيد زيادة قرب عند الله تعالى وان كان يعلم و يتحقق انه لا يفضي الى الحرام كالذي يترك النوم في كثير من الليل خشية أن يفوته القيام لله تعالى بالعبادة والورع الاول وهو المشهور وهو العدالة التي هي شرط في أهلية الشهادة

الماشي بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة وللراكب بكل خطوة تخطوها دابته سبعون حسنة والقوة على المشي من الاستطاعة عند بعض العلماء فأما فرائض الحج عند جلة العلماء فستة اختلفوا منها في ثلاث وهن السعي والبيتوتة بمزدلفة عند المشعر ليلة النحر ورمي جمرة العقبة يوم النحر وأجمعوا على ثلاث وهن الاحرام به والوقوف بعرفة وطواف الزيارة ولم يختلفوا في ان ماسوى هذه سنة واستحباب ومذهبي في هذا وهو مذهب الاكثر من العلماء ان فرائض الحج أربعة أولها الاحرام به والوقوف بعرفة بعد زوال الشمس من يوم عرفة وآخره الوقوف قبل طلوع الفجر من يوم النحر وطواف الزيارة بعد الوقوف بعرفة وبعد رمي جمرة العقبة والسعي بين الصفا والمروة بعد الاحرام بالحج ان شئت قبل الوقوف بعرفة وان شئت بعده وماسوى ذلك من المناسك فسنون ومستحب وبعضه أوكد من بعض وفي ترك بعضه كفارة وفي بعضه لاحرج فيه وطواف الحج ثلاثة واحد فريضة ان تركه بطل حجه وهو طواف الزيارة وواحد سنة ان تركه كان عليه دم وحجه تام وهو طواف الوداع وواحد مستحب ان تركه فلاشئ عليه وهو طواف الورود ولم نذكر من فرائض الحج وأحكامه وهيآته في هذا الباب الاقوت الاعمال مثل ماذكرناه من سائر الابواب في هذا الكتاب على مايليق بيانه للمعنى الذي قصدناه فيه وقد أشبعنا أحكام الحج ومايقال في المشاعر في كتاب مناسك الحج المفرد * ذكر فضائل الحج وآدابه وهيآته وفضائل الحجاج وطريق السلف السالكين للمنهاج قال الله سبحانه وتعالى الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج يعني من أوجبه على نفسه في هذه الاشهر فأحرم به وهو شوال وذو القعدة وتسع من ذي الحجة فلارفث ولافسوق ولاجدال في الحج الرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفجر من الكلام ومغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث في شأن الجماع والفسوق جمع فسق وهو اسم جامع لكل خروج من طاعة ولكل تعدى حد من حدود الله تعالى والجدال وصف مبالغ للخصومة والمراء فيما يورث الضغائن وفيما لانفع فيه فهذه ثلاثة أسماء جامعة مختصرة لهذه المعاني المثبتة أمر الله تعالى بتنزيه شعائره ومناسكه منها لانها مشتملة على الآثام وهن أصول الخطايا والاجرام والحج في اللغة هو القصد الى من يعظم وكانت العرب تقول نحج الى النعمان أي نقصده تعظيما له وتعززا فينبغي ان يكون الحاج معظما لمن قصده بالحج ليتحقق بمعنى هذا الاسم والحج أيضا سلوك الطريق الواضح الذي يخرج الى البغية ويوقف على المنفعة واشتقاقه من المحجة بمنزلة النسك وهو اسم للطريق مشتق من المنسك وهو من أسماء الطريق وان كان أصله المذبح ومنه سمي المناسك لانه مسالك طريق الآخرة فأول فضائل الحج حقيقة الاخلاص به لوجه الله تعالى وان تكون النفقة حلالا واليد فارغة من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم ويكون الهم مجردا والقلب ساكنا مطمئنا ممتلئا بالذكر فارغا من الهوى ناظرا امامه غير ملتفت الى ورائه وصحة القصد بحسن الصدق ثم طيب النفس بالبذل والانفاق والتوسع في النفقة والزاد وبذل ذلك لان النفقة في الحج بمنزلة النفقة في سبيل الله تعالى الدرهم بسبعمائة درهم والحج من سبيل الله روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر وغيره من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحجاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وفي حديث ابن المنكدر عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم مابر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام ويقال انما سمي سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال وبعضهم يقول يسفر عن صفات النفس وجوهرها اذ ليس كل من حسنت صحبته في الحضر حسنت صحبته في السفر وقال رجل لآخر انه يعرفه فقال له هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال ما أراك تعرفه ولا يجادل ولا يخاصم ولا يكثر المراء ولا يرفث بلسانه وروينا عن بشر بن الحرث قال قال سفيان من رفث فسد حجه وليتعلم أحكام المناسك ومعالم الحج وهيآته وآداب المشاهد قبل الخروج وليكن ذلك أهم شئ اليه وليقدمه على جميع أسباب السفر فان هذا هو المقصود والبغية فلا يتأبن عنه وليعد له رفيقا صالحا عالما محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر أعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان أساء ظنه وضاق صدره وسع صدره وصبره وحسن ظنه ولا يخالف رفيقه ولا يكثر الاعتراض عليه وليحسن خلقه

والولاية لانتفاء اثم الآخرة قال صلى الله عليه وسلم لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وفي رواية أخرى استفت نفسك وان أفتوك المفتون والاثم ماحاك في الصدر والفقيه لايتكلم في حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح في العدالة فقط وجميع نظر الفقيه مرتبط بالاحكام المتعلقة بالدنيا التي بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم في الاثم والتأثيم في هذه الامور وفي صفات القلب والاحكام الآخرة فذلك يدخل في كلامه على سبيل التطفل كما يدخل في كلامه شئ من النحو والحساب واللغة

(فصل) * وقال يحيى ابن معاذ رحمة الله عليه الورع على مرتبتين ورع في الظاهر وهو ان لايتحرك الا بالله وورع في الباطن وهو ان لايدخل قلبك سوى الله تعالى وقال من لم ينظر في الدقيق من الورع لم يصل الى الجزيل من العطاء وقال من دق في الدين نظره جل في الآخرة قدره ويحكى ان أخت بشر الحافي جاءت الى أحمد بن حنبل وقالت انا نغزل على سطوحنا وتمر علينا مشاعل الولاة أفيجوز لنا أن نغزل في ضوئها فقال من أنت عافاك الله قالت أخت بشر الحافي فبكى وقال من بيتكم يخرج الورع الصادق لاتغزلي في ضوئها شيأ ودخل الحسن البصري مكة فرأى غلاما من أولاد علي بن أبي طالب قد أسند ظهره الى الكعبة يعظ الناس فوقف عليه الحسن

مع جميع الناس و يلين جانبه و يخفض جناحه و يكف أذاه عن الخلق و يحتمل أذاهم فهذه المعانى بفضل الحج وان يحج على رحل أو زاملة فان ذلك حج المتقين وطريق السلف يقال حج الابرار على الرحال وحدث سفيان الثورى عن أبيه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل وما رأيت فى جميعهم الا محاملين وقال مجاهد لابن عمر وقد دخلت القوافل ما أكثر الحاج فقال ما أقلهم ولكن قل ما أكثر الركب قال وكان ابن عمر اذا نظر الى ما أحدث الحاج من الزوامل والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم الحاج فينبغى ان يكون رث الهيئة خفيف المؤنة متبذلا من كل شئ لا يحمل معه من الزاد الا ما لابد له منه مما يحتاج اليه ولا يسرف فى المبالغة والتناهى فيه ولا يقتر ولا يضيق على نفسه ورفيقه بل يستعمل الاقتصار فى كل شئ والكفاية و يجتنب من الزى الحمرة فان ذلك مكروه و روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الاقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قال فقمنا نتساعى حتى نزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ثم ليجتنب من الزى الشهرة وكل منظور اليه من الاثاث ولا يتشبه بالمترفين ولا باهل الدنيا من أهل التفاخر والتكاثر فيكتب من المتكبرين ولا يكثر التنعم والرفاهة فان ذلك غير مستحب فى سبيل الله تعالى لان المشقة والظما والمخمصة واللاواء كما كثر فى سبيل الله كان أفضل وأوجب وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس اليه و يهتدوا بشمائله وقال عليه الصلاة والسلام خذوا عنى مناسككم وكان يقول لبيك اللهم لبيك بحجة لا رياء فيه ولا سمعة وقال لبيك ان العيش عيش الآخرة وأمر صلى الله عليه وسلم بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهة فى حديث فضالة بن عبيد وفى الخبر انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى لملائكته انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق وقال الله عز وجل ثم ليقضوا تفثهم التفث الشعث والاغبرار وقضاؤه حلق الرأس وقص الاظفار وكتب عمر بن الخطاب الى أمراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة من الاشياء و بعض أصحاب الحديث يصحف هذه الحروف يقول اخلولقوا من الحلق ولا يجوز ان يأمرهم باسقاط سنة كيف وقد قال لصبيغ حين توسم فيه مذهب الخوارج اكشف رأسك فرآه ذا ضفيرتين فقال لو كنت محلوقا لضربت عنقك ولينح بشمائل أهل اليمن فى الزى والاثاث فان الاقتداء بهم والاتباع لشمائلهم فى الحج طريقة السلف على ذلك الهدى والوصف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وما عدا وصفهم وخالف هديهم فهو محدث ومبتدع ولهذا المعنى قيل زين الحجيج أهل اليمن لانهم على منهاج الصحابة وطريقة السلف وقيل فى مدحهم بالتقلل والانفراد لا يغلون سعرا ولا يضيقون طريقا وقد كان العلماء قديما اذا نظروا الى المترفين قد خرجوا الى مكة يقولون لا تقولوا خرج فلان حاجا ولكن قولوا خرج مسافرا و يقال ان هذه المحامل والقباب أحدثها الحجاج بن يوسف فركب الناس سنته وقد كان العلماء وقتئذ ينكرونها و يكرهون الركوب فيها وأخاف ان بعض ما يكون من تماوت الابل يكون ذلك سببه لثقل ما يحمل ولعله عدل أربعة أنفس و زيادة مع طول الشقة وقلة الطعم و ينبغى ان يقلل من نومه على الدابة فانه يقال ان النائم يثقل على البعير وقد كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا عن قعود يغفون غفوة بعد غفوة وكانوا ايضا لا يقفون عليها الوقوف الطويل لان ذلك يشق عليها وفى الحديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى ولا يحمل على الدابة المكتراة الا ما قاضى عليه الجمال أو ما أعلمه به وقال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك فقال حتى استأمر الجمال فانى قد اكتريت ولينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وآثار عن السلف وقد كان بعض السلف يكترى لازما و يشترط ان لا ينزل ثم انه ينزل للرواح ليكون ما رفعه عن الدابة من حسناته محتسبا له فى ميزانه و بعض علماء الظاهر يقول ان الحج راكبا أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه أبعد لضجر

النفس

فقال له ما ملاك الدين فقال الورع فقال ما آفة الدين فقال الطمع فتعجب منه وقال الحرث المحاسبى رحمة الله عليه أصل الطاعة الورع وأصل الورع التقوى وأصل التقوى محاسبة النفس وأصل محاسبة النفس الخوف والرجاء وأصل الخوف والرجاء الوعد والوعيد وأصل معرفة الوعد والوعيد ذكر الثواب والعقاب وأصل ذلك الصبر والفكر

*(فصل)*والورع يدخل فى جميع اعمال الجوارح وعمل القلب قال بعض المشايخ الورع فى النطق يورث ترك الغيبة والنميمة وفضول الكلام وكل ما لا يحسن من القول قال والورع فى النطق أشد منه فى الذهب والفضة والزهد فى الرياسة أشد منه فى الذهب والفضة لانك تبذلهما فى طلب الرياسة وقال بشر الحافى أشد الاعمال ثلاثة الجود فى القلة والورع فى الخلوة وكلمة الحق عند من ترجوه أو تخافه وتكلم أبو سعيد الخراز يوما فى الورع فمر به عباس بن عبد الله فقال يا أبا سعيد أما تستحى ان تجلس تحت سقف بناه المنصور الدوانيقى وتشرب من بركة زبيدة وتتعامل بالمؤلفة وتتكلم فى الورع وكان زهاد البصرة من أهلها لا يأكلون من ثمار البصرة لاختلاط الاملاك بعضها ببعض واشتباهها من أيام الحجاج فى وقعة دير الجماجم وقيل حمل الى عمر بن عبد العزيز مسك من الغنائم فقبض على أنفه وقال انما ينتفع من هذا بريحه وانما أكره

النفس وأقل لاذاه وأقرب لسلامته وتمام حجه فهذا عندى بمنزلة الافطار يكون أفضل اذا ساء عليه خلقه وضاق به ذرعه وكثر عليه ضجره لان حسن الخلق وانشراح الصدر أفضل وقد يكون كذلك لبعض الناس دون بعض ممن يكون حاله الضجر ووصفه التسخط وقلة الصبر أولم يمكن المشى وسألت بعض فقهائنا بمكة وكان ورعا عن تلك العمر التى تعتمر من مكة الى التنعيم وهو الذى يقال له مسجد عائشة وهو ميقاتنا للعمرة فى طول السنة أى ذلك أفضل المشى فى العمرة أو يكترى حمارا بدرهم يعتمر عليه فقال يختلف ذلك على قدر شدته على الناس فان كان انفاق الدرهم أشد عليه من المشى فالاكتراء أفضل لما فيه من اكراه النفس عليه وشدته عليها ومن كان المشى عليه اشق فالمشى أفضل لما فيه من المشقة ثم قال هذا يختلف لاختلاف أحوال الناس من أهل الرفاهية والنعمة فيكون المشى عليهما أشد وعندى ان الاعتمار ماشيا أفضل وكذلك الحج ماشيا لمن أطاق المشى ولم يتضجر به وكان له همة وقلب وقد روينا فى خبر من طريق أهل البيت اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة ويكره أخذ الاجرة على الحج فيجعل نصيبه وغناءه لغيره ملتمسا عرض الدنيا وقد كره ذلك بعض العلماء ولانه من أعمال الآخرة ويتقرب به الى الله يجرى مجرى الصلاة والاذان والجهاد فلا يأخذ على ذلك أجرا الا فى الآخرة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى العاص واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان أجرا وسئل عن رجل خرج مجاهدا فأخذ ثلاثة دنانير فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما أخذ فان كان نيته عبد الآخرة وهمته المجاورة واضطر الى ذلك فان الله تعالى قد يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا رجوت ان يسعه ذلك وفى الخبر يؤجر على الحجة الواحدة ثلاثة ويدخلون الجنة الموصى بها والمنفذ للوصية والحاج الذى يقيمها لانه ينوى خلاص أخيه المسلم والقيام بفرضه وقد جاء مثل المجاهد الذى يأخذ أجرا على جهاده مثل أم موسى يحل أجرها وترضع ولدها هذا اذا كانت نيته الجهاد واحتاج الى معونة عليه كذلك من كانت نيته فى حجه الآخرة والتقرب الى الله تعالى بالطواف والعمرة بعد قضاء ما عليه لم يضره أخذ أجرة على حجه ان شاء الله تعالى * ومن فضائل الحج ان لا يقوى أعداء الله الصادين عن المسجد الحرام بالمال فان المعونة والتقوية بالمال تضاهى المعونة بالنفس والصد عن المسجد الحرام يكون بالمنع والاحصار ويكون بطلب المال فليحتل فى التخلص من ذلك فان بعض علمائنا كان يقول ترك التنفل بالحج والرجوع عنه أفضل من تقوية الظالمين بالمال لان ذلك عنده دخيلة فى الدين ووليجة فى طريق المؤمنين واقامة واظهار لبدعة أحدثت من الآخذ والمعطى وهذا كما قال لانه جعل بدعة سنة ودخولا فى صغار وذلة ومعاونة على وزر أعظم فى الحرم من تكلف حجة نافلة قد سقط فرضه كيف وفى ذلك ادخال ذلة وصغار على الاسلام والمسلمين مضاهاة للجزية وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل واحد من المسلمين على ثغر من ثغور الاسلام فان ترك المسلمون فاشدد لئلا يؤتى الاسلام من قبلك وفى الخبر المشهور المسلمون كرجل واحد ومثل المسلم من المسلمين كمثل الرأس من الجسد يألم الجسد لما يألم الرأس ويألم الرأس لما يألم الجسد وقد يترخص القائل فى ذلك بتأويل انه مضطر اليه وليس كما ظن لانه لو رجع لما أخذ منه شئ ولو خرج فى زى المترفين مما أحدث من المحامل لما أخذ منه شئ فقد زال الاضطرار وحصل منه بالطوع والشهوة الاختيار ولعل هذا الذنب عقوبة ما حملوا على الابل فوق طاقتها من البيوت المسقفة التى علوها عليها كان البعير يحمل الرجل ورحله فجعلوه يحمل مقدار أربعة وزيادة فأدى ذلك الى تلفها فهم مطالبون بقتلها الان من حمل بعيرا فوق طوقه حوسب بذلك وطولب أولعله ذنب ما خرجوا به من التجارات وفضول الاسباب وشبهات الاموال أولسوء النيات وفساد المقاصد وروينا ان أبا الدرداء قال لبعيره عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمنى الى ربك فانى لم أكن أحملك فوق طاقتك وقد يعاقب الله على الذنب بذنب مثله أو فوقه وينبغى ان يكون فى المشاعر والمناسك أشعث أغبر فانه سنة ويكثر ذكر الله فى طريقه وجميع

ان أثم وانتعمدون المسلمين ورهن أحمد بن حنبل سطلا عند بقال بمكة فلما أراد فكاكه اشتبه عليه بسطل آخر لغيره فأعطى ما للبقال عليه وترك له السطل ولم يأخذه ومات والد الحاسبى وترك له سبعين ألف درهم فلم يأخذ منها درهما وكان من أحوج الناس الى دانق وقال صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا يتوارث أهل ملتين شيأ وكان أبوه قدريا وكان أبو صالح عند صديق له وهو فى النزع فمات الرجل فنفث أبو صالح فى السراج فأطفأه فقيل له لم فعلت ذلك فقال الى الآن كان الدهن له فى السراج ومن الآن صار للورثة وكان أصل الورع فى زمانهم أربعة حذيفة المرعشى ويوسف بن أسباط وابراهيم ابن أدهم وسليمان الخواص فنظروا فى الورع فلما ضاقت عليهم الامور لدخول الشبهة فى أموال الدنيا فزعوا الى القليل واقتصروا على قدر الضرورة وكذلك كان حال غيرهم من المتعمقين فى الورع فانهم لما ضاقت عليهم الامور وتعذر عليهم الحلال الصرف الخالص عن شوب الشبهات افترقوا فرقتين فرقة منهم قويت على السياحة والتجريد فأخذوا فى البوادى وساحوا فى البرارى وشعوب الجبال ليكون قوتهم الحلال البين والمباح الخالص من نبات الارض وعشبها وليتفرغوا للعبادة ورأوا انه لا يخلصهم فى ورعهم ولا يسعهم فى الدين غير ذلك وفرقة عجزت عن

مناسكه ويذكر به الغافلين ويقل ذكر الناس ويلزم الصمت فيما لا يعنيه ولا يتكلف ما قد كفي ولا يدخل فيما لم يكلف وان رأى موضعا للمعروف أمر به أو منكرا نهى عنه فهذه المعاني تضاعف أمر الحج وتفضل الحاج واستحب ان يقرن بين حجة وعمرة من ميقاته لان فيه ايجاب هدي يقربه وليكون جامعا بين نسكين من ميقات بلده ويكون قد أتى بالعمرة لانها مقرونة بالحج في الكتاب ولان مذهب كثير من العلماء انها فريضة كالحج وجماعة من السلف كانوا يستحسنون الابتداء بالعمرة وتقديمها على الحج منهم الحسن وعطاء وابن سيرين والنخعي وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم جمع بينهما وأهل بهما معا في حديث انس وقد حدث عن شقيق بن سلمة عن الضبي بن معبد قال أردت الغزو فاشار علي رجل من أهل العلم أن ابدأ بالحج فاستشرت رجلا من أهل الفقه فامرني ان أجمع بين حج وعمرة جميعا ففعلت فانشأت ألبي بهما حتى قدمنا على عمر فاخبرته بالذي فعلت فقال هديت لسنة نبيك وان قدم العمرة فحج متمتعا ثم افرد الحج بعدها من عامه فهو أفضل وهذا اختيار جماعة من العلماء وان حج مفردا كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه أفرد الحج فيما رويناه عن عائشة وجابر واذا فرغ من حجه رجع الى ميقات بلده فاعتمر من هنالك فحسن وقد قال الله عز وجل وأتموا الحج والعمرة لله فافرادهما من اتمامهما وهذا قول عمر وعثمان في الاتمام وليطف لقرانه سبع طوافين وسعيين ليخرج بذلك من اختلاف العلماء جمعهما أو فرقهما وليكثر العبد من التلبية في حال احرامه فهي من أفضل الاذكار فيه وليرفع بها صوته وان قال في تلبيته لبيك يا ذا المعارج لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا والرغباء اليك والعمل فقد روي هذا عن الصحابة وان اقتصر على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم فحسن وفيها الكفاية والبلاغ وأحب ان يذبح وان لم يجب عليه ويجتنب الاكل من ذبح ما كان واجبا عليه مثل نسك قران أو متعة أو كفارة واستحب ان يأكل مما لم يكن عليه واجبا وليجتنب المعايب الثمانية في ذبيحته التي وردت بها الآثار وكذلك في الاضحية فقد نهى ان يضحى بالجدعاء والعضباء والجرباء ونهى عن الشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء التي لا تنقي يعني المهزولة وهذا جميع ما جاء في عيوب الاضاحي باخبار متفرقة فالجدع في الانف والاذن والقطع فيهما والعضب الكسر في القرن وفي نقصان القوائم والجرباء من الجرب والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء المشقوقة من أسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة المخروقة من خلف والتي لا تنقي المهزولة التي لا نقي لها والنقي هو المخ وقد روينا في تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قيل تسمين الهدي وتحسينه وأفضل الهدي بدنة ثم بقرة ثم كبش أقرن أبيض ثم الثني من المعز وان ساق هديه من الميقات فهو أفضل من حيث لا يجهده ولا يكده وقد كانوا يغالون بثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله وفي حديث ابن عمر ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ان يبيعها ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها فهذه سنة في تخير الهدي وحسن الادب في المعاملة وترك الاستبدال بها طلب الكثرة لان القليل الجيد خير من الكثير الدون ان في ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين فكان الخالص الحسن كافيا من الكثير المتقارب وفي حديث ابن المنكدر عن جابر سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج قال العج والثج فالعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما عمل آدمي يوم النحر عملا أحب الى الله عز وجل من اهراق دم وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها واظلافها فان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفي الخبر لكم بكل صوفة من شعرها وبكل قطرة من دمها حسنة وانها توضع في الميزان فابشروا ولا يضحى بجذع الامن الضأن فقط وهو ما كان في آخر حوله وبالثني من المعز والبقر والابل فالثني من المعز ما دخل في السنة الثانية والثني من البقر ما دخل في الثالثة والثني من الابل ما دخل في السنة الخامسة وان أحرم من بلده فقد قيل انه من اتمام الحج والعمرة ومن عزائم الاعمال رويناه عن عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهما وأتموا الحج والعمرة لله قالوا اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك ولتكن حاضر القلب مشاهد القرب

السياحة في الجبال والاقامة في البراري والقفار فاقاموا بين الناس واقتصروا من أجزاء القوت ما يسدون به الرمق ونزلوا أنفسهم منزلة المضطر ونزلوا الاموال والاقوات وسائر الاشياء التي بايدي الناس منزلة الميتة فلم يأخذوا من ذلك الا بقدر الضرورة وهو القدر الذي تحفظ به البنية وتقوم به الحياة ويبلغهم الى أداء الطاعة وتركوا ما سوى ذلك ورأوا انهم معذورون في تناول هذا القدر لان الحياة لا تقوم بدونه والحلال الخالص غير مظفور به ولهذا قال الحسن البصري فسد السوق فعليكم بالقوت

(باب الزهد)

قال المحققون ليس الزهد فقد المال بفراغ اليد منه بل الزهد فراغ القلب منه فقد كان سليمان بن داود عليه السلام في ملكه من سادات الزاهدين وكذلك ابراهيم الخليل عليه السلام في كثرة غنمه وكذلك أيوب عليه السلام في كثرة ذهبه فالمعتبر في تحقيق الزهد ان لا يكون القلب متعلقا بالدنيا بل بالله سواء كان عنده شيأ من متاع الدنيا أم لا لانه اذا خلا القلب واليد منهما كان أكمل في حق بعض الناس روى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال عهد الينا النبي صلى الله عليه وسلم عهدا فقال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب رجل أراد شقة من الارض فسار فنزل منزلا فاكل وعلف راحلته ثم سار فنزل منزلا فاكل وعلف راحلته

عند المواطن المرجو فيها الاجابة وفي المشاهد المبتغى منها المنفعة كما قال الله سبحانه وتعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله على ما رزقهم واستحب له ان يمشي في المشاعر من حين يخرج من مكة الى ان يقف بعرفة والى ان يرجع من طواف الزيارة الى منى ومن استحب للحاج الركوب فانه يستحب له المشي الى مكة في المناسك الى انقضاء حجه ولان عبد الله بن عباس أوصى بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف وأوكد ما مشى فيه من المناسك وأفضله من مسجد ابراهيم صلى الله عليه وسلم الى الموقف ومن الموقف الى المزدلفة في الافاضة ومن المشعر الحرام غداة النحر الى منى وفي أيام رميه الجمار وصومه يوم عرفة فيه فضل ان قوي معه على الدعاء والتلبية ولم يقطعه الصوم عن ذلك فان أضعفه فالفطر أفضل ولم يصمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة ولا أبو بكر ولا عمر وصامه عثمان رضي الله عنه وعنهم وليعتبر في طريقه وسيره بالآيات وما يرى من الحكمة والقدرة من تصريف الخلق وما يحدث الله تبارك وتعالى في كل وقت فيكون له في كل شيء عبرة ومن كل شيء موعظة فانه على مثال طريق الآخرة وليكن له بكل شيء تذكرة وفي كل شيء فطنة وتبصرة ترده الى الله تعالى وتدله عليه وتذكره به واشهده منها فيتفكر في أمره ويستدل به على حكمته ويشهد منه قدرته وسئل الحسن ما علامة الحج المبرور فقال ان يرجع العبد زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة وقيل في وصف الحج المبرور هو كف الاذى واحتمال الاذى وحسن الصحبة وبذل الزاد ويقال ان علامة قبول الحج ترك ما كان عليه العبد من المعاصي والاستبدال باخوانه البطالين اخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة فمن وفق للعمل بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله اليه في قصده ومن أصيب بمصيبة في نفسه وماله فهو من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله تعالى الدرهم بسبعمائة وبمثابة الشدائد في طريق الجهاد وليستكثر من الطواف بالبيت لانه يستوعب بطواف أسبوع مائة وعشرين رحمة يكون بكل رحمة ما شاء الله لانه سبحانه يختص برحمته من يشاء وأقل ماله بكل رحمة عشر حسنات لان في حديث عطاء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرين رحمة ستون للطائفين واربعون للمصلين وعشرون للناظرين وفي الحديث استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أقل شيء تجدونه في صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ولا تحدث في طوافك وعليك بكثرة ذكر الله سبحانه وتعالى من التسبيح والتهليل والحمد وتلاوة القرآن وامش بسكينة ووقار وخشوع وانكسار ولا تزاحمن أحدا واقرب من البيت ما أمكن واستلم الركنين اليمانيين مع تقبيل الحجر في كل وتر من طوافك ان أمكن وقد روينا في الخبر من طاف بالبيت حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا في المطر غفر له ما سلف من ذنوبه روي ذلك عن الحسن بن علي قاله لاصحابه ورفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واتق الهمة الردية والافكار الدنية فيقال ان العبد يؤاخذ بالهمة في ذلك البلد وعن ابن مسعود ما من بلد يؤاخذ العبد فيه بالارادة قبل العمل الا بمكة وقال أيضا لو هم العبد ان يعمل سوءا بمكة عاقبه الله تعالى ثم تلا ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم يعني انه علق العذاب بالارادة دون الفعل ويقال ان السيآت تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات وان السيآت التي تكتسب هنالك لا تكفر الا هنالك وكان ابن عباس يقول الاحتكار بمكة من الالحاد في الحرم وقيل الكذب فيه من الالحاد وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الي من ان أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزلة بين مكة والطائف وقد كان الورعون من السلف منهم عبد الله بن عمرو وعمر بن عبد العزيز وغيرهما يضرب أحدهم فسطاطا في الحرم وفسطاطا في الحل فاذا أراد أن يصلي أو يعمل شيأ من الطاعات دخل فسطاط الحرم ليدرك فضل المسجد الحرام لان المسجد الحرام عندهم في جميع ما يذكر انما هو الحرم كله واذا أراد ان يأكل أو يكلم أهله أو يتغوط خرج الى فسطاط الحل ويقال ان آل الحجاج في سالف الدهر كانوا اذا قدموا مكة خلعوا

حتى بلغ شعثه من الارض وأنفذ زاده وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ما الدنيا في الآخرة الا كرجل أدخل أصبعه في اليم فلينظر بماذا يرجع وعن ابن سعيد الخدري رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله الا تبني لك قال لا ولكن عريشا كعريش موسى عليه السلام من جريد وقال فان الاجل أقرب من ذلك وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله تعالى بما آتاه وقال عليه الصلاة والسلام لبعض أصحابه كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أغنى الناس

(فصل) وقد زهد الله تعالى الخلق في الدنيا فقال تعالى بقية الله خير لكم ان كنتم مؤمنين وقال تعالى وما الحياة في الآخرة الا متاع وقال تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والزهد من مقامات السالكين وينتظم من علم وحال وعمل كسائر المقامات فالعلم المميز لحال الزهد الذي هو العزوب الدنيا هو العلم بكون المتروك حقيرا بالاضافة الى المأخوذ وان الآخرة خير لمن اتقى وما عند الله خير وأبقى والعاقل لا ينخدع بالخسيس عن العظيم النفيس الذي هو قرة العين وروي انه صلى الله عليه وسلم قال لحارثة كيف أصبحت يا حارثة قال أصبحت مؤمنا حقا قال ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا وزينتها فقال صلى

نعالهم بذي طوى تعظيما للحرم وقد سمعنا من لم يكن يتغوط ولا يبول في الحرم من المقيمين بمكة ورأينا بعضهم لا يتغوط ولا يبول حتى يخرج الى الحل تعظيما لشعائر الله تعالى وتنزيها للحرم وأمنه وأعمال البر كلها تضاعف بمكة والحسنة بمائة ألف حسنة على مثال الصلاة في المسجد الحرام وروى معنى ذلك عن ابن عباس وأنس وعن الحسن البصري ان صوم يوم بمائة ألف وصدقة درهم بمائة ألف درهم ويقال ان طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وان ثلاث عمر تعدل حجة وان العمرة هي الحجة الصغرى وهذا في دليل الخطاب من قوله تعالى يوم الحج الاكبر فدل ان الحج الاصغر هو العمرة ومن العرب من يسمي العمرة حجا وفي الخبر عمرة في رمضان تعدل حجة فمن وفق للعمل بما ذكرناه فهو علامة قبول حجه ودليل نظر الله اليه في قصده * ذكر فضائل الحج والحاجين لوجه الله روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي حديث آخر من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات أجرى له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة ومن مات في أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وروى في الخبر حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء الا الجنة وفي الحديث الحجاج والعمار وفد الله تعالى وزواره ان سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوه أستجيب لهم وان شفعوا شفعوا وذكر بعضهم ان ابليس ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العينين مقصوم الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك فقال خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قصدوه أخاف ان لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله تعالى ولو كانت في سبيلي كان أحب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الي قال فما الذي قصم ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول ياويلتي متى يعجب هذا بعمله أخاف ان يكون قد ولقي رجل ابن المبارك وقد أفاض من عرفة الى مزدلفة فقال من أعظم الناس جرما يا أبا عبد الرحمن في هذا الوقت فقال من قال ان الله عز وجل لم يغفر لهؤلاء وقد روينا مسندا من طريق أهل البيت أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن ان الله عز وجل لم يغفر له ويقال ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد رفعه جعفر ابن محمد فاسنده ويقال ان الله عز وجل اذا غفر لعبد ذنبا في الموقف غفره لكل من أصابه في ذلك الموقف وزعم بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل الموقف وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ولم يحج بعد نزول فرض الحج غيرها وعليه نزلت هذه الآية وهو واقف بعرفة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وقال علماء أهل الكتاب لو أنزلت علينا هذه الآية لجعلنا يومها عيدا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه أشهد لقد أنزلت في يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة وقد روينا في تفسير قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم عن جماعة من السلف قال غفر لهم ورب الكعبة وفي تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم صراطك المستقيم قال طريق مكة يصدهم عنه وروينا عن مجاهد وغيره من العلماء دخل حديث أحدهما في الآخر كانوا يتلقون الحاج يدعون لهم قبل ان يتدنسوا ويقولون تقبل الله منا ومنكم وان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمير واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات بعقب شهر رمضان أو بعقب غزو أو بعقب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله تعالى عنه الحاج مغفور له ولمن استغفر له شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الاول وقد كان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم وفي الخبر اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وحدثونا عن علي بن الموفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة بت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كان ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال لا أدري قال حج بيت ربنا ستمائة ألف فتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة أنفس

الله عليه وسلم عبد نور الايمان قلبه فجعل الزهد وهو العزوف عن الدنيا حقيقة الايمان لما كان من أخص آثاره ولوازمه ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح في قوله تعالى أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يارسول الله هل لذلك علامة فقال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله فجعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافي عن دار الغرور ولما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من العرب فقالوا انا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم فذكروا الصبر على البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشماتة بالمصيبة اذا نزلت في الاعداء فقال ان كنتم كذلك فلا تجمعوا مالا تأكلون ولا تبنوا مالا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون فجعل الزهد تكملة ايمانهم وروت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوما الى أصحابه وعليه كساء من شعر مرحل بها اي عليه صورة رحال الابل والزهد حال من الاحوال للانبياء والصديقين دخل عمر على النبي صلى الله عليه وسلم فوجده على سرير من جريد النخل وقد تكسر بعضه وشد بالحبال ليس عليه شيء الا حصير من الخوص وقطعة جلد من أدم ووسادة حشوها ليف قال عمر فجعلت أجول

قال

قال ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا فاغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت اذا قبل حج ست أنفس فاين أكون انا فى ستة أنفس فلما أفضنا من عرفة وبت عند المشعر الحرام جعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا من السماء على هيئتهما فنادى أحدهما يا عبد الله قال لبيك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا قال نعم ستمائة ألف قال فتدرى كم قبل منهم قال نعم ستة أنفس قال فتدرى ماذا حكم ربنا فى هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف ذكر فى هذه القصة ستة ولم يذكر السابع وهؤلاء هم الابدال السبعة أوتاد الارض المنظور اليهم كفاحا ثم ينظر الى قلوب الاولياء من وراء قلوبهم فانوار هؤلاء عن نور الجلال وأنوار الاولياء من أنوارهم وأنصبتهم وعلومهم من أنصبة هؤلاء وعلومهم فلم يذكر السابع وهو قطب الارض والابدال كلهم فى ميزانه ويقال انه هو الذى يضاهى الخضر من هذه الامة فى الحال ويجاريه فى العلم وانهما يتفاوضان العلم ويجد أحدهما المزيد من الآخر فلم يذكره والله أعلم لانه يوهب له من مات ولم يحج من هذه الامة لانه أوسع جاها من جميعهم وأنفذ قولا فى الشفاعة من الجملة وقد روينا عن ابن الموفق قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم انى قد وهبت حجتى هذه وجعلت ثوابها لمن لا يتقبل حجه قال فرأيت رب العزة فى النوم قال لى يا على تتسخى على وأنا خلقت السخاء وخلقت الاسخياء وأنا أجود الاجودين وأكرم الاكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين وقد وهبت كل من لم يقبل حجه لمن قبلته وكان ابن الموفق هذا قد حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا وقال فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن الموفق حججت عنى قلت نعم يا رسول الله ولبيت عنى قلت نعم قال فهذه يد لك عندى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فادخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب

*ذكر فضائل البيت الحرام وما جاء فيه فى الخبر ان الله تعالى وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كملهم الله تعالى بالملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوف وكل من حجها متعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وفى الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبله كثيرا وروينا انه سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيجعل المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن وقبله عمر ثم قال انى لاعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك لما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فاذا على فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات فقال على يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله عز وجل لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود وقيل فذلك معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك يعنون هذا الكتاب والعهد وفى الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم أنا أول من تنشق عنه الارض ثم آتى البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فاحشر بين الحرمين وفى الخبر ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وجاء فى الخبر ان الله تعالى ينظر فى كل ليلة الى أهل الارض فاول من ينظر اليه أهل الحرم وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه منهم مصليا غفر له ومن رآه نائما مستقبل القبلة غفر له وذكرت الصلاة بعبادان لابى تراب النخشبى فقال نومة فى المسجد الحرام أفضل من الصلاة بعبادان وكوشف بعض الاولياء قال رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة لانها خزانة الحرم وفرضة أهل المسجد الحرام وكنت أنا بمكة سنة فاهمنى الغلاء بها حتى ضقت ذرعا به فرأيت فى النوم شخصين بين يدى يقول أحدهما للآخر كل شئ فى هذا البلد عزيز كأنه يعنى الغلاء فقال الآخر الموضع عزيز فكل شئ فيه عزيز فان أردت ان ترخص الاشياء

ببصرى فى البيت فلم أر فيه شيأ سوى قليل قرص فى زاوية البيت واهاب معلق وكان فى الصحابة زهاد أقوياء فى الزهد كعمر بن الاسود وكان عمر رضى الله عنه يقول من سره أن ينظر الى النبى صلى الله عليه وسلم فلينظر الى عمر بن الاسود وعمر بن ثعلب الذى قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حقه ان قوما جعل الله عندهم من فضل هذا اليقين منهم عمر بن ثعلب قال بعضهم زهدت فى الدنيا لقلة غنائها وكثرة عنائها وسرعة فنائها وخساسة شركائها قال بعض المحققين يخرج من هذا رائحة الرغبة فى الدنيا وترك الزهد فيها لان من علل الفراق باسباب أحب الوصال عند زوال تلك الاسباب فمن ترك شيأ لوجود شركاء السوء فيه أخذه اذا انفرد به وعند هذا فنقول ينبغى للعبد المحب لله الزهد فى الدنيا لانها مبغوضة لله تعالى ومن أحب أحدا أبغض من يبغضه

(فصل) قد ظهر فى هذا الزمان قوم كذابون على الله يظهرون الزهد يراؤن به الناس فيتحلون بحلى الزهد فى ظاهرهم وقلوبهم مملوءة بالرغبة فى الدنيا يلبس أحدهم الهدمة بثلاثة دراهم وفى قلبه شهوة بثلاثة آلاف يلبسون ثياب الزهاد وقلوبهم قلوب الذئاب الزهد فى ثيابهم والطمع فى قلوبهم قيل أربعة من الكبائر لبس الصوف لطلب الدنيا وادعاء طريق الصالحين وترك فعلهم وذم

عليك فضمهم الى شرف الموضع حتى ترخص * ذكر من كره المقام بمكة كان سفيان الثورى يقول والله ما أدرى أى البلاد أسكن فقيل له خراسان قال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل الشام قال يشار اليك بالاصابع قيل فالعراق قال بلدة الجبابرة قال بمكة قال تذيب الكيس والبدن وقال رجل للثورى وقد عزمت على المجاورة بمكة فاوصنى قال أوصيك بثلاث لا تصلين فى الصف الاول ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة انما كره له الصلاة فى الصف الاول لانه يفتقد فيسال عنه اذا غاب فيشتهر و يعرف اذا واظب فيحب ان يرب الحال بلزوم الموضع فيذهب الاخلاص ويحصل التزين والتصنع وجاء رجل الى سفيان بمكة فسأله فقال أرسل معى رجل بمال فقال ضعه فى سدانة الكعبة أو قال فى سدنة الكعبة فما ترى قال سفيان قد جهل فيما أمرك به وان الكعبة لغنية عن ذلك قال فما ترى قال اصرفه للفقراء والارامل واياك و بنى فلان فانهم سراق الحاج وقد كان بعض السلف يكره المجاورة بمكة و يحب قصد البيت للحج والخروج منه اما لاجل الشوق اليه أو خشية الخطايا فيه أو حبا للعود وقد قال الله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون اليه يعودون مرة بعد مرة ولا يقضون منه وطرا وكان بعضهم يقول تكون فى بلد وقلبك مشتاق متعلق بهذا البيت خير لك من ان تكون فيه وأنت متبرم بمقامك أوقلبك متعلق الى بلد غيره وروى ابن عيينة عن الشعبى لان أقيم بحمام أعين أحب الى من ان أقيم بمكة قال سفيان يعنى اعظاما لها وتوقيا عن الذنب فيها وقد كان عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه يضرب الحجاج اذا حجوا و يقول يا أهل اليمن يمنكم و يا أهل الشام شامكم و يا أهل العراق عراقكم وكان ابن عباس يقول أجور بيوت مكة حرام ولا تقوم الساعة حتى يستحل الناس اثنتين اتيان النساء فى أدبارهن وأجور بيوت مكة وكان الثورى و بشر وجماعة من الفقهاء وأهل الورع يكرهون ان يدفع الرجل كراء بيت مكة حتى قال الثورى اذا طالبوك ولم يكن لك بد من ان تعطيهم فخذلهم من البيت فيما أخذوا منك وقال بعض السلف كم من رجل بارض خراسان أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به و يقال ان لله عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل وحدثنى شيخ لنا عن أبى على الكرمانى شيخنا بمكة وكان من الابدال الا انى سمعت هذه الحكاية منه قال سمعته يقول رأيت الكعبة ذات ليلة تطوف بشخص من المؤمنين وقال لى هذا الشيخ ربما نظرت الى السماء واقعة على سطح الكعبة قد ماستها الكعبة ولزقت بها أو أكثر الابدال فى أرض الهند والزنج و بلاد الكفرة و يقال لا تغرب الشمس من يوم الا يطوف بهذا البيت رجل من الابدال ولا يطلع الفجر من ليلة الا طاف به واحد من الاوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الارض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة ولا يرون لها أثرا وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا تذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الاشعار والاغانى وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال و ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب يتوقع ولادتها و يقال عن وهيب بن الورد المكى قال كنت ذات ليلة أصلى فى الحجر فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله تعالى أشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى من الطائفين حولى تفكههم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا من ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه وفى الخبر لا تقوم الساعة حتى يرفع الركن والمقام وروى ان الحبشة يغزون الكعبة فيكون أولهم عند الحجر الاسود وآخرهم على ساحل البحر بجدة فينقضونها حجرا حجرا يتناول بعضهم بعضا حتى يرمونها فى البحر وكذلك يذكر عن بعض الصحابة وقراء الكتب السالفة كأنى أنظر حبشيا أصلع أحدع قائما عليها يعنى الكعبة هدمها بمعوله حجرا حجرا وفى الخبر استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل ان يرفع فقد هدم مرتين و يرفع فى الثالثة و رفعه الذى ذكرناه يكون بعد هدمه لانه يبنى من ذى قبل حتى يعود الى مثل حاله و يحج مرارا ثم يرفع بعد ذلك وروى ينافى حديث أبى رافع عن على عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا أردت ان أخرب

الاغنياء والاخذ منهم وقال بعضهم لو كان الزهد والتصوف بالثياب كان الزهد يشترى فى الاسواق وتراهم أيضا يظهرون الورع فيتوسوس أحدهم فى عقد نية الصلاة واذا لاح له درهم أو شئ من متاع الدنيا لا يتوسوس فيه أصلا بل يأخذه على كل حال و يتأول حله كل تأويل بعيد والورع لا يتأول لان التأويل دخول فى الشبه وورد فى الحديث انه صلى الله عليه وسلم مثل الدنيا بالجيفة وفيه اشارة الى انه لا يستكثر منها بل لا يأخذ منها الا بقدر الضرورة كالميتة لا يتناول منها الا ما يدفع به المخمصة والضرورة

(فصل) ولا يقوم الزهد الا بترك الشبهات والفضول المباحات ولا يباح التكلم فى الزهد الا لمن أعرض عن الدنيا وقنع منها بالكفاف فاما من يجمع المال و يدخر الاثاث والمتاع فهو من الكذاب على الزهد لان فعله هذا يكذب قول الشاعر

ولو صدقت فيما تقول من الاسى
لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

ودخل اسود على بعضهم وعليه كساء على الجسد وهو يتكلم فى الزهد وعنده قميص معلق وعليه آخر فقال له يا شيخ أما تستحى تتكلم فى الزهد ولك قميصان وأكثر المترسمين انما حصل لهم علم الزهد لا حال الزهد و ينبغى لمن تصدى لارشاد الناس وتذكرهم ان لا يقبل من أحد منهم هدية ولا يأخذ منه صلة اهدى الى الحسن البصرى هدية من خراسان

الدنيا

الدنيا بعد أن يبقى خراب بيته ثم أخرب الدنيا على أثره وليس بعد مكة مكان أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والاعمال فيها مضاعفة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وكذلك قيل ان فضل الاعمال بالمدينة كفضل الصلاة كل عمل بألف عمل وبعد ذلك الارض المقدسة فان فضل الصلاة فيها بخمسمائة صلاة وكل عمل يضاعف بخمسمائة مثله وروينا عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم صلاة في مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وصلاة في المسجد الاقصى بألف صلاة ثم يستوى الارض بعد ذلك فلا يبقى مندوب اليه مقصود لفضل دل الشرع عليه كما جاء في الخبر لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وبعد ذلك فأي موضع صلح فيه قلبك وسلم لك دينك واستقام فيه حالك فهو أفضل المواضع لك وقد جاء في الخبر البلاد بلاد الله تعالى والخلق عباده فأي موضع رأيت فيه رفقا فاقم واحمد الله تعالى وفي الخبر المشهور من حضر له في شيء فليلزمه ومن جعلت معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال نعيم رأيت الثوري قد جعل جرابه على كتفه وأخذ قلته بيده فقلت الى أين يا أبا عبد الله فقال الى بلد أملؤ فيه جرابي بدرهم وفي حكاية أخرى بلغني ان قرية فيها رخص فاخرج اليها فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل الرجل ينتقل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن وقد كان الفقراء والمريدون يقصدون الامصار للقاء العلماء والصالحين للنظر اليهم والتبرك والتادب بهم وكان العلماء يتنقلون في البلاد ليعلموا ويردوا الخلق الى الله تعالى ويعرفوا الطريق اليه فاذا فقد العاملون وعدم المريدون فالزم موضعا ترى فيه أدنى سلامة دين وأقرب صلاح قلب وأيسر سكون نفس ولا تنزع الى غيره فانك لا تأمن ان تقع في شر منه وتطلب المكان الاول فلا تقدر عليه والله غالب على أمره ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(الفصل الخامس والثلاثون في تفصيل الاسلام والايمان وعقود شرح معاملة القلب من مذاهب أهل الجماعة) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال سبحانه وتعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وقال جل ثناؤه ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم فعمد القلوب وكسبها هو عقودها وأعمالها وعقود القلب التي هي السنة المجتمع عليها نقلها الخلف عن السلف ولم يختلف فيه اثنان من المؤمنين فيها ست عشرة خصلة ثمان واجبات في الدنيا وثمان واقعات في الآخرة فاما اللاتي هن في الدنيا ان يعتقد العبد ان الايمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ويقوى بالعلم ويضعف بالجهل وان القرآن كلام الله عز وجل غير مخلوق وعلمه القديم صفة من صفاته هو متكلم به بذاته وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقرب العبد الى الله عز وجل بافضل من شيء خرج منه وهو كلامه وروينا عن ابن عباس ان عليا رضي الله تعالى عنهما دعا عند قتال صفين يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي توجب النقمة وأعوذ بك من الذنوب التي تغير النعم وأعوذ بك من الذنوب التي تهتك الحرم وأعوذ بك من الذنوب التي تحبس غيث السماء وأعوذ بك من الذنوب التي تديل الاعداء انصرنا على من ظلمنا قال الضحاك بن مزاحم فكان علي رضي الله عنه يقدم هذه بين يدي كل شديدة وفيما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قوله أعوذ بكلمات الله وأسمائه كلها كما قال أعوذ بعزة الله وقدرته دليل ان الكلام والاسماء صفات وعن علي رضي الله تعالى عنه حين حكم الحكمين فنقم عليه الخوارج ذلك فقالوا حكم في دين الله من المخلوقين فقال والله ما حكمت مخلوقا ما حكمت الا القرآن وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حين سمع قرآن مسيلمة الكذاب الذي افتعله وتخرصه يضاهي به كلام الله تعالى والله ما خرج هذا من ال ولا من تقي قال أبو عبيدة يعني ما خرج من

وهي خمسة آلاف درهم وثياب من رقيق البز فقال للذي أتى بها أفاك الله ضم اليك ثيابك ونفقتك ولا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله يوم القيامة ولا خلاق له قال بعض أهل المعارف كم من عارف يزهد في الدنيا وهو طالب لها وكم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرىء على الله وكم من مقرب من الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار منه وقال ابن مسعود رضي الله عنه اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله ينابيع الحكمة ويطفئ مصابيح الهدى من قلوبهم فتجد الواحد منهم اذا تكلم في العلم يخشى الله تعالى بلسانه والفجور بين في عمله ٧ مما أحدث لقلتهم وأخذت قلوبهم وسئل بعضهم عن علماء زمانه فقال يتكلمون بالحكمة وأعمالهم أعمال الفجار يحذرون الناس من الدنيا وعملهم كله في طلبها قيل لبعضهم بماذا يعرف الزاهد في الدنيا فقال تعرفه بان لا يفرح بها اذا أقبلت ولا يحزن عليها اذا أدبرت قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم قالت عائشة رضي الله عنها توفي النبي صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز البر وكان يأكل خبز الشعير ولا ينخلون دقيقه وانما كانوا ينفخون النخالة فيطير منها ما يطير وما بقي يأكلونه في الخبز ومات صلى الله عليه وسلم ودرعه

الله تعالى قال وفيه دليل ان القرآن غير مخلوق وانه خرج من الله تعالى تكلم به قال ومن هذا قوله تعالى لا يرقبون في مؤمن الاولا ذمة معناه الله عز وجل لا يرقبونه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى ذلك في قوله فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه وذلك انه خرج منه وقرأت في مصحف ابن مسعود قال ياموسى قد فضلتك برسالاتي وبكلامي على الناس وهذا لا يجوز فيه الا التكلم بالذات مع قوله سبحانه وتعالى وكلم الله موسى تكليما قال أهل اللغة المصدر اذا أدخل في الفعل فهو للمواجهة والوصف لا للامر بالفعل ولا على المجاز ثم تسليم أخبار الصفات فيما ثبتت به الروايات وصح النقل ولا يتاول ذلك ولا يشبه بالقياس والعقل ولكن يعتقد اثبات الاسماء والصفات بمعانيها وحقائقها الله تعالى و ينفي التشبيه والتكييف عنها اذلا كفؤ للموصوف فيشبه به ولا مثل له فيجنس منه ولا نشبه ونصف ولا نمثل ونعرف ولا نكيف وفي رد أخبار الصفات بطلان شرائع الاسلام من قبل ان الناقلين الينا ذلك هم ناقلو شرائع الدين وأحكام الايمان فان كانوا عدولا فيما نقلوه من الشريعة فالعدل مقبول القول في كل مانقله وان كانوا كذبوا فيما نقلوا من أخبار الصفات فالكذاب مردود القول في كل ما جاء به والكذب على الله كفر فكيف تقبل شهادة كافر واذ جاز ان يجترؤا على الله عز وجل بان يزيدوا في صفاته مالم يسمعوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الى ان يكذبوا على الرسول فيما من الاحكام أولى ففي ذلك ابطال الشريعة وتكفير النقلة من الصحابة والتابعين باحسان فلذلك كفر أصحاب الحديث من نفى أخبار الصفات ويعتقد تفضيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته رضي الله عنهم ورضوا عنه كافة ويسكت عما شجر بينهم وينشر محاسنهم وفضائلهم لتأتلف القلوب بذلك ونسلم لكل واحد منهم مافعله لانهم أوفر وأعلى عقولا منا فقد عمل كل واحد بعلمه ومنتهى عقله فيما أدى اليه اجتهاده وان كان بعضهم أعلم من بعض كما أن بعضهم أفضل من بعض الا ان علومنا وعقولنا تضعف وتنقص عن علم أدناهم علما كما فضلوا علينا بالسوابق سبقا وتقدم من قدم الله ورسوله وأجمع المسلمون الذين تولى الله اجماعهم على الهداية وضمن لرسوله صلى الله عليه وسلم تفضيلا لهم ونشر بطالهم ان لا يجتمعوا على ضلالة وقد قال علي لما قيل له ألا تستخلف علينا فقال لا أستخلف عليكم بل أكلكم الى الله عز وجل فان يرد بكم خيرا جمعكم بعد نبيكم على خيركم قال ابراهيم النخعي فلما سلم الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما الامر الى معاوية سميت سنة الجماعة وقال له رجل من الشيعة يامذل المؤمنين فقال بل أنا معز المؤمنين سمعت أبي عليه السلام يقول لا تكرهوا امارة معاوية فانه سيلي هذا الامر بعدي وان فقدتموه رأيتم السيوف تبدر عن كواهلها كانها الحنظل فليعتقد بقلبه من رضي الصحابة بامامته وأجمعوا على خلافته واتفق الائمة من أهل الشورى على تقدمته على حديث ابن عمر في التفضيل قال كنا نقول على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينكر وعلى حديث سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فهؤلاء الاربعة خلفاء النبوة وهم أئمة الائمة من العشرة وعيون أهل الهجرة والنصرة وخيار الخيار من الاصحاب كما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اختار أصحابي على العالمين واختار من أصحابي أربعة فجعلهم خير أصحابي وفي كل أصحابي خير واختار أمتي على الامم واختار من أمتي أربعة قرون فكل قرن سبعون سنة فانا نحن قوم متبعون نقفو الاثر غير مبتدعين بالرأي والمعقول نرد به الخبر اذ لا مدخل للقياس والرأي في التفضيل كما لا مدخل لهما في الصفات وأصول العبادات وانما يؤخذ التفضيل توقيفا وتسليما ومن طريق الاجماع والاتباع خشية الشذوذ والابتداع لقول الرسول صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي عضوا عليها بالنواجذ ومن شذ ففي النار وقال تعالى في تصديق ذلك ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وانما جاء الترتيب في التفضيل والخلافة مخالفا للقياس والمعقول توكيدا للنبوة وتأييدا للرسالة

مئزر غليظ وكساء ملبد وكان يركب الحمار ويخصف النعل ويأكل على الارض ولم يكن له خوان ولا مائدة وكان يأكل مع أصحاب الصفة وكان اذا أكل لعق أصابعه ومارأى الخبز النقي منذ بعثه الله تعالى وردت بهذا كله الاخبار الصحيحة *(فصل)* روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لهى عن الشهوات ومن ترقب الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصائب وقال بعض الاولياء الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة قال سفيان بن عيينة لفظ الزهد هو ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فمعنى الزاي اشارة الى ترك زينة الدنيا ومعنى الهاء ان تترك هوى النفس ومعنى الدال ان تترك الدنيا باسرها فاذا كان هكذا يسمى حينئذ زاهدا قال مالك بن أنس مازهد أحد في الدنيا الا ظهرت الحكمة على لسانه وقال بعضهم لا يبلغ أحد حقيقة الزهد الا اذا كان حرصه على ترك الدنيا كحرص الحريص على طلبها وقال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى الى ابن الحائك يعني أبا حنيفة لا نفتي في مسئلة الارد علينا فيها فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن حائك أوماهو ولكن اعلم ان الدنيا جاءته فهرب منها

لئلا تلتبس النبوة بالملك ولا ينحو النبي صلى الله عليه وسلم في الخلافة نحو الاكاسرة والاقاصرة في المملكة كما كانت النبوة مخالفة للملك جاءت الخلافة على غير سيرة الملوك من استخلاف أبنائهم وأهل بيتهم ولو كان للمعقول والقياس مدخل في التفضيل لكان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن ابنه لان فيه النبوة والعباس عمه اذ فيه الابوة وقد أجمعوا على خلاف ذلك ويعني هذا من اخراج الخلق من المألوف ورفع سكونهم عن المعهود ان أبا قحافة وأبا سفيان ماتا مؤمنين وان أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه ماتا كافرين أجمع أهل النقل والتواريخ على ذلك وقال أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه لما أسلم أبوه بين يدي رسول الله عام فتح مكة والله يا رسول الله لاسلام أبي طالب كان أحب الي لو أسلم من اسلام أبي ليقر الله به عينك فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيضا لما سبق في علم الله تعالى ان يجعل هؤلاء الاربعة خلفاء النبوة بما قدر الله من أعمارهم فلم يكن يتم ذلك الا بترتيبهم على ما رتبوا في الخلافة فكان آخرهم استخلافا هو آخرهم موتا فدبر بخلافتهم على ما علم من آجالهم ووفى لهم بما وعدهم من استخلافهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم من خلائف أنبيائه السوالف ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وبدلهم أمنا بعد خوفهم كما قال الصادق فيما عهد ومن أوفى بعهده من الله فذلك تأويل قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الآية وان يعتقد ان الامامة في قريش خاصة دون سائر العرب كافة الى يوم القيامة وان لا يخرج على الائمة بالسيف ويصبر على جورهم ان كان منهم ويشكر على المعروف والعدل ويطيع اذا أمر بالتقوى والبر حتى تأتيه يد خاطئة أو منية قاضية كذلك السنة قال عالمنا أبو محمد سهل رحمه الله تعالى هذه الامة ثلاث وسبعون فرقة اثنتان وسبعون هالكة كلهم يبغض السلطان والناجية هذه الواحدة التي مع السلطان وسئل أي الناس خير فقال السلطان قيل كنا نرى ان شر الناس السلطان فقال مهلا ان لله تعالى في كل يوم نظرتين نظرة الى سلامة أموال المسلمين ودمائهم ونظرة الى سلامة أفكارهم فيطالع في صحيفته فيغفر له ذنوبه وقال أبو محمد الخليفة اذا كان غير صالح فهو من الابدال واذا كان صالحا فهو القطب الذي تدور عليه الدنيا قوله من الابدال يعني ابدال الملك كما حدثنا عن جعفر بن محمد الصادق انه قال ابدال الدنيا سبعة على مقاديرهم يكون الناس في كل زمان من العباد والعلماء والتجار والخليفة والوزير وأمير الجيش وصاحب الشرطة والقاضي وشهوده وفي الخبر عدل ساعة من امام عادل خير من عبادة ستين سنة ويقال ان الامام العادل يوضع في ميزانه جميع أعمال رعيته وكان عمرو بن العاص يقول امام غشوم خير من فتنة تدوم وقال النبي صلى الله عليه وسلم يكون عليكم أمراء يفسدون وما يصلح الله تعالى بهم أكثر فان أحسنوا فلهم الاجر وعليكم الشكر وان أساؤا فعليهم الوزر وعليكم الصبر وفي الخبر الآخر يليكم أمراء يقولون ما لا يعرفون ويفعلون ما ينكرون وفي لفظ يفعلون ما لم يؤمروا فقلنا أفلا نقاتلهم قال لا ما صلوا وفي الحديث الآخر ما أقاموا الصلاة وكان سهل رحمه الله تعالى يقول من أنكر امامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو مبتدع ومن أتاه من غير دعوة فهو جاهل وكان يقول الخشبيات السود المعلقة على أبوابهم أنفع للمسلمين من سبعين قاضيا يقضون في المسجد وقد كان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول اذا كان السلطان صالحا فهو خير من صالحي الامة واذا كان فاسقا فصالحو الامة خير منه وهذا قول عدل ولا يكفر أحدا من أهل القبلة بذنب وان عظم ولا ينزله جنة ولا نارا بل يرجو له ويخاف عليه وان من مات مصرا على الكبائر عن غير توبة منها في مشيئة الله تعالى ان اثبت وعيده عليه كان عدلا وان عفا عنه وسمح له بحقه كان ذلك منه فضلا ولا نحكم ولا نقطع على الله تعالى بشيء ولا نوجب لنا عليه شيئا انما نحن بين عدله وفضله وبمشيئته واختياره ان حقق علينا وعيده فنحن أهل ذلك وان غفر لنا فهو أهل التقوى وأهل المغفرة كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من وعده الله تعالى على عمل ثوابا فهو منجزه له ومن أوعده على عمل عقابا فهو فيه بالخيار والحديث الآخر اني

وهو بث منافقا لبناه أو دخل رجل على أبي الدرداء رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فلم ير شيئا فقال له يا أبا الدرداء ما أرى في بيتك متاعا ولا أثاثا فقال له ان لنا بيتا نتوجه اليه فيه صالح متاعنا وعن أبي ذر رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال هكذا وهكذا وهكذا بين عباد الله قال أحمد بن حنبل رضي الله عنه الزهد على ثلاثة أوجه الاول ترك الحرام وهو زهد العوام والثاني ترك الشبهات وهو زهد الخواص والثالث ترك ما شغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين وقال صاحب منازل السائرين الزهد للعوام قربة وللمريد وهو السالك طريق الآخرة ضرورة وللخاصة حسنة وهو على ثلاث درجات الاولى الزهد في الحرام وهو زهد العوام الثانية الزهد في الشبهة وهو زهد الورعين الثالث الزهد في فضول العيش وما زاد على الابلاغ من القوت باغتنام التفرغ الى عمارة الوقت وهو داخل في زهد الانبياء عليهم السلام والزهد الرابع وهو الزهد في الزهد باستحقار ما زهدت فيه واستوى حالتا الحصول والعدم عندك وهذا أيضا داخل في زهد الانبياء عليهم السلام وفي مسلم وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج من ناحية من نواحي المدينة وهو وأصحابه فمروا على شاة ميتة قد انتفت رائحتها فجعل أصحابه أيديهم على آنافهم من نتنها ولم يفعل النبي

صلى الله عليه وسلم سئل عن قوله تعالى ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فقال جزاؤه جهنم ان جازاه ففي كل قضاء الله تعالى حكمة بالغة وعدل وحكم صادق وحق وان يصدق بجميع أقدار الله تعالى خيرها وشرها انها من الله تعالى سابقة في علمه جارية في خلقه بحكمه وانهم لا حول لهم عن معصيته الا بعصمته ولا قوة لهم على طاعته الا برحمته وانهم لا يطيقون ما حجبهم الا به ولا يستطيعون لانفسهم نفعا ولا ضرا الا بمشيئته ويؤمن بقدرة الله وآياته في ملكه وغيب ملكوته بما ذكر في الاخبار من كراماته لاوليائه واجاباته لاحبائه واظهار القدرة للصديقين والصالحين مزيد الايمانهم وتثبيتا ليقينهم وتكرمة وتشريفا لهم وانه ليس في ذلك ابطال النبوة الانبياء ولا ادحاض حججهم من قبل ان هؤلاء غير مثبتين ولا مخالفين للانبياء ولا ادعوا ما ظهر لهم بحولهم وقوتهم ولا أظهروا دعوة الى أنفسهم ولا تظاهروا به ولا احتالوا بالدنيا ولا طلبا للرياسة على أهلها واغناهم شئ كشفه الله تعالى لهم من سر ملكوته كيف شاء وأظهرهم عليه من غيب قدرته أين شاء كما شاء تخصيصا لهم وتعريفا وهم للانبياء متبعون وعلى آثارهم مقتفون ولسنتهم مقتدون فآتاهم الله تعالى ذلك ببركة الانبياء وبحسن اتباعهم لهم ولانهم اخوانهم ابدا الا لا اشكالا لهم وعنهم أمثالا وقد توازرت الاخبار عن الصحابة والتابعين الاخيار بما ذكرناه فغنينا بالتواتر عن التناظر * وأما الثماني الواقعات في الآخرة فان يعتقد العبد مساءلة منكر ونكير يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن التوحيد وعن الرسالة وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن وهما فتانا القبر كذلك روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معنى قول الله عز وجل يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قيل عند مساءلة منكر ونكير ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء وعذاب القبر حق وحكمة وعدل على الجسم والروح والنفس يشتركون في ذلك حسب اشتراكهم في المعصية وان كان نعيما كان ذلك على الجسم والروح والنفس يشتركون في النعيم كما اشتركوا في الطاعة وهذا من أحكام الآخرة يكون بمجاري القدرة ليس على ترتيب المعقول ولا عرف العقول يوصل الله العذاب والنعيم الى الارواح والاجسام وهي متفرقة فيتصل ذلك بهما كانهما متفقان وليس في القدرة مسافة ولا ترتيب ولا بعد ولا توقيت ويؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان انه حق وعدل وحكمة وفضل كما جاء وصفه في العظم من أن طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل بحقيقة العدل وقد خاب من حمل ظلما فتكون الحسنات في صورة حسنة تطرح في كفة النور فيثقل بها الميزان برحمة الله تعالى وتكون السيآت في صورة سيئة تطرح في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله تعالى ويعتقد ان الصراط حق على ما جاء وصفه في الآثار كدقة الشعرة وحد السيف وهو طريق الفريقين الى الجنة أو النار دحض مزلة يثبت عليه أقدام المؤمنين بقدرة الله عز وجل فيحملهم الى الجنة بفضل الله تعالى وتزل عنه أقدام المنافقين فتهوي بهم في النار بحكم الله عز وجل وهو على متن جهنم باذن الله تعالى من قطعه نجا منها برحمة الله ومن زل عنه وقع فيها بحكمة الله تعالى ويؤمن بوقوع الحساب وتفاوت الخلق فيه فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا ومنهم من يدخل النار بغير حساب وهم الكافرون وكان امامنا أبو محمد رحمه الله تعالى يقول يسأل الانبياء عن تبليغ الرسالة ويسأل الكفار عن تكذيب المرسلين ويسأل المبتدعة عن السنة ويسأل المسلمون عن الاعمال فقوانا لقوله تبع ويؤمن بالنظر الى الله جل جلاله عيانا بالابصار كفاحا مواجهة تكشف الحجب والاستار بقدرة الله ومشيئته ونوره ورحمته كيف شاء وهو معنى قول الله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر الى الله تبارك وتعالى وكذلك فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعتقد اخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله ثم بشفاعة الشافعين من النبيين والصديقين وان لكل مؤمن شفاعة باذن الله فيشفع النبيون والصديقون والعلماء والشهداء وسائر المؤمنين كل واحد وسع جاهه وقدر منزلته أجمعت الرواة بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اثبات الشفاعة وفي اخراج

صلى الله عليه وسلم يده على انفه فقال النبي صلى الله عليه وسلم أترون هذه الشاة هينة على أهلها قالوا نعم يارسول الله فقال فوالله للدنيا أهون على الله تعالى من هذه على أهلها وعن ابن امامة الباهلي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أغبط الناس عندي لمؤمن خفيف الحال أو الحاذ الشك من الراوي ذو حظ أحسن عبادة الله تعالى واطاعه في السر غامض في الناس لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفض النبي صلى الله عليه باصبعه ثم قال عجلت منيته وقلت بواكيه وقل تراثه وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول لاصحابه كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى سرج بالليل احلاس البيوت جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون في أهل السماء تنكرون في أهل الارض وقال موسى عليه السلام يا بني اسرائيل تلبسون ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الخنازير والذئاب الضواري فان أحببتم ان تبلغوا ملكوت السموات فاميتوا انفوسكم وعن ابي شريح ان رجلا دخل المسجد وعليه ثياب صوف فقال بعض الناس أشهر هذا نفسه فقال عبد الله بن عمر بل أنتم الذين أشهرتم أنفسكم هذا كان لباس الناس قبل اليوم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بعض مجالسه كن لليتيم كالاب الرحيم واعلم انك كما تزرع تحصد واعلم ان عظة الاحمق في الملا كالتغني عند

الموحدين من النار وهم الجهنميون من أهل الطبقة العليا من النار وهو معنى قول الله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال أهل التفسير ذلك عند اخراج الموحدين من النار ويبقى الباقي لرحمة أرحم الراحمين فيخرج من النار بمشيئته وسعة رحمته وفضل فضله من لم يشفع لهم الشافعون ولم يتقدم في الشفاعة لهم المرسلون هكذا روينا معناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذه عقود السنة الهادية وطريقة الامة الراضية وقد أجمع السلف من المؤمنين على ماذكرناه من قبل انه لم ينقل عن أحد منهم خلافه ولا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضده بل قد روى في كل ماذكرناه أخبار توجب ايجابه ومعان تشهد لاثباته وتولى الله تعالى اجماعهم على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تولى اظهار دينه على الدين كما وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ضمن لي وفي لفظ آخر أعطاني أن لا تجتمع أمتي على ضلالة فاذا رأيتم خلافا فكونوا مع السواد الاعظم والسواد الاعظم يعبر به عن الكثرة فالمختلفون متفقون على ان السواد الاعظم ماعليه العامة من المسلمين والكافة من العموم وان المبتدعة والمخالفة لماذكرناه انما هم فرق وشراذم قليلون وشيع وأحزاب متفرقون لان كل مبتدعة منهم فرقة وكل شرذمة منهم مختلفة وليس السواد الاعظم والجم الغفير الدهماء الا أهل السنة والجماعة وهم السواد والعامة ولذلك كان عمر بن عبد العزيز وغيره من الصالحين يقولون دينا دين الحجاز وصبيان المكاتب ودين الاعراب أي هو القوي السليم العام وفسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر فقال من كان على ما أنتم عليه اليوم فاجمعت الامة على ان ماأحدثت الفرق المختلفة لم تكن عليه الصحابة ولا تكلموا فيه ولا نقل عنهم وانهم كانوا على ماذكرناه آنفا لانه لم يروعن أحد منهم خلافه بل قد نقل عنهم وفاقه في القرن الاول والثاني ثم حدث ماذكرناه من الخلاف في بعض القرن الثالث وفي القرن الرابع وقد كان عمرو بن دينار وأيوب وحماد بن زيد اذا ذكر أحدهم الارجاء ومذهب جهم يقول لعن الله دينا أنا أكبر منه يعني انه سبق حدوث هذه المذاهب التي تدين بها المبتدعون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين على حسن توفيقه وجميل هدايته وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله فنعمة الله تعالى علينا بالسنة كنعمته علينا بالاسلام اذ نعمته علينا برسول الله صلى الله عليه وسلم كنعمته علينا بمعرفته لاقتران طاعته بطاعته ولحاجة الكتاب العزيز الى تفسير سنته وقد روينا في حديث عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشيطان مع الواحد وهو من اثنين أبعد ذئب أحدكم كذئب الشاة يتبع الشاذة والقاصية فمن أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة ومن شذ في النار وروينا عن أبي غالب عن أبي امامة انه نظر الى رؤس الحرورية جيء بها من البصرة فنصبت على الخشب بدمشق قال شر قتلى تحت ظل السماء وخير قتلى من قتلوه ثم قال كلاب النار ثم قرأ فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم ويشير باصبعه اليهم ثم بكى فقلت يا أبا امامة تقول فيهم ما تقول ثم تبكي فقال قاتل الله ابليس ما صنع بهؤلاء الناس يا أبا غالب انهم كانوا على ديننا فأبكي مما هم لاقون هؤلاء بأرضك كثير فاعيذك بالله منهم ثلاث مرات فقلت آمين يا أبا امامة أشئ سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو شئ تقوله من قبل رأيك قال اني اذا لجرئ ثلاث مرات لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع يقول تفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة تزيد أمتي عليها فرقة كلها في النار الا السواد الاعظم فقال رجل كان معنا يا أبا امامة ان في السواد الاعظم بني فلان قال وان فعلوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم والجماعة خير من الفرقة والطاعة خير من المعصية ثم نظر الى الرؤس فقال أيغضبون لنا ويقتلوننا هذه رؤس الخوارج وهم الحرورية الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه بالنهروان وهم أول قرن نبغ من المبتدعة وأول بدعة ابتدعت في الاسلام وكانوا قراء المصاحف في أعناقهم والسجادات كركب المعزى في جباههم فانكروا عليه تحكيم الحكمين وسألوه ان ينقض حكمه فيرجع

رأس الميت وما أقبح الفقر بعد الغنى وأقبح من ذلك الضلال بعد الهدى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال يا أيها الناس ألا تستحيون وقال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من هدى الى الاسلام وكان عيشه كفافا فاقتنع به ودخلت امرأة من الانصار على عائشة رضي الله عنها فقالت لها أريني مضجع النبي صلى الله عليه وسلم فارتها اياه فاذا هو حصير عليه جلد من ادم فانطلقت المرأة فهيأت خلقا لها حتى خيطته فراشا ثم بعثت به الى عائشة فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم رآه فسأل عنه فاخبرته فقال رديه الهما مالي وللدنيا ثم قال مالي وللدنيا انما مثلي في الدنيا كمثل رجل أوى الى ظل شجرة ثم راح وتركها وقال صلى الله عليه وسلم ان أولياء الله المتقون يوم القيامة وان كان نسب أقرب من نسب فلا تأتيني الناس بالاعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على أعناقكم تقولون يا محمد فاقول لكم هكذا وهكذا وأعرض في عطفيه ولقد كان في الصحابة الزهاد والاقوياء في الزهد المتمكنون في مقام الزهد وغيره من المقامات منهم البراء بن مالك قال صلى الله عليه وسلم رب أشعث أغبر مدفوع بالابواب لو أقسم على الله لابره ومنهم سلمان الفارسي كان يعمل الخوص بيده وهو امير المدائن ثم يبيعه فيتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعيد فيه ثلثه ومنهم عمرو بن الاسود الذي كان يشبه هديه بهدى

عنه وقالوا لا حكم الا لله وأنكروا أمر السلطان ورأوا الخروج على الامام وكفروا عثمان وصوبوا قتل غوغاء المصريين له وطالبوا عليا عليه السلام ان يوافقهم على رأيهم و يتابعهم على أهوائهم على ان قاتلوا معه المسلمين ان رجع عن تحكيم الحكمين وكفروا أهل الكبائر بالمعاصي فرأى علي ما أراه الله تعالى و بما عهد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل المارقين فقتلهم فهؤلاء في النار وقاتلوهم علي وأصحابه خير أهل الارض في الجنة وكان رئيسهم في الضلال وقاتلهم في القتال عبد الله بن الكوا الاعور وقد كان علي يبغضه و يسبه قبل أن يظهر منه ما ظهر فخرج عليه عبد الله بن الكوا في ستة آلاف فارسل علي عليه السلام عبد الله بن عباس اليهم يناظرهم ويحاجهم فسبوه وبطشوا به وجرأهم عليه ابن الكوا هذا فقام خطيبا فيهم فقال أتعرفوني بهذا أنا اعرفكم وهذا من القوم الذين قال الله فيهم ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ثم تراجع بعضهم الى ابن عباس فسأله فكشف له عن الحق واستتاب منهم ألفين وقاتل علي كرم الله وجهه أربعة آلاف فهذه أول فرقة مرقت من الدين واتبعت غير سبيل المؤمنين ثم افترقت الفرقة الثانية بالمدائن ذر أوا بدين الارجاء وان الايمان قول وعمل وانه لا يزيد ولا ينقص وكتب بذلك الى أمير الشام فهم بقتالهم ثم شغل عنهم بقتال الروم ثم افترقت الفرقة الثالثة بالبصرة وهم القدرية امامهم معبد الجهني وتابعه عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء الغزال وأصحابهم ثم خرجت الفرقة الرابعة من الكوفة سموا بذلك لما رفضوا زيد بن علي بن الحسين حين خرج يقاتل هشاما فقالوا له اتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما قال هما جداي اماما عدل لا أتبرأ منهما فرفضوه ثم افترقت كل فرقة ثمان عشرة فرقة فتمت اثنتان وسبعون فرقة وكلها نبع بارض العراق ومنه طلع قرن الشيطان وظهرت الفتن نعوذ بالله منها ما ظهر منها وما بطن وقد روينا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ثلاثة املاك ملك على ظهر بيت الله تعالى وملك على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وملك على ظهر بيت المقدس ينادون في كل يوم يقول الملك الذي على ظهر بيت الله تعالى من ضيع فرائض الله خرج من امان الله و يقول الملك الذي على ظهر مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تنله شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقول الملك الذي على ظهر بيت المقدس من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل * شرح معاملة القلب من العلم الظاهر * ذكر مباني الاسلام واركان الايمان * قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وقال عز وجل واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا وقال تعالى وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين فمباني الاسلام خمسة * أولها شهادة ان لا اله الا الله وحده وان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وهما كواحدة لاتصال احداهما بالاخرى في الوجوب والحكم واقام الصلاة الخمس وهن كواحدة منها لتعلق كل واحدة بصاحبتها وايتاء الزكاة وهي كالصلاة لاقترانها بها والاشتراط بها وصوم رمضان وحج البيت وهما كشيء واحد من الفرض فهذه الخمس كواحدة منهن في ايجاب العقد واعتقاد الوجوب وان اختلف الحكم في سقوط فعل بعضها بشرط روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله واقام الصلاة الخمس وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج البيت واركان الايمان سبعة * الايمان باسماء الله وصفاته والايمان بكتب الله تعالى وأنبيائه والايمان بالملائكة والشياطين والايمان بالجنة والنار وانهما قد خلقتا قبل آدم صلى الله عليه وسلم والايمان بالبعث بعد الموت والايمان بجميع اقدار الله خيرها وشرها حلوها ومرها انها من الله تعالى قضاء وقدرا أو مشيئة وحكما وان ذلك عدل منه وحكمة بالغة استأثر بعلم غيبها ومعنى حقائقها لا يسئل عما يفعل ولا تضرب له الامثال بملزمات العقول وتمثيلات المعقول تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقد شهد الله سبحانه وتعالى بالضلالة على من ضرب لعبده الامثال فقال تعالى جده انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا وكيف بمن ضرب المثل للسيد الاجل

النبي صلى الله عليه وسلم وهم كثيرون لا يحصون كثرة قيل لرابعة القيسية وكانت من التابعين لو أذنت لنا كلمنا قومك فجمعوا لك ثمن خادم كان لك في ذلك رفق فيكفيك الخدمة وتفرغت للعبادة فقالت والله اني لاستحي أن أسأل الدنيا من يملكها فكيف أسأل الدنيا من لا يملكها

(فصل) والزهد ترك الاشياء لا لغرض فانك ان زهدت في شيء لطلب شيء آخر فانت طامع لا زاهد وهو رأس كل طاعة فانه خلاف حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة والزهد عند العوام خلو اليد من المال وعند الخواص خلو القلب عن الالتفات الى غير الله تعالى قال بعضهم ليس الزاهد من لا يملك الدنيا انما الزاهد من لا تملكه الدنيا فكم من مالك للدنيا زاهد فيها قد محيت آثار حبها من قلبه كما قد مناذكره عن سليمان بن داود على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واختلفوا في متعلق الزهد فقال بعضهم هو الحرام والشبهة وأما المباح فالزهد فيه يجري مجرى امتناع الضيف من طعام صاحب البيت ومنهم من قال الزهد في الحرام واجب وفي المباح فضيلة فان اقلال المال والعبد صابر في حاله راض بما قسم له قانع بما آتاه الله تعالى أتم من توسعه وتبسطه في الدنيا وهذا الخلاف راجع الى الخلاف في أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر وبالعكس ومنهم من قال اذا كان العبد يطلب المال ويكسبه من

 وغيرهم من الفقراء والمساكين فكسب

بعد نهيه عن ذلك واخباره بعلم غيب ذلك اذ يقول فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون والايمان بما صح من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبول جميعه وافتراض طاعته وأمره على العباد والتزام ذلك اذ قد جعل الله تعالى طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط الايمان وقرنها بطاعته فقال تعالى اطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين واشترط للرحمة طاعة الرسول كما اشترط لها التقوى فقال وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون وحذر من مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاستجابة له مقامه وجعله فى المبالغة فى الوصف والمدح بدلا عنه فقال تعالى فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم كما قال سبحانه وتعالى ويحذركم الله نفسه وقال تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم لانه قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وهذه أمدح آية فى كتاب الله تعالى وأبلغ فضيلة فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لانه جعله فى اللفظ بدلا عنه وفى الحكم مقامه ولم يدخل بينه وبينه كاف التشبيه كانما ولا لام الملك فيقول لله تعالى وليس هذا المقام من الربوبية لخلق غير رسول الله صلى الله عليه وسلم

* ذكر اتصال الايمان بالاسلام فى المعنى والحكم * وافتراقهما فى التفصيل والاسم وان كل مؤمن مسلم وتحقيق القول بالعمل وابطال مذهب الجهمية والكرامية والحرورية وبيان مذهب أهل السنة والجماعة وفقنا الله تعالى لذلك قال قائلون الايمان هو الاسلام وهذا قد أذهب التفاوت والمقامات وهذا يقرب من مذهب المرجئة وقال آخرون ان الاسلام غير الايمان وهؤلاء قد أدخلوا التضاد والتغاير وهذا قريب من قول الاباضية فهذه مسئلة مشكلة تحتاج الى شرح وتفصيل فمثل الاسلام من الايمان كمثل الشهادتين احداهما من الاخرى فى المعنى والحكم فشهادة الرسول غير شهادة التوحيد فهما شيئان فى الاعيان واحداهما مرتبطة بالاخرى فهما كشئ واحد لا ايمان لمن لا اسلام له ولا اسلام لمن لا ايمان له اذ لا يخلو المسلم من ايمان به يصح اسلامه ولا بد للمسلم من ايمان به يحق ايمانه من حيث اشترط الله سبحانه وتعالى للاعمال الصالحة الايمان واشترط للايمان الاعمال الصالحة فقال فى تحقيق ذلك ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وقال فى تحقيق الايمان بالعمل ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى ومن كان ظاهره أعمال الاسلام لا يرجع الى عقود الايمان بالغيب فهو منافق نفاقا ينقل عن الملة ومن كان عقده الايمان بالغيب لا يعمل باحكام الايمان وشرائع الاسلام فهو كافر كفرا لا يثبت معه توحيد ومن كان مؤمنا بالغيب مما أخبر به الرسول عن الله سبحانه عاملا بما أمر به فهو مؤمن مسلم ولولا انه كذلك لكان المؤمن يجوز أن لا يسمى مسلما ولجاز أن لا يسمى كل مسلم مؤمنا بالله تعالى ورسله وكتبه ومثل الايمان من الاعمال كمثل القلب من الجسم لا ينفك أحدهما من الآخر لا يكون ذو جسم حى لا قلب له ولا ذو قلب لا جسم له فهما شيئان منفردان وفى المعنى والحكم متصلان ومثلهما أيضا مثل حبة لها ظاهر وباطن وهى واحدة لا يقال حبتان لتقارب وصفهما فكذلك أعمال الاسلام من الايمان الاسلام هو ظاهر الايمان وهو أعمال الجوارح والايمان باطن الاسلام وهو أعمال القلوب روى عن النبى صلى الله عليه وسلم الاسلام علانية والايمان سر وفى لفظ آخر والايمان فى القلب فالاسلام اعلام الايمان والايمان عقود الاسلام فلا ايمان الا بعمل ولا عمل الا بعقد ومثل ذلك مثل العلم الظاهر والباطن أحدهما مرتبط بصاحبه من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ومثله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنية أى لا عمل الا بعقد وقصد لان قوله صلى الله عليه وسلم انما تحقيق للشئ ونفى لما سواه فاثبت بذلك عمل الجوارح من المعاملات وأعمال القلوب من النيات فمثل العمل من الايمان كمثل الشفتين من اللسان لا يصح الكلام الا بهما لان الشفتين تجمع الحروف واللسان يظهر الكلام وفى سقوط أحدهما بطلان الكلام كذلك فى سقوط العمل ذهاب الايمان ولذلك عدد الله تعالى فى نعمته على الانسان بالكلام ذكر الشفتين مع اللسان فى قوله تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين المعنى ألم نجعله ناظرا متكلما فعبر عن الكلام باللسان والشفتين لانهما مكانه وذكر الشفتين لان الكلام الذى جرت النعمة به لا يتم الا بهما ومثل الايمان

المال لله أولى من عدمه فانه زاهد فيه بقلبه ولولا زهده فيه لما جاد به على مستحقه وقال بعضهم لا زهد فى الحرام ولا فى الشبهة لان تركهما فريضة انما الزهد ترك الحلال ويلزم قائل هذا أن لا يكون فى الزهد ما هو واجب

(فصل) قد قدمنا ان الزهد حقيقة الترك والمحو من القلب وانه ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول الزهد الواجب وهو الزهد فى الحرام الثانى الزهد المندوب وهو الزهد فى الشبهة الثالث زهد فضيلة وهو الزهد فى المباح وزاد كثيرون زهد الغنى وهو زهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام فالزهد فى الحرام والشبهة هو زهد عامة المؤمنين والزهد فى المباح هو زهد المريدين فانهم زهدوا فى الدنيا لطلب نعيم الآخرة فكان كمن ألقى من يده درهما ليأخذ مائة ألف دينار أو درة لذرة أو خردلة لبدرة فهو رابح فى تجارته كيس فى نظره والزهد الاخير وهو زهد الغنى هو زهد الانبياء عليهم الصلاة والسلام والخواص من الاولياء زهدوا فى الحور العين وغيرهم من النعيم للنظر الى وجه الله تعالى ثم أعرضوا عن الحور العين والقصور ولا اتكاء على الفرش والارائك والعوم والفواكه الى مشاهدة كمال الله الكل أين

والاسلام أيضا كفسطاط قائم في الارض له ظاهر متجاف والطناب وله عمود في باطنه فالفسطاط مثل الاسلام له اركان من أعمال العلانية والجوارح وهي الاطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط والعمود الذي في باطن الفسطاط مثله كالايمان لاقوام للفسطاط الابه فقد احتاج الفسطاط اليهما اذلا استقامة له ولاقوة الا بهما كذلك الاسلام من أعمال الجوارح ولاقوام له الابالايمان والايمان من أعمال القلوب لانفع له الا بالاسلام وهو صالح الاعمال وقد عبر الله تعالى عن الايمان بالاسلام فلولا انهما كشئ واحد ماعبر عن أحدهما بالآخر قال سبحانه فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ولم يكونا بيتين انما هم أهل بيت واحد لوط وبناته وقال عز وجل في مثله ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فعطف بقوله ان كنتم مسلمين على قوله ان كنتم آمنتم فدل على انهما اسمان بمعنى واحد وهذا كقوله تعالى فيما عبر عن الايام بالليالي لان اليوم مرتبط بالليلة وأنت تعلم انهما شيآن فقال في قصة واحدة قال آيتك ان لاتكلم الناس ثلاثة أيام الارمزا وقال أيضا سبحانه آيتك ان لاتكلم الناس ثلاث ليال سويا وأيضا فان الله تعالى قد جعل ضد الاسلام والايمان واحدا فلولا انهما كشئ واحد في الحكم والمعنى ما كان ضدهما واحدا فقال سبحانه كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وقال يأمركم بالكفر بعد اذ أنتم مسلمون فجعل ضدهما الكفر وعلى مثل هذا خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام بوصف واحد فقال في حديث ابن عمر بني الاسلام على خمس شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وفي حديث ابن عباس عن وفد عبد القيس انهم سألوه عن الايمان فذكر هذه الاوصاف فدل بذلك انه لا ايمان باطن الا باسلام ظاهر ولا اسلام علانية الا بايمان سر وان الايمان والعمل قرينان لا ينفع أحدهما بغير صاحبه ولا يصح أحدهما الا بالآخر كالابصار ولا يوجدان معا الا بنفي ضدهما وهو الكفر كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكفر أحد الا بجحود ما أقر به وأظهر من حديث ابن عباس آنفا ان في نفس حديث ابن عمر ذكر الايمان أيضا بدلا من لفظ الاسلام ورواه جرير عن سالم بن أبي الجعد عن عطية مولى بني عامر عن يزيد بن بشر قال أتيت ابن عمر فجاءه رجل فقال يا أبا عبد الله بن عمر مالك تحج وتعتمر وقد تركت الغزو قال ويلك ان الايمان بني على خمس تعبد الله تعالى وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان كذلك حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد اشترط الله تعالى للايمان العمل الصالح ونفى النفع بالايمان الا بوجود العمل كما شرط للايمان الاسلام فقال تعالى الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات اجماع من أهل التفسير الا من تاب من الشرك كقوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم بعد قوله وخذوهم واحصروهم وقال سبحانه وتعالى وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الامن آمن وعمل صالحا وقال تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون كما قال تعالى الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فاشترط للايمان الاعمال والتقوى كما اشترط للاعمال الصالحة الايمان فكما لو عمل العبد بالصالحات كلها لم تنفعه الا بالايمان كذلك لو آمن الايمان كله لم ينفعه الا بالاعمال وفي وصية لقمان لابنه يابني كما لا يصلح الزرع الا بالماء والتراب فكذلك لا يصلح الايمان الا بالعمل والعلم فاما تفرقة النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل عليه السلام لما سأله ما الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب وبالقدر خيره وشره ثم قال ما الاسلام فذكر الخصال الخمس فان ذلك تفصيل أعمال القلوب وعقودها على ما توجب هذه المعاني التي وصفناها ان تكون عقودا من تفصيل أعمال الجوارح فيما توجب الافعال الظاهرة التي وصفها ان تكون علانية الا ان ذلك يفرق بين الاسلام والايمان في المعنى باختلاف وتضاد وليس فيه دليل انهما مختلفان في الحكم اذ قد يجتمعان في عبد واحد مسلم مؤمن فيكون ما ذكره من عقود القلب وصف قلبه وما ذكره من العلانية وصف ظاهر

التنعم بذلك من الابتهاج بجلال رب الارباب قال بعض العارفين في قوله صلى الله عليه وسلم ان أكثر أهل الجنة البله من رضى بالجنة ولم يطالب من الله تعالى الملك الكبير وهو الرؤية الى جنابه فهو أبله لان الذي فاته أعظم من الجنة وهو اشتياقه لربه وطلب الانس به قوله صلى الله عليه وسلم اشتاقت الجنة لعمار وسلمان وصهيب زهدوا في الجنة لشوقهم الى ربهم فاشتاقت الجنة لهم وقال النصرابادي الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب في الجنة لان تارك الدنيا قليلون فهم غرباء وكذلك أهل الجنة قنعوا بنعيمها والعارفون كالانبياء والصديقين من اتباعهم تعلقت قلوبهم بالحق فلم يشغلهم عنه نعيمها فهم غرباء في الجنة أى لانظير لهم في الجنة وقال بعض أهل المعرفة الزاهد صيد الشرع من الدنيا والعارف صيد الحق من الجنة وأما الزهد الرابع وهو زهد الغني فانه للانبياء أصالة ولمن اصطفاه الله تعالى من اتباعهم وهو زاهد في النفس وهو أعسر حالات الزهد وأشقها وأجلها وأعظمها لان الزاهد الاول الذي هو الزاهد في الحرام والشبهة تركه للوعيد والزاهد الثاني وهو الزاهد في المباح ترك الدنيا لنعيم الآخرة الذي تحقق بالوعيد والزاهد الثالث اشتغل بابقاء الله عن الجنة والزاهد الرابع وهو الزاهد في نفسه لم يبق له شيأ يزهد فيه فانه ماتت نفسه عن

جميعه والدليل على ذلك انه جعل وصف الاسمين معنى واحدا في حديث ابن عمر وفي حديث وفد عبد القيس الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس وقد روى ذلك مفصلا في حديث علي رضي الله تعالى عنه الايمان قول باللسان وعقد بالقلب وعمل بالاركان فادخل أعمال الجوارح في عقود الايمان وأيضا فان الامة مجمعة ان العبد لو آمن بجميع ما ذكرناه من عقود القلب في حديث جبريل عليه السلام من وصف الايمان ولم يعمل بما ذكرناه من وصف الاسلام باعمال الجوارح لا يسمى مؤمنا وانه ان عمل بجميع ما وصف به الاسلام ثم لم يعتقد ما وصفه من الايمان انه لا يكون مسلما وقد أخبر صلى الله عليه وسلم ان الامة لا تجتمع على ضلالة وليس فيه دليل على ان الاسلام غير الايمان أو ان المسلمين سوى المؤمنين أو ان الايمان ضد الاسلام والوجه الثاني من تأويل الخبر ان معنى قوله أو مسلم يعني به أو مستسلم فاذا جمع بين عقود القلب وبين أعمال الجوارح كان مسلما مؤمنا ومن لم يقل بهذا الذي ذكرناه فقد كفر أبا بكر رضي الله تعالى عنه وجهله في قتال أهل الردة وادعى عليه انه قتل المؤمنين لان القوم جاؤا بعقود الايمان ولم يجحدوا التوحيد ولا أكثر الاعمال وانما أنكروا الزكاة فاستحل قتلهم وواطأه الصحابة على ذلك حتى استتاب من رجع منهم وأما الحديث الآخر الذي جاء ظاهره ان النبي صلى الله عليه وسلم فرق بين المؤمن والمسلم في انه أعطى رجلا ولم يعط الآخر فقال له سعد يا رسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم فاعاد عليه فاعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مسلم فانما في هذا دليل على تفرقة الايمان والاسلام في التفاضل والمقامات أي ليس هو من خصوص المؤمنين ولا أفاضلهم فكشف مقامه الذي خفي على سعد كما كشف مقام حارثة عن حقيقة ايمانه اذ كان خاملا لا يؤبه له فقال كيف أصبحت فنطق بوجده عن مشاهدته فقال عرفت فالزم فهذا دليل لنا في تفضيل مقام الايمان على مقام الاسلام وان المؤمنين يتفاضلون في الايمان وان تساووا في أعمال الجوارح من الاسلام وان الايمان لا حد له وان كانت صحته بحدود الاسلام فآثر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي آمن طوعا على المكره وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يعطي من المؤلفة لرؤساء ومن لا يؤمن عاديته وجمعه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه المشركين كما أكرم الرجل بعد ان تكلم فيه فقيل له في ذلك فقال هذا أحمق مطاع أو من يكثر عشيرته واتباعه فيكون ظهيرا على المؤمنين أو من فيه غنى للمسلمين ومنفعة وعزة للمسلمين فاما الاتباع والسفلة من المؤلفة فلم يكن يؤثرهم بالعطاء بل كان يؤثر المؤمنين ويقدمهم على أراذل المؤلفة وضعفائهم كما فعل بالقسم الذي قسمه بين المؤمنين فاعطاهم الا رجلا من الغزاة له سجادة محلوق الرأس فانه لم يعطه وقال ان هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى والله ما عدل فقال صلى الله عليه وسلم ان لم أعدل فمن يعدل وكان ذلك أول قرن نبغ من الخوارج أولا تراه لم يعطه هذا شيأ ولم يستألفه لانه لم يكن من خصوص المؤمنين ولا ممن يتقي باسه أو يظاهر في الاسلام غناه فيتألف بالعطاء وهذا مثل قول فرعون حين ألجأه الله الغرق فاضطره الى الاسلام بقوله آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين أجمع أهل التفسير ان معناه من المستسلمين فان قيل فقد روي في آخر هذا الخبر في بعض الروايات ما يدل على ضد هذا التأويل وان الرجل كان فاضلا لا انه كان مستسلما وهو ان في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني لاعطي قوما وامنع آخرين أكلهم الى ما جعل الله تعالى في قلوبهم من الايمان منهم فلان قيل ان هذا كلام مستأنف من رسول الله صلى الله عليه وسلم أفاده القائل لانه بعث بجوامع الكلم وكان يسئل عن الشيء فيخبر به ويزيد عليه للبيان والهداية الذي أعطي فكأنه أراد ان يخبر بتنويع عطائه وبضروب المعطين من الناس هذا للحاجة وهذا للفضل وهذا للتألف لان الذي منعه كان أفضل من الذي أعطاه اذ لو كان الامر كما قال هذا القائل لكان الاسلام أفضل من الايمان ولكان المسلمون أفضل من المؤمنين ولم يقل بهذا أحد من العلماء الا ان الايمان خاص فيه التفاوت والمقامات فهو يشتمل على الاسلام والاسلام داخل فيه والمؤمنون هم خصوص المسلمين

جميع حظوظها وعن كل طمع حتى عن روحه وتعلق بربه ولم يشغله عنه شيء وهذا عند القوم يسمى الزهد في الزهد قال أبو بكر الواسطي رحمة الله عليه كم تصول بتركك كيف والى متى تصول باعراضك عما لا يساوي عند الله جناح بعوضة فالقوم لما رأوا احتقاره الدنيا زهدوا في زهدهم في الدنيا لهوانها عند الله تعالى فالزاهد في الزهد استوى عنده وجود الدنيا وعدمها ان تركها تركها لله تعالى وان أخذها أخذها بالله قال السهروردي في عوارف المعارف وقد رأينا من العارفين من أقيم في هذا المقام

(فصل) في آداب الزهد ووظائف الزاهدين قد قدمنا الكلام على حقيقة الزهد وأصله وثمرته وان حقيقة الزهد هي عزوف النفس عن الدنيا واعراضها عنها كما هو مذكور في حديث حارثة وان أصله العلم وان نوره يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر فيتضح فيه ان الآخرة خير وأبقى وان نسبة الدنيا الى الآخرة أقل من نسبة ذرة أو خرزة الى جوهرة وثمرته القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الراكب كما أشار اليه الحديث الذي قدمنا ذكره وأما الاصل فهو نور يثمره حال انزواء عن الدنيا ولا يظهر اثره على الجوارح بالكف عن الدنيا الا بقدر ما يحتاج في زاده هذا السفر والضروري في زاده هذا الطريق مسكن وملبوس ومطعم وأثاث أما المطعم فاوله الاقتصار على دفع الجوع

منهم المقربون والصديقون والشهداء والاسلام عام محدود يوصف به عموم المؤمنين ويدخل فيه أهل الكبائر
والاجرام ولا يخرج منه من فارق الكفر ووقع عليه اسم الايمان كما قال تعالى فمن افترى على الله الكذب
وأخبر عنه بالفسوق ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدى القوم الظالمين
فعلى اجماعهم ان الايمان أعلى اسقاطوهم من توهم ان الرجل كان أفضل كيف وقد روينا تخصيص الايمان
عن النبي صلى الله عليه وسلم نصا انه سئل أى الاعمال أفضل قال الاسلام قيل فاى الاسلام أفضل قال الايمان
فجعل الايمان مقاما فى الاسلام ففى هذا الحديث أيضا تخصيص للايمان على الاسلام لا تفرقة بينهما بمعنى
قوله فى وصف الرجل أومسلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى وصف الرجل أومسلم فدل على بطلان ما تاوله
القائل لان هذه اللفظة بالف الاستفهام لا تستعمل فى عرف الكلام الا فى الوصف الانقص والحال الادنى
فافهم وأما قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا فان هذا أيضا من هذا النوع
معناه قولوا استسلمنا حذر القتل وهؤلاء ضعفاء المؤلفة وأراذلهم كانوا ينقمون على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايثاره وتقديمه المؤمنين بالعطاء عليهم وارجاءه اياهم فقالوا لم لا يعطينا كما يعطى المؤمنين فانا مؤمنون
كهم فاخبر الله تعالى بذلك عنهم وأكذبهم فى دعواهم وهم الذين قص الله تعالى اخبارهم فى قوله تعالى
ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ففى هذه الآية دليل
على ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يعطى هذا الضرب من المؤلفة وليس فى الآية تفرقة بين الايمان
والاسلام بدليل قوله تعالى فى الآية التى بعدها يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن
عليكم أن هداكم للايمان فسمى اسلامهم ايمانا لانه عطف بعض الكلام على بعض ورد أوله الى آخره
وانما اسقط المنة به على رسوله وأثبت المن عليهم بنفسه وعطف بآخر الاسم على أوله وغاير بين اللفظين فلم يرد
أحدهما على الآخر فيقول ان هداكم للاسلام لاتساع لسان العرب وليفيدنا فضل بيان وان الاسلام
والايمان اسمان بمعنى واحد كما قال تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم ولم يقل يخلقكم ليبين أن الرازق
هو الخالق وليفيد وصفا ثانيا وصف به نفسه تعالى فهو كقوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما
وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وهكذا قراءتها فى مصحف ابن مسعود وقال سبحانك تبت اليك وأنا أول المسلمين
فلولا انهما بمعنى لم يجز ان يقرآ بخلاف المعنى فاما ما روى عن ابى جعفر محمد بن على الايمان مقصور فى الاسلام
فعناه هو باطنه قال وأدار دائرة كبيرة فقال هذا الاسلام ثم ادار فى وسطها دائرة صغيرة فقال وهذا الايمان
فى الاسلام فاذا فعل وفعل خرج من الايمان وصار فى الاسلام يريد انه خرج من حقيقة الايمان وكماله ولم يكن
من الموصوفين الممدوحين بالخوف والورع من المؤمنين لانه خرج من الاسم والمعنى حتى لا يكون مؤمنا بالله
مصدقا برسله وكتبه ألا ترى الى الدارة الصغيرة غير خارجة من الدارة الكبيرة التى أدارها حولها لجعلها فيها
وضرب المثل بها لكنها خالصها ولبها ومخصوصة فيها ولو أراد انه يخرج من الايمان لجعلها دارتين منفردتين
ولم يجعل احداهما جوف الاخرى وكذلك جاء الخبر لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو
مؤمن معناه كامل الايمان أو مؤمن حقا لان حقيقة الايمان وكماله بالخوف والورع اذ الامة مجمعة ان أهل
الكبائر ليسوا بكافرين واذا فسق بالزنا وشرب الخمر خرج من حقيقة الايمان وهو الخوف والورع ولم
يخرج من اسمه ومعناه وهو التصديق والتزام الشرع بعقوده ومعنى لطيف كانه يرتفع عنه ايمان الحياء لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان والمستحى لا يكشف عورته على حرام ويبقى ايمان الاسلام
والتوحيد وايجاب الاحكام وقد روينا عن الحسن بيان ذلك انه قال الايمان حقيقة الاسلام وقيل لحذيفة
من المنافق فقال الذى يتكلم بالاسلام ولا يعمل به فسمى علم الايمان اسلاما وقرن القول بالعمل وقال
الثورى رحمه الله الناس عندنا مؤمنون مسلمون فى حدودهم وفرائضهم وفى النكاح وفى المواريث وفى
الصلاة خلفهم والصلاة عليهم لا نحاسب الاحياء ولا يقضى على الاموات ونكل ما لم نعلم من سرائرهم الى الله

تعالى

فى الحال فاذا دفعه بكرة لم يدخر شيأ لعشائه وأوسطه أن يدخر شهرا أو الى أربعين يوما وأكثره أن يدخر لسنة فان جاوز ذلك خرج
من جميع أبواب الزهد الا
أن يكون له سبب ولا يأخذ
من الايدى فيفسح له فى
ادخار ما يزيد على قوت السنة
كداود الطائى فانه ورث من
أمه عشرين دينارا فامسكها
وقنع بها عشرين سنة
فذلك لا يبطل مقام الزهد
أما مقدار ما يتناوله الزاهد
فى كل يوم من القوت فاقله
نصف رطل بالبغدادى
وأوسطه رطل وأعلاه مد
وهو رطل وثلث والزيادة
عليه تبطل الزهد وأما
جنس القوت فاقله ما
يقوت ولو النخالة والبقل
قال بعض العلماء مررت
يوم العيد بعد الصلاة على
قطائع الربيع ببغداد
فخرت بمنزل داود امام أهل
الظاهر فنزلت عن مركوبى
وأتيت بابه لقصد زيارته
فطرقت الباب فكلمنى
داود فقلت أنا فلان فقال
ادخل فدخلت عليه
فوجدته جالسا يأكل وبين
يديه صحفة فيها قليل نخالة
وحولها شئ من أوراق
الهندبا فلما رأيته على ذلك
صغرت الدنيا عندى وعلمت
ان ما نحن فيه من الدنيا
لا يساوى شيأ ثم عرضت عليه
فى ذلك اليوم جملة من
المال من جهة بعض أرباب
الدنيا وكان ذلك بواسطتى
فغضب وقال لى هذا جزاء
من يأمنك على سره ولم يقبل
منه شيأ وهو من أحوج الناس الى دانق وأوسطه خبز الشعير وأعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد وأما

تعالى ونسمع بالتشديد فنخافه ونسمع اللين فنرجوه لاهل القبلة ونتهم رأينا لرأى السلف قبلنا وماذكرناه من ان الاسلام والايمان قرينان لا يفترقان هذا مذهب فقهاء أصحاب الحديث وطريقة أئمة السلف رضى الله عنهم أجمعين

(باب ذكر تفضيل بيان مانقل عن المحدثين من التفرقة بينهما وماجاء فى معناه)

فاما ما حكى عن بعض أصحاب الحديث انه فرق بين الايمان والاسلام فقال الزهرى الاسلام الكلمة و الايمان العمل وقال عبد الرحمن بن مهدى وقد سئل عن الايمان والاسلام فقال هما شيآن وقول حماد بن زيد الاسلام عام والايمان خاص فان قول هؤلاء على جملة قولنا وهو دليل له وشاهد عليه وانهم لم يفرقوا بين الايمان والاسلام تفرقة اختلاف ولا تضاد ولم يريدوا ان أحدهما يوجد ويصح بعدم الآخر ليبطلوا مذهب المرجئة لانهم أبعد شئ منهم اذهم أصحاب اثر وتوقيف وانما فرقوا بينهما تفريق تفاوت وتخصيص اى ان الايمان أخص وأعلى لان الزيادة والنقصان فيه والفضائل والمقامات عنه والاستثناء واجب فيه وان الاسلام عام لا يخرج منه الا الكافرون اذ ليس وراءه شئ وعند جماعة من العلماء ان الاستثناء غير واجب فى الاسلام لانه محدود معلوم فهذا كان قصد من فرق بين الاسلام والايمان وهى طريقة بعض السلف وعبارة القدماء وهو على نحو ما فصلناه و بمعنى ما بيناه وان كنا نحن أظهر تفصيلا وأبين ترتيبا وهذا مثل الخبر الذى روى ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الايمان أفضل قال الاسلام قيل فاى الاسلام خير قال الايمان فلم يفرق بينهما ولكنه خصص فجعل الايمان حقيقة الاسلام وخالصه لانه أخبر انه منه فهذا من قوله من حسن اسلام المرء تركه مالا يعنيه أى من تحققه بالاسلام ومن أعلى اسلامه هذا الوصف وهذا هو نعت المؤمن الموقن الزاهد وهذا يشبه ما مثله أبو جعفر محمد بن على فى أنه أدار دائرة كبيرة وأدار فيها دائرة صغيرة تخصيصا وجميع ما شرحناه وذكرناه عن السلف يبطل قول المرجئة والكرامية والاباضية ويدحض دعواهم فى أن الايمان قول أو معرفة وعقد بلا عمل ويرد أيضا على المعتزلة القائلين بالمنزلة بين المنزلتين الذين يقولون مؤمن وفاسق وكافر فلا يجعلون الفاسق مؤمنا ويرد على الحشوية والجرمية و القطعية والحرورية أصناف من الخوارج يقولون من أتى كبيرة خرج من الايمان وان أهل الكبائر كفار يحل قتلهم ويقولون ان أهل البغى من الائمة كفرة يجب على الرعية قتالهم ومنهم من يقول ان من بغى على الامام فقد كفر بخلاف قول الله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله فامر بقتال أهل البغى بتسميته اياهم مؤمنين ولم يجعل لهم منزلة ثالثة وقد ابتلينا بطائفتين مبتدعتين متضادتين فى المقالة المرجئة والمعتزلة قال المرجئة ان الموحدين لا يدخلون النار وان عملوا بالكبائر والفسوق كله لان ذلك لا ينقص ايمانهم وقالت المعتزلة ان الفاسق ليس بمؤمن وان مات على صغيرة من الصغائر من غير توبة دخل النار لا محالة ولم يخرج منها خالدا مع الكفار والصواب من ذلك ان الفاسق مؤمن لا نخرجه فسقه من اسم الايمان وحكمه ولكن لا يدخله فى المؤمنين حقا من الصديقين والشهداء وان أهل الكبائر قد استوجبوا الوعيد ودخول النار وجائز ان يعفو الله تعالى عنهم بكرمه و يسمح لهم بجوده كما روينا عن على انه قال عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه الغالى ويرتفع عنه القالى وقد قال صلى الله عليه وسلم فى وصف علماء السنة ومدحهم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين فالغالون هم المجاوزون للسنن والآثار والمبطلون هم المدعون بالرأى والقياس والجاهلون هم الشاطحون من المتصوفة الضلال وعدول كل خلف من اتبع سنة صالح من سلف ولم يبتدع فى الدين ولا اتخذ وليجة دون طريق المؤمنين وهم رواة الاخبار وحملة الآثار من المحدثين وفقهاء المسلمين و يوضح قولنا ويصححه قول الله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم اجماعا من المسلمين وانها نزلت بعد نزول الفرائض وتمام الشرائع وفى حجة الوداع وهى آخر حجة حجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول

الادام فاقله الخل والبقل والملح وأوسطه اللبن والحمص والجبن وأعلاه اللحم وذلك فى الاسبوع مرتين أو ثلاثا فان دام لم يكن صاحبه زاهدا قالت عائشة رضى الله عنها ما كان يأتى أربعون ليلة وما يوقد فى بيته صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار وأما الملبس فاقله ما يستر العورة ويدفع الحر والبرد وأعلاه قميص وسراويل ومنديل من الجنس الحسن ويكون بحيث ان غسل ثوبه لم يجد غيره والاولى ان لا يلبس قميصا بل ازارا فى وسطه ورداء على عاتقه هذا هو الغالب من لباسه صلى الله عليه وسلم والصحابة وكان سهل بن عبد الله لا يرى عليه قميص اذا غسل ازاره ورداءه فان كان الانسان صاحب قميصين لم يكن زاهدا فكان صلى الله عليه وسلم يلبس الكساء من الشعر والجبة من الصوف والرداء الخشن والصوف والشعر هو الغالب من لباس الانبياء عليهم الصلاة والسلام مثل موسى والمسيح ويحيى بن زكريا وشعيب ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهو الغالب أيضا من لباس الصحابة والتابعين حتى قيل انهم كانوا عند اجتماعهم فى المسجد يفوح منهم فى أوقات الحر مثل رائحة الضأن فكان عمر رضى الله عنه يلبس مرقعة فيها اثنا عشر رقعة بعضها من ادم وقال بعضهم ثياب سفيان الثورى ونعلاه بدرهم ودانقين واما المسكن فادناه ان يقنع بزاوية فى مسجد أو رباط كأهل الصفة

فرض الحج لان سورة المائدة مدنية باجماع من القراء وهى من آخر ما نزل من القرآن باتفاق من الفقهاء ولم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية الا ثلاثة أشهر وثلاثة أيام اتفق عليه أهل التاريخ لانها نزلت يوم التاسع من ذى الحجة من آخر يوم عرفة وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتى عشرة خلون من ربيع الاول فقال الله تعالى بعد نزول الاحكام واحكام الحلال والحرام اليوم أكملت لكم دينكم والاكمال هو اتمام الشئ الذى بعضه متعلق ببعض ولا يقال أكمل لما كان بعضه قبل بعض فاذا وجد جميعه قيل قد أكمل وتم هذا هو حقيقة هذه الكلمة فلما كان الايمان قد تقدم بمكة وأنزل الله تعالى الفرائض والدين شيأ بعد شئ وكان الاكمال من الدين دل ان بعضه متعلق ببعض الى أكمله فصارت الاعمال متعلقة بالايمان وهما الدين المكمل وقال بعض السلف من لم يقل من المرجئة ان ابليس مؤمن لانه قد أقر بالايمان وقال به انكسر عليه مذهبه ولعمرى ان ابليس لعنه الله موحد لله تعالى عارف به الا انه لم يعمل بالتوحيد ولم يطع من عرفه وآمن به فكفر فاما تعلقهم بقول الله تعالى فاثابهم الله بما قالوا جنات تجرى من تحتها الانهار فانه شرط القول للجنات أو علق الجنات بالقول فانما ذلك اثبات منه تعالى لتحقيق القول وانه قول ايمان ويقين وانهم غير متعوذين بالقول ولا متخذوه جنة كالمنافقين اذ المنافقون قد قالوا كقولهم الا انه أخبر عن سرائرهم بضده فقال هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم فاراد سبحانه بان قول هؤلاء قول المؤمنين وان قولهم ايمان من أعمالهم لانهم منفردون بالقول دون العمل وفيه أيضا دليل ان القول بالحق من الايمان وانه يستحق عليه ثوابا لانه من أعمال البر بمنزلة الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فاما أن يكون فيه دليل ان القول حسب هو الايمان كله وان الايمان يكون قولا لا يحتاج الى عمل فهذا باطل بالادلة التى قدمنا ذكرها من الآى التى شرط الله تعالى فيها الاعمال ومن قوله فى الكفار فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم وأيضا فان فى نفس هذه الآية بطلان دعوى المرجئة لان الله تعالى لم يقل فلم يثبهم الله الا بما قالوا جنات وانما قال عز وجل فاثابهم الله بما قالوا جنات فاخبرانه أجرهم على قولهم بالحق كما قال فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا ثم أحكم ذلك وقيده بقوله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ولكن هؤلاء كما قال الله تعالى فاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه من القرآن فهم الذين عنى الله تعالى فاحذروهم وذلك ان الله تعالى قرن الاعمال بالايمان فى كل المواضع فلم تقف المرجئة مع شئ من هذا البيان والاحكام فلما أجمل القول فى موضع واحد لما ذكرناه من السبب تعلقوا به ووقفوا معه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان لا نصيب لهما فى الاسلام وفى لفظ آخر لا ينالهم شفاعتى القدرية والمرجئة وفى الحديث الغريب طائفتان لا يدخلون الجنة من قال ان الايمان كلام ورواه حذيفة فقال انى لاعلم أهل دينين فى النار قوم شرار بلا علم وقوم فى آخر الزمان يقولون كانوا ألوفا فلا نسأل الله تعالى ان لا يصرفنا عن فهم آياته ولا يبلونا بالكبر وان يرينا سبيل الرشد ويوفقنا لاتخاذه سبيلا وان يرينا سبيل الغى ويعصمنا من اتخاذه سبيلا كما أخبر بذلك عمن بلاه به فقال تعالى سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا الآية

(ذكر الاستثناء فى الايمان والاشفاق من النفاق وطريقة السلف فى ذلك)

فاما الاستثناء فى الايمان فانه سنة ماضية وفعل الائمة الراضية على معنى الخوف والتقصير وكراهية التزكية للنفس لا على وجه الارتياب فى اليقين ولا بمعنى الشك فى التصديق اذ الايمان مقامات والمؤمنون فيه درجات ولذلك قال الله تعالى لقوم موصوفين باعمالهم أولئك هم المؤمنون حقا فهذا وصفهم بالكمال ومدحهم بخصال الاعمال ففى دليل خطابه ان ثم مؤمنين غير حق كيف وقد قال وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك فى الحق بعد ما تبين وقال سبحانه وتعالى فى وصف آخرين يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون

وأعلاه أن يطلب لنفسه موضعا خاصا وهى حجرة اما بشراء أو اجارة بشرط أن لا تزيد سعته على قدر الحاجة ولا بناؤه ولا يهتم بتجصيصه ومات صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة على لبنة وأما أثاث البيت فهو حصير وكوز وابريق وجرة وكشكول من خشب أو فخار وجفنة يغسل فيها خلقانه وقصاعه وكاعلها أو يقتل بها حية ان لقيها كان عمير ابن سعد أمير حمص عنده من أثاث بيته جراب وعصا وجفنة وركوة قال الحسن أدركت سبعين من الاخيار يريد الصحابة ما لاحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض ثوبا وكان فراشه صلى الله عليه وسلم عباءة خشنة ووسادة من أدم حشوها ليف فهذه سيرة الزاهدين فى الدنيا فمن حرم هذه الزينة فلا أقل من ان لا يحزن على فواتها ويجتهد أن يكون قربه منهم أكثر من قربه من المتعمقين فى الدنيا

(فصل) الزهد على ثلاث درجات أحدها ان يرى نفسه مائلا الى الدنيا ولكن يجاهدها وهذا متزهد وليس بزاهد ولكن بداية الزهد التزهد الثانية ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا تقبل اليها لعلمه بان الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن فتسمح نفسه بتركها كما يسمح من يبذل درهما لتحصيل جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد الثالثة أن لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنه بل يكون وجودها عنده وعدمها بمثابة واحدة ويكون المال عنده

وقال

وقال فى نعت الصادقين انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون وقال فى مثل وصفهم ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة الآية فذكر عشرين وصفا الى قوله أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون منها الايثار بالمال على حبه والوفاء بالعهد والصبر فى الامراض والجوع والشدائد فبعد ذلك شهد لهم بالصدق والتقوى وقال فى وصف المحبوبين من الموقنين ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم وقال فى نعت عموم المؤمنين وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم فشتان بين من وصف بالجهاد صدقوا الصدق وبين من نعت بالخلف وعرض للمقت وبين من وصف بالحق وبين من يجادل فى الحق وكم بين من قبل منه المال والنفس وبين من رد عليه المال ولم يسأله لما علم منه من البخل والضغن واسم الايمان يجمعهم ومعناه يجتمع عليهم الا ان مقامات الايمان ترفع بعضهم على بعض وتفاوت بين بعضهم وبعض كما قال تعالى يرفع الله الذين منكم والذين أوتوا العلم درجات وكقوله لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى يعنى الجنة على تفاوت الدرجات فيها فجمع بينهم فى الدار كما جمع بينهم فى اسم الايمان ورفعهم فى الدرجات علوا فى المقامات كما قال تعالى لهم درجات عند الله والله بما يعملون بصير وقد روى يشافى خبر الايمان عريان ولباسه التقوى وحليته الورع وثمرته العلم ففيه دليل ان من لا تقوى له فلا لباس لايمانه ومن لا ورع له فلا زينة لايمانه ومن لا علم له فلا ثمرة لايمانه فان اتفق فاسق ظالم جاهل كان بالمنافقين أشبه منه بالمؤمنين وكان ايمانه الى النفاق أقرب ويقينه الى الشك أميل ولم يخرجه من اسم الايمان الا ان ايمانه عريان لا لبسة له معطل لا كسب له كما قال أو كسبت فى ايمانها خيرا والنفاق مقامات قيل سبعون بابا والشرك مثل ذلك فيها طبقات وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم انه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض هذا الحديث واذا عاهد غدر فصارت خمسا فان كانت فيه واحدة منهن ففيه شعبة من نفاق حتى يدعها وفى حديث أبى سعيد الخدرى وأبى كبشة الانمارى القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كالبقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المدتين غلبت عليه حكم له بها وفى لفظ آخر بهما غلبت عليه ذهب به وفى الخبر الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها شهادة أن لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق ففى تبعيض أخلاق الايمان وفى وجود دقائق الشرك وشعب النفاق ما يوجب الاستثناء فى كمال الايمان لجواز اجتماع الايمان والنفاق فى القلب ولوجود شعب النفاق وعدم بعض شعب الايمان من القلب كيف وقد جاء فى الخبر أكثر منافقى أمتى قراؤها والحديث الآخر الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يصير بها منافقا الى أن يموت انى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وفى حديث على كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب فيطبع عليه فذلك الختم ثم قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فهذا كله موجب للاستثناء فى الايمان خشية خفايا الشرك ووجود دقائق النفاق وخوفا من الدعوى للحقيقة والكمال لان من قال انى مؤمن حقا فقد زكى نفسه وعمى ربه لان الله تعالى نهى عن التزكية للنفس وعرض المزكى نفسه للكذب فى قوله تعالى فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى وبقوله ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكى من يشاء ثم قال تعالى انظر كيف يفترون على الله الكذب وقد قال ابراهيم عليه السلام فى تفسير أحد الوجهين من قوله تعالى ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربى شيأ ومثله قال شعيب

كالماء وخزائن الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا وهذا هو الاكمل لان الذى يبغض شيأ فهو مشغول به فالذى يحبه كذلك لما وقعت الدنيا عند رابعة العدوية التى من بنى عدى فقالت لولا قدرها فى قلوبكم ما ذممتموها وحمل الى عائشة رضى الله عنها ارب عون ألف درهم ففرقتها فى يومها فقالت لها خادمتها لو اشتريت لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو ذكرتينى لفعلت وهذا هو الغنى وهو اكمل الزهد ولكنه مظنة غرور الحمقى ان كل مغرور يستشعر فى نفسه اذ لا علاقة لقلبه مع الدنيا وعلامة ذلك أن لا يدرك الفرق بين أن يسرق جميع ماله أو يسرق مال غيره فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به قال العلماء والزهد الكامل هو الزهد فى الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصبا فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيأ فقد عظم الدنيا اذ الدنيا عند ذوى البصائر لا شئ وصاحبها كمن منع عن دار الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة خبز فشغله بها ودخل دار الملك وجلس على سرير الملك فالشيطان كلب على باب الله تعالى والدنيا كلها أقل من لقمة بالاضافة الى الملك

(فصل) من كلام بعض المحققين يختم به هذا الباب قال الزهد فطم النفس عن الملذوذات ومخالفة النفس عن الملذوذات فيمنعها ان تبلغ شهواتها ويمسكها عن أن تدرك لذاتها وليقتصر على القيمات يقمن ظهره وثوب يستر به عورته قال عليه

ومايكون لنا أن نعود فيها يعني ملة الكفر الا أن يشاء الله ربنا ثم علا جميعا بسعة العلم وسبق المشيئة به فلم يأمنا ان يكونا في سعة علم الله عز وجل وفي خفي مشيئته وهذا هو خوف المكر وحقيقة المكر معنيان أحدهما ان يظهر شيأ ويخفي ضده والثاني ان يكشف ما كان ستره ويفشي ما كان أسره بعد الطمانينة والعزة والانبياء مع فضلهم ومكانهم يستثنون في الكفر خيفة المكر ولا يستثني الضعيف الجاهل في الايمان ويغتر بظاهر أمره بل ينبغي ان يستثني في الاسلام أيضا وفي جميع أعمال البر لان القبول غير العمل والسابقة غير ما ظهر من المعاملة ولا ينبغي ان يدع الاستثناء في شيء من الاحوال وقال بعض العلماء في معنى قوله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق قال بالسابقة وقال بعض السلف انما توزن من الاعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء يحلف بالله عز وجل ما أحد أمن ان يسلب ايمانه الاسلب ويقال من الذنوب ذنوب تؤخره وبتها الى سوء الخاتمة وهذا من أخوف ما خافه العاملون مع قوله تعالى ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقيل من الذنوب ذنوب لا عقوبة لها الاسلب التوحيد في آخر نفس نعوذ بالله تعالى من ذلك وقيل هذا يكون عقوبة الدعوى للولاية والكرامات للافتراء على الله تعالى وكان سهل رحمه الله تعالى يقول من علامة الاولياء انهم يستثنون في كل شيء وقال من قال أفعل كذا ولم يقل ان شاء الله تعالى سئل عن هذا القول يوم القيامة فان شاء عذبه وان شاء غفر له وقد نهى الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يقول شيأ حتى يستثني وأمره بالاستثناء اذا نسي فقال تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله ثم قال واذكر ربك اذا نسيت أي الاستثناء أي فاستثن اذا ذكرت فتأدب صلى الله عليه وسلم بذلك أحسن الادب فكان يستثني في الشيء يقع لا محالة فروي انه دخل المقابر فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون وقال سبحانه معلما لعباده الاستثناء ورادهم اليه بمشيئته وهو أصدق القائلين وأعلم العالمين لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين والاستثناء أصل يرد اليه من عرفه ولم ينكر الاستثناء والاصل هو ان يزيد وينقص فما جاز يادته فقد ثبت بنص الكتاب من قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ومن قوله تعالى فزادهم ايمانا الى نظائرها وما جاز يده فهو ينقص لان معناه موجود في الكتاب بدليل الخطاب من قوله تعالى ولا يزيد الظالمين الاخسارا وقوله وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا ومن قوله تعالى وفي آذانهم وقرا وفي قوله تعالى وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم فما يزيد الظالمين الاخسارا ينقصهم رجحانا ورجحا وما يزيدهم الاكفرا ينقصهم ايمانا وما يكون عليهم عمى ينقصهم بصيرة وما يكون لهم رجسا يكون لهم من الطهارة نقصانا من قبل ان مزيد الشر نقصان الخير كما ان مزيد الخير نقصان الشر فاذا ثبت ان الايمان يزيد بالصالحات وينقص بالسيئات وجب الاستثناء فيه لان الصالحات درجات يعلو فيها المؤمنون بحسن الولايات والمجاهدات قال الله تعالى في الجمل من الخطاب وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال والله ولي المؤمنين وقال في المفسر ولكل درجات مما عملوا وقال في مثله وهو وليهم بما كانوا يعملون وقال لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله الى قوله وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما وروينا في حديث واثلة بن الاسقع الايمان يزيد وينقص وروي ذلك عن جماعة من الصحابة ومن لا يحصى من التابعين وقيل لاحمد بن حنبل رضي الله عنهما ما معنى الاستثناء في الايمان قال أليس الايمان قولا وعملا قيل نعم قال فالتصديق بالقول والاستثناء بالعمل وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى انه منه بريء وقال مرة آمنهم له وقال عمر مولى عفرة أقرب الناس الى النفاق الذي اذا زكي بما ليس فيه ارتاح لذلك قلبه وأبعد الناس منه من يتخوف انه لا يحيه حقيقة ما هو فيه وقال بشر بن الحرث سكون القلب الى قبول المدح أضر عليه من المعاصي وكان سهل يقول غفلة العالم السكون الى الشيء وغفلة الجاهل الافتخار بالشيء والسكون عندهم من الدعوى والدعوى من المعاصي وقال حذيفة اليوم المنافقون أكثر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا اذ ذاك

يخفونه

الصلاة والسلام حسب ابن آدم لقيمات يقمن ظهره وأما مخالفة النفس ومخالفة دواعي الهوى فصعب شديد قال الله تعالى فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وأما ما لا ينبغي فهو كل ما يحجب الاشتغال به عن التوجه الى جناب الله تعالى قال بعض المحققين ياليت شعري ما الدنيا وما الزهد فيها وهل هي الا شباب غايته هرم ثم بعده موت وصحة في أثرها سقم وقصر مآله خراب وثوب حسن يؤل الى الخلق وجارية حسناء غايتها موت ثم جيفة وطعام لذيذ غايته الى ما تعلم ولا تكمل الدنيا بهذه الاوصاف الا لآحاد الناس وآخرها الى ما ذكرت فكيف من لم يعط منها شيأ قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ومن تعلق قلبه بالدنيا فقد تعلق قلبه بجيفة فكيف تطمع نفسك الى الجيف فانما هي طعمة للكلاب فادفعها لهم ونزه نفسك عنها فالعاقل لا يشتغل بالخسيس الفاني عن النفيس الباقي فاذا ترك الدنيا فلا يرى في نفسه انه ترك شيأ فان من ترك لا شيء لم يترك شيأ

(باب التوكل والتفويض الى الله تعالى)

ومن يتوكل على الله فهو حسبه وقال تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين وهذا تهييج على التوكل وقال صلى الله عليه وسلم رأيت الامم بالموسم فرأيت أمتي قد ملؤا السهل والجبل فعجبتني كثرتهم وهيآتهم فقيل لي أرضيت قلت نعم قال ومن

يخفونه وهم اليوم يظهرونه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نفاق اليوم فقال يا ابن أخي لو هلك المنافقون لاستوحشتم في الطرقات وعنه وعن غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ماقدرنا ان نطأ على الارض وسمع ابن عمر رجلا يطعن على الحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا بين يديك أكنت تتكلم فيه بما تكلمت الآن قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ذا لسانين في الدنيا جعل له لسانان من نار في الآخرة وفي خبر آخر شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون لا نخاف النفاق فقال والله لان أكون أعلم أني برئ من النفاق أحب الى من تلاع الارض ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة انى أخاف ان أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت ان تكون منافقا ان المنافق قد أمن النفاق لان النفاق على ضربين نفاق ينقل عن الملة وهو الشك في دين الله تعالى والرد لشرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفاق لا ينقل عن الملة ولا يخرج عن الاسلام ولكنه ينقص الايمان ويذهب حقيقته ويطفئ أنواره ويحرم مزيده ويحبط الاعمال ويوجب المقت والاعراض وهو الرياء والمداهنة والتصنع للخلق والتزين بالحق وائتلاف الالسنة واختلاف القلوب وتفاوت القول والعمل ومخالفة الامر الى ما نهى عنه واختلاف السر والعلانية وزيادة الظواهر على السرائر وهذا المعنى من النفاق الذى خافه السلف وكانوا منه على اشفاق وكان سهل يقول المرائي حقا الذى يحسن ظاهره حتى لا تنكر العامة والعلماء من ظاهره شيئا وباطنه خراب وقد كان الحسن وأصحابه يسمون أهل البدع منافقين وكان ابن سيرين وأصحابه يسمونهم خوارج وقال ابن أبي مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفي رواية خمسمائة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلهم يخاف النفاق على نفسه وقال مرة ما منهم أحد يقول انا على ايمان جبريل وميكائيل عليهما السلام * وقد روينا عن علي وأبي سعيد قالا الارجاء بدعة * وقال أبو أيوب انا أكبر من الارجاء أول من أحدث الارجاء رجل من أهل المدينة فذكره وقال قتادة لعن الله دينا انا أكبر منه وانما ظهر الارجاء بعد هزيمة ابن الاشعث يعني في ولاية الحجاج وقال سفيان الثوري من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة قيل فما يقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم الآية فقيل للحسن أمؤمن انت قال ان شاء الله فقيل تستثني يا أبا سعيد في الايمان فقال أخاف ان أقول نعم فيقول الله تعالى كذبت يا حسن فيحق على الكلمة وكان يقول ما يؤمنني ان يكون الله عز وجل قد اطلع على في بعض ما يكره فمقتني وقال اذهب لا قبلت لك عملا أبدا فانا أعمل في غير معمل وكان جماعة من أهل العلم يرون السؤال عن قوله أمؤمن انت بدعة ويقول بعضهم اذا قيل لك أمؤمن انت فقل آمنت بالله وكتبه ورسله وقال ابراهيم اذا قيل لك أمؤمن انت فقل ما أشك في الايمان وسؤالك اياي بدعة وروينا عن الثوري عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم النخعي اذا سئلت أمؤمن انت فقل لا اله الا الله ومنصور عن ابراهيم قال سئل علقمة فقال أمؤمن انت فقال أرجو ذلك ان شاء الله وكان الثوري يقول نحن مؤمنون بالله وملائكته ورسله وما ندري ما نحن عند الله وقال بعض العلماء انا مؤمن بالايمان غير شاك فيه ولا أدري أنا ممن قال الله سبحانه أولئك هم المؤمنون حقا أم لا وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على الشهادة قيل ولم قال لاني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغير عن التوحيد من باب الحجرة الى باب الدار وقال أبو سليمان الداراني سمعت فلانا يعني بعض الامراء يتكلم على المنبر بكلام أردت ان أقوم فانكر عليه فخشيت ان يأمر بقتلي فلم يكن بي أن اموت ولكن خشيت ان يعرض لقلبي التزين للخلق باني أمرت بالمعروف على الامام وقتلت في الله عز وجل عند خروج روحي فكففت عن ذلك وقال بعض العارفين لو عرفت أحدا على التوحيد خمسين سنة ثم حالت بيني وبينه سارية ثم مات لم أحكم انه مات على التوحيد لعلمي بسرعة تقلب القلوب

هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن الاسدي فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اجعله منهم فقام آخر فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة وفي الكتاب والسنة من هذا الباب شيء كثير حض الله تعالى على التوكل ورغب فيه وهدد على تركه ودل قوله صلى الله عليه وسلم للرجل سبقك بها عكاشة على أن هذا التوكل حال عزيز عظيم لا يعطاه كل أحد وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يكمل للعبد الايمان بالله تعالى حتى يكون فيه خمس خصال التوكل على الله والتفويض الى الله والتسليم لامر الله والرضا بقضاء الله والصبر على بلاء الله انه من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل شرائط الايمان وقال سهل ابن عبد الله التوكل حال النبي صلى الله عليه وسلم والكسب سنته فمن عجز عن حاله فلا يتركن سنته واعلم ان هذه الطائفة من أهل التوكل لا يخاف عليها ما يخاف على أهل الاعتماد على الاسباب لان أهل الاسباب خافوا من الجوع والخلقان وخاف هؤلاء من الشبع وزينة الظاهر وخاف أهل الاسباب من القلة والفقر وخاف هؤلاء من الغنى والكثرة وأهل التوكل يأمنون

وقال منصور بن زادان كان الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل قال انا مؤمن ان شاء الله وقال أبو وائل قال رجل لابن مسعود دلقيت ركبا فقالوا نحن المؤمنون فقال ألا قالوا نحن من أهل الجنة وقال بعض أصحاب عبد الله لرجل أمؤمن انت قال نعم فذكر ذلك لابن مسعود فقال سلوه أمن أهل الجنة انت فقال ارجو فقال الا رجيت الاولى كما رجيت الثانية ونقش ابن لبعض التابعين على خاتمه فلان لا يشرك بالله تعالى شيأ فقال أبوه هذا أقبح من الشرك وقال بعض السلف أقرب الناس من النفاق من يرى انه أبعدهم منه عند نفسه وفى الخبران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا ومدحوه وأحسنوا الثناء عليه فبيناهم كذلك اذ طلع عليهم الرجل يقطر وجهه ماء من أثر الوضوء وقد علق نعليه بيديه وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هذا هو الرجل الذى وصفناك آنفا فلما نظر اليه صلى الله عليه وسلم قال أرى على وجهه سفعة من الشيطان يعنى ظلمة فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم انه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وفى الحديث من قال انى مؤمن فهو كافر ومن قال انى عالم فهو جاهل ومن قال انى فى الجنة فهو فى النار وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبابكر الصديق رضى الله تعالى دعاء قال قل فيه اللهم انى أعوذ بك ان أشرك بك وانا أعلم واستغفرك لما لا أعلم وجاء فى الخبر الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل على الصفا وكان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم انى استغفرك لما علمت ومالم أعلم فقيل له اتخاف يارسول الله قال ومايؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقال الله تعالى وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون قيل عملوا أعمالا ظنوا انها حسنات فلما كان عند الحساب والميزان وجدوها سيآت وقيل كانت هذه الآية مبكاة العابدين وقيل فى معنى قوله تعالى وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا قيل صدقا لمن مات على الايمان عدلا لمن مات على الشرك كقوله تعالى ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية وقال سبحانه ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون وقال ينالهم نصيبهم من الكتاب وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص وقال ولله عاقبة الامور وقال لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله فالاستثناء فى الايمان هو من الايمان والاستثناء فى كل شئ من علامة الاولياء والاشفاق من الشرك والنفاق هو من مزيد الايمان لئلا يسكن العبد الى شئ ولا يزكى نفسه بشئ وقال سرى السقطى لو ان رجلا دخل الى بستان فيه من جميع الاشجار عليها من جميع الاطيار فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا فى أيديها

(الفصل السادس والثلاثون فى فضائل أهل السنة والطريقة وطرق السلف من الائمة) السنة اسم من أسماء الطريق وهو اسم للطريق الاقوم يقال طريق وطريقة وسنن وسنة ومحجة فمن فضائل السنة وطريق أهلها التقلل من الدنيا فى كل شئ والقناعة من الله تعالى بادنى شئ والتواضع لله بكل شئ وفى الخبر فضل العبادة التواضع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع لا يوجدن الا بعجب التواضع وهو أوّل العبادة والصمت وذكر الله تعالى وقلة الشئ واعلم أن التواضع يظهر بمعان خمسة بالقول والفعل والزى والاثاث والمنزل يكون فى المؤمن بعضها فمن كملت فيه فهو متواضع والكبر ضد التواضع وهو يظهر أيضا باضداد هذه الخمسة يبتلى المؤمن ببعضها او بما فى من البعض فمن كملت فيه فهو متكبر وحقيقتها فى القلب وظاهرها بالافعال والاقوال ثم الورع عن الشبهات والمشكلات من العلوم والاعمال ان يقدم عليها بنطق أو عمل ولا يعتقد نفيها ولا اثباتها خشية ان يكون معتقد الباطل أو نافيا لحق بل يكون اعتقاده فيها تسليما لله عز وجل ويقول آمنت بحقائقها عند الله تعالى فذلك تعبد من الله عز وجل للمؤمنين فيما تشابه من الامور ان يسكتوا ويسلموا وبذلك وصف الراسخين فى العلم وأقسم بنفسه على نفى ايمان من لم يسلم تسليما وجعل التسليم مزيد الايمان فى قوله تعالى ومازادهم الا ايمانا وتسليما وفى الخبر انما الامور ثلاثة أمر استبان

حيث يخاف الناس ويسكنون حيث يضطرب الناس فما أبعد ما بين المعنيين وكل من ركن الى سبب كان خائفا من زواله والخبر المروى عن عمران النبي صلى الله عليه وسلم ادخر قوت سنة لسنة قال ابراهيم الخواص قال لى جعفر الصائغ ان هذا الخبر لم يثبت فلا يؤخذ به والتوكل المخصوص حال النبي صلى الله عليه وسلم والخواص من أمته والتوكل العام سنة وهو طريقة الصالحين *(فصل)* والتوكل ينتظم من علم وحال وعمل فالتوكل بالحقيقة انما هو الحال والعلم أصله والعمل ثمرته فالعلم المعرفة بان الاشياء بتقدير الله تعالى وقضائه لا بكسب المكتسب ولا بحيلة المحتال وانه لا فاعل الا الله تعالى ولا رازق غيره وانه لا يكون الا ما يريد فيجب على طالب طريق الله تعالى أن لا يرى الامور كلها الا من الله تعالى بقطع الالتفات عن الوسائط والاسباب قال الله تعالى أفرأيت من اتخذ الهه هواه فالمتوكل على الله وحده هو الموحد الذى لا توجه وجهه الا الى الله تعالى ويخلع جميع الوسائط والاسباب من قلبه قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون قال بعض أهل البصائر ركن قوم الى العلم فكان العلم حجة عليهم وركن قوم الى الخلق فسلطوا عليهم وركن قوم الى المعارف فتنكرت عليهم وقوم أفنوا حظوظ أنفسهم ولم يروا الا الله تعالى وماركنوا الى غيره فكان الله تعالى وليهم

رشده فاتبعه وأمر استبان غيه فاجتنبه وأمر اشكل عليه فكله الى عالمه وكذلك ابن مسعود يقول ان لهذا القرآن منارا كمنار الطريق فما عرفتم منه فاعملوا به ومالم تعلموه فكلوه الى عالمه وكان أيضا يقول أنتم اليوم في زمان خيركم فيه المسارع وسيأتي عليكم زمان يكون خيركم فيه المتبين يعني لوضوح الحق في القرن الاول ولدخول الشبهات في زماننا هذا فصار الحق غامضا فكان خير الناس اليوم المتثبت بالورع كما أخبر أن خيرهم يومئذ المسارع بالفضل ومما يدلك ان الايمان هو التسليم كما ان الايمان هو التصديق ان في قراءة بعض التابعين منهم جعفر بن محمد وقد رويناه عن أبي جعفر محمد بن علي انهما قرآ واجعلنا مسلمين لك وقرآ أيضا الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فلولا انهما بمعنى واحد لم يجز ان يخالفوا المعنى في المقروء وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الامر المتشابه الذي يشبه الحق من جهة و يشبه الباطل من جهة لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ولكن قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل اليكم هذا لان الله سبحانه وتعالى أنزل التوراة فهي حق ثم أخبرانهم قد حرفوا فاحتمل ان يكون ما يخبرون به المؤمنين مما أنزل الله تعالى فلا يحل التكذيب به ولا اعتقاد نفيه واحتمل ما يخبرون به المؤمنين انهم حرفوا فلا يحل قبوله ولا اعتقاد ثبوته فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم بايقاف ذلك والايمان بما أنزل الله تعالى جملة فان كان ما أخبروهم حقا دخل فيه وان كان باطلا لم يضره فالمسلم هو الذي يسلم مالم يظهر دليله في العقل لاجل القدرة والسنة والنقل كما ان المؤمن هو الذي يصدق بمالم يظهر بمشاهدة العين الايمان بالغيب لان العقل بصر القلب كالعين بصر الجسم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن المجنون حتى يعقل كما قال الله تعالى ليس على الاعمى حرج ثم ترك ما لا يعني مما قد كفي وممالم يكل اليه من القول والفعل لان الدخول فيما لا يعني هو التكلف المنهي عنه الذي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاتقياء من أمته برآء منه وهو يشغل و يقطع عما يعني وفيما يعني شغل عما لا يعني لكل فطن عاقل وهو أصل الحكمة فيما أخبر به لقمان لما سئل انى أوتي الحكمة قال بشيئين لا أتكلف ما كفيت ولا أضيع ما كلفت فهذا شيء لا يضر جهله ولا ينفع فعله ولانه شيء كتب عليه لم يكن له فيه فضل وان سمع منه وظهر به ولم يكن له فيه مزيد ولا لغيره نفع ثم كف الاذى فان ذلك من الورع وكان سهل رحمه الله تعالى يقول كف الاذى كسب العقل واحتمال الاذى كسب العلم والنصيحة للخلق والرحمة لهم كسب الايمان من العمل في قطع ما قد اعتاد من عاجل حظوظ النفس مما يقطعه عن العمل لاجل الآخرة وأعمال النفس واجهادها وان لا يكون لها معتاد من شهوة تعود على النفس منه منازعة فان العادة جند غالب لاجلها تعذرت التوبة ولغلبتها رجع العبد عن الاستقامة وهي باب من أبواب الهوى الا فيما أمر به العبد أو ندب اليه قال أبو سليمان الداراني ان قدرت ان لا يكون لك وقت معتاد في الاكل تنازعك نفسك اليه فافعل وقال لان أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة أي لنقص النفس من المعتاد والتقلل أيضا وقال أيضا ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها هذا كله خشية ايلاف العادات فتنازع النفس الى الالف فلا يمكنك ضبطها لغلبة الوصف ثم حسن الصبر على ما أمر به وحسن الصبر عما نهي عنه فان ذلك من أفضل الاعمال وله فضائل المزيد والكمال وفي حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق المحارم تكن من أعبد الناس وفي لفظ آخر تكن من أورع الناس ومن أحسن ما سمعته من عظيم المثوبة في الصبر عن المعصية ما حدثونا في الاسرائيليات ان رجلا تزوج امرأة من بلدة وكان بينهما مسيرة شهر فارسل الى غلام له من تلك البلدة ليحملها اليه فسار بها يوما فلما جنه الليل أتاه الشيطان فقال له ان بينك و بين زوجها مسيرة شهر فلو تمتعت بها الليالي هذا الشهر الى ان تصل الى زوجها فانها لا تنكره ذلك وتثني عليك عند سيدك فتكون أحظى لك عنده فقام الغلام يصلي فقال يارب ان عدولك هذا جاءني فسول لي معصيتك وانه لا طاقة لي به في مدة شهر وأنا أستعيذك عليه يارب فاعذني عليه وا كفني مؤنته فلم تزل نفسه تراوده ليلته أجمع وهو يجاهدها حتى أسحر فشد على دابة المرأة وحملها وسار بها قال فرحمه الله تعالى فطوى له مسيرة

وحسبهم قال ابراهيم الخواص لقيت الخضر في سياحتي ورضي بصحبتي ثم انفردت عنه لاني خشيت ان تكون صحبته مع الخلق والسكون اليهم نقص في توكلي فالخواص صح له مقام التوكل وكشف للناس عن علوم التوكل وصح مقام التوكل للحواريين وفي الصحابة من كان أتم توكلا من الحواريين لان الحواريين كانت لهم زنابيل وخرائط من خرق يجعلون فيها الكسر وكثير من أهل الصفة لم يكن لهم ذلك ولا شيء غير خرقتين احداهما على وسطه والاخرى على ظهره وكثير منهم لم يكن لهم الا هدمة يتزر بها على وسطه و روى فضالة بن عبيد الله رضي الله عنه قال كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم فنرى رجالا يخرون من قيامهم في الصلاة من الخصاصة وهم أصحاب الصفة حتى تقول الاعراب هؤلاء مجانين فاذا قضى صلى الله عليه وسلم صلاته انصرف اليهم قال لو تعلمون ما لكم عند الله تعالى لأحببتم ان تزدادوا فاقة وحاجة فما أغفل من يدعو الى الحركة ولم يستعمل هذه الاخلاق وكيف يتهيأ لاحد أن يدعو الى الحركة والنبي صلى الله عليه وسلم يرى أهل الصفة يتساقطون في الصلاة الفريضة من الجوع لا يتهيأ لهم ان يؤدوا فرائضهم عن قيام من الضعف وهو يقول لهم اثبتوا فهذه سنة ماضية لا تلتفت معوا الى من خالفها ومن هو نار أى سعد بن عبد الله ان الصلاة قاعدا لاجل الضعف من الجوع افضل من الصلاة

شهر فما برق الفجر حتى أشرف على مدينة مولاه قال وشكر الله تعالى له هربه اليه من معصيته فنبأه فكان نبيا من أنبياء بنى اسرائيل ثم اعداد العدة للمعاد متقبل اذا كان ذلك من مزيدى السعى للآخرة والشغل بالنفس والاقبال عليها دون الناس فقد وجب ذلك والزهد فى فضول الشهوات واجتناب كثير من الشبهات فقد افترض ذلك وقلة الذكر للناس ولامور الدنيا فقد حسن ذلك ومنه غفلة وقسوة للقلب وكثرة الذكر لله تعالى والتذكير به وذكرا لآلائه ونعمائه وحسن الثناء عليه والمدح له وقد كان بعض العلماء يقول من جالسنا فليجتنب ذكر ثلاث خصال وليقض فيما يشاء يجتنب ذكر الناس فانهم داء ويجتنب ذكر الدنيا فانها قسوة ويجتنب كثرة الطعام فانه اشره وقال عالم آخر من جالسنا فلا يذكر الا الله وحده فان كان لابد من ذكر غيره فليذكر الآخرة وليذكر الصالحين وكان سهل رحمه الله تعالى ورضى عنه يقول السنة ما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأول السنة الزهد فى الدنيا لانهم كانوا زاهدين وكذلك جاء الخبر فى وصف الفرقة الناجية من كان على ما أنا عليه وأصحابى فقد كانوا على هذه الاوصاف التى ذكرناها فمن كان على ذلك فهو على السنة فهذه فضائل السنة وهو مزيد الايمان وحسن اليقين *(ذكر عرى الايمان وجمل الشريعة)* قال الله جل ثناؤه وصدقت أنباؤه ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها فالشريعة اسم من أسماء الطريق وهو اسم الطريق الواضح المستقيم الواسع وهو وصف لطريق جامع لجوامع الحاج كلها كأنه طريق يستوعب ويجمع سائر الطرق وللطريق أسماء كثيرة منها الصراط المستقيم والسبيل والمنهاج والمحجة والمنسك وجاء من اشتقاق هذا اللفظ أربعة أسماء شارع ومشرعة وشرعة وشريعة وهو اسم لأوسعها وأوعبها لجميع الطرق فالشريعة تشتمل على اثنتى عشرة خصلة هى جامعة لاوصاف الايمان أول ذلك الشهادتان وهى الفطرة والصلوات الخمس وهى الملة والزكاة وهى الطاهرة والصيام وهو الجنة والحج وهو الكمال والجهاد وهو النصر والامر بالمعروف وهو الحجة والنهى عن المنكر وهو الوقاية والجماعة وهى الالفة والاستقامة وهى العصمة وأكل الحلال وهو الورع والحب والبغض فى الله وهو الوثيقة وقد رويناه بعض هذه الخصال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جاء نحوها عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما *ذكر شرط المسلم الذى يكون به مسلما الا يكون معتقد البدعة ولا مقيما على كبيرة ولا آكل الحرام ولا طاعنا على صالح السلف ويكون كاف اللسان واليد عن اعراض المسلمين وأموالهم ويكون ناصحا لجميع المسلمين مشفقا عليهم يسره ما يسرهم ويسوءه ما يسوءهم سببا لاغنائهم داعيا لجلتهم ويكون مخلصا الاعمال كلها لله تعالى وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه وروى عنه ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله تعالى ومناصحة ولاة الامر ولزوم الجماعة فان دعوتهم تحيط من ورائهم ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فى زماننا هذا فهو من أولياء الله عز وجل وهذا أول ولايته وأول نظرة من الله تعالى حامية عاصمة راحمة وكتب عمر بن عبد العزيز الى سالم بن عبد الله اكتب الى بسيرة عمر رضى الله تعالى عنه فى الناس فانى أحب ان أسير بها فكتب اليه أما بعد فانك لست فى زمان عمر ولا لك رجال كرجال عمر فان عملت فى زمانك هذا ورجالك هؤلاء بسيرة عمر فانت خير من عمر رضى الله تعالى عنه *ذكر حسن اسلام المرء وعلامات محبة الله تعالى له يكون محبا للخير وأهله مجانبا للشر وأهله مسارعا الى ما ندب اليه أو أمر به اذا قدر عليه حزينا على ما فات من ذلك اذا أعجزه تاركا لما لا يعنيه من الاقوال والافعال بريئا من التكلف وهو اجتناب ما لم يؤمر به ولم يندب اليه من ترك وفعل مصليا الخمس فى جماعة اذا أمن الفتنة وسلم له دينه مجتنبا للغيبة ولذكر الناس يحب لكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه مسارعا الى الخيرات مسابقا الى أعمال البر والقربات طويل الصمت لين الجانب ذليلا للمؤمنين عزيزا على المتكبرين لا يمارى فى الباطل ولا يداهن فى الدين ولا يبغض على شئ من الحق وان كان عليه أو من أبعد الناس منه ولا يحب على شئ من الباطل وان كان له أو من أقرب الناس اليه كارها للمدح ممن يحبه قابلا للنصح ممن يبغضه

يكون

قا المقام السابع *(فصل)* السابقون فى قوله تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون هم أصحاب النهايات فى التوكل وأصحاب اليمين هم أصحاب البدايات ثم أصحاب اليمين أعلى درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب اليمين هى بداية درجات السابقين فههنا تلتقى المقدمة بالساقة أعنى مقدمة أصحاب اليمين بساقة المقربين الذين هم السابقون قال صاحب منازل السائرين الى الله التوكل على درجات الاولى التوكل على الله مع الطلب وتعاطى السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى الثانية مع اسقاط الطلب وغض البصر عن السبب اجتهادا فى تصحيح التوكل وقمع تشوف النفس وهؤلاء توكلوا على توكلهم لا على الاسباب الثالثة أن يتوكلوا على الله لا على السبب ولا على التوكل وهذا توكل الانبياء عليهم السلام *(فصل)* وأكثر العلماء بالله تعالى فى العبارات عن حقيقة التوكل فقال بعضهم التوكل هو الاعتماد على الحق والتخلى عن الخلق وقال الدقاق ههنا ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالمتوكل يسكن الى وعد الله والمسلم اكتفى بعلم الله والمفوض اكتفى بحكمة الله وقال التوكل هو البداية والتسليم هو الواسطة والتفويض هو النهاية وقال سهل التوكل هو عيش القلب مع الله تعالى بلا علاقة مع غيره وقال قوم هو الثقة بالوعد وترك التدبير وقال بعضهم

يكون المدح والذم يجريان من قلبه مجرى واحد صدوقا في نظره غير متصنع بما يستجلب نفعه مريرته أفضل من علانيته محتملا لاذى الخلق صابرا على بلائهم منفردا بحاله عنهم تاركا لكثير من مجالسهم واجتماعهم خشية دخول الشبهات عليه وخوفا من تغير قلبه له ومن اجتمعت فيه هذه الخصال في زماننا هذا فهو من المريدين للآخرة وهذه ولاية ثانية ونظرة ثانية ويقال ان ابدال كل قرن على قدر زمانهم وفي كل قرن سابقون ومقربون وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق قال لتركبن في كل قرن في طبقة من الناس على حال لم يكونوا عليه وأكثر ما قيل في القرن مائة سنة وأقل ما قيل فيه أربعون وأوسط ذلك وأعدله وأشبهه بحمل الاحاديث والاخبار فيه ان القرن سبعون سنة وهو قول علي رضي الله عنه لان رأس المائتين تمام ثلاثة قرون من المبعث ونحن الآن في القرن السادس من أول سنة أربعين وثلثمائة وآخره سنة عشر وأربعمائة ويقال ان الشمس تطلع من المغرب بعد القرن السابع وهو رأس الثمانين وأربعمائة وعلى قول من قال القرن مائة سنة تطلع بعد سبعمائة سنة وفي الخبر ان ملك الموت اذا جاء لقبض روح المؤمن قال له ملكاه أنظرنا حتى نثني عليه مما سمعناه من الثناء الحسن فيقولان جزاك الله عنا خيرا فانك كنت ما علمنا مسارعا في طاعة الله تعالى بطيئا عن معاصيه تحب الخير وأهله وتعمل بما استطعت منه فرب كلام حسن قد أسمعتنا ومجلس كريم قد أجلستنا فابشر بالموعود الصدق بيننا وبينك الوقوف بين يدي الله تعالى بالشهادة لك عنده غدا ✻ ذكر حق المسلم على المسلم وهو وجوب حرمة الاسلام على المسلمين وذلك عشر خصال مجموعة من ستة أحاديث حديث علي رضي الله عنه للمسلم على المسلم ست خصال واجبة وحديث أبي أيوب الانصاري حق المسلم على المسلم ست خصال ان ترك منها شيئا ترك حقا واجبا عليه وحديث البراء بن عازب أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع وحديث ابن مسعود للمسلم على المسلم أربع خلال واجبات وحديث سعد وأبي هريرة في معنى ذلك وحديث أنس أربع من حق المسلم عليك الا انه ذكر غير ذلك فاختلفت الالفاظ في الخصال واتفقت المعاني وذكر بعضهم في حديثه ما لم يذكره الآخر فجمعنا اختلافهم وعددنا الخصال فكانت عشرة الامار واه أنس بن مالك رضي الله عنه فانه حديث غريب مؤكد للخصال وزائد عليها في الالفاظ نذكره بعدها فاما الخصال العشر التي كثرت الاخبار بها فهي ان يسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه ويشمته اذا عطس ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا أقسم عليه وينصح له اذا استنصحه ويحفظه بظاهر الغيب اذا غاب عنه ويحب له ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه فاما حديث أنس فروينا عن اسمعيل بن أبي زياد عن أبان بن عياش عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع من حق المسلم ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فهذه الخصال داخلة في تلك الخصال وجامعة لها في معنى النصيحة لاخيك وفي ان تحب له ما تحب لنفسك وقد كان ابن عباس يؤكد هذا المعنى خاصة للمسلم على المسلم ويفرضه فرض الحلال والحرام ويفسر به قوله رحماء بينهم حدثناه في رواية جبير عن الضحاك عنه في قول الله عز وجل رحماء بينهم يعني متوادين بينهم يدعو صالحهم لطالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم اهده وتب عليه واغفر له قال ابن عباس هذه الآية من حلالكم وحرامكم فهذه الخصال المذكورة جامعة مختصرة في حرمة المسلمين ووجوب حق بعضهم على بعض لا عذر لاحد منهم في تركها الا من عذرته السنة ويشهد له العلم وبعضها أوكد من بعض وأكمل المؤمنين ايمانا أقومهم بها وأسرعهم اليها قد كثرت بها الروايات وقد كان بعض السلف ترك منها ثلاثة اجابة الدعوة وعيادة المرضى وشهود الجنائز الا ان هؤلاء اعتزلوا الناس أصلا وكانوا أحلاس بيوتهم لم يخرجوا الا الى الجمعات ومنهم من ترك الجماعات وكان منهم من تبوأ الجبانات وفارق الامصار والاخوان وقال سهل ما أعلم شيئا أشد من حقوق

التوكل هو النظر من السبب الى المسبب وسئل الجنيد رحمة الله عليه عن التوكل والتوحيد فقال التوكل عمل القلب والتوحيد قول القلب قال صاحب منازل السائرين التوكل هو كلة الامر الى مالكه والتعويل على وكالته كما قال تعالى فاتخذه وكيلا والتوكل من لوازم الايمان اذ الايمان هو التوحيد ومن اعتمد على غير الله تعالى فما وحده بالحقيقة وان نطق به اللسان وحال من هو في مقام التوكل مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فانه لا يعرف غيرها ولا يفزع في كل ما ينوبه الا اليها وكلما رآها تعلق بها وان نابه شيء هتف باسمها والتجأ اليها وقال مسروق التوكل هو الاستسلام لجريان القضاء والقدر في الاحكام فليلتزم المتوكل كما قال مسروق ان الاستسلام كذلك لانه انما توكل لعلمه ان الله خالق كل شيء ورازق كل حي ومن علم ذلك وتحققه سلم الامور الى مالكها وانقاد لجريان قضائه وحكمه في الاشياء وهو بروزه الى الوجود حيثما تعلق به العلم القديم وقضاء الحكيم العلم ويسمى ذلك قدرا فالقضاء هو الحكم الازلي الكلي الموافق للعلم القديم والقدر ظهور متعلقاته وحصولها في الخارج شيئا فشيئا قال الله تعالى وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ومن أقيم في هذا المقام لم يسكن الى محبوب سوى الله تعالى ولم يتعلق بمكروه ولا قصد في دفعه الا اياه وقال سهل بن عبد الله التوكل

الناس وكان يقول من كف أذاه عن الخلق مشى على الماء وقال أبو يزيد وغيره بغية العقلاء السلامة من الله تعالى ومن أراد السلامة من الله فليسلم الناس منه فمن أراد أن يسلم الناس منه فليبعد منهم فقد أنشدت لبعضهم فى معناه

الناس بحر عميق * والبعد منهم سلامه
وقد نصحتك فانظر * لا تدركنك ندامه

وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه اتقوا الله واتقوا الناس وعن ابن عباس مثلها لولا مخافة الوسواس لم أجالس الناس وقال مرة لدخلت بلادا لا أنيس بها وهل يفسد الناس الا الناس وقال بعض السلف كلما كثرت المعارف كثرت الغرماء وكلما طالت الصحبة توكدت الحقوق وقال بعض العلماء من عرف نفسه استراح ومن عرف الناس تعنى وقال بشر بن الحرث فى ضده من عرف الناس استراح وقد قيل فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام مداراة الناس صدقة قال مداراتهم فى العلوم ومفارقتهم فى العقول وفى أحد الوجوه من قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن قال هى المداراة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطى حظه من الرفق أعطى حظه من خير الدنيا والآخرة ومن منع حظه من الرفق منع حظه من الدنيا والآخرة * ذكر سنن الجسد وفى الجسد اثنتا عشرة سنة وذلك مأخوذ من ثلاثة أحاديث متفرقة منها حديث جبريل عليه السلام حين استبطأه النبى صلى الله عليه وسلم بالوحى خمس منها فى الرأس وهى المضمضة والاستنشاق والسواك وقص الشارب وفرق شعر الرأس ومنها سبع فى الجسد وهى الختان والاستحداد وانتقاص الماء وهو الاستنجاء ونتف الابط وتقليم الاظفار وغسل البراجم وتنظيف الرواجب فأما البراجم فهى معاطف ظهور الانامل لم تكن العرب تكثر غسل ذلك لتركها غسل أيديها عقيب الطعام فكان يجتمع فى تلك المكاسر الوسخ فأمر بغسلها قال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة كنا نأكل الشواء ثم تقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء ثم نفركها فى التراب ونكبر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما كانت مناديلنا بواطن أرجلنا كنا اذا أكلنا الغمر مسحنا بها ويقال أول ما ظهر من البدع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فهذه كلها فى شأن الجوف وهو شر وعاء مجوف وأما الرواجب فهى جمع راجبة وهى واحدة الانامل لم تكن العرب ينفق لها الجلمان فى كل وقت فيقصون أظفارهم فوقت لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقص الاظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما الا انه أمر بتنظيف ما تحت الاظفار لانه يجمع التفث وهى الرواجب الى ان يقصوا أظفارهم وجاء فى الآثار ان النبى صلى الله عليه وسلم استبطأ الوحى فلما هبط جبريل عليه السلام قال له كيف ننزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر أمتك بذلك ويقال لما تحت الاظفار من الوسخ الاف وهو الذى يقال أف وتف فالاف وسخ الظفر والتف وسخ الاذن وقيل بل التف كلمة اتباع للمبالغة فى التأذى بالقذر المؤذى ومن ذلك قولهم فى الاتباع جائع نائع وعطشان نطشان ولا أثر له ولا عثير وقيل من هذا قول الله تعالى فلا تقل لهما أف أى لا تعيرهما بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تؤذهما تأذيك بما تحت ظفرك من الاذى أولا تؤذهما بمقدار ذلك * ذكر ما فى اللحية من المعاصى والبدع المحدثة وقد ذكر فى بعض الاخبار ان لله تعالى ملائكة يقسمون والذى زين بنى آدم باللحى ويقال ان اللحية من تمام خلق الرجل وبها تميز الرجال من النساء فى ظاهر الخلق وفى وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية دقيقها وكان على رضى الله تعالى عنه عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه ويقال ان أهل الجنة مرد الا هرون أخا موسى عليهما السلام فان له لحية الى صدره تخصيصا له وتفضيلا ووصف بعض بنى تميم من رهط الاحنف بن قيس قال وددنا انا اشترينا للاحنف لحية بعشرين ألفا فلم يذكر حنفه فى رجله ولا عوره فى عينه وذكر كراهية عدم لحيته وكان عاقلا حليما وقد روينا من غريب تأويل قوله تعالى يزيد فى الخلق ما يشاء قال اللحى وفيه وجوه كثيرة وذكر عن شريح القاضى قال وددت لو ان لى لحية بعشرة آلاف

وقال

عو الاسترسال بين يدى الله وبمعناه قال سرى السقطى ينبغى أن يكون المتوكل بين يدى الله تعالى فى حال حركاته وسكناته كالميت بين يدى الغاسل وقال أبو سعيد الخراز قامت الكفايات لاهل مملكته فاستغنوا عن مقامات التوكل لطلب الكفاية ومراد الخراز بذلك أن التوكل لطلب الكفاية ليس من المقامات العالية والتوكل الذى هو من التوكل على الله تعالى لا لطلب شئ لانه قائم بالكفاية بل لورود الامر بالتوكل بتحقيق العبودية وهذا من مقامات الانبياء عليهم الصلاة والسلام ألا ترى الى قول الخليل عليه السلام لجبريل لما اعترضه وهو فى الهواء هابطا من كفة المنجنيق وقال له هل لك من حاجة فقال أما اليك فلا قال أفلا تدعو الله تعالى قال حسبى من سؤالى علمه بحالى قال بعض العارفين التوكل سر من الاسرار بين العبد وبين الله تعالى لانه لا يدل عليه شئ من الاحوال الظاهرة فهو سر محض لا يعلمه الا الله تعالى بخلاف المحبة والخوف وغير ذلك فان علامات تدل عليها وهى السعى والمبادرة الى الطاعات والنفور عن المعصية فلا يكاد يخفى حال المحب والخائف على الناس بخلاف التوكل فان غاية ما يظهر على المتوكل ترك التعاطى للاسباب وترك ذلك قد يكون عن قدرة واختيار وقد يكون عن عجز عن تعاطى الاسباب فلا يكون دليلا على التوكل

وقال بعض الادباء في اللحية خصال نافعة منها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار ومنها رفعه في المجالس والاقبال عليه ومنها تقديمه على الجماعة وتعقيله وفيها وقاية للعرض يعني اذا أرادوا شتمه عرضوا اليه بها فوقت عرضه وقال أبو يوسف القاضي من عظمت لحيته جلت معرفته ففي اللحية من خفايا الهوى ودقائق آفات النفوس ومن البدع المحدثة اثنتا عشرة خصلة بعضها أعظم من بعض وكلها مكروهة قد كنا أجملنا ذلك عددا في باب آفات النفوس فاما تفسيره فان من ذلك خضابها بالسواد لاجل الهوى وتدليس الشيبة وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نيسة تشبها بالصالحين والقراء من السنة وتبييضها بالكبريت وغيره استعجالا لاظهار علو السن وستر الحداثة لاجل الرياسة والتعظيم ليشهد عند الحكام أو لينفق بذلك حديثه ويدعي بالسن مشاهدة من لم يره فعل ذلك بعض المحدثين وبعض الشهود ومن ذلك نتفها أو نتف الشيب منها تغطية للتكهل ومنها تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين والتصنع ومن ذلك النقصان منها والزيادة فيها وهو ان يزيد في شعر العارضين من الصدغ من شعر الرأس حتى يجاوز عظام اللحى وذلك هو حد اللحية أو ينقص من لعظمين الى نصف الخدود وذلك مثلة وهو نقصان من اللحية ومن ذلك تسريحها لاجل الناس تصنعا أو تركها لاجل الناس شعثة مقتلة مغبرة اظهار للزهد أو التهاون بالقيام على النفس لانه قد عرف بذلك ومن ذلك النظر الى سوادها اعجابا بها وخيلاء وغرة بالشباب وفخرا ومن ذلك النظر الى بياضها تكبرا بكبر السن وتطاولا على الشبان فيحجبه نظره اليها عن النظر الى نفسه من تعلم العلم وتعلم القرآن الذي لا يسعه جهله والسؤال عما يجهله استصغار الغيره من الشباب أو حياء من شيبه أو استنكافا منه فيظن بجهله ان كثرة الايام التي بيضت شعر لحيته أعطته فضلا أو جعلت فيه علما ولا يعلم ان العقل غرائز في القلوب وان العلم مواهب من علام الغيوب ومن كانت غريزته الحق وطبيعته الجهل كثرت حماقته كلما كبر وعظمت جهالته اذا أسن وقد رأينا جميع ذلك في كثير من الناس وهذا كله محدث وهو يضاهي سنن الجسد الاثنتي عشرة في العدد ومما جاء في جمل معاني ما ذكرناه من الكراهة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حفوا الشوارب واعفوا اللحى فقوله حفوا أي اجعلوها حفافي الشفة أي حولها الان حفاف الشيء حوله ومن ذلك قوله عز وجل وترى الملائكة حافين من حول العرش وكان بعض العلماء يكره حلق الشارب حتى تظهر البشرة ويراه بدعة وقد كان مالك بن أنس وبعض علماء المدينة يقولون حلق الشارب مثلة انما هو الاخذ منه حتى يبدو الاطار والاطار حروف الشفة من فوق وفي الحديث لفظة أخرى أحفوا الشوارب والاحفاء هو الاستئصال والاستقصاء وهو أبلغ من قوله حفوا ومن هذا قوله عز وجل ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا أي يستقصي عليكم وقد كان كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفي شاربه ونظر بعض التابعين الى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقلت هكذا كانوا يحفون شواربهم فقال نعم وأشد من هذا كالحلق وليس الاحفاء حلقا الا انه شبيه به وقد روينا في هذا الحديث ثلاثة ألفاظ أخر وهو خذوا من الشوارب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأخذ من شاربه وروي قصوا الشوارب وجزوا الشوارب فهذه الثلاثة بمعنى واحد وهو يقتضي أخذ بعضه وترك البعض ليست كالاحفاء وقال المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد عفا شاربي فقال تعال فقصه على سواك فهذا نص من فعله في أخذ الشارب وقد رويت لفظة غريبة طروا الشوارب طرا والطر ان يؤخذ من فوق الشارب ومن تحته حتى يستدق والطر الدقيق المستطيل المستخرج من شيء أكثر منه حتى يحمل على وصف دونه أو أصغر منه ومن هذا سميت الطرة كانها مستخرجة من شيء كثير محمولة على وصف لطيف وكان بعض السلف يترك سباليه وهما طرفا الشارب ويحفي وسط شاربه وروي هذا عن عمر وغيره وكذلك رأيت أبا الحسن بن سالم رحمه الله تعالى يفعل فاما قوله واعفوا اللحى يعني كثروها ومن هذا قول الله عز وجل حتى عفوا أي كثروا وفي الخبر ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم

(فصل) وأكثر الخلق عملوا الدنيا هم دون أخراهم لتكون لذات الدنيا عاجلة فاجتهدوا في أمور الدنيا وتوكلوا في أمور الاخرى فهم على مراتب وعوامهم توكلوا الحظوظ أنفسهم فلم يروا أنهم يصلون الى نعيم الآخرة الا بترك الدنيا وتركوا الدنيا واجتهدوا في الآخرة ولجؤا الى ربهم واستعانوا به اشمول علمه وتفرد ارادته فرضوا به مدبرا وكيلا وهذا عند الخواص رجوع الى الاسباب لانك رفضت الاسباب ووقفت مع التوكل فعين التوكل هو عين السبب تخرجت عن التوكل من حيث دخلت في هذا التوكل فهذا التوكل في الحقيقة ترك التوكل

(فصل) قد قدمنا ان التوكل حالة في القلب وهي الثقة بالوكيل الحق وقطع الالتفات الى غيره وانه على مراتب ثلاثة كما قدمنا ذلك في الفصول السابقة لكنا هنا نزيده شرحا وبيانا مع زيادة نذكرها فنقول التوكل على ثلاث درجات احداها الثقة بالوكيل بعد اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة الثانية وهي أقوى منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بامه وفزعه اليها في كل ما يصيبه وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه في توكله فان عن توكله فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لا يخلو توكله عن تورع ادراكه الثالثة هي أن يكون بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فان الصبي يزعق بامه ويتعلق

وردعمر بن الخطاب وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة رجل كان ينتف لحيته ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد رجل عند عمر بن عبد العزيز بشهادة وكان ينتف فنيكيه فرد شهادته وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن ونهى عليه السلام عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب أهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وأمر صلى الله عليه وسلم أبا بكر ان يغير شيب أبيه وقال جنبه السواد وقال هو خضاب أهل النار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ودلست عليهم شيبتك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وقال سري بن المغلس السقطي في اللحية شر كان تسرحها لاجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد وقال أيضا لو دخل على داخل فمسحت لحيتي لاجله ظننت أني مشرك وعن كعب وابي الجلد وصفا قوما يكونون في آخر الزمان يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقفون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم وذكر أيضا عن جماعة ان هذا من اشراط الساعة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة وروى أبو المهزم عن أبي هريرة ان أصحاب الدجال عليهم السيجان شواربهم كالصياصي ونعالهم مخرطة يعني شواربهم ماس تلوح وأصل الصياصي القرون وهو جمع صيصة ومنه صيصة الديك الظفر الثاني الاماس مؤخر رجله كانه عظم وقوله عليهم السيجان يعني الطيالسة وهو جمع ساج وقوله نعالهم مخرطة أي لها عناق طوال معرقفة كالخراطيم وهي اكمام الاباريق وكان ابن عمر يقول للحلاق أبلغ العظمين فانهما منتهى اللحية يعني حدها ولذلك سميت لحية لان حدها اللحى فالزيادة على ذلك الحد والنقصان منه محدث * وذكر ما جاء في فعل بعض ذلك واستحبابه ان من العلماء من كان يأخذ من لحيته في المناسك وغيرها وان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت القبضة فلا بأس قد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وتركها عافية على خلقتها أحب الي وقد روينا خبرا من سعادة المرء خفة لحيته الا ان بعض الرواة رواه على معنى آخر فان لم يكن صحفه فهو غريب كان يقول فيه خفة لحيته أي بتلاوة القرآن ولا أراه محفوظا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم الصالحون بعده يسرحون لحاهم لاجل الدين والسنة وتنظيفا للطهارة ونزع التفث من القمل وغيره ولاسقاط شعر ميت ان كان هناك وقد كان من الزهاد من يترك لحيته متفتلة لا يسرحها شغلا عن نفسه والصدق بعينه حسن والصدق في كل شيء حسن قال بعضهم رأيت داود الطائي متفتل اللحية فقلت يا أبا سليمان لو سرحت لحيتك فقال اني اذا لفارغ الا ان رسول صلى الله عليه وسلم كان يدهن شعره ويرجله غبا وأمر بذلك فقال وادهنوا غبا وقال من كانت له شعرة فليكرمها ودخل رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كانه شيطان وقد روينا في خبر غريب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرح لحيته في كل يوم مرتين وفي خبر أغرب منه قالت عائشة رضي الله تعالى عنها اجتمع قوم بباب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج عليهم فرأيته يطالع في الحب ليسوي من رأسه ولحيته وفي الخبر المشهور انه كان يمشط لحيته في كل يوم وان المشط والمدرى لم يكن يفارقه في سفر ولا حضر فهذه سنة العرب المعروفة فيهم وكان عليه الصلاة والسلام عليها وكانت من أخلاقه وقد كان الشباب يتشبهون بالكهول تفضيلا للكهول غير عجب بالشباب ولا فخر بالحداثة وفي الخبر خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم وفي الحديث ان من اجلال الله تعالى اجلال ذي الشيبة المسلم وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب ويرون فضلهم بالعلم والدين تواضعا واخباتا لا تكبرا بالكبر ولا غلوا كان عمر رضي الله تعالى عنه يقدم ابن عباس وهو حدث السن على

بذيلها بل هذا كصبي علم انه وان لم يزعق بامه فانه انما طلبه وان لم يتعلق بذيلها او تبتدئ بارضاءه وان لم يطالب بها ذلك فيكون هذا الشخص في حق الله تعالى ساقط الاختيار ليس بقلبه اضطراب بل يتلقى القدر والاحكام بالرضا والتسليم مع التفويض

* (فصل) * واعلم ان التوكل لا ينافي السبب لان التوكل هو الاعتماد على الله تعالى وهو من أعمال القلب والسبب من أعمال الجوارح فاذا كان الانسان معتمدا بقلبه على الله تعالى يرى الامور كلها من الله تعالى ويعتقد أن الله تعالى يخلق الرزق عند السبب كما هو مذهب أهل السنة كان بعضهم متوكلا مع تعاطيه السبب واعلم ان القدرية كالمعتزلة والحرورية والزيدية وأشباههم من القائلين بالقدر لا يرون حقيقة التوكل أصلا لانهم وقفوا عند الاسباب ورأوا لقدرهم تأثيرا فما فوضوا الى الحاكم الرحيم الحكيم القدير العليم الخبير فالتوكل من ثمرات العلم والاعتقاد بانه لا فاعل الا هو ولا موجد سواه وكذلك من تعلق قلبه بالاسباب والوسائط لم يصلح له التوكل قال أويس القرني رحمة الله عليه من كثر كده وتعلقه بالاسباب فهو ممن خالط الشك قلبه يعني وهو توكل لمن هذا حاله قال العلماء بالله تعالى ويعرف شك الرجل بكثرة كده وكده في الدنيا ويعرف يقينه بدوام سكونه ومن لم يثبت القدر في

أكابر الصحابة ويسأله دونهم وروى عن ابن عباس وغيره ما آتى الله تعالى عبدا العلم قط الا شابا والخير كله فى الشباب ثم تلا قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وتلا قوله سبحانه انهم فتية آمنوا بربهم وقوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا وقد كان أنس بن مالك اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبض وليس فى شعر رأسه وشعر لحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل وله يا أبا حمزة وقد اسن قال لم يشنه الله تعالى بالشيب قيل أوشين هو قال كلكم يكرهه ويقال ان يحيى بن أكثم ولى القضاء وسنه احدى وعشرون سنة فقال له رجل ذات يوم وهو فى مجلسه يريد ان يحشمه بذلك كم سن القاضى أيده الله تعالى فقال مثل سن عتاب بن أسيد حيث ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاءها فأفحمه وروينا عن مالك بن مغول قال قرأت فى بعض كتب الله عز وجل لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال بعض الادباء كلما طالت اللحية تشمر العقل وقال أبو عمرو بن العلاء اذا رأيته طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال المعاوية رحمه الله تعالى يتبين حمق الرجل من طول قامته وعظم لحيته وفى كنيته ونقش خاتمه وكان ابراهيم النخعى ومثله من السلف يقول عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته فيجعلها بين لحيتين فان التوسط فى كل شئ حسن وأنشدت لبعض الظرفاء

لا تعجبن بلحية * كبرت منابتها طويله

تهوى بها عصف الريا * ح كأنها ذنب الحسيله

قد يدرك الشرف الفتى * يوما ولحيته قليله

وأنشد لبعض العرب لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى * ولكنما الفتيان كل فتى ندى

ولم يكن الاشياخ يستنكفون ان يتعلموا من الشباب ما جهلوا ولا يزرون عليهم لصغر سنهم اذ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا مانع لما أعطى الله من صبى أو غيره ولا معطى لما منع الله من كبير أو غيره وقال أبو أيوب السختيانى انى أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه فيقال له تتعلم من هذا فيقول نعم أنا عبده ما دمت أتعلم منه وقال على بن الحسن من سبق اليه العلم فهو امامك فيه وان كان أصغر سنا منك وقيل لابى عمرو بن العلاء أيحسن للشيخ الكبير أن يتعلم من الصغير فقال ان كانت الحياة تحسن به فان التعلم يحسن به فانه يحتاج الى العلم ما دام حيا وقال يحيى بن معين لاحمد بن حنبل وقد رآه يمشى خلف بغلة الشافعى رضى الله تعالى عنه يا أبا عبد الله تترك حديث سفيان بعلو وتمشى خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال أحمد لو عرفت منه ما أعرف لكنت تمشى من الجانب الآخر ان علم سفيان ان فاتنى بعلو ادركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتنى لم ادركه بعلو ولا نزول وسمعت ابا بكر بن الجلاء يقول انى لارى الصبى يعمل الشئ فاستحسنه فاقتدى به فيكون امامى فيه وما رأيت أشد تواضعا منه على علمه وزهده فأما معنى الخبر الذى روى لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أكابرهم فاذا أتاهم عن أصاغرهم هلكوا فان ابن المبارك سئل عن معنى ذلك فقال أصاغرهم أهل البدع لانه لا صغير من أهل السنة ممن عنده علم ثم قال كم من صغير السن حملنا عنه كبير علم وقد قيل ان قوله عن أكابرهم يعنى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مواطئ للخبر الآخر لا تزال أمتى بخير ما دام فيهم من رآنى وليأتين عليهم زمان يطلب فى اقطار الارض فلا يوجد احد رآنى كيف وقد جاءت بذلك اللفظة ذكرتها لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أكابرهم فاذا أتاهم عن أصاغرهم استعلى الكبير على الصغير فهلكوا أى فذلك خشية ان لا يتعلم منه لما ذكرنا من الحياء والتكبر والاستنكاف ووجه آخر هذا مجازه عندى على الخبر والكون لا على الذم لانه قد جاء فى الاثر وصف هذه الامة فى أول الزمان يتعلم صغارها من كبارها فاذا كان آخر الزمان تعلم كبارهم من صغارهم فاذا كان كذلك فهذا تفضيل الاصاغر وتشريف هذه الامة على سالف الامم لانهم لم يكونوا يعملون العلم الا عن القسيسين والرهبان والاشياخ العباد والزهاد وأخبر ان هذه الامة فى آخر

الرزق لم يثبته فى الدنيا فالايمان بالقدر والتصديق به يقتضى التوكل وسكون القلب والطمانينة وداعى الله تعالى يدعو الى ذلك وداعى النفس والشيطان والهوى والشهوات يدعو الى الحركة للاسباب طمعا فى استعجال الرزق فمن التجأ الى الله تعالى واطمأنت نفسه الى كفالته بالرزق فقد أجاب داعى الله تعالى الى التوكل وخالف داعى النفس والشهوات الى الحركة والكد وأكثر العقلاء صدقوا بما أنزل الله تعالى وبما جاءت به الرسل ولم يحققوا ذلك بأعمالهم ولا عملوا فى تصحيحه فى سرائرهم فألسنتهم تقر بالتصديق وأعمالهم تشهد عليهم بالنفاق وهذه الطبقة من الناس داخلة فى عموم أصحاب اليمين وطبقة أخرى من الناس حققوا ايمانهم باجتناب المحارم كلها الا أنهم شرهت نفوسهم على لذات الدنيا وانهمكوا فيها فما سكنت نفوسهم بالوعد كما انتهت بالوعيد عن المحارم وطبقة أخرى حققوا ايمانهم باجتناب المحارم وبالسكون الى وعد الله تعالى بترك الحركة والتعلق بأسباب الدنيا فهذه الطبقة من بين سائر المسلمين هى التى استمسكت بحقائق الايمان وحقق عملها اقرارها وصح اجتهادها تصديقها لانها سكنت بالوعد وانتهت بالوعيد وهؤلاء هم السابقون المقربون

(فصل) ولم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يدخر شيئا ومات ولم يخلف دينارا ولا درهما ولا أثاثا ولا متاعا سوى لامة

الزمان تفضل سالف الامم فى أول أزمنتهم بان يتعلم الكبير من الصغير كما فضلهم الله تعالى به فذلك أشد وطأ الخبر الآخر أمتى كالمطر لا يدرى أوّله خير أم آخره ولمثله من الشاهد كيف تهلك أمة أنا فى أولها والمسيح ابن مريم صلى الله عليه وسلم فى آخرها وقد روينا فى الخبر لا تحقروا عبداً آتاه الله تعالى علماً فان الله تعالى لم يحقره ان جعل العلم عنده وكان شعبة يقول من كتبت عنه حديثاً أو تعلمت منه علماً فانا عبده وقال مرة اذا كتبت عن الرجل سبعة أحاديث فقد استرقنى فاما الخضاب بالسواد فقد روى ان بعض العلماء ممن كان يقاتل فى سبيل الله تعالى كان يخضب بالسواد ولكن لم يكن هذا يخضب به لاجل الهوى وتدليس الشيب انما كان يعد هذا من اعداد القوة من العدة لاعداء الله تعالى بمعنى قول الله عز وجل وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة واظهار الشباب من القوة وقد رمل رسول الله صلى الله عليه وسلم واضطبع هو وأصحابه ليراهم الكفار فيعلموا ان فيهم جلداً وقوة ومن صنع شيأ بنية خالصة صالحة يريد بذلك وجه الله تعالى وكان عالماً بمذهب له ذهب اليه فهو فاضل فى علمه وفعله وان كان ذلك من أدون أعماله لم ينبغ ان يستن به فيه لانا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من شر الناس منزلة عند الله من يقتدى بسيئة المؤمن ويترك حسنته فأخبر ان للمؤمن سيئة وان من شر الناس من تأسى بها معذرة لنفسه فى هواها

(باب ما ذكر من نوافل الركوع وما يكره من النقصان منه)

قال الله سبحانه وتعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم روينا عن على رضى الله تعالى عنه انه فسره قال ركعتا الفجر وكذلك فسر قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود قال ركعتا المغرب وهذا على قراءة من كسر الالف فأما من نصبها فان معناه ادبار الصلوات أى أعقابها وأواخرها والتسبيح اسم الصلاة النافلة لكون التسبيح فيها وتسمى النافلة سبحة فمن سنن الركوع واستحبابه ادبار الصلوات وقبلها الذى لا يستحب ترك شئ منه وبعضه أوكد من بعض سبع عشرة ركعة مجموع من خمسة أحاديث حديث على رضى الله تعالى عنه انه سئل عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهار فقال ست عشرة ركعة وحديث ابن عمر حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر ركعات وحديث أبى أيوب الانصارى فى الصلاة قبل الظهر وحديث أنس بن مالك وعائشة فى الصلاة بعد العشاء الآخرة وفى الوتر وخبر أم حبيبة الوارد بالفضل من العدد من صلى فى يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله تعالى له بيتاً فى الجنة وخبر غريب يرويه أهل البيت مواطئ لبعض ما ذكرناه ان الله تعالى فرض عليكم فى اليوم والليلة سبع عشرة ركعة وسننت لكم مثلها أول ذلك ركعتا الفجر وهما سنة مؤكدة وأربع قبل الظهر وهن مستحبات مؤثرة فى الاستحباب وركعتان بعدها وهما سنة وأربع قبل العصر جاءت يدخل فى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وركعتان بعد المغرب وهما سنة مؤكدة وثلاث ركعات الوتر مؤكدة فاما حديث على رضى الله عنه فانه ذكر من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يذكره غيره انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات فى وقتين اذا أشرقت الشمس وارتفعت قام فصلى ركعتين وهذا هو الاشراق وهو الورد الثانى من النهار واذا انبسطت الشمس وكانت فى ربع السماء من المشرق ومثلها حين تكون فى ثلاثة أرباع السماء من صلاة العصر صلى أربعاً وهذا هو الضحى الاعلى والورد الثالث من النهار والمواظبة على هذه الصلاة بمراعاة هذين الوقتين من عزائم الاعمال وفواضلها وذكرت أم هانئ أخت على رضى الله عنه انه صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا العدد غيرها وأما عائشة رضى الله تعالى عنها فانها ذكرت انه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى أربعاً ويزيد ما شاء الله فلم تحد وقد روينا فى حديث منفرد ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصلى الضحى ست ركعات وقد روى أبو أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ تفرد به انه لم يكن يدع ان يصلى أربعاً بعد الزوال وقبل صلاة الظهر يقرأ فيهن بقدر سورة البقرة قال فسألته عن هذه الصلاة فقال ان أبواب السماء تفتح هذه الساعة ويستجاب الدعاء فانا أحب ان يرفع لى فيها عمل صالح وقد جاء فى حديث أم

حربه وفرسه ونعله التى كان يجاهد بها وعليها الكفار وكانت سنين الجوع والفاقة تحل به وبأهله وطالت عليهم أوقات الشدائد والقلة مع أنه قد أعطى مفاتيح خزائن الارض فلم يمد يده الى شئ منها قالت عائشة رضى الله عنها وعن أبيها انه ليمر علينا هلال وهلال وما لنا طعام الا الاسودين الماء والتمر ولا توقد فى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم نار قيل لها أولا كنتم تسرجون سراجاً قالت لو كان لنا ما نستصبح به لتأدمنا به وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال أبو الدرداء رضى الله عنه يا أهل دمشق مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون ما تكفل لكم به تطلبون وما كلفتم به تضيعون واعلم ان أكثر الخلق انما تعلقوا بالاسباب وركنوا الى المخلوقين هرباً من أكلة بعد أكلة ومن خرقة بعد خرقة ولم يرضوا بضمان الله تعالى ولا ثقوا بكفالته حيث قال ان الله هو الرزاق وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها فالبسهم الله ثوب الذل وملأ قلوبهم بالفقر لركونهم الى المخلوقين واعراضهم عن الركون الى جنابه وأما أهل المعرفة بالله تعالى فان قلوبهم سكنت الى ما فى الغيب أشد من سكون أولئك الى ما فى اليد من الاسباب الظاهرة لا تدرى ما يحدث الله تعالى فيهم وما عند الله

حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مطهرا من صلى في يوم اثنتى عشرة ركعة غير المكتوبة بنى الله له بيتا في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب ورواه ابن عمر في حديثه حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل يوم عشر ركعات فذكرها الاقوله وركعتين قبل الفجر فانه قال تلك الساعة لم تكن ندخل فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن حدثتني أختي حفصة انه كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بعد العشاء الاخيرة أربع ركعات ثم ينام وقال أنس بن مالك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد وقد جاء في خبر انه كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا وفي بعضها متربعا وفي بعض الخبر اذا أراد ان يدخل في فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة ألهاكم التكاثر وفي رواية أخرى وقل يا أيها الكافرون فان أضعف العبد هذه السبع عشرة ركعة فعلها أربعا وثلاثين يداوم عليها او عجلها اوورده من الصلاة فهو أفضل وهذا مذهب أهل البيت واحتجوا فيه بخبر رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فرض الله تعالى على أمتي في اليوم والليلة سبع عشرة ركعة وسننت لهم مثلها وان كان الحفاظ من أهل النقل يضعفون هذا الحديث الا انه قال عليه الصلاة والسلام الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل وقال بين كل أذان واقامة صلاة لمن شاء فان فعل ذلك وراعاها على ما رتبه فهو مقارب لما ذكرناه آنفا من السنن والاستحباب قبل الصلوات الخمس وبعدها ركعتان قبل الفجر وأربع من الضحى وأربع قبل الظهر وأربع بعدها وأربع قبل العصر وست بعد المغرب وأربع قبل العشاء وست بعدها ثم يوتر بواحدة فهذا حينئذ نحو ما رسمناه وهو مشبه لما نقلناه من الآثار وليستند الى الخبر المأثور والى فعل أهل البيت وأكثر ما روى من صلاته بين العشاءين مما نقل عدده ست ركعات وأكثر ما روى من صلاة الضحى ثمان ركعات ومن صلاته بالليل ثلاث عشرة ركعة الاحديثا مقطوعا موقوفا على طاوس رواه ابن المبارك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي من الليل سبع عشرة ركعة فهو حديث شاذ وسائر الاخبار المسندة عن ابن عباس وعائشة وميمونة وأم حبيبة انما هي احدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة واستحب أن يصلي العبد قبل كل صلاة أربعا وبعدها أربعا الا المغرب صلاة قبلها ولا صلاة بعدها ثم يزيد بعد ذلك ما قسم الله تعالى له وأن يصلي الضحى ثماني ركعات ويواظب عليهن اذا أنشط لطالهن واذا فتر قصرهن فان المداومة على العمل عمل ثان وهو من أفضل الاعمال وأحبه الى الله تعالى والاقتصار على أربع يديمهن ولا أكره ان يصلي قبل المغرب ركعتين بعد غروب الشمس فقد قال أنس بن مالك كان الالباب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون ركعتين قبل المغرب وكان أبي بن كعب وعبادة بن الصامت وأبو ذر وزيد بن ثابت وغيرهم من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلونها وقال عبادة أو غيره كان المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السواري يصلون ركعتين وقال أيضا بعضهم كنا نصلي ركعتين قبل المغرب وذلك داخل في عموم قوله صلى الله عليه وسلم بين كل اذانين صلاة لمن شاء وقد كان أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يصليهما فعابهما الناس عليه وقال مرة لم أر الناس يصلونهما فتركتهما وقال ان صلاهما الرجل في بيته او حيث لا يراه الناس فحسن وذلك أستحب

(الفصل السابع والثلاثون) في شرح الكبائر التي تحبط الاعمال وتوبق العمال وتفصيل ذلك ومنازل أهلها فيها ومسئلة محاسبة الكفار قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فاشترط لتكفير الصغائر من السيآت اجتناب الكبائر الموبقات وقال صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة تكفر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر وفي لفظ آخر كفارات لما بينهن الا الكبائر فاستثنى من

تعالى هو الباقي يأتيه به على أوقاته ولم يؤت الخلق الامن اعتمادهم على الاسباب والركون البها فتركن كثير من العمال الى الطاعات واعتمدوا عليها ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة أحد بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتداركني الله برحمته وكان الواجب عليهم أن يتوكلوا على من يقيمون له الطاعات لا على الطاعات فيعملوا ويتوكلوا على الله لا على طاعتهم وهؤلاء هم أمثل من سواهم ممن اعتمد على الاسباب وما عداها ومن اعتمد على الاسباب هم فرق منهم فرقة توكلت على قوة البدن وصحة الجسم فمتى ضعف بدنه أو سقم جسمه تحير وانقطعت أعماله وكانت تلك الايام عنده شر أيامه وهؤلاء هم العتالون والحمالون وأرباب الصناعات باليد ومنهم من هو متوكل على رأس ماله ومتاجره والانفاق من أرباحه ومكاسبه فان قل كسبه أو نقص رأس ماله تراه قد قنط وحزن وكثر همه وغمه وقصر عن القيام بطاعة ربه كما قال تعالى فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون وهؤلاء التجار وأصحاب البيع والشراء ومنهم من هو متوكل على زرعه وأشجاره فان لم ينجب اضطرب قلبه وساء ظنه وهؤلاء أرباب الزراعة وأصحاب الغراس ومنهم من هو متوكل على اخوانه وأصحابه ومعارفه والدخول عليهم برفق وحيل ومعرفتهم له بالفقر وكثرة العيال وهؤلاء

كفارات الذنوب الكبائر فاختلف العلماء من الصحابة والتابعين فى الكبائر من أربع الى سبع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك فكان ابن مسعود يقول هن أربع وكان ابن عمر يقول الكبائر سبع وقال عبد الله بن عمرو هن تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر ان الكبائر سبع يقول هى الى سبعين أقرب منها الى سبع وقال مرة كل مانهى الله تعالى عنه فهو من الكبائر وقال هو وغيره كل ما توعد الله تعالى عليه بالنار فهو من الكبائر وقال بعض السلف كلما أوجب الحد فى الدنيا فهو كبيرة والصغائر عندهم من اللمم وهو ما لا حد فيه ومالم يتهدد بالنار عليه فقد روى هذا عن أبى هريرة وغيره وكان عبد الرزاق يقول الكبائر احدى عشرة وهذا أكثر ماقيل فى جملة عددها مجملا وقيل انها مبهمة لا يعرف حقيقة عددها كابهام ليلة القدر وساعة يوم الجمعة والصلاة الوسطى ليكون الناس على خوف ورجاء فلا يقطعون بشئ ولا يسكنون الى شئ وقد قال ابن مسعود فيها قولا حسنا من طريق الاستنباط وقد سئل عن الكبائر فقال اقرأ من أول سورة النساء الى رأس ثلاثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم فكل مانهى الله تعالى عنه من أول السورة الى ههنا فهو من الكبائر فاشبه هذا استدلال قول ابن عباس فى استنباط ليلة القدر انها الليلة سبع وعشرين انه عد كلم سورة القدر حتى انتهى الى قوله هى فكان سبعا وعشرين كلمة والله أعلم بحقيقة هذين القولين والذى عندى فى جملة ذلك مجتمعا من المتفرق سبع عشرة تفصيلها أربعة من أعمال القلوب وهن الشرك بالله تعالى والاصرار على معصية الله تعالى والقنوط من رحمة الله تعالى والامن من مكر الله تعالى وأربعة فى اللسان وهن شهادة الزور وقذف المحصن وهو الحر البالغ المسلم واليمين الغموس وهى التى تبطل بها حقا وتحق بها باطلا وقيل هى التى يقطع بها مال مسلم ظالما ولو سواكا من أراك وسميت غموسا لانها تغمسه فى غضب الله تعالى وقيل لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو ما كان من كلام أو فعل يقلب الاعيان أو يغير الانسان وينقل المعانى عن موضوعات خلقها والسحرة هم النفاثات فى العقد الذين أمر الله تعالى بالاستعاذة منهم وثلاثة فى البطن وهى شرب الخمر والسكر من الاشربة وأكل مال اليتيم ظلما وأكل الربا وهو يعلم واثنتان فى الفرج وهما الزنا وان يعمل عمل قوم لوط فى الادبار واثنتان فى اليدين وهما القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهى الفرار من الزحف الواحد من اثنين غير متحرف الى الامام ولا متحيزا الى فئة ولا معتقد الكرة وواحدة فى جميع الجسد وهى عقوق الوالدين وتفسير العقوق جملة ان يقسما عليه فى حق فلا يبر قسمهما وان يسألاه فى حاجة فلا يعطيهما وان يأمناه فيخونهما وان يجوعا فيشبع ولا يطعمهما وان يسبباه فيضربهما وذكر وهب بن منبه اليمانى أصل البر بالوالدين فى التوراة ان تقى مالهما بمالك وتؤخر مالهما وتطعمهما من مالك وأصل العقوق ان تقى مالك بمالهما وتوفر مالك وتأكل مالهما وفى حديث أبى هريرة الصلاة الى الصلاة كفارة ورمضان الى رمضان كفارة الا من ثلاثة اشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة ان تبايع الرجل ثم تخرج عليه بالسيف تقاتله * وقد روينا عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم بغير حق ومن الكبائر السبتان بالسبة وأما عبادة بن الصامت وأبو سعيد الخدرى وغيرهما من الصحابة فكانوا يقولون انكم لتعملون أعمالا هى أدق فى أعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر وهى فى بعض الالفاظ من الموبقات وقالت طائفة كل عمد فهو كبيرة وقال بعض السلف أربعة أشياء مبهمة لا يعلم حقائقها الصلاة الوسطى وليلة القدر وساعة يوم الجمعة المرجو فيها الاجابة والكبائر ذلك ليكون الناس على خوف من الوعيد فى الاتقاء وعلى رجاء من الوعد فى الابتغاء لئلا يقطعوا بشئ ولا يسكنوا الى شئ ولله عاقبة الامور فالذى ذكرناه من الخصائل هو من أوسط الاقوال وأعدلها وهو ما اتفقوا عليه وكثرت الاخبار فيه فهذه الكبائر الموبقات التى من اجتنبها كفرت عنه السيآت وثبتت له النوافل من الفرائض الخمس التى هى أبنية الاسلام وذلك ان دعائم الاسلام وهذه الكبائر قرينان يعتلجان ويتقاومان فى العظم والمعنى بالتضاد

فالكبائر

هم الكذبة ومنهم من هو متوكل على مرآته بلزوم المساجد واظهار الخشوع والعبادة والخشونة فى العيش وهم المراؤن ومنهم من هو متوكل على ذلاقة لسانه وبلاغته وفصاحته واقتداره على عمل الشعر وهجو الناس ومدحهم وهؤلاء هم الشعراء ومنهم من هو متوكل على علمه وفقهه ومعرفته بالجدل ووجوه النظر لينال بذلك التدريس والقضاء والفتيا ويعطى عليها الارزاق وهؤلاء هم الكثير من العلماء بالاحكام ومنهم من هو متوكل على مايستخرجه من الناس بسبب الوعظ والتذكير وعلم قد حفظه وحكايات ونوادر يتزين بها لمن يحضر مجلسه وهؤلاء هم الوعاظ والمذكرون فهذه أصناف المتوكلين على الاسباب المعتمدين عليها

(فصل) وأما من أقامهم الله تعالى فى مقام التوكل عليه فقد أمانهم بالتوكل وأحيا التوكل بهم روى الزهرى وغيره ان النبى صلى الله عليه وسلم نزل منزلا فى بعض أسفاره للغزاة فتفرق الناس عنه فى شجر العضاه يستظلون بها فعلق النبى صلى الله عليه وسلم سلاحه فى شجرة فجاء اعرابى الى سيفه وأخذه وسله من غمده ثم أقبل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى يا محمد مرتين أو ثلاثا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول الله فجلس الى جنبه فلم يعاتبه قال تعالى الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله قال النهرزورى

وقد وقع كمال التوكل بالحقيقة لابراهيم عليه السلام وذلك في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام أما اليك فلا لانه غاب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمع الله تعالى أحدا غيره قال العلماء رضي الله تعالى عنهم ومن أقامهم الله تعالى في مقام التوكل فهم الذين يتكلمون في علوم التوكل ويكشفونها للناس لانهم عرفوها بالمباشرة والمنازلة ومن ليس من أهل التوكل فليس له ان يتكلم في ذلك وكذلك لا يتكلم في علوم الزهد الامن هومن أهل الزهد فما أقبح حال من يتكلم في الشئ وليس من أهله فهذا المسكين يحث الناس على القرب من الله تعالى وهو يهرب منه قال صلى الله عليه وسلم المتشبع بمالم يعطه كلابس ثوبي زور وقال المستغني برأس مال غيره مفلس والانسان في خلقانه أحسن منه في جديد غيره وكان بعضهم اذا أكثر الواصفون الكلام على حقائق التوكل قال انالا ألتفت الى هذا انا أريد رجلا يقوم الساعة هذه من مكانه هذا ويدخل هذه البرية فيذهب الى مكة ولا يستصحب رفيقا ولازادا ولا يسلك طريق القوافل ولا الطريق الذي عليها منازل الاعراب ولا تحرك نفسه الى شئ مما يحتاج فاذالم يجبه أحد يقول لهم قد ذهبت أعماركم فيما لا ينفعكم حال لا تحمل صاحبها لا ينتفع بها فرحم الله عبدا تدبر ماوصفنا وتامل ماشرحنا فراع من قلبه ونهاه من دهمه ولا يتشاغل بالوصف والعلم ويترك العمل

قال كبائر كبرت فيكفر اجتنابها مادونها من الصغائر والفرائض الخمس التي هي أبنية الاسلام اذا تممت كفرت مابعدها من السيئات وثبت للعبد نوافله وتبدل سيآته حسنات فيكون له فضل عظيم يرجى له الجنة ومنازل العاملين وهو السابق بالخيرات قال الله تعالى ان تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وقال من بعد الكبائر الامن تاب وآمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر فالفرائض الاربع التي هي ابنية الاسلام منوطة بالصلوات الخمس لاتصح الابها كالشئ الواحد بمنزلة الاربع فالصلوات مرتبطة بالشهادتين ان ترك خصلة منها كان كترك الخمس لانها أس الاسلام وأبنية الايمان واجتناب الكبائر منوط بالشهادتين لايقع جميع ذلك الابهما فاذا انتهكت الكبائر أحبطت الاعمال الفرائض الخمس أحبطت مابينها من السيآت الا الكبائر فانها كبرت فلا تكفرها فلا يبقى للعبد يوم القيامة مع ارتكاب الكبائر من الاعمال الا الفرائض الخمس وقد أكل سائر نوافله ارتكاب الكبائر فيخاف عليه النار ومنازل المسرفين وهذا هو الظالم لنفسه وهو الذي حذر الله تعالى المؤمنين عنه قال يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ومنه قوله تعالى بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته قيل هي الكبائر أحاطت بجميع حسناته فمحقتها وعلى هذا اختيارنا هذا الحرف من مقراناو على الوجه الآخر وأحاطت به خطيئته هي الشرك الذي ختم له به فلم ينفعه عمل كان قبله فان قصر في الفرائض الخمس التي هي مباني الاسلام الا انه مجتنب الكبائر كفرت عنه سيآته كلها وتممت فرائضه بسائر نوافله لانها ثابتة له بعد ان يحصل له صحة التوحيد ويسلم من كبائر البدع التي تنقل عن الملة وهذا ممن استوت حسناته وسيآته فيطول وقوفه للحساب ويشاهد الزلازل والاهوال ليكون ذلك رجحان حسناته ويجعل من أصحاب الاعراف على أعراف السور وهي شرفه التي بين الجنة والنار وهو الحجاب الذي بين أهل النار وأهل الجنة الى ان يتفضل الله تعالى عليه بفضل رحمته فان سمح له مولاه فعفا عنه سقط عنه هذا كله وأدخل الجنة في أصحاب اليمين وهذا هو المقصد المتوسط بين الظالم لنفسه والسابق الى ربه فان لم يكن له نوافل مع نقصان فرائضه لم يبق له من أعماله الا اجتناب الكبائر فيوزن مابقي من عمله وهو اجتنابه الكبائر بفرائضه النواقص فان رجح اجتناب الكبائر مثقال ذرة أوفضلت له حسنة واحدة ضاعفها الله تعالى بالمزيد وتجاوز عن سيآته في أصحاب الجنة ولم تكن له مقامات المقربين ولا درجات السابقين وهو ممن قال الله سبحانه وتعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما يعني الجنة وان خف اضاعته الفرائض اسيئته كان من الموقنين للحساب الطويل واحتاج الى شفاعة الشافعين فان كان فرائضه الخمس ناقصة وكان مرتكبا الكبائر فهو من الهالكين لانه ممن خفت موازينه من المؤمنين وهذا من المسرفين هم أصحاب النار فيدخل النار لنقص اسلامه ولوفورسيآته عليه اذلم تمحها حسناته ولتطول نوافله بانتهاكه الكبائر ولان هذا انقص من مثقال دينار الا انه لا يكون من الخالدين لصحة توحيده وعلى انه أول من يخرج من النار من كان في قلبه مثقال دينار من ايمان فهو في أول طبقة يخرج هذا الى زنة شعيرة الى ذرة من ايمان وهؤلاء آخر الطبقات خروجا الى ان يبدو لبعضهم من الله تعالى مالا يحتسبه ويظهر له غدا مالا يعلمه فيعفى عن البعض ولا يجعل ممن حق عليه الوعيد لماسبق له من الكلمة الحسنى ويتجاوز عن سيآتهم في أصحاب الجنة وقد جاء في الخبر يؤتى بالرجل من هذه الامة فيسد به ركن من أركان جهنم وقد جاء في الخبر ان العبد ليوقف بين يدى الله عز وجل وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة فيقوم أصحاب المظالم فيوجد قد سب عرض هذا وأكل مال هذا وضرب هذا فيقص من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فيقول الملائكة يا ربنا قد فنيت حسناته وبقي طالبون كثير فيقال ألقوا من سيآتهم على سيآته وصكوا له صكا الى النار وقد جاء في الخبر ان آخر من يبقى في جهنم من الموحدين سبعة الاف سنة ورويناعن أبي سعيد الخدري

وغيره من الصحابة وفيه شدة وقال والله لا يخرج عبد من النار بعد أن دخلها حتى يقيم فيها سبعة آلاف سنة وهذا والله أعلم آخر من يخرج من النار لانهم يخرجون زمرا متفاوتون من اليوم والجمعة والشهر والسنة الى ستة آلاف سنة فأكثرهم ايمانا أقلهم مقاما وأقلهم مكثا أولهم خروجا أما أول زمرة تخرج من فى قلبه مثقال من الايمان فهذا أقلهم لبثا وأسرعهم خروجا الى شعيرة الى ذرة فهؤلاء أقلهم ايمانا وأنقصهم توحيدا وأعظمهم جرما وأشدهم على الله عنادا وهم أكثرهم مقاما وقد اشتهر خبر من يخرج من النار بعد ألف عام ينادى يا حنان يا منان فقال الحسن لما روى هذا الحديث يا ليتنى كنت ذلك الرجل لشدة خوفه خاف ان يدخلها باثم عظيم خوفه فخاف ان لا يخرج منها فتمنى ان يخرج منها بعد ألف عام *وقد جاء فى الخبر آخر من يخرج من النار وهو أيضا آخر من يدخل الجنة فلعله والله أعلم بعد سبعة آلاف سنة فيعطى من الجنة مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف رواه أبو سعيد وأبو هريرة رضى الله تعالى عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الحكمة فى ادخال البشر الى النار على ترتيب السكون انهم خلقوا من ماء ثم خالطه ما امتزج به من الاهواء فلا يستخرج ذلك الا بالنار فانها تخرج الماء مما مازجه حتى يخلص وانهم أيضا خلقوا من تراب الارض بمنزلة الخشب المعوج يقوم بالنار حتى يستقيم ثم يقطع عنه النار ويستقيم ذلك فعندها يصلح لغير النار وموضع الحكمة فى تخليد الكافرين والشياطين فى النار ان أرواحهم خلقت من جوهر النار فرجعت الى معدنها وهى أيضا سوداء مظلمة نارية وهم أيضا خلقوا لها لا يصلحون لغيرها بمنزلة الحطب والشوك والحراق الذى لا يصلح الا للنار فتبارك الله تعالى حكمته معتدلة فى الاشياء وحكمه غامض فيها ينظر بعين التعديل فيقسم بها المقادير بمعانى التنقيص والتفضيل ومجمل ما ذكرناه ان كل وصف يكون للعبد من الخير يكفر عنه سيآته فان نوافله ساقطة وكل وصف يكون له من الشر لا يحبط نوافله فان نوافله موفرة ثابتة ومن كان عاملا للحسنات وهو فى ذلك يرتكب بعض الكبائر فان اعمال بره وفضائله موقوفة الى التوبة فان تاب واستقام كفرت توبته ما سلف من كبائره وبدلت استقامته على الطاعة سيآته حسنات وأكثر ما يوبق الناس من الكبائر المظالم وأكثر ما يدخلهم النار ذنوب غيرهم اذا طرحت عليهم وكثير يدخلون الجنة بحسنات غيرهم اذا طرحت عليهم لانها صحيحة ثابتة وقد تبطل حسناتهم لدخول الآفات عليها بلغنى عن أبى عبد الله بن الجلاء ان بعض اخوانه اغتابه ثم أرسل اليه يستحله فقال لا أفعل ليس فى صحيفتى حسنة أفضل من حسناته أريد ان أزين صحيفتى بها وفى الحديث ذنب يغفر وذنب لا يترك فالذنب الذى يغفر ظلمك نفسك والذنب الذى لا يترك مظالم العباد والتوبة طريق السكل والرحمة تسعهم وباب التوبة مفتوح للكافة الى طلوع الشمس من مغربها وكل عبد توبته مقبولة ما لم تبلغ الروح الحلقوم ولم يعاين الملائكة فاذا بلغت الروح التراقى وعاينت الاملاك غلق عليه باب التوبة ومات على الاصرار وقيل من راق أى من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب وظن انه الفراق أيقن انه قد فارق الدنيا بمعاينة الآخرة وفارق الناس والاهل بمعاينة الملائكة فان مات عن غير توبة كان ممن قال الله عز وجل وحيل بينهم وبين ما يشتهون قيل التوبة كما فعل باشياعهم من قبل ولما قال تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن وحضور الموت يكون عند معاينة ملك الموت اذا خرجت الروح من جميع الجسم فلم يبق الا ما بين القلب والعينين فهو الوقت الذى قال الله عز وجل يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وهو الذى خوف منه فى قوله تعالى هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة يعنى عند الموت وهذا لاهل المعاينة أو يأتى ربك يعنى يوم القيامة وهذا لاهل البرزخ يوم يأتى بعض آيات ربك وهو اليأس الذى يقع عنده من الدنيا اليأس من طلوع الشمس من مغربها وهو آخر التوبة ويؤمن معه كل كافر فقال سبحانه يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أى من قبل المعاينة أو كسبت فى ايمانها خيرا قبل التوبة وهو الوقت الذى قال الله تعالى فلما رأوا بأسنا يعنى كشف الغطاء

بالذى وصف وعلم *(فصل)* سئل الحرث المحاسبي رحمة الله عليه هل يقطع المتوكل الاسباب فاجاب بان أكثر الاسباب تقطعه وهى الاسباب الذى تشين التوكل وهى التى منها الحرص والمكالبة على الدنيا وتشغله عن دوام السكون وتزيد فى اضطراب القلوب وتستعبد النفس وما لا يكون من ذلك لا يشين التوكل قال صلى الله عليه وسلم لذلك الاعرابى قيد ناقتك وتوكل فقيل له وما علامة سكون المتوكل قال أن لا يحركه ازعاج المستبطئ فيما ضمن له من رزقه ولا يلحقه فترة المتوانى عن فرضه مقبل على الله تعالى بقلبه ناظر بعلمه الى مجارى قدرته حسن عمله بحسب تدبير الله تعالى له فعندها أسقط عن قلبه اختياره لنفسه ورضى بما اختاره الله تعالى له قال وقال سهل بن عبد الله علامة ذلك ان لا يسأل فى الاعواز ولا يرد ما أتاه وهو على فاقة ولا يحبس عنده عمن يحتاج اليه وسئل هل ينقص من توكله شيأ اذا قصد الى أخ أو الى صديق لشدة جوعه أو قرض درهم فقال لا ينقص من توكله بذلك شئ لقوله تعالى أو صديقكم الآية وقد ذهب النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر الى بيت ابى الهيثم بن التيهان لاجل خصاصة كانت بهم فاكلوا عنده خبزا ولحما ورطبا وشربوا ماء باردا وسئل عن المتوكل كيف يدخل فى الاسباب فاجاب بانه يأخذ البلغة لاقامة وقته حتى يؤدى

الغطاء قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني طريقته وشأنه الذي مضى في الخلق لا تبديل له ولن تجد لسنة الله تبديلا وحكم العباد كلهم في المعاد الى الله عز وجل ان عذبهم فبما اكتسبوا ويعفو عن كثير وان شاء ان يغفر لهم وهو الغفور الرحيم وقد يتفاوت الناس في جميع ما ذكرناه من أداء الفرائض ومن ارتكاب المعاصي والعرف والتخلق بأخلاق النفس من عادات ابناء الدنيا وعرف معاشرتهم فيما بينهم فان ذلك حال الغافلين ومقام الجاهلين غير محمود العاقبة ولا مغبوط الخاتمة ولا يترك العمل الصالح أيضا خشية دخول الآفة ولا يدعه ان كان داخلا فيه لما يعتريه فيه ذلك بغية عدوه منه لكن يكون على نيته الاولى من جهة القصد فان دخلت عليه علة وضع عليها دواءها فعمل في نفيها وازالتها وثبت على حسن نيته وصالح معاملته ولا يدع عملا لاجل الخلق حياء منهم وكراهة اعتقادهم فضله لان العمل لاجل الناس شرك وتركه لاجلهم رياء وترك العمل لاجل دخول الآفة فيه جهل وتركه عند دخول العلة عليه ضعف ووهن ومن دخل في العمل لله تعالى وخرج منه لله تعالى لم يضره ما كان بين ذلك بعد ان ينفيه ولا يساكنه وقد يضره ما يكون بعد ذلك مثل ان كان سرا فاظهره بعد زمان فصار علانية فنقل من ديوان السر الى ديوان العلانية ومثل ان يتظاهر به ويفتخر ويدل به ويتكبر فيحبط ذلك عمله لانه قد أفسده والله لا يصلح عمل المفسدين ومن دخل في العمل لله تعالى ودخل عليه في وسط العمل علة تخرج من العمل بها ابطال عمله ومن دخل في العمل بآفة وخرج منه بصحة سلم له عمله وجبر بآخره أوله وأفضل الاعمال ما دخل في أوله لله تعالى وخرج منه بالله تعالى ولما تطرقه فيما بينهما آفة فيكون لله تعالى هو الاول فالآخر معه وعنده ثم يظهره بعد ذلك ولا يتظاهر به وأفضل النيات ان لا تريد بعملك الا وجه الله تعالى وحده تعظيما لحق الربوبية والزاما للنفس وصف العبودية فان لم يكن هذا المقام عن مشاهدة وجه ذي الجلال والاكرام فشاهده ما رغب فيه وشوقه اليه من الآخرة عن مقام الرجاء ولا ينبغي للعبد ان يدخل في شئ حتى يعلم علمه فيكون داخلا في علم يعلم مثله لان لله سبحانه وتعالى في كل شئ حكما فما علم من ذلك حمد الله تعالى عليه وعمله وما جهل سأل عنه من هو أعلم به وما أشكل عليه أمسك عنه حتى يستبين له وجهه فيقدم عليه أو يتركه وليكن ما تحرك فيه أو سكن عنه أو توقف عن الاقدام عليه ابتغاء مرضاة الله تعالى تقربا اليه لاجل الله تعالى فهذا أعلى النيات وهو غاية الاخلاص * ومن أراد بأعماله ما عند الله تعالى من ثواب الآخرة من حظوظ نفسه ومعاني شهواته ولذته من النعيم في الجنان واتخاذ الحور والحسان مما وصف الله تعالى وندب لم يقدح ذلك في اخلاصه ولم يغير صحة نيته من قبل ان الله تعالى مدحه ورغب فيه ووصفه وكان ذلك مزيده مثله الا ان هذا نقص في مقام المحبين وعيب عندهم كعيب من عمل لعاجل حظه من دنياه وهو شرك في اخلاص الموحدين الذين اختصوا بالعبودية فعتقوا من أسر الهوى بالحرية فلم يسترقهم سوى الوحدانية لما شهدوا من خالص الربوبية واخلاص العبودية للربوبية أشد من اخلاص المعاملة ضرورة الا ان من رزق المقام منهما دخل بحقيقة لا اخلاص المعاملة ضرورة فلا ينقيه ولا يصفيه عمل ولا مجاهدة فكانوا مخلصين وهذا مقام المحبين وانما أتعب المريدين بالتنقية والتصفية للمعاملة لما بقي عليهم من الشرك الخفي والشهوة الخفية كما أتعب خدام الدنيا بالجمع لها لما استرقهم من الهوى فأما الاحرار فهم من خدمة الخلق براء وهذا يذهب الاخلاص ويفسد النية ويدخل الانتقاص وما تلف له من شئ أو ظلم من حقه فلينو بذلك الذخر عند الله تعالى ويجعله في سبيل الله بحسن ظنه بالله تعالى وصدق يقينه فان له من ذلك ما نوى * حدثونا عن رجل رؤي بعد وفاته فسئل منه كيف رأيت أعمالك فقال كل شئ عملته لله تعالى وجدته حتى حبة رمان التقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيت ذلك كله في كفة الحسنات قال وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرأيته في كفة السيئات قال وكان قد نفق لي حمار قيمته مائة دينار فما رأيت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وهذا حمار قيمته مائة دينار ولا

الفرائض بسكون من قلبه ان أعطى شكر وان منع صبر ورضا بسكون من قلبه وسئل كيف وقع الاضطراب للخلق في الرزق وعدم السكون مع وجود الضمان به من المليء والصادق الوفي فقال وقع الاضطراب للخلق من وجهين أحدهما من قلة المعرفة بحسن الظن بالله وقلة المعرفة بنفي التهم عن الله تعالى الثاني معارضة دواعي الهوى بخوف القوت فتستجيب النفوس للدواعي فيضعف اليقين لان الله تعالى ضمن الارزاق وغيب الاوقات ليختبر النفوس ويمتحن أهل التوكل عقولهم وسئل الحرث المحاسبي عن التداوي هل يشين التوكل قال لا وحديث من استرقى أو اكتوى فقد برئ من التوكل محمول على البراءة من توكل أرباب النهايات وقد ترك النبي صلى الله عليه وسلم الدواء مرة واستعمله أخرى فترك التداوي لانه مقتضى مقامه في نفسه واستعمل الدواء لقصد التشريع وبيان الجواز الذي وجب عليه اظهاره وتبليغه وسئل أيضا هل يستوي عند المتوكل السبع والسنور والسفر والحضر فقال نعم يستويان عنده في المقدار لمعرفة مجاري القدرة وقيام الحكم ونفاذ المشيئة من الله تعالى في خلقه ولا يستوي ذلك في الطباع لان المتوكل يعلم ان الامور كلها بيد الله تعالى وان الضر والنفع اليه وان الله تعالى لو سلط عليه السنور لكان أضر عليه من السبع ان كف عنه السبع

أدرى له ثوابا فقيل انه وجه حيث بعثت به لانك قلت لما قيل لك مات الحمار فقلت فى لعنة الله تعالى أما بطل أجرك ولو قلت فى سبيل الله لوجدته فى حسناتك * وفى رواية أخرى قال وتصدقت يوما بصدقة بين الناس فاعجبنى نظرهم الى فوجدته لا على ولا لى قال سفيان وقد رووا هذا ما أحسن حاله حيث وجدها لا له ولا عليه فقد أحسن اليه ومن أوذى أو اغتيب فليحتسب عرضه عند الله تعالى فلعل ذلك يكون سببا لنجاته فقد روى ان العبد ليحاسب على أعماله كلها فتبطل بدخول الآفات فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له أعمال من الحسنات لم يكن عملها فيستوجب بها الجنة فيعجب من ذلك فيقول يارب هذه أعمال ما عملتها فيقال هى أعمال الذين اغتابوك وآذوك وظلموك جعلت حسناتهم لك ولا تحقرن شيأ من الاعمال وان قل فتخليه من النية أو تصغره فربما كان هلاكه وعطبه فيه وهو لا يعلم وقد روى ابن المبارك عن الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول بينى وبينك الله تعالى فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت من حائطى تبنة وان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول هذا أخذ من ثوبى خز بيرة ومات حماد بن أبى سليمان وكان أحد علماء أهل الكوفة فقيل للثورى ألا تشهد جنازته فقال لو كانت لى نية لفعلت ومات الحسن البصرى فلم يحضر ابن سيرين جنازته فسئل عن ذلك فقال لم يكن لى نية وقد كان العلماء اذا سئلوا عن عمل شئ أو سعى فيه يقولون ان رزقنا الله نية فعلنا ذلك وقال يحيى بن كثير حسن النية فى العمل أبلغ من العمل وقال بعض السلف كانوا يستحبون ان يكون لهم فى كل شئ نية وقال الفضيل بن عياض لا تحدث الابنية وكان بعضهم يقول الخوف على فساد النية وتغيرها أشد من ترك الاعمال وقال الثورى من دعا رجلا الى طعامه وليس له نية فى ان يأكل فان أجابه فأكل فعليه وزران وان لم يجبه فعليه وزر واحد فصير عليه وزر من مع أكل طعامه بغير نية لتعرضه للمقت وحمله أخاه على ما يكره اذ لو علم لما أجابه فمن أفهمه الله تعالى اخلاص النية وزاده معرفة الاخلاص أخرجه ذلك الى الهرب من الناس ليخلص له معاملته لانه ينظر بعين اليقين واذ لا ينفعه شئ الا شئ بينه وبين الله عز وجل لا شريك فيه لسواه وهذا المعنى هو الذى أخرج طائفة الابدال الى الكهوف تخليا من أبناء الدنيا لخلاص أعمالهم الى النظر اليهم فهم وان فارقوا فضائل الاعمال من صلاة الجماعة وغيرها فقد تقرر عندهم ان اجتناب معصية واحدة خير من عمل سبعين طاعة فلذلك فارقوا فضول النوافل خشية دخول معصية واحدة عليهم والجاهل بالله عز وجل يعمل فى طلب الفضائل ولا يبالى بيسير الذنوب وفيها بعد من الله تعالى وليس ذلك طريق المقربين وقد تختلف النيات لاختلاف المقاصد فيصير ما كان بعداقربا بحسن النية وما كان حسنا سيأ لسوء النية به من ذلك ان داود المحبر لما صنف كتاب العمل جاء أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد صفحا ثم رده اليه فقال مالك قال فيه أسانيد ضعفاء فقال له داود أنا لم أخرجه على أسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت بعين العمل فانتفعت به قال أحمد رده على حتى أنظر فيه بالعين التى نظرت بها فرده عليه فمكث الكتاب عنده طويلا حتى اقتضاه اياه ابن المحبر ثم رده عليه وقال جزاك الله خيرا قد انتفعت به منفعة بينة وقال الحسن النية أبلغ من العمل وقال ابن آدم لايهم بخير الا ثار فى قلبه منه نوران فان كانت الاولى لله عز وجل فلا تضره الآخرة يعنى ان كان عنده الاخلاص فى الخير فى الهمة الاولى فلا تضره الوسوسة التى تخالجه بعد ذلك فانها ضعيفة لا تحل قوة العقد ولا تحل محكم مبرمه وقال يوسف بن أسباط تخليص النية من فسادها أشد على العاملين من طول الاجتهاد * وحدثونا عن بعض الصوفية قال كنت فاعماع أبى عبيد التسترى وهو يحرث أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشئ فقال أبو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عينى فقلت لابى عبيد ما قال لك فقال سالنى ان أحج معه فقلت لا فقال ألا فعلت قال ليس لى فى الحج نية وقد نويت ان أتم هذه الارض العشية فأخاف ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لانى أدخل فى عمل الله تعالى شيأ غيره فيكون هذا عندى أعظم من سبعين حجة ومن كان له فى مباح نية

وكذلك لايستوى عنده الدينار والدرهم من طريق الطبع ويستويان عنده فى المقدور لان الله تعالى اذا جعل له البركة فى الدرهم كان أنفع له من الدينار اذا نزع منه البركة فيستويان فى المقدور ولا يستويان فى النظر والمعاملة انما تكون كذلك اذا استغرقت عظمة الله تعالى همومه واستوفى قلبه معرفة قدرته فصغر عند ذلك كل ما دونه عنده كما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه أخذ باذن السبع وطرده فلما عظمت هيبة الله فى صدورهم لم يهابوا معه غيره فى الفزع

(فصل) قدمنا فى غير ما موضع من الفصول السابقة ان السبب لا ينافى التوكل وكيف ينافيه مع أن ترك التسبب للمضطر أو لمن له عيال حرام وسئل بعضهم عمن خرج من قلبه أكثر الاغيار وبقى عنده يسير منها فقال المكاتب عبد ما بقى عليه درهم ولا تحصل الحرية الا لمن عتق كله من العبودية قال عليه الصلاة والسلام تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وكذا ترك التداوى والاستسلام للمهلكات حرام فمن احتاج الى القوت وتعاطى السبب لاجل القوت ولم يتكل على السبب بقلبه بل على خالقه ومسببه فهو متوكل وكذا استصحاب الزاد فى السفر فى البوادى لا ينافى التوكل بل هو سنة الاولين وانما الذى ينافى التوكل هو تعلق القلب به وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين وقد كان يحمل معه الزاد فى الاسفار

ولم

ولم تكن له نية فى فضيلة فالافضل هو المباح حينئذ وقد انتقل المعنى فصار المباح هو الفضيلة وصارت الفضيلة هى النقيصة لعدم النية فيها وهذا لا يعلمه الا العلماء بباطن العلم وهو من غوامض التصريف مثل ان يكون رجل قد ظلم فله ان ينتصر وان عفا كان أفضل الا انه له نية فى الانتصار وليس له نية فى العفو فالانتصار هو الافضل ومثل ان تكون له نية فى الاكل والشرب والنوم ليتقوى بها على الطاعة ويريح بها نفسه لوقت آخر وليس له فى الصوم ولا فى القيام نية فقد صار الاكل والنوم حينئذ هو الافضل وقد كان أبو الدرداء يقول انى لاستجم نفسى ببعض اللهو ليكون ذلك عونا لى على الحق وكل عمل مباح للعبد فيه نية فهو مأجور عليه وكل عمل فاضل لا نية للعبد فيه فاحسن حاله السلامة منه لا له ولا عليه وربما كان مأزورا فيه اذا دخلت عليه نية دنيا وكل عمل مباح أو فضل ليس للعبد فيه نية فهو عمل لا شئ له فيه ولكنه يسئل عن فراغ وقته وكل عمل فاضل للعبد فيه نية فالعمل باطل ونيته هوى وانما وجد النية فيه لقصور واختفاء لشهوته فان أراد به وجه الله تعالى سلم من عاقبته ولا فضيلة له به وان كان قد خفى عليه الهوى أو دق عليه لطيف حب الدنيا لجهله بالعلم فهو مأثوم فيه لتقصيره فى طلب العلم الذى يعرف به الاخلاص وسكونه على الجهل الذى يدخل منه الانتقاص ولا عذر له فى ذلك وقد جاء فى الخبر ان الله تعالى لا يعذر على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه وقد قال الله سبحانه وتعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون * وقد كان سهل رحمه الله تعالى سئل ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل قال نعم قيل ما هو قال الجهل بالجهل يعنى ان يكون العبد جاهلا وهو لا يعلم انه جاهل أو يحسب بجهله انه عالم فيسكت عن جهله ويرضى به فلا يتعلم فيضيع فرض الفرائض وأصل الفرائض كلها وهو طلب العلم ولعله ان يفتى بالجهل أو يتكلم بالشبهات وهو يظن انه علم فهذا أعظم من سكونه وكذلك أيضا ما أطيع الله تعالى بمثل العلم ومن العلم العلم بالعلم أى شئ هو وذلك أيضا واجب من حيث كان العلم واجبا ليكون على بصيرة ممن تعلم العلم لانه قد دخل مذهب المتكلمين وأقوال الغالطين من الصوفية والقصاص فى شبهات العلم فصار زخرفا من القول غرورا اشتبه العلم وليس بعلم لالتباس المعنى بعضه ببعض ولاشكال دقائق العلوم وغرائبه وخفاء السنة من طريقة علماء السلف فاختلط لذلك القصاص والمتكلمون بالعلماء فصار معرفة العلم أى شئ هو والعلم بالعالم من هو علم آخر وصار العالم بالعلم ما هو دون الزخرف من القول كانه عالم فكان أيضا العلم بالعلم بمنزلة فضل العلم ووجب وجوبه كما كان الجهل بالجهل أعظم من الجهل وقد كان سهل رحمه الله تعالى يقول قسوة القلب بالجهل من قسوته بالمعاصى لان الجهل ظلمة لا ينفع البصر فيه شيأ ونور العلم يهتدى به القاصد وان لم يمش * وقد قيل فى تفسير قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قال عملوا أعمالا جهلهم ظنوا انها حسنات فوجدوها سيآت وقيل ذنوب غيرهم طرحت عليهم فعذبوا بها ولم يكونوا يحتسبون بما فى الدنيا يعنى هذا مثل ما روى فى الخبر ان العبد ليرى من أعماله الحسنات ما يرجو به المنازل فى الجنة فتلقى عليه سيآت لم يعملها فترجح بحسناته كلها فيستوجب النار فيقول يارب هذه سيآت ما عملتها لكنت بها فيقول هذه ذنوب القوم الذين اغتبتهم وآذيتهم وظلمتهم ألقيت عليك وتخلصوا منها وقد روينا فى معناه حديثا مسندا عن النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد ليوافى القيامة بحسنات أمثال الجبال لو خلصت له دخل الجنة ويأتى قد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته ولهذا من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة ياربنا قد فنيت حسناته وقد بقى طالبون كثير فيقول الله تعالى ألقوا عليه من سيآتهم ثم صكوا له صكا الى النار وينبغى للعبد ان أراد ان يعمل عملا ان يثبت له فيجرد له نية حسنة ثم يقف وقفة فيتفقد هل يدخل عليه فى ذلك آفة واحدة أو أكثر فيخرج ما دخل عليه من الآفات بمشاهدة اليقين ثم يعمل ذلك العمل لله وحده لا شريك له فى قصده ووجده وطلبه وثوابه سواه ثم يستقيم على ذلك العمل فان دخلت عليه آفة فى خلاله نفاها حتى يكون قائما بشهادته فهذا

وكذلك الصحابة رضى الله عنهم حملوا معهم الزاد فى الاسفار وفيهم المتوكلون وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يحمل الزاد فى السفر الا لبيان ان حمله سنة ليقتدى به فيها وأما التوكل فكان حاله لان قلبه لم يتعلق بالزاد ولا بشئ من الدنيا وانما كان ينوى بحمله معه عون المسلمين واعانة المحتاجين وارفاق غيره ممن هو ضعيف فى التوكل فان قيل فالقوى فى التوكل كالنبى والولى اذا انفرد بالسفر هل الافضل فى حقه حمل الزاد أو تركه قلنا الافضل فى حقه الترك فان قيل هل الافضل هو الاصلح فى حقه قلنا الافضل غير الاصلح لان الافضل المعلوم والاصلح غير معلوم اذ لا دليل يدل عليه فلا يلزم من كون الشئ أفضل أن يكون أصلح نعم قد يتفق أن يكون هو الاصلح ويعلمه النبى بوحى من الله تعالى فعلم بهذا كله ان السبب مطلقا لا ينافى التوكل وأما السبب الذى ينافى التوكل فهو الاستقصاء فى حال المعيشة واستنباط دقائق الامور والحيل فى تحصيل المال فان ذلك ثمرة الحرص وطول الامل وقد يحمل ذلك على تحصيل المال من جهة الشبهات وأما الادخار فان ادخر ليومه فقط لم يقدح ذلك فى كمال التوكل وان ادخر لسنة فما فوقها قدح فى كمال التوكل عند الاكثرين لما فيه من طول الامل وكذا الادخار لاربعين يوما فانه يقدح فيه عند سهل

هو الاخلاص لان الخالص يحتاج في اخلاصه الى شيئين ليس أحدهما أولى به من الآخر صحة القصد لوجه الله تعالى وطلبه ما عنده من الآخر ثم اخراج الآفات والحذر على ذلك العمل من دخولها عليه الى فراغه منه فبذلك يتم اخلاصه ويصفو من كدرة الهوى ويخلص من الشهوة الخفية فيكون خالصا من الرياء بالاخلاص صافيا من الشهوة بفقد دخول الآفة كما روى في الخبر أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية قيل حب الدنيا وقيل العمل لان يؤجر العبد ويحمد ثم اذا هم العبد بعمل وقف قبله وقفة فتدبره وتفكر كم فيه من نية فربما وجد في العمل الواحد عشر نيات أو خمسا ومابين ذلك لما يحتمل ذلك العمل من وجوه البر ومعاني القربات المندوب اليها فيكون له بكل نية عمل فيؤجر على العمل الواحد عشرة أجور لانه عشرة أعمال أو خمسة يكون لكل نية عمل وبكل عمل أجر وهو من فضائل الاعمال وتضاعيف الحسنات ولا يعلمه الا العلماء بالله تعالى وأحكامه وهو طريق الابدال من صالحي أهل الاحوال فبذلك زكت أعمالهم وارتفعت مقاماتهم وكثرت أجورهم وحسنت حالاتهم لا بكثرة الاعمال لكن بتحسينها ووجود النيات الكثيرة فيها وقد جاء في الاثر من عمل عملا لا يريد به وجه الله لم يزل في مقت من الله حتى يفرغ وقد قال بعض الادباء من لم يشكر لك حسن النية فيه لم يشكر لك حسن الصنيعة اليه وأنشدوا في معناه

لاشكرن لك معروفا هممت به * ان اهتمامك بالمعروف معروف
ولا ألومك اذ لم يمضه قدر * فالشئ بالقدر المكتوب مصروف

ولو لم يكن في تجديد النية الحسنة وتفقد الهمة العالية الا ان صاحبها لا يزال عاملا من عمال الله تعالى بقلبه وهمه وان لم يساعده القدر على الافعال بجوارحه فيكون أبدا مأجورا ولو لم يكن في نية الشر والهمة الدنية الا ان صاحبها في بطالة وخسارة وان لم يساعده المقدور على الافعال الدنية بجوارحه فيكون خاسرا أبدا مأزورا ونعوذ بالله من ذلك وقال بعضهم اني لاستعد النية في كل شئ قبل الدخول فيه حتى في أكلي ونومي ودخولي الخلاء والنية في هذا التقوى على الطاعة والاستعانة به على الخدمة لان النفس مطيتك ان قطعت بها قطعت بك ونية التطهر من التخلي لاجل الدين فكان الناس اشد تفقدهم وحسن رعايتهم صادقين في ترك كثير من أعمال البر لضعف النية ويعملون في احكام الاصل قال ابن عيينة انما حرموا الوصول لتضييع الاصول والنية أصل الاصول لانها فرض الفرائض وقال بعضهم انما أبعد القلب من الله عز وجل مظاهر أعمال الجوارح بغير مواطأة من القلب بصحة القصد يعني بذلك نقص الاخلاص بها لاجل الله تبارك وتعالى فالنكاح من معظم شأن الدين فنيته فيه أن لا يتزوج المرأة لجمالها ولا لمالها ولا لحسنها بل لدينها وعفافها بنوى السنة لها والعفة والتحصين لهما ويقنع بالمرأة الدون عن غيرها وفي الخبر من نكح لله عز وجل وانكح لله تعالى استحق ولاية الله تعالى وأفضل الاعمال ما دخل فيه لله عز وجل وخرج منه لله ولم يعتوره بعد ذلك علة وأعلى من هذا من دخل في الاعمال بالله عز وجل وثبت فيها مع الله وخرج منها بالله تعالى وهذا مقام الموحدين من الموقنين والعارفين فاصح الاعمال وأخلصها ما كان لله تبارك وتعالى هو الاول في أولها ومع العامل في أوسطها والعبد عنده فيها والله تعالى هو الآخر عند آخرها ثم لا يظهرها بعد ذلك ولا يتظاهر بها ولا يطالع عوضا عنها من الكبير الاكبر بل ينساها ويشتغل بذكر مولاه عنها والقعود في المساجد من أفضل شأن الدين وفضائل أعمال المتقين فليكن له فيه عشر نيات منها زيارة مولاه عز وجل في بيته كما روى من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره ومنها انتظار الصلاة بعد الصلاة كما روى في معنى قوله تعالى ورابطوا هي المرابطة ومنها كف سمعه وبصره وترهبه في تأله كما روى رهبانية امتي القعود في المساجد ومنها العكوف وحقيقته عكوف الهم على القلب وعكوف السر بالتأله الى الله عز وجل ومنها ذكر الله تعالى واستماع ذكره والتذكير به كما روى من غدا الى المسجد يذكر الله تعالى ويذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله ومثل ذلك اذا جلس ليعلم علما أو يتعلمه كان أيضا كالمجاهد أو جلس

ابن عبد الله وقال ابراهيم الخواص لا يقدح فيه وهذا في غير المعيل أما من له عائلة فله ان يدخر لعياله قوت سنة وقد روى انه صلى الله عليه وسلم كان يدخر لعياله ولمن يقصده من أهل الفاقة ومن يرد عليه من الوفود قوت سنة وأما في حق نفسه فكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر من غدائه لعشائه وأما ادخار القوت في الصيف للشتاء فكذلك جائز في فتوى العلماء بالله وكذلك ادخار أثاث البيت وماعونه فانه يحتاج اليه في كل وقت وأما ادخار ثوب الصيف في الشتاء للصيف وعكسه فقالوا انه على خلاف التوكل قلت وينبغي ان يخرج ذلك على ادخار قوت الشتاء في الصيف للشتاء وقد يدرك الفرق بينهما قال السادة الائمة رضي الله عنهم وما ذكرناه من ترك الادخار للمفرد أولى من فعله في حق من عاق نفسه وقوي قلبه وأما الضعيف الذي يضطرب قلبه اذا لم يدخر ولا يتفرغ للعبادة فالافضل له أن يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه خلاف طاقتها اذ فساد ذلك في حقه أكثر من صلاحه

(فصل) الرزق ثلاثة أقسام مضمون ومقسوم وموعود فالرزق المضمون هو ما تقوم به البنية ولا بقاء للنفس بدونه وهذا هو المعروف الذي يجب التوكل فيه لان الله تعالى ضمنه بقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وأما الرزق المقسوم فهو ما قسمه الله تعالى

لاستفادة أخ في الله عز وجل أو لتنزل رحمة الله أو لترك الذنوب للخشية والحياء كما روينا في حديث الحسن بن علي عليهما السلام من أدمن الاختلاف الى المساجد رزقه الله تعالى احدى سبع خصال أخا مستفادا في الله تعالى أو رحمة مستنزلة أو علما مستطرفا أو كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى أو ترك الذنوب خشية أو حياء منه فاخلاص النية هو بخروج اضدادها من القلب وعن القصد والهمة وان كثر اعداده لتنفرد النية بقصدها ويخلص العمل بانفراد النية لوجه الواحد الفرد المقصود بها يروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت اشتريها وانتفع بها في غزاتي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها فاشتريتها فرأيت تلك الليلة في النوم كأن شخصين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب الغزاة فأملى عليه اكتب خرج فلان متنزها وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي فقال اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في والله ما خرجت أتجر ولا معي تجارة أتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد اشتريت أمس مخلاة تريد أن تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه ما يرى

(فصل) ومن المناقص المشبهة للفضائل الملتبسة على الافاضل لشهرة فضلها ووعة الهموم للدخول فيها وانتصب لها وهي منكشفة للعلماء بالله تعالى ما روي ان رجلين تآخيا في الله عز وجل بعد رفع عيسى ابن مريم الى السماء فترهب أحدهما وهو سرجس ولزم أخوه الآخر الجماعة والمساجد ومخالطة الناس وكان أعلم منه بالله عز وجل وكان يلقى أخاه سرجس فيقول يا أخي ان هذا الامر الذي دخلت فيه بدعة وان عليك فيه رعاية لا تقوم بحقها وانه ليس لله فيه رضا ولو دخلت معي في الجماعة والالفة كان ذلك لله تعالى رضا وأصبت السنة فكان المترهب يعرض عنه ولا يعبأ برأيه ويقول له انك قد ركنت الى الدنيا وأنست بالخلق فلما أعياه قال له فاجعل فطرك عندي الليلة حتى يتبين ذلك ففعل فقدم اليه فرخين شواهما وقال له تعال حتى نجعل هذين الفرخين قاضيين بيننا قال حتى يدعو الله كل واحد منا فمن كان سيرته وهديه أحب الى الله ورسوله يبعث بدعائه هذين الفرخين حتى يطيرا حيين قال نعم فادع أنت فدعا الراهب فقال اللهم ان كان هذا الامر الذي دخلت فيه أريد به رضاك أقرب الى الحق مما يدعوني اليه أخي هذا فابعث هذين الفرخين الي قال فلم يجب فقال الآخر اللهم ان كان هذا الامر الذي تمسكت به وخالفت فيه هذا وأصحابه أقرب الى الحق وأرضاهما عندك مما يدعوني اليه أخي هذا من الاعتزال والفرقة للجماعة فابعث لي هذين الفرخين قال فصارا حيين فطارا باذن الله تعالى فعلم الاخ ان ذلك ليس لله رضا فرجع الى الجماعة والمساجد ومن التباس الفضائل العالية ترك العبد حاله في مقامه طلبا للفضيلة ليزداد بها قربا الى الله عز وجل فينقلب عليه فيهلك ما أدخل العدو على برصيصا العابد في تعليم الاسم الاعظم وقصته مشهورة فالعالم عند العلماء من علم خير الخيرين فسبق اليه قبل فوته وعلم شر الخيرين فاعرض عنه لئلا يشغله عن الاخير منهما وعلم أيضا خير الشرين ففعله اذا اضطر اليه وابتلي به وعلم شر الشرين فامعن في الهرب منه واحتجب بحجابين عنه وهذا من دقائق العلوم

(فصل) وقد تلتبس النية بالامنية فتخفى والهمة بالوسوسة فتشتبه والنية ما كان يراد به وجه الله عز وجل ويطلب به ما عنده والامنية ما تعلق بالخلق وطلب منه عاجل الحظ من الملك الفاني وقد تلتبس الارادة بالمحبة والحاجة بالشهوة فالارادة ان يريد وقوع الامر وقد لا يحب كونه أو يريد أيضا وجود ضده والمحبة ما قهر العقل وغلب الوجد وحل في مجامع القلب وكره وجود غيره ولم يرد فقده والحاجة ما اضطررت اليه ولم يكن منه بد ولا يستغنى عنه بغيره والشهوة مزيد لذة واستدعاء فضل فاقة واجتلاب تقدم عادة وقد يختلط الذكر بالقلب بالفكر في معاني القرب فالذكر ما أظهر المنسي وكشف الغي وأذكر الشكر والفكر ما صور الامر وأظهر الخبر وقد يلتبس الرجاء بالمحبة والهوى بالنية فالرجاء ما طمعت فيه بسبب ما والمحبة ما أطمعت

وقدره في اللوح المحفوظ من المأكل والمشرب والملبس وأما الموعود فهو ما وعد الله به بشرط التقوى حلال من غير كد قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فهذه أقسام الرزق والتوكل انما يجب في المضمون منها دون القسمين الآخرين لان المقسوم مجهول عندنا لا يعلم قدره ولا وقته ولا مكان حصوله فيجوز التسبب فيه ولا يجب التوكل فيه بل يندب وموعود مشروط بشرط وهو التقوى ونحن لا نعلم حصول صفة التقوى لنا فيجوز لنا طلبه أيضا والتسبب فيه ولا يجب التوكل فيه بل يندب واختلفوا هل يجب على العبد طلب الرزق أم لا يجب عليه ذلك قال العلماء الرزق مضمون وهو ما به تقوم البنية لا يجب طلبه اذ هو شيء من فعل الله تعالى بالعبد كالحياة لا يقدر العبد على تحصيله وأما الرزق المقسوم فلا يجب على العبد طلبه لانه لا حاجة له اليه انما حاجته فيما تقوم به البنية وهو المضمون وقوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله فهذا مردود بعد الحصر فلا يكون للوجوب بل للاباحة واعلم ان الرزق لا يزيد بالطلب ولا ينقص بتركه لانه مكتوب في اللوح المحفوظ مفروغ منه قال عليه الصلاة والسلام للسائل لو لم تأتها لأتتك فالجود الالهي عم الخليقة والرحمة الربانية شملت الكل فالجود عام والرزق مبذول نثر عليهم الحب

ذوقه ووجدته بغير أسباب تستخرجه وقد يلتبس ذل القلب بضعفه ومونه للطمع فى الخلق بذل النفس لمشاهدة عز الخالق سبحانه وتعالى وقد يتداخل ذل الطمع لدناءة الهمة والنفس بذل العقل للاعتراف بالحق وخضوع العلم له وقد يلتبس ذل النفس لغلبة الهوى وقهره للعقل بذل القلب لسرعة الانقياد للعالم الحق وقد يختلط عزة القلب بقلبه بدوام النظر اليه وعزة العقل بعلمه الذى كبر عنده وقد تلتبس عزة النفس بوصفها المتسلط بعزة الايمان المعزز بغيبة اليقين فهذه فروق ظاهرة للعارفين وخروق متسعة ترهب الغافلين وقد تلتبس العبادة بالعادة مثل أن يكون للعبد نية فى علم أو عمل أو صدقة أو نفقة الشهر والسنة ثم تعزب نيته فيبقى على عادته يرب حاله الذى قد عرف به لا يحب أن يخرج من عرف الناس فيتعمل لاستقامة الحال على التكلف بتلك الاعمال فتذهب النية وتبقى العادة فيخرج بذلك من ارادة الآخرة والسعى لها ويدخل فى ارادة الدنيا بالشهوات على جريان العادة بها وقد يشهد شهادة الدنيا من طلب الرياسة لوجود الهوى بطارقات الآخرة فى معنى العلوم والاعمال فما طلب من أعمال السلف وأريد به تأديب النفس ويعلم به الزهد فى الدنيا فهذه طرقات الآخرة وما كان على ضده فهو طرقات الدنيا اذ هو ضدها وقالوا كان الناس اذا علموا عملوا واذا عملوا اشتغلوا واذا اشتغلوا هربوا وقالوا اتفقه ثم اعتزل وقد يلتبس اظهار الاعمال وكشف ما كتم من الاحوال لاجل التأديب به والاتباع عليه أو لاظهار قدرة الله عز وجل وآياته لمزيد السامع من المعرفة به بفعل مثل ذلك للتزين والفخر أو للمدح به وطلب الذكر وسئل أبو سليمان عن الرجل يخبر بالشئ عن نفسه فقال اذا كان اماما يقتدى به فنعم وقال مرة هو أو غيره يختلف ذلك على قدر الارادة به اذا أراد التأديب للنفس حسن ذلك فهذا يلتبس بمداخلة النفس أو بغفلتها بقيومية شاهد اليقين للرب عز وجل

(فصل) ترك العمل على كثير يحتاج التارك للنهى أو المكره فرضا أو ورعا الى نية حسنة أن يتركه لله عز وجل طلبا مأمنه أو رغبة فيما عنده لا لوجود الخلق ولا ليرب به حاله أو يقيم به عند العبيد جاهه لان ترك المعصية من أفضل الاعمال فيحتاج الى أحسن النيات اذ علمهما من الله تعالى أجزل المثوبات لبلوى النفس بها واضطراب الوصف اليها وقال بعضهم من أحب أن يعرف ورعه غير الله تعالى فليس من الله فى شئ وروى عن زكريا عليه السلام ان قوما دخلوا عليه وكان يعمل فى حائط القوم بالطين وكان صانعا يأكل من كد يديه فقدم اليه عندهم رغيفه وجعل يأكل ولم يدعهم حتى فرغ فسألوه عن ذلك لعلمهم بزهده وكرمه فقال انى أعمل لقوم بأجرة وقربوا الى هذين الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو أكلتم معى لم يكفكم ولم يكفنى وضعفت عن عملهم فهذا ممن ترك فضلا للفرض وممن كانت له نية فى الترك كما تكون له فى الفعل وقال بعضهم دخلت على سفيان بن أبى عاصم وهو يأكل فما كلمنى حتى لعق أصابعه ثم قال لولا انى أخذته بدين لاحببت أن تأكل منه وقد روينا فى الخبران أعمياص بنفر قعود يتكلمون بكلام فيه استهزاء فهو فظن انهم يدعون الله عز وجل فقال مثل ما يقولون بحسن نيته قال فغفر الله لهم بحسن نيته وقال الحسن من علامة المسلم أن لا يبدره لسانه ولا يسبقه بصره ولا تقصر به نيته يعنى لا يضعف ولا تقعد به عن المسارعة الى القربات هى ابدا فى قوة وزيادة وان قصرت أعماله فيها وعجزت قوى جوارحه وقال المؤمن تبلغ نيته وتضعف قوته والمنافق تضعف نيته وتبلغ قوته وقال النبى صلى الله عليه وسلم لكل حق حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الاخلاص حتى لا يحب أن يحمد على شئ من عمل الله عز وجل وقال الحواريون لعيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يا روح الله ما الاخلاص لله عز وجل قال الذى يعمل العمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس قالوا فمن الناصح لله عز وجل قال الذى يبدأ بحق الله تعالى قبل حق الناس واذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة بدأ بأمر الله تعالى قبل أمر الدنيا فحب المحمدة من الناس أصله وفرعها وهو يحب أن يعرف مكانه ويريد الاشتهار وينوى بقلبه محبة الاعظام له من وجوه الانام

ولقطوا فان قيل ان الثواب والعقاب أيضا مكتوب فى اللوح المحفوظ ثم يلزمنا طلب الثواب وطلب العفو عن العقاب ويزيد ذلك بالطلب وينقص بتركه قلنا انما وجب طلب الثواب لان الله تعالى أمر به وتوعد على تركه ولم يضمن الثواب على غير فعل منا وزيادة الثواب والعقاب بفعل العبد والفرق بينهما فى نكتة وهو ان المكتوب فى اللوح المحفوظ قسمان قسم هو مكتوب مطلقا من غير شرط وتعليق بفعل العبد وهو الرزق والاجل وقسم هو مكتوب بشرط وذلك الشرط هو فعل العبد وطاعته وعصيانه وهو الثواب والعقاب فان قيل نحن نرى الطالبين تحصل لهم الاموال والارزاق ومن ترك الطلب يبقى فقيرا عادما قلنا ونحن نرى كثيرا تأتيهم الاموال والارزاق بلا طلب وأما كون الناس نراهم تحصل لهم الاموال والارزاق اذا طلبوا فذلك عند الطلب لا بالطلب لموافقة القدر حكى أن جماعة دخلوا على الجنيد فقالوا نطلب الرزق فقال ان علمتم فى أى موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله ذلك قال ان علمتم الله ينساكم فذكروه قالوا ندخل البيت فنتوكل قال أتجربون الله بالتوكل قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة

(فصل) كانت طريقة البغداديين من الصوفية ترك المعلوم من المعلوم وهى طريقة الاقوياء من المتوكلين وطريقة البصريين منهم الوقوف

فلا

لا ينفعه مع هذه النية اختفاؤه في الآجام وعمله غير مقبول * روي ان عابدا من بني اسرائيل عبد الله تعالى في سرب أربعين سنة فكانت الملائكة ترفع عمله في السماء فلا يقبل فقالت وعزتك ما رفعنا اليك الا حقا فقال عز وجل صدقتم ملائكتي ولكنه يحب أن يعرف مكانه ولذلك قال بعض السلف من نجا من الكبر والرياء وحب الشهرة فقد سلم وقال الثوري ما عالجت شيأ أشد علي من نيتي لانها تنقلب علي يعني تشرد أو تضعف فتحتاج الى مداواتها كما قال المنصور المداومة على العمل حتى يخلص أشد من العمل وقال الثوري ما اعتد بما ظهر من عملي وقال علي رضي الله تعالى عنه كونوا بقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل فانه لا يقل عمل مع تقوى وكيف يقل عمل يتقبل وقال بعضهم من استوحش من الوحدة وأنس بالجماعة لم يسلم من الرياء وقال عبد العزيز بن أبي رواد أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فاذا بلغوه وقع عليهم الهم أيتقبل منهم أم لا * وقال مالك بن دينار الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل وقال ابن عجلان العمل لا يصلح الا بثلاث التقوى لله عز وجل والنية الحسنة والاصابة وقد فسر الفضيل قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا قال أخلصه وأصوبه قيل وما ذاك قال العمل اذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل وقال النباجي للعمل أربع خصال لا يتم الا بهن معرفة الله عز وجل ومعرفة الحق والاخلاص به والعمل على السنة فاي عمل كان قبل هذه الاربع لا ينفع فمنهم من يكون حسن الاداء للفرض كثير الندم والاشفاق من معاصيه فيكون هذا أحسن حالا ومنهم من يكون سيء الاداء قليل الحزن والندم على ذنوبه فيكون هذا أسوأ حالا وليس يجدون في ذلك على قياس واحد والله يغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لما سبق لهما في علمه ولما نفذ لهما من مشيئته وحكمه وقد يشترك الاثنان في معصية ويتفاوتان في حكم المشيئة ويتوب الله على من أحب ويتقبل ممن يحب والقبول غير العمل على العبد العمل والى المولى القبول يقبل ممن يحب ويرد ما يشاء ممن يشاء والسابقة غير المعصية السابقة في المشيئة بغفران سبقت له الحسنى جميع معاصيه السوأى ويعذب من حقت عليه كلمة العذاب ويحبط أعماله الحسنى والخلق مردودون الى السابقة ومحكوم عليهم بعلم الله تعالى فيهم وفي الخبر هلك المصرون قدما الى النار والاصرار يكون بمعنى ان يعتقد بقلبه متى قدر على الذنب فعله أو لا يعقد الندم عليه ولا التوبة منه وأكبر الاصرار السعي في طلب الاوزار وفي الخبر سبق المفردون المستهترون بذكر الله تعالى وضع الذكر أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فهؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى من المقربين أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لهم أوزارا وضعها الاذكار * وقال تعالى والسابقون السابقون أولئك المقربون هذا ما علمناه من أدلة العلوم وتأويل التنزيل وعلم الله تعالى وارادته من وراء ذلك كله وعلمه القديم وتله عاقبة الامور *(مسئلة محاسبة الكفار)* فأما محاسبة الكفار فهذه مسئلة اختلف الناس فيها فمنهم من ذهب الى أنهم يحاسبون ومنهم من أنكر حسابهم وقد اختلف الآثار في ذلك فقد جاء في بعضها ما يدل على حسابهم وبه تعلق من قال به وجاء في كثير منها ما يدل على انهم لا يحاسبون وبه احتج من أنكر حسابهم وانما يرجع عند الاختلاف الى كتاب الله تعالى ففيه الشفاء وبه الغنى في فصل ما أجمل القائلون ونعدل في القول الشديد فيما تأوله المتأولون فنقول والله أعلم ان الله سبحانه ذكر في كتابه آيتين تدل على مسئلة الكفار عن الشرك الذي أدخلوا في التوحيد وعن اجابة المرسلين وتكذيبهم قال الله تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ثم قال في الآية الاخرى ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فنقول انهم على هذا يسئلون عن التوحيد فقط وعن تكذيب المرسلين حسب بهاتين الآيتين وقال في الآيتين الآخرتين ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وقال في الاخرى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان ثم قال يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام فهذا نص في ترك المسألة على الذنوب والاعمال فنقول بهاتين الآيتين انهم لا يسئلون عن الاعمال وانما يحاسب على العمل من كانت بينه وبينه معاملة ومن

على المعلوم وذلك أقطاع وهو طريق المريدين ولما قدم صوفية البصرة على الجنيد ببغداد بعد موت سهل بن عبد الله بالبصرة قال لهم الجنيد ما كنتم تعملون في الصوم قالوا نصوم فاذا أصبنا قمنا الى قفافنا فقال آه آه لو كنتم بلا قفاف كان أتم لحالكم أي لا تسألون الى معلوم فقالوا لا نقوى على ذلك وقد اختلفوا في عدل الاقوات ما رضيه الله تعالى للمساكين في الكفارة وهو مد بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي وقد أشرنا الى شيء من ذلك فيما سلف من هذا الكتاب واعلم ان الاولى بسالك طريق الله تعالى ان يطلب البلاد لرخصة ولهذا كانت الشام وجبالها كثيرا ما يأوي اليها الصالحون لتيسر القوت بها ورخصه فيها قال سفيان الثوري رحمة الله عليه اذا سمعت في بلد برخص فاقصده فانه أسلم لدينك واجمع لهمك وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ قلته بيده فقلت الى أين يا أبا عبد الله فقال الى بلد املأ فيه جرابي بدرهم والسفر لطلب الرخص ورخاء السعر لا بأس به فقد فعله الاكابر من أهل الدين كما حكيناه عن سفيان واختلف العلماء بالله تعالى في أن المريد اذا عدم قوته هل الافضل الاخذ له من الزكاة أو من صدقة التطوع فقال قوم بالاول لان أخذها واجب على الكفاية ولو تمالا الفقراء كلهم على الامتناع من أخذها أثموا كلهم ولانه

تثبت له حسنات يقع بها ترجيح وموازنة وقد روينا عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه في قوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون قال عن قول لا اله الا الله وقد رويناه مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فهذا على معنى ما ذكرناه أنهم يسئلون عن التوحيد فالناس من أهل الجنة والنار يحشرون يوم القيامة على ست طبقات طائفة تدخل الجنة بغير حساب وهم السابقون المقربون وطائفة تدخل الجنة بعد الحساب اليسير وهم خصوص المؤمنين والصالحين ومنهم من يدخل بعد الحساب الطويل والمناقشة وهم أصحاب اليمين وعموم المؤمنين وكذلك أهل النار ثلاث طبقات طائفة تدخل النار بغير سؤال ولا حساب عالمان من عبدة الاوثان من ولد يافث بن نوح وهم ياجوج وماجوج خلق خلقوا للنار وطائفة تدخل النار بعد الحساب الطويل والمناقشة وهم أهل الكبائر والمنافقون وطائفة بسؤال وتوقيف من غير محاسبة على الاعمال وهم أمم الانبياء المرسل اليهم المرسلون لقوله تعالى فلنسالن الذين أرسل اليهم الآية وقد روينا في الخبر المشهور من نوقش الحساب عذب فقيل يا رسول الله أليس الله تعالى يقول فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ذلك العرض ومن نوقش الحساب عذب وقد كان امامنا سهل بن عبد الله يقول يسئل الكفار عن التوحيد ولا يسئلون عن السنة ويسئل المبتدعون عن السنة ويسئل المسلمون عن الاعمال فاما قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم فلهما وجهان أحد الوجهين ان يكون هذا كلاما منفصلا عما قبله يراد به المسلمون لانه ذكر خبر الكفار فختمه بالعذاب فقال في أول الكلام الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر هذا آخر خبرهم ثم استأنف مخبرا عن غيرهم فقال ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والوجه الآخر ان يكون قوله تعالى ثم ان علينا حسابهم أي جزاؤهم فالحساب أعاد ذكر للكفار يكون بمعنى الجزاء على أعمالهم السيئة وكذلك قوله تعالى ووجد الله عنده فوفاه حسابه يعني جزاءه الا ان الفراء وغيره من أهل اللسان خالفونا في هذا فاعتبروه بما بعده فجعلوه دليلا على المحاسبة قالوا احتمل ان يكون قوله فوفاه حسابه ان يكون جزاءه كما قلنا واحتمل ان يريد محاسبته فلما قيل والله سريع الحساب كشف التنزيل التأويل بذلك ان حسابه يعني محاسبته وكذلك قال الزجاج في تأويل ما ذكرناه آنفا من قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون فقال معناه لا يسئلون لتوجه من قبلهم أو ليرجع اليهم من علم ذلك وسبقه عليهم أي قد فرغ الله عز وجل من ذلك فاحكمه بما سبق من علمه ووافقه مقاتل بن سليمان على هذا التأويل باختلاف معنى بمعنى صنعته التفسير لانه لم يكن له في اللغة تمكين فقال معنى ذلك ولا يسأل هؤلاء المجرمون عن ذنوب السالفين فجعل الهاء والميم على من تقدم ذكره من قارون واصحابه والقرون السالفة لان ذكرهم كان سياق هذا الخطاب في قوله تعالى أولم يعلم ان الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ثم قال ولا يسأل عن ذنوبهم يعني هؤلاء المجرمون يعني مشركي هذه الامة وقال أيضا هو وغيره ان الكفار سألوا فقالوا ترى ماذا فعل الله تعالى بالقرون الاولى الذين يقص علينا أنباءهم قال فنزلت هذه الآية فهي بمنزلة قول فرعون قال فما بال القرون الاولى فقال موسى عليه السلام علمها عند ربي الا ان الله عز وجل قد قال في ذكر الحساب بمعنى الجزاء عطاء حسابا بمعنى مجازاة وقيل كفاية بمعنى كفاهم وأحسبهم ذلك كما قال تعالى حسبهم جهنم أي كافيهم ذلك

(الفصل الثامن والثلاثون في الاخلاص) وشرح النيات والامر بتحسينها في تصريف الاحوال والتحذير من دخول الآفات عليها في الافعال قال الله الكبير المتعال وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم اخلاص العمل لله تعالى وقال انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وقد روينا في الحديث من طريق أهل البيت عليهم السلام لا يقبل الله تعالى قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أفضل الاعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله عز وجل فينبغي ان يكون للعبد في كل شئ نية حتى في مطعمه ومشربه وملبسه ونومه ونكاحه فان ذلك كله من أعماله التي يسال عنها فان كانت

داخل في جملة السالكين وأقرب الى التواضع والذلة ثم لا منة في أخذ الزكاة الواجبة لاحد الا الله تعالى ولا حق على آخذها لاحد سواه ولانه لا يؤمن أن يكون آخذ صدقة التطوع آكلا بدينه ولانه قد يعطى لصلاحه وأما الزكاة فيستحقها المسلم بالحاجة فقط وقال قوم بالثاني لجريان صدقة التطوع مجرى الهدايا المأمور بقبولها ولئلا يزاحم المساكين ولعل آخذ الزكاة لا تتحقق فيه أوصاف مستحقها ولا يوجد فيه ما شرطه الله تعالى لواجبه ولان أهل البيت حرمت الزكاة عليهم دون صدقة التطوع على قول للعلماء فالتطوع أوسع للعبد وممن ذهب الى ذلك ابراهيم الخواص وأبو القاسم الجنيد ومن وافقهما من العارفين

(فصل) وأما التفويض فهو أوسع معنى من التوكل فان التوكل قبل وقوع السبب والتفويض قبل وقوعه وبعد وقوعه وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه قال الله تعالى حاكيا عن مؤمن آل فرعون وأفوض أمري الى الله فيجب على العبد تفويض جميع أمره الى الله تعالى ولا يختار لنفسه شيأ لان الاختيار لا يصلح الا لمن يكون عالما بجميع جهات الامور ظاهرها وباطنها والا فلا يؤمن من أن يختار الفساد والهلاك على ما فيه النجاة والصلاح وليس أحد عالم بخفيات الامور وظواهرها

لله

لله تعالى وفيه كانت فى ميزان حسناته وان كانت فى سبيل الهوى ولغير المولى كانت فى ميزان سيآته اذ لكل عبد مانوى وان كان ذلك غفلة وسهوا من غير نية ولا عقد طوية ولا حسبة لم يكن له فى ذلك شئ ولم يجد عمله فى الآخرة شيأ وكان فيه لا له ولا عليه وكان ذلك فى الدنيا على مثال الانعام التى تتصرف عن غير عقول ولا تكليف ولكن بالهام وتوقيف وأخاف ان يدخل فى وصف من قال الله تعالى أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا أى غفلة وسهوا وقيل تفريطا وتضييعا وقيل مقدما الى الهلاك فالنية الصالحة هى أول العمل الصالح وأول العطاء من الله تعالى وهو مكان الجزاء وانما يكون للعبد من ثواب الاعمال على حسب ما يهب الله تعالى له من النيات فربما اتفق فى العمل الواحد نيات كثيرة على مقدار ما يحتمل العبد من النية وعلى مقدار علم العامل فيكون له بكل نية حسنة ثم يضاعف كل حسنة عشر امثالها لانها اعمال تجتمع فى عمل وصورة النية معنيان أحدهما صحة قصد القلب الى العمل بحسن التيقظ فيه والاخلاص به لوجه الله تعالى ابتغاء ما عنده من الاجر فكل عمل كان على علم بهذه النية فهو صالح متقبل بفضل الله تعالى وبرحمته لان صاحبه قد اتقى الشرك والجهل والهوى فعمله مرفوع فى الخزائن مدخر له الجزاء وحقيقة الاخلاص سلامته من وصفين وهما الرياء والهوى ليكون خالصا كما وصف الله تعالى الخالص من اللبن فكان بذلك تمام النعمة علينا فقال من بين فرث ودم لبنا خالصا فلو وجد فيه أحد الوصفين من فرث أو دم لم يكن خالصا ولم تتم النعمة به علينا ولم تقبله نفوسنا فكذلك معاملتنا الله عز وجل اذا شابها رياء بخلق أو هوى من شهوة نفس ولم تكن خالصة لم يتم بها الصدق والادب فى المعاملة ولم يقبلها الله تعالى منا فاعتبروا وروينا عن سعيد بن أبى بردة عن كتاب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه الى أبى موسى الاشعرى انه من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس ومن تزين للناس بما يعلم الله تعالى منه غير ذلك شانه الله تعالى فما ظنك وكتب سالم بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر ان الله تعالى عون للعبد بقدر النية فمن تمت نيته تم عون الله تعالى اياه ومن قصرت عنه نيته قصر عنه من عون الله تعالى بقدر ذلك وقد قال الله تعالى فى تصديق ذلك ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل سبب التوفيق ارادة الاصلاح فذلك هو أول التوفيق من الموفق المصلح للعامل الصالح وقال بعض السلف رأيت الخير انما يجمعه حسن النية وكفاك به خيرا وان لم ينصب رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وكتب بعض الادباء الى أخيه أخلص النية فى أعمالك يكفك القليل من العمل وقال داود الطائى من أكبر همه التقوى لو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوما الى نية صالحة فكذلك الجاهل بالله تعالى وأيامه همه الدنيا والهوى ولو تعلقت جوارحه بكل أعمال الصالحات لكان مرجوعا الى ارادة الدنيا وموافقة الهوى لان سرها كان همه النفس لعاجل عرض الدنيا وقال محمد بن الحسين ينبغى للرجل أن تكون نيته بين يدى عمله وقال أيوب السختيانى وغيره تخلص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الاعمال وقال الثورى كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العلم وقال بعض العلماء اطلب النية للعمل قبل العمل ومادمت تنوى الخير فانت بخير وقال زيد بن أسلم خصلتان هما كمال أمرك تصبح ولا تهم لله تعالى بمعصية وتمسى ولا تهم لله تعالى بمعصية وكذلك قال بعض السلف فى معناه ان نعمة الله تعالى أكثر من ان تحصوها وان ذنوبكم أخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا توابين وامسوا توابين يغفر لكم ما بين ذلك وروينا فى الخبر عن بعض المريدين انه كان يطوف على العلماء يقول من يدلنى على عمل لا أزال فيه عاملا لله تعالى فانى أحب ان لا تأتى على ساعة من ليل أو نهار الا وأنا عامل من عمال الله تعالى فقيل له قد وجدت حاجتك اعمل الخير ما استطعت فاذا فترت أو تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير كعامله وروينا عن عيسى عليه الصلاة والسلام طوبى لعين نامت ولا تهم بمعصية وانتبهت الى غير اثم وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة وقد جاء فى الخبر المشهور نية المرء خير من عمله * تفسير قوله نية المرء خير من عمله * فيه عشرة أوجه قيل ان النية سر وأعمال السر تضاعف وقيل

ووجوه المفاسد والمصالح كلها الا الله رب العالمين وهو ناصح لك غيرهم ففوض اليه أمورك ولا تختر لنفسك شيأ وارض بقضاء الله وحكمه فانه واقع عليك لا محالة شئت أو أبيت لا يتحيل منه الحذر ولا يرفعه عنك السخط قال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود ليقل همك ما قدر يكون وما لم ترزق لم يأتك وسئل بعض السلف عن العبودية والربوبية فقال الرب يقضى والعبد يرضى فاذا قضى الرب ولم يرض العبد لم يكن فى قلب العبد اقرار بربوبيته ولا اعتراف بعبوديته وقال صاحب منازل السائرين التفويض أخص من التوكل لانه قبل وقوع السبب وبعده وأما التوكل فانه بعد وقوع السبب فاذا التوكل جزء من التفويض لان العام جزء من الخاص قال والتفويض على ثلاث درجات الاولى ان يعلم ان العبد لا يملك قبل عمله استطاعة ومن هنا لم يصح التفويض لقدرى ولا معتزلى وأن لا يأمن من مكر الله ولا ييأس من معونته الثانية معاينة الاضطرار فلا يرى عملا منجيا ولا ذنبا مهلكا ولا شيأ حاصلا وان الكل من الله وبالله الثالثة شهودك انفراد الحق بملك الحركة والسكون والقبض والبسط وقال يحيى بن معاذ من فر الى الله تعالى بدينه وهو منطلع فى رزقه أو شئ من أموره الى أحد من المخلوقين من حى أو جماد ناطق أو صامت فهو يفر من الله تعالى لا الى الله قال على بن محمد كنت جالسا مع ابراهيم الخواص

لانها غيب لا يطلع عليها غير الله تعالى والظواهر مشتركة وأيضا فان الله عز وجل يهب للعبد خالصة لا يشوبها شئ اذا وهبها ولا يدخل عليها الآفات فهذه طاعة مهيأ وسائر الاعمال مدخوله وأيضا لانها من شرط العمل حتى لا يصح عمل الا بها وهي تصح بمجردها وكان عبد الرحيم بن يحيى الاسود يقول معنى قوله نية المرء خير من عمله يعني اخلاصه في العمل خير من العمل قال فالاخلاص بغير عمل خير من عمل بغير اخلاص والنية عنده هو نفس الاخلاص وعند غيره هو الصدق في الحال باستواء السريرة والعلانية وقد قال الجنيد رحمه الله تعالى في الفرق بين الاخلاص والصدق معنى لطيفا لم يفسره ويحتاج الى تفسير حدثنا بعض الاشياخ عنه قال شهد جماعة على رجل بشهادة فلم تضره وكانوا مخلصين ولو كانوا صادقين لعوقب يعني ان صدقهم ان لا يعملوا عمله أو مثل عمله الذي شهدوا به عليه فهذا صدق الحال وهو حقيقة النية واخلاصها عند المحققين وقد قيل في معنى قوله نية المرء خير من عمله لان نية المؤمن دائمة ومتصلة والاعمال منقطعة وبالنية خلد أهل التوحيد في الجنة وخلد أهل الشرك في النار لدوام نياتهم على التوحيد ودوام نيات الآخرين على الشرك مدة الدهر فهذه المعاني كلها على هذا الوجه الذي يقول فيه ان معناه ان النية خير من العمل وفيه وجه آخر يكون الكلام فيه على التقديم والتأخير أي نية المؤمن هي من عمله خير كأنه قال هي بعض أعماله الخير فهذا كقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها معناه نأت منها بخير وكما قال يسئلونك كأنك حفي عنها معناه يسألونك عنها كأنك حفي بهم فأخر قوله عنها ومعناه التقديم فيكون هذا على التأويل ان النية من أعمال القلوب وانها من أعمال العبد خير كثير وهذه الاقوال كلها صحيحة وهي موجودة في النية ففضلت النية العمل لان هذه المعاني من صفتها وقال بعض التابعين قلوب الابرار تغلي بالبر وقلوب الفجار تغلي بالفجور والله تعالى مطلع على نياتهم فيثيبهم بقدر ذلك فانظر ما همك وما نيتك * وروينا عن الله سبحانه وتعالى في بعض الكتب انه قال ليس كل كلام الحكيم أتقبل ولكني أنظر الى همه وهواه فمن كان همه وهواه لي جعلت صمته ذكرا ونظره عبرا وهذا داخل في عموم الخبر الذي رويناه عن نبينا صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى أجسامكم ولا الى أموالكم انما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم وسئل سفيان الثوري هل يؤاخذ العبد بالنية قال نعم اذا كانت عزما أخذ بها وفي الخبران العبد ليعمل أعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بذلك وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا فيقولون ربنا انه لم يعمل شيأ من ذلك فيقال انه نواه وفي حديث أبي كبشة الانماري الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علما ومالا فهو يعمل بعلمه في ماله فيقول رجل لو آتاني الله تعالى ما آتاه لعملت كما يعمل فهما في الخير سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول رجل لو آتاني الله مثل ما آتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سواء ألا ترى كيف شركه بحسن النية في محاسن عمله وشركه الآخر بسئ النية بنيته في مساوي عمله وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال ان بالمدينة أقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطأ يغيظ الكفار ولا أنفقنا نفقة ولا أصابنا نصب ولا أصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن النية وقال بعض السلف صلاح الاعمال وفسادها بصلاح النيات وفسادها وكان مطرف يقول صلاح عمل بصلاح قلب وصلاح قلب بصلاح نية ومن صفا صفي له ومن خلط خلط عليه وكذلك جاء في الخبر وهو أصل من أصول الدين قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فأخبر ان لا عمل الا بالنية ثم جعل لكل عبد نية ثم رد طالبي الدنيا والازواج الى نياتهم وحكم عليهم بها أو جعلها نصيبهم من الله تعالى وفي ذلك انهم أولم يوفقه فبطلت هجرتهم بفساد نياتهم وصارت همتهم بدنياهم وهواهم سبب حرمان ثواب المخلصين لله بحسن نياتهم

وهو يتكلم في العلم وحوله جماعة الى أن طلعت عليه الشمس وحميت حتى وجدت حرها وهو جالس لا يعبأ بها فلما اشتدت قلت له يا سيدي ما ترى أن تقوم الى الظل فقال ويلك ما دلني الا على الشرك

(باب الفقر والقناعة والايثار والجود)

قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم وقال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه أبو هريرة وكن قنعا تكن أشكر الناس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال القناعة كنز لا ينفد وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقال صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسكين فقال المسكين الذي لا يجد ما يغنيه ويستحيي أن يسأل الناس ولا يفطن له فيتصدق عليه ومعنى قوله يستحيي أي يستحيي من الله تعالى لا من الناس قال السادة الائمة الفقر هو نفض اليد من الدنيا ضبطا أو طلبا فلا يمسكها ان كانت عنده ولا يطلبها ان لم تكن عنده واسكات اللسان عنده ذما أو مدحا فان المدح والذم فيهما رائحة التشوف الى الممدوح والمذموم وفي الامثال اذا سمعته يسبه فاعلم انه يحبه والانبياء عليهم السلام انما ذموها

وطلب

وطلب آخرتهم وكان ذلك فى الآخرة حسرة عليهم فى الدنيا وشينا لهم وفى حديث ابن مسعود من هاجر يبتغى شيئا فهو له فهاجر رجل فتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر أم قيس وقال أبو داود هذا الحديث ربع العلم وذلك انه قال جمعت السنن الصحاح فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فكانت أربعة آلاف حديث ثم قال قد أمرتها على أربعة أحاديث كل حديث ربع العلم قال وهذا الحديث أولها وانما قال ذلك لانه فرض الفروض لا يتم فرض الا به وكذلك جاء فى الخبران رجلا قتل فى سبيل الله عز وجل فكان يدعى قتيل الحمار وذلك انه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفى حديث أبى عبادة عن النبى صلى الله عليه وسلم من غزا وهو لا ينوى الا عقالا فله مانوى وقال انى استعنت رجلا يغزو معى فقال لا حتى تجعل لى جعلا فجعلت له فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له * وروينا فى الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان من رمل فى مجاعة فقال فى نفسه لو كان لى هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس قال فأوحى الله تعالى الى نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدقت به وفى أخبار كثيرة من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وفى حديث عبد الله بن عمر من تكن الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وفارقها أزهد ما يكون فيها وحديث أم سلمة ذكر النبى صلى الله عليه وسلم جيشا يخسف بهم فى البيداء فقلت يارسول الله يكون فيهم المكره والاجير فقال يحشرون على نياتهم وفى حديث عمر مثله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات وفى حديث فضالة من مات على مرتبة من المراتب بعث عليها وكذلك قال فى الخبر اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل عصبية الا فلا تقولوا فلان قتل فى سبيل الله فمن قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله تعالى * وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على مامات عليه وفى حديث الاحنف بن قيس عن ابى بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قيل يارسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه أراد قتل صاحبه والنية عند قوم الاخلاص بعينه وعند آخرين الصدق وعند الجملة انها صحة العقد وحسن القصد وهى عند الجماعة من أعمال القلوب مقدمة فى الاعمال وأول كل عمل وقد قال الله تعالى واذكروا الله ذكرا كثيرا قيل فى التفسير خالصا فسمى الخالص كثيرا وهو ما خلصت فيه النية لوجه الله تعالى ووصف ذكر المنافقين بالقلة فقال يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا يعنى غير خالص وسميت سورة قل هو الله أحد سورة الاخلاص لانها خالصة فى ذكر صفات الله تعالى وحده لا يختلط بذكر جنة ولا نار ولا وعد ولا وعيد ولا أمر ولا نهى وكذلك قيل سورة التوحيد اذ لاشريك فيهما من سواه فاول سلطان العدو على القلب عند فساد النية فاذا تغيرت من العبد طمع فيه فتسلط عليه وأول ارتداد العبد عن الاستقامة ضعف النية فاذا ضعفت النية قويت النفس فتمكن الهوى فاذا قويت النية صح العزم وضعفت صفات النفس ولانه ينتقل العبد من معصية الى معصية دونها فيكون تاركا للاولى بنية الترك لله تعالى كان أنفع له وأحمد عاقبة وأصلح لقلبه وأقرب الى توبته من انتقال الطاعات مشوبة بالهوى وفساد النيات لانه يكون حينئذ متقلبا فى المعاصى بفساد نيته وخالط عملا سيئا بسيئ مثله ودرأ بالسيئة لسيئة قبلها وهذا بخلاف وصف الله تعالى من قوله خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقوله ويدرؤن بالحسنة السيئة ويخالف لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله اتبع السيئة الحسنة تمحها وفى حديث أبى هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوى أداءه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوى قضاءه فهو سارق وفى حديث ابن مسعود ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء فقال ان أكثر شهداء أمتى لاصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله أعلم بنيته وقال ثابت البنانى نية المؤمن أبلغ من عمله ان المؤمن ينوى ان يصوم النهار ويقوم الليل ويخرج من ماله

لانه وجب عليهم تحذير الخلق منها ولانه مقطوع لهم بعدم الميل والتشوف الى الدنيا وينبغى للفقير أن يكون غنيا بالله فى معاقل الفقر فقير الى الله فى معاقل الغنى قال ابراهيم ابن أدهم لشقيق حين قدم عليه من خراسان كيف تركت أصحابك من الفقراء فقال ان أعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه اذا وصفهم بترك السؤال أثنى عليهم فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ وقد ذهب الحسن والثورى والجنيد والخواص والاكثرون الى تفضيل الفقر مع الصبر على الغنى مع الشكر واحتجوا على ذلك بآيات وأخبار فمن ذلك قوله تعالى وما الحياة الدنيا فى الآخرة الا متاع وغير ذلك من الآثار منها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس عند أصحاب الصفة ويرى ماهم عليه من الجهد والفاقة والصبر فيذكر لهم ماسيفتح لهم من الدنيا وانه ستبسط لهم فيقولون يارسول الله نحن حينئذ خير نكفى المؤنة ونتفرغ للعبادة فيقول لهم بل أنتم اليوم خير وهذا صريح فى ان الفقير الصابر أفضل ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم خير بين الغنى وبين الفقر فاختار الفقر وذهب العطوى وغيره الى تفضيل الغنى مع الشكر واحتجوا على ذلك بما روى ان فقراء المهاجرين قالوا يارسول الله

فلا تتابعه نفسه على ذلك فنيته أبلغ من عمله وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثل القلب بالملك والجوارح جنوده قال فاذا صلح القلب صلح الجسد واذا فسد فسد الجسد معناه اذا صلحت للعبد نيته دامت للعبد استقامته واذا خلص وصفا من شوب الكدر والهوى خلصت الاعمال من الرياء وصفت من الشهوات والاهواء واذا فسدت نيته بحب الدنيا فسدت أعمال الجوارح بحب المدح والرياء * وقد حدثونا في الاسرائيليات ان عابدا عبد الله تعالى دهرا طويلا فجاءه قوم فقالوا ان ههنا قوما يعبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك فأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد رحمك الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة التي تعبد من دون الله قال وما أنت وذاك تركت عبادتك والاشتغال بنفسك وتفرغت لغير ذلك فقال ان هذا من عبادتي قال له اني لا أتركك تقطعها قال فقاتله فأخذه العابد فطرحه الى الارض وقعد على صدره فقال له ابليس اطلقني حتى أكلمك فقام عنه فقال له ابليس يا هذا ان الله تعالى قد أسقط عنك هذا ولم يفرضه عليك انبي أنت قال لا قال فلا عليك ممن كان يعبدها فلو اشتغلت بعبادتك وتركتها فان لله تعالى في أرضه أنبياء لو شاء بعثهم الى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لابد لي من قطعها قال فنابذه ابليس للقتال فغلبه العابد فأخذه وصرعه وقعد على صدره فلما رأى ابليس انه لا طاقة له به ولا سلطان له عليه قال يا هذا هل لك في أمر فصل بيني وبينك وهو خير لك وأنفع من هذا الامر الذي جئت تطلبه قال وما هو قال قم عني أخبرك به فأطلقه العابد فقال له ابليس أنت رجل فقير لا شيء لك انما أنت كل على الناس يعولونك ولعلك تحب أن تتفضل على اخوانك وتواسي جيرانك وتتسع في حالك وتستغني عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الامر الذي جئت فيه ولك علي أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين اذا أصبحت أخذتهما فصنعت بهما ما شئت وأنفقت على نفسك وعيالك وتصدقت على اخوانك فيكون لك أفضل من ذلك وأنفع للمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يغرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيأ ولا ينفع اخوانك المؤمنين قطعك لها قال فتفكر العابد فيما قال له وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزمني قطع هذه الشجرة ولا أمرني الله تعالى أن أقطعها فأكون قد عصيت بتركها وانما هو شيء تفضلت به وماذا يضر الموحدين من بقائها وهذا الذي ذكره أكثر منفعة لعموم الناس قال فعاهده على الوفاء بذلك وحلف له فرجع العابد الى متعبده فبات ليلته فأصبح فاذا ديناران عند رأسه فأخذهما ثم كذلك الغد ثم أصبح اليوم الثالث فلم ير شيأ ثم أصبح بعد ذلك فلم يجد فغضب وأخذ فأسه على عاتقه وخرج يؤم الشجرة ليقطعها وقال ان فاتني أمر الدنيا لا أترك أمر الآخرة قال فاستقبله ابليس في صورة شيخ فقال أين تريد قال أقطع تلك الشجرة قال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك اليها قال فتناوله العابد ليأخذه كما فعل أول مرة فقال هيهات قال فأخذه ابليس فصرعه فاذا هو كالعصفور بين يديه قال وقعد ابليس على صدره وقال لتنتهين عن هذا الامر أو لاذبحنك فنظر العابد فاذا لا طاقة له به قال يا هذا قد غلبتني فخل عني وأخبرني عنك كيف قد غلبتك أول مرة فصرعتك والآن غلبتني فصرعتني فكيف ذلك قال له ابليس لانك أول مرة غضبت لله تعالى وكانت نيتك الآخرة فسخرني الله لك فغلبتني وهذه المرة جئت مغاضبا لنفسك وكانت نيتك الدنيا فسلطني الله تعالى عليك فصرعتك وهكذا حدثونا قصة تطول ان ملكة من بني اسرائيل راودت عابدا عن نفسه فقال اجعلوا الي ماء في الخلاء أتنظف قال ثم صعد على موضع في القصر فرمى بنفسه فأوحى الله عز وجل الى ملك الهوى الزم عبدي قال فلزمه حتى وضعه بالارض على قدميه ويدا فقيل لابليس الا أغويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وفي حديث معاذ بن جبل ان العبد يوم القيامة ليسأل عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطينة باصبعه وعن لمسه ثوب أخيه وروينا في خبر مقطوع من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة وليس الطيب من أكبر المأمور به ولا من الاثم المنهي عنه وانما صاحبه منه نيته فان كان

نيته

سبقنا أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم فقال صلى الله عليه وسلم الا أعلمكم شيأ تلحقون به من سبقكم قالوا بلى يا رسول الله قال تسبحون في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتكبرون ثلاثا وثلاثين وتحمدون ثلاثا وثلاثين وبقوله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وقالوا اليد العليا هي المعطية واليد السفلى هي يد السائل وبان الغنى من أوصاف الحق والفقر من أوصاف الخلق واعلم ان حديث اليد العليا خير من اليد السفلى الحجة فيه عليهم لانهم لان اليد العليا تنالها الفضيلة باخراج ما فيها واليد السفلى تنالها الفضيلة بحصول الشيء فيها وفي تفضيل العطاء والعطاء دليل على فضل الفقر على الغنى لانه لو كان ملك شيء محمودا لكان بذله مذموما فمن فضل الغنى على الفقر فضل الامساك على العطاء ولاشك ان العطاء يكون باخراج المال الملهي عن الله تعالى وكان بعض العلماء يفضل الفقر على الغنى بامور منها ان الفقير متواضع والغني متكبر والفقير اذا عصى الله كان وحده والغني يعصي الله مع أعوانه واخوانه فيعود وبالهم عليه ومفزع الفقير في مرضه الى الله تعالى ومفزع الغني الى الكيس والطبيب والفرسنة بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم والغنى سنة بفرعون وقارون والفقير آمن في السفر والحضر وفي النوم واليقظة والغنى

نيتهما اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واظهار النعمة لله تعالى كان بذلك مطيعا وكان له ثواب ما نواه وان تطيب لغير ذلك كان به عاصيا لاتباعه هواه وعن بعض السلف الصالح قال كتبت كتابا وأردت أن أتربه فى منزل جارى فتحرجت من ذلك ثم قلت تراب وما تراب فتربته فهتف بى هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غدا من سوء الحساب وقال بعض العلماء انى لاستحب أن يكون لى فى كل شئ نية حتى فى أكلى وشربى ونومى وحدثت ان رجلا صلى مع سفيان صلاة العيد وكان قد خرج معه بغلس فلما أصبح نظر واذا ازار سفيان مقلوب فقال له يا أبا محمد قد لبست ثوبك مقلوبا فاصلحه قال فمد سفيان يده ليسوى ازاره ثم قبضها فلم يسوه فقال له الرجل ما منعك أن تسويه عليك قال انى لبسته لله عز وجل فلا أريد أن أسويه لغير ذلك ونادى رجل امرأته وكان فوق سطح يسرح شعره فقال هاتى المدرى ليفرق به شعره فقالت امرأته وأجىء بالمرآة فسكت هنية ثم قال نعم فقال له من سمعه لأى شئ سكت وتوقفت عن المرآة فقال له انى قلت لها هاتى المدرى بنية فلما قالت والمرآة فلم يكن لى فى المرآة نية فتوقفت حتى هيأ الله لى نية فقلت نعم جيئى بها * وحدثونا عن بعض أصحاب بشر ان فتحا الموصلى دخل عليه فقام له بشر قال وما رأيته قام لغيره فقمت فاجلسنى فلما انصرف قلت له قمت أنت اليه فلما قمت أنا أجلستنى فقال أنا قمت اليه لاجل الله تعالى وأنت قمت لاجلى فاجلستك وحدثونا أن بعض الفقراء كان يصحب أبا سعيد الخراز فكان يخف بين يديه فى حوائجه ويخدم الفقراء ويسارع فى قضاء حوائج أبى سعيد وأصحابه قال فتكلم أبو سعيد يوما فى اخلاص الحركة فوقر ذلك فى قلب الشاب فكأنه أخذ الاخلاص والتفقد لحركته وخدمته فترك ما كان يعمله من قضاء حوائج أبى سعيد فى الخفة بين يدى اخوانه حتى اضر ذلك بابى سعيد فقال له يا بنى قد كنت تسعى فى حوائج اخوانك ثم قطعت ذلك فما السبب فقال يا أستاذ انك تكلمت فى الاخلاص وانى خشيت أن تكون أفعالى مدخولة فتركتها قال أبو سعيد لا تغفل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة ولا ينبغى للعاقل أن يترك العمل لاجل الاخلاص فيفوته الاخلاص والعمل ولم أقل لك اترك ما أنت عليه انما قلت لك اخلص فيه فان طلبك للاخلاص قد قطعك عن عمل البر وقد أضر ذلك بنا فارجع الى ما كنت فيه وأخلص فيه لله تعالى فينبغى للعبد أن يكون له نية خالصة فى جميع تصرفه فى حركته وسكونه وسعيه وتركه فان الحركة والسكون اللذين هما أصلا الاعمال من أعماله التى يسئل عنها فيحتاج الى النية والاخلاص فيهما فليجعل جميع ذلك لله تعالى وفيه بعقد واحد على مراتب من المقامات عنده اما حبا له واجلالا له واما خوفا منه أو رجاء له أو لاجل ما أمر به فينوى أداء الفرائض أو لما ندب به فينوى المسارعة الى الخير وفيما أبيح له فتكون نيته فى ذلك صلاحا لقلبه واسكان نفسه واستقامة حاله وذلك كله لاجل الدين وعدة الآخرة وشكرا له تعالى وذخرا لا فيما أحل له واعترافا بما أنعم عليه واتباعا لسنة نبيه فيه ولا يكون واقفا مع طبع ولا جاريا على العادة وقال أبو عبيدة بن عقبة من سره أن يكمل عمله فليحسن نيته فان الله عز وجل يأجر العبد اذا حسنت نيته حتى باللقمة فاحسن تفسير النية بما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الاحسان فقال تعبد الله كأنك تراه فهذه شهادة العارفين ومعرفة الموقنين فهم خاص الخاصين وقال ابن المبارك رب عمل صغير تعظمه النية وقال بعضهم القصد الى الله تعالى بالقلوب أبلغ من حركات الاعمال بالصلاة والصيام ونحوه وقال الانطاكى اذا صارت المعاملة الى القلب استراحت الجوارح وروى عن على عليه السلام من كان ظاهره أرجح من باطنه خف ميزانه ومن كان باطنه أرجح من ظاهره ثقل ميزانه يوم القيامة وقال داود الطائى رأيت الخير كله يجمعه حسن النية فكفاك به خيرا وان لم تنصب وروى عن الحسن فى تفسير قوله تعالى وآتيناه أجره فى الدنيا قال نيته الصادقة اكتسب بها الاجر فى الآخرة وروى عن عبد الرحمن بن مربع قال من قام الى شئ من الخير لا يريد به الا الله عز وجل ثم عرض له من يريد أن يرائيه بذلك أعطاه الله عز وجل بالاصل ووضع عنه الفرع ومن قام الى شئ من الخير لا يريد به الا المراياة ثم فكر وبدا له فجعل آخر ذلك لله عز وجل أعطاه الله تعالى بالفرع ووضع عنه الاصل كأنه حسب ذلك توبة والتوبة تكفر ما سلف والله أعلم وقد تلتبس

يخاف حيث سلك والفقير غير مطالب بالخراج وغير مطالب فى الآخرة بالحساب والغنى مطالب بهما جميعا وكفى بالاغنياء ان رئيسهم قارون وكفى بالفقراء شرفا ان رئيسهم المسيح بن مريم عليه السلام

(فصل) وأما القناعة والايثار والجود فقال أهل المعارف القناعة تكون على ثلاثة أشياء قلة الغذاء بعد وجوده وصيانة الفقر عند العدم وقلة الاسباب والسكون الى أوقات الله تعالى مع طول الفاقة قال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله تعالى بما آتاه وقال أبو سليمان الدارانى القناعة من الرضا بمنزلة الورع من الزهد لان القناعة أول الرضا كما ان الورع أول الزهد وقال ذو النون من قنع استراح من أهل زمانه واستطال على اقرانه وأما الايثار فهو على درجتين الاولى ان تؤثر الخلق على نفسك فيما لا حظر عليك الايثار به شرعا وفيه الاحتراز عن الايثار بالقرب ويتولد ذلك عن ثلاثة أشياء تعظيم الحقوق ومقت الشح والرغبة ومكارم الاخلاق الثانية ايثار رضا الله تعالى على رضا عباده وان عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن ويعين على ذلك قوة الصبر قال بعض العارفين المعارف نظرات نظرة الى نفسه ونظرة الى ربه اذا نظر الى نفسه ذل فافتقر واذا نظر الى ربه عز وافتخر فالفقر ذل الى الله وعز على الخلق فان من ذل لله عز عند من سواه وأما البذل والجود فهما من أجل الخصال وأحمدها قال الله تعالى

الفضائل بالمناقص لدقة معانيها وخفى علومها كصلاة العبد الفضل وهو يحسب انه الاوجب من ذلك ان رجلا كان يصلى فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه فظن ان وقوفه بين يدى الله تعالى بالغيب أفضل له فلما سلم جاءه فقال له صلى الله عليه وسلم ما منعك أن تجيبني حين دعوتك فقال كنت أصلى فقال ألم تسمع قول الله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم فكان اجابة النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له لان صلاته نافلة واجابة الرسول صلى الله عليه وسلم فرض عليه قال بعضهم من كان طلب الفضائل أهم اليه من أداء الفرائض فهو مخدوع ومن شغل بغيره عن نفسه فقد مكر به وقال سفيان انما حرموا الوصول بتضييع الاصول فافضل شئ للعبد معرفته بنفسه ثم وقوفه على حده ثم احكامه لحاله التى أقيم فيها ثم قيامه بعلمه الذى فتح له فيبتدئ العمل بما افترض عليه بعد اجتنابه ما نهى عنه مبلغ علمه ووسع وجده لا يشتغل بطالب فضل حتى يحكم عمل فرض لان الفضل ربح لا يصح الا بعد رأس المال ولكل فضل آفة قاطعة فمن سلم منها حاز فضله ولكل امر نفيس مؤنة ثقيلة فمن تحملها أدرك نفيسها ومن تعذرت عليه السلامة فهيهات أن يصير الى فضل كرامة ومن لم يصبر على تحمل غرامة لم يدرك علو مقامه وقد يلتبس التكلف بالاخلاص واظهار العلم بظهور التزين به قال الثورى رحمه الله زين نفسك بالعلم ولا تزين به أى أدبها الله عز وجل فتكون زينا فى أوليائه ولا تتزين به عند الناس ليمدحوك عليه ويلتبس الاختبار بالاختيار فالاختبار ما كان عن حاجة وتطرقت به الى الله عز وجل والاختيار ما زاد فى الشهوة وكان سلما الى الخلق كالتباس ستر العورة من الثياب بالفاخر منها للنعمة والتكثر من الاسباب وقد يتطوع العبد بعمل يضيع به فرضا واحكام الفرض لجواز السلامة هو الفضل وقد روى اذا دعى أحدكم للطعام فان كان مفطرا فليجب وان كان صائما فليقل انى صائم فامره باظهار عمله وهو يعلم ان الاخفاء أفضل ولكن اظهار عمله من حيث لا يؤثر فى قلب أخيه وجدا أفضل من اخفائه لنفسه مع تأثير ذلك فى قلب أخيه لتفضيل العمال على الاعمال اذ الاعمال موقوفة على العامل فانما يعطى الثواب على قدر العامل لا على قدر العمل لتضعيف الجزاء لمن يشاء عز وجل على غيره فى العمل لواحد فدل ذلك ان المؤمن أفضل من العمل فقيل له ارفع التأثير والكراهة عن قلب أخيك باظهار عملك فهو خير من اخفاء العمل مع وجد أخيك عليك لان أخاك اذا دعاك الى طعام صنعه لك فلم تجبه ولم تعتذر اليه عذرا بينا يقبله منك ويعرفه شق عليه ذلك ان كان صادقا فى دعائك قال ابن شبرمة سال كرز بن وبرة ربه عز وجل أن يعطيه الاسم الاعظم على أن لا يسأله شيأ من أمر الدنيا فاعطاه الله تعالى ذلك فسال أن يقوى أن يختم القرآن فى اليوم والليلة ثلاث مرات فقيل لكرز أتعبت نفسك فى العبادة فقال كم مقدار الدنيا قيل سبعة آلاف سنة قال أما يرضى عبد أن يعمل سبعة آلاف سنة وينجو من يوم مقداره خمسين ألف سنة وقال سرى السقطى ركعتان تخلصهما خير لك من ان تكتب سبعين حديثا أو قال سبعمائة حديث

(الفصل التاسع والثلاثون فى ترتيب الاقوات بالنقصان منها أو بزيادة الاوقات) أما الاقوات فقد كان بعض السلف ينقص منها حتى يرد النفس الى أقل قوامها فمن أراد هذا الطريق فلينقص فى كل أكلة ربع سبع رغيف فيكون تاركا لرغيف فى شهر برياضة وتمهل فلا يؤثر النقصان عليه شيأ حتى تقف النفس على الاكل فى ثلث بطنها وهو ثلث أكله المعتاد وهذا طريق المريدين ومن العلماء من لم يكن يعرض للاقوات ولكن يعمل فى زيادة الاوقات فيؤخر أكله وقتا بعد وقت حتى ينتهى الى أكثر طاقة النفس لحمل الجوع بضعف الجسم عن الفرض أو خشية اضطراب العقل فمن أراد هذا الطريق أخر فطره كل ليلة الى نصف سبع الليل حتى يكون قد طوى ليلة فى نصف شهر وهذا طريق من أراد لطى السبع والعشر والخمس عشرة يوما الى الاربعين لانه يعمل فى نحو عمه على مزيد الايام ولا يعمل فى نقصان الطعام فلا يؤثر ذلك نقصانا فى عقله ولا ضعفا عن أداء الفرائض اذا كان على صحة قصد وحسن نية وصدق عقد فانه يعان على ذلك ويحفظ فيه ويكون طعمه اذا أكل عند كل وقت يزيد فيه النقص ضرورة عن غير تعمل لنقصانه لان معاه تضيق لا محالة

ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم وقال تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم قال المشايخ حقيقة الجود أن لا يصعب عليك البذل واعلم أن ههنا مراتب احداها السخاء وهو فى الرتبة الاولى ثم الجود بعده ثم الايثار وهو أعلى الكل مرتبة فمن أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وأبقى لنفسه شيأ يسيرا فهو صاحب جود ومن أعطى الكل وآثر غيره بالبلغة ولم يبق عنده شئ وقاسى الضر فهو صاحب ايثار وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه صاحب ايثار لانه قاسى الضر وآثر الله ورسوله بكل ما عنده وكان عمر رضى الله عنه صاحب سخاء لانه أمسك البعض ودفع البعض وكان عثمان رضى الله عنه صاحب جود لانه خرج عن أكثر ماله وقال بعضهم دخلت على بشر الحافى رحمة الله عليه فى يوم شديد البرد وقد تعرى من ثيابه ينتفض بالبرد فقلت له ما هذا فقال ذكرت الفقراء وما هم فيه فعجزت عن أن أساويهم فى الثياب فاردت أن أساويهم فى العرى وورث يوسف بن أسباط من أبيه سبعين ألف درهم فلم يأخذها وكان يتقوت بعمل الخوص وقال بعض المشايخ كان عندنا بمكة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يدخل علينا ولا يجالسنا فوقعت محبته فى قلبى ففتح لى بمائتى درهم من وجه حلال فحملتها اليه ووضعتها على

فكأنما

وكلما زاد جوعه نقص أكله على هذا الى أن ينتهى فى الجوع و ينتهى فى قلة الطعم ولا ينال فضيلة الجوع التى وردت به الاخبار الا بالطى ومن الناس من يقول حد الجوع الاول من الوقت الى مثله كالغد أربعة وعشرون ساعة وحده الآخر اثنان وسبعون ساعة فهذا احد الجوع من الاوقات فاما حده فى الاقوات فكان بعضهم يقول حد الجوع أن لا تطالب نفسك الادم فمتى طلبت نفسك الادم مع الخبز فلست جائعا فهذا حده الاول وقيل حد الجوع أن تطلب الخبز فلا تميز بينه و بين غيره فمتى تاقت النفس الى الخبز بعينه فلست بجائعة لان لها شهوة فى التخير ومتى لم تميز بين خبز و غيره من ما كول فهذا هو حد الجوع وهو الفاقة والحاجة الى الطعام الذى جعله الله تبارك وتعالى غذاء للاجسام وهذا يكون فى آخر الحدين من الاوقات بعد الثلاث الى خمس وسبع ويكون طلب العبد عند هذا الجوع القوام من العيش والضرورة من القوت وهو ما سد الجوعة وأعان على أداء الفريضة وهذا حال الصديقين وقد سمعت بعض هذه الطائفة يقول حد الجوع أن يبزق العبد فاذا لم يقع على بزاقه ذباب فقد خلت معدته من الطعام يريد أن بزاقه قد خلا من الدسومة والدهنية وصار صافيا مثل الماء فلا يسقط عليه الذباب مع نطق حاسته التى ركبت فيه وخفى ادراكه لما يقع عليه فاما أكل العادات والتنقل فى الشهوات والاكل حتى يشبع فهذا عند العلماء مكروه وأهله عندهم بمنزلة البهائم وأما الاكل على شبع والامتلاء حتى يتخم فهذا فسق عند العلماء وقد قاله لى بعض العارفين وروينا انه قيل لابى بكر ان ابنك أكل البارحة حتى بشم فقال لو مات ما صليت عليه فاما الصوم فليس هو عندهم الجوع المقصود لاسكان النفس واخمادا الطبع لان الصوم يصير عادة و يرجع الصائم الى قوة طبعه اذا أفطر فاما اذا كان يصوم و يفطر على الشهوات و يمتلى من الاكل فان صوم هذا لا يزيده الا قوة طبع وظهور نفس وتتفتق عليه الشهوات و يدخل عليه الفتور عن الطاعات ويغلب عليه الكسل والسبات وربما قوى طبعه جملة واحدة فظهرت عليه نفسه بقوة جملة الا انه لا يجرى فى نهاره الا فيما أجريت عادته عليه وجعل حاله فيه من أبواب الدنيا والتنقل فى الهوى وان كان ظاهر حاله أسباب الآخرة عنده لقصور علمه فان شهوده الدنيا فالتقلل وأخذ البلغة من القوت فى الاوقات مع الافطار أصلح لقلب هذا وادوم لعمله وأبلغ فى آخرته من مثل هذا الصوم لان هذا الذى وصفناه هو صوم ابناء الدنيا المترفين ليس بصوم أهل الآخرة الزاهدين ولكن بالتقلل والطى وترك الشهوات واجتناب الشبهات تنكسر النفس وتذل و يخمد الطبع وتضعف الصفة عن العادة وتقوى ارادة الآخرة و يعمل المريد فى سعيها وتخرج حلاوة الدنيا من القلب فيصير العبد مع الجوع والطى وترك الشهوات كأنه زاهد وروينا فى حديث أسامة بن زيد وأبى يزيد الطويل اختصرته ان أقرب الناس من الله عز وجل يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه فى الدنيا الاحفياء الاتقياء الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملائكة السماء نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله عز وجل افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع الناس فعل النبيين وأخلاقهم وحفظوهم تبكى الارض اذا فقدتهم و يسخط الله تعالى على كل بلدة ليس فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف أكلوا الفلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم الناس يظنون ان بهم داء يقال قد خولطوا وقد ذهبت عقولهم ولكن نظر القوم بقلوبهم الى أن ذهبت الدنيا عنهم فهم عند أهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت عقول الناس لهم الشرف فى الآخرة يا أسامة اذا رأيتهم فى بلدة فاعلم انهم أمان لتلك البلدة لا يعذب الله عز وجل قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك أخدانا عسى أن تنجو بهم وان استطعت أن يأتيك الموت و بطنك جائع وكبدك ظمآن فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع النبيين وتفرح بقدوم روحك الملائكة و يصلى عليك الجبار عز وجل وممن اشتهر بالطى وكثر النقل عنه بذلك الخمس عشرة يوما الى عشرين الى شهر جماعة من العلماء يكثر عددهم منهم ابن عمر والعوفى وعبد الرحمن بن ابراهيم دحيم وابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة وحفص بن العابد المصيصى

ظرف شئ كان مبسوطا تحته وقالت له ان هذه قد فتح بها من وجه حلال فاصرفها فى بعض أمورك فنظر الى شذرا وقال اشتريت هذه الجلسة مع الله تعالى على الفراغ بتسعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات تريد أن تخدعينى فيها بهذه وقام فبددها ومضى

(باب المحبة والشوق وفيه الكلام على السماع والوجد)

اعلم أن المحبة من الصفات التى يوصف الخلق بها فيما بينهم وقد وردت الشريعة بها فى صفات الحق عز وجل قال الله تعالى يحبهم ويحبونه وقال تعالى فاتبعونى يحببكم الله أى قل لهم يا محمد اتبعونى يحببكم الله وقال يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله وفى الحديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه قال القشيرى رحمة الله عليه المحبة على لسان المتكلمين والعلماء بالاحكام هى الارادة وليس مراد الصوفية بالمحبة الارادة فانها لا تتعلق بالقديم اللهم الا أن يحمل ذلك على ارادة التقرب اليه والتعظيم له قال ونحن نذكر طرفا من تحقيق هذه المسئلة ان شاء الله تعالى فمحبة الله تعالى للعبد ارادته لانعام مخصوص عليه كما ان رحمته ارادة الانعام والمحبة أخص من الرحمة فارادة الله أن يوصل الى العبد الثواب والانعام يسمى رحمة وارادته أن يخصه بالقرب وسائر الاحوال العالية تسمى محبة وارادته سبحانه صفة واحدة وتختلف أسماؤها بحسب تفاوت

والمسلم بن سعد و زهيرا البنانى وسليمان الخواص وسهل بن عبد الله وابراهيم الخواص وقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يطوى ستا وكان عبد الله بن الزبير يطوى سبعة أيام وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا وروى ان الثورى وابراهيم بن أدهم كانا يطويان ثلاثا ثلاثا وقد رأينا من كان يطوى تسعا وخمسا وكثيرا من يطوى ثلاثا ثلاثا وقد قال بعض العلماء من طوى أربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت وكان يقول لا يزهد العبد حقيقة الزهد الذى لا مشوبة فيه الا بمشاهدة قدرة من غيب الملكوت وبعضهم يقول لا يوقن العبد يقينا ثابتا يحكم عليه لا ستقامة فيه ولبسة حال لازمة وعلم نافذ فى الملكوت الا بمشاهدة قدرة من قدرة الغيب برأى عين تظهر له بشهادة دائمة يقوم بها و ينظره فعند هذا يعرف من الله تعالى ومنه الخصوص القيوم به و يصح لعبد مرادبه ذا الطريق المنهج ٧ أربعين فى سنة وأربعة أشهر على ما نزلنا من تأخير الاوقات وقتا بعد وقت و رتبنا من رياضة النفس فى الاوقات حتى تندرج الليالى فى الايام وتدخل الايام فى الليالى فتكون الاربعون بمنزلة يوم واحد وليلة واحدة وهذا طريق بعض المقربين لا يقدر عليه الا مرادبه يجول فيه مكاشف بشهادة تشغله عن نفسه وتقطعه عن طبعه وعادته وتسيه جوعه ويكشف له حقيقته ومرجوعه وقد عرفنا من كان فعل ذلك وظهرت له آيات من الملكوت وكشف له عن معانى قدرة من الجبروت تجلى الله له عز وجل بها ومنها كيف شاء وقد وقف بعض هذه الطائفة على راهب فذاكره بحاله وطمع فى اسلامه وترك ماهو عليه من الغرور فكلمه فى ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب فان المسيح كان يطوى اربعين يوما وانا معتقد اعجاز هذا وانه لا يكون الا لنبي فقال له الصوفى فان طويت خمسين يوما ما تترك ما أنت عليه وتدخل فى دين الاسلام وتعلم ان ما نحن عليه حق وانك على باطل قال نعم فقعد عنده لا يبرح ولا يذهب الا من حيث يراه الراهب الى ان طوى خمسين يوما فقال أزيدك أيضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب منه واعتقد فضله وفضل دينه وقال ما كنت أظن ان أحدا يجاوز فعل المسيح عليه السلام ولكن هذه أمة تشبه بالانبياء فى العلم والفضل فكان سبب اسلامه وممن كان يطوى أربعين يوما ابراهيم التيمى وحجاج بن فرافصة فأما الثلاثين والعشرين فقد حكى عن عدد كثير منهم سهل بن عبد الله وجماعة من البصريين وأما من يأكل فى الشهر أكلتين وثلاثة وأربعة فهم كثير من الشاميين والجزريين وان أحب المريد أن يقسم فطره قسمين فيأكل رغيفا عند افطاره فى أول الليل فيسكن بذلك جوعه ويأكل رغيفا عند السحر يستعين به على صومه فحسن وان أحب عمل فى تأخير الافطار على رياضة ووقف عند السحر فلم يجاوزه فيكون أكله سحرا فيحصل له بذلك خمسة أشياء جوع النهار للصائم وجوع الليل للقائم وخلو القلب لفراغ المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم لخلو القلب وسكون النفس للمعلوم فلا ينازعه قبل وقته وهذا أوسط الطرقات وأحبها الى وهو طريق السائرين وفى حديث عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم حتى تزلع رجلاه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد أخر الفطر الى السحر وفى حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان المريد يصوم يوما و يفطر يوما وهو أعدل طرقات الصيام أيضا أكل يوم فطره بعد الظهر وليلة صومه عند الفجر فان لم يفعل فليأكل يوم فطره نصف أكله بالامس فكأنه صائم فان لم يفعل اضطرب جسمه وداخله الفتور فى حاله ومن لم يكن له معلوم فلا بأس أن يأكل شبعه ثم يتربص حتى ينتهى جوعه فعلامة جوعه أن لا تختار نفسه الخبز دون غيره من المأكولات فان اختارت نفسه الخبز ففيه بقية من الشبع وعلامة شبعه بعد الاكل أن يأكل الخبز البحت على شهوة فاذا تاقت نفسه الى الادم فقد ابتدأ شبعه فان تخيرت الادام فهو شبعان وترك المعلوم فى الطعام طريق صوفية البغداديين والوقوف مع المعلوم طريقة البصريين ولما قدم صوفية أهل البصرة على أبي القاسم الجنيد بعد وفاة سهل رحمه الله تعالى قال لهم كيف تعملون فى الصوم فقالوا نصوم بالنهار فاذا أمسينا قمنا الى قفافنا فقال آه آه لو كنتم تصومون بلا

متعلقاتها فاذا تعلقت بالعقوبة تسمى غضبا واذا تعلقت بعموم النعم تسمى رحمة واذا تعلقت بخصوصها تسمى محبة وأما المحبة بمعنى الميل فهى من صفات المخلوقين والرب سبحانه يتعالى عن ذلك قال وأما محبة العبد لله فحالة يجدها العبد من قلبه تلطف عن العبادة وقد تحمله تلك الحالة على التعظيم وايثار رضاه وقلة الصبر عنه ووجود الاستئناس بدوام ذكره انتهى ما ذكره القشيرى وقال غيره المحبة تعلق القلب بين الهيبة والانس فى البذل والمنع على الافراد والمحبة أول أودية الفناء والعقبة التى يحوز منها الى منازل المحو وهى آخر منزلة تلتقى فيها مقدمة العامة ساقة الخاصة وما دونها اعراض لاعواض واعلم ان كثيرا من المتكلمين أولوا محبة العبد لله تعالى وقالوا لا معنى لها الا الامتثال لاوامره سبحانه والا فهو لا يشبهه شئ ولا يشبه شيأ ولا يناسب طباعا فكيف يحب وانما يتصور منا ان نحب من هو من جنسنا وما قالوه غير صحيح فان كل عاقل يجد من نفسه الميل والحب الى كل من هو موصوف بصفات الكمال من العلم والكرم والجود والاحسان والرحمة والرأفة والشجاعة والعدل والنصفة وليس حب من هو بهذه الصفات بصورته الظاهرة فانا قد نسمع به ولا نراه وان رأيناه فقد لا تعجبنا صورته فاذا محبتهم انما هى لصفاتهم المعنوية وصفات الله تعالى أكمل الصفات وقدسه أقدس

٧ هنا بياض بالاصل

قفاف

قفاف كان أنتم لحالكم أى لا تسكنون الى معلوم فقالوا الا نقوى على هذا ولعمرى ان طريق البغداديين بترك المعلوم من المطعوم أعلى وهو طريق المتوكلين من الاقوياء وطريقة البصريين بالمعلوم والتوقيت أسلم من آفات النفوس وأقطع للتشرف والتطلع وهو طريق المريدين والعاملين * ذكر رياضة المريدين فى المأكول وفضل الجوع وطريقة السلف فى التقلل والاكل كان أبوذر يقول فى بعض انكاره قد غيرتم ينخل لكم الشعير ولم يكن ينخل وخبزتم المرقق وجمعتم بين أدمين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا أحدكم فى ثوب وراح فى آخر ولم يكونوا هكذا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يقول قوتى فى كل جمعة صاع من شعير والله العظيم لا أزيد عليه حتى ألقاه فانى سمعته يقول صلى الله عليه وسلم أحبكم الى وأقربكم منى مجلسا يوم القيامة من مات على مثل ما تركته عليه وقد كان قوت جماعة من الصحابة صاع من حنطة فى كل جمعة فاذا أكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وكان قوت أهل الصفة مدا من تمر بين اثنين فى كل يوم والمد رطل وثلث وكان الحسن يقول المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء والمنافق مثل السبع سرطا سرطا وبلعا بلعا لا يطوى بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وكان أبو يزيد البسطامى يقول اذا وجد الفقير الماء سقط عنك فرضه وفى الحديث المشهور العام المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق يأكل فى سبعة امعاء هذا على التمثيل فى الاتساع والكثرة أى يأكل اضعاف أكل المؤمن فكان المؤمن يأكل سبع أكل المنافق والعرب ترفع فى ذكر ضعف الشئ واضعافه الى سبعة وقد فسر ذلك عالمنا أبو محمد سهل فقال معنى يأكل فى سبعة امعاء أحدها شره وطمع وحرص ورغبة وغفلة وعادة أى فالمنافق يأكل بهذه المعانى والمؤمن يأكل بمعنى الفاقة والزهد ولهذا كان يقول لو كانت الدنيا دما عبيطا كان قوت المؤمن منها حلالا لان أكل المؤمن عند ضرورة للقوام ومن الناس من يضيف هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مخطئ فى ذلك انما هو كلام امامنا سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله وقد سئل عن قوت المؤمن فقال قوته الله تعالى قال سألت عن قوامه فقال الذكر فقال انما سألت عن غذائه فقال غذاؤه العلم قلت سألت عن طعمة الجسم فقال مالك والجسم دع الجسم على من تولاه قديما يتولاه الآن ثم قال الجسد صنعة اذا عابت ردها الى صانعها وسئل أيضا عن الحلال فقال مالم يعص الله فى أوله ولم ينس فى آخره وذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه وكان يقول القوت للمؤمنين والقوام للصالحين والضرورة للصديقين ومن كان ذا معلوم فالمستحب له أن لا يزيد على رغيفين فى يوم وليلة وليجعل بينهما أوقاتا طويلة مرة وقصيرا أخرى على حسب الحاجة وتوقان النفس الى الغذاء لا على طرد العادة والشهوة والرغيف ستة وثلاثون لقمة يكون قوام النفس فى كل ساعة ثلاث لقمات فاذا أراد أن يأكل الرغيف على هذا التقسيم فليجرع بعد كل ثلاث لقم جرعة ماء فذلك اثنا عشر جرعة فى تضاعيف ستة وثلاثين لقمة ففى ذلك قوام الجسم وصلاحه فى كل يوم وليلة على هذا الترتيب وقد روينا فى مجمل هذا أثرا كان أبوذر يقول كان قوتى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاعا فى كل جمعة والله العظيم لا أزيد عليه حتى ألقاه فهذا يكون فى كل يوم رطل أو نحوه والاصل فى مجمل ما ذكرناه من التنزل فى القوت ما روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى رجل سمين فأومأ الى بطنه باصبعه فقال لو كان هذا فى غير هذا كان خيرا لك يعنى لو قدمته لآخرتك وآثرت به اخوانك فكان فى غير جوفك لكان ذلك خيرا لك ويعنى قلة الطعم خير من كثرته وتجشأ أبو جحيفة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثريد ولحم قال كنت أكلته فقال اكفف عنا جشاءك فان أكثركم شبعا فى الدنيا أطولكم جوعا يوم القيامة قال فوالله ما ملأت بطنى من طعام بعدها الى يومى هذا وأرجو أن يعصمنى الله فيما بقى وقد روينا عن الحسن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا فى انصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء وروينا عن عيسى عليه السلام أجيعوا أكبادكم واعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وقد رواه عبد الرحمن بن يحيى الاسود

سائر المقدسات وكماله أعظم الكمالات فيجب أن تحبه الخلق بهذه الصفات ومن قصرت بصيرته عن ادراك الجلال والكمال والميل الى مطالعته والفرح به والمحبة له فانها لا تقصر عن ادراك نعمه وجوده واحسانه الى خلقه فيحبه لاحسانه اليه وتعطفه عليه وكل أحد يجد من نفسه وطبعه المحبة والميل لمن أحسن اليه حتى الكلب فانه يحب صاحبه الذى يحسن اليه

(فصل) والمحبة على ثلاث درجات الدرجة الاولى محبة تقطع الوسواس وتلذذ الخدمة وتسلى عن المصائب وهى تثبت من مطالعة المنة وروية النعمة وتثبت باتباع السنة وتنمو على الاجابة للفاقة والدرجة الثانية محبة تبعث على ايثار الحق على غيره وتلهج اللسان بذكره وتعلق القلب بشهوده وهى محبة تظهر من مطالعة الصفات والنظر فى الآيات والارتباط بالمقامات والدرجة الثالثة محبة قاطعة تقطع العبارة وتدفع الاشارة ولا تنتهى بالنعوت وهذه المحبة هى الغاية وما دونها من المحبات فهى محبات نادت عليها الالسن وادعتها الخليقة وأوجبتها العقول وقال القشيرى المحبة على خمسة أقسام حسية ونفسية وقلبية وعقلية وروحية فالحسية حقيقتها امتثال الاوامر ومحبة النفس الميل بلا نيل وحقيقة المحبة القلبية نارفى القلب تحرق ماسوى مراد المحبوب وحقيقة المحبة العقلية مراقبة الحبيب فى الشهود والغيبة وحقيقة محبة الارواح بذلها فى المحبوب وغاية

عن طاوس رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال وقيل لابى يزيد البسطامى وهو أعلى هذه الطائفة اشارة باى شئ نلت هذه المعرفة قال ببطن جائع وجسد عار وفى التوراة مكتوب ان الله تبارك وتعالى ليبغض الحبر السمين وفى بعض الكتب ويمقت أهل بيت اللحم وقد جاء مسندا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق وقد روينا عن ابن مسعود ان الله عز وجل يبغض القارئ السمين وفى خبر مرسل ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش فاذا جعل العبد شبعه بين جوعين كان جوعه أكثر من شبعه وسلم من حديث أبى جحيفة ومن كان له جوعة بعد كل شبعة اعتدل جوعه وشبعه ومن أكل فى كل يوم مرتين فقد تابع الشبع وتحقق بخبر أبى جحيفة وشبعه حينئذ أكثر من جوعه وليس ذلك من السنة وهو من فعل المترفين وقد كانوا يعدونه سرفا وقد روينا عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد وكان السلف يأكلون فى كل يوم أكلة وقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضى الله عنها اياك والاسراف فان أكلتين فى كل يوم من الاسراف وقد قال الله عز وجل والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فكان أكلتين فى يوم اسراف وأكلة فى يومين اقتار وأكلة فى يوم قواما بين ذلك وأقول على هذا ان أكل أربعة أرغفة سرف ورغيفين قتر وثلاثة أرغفة قوام حسن وهذا أعدل الاقوات ولا يعجبنى أكل أربعة أرغفة فى مقام واحد لانى لا آمن به ازديادا فيصير ذلك مقتا وقد يروى فى خبر الاكل على الشبع يورث البرص وقال بعض السلف ان من السرف أن يأكل العبد كلما يشتهيه وقد كان للصحابة أكلتان وشربتان فالاكلتان الوجبة والغبوق فالوجبة من الوقت الى الوقت كقولك الوقعة ومنه قوله فاذا وجبت جنوبها فكلوا منها أى اذا وقعت جنوب البدن على الارض والغبوق أن يشرب مذقة لبن أو يأكل كف تمر عند النوم أو بعد عتمة أو يكون عند الظهيرة وقد يكون ذلك سحرا والشربتان العلل والنهل فالنهل الشربة الاولى من اللبن بمنزلة الوجبة والعلل الشربة الثانية بمنزلة الغبوق من نقيع تمر أو زبيب يقوم مقام الاكلتين فهو من تمام الرى والاولى علالة النفس من العطش فسمى عللا وكان من أخلاق السلف ترك الشبع اختيار الانفسهم لخفة الجسم أو مواساة الفقراء أو مساواة لهم فى الحال لئلا يفضلوا عليهم فى حالهم ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها أول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وروينا فى خبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجوع لا من عوز أى يختاره مع الامكان فى الاوقات وقال بعض العلماء أبغض الاشياء الى الله عز وجل بطن ملئ ولو من حلال وقد روينا معناه مسندا وفى الخبر الاسرائيلى ان يحيى عليه السلام ظهر له ابليس فرأى عليه معاليق من ألوان الاصباغ من كل شئ فقال له ما هذه المعاليق قال الشهوات بنى آدم قال فهل لى فيها شئ قال ربما شبعت فثقلناك عن الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله تبارك وتعالى على ان لا أملأ بطنى من طعام أبدا قال ابليس ولله على أن لا أنصح مسلما أبدا وقد كان من أخلاق التابعين الصبر على الطعام الى أحد حدى الجوع الاول منهما وهو أربعة وعشرون ساعة ولم يكن من أخلاقهم الاكل للعادة ولا تخيير الاطعمة ولا تعمد الخبز خاصة دون غيره من المأكولات اذا سد الجوعة وقامت به البلغة وكان أبو سليمان الدارانى يقول اذا عرضت لك حاجة من حوائج الآخرة فاقضها قبل أن تأكل فان أكل أحد شبع الانقص من عقله أو قال تغير عقله عما كان عليه وكان يقول لان أترك من عشائى لقمة أحب الى من قيام ليلة هذا الايثار الجوع والتقلل على العبادة مع التكثر وروينا عن وهب بن منبه وغيره ان عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغيفات فجعل أخوه يقلب بعض الارغفة ليختار أجودها فقال له العابد مه أى شئ تصنع أما علمت ان هذا الرغيف الذى رغبت عنه ولم تقنع به قد عمل فيه كذا وكذا صانع وظهرت فيه كذا وكذا صنعة منها السحاب الذى يحمل الماء والماء الذى يسقى الارض والارض التى أنبتت والرياح والبهائم وبنو آدم حتى صار اليك ثم أنت بعد هذا تقلبه لا ترضى به

الحسية الحظ وغاية النفسية التواجد وغاية القلبية الوجد وغاية العقلية الوجود وغاية الروحية الاحاطة ومتعلقات المحبة خمسة والحصر معلوم بالاستقراء الاول وجود النفس فالانسان يحب وجود نفسه وكماله وبقاءه والثانى حبه لمن أحسن اليه فيما يرجع الى دوام وجوده ودفع المهلكات عنه والثالث حب من كان محسنا فى نفسه الى الناس وان لم يكن محسنا اليه والرابع حبه لكل ما هو جميل فى ذاته سواء كان من الصور الظاهرة أو من المعانى الباطنة والخامس حبه لمن بينه وبينه مناسبة حقيقية فى الباطن فلو اجتمعت هذه الاسباب فى واحد تضاعفت محبته لا محالة كما لو كان لانسان ولد جميل الصورة حسن الخلق كامل العلم حسن التدبير محسن الى الناس محسن الى الوالدين كان محبوبا بالاستحالة غاية المحبة ولا يقوم بالنفس محبة كاملة تجمع جميع الاسباب الا فى حق الله تعالى فانه محبوب لجماله وكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله ودليل كمال محبة العبد لله تعالى أن يجد العبد من نفسه نشاطا ولذة تامة فى عبادة الله تعالى وطاعته قال صلى الله عليه وسلم جعلت قرة عينى فى الصلاة فمن وجد من نفسه تكاسلا فى الخدمة والطاعة أو توانيا فيهما فذلك لنقص فى المحبة وقصور فى المعرفة بالله اذ الجوارح تتبع القلب وأما المخالفة والتقصير فى الخدمة والعبادة مع المحبة فهما لا يجتمعان وقال

وقال

وقال الآخر زيادة فى الخبران الرغيف لا يستدير فيوضع بين يديك حتى يعمل فيه ثلاثمائة وستون صانعا وصنعة أولهم ميكائيل الذى يكيل الماء من خزائن الرحمة ثم الملائكة التى تزجر السحاب والشمس والقمر والافلاك وملكوت الهواء ودواب الارض وآخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والخبر المشهور ماملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن فدل ان ما نقص من ملء البطن فذلك خير ثم قال حسب ابن آدم لقيمات يشددن صلبه ففى قوله لقيمات معنيان التقلل والتصغير لان التاء تدخل للجمع القليل وهو مادون العشرة من العدد والمعنى الآخر والتصغير لان لقيمة تصغير لقمة ثم قال فان لم يفعل فثلث طعام وثلث شراب وثلث للنفس وفى لفظ آخر وثلث للذكر فدل أيضا ان ملء البطن يمنع من الذكر وما منع من الذكر فهو شر قال الله سبحانه وتعالى والله خير وأبقى وقال والآخرة خير وأبقى ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم ثلث طعام أن يأكل شبعه المعتاد فيصير ثلث الشبع قوام الجسد باعتياد ثان كما كان ملء البطن من الشبع هو العادة الاولى وثلث الشبع هو ثمان أواق فهذا على معنى الخبر الآخر طعام الواحد يكفى الاثنين وطعام الاثنين يكفى الاربعة ففى هذا خمسة أوجه قال بعض علمائنا البصريين طعام الواحد شبعا يكفى الاثنين قوتا وطعام الاثنين شبعا يكفى الاربعة قوتا ومنهم من قال طعام المسلم يكفى مؤمنين وطعام مسلمين يكفى أربعة من خصوص المؤمنين ويجوز أيضا أن يكون طعام الواحد من المنافقين يكفى مسلمين على معنى قوله المؤمن يأكل فى معى واحد والمنافق فى سبعة أمعاء ويصلح أن يكون بمعناه طعام الواحد من الصناع المتصرفين فى المعايش يكفى اثنين ممن هو قاعد لا يتصرف ويصلح أيضا طعام الواحد من المفطرين يكفى طعام صائمين من الخصوص وفى خبر عمر رضى الله عنه حين قال لابن مسعود وأبى موسى فى قصة المرتد الذى قتلاه قبل أن يستتيباه ويحكما ألا طينتم عليه بيتا وألقيتم اليه كل يوم رغيفا ثلاثة أيام فلعله أن يتوب ويرجع الى الاسلام اللهم انى لم آمر ولم أعلم ولم أرض اذ بلغنى فدل هذا ان فى كل رغيف كفاية يوم وثلاثة أرغفة عندنا بالحجاز رطل لان الرطل المكى عدد ستة أقراص منذ ذلك الى يومنا هذا فيكون كل رغيف ثمان أواق فهذا كما قلناه ان ثمان أواق ثلث الشبع لقوله ثلث طعام بعد قوله لقيمات جمع لما دون العشرة وهذا موافق لما روى عن عمر رضى الله عنه انه كان يأكل سبع لقم وحدثونا فى أخبار الخلفاء ان الرشيد جمع أربعة أطباء هندى ورومى وعراقى وسوادى فقال لهم ليصف كل واحد منكم الدواء الذى لا داء فيه فقال الهندى الدواء الذى لا داء فيه عندى هو الاهليلج الاسود وقال الرومى الدواء الذى لا داء فيه حب الرشاد الابيض وقال العراقى الدواء الذى لا داء فيه الماء الحار فقال السوادى وكان أعلمهم ان الاهليلج يعفص المعدة وهذا داء وان حب الرشاد يرق المعدة وهذا داء وان الماء الحار يرخى المعدة وهذا داء قالوا فما عندك قال الدواء الذى لا داء فيه أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وترفع يدك عنه وأنت تشتهيه فقالوا صدق * وحدثنى بعض العلماء قال ذكرت لبعض الفلاسفة من أطباء أهل الكتاب قول النبى صلى الله عليه وسلم ثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فتعجب منه واستحسنه وقال ما سمعت كلاما فى قلة الاكل أحكم من هذا وانه لكلام حكيم ثم قال جهدت الاطباء من الفلاسفة ان يقولوا مثل هذا فى التقلل من الاكل فلم يهتدوا اليه فأكثر ما قالوا لا تقعد على طعامك حتى تشتهيه وترفع يدك عنه وأنت تشتهيه ومنهم من قال لا يأكل الا بعد الجوع ويرفع قبل الشبع ومنهم من قال لا يأكل الا بعد الجوع المفرط ولا يشبع شديدا وانما كان مراده هذا الذى ذكره نبيكم وقد كان بعض علمائنا يقول من أكل خبز الحنطة بحتا بأدب لم يعتل الا علة الموت قيل له وما الادب قال يأكل بعد الجوع ويرفع قبل الشبع والاصل فى هذا ان العلل داخلة على الاجسام من اختلاف نبات الارض لان المعدة مركبة على طبائع أربع الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وكذلك منابت الارض على هذه الطبائع الاربع فاذا أكثر من اختلاف منابتها أمالت الحرارة والبرودة من النبات غرائز الطبائع من الحرارة والبرودة من المعدة وأمالت الرطوبة واليبوسة من النبات غرائز الطبائع من الرطوبة واليبوسة فزاد

بعضهم تعصى الاله وأنت تظهر حبه * هذا محال فى القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته * ان المحب لمن أحب مطيع

واعلم أنه لا يكفى فى تحقيق معنى المحبة ترك الحب ماهو مستغنى عنه فى هوى المحبوب بل لا بد مع ذلك من ترك ماهو محتاج اليه ويحب له تقربا الى محبوبه قال الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ومن جملة المحبوبات النفس وهواها فليلزمه أيضا تركها والخروج عن هواها لله تعالى وفى الحديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به أى فلا تبقى له ارادة ولا شهوة ولا حظ من الحظوظ بل تكون ارادته فيما يريده الله تعالى وكراهته فيما يكرهه قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة وقال صلى الله عليه وسلم كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها وأصل حال المحب ان يقطع تشوقه عن كل شئ سوى محبوبه فمن نظر الى سواه فهو محجوب عن مولاه يحكى ان بعض الناس رأى امرأة جميلة فاشتغل قلبه بها فقال لها كلى بك مشغول فقالت له ان كان كلك بكلى مشغول فكلى لك مبذول لكن لى أخت لو رأيت حسنها وجمالها لتذكرنى فقال أين هى فقالت وراءك فالتفت وراءه فلطمته لطمة وقالت له يا كذاب لو كنت صادقا فيما قلت لم تلتفت الى غيرى ويقال سميت المحبة محبة

بعض على بعض وقوى وصف على مثله فكذلك الامراض من مثل ذلك لان كل ما كول من نبات الا كل يعمل فى وصف من معانى الجسم وان الحنطة مخالفة لسائر نبات الارض المعتدلة فى الطبائع الاربع كاعتدال الماء فى سائر الاشربة وقد شبهوا لحم الدراج فى خفته وقلة دهنه من سائر اللحوم بطبع الحنطة فى سائر الحبوب * وقال بعض الاطباء كل من الخبز بحتا ما شئت فانه لا يضرك وقال غيره أكل الخبز وحده خير من الادم المردى وقال بعضهم لم يدخل الانسان الى معدته أنفع من الرمان ولا أضر من المالح ولان ينتقل من المالح خير له من أن يستكثر من الرمان وقد مثل الاترج من سائر الفاكهة على سائر المعدة فى الطبائع الاربعة وقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن بالاترجة طعمها طيب وريحها طيب فهذه لطيفة من اللطائف وحكمة من الحكيم تعالى اذا أراد صحة جسم عبد أوحى الى المعدة أن يأخذ كل طبع منها ضده من نبات الارض الذى وقع فى المعدة فيأخذ طبع الحرارة طبع البرد ويأخذ طبع الرطوبة طبع اليبوسة من الما كول فتعتدل الطبائع فاستوى المزاج فيكون ذلك سببا لصحة الجسم من علة فاذا أراد اسقام جسم أمر كل طبيعة ان تأخذ جنسها ومثلها من المأكولات من نبات الارض مثله فتضرب المزاجات ثم يبدو ذلك فى الجسد بمجارى العروق ومصبابها الى الاعضاء المتفاوتة الادوات فتقع كل أداة فى عضو ضدها فتثقل بها أو يغشى كل آلة من جارحة مالا يلائمها من طبعها فيسقم الجسم وتتفاوت العلل فيكون هذا سبب الامراض والعوارض نعوذ بالله ذلك تقدير العزيز العليم * وقد روينا أصل بنية الانسان عن الله تعالى فى صفة خلق آدم عليه السلام حدثنا عن البراء قال حدثنا عبد المنعم بن ادريس قال حدثنى أبى عن ابن منبه اليمانى انه وجد فى التوراة صفة آدم عليه السلام حين خلقه الله عز وجل وابتدعه فقال انى خلقت آدم ركبت جسده من أربعة أشياء ثم جعلتها وراثة فى ولده تنمى فى أجسادهم وينمون عليها ركبت جسده من رطب ويابس وسخن وبارد وذلك لانى خلقته من التراب ورطوبته من الماء وحرارته من قبل النفس وبرودته من قبل الروح ثم جعلت فى الروح بعد هذا الخلق الاول أربعة أنواع من الخلق هن ملاك الجسم باذنى وقوامه لا يقوم الجسم الا بهن ولا يقوم منهن واحدة الا بالاخرى منهن المرة السوداء والمرة الصفراء والدم والبلغم ثم أسكنت بعض هذا الخلق فى بعض فجعلت مسكن اليبوسة فى المرة السوداء ومسكن الرطوبة فى المرة الصفراء ومسكن الحرارة فى الدم ومسكن البرودة فى البلغم فايما جسد اعتدلت فيه هذه الفطر الاربع التى جعلتها ملاكه وقوامه فكانت كل واحدة منهن ربعا لا تزيد ولا تنقص كملت صحته واعتدلت بنيته فان زادت منهن واحدة عليهن قهرتهن ومالت بهن ودخل عليه السقم من ناحيته بقدر غلبتها حتى تضعف عن طاقتهن وتعجز عن مقاربتهن ثم ذكر الحديث بطوله وقد تغلب الحرارة على بعض المريدين من قبل قوة المزاج وحدة الشهوات فيظهر الطبع فيتسع المنى على العزب كما تقوى الحرارة فينبع الدم لان أصل المنى هو الدم يتصاعد فى خرزات الصلب وهنالك مسكنه فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيض فاذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طاب الخروج من مسالكه فقويت الصحة بذلك فهذا حين هيجان الانسان الى النكاح ولا يصلح لمثل هذا ان يأكل الحرارات من الاطعمة وليداف ذلك بأكل البرودات والاشياء القاطعة وليجتنب أكل كل حار يابس أو بارد رطب فانه يهيج الطبع ويقوى العضو * وقد روينا عن قتادة فى تفسير قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وقال فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلث عقله * وقد روينا عن ابن عباس فى قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه قال الذكر اذا دخل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقول أعوذ بك من شر سمعى وبصرى ولسانى وقلبى ومنيي وروينا عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليهن أجمعين السلام انهن كن يأكلن الخل والبرودات بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطعن به الشهوة وروى بعض أشياخ الصوفية قال اشتدت على صفقى

لانه انمحى من القلب شهود الاغيار لان مقلوب حب ومن علامة المحبة كتمان سر المحبوب لان المحبة اذا قلبتها تكون بح واعلم ان المحبة المعهودة بين الخلق تستلزم اللذة بالمحبوب ومحبة الله تعالى ليست كذلك لان مواضع الحقيقة دهش وحيرة والمراد بمواضع الحقيقة مقامات المشاهدة والقرب والاتصال فان من اتصل الهاء يدهش عن كل شئ حتى عن نفسه ودراكاتها وتصطلم ويبقى فى حيرة ويغيب عن كل لذة ولم قال أبو القاسم كان سمنون المحب ممن أقيم فى مقام المحبة وكان اذا تكلم فى المحبة يكاد الصخر أن يتصدع لكلامه ويقال ان قناديل المسجد كانت تتلاطم وتنكسر عندما يتكلم فى المحبة وتهيم الخلق وتتوله عقولهم ويصيرون فى دهش وحيرة حتى الطيور تهيم عند سماع كلامه ونزل عليه يوما طير وهو يتكلم فى المحبة ومشى بين يديه حتى قعد فى حجره ثم نزل من حجره الى الارض وضرب بمنقاره الى الارض وخرج الدم من منقاره ومات وسئل بعض الاكابر فقيل له ما بال كلام سمنون فى المحبة يؤثر فى قلوب الخلق ما لا يؤثر كلام غيره فقال ليس النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة والكلام اذا خرج من القلب دخل القلب واذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان واعلم ان المحب منعم بعذاب قلبه الذى هو هجر محبوبه له لانه يقول لمحبوبه ان هجرتنى وقصدتنى بالهجر وعلمت انى

في بدء ارادتي بمالم أطق فكنت أضج الى الله تعالى في كل وقت فرأيت شخصا في النوم فقال لي مالك فشكوت اليه فقال تقدم الى فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها في فؤادي وجميع جسدي قال فاصبحت وقد انكشف مابي فبقيت معافى سنة ثم عاودني ذلك بمثله أو أشد فا كثرت الضجيج الى الله عز وجل فجاءني شخص في المنام قال تحب ان يذهب ماتجد واضرب عنقك فقلت نعم فقال مد رقبتك فمددتها فجرد سيفا من نور فضرب به عنقي قال فاصبحت وقد انكشف مابي فبقيت معافى سنة ثم عاودني بمثله من الاغتلام وأشد فرأيت شخصا يخاطبني فيما بين صدري وثوبي فقال ويحك كم تسأل الله تعالى رفع مالم يحب رفعه قال فتزوجت فانقطع عني ولم يعاودني فكان ذلك سبب ذريته وولده فاذا كان العبد ناسيا الجوع مذاكرا له عز وجل فهو يشبه الملائكة واذا كان شبعان مهموما في طلب الشهوات فهو أشبه بالبهائم * ويقال ان الجوع ملك والشبع مملوك وان الجائع عزيز والشبعان ذليل وقيل الجوع عز كله والشبع ذل كله وقال بعض السلف الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة * وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ بابا وباب العبادة الصوم والخبر المشهور صوموا تصحوا فصحة القلوب من علل الرؤس أعلى وأحسن من صحة الاجسام من علل الاسقام * وقد روينا عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أديموا قرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف نديم قرع باب الجنة يارسول الله قال بالجوع والظمأ وقد نوع أبو سعيد الخراز مقامات أهل الجوع في مقاصدهم عن مواجيدهم وهممهم فحدثني الجهضمي عن أحمد بن شاكر قال سمعت أبا سعيد يقول سمعت الثقة من علمائنا يقول عن عبد الواحد بن زيد انه كان يقسم بالله ماصافى أحد الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا طويت لهم الارض الا بالجوع * وكان يعد الاخلاق السنية الشريفة المحمودة ويحلف انهم مانالوها الا بالجوع قال أبو سعيد معنى الجوع اسم معلق على الخلق افترقوا في الدخول فيه والعمل به لعلل كثيرة فمنهم من يجوع ورعا اذا لم يصب الشئ الصافي ومنهم من وجد الشئ الصافي فتركه زهدا فيه من مخافة طول الحساب والوقوف والسؤال ومنهم من استلذ العبادة والنشاط بها والخلوة فرأى النيل من الطعام والشراب قاطعا له وشغلا عن الخدمة والخلوة ومنهم من قرب من الله عز وجل فلزم قلبه حقيقة الحياء حين علم ان الله تبارك وتعالى مشاهده وكان الحياء مقامه لا غيره فتوهم ان الله تعالى يراه وهو يمضغ بين يديه ويأكل ويشرب فيؤديه ذلك الى الكنيف فيجوع من هذه العين وهكذا كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ومنهم من أدركه السهو عن حاجاته فسلا عن نيل مصلحتين حتى يذكر في الغيب أو يذكر * وقال أبو سعيد الخراز أيضا قال جماعة من الحكماء ان الله تعالى لا يكلم أحدا وفي بطنه شئ من الدنيا فهذا يدل على أمره لموسى عليه السلام يقول النبيل ليلقاه خاليا من الدنيا وبنفس ساكنة عن المنازعة الى شئ من الملك وروح روحانية قد أحياها الحي لحياته فعند ذلك يصلح هذا الشخص لمخاطبته بلا بلا ترجمان * وحدثني الحسن بن يحيى البستي عن ابن مسروق قال لقيت سهل بن عبد الله فلما دخلت عليه بشرني وقبلني وكان في ارادة وتذلل فقلت له أحب ان تصف لي بدايتك وما كنت تقوت به فقال في كل سنة ثلاثة دراهم كنت آخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز واشوبه مخلصا ثلاثمائة وستين أكرة آخذ ليلة اكرة أفطر عليها فقلت الساعة كيف تعمل فقال أكلا بلا حد ولا توقيف * وحدثونا في أخبار الملوك ان ملك الهند أهدى الى المنصور تحفا منها انه وجه اليه بفيلسوف طبيب قال فانزله المنصور وأحسن اليه فلما دخل عليه قال الفيلسوف قد جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال يتنافس الملوك فيها الا تصنعها الا لهم قال وما هي قال اخضب لحيتك بسواد فلا تنصل أبدا ولا تتغير عن حالها قال وما الخصلة الثانية قال أعالجك بعلاج تتسع به في المأكل فتأكل أي شئ شئت فلا تتخم ولا يؤذيك الطعام قال وما الثالثة قال أقوى صلبك بقوة تنبسط الى الجماع فتجامع ماشئت لا أقل من ذلك ولا اضعف بصرك

مهجورك فانا قد خطرت ببالك فيتنعم بما هو به متعذب فعين النعم هي عين العذاب لكن باعتبار أن الهجر كان عن قصد كبير لله وتضرع عسه فبلذلة المحب وبعزة المحبوب فيناديه الرب العزيز بلسان هجري لك ظهور عذابي عليك باني لامثل لي ووصلي لك ارادة رحمتي وترى المحبوب يقرب شخصا ويجالسه ويكلمه وليس له في قلبه كثير حظ ومحبة يتقطع فيه وجدا وحبا ويمنعه منه نظرة وكلمة وخطرة بباله وهو مع ذلك يتنعم عليه ليكون ذلك أعظم عنده فياله من عذاب ماألذه ومن هجر ما أعذبه

(فصل) والمحبة على ثلاثة أضرب الاول حب للاحسان والثاني حب للصفات التي صدر منها الاحسان والثالث حب للذات فالحب الاول حب المؤمنين وقد يكون هذا الاحسان في الدنيا والآخرة فهؤلاء يحبون الله تعالى لاحسانه فتعلق محبتهم على الحقيقة هو الاحسان والحب الثاني حب الخواص وهو حب يتعلق بالصفات التي تصدر منها هذه الافعال وهذا فوق الاول لانه قد رقى من النعمة الى المنعم وانه أهل أن يعبد وان يتذلل له والحب الثالث حب خاصة الخاصة وهو حب يتعلق بالذات لا يبعثه على هذا الحب شئ وانما هو حب قد أشرب قلبه فلا يلتفت فيه الى عطائه ومنعه وضره ونفعه بل حبه له انما هو لكمال ذاته وصفاته وقدسه وجلاله وعظمته وبرائه

ولا ينقص من قوتك قال فاطرق المنصور ثم رفع رأسه اليه فقال قد كنت أظن انك أعقل مما أنت أما السواد فلا حاجة لى به فان ذلك غرور وزور والشيب هيبة ووقار ولم أكن لاغير نورا جعله الله تبارك وتعالى فى وجهى بظلمة السواد وأما ماذكرت من الاكل فوالله ما أنا بشره ومالى فى الاستكثار من الطعام حاجة لانه يثقل الجسم ويشغل عن النوائب وأقل شئ فيه كثرة اختلافى الى الخلاء فارى ما أكره وأسمع مالا أحب وأما ماذكرت من النساء فان النكاح شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة مثلى يجثو بين يدى صبية ارجع الى صاحبك مذموما مدحورا فلا حاجة لى بما جئت به *وحدثونا عن بعض هذه الطائفة قال أتيت قاسما الجوعى فسألته عن الزهد أى شئ هو فقال لى أى شئ فيه فقلت قالوا الزهد قصر الامل فقال وأى شئ سمعت فيه فقلت قالوا الزهد ترك الادخار فقال حسن حتى عددت عليه أقوالا فسكت فقلت أى شئ تقول أنت فقال اعلم ان البطن دنيا العبد وبمقدار ما يملك من بطنه يملك من الزهد وبمقدار ما يملكه بطنه تملكه الدنيا وعلى هذا المعنى قال وهب بن منبه حكيم هذه الامة لكل شئ وسط وطرفان فاذا أمسكت أحد الطرفين مال الآخر وان أمسكت الوسط اعتدل الطرفان فكذلك البطن وسطا بين الجوارح ان أمسكتها اعتدلت الاطراف السمع والبصر واللسان والفرج والرجلان وكذلك كان شيخنا ابن سالم يقول اذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمعت بك النفس الى الهالكة واذا منعت البطن حظه قصرت عنك كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك *وكان بشر بن الحرث قد اعتل فسأل عبد الرحمن المتطبب عن شئ يوافقه من المأكول فقال له عبد الرحمن تسالنى فاذا وصفت لك لم تقبل منى فقال له بشر صف لى حتى اسمع فقال تحتاج تستعمل ثلاثة أشياء فان فيهن صلاح جسمك قال ماهن قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفيذاجا فقال له بشر تعلم شيئا أقل ثمنا من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فانا أعرف قال وما هو قال الهندبا بالخل يقوم مقامه قال فتعرف شيئا أقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال فانا أعرف قال ماهو قال الخرنوب الشامى قال فتعرف شيئا أقل ثمنا من الاسفيذاج يقوم مقامه قال أما هذا فلا قال بلى قال ماهو قال ماء الحمص بسمن البقر فى معناه فقال له عبد الرحمن فانت أعلم منى بالطب فلم تسالنى *ويستحب للعبد اذا كان جائعا فتاقت نفسه الى الجماع ان لا يأكل لئلا يجمع لنفسه بين حظين فيطالبهما فربما طلبت الجماع للتعفف وهى تريد الاكل لتنبسط به الى الجماع وفى الجمع بين شهوتين تقوية النفس واجراء عادة لها ويستحب للعبد اذا أكل ان لا ينام على أكله فيجمع بين غفلتين فيعتاد الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل أو يجلس فيذكر الله تعالى فانه أقرب الى الشكر وفى الحديث أذيبوا طعامكم بالصلاة والذكر لا تناموا فتقسو قلوبكم فاقل ذلك ان يصلى أربع ركعات ويسبح مائة تسبيحة ويقرأ جزأ من القرآن عقيب كل أكلة وقد كان سفيان الثورى اذا شبع فى ليلة أحياها واذا شبع فى يوم واصله بالصلاة والذكر وكان يتمثل فيقول أشبع الزنجى وكده ومرة يقول أشبع الحمار وكده وكان اذا جاع كأنه يتراخى فى ذلك وينبغى للمتقشف ان يأكل اللحم والدسم فى الشهر مرتين فان أكله أربعا فلا باس وقد كان السلف يفعلون ذلك وفى خبر عن على عليه السلام من ترك أكل اللحم أربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه أربعين يوما قسا قلبه وقد نهى عن مداومة اللحم وقيل ان له ضراوة كضراوة الخمر وقد كان أبو محمد سهل رحمه الله يقول للمتقللين من أهل عبادان احفظوا عقولكم وتعاهدوها بالادهان والدسم فانه ما كان ولى لله عز وجل ناقص العقل وان احب المريد أن يأكل شيأ من الطيبات والفاكهة فليجعل ذلك بدلا من الخبز ويقطع به جوعه فيكون ذلك له قوتا عند الحاجة الى طعم ولا يكون تفكها لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة فانه أسرع لله لانه اذا شبع من الطيبات غير الخبز شبعة أو شبعتين كان أقرب الى تركه وانقطاع شهوته ونظر أبو محمد سهل الى ابن سالم شيخنا رحمه الله وفى يده خبز وتمر فقال له ابتدئ بالتمر فان قامت كفايتك به والا أخذت من الخبز بعده حاجتك وقال ان التمر مبارك والخبز شوم يعنى انه كان سبب اخراج آدم من الجنة وأما

من النقائص والآفات فصاحب هذا الحب الثالث قد رقى من الافعال الى الصفات ومن الصفات الى الذات فعبده حينئذ عبر معالله بشئ واعلم ان هذا الضرب الثالث من المحبة هو أول أودية الفناء والعقبة التى يجوز منها الى منازل المجد وأدونه اعراض لا اعواض للعوام منها شرب وللخواص منها شرب قد علم كل أناس مشربهم ونهاية عوام الطريق هى بداية العارفين فنهاية العوام فى المحبة وهى الحب للاحسان هى بداية الخواص فى المحبة والمحبة التى هى لغير احسان هى أول أودية الفناء ولها أول ووسط ونهاية فاولها أن يحبه ولا يشوب محبته بحظ من الحظوظ لحظه محبوبه وهو الحظ الاعلى وأوسطها أن يرى المحب المحبوب ونفسه ولا يحبه للحظ الذى هو الثواب فقد رقى هذا عقبة ما ملكها صاحب المحبة الاولى ونهايتها ان صاحب هذه المحبة يشرف من هذه العقبة على منازل المحو وهى منزلة المحب المستهلك الذى غاب عنه الثواب وغابت عنه نفسه وتعلق حبه بالذات وصار به مغمورا وما دون هذا الحب اعراض لا اعواض يطلبون عليها عوضا وهؤلاء الطوائف الثلاثة لكل طائفة منهم شرب فشرب العوام حظهم وشرب الخواص نظرهم الى الصفات وشرب خاصة الخاصة حال لا يقدر أحد على وصفه *(فصل)* وفى المحبين

وبركة الثمر فان الله تعالى ضرب النخلة مثلا لكلمة التوحيد في قوله تعالى ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء قال ابن عباس كلمة التوحيد لا شيء أحلى منها كشجرة طيبة وهي النخلة وليس في الثمار أحلى من الرطب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن في حلاوته ولينه وقوته وثبات أصله بالنخلة فقال لا يسقط ورقها مثلها كمثل المؤمن يقول سهل رحمه الله اذا استغنيت عن الخبز بغيره من الطعم كان خبز البر يريد ان لا توقف نفسك مع عادة فتنازعك اليها وقد ذكرت هذه الحكاية لأبي بكر بن الجلاء فأعجبته وقال هذا كلام الحكماء وكان هذا يلائم حاله وان خشي المريد ان يكون شيء من المآكل والطيبات له عادة ولم يأمن ثأله قلبه وتوقان نفسه اليه ومنازعتها اياه وكان العبد مبتدئا غير عارف خبء النفس ودواهيها ولا يفطن لمكرها وآفاتها فان ترك ذلك أفضل فليتركه حينئذ لأجل الله خوفا أن يشتهيه فيحرص على مثله ويدخل مداخل السوء من أجله ويبيع دينه فيه أو خشية تمكن العادة فيه فتعذر عليه التوبة لدخوله في الشبهات عند اعتياد الشهوات لان العادة جند الله تغلب العقل والابتلاء سلطان من سلطان الله تعالى يقهر العلم لاجله تعذرت الاستقامة ولولا العادة لكان الناس تائبين ولولا الابتلاء لكان التائبون مستقيمين فليترك حينئذ أكل الطيبات اذا صارت شهوات وخشي منها مطالبة العادات ودعاوي النفس بالآفات ناويا بذلك ما ذكرناه لصلاح قلبه وتسكين نفسه ليملك بذلك نفسه قبل ان تملكه ويقطع عادتها قبل ان تملكه ويغلب بالترك طبعه وهواه قبل ان يكونا بالشهوة يغلبانه كما قال بعض الحكماء اني لا أقضي عامة حوائجي بالترك فيكون أروح لنفسي وكما قال آخر اذا أردت ان أستقرض من غيري لشهوة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي فيصير الترك حينئذ والمنع للنفس غذاء وعادة كما كان الأخذ والأكل عادة ففي هذا عون له على صلاح قلبه ودوام حاله وكان ابراهيم بن ادهم يسأل أصحابه عن الشيء من المأكول فيقال انه غال فيقول له ارخصوه بتركه وقال بعض الأدباء في معناه

واذا غلا شيء علي تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وهو حينئذ تارك للشهوات لأجل الله تعالى وعامل من عمال الله وقد كان هذا طريق طائفة من السلف الى الله تعالى ثم انقرضوا فانمحى طريقهم وخلف بعدهم خلف من العلماء ابتغوا الشهوات ولم يقاموا في هذه المقامات ولا سلكوا بهم هذه الطرقات فلم يتكلموا في ترك الشهوات فلذلك درس هذا الطريق وعفا أثره لفقد سالكه وعدم كاشفه فمن عمل به وسلكه فقد أظهره ومن أظهره فقد أحياه أهله حدثني بعض علمائنا عن بعض المريدين من أهل البصرة قال نازعتني نفسي خبز أرز وسمكا فمنعتها فقويت مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة قال فمات فرأيته في النوم فقلت ما فعل الله بك فقال لا أحسن أصف اليك ما تلقاني به ربي من النعيم والكرامة وكان أول شيء استقبلني به خبز أرز وسمكا فقال كل شهوتك اليوم هنيئا بغير حساب وقد قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية فكأنهم أسلفوا ترك الشهوات لما تركوها وقدموا الجوع والعطش في خلوا أيامهم فاستقبلهم بالأكل والشرب ويقال لكل عمل جزاء في الآخرة من جنسه وبمعناه وقال سري السقطي منذ ثلاثين سنة أشتهي ان أغمس جزرة في دبس وأنا أمنع نفسي وكان أبو سليمان الداراني يقول ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها وقال لان أترك لقمة من عشائي أحب الي من قيام ليلة ذلك ايثارا للتقلل وخفة المعدة من الطعام أو خشية الاعتياد للشبع وسمعت أبا بكر بن الجلاء يقول أنا أعرف انسانا تقول له نفسه أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا أريد ان تصبري على طي عشرة أيام ولكن اتركي هذه الشهوة التي تشتهينها وقال لي رجل رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأخذ بحاذ ذراعه وجعل يقول جعت هذا الجوع كله ولم يقل لي اترك الجوع ولو قال لي اتركه لعله كان يتركه وقد كان رحمه الله قد ترك أكل الشهوات وأكل الخبز أيضا ثلاثين سنة وكان الجنيد رحمه الله يقول يقوم أحدهم في صلاته فيجعل

من غلب عليه الاستغراق في المحبة فغابوا عن الفعل كله وأهل هذا المقام متفاوتون فمنهم من يعتز به جميع أوقاته ومنهم من يعتز به في بعضها على قدر ما رزقه الله تعالى من القرب وهم أصحاب قرة العين كما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين فان قلت كيف لم تظهر هذه الأحوال على الصحابة رضي الله عنهم قلت يا مسكين أنت أعمى عن أحوال الصحابة بل أحوال الصحابة ومقاماتهم أعظم وكل ما ذكرناه من المواهب فهي عندهم أكثر وهم فيها أقوى من غيرهم وأمكن في الأحوال ألا ترى الى قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق شيئا من خالص محبة الله تعالى ألهاه ذلك عن كل ما سواه فتأمل هذا الكلام من الصديق رضي الله عنه تجد المقامات كلها فيه وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر رضي الله عنه ما سبقكم أبو بكر بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بشيء وقر في صدره وكذلك اذا تأملت ما نقل عن الصحابة من بذلهم نفوسهم واطراحها بين يدي الله تعالى في الحروب وقتالهم القريب والبعيد في حق الله تعالى وخروجهم عن أموالهم وديارهم في طلب رضا الله تعالى دل ذلك على امتلاء بواطنهم بحب الله تعالى ومشاهدته وكذلك صبرهم على الجهد والبلاء الذي لا يقدر غيرهم عليه ليس ذلك الا عن أمر قد ملك البواطن وصرفها على حكم

بينه و بين الله تعالى زنبيل طعام و يريدان يجد حلاوة المناجاة أو يسمع فهم الخطاب ومثل البطن مثل الزهر وهو العود المجوف ذوالاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته ولانه أجوف غير ممتلئ ولو كان ثقيلا جاسيا ممتلئا لم يكن له صوت وكذلك الجوف اذا خلا من الامتلاء كان أرق للقلب وأعذب للتلاوة وأدوم للقيام وأقل للمنام وروى عنه ان عتبة الغلام قال لعبد الواحد بن زيدان فلانا يصف من قلبه منزلة لا أعرفها فقال ان فلانا يأكل التمر وأنت لا تأكله قال فانا ان تركت التمر وأكله عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكى فقال له بعض أصحابه أبكى الله عينك أعلى التمر تبكى فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه فى الترك هو اذا ترك شيئا لم يعاود فيه أبدا وكان بعض أشياخنا ترك أكل الخبز الحار لانه كان يحبه و يشتهيه سنين كثيرة فعوتب فى ذلك فقال لو طمعت نفسى فى أكل الخبز عشرين سنة ما أطعمتها الساعة وكان ربما يبكى من شدة شهوة نفسه وشدة عزم مجاهدته لاستشعار نفسه صدقه وحسن وفائه فتيأس من شهوتها آخر الدهر فكذلك كان يقع عليه البكاء للاياس من المشتهى واعلم ان الشهوات لاحد لها ومثل القوة مثل العلم ذو حدود فكم من شهوة دنية منعت رتبة علية فان لم تقطع الشهوات وتحسمها أحب ما كانت اليك أعطتك أرغب ما تكون فيها فلا تقعد عن التوبة تنتظر آخرها فان النفس لا آخر لشهواتها الى ان ترى الملائكة فعند ذلك تمحى صفاتها فتغيب الشهوات لانها من أوصافها فان لم تترك الشهوات المعتادة فلا تعمل فى مثلها من الزيادة بل يكون عملك فى النقصان فهو أقرب الى أخلاق الايمان وقد كان بعضهم يقول لاصحابه لا تأكلوا الشهوات فان أكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وكانوا يقولون مازاد على الخبز فهو شهوة حتى الملح وقال بعضهم الخبز من أكبر الشهوات واعلم ان مازاد على الخبز فهو فاكهة يتفكه به وقد روينا عن ابن عمر انه قال ماتأتينا من العراق فاكهة أحب الينا من الخبز فان كان لابد من تفكه بفاكهة مع الخبز الذى هو قوت النفس فكما أطعم الله عز وجل الفقراء فى الكفارة وهو التوسط فى الادام الذى أمر به وأحبه لفقرائه مثل الخبز واللبن لان أعلى الادام اللحم والحلو وأدناه الملح والخل فلم يأمر سبحانه وتعالى بأعلاه لانه يشق على الاغنياء ولم يأمر بالادنى لانه يشق على الفقراء وتوسط الامر بينهما فقال عز من قائل من أوسط ماتطعمون أهليكم فهو ماذكرناه وعلى ذلك فان ابتلى العبد بأكل الشهوات وحبها فليظهر ذلك ولا يخفيه وليشترها بنفسه ولا يستسرها فان هذا من صدق الحال وهو طريق السلف ان فاته المجاهدة فى الاعمال فلا يفوتنه الصدق فى الحال وان لم يكن صديقا فليصدق فى كذبه فان الصدق فى الكذب أحد الصدقين وان اخفاء الكذب والنقص واظهار ضده من الاخلاص والتمام هو كذبان لانه نقص وأظهر حال الكاملين واعتل وأبدى شعار المعصومين فكذب من طريقين واستحق المقت من وجهين فلذلك غضب الله عز وجل على المنافقين ومقتهم مقتين ثم لم يرض منهم الا بتوبتين واشترط عليهم شرطين فقال تعالى ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار يعنى أسفل من الكفار لان الكافر أخلص فى كفره فسوى بين باطنه وظاهره والمنافق كفر وأشرك فى ايمانه فخالف بين باطنه وظاهره واستخف بنظر الله عز وجل الى قلبه وعظم عين المخلوق فزاده الله عز وجل فى هوانه وشدد فى توبته وأكد من شرطه فقال تعالى الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله الآية وهذا الضرب من الرياء مما لا يتحرز به عالم بالله عز وجل ولا غافل عن الله عز وجل ولله الحمد وان ابتلى بأكل الشهوات و ببعض المعاصى كما تجرى الذنوب على العارفين ولا يبتلون برياء المخلوقين وليس للسلف فى هذا الباب الا طريقان طريق هو المجاهدة للنفس وترك الشهوات فمنهم من كان يخفيه لانه أسلم له ومنهم من كان يظهره لانه مؤمن قوى نيته فى ذلك القدوة والتاسى وطريق آخر كان فيه طائفة من العلماء والعاملين وكانوا يأكلون الطيبات و يتسعون فى المآكل اذا وجدوها الا انهم كانوا يظهرون ذلك و يكسفون نفوسهم به فان فاتك الطريق الاعلى فاسلك الطريق الاوسط الاسلم فاما ان يكون عبدا يأكل الشهوات فى السر و يخفيها فى العلانية أو يظهر شعار ضدها

محبة الله تعالى والنظر الى ماذكر الله فى حقهم من الثناء وماوصفهم به من التصلب فى الدين واخلاص الايمان ومانقل عنهم من الجد والاجتهاد فى جهاد الكفار وجهاد النفس والهوى والشيطان وتجرعهم مرارات المجاهدة وتبتلهم لعبادة الله تعالى من الصيام والصلاة وتلاوة القرآن ولزوم المسجد وقيام الليل وحبس النفس عن الشهوات وصبرهم على الفاقة والجوع والعرى فاذا نظرت فى ذلك علمت انهم كانوا أقوى من غيرهم فلذلك ملكوا الاحوال ولم تملكهم الاحوال وغيرهم ملكتهم الاحوال لضعفهم عن أحوال الصحابة فظهرت عليهم آثار الاحوال لان قوة الصحابة من قوة النبى صلى الله عليه وسلم واعلم أن الكشوف من نتائج المحبة فاذا علم المحبوب صدق المحب فى محبته رفع بينه وبينه الحجاب وأطلعه على اسراره وكشف له من علوم غامضة واسرار عالية والكشوف كانت أقل مراتب العارفين من الصحابة حصل لهم ذلك من الولاية التى ورثوها من مقام النبوة فاشرقت عليهم من سره صلى الله عليه وسلم وسرت الى قلوبهم من معارفه وأما علوم المعاملة المتعلقة بالقلوب والابدان فانها كانت حفظا فى صدورهم ونورا فى قلوبهم وانما حدثت التصانيف فى أواخر المائة الاولى ثم فى المائة الثانية ظهرت كتب الكلام ومصنفات الرأى والمعقول وكثر الخوض فى الجدال

من

من الترك لها والزهد فيها فليس هذا طريق الموقنين ولا مسلك الصادقين هذا وقد عرج عن طريق المسالك وسلك سبيل المهالك فاياك ان تترك محجة الطريق فتقع في حيرة المضيق حدثنا ان عابدا من بني اسرائيل انتهى في سياحته الى أرض لقوم ورأى في وسطها طريقا مستطرقا سلك فيه السابلة فقال هذه أرض لقوم كيف أسلكها وشق عليه ان يجاوز الارض فيبعد عليه طريقه فتفكر وقال هذا طريق مسلوك لا باس على ان أسلكه فسلكه فلما خرج من تلك الارض عوقب على ذلك ونسي ذنبه فجعل يستكشف فقيل له لانك سلكت الى غير طريق ودخلت في حرث قوم بغير اذنهم فقال يارب معذرة اليك اني رأيته قد جعل طريقا فاوحى الله عز وجل اليه وكلما اتخذ الظالمون طريقا جعلته الى سبيلا فمن سلك طريق ظالم بغرور لم يكن في ذلك معذورا وأوقعه في الحيرة والغرور فهلك وأهلك من اقتدى به وهذا طريق متصنع جاهل متعارف بذلك الى الدنيا متشوف عند الناس بترك الشهوات مظلم التوحيد في الوجد ضعيف اليقين في غيبة عن العيون وقد كان من شان الصادقين من السلف اشتراء الشهوات بانفسهم وتعليقها في منازلهم يظهرون للناس شعار الراغبين وهم فيها عند الله عز وجل من الزاهدين لا يا كلونها الغابر يدون بذلك اسقاط منزلتهم من قلوب الجاهلين واخفاء حالهم عن الناظرين وليصرفوا عنهم قلوب الغافلين يقطعون بذلك المقامات ويشترون به المعاملات لان هذا مقام من زهد في الاشياء وأخفى زهده فمن نهاية اخفاء الزهد اظهار ضده واستشعار المزهود فيه ثم لا يتناول ولا يتمتع به فيكون هذا أشد على النفس من المجاهدة لانه حمل عليها ثقلين ثقل المنع من الحظ وثقل سقوط المنزلة عنه فعدمت النفس لذة المتعة به وفقدت أسباب المنزلة بتركه فجرعها كاس الصبر مرتين فهذا حال الصادقين في تلك الشهوات وطريق الاقوياء من أهل الارادات وهو يشبه فعل الزاهدين في باب العطاء ان منهم من كان ياخذ العطاء علانية ثم يخرجه سرا فيكون له في الاخذ سقوط الجاه بظهور الرغبة ويكون له في الاخراج معاملة السر بحقيقة الزهد فلا هو متع نفسه بالجاه مع الرد ولا هو أنالها حظها بتناوله مع الاخذ فهذا اشد شئ على النفس وهو طريق علماء الزهد ومن سلكه أخرجه الى مقام الصديقين وهذان طريقان قد درسا وقد عفا أثرهما في وقتنا هذا الا يسلكه الا من عرفه الفرد بعد الفرد والسابلة من القراء على طرقات التصنع والتزين وروى عن جعفر الصادق رضوان الله عليه اذا قدمت الى شهوة نظرت الى نفسي فان أظهرت شهوتها اليها أطعمتها منها وكان ذلك أفضل من منعها وان أخفت شهوتها وأظهرت العزوف عنها عاقبتها بالترك ولم أنلها منها شيأ تفسير ذلك ان اظهار النفس الشهوة ان لا تبالى ان تعرف بأكل الشهوات وان تحب ان يظهر على ذلك من يعرف من أهل الديانات واخفاء النفس الشهوة ان تشتهى وتحب ان لا يعلم انها تشتهى وتكره ان تعرف بانها ممن تشتهى فقال هذه هي المعاقبة بترك أكلها الا انه اذا ترك أكل شهوة لاجل الشهوات ثم اشتهى ان لا يعرف بتركها فهذا شهوة الشهوات فقد وقع في أعظم مما كره وتمتعه بشهوة النظار اليها والمدح له أكثر من تمتعه بترك شهوته المأكولة وهذا من الشهوة الخفية التي جاء في الخبر أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية والرياء بالمعاملات وخفي الشهوة ان تشتهى ان تعرف وتوصف بترك الشهوات وسئل بعض العلماء عن بعض الزهاد فسكت عنه فقال تعلم به باسا فقال ما أعلم به باسا الا في شئ واحد مكروه يا كل في الخلوة ما لا يا كله في الجماعة ذا علة بذلك ولعمري انه موضع علة لان الصادقين قد كانوا يا كلون في الجماعة ما لا يا كلون في الخلوة فهذا ضد حالهم فان اتفق للعبد لونان أحدهما الطف من الآخر ابتدأ فاكل الالطف منهما فلعل كفايته تتم به فيستريح من الآخر فاغما ادم أهل الدنيا غليظ الالوان على رقيقها لتسعوا في الاكل وتنفتق شهواتهم فيكون لكل لون لطيف مكان آخر وشبه بعضهم المعدة بمنزلة جراب ملأته جوزا حتى لم يبق فيه فضل للجوز فجئت بسمسم فصببته عليه فاخذ لنفسه موضعا في خلال الجوز فوسع الجراب السمسم للطفه مع الجوز فكذلك المعدة اذا ألقيت فيها طعاما رقيقا لطيفا بعد طعام غليظ خشن أخذته الشهوات في أماكنها فتمكن فيها بعد الشبع مما قبله والعرب تعيب ذلك

والمناظرات وابطال المقالات فاخذ علم اليقين في الاندراس من ذلك الزمان وقلت معارف الموقنين في القرن الثالث وغابت في القرن الرابع فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان واعراض النفس عن ذلك الا الاقلون وصار يسمى المتكلم عالما والجادلون والمناظرون علماء ولم تكن علوم الصحابة ومعارفهم لاهل الزمان معروفة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة حال الصحابة لحال الناس بعدهم فلذلك استمر اسم العلماء على المتكلمين والمجادلين وتوارثوا الالقاب خلفا عن سلف وأصبح علم طريق الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام وبين العالم والمجادل الا عن الخواص منهم وكانوا اذا قيل لهم فلان أعلم من فلان فيقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر مجادلة فكان الخواص من السلف يدركون الفرق بين العلم وبين معرفة صناعة المجادلة والمناظرة هكذا كان ضعفاء الدين في قرون سالفة فكيف بزماننا هذا وقد انتهى الامر الى أن من اظهر الانكار على البدع والمهتدي بهدى السلف ينسب الى الجنون

(فصل) والمحبة في ثلاثة أشياء الاول محبة المؤمنين في الله تعالى وعلامة ذلك كف الاذى عنهم وجر النفع اليهم والثاني محبة رسول الله تعالى وعلامتها اتباع سنته قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله

ولا تطعله اذمن سنتها ان تبتدئ بالعم قبل الثريد قال رجل لبعض الانباط انت من الذين يبتدون بالثريد قبل الشواء يذم أهل العراق بذلك هذا اذا استوى اللونان فى الحكم أولم يكن المريد فى ترك الافضل منهما نية فاما ان كان قد ترك الشهوات ثم قدمت اليه وكان على عقد نيته وقوة عزمه فلا باس باكل الادون وقد كان بعض الصادقين ممن ترك أكل الشهوات فى الانفراد اذا قدمت اليه نال منها شيئا يسيرا ليستر عن نفسه أبصار الناظرين ويصرف عنه قلوب المادحين وقال أبو سليمان اذا قدمت اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها يسيرا ولا تعط نفسك منتهاها فتكون قد اسقطت عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذلم تبلغ فى شهوتها فان فعل هذا فحسن لان أبا سليمان خاف عليه ماذكرناه قبل من يظهر ترك الشهوة فيصير متعتبه باعتقاد فضله من ترك الشهوات أبلغ من كل الشهوات لوان ياكلها فيسرف على نفسه بلوغ شهوته التى كان تركها بعلة الاخلاص كما تقول العامة بعلة الصبى تشبع الدابة فان قوى يقينه وغاب الخلق عن عينه تركها وقلبه مطمئن بالايمان لانه لم يعتل بالنظر فيتداوى بالتناول للبعض فاما ان كان قد اعتقد ترك شهوة لمعنى دخل عليه منها يخرجه من الورع أو بعزم على المجاهدة ثم أتى بها فهذا اختبار من الله سبحانه وتعالى لينظر كيف يعمل فى الوفاء بالعقد فاحب الى ان لا ينال منها شيئا وايتعلل ويدافع عن نفسه بالمعاريض والمعانى حتى لا يفطن به انه قد تركها للمجاهدة فيكون قد فعل الوصفين معا الوفاء بالعقد فى تركها والتورية بلطيف الحيلة من الفطنة له فى قصده وهذا طريق المريدين وصفات المتقين وهو الطريق الادنى الذى ذكرناه أولا فان ظهر قرب الله تعالى منه وغلب نظره اليه أغناه عن الحيلة والاحتيال لقربه وشهادته ذا الجلال والاكرام وهو الطريق الاعلى الذى ذكرناه آخرا وهذا للموقنين فاما ان كان الغليظ الخشن هو الاحل فى الحكم وأبعد من الشبهة فهو الاطيب والافضل فى العلم فلا ياكل الامنه يقال أول لقمة ياكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنبه فلعل الله تعالى ان يشكر له ترك لقمة شهية لذيذة فى الطعم ان كانت كريهة فى الحكم يتركها لاجله فيغفر له ما سلف من ذنبه انه غفور شكور قيل غفور للذنوب كثيرة شكور لعمل يسير كيف وقد وصف المؤمنين أولى الهدى والتوحيد وذوى الرحمة والرشد بحسن التفقد فى الطعمة فقال انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا يعنى بشهادتهم بالتوحيد فكان من قيامهم حسن تفقدهم فى المأكول ومن اقبتهم للواحد فى قولهم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه يعنى ايها أحل وأفضل فامروا رسولهم بتحرى الحلال اذ قاموا لذى الجلال والاكرام لما أمرهم باكله اذقدمه على الاعمال الصالحة فى قوله تعالى كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ورعا منهم وتقوى وكذلك فافعل لتتبع سبيل المؤمنين فتكون معهم ولا تتبع سبيل المجرمين الظالمين فتحشر معهم * هذه رياضة المريدين وطريق المجاهدين فاما العارفون فليس لهم فى الاكل تجربة وتقسيم اذا أطعموا تقللوا وشكروا فان رأوا له مكانا آثروا وان جوعوا احملوا وصبروا قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على أهله فيقول هل عندكم من شئ فان قالوا نعم أكل وان قالوا لا قال انى صائم وكان يقدم اليه الشئ فيقول اما انى كنت أردت الصوم ثم يأكل وفى الخبر انه خرج صلى الله عليه وسلم يوما فقال انى صائم ثم دخل فقالت عائشة قد أهدى لنا حيس فقال قد كنت أردت الصوم ولكن قربيه وكانت بينه وبين الله علامة فى فطره وصومه كان الوجود علامة فطره يكون مرادا به وكان العدم علامة صومه يكون معه مرادا وعلى المعنى تصريف قلوب العارفين ومن هذه المشكاة تضىء بصائر الشاهدين ولا يركنون الى حال ولا يوقفون مع مقام ولا تصح هذه الثلاث الابثلاث خلال أحدها علم الهوى وتوقان النفس بالعادة والثانية ان يكون له فى أكله نية كماله فى صومه نية فيكون أكله لله فيستوى أكله وصومه اذ كان العامل فيهما واحدا والثالثة أن يحفظ الجوارح الست بحسن الرعاية فيكون صائما بما هو فرض عليه وأفضل له وهن البصر والسمع واللسان والقلب واليد والرجل ويكون مفطرا بالبطن والفرج فيكون ما حفظ أكثر

والثالث محبة الله ومحبة الله تكون بطاعته وعدم مخالفته ويقال ذكر النعم يورث المحبة والمحبة اذا حصلت لزمها النصح للمحبوب فالنصح من توابع المحبة وعلامة المحب لله اذا نزل به بلاء أو محنة لا يتغير ولا يضطرب فان كان كذلك عند نزول المحنة فهو محب لله تعالى والا فهو كذاب على المحبة قال بعض السادة اذا قال رجل أنا أحبك فخذ علامته فان ثبت فهو محبك وان اضطرب وتغير فاعلم انه كذاب واعلم ان محبة العقل لله تعالى لا يوصف بها عشق لان العشق مجاوزة الحد فى المحبة وهو معنى قول المتكلمين ان العشق افراط المحبة والعبد لا يجاوز الحد فى محبة الله تعالى لانه مقدار من المحبة يحصل فى قلب العبد لله تعالى فالله تعالى يستحق على العبد أكثر منه باضعاف مضاعفة قيل لبعضهم من أين أقبلت قال من عند الحبيب قيل له والى أين تريد قال الى قرب الحبيب قيل له وما تشتهى قال لقاء الحبيب قيل له وما قوتك قال ذكر الحبيب قيل له وما شربك قال الشوق الى الحبيب قيل له وما تلبس قال ستر الحبيب قيل له فلم اصفر وجهك قال من فراق الحبيب قيل له الى ماذا تقول الحبيب الحبيب قال الى ان أرى وجه الحبيب وروى عن الحسن بن على رضي الله عنه انه طلق امرأة وقدمهرها أربعين ألف درهم فقالت المرأة متاع قليل من حبيب مفارق وابلغ

وابلغ واحب الى الله عزوجل ويكون أفضل ممن صام بجارحتين فان لم يكن من أصبح صائما ثم أفطر بهذه الاوصاف الثلاث دخلت عليه الشهوة الخفية التى فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قال أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية فقال ان يصبح أحدكم صائما ثم يعرض له الطعام يشتهيه فيفطر لاجله فلا فضل لمن عقد لله صوما ان يتمه فان فسخه لغير الله تعالى عوقب على ذلك من عقوبات القلوب أو عقوبات الجوارح فى طرقات الآخرة فتلك عقوبة ترك فضائل الاعمال وفى خبر نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح هكذا رويناه وقيل لبشر بن الحرث ان فلانا الغنى يصوم الدهر فقال المسكين ترك حاله ودخل فى حال غيره انما حاله ان يطعم الجياع ويكسو العراة ويواسى المحتاجين فهذا أفضل له من صيامه الدهر ثم قال بشر عبادة الغنى كروضة على مزبلة وعبادة الفقير كعقد الجوهر فى جيد الحسناء ودخل سفيان الثورى يوما على أبى اسحق الفزارى فقدم اليه قصعة فيها خبيص فقال لولا انى صائم لاكلت معك فقال الفزارى دخل على أخوك ابراهيم بن أدهم فقعد فى موضعك هذا فقدمت اليه خبيصا فى هذه القصعة فاكل فلما أراد الانصراف قال انى كنت صائما الا انى أحببت ان آكل معك أسرك بذلك قال فوضع الثورى يده وجعل ياكل وتادب بابراهيم وحدثونا عن سهل رحمه الله انه سئل كيف كان فى بدايته فاخبر بضروب من الرياضات منها انه كان يقتات ورق النبق مدة ومنها انه أكل دقاق التبن ثلاث سنين ثم ذكر انه اقتات ثلاثة دراهم فى ثلاث سنين قيل وما هو قال كنت اشترى فى كل سنة بدانقين تمرا واربعة دوانق كسبا ثم أعجنها عجنة ثم أجزئها ثلاثمائة وستين كبة أفطر فى كل ليلة على كبة قال فقلت له فكيف انت فى وقتك هذا قال آكل بلا حد ولا توقيت وقد كان معروف الكرخى يهدى اليه طيبات الطعام فيأكل فيقال له ان أخاك بشرا لا يأكل من هذا فيقول أخى بشر قبضه الورع وانا بسطتنى المعرفة ثم قال انما أنا ضيف فى دار مولاى اذا أطعمنى أكلت واذا جوعنى صبرت مالى والاعتراض والتخير وقال بعض اخوان بشر الحافى دخلت عليه وهو ياكل فقال لى كل فقلت انى صائم فناولنى كسرة وقال لى كل فاكلتها فقال سلمت من آفة الصوم وأدخلت على السرور وكان بشر رحمه الله قد أصبح ذات يوم صائما فزاره فتح الموصلى قال حسين المغازلى فدفع الى كفا من دراهم فقال اشتر لنا أطيب ما تجد من الطعام وأطيب ما تجد من الحلاوة وأطيب ما تجد من الطيب قال وما قال لى مثل ذلك قط ففعلت فوضعت الطعام بين أيديهم فجعل ياكل معه وما رأيته أكل مع غيره وكان بعض هذه الطائفة يقول اذا أعطاك مولاك بقطعة فقد شهاك ان تشترى ما تشاء وتشتهى وان أعطاك مأكولا بعينه فكل ذاك ولا تتخير سواء ودفع ابراهيم بن أدهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حوارى فقلت يا أبا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا أكلنا أكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال وأصلح ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا منهم الثورى والاوزاعى فقال له اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ليس فى الطعام اسراف انما الاسراف فى الاثاث واللباس وهكذا حكى عن سيرة السلف قال كانوا فى الرحال مخاصيب وكان فى الزى والثياب تقصير وفى الخبر أن رجلا صنع طعاما فدعا اليه بعض اخوانه فقال انى صائم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صنع لك أخوك طعاما فلم تأكل ألا أفطرت وصمت يوما مكانه وحدثونا عن بعض العلماء انه كان قاضيا بصنعاء فدخل على أمير صنعاء فحضر وقت غدائه فعرض عليه الاكل فقال انى صائم فلما أخذ الامير فى الاكل وهو عنده اذ نظر القاضى فاذا قد جاؤا بحمل مشوى فجعل القاضى يزحف ويتقدم الى المائدة ثم مد يده يأكل فقال له الامير ألم تقل انى صائم فقال ايها الامير انا على قضاء يوم أصومه أقدر منى على قضاء مثل هذا الحمل وكان أبو سليمان الدارانى يقول لا تضر الشهوات من لم يتكلفها انما تضر من حرص عليها وكان يدعو أصحابه فيقدم اليهم الطيبات فيقولون له تنهانا عنها وتقدمها الينا فقال لانى أعلم انكم تشتهونها فقتا كلوها عندى خيرا ولو جاءنى من يزهد مازدته على الملح شيأ وكان يقول أكل الطيبات يورث الرضا عن الله تعالى وقال بعض الخلفاء شرب الماء بثلج يخلص الشكر لله تعالى وأوحى الله

فلما بلغه كلامه قال لو واجهت امرأ لواجهتها بهذه الكلمة وكان أحمد بن حنبل لا يتخذ الاخوان فقيل له فى ذلك فقال مخافة الفراق وكان بعضهم يقول لو كان للفراق صورة ينظر اليها لما نظر الناس الى شئ أقبح منها قال أهل البصائر ولا يغتر المحب بالوصال فان كثيرا ما يعرض أسباب الفراق فينبغى ان يبدل فرحه بالوصال بالبكاء من خوف الفراق وروى ان يعقوب عليه السلام بكى بعد ما وجد يوسف فسئل عن ذلك فقال الاول كان بكاء الطلب وهذا بكاء خوف السلب وكثير من أهل محبة الله تعالى صاروا أعداء الله لقضاء أزلى جرت به الاحكام وسبق به القدر

(فصل) وأما التشوق فهو هبوب القلب الى غائب وقال القشيرى ارتياح القلب الى لقاء المحبوب ولم يرد لفظ الشوق فى القرآن الكريم وانما ورد فى الحديث فى جملة دعاء دعا به النبى صلى الله عليه وسلم وأسالك النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك والشوق يتولد عن المحبة وعلى قدر المحبة يكون الشوق والشوق على ثلاث درجات الاولى شوق العابد الى الجنة الثانى شوق الى الله تعالى زرعه الحب وهذا الحب زرعه تعلق القلب بصفاته المقدسة الثالثة نار أضرمها صفو المحبة فبغضت العيش وسلبت السلو ولم يسكنها شئ غير اللقاء قال المشايخ الشوق على قسمين الاول

واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن اكرام الضيف تعجيل الطعام لهم وأفضل ماقدم اليهم اللحم وخيرا للحم السمين النضيج فان كان بعد اللحم حلاوة فقد جمع لهم الطيبات ينتظم هذه المعانى قوله عز وجل هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين قيل فى المكرمين قولان أحدهما اخدمته اياهم بنفسه والثانى أكرمهم بتعجيل الطعام اليهم قوله تعالى فالبث ان جاء بعجل حنيذ أى فما احتبس ولا أقام والحنيذ النضيج وقال تعالى فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين الروغان الذهاب بسرعة وقيل الذهاب بخفية وقيل انه جاء بفخذ من لحم فسمى عجلا لانه عجله ولم يلبث به ثم وصف بانه سمين نضيج يقال حنيذ ومحنوذ أيضا قال كان نضيجا وقال فى وصف الطيبات وأنزلنا عليكم المن والسلوى المن العسل والسلوى اللحم سمى سلوى لانه يسلى به عن جميع الادام ان فيه غنية عن جميعها وليس فى كلها مقامه ثم قال تعالى كلوا من طيبات مارزقنا كم فاللحم والحلاوة من طيبات الرزق وليأكل الرجل فى منزل أخيه سجية أكله فى منزله بغير تسكلف ولاتزين لانه قد يدخل من الرياء والتزين فى الطعام مثل مايدخل فى سائر الاعمال من الصلاة والصيام والاكل عمل وكل عمل يحتاج الى نية واخلاص فلتكن نيته فى أكله الاستعانة على الطاعة ولتكن نيته مع اخوانه اكرامهم بذلك وادخال السرور عليهم والتبرك بالجماعة لقول النبى صلى الله عليه وسلم الجماعة بركة وينوى اقامة السنة فى اجابة الدعوة ليكون مأجورا فى أكله عاملا فى جميع ذلك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا كله داخل فى حسن الخلق وهو فى معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ان العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وقد قال بعضهم هو الرجل يسأل اخوانه ان يفطر معهم نهارا أو يسهر معهم ليلا ويكون من عادته الصيام والقيام فيساعدهم تخلقا معهم فيدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم وقال بعض العلماء من أهل الادب ليس من السنة والمروءة ان يزور الرجل اخوانه فيتشاغل عنهم بالصلاة النافلة أو يستزيره اخوانه فيقدمون اليه الطعام فلا يساعدهم عليه لاجل الصيام ولا يقصر عن بغيته من المأكول فيترك الاكل مع حاجته اليه فانه غير محمود ولا ماجور عليه ان لم يكن سبب أوجب عليه ذلك وقال جعفر بن محمد عليه السلام أحب اخوانى الى أكثرهم أكلا وأعظمهم لقمة وأثقلهم على من يحوجنى الى تعاهده فى الاكل وقال أيضا يتبين محبة الرجل لاخيه بجودة أكله فى منزله فان قال الاكل مع الفقراء ايثار الهم أوالقلة الطعام فحسن وروينا ان سفيان الثورى دعا ابراهيم بن أدهم وأصحابه الى طعام فقصر وانى الاكل فلما رفعوا الطعام قال له الثورى انك قصرت فى الاكل فقال ابراهيم لانك قصرت فى الطعام فقصرنا فى الاكل قال ودعا ابراهيم الثورى وأصحابه الى طعام فاكثر منه فقال له يا أبا اسحق أماتخاف ان يكون هذا سرافا فقال ابراهيم ليس فى الطعام سرف وليلعق أصابعه قبل ان يمسحها بالخرقة وليأكل ماسقط من فتات الطعام يقال انه مهور الحور العين يقال من لعق الصحفة وشرب ماءها كان له عتق رقبة وان أكل حلالا فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأطعمنا طيبا واستعملنا صالحا وليكثر شكر الله تعالى على ذلك وان أكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ولا تجعله قوة لنا على معصيتك وليكثر الحزن والاستغفار وفى خبر اذا دعى أحدكم الى طعام فلم يجب فلا يقل كل هنيا فلعله يكون أخذه من غير حله ولكن ليقل أطعمك الله طيبا وليقل اذا أكل ابنا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك لنا فيما رزقتنا وارزقنا خيرا منه كذلك روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لان اللبن أعم نفعا من غيره وليقل فى أول لقمة بسم الله وفى الثانية بسم الله الرحمن وفى الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم وليشرب الكوز فى ثلاثة أنفاس يقطعه وليقل فى أول جرعة الحمد لله وفى الثانية الحمد لله رب العالمين وفى الثالثة يزيد الرحمن الرحيم وان سمى فى أول كل لقمة فحسن وليقرأ بعد فراغه من الطعام قل هو الله أحد ولايلاف قريش وتقديم الفاكهة قبل الطعام أوفق وفى كتاب الله عز وجل ترتيب ذلك من قوله سبحانه وتعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون ولا يرفع يده قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون أو يحتاجون

الشيرازى شيخ مذهب الشافعى فى وقته يبعد اديحضر السماع وحضره من المتأخرين الشيخ عز الدين وتقى الدين بن دقيق العيد وحضره الشيخ أبو محمد الجوينى والشيخ أبو القاسم القشيرى والاكابر من مشايخ الصوفية وقال الشيخ أبو طالب المكى من السماع ماهو حرام ومنه ماهو شبهة ومنه ماهو حلال فمن سمعه بنفس يشاهد بها شهوة وهوى فهو حرام ومن سمعه بمعقوله على صفة مباحة من جارية له أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه ومن سمعه بقلب يشاهد به معانى تدله على الدليل وتشهده طرقات الجليل فهو مباح قال السهروردى صاحب المعارف وهذا هو الصحيح وقال بعضهم لا يندب السماع الا بشرائط أحدها أن يكون السماع ممن غلب عليه حب الله تعالى لان السماع يحرك من كل قلب ماهو الغالب عليه الثانى أن يكون له ذوق من العالم الروحانى لان الانتفاع بروح الصوت لا بنفسه الثالث ان يغلب على قلبه مشاهدة جلال الله تعالى وحقارة الدنيا فان خلا عن هذه الشرائط زاحمته خواطر الرياء والوجد فى السماع قد يكون من رؤية الجمال وعلامته الانبساط وقد يكون عن رؤية الجلال وصاحبه متأصل متظاهر وقد يكون عن رؤية الوعيد وعلامته الحزن والقدر المشترك بين الكل واله حيران واعلم ان أهل الاستغراق فى الشهود

الى بسط فان كان قليل الاكل تربص حتى يضعوا أيديهم فيأكلوا صدرا من الطعام ثم يقعد بعدهم ليستوي أكله مع أكلهم فان كانوا علماء لم يكره ذلك منه وقد فعله كثير من الصحابة ولا يتكلف لاخوانه من المأكول ما يثقل عليه ثمنه أو يأخذه بدين أو يكتسبه بمشقة أو من شبهة ولا يدخر عنهم ما يحضرته ولا يستأثر بشيء دونهم ولا يضر بعياله وروينا ان رجلا دعا عليا رضي الله عنه الى منزله فقال أجيبك على شرائط ثلاث لا تدخل من السوق شيأ ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بعيالك وقد كان من سيرة السلف اذا دعا أحدهم أخاه قدم جميع ما بحضرته أو أخرج من كل شيء عنده شيأ وكان بعض الرؤساء من الاجواد اذا دعا الناس الى طعامه يدعو الخباز فيقول أعلم الناس بما عندك من الالوان قال ثم يدعهم يأكلون حتى اذا قاربوا الفراغ جثا على ركبتيه ومد يده الى الطعام فأكل وقال ساعدوني بارك الله عليكم فكان السلف يستحسنون ذلك منه وليس من السنة ان يقصد الرجل قوما يتحين حضور طعامهم ليصادفه فان ذلك من المفاجأة فقد نهي عنه قال الله سبحانه وتعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا وأكل حراما ولكن ان صادفهم يأكلون فسألوه ان يأكل معهم وعلم انهم يحبون أكله معهم فلا بأس وليس ذلك داخلا في المفاجأة فان لم يعلم انهم يحبون ان يأكل معهم وانما قالوه تعززا وحياء كرهت له الاكل معهم وان كان جائعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتحين وقت أكله فلا بأس بذلك قد قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضي الله عنهم منزل أبي الهيثم بن التيهان وأبا أيوب الانصاري لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا ومن السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه اذا انصرف الى باب الدار وليس من السنة ان يخرج الضيف من المنزل عن غير اذن صاحبه ولا أن يقيم للضيافة فوق ثلاثة أيام حتى يخرجه أو يتبرم به يتأثر في ذلك * وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر واذا استزرت فلا تبق ولا تذر وفي الخبر دخلنا على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا أنا نهينا عن التكلف لتكلفت لكم وفي حديث يونس عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا من شعير وجز لهم بقلا كان يزرعه ثم قال كلوا لولا ان الله تبارك وتعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وروينا عن أنس بن مالك وغيره من الصحابة كانوا يقدمون الى اخوانهم ما حضر من الكسر اليابسة والحشف من التمر والدقل ويقولون لا ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه * وقد روي ينافي معناه خبرا مسندا وقد كان أنس وغيره يقدمون ما عندهم الى اخوانهم ويقولون ان الاجتماع على الطعام من مكارم الاخلاق وفي الخبر أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يجتمعون على قراءة القرآن والذكر ولا يتفرقون الا عن ذواق ولا ينبغي للمدعو ان يقترح على الداعي شيأ بعينه فيقول أريد كذا فليس ذلك من القناعة فان خيره أخوه بين طعامين فليختر أقربهما منه وأيسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما وحدثونا عن الاعمش عن أبي وائل قال مضيت مع صاحب لي الى سلمان نزوره فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في هذا الملح سعتر لكان أطيب فخرج سلمان فرهن مطهرته وأخذ سعترا فلما أكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة فان كان أخوه ممن يأنس به وعلم ان اقتراحه عليه مما يعجبه فلا بأس بذلك قد فعله الشافعي مع الزعفراني رحمهما الله تعالى كان نازلا عليه ببغداد فكانا يخرجان يوم الجمعة الى الصلاة فكان الزعفراني يكتب في رقعة للجارية ما تصلح من الالوان فدعا الشافعي ذات يوم الجارية فنظر فيها ثم زاد لونا اشتهاه فلما جاء الزعفراني ووجدت الجارية ذلك اللون أنكره اذ لم يأمرها به فسألها عنه فأخبرته ان الشافعي زاد ذلك في الرقعة فقال أريني الرقعة فلما نظر الى خط الشافعي في الرقعة بذلك اللون فرح بذلك وأعجبه فقال أنت حرة لوجه الله تعالى فاعتقها سرورا منه بفعل الشافعي ذلك واليه نسب درب الزعفراني بباب الشعير في الجانب الغربي من

لا تتحرك نفوسهم الى السماع ولا تتعلق قلوبهم بمعاني النشيد واللحن بل يستوي عندهم السماع ونقيق الغراف قال السهروردي وأما الدف والشبابة وان كان في مذهب الشافعي فيهما فسحة فالاولى تركهما والخروج من الخلاف والاقتصار على الغناء المتضمن لذكر الهجر والوصال والقطيعة والصد مما يحمل القلب على محبة الله تعالى والشوق الى لقائه فهذا مندوب اليه وأما ما يتضمن ذكر الخدود والقدود والنساء فلا يليق بأهل الديانات الاجتماع لمثل ذلك قال السهروردي وأما الحركة في السماع فقد استأنسوا لها بما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد أنت أخونا ومولانا فحجل والحجل هو أن يرفع احدى رجليه ويقف على الاخرى انتهى كلام السهروردي قال بعض المشايخ وأما الزعقة والصياح في السماع فانما تكره عند حضور وغائب عن القلب أو فقد حاضر فيه ومثل خروجها من الانسان كمثل العطسة ولا يدري من أين تجيء ولا كيف تجيء وأما البكاء في السماع فهو من غلبة الوجد ولا يبكي الا فاقد مسلوب أو طالب لمن يظفر بالمطلوب سئل بعضهم عماذا يكون البكاء فقال لا بكاء لا على عز مطلوب أو فقد محبوب واعلم ان الحركات في السماع اذا كانت عن وجد وكان صاحبها مغلوبا عليها فلا بأس بها وقد تقدم

ذكر ذلك قال الائمة لكن التمكين أحسن لا سيما الشيخ وكان يقال لا يصلح السماع الا لعارف مكين ولا يصلح لمريد مبتدئ

بغداد فان شهاه أخوه وساله فلا باس ان يذكر له شهوة ليصنعها فيعينه على قضائها * فقد ورد في فضل ذلك غير حديث منها الحديث المشهور ومن صادف من اخيه شهوة غفر له ومن سر أخاه المؤمن فقد سر الله عز وجل وروينا عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لذذ أخاه بما يشتهي كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وأطعمه الله تعالى من ثلاث جنات جنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد والخلال بعد الاكل حسن فلا يبين عنه ولا باس بغسل اليد في الطست وليس من الادب التنخم فيه * وروينا أن أنس بن مالك اجتمع هو وثابت البناني على طعام فقدم الطست الى ثابت ليغسل يده فامتنع فقال أنس اذا أكرمك أخوك فاقبل كرامته ولا ترده فانه انما يكرم الله عز وجل وروى أن هرون الرشيد دعا أبا معاوية الضرير فصب الرجل على يده في الطست فلما فرغ قال له يا أبا معاوية تدرى من صب على يدك قال لا قال أمير المؤمنين قال يا أمير المؤمنين انما أكرمت العلم وأجللته فاجلك الله عز وجل وأكرمك كما أجللت العلم وأكرمته وأكره قيام الخادم أحب الى أن يصب على يده جالسا واجتماع الاثنين أو الثلاثة في غسل اليد وجمع مائهم المستعمل في مرة واحدة في الطست حسن وهو من التواضع ومن انفرد بغسل يده وحده فلا باس أن يتنخم في الطست ومن بزق فيه بعد ان يرفع ويفرغ من غسل يده فلا باس * وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار لا يرفع الطست من بين يدى القوم الا مملوا ولا تشبهوا بالعجم وقد روينا عن ابن مسعود انه قال اجتمعوا على غسل اليد في طست واحد ولا تستنوا بسنة العجم ولا يزدردن ما أخرج الخلال من أسنانه فانه داء ومكروه وما لاكه باسنانه فلا باس أن يزدرده وليتمضمض بعد الخلال فليه أثر عن بعض أهل البيت عليهم السلام وليقل عند فراغه من الطعام الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا سيدنا ومولانا يا كافي من كل شئ ولا يكفي منه شئ أطعمت من جوع وأمنت من خوف فلك الحمد أويت من يتم وهديت من ضلالة وأغنيت من عيلة فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت أهله ومستحقه اللهم صل على محمد وعلى آله وأطعمنا طيبا واستعملنا صالحا اجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على معاصيك * وفى الاكل مع الاخوان ثلاث فضائل روى عن جعفر بن محمد عليهما السلام اذا قعدتم مع الاخوان على المائدة فاطيلوا الجلوس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع * وروى عن الحسن البصرى رحمه الله كل نفقة ينفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهم يحاسب عليها الا نفقة الرجل اذا دعا اخوانه الى طعام فان الله سبحانه وتعالى يستحيي ان يسأله عن ذلك وقد روى عن بعض علماء خراسان انه كان اذا دعا اخوانه قدم اليهم نحو الكثير من صنوف الاطعمة والحبوب والفواكه اليابسة فسئل عن ذلك فقال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاخوان اذا رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من أكل فضل ذلك الطعام فانا أحب ان استكثر مما أقدم اليكم لنا كل فضل ذلك وفى خبر عن بعض السلف لا يحاسب العبد على ما يأكل مع اخوانه فكان بعضهم يكثر من الاكل في الجماعة ويتقلل اذا أكل وحده وفى الخبر ثلاث لا يحاسب عليها العبد أكلة السحور وما أفطر عليه والاكل مع الاخوان ومن لم يكن له نية في تقديم فضول الاطعمة بهذا الخبر فانى أكره أن يقدم من الطعام الا ما يريد ان يؤكل ولا يترك منه شئ ولا يستثنى هو ولا أهل البيت في أنفسهم رجوع شئ منه والا كان ما يقدمه مما ينوى رجوع بعضه ولا يحب أكل كله تصنعا ومباهاة فان علم بذلك من قدم اليه لم استحب له في الورع ان يأكل منه لان المأكول اذا قدم ليؤكل بعضه فهو تصنع وتزين لا يصنع الورعون ذلك ولا يأكل المتقون من هذا لانه لا يدرى كم مقدار ما يحبون ان يأكلوا منه * وروينا عن ابن مسعود قال نهينا ان نجيب دعوة من يباهى بطعامه وقد كره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة والمباراة وهذا مكروه لمن يقدمه بهذه النية الى اخوانه لانه قد عرضهم لتناول

وقال بعضهم لا يصلح السماع الا لمن له نفس ميتة وقلب حي وقال الجنيد رحمة الله عليه اذا رأيت المريد يطلب السماع فاعلم ان عنده بقية بطالة وقيل ان الجنيد رحمة الله عليه ترك السماع فقيل له كنت تسمع فقال مع من قيل له تسمع أنت لنفسك فقال ممن لانهم كانوا لا يسمعون الا من أهل مع أهل فلما فقدوا الاخوان تركوه على أن أهل الكمال في غنى عن استجلاب الوجد والحال بغناء المغني ونشيد القوال قال الحضرمي ما حال من يحتاج الى مزعج يزعجه وفي المثل السيارة ما تحتاج الثكلى الى نائحة وكثيرا ما يقع في السماع من بعض الواجدين تمزيق الثياب وهو مما يمنعه الشرع لانه اتلاف مال وروى ان موسى عليه السلام قص في بني اسرائيل فمزق واحد منهم قميصه فاوحى الله تعالى اليه مزق قلبك ولا تمزق قميصك وأما القاء الثوب والخرقة للحادى والمغني والمنشد فان كان ذلك بحسن نية فلا بأس وان كان ذلك على جهة المراياة والتكلف فهو ممنوع شرعا واستأنسوا لالقاء الخرقة للمنشد بما روى ان كعب بن زهير دخل على النبي صلى الله عليه وسلم المسجد وأنشده قصيدته التي أولها * بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * حتى انتهى الى قوله

فيها ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أنت فقال أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أنا كعب بن زهير فرمى اليه النبي صلى الله عليه وسلم بردة كانت عليه فلما كان في زمان معاوية اشتراها معاوية من أولاد كعب بعشرين ألف درهم وكانت عند خلفاء بني أمية ثم من صاروا ملوك الاسلام وأخذوا البردة وكانت باقية عند خلفائهم الى عهد الامام الناصر لدين الله تعالى قال السهروردي والخرقة اذا رميت الى الحادي فهي له اذا قصد اعطاءه اياها واذا لم يقصد اعطاءه فقال بعضهم هي للحادي لان المحرك هو ومنه صدر الموجب لرمي الخرقة وقد جاء من قتل قتيلا فله سلبه وقال بعضهم هي للجميع والحادي واحد منهم لان المحرك للوجد قول الحادي مع بركة الجمع والغنيمة لمن حضر الوقعة وقيل ان كان القوال أجيرا فليس له فيها شئ وان كان متبرعا يؤثر بها والله أعلم

* (باب الخوف والاشفاق والحزن) *

قال الله تعالى يخافون ربهم من فوقهم وقال تعالى واياي فارهبون وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال المشايخ الخوف معنى متعلق بالمستقبل فانه انما يخاف أن يحل به مكروه أو يفوته محبوب

مايكرهون وقد دلس عليهم ما لا يعلمون وأيضا فانه شئ قد قدم لاجل الله تعالى فلا يصلح ان يستثنى ارتجاع شئ منه بمنزلة من يخرج الرغيف أو الشئ الى السائل فيجده قد انصرف فيكره أن يرجع فيه فيأكله وقال يعزله حتى يأتي سائل آخر فيدفعه اليه * وكان بعض أهل الحديث اذا أكل مع اخوانه ترك من الطعام على رغيف يعزله معه وكان سيار بن حاتم اذا حضر على مائدة أكل لقيمات ثم يقول اعزلوا نصيبي وأكل ذات يوم على مائدة في جماعة فلما جاءت الحلوى نزع قلنسوته ثم قال اجعلوا نصيبي في هذه فينبغي أن يعزل أنصبة أهل البيت قبل تقديم الطعام الى اخوانه كيلا يحدثوا نفوسهم برجوع شئ منه فانه مكروه لهم ولعله لا يرجع شئ منه فيكون ذلك احراجا من الآكلين ومنقصة لهم وهذا عليهم أشد من اكرامهم بالطعام أن يكون ذلك مضرا بالاهل فيكون مضيعا للاصل ولا ينبغي له ان يقدم الا ما يحب ان يأكلوه من كل شئ أيضا ومقدار الحاجة والكفاية من المأكول فيجمع بين السنة والفضيلة * روي في الخبر ما رفع من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط هذا لانهم كانوا مخلصين في كل شئ فلا يقدمون الا كفايتهم ولا يأكلون الا بعد جوعهم ولا يتركون الاكل وفي نفوسهم منه شئ وللاقتصار الذي كان فيهم ففيما ذكرناه من تقديم الكفاية لئلا يرد فضول الاطعمة موافقة للسنة وفي تقديم المأكول ليرجع أكثره نية حسنة ايضا فيه ان من أكل ما فضل من الاخوان لم يحاسب عليه ومن كان في جماعة فلا يأمر بتأخير الطعام فلعل فيهم من يحتاج الى تقديمه الا أن يتفقوا على تأخيره فلا يأمر حينئذ بتقديمه لاجل نفسه واذا حضر الطعام والصلاة فان كانت نفوسهم تتوق اليه وفي الوقت سعة قدموا الاكل وان كانت نفوسهم ساكنة أو ضاق الوقت أو خشوا أن يتطاول بهم الاكل صلوا أولا * واستحب الاكل على الارض كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتي بطعام وضعه على الارض وكان يأكل مقعيا على قدميه ويقول لا آكل متكئا انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وربما جثا للاكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدمه ونصب رجله اليمنى وهي جلسة العرب للاكل الى اليوم وان أكلوا على السفر فهو سنة فيتزود لسفره وخير الزاد التقوى وأكره الاكل على الموائد العالية لانهم كانوا يكرهون ان يعلوا الطعام على الايدي وهذا محدث وليس من التواضع قال أنس بن مالك ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة قط قيل فعلى ما كنتم تأكلون قال على السفر وقيل أول ما أحدثت الامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاربع الموائد والمناخل والاشنان والشبع ومن غسل بالاشنان ابتدأ بغسل فيه بعد غسل يده اليمنى ويجعل الاشنان في بطن كفه اليسرى يابسا ثم يغسل فاه حتى ينقيه باصابعه ثم يبل الاشنان فيغسل يديه ولا يعيد يغسل كفيه وهو فعل ذوي المروأة وينبغي اذا حضرت الالوان ان يبتدئ بتقدمة الالطف فالالطف والاطيب فالاطيب والامثل أن يبتدئ بالشواء قبل الثريد ويقدم الطباهج قبل السكباج فذلك سنة العرب ليصادف جوعهم أطيب الطعام فيستوفوا من ذلك أوفر النصيب فيكون أثوب لصاحبه وأقل لاكلهم فان احتاجوا الى ما بعده من غليظ الالوان والطعام تناولوا منه قليلا فانما قدم أهل الدنيا اللون الغليظ على اللطيف ليتسع أكلهم وتنفتق شهواتهم فيكون اللون اللطيف في موضع آخر وليكونوا قد أكلوا من اللون الاجود الاطيب أقل وهذا غير مستحب عند أبناء الآخرة وقد كان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة الالوان في مكان واحد ليأكل كل مما يشتهي وليكون ما تقدم معلوما لهم وقال لهم اذ لم يكن عنده الا لون واحد ليس يحضر الا هذا ليستوفوا منه ولا يتطلعوا الى غيره كان صوابا حدثني بعض شيوخنا عن شيخ له قال قدم الي بعض أهل الشام لونا من طبيخ فقلت له عندنا بالعراق يقدم هذا اللون آخر الالوان فقال لي هكذا هو عندنا بالشام قال فاستحييت اذ لم يكن عنده غير ذلك اللون وقال لي آخر كنا في جماعة عند رجل فجعل يقدم الينا ألوان الرؤس منها طبيخا وقديدا فجعلنا نتصرف لا نأكل نتوقع بعدها الالوان وجملا أو جديا قال فجاءنا بالطست ولم يقدم غيرها فقال لي بعض الشيوخ من أهل التصوف وكان مزاحا هو تعالى يقدر أن يخلق رؤسا

بلا أبدان قال فبتنا تلك الليلة جياعا فطلب بعضنا في آخر الليل خبزا أو فتيتا السحوره * وينبغي أن يمكنهم من بقية الالوان ولا يرفعها حتى يرفعوا أيديهم فانه من الادب ولعل فيهم ما يكون عنده ما قدم أشهى اليه مما يقدم بعده وقد يكون فيهم من به حاجة الى فضل أكل فينقص عليه برفعه قبل أن يستوفي ما في نفسه * حدثني بعض أصحابنا عن الثوري وكان صوفيا انه حضر على مائدة أبناء الدنيا وكان فيه حمل قال فقدم اجلا فعلوا يأكلون فلما رآهم يمزقون كل ممزق ضاق صدره فقال يا غلام ارفع الى الصبيان قال فرفع الجمل الى داخل الدار فقام الثوري بعد وخلف الجمل فقال صاحب المنزل الى أين يا أبا عبد الله فقال آكل مع الصبيان فاستحيا الرجل وأمر برد الجمل حتى استوفوا منه وكان سفيان الثوري يقول من دعا رجلا الى طعامه وهو يحب أن لا يجيبه فان لم يجب كتبت عليه خطيئة وان أجاب كتبت عليه خطيئتان فالمعنى في الخطيئة الاولى لانه أظهر بلسانه خلاف ما في قلبه فتصنع بالكلام وهذا من السمعة وداخل في محبة ان يحمد بما لم يفعل والمعنى في الخطيئتين انه أجابه أخوه فالخطيئة الثانية لانه حمل أخاه على ما لم يعلم حقيقته منه وعرضه لما يكره فلم ينصحه فيما أظهر له من نفسه لان أخاه لو علم انه غير محب لاجابته لم يأكل من طعامه ولانه قد أدخله في السمعة فلذلك كانت عليه خطيئة ثانية وقد كان من المتقدمين من اذا دخل عليه وهو يأكل قوته لم يعرض على اخوانه الاكل اذا لم يحب ان يأكل معه خشية التزين بالقول أو لئلا يعرضهم لما يكرهون * دخل قوم على سمير أبي عاصم وكان زاهدا وهو يأكل فقال لولا اني أخذته بدين لاطعمتكم منه وكان بعض السلف يقول في تفسير التكلف ان تطعم أخاك ما لا تأكله أنت اي لا يكون من ما كان في الجودة ومماله قيمة فتشق على نفسك بذلك * وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف يدعو أحدهم أخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه وكان بعض السلف يأمر بتقديم ما حضر فانه أدوم للرجوع واذهب لكراهة صاحب المنزل وقال بعضهم ما أبالي من أتاني من اخواني فاني لا أتكلف له انما أقرب ما عندي ولواني تكلفت ماليس حاضر المللته وكرهت دوام مجيئه وقال لي بعض الشيوخ كنت آنس ببعض اخواني فكنت أكثر زيارته فكان يتكلف الاشياء الطيبة فقلت له يوما حدثني عن شيء أسألك عنه اذا كنت وحدك تأكل مثل هذا الذي تقدمه الي قال لا قلت وكذلك انا في منزلي اذا كنت وحدي لا آكل مثل هذا فلم اذا اجتمعنا نأكله ونحن لا نأكل مثله على الانفراد هذا من التكلف فاما ان تقطع هذا وتقدم الي ما نأكله على الانفراد أو أقطع مجيئي اليك قال فقطع ذلك وكان يقدم ما عنده وما يأكل مثله فدامت معاشرتنا ومن دعي الى طعام وعنده انسان أو جماعة من حيث يعملون فليستأذن الواحد أو الجماعة معه فانه من السنة والادب فان دعي وحده أو مع نفر باعيانهم أو اعدادهم فتبعهم واحد لم يكن في العدد فليذكر للداعي قبل دخولهم اليه ليأذن له معهم كذلك السنة ومن دعي في جماعة وفوض اليه الامر فيهم فليعرف صاحب المنزل عدتهم قبل مجيئهم ليستعد لهم بعد ان يعرض عددهم ومن دعا رجلا في غير دعوة عامة وعنده قوم أو رجل بعينه فليعلمه بمن عنده ليدخل على بصيرة فلعل أن يكون عنده من يكره هذا المدعو الاجتماع معه أو لعله أن يجيبه لانه يحسب ان ليس عنده غيره لان الاكل معاشرة وليس كل انسان يحب ان يعاشر كل أحد خاصة الرؤساء ومن أكل مع رجل من طعامه فوقف عليه سائل فلا يعطين شيأ الا باذنه أو يسأل صاحب الطعام حتى يكون هو الذي يعطيه فان أعطاه بغير اذن كان الاجر لصاحب الطعام والوزر عليه روي ذلك عن أبي الدرداء قال لانسان كان يأكل معه فاعطى سائلا بغير أمره لقد كنت غنيا أن يكون الاجر لي والوزر عليك ومثله لا يدعو الى طعام غيره أحدا بغير اذن صاحبه ومن دعا خصوص اخوانه فدخل عليه داخل فلا يقعده معهم للاكل وليصرفه أو يطرده عنهم * حدثني بعض أشياخنا عن بعض الخلف الصالح انه دعا اخوانه من الصوفية على طعام فدخل رجل من العامة فجلس يأكل معهم فقبض على يده ونحاه وقال هذا عملناه لهؤلاء خاصة لا يصلح أن يكون معهم غيرهم ثم أفرده بطعام خصه به وعمله لاجله عوضا مما فعل ومن

قال الحارث المحاسبي الخوف يكون من مطالعة القلوب لسطوات الله تعالى ونقمه فيتولد في القلوب الخوف وذلك عند شهود الوعيد وقال الهروي في منازل السائرين الخوف هو الانخلاع من طمأنينة الأمن بمطالعة الوعيد وهو على ثلاث درجات الاولى خوف العوام وهو يتولد من التصديق بالوعيد وذكر الجناية ومراقبة العاقبة الثانية خوف المكر عند رؤية الاعمال الثالثة خوف الهيبة والاجلال وهو يتولد من مطالعة الصفات وقال غيره الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال والخوف قد يكون من مقارفة الذنوب وقد يكون من الله تعالى لمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة وهذا أكمل وأتم لان من عرف الله تعالى خافه بالضرورة وكذلك قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال صلى الله عليه وسلم أنا اخوفكم لله وأشدكم له خشية فمعرفة الجلال والعزة والعظمة والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة وقال الاستاذ أبو بكر بن فورك في الانابة الخوف على أنواع منها الرهبة ومنها الخشية ومنها الوجل ومنها الهيبة ومنها العقوبة للمذنبين والرهبة للعابدين والخشية للعالمين والوجل للمحبين والهيبة للعارفين فخوف الانبياء عليهم الصلاة والسلام خوف الهيبة والاجلال وهو أشد أنواع

دخل عليه داخل وهو يأكل فلا يرفع الطعام فليس ذلك من السنة ولا من فعل أهل المروءة ولعل الداخل أحوج اليه منه وقد بعث اليه اختبار اله واذا عرضت على أخيك الطعام مرة أو مرتين فلا تلحن عليه وكذلك اذا دعوته فكره فقد قالوا الا تكرم أخاك بما يشق عليه ولا تزيدن على ثلاث مرات فان الالحاح واللجاج مازاد على ثلاث مرات وليس ذلك من الادب قالوا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خوطب في شئ ثلاثا لم يراجع بعد ثلاث * وكان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقول الطعام أهون من ان يحلف عليه وقال مرة من ان يدعى اليه ذلك أعظم حق المؤمن وكان الثوري يقول اذا زارك أخوك فلا تقل له تأكل أو أقدم اليك ولكن قدم ما عندك فان أكل والا فارفعه وكان الحسن وابن المبارك اذا أراد الغداء أو العشاء فتحا بابهما فمن دخل عرضا عليه الاكل وقد كان هذا من سيرة السلف انهم يفتحون الباب عند حضور الطعام ومن صادف دخوله أكل معهم ومنهم من كان يقعد في دهليز داره و يفتح الباب فكل من مر عليه في الطريق دعاه الى طعامه من غني أو فقير وقال بعض التابعين الا ان خياركم آكلكم في الافنية وأوسعكم آنية وأحلاكم أطلية الا ان شراركم آكلكم في الاخبية وأصغركم أطلية ومن دعا رجلا الى طعامه وهو يعلم ان الاحب اليه ان لا يأكل فيكره له ان يأكل ولا يعبأ بقوله اذا علم منه خلافه فان لم يعلم حقيقة ذلك فله ان يجيبه على ظاهر قوله وليس له ان يسيء الظن به * دعا رجل الاحنف بن قيس في سفر الى طعامه فقال له الاحنف لعلك من العارضين قال وما العارضون قال الذين يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فسكت الرجل فلم يجبه الاحنف الى الطعام وكان الثوري يمشي مع رجل فمر بباب منزله فعرض عليه الدخول ليأكل عنده فقال له الثوري أصدقني عن شئ أسألك أيما أحب اليك أدخل أو انصرف فسكت فانصرف الثوري ومن علم من أخيه انه يحب ان يأكل من طعامه فلا بأس ان يأكل بغير اذن لان علمه بحقيقة حاله ينوب عن اذنه له في الاكل * وقد كان محمد بن واسع وأصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير اذن وكان الحسن ربما دخل فيجدهم كذلك فيسر و يقول هكذا كنا وروي عنه انه كان يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه الجونة تينة ومن هذه فستقة فقال له هاشم الاوقص يا أبا سعيد تأكل من متاع الرجل بغير اذنه فقال يا لكع أما قرأت آية الاكل ثم تلا عليه ولا على أنفسكم ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم الى قوله تعالى أو صديقكم ثم قال الحسن الصديق من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب فاذا كان كذلك فلا يستأذن له في ماله وجاء قوم الى منزل سفيان الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب وانزلوا السفرة فجعلوا يأكلون مافيها فدخل الثوري فجعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله فقدمه الى أصحابه وقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام فسأل عنه فقيل له قد جاء فلان فأخذه فقال قد أحسن فلما لقيه قال يا أخي ان عادوا فعد وقد أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم لحما تصدق به على بريرة من غير ان يستأذنها ولم تكن حاضرة لعلمه انها تسر بذلك وقال ان الصدقة قد بلغت محلها وهو عليها صدقة ولنا هدية وقال صلى الله عليه وسلم رسول الرجل الى الرجل اذنه أي قد علم باذنه له في الدخول عليه فاغناه عن الاستئذان ففي تدبر فعله عليه السلام ان من علمت كراهته لا كلك من طعامه ان لا تأكل وان أذن لك بقوله فقد بر عمل بعض السلف صنيعا فدعا رجلا فلم يصادفه الرسول ثم اعلم وقد انصرف الناس من عنده فقصد منزله فدق عليه الباب فخرج اليه الرجل فقال هل من حاجة قال انك دعوتني فلم يتفق ذلك فقد جئت الآن لما علمت فقال قد انصرف الناس قال فهل بقي منهم بقية قال لا قال فكسرة ان بقيت قال فلم يبق شئ قال فالقدر امسحها قال قد غسلناها فانصرف يحمد الله تعالى فقيل له في مسئلته عن ذلك فقال قد أحسن الرجل دعانا بنية فنفس هذا في الضعة والذلة وسقوطها من مراتب الانفة والعزة تشبه نفس ابن الكديني وهو أستاذ أبي القاسم الجنيد دعاه صبي الى دعوة أبيه فرده الاب أربع مرات في دعوة واحدة

الخوف لانه دائم لايزول في وقت من الاوقات وسائر أنواع الخوف تكون في وقت دون وقت فيسكن خوفه اذا ذكر رحمة الله وفضله وعفوه وأما خوف الهيبة والاجلال فانه لايسكن أبدا خوف المذنبين من العقوبات كما تقدم وخوف العابدين خوف أن لا تقبل منهم العبادات وخوف العاملين خوف الشرك الخفي في الطاعات وخوف المحبين خوف الابعاد والحجب عن اللقاء في الدنيا والآخرة وخوف العارفين خوف الهيبة والعظمة والاجلال كما ذكرناه في خوف الانبياء عليهم السلام

(فصل) والخوف ينتظم من علم وحال وعمل أما العلم فهو العلم بالسبب المفضي الى المكروه كالعلم بان الذنب يفضي الى المقت من الله تعالى الى العقوبة وعلامة خوف القلب النحول في الجسم والاصفرار في اللون والخشية والصعقة والبكاء وقد تفتت منه المرارة فيفضي الى الموت ويحصل هذا الكثير ممن تعرض للقتل وقد يقوى فيورث القنوط واليأس والخوف يقرب العبد من الطاعة ويكفه عن المعصية وقال الشيخ أبو القاسم الجنيد من خاف من شئ هرب منه ومن خاف من الله هرب اليه والخوف يؤدب الجوارح ويولد في القلب الذل والخشوع والاستكانة وأقسام الخوف كثيرة فمنها خوف النار وهو مقصود لذاته ومنها خوف المعاصي وهو

وهو يرجع في كل مرة وهو يرده فهذه نفوس مطمئنة بالتوحيد مشاهدة بالبلوى من المولى المبتلي للعبيد مذللة بالذلة موضوعة على الضعة وهذا طريق مفرد لافراد وحال مجرد لآحاد والمتكبرون لا يجيبون الدعوات وهم عند بعضهم من أنفة النفوس قال قائلهم أنا لا أجيب دعوة قيل ولم قال انتظار المرقة ذل وقال آخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري ذلت له رقبتي ومنهم من لم يكن يجيب الفقير لكبر في نفسه ويجيب الاغنياء لعظمهم في عينه ومن أبناء الدنيا الموصوفين بها من لا يجيب الا نظراءه وأشكاله من مثل طبقته ومرتبته في الرياسة في الدنيا وهذا على خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفعاله انه كان يجيب دعوة المسكين ويجيب دعوة العبد ومن قوله بئس الطعام وشر الطعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء ويترك الفقراء ثم قال من لا يجيب الدعوة فقد عصى الله تعالى ومر الحسين بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا كسرا على الارض في الرمل وهم يأكلون وكان على بغلته فلما مر بهم سلم عليهم فردوا عليه وقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ان الله لا يحب المستكبرين ثم ثنى وركه فنزل عن دابته وقعد معهم على الارض وأقبل يأكل ثم سلم عليهم وركب وفي خبر آخر زيادة فقال قد أجبتكم فأجيبوني قالوا نعم فوعدهم المجيء في وقت من النهار فجاؤا فرحب بهم ورفع مجالسهم ثم قال يا واذات هاتي ما كنت تدخرين فأخرجت الجارية فأخرج ما عندها من الطعام فأقبل يأكل معهم وكان ابن المبارك يقدم الى اخوانه فاخر الرطب ويقول من أكل أكثر أعطيته بكل نواة درهما فكان يعد النوى فيعطي من كان له فضل نوى بعددها دراهم وقال بعض أهل الاعتبار ما أجبت الدعوة الا لأتذكر بها نعيم الجنة طعام ينقل بغير كلفة ولا مؤنة ولذلك قيل ان اجتماع الاخوان في وجود الكفاية على الانس والالفة ليس هو من الدنيا وقد كان بعض الصوفية يقول لا تجب دعوة الا من يرى انك أكلت رزقك وانه سلمه اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قبولها منه فهذه شهادة العارف من الداعين كذلك شهادة المدعوين من الموحدين أن يشهدوا الداعي الاول والمجيب الآخر والمعطي الباطن والرازق الظاهر كما امتحن أصحابه بذلك بعض الصوفيين بلغني ان رجلا دعا اماما من الصوفية في أصحابه الى طعام فلما أخذ القوم مجالسهم ينتظرون فضل الطعام اليهم خرج اليهم شيخهم فقال ان هذا الرجل زعم انه دعاكم وانكم تأكلون طعامه ففي حرج أو قال حرام على من لم يشهده في فعله ان يأكل قال فقاموا كلهم فخرجوا ولم يستحلوا الاكل اذ كانوا لا يرونه في الفعل الا غلاما حدثا فانه قعد اذ لم تثبت شهادته ولم ينفذ نظره العبارة والمعنى لقائله مثله أو نحوه وان دعاك أخوك وأنت صائم فعلمت انه يسر بأكلك فلا بأس ان تفطر لاجله فان لم تعلم ذلك منه وقال لك أنا أسر بأكلك فصدقه وأحسن به الظن وان لم تعلم ذلك منه ولم يلفظ به لسانه فاني أكره خروجك من عقد الصوم لغير نية هي أبلغ منه أو مثله فصومك حينئذ أفضل وان أكلت مع أخيك تريد اكرامه بذلك فهذه نية صالحة قد كان بعضهم اذا أكل يوم فطره أكل مع اخوانه ويحتسب في أكله ما يحتسب في صومه وروينا عن ابن عباس أنه قال من أفضل الحسنات اكرام الجلساء ومن لم يرد أن يطعم قوما من طعام فلا يظهره عليهم ولا يصفه لهم سواء كان هو قد أكله أو لم يأكله وكان الثوري يقول اذا أردت أن لا تطعم عيالك من شيء تأكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك وينبغي أن يكون للمجيب الى الدعوة نيات سبع اذ الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى اذ الاجابة من الاعمال فمن نواها دنيا كانت له دنيا العاجل حظه ومن أرادها آخرة فهي له آخرة بحسب نيته وان لم تحضره نية أو اعتل بفسادها توقف حتى يهيئ الله عز وجل له نية صالحة تكون الاجابة عليها أو ترك الاجابة اذا كانت بغير نية لانها من أفاضل الاعمال فتحتاج الى أحسن النيات لوجود العلم فيها فتكثر بها الحسنات وافتقد الهوى منها اذ يسلم فيها من السيئات والا كانت اجابته هزوا وكان عاملا في باب من أبواب الدنيا وساعيا في حظ نفسه ومعجوله وقد قال الرسول عليه السلام من كانت هجرته الى دنيا يصيبها فهجرته الى ما هاجر اليه فيصير مأزورا بفساد النية أو يكون غير مأجور لعدمها فأول النيات طاعة

مقصود لغيره لانه خوف مما يفضي الى عذاب اسر ومنها خوف الموت قبل التوبة أو خوف نقض التوبة أو خوف الميل عن الاستقامة أو خوف الاغترار بزخارف الدنيا أو خوف السابقة أو خوف الخاتمة أو خوف سلب المعرفة الى غير ذلك من أقسام الخوف فأغلب هذه المخاوف على المتقين خوف الخاتمة فان الامر في ذلك مخطر وأعلى الاقسام وأدلها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع للسابقة فمن خاف السابقة خاف الخاتمة لان السابقة هي الخاتمة وقال بعض أهل المعارف الخوف من المعاصي خوف الصالحين والخوف من الله تعالى خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى فكل من عرف الله تعالى وعرف صفاته عرف من صفاته ما هو جدير بأن يخاف منه من غير جناية بل العاصي لو عرف الله حق معرفته لما خاف الا منه ولولا أنه يتخوف في نفسه لما أقدره على المعصية ويسر عليه سبيلها وهيأ له أسبابها فان تيسير أسباب المعصية ابعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية استحق بها أن يسخره للمعصية الثانية فالعاصي مقضي عليه بالمعصية شاء أو أبى وكذا المطيع يسر عليه أسباب الهداية وزين الايمان في قلبه فرفع أبا بكر وعمر وأبا ذر وسلمان وحارثة ومصعب ابن عمير وأبا رافع وعمر بن ثعلبة والبراء بن مالك وصهيبا وبلالا وعكاشة بن محصن وغيرهم ممن سلك بهم مسلك الفضل الى عليين

الله تعالى وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والثانية اقامة سنة لقوله عليه السلام لو دعيت الى كراع لاجبت وهو موضع على أميال من المدينة أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان لما بلغه وقصر عنده في سفره وقال في الخبر الآخر لو دعيت الى ذراع لاجبت فهذا ظاهر في الاجابة على القليل والاول يحتمل في الاجابة الى الموضع البعيد فقد نقل ان في التوراة أو في بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخا في الله عز وجل فبعد في اجابة الدعوة وفضلها على العيادة وشهود الجنازة لان فيها اقضاء حق الحي وفيها اجابة داع والنية الثالثة اكرام أخيه وفي الخبر من أكرم أخاه المؤمن فانما يكرم الله تعالى وفي حديث الحسن وعطاء من جاءه شيء من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله تعالى فترك الاجابة رد العطاء وفي تأويل الخبر عن الله تعالى بمعناه انه يقول للعبد يوم القيامة جعت فلم تطعمني فيقول كيف أطعمك وأنت رب العالمين فيقول جاع أخوك المسلم فلم تطعمه ولو أطعمته كنت قد أطعمتني فمن ظاهره تعظيم حرمة المسلم لانه اقامه مقامه وفي باطنه في الفهم انه اذا أجابه فقد عاونه على اطعام نفسه فكانه أطعمها فاذا لم يجب دعوته فقد ترك معاونته على اطعامه فدخل تحت التفريع بانه لم يطعم نفسه وهو المسلم اذا لم يجب الدعوة فتذكروا والنية الرابعة ادخال السرور على أخيك المؤمن والخبر الآخر من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل والنية الخامسة رفع الغم عن قلبه ووضع الهم عن نفسه في ترك اجابته من ترجيم الظنون به وتوقيع الرجم بالغيب فيه لم لم يجب ولعله يجب والا كان يجب فيرفع عنه ذلك ويسقط عنه مؤنته سوء الظن به وتنزيل الشك فيه باليقين به والنية السادسة ان ينوي زيارته فيصير ذلك نافلة له تماما على الذي أحسن فقد جاء في فضل الزيارة في الله تعالى وان بها يستحق ولاية الله تعالى وانها علامة ولاية المتحابين في الله فاشترط لذلك شيأ آن التباذل لله والتزاور فيه فقد حصل البذل من أحدهما بقيت الزيارة من الآخر على الخبر السائر أن الاجابة من التواضع كما ذكرنا قبل ان المتكبرين لا يجيبون الداعي فهذه سبعة أعمال نيات لمن وفق لعملها والعمل بها ومن طرقته فاقة من الفقراء فقصد بعض اخوانه يتصدى للاكل عنده فجائز له ذلك بشرطين لا يكون عنده موجود من طعام ونيته ان يؤجر أخاه ويكون هو الجالب لاجره لانه عرضه للمثوبة فهذا داخل في التعاون على البر والتقوى وداخل في التحاض على طعام المسكين ونفسه كغيره من الفقراء ولان أخاه لا يعلم بصورة حاله ولو علمه لسره ذلك فلعله ادخال السرور عليه من حيث يعلم وقد فعل هذا جماعة من السلف وقد روي بمعناه أثر من ثلاثة طرق للسلف الصالح منهم عون بن عبد الله المسعودي كان له ثلثمائة وستون صديقا وكان يكون عند كل واحد يوما وآخر كان له ثلاثون صديقا كان يكون عند كل واحد يوما وليلة وكانوا يقدمون هذه الاخلاق السنية مع اخوانهم فيؤثرونهم على المكاسب والمعلوم فكان اخوانهم معلومهم ولم يكن هؤلاء يكتسبون ولا يدخرون وكان لاخوانهم فيهم نية صالحة يسالونهم ذلك ويقسمون عليهم فيه ويرونه من أفضل أعمالهم وكان هؤلاء للانصاف يكرمون اخوانهم باجابتهم وكونهم عندهم ولم يكن سعيد ابن أبي عروبة يعرض على اخوانه الطعام ولكنه كان يظهره ويعرض به فكان اللحم مسلوخا معلقا والخبز موجودا ظاهرا وكذلك كان يفعل بالثياب والاثاث كان جميع ما في منزله مظهرا مسبلا فكل من دخل عليه من اخوانه ان شاء قطع من المسلوخ فشوى وطبخ وان شاء أكل من الخبز بما وجد من الادم ومن شاء لبس من الثياب ما شاء فكان ذلك مشاعا في منزله لمن أراد تناوله ومنهم من كان منقطعا في منزل أخيه قد أفرده بمكان يقوم بكفايته ولا يبرح من منزله على الدوام يحكم فيه ويتحكم كما يكون في منزل نفسه وقال بعض العلماء أكلتان لا يحاسب العبد عليهما ما أكل في سحور وما أكله عند اخوانه اكراما لهم بذلك ومن أكل عند قوم فليقل عند فراغه أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الابرار وصلت عليكم الملائكة وقد روينا أيضا ان يقول عليكم صلاة قوم أبرار ليسوا بآثمين ولا فجار يصلون الليل ويصومون النهار فقد كان

من غير وسيلة سبقت منهم قبل وجودهم ووضع أبا جهل وأبا لهب وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وعقبة ابن أبي معيط وأمية بن خلف وأبي بن خلف والوليد ابن عتبة وغيرهم من الكفار ممن سلك بهم مسالك العدل من غير جناية سبقت منهم قبل خلقهم فمن حكم بذلك أولا فهو جدير بان يخاف من جلاله وعظمته وعدله فمن أطاع انما أطاع لانه خلق فيه ارادة الطاعة وآتاه القدرة عليها وعند خلقها له توجد الطاعة لامحالة والذي عصى انما عصى لانه سلط عليه ارادة جازمة وآتاه الاسباب والقدرة وخلق فيه الشهوة والعجز بعد خلق هذه الاسباب لا بد من وقوعه فليت شعري ما الذي أوجب اكرام هؤلاء بتيسير أسباب الطاعة لهم وما الذي أوجب اهانة هؤلاء وابعادهم بتسليط دواعي الكفر والمعصية عليهم وكيف يحال ذلك على العبد فالحوالة انما هي على القضاء الازلي وليس ثم جناية سابقة من العبد فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد مجزوم به عند كل عاقل ووراء هذه المعاني سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه لاحد قال هؤلاء للجنة ولا أبالي وهؤلاء للنار ولا أبالي فحق على كل أحد أن يخاف وكيف لا يخاف الناس كلهم وقال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود وأخواتها سورة الواقعة واذا الشمس كورت وعم يتساءلون فقال العلماء لعل ذلك في سورة هود من الابعاد كقوله تعالى ألا بعدا لثمود ألا بعدا

الصحابة يقولون ذلك * ذكر غسل اليد ليس كل أحد يحسن أدب الغسل كما ليس كل انسان يعرف سنة الاكل فمن غسل يده بالاشنان ابتدأ بغسل أصابعه الثلاث أولا ثم جعل الاشنان فى راحته اليسرى يابسا ثم أمره على شفتيه مجسا وأتم غسل فيه باصبعيه وظاهر أسنانه وباطنه وحنكه ولسانه ثم غسل أصابعه من ذلك بالماء ثم دلك ببقية الاشنان اليابس أصابعه وظهرا وبطنا ثم لم يدخل الاشنان ثانيا الى فيه لئلا يعود بالغمر اليه من يديه وهذا يكفيه من تثنية الغسل ومن غسل يد اخوانه بعد أكلهم من طعامه فمن الادب أن يصب على أيديهم بالماء العذب فبمثل هذه الطبقة ونحوها يعرف حسن تفقد الدعاة وليستبين تعاهد الرعاة كان بعضهم يقول يدع والرجل اخوانه ينفق فى الطيبات جملة ويحليهم بعدها بالحلاوة ثم يمر رأفواههم بالماء الملح فهذا يكون من نقص التعاهد وقلة التفقد * ذكر أخبار جاءت فى الآثار رويناها منثورة فى الاطعمة والاكل من بين نقص وفضل هى من طرائق السلف وصنائع العرب أدخلناها فى تضاعيف كلامنا لانها منقولة من كلام القدماء من حديث اسحق بن نجيح عن عطاء بن ميسرة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل ما يسقط من المائدة عاش فى سعة وعوفى فى ولده وفى خبر سعيد بن لقمان عن عبد الرحمن الانصارى عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الاكل فى السوق دناءة هذا غريب مسندا وليس بذاك الصحيح انه من قول التابعين ابراهيم النخعى ومن دونه وعن جويبر عن الضحاك عن النزال بن سبرة عن على عليه السلام قال من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن أكل يوما سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ومن أكل فى كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيأ يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسارحات تعظم البطن وترخى الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من الداء ولن تستشفى النفساء بشئ أفضل من الرطب والسمك يذيب الجسد وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليقل غشيان النساء وليخفف الرداء وهو الدين فى أخبار الامراء ان الحجاج قال لبنادق المطبب صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها قال له لا تنكح من النساء الا فتاة ولا تأكل من اللحم الا فتيا ولا تأكل المطبوخ حتى ينعم نضجه ولا تشربن دواء الا من علة ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ولا تأكل طعاما الا أجدت مضغه وكل ما أحببت من الطعام ولا تشرب عليه فاذا شربت فلا تأكل عليه شيأ ولا تحبس الغائط والبول واذا أكلت بالنهار فنم واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة وفيما قاله الفيلسوف حكمة قد ورد ببعضها آثار قد تروى فى خبر مقطوع ذكره أبو الخطاب بن عبد الله بن بكر يرفعه من استقل بدائه فلا يتداوى فرب دواء يورث داء وكانت الحكماء تقول دافع بالدواء ما حاملت قوة تلك الداء وقال بعضهم مثل شرب الدواء مثل الصابون للثوب ينقيه ولكن يخلقه وقال بقراط الفيلسوف الدواء من فوق والداء من تحت فمن كان داؤه فى بطنه فوق سرته سقى الدواء ومن كان داؤه تحت سرته حقن ومن لم يكن به داء من فوق ولا من تحت لم يسق الدواء فان سقى عمل فى الصحة داء اذا لم يجد داء يعمل فيه وفى الخبر قطع العروق مقمة وترك العشاء مهرمة والعرب تقول ترك الغداء يذهب بشحم الكاذة يعنى الالية وقال بعضهم نهانى الاطباء عن الشرب فى تضاعيف الطعام والعرب تقول تعش وتمش وتغد وتمد يريدون تمدد فابدلوا الالف من الدال الثانية كراهية التكرار ولازدواج الكلام ومنه قوله تعالى ثم ذهب الى أهله يتمطى أى يتمطط فابدل من الثانية الفا بمعنى تمطاه برفع ظهره وأما فى حبس الغائط فقد قال بعض الفلاسفة الطعام اذا خرج نحوه قبل ست ساعات فهو مكروه من المعدة واذا بقى فيها أكثر من أربع وعشرين ساعة فهو ضرر على المعدة ويقال ان حبس البول يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه ففاض من جوانبه ويقال ان أرواح المفاصل ميراث حبس الريح قال الشيخ أبو طالب قرأت فى الحكمة مدار صلاح الامور فى أربعة الطعام لا يؤكل الا على شهوة والمرأة لا تنظر الا الى زوجها والملك لا يصلحه الا الطاعة والرعية لا يصلحها الا العدل وقيل لبعض حكماء الروم

لهاد قوم هود والابعد المدين كما بعدت ثمود واعلم ان الخوف أفضل من الرجاء لمن غلب على قلبه الامن من مكر الله والاغترار به ومن غلب على قلبه اليأس والقنوط فالافضل له الرجاء قال بعض العلماء الخوف والرجاء متقاربان فى المعنى ولا يتجرد أحدهما عن الآخر لان الخائف من شئ راج للنجاة منه والراجى لشئ خائف أن يفوته فالرجاء متصل بخوف خفى والخوف متصل برجاء خفى وقال صالح بن عبد الكريم ان الرجاء والخوف فى القلب انهما نوران فقيل له أيهما أشد نورا فقال الرجاء فبلغ ذلك أبا سليمان الدارانى فقال سبحان الله ما أعجب هذا الكلام الخوف يتشعب منه التقوى وأعمال البر والرجاء لا يتشعب منه هذه الخصال فكيف يكون أشد نورا فبلغ ذلك أبا صالح فقال صدق أبو سليمان ولكن الرجاء لما رجع الى فضله وكرمه صار أشد نورا *(فصل)* واذا أفرط الخوف أوقع فى اليأس والقنوط واذا أفرط الرجاء أوقع فى التهاون فى العمل وافراط الخوف شعار المعتزلة والحرورية وافراط الرجاء شعار المرجئة والاعتدال أن يكون رجاء وخوفا وقد قدمنا ان الخوف على اقسام وان من جملتها خوف سلب المعرفة وهى البلية التى تقصم الظهر وتقطع القلوب وتذيب الاكباد قال بعضهم الغموم ثلاثة غم الطاعة أن لا تقبل وغم المعصية أن لا تغفر وغم المعرفة أن تسلب روى أن بلعام بن باعوراء كان من الاخيار وكان يجلس بين يديه ألف

اى

مجيرة يكتبون عنه العلوم والحكم والمعارف فسلب ذلك كله وآل به الأمر الى التعطيل والالحاد ويقال انه أول من صنف كتابا

أي وقت الطعام فيه أصلح فقال أما لمن قدر فاذا جاع وأما لمن لم يقدر فاذا وجد ويقال اذا كثرت المقدرة نقصت الشهوة وقال كسرى لجلسائه أي خصلة في الانسان أضر فقالوا الفقر فقال البخل أشد من الفقر لان الفقير لا يجد والبخيل يجد ولا يأكل وقيل لرجل رؤي سمينا ما اسمنك فقال أكل الحار وشرب القار والاتكاء على شمالي والأكل من غير مالي وقيل لآخر رؤي حسن الجسم ما أحسن جسمك قال قلة الفكر وطول الدعة والنوم على الكظة وقيل لآخر رآه حكيم سمينا أرى عليك قطيفة من نسج أضراسك فما هي قال آكل اللباب وصغار المعز وادهن بخام بنفسج والبس الكتان والعرب تقول العاشية تهيج الآبية يعني ان الذي لا يشتهي الطعام اذا نظر الى من يأكل هاجه ذلك على الأكل الذي يأباه اذا رأى الآخر تعشى وذكر الاصمعي ان بعض الحكماء أوصى ابنه فقال يا بني لا تخرج من منزلك حتى تأخذ حلمك يعني تتغذى وكذلك يقال في تناول الشيء قبل الخروج الى السوق وقبل لقاء الناس انه أقل للشهوة في الاسواق وأقطع للطعام بلقاء الناس وأنشد هلال بن مجشم شعرا

وان قراب البطن يكفيك ملؤه * ويكفيك سوآت الامور اجتنابها

ورؤي بعض الصوفية يمشي في السوق وهو يأكل وكان ممن يشار اليه قال فقلت له تأكل في السوق فقال عافاك الله اذا جعت في السوق آكل في البيت قلت فلو دخلت بعض المساجد فقال استحي منه أن أدخل بيته للأكل هذا لانه رأى الأكل من أبواب الدنيا فدخل في طريقها كما قيل الاسواق موائد الاباق ابقوا من الخدمة فجلسوا في الاسواق وفي خبر ابن عمر قال كنا نأكل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام وقال بعض أهل الطب الحمية أحد العلتين ويقال الحمية للصحيح ضارة كما انها للعليل نافعة والدواء اذا لم يجد ما يعمل فيه وجد الصحة فعمل فيها وأنشد بعض العرب شعرا

ورب حزم كان للبدء علة * وعلة حر الداء حفظ الثقال

وقال لقمان من احتمى فهو على يقين من المكروه وفي شك مما يأكل من العوافي وكان يقال ليس الطبيب من أحمى الملوك ومنعهم من الشهوات انما الطبيب من خلاهم وما يريدون ثم دبر سياستهم على ذلك حتى تستقيم أجسادهم وقال مدني عندنا بالحجاز لبعض الاعراب أخبرني بما تأكلون وما تدعون فقال نأكل ما دب ودرج الا أم حبين فقال المدني ليهن أم حبين منكم العافية وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى صهيبا يأكل تمرا وبه رمد فقال له تأكل التمر وأنت رمد فقال يا رسول الله انما آكل بهذا الشق الآخر يعني جانب العين السليمة فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم * ذكر أخبار جاءت في الثقال والحمية وذم البطنة في حديث اسمعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم قال قال أبو الدرداء بئس العون على الدين قلب نخيب وبطن رغيب ونعظ شديد نخيب يعني خفيفا ضعيفا ورغيب يعني واسعة طامعة قيل لبعض الحكماء أي الطعام أطيب قال الجوع أعلم أي به يطيب الطعام كما قيل نعم الادام الجوع ما ألقيت اليه قبله قال العتبي قال عبيد الله لرجل من أهل المدينة يا أخي اني لأعجب ان فقهاءكم أظرف من فقهائنا وعوامكم أظرف من عوامنا ومجانينكم أظرف من مجانيننا قال فتدري لم ذلك قلت لا قال الجوع ألا ترى ان العود انما صفي صوته من خلو جوفه يقال دعا عبد الله بن الزبير الحسن بن علي رضي الله عنهم فحضر هو وأصحابه فأكلوا ولم يأكل هو فقيل له في ذلك قال اني صائم ولكن تحفة الصائم قال وما هي قال الدهن والجمرة وكذلك يقال الكحل والدهن أحد القرابين واللبن أحد اللحمين والفاكهة والحديث للضيف أحد الضيافتين فيستحب لمن كان صائما فحضر ولم يأكل ان يطيب ويحيى فذلك زاده وروي ان عبد الرحمن بن أبي بكرة كان على خوان معاوية فرأى معاوية لقم عبد الرحمن فلما كان بالعشي راح اليه أبو بكرة وحده فقال له ما فعل ابنك التلقامة قال اعتل قال معاوية مثله لا يعدم العلة وقيل لابي بكرة ان ابنك أكل حتى بشم قال لو مات ما صليت عليه ويقال للبشم سكر كسكر الخمر وسئل الحرث بن كلدة طبيب العرب ما الدواء الذي لا داء فيه فقال هو

في التعطيل ونفي الصانع تعالى الله وتقدس رب كل شيء واله العالمين وقال يوسف ابن أسباط دخلت على سفيان الثوري ليلة فوجدته يبكي فقلت له بكاؤك هذا خوف من الذنوب فقال انما أبكي خشية أن أسلب الاسلام وقال يحيى بن آدم مرض سفيان الثوري فذهبت ببوله الى طبيب فلما نظر اليه قال أليس هذا بول حنيفيا قلت بلى قال هذا رجل قطع الخوف كبده وما ظننت ان في الحنيفية مثل هذا

(فصل) قد قدمنا ان من جملة اقسام الخوف خوف الانبياء والملائكة وهو خوف الاجلال والهيبة وحصل لهم هذا الخوف من مطالعة عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وباهر قدرته وعظيم مجده وجميع ما وجب له من صفات الجلال ونعوت العظمة والكمال وخوف هذا تعبد لله تعالى لانهم أمنوا بأمان الله تعالى لهم وأما بقية أقسام الخوف فهي كسائر الخوف وقد ذكرنا الخوف فيما سبق أقساما من وجوه ونذكر هنا له تقسيما آخر فنقول الخوف ينقسم الى واجب والى مندوب فالواجب منه ما يمنع من المحرمات ويحمل على القيام بالواجبات والمندوب منه ما يمنع عن كل مكروه وعن تعاطي الشبهات والخوف الواجب ما تعلق

التكليف به هل متعلق نفس المعنى أعنى الخوف أو تعاطى أسبابه لا غير فيه خلاف بين المتكلمين فذهب القاضى أبو بكر الى ان المكلف به نفس المعنى وأجرى ذلك فى جميع المعانى كالعلم والرجاء والزهد وغيره فلزم ان المطلوب هو نفس هذه المعانى وقال امام الحرمين متعلق التكليف هو الاسباب دون نفس المعانى لانها غير مقدورة للعبد وانما المقدور هو أسبابها والله تعالى يخلقها للعبد عند تعاطى الاسباب أما أسباب الخوف المحصلة له فهو دوام الفكر فيما قدمناه من المخوفات مع العلم بما اكتسبه من الخطيئات فاذا دامت من العبد الفكرة فى عظيم الذنب مع المعرفة بعظم الآمر والناهى وان مخالفته عظيمة وانه يجازى على ذلك باعظم الجزاء اثمرله ذلك الخوف وهاجت نيرانه فى القلب فمالت النفس حينئذ الى الانكفاف عن المعصية وضعف الخاطر الشيطانى واثمرله الخوف السلامة من هلاك الابد والخزى الدائم وساقه الى سعادة الابد ومن ثمراته وفوائده المراقبة وبين هذه المرتبتين أعنى رتبة السلامة من هلاك الابد ورتبة المراقبة من الاحوال ورتب الخائفين فى الاعمال مالا يحصى كثرة

(فصل) فى مسائل تتعلق بالخوف منها ان أرباب المعارف اختلفوا فى أيما أفضل الخائف الذى تخافه المخوفات أو الذى تأمنه المخوفات

الازم يعنى الحمية وقيل لجالينوس انك تقل من الطعام فقال غرضى من الطعام ان آكل لاحيا وغرض غيرى من الطعام ان يحيا ليأكل ويقال ماأدخل الانسان جوفه أنفع من الرمان ولا أضر من المالح ولان يتقلل من المالح خير من أن يستكثر من الرمان هذا الذم الاستكثار وان كان مما ينفع ومدح القلة وان كان مما اضر حدثت عن عبد المنعم بن ادريس عن أبيه عن وهب بن منبه قال قال لابنه يابنى ان طول الجلوس على الخلاء يرفع الحرارة الى الرأس ويورث الناسور ويجمع له الكبد اجلس هو ينا وقم قال حكمه على باب الحش ويقال سال الحجاج جلساءه ماأذهب الاشياء للاعياء قالوا أكل التمر وقال بعضهم الحمام وقال بعضهم الجماع وقال آخر الصماخ فقال يتاذوق أذهب الاشياء للاعياء قضاء الحاجة حدثت عن بعض الاطباء ان رجلا شرب خبث الحديد المعجون فبقى فى جوفه واشتد به وجعه قال فسحقت له قطعة مغناطيس وسقيته اياه فتعلق بالخبث وخرج مع الغائط وروى الاصمعى عن جعفر بن سليمان قال قال يتاذوق الفيلسوف ان اللحم على اللحم يقتل السباع فى البرية قال ثم قال أبو جعفر قالت جارية لنا كان لناظبى فربجين قد هيئ فاكل منه حتى حبط والحبط انتفاخ الجنبين فسلخ فوجد قد شرق بالدم فقال يونس الطبيب هكذا يصيب الانسان اذا بشم يشرق قلبه بدمه وقال الاصمعى عن جعفر والى البصرة انه قال لانسان أكول بقى ء اذا أكل لا تفعل فان المعدة تضغن الى القىء كما تضغن الدابة العلف ولا ينضج الطعام معنى تضغن أى تالف وتعتاد وقال بعضهم سئل تاذوق عن البخر فقال دواؤه الزبيب يعجن بالشعير ثم يؤكل أسبوعين أو ثلاثا وقال الاطباء معرفة خفة الماء ان يكون سريع الغليان سريع البرد ويكون قبالة الشمس مجراه على الشمال ومروره على الطين الاحمر وعلى الرمل ذكر أبو طالب ان هذا آخر الزيادة من الاقوال وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال أكرموا الخبز فان الله قد أنزله من السماء فمن بركات الخبز انه لا ينتظر به ادام ويؤكل مع ماحضر معه من الملح والخل والبقل وغيره وان لا يجعل تحت شئ من آلة المائدة ولا تحت غضارة مثل ان يسند به شئ ولا يتخذ طبقا الشئ فان وضع عليه مايؤكل فلا باس ومن السنة والادب ان لا ينتظر بالطعام غائب اذا حضر جماعة ولكن ياكل من حضر فان حرمة الحاضر مع حضور الطعام أوجب من انتظار الغائب الا أن يكون الغائب فقيرا فلا باس ان ينتظر ليرفع من شانه ولئلا ينكسر قلبه وان كان الغائب غنيالم ينتظر مع حضور الفقراء فان انتظار الغنى معصية لما روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء ويترك الفقراء فسمى الطعام شر الاجل الاغنياء والطعام لا تعبد عليه وانما الشر اسم لاهل الطعام الداعين الاغنياء عليه التاركين للفقراء فاما طعام المأتم فهو على ضربين نوع منه يصنعه أهل الميت للنوائح والبواكى ومن يعينهم على الجزع فاكل هذا مكروه منهى عنه ونوع يحمل اليهم لشغلهم عن أنفسهم واصلاح طعامهم بميتهم فهذا لا باس به ويحمله اليهم ويجوز الاكل منه ان أطعموه وغيرهم لانه من البر والمعروف ان لم يرد به النوائح ولا المجالسة على القبور للجزع والاسى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما جاء نعى جعفر ابن أبى طالب ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن صنيع طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون فهذا سنة فى حمل الطعام الى أهل الميت ومن دعى الى طعام وكان فى بيت الداعى احدى خمس خصال فلا يجيب دعوته ولا حرج فى ترك اجابته ان كانت مائدته يشرب بعدها مسكر وان لم يعاينه فى الحال أو كان فى الاثاث فراش حرير او ديباج أو كان فى الآنية ذهب أو فضة أو كان متخذ الحيطان مسترا بالثياب كما تستر الكعبة أو كان صورة ذات روح فى ستر منصوب او فى حائط ومن أجاب الدعوة فرأى احدى هذه الخمس فعليه ان يخرج أو يخرج ذلك فان قعد فقد شركهم فى فعلهم دعى أحمد بن حنبل رحمه الله الى طعام فاجاب فى جماعة من أصحابه فلما استقر فى المنزل رأى اناء من فضة فى البيت فخرج وخرج أصحابه معه ولم يطعموا ويقال انه خرج من أشنانة رآها كان رأسها المغطا به فضة لم يصبر فخرج لذلك حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزى قال سالت أباعبد الله عن الرجل يدعى الى الوليمة من أى شئ يخرج قال خرج أبو ايوب حين دعى فرأى البيت

قد ستر ودعي حذيفة فرأى شيا من زي العجم فخرج وقال من تزيا بزي قوم فهو منهم قلت لابي عبد الله فان رأى
شيا من فضة ترى ان يخرج قال نعم أرى ان يخرج قال وسمعته يقول دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا
نختلف الى عفان فاذا اناء من فضة فخرجت فاتبعني جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم فقلت لابي عبد الله
الرجل يدعى فيرى المكحلة رأسها مفضض قال هذا يستعمل كل مالا يستعمل فاخرج منه انما رخص في الضبة
أو نحوها فهو أسهل وسالته عن الكلة فكرهها قلت فالقبه أو أخليها فلم ير بها باسا قلت لابي عبد الله ان رجلا
دعا قوما فجيء بطست فضة أو ابريق فكسره هل يجوز كسره قال نعم قال أبو بكر المروزي سالته عن الرجل
يدعى فيرى فرش ديباج ترى ان يقعد عليه أو يقعد في بيت آخر قال يخرج قد خرج أبو ايوب وحذيفة
وقد روي عن ابن مسعود الخروج قلت ترى ان يامرهم قال نعم يقول هذا لا يجوز قلت لابي عبد الله الرجل
يكون في بيت ديباج يدعى اليه للشيء قال لا تدخل عليه ولا تجلس معه قلت الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهها
وقال هو رياء لا ترد من حر ولا ترد من برد قلت الرجل يدعى فيرى سترا فيه تصاوير قال لا تنظر اليه قلت قد
أنظر اليه قال ان أمكنك خلعه خلعته قال سالت أبا عبد الله عن الستر يكتب فيه القرآن فكره ذلك قال ولا
يكتب القرآن على شيء منصوب لاستر ولا غيره قلت الرجل يكترى البيت فيه التصاوير ترى ان يحكه قال نعم
قلت لابي عبد الله دخلت حماما فرأيت فيه صورة ترى ان احك الرأس قال نعم وسالته عن الجوز ينثر اسناده
جيد أبو حصين عن خالد بن مسعود قال أبو بكر المروزي دخلت على أبي عبد الله وقد حذق ابنه وقد اشترى
جوزا يريد ان يعده على الصبيان يقسمه عليهم وكره النثر وقال هذه نهبة وقال هاشم بن القاسم حدثنا محمد
قال كان طلحة والزبير يكرهان النثر في كل شيء في العرس وفي الحذاق وغيرهما من الجوز والسكر قال
وسالت أبا عبد الله عن قرض الرغيف والخبز فلم ير به باسا آخر الزيادة في الجديد ومن الاصل الاول خمسة
لا تجاب دعوتهم وان دعى رجل ولم يعلم ثم علم فلا حرج عليه ان يخرج من بيته المبتدع وأعوان الظلمة وآكل
الربا والفاسق المعلن بفسقه ومن كان الاغلب على ماله الحرام ولم يكن يردع عن الآثام في معاملته الانام لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تاكل الا طعام تقي وذلك لان التقي قد كفاك الاجتهاد في المأكول للتقوى
فاغناك عن السؤال عنه لان التقي اذا أطعمته استعان على الطعمة على البر والتقوى فتصير معاونا له عليهما
كما قال تعالى فيشركه في بره والفاجر والظالم ان أكلت طعامهما صرت من أعوان الظلمة مشاركا لهما
في الطعمة كما سال خياط ابن المبارك فقال اني أخيط بعض وكلاء هؤلاء يعني الامراء فهل يخاف ان أكون
من أعوان الظلمة فقال لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة أعوان الظلمة من يبيع منك الخيوط
والابر وقد عمل ذو النون المصري أغمض من هذا الورع وما سمعت أدق منه ان السلطان لما سجنه في كلام
انكره عليه العامة من العلم الغامض كانت المائدة من قبل السلطان تختلف اليه فلم يكن يطعم منها شيا ولم يأكل
أياما كثيرة مدة مقامه في السجن فكانت له أخت قد آخته في الله تعالى تبعث اليه من مغزلها وتدفعه الى
السجان فيحمله اليه ويعرفه انه من قبل تلك العجوز الصالحة فلم يأكل أيضا منه فلما خرج لقيته العجوز
فعاتبته على رد الطعام وقالت قد علمت انه كان من مغزلي فقال نعم الا انه جاءني على طبق ظالم فرددته لاجل
الظارف يعني به ذا يد السجان ولعمري انا روينا عن علي عليه السلام انه أهدى له دهقان بالكوفة في يوم
عيد لهم خبيصا على جام من ذهب يكرمه بذلك فرده ولم يأكل منه قال رددته لاجل ظرفه الذي كان فيه وقيل من
أكل لقمة من حرام قسا قلبه أربعين يوما ويقال أظلم قلبه ومن أكل الحلال أربعين يوما زهد في الدنيا وأدخل
الله تعالى في قلبه وأجرى الحكمة على لسانه وقال بعض السلف أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر
الله تعالى له بها ما تقدم من ذنبه وقال الآخر من أقام نفسه مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما
يتساقط ورق الشجر في الشتاء وكان سهل يقول في السائحين في الامصار والمنقطعين بالاسفار ان الرجل
ليدخل قرية فيجوع ولا يقدر على الشبهات فلا يأكل ويبيت تلك الليلة جائعا فيجعل في ميزانه جميع أعمال

فقال بعضهم الذي ثامنه المخوفات أفضل لان العدو والخوف انما يخاف ممن يفزع لقتاله وأما من هو مشغول عنه به فلا يخافه فلا سبيل له عليه وقيل الذي تخافه المخوفات أفضل كما ورد في الحديث من خاف الله خافه كل شيء وهذا مقام عمر رضي الله عنه وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في حقه ان الشيطان لينفر من ظل عمر وقال في حقه أيضا ما سلكت فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجك وسبب خوف الخلق ممن يخاف الله ان صاحب مقام خوف الاجلال يتجلى على قلبه الجلال ومن تجلى على قلبه الجلال كساه ملابس الهيبة فهابه كل شيء والمفاضلة في هذه المسئلة شبيهة بما ذكر في تائبين أحدهما سكنت نفسه عن النزوع الى الذنب والآخر في نفسه نزوع اليه وهو يجاهدها وقد اختلف علماء الطريقة في الافضل منهما فذهب أحمد بن أبي الحواري وأصحاب الشيخ ابي سليمان الداراني الى ان المجاهد أفضل لان فضل المجاهد مع التوبة وذهب علماء البصرة الى ان الذي سكنت نفسه عن الذنب أفضل لانه أقرب الى السلامة اذ الحرب سجال واختار بعض المحققين في ذلك تفصيلا فقال ان كان الذي انقطع عنه نزوعه عن الذنب انما انقطع عنه الفتور في الشهوات لا لمجاهدة الشهوة فالمجاهدة أفضل منه اذ تركه للمجاهدة دليل على قوة يقينه وظهور باعث دينه على شهوته وان كان

أهل تلك القرية ومن أجبره سلطان على طعام أو قدم اليه شبهة أكرهه على أكلها فليتعلل بعلالة منه وليتغير تغيرا ولا يقصد طيبا ولا يكبر اللقمة ولا يستكثر في الطعمة وليأكل ما يسد رمقه وما يخاف التلف بنفسه ان هو فارقه حدثني بعض الشهودان من كبار من بعض أهل العلم بخراسان رد شهادة شاهد أكل من طعام سلطان كان أجبره فقال انه كان أجبرني على الأكل فقال قد علمت ذلك ولم أرد شهادتك لانك أكلت ولكنك رأيتك تقصد الطيب وتكبر اللقمة فهل كان أجبرك على هذا فهذا جرحتك عند الحاكم قال لنا الشيخ وأجبر السلطان هذا المزكي على الأكل من ماله فقال اختار واحدى خصلتين اما أن آكل كما أمرتم ولا أزكي أحدا بعد ذلك ولا أجرح ولا أعدل شاهدا واما أن أترك على هذا في الجرح والتعديل بالتزكية ولا آكل من طعامكم قال فنظر السلطان وذووه فاذا هم محتاجون اليه لانه كان قليل النظير ولم يكن له بد من حسن نظره ومن قيامه بشأن الحكام فتركوه وحده فلم يأكل من طعامهم شيأ وأجبروا من كان معه وكانوا قد حملوا من نيسابور الى بخارى في قصة طويلة حذفت سببها والمعنى هذا باختلاف الالفاظ التي سمعتها ولكن توخيت ما سمعت على المعنى وقد كان بشر بن الحرث يقول في الأكل من الشبهات يدا أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وكان اذا نفر واتكلم في الحلال قيل له فانت يا أبا نصر من اين تأكل وهو يضحك وقد كان سرى السقطي يقول لا نصبر على ترك الشبهات كما كان الزهري اذا عوتب في صحبة بني مروان يقول أصدقكم الحق اتسعنا في الشهوات فضاق علينا ما في أيدينا فانبسطنا اليهم وهذا فصل الخطاب لاولي الالباب والله أعلم

(الفصل الحادي والاربعون) في ذكر فضائل الفقر وفرائضه ونعت عموم الفقراء وخصوصهم وتفصيل قبول العطاء ورده وطريقة السلف فيه قال الله الكبير المتعال للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وقال تبارك وتعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض فقدم وصف أوليائه بالفقر على مدحهم بالهجرة والحصر والله تعالى لا يصف من عجب الاعاجيب فلولا ان الفقر أحب الاوصاف اليه ما مدح به أحباءه وشرفهم به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر وأخبر بفضله في غير حديث منها حديث اسمعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه أي الناس خير فقالوا موسر من المال يعطي حق الله عز وجل في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يا رسول الله قال فقير يعطي جهده ومنها حديث بلال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له الق الله عز وجل فقيرا ولا تلقه غنيا وفي الحديث الذي روي عن ابن الاعرابي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له لا أفضل من الفقير اذا كان راضيا وفي الحديث الآخر ان الله تبارك وتعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال وفي الخبر المشهور يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام والحديث الآخر اللهم أحيني مسكينا وأمتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين فهذا منه صلى الله عليه وسلم تفضيل للفقراء واكرام لهم وتنبيه وحث على فضل الفقر وروينا عنه صلى الله عليه وسلم خير هذه الامة فقراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضعفاؤها وروينا في خبر اسمعيل النبي عليه السلام المفسر لخبر موسى عليه السلام ان اسمعيل قال يا رب أين أطلبك فقال الله عز وجل عند المنكسرة قلوبهم من أجلي قال ومن هم فقال تعالى الفقراء الصادقون وقال أبو سليمان الداراني الاعمال كلها في الخزائن مطروحة الا شيئين فانه يخزون مختوم عليه لا يعطيه الا من طبعه بطابع الشهداء الفقر مع المعرفة وكان يقول تنفس الفقير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غني عمره كله وقد كان بشر يقول مثل الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل العبادة على الفقير مثل عقد جوهر في جيد الحسناء وقال العبادة لا تليق بالاغنياء وكان يقول للتقوى لا تحسن الا في فقر وقال له رجل فقير يا أبا نصر أدع الله عز وجل لي فقد أضر بي الفقر والعيال فقال له بشر اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله تبارك وتعالى أنت في

زوعه عن الذنب انقطع عنه بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة اذ قد بلغ مبلغا قمع به هيجان الشهوة حتى تأدب بآداب الشريعة فلا يهيج الا باشارة الدين كهيجانه على زوجته وأمته دون ما حرمه الله تعالى فهذا أعلى رتبة من المجاهد المقاسي لهيجان الشهوة ومنها ان من أقيم في مقام الخوف أو غيره من المقامات مع الله تعالى يرده له من الخلق شيء من ذلك فمن خاف من الله تعالى خوف اجلال أورثه ذلك الهيبة والاجلال في نفوس الخلق ومن غلب عليه محبة الله تعالى أحبه كل شيء ومن غلب عليه الحياء من الله تعالى استحيى منه كل شيء ومن غلب عليه التعظيم لامر الله تعالى عظمه كل أحد وكذلك بالضد من ذلك في هذه الاشياء المذكورات كلها ويمكن ذلك في عموم الوصف المذكور في قوله تعالى سيجزيهم وصفهم ومنها انهم اختلفوا أيما أفضل الخوف أو الرجاء فقال قوم الرجاء أفضل من الخوف لان الرجاء الى فضله والخوف من عدله والفضل أكثر من العدل ولان الرجاء يحصل من ملاحظة الوعد والخوف يحصل من ملاحظة الوعيد والوعيد من الغضب والوعد من الرحمة ورحمته سبقت غضبه وقال آخرون الخوف أفضل للعبد من الرجاء مادام العبد صحيحا فاذا نزل به المرض فالرجاء له أفضل وقال آخرون الخوف للعاصي أفضل والرجاء للطائع

ذلك

ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي وقال بعض السلف أي أهل المعرفة بالله عز وجل ان يقبلوا هذا العلم وكرهوا ان يسمعوه من الاغنياء زعموا انه لا يليق بهم وقد كان بعض الفقراء يقول هذا العلم يعني علم المعرفة عوضه الله سبحانه وتعالى الفقراء بدلا من الدنيا لا يظهره الا لهم ولا يوجد الا عندهم ر وحهم الله عز وجل به في الدنيا وجعله عوضا لهم مما تركوه له اليوم فاذا كان غدا فهم الذين لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وهو المزيد وقد روينا في تفسير قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم قال الفقر في الدنيا * فمن فرائض الفقر عند الفقراء الصبر عليه بترك المسئلة قبل ورود الفاقة وقطع الهم عن التشرف الى الخلق وان لا يتناول عند الحاجة ما حظره عليه العلم ولا يجاوز حدا من حدود الاحكام وان سأل عند حاجة لم يستكثر ولم يدخر فان أعطي فوق كفايته فاقتناه ليكف عن المسئلة فلا بأس به ويتوخى في مسئلته المتقين ومن يعلم انه يتحرى في مكسبه فان مسئلته عمل له يلزمه التورع فيها كما يلزمه الورع في مكسبه ولا يسأل من يعلم انه لا يبالي من أين يأكل ومن لا يردع عن الحرام في مكسبه والعبد بنفس الحاجة والجوع يستحق على اخوانه شبعة يقيم بها صلبه ويسكن بها نفسه وبنفس العري والعدم يستحق عليهم ثوبا يواري به عورته وذلك لازم للمسلمين وواجب له فان قام به بعضهم سقط عن بعض وجوبه وان سأل ذلك فلا شيء عليه ويقال ان كفارة المسئلة صدق السائل في مسئلته وصدقه ان لا يسأل الا بعد فاقته ومع خوف التقصير في اداء فرائضه من اختلاف عقله وتشتت قلبه وان يكف مع أول الكفاية ولا يدخر بعد الشبع ليستكثر ولا يجعل المسئلة ان دفع اليها له عادة وكدا ولا حرفة ومهما استغنى عن السؤال فليكن ذلك أحب اليه فانه أفضل له وقد سأل ثلاثة من الانبياء عند فاقتهم سليمان عليه السلام لما سلب ملكه أربعين يوما وموسى والخضر عليهما السلام لما استطعما أهل القرية ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على فرس وفي الحديث ردوا السائل ولو بظلف محرق فلو كانت المسئلة اثما وعدوانا لم يحث على الاعطاء فيكون معاونا على الاثم والاعتداء ولكن ذلك من البر والتقوى لانه سبب منه ودال عليه فعاون بالامر به لحرمة الاسلام ولان المواساة من المعروف والاحسان وسمع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بعد المغرب فقال يا يرفا عش الرجل فعشاه ثم سمعه ثانية يسأل فقال ألم أقل لك عش الرجل فقال قد عشيته فنظر عمر فاذا تحت يده مخلاة مملوءة خبزا فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم نثر المخلاة بين يدي ابل الصدقة وضربه بالدرة وقال لست سائلا انت تاجر ورويناعن علي عليه السلام ان الله عز وجل في خلقه مثوبات فقر وعقوبات فقر فمن علامة الفقر اذا كان مثوبة ان يحسن خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ومن علامات الفقر اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي به ربه ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء فهذا كما قال عليه السلام ٧ وهذا النوع الذي هو عقوبة من الفقر هو الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو فقر النفس لان الفقر من المال انما هو الافتقار الى الخلق والفقر الى الاشياء مع عدم صدق الحال وقد روينا في الخبر مسئلة الناس من الفواحش ما أحل من الفواحش غيرها وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا فكان صلى الله عليه وسلم يأمر بالتعفف والكف عن المسئلة ويقول من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله عز وجل وقال من لم يسألنا فهو أحب الينا وقال عليه السلام استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومني فلو لم يكن في ترك المسئلة لا دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل عن غنى فانما يستكثر من جر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم وفي خبر آخر كانت مسئلته خدوشا وكدوحا في وجهه وفي الحديث استغنوا بغنى الله عز وجل قالوا وما هو قال غداء يوم أو عشاء ليلة وفي الخبر من سأل وله خمسون درهما أو عدلها من الذهب فقد سأل الحافا ومن كان معه هذا القدر من الدنيا لم يخرجه من عموم

أفضل وقيل الخوف أفضل مما قالا لان الخوف يورث الهرب من العقوبة والرجاء يورث الطلب للمثوبة ودفع العقوبة أهم من جلب المثوبة قال بعض المحققين ولا بد للعبد من الرجاء والخوف فانهما زمامان يقودانه الى الطاعة أوهما له كالجناحين للطائر قال بعض أهل المعارف من عبد الله على الخوف فقط فهو حروري ومن عبد الله على الرجاء فقط فهو مرجئ ومن عبده على المحبة فقط فهو زنديق ومن عبده على الثلاثة فهو سني فان قيل المحبة والرجاء يجتمعان والرجاء أيضا مع الخوف يجتمعان فاما المحبة مع الخوف كيف يجتمعان لان الخائف ينفر ممن يخافه والنفرة تورث الكراهة والكراهة تنافي المحبة قلنا هذا السؤال لا يرد في خوف الاجلال وأما خوف العبد من عقوبة الله فيجتمع معه المحبة لانه عادل حكيم رؤف رحيم فهو غير متهم قيل لرابعة العدوية وكان يغلب عليها مقام المحبة لم لا تسألي الله الجنة فقالت الجار قبل الدار كما روى في كتابه العزيز حكاية عن آسية بنت مزاحم قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فاستخارت الجار قبل الدار وقوله صلى الله عليه وسلم أسألك رضاك والجنة فيه اشارة الى ما قالت رابعة من ان الجار قبل الدار * (فصل) * والخوف كان حال الصحابة والتابعين

وتابعيهم قال علي رضي الله عنه لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يصبحون صفرا شعثا غبرا بين أعينهم

الفقراء فان سال مع ذلك أخرجه من عمومهم ومن سال قبل الجوع أو بعد الشبع أو سال ليدخر أو سال وله غداء يوم أو عشاء ليلة أخرجه ذلك من خصوص الفقراء وسئل سفيان الثوري عن أفضل الاعمال فقال التجمل عند المحنة وعلى الفقير ان لا يزكي غنيا لاجل عطائه ولا يذمه ولا يمقته لاجل منعه ولا يعظم أهل الدنيا ولا يكرمهم لاجل دنياهم وقال ابن المبارك من تواضع الفقير ان يتكبر على الاغنياء وعن علي عليه السلام في حكاية المنام ما أحسن تواضع الغني للفقير رغبة في ثواب الله عز وجل وأحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله عز وجل ومن فرائض الفقير ان لا يسكت الفقير عن حق ولا يتكلم بهوى لاجل دوام العطاء من أحد ولا لاجتلاب نفع فان ذلك وليجة في الدين ومداهنة للمؤمنين ومن فضائل الفقير ان لا يدخر لاكثر من أربعين يوما ولا يكون المدخر أكثر من أربعين درهما والاصل في ذلك ان الله تبارك وتعالى قال عز من قائل وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة فاذا فسح له في تأميل أربعين فالادخار من الامل فان أمل حياة أربعين يوما جاز له ان يدخر لاربعين ومن قصر أمله الى يوم وليلة لم يدخر الا ليومه وليلته فترك الادخار مقتضى قصر الامل وقد جعل غنى الفقير في أربعين درهما فهذا العموم الفقراء فاما خصوصهم فان غناءهم غداء يوم أو عشاء ليلة لقصر أملهم كما جاء في الحديث الذي ذكرناه آنفا استغنوا بغنى الله عز وجل قيل وما غنى الله تبارك وتعالى قال غداء يوم أو عشاء ليلة ومن فضل الفقير ان لا يهتم برزق غد كما ان الله تبارك وتعالى لا يطالبه بعمل غد قبل مجيئه ولان الرزق معلوم مقسوم والوكيل حفيظ قيوم وان يكون راضيا بفقره شاكرا عليه ويغتبط بالفقر لعظيم نعمة الله عز وجل عليه فيه ويخاف ان يسلب فقره أشد من خوف الغني ان يسلب غناه لشدة اغتباطه به وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الفقراء اعطوا الله عز وجل الرضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم والا فلا وروى عبد الرحمن بن سابط عن علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل أحب العباد الى الله عز وجل الفقير القانع برزقه الراضي عن الله عز وجل وينبغي ان يغتم بالاتساع ويفرح بالضيقة والمصيبة ويحب المساكين ويفضلهم على أبناء الدنيا ويرحم الاغنياء ولا يذمهم لاجل غناهم ويؤثر الفقراء ويقربهم ويحسن على الفقير خلقه ويحمل معه صبره ويستر بالتعفف فقره ويظهر الغنى ولا يكشف فقره بالتكره له والشكوى وفي الخبر عن الله عز وجل اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وقال موسى يا رب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لاجلك فقال كل فقير فقير التكرار فيه لمعنيين أحدهما التحقق بالفقر والثاني انه شديد الحاجة والضر وقال عيسى صلى الله عليه وسلم اني لاحب المسكنة وأبغض الغنى وقيل كان من أحب أسمائه اليه ان يقال له يا مسكين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعائه الذي تلقاه من ربه وأمره به أسالك الطيبات وفعل الخيرات وحب المساكين ومما يعتبر به فضل الفقر على الغنى ان أفضل الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن شاركه وقارنه بمعنى وصفه فهو الافضل لانه الامثل فالامثل وهم الفقراء وصفهم الله عز وجل بوصفه فقال تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه الآية فلما شاركوه في العدم وكان حال الرسول صلى الله عليه وسلم هو الافضل والاتم دل على فضل حالهم على غيرهم وقد قال الله عز وجل انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء وقال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى فوصف الاغنياء بالطغو وأوقع عليهم الحجة وقال في وصف الفقراء يحسبهم الجاهل أغنياء ولولا ان الغنى مفضول ما نسب من وصفهم به الى النقص والغنى باب الدنيا وأصل التفاخر والتكاثر المذموم والفقر باب الآخرة وأصل الزهد والتواضع المحمود وعند أهل المعرفة ان الغنى من الصفات التي لا ينبغي ان ينازع فيها ومكروهة لمن ابتلي بمعانيها وانه مثل العز والكبر وحب المدح والذكر فمن أحب شيأ من ذلك وطلبه فقد نازع الله تعالى ابسته وتركوا ذلك لاجل الله عز وجل لانه من صفات الربوبية وسلموه له خوفا منه أو حبا له وان الفقر من صفات العبودية مثل الرجاء والخوف والتواضع والذل فمن طلب ذلك وأحبه فقد

تحقق

مثل ركب العنزقد باتوا لله تعالى سجدا وقياما يعني أنهم جهدهم الخوف في العبادة وقد عز الخوف في زماننا بل عز كل مقام ولهذا قال الفضيل اذا قيل لك أنت تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واشارته الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن المعاصي ويعودها الى الطاعات وممن أقيم في مقام الخوف من الصحابة أبو بكر وعمر وأبو الدرداء وأبو ذر وعمرو ابن الاسود وعمرو بن ثعلبة وسلمان وبلال وصهيب وعبد الله بن عمرو بن العاص ومصعب بن عمير والبراء ابن مالك ووابصة وعنبسة وأبو اسرائيل وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحنظلة بن الراهب وحارثة بن سراقة وغيرهم وهم كثيرون ومن التابعين وتابعيهم أبو حازم وسلمة بن دينار وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والعلاء بن زياد ومحمد بن سيرين وأبو بكر بن عبد الرحمن وطاوس والحسن البصري وعبد الواحد بن زيد وشمر بن عطية وصالح المري وعطاء السلمي ومالك بن دينار ويحيى البكاء وهو أبو نازلة وعامر بن عبد الله وثابت البناني ومضر بن شعيب ومسرور بن محمد ويزيد بن مرثد وعتبة الغلام والربيع بن خثيم العدوي وعمر بن عبد العزيز وابراهيم بن أدهم وسفيان الثوري والاسود بن يزيد وعلقمة وكدرو مسروق بن الاجدع وأويس القرني وابراهيم النخعي وأبو ادريس

تحقق بوصف العبودية والله سبحانه وتعالى يحب ان يتحقق العبد باوصافه لانه عبد ذليل و يكره ان ينازعه معنى صفاته لانه ملك جليل ومن أحب الغنى دل على حبه البقاء وكان سهل يقول حب الغنى شرك فى لربوبية أى لان البقاء من صفات الباقى ومن فضل الغنى على الفقر دل على حبه للغنى فنار بذلك محبة الاغنياء لان حب الوصف دليل على حب الموصوف وحب الشئ أيضا دليل على بغض ضده فاذا أبغض الفقراء أبغض الفقر و بغض الفقر لحب الغنى فقد اختار الرغبة على الزهد والكثرة على القلة واعز فى الدنيا على الذل وفى هذا ايثار الدنيا على الآخرة وهدم الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة والتابعين فى تفضيل الفقر ٧ وتشريف الاغنياء و يقال كان الفقر شرف المؤمن وكان الفقراء فيما سلف فى المؤمنين بمنزلة الاشراف فيكم اليوم ولا خفاء بفساد هذا القول ونقصه عند العلماء بالله تعالى ثم ان الفقراء على منازل ثلاث فقراء الاغنياء وهم السؤال عند الفاقات الكافون نفوسهم مع الكفاية القانعون بالكفاف وهم طهرة الاغنياء ومزيدهم من الله تعالى وهم الذين جعل الله لهم فى أموال الاغنياء سهما لان منهم السائل والمحروم ومنهم القانع والمعتر والطبقة الثانية فقراء الفقراء وهم المتحققون بالفقر المختارون له المؤثرون اياه على الغنى لعظم معرفتهم بعظيم فضيلة أهل التعفف والصيانة لا يتبذلون للسؤال ولا يعرضون فى المقال راضون بالميسور من مولاهم تعرفهم اذا رأيتهم سيماهم يحسبهم الجاهل أغنياء لترك المسئلة والشكوى ومنهم المحروم حرم السعى للدنيا ومنهم المحارف انحرفت عنه الاسباب ومنهم القانع قنع بما يصل اليه من غير امتهان وتبذل فيه ومنهم المعتر رضى عن الله عز وجل بما يعتر به وقيل انه ما أعطى أحد شيأ من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث شغل وهم وطول حساب وأما الطبقة الثالثة فهم أغنياء الفقراء وهم الاجواد الاسخياء أهل البذل والعطاء يأخذون و يخرجون ولا يستكثرون ولا يدخرون ان منعوا شكروا المانع لانه هو المعطى فصار منعه عطاء وان ضيق عليهم حمدوا الواسع لانه هو المحمود فصار ضيقه رخاء وان أعطوا بذلوا وآثروا فهم الزاهدون فى الدنيا لانهم موقنون فكفاهم اليقين غنى وقال ابراهيم بن أدهم لشقيق بن ابراهيم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك فقال تركتهم ان أعطوا شكروا وان أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذ وقد كان بشر يقول الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وان أعطى لم يأخذ فهذا مع الروحانيين فى عليين وفقير لا يسأل وان أعطى أخذ فهو مع المقربين فى حظيرة القدس وفقير يسأل عند فاقته فهذا مع الصادقين وصدقه فى حاله كفارة مسئلته ودفع الى ابراهيم بن أدهم ستون ألفا وكان عليه دين وبه حاجات اليها فردها فعوتب فى ذلك فقال كرهت ان أمحو اسمى من ديوان الفقراء لستين ألفا وقد كانت عائشة رضى الله عنها تفرق مائة ألف وان درعها لمرقوع فقالت لها الخادمة لو اشتريت لك بدرهم لحما تفطرين عليه فقالت لو ذكرتنى لفعلت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصاها فقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه فاما معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم للفقراء ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فلعل متوهما لم يتدبر أول الكلام فظن أن هذا تفضيل للاغنياء على الفقراء وانما هو تحقيق لقوله الاول قولوا كذا وكذا فانه لا يسبقكم أحد قبلكم ولا يدرككم أحد بعدكم فقالوه فلما سمع الاغنياء بذلك فقالوا كقولهم هجس فى قلوب الفقراء منه شئ فاستفتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتثبتوا فى قوله فقال الامر كما قلت لكم لا يسبقكم أحد قبلكم اذ قد صح منه هذا القول فى الاول وهو معصوم فيه فلو لم يكن كذلك انتقض آخر قوله أوله ولا يجوز ذلك وأيضا فان حمل على ظاهره كما تأوله فانه فضل الله تعالى فى الدنيا لا تفضيل لهم به فى الآخرة على مقامات الفقراء الا ان الاولى قد قامت بفضلهم و يصلح بمعناهم فضل أعطاهم الله تعالى بهذا القول الذى قلتموه وزادهم الله به لانه أفضل من مقامكم وحالكم بغيره اذ قد ثبت فضلكم عليهم بوصف الفقر وحال الصبر بغير هذا الذكر وهذا التسبيح رجحان لكم تماما على فضلكم بغيره وهذا القول للاغنياء تفضيل من الله عليكم ورحمة الا انهم

الخولانى وأبو العالية وقيس بن رافع وسلام بن زياد وحميد بن الربيع وأبو وائل وعامر الذى من بنى عنبر ورباح بن عمر وعبد الله بن عون فهؤلاء وأمثالهم غلبت عليهم المخاوف واشتد خوفهم حتى انهم كانوا يظنون ان لا نجاة لهم لما صح عندهم من وعيد الله تعالى فيقينهم كالمعاينة وفكرهم كالمشاهدة فوجلوا على أنفسهم وخافوا المعاد ثم حزنوا على أرواحهم ورثوا لمهجهم فنعوها الى أنفسهم فقلوبهم وجلة وأنفسهم مرعوبة وجوارحهم مطربة وفرائصهم مرتعدة وأعينهم باكية فى لياليهم ساهرة وبطونهم خاوية وأبدانهم عارية وهم من أعمالهم على خطر لم يروا أنفسهم أهلا للمحبة وفى هؤلاء من كان اذا قام من النوم بالليل يمس جسمه بيده مخافة ان يكون قد نزل به مسخ قال بعض العلماء بالله و ينبغى للانسان ان يكون فى كل وقت بل فى كل آن على وجل وخوف من مآل أمره وعاقبة حاله وكيف لا يكون على وجل وقد جاء فى حديث بعث النار انه يبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة بل لو قيل لا يدخل النار الا رجل واحد لكان ينبغى لكل أحد ان يخاف لاحتمال ان يكون هو ذلك الواحد ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو نادى مناد كلكم داخلون الجنة الا رجلا واحدا لخفت أن أكون انا وممن أقيم فى مقام الخوف من نساء التابعين جماعة من نساء هؤلاء منهم البحياء وجادة

يفضلون به عليكم ونحن فلم نقل ليس الغنى طريقا للاغنياء الى الله وانما فضلنا طريق الفقراء لانهم الامثل فالامثل بالانبياء وعن الحسن فى قوله عز وجل وما يستوى الاحياء ولا الاموات قال الفقراء والاغنياء فجعل الفقراء أحياء بمولاهم وجعل الاغنياء موتى بدنياهم وقال الثورى رحمه الله اذا رأيت الفقير يداخل الاغنياء فاعلم أنه مراء واذا خالط السلطان فاعلم أنه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى بعض الاغنياء انحلت عروته فاذا طمع فيهم انقطعت عصمته فاذا سكن اليهم ضل فمن فضل الغنى على الفقر بعد الاخبار التى وردت فى تفضيل الفقر والفقراء والغنى والاغنياء فاحسن حاله الجهل بالسنن لايثار الرأى والهوى على ما فيه أثر وسنة لان الاثر اذا جاء فى شئ لم يكن للرأى فيه مدخل وكان فى مخالفته مع العلم به عناد ومحادة نعوذ بالله من الجهل والهوى ونسأله التوفيق للعلم والتقوى * ذكر حكم من لا معلوم له من الاسباب فان لم يكن للفقير معلوم من الدنيا وكان رزقه قد أجرى على أيدى العباد من غير تعويض منه لهم من صنائع الدنيا معتاد فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا المال مال الله فمن أخذه بحقه بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه فكان كالآكل ولا يشبع وروينا من أتاه شئ من هذا المال من غير مسئلة ولا استشراف فانما هو رزق ساقه الله تعالى اليه وفى لفظ آخر فلا يرده فان كان محتاجا اليه والا فليصرفه الى من هو اليه أحوج منه وروينا عن الحسن وعطاء حديثا مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما رده على الله وروينا عن عابد بن شريح عن أنس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم ما المعطى من سعة باعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا وقال بعض العلماء لو هرب العبد من رزقه لطلبه حتى يصل اليه كما لو هرب من الموت لادركه وقال أبو محمد رحمه الله لو ان العبد سأل ربه فقال لا ترزقنى لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل لا بد ان أرزقك كما خلقتك وقد حدثنا بعض العارفين انه زهد فى الدنيا فبلغ من زهده ان فارق الناس وخرج من الامصار وقال لا أسأل أحدا شيأ حتى يأتينى رزقى ان كان لى رزق قال فاخذ يسيح فاقام فى سفح جبل سبعا لم يأته شئ حتى كاد ان يتلف قال يا رب ان أحييتنى فائتنى برزقى الذى قسمت لى والا فاقبضنى اليك فاوحى الله تعالى اليه وعزتى لا أرزقنك حتى تدخل الامصار وتقيم بين الناس فدخل المصر الامر وأقام بين ظهرانى الناس فجاءه هذا بطعام وهذا بادام وهذا بشراب فاكل وشرب فاوجس فى نفسه من ذلك فاوحى الله اليه أردت ان تذهب حكمتى بزهدك فى الدنيا أما علمت انى أرزق عبدى بايدى عبادى أحب الى من ان أرزقه بيد القدرة وقال بعض المنقطعين الى الله من العارفين كنت ذا صنعة جليلة فاريد منى تركها فجال فى صدرى من أين المعاش فهتف بى هاتف لا اراك تنقطع الى وتتهمنى فى رزقك على ان أخدمك وليا من أوليائى أو أسخر لك منافقا من أعدائى وفى خبر عن بعض السلف أوحى الله تبارك وتعالى الى الدنيا اخدمى من خدمنى واتعبى من خدمك وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندى دراهم أعددتها للانفاق فى سبيل الله فرأيت ذات ليلة فقيرا يطوف بالكعبة فى ظلمة الليل حسن الهدى والسمت قال فكنت أتتبع آثار قدمه وأمشى خلفه من حيث لا يشعر فلما قضى أسبوعه وقف فى الملتزم بين الباب والحجر فسمعته يدعو ودعا خفيا فاصغيت اليه فاذا هو يقول جائع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى قال فنظرت فاذا عليه مخلقان رثان لا تكادان تواريه فقلت فى نفسى لا أجد لهذه الدراهم موضعا خيرا من هذا قال فتبعته حتى انصرف الى ناحية فتبوأ زمزم يصلى ركعتى الطواف وذهبت الى منزلى فجئت بالدراهم فدفعتها اليه وقلت رحمك الله انت فى مثل هذا الموضع وعلى مثل هذه الحالة فخذ هذه تنفقها قال وصببتها فى طرف ازاره بين يديه على الارض فنظر اليها ثم أخذ منها خمسة دراهم فقال أربعة ثمن مئزرين ودرهم أتقوت به ثلاثا ثم قال لا حاجة لى بسائرها قال فرأيته الليلة الثانية وعليه مئزران جديدان قد لبسهما قال فهجس فى نفسى من أمره شئ فقبض على يدى فاطافنى معه اسبوعا كل شوط منها فى جوهر من معادن الارض تتخشخش تحت أقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر لم يظهر

وغزالة والميلاء وحبيبة وليلى الباهلية ومن نساء الجماعة أم الدرداء ومعاذة العدوية ورابعة القيسية وليلى القيسية ولما ذكر عن البحباء انها تدين بمذهب القدرية الحرورية أخذها زياد أمير البصرة فقطع يديها ورجليها فدخل الناس عليها يعودونها فقالوا لها كيف ترين يا بحباء فقالت قد شغلنى هول المطلع عن ترديد يدكم هذا وغلب الخوف وأفرط فى عباد البصرة وعبادان وأهل عسكر خصوصا القدرية الحرورية والمعتزلة منهم وانما أفرط هذا الخوف فيهم لاعتمادهم على الاسباب واعتقادهم التأثير لقدرهم ورؤيتهم الافعال والاكتساب وتعاطى الاستطاعة والحول والقوة وتحقيق الوعيد وجريان الحكم على الحاكم الرحيم بالقول فلم يفوضوا الى مشيئة ولا استسلموا لقدرة وكانت أكثر هذه المخاوف فى أهل البصرة وعبادان وما يليهما فانهم ذهبوا الى القول بتقديم الاستطاعة على الفعل ودانوا بالبدعة فى القدر ومنهم أصحاب المنزلة بين المنزلتين وأقبلوا بالاعتماد على الاسباب وهربوا من الامن واغتروا بالله تعالى فوقعوا فى اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى ورأوا أن لا عفو عن أهل الكبائر الا بعد توبة وكفروا كل من خالفهم فى ذلك فهم مجوس هذه الامة وهم كلاب أهل النار * (فصل) * وأما الاشفاق فقال الله تعالى الذين هم من خشية ربهم مشفقون والاشفاق على ثلاث درجات الدرجة

للناس فقال هـذا كله قد أعطيناه فزهدنا فيه ونأخذه من أيدى الخلق أحب الينا لانه أحب الى الله وأخف علينا فى المطالبة وهـذه أثقال وفتنة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ونور وينافى خبر البلاد بلاد الله والخلق عباده فايتما وجدت رزقا فاقم واحمد الله وروينا عن ابن عباس اختلاف الناس فى كل شئ الا فى الرزق والاجل أجمعوا على ان لا رازق الا الله ولا مميت الا الله وقال ان الله عز وجل لما خلق الارزاق أمر الرياح أن تمزقها فى أقطار الارض ففرقها فمن الناس من وقع رزقه فى مائة ألف موضع ومنهم من وقع رزقه فى عشرة آلاف موضع ومنهم فى ألف موضع ومنهـم فى مائة موضع ومنهـم فى موضع وأقل وأكثر ومنهم من وقع رزقه على باب منزله يغدو ويروح اليه وكل عبد يسعى باثره الذى كتب له حتى يستوفى رزقه الذى قسم له فاذا فنى اثره واستوفى رزقه جاءه ملك الموت فقبض روحـه واعلم ان العبد لا ينقطع رزقه أبدا منذ أظهرت خلقته كان فى بطن أمه غذاؤه مما تفيض الارحام من دم الحيض يعيش بذلك جسمه من ظاهره ومعاه المستطيل من سرته متصل بمعى امه يصل من طنها من الطعام الى بطنه فيعيش بذلك فاذا أذن الله عز وجـل بخروجه بعث اليـه الملك فقطع ذلك المعى من موضـع اتصاله بمعى أمه فاذا دخل الى الدنيا جعـل رزقه من الدنيا فاذا خرج منها فاآخر رزقه من الدنيا أول رزقه من الآخرة فاذا دخل فى الآخرة كان رزقه من البرزخ كما كان فى الدنيا بتلك المعانى لمعانيه المختلفة المحتملة لذلك فاذا خرج من البرزخ ودخـل فى القيامة كان رزقه فى الموقف على قدر حاله هنالك فاذا خرج من الموقف دخل أحد الدارين انتقل رزقه اليها فكان منها الى أبد الابد فاذا شهد العبد هـذا يقين ايمانه اطمأن قلبه فاستوى عنده الرزق والاجل فعلم يقينا ان لا بد من رزق كما لا بد من أجل فلم يكن عليه الامراعاة الاحكام فيه وشهد من هذه الشهادة ان خالقه لا يقدر ان يزيد فى عمره ساعة ولا ينقص منه ساعة فاذا أيقن بهذا كان مشغولا بالخالصة لمولاه فيما تعبده به مولاه ثم ان الرزق على وجهين عن معان لا تحصى وباسـباب لا تعد ولا تضبط فمن الرزق ما يأتى العبد بسكونه وقعوده فيكون الرزق هو الذى تحرك اليه ويأتيه ومنه ما يأتى العبد بحركته وقيامه فيكون يتسبب اليه ويطلبه والرزق فيهـما واحد والرازق بهما واحد والحكمة والقدرة فى المتحرك القائم وفى الساكن القاعد واحد الا ان الاحكام فيهما متفاوتة ثم ان الاشياء كلها على ضربين مسخر لك ومسلط عليك فما سخر لك سلطت عليه وهو نعمة عليك وعليك الشكر عليه وهذا مقام الشكر على معنى الرزق وما سلط عليك فقد سخرت له انت وهو بلاء عليك وعليك الصبر فيه وهذا مقام الصبر عن معنى الابتلاء فمن شهد ما ذكرناه عرف حاله من مقامه فقام بحكم ما عرف ومن لم يشهده جهل حاله ولم يدر مقامه فاضطرب فيه فضيع حكم الله عليه والمستحب لمن لا معلوم له ان لا يأخذ مما آتاه الا قدر الحاجة وعلامة حاجته هو ان لا يأخذ الا ما يحتاج ان يشترى به فهو حاجته فى وقته فذلك رزق من الله تعالى ومعونة له فاخذ هذا أفضـل وما آتاه مما لا يحتاج ان يشترى به أو عنده مثـله فهو اختبار له وابتلاء لينظر كيف زهده فى فضول حاجته وكيف رغبته فى الاستكثار لانه اذا ملك الشئ فكانه قد كان له فيعـلم الآن بمعرفته ان هذا ابتلاء من الله وفيه حكمان أحدهما ان يأخذه فى العلانية ويخرجه فى السر الى من هو أحوج اليه منه هـذا طريق الاقوياء ومن أشد الاشياء على النفس وهو الذى أمر به النبى صلى الله عليه وسـلم عمر وغيره وهذا حال علماء الزاهدين والحكم الآخر ان لا يأخذه ليصرفه صاحبه الى من هو أحوج اليه منه لان الله تعالى له عليه فيه أحكام وهذا هو الطريق الاوسط من طرق الزهاد فاما ان يأخذه من غير حاجة ليتكثر به ويدخره فلا أعلم فى هذا طريقا الى الله تعالى وما لم يكن طريقا الى الله فهو من طرقات الهوى الى العدو ثم ينظر الآخذ فيما آتاه من الله الى أحكامه فيه فان كان ما يأتيه من الزكاة المفروضة على أربابها المشترط لها الاوصاف السنة المنصوص عليها فى الكتاب فذلك أضيق عليه وألزم له فى الاحتياط لاخيه ان يضعه فى حقيقة موضعه عند أخيه نصحا لله تعالى فى دينه ونصحا لاخوانه فى ربه فان الافضـل فى ذلك ان لا يضعه الا فى أربعة أشـياء مطعم وملبس ومسكن ودين فى قضائه عنه فهذا من أفضل ما صرفت فيه الواجبات وقد روينا عن ابن عباس من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه

الاولى اشفاق على النفس ان تجمح الى العناد وتترك طريق الارشاد واشفاق على العمل ان لا يصير الى الضياع وان يميل الى الانساع والدرجة الثانية اشـفاق عـلى النفس ان لا تجـمع به على تفرق أو يفوته تحقـق أو يزاحمـه عارض وعـلى النفس ان يداخلها سبب من أسباب الرياء أو يشغلها طلب الهوى والدرجة الثالثـة اشفاق يصون سعيه عن العجب ويكف صاحبه عن مصاحبـة الخلق ويحمل على حفظ الحدود والاشفاق مستلزم لكثرة الكآبة والتأسف خشية ان تفوته السلامة ولهذا قيل الشفيق مولع بسـوء الظـن ولا يطمئن قلبه حتى يسمع قوله تعالى لا خـوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون

(فصل) وأما الحزن فانه توجع القلب لفائت أو تأسف عـلى ممتنع وقال الحرث المحاسبى هو انكسار فى الباطن يكسر الظاهـر عن الانبساط وأوله قلـق وثانيه كمد قال الله تعالى تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا وهذا تأسف على ممتنع والحزن يقبض القلب عن التفرق فى أودية الغفلة والحزن من أوصاف أهل السلوك قال الدقاق صاحب الحزن يقطع من طـريق الله تعالى فى شـهر ما لا يقطعه من فقد حزنه فى سنين وفى الخبر ان الله يحب كل قلب حزين وفى التوراة اذا أحب الله عبـدا نصب فى قلبه نائحة واذا أبغض عبدا جعل فى قلبه مزمارا وكان النبى صـلى الله عليه وسـلم متواصـل الاحزان دائم الهـم

والفكر والحزن يكفر الذنوب والحزن على ثلاث درجات الدرجة الاولى حزن العامة على التفريط والخدمة وعلى التورط فى الجفاء والدرجة الثانية حزن أهل الارادة وهم أهل البدايات فى السلوك على تعلق القلب بالتفرقة وعلى اشتغال النفس عن الشهود والدرجة الثالثة التجرد فى المعارضات دون الخواطر واعلم ان الخاصة ليس من أهل مقام الحزن لانها ارتفعت عنه لان الحزن انما يكون لعز مطلوب أو فقد محبوب وهم ما عز عليهم مطلوب ولا فقد وامر غو با وتكلم الناس فى الحزن فاكثرهم قالوا انما يحمد حزن الآخرة فاما حزن الدنيا فغير محمود قال الشيخ أبو عثمان الحيرى الحزن بكل وجه فضيلة وزيادة للمؤمن مالم يكن سببه معصية لانه ان لم يوجب تخصيصا فلا أقل من ان يوجب تمحيصا وممن غلب عليه الحزن الحسن البصرى والفضيل ابن عياض والربيع بن خثيم وداود الطائى وكان داود الطائى يقول بالليل الهى همك عطل على الهموم وحال بينى وبين السهاد وكان يقول كيف يتسلى من الحزن من يتجدد عليه المصائب واعلم ان الحزن ينقسم الى حرام ومندوب فالحرام ما كان من فوات حظه من الدنيا ومتاعها قال الله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ولا يصح مع الحزن على متاع الدنيا ايمان بالقدر واما الحزن المندوب فهو

فيه

وفضول الدنيا وهو الزيادة على الكفاية لا يحتاج اليه والدين يحتاج اليه فلا ينبغى للعاقل ان يبيع ما يحتاج اليه من دينه بشراء ما لا يحتاج اليه من دنياه فتكون صفقته خاسرة وتجارته بائرة والشهوات لا حد لها الا انه لا غاية ينتهى اليها فيها والقوت له حد وغاية ينتهى اليه فيها وقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا حق لابن آدم الا فى ثلاث طعام يقيم صلبه وثوب يوارى عورته وبيت يكنه فما زاد فهو حساب وهذه الثلاث مع ابن آدم فى بطن أمه وفى قبره وبين ذلك فى دنياه وبعد ذلك فى عقباه فالاخذ لصالح هذه الثلاث مأجور عليه العبد والرد لما زاد عليها هو أفضل من الاخذ وينبغى ان يكون العبد الذى لا معلوم له عارفا باحكام العطاء فان العطاء من الله لعبده على أربعة أنواع نوعان محمودان ونوعان مكروهان فالمحمودان ما كان بمعنى الرفق والمعونة والمكروهان ما يكون بمعنى الاختبار والابتلاء وبين الرفق والمعونة فتفصيل ذلك ان الابتلاء ما جاءه من الاسباب قبل الحاجة اليه أو جاءه وله غنية عنه أو عنده مثله فهذا ابتلاء من الله تعالى له لينظر عمله فيه فالافضل فى هذا ان يخرجه فيكون معاملا لله تعالى به فى السر مسقطا المنزلته عند الناس فى العلانية فان لم يقو على هذا الثقل وحمله على النفس فالافضل بعده ان لا يأخذه ليحكم الله فيه ما يشاء ونعم الاخ يه فى ماله سيما ان كان من الواجب والاختيارات يكون الفقير قد نوى ترك أكل شئ أو اعتقد التقلل فى شئ قربة الى ربه تعالى لمخالفة هوى نفسه وعملا فى صلاح قلبه يتباعد به مما يدخله فى الكثرة ويحل عليه عقده فرده أفضل وهو من الزهد والرعاية للعهد فان أخذه ثم أخرجه الى محتاج فهذا هو زهد الزهد وله فى هذا معاملات منها ان العبد مندوب الى الايثار فاذا كان فقيرا وملك شيأ فاخرجه كان فى ميزانه ومنها موافقة السنة فى انه قد أمر باخذه أو دفعه الى من هو أحوج اليه منه ومنها ان أخذه هذا فى العلانية من الناس ورده فى السر الى الله تعالى كبيرة على النفوس الا على الخاشعين لان النفس تسقط فى منزلتها ثم لا ينال به سعتها فلا يصبر على هذا الا الموقنون وهذا مقام الزاهدين فى النفس وهو حال أغنياء الفقراء وعلماء الزهاد وهم أهل الطبقة العليا الذين قدمنا ذكرهم والوجهان الآخران من العطاء هو الرفق وصورته ان يأتيه الرزق عند حاجته أو مع شهوته للشئ الذى لا يقدر عليه فيعلم الله ذلك منه فيبعث به اليه من غير طمع فى خلق أو يأتيه ما يصلح ان يشتريه ليرتفق بمنافعه فهذا النوع من العطاء رفق الله سبحانه الافضل للعبد ان يأخذه ورد بما خيف من رد مثل هذا عقوبة من زوال عقل أو ورد الى غلبة طبع أو ابتلاء بطمع خلق أو دخول فى دنى من مكسب وقال بعض العلماء من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يعط وهذا من النوع الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المعطى من سعة باعظم أجرا من الآخذ اذا كان محتاجا فاخذ هذا مشاركة لمعطيه فى الاجر من حيث استويا على المعاونة فى التقوى والبر المأمور بهما ولا يضر هذا العطاء آخذه وقد كان سرى السقطى يوصل الى أحمد بن حنبل شيأ فيرده فقال له سرى يا أحمد احذر آفة الرد فانها أشد من آفة الاخذ فقال له أحمد أعد على ما قلت فاعاده فقال أحمد ما رددت عليك الا لان عندى قوت شهر فاحبسه لى عندك فاذا كان بعد شهر فانفذه الى والرابع من العطاء هو المعونة وهذا يكون مخصوصا لاهله وهو ان يكون فى خلق هذا الفقير البذل والافضال وفى غريزته السخاء والاتساع من اطعام الطعام وايثار الفقراء فلا يتسع لذلك حاله وتضيق عنه يده فيبعث الله اليه بالعطاء معونة له على اخلاقه ليبلغه به مراده وينفذه من المعروف والبر عادته ويعينه على خلقه ومروءته فهذا النوع من العطاء هو الاختيار عند العارفين والافضل أخذه وامضاؤه فى سبله من المروات والاخلاق وهذا كان طريقة كثير من السلف وقد غلط فى هذا الطريق قوم لم يكن لهم زهد وقد كانت فيهم رغبة وهمم دنية فاقتنعوا فى قبول هذا العطاء لنفوسهم وتملكوه واستأثروا به وزعموا ان هذا هو الاختيار فخالفوا السلف فى معرفة الابتلاء من الاختيار لان هذا عند العارفين اذا لم ينفذ ويؤثر به ابتلاء ووافقوا أهواءهم فى التوسع منه والتكثر به وتملكوه بالدعوى فاخطؤا فى العلم لاحالة المعنى وغلطوا فى طريق الحال لوجود الهوى وقد كان بعض القاعدين من الصادقين يدان على الله لحسن ظنه به فاذا رزقه قضاه فان مات هذا على هذه النية فلا تبعة عليه

فيه في دينه على مولاه فضلاً وان يرضى عنه غرماؤه وقد كان فيما سلف يقضى دين مثل هذا من بيت مال المسلمين وكان آخرون لا يقترضون حتى يبيع أحدهم أحد ثوبيه أو فضل ما يحتاج اليه وهذا أحد الوجوه في قوله تعالى ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله قال من ضيق عليه معاشه فليبع أحد ثوبيه وقد قيل فليستقرض بجاهه فذلك آتاه الله عز وجل * وقال بعضهم لله عباد ينفقون على قدر بضاعتهم وله عباد ينفقون على قدر حسن الظن به ومات بعض السلف فأوصى بماله ان يفرق على ثلاثة طوائف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل من هؤلاء قال أما الاقوياء فهم أهل التوكل على الله وأما الاسخياء فهم أهل حسن الظن بالله وأما الاغنياء فهم أهل الانقطاع الى الله وينبغى لمن لا معلوم له من الاسباب ان يتورع في أخذها ويتحرى المعطين لها كما يتحرى أهل المكاسب في الاكتساب لان الله سبحانه وتعالى له في كل شئ حكم والقعود عن المكاسب لا يسقط أحكامها والقاعد عن الطلب لا تسقط عنه أحكام الطالب لان ترك العمل عمل يحتاج الى علم ولم تكن سيرة الفقراء الصالحين ان يأخذوا من كل أحد ولا في كل وقت ولا يأخذون كلما يعطون مما زاد على كفايتهم الا أن يكونوا ممن يخرجه الى غيرهم وانما كانوا يقبلون ممن يخف على قلوبهم القبول منه وممن ترتفع الوحشة والحشمة فيما بينهم وبينه لان ذلك هو الذى يفرح بقولك ويرى نعمة الله تعالى عليه في أخذك ومن يثقل على قلبك معروفه فهو الذى يثقل على قلبه اخراج ما في يده ولا يغتم بردك عليه * وقال بعض العارفين ما تواخى اثنان في الله عز وجل فاحتشم أحدهما من صاحبه أو استوحش منه الا من علة في أحدهما فلا يستحب للفقير ان يأخذ الا من صديق ولا يقبل الا ممن يحب لان لاهل المعرفة بالله عز وجل ان يحكموا في الاسباب بما أراهم الله تعالى من الرد أو من القبول فاعتل معتل بما روينا آنفا من جاءه شئ من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله تعالى وبان أهل المعرفة يشهدون ان العطاء من الله سبحانه وتعالى فلا يصلح ان يردوا عليه قيل له ان من يشهد العطاء من الله تعالى هو الذى يشهد الرد أيضا منه فان يرد اليه له أورد اليه به لمعرفته باختباره وابتلاء حسن الرد منه وشكر الفعل له فهو أيضا اذا شهد تصريف الخلق بالعطاء فعل الله عز وجل كان يشهد فعل نفسه بالرد فعل الله تبارك وتعالى بالمنع فالحالان سواء عند من علم الاحكام ولم يتبع الهوى وقام بحكم ما منه يقتضى فليس في هذا حجة الا لعالم مستكثر أو لعابد جاهل غير مستبصر على ان في القبول من بعض الناس دون بعض وفي رد بعض الهدية سنة أهدى الى النبي صلى الله عليه وسلم سمن واقط وكبش فقبل السمن والاقط ورد الكبش وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض وقال لقد هممت مرارا ان لا أتهب الا من قرشى أو ثقفى أو دوسى وفعل هذا جماعة من التابعين * جاءت صرة الى فتح الموصلى فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله عز وجل ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرها وقد كان الحسن البصرى يروى هذا الحديث أيضا ثم حدثنا عنه ان رجلا أهدى اليه كيسا فيه مال ورزمة فيها من دق خراسان فرد ذلك فقال له بعض أصحابه في ذلك فقال من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله عز وجل يوم القيامة وليس له عند الله عز وجل خلاق وقد كان الحسن يقبل من أصحابه وكان ابراهيم التيمى يسأل أصحابه الدرهم ونحوه ويعرض عليه غيرهم المائتين فلا يأخذ وقد كان بشر بن الحرث لا يقبل من الناس شيأ وكان بعضهم يقول أحب ان أعلم من أين يأكل فقال له من يخبر أمره انا أدرى من أين يأكل له صديق عاقل يعنى نظيره في العقل والدين لان بعضهم كان لا يقبل الا من نظرائه لا من الاتباع وهذا الصديق العاقل الذى كان يقوم بكفايته ولم يكن يظهر أمره ولا يأتى معه هو سرى بن المغلس السقطى لانا حدثنا عن بشر انه قال ما سألت أحدا قط شيأ من الدنيا الا سريا السقطى لانه قد صح عندى زهده في الدنيا فهو يفرح بخروج الشئ من يده ويتبرم ببقائه عنده فأكون أعينه على ما يحب * وقد كان سرى يوجه الى أحمد بن حنبل في حاجاته فيقبل منه وكان

الحزن على فوات الاعمال الصالحة وعلى زمان مضى لم يجتهد فيه وقال الحرث المحاسبى علامات الحزن كثيرة ومنها الفكرة في الذنوب السالفة وهيبة القدوم على الله تعالى بغير زاد وأخذ القلوب بحقوق الله تعالى الواجبة والفرائض اللازمة والانقباض عن الانبساط والانقطاع عن فضول الكلام وقلة المبالاة بامور الدنيا مشتغل بشأنه وحزنه شعث متفرد متوحش غير متصنع ولا متزين كأنه ثكلى في عدتها لا تلتفت الى أعيادها وعاداتها قال حميد ابن هلال دخلنا مع الحسن على عجوز من العوائد بالبصرة وقد صامت حتى اسودت وقامت حتى أقعدت وبكت حتى عميت فقال رجل منا يا أم من كان الى جنباه ما أشد العمى بعد البصر فقالت له هلا يا فتى ان عمى القلب عند الله أشد من عمى العين عن الدنيا تعنى ان عمى العين عن الدنيا سهل بالاضافة الى عمى القلب عن الله وعمى بعض الزهاد فقيل له ألا نأتى لك بطبيب يعالج بصرك فقال قد زهدت في الدنيا ودخل الحسن البصرى ومعه حميد بن هلال وجماعة من العباد على العلاء بن زياد يزورونه فقال له الحسن كيف انت يا علاء فقال واحزناه على الحزن فقال الحسن قوموا بنا فالى هذا انتهى استقلال الحزن

(باب الخشوع والاخبات)

قال الله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والخشوع هو التواضع لله تعالى والانقياد لامره وقال حذيفة أول ما تفقدون من دينكم الخشوع

اذا ذكر عند أحد يقول ذاك الغني المعروف بطيب الغنى انه ليعجبني أمره وكان بعض العباد اذا دفع اليه بعض أبناء الدنيا الشئ يقول دعه عندك واعرض على قلبك كيف أنا عندك بعد الاخذ أفضل أو دون ذلك وأصدقني فان قال له أنت عندي الآن أفضل منك قبل ذلك قبل وان أخبره بنقصانه في قلبه لم يقبل منه وكان بعضهم يرد على أكثر الناس صلته فعوتب في ذلك فقال ما أرد الا اشفاقا عليهم ونصحا لهم يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط أجورهم وممن ذهب الى هذا سفيان الثوري وقد كان يشترط على بعض من يأخذ منه ان لا يذكره اشفاقا عليه من ذهاب أجره لانه قيل في معنى قوله عز وجل لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى قال المن ان يذكره والاذى ان يظهره وقال الجنيد للخراساني الذي جاءه بمال وسأله ان يأكله فقال الجنيد بل أفرقه على الفقراء فقال أنا أعلم بالفقراء منك ولم أختر هذا فقال الجنيد انا أؤمل ان أعيش حتى آكل هذا فقال اني لم أقل لك انفقه في الخل والكامخ والبقل انما اريد أن تنفقه في الطيبات وألوان الحلاوة فكل ما نفد أسرع كان أحب الي فقال الجنيد مثلك لا يحل ان يرد عليه فقبله فقال الرجل ما ببغداد أحد أعظم منة على منك فقال الجنيد وما ينبغي لاحد ان يقبل منه الا من كان مثلك فهذه كانت طرائق أهل الحقائق ولا ينبغي للقاعد عن المكاسب الا أن يكون تاركا ذلك لاجل الله سبحانه عالما في قعوده باحكام الله عز وجل قائما بعلم حاله فيحسن يومئذ قعوده عن الاسباب ثقة منه بالمسبب الوهاب ويجعل تركه للمعلوم يقينا منه بالعالم *وقد كان بعض العلماء يقول لا تأكل الا عند من يعلم انك أكلت رزقك ولا تشكر عليه الا ربك ودعا بعض الناس شقيقا البلخي وكان في طبقة من أصحابه نحو الخمسين رجلا فوضع الرجل طعاما واسعا وأنفق نفقة كثيرة فلما قعدوا قال لهم شقيق ان هذا الرجل يقول من لم ير اني صنعت هذا الطعام وانا أقدمه اليه فطعامي عليه حرام قال فقاموا كلهم خرجوا الا شابا كان فيهم نقصت مشاهدته عنهم فقال صاحب المنزل لشقيق رحمك الله ما أردت الى هذا فقال أردت ان أجرب توحيد أصحابي أي كلهم لا يراه فيما صنع ولا ينظرون اليه فيما قدم الا ذلك الغلام وحده *وحدثونا عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب جعلت رزقي هكذا على أيدي بني اسرائيل يغديني يوما هذا ويعشيني هذه الليلة هذا فأوحى الله اليه هكذا أصنع باوليائي أجري أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا فيهم والعالم القاعد عندهم أفضل من الجاهل المتصرف والعالم المتكسب أفضل من القاعد الجاهل والقوي التارك للتصرف أفضل عندهم من الضعيف المتصرف والقوي المتصرف أفضل من الضعيف التارك للتصرف *وقد جعل الله المستحقين للعطاء ستة ذكرهم في آيات ثلاث فقال عز وجل في الآية الاولى انما الصدقات للفقراء والمساكين وقال في الثانية وفي أموالهم حق للسائل والمحروم وقال في الثالثة فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر فمن لا معلوم له من تكسب أو تصرف فهو أدخل شئ في هذه الآيات وأحوج أحد الى الاعطاء ومن كان ذا معلوم يحتاج الى أكثر منه لفضل عيلة أو كثرة نفقة فانه يدخل بمعنى من أوصافهم وكان ابن عباس رضي الله عنه يقول في الآية انما الصدقات للفقراء والمساكين نزلت في أهل الصفة ومن كان في معناهم الى يوم القيامة وكانوا أربعمائة وخمسين رجلا لم تكن لهم عشائر بالمدينة ولا أموال كالمهاجرين والانصار وكانوا نزاع القبائل أسكنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم صفة المسجد وقسم الله عز وجل لهم الاموال ثم ان الله سبحانه وتعالى أفرد طبقة سابعة عن جملة هؤلاء الستة ووصفهم باحسن الصفات وفضل أجور المتقين بطيب الاكتساب عليهم الطالبين وجه الله عز وجل فقال يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وقال وما تنفقوا من خير يوف اليكم وكل هذا متصل متعلق بقوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض الى آخر أوصافهم فوصفهم بالاحصار في سبيله وبالعفة عن الدنيا وأبنائها وانهم لا يلحفون بالالحاف لزهدهم فيها ويحسبهم من لا يعرف أوصافهم جاهلا فهذه الطائفة فوق الطبقات الموسومة بالصدقات المقسوم عليهم الزكوات بل أمر المؤمنين بالانفاق عليهم من الاكتساب للطيبات من بعد وصف أحسن الخالقين لهم والله تبارك وتعالى

وسئل الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال بعض العلماء الخشوع في الصلاة ان لا يعرف من عن يمينه ولا من على شماله وقيل الخشوع قشعريرة ترد على القلب بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة وقال صاحب مقامات العارفين الخشوع جمود النفس وخمود الطبع لمتعاظم أو مفزع وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى التذلل للامر والاستسلام للحكم والاتضاع لنظر الحق والدرجة الثانية ترقب آفات النفس والعمل ورؤية فضل كل ذي فضل عليك وتنسم نسيم الفناء والدرجة الثالثة حفظ الحرمة عن المكاشفة وتصفية الوقت من مراآة الخلق وتجديد رؤية الفضل وقال الغزالي الخشوع قوة الايمان ونتيجة اليقين الحاصل بجلال الله تعالى ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع

(فصل) وأما الاخبات فهو من أوائل مقام الطمأنينة وهو على ثلاث درجات الدرجة الاولى ان تستغرق العصمة الشهوة وتستدرك الارادة وهي القصد الى الله تعالى والغفلة ان تستهوي الطالب الشهوة الدرجة الثانية ان لا تنقض ارادته بسبب ولا يوحش قلبه عارض ولا تقطع الطريق عليه فتنة وقول عمر رضي الله عنه نعوذ بالله من الفتن حين أكثروا

لا

لا يحب عبداً الا وصفه فاذا مدحه بوصف وأثنى عليه ثبتت محبته له في المدح والوصف دليل على الحب والمحبة تدل على الفضل العظيم كما قال تعالى في آخر وصف المحبين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء * وقد قال بعض الصوفية في معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم يد المعطى هي العليا ويد المعطى هي السفلى ان المعطى هو الفقير وان المعطى هو الغنى ويصلح ان يستدل له بان حقيقة الاعطاء هو النصيب من الآخرة وعطاؤه منها فصار هو المعطى وصار الغنى هو المعطى ويكون دليل هذا القول الخبرين الآخرين قوله ان الصدقة تقع بيد الله سبحانه وتعالى قبل ان تقع بيد السائل وهو يضعها في يد السائل فقد صارت يد الفقير هي العليا والخبر الآخر يد الله العليا ويد المعطى الوسطى فهذا يصح ان الفقير هو المعطى اذا كانت يد الله تبارك وتعالى فوقه لانها هي التي تضع في يده العطاء فكانت يده هي الوسطى * فان قيل قد رتب الايدي بقوله تعالى يد الله هي العليا ويد المعطى هي الوسطى ويد المعطى هي السفلى فينبغي أن يكون المعطى هو الغنى اذا كان العطاء يظهر عندنا على الترتيب قيل له ان يد الله تبارك وتعالى فوقهما معاً وهي لا تدخل تحت الترتيب فيده سبحانه وتعالى العليا عليهما جميعاً كما قال تبارك وتعالى يد الله فوق أيديهم وقد علمنا ان أيديهم بعضها فوق بعض ثم أخبر مع ذلك انها فوق الكل ولانه هو المعطى الاول لهما جميعاً فكالاول أول منه في العطاء فكذلك لا يد فوق يده في الاعطاء وانما الترتيب بين الغنى والفقير أيهما المعطى بعد يد الله تعالى فقلنا ان المعطى في الحقيقة اذ كان العطاء الحقيقي هو ما يبقى ويدوم لا ما يفنى ويزول وذلك هو العطاء من الآخرة الباقية فصار الفقير هو المعطى للغنى في الدنيا نصيبه من الآخرة لانه عمارة منازله فيها والغنى رفق بالفقير من الدنيا وعمارة دنياه الفانية والدنيا موصوفة بلا شئ فاى شئ يعطى منها فاما يد الله تعالى فانها فوقهما والذي أعطاهما جميعاً لان يده فوق الفوق وفوق التحت لا يوصف بتحت ولا بأسفل تعالت أوصافه العليا عن نعوت الخلق السفلى وهو لا يدخل تحت القياس والتشبيه فقد حدثنا بعض اخواننا عن شيخ له فقال رأيت أبا الحسن النوري مد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال فاعظمت ذلك واستقبحته فأتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسأل الناس الا ليعطيهم انما سأل لهم ليثيبهم من الآخرة فيؤجرون من حيث لا يضره ثم قال هات الميزان قال فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فالقاها على المائة ثم قال احملها اليه قال فقلت في نفسي انما يزن الشئ ليعرف مقداره فهذا قد خلط منه شيأ آخر فصار مجهولا وهو رجل حكيم فاستحييت ان أسأله عن ذلك قال فذهبت بالصرة الى النوري فقال هات الميزان قال فوزن مائة درهم وقال ردها عليه وقل له انا لا أقبل منك أنت شيأ وأخذ ما زاده على المائة قال فقلت هذا أعجب فسألته ما هذا فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان يأخذ الحبل بطرفيه وزن هذه المائة لنفسه للثواب من الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن لله عز وجل فاخذت ما كانت لله عز وجل ورددت ما كان جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد فبكى وقال أخذ ماله ورد مالنا والله أعلم * ذكر اختلافهم في اخفاء العطاء واظهاره ومن رأى ان الاظهار أفضل وتفضيل ذلك وقد اختلف فعل المخلصين في ذلك فرأى بعضهم ان يخفي ما يأخذ من العطاء لانه أدخل في التعفف وأقرب الى التصون وانه أسلم لقلوب الغير وأصلح لنفوس العامة وان فيه النصرة لاخوانه من الغيبة والتهمة بمثل ذلك أو بأكثر منه وفيه الاحتياط لاخيه وعون له على البر والتقوى في قوله عز وجل ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وللخبر الذي جاء أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير في سر ولان عمل السر يفضل على عمل العلانية بسبعين ضعفاً فاذا لم يعاونه هذا على اخفاء عطائه ولم يساعده على كتم معروفه فلم يتم له ذلك بنفسه لانه سر بين اثنين ان أفشاه أحدهما أو لم يتفقا على كتمه فقد ظهر من أيهما كان الخبر كيف وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على أموركم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وهذا مذهب القراء من العابدين وقال أيوب السختياني انى لاترك لبس الثوب الجديد خشية أن يحدث في جيراني حسد وقال بعض الزاهدين وبما تركت استعمال الشئ لاجل اخواني يقولون من أين

المسائل على النبي صلى الله عليه وسلم وأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بتلك الامور العجيبة وهو على المنبر واشارة الى السلام فقال

الطريق من ان تقطعها الفتنة نعوذ بالله من الفتن وأما الدرجة الثالثة فهو ان يستوي عنده المدح والذم ويديم لائمة نفسه ويعمى عن نقصان الخلق عن درجته

(باب الرجاء والرغبة)

قال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وقال تعالى أولئك يرجون رحمة الله والرجاء من جملة المقامات وانما يتم بعلم وحال وعمل فالعلم يثمر الحال والحال يثمر العمل والرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولابد لذلك المحبوب المتوقع من سبب مكسوب للراجي وهو العمل والعمل على الرجاء أفضل من العمل على الخوف والعمل للاستحقاق أفضل من العمل للرجاء والخوف وآيات الرجاء كثيرة والاخبار فيه صحيحة قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ولما تلا النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لآدم عليه السلام ابعث بعث النار فيبعث من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحد الى الجنة فبئس القوم وجعلوا يبكون يومهم وتعطلوا عن الاشغال والعمل فخرج

هـذا وحدثونا عن ابراهيم التيمي انه رأى صاحباله عليه قميص جديد فقال من أين لك هذا قال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت ان أهله علموا به ماقبلته ودفع رجل الى بعض العلماء شيأ ظاهرا فرده ودفع اليه آخر شيأ في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا أخفي معروفه وعمل بالادب في معاملته فقبلنا عمله والذي أظهر معروفه أساء في الادب في المعاملة فرددنا عمله عليه ودفع بعض الناس الى بعض الصوفية شيأ بين الملأ فرده فقيل له لم ترد على الله عز وجل ما أعطاك فقال انك أشركت غير الله سبحانه وتعالى فيما لله ولم تقنع بعين الله عز وجل فرددت عليك شركك وقد كان بعض العلماء لا يقبل في العلانية ويأخذ في السر فسئل عن ذلك فقال ان في اظهار الصدقة اذلالا للعلم وامتهانا لاهله وما كنت بالذي أرفع شيأ من الدنيا بوضع العلم واذلال أهله وكذلك حدثنا ان رجلا دفع الى بعض العارفين شيأ علانية فرده ثم دفعه اليه في السر فقبله فقيل له رددت في الجهر وقبلت في السر فقال لانك أطعت الله تعالى في السر فأعنتك على برك بقبوله وعصيته بالجهر فلم أكن عونالك على المعصية وقد كان سفيان الثوري يقول لو علمت ان أحدهم لا يذكر صلته ولا يتحدث بها لقبلت صلته وفي هذا العمري مواطاة لما ندب الله تعالى اليه من الاخفاء ولما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضله من أعمال السر وهو أيضا لا يدخل الآخذ في نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وقال في الحديث الآخر أفضل ما أهدى الرجل الى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية كالهدايا وهو من أفضلها كما قال لانه قيم الاشياء فهذا الآخذ للهدية جهرا يلزمه الاشراك للحاضرين فيها الا ان يبوأ ذلك له فان لم يفعل لم يجبني ذلك * وذهب آخرون من أهل المعرفة الموصوفين بالتوحيد الى ان الاظهار للآخذ أفضل لانه أسلم له وأدخل في الاخلاص والصدق وأخرج من الثبات والقدر والمنزلة والجاه بالرد والزهد وقد قال الله سبحانه لا تكلف الا نفسك قالوا فليس علينا اذ علمنا في سلامتنا وحكم حالنا من اسقاط جاهنا بالاخذ علانية ماوراء ذلك من أقوال الناس يتولى الله عز وجل من ذلك من به ابتلاه وقالوا ولان في التوحيد ان الظاهر والباطن هو المعطى فلا معنى للرد عليه في الظاهر وقد قال بعضهم سر العارف وعلانيته واحد لان المعبود فيهما واحد فاختلاف فعل أحدهما شرك في التوحيد وقال بعض العارفين كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ في السر فرفع يده به علانية ثم قال هذا من الدنيا والعلانية في أمور الدنيا أفضل والسر في أمور الآخرة أفضل وقال بعض المريدين سألت استاذي وكان أحد العارفين عن اظهار السبب أو اخفائه فقال أظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لا تخلو من أحد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو الذي تريد لانه أسلم لدينك وأقل لآفات نفسك وينبغي ان تعمل في ذلك فقد جاءك بلا تكلف ورجل تزداد وترتفع في قلبه فذلك هو الذي يريد أخوك لانه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه اياك فتؤجر أنت اذ كنت سبب مزيده وينبغي ان تعمل في ذلك وقال بعض العارفين اذا أخذت فاظهر فانما نعمة من الله اظهارها أفضل واذا رددت فاخف فانه عمل لك واسراره أفضل وهذا لعمري قول فصل وهو طريق العارفين وقال بعض علمائنا اظهار العطاء من الآخذ آخرة وكتمانه دنيا واظهار الاعمال من الدنيا وكتمها آخرة وكان هذا لا يكره الاظهار وهذا كما قال الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وقد ذم الله تبارك وتعالى من كتم ما آتاه الله من فضله وقرنه بالبخل والبخل باب كبير من الدنيا فقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا أنعم الله عز وجل على عبد نعمة أحب ان ترى عليه وهذا هو الاقرب الى قلوب الموحدين من العارفين لانه مقتضى حالهم وموجب مشاهدتهم لاستواء ظروف الايدي عندهم من العبيد ونفاذ نظرهم الى المعطى الاول فاستوى سرهم وعلانيتهم في الاخذ من يده وفصل الخطاب في هذا الباب عندي انه يحتاج الى تفصيل فنقول والله أعلم ان الخلق مبتلى بعضه ببعض وفرض كل عبد القيام بحكم حاله ليفضل بقيامه ويسلم في حاله فعلى المعطى ان يخفي ويسر جهده فان أظهر ترك علم حاله فنقص بذلك فكانت هذه آفة من آفات نفسه

عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما ومالكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد ما حدثنا بهذا فقال كم أنتم في الامم أين بابل وفارس ومنسك ويأجوج ومأجوج أمم لا يحصيها الا الله تعالى انما أنتم في سائر الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور الاسود أو كالشعرة السوداء في الثور الابيض فانظر كيف صلى الله عليه وسلم يسوق الخلق بازمة الرجاء والخوف الى الله تعالى اذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال الى افراط اليأس داواهم بدواء الرجاء وردهم الى الاعتدال والقصد

(فصل) وفائدة الرجاء ان يكسر حلاوة الخوف حتى لا يفضي الخوف بصاحبه الى اليأس والقنوط والرجاء على ثلاث درجات الدرجة الاولى رجاء يبعث العلماء على الاجتهاد في العمل فيولد في نفوسهم التلذذ في الخدمة ويسهل على النفس المسامحة بترك المناهي والدرجة الثانية الرجاء بزيادة القرب وزيادة الاصطفاء وهذا يحصل لاصحاب خوف الاجلال والعظمة وهم الانبياء عليهم السلام والدرجة الثالثة رجاء لقاء الله تعالى وهذا أيضا للانبياء والمرسلين واعلم ان رجاء العاصي أفضل من رجاء الطائع لان رجاء العاصي يكون بالاعتماد على عفو الله تعالى وكرمه ورجاء الطائع يكون بالاعتماد على طاعته وأعماله وعلامة الرجاء ان يكون مع الطاعة فان كل من فعل

وبابا

وبابا من أبواب دنياه وعلى المعطى ان يذكر وينشر فان أخفى وكتم فقد ترك الاخلاص في عمله ونقص لذلك وكانت آفة من آفات نفسه وبابا من دنياه مثله ورويناان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا أعطيته دينارا فاثنى بذلك وشكر فقال لكن فلان أعطيته ما بين الثلاثة الى العشرة فما أثنى ولا شكر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مريدا ان يشكره أو يثني عليه وهو يقول لابن الحمامة الشاعر وغيره اما ما مدحتني به فالقه عنك واما ما مدحت به ربك عز وجل فهاته فانه يحب المدح لكنه أراد منه القيام بحكم حاله لعلمه ان في الشكر والثناء حضا وتحريضا على المعروف والعطاء وانه خلق من أخلاق الربوبية أحبه الله عز وجل من نفسه فشكره للمنفقين وهو الرازق وأحب من أوليائه ان يشكروا الاواسط ويثنوا به عليهم وان شهدوا فيه الاول وكذلك لما قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم قاسمونا الاموال حتى خفنا ان يذهبوا بالاجر كله فقال كلا ما شكرتم لهم وأثنيتم به عليهم ولذلك أمر به صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر فقال من أسدى اليه معروف فليكافئ به فان لم يستطع فليثن به وفي لفظ آخر من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فاثنوا به خيرا وادعوا له حتى يعلم ان قد كافيتموه والخبر العام بمعنى ذلك من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد روينا في معنى الحديث لفظة غريبة جاءت من طريق وهو من لم يذكر الناس لم يذكر الله عز وجل ان يذكرهم في العطاء ويثني عليهم به والنوع الثاني من التفضيل ان على المعطى ان لا يحب أن يذكر معروفه ولا يشكر فان علمت من يقصد ذلك ويحبه منك فهذا يدل على نقصان علمه وقوة آفات نفسه فترك الثناء على مثل هذا والكتم من الفقير أفضل فان شكر له فاظهر عطاءه فقد ظلمه لاعانته اياه على ظلم نفسه وقد قوى آفات نفسه وهذا اذا فعله به من المعاونة على الاثم والعدوان فقد كان ينبغي للمعطى أن ينصره اذا كان ظالما من حيث لا يعلم بان يخفي عليه ما يعمل والله أعلم بالصواب

* نوع آخر من التفضيل في الاخذ للفقير * ان من الناس من يستوي عنده اظهاره للعطاء واخفاؤه لصحة يقينه بذلك واخلاص نيته فيه ونفاذ مشاهدته بدوام نظره الى المنعم الاول فهذا ان قبلت منه علانية صلح وان اثنيت عليه بذلك جاز لقوة معرفته وكمال عقله وسبق نظره الى مولاه فيما وفقه به وتولاه فيشكر له ذلك ويراه نعمة منه ولمثل هذا جاء الخبر المشهور اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال بعض العارفين يمدح الرجل على قدر عقله وقال الثوري من عرف نفسه لم يضره مدح الناس له * النوع الرابع من التفضيل من الناس من اذا أظهر معروفه فسد قصده بذلك واعتورته الآفات من التزين والتصنع فمثل هذا لا يصلح ان يقبل منه ما أعان به لانه يكون معينا له على معصيته وهذا أيضا لا يصلح ان يثني عليه فان ذكر بمعروفه أو مدح به كان ذلك مفسدة له واغترارا منه لقوة نظره الى نفسه ونقصان معرفته بربه فمن مدح هذا فقد قبله ومن ذكره بمعروفه فقد أعانه على شركه ومدح رجل رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ضربت عنقه لو سمعها ما أفلح وقد كان هو صلى الله عليه وسلم يثني على قوم في وجوههم ومن حيث يسمعون لثقته بيقينهم وعلمه ان ذلك مزيد لهم وقال لرجل أقبل اليه هذا سيد أهل الوبر وقال لآخر من حيث يسمع اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه وتكلم رجل بكلام فصل فاعجبه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان سحرا وقد كان يخفى الثناء على آخرين اذا علم ان ذلك خير لهم وقال الثوري ليوسف بن اسباط اذا أوليتك معروفا فكنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله تعالى علي وكنت أشد حياء منك فاشكر والا فلا تفعله ذلك ان المعطى حاله الاخفاء وان الآخذ حاله الاظهار فمن خالف ذلك فارق حاله وان فرض المعطى ان يكره المدح ولا يحب الثناء والذكر فمن علمت منه ذلك فعليك ان تثني وتشكر وتنشر ومن علمت منه يحب الاظهار ويقتضي منك الاشتهار فخالك ان تعاونه على ظلمه لنفسه فترك الثناء لمثل هذا أفضل له وأسلم لك فهذا تفصيل ما أجمله الصادقون ثم اختلفوا في الاخذ من الواجب أفضل أم التطوع فرأى بعضهم ان يأخذ من الواجب ولا يقبل من التطوع أي لان الواجب يؤخذ باذن الله تعالى عن قسمه وان الله تعالى أوجب عليه أن يأخذه

المعصية فهو في غرور وليس برجاء والرجاء أصعب منازل المريدين لانه معارضة من وجه واعتراض من وجه لكن فيه فائدة جليلة ولاجلها انطق باسمها التنزيل والسنة ودخل في مسالك المحققين وتلك الفائدة انه يقتل حرارة الخوف حتى لا تعدو الى الياس فان قلت ما وجه دخول المعارضة والاعتراض في الرجاء قلت وجه ذلك اما دخول المعارضة فمن حيث انه يستعمل النفس والهوى والامنية وهذه مداخل الشيطان وأصل الحجاب وأصل المريد خروجه عن الارادة ومخالفته لما عليه العادة وأما وجه دخول الاعتراض فيه فمن حيث انه لم يستسلم لجاري الاقدار وعدل الاحكام والعبد الخالص في عبودية الله تعالى يرتفع من قلبه لم ولم وهذا يكون من ضعف اليقين واتهام الحاكم وقلة الادب والرضا عن النفس واستعمال التدبير لانه تارة يريد ما لا يريده الله تعالى وتارة يوافق في النفي وتارة يوافق في الاثبات فهو معترض في المخالفة معارض في الموافقة وتكلموا في ان الرجاء هل يستلزم حسن الظن أم لا يستلزمه فقال قوم انه لا يستلزمه بل هو مباين لان الراجي يكون خائفا من فواته واما حسن الظن بالله تعالى فلا خوف معه قال صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي خيرا وحسن الظن هو العلم بالله تعالى وبصفاته وانه محسن مجمل كريم رحيم جواد لكن حق الراجي ان يكون حسن الظن بالله

من حيث أوجب الزكاة لان الفقراء والمساكين لو تواطؤا على أن لا يقبلوا الزكوات أثموا أجمعون ولعصوا كلهم بذلك لاسقاطهم فرض الله عز وجل من الاموال بالزكوات قالوا ولان هذا أدخل له في جملة الضعفاء والمساكين وأقرب الى التواضع والذلة قالوا ولا منة لاحد علينا فيه ولا حق يلزمنا عليه اذ كنا نستحق ذلك منه قالوا ولانه أسلم لدينا لئلا يدخل علينا الا كل بالدين لانا انما نستوجبه بالحاجة وحرمة الاسلام فقط ونخاف ان يكون أخذنا التطوع أكلا بديننا أو أنا أعطينا الصلاحنا واعتقاد فضلنا فلا نحب ان نخص بشئ دون الفقراء وهذا مذهب القراء من العابدين ومن ينظر الى صلاحه ونفسه في الدين هو مقتضى حالهم وموجب شهادتهم واختارت طائفة ان يأخذوا من النوافل دون الفرائض أجروه مجرى الهدية وقالوا قد أمر بقبولها وندب الى التهادي للتآلف والتحبب قالوا ولا نزاحم المساكين في حقوقهم واعلنا لا نكمل أوصافهم ونخاف أن لا يوجد فينا ما شرط الله عز وجل لواجبه ولا نضعه في حقيقة موضعه أو لا نحتاط لمن يسقط عنه الواجب به فالتطوع أوسع علينا ومع هذا فانهم يشهدون النعمة من الله تعالى وان الدين انما هو لله عز وجل كما قال الا لله الدين الخالص وانهم مستعملون بانفسهم من حيث كانوا منعما عليهم لا منعمين على أنفسهم وهذه طريقة بعض أهل المعرفة وممن ذهب الى هذا ابراهيم الخواص وأبو القاسم الجنيد ومن وافقهما والامر في ذلك عندي ان من لم يأخذ من كل انسان ولا في كل أوان ولم يقبل الا عند الحاجة وما لا بد له منه ثم قام بحكم الله تعالى في الواجب وحكمه في التطوع ان الحالين يتقاربان لان الواجب أمر الله تبارك وتعالى فيه حكم والتطوع ندب وله عز وجل فيه حكم فعلى العبد ان ينظر لدينه ويحتاط لاخيه فيعمل بما يوجب الوقت من الحكم من أيهما كان فسواء ذلك ولا ينظر بظلامة النفس في هوى الحظ ففي ذلك سلامته

(الفصل الثاني والاربعون في كتاب حكم المسافر والمقاصد في الاسفار) فان سنح لهذا المريد سفر ففي الحديث البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فحيث ما وجدت رزقا فاقم واحمد الله عز وجل والخبر المشهور سافروا تغنموا فغنيمة أبناء الآخرة ربح تجارة الآخرة وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقال عز وجل قل سيروا في الارض فانظروا وقال تعالى وفي الارض آيات للموقنين وقال جل وعلا وفي أنفسكم أفلا تبصرون فمن جعلت آياته في نفسه تبصر ففطن ومن جعلت له الآيات في الآفاق سرب وسرى وكذلك قال الله عز وجل وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون ومثله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فمن سار فكانت له بصيرة اعتبر وعقل ومن مر على الآيات فنظر اليها منها تذكر وأقبل ومن أمر الله عز وجل بالمشي في مناكب بساطه والاكل من رزقه بعد اظهار نعمته بتذليل مهاده فقال سبحانه وتعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه قيل في أسواقها وقيل قراها وقيل جبالها وهو أحب الى أحداب الارض قراها ومناكبها جبالها لانها أعاليها وكان بشر الحافي يقول يا معشر القراء سيحوا تطيبوا فان الماء اذا كثر مقامه في موضع تغير وقيل انما سمي سفرا لانه يسفر عن أخلاق النفس وأيضا يسفر عن آيات الله سبحانه وقدره وحكمه في أرضه فاذا عزم على السفر فليصل ركعتي الاستخارة وليعقد التوكل على الله عز وجل فكفى ناظرا وساكنا اليه تبارك وتعالى واثقا به ومعتمدا عليه مستورا حاله راضيا عنه عز وجل في تقلبه ومثواه ولينو في سفره الاعتبار بالآثار والنظر الى الآيات بالاستبصار والابتغاء من فضل الله سبحانه فيما ندبه اليه من الاسباب ويقال ان الله تبارك وتعالى وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الى مقاصدهم فيعطى كل واحد على نحو نيته فمن كانت نيته طلب الدنيا أعطى منها ونقص من آخرته أضعافه وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كانت نيته طلب الآخرة وأهلها أعطى من البصيرة والفطنة وفتح له من التذكرة والعبرة بقدر نيته وجمع له همه وملك من الدنيا بالقناعة والزهد شغله ودعت له الملائكة واستغفرت له فلتكن نية هذا المسافر استصلاح قلبه ورياضة نفسه واستكشاف حاله وامتحان

اوصافه

الى نفسه أو دفع سوء عنها لانه قد فرغ له من كل ما يحتاج اليه فما قدره الله تعالى من الرزق وكتبه تعالى لا تطمع في نظم بوصله حلقه فهو يأتيهم لا محالة وعلى هذا قال قوم ان الرجاء ليس داخلا في طريق المحققين لان المقدور كائن لا محالة فالطامع لماذا ولهذا قال بعض العارفين كن لما لا ترجوه أرجى منك لما ترجوه خرج موسى عليه السلام يقتبس نارا فنودي بالنبوة قال الاعقم ينبغي للعبد ان لا يحمل نفسه دائما على الرجاء ولا دائما على الخوف بل من هذا مرة ومن هذا أخرى قال بعض الاكابر من حمل نفسه دائما على الرجاء تعطل ومن حملها على الخوف قنط ولكن يأخذ بهما وهما للسالك كالجناحين للطائر والعبادة على الرجاء أفضل من العبادة على الخوف لان الرجاء يقتضي المحبة والعبادة على المحبة كالرغبة والرهبة أفضل من العبادة على مالات العبادة على الرجاء والخوف تنزل منزلة من ترك شيأ عاجلا ليعتاض عنه أضعافا آجلا *(فصل)* وأما الرغبة فقال الله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين الرغبة الحق بالحقيقة من الرجاء وهي فوق الرجاء لان الرجاء طمع يحتاج الى تحقيق والرغبة سلوك على تحقيق المرغوب وهي على ثلاث درجات الاولى رغبة لاهل الخبر تتولد من العلم بعظم شأن المرغوب اليه وعظم احسانه وجزيل انعامه فتبعث على الاجتهاد والطاعة الموجبين القرب وتصون السالك

أوصافه لان النفس انما أظهرت الاذعان والانقياد فى الحضر ور بما سكنت وأجابت فى السفر فاذا وقعت عليها أثقال الاسفار ولزمتها حقائق الاستخبار خرجت عن معتاد ذلك المعيار فاسفرت حقيقتها وانكشفت دواعيها فيكون المسافر فى علوم و بصائر يعرف بها خفايا نفسه ومكامنها او يكون هذا من خبء الارض الذى يخرجه الله عز وجل لحبيبه متى شاء كما قال جل وعلا يخرج الخبء فى السموات والارض فان خرج سائحا فى طلب العلم فقد جاء ذلك فى تفسير قوله عز وجل السائحون قيل فى طلب العلم وقيل هم طلبة العلم وقد كان سعيد بن المسيب يسافر الايام فى طلب الحديث الواحد وقال الشعبي لو سافر رجل من الشام الى أقصى اليمن فى كلمة تدل على هدى ما رأيت ان سفره كان ضائعا ورحل جابر بن عبد الله من المدينة وغيره من الصحابة الى مصر فسار واشهرا فى حديث بلغه عن عبد الله بن أنيس الانصارى يحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعوه ومن سافر فى طلب العلم من عهد الصحابة الى يومنا هذا أكثر من ان يحصى وفى الخبر من خرج من بيته فى طلب العلم فهو فى سبيل الله عز وجل حتى يرجع وفى خبر آخر من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله عز وجل له طريقا الى الجنة ويقال ان النفقة فى العلم كالنفقة فى سبيل الله الدرهم بسبعمائة وان سافر فى لقاء الصالحين فقد جاء فى الاثر كانوا يحجون للقاء والحج من أفضل الاسفار فجعلوه سببا للقاء الاخيار فان نوى القرب من الامصار طمعا فى سلامة دينه و بعدا من تعلق النفس بما فى الحضر من حظ دنياه فحسن ور بما خرج طلبا للخمول والذلة خشية الفتنة بالشهرة ورجاء صلاح قلبه واستقامة حاله فى البعد من الناس ور ياضة بالتفرق والتوحد الى ان يقوى يقينه و يطمئن قلبه فيستوى عنده الحضر والسفر و يعتدل عنده وجود الخلق وعدمهم باسقاط الاهتمام بهم وقد قال الثورى هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخامل فكيف بالمشهور ين وهذا زمان رجل ينتقل من بلد الى بلد كلما عرف فى موضع تحول الى غيره وقال أبو نعيم رأيت الثورى وقد علق قلته بيده و وضع جرابه على ظهره فقلت له الى أين يا أبا عبد الله فقال قد بلغنى عن قرية فيها رخص فانا أريد ان أقيم بها فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله قال نعم اذا بلغك عن قرية فيها رخص فاقم بها فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وقد كان سرى السقطى يقول للصوفية اذا خرج الشتاء ودخل أذار وأورقت الاشجار طاب الانتشار ومن أفضل الاسفار ما خرج له فى سبيل الله عز وجل من الجهاد والحج والرباط وزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم ثم زيارة أصحابه محتسبا بذلك ما عند الله عز وجل والسفر فى زيارة الاخ فى الله عز وجل مستحب مندوب اليه ور وينا فى خبر عن بعض أهل البيت عليهم السلام وقيل مكتوب فى التوراة سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أر بعة أميال زر اخا فى الله تعالى وفى الخبران رجلا زار اخا له فى قرية أخرى فارصد الله عز وجل على مدرجته ملكا فقال أين تريد فقال أخا لى فى هذه القرية أز وره قال أبينك و بينه رحم تصلها قال لا قال فله عليك نعمة تردها قال لا الا انى أحببته فى الله عز وجل قال فانى رسول الله اليك يبشرك بالجنة ويخبرك انه قد غفر لك بز يارة أخيك وان سافر الى بعض الثغور ليرابط أر بعين يوما أو ثلاثة أيام فحسن وان قصد عبادان فرابط فيها ثلاثا فقد أصاب اثلا ثمائة من العلماء والعباد لم يرابطوا فيها ما يحل وصفه ر وى عن على عليه السلام انه سال رجلا بالبصرة ان يرابط بعبادان ثلاثا و بشركه فى ثوابه وقال بعض العارفين كوشفت بالامصار فرأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ومن قصد فى سفره أحد المساجد الثلاث المندوب اليها لشد الرحال فهو أفضل أولاها المسجد الحرام ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد بيت المقدس فيقال من جمع الصلاة فى هذه المساجد الثلاث من سنته غفرت له ذنوبه كلها ومن أهل بحج أو عمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام خرج من ذنو به كيوم ولدته أمه وخرج ابن عمر من المدينة قاصدا الى بيت المقدس حتى صلى فيه الصلوات الخمس ثم كر راجعا من الغد الى المدينة وسال سليمان عليه السلام ربه تعالى ان من قصد هذا المسجد لا يهمه الا الصلاة فيه ان لا تصرف نظرك عنه مادام

عن الفتور * الدرجة الثانية رغبة أرباب الحال وهى رغبة لا تبقى من المرغوب شيا والدرجة الثالثة رغبة أهل الشهود وهى تزيل كل ما فى مجهودهم لطلب الشهود

(باب المراقبة والحياء)

قال الله تعالى وكان الله على كل شئ رقيبا ولما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الاحسان فقال الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة لان المراقبة علم العبد باطلاع الرب عليه واستدامته لهذا العلم مراقبة لربه وهذا أصل كل خير ولا يكاد العبد يصل الى هذه المرتبة الا بعد فراغه من المحاسبة فاذا حاسب نفسه على ما سلف وأصلح حاله فى الوقت ولازم طريق الحق وأحسن مراعاة قلبه فيما بينه و بين الله تعالى وحفظ مع الله تعالى الانفاس فقد راقب الله تعالى فى عموم أحواله ومن تغافل من الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة فكيف عن حقائق القربة قال بعض أهل المعرفة من لم تحكم بينه و بين نفسه التقوى والمراقبة لم يصل الى الكشف والمشاهدة والعبد اذا كان عالما بان الله تعالى لا يخفى عليه شئ من أمره ذرة أورثه ذلك المراقبة والمراقبة تورثه الهيبة والتعظيم والهيبة والتعظيم يورثان الانزجار عن المناهى والانقياد للاوامر ومن يحيى بن معاذ انه قال المؤمن كالشاة المأثورة يعنى التى فى جوفها ثرة فانها لا تسمن بالعلف كذلك العبد المراقب

مقيما فيه حتى يخرج منه وان تخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه فاعطاه الله تعالى ذلك وأما فضائل المجاورين فى الحرمين حرم الله عز وجل وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم فاكثر من ان نذكرها وان سافر طالبا للحلال وهو يأمن طعمة الحرام فذاك من قربتان وقد فعله صالحو السلف فى كل زمان وليكن العبد فى سفره مراعيا لهمه حافظا لقلبه من التشتت والطمع فى الخلق والتعرض للمسئلة فان لم يكن ذا معلوم معهود كان معلومه العلام الودود وكان طريقه اليه صدق التوكل وزاده فى طريقه حسن التقوى له بصحة الاياس من الناس وعليه حينئذ الصبر على بلائه والرضا بتصريفه فى قضائه والشكر على لطائف نعمائه من منع أو عطاء أو شدة أو رخاء لانه فى يد الوكيل يقلبه كيف يشاء والتوكل عند المتوكلين هو فى الصبر للصبور وتسليم الحكم للحاكم ومنه قوله تعالى الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقوله ان الحكم الا لله عليه توكلت وقال رجل لبشر ابن الحرث انى أريد سفرا ولكنى منعنى انه ليس عندى شئ فقال لا يمنعك العدم من سفرك واخرج لقصدك فان لم يعطك مالغيرك لم يمنعك مالك وكان ابراهيم الخواص يقول كف فارغ وقلب طيب ومر حيث شئت ومن طرقته فاقة أو رهقته حاجة لم يخرجه من التوكل ان يسال اذا عدم القوة والصبر لانه حينئذ يسال لربه لا لنفسه بحركة العلم لا الهوى لاقامة فرضه وحفظ عقله الذى هو مكان تكليفه وفى الاثر من جاع فلم يسال فمات دخل النار لان ترك السؤال عند خوف رهق الموت ومع عدم الصبر سبب التلف ان كان الجوع أحد الحتوف القاتل وقد تأول بعض متأخرى الصوفية قول النبى صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل العبد من كسب يده قال المسألة عند الفاقة وأنا برئ من عهدة هذا التأويل وقد كان جعفر الخلدى يحكى هذا عن شيخ من الصوفية وكان هو يستحسنه ولكن قد كان أبو سعيد الخراز يمد يده عند الفاقة ويقول ثم شئ لله وحدثونا عن أبى جعفر الحداد وكان شيخا للجنيد له علم فى التوكل وحال من الزهد كان يقتات بخروجه بين العشاءين فيسال من باب أو بابين فيكون ذلك معلومه الى بعض حاجاته من يوم أو يومين ولم يعب هذا عليه أحد من الخصوص وقد رأى بعض الناس رجلا من الصوفية دفع اليه كيس فيه مئون دراهم فى أول النهار ففرقه كله ثم سال قوتا فى يده بعد عشاء الآخرة فعاتبه على ذلك وقال دفع اليك شئ أخرجته كله فلو تركت منه لعشائك شيأ فقال ماظننت انى أعيش الى المساء ولو علمت ذلك فعلت وكان هذا زاهدا قصير الامل الا ان السؤال للمتوكل عند الخواص يخرجه من التوكل وقد كان سهل يقول المتوكل لا يسال ولا يرد ولا يحتكر وليس يخرجه عندى من التوكل المسالة عند الفاقة بل عدم الصبر والقوة ففقد ذينك وجود الاذن من الله له فى السؤال اذا كان ناظرا الى تصريف الوكيل فى كل حال ولان الولى الجيد يقلب وليه فى جميع الاحوال ألم ترالى امامى أهل الظاهر والكتب وأهل الباطن والقلوب استطعما أهلها لان المسلم يستحق على اخوانه سد جوعته لحرمة الاسلام وقال النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الضيف واجبة وقال عليه الصلاة والسلام الضيافة حق وفى الخبر ولك ان تاخذ من ماله مقدار ليلة وفى الحديث أيما أهل عرصة أو قرية بات فيهم رجل من المسلمين جائعا فقد برئت منهم الذمة وكان الثورى يسال فى البوادى من الحجاز الى صنعاء اليمن فقال كنت أذكرهم حديث عبد الله هذا فى الضيافة قال فيخرجون الى طعاما فآكل شبعى واترك مابقى والمسافر هو ابن السبيل الذى أوجب الله حقه فى الاموال لان السبيل هو الطريق وراكبها ابنها لانه صاحب طريق وسالكه وليس عليه أيضا فى الثواء عند أخيه المسلم ثلاثة ايام شئ لانه مقيم على ما أبيح له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الضيافة ثلاثة فما زاد فهو صدقة فلا يقيمن فوق ثلاث فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال ولا يقم فوق ثلاث فيحوجه ان يضيق عليه وتأويل قوله عندى فما زاد فهو صدقة أى مكروه لا مندوب اليه ولا مأمور به فان اختار الصدقة ولم ينزه نفسه عنها فهو أعلم أى وما كان فى الثلاث فهو حق له وواجب على مضيفه فان سالوه الاقامة فوق ثلاث أو علم انهم يحبون الاقامة فلا بأس بذلك وقد تأول بعض الصوفية قول النبى صلى الله عليه وسلم فما زاد فوق ثلاث فهو صدقة انه صدقة على أصحاب المنزل من

لربه ليس له قرار ولا راحة لاشتغاله بنظره الى مولاه ودخول هيبته فى قلبه وهو كمن بحضرته أسد مخلى بينه وبينه لا يمنعه منه مانع ينتظر كل ساعة ان يخطفه فهو لا يصفو له عيش ولا يستريح له خاطر قال المشايخ المراقبة على قسمين الاول مراقبة العوام الثانى مراقبة الخواص فمراقبة العوام مراقبة خوف ومراقبة الخواص مراقبة حياء واعلم ان المشاهدة ميزان المراقبة فمن راقب الله تعالى شاهد بانوار اليقين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتلك حالة لطيفة أشار اليها حارثة بقوله كانى أنظر الى عرش ربى وكانى وكانى وذلك من صفاء المعرفة وزوائد اليقين والتحقيق بالحال حتى يصير الغيب له كالمشاهدة لما وجد من النتائج والمواهب التى هى قرة العين قال صاحب منازل السائرين والمراقبة على ثلاث درجات الدرجة الاولى ملاحظة الحق سبحانه وتعالى فى السير اليه على الدوام الدرجة الثانية مراقبة نظر الحق اليك برفض المعارضة وبالاعراض عن الاعتراض ونقض رعونة التعرض الدرجة الثالثة مراقبة الاخلاص من ربقة المراقبة

(فصل) وأما الحياء فهو شعبة من شعب الايمان كما ورد به الحديث قال صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والحياء من الله تعالى هو حرص القلب عن اللهو وقال الحرث المحاسبى رحمه الله هو الامتناع عن كل مالا يرضاه

الضيف تصدق عليهم باقامته لانه مثوبة لهم ولا يجتنى هذا التنويل وليحافظ على صلاته في أوقاتها بحسن طهارة وجميل اداء وليحفظ قلبه ان يتشتت فان السفر قد يشتت هم المريد ويجمع هم العارفين ويشغل قلوب الضعفاء ويروح قلوب الاقوياء وهو محنة وكشف لاخلاق العبد وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للرجل الذي زكى عنده رجلا لما ساله عنه ليقبل شهادته فقال له هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق فقال لا قال ما أراك تعرفه وعن بعض السلف اذا أثنى على الرجل معاملوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تشكوا في صلاحه اذ ذاك لان السفر يسبى الاخلاق ويكثر الضجر ويخرج مكامن النفس من الشح والشره وكل من صلحت صحبته في السفر صلحت صحبته في الحضر وليس كل من صحب في الحضر صلح ان يصحب في السفر وقال بعض السلف ثلاثة لا يلامون على الضجر الصائم والمريض والمسافر ولا ينبغي ان يفارقه من الاسباب أربعة الركوة والحبل والابرة بخيوطها والمقراض وكان الخواص من المتوكلين ولم تكن هذه الاربعة تفارقه وكان يقول ليست من الدنيا وبعض الصوفية كان يقول اذا لم يكن مع الفقير ركوة وحبل دل ذلك على نقصان دينه وكان جماعة من أرباب القلوب وأهل المعاينة بالاحوال اذا استوطنت نفوسهم مصر أو سكنت الى موضع عملوا في الغربة لرفع العادة وايثار القلة والذلة وقالوا لا يخلو المؤمن من قلة أو علة أو ذلة وكانوا اذا خافوا الاستشراف الى الخلق خرجوا في الاسفار لقطع ذلك وحسمه من الاذكار وقد كان الخواص لا يقيم في بلد أكثر من أربعين يوما ويرى ان ذلك علة في توكله فيعمل في اختبار نفسه وكشف حاله وحدثنا عن بعض الشيوخ قال لبثت في البرية أحد عشر يوما لم أطعم شيأ وتطلعت نفسي ان تعرج على حشيش البرية فرأيت الخضر مقبلا نحوي فهربت منه فلما وليت عنه هاربا التفت اليه فاذا هو قد رجع عني فانظروا الى ولي الله عز وجل كيف لم يفسد على توكلي فقيل له لم هربت منه قال تشوفت نفسي ان يقيتني وعلى المسافر من أهل القلوب ان يفرق بين سكون القلب الى الوطن والسفر وبين سكون النفس اليهما فان ذلك قد يلتبس فيحسب من لا بصيرة له ولا تفتيش لحاله ولا صدق في أحواله ان سكون النفس هو سكون القلب فينقص بذلك ولا يفطن لنقصانه فان كان قلبه يسكن الى أحدهما وفيه صلاح دينه وعمارة آخرته ومحبة ربه فهذا سكون القلب لانه يسكن الى اخلاق الايمان وما ورد العلم به وان كانت نفسه تسكن الى أحدهما لما فيه عاجل حظوظ وعمارة دنياه وموافقة هواه فهذا سكون نفس لانها تسكن الى معاني الهوى فليتحول من الوطن الى الغربة وليرجع من الغربة الى المصر ومن كان في سفر على غير هذا النعت من التفقد لحاله وحسن القيام باحكامه فهو على هوى وفتنة وسفره بلاء عليه ومحنة وفصل الخطاب ان من لم يكن له في سفر حال يشغله وهم يجمعه ووقت يحبسه ومأوى يظله ومسكن يؤنسه وزاد من باطنه وعلم من عالمه فان الحضر أرفق لحاله وأصلح لقلبه وأسكن لنفسه من السفر لانه يكون في السفر مشتت السر مفرق الهم تارة بوجود معلوم يخاف عليه ومرة بفقد معتاد يحن اليه ومرة باستشراف الى خلق يطمع فيه ومرة يضعف قلبه مع العدم وتارة يقوى بالاستطلاع الى البشر ومرة يفزع لفقد ما عنده قد حضر فمثل هذا يكون في السفر نقصان ما ادعى والسفر يجمع هم الاقوياء ويشتت قلوب الضعفاء ويذهب أحوال أهل الابتداء ثم ان من لم يصلح قلبه ولم يستقم حاله في الحضر فانه لا يصلح حاله ولا يستقيم قلبه في السفر وأنشدوا لبعض السائحين في التغرب

ألفت التفرد والغربه * ففي كل يوم أطي تربه
فيوم مقيم على نعمه * ويوم معال على نكبه
ومما يطيب نفس الغريب * حبيب تطيب به الصحبه

وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسافر الرجل وحده فقال الثلاثة نفر وقال اذا كنتم في سفر ثلاثة فامروا أحدكم قال فكانوا يفعلون ذلك ويقولون ذاك أمير أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك يستحب * وقد جاء في الخبر خير الاصحاب أربعة والاسفار والنزه لا تطيب الا في جماعة وأقل

لله تعالى وعلامته في الظاهر انقباض جوارحه عن الانبساط وان مشى طاطأ رأسه حياء من الله تعالى قيل للحرث ما الذي يشين الحياء فقال اثارة النفوس الى موضع الاطماع قلت لعله يريد بذلك والله أعلم جنوح النفس الى نيل شهواتها فان ذلك مما يشين حياء العبد من ربه وقيل له ما أعمال الريب فقال كثرة الحرص والميل مع الرخصة وأخذ ما لا يضر فقده وطول الامل وخوف الفقر وتضييع الشكر وقال الحسن أدركت قوما لا يسألون الله تعالى الجنة حياء منه قال بعض المحققين استجلبت الحياء من قوله تعالى ألم تعلم بان الله يرى قال الحريري المتقدم تعامل القرن الاول من الناس فيما بينهم بالدين حتى رق الدين ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء حتى ذهب الوفاء ثم تعامل القرن الثالث بالمروأة حتى ذهبت المروأة ثم تعامل القرن الرابع بالحياء حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة وسئل الجنيد رحمة الله عليه عما يولد الحياء فقال رؤية العبد آلاء الله عليه ورؤية تقصيره في شكره قال صاحب مقامات العارفين والحياء يتولد من علم العبد بنظر الحق اليه فيجذبه الى تحمل المجاهدة ويحمله على استقباح الجناية ويكفيه عن الشكوى عند البلوى ويتولد أيضا عن العلم بالانعام ويدعو الى ركون المحبة

(باب الصدق) والاخلاص والاستقامة قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

الجماعة اثنان والثلاثة والاربعة أفضل والسياحة لا تحسن الا على الانفراد والوحدة فان اتفق ثلاثة في سياحة بقلب واحد وهم واحد على حال واحد فهم كعبد واحد فهو حسن وفيه معاونة على البر والتقوى قال الله عز وجل فمن منعه النصرة وحرمه منه الصحبة لا يستطيعون نصر أنفسهم ولاهم منا يصحبون فمن نصره الله على نفسه فقد صحبه ومن لم يصحبه سلط عليه نفسه وسخره لها وجملة الامر ان السفر عمل من الاعمال يحتاج الى نية واخلاص فمنه فرض وهو ما هرب به من معصية ومنه فضل وهو ما طلب به طاعة ومنه مباح وهو ما ضرب به في تجارة ومنه معصية وهو ما سعى به في فساد

(الفصل الثالث والاربعون) فيه كتاب حكم الامام ووصف الامامة والمأموم فان كان هذا المريد اماما لحيه كان عليه أن يقوم بحكم الامامة حتى يتمها فيستحق الامام بان يكون له مثل أجر من صلى خلفه بان يكون داعيا الى الله عز وجل قائما بين الله تعالى وبين عباده هو وجههم وطريقتهم اليه وفي الخبر انما الامام أمير فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفي الحديث فان تم فله ولهم وان نقص فعليه ولا عليهم وفي الخبر أئمتكم وفدكم الى الله عز وجل فان أردتم ان تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وفي الخبر المشهور الامام ضامن والمؤذن مؤتمن اللهم أرشد الائمة واغفر للمؤذنين وفي الحديث ثلاثة لا تقبل لهم صلاة وفي لفظ آخر لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق وامرأة زوجها عليها ساخط وامام قوم وهم له كارهون فاول ما عليه من الشروط أن يكون مجتنبا الفسوق والكبائر وغير مصر على الصغائر قارئا لكتاب الله عز وجل أو لما يحسن منه بغير لحن ولا احالة معنى عالما بفرائض الصلاة وسننها وما يفسدها وما يوجب السهو وما لا يوجبه منها وان حدث عليه حادثة في الصلاة أو ذكر انه على غير وضوء وورع واتقى الله عز وجل وخرج من صلاته وأخذ بيد أقرب الناس منه فاستخلفه في مقامه وقد أصاب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم امام الائمة في الصلاة فخرج منها وذلك انه ذكر انه كان جنبا فاغتسل ثم رجع فدخل في الصلاة فان كانت الحادثة في الصلاة فعل ذلك وان كان ذكر انه دخل في الصلاة على غير طهارة خرج ولم يستخلف وابتدأ القوم صلاتهم فليكن الامام مأمونا على طهارته باطنا كما هو مأمون في صلاته باقامتها اخلاصا بالامامة بين يديهم لوجه الله تعالى وما عنده ولا يحل له ان يأخذ على الصلاة أجرا ولا على الاذان الذي هو طريق اليها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي فقال واتخذ مؤذنا لا يأخذ على الاذان أجرا فهذا الداعي الى الصلاة لا يحل له ان يأخذ على دعائه أجرا فكيف المصلي القائم بين الله وبين عباده وقد كان بعض السلف يقول ليس بعد الانبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من أئمة المصلين لان هؤلاء قاموا بين الله تبارك وتعالى وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهي الصلاة وبهذه الحجة احتج علي رضي الله عنه في تقدمة أبي بكر رضي الله تعالى عنه للخلافة لما أهله رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا قال فنظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا للدنيا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وقال رجل يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن اماما قال لا أستطيع قال فصل بازاء الامام وقد كان بعض الورعين يورع عن الامامة لما فيها ولما على الامام من ثقلها وتحملها وكانوا يختارون الاذان على الامامة ويفضلونه عليها منهم كثير من الصحابة وعليه ان يراعي أوقات الصلوات ليصلي في أوائلها فيدرك رضوان الله عز وجل وبين فضل الصلاة في أول وقتها على الصلاة في آخر وقتها كفضل الآخرة على الدنيا كذلك روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث آخر ان العبد ليصلي الصلاة في آخر وقتها ولم يفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها وليتم الركوع والسجود والاعتدال والقعود وبينهما فيكون ذلك قريبا من السواء معتدلا كما حتى يدرك من وراءه من الضعفاء والمرضى فتلك كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغي أن يكون له ثلاث سكتات كذلك روى سمرة بن جندب وعمران بن حصين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب لئلا يقرؤا

وقال تعالى فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وتكلم القوم في حقيقة الصدق فقال بعضهم الصدق قول الحق في مواطن الهلكة وقيل حقيقة الصدق ان تصدق في موضع لا ينجيك منه الا الكذب وقال أبو سعيد القشيري الصادق الذي لا تستحي من سره لو كشف والصادق مأخوذ من الصدق والصديق مبالغة والصادق من صدق في أقواله والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله وقال أحمد بن خضرويه من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق فان الله تعالى قال ان الله مع الصادقين وضد الصدق الرياء والكذب قال سهل بن عبد الله لا يشم رائحة الصدق عبد مداهن وقال الغزالي لا يكمل الاخلاص الا بالصدق وقال الحرث المحاسبي رحمة الله عليه الصدق يكون في النية أولا ثم صدق اللسان ثم صدق العمل فاما صدق النية فهو ان لا يبدو في قلبه خوف عقاب ورجاء ثواب لا يريد العمل بذلك غير الله تعالى وأما صدق اللسان فهو ان يطلقه اذ قام له شاهد من الحق ان كان التخلف عن اللفظ وهنا وأما صدق العمل فالهجوم على ما عزم عليه من العمل فيتمه بالحرص عليه والخوف من ان يقطعه عنه قاطع *(فصل)* وسئل الحرث المحاسبي من أين تخرج الصدق قال من

في

فى قراءته فيكون عليه مانقص من صلاتهم فان لم يقرؤا فاتحة الكتاب فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك حينئذ عليهم وقد فعل هو ماعليه والسكتة الثانية اذا فرغ هو من قراءة الحمد ليتم من بقى عليه شئ من فاتحة الكتاب فى هذه السكتة وهى على النصف من السكتة الاولى والسكتة الثالثة اذا فرغ من قراءة السورة قبل ان يركع وهى أخفهن على النصف من السكتة الثانية لئلا يكون مواصلا فى صلاته بان يصل التكبيرة بالقراءة ويصل القراءة بالركوع فقد نهى عن ذلك وعلى المأموم أيضا ان لا يصل تكبيرة الاحرام ولا تسليمه بتسليم الامام وعليهما ان لا يصلا التسليمتين ليفصلا بينهما فقد نهى عن المواصلة فى الصلاة وهى فى هذه الخمس وعلى المأموم ان يكبر ويركع ويسجد ويرفع ويضع بعد الامام ولا يخرون سجدا حتى تقع جبهة الامام على الارض وهم قيام ثم يخرون بعده كذلك كانت صلاة الصحابة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يكبر حتى يعتدل الصف وراءه وليلتفت يمينا وشمالا فان كان أعوج أشار بيده وان رأى خللا أمر بسده فان تسوية الصف من تمام الصلاة وكانوا يحاذون بين المناكب ويتضامون فى الكعاب وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يتمون صلاتهم بعد ركوع الامام وسجوده وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يكبرون ويركعون ويسجدون معه مواصلة ومبادرة وطائفة تخرج بغير صلاة وهم الذين يرفعون ويضعون قبله فيسابقون امامهم وليقرأ فى صلاة الغداة بسورتين من المثانى وهى مادون المائة فان الاطالة فى قراءة الفجر والتغليس سنة ولا يضره خروجه منهما مسفرا اذا كان قد دخل فيهما مغلسا ولا أكره ان يقرأ فى الركعة الثانية منهما باواخر السور من نحو الثلاثين أو العشرين الى ان يختمها الان فى ذلك مزيد تذكرة وفضل تبصرة لانه يبعد طروقه على الاسماع لكثرة الاعتياد لتلاوة السور القصار فهى أدنى الى الانقطاع والتفكر وانما كره ان يقرأ من أولها كذلك ثم يقطع أو يقرأ من وسطها ثم يركع قبل ان يختمها هذا الذى كرهه بعض العلماء * وقد روينا ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروينا حديثا أشهر منه ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ فى ركعتى الفجر مائة من سورة البقرة قوله تعالى قولوا آمنا بالله الآية وفى الثانية ربنا آمنا بما أنزلت وفى رواية انه قرأ فيهما شهد الله انه لا اله الا هو وانه سمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت أو أصبت والخبر المشهور عن أبى بكر الصديق قال الصنابحى صليت خلفه المغرب فاصغيت اليه فى الركعة الثالثة فاذا هو يقرأ هذه الآية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية فكذلك يستحب ان يقرأ بهذه الآية خاصة فى الثالثة من صلاة المغرب وروينا عن ابن مسعود انه أم الناس فى صلاة العشاء الآخرة فقرأ فى الركعة الثانية بالعشر الاواخر من سورة آل عمران وانه قرأ أيضا فى هذه الصلاة باخر سورة الفرقان من قوله تبارك وتعالى تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وقد قال الفقهاء فى المستحب من القراءة بعد سورة الحمد من الزيادة عليها ان يقرأ ثلاث آيات من سورة وبعضهم يقول آيتين من سورة فان اكتفى بسورة الحمد أجزأه وقد روينا عن جابر بن زيد فقيه أهل البصرة وكان ابن عباس يستخلفه فى الفتيا ويأمران يستفتى انه افتتح الصلاة ثم قرأ الحمد ثم قال مدهامتان وركع وهذه أقصر آية فى كتاب الله عز وجل وبعدها ثم نظر وقد رأيت بعض الائمة فى جامع عظيم من جوامع المسلمين قرأ فى الركعة الثانية من صلاة العشاء الآخرة باخر سورة يونس وخلفه العلماء والاشهاد فما أنكر عليه أحد وليقرأ فى صلاة الظهر بطوال المفصل الى الثلاثين آية وفى صلاة العصر بوسط المفصل على نصف صلاة الظهر وفى المغرب باواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم المغرب قرأ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة والمرسلات ما صلى بعدها حتى قبض صلى الله عليه وسلم وقال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخف الناس صلاة فى تمام ثم قال أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالتخفيف فى الصلاة وان كان ليؤمنا بسورة والصافات وقد روينا عن

العلم بالله يعلم و يرى والصدق أصل سائر أعمال البر وعلى قدر قوة الصدق يزداد العبد فى أعمال البر فاذا وقر الصدق فى القلب سطع من ذلك نور وانتشر فى سائر جسده وأخذت كل جارحة بقسطها وسئل الحرث عن علامة الصدق فقال ان لا يبالى لو سقط قدره من قلوب جميع الخلق من أجل اصلاح قلبه ولا يحب اطلاع الناس على شئ من طاعاته ولا يكره ان يطلع الناس على اليسير من عمله فان كراهته لذلك دليل على انه يحب الزيادة عندهم وليس هذا من اخلاص الصادقين وقال ابراهيم بن شيبان اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك العدل واذا زادت السريرة على العلانية فذلك الصدق واذا زاد الظاهر على الباطن فذلك النفاق وقال ذو النون مدار الحكمة على ثلاثة أشياء الصدق والتصديق والتحقيق فالصدق باللسان والتصديق بالقلب والتحقيق بالجوارح وقال بعض الائمة للصدق مراتب شتى من بلغ فى جميعها مبلغ مراتب الكمال استحق اسم الصدق أولها الصدق فى القول فى جميع الاحوال ويتوقى المعاريض لانها تفهم خلاف الواقع الا ان يدعو الى ذلك غرض صحيح واعلم ان المصلى اذا تحرم بالصلاة وقال وجهت وجهى وفى قلبه فى تلك الحالة شئ سوى الله تعالى فهو كاذب لا بعد من الصادقين واذا قال مع ذلك اياك نعبد وهو مع ذلك عبد للدنيا أو لنفسه أو لغيره فهو

رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرخص اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الكبير والضعيف وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ماشاء وقد كان معاذ بن جبل يصلي بقوم صلاة عشاء الآخرة فافتتح بسورة البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه ثم انصرف فقالوا نافق الرجل ثم تشاكيا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى الرجل وزجر معاذ وقال افتان أنت اقرأ بسورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها وليسبح في ركوعه وسجوده سبعا أو خمسا ليدرك من وراءه ثلاثا ثلاثا لانهم يركعون ويسجدون بعده ورويناان أنس بن مالك لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ماصليت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل صلاة هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا وقدر وينا مجملا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنا نسبح وراءه في الركوع والسجود عشرا عشرا فان قرأ في الاخيرتين من الظهر والعصر وعشاء الآخرة بعد الحمد بسورة قصيرة أو آيتين من سورة فحسن ليدرك من وراءه قراءة الحمد على مهل وقد اختلف مذهب السلف في الامام يكون راكعا فيسمع خفق النعال هل ينتظر في ركوعه و يتوقف حتى يدخلوا في الركعة أولا يبالي بهم فقال بعضهم ينتظر حتى يلحقوا معه وممن اختاره الشعبي وقال آخرون لا ينتظرهم فان حرمة من معه في الصلاة أعظم من حرمة من تأخر عنها وقال بهذا ابراهيم النخعي وكذلك قال فقهاء الحجاز لا ينتظرهم فانه زيادة في الصلاة ومن الاخلاص بها ترك التوقف بها لاجلهم وقال بعض فقهاء الكوفة ان انتظرهم فحسن ليدركوا معه الجماعة فيكون له فضل ادراكهم وقد قدم عثمان القنوت قبل الركوع في صلاة الغداة ليدرك الناس الركوع والذي عندي في هذا التوسط وهو انه ينتظر فان سمع خفق نعالهم في أول ركوعه فلا بأس ان عد حتى يلحقوا وان سمعها في آخر ركوعه عند رفع رأسه لم أحب ان لا يزيد في الصلاة لاجلهم فليرفع ولا يبالي وأفضل التشهد عندي الذي رواه ابن مسعود وجابر وقد اختلفت الروايات في ألفاظ التشهد والذي اختاره وأقوله ما رويناه عن عبد الله باثبات الواوات وبتقديم اسم الله عز وجل في أوله وبزيادة المباركات فاكون بذلك جامعا بين جميع الروايات لان في حديث عمر ذكر المباركات وتأخير قوله لله عز وجل ومن رواية ابن عمر ذكر التسمية وقد رويناذلك في حديث الثوري عن أيمن بن وائل عن أبي الزبير عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول بسم الله وبالله التحيات لله والصلوات والطيبات لله عز وجل فهذا هو الافضل عندي لانه هو الاحوط ولدخول روايات الجماعات فيه ثم اختلفوا في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم بالاشارة اليه في السلام أو تركها فالذي اختاره السلام على النبي صلى الله عليه وسلم الى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين لانه قد جاء في بعض الاخبار كالتفسير لما ذكرناه قال كنا نقول اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته فلما قبض صلى الله عليه وسلم صرنا نقول السلام على النبي وفي كل الروايات قوله وأشهد ان محمدا عبده ورسوله فكذلك اختار الا في رواية عمر فانه ذكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثني بعض العلماء عن بعض الصالحين قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يارسول الله قد اختلف العلماء علينا في التشهد فبم نأخذ فقال التشهد هو الذي رواه ابن أم عبد ولا يدع ان يستعيذ في تشهده بالكلمات الخمس فيقول أعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر به والمسيح بنصب الميم مع التخفيف لانه قيل سمي كذلك معدول به من ماسح أي يمسح الارض مسحا لانه قيل تطوى له الارض وبعض أهل اللغة يقول عدل به عن ممسوح العين أي مطموسها والتكبير والتسليم جزم والاذان جزم وقد قيل ذلك واستحب ان يكون المؤذن غير الامام وقدر وينا الخبران رسول الله صلى الله عليه وسلم كره ان يكون الامام مؤذنا وقد كان عمر رضي الله عنه اذا ذكر فضل الاذان يقول لولا الامامة لاذنت وروينا عن النبي

كاذب لا يعد من الصادقين وكذلك قال المسيح عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم الثاني الصدق في النية وهو ان يتمحض في قلبه داعية الخير فان كان فيه شوب فقد فات الصدق ولهذا يقال هذا صادق الحموضة وهذا صادق الحلاوة اذا كان محضا فيرجع هذا الى نفس الاخلاص الثالث الصدق في العزم فان العبد قد يعزم على الصدق ان رزق مالا وعلى العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون على ضعف وتردد وتارة يكون عزما قويا لا تردد فيه فالجزم القوي يسمى صاحبه صادقا كما وجده عمر في نفسه رضي الله عنه حين قال لان أقدم فتضرب عنقي أحب الي من ان أتأمر على قوم فيهم أبو بكر رضي الله تعالى عنه ودرجات عزم الصديقين في القوة تتفاوت وأقصاها ان تنتهي الى الرضى بضرب الرقبة دون الحق الرابع من أقسام الصدق الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو بالعزم أولا ولكن ربما لا تفي بالعزم بان يتوانى لكون العزم هينا وانما الشدة في تحقيق العزم والوفاء به ولهذا قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه والخامس الصدق في الاعمال وذلك بان يكون الباطن موافق الظاهر ومعناه استواء السريرة والعلانية كالماشي على هدو يدل بحكمته على انه ذو وقار في باطنه فان لم يكن ذا وقار في باطنه فانه

صلى الله عليه وسلم الاذان الى المؤذن والاقامة الى الامام أى هو أملك بها وللمؤذن ان ينتظر الامام وليس على الامام والمأموم انتظار المؤذن اذا دخل الوقت ولا على المؤذن انتظار أحد اذا انتظر الامام ودخل الوقت والصلاة فى أول وقتها أفضل من انتظار الجماعة لها وأفضل من قراءة طوال السور فيها وقيل قد كانوا اذا حضر اثنان فى الصلاة لم ينتظر والثالث واذا حضر أربعة فى الجنازة لم ينتظروا الخامس وقيل انتظار المأموم مع شهود الامام مكروه والنعى بالميت والايذان به بدعة وقد تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلاة الفجر وكانوا فى سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدموا عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال أحسنتم هكذا فافعلوا وقد تأخر فى صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضى الله عنه حتى جاءوهم فى الصلاة فقام الى جانبه وليدخل فى الصلاة مكبرا اذا قال المؤذن قد قامت الصلاة ويكون الناس قد قاموا اذا قال المؤذن حى على الصلاة كذلك السنة وعليه كان السلف وروينا عن على عليه السلام وعبد الله وكانوا اذا قال المؤذن حى على الصلاة قام الناس للدعوة فاذا قال قد قامت الصلاة كبر الامام ويبقى المؤذن وحده يتم الاقامة ثم يدخل فى الصلاة والامام يقرأ سورة الحمد لان حقيقة قوله قد قامت الصلاة أى قد قام الناس للصلاة وقد قام المصلون لان الصلاة لا تقوم فاذا قاموا عند قوله قد قامت الصلاة كان المؤذن صادقا فى قوله وان كان جائزا على المجاز لقرب الوقت وظهور سبب القيام ولذلك كره ان يكون الامام مؤذنا لانه حينئذ يحتاج ان يكبر ويدخل الناس فى الصلاة عند قوله قد قامت الصلاة وكذلك جاء عن السلف من السنة ان يكون الاذان فى المنارة والاقامة فى المسجد ليقرب على المؤذن الدخول فى الصلاة وكذلك قال بلال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبقنى بآمين أى تمهل حتى أدرك التأمين معك الفضله اذ قد علم انه يسبقه بافتتاح الحمد وفى هذا دليل على صحة اختيارنا فيما ذكرناه من انتظار الامام لمن سمع خفق نعله اذا كان فى أول الركوع لقول بلال لا تسبقنى بآمين ولم يقل لا تسبقنى بالحمد ولا استحب للامام الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وان كانت آية من سورة الحمد فاكثر الروايات وأثبتها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك الجهر بها وانه الآخر من فعله فقد كانوا يأخذون بالآخر فالآخر من أفعاله صلى الله عليه وسلم ولانه مذهب أكثر العلماء وروينا عن ابن مسعود انه قال من السنة ان لا يخفى الامام أربعا سبحانك اللهم والاستعاذة وقراءة بسم الله الرحمن الرحيم والتأمين وقد روينا عن على كرم الله وجهه الجهر بها وعن ابن عباس ليس من السنة الجهر بها ولا أكره القنوت فى صلاة الغداة بالكلمات الثمانية التى رويت عن الحسن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقولها سرا ولا يرفع يديه لانها تجرى مجرى الدعاء وان ترك ذلك فحسن قد تركه أكثر الفقهاء واستحب ان يقرأ فى ليلة الجمعة وغداتها من السور ما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثين المشهور منهما انه كان يقرأ فى صلاة الغداة يوم الجمعة بسورة السجدة وهل أتى والحديث الآخر انه كان يقرأ فى صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وفى عشاء الآخرة بسورة الجمعة وسورة المنافقين واستحب ان يقول فى تشهده من الدعاء ما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة من الجوامع والكوامل اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم أسألك مما سألك منه محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك مما استعاذك منه محمد صلى الله عليه وسلم أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل اللهم ما قضيت لى من أمر فاجعل عاقبته رشدا ثم يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ويقول ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الآية ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وليس بعد هذا دعاء مفضل ولا كلام مأثور سوى ما ذكرناه آنفا من الاستعاذة بالكلمات الخمس وان اقتصر عليها أجزأته ويكره للامام ان يخص نفسه بدعاء دون من خلفه فان دعا فى صلاته فليجمع بالنون فيقول نسألك ونستعيذك وهو ينوى بذلك نفسه ومن خلفه وفى الخبر من أم قوما فلا يخص نفسه بدعوة دونهم فان اختار المريد التأذين على الامامة فقد قال بعض السلف من

مضيع كذاب قال عبد الواحد كان الحسن البصرى اذا أمر بشئ كان من أعمل الناس به واذا نهى عن شئ كان من أترك الناس له ولم أر أحدا قط أشبه سريرته بعلانيته منه ويحكى ان نحويا قال لصوفى وقد لحن كلامه ماهذا فقال له الصوفى انك أعربت فى كلامك فلم تلحن فيه وأهل عبادة الله تعالى أعربوا فى أعمالهم فلم يلحنوا فيها قلت يريد باعراب الاعمال صدقها واخلاصها ويريد باللحن فى الاعمال الرياء والتزين للناس فيها السادس وهو أعلى أبواب الصدق فى مقامات الدين كالصدق فى الخوف والرجاء والحب والرضا والتوكل وغيرها فان هذه المقامات لها أوائل وأواخر ولها حقائق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهذا هو الرضا الصادق قال بعض أهل المعرفة الصدق فى ثلاثة أشياء لا يتم الا بها صدق القلب يكون بالايمان وصدق النية بالاعمال وصدق اللسان فى الكلام ومن لم يكن فى قلبه صدق ولا اخلاص فهو منافق روى حذيفة رضى الله عنه قال حدثنا النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع الامانة وذكر من جملة الحديث انه يقال للرجل ما أظرفه وما أعقله وما فى قلبه مثقال حبة خردل من ايمان والمراد برفعها الردة والنفاق والانبياء تسمى الايمان أمانة قال عيسى عليه السلام لحوارييه احفظوا الامانة عند البلايا كما تحفظ الحية رأسها عند الضرب وقد حفظها الصحابة

العلماء ان الاذان أفضل من الامامة وان المؤذن أعظم أجرا لقول النبي صلى الله عليه وسلم الامام أمير ولقوله الامام ضامن فشبهها بالامارة والضمان ثم قال فان نقص فعليه لا عليهم فالاذان أسلم ولعله لا يقوم بحكم الامامة ولا يتم وصف الامام فيكون عليه بعض صلاة المصلين كما يكون له أيضا في الاتمام أجورهم وأيضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا للمؤذنين دعاء هو أمدح من دعائه للامام بقوله اللهم ارشد الائمة واغفر للمؤذنين وبقوله يغفر للمؤذن مدى صوته ويشهد له كل رطب ويابس ووصفه أيضا بوصف هو أبلغ فقال المؤذن مؤتمن وفي لفظ آخر مؤذنوكم أمناؤكم وأئمتكم ضمناؤكم فالامين أرفع حالا من الضامن لان الضامن غارم وقد لا يكون أمينا والامين ليس غارما ولا ضمان عليه ومن هذا كره سهل بن سعد الساعدي الامامة قال أبو حازم قلت لسهل بن سعد وكان يقدم فتيان قومه يصلون به فقلت انت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولك من السابقة والفضل لو تقدمت فصليت بقومك فقال يا ابن أخي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الامام ضامن فاكره أن أكون ضامنا وفي الخبر من أذن في مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك يفزع الناس ولا يفزعون حتى يقضى بين الخلائق رجل قرأ القرآن فاداه الى الله سبحانه وتعالى بما فيه ورجل أذن في مسجد ابتغاء وجه الله تعالى ورجل ابتلي بالرق في الدنيا فاطاع الله عز وجل وأطاع مواليه وروينا في تفسير قوله تعالى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال نزلت في المؤذنين وعمل صالحا قال الصلاة بين الاذان والاقامة ويستحب اذا فرغ المؤذن من الاذان ان يقول وأنا من المسلمين الحمد لله رب العالمين وتلا قوله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين وقوله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فاستحب ان يصلي المؤذن بين الاذان والاقامة أربعا وان يجتهد في الدعاء قال وكان السلف يكرهون أربعا ويدافعونها عنهم الامامة والفتيا والوصية والوديعة وقال بعضهم ما شئ أحب الي من الصلاة في جماعة وأكون ماموما فاكفى سهوها ويتحمل غيري ثقلها ولكن اذا أقيمت الصلاة فليتقدم من أمر بالتقدم ولا يتدافعونها فقد جاء في العلم ان قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم ولكن لا يقيم المؤذن حتى يحضر الامام ولا ينتظروا الامام قياما فانه مكروه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوموا حتى تروني وكان بشر بن الحارث يقول من أراد سلامة الدنيا وعز الآخرة فليجتنب أربعا لا يحدث ولا يشهد ولا يؤم ولا يفتي وفي بعضها ولا يجيب دعوة وقال مرة ولا يقبل هدية وهذا من تشديده والذي اختاره من التاذين والاقامة مذهب أهل الحجاز بتثنية الاذان بالترجيع وافراد الاقامة وان يزيد في اذان الفجر الصلاة خير من النوم مرتين وان يؤذن لها قبل دخول الوقت خاصة ليتاهب لها المصلون وانما هي الصلاة الوسطى الا ان يتفقوا على صحة الحديث شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر فليدع الاختيار للآثار وان يمد المؤذن صوته ويرفعه جهده ويترسل اذانه وقيل كانوا يستحبون خفض الصوت في كل موطن الا في موضعين في الاذان وعند التلبية وفي الخبر يمهل المؤذن بين اذانه واقامته قدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره فهذا توقيت من مقدار المصلين بين الاذانين فمن كانت به حاجة الى هذين فليقدم ذلك قبل دخوله في الصلاة لئلا يشغله شئ عن صلاته ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مدافعة الاخبثين في الصلاة وأمر بتبدئة العشاء في قوله اذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء ذلك ليكون القلب فارغا لما به خاليا من نوائبه فذلك من اقامة الصلاة وتمامها وأكره الامامة لمن كثر سهوه في الصلاة أودام اشتغال قلبه عن فهم المناجاة أو لمن علم ان وراءه من هو أقرأ منه أو أفقه في الدين والعلم وان كان هو عابدا صالحا أو لفقيه بالعلم اذا كان وراءه أتقى منه وأصلح وأورع بعد ان يكون مؤديا بالفرض التلاوة ولا يؤم الامي القراء ولا الاعجمي الفصحاء ولا المتيممون المتوضئين وان اتفق أميون قدم أقرؤهم وان حضر أئمة قراء فليتقدم أفقههم بالعلم وان اتفق رجلان أحدهما قد جمع كل القرآن الا ان الآخر أحسن تجويدا وتثقيفا لما يقرأ منه وليس يحفظ جميعه فليتقدم أقومهم قراءة اذا كان

عند البلايا كبلال وحبان وصهيب ومصعب بن عمير وخبيب وعمار وغيرهم فان منهم من قتل في الله تعالى ولم يتحرك قلبه عن الايمان قدر ذرة ولا أقل من ذرة ومنهم من عذب في الله تعالى ولم يتحرك قلبه فصبر واحتمل البلايا وحفظ ايمانه واعلم ان الصدق على أقسام الاول الصدق في القصد والنية وبه يصلح الدخول في الطاعات كلها وهو روح الاعمال وعمارة كل قلب خراب والثاني ان لا يتمنى الحياة الا للحق تعالى كما حكى عن بعض أصحاب عبد الله بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا أحب البقاء في الدنيا الا لاعفر وجهي بالتراب على الارض لله تعالى يريد بذلك السجود لله تعالى في الصلاة وغيرها ولا يشهد من نفسه الا التقصير في الطاعة ولا يلتفت الى ترقبه الرخص

*(فصل) وأما الاخلاص فقال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى ألا لله الدين الخالص والاخلاص افراد الحق في الطاعة بالقصد وهو أن يريد بطاعة الله تعالى التقرب اليه دون شئ آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس أو غير ذلك من خصوص اليقين وقال بعضهم الاخلاص ان تكتفي بعلم الله تعالى لمعاملتك وقال أبو علي الدقاق الاخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق والصدق التنقي عن ملاحظة النفس فالمخلص لارياء له والصادق

عالما

عالما بالصلاة وفى الخبر يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل فان كانوا فى القراءة سواء فأفقههم فى الدين فان كانوا فى الفقه سواء فأكبرهم سنا فاذلك الامر الرجل أحق بالامامة اذا كان فى منزله الا ان يأذن واستحب للامام اذا سلم ان يسرع الانفتال بوجهه الى الناس وأكره للمأموم القيام قبل انفتال امامه فقد روينا فى ذلك سنة حسنة عن طلحة والزبير انهما صليا فى البصرة خلف امام فلما سلما قالا للامام ما أحسن صلاتك وأتمها كما كنا نصلى الا شيئا واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالوا للناس ما أحسن ما صليتم الا انكم انصرفتم قبل ان ينفتل امامكم ومن كرهه جيرانه او كرهه من وراءه من المأمومين فلا يحل له ان يتقدم فان اختلفوا او كرهه قوم وأحبه آخرون نظر الى أهل الدين والعلم منهم فحكم بقولهم ولا يعتبر الاكثر اذا كان الاقلون هو الاخير ولا يصلى خلف مبتدع فمن صلى خلف مبتدع ولا يعلم فليعد ومن سمع الاذان من مسجد وهو فى طريق يمشى فليدخل فليصل ولا يؤخر الى مسجد آخر الا لاحد معنيين ان يكون على يقين من لحوق امام آخر أفضل من هذا أو يكون يعرف هذا ببدعة أو فسوق والا فالصلاة مع أول من قام بها من المسلمين أفضل وفى الخبر لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وفى جار المسجد قولان أحدهما من سمع الاذان وروى هذا عن على عليه السلام والثانى من كان بينه وبين المسجد ثلاث دور وهو الرابع والتشديد فى ترك الجماعة على من سمع التأذين ومن كان فى جنبه مسجدان فأولاهما بالصلاة فيه أقربهما منه وهذا مذهب الحسن الا ان يكون له نية فى كثرة الخطا الى الابعد أو يكون امام الابعد هو الافضل وقيل أقدمهما وروى هذا عن أنس بن مالك وبعض الصحابة انهم كانوا يجاوزون المساجد المحدثة الى العتق ومن كان مأموما فلا يقرأ سورة مع الحمد فيما يجهر به الامام أصلا ولا يقرأ الحمد أيضا الا فى سكتات الامام وان قطعها فان لم يكن للامام سكتات قرأ الحمد فقط فيما يجهر به الامام وكان ما عليه من وزر قراءته فى قراءة الامام على امامه لانه قد نقص صلاته وترك ما عليه فالله عز وجل حسيبه فاذا أسر الامام فليقرأ الحمد وسورة اذا أمكنه ولا بد من قراءة الحمد وحدها واستحب للامام ان يتحول اذا صلى المكتوبة فلا يصلى فى موضعه نافلة ففى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم وثب وكان أبو بكر رضى الله عنه اذا سلم وثب وكان عمر رضى الله عنه اذا سلم وثب وفى الخبر المشهور انه لم يكن يقعد الا قدر قوله اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام ثم ينصرف وان تحول المأموم فصلى النافلة فى غير مكان الفريضة ولو بقدم فحسن ففى ذلك أثر فان جلسا قليلا للتسبيح والدعاء فلا بأس وهذا آخر كتاب الامامة

(الفصل الرابع والاربعون فى كتاب الاخوة فى الله تبارك وتعالى والصحبة والمحبة للاخوان فيه وأحكام المؤاخاة وأوصاف المحبين) ذكر الله عز وجل عباده المؤمنين نعمته عليهم فى الدين اذ ألف بين قلوبهم بعد ان كانوا متفرقين فاصبحوا بنعمته اخوانا بالالفة متفقين وعلى البر والتقوى مصطحبين ثم ضم التذكرة بالنعمة عليهم الى تقواه وأمر بالاعتصام بحبله وهداه ونهى عن التفرق اذ جمعتهم الدار وقرن ذلك بالمنة منه عليهم اذ أنقذهم من شفا حفرة النار وقد جعل ذلك كله من آياته الدالة عليه سبحانه وتعالى وسبله الواصلة بالهداية اليه فقال فى جمل ما شرحناه يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تفرقوا الى ولعلكم تهتدون وقد كانت المؤاخاة فى الله تعالى والصحبة لاجله والمحبة له فى الحضر والسفر طرائق للعاملين فى كل طريق فريق لما فى ذلك من الفضل ولما جاء فيه من الامر والندب اذ كان الحب فى الله عز وجل من أوثق عرى الايمان وكانت الالفة والصحبة لاجله والمحبة والتزاور من أحسن أسباب المتقين وقد كثرت الاخبار فى تفضيل ذلك والحث عليه وليس قصدنا الجمع لما روى لميلنا الى الايجاز فى كل فن ولكن نذكر الافعال المستحسنة وما تعلق بها مما لا بد منه على ان رأى التابعين قد اختلف فى التعرف فمنهم من كان يقول أقلل من المعارف فانه أسلم لدينك وأقل غدا لفضيحتك وأخف لسقوط الحقوق عنك لانه يقال كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وكلما طالت الصحبة توكدت المراعاة وقال بعضهم

لاعجابه وقال بعضهم الخالص من العمل ما خلص من الآفات ونريد بالآفات مفسدات الاعمال كالعجب والرياء والمن والاذى ومنه الطمع فى العرض مطلقا على رأى المحققين والاخلاص مخرجه من طريق الرغبة والرهبة قال الحرث المحاسبي العمل الصالح له أصول فى القلب مغطاة عن الخلق فاذا سلم من شوائب الرياء والشرك الخفى وزكى العمل وطهر عن الادناس أثمر لصاحبه الثواب واذا أبدى عمله للخلق دخله الرياء والعجب وحب المحمدة وبطل ثوابه ومثل ذلك فى الشجرة اذا تبين عروقها انقطعت عن شربها وذبل أغصانها وجف ورقها وانقطعت ثمرتها واذا غاصت عروقها فى الارض وغابت عن الناظر من كثر شربها وجرى الماء فى أغصانها واخضر ورقها وأينعت ثمرتها وعلامة الاخلاص كما قال ذو النون استواء المدح والذم من العامة ونسيان رؤية الاعمال وترك اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة وسئل سهل بن عبد الله عن أى الاعمال أشد على النفس فقال الاخلاص لانه ليس لها فيه نصيب وصلى سهل الجمعة ثم خرج من الجامع فوقف ينظر الى الناس وهم يخرجون فقال أهل لا اله الا الله كثير ون والمخلصون منهم قليلون وقال بعض العمال ما أكثر من يتكلم وما أقل من يعمل وما أكثر من يعمل وما أقل من يخلص وقال مكحول ما أخلص عبد لله أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة

هل رأيت شرا الا ممن تعرف فكلما نقص من هذا فهو خير وقال بعضهم أنكر من تعرف ولا تتعرف الى من لا تعرف وممن مال الى هذا الرأى سفيان الثورى وابراهيم بن أدهم وداود الطائى والفضيل بن عياض وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط وحذيفة المرعشى وبشر الحافى وقال أكثر التابعين باستحباب كثرة الاخوان فى الله عز وجل بالتأليف والتحبب الى المؤمنين لان ذلك زين فى الرخاء وعون فى الشدائد وتعاون على البر والتقوى والفقه فى الدين وقال بعضهم استكثر من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك تدخل فى شفاعة أخيك وكانوا يأمرون بالاخوة ويتحاضون على الالفة ويقال اذا غفر للعبد شفع فى اخوانه وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا غريبا فى تفسير قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله قال يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم وممن مال الى هذا الطريق ابن المسيب والشعبى وابن أبى ليلى وهشام بن عروة وابن شبرمة وشريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك والشافعى وأحمد بن حنبل ومن وافقهم وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أقربكم منى مجلسا أحاسنكم اخلاقا الموطؤن أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وروينا عنه صلى الله عليه وسلم المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وقد قيل أول ما يرفع من هذه الامة الخشوع ثم الورع ثم الامانة ثم الالفة وفى الخبر من أراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وروينا فى خبر مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى وما التقى مؤمنان الا أفاد الله عز وجل أحدهما من صاحبه خيرا وروينا فى خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من آخى أخا فى الله عز وجل رفعه الله عز وجل درجة فى الجنة لا ينالها بشئ من عمله ويقال ان الاخوين فى الله عز وجل اذا كان أحدهما أعلى مقاما من الآخر رفع الآخر معه الى مقامه وانه يلحق به كما تلحق الذرية بالابوين والاهل بعضهم ببعض لان الاخوة عمل كالولادة وقد قال الله سبحانه بعد قوله ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ أى وما نقصناهم وقال تعالى مخبرا عمن لا صديق له حميم تنفعه شفاعته فما لنا من شافعين ولا صديق حميم ومعنى حميم أى هميم أبدلت الحاء هاء لتقاربهما مأخوذ من الاهتمام أى مهتم بأمره ففيه دليل ان الصديق لك هو المهتم بك وان الاهتمام حقيقة الصداقة وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن كثير بأخيه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما أعطى عبد بعد الاسلام خيرا من أخ صالح وقال أيضا اذا رأى أحدكم ودا من أخيه فليتمسك به فقلما تصيب ذلك وقد قال بعض الحكماء فى معناه كلاما منظوما شعر

ما نالت النفس على بغية ✱ ألذ من ود صديق أمين
من فاته ود أخ صالح ✱ فذلك المقطوع منه الوتين

وقد يروى هذا المصراع الثانى فذلك المغبون حقا يقين وروينا فى الاخبار السابقة ان الله تبارك وتعالى أوحى الى موسى عليه السلام يا ابن عمران كن يقظان وارتد لنفسك اخوانا وكل خدن وصاحب لا يوازرك على مسرتى فهو لك عدو وفى خبر غيره عن داود عليه السلام ان الله سبحانه وتعالى أوحى اليه يا داود مالى أراك منتبذا وحدانا قال الهى قليت الخلق من أجلك فأوحى الله عز وجل اليه يا داود كن يقظانا مرتادا لنفسك اخوانا فكل خدن لا يوافقك على مسرتى فلا تصحبه فانه لك عدو يقسى قلبك ويباعدك منى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا مؤالفين ولا تكونوا متنافرين وفى الحديث ان أحبكم الى الله عز وجل الذين يألفون ويؤلفون وان أبغضكم الى الله عز وجل المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاخوان وفى أخبار داود صلى الله عليه وسلم أنه قال يا رب كيف لى أن يحبنى الناس كلهم وأسلم فيما بينى وبينك قال خالق الناس بأخلاقهم وأحسن فيما بينى وبينك وفى بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق الدنيا وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة وقال الشعبى عن صعصعة بن صوحان انه قال لابن أخيه زيد انا كنت أحب الى أبيك منك وأنت أحب الى من ابنى خصلتان أوصيك بهما فاحفظهما خالص المؤمن مخالصة وخالق

من قلبه وقال بعض الاكابر طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى وكان بعضهم يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصى تخلصى واعلم ان العمل اذا غلبت فيه الشوائب بطل ذلك العمل فان كان الشوب مساويا أو مغلوبا بطل الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وخلوص أصلها على انتفاء الشوائب كلها فيه كلام للمحققين وأشار كثير منهم الى انعقاد العبادة وقال بعض أهل المعارف العمل بلا اخلاص كبدن بلا روح

(فصل) فى حقيقة النية اعلم أن حقيقة النية هى الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة عن المعرفة وبيان ذلك ان جميع الاعمال لا تصح الا بالقدرة والارادة والعلم فالعلم بما فى الفعل من الخير يهيج الارادة والارادة باعثة على تعليق القدرة بالفعل فالقدرة خادمة للارادة بتحريك الجوارح فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة على التعليق بالعمل فالنية اذا عبارة عن الارادة الباعثة للقدرة على الفعل ومعنى اخلاص النية تصفية هذا الباعث عن الشوائب واعلم ان النية لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغى ان تغتر فتقول بلسانك وقلبك نويت كذا وكذا وتظن انك نويت فانك قد عرفت ان النية هى الباعث المحرك الذى لولاه لم يتصور وجود العمل وقول القائل ذلك انما هو حديث نفس لا نية ولا تتمحض النية وتنتفى الشوائب عن العمل من القلب الا ان قوى الايمان وتمت المعرفة

الفاجر مخالطة فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه لحق عليك ان تخالص المؤمن وقد قال أبو الدرداء قبله انا لنشكر فى وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم فعنى هذا على التقية والمداراة ليدفع بذلك شره وأذاه كما جاء فى تفسير قوله تعالى ادفع بالتى هى أحسن قيل السلام فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وكان ابن عباس يقول فى معنى قوله عز وجل ويدرؤن بالحسنة السيئة قال يدفعون الفحش والاذى وهو السيئة بالسلام والمداراة وهو الحسنة وقد كان أفضل الحسنات اكرام الجلساء ومنه قوله عز وجل ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض قيل بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة وكذلك معنى قولهم خالص المؤمن وخالق الفاجر فالمخالصة بالقلوب من المودة واعتقاد المؤاخاة فى الله عز وجل والمخالفة المخالطة فى المعاملة والمبايعة وعند اللقاء وكذلك جاء مفسرا خالطوا الناس بأعمالهم وزايلوهم فى القلوب وقد قال محمد بن الحنفية بن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله عز وجل له منه فرجا فمعاملة غير تقى ومكالمته من أحوال الاضطرار ومعاشرة التقى ومصافاته من حسن الاختيار وفى أخبار موسى عليه السلام فيما أوحى الله عز وجل اليه ان أطعتنى فما أكثر اخوانك من المؤمنين المعنى ان واسيت الناس وأشفقت عليهم وسلم قلبك لهم ولم تحسدهم كثر اخوانك ويقال ان أحد الاخوين فى الله عز وجل اذا مات قبل صاحبه وقيل له ادخل الجنة سأل عن منزل أخيه فان كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منازله قال ولا يزال يسأل له من كذا وكذا فيقال انه لم يكن يعمل مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى وله قال فيعطى جميع ما سأل له ويرفع أخوه الى درجته معه فقد كانوا يتواخون ويتعارفون المنافع الآخرة الباقية لا لمرافقة الدنيا الفانية وأفضل الاخوة كما قال بعض العلماء المحبة الدائمة والالفة اللازمة من قبل ان الاخوة والمحبة عمل وكل عمل يحتاج الى حسن خاتمة به ليتم العمل فيكمل أجره فان لم يختم له بالآخرة ولم يحسن عاقبة الصحبة والمحبة فقد أدركه سوء الخاتمة بطل عنه ما كان قبل ذلك فقد يصطحب الاثنان ويتواخى الرجلان عشرين سنة ثم لا يختم لهما بحسن الاخوة فيحبط بذلك ما سلف من الصحبة فلذلك شرط العالم المحبة الدائمة والالفة اللازمة الى الوفاة ليختم له به ويقال ما حسد العدو متعاونين على بر حسده متواخيين فى الله عز وجل ومتحابين فيه فانه يجهد نفسه ويحث قبيله على افساد ما بينهما وقد قال الصادق عز وجل وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن ان الشيطان ينزغ بينهم يعنى يقولون الكلمة الحسنة بعد نزغ الشيطان وقال عز وجل مخبرا عن يوسف عليه السلام من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى وقد يقال ما تواخى اثنان فى الله عز وجل ففرق بينهما الا بذنب يرتكبه أحدهما فقال بشر اذا قصر العبد فى طاعة الله تبارك وتعالى سلبه الله عز وجل من يؤنسه ويقال للعدو شيطان قد وكله بالتفريق بين المتواخيين ليس له عمل الا ذلك قد تفرغ له ومن علامة التقى حسن المقال عند التفرق وجميل البشر عند التقاطع أنشدنا بعض العلماء الحكماء فى معناه

ان الكريم اذا تقضى وده * يخفى القبيح ويظهر الاحسانا

وترى اللئيم اذا تصرم حبله * يخفى الجميل ويظهر البهتانا

فوصف الكريم فى هذا المعنى التخلق بخلق الربوبية ألم تسمع الى الدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أوله يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر فكذلك صفات المؤمنين على معانى أخلاق المؤمن الاعلى وقد كان أبو الدرداء يقول معاتبة الصديق خير من فقده ومن لك بأخيك كله هن لأخيك ولن له ولا تطع الشيطان فى أمره غدا أو فيه الموت فيكفيك فقده كيف تبكيه بعد الموت وفى الحياة تركت وصله وقد روينا عن على عليه السلام أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه معناه لا يكن حبك كلفا وبغضك تلفا قال اسلم قلت وكيف ذلك قال اذا أحببت فلا تكلف كما يكلف الصبى بالشىء يحبه واذا أبغضت فلا تبغض بغضا تحب ان يتلف صاحبك ويهلك وفى وصية عمر بن الخطاب رضى الله عنه التى رويناها

بحقارة الحظوظ الدنيوية وعظيم ثواب الآخرة فاذا غلب ذلك على قلبك انبعثت منك الرغبة ضرورة الى كل ما هو وسيلة الى ثواب الآخرة وان لم تنبعث منك هذه الرغبة فلا نية لك * (فصل) * قد تقدم ان الاخلاص للعبد هو ان يراد الله تعالى بالقصد فى الفعل فلا تعمل لله لقصد الثواب ولا لدفع العقاب بل لتؤدى واجب الربوبية قال صلى الله عليه وسلم لا يكون أحدكم كالعبد ولا كالاجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل وفى أخبار داود عليه السلام ان أود الاوداء الى من عبدنى بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقها وفى الزبور ومن أظلم ممن عبدنى لجنة أو نار لو لم أخلق جنة ولا نارا ألم أكن أهلا لان أطاع أو كما قال وقد أقيم فى هذا المقام جماعة من التابعين منهم أبو حازم كان يقول انى لأستحى ان أعبده رجاء الثواب فأكون كالأجير السوء ان لم يعط أجره لم يعمل ولكن أعبده محبة له واجلالا قال المحققون وعلامة الاخلاص محبة الخلوات لمناجاة الله تعالى وقلة التعرف الى الخلق لعبودية الله تعالى وكراهة علم الخلق فى معاملة الله وقال بعضهم علامة الاخلاص ثلاثة أحدها ان يخاف المحمدة لئلا يبطل عمله ويضيع عمره فى الاعمال الرديئة والثانى لا يخاف ملامة الناس لان من خاف ملامة الناس ترك كثيرا من أعمال الخير وكلام الحق والثالث لا يحب المعذرة لان صاحب المعذرة لا يكون مخلصا * (فصل) * وأما

عن يحيى بن سعيد الانصاري عن سعيد بن المسيب قال قال عمر رضي الله عنه عليك باخوان الصدق تعش في أكنافهم فانهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء وضع أمر اخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا أمين الا من خشي الله عز وجل ولا تصحب الفاجر فتعلم فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في أمرك الذين يخشون الله تبارك وتعالى وحدثونا عن ابراهيم ابن سعيد قال حدثنا يحيى بن أكثم قال حدثت المأمون أمير المؤمنين فقلت له حدثني سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن أبجر قال لما حضرت علقمة العطاردي الوفاة دعا بابنه فقال يا بني ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من اذا خدمته صانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بخير مدها وان رأى منك حسنة عدها وان رأى منك سيئة سدها اصحب من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أمرك وان تنازعتما آثرك قال ابن أكثم فقال المأمون وأين هذا وقيل للاحنف بن قيس أي اخوانك أحب اليك فقال من يسد خللي ويستر زللي ويقبل عللي وحدثونا عن الاصمعي قال حدثنا العلاء بن جرير عن أبيه قال قال الاحنف من حق الصديق أن يحتمل له ثلاث أن يجاوز عن ظلم الغضب وظلم الهفوة وظلم الدالة وقال الاخاء جوهرة رقيقة فهي مالم توق عليها وتحرسها كانت معرضة للآفات فارض الاخاء بالذلة حتى تصل الى فوقه وبالكظم حتى تعتذر الى من ظلمك وبالرضا حتى لا تستكثر من نفسك الفضل ولا من أخيك التقصير ويقال من لم يظلم نفسه للناس ويتظالم لهم ويتغافل عنهم لم يسلم منهم وكان أسماء بن خارجة الفزاري يقول ما شتمت أحدا قط لانه انما يسأمني أحد رجلين كريم كانت منه زلة وهفوة فانا أحق من غفرها وآخذ عليها بالفضل فيها أو لئيم فلم أكن أجعل عرضي له غرضا ثم تمثل شعر

واغفر عوراء الكريم اصطناعه * واعرض عن ذات اللئيم تكرما

وأنشدونا لمحمد بن عامر في الاخوان شعر

فلا تجهل على أحد بظلم * فان الظلم مرتعه وخيم
ولا تفحش وان ملئت غيظا * على أحد فان الفحش لوم
ولا تقطع اخالك عند ذنب * فان الذنب يغفره الكريم
ولكن داو عوره برقع * كما قد يرقع الخلق القديم
ولا تجزع لريب الدهر واصبر * فان الصبر في العقبى سليم

وأنشدونا في معناه عن أحمد بن يحيى بن ثعلب قال أنشدني عبد الله بن شبيب

اخاء الناس ممتزج * وأكثر فعلهم سمج
فان بدهتك مقطعة * فليس وراءهم فرج
فقومهم بوصلهم * فان لم يوصلوا اعتوجوا
صروف الدهر دائبة * تقطع دونها المهج

وروينا عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم لا تسعون الناس باموالكم ولكن ليسعهم منكم بسط وجوه وحسن خلق وعن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل خذ العفو وأمر بالعرف قال خذ من أخلاق الناس ومن أعمالهم ما ظهر من غير تحسس وقد أنشدنا بعض الحكماء في ذلك

خذ من خليلك ما صفا * وذر الذي فيه الكدر
فالعمر أقصر من معا * تبة الخليل على الغير

ومن عرف فضل الاخوة في الله عز وجل وعلم درجة المحبة لله تعالى صبر لاخيه وشكر له وحلم عنه واحتمل له لينال ما أمله من مؤمله فيه ويبلغ ما طلبه ممن طالبه به فان الصبر يحتاج اليه ليتم العمل والشكر لابد له منه لدوام النعمة ومن طلب نفيسا خاطر بنفيس ومن رغب في رغيبة بذل لها مرغوبا والله عز وجل الموفق من يحب لما يحب وروينا في حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المتحابون في الله عز وجل على عمود من ياقوتة حمراء في رأس العمود سبعون ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يضيء حسنهم لاهل

الجنة

الاستقامة فقال الله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وقال صلى الله عليه وسلم في كلام له مع بعض أصحابه قل آمنت بالله ثم استقم والاستقامة روح تحيا بها الاعمال كما تربو للعامة عليها الاعمال والاستقامة ان لا يتجاوز حد الاخلاص ولا يخالف نهج السنة وقال بعض المحققين الاستقامة في الاقوال بترك الغيبة وفي الافعال بنفي البدعة وفي الاعمال بترك الفترة وفي الاحوال بترك الحجة

*(باب الصبر والشكر) قد ذكر الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في نحو من سبعين موضعا وأثنى على أهله وأضاف اليه أكثر الخيرات والدرجات فقال تعالى وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وقال تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا أجرهم باحسن ما كانوا يعملون وقال تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب والصبر الشرعي عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وذلك ان الله تعالى خلق الانسان ابتداء الصبا ناقصا كالبهيمة ليس فيه الا شهوة الغذاء الذي هو محتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب واللهو ثم شهوة النكاح وليس فيه قوة الصبر اذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما وليس في الصبي الا جند الهوى فاذا تحرك فيه العقل

الجنة كما تضىء الشمس لاهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء المتحابون فى الله عز وجل وروينا فى حديث معاذ وقد قال له أبو ادريس الخولانى انى لاحبك فى الله عز وجل فقال له ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيامة ووجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم أولياء الله عز وجل الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله قال هم المتحابون فى الله عز وجل ورواه أبو هريرة فقال فيه ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء فقالوا يا رسول الله حلهم لنا فقال هم المتحابون فى الله عز وجل والمتجالسون فى الله تعالى والمتزاورون فى الله تعالى وروينا فى حديث عبادة بن الصامت يقول الله عز وجل حقت محبتى للمتحابين فىّ والمتزاورين فىّ والمتباذلين والمتصادقين فىّ وكان ابن مسعود يقول فى قوله عز وجل لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم قال نزلت هذه الآية فى المتحابين فى الله عز وجل وأبو بشر عن مجاهد قال المتحابون فى الله عز وجل اذا التقوا فكشر بعضهم الى بعض تتحات عنهم الخطايا كما يتحات ورق الشجر فى الشتاء اذا يبس وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله عز وجل فى ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله منهم كذا واثنان تواخيا فى الله عز وجل اجتمعا على ذلك وتفرقا وكان الفضيل بن عياض وغيره يقول نظر الاخ الى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة فلا تصح المحبة فى الله عز وجل الا بشرط فيهما من الرحمة فى الاجتماع والخلطة عند الافتراق بظهور النصيحة واجتناب الغيبة وتمام الوفاء ووجود الانس وفقد الجفاء وارتفاع الوحشة ووجود الانبساط وزوال الاحتشام وكان الفضيل يقول اذا وقعت الغيبة ارتفعت الاخوة وقال الجنيد ما تواخى اثنان فى الله عز وجل فاستوحش أحدهما من صاحبه واحتشم منه الا لعلة فى أحدهما ومن ذلك ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم ما تحاب اثنان فى الله عز وجل الا كان أحبهما الى الله عز وجل أشدهما حبا لصاحبه وفى خبر كان أفضلهما وفى الخبر الآخر أحب الاخوان الى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه وفى الخبر المشهور لا يذوق العبد طعم الايمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله وقال ابن عباس فى وصيته لمجاهد ولا تذكر أخاك اذا تغيب عنك الا بمثل ما تحب أن تذكر به اذا غبت واعفه مما تحب أن تعفى به وكان بعضهم يقول ما ذكر أخى عندى فى غيب الا مثلته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمع فى حضوره وقال آخر ما ذكر أخ لى فى غيبة الا تصورت نفسى فى صورته فقلت فيه ما أحب أن يقال فىّ فهذا حقيقة فى صدق الاسلام لا يكون مسلما حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وقال بعض الادباء من اقتضى من اخوانه ما لا يقتضون منه فقد ظلمهم ومن اقتضى منهم ما يقتضون منه فقد أتعبهم ومن لم يقتضهم فقد تفضل عليهم وبمعناه روينا عن بعض الحكماء من جعل نفسه فوق قدره عند الاخوان اثم وأثموا ومن جعل نفسه فى قدره تعب وأتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا فلذلك عز فى الناس الاخوة فى الله عز وجل قديما لان هذا حقيقتها فروى فى الاخبار اثنان عزيزان ولا يزدادان الا عزة درهم حلال وأخ تسكن اليه وقيل تأنس به وقال يحيى بن معاذ رحمه الله ثلاثة عزيزة فى وقتنا هذا كرمها حسن الاخاء مع الوفاء يعنى بالوفاء أن يكون له فى غيبته ومن حيث لا يعلم ولا يبلغه مثل ما كان له فى شهوده ومعاشرته ويكون له بعد موته ولاهله من بعده كما كان له فى حياته فهذا هو الوفاء وهو الذى شرطه النبى صلى الله عليه وسلم للمؤاخاة فى قوله اجتمعا على ذلك أو تفرقا وجعل جزاءه اظلال العرش يوم القيامة وكذلك قال بعض الادباء قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره فى حال الحياة وكذلك كان السلف فيما ذكره الحسن وغيره قالوا كان أحدهم يخلف أخاه فى عياله بعد موته أربعين سنة لا يفقدون الا وجهه ويقال ان مسروقا ادان دينا ثقيلا وكان على أخيه خيثمة دين قال فذهب مسروق فقضى دين خيثمة وهو لا يعلم وذهب خيثمة فقضى دين مسروق سرا وهو لا يعلم فى حقيقة المؤاخاة فى

وقوى ظهرت مبادى اشراق نور الهداية عند سن التمييز على التدريج الى سن البلوغ لكنها هداية قاصرة ترشد الى مضار الدنيا دون الآخرة فاذا اعتضد العقل بالشرع تلمح ما يتعلق بالآخرة وقامت الحرب بينهما وبين الطبع والهوى وهو مجال القلب معركة هذا القتال والصبر عبارة عن ثبات جند العقل والشرع فى مقابلة جند الطبع والهوى قال صاحب مقامات العارفين الصبر حبس النفس عن المكروه وهو يناسب المعنى والصابر فى الشدائد من شأنه ان ينتظر الفرج من الله تعالى ولا ملجأ الا الى الله تعالى وهو من أفضل الخدمة وهو نصف الايمان لما فيه من مخالفة النفس والهوى قال ابن مسعود رضى الله عنه الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وأعلى مراتب الشكر هو الذى لا يطالع فيه الفرج لان المبتلى اذا علم ان حبيبه هو الذى ابتلاه لم ينظر الى الفرج من البلاء لمشاهدته المبلى فى البلاء ولعلمه ان البلاء وصلة الى المحبوب والنعم ربما تقطعه عن محبوبه قال بعض العارفين بالله تعالى الذى يوجب الصبر لاهل المعارف مشاهدة المبلى فى البلاء لان مشاهدته تشغلهم عن الشعور فى البلاء كما اتفق لصويحبات يوسف عليه السلام لما قطعن أيديهن وقد يتلذذ المبتلى بالبلاء لان مشاهدة حبيبه فيه (فصل) والصبر

الله عز وجل اخلاص المودة له بالغيب والشهادة واستواء القلب مع اللسان واعتدال السر مع العلانية في الجماعة والخلوة فاذا لم يختلف ذلك فهو اخلاص الاخوة وان اختلف ذلك ففيه مداهنة في الاخوة ومماذقة في المودة وذلك دخل في الدين ووليجة في طريق المؤمنين ولا يكون ذلك مع حقيقة الايمان وقد سأل أبو رزين العقيلي النبي صلى الله عليه وسلم فشرط له أشياء منها أن يحب غير ذي نسب لا يحبه الا لله عز وجل ومن شرط المحبة في الله تعالى أن لا يكون لرحم يصلها أو لنعمة يربها كما جاء في الاثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا زار أخا له في الله تعالى في قرية أخرى فارصد الله تعالى على مدرجته ملكا فقال أين تريد قال أردت أخا لي في هذه القرية قال هل بينك وبينه رحم تصلها أو له عليك نعمة تربها قال لا الا أني أحببته في الله تعالى قال فاني رسول الله اليك ان الله تبارك وتعالى قد أحبك كما أحببته فيه وقد روينا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن ابنه عبد الله رضي الله عنهما لو ان رجلا صام النهار لا يفطر وقام الليل وجاهد ولم يحب في الله عز وجل ويبغض في الله ما نفعه ذلك شيأ وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه أي عرى الايمان أوثق قالوا الصلاة قال حسنة وليس به قالوا الحج والجهاد قال حسنة وليس به قالوا فاخبرنا يا رسول الله قال أوثق عرى الايمان الحب في الله تعالى والبغض فيه وقد اختلف مذهب الصحابة في الاخ يحب أخاه في الله عز وجل ثم ينقلب الآخر عما كان عليه ويتغير هل يبغضه بعد ذلك أم لا فكان أبو ذر يقول اذا انقلب عما كان عليه وتغير فابغضه من حيث أحببته وروينا عن أبي الدرداء ان شابا غلب على مجلسه حتى أحبه أبو الدرداء فكان يقدمه على الاشياخ ويقربه فحسدوه وان الشاب وقع في كبيرة من الكبائر فجاؤا الى أبي الدرداء فحدثوه وقالوا له لو أبعدته فقال سبحان الله لا نترك صاحبنا لشيء من الاشياء وروينا عن بعض التابعين وعن الصحابة في مثل ذلك وقد قيل له فيه فقال انما أبغض عمله والا فهو أخي وكذلك قال الله عز وجل لنبيه في عشيرته فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون ولم يقل اني بريء منكم لحمة النسب وقد قيل للصداقة لحمة كلحمة النسب وقيل لحكيم بن مرة أيما أحب اليك أخوك أو صديقك فقال انما أحب أخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من أخ لك لم تلده أمك ولذلك قيل القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لما شتم القوم الرجل الذي أتى فاحشة فقال مه وزبرهم لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم وفي أثر عن بعض العلماء في مثل زلات الاخوان قال ود الشيطان أن يلقي على أخيكم مثل هذا حتى تقطعوه وتهجروه فماذا بقيتم من محبة عدوكم وقد كان أبو الدرداء يقول اذا تغير أخوك وحال عما كان فلا تدعه لاجل ذلك فان أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى وكان يقول داو أخاك ولا تطع فيه حاسدا فتكون مثله وقال الحسن أي الرجال المهذب وقال ابراهيم النخعي لا تقطع أخاك ولا تهجره عند الذنب فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال أيضا لا تحدثوا الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال سعيد بن المسيب اني لاكره أن أفرق بين المتآلفين وقال مرة بين المتحابين وفي حديث عمر وقد سأل عن أخ كان آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه فقال ذاك أخو الشيطان قال مه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال اذا أردت الخروج فآذني قال فكتب اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب الآية ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب قال صدق الله ونصح لي عمر قال فتاب ورجع ومن أفضل فضيلة الحب في الله تعالى انه جعل علما لوجود الايمان وقرن بحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كما في الخبر لا يؤمن عبدي حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ثم جاء مثله لا يجد العبد حلاوة الايمان حتى يحب المرء لله عز وجل فمن مقتضى الحب في الله تعالى ما ذكرناه آنفا من التزاور والتباذل والتصافي لله عز وجل وفي حديث عبادة بن الصامت وقال موسى بن عقبة

على أقسام صبر على ما هو مكتسب للعبد وصبر على ما ليس بمكتسب للعبد والصبر على المكتسب على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به وصبر على ما نهى الله عنه فأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله تعالى مما عليه فيه مشقة قال الجنيد رحمة الله عليه المسير من الدنيا الى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الله تعالى شديد والمسير من النفس الى الله تعالى صعب والصبر مع الله تعالى أشد وسئل عن الصبر فقال تجرع المرارات وقال بعضهم ما أكثر المبتلين وما أقل الصابرين وقال بعضهم الناس لا يصبرون على ما يحبونه فكيف يصبرون على ما يكرهونه وقال عمرو بن عثمان المكي الصابر هو الذي يثبت مع الله تعالى على أحكام الكتاب والسنة قال علي بن عبد الله البصري وقف رجل على الشبلي فقال له أي الصبر أشد على الصابرين فقال الصبر في الله تعالى فقال لا فقال الصبر لله قال لا قال فأي شيء قال الصبر عن الله فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف قلت الصبر في الله هو الصبر على المحن والبلايا والصبر لله هو الصبر على مشقة الطاعة ومحن التكاليف والصبر عن الله هو ترك الاقبال على الله وترك التوجه اليه بالطاعات قال بعض المحققين الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج ورأى بعضهم صبيا جميلا يضرب شيخا بنعله قال

كنت ألقى الأخ من اخوانى مرة فاقيم عاقلا بلقائه أياما وقال جعفر بن سليمان كنت اذا وجدت فى نفسى فترة نظرت الى محمد بن واسع فاعمل على ذلك جمعة وكان محمد بن واسع يقول مابقى فى الدنيا شئ ألذه الا ثلاث الصلاة فى جماعة والتهجد من الليل ولقاء الاخوان وكان بعضهم يقول لقاء الاخوان مسلاة للهم ومذهبة للاحزان وكان الحسن وأبو قلابة يقولان اخواننا أحب الينا من أهلينا وأولادنا لان أهلينا يذكروننا الدنيا واخواننا يذكروننا الآخرة وقال أحدهما لان الاهل والولد من الدنيا والاخوان فى الله عز وجل من آله الآخرة وقيل لسفيان بن عيينة أى الاشياء ألذ فقال مجالسة الاخوان والانقلاب الى كفاية وفى الخبر ما زار رجل أخاه فى الله عز وجل شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا ناداه ملك من خلفه طبت وطابت لك الجنة وقال الحسن من شيع اخاه فى الله عز وجل بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة يشيعونه الى الجنة وعن عطاء قال كان يقول تفقدوا اخوانكم بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم وان كانوا مشاغيل فاعينوهم وان كانوا نسوا فذكروهم وكان الشعبي يقول فى الرجل يجالس الرجل فيقول أعرف وجهه ولا أعرف اسمه ذلك معرفة النوكى وقد روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأى عمر يلتفت يمينا وشمالا فسأله فقال يارسول الله أحببت رجلا فانا أطلبه ولا أراه فقال يا أبا عبد الله اذا أحببت أحدا فسله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان كان مريضا عدته وان كان مشغولا أعنته وعن الضحاك عن ابن عباس قيل له من أحب الناس اليك قال جليسى وكان يقول ما اختلف رجل الى مجلسى ثلاثا من غير حاجة تكون له الى فعلمت مكافاته من الدنيا وكان سعيد بن العاص يقول لجليسى على ثلاث اذا دنا رحبت به واذا حدث أقبلت عليه واذا جلس أوسعت له وقال الاحنف بن قيس الانصاف يثبت المودة ومع كرم العشرة تطول الصحبة وكان يقول ثلاث خلال تجلب بهن المحبة الانصاف فى المعاشرة والمواساة فى الشدة والانطواء على المودة وقال أكثم بن صيفى لبنيه يابنى تقاربوا فى المودة ولا تتكلوا على القرابة وقد قيل لابى حازم ما القرابة قال المودة فاول ما تصح له المحبة فى الله عز وجل أن لا يكون لضد ذلك من صحبة لاجل معصية ولا على حظ من دنياه ولا لسبب موافقته على هواه ولا لاجل ارتفاقه به اليوم لمنافعه ومصالحه فى أحواله ولا يكون ذلك مكافاة على احسان أحسن به اليه ولا لنعمة ويد يجزيه عليها فهذه ليس فيها طريق الى الله عز وجل ولا للآخرة لانها طرقات الدنيا ولاسباب الهوى فاذا سلم من هذه المعانى فهذه أول المحبة لله عز وجل ولا يقدح فى الاخوة لله تبارك وتعالى لان هذه شبهة ثانية فيه مثل ان يحبه لحسن خلقه وفضل أدبه وحسن حلمه وكمال عقله وكثرة احتماله وصبره أو لوجود الانس به وارتفاع الوحشة منه أو للالفة التى جعل الله بينه وبينه وانما يخرجه عن حقيقة الحب فى الله عز وجل ان يحبه لما يكون دخلا فى الدين ووليجة فى طرائق المؤمنين ولما انفصل عنه ولم يكن متصلا به مثل الانعام والافضال ووجود الارتفاق فهذا الحب لا يمنع القلب وجده لما جبل الطبع عليه وابغض من كان بضده ممن أساء اليه وليس يأثم ولا يعصى بوجد هذه المحبة لاجل هذه الاسباب المعروفة كما انه اذا أساء اليه ووجد بغضه لا يأثم ما لم يخرجه البغض الى مجاوزة حد باعجاب حكم الا ان هذه محبة النفس بالطبع وانما يفضل المرء بمحبة القلب لاجل الله عز وجل والبغض فيه فى شئ وان كان مباحا لانها تحول وتزول وكل محبة تكون عن عوض اذا ذهب العوض زالت المحبة وصحة الحب فى الله عز وجل والبغض فيه لا ينقلب لاسباب حب جعل فى الطبع لمنافع الدنيا ولا لاجل بغض فى النفس لمضارها وحقيقة الحب فى الله عز وجل ان لا يحسده على دين ولا دنيا كما لا يحسد نفسه عليهما وان يؤثره بالدين والدنيا اذا كان محتاجا اليهما كنفسه وهذان شرطا الحب فى الله عز وجل اللذان ذكرهما الله تعالى فى قوله يحبون من هاجر اليهم ثم وصف محبتهم اذ كان يصف حقا ويمدح محقا فقال ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا يعنى من دين ودنيا والحاجة فى هذا الموضع الحسد أى كما لا يجدون فى صدورهم حاجة لانفسهم حسدا ثم قال عز وجل فى الشرط الثانى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فهذا فصل الخطاب

فقلت له الأصمعي تضرب بهذا الشيخ مثل هذا فقال لي الشاب حرمته عظيمة فقلت وما هي فقال هذا الشيخ يهواني ومنذ ثلاث ما رآني وقال بعضهم رأيت ببلاد الهند رجلا أعور عين يسمى فلانا الصبور فسألت فقيل لى هذا فى عنفوان شبابه سافر صديق له فخرج فى وداعه فدمعت احدى عينيه ولم تبك الاخرى فقال لعينه التى لم تدمع لم لا تدمعى على فراق صاحبى لاحرمنك النظر الى الدنيا وغمض عينه فمنذ ستين سنة لم تفتح عينه *(فصل)* والصبر من مقامات الدين ومنازل السالكين وهو على ثلاث مقامات أوله ترك الشكوى وهذه درجة التائبين والثانية الرضا بالمقدور وهو درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهى درجة الصديقين لان مقام المحبة أعلى من مقام الرضا كما ان مقام الرضا أعلى من مقام الصبر والصبر يكون فى ثلاثة أشياء أحدها الصبر على محارم الله والثانى الصبر على اتباع أمر الله والثالث الصبر عند المصائب احتسابا لله والصبر ينقسم الى فرض ونفل فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكروهات نفل قال سهل بن عبد الله الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ولهذا قال بعض الصحابة لما فتحت عليهم أموال الدنيا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وكثير من الصحابة صبر على الفتنتين فتنة الضراء وفتنة السراء قال بعض أهل المعرفة البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافى لا يصبر عليها

و جملة نعت الاحباب فينبغى ان يؤثر أخاه بنفسه وماله ان احتاج الى ذلك فان لم يكن فى هذه المنزلة وهو مقام الصديقين فيساويه فى حاله وهذا من مقام الصادقين وهذا أول منازل الاخوة وهو من أخلاق المؤمنين وانما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الغنى والفقير ليساوى الغنى الفقير فيعتدلان و ينبغى ان يقدمه على أهله وولده وان يحبه فوق محبتهم لان محبة أولئك من الدنيا والنفس والهوى ومحبة الاخوان من الآخرة ولله تبارك وتعالى وفى الدين وأمور الدين والآخرة مقدم عند المتقين وكان عبدالله بن الحسن البصرى يصرف اخوان الحسن اذا جاؤه لطول لبثهم عنده ولشدة شغله بهم فيقول لهم لا تملوا الشيخ فكان الحسن اذا علم ذلك يقول دعهم يالكع فانهم أحب الى منكم هؤلاء يحبونى لله عزوجل وأنتم تريدونى للدنيا وقال أبومعاوية الاسود اخوانى كلهم خير منى قيل وكيف ذلك قال كلهم يرى الفضل لى عليه ومن فضلنى على نفسه فهو خير منى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله ولا خير فى صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان الاعمش يقول من أخفى عنا بدعته لم يخف عنا ألفته أى ينظر الى اخوانه الذين يألفهم فيستدل عليه بهم وقد روى الاصمعى عن مجاهد عن الشعبى قال قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه لرجل وكره له صحبة رجل رهق فقال شعر

لا تصحب أخا الجهل * واياك واياه * فكم من جاهل أردى * حليما حين آخاه
يقاس المرء بالمرء * اذا ما هو ماشاه وللشئ من الشئ * مقاييس واشباه
وللقلب على القلب * دليل حين يلقاه

وأنشد محمد بن جامع الفقيه شعرا

تذلل لمن ان تذللت له * يرى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لا يزال * على الاصدقاء يرى الفضل له

وأنشدنا بعض الادباء

كم من صديق عرفته بصديق * صار حظى من الصديق العتيق
ورفيق رأيته فى طريق * صار عندى محض الصديق الحقيقى

وروينا عن الحسن بن على عليهما السلام فى وصف الاخ كلاما رجزا جامعا مختصرا

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت شمل نفسه ليجمعك

ولا تصح مؤاخاة مبتدع فى الله تعالى ولا محبة فاسق يصحب على فسوقه ولا محبة فقير أحب غنيا لاجل دنياه ولا ما يناله من عاجل مهناه وقد تصح المحبة بين الغنى والفقير وتوجد الاخوة ان لم يقم الغنى بحقوق أخيه اذا آثره أخوه بما يحب ان يؤثره به فلم يقتضه وقد تصح الاخوة بين العالم والجاهل وبين الصالح والطالح لاجل التدين من أحدهما والتقربة الى الله عز وجل ويكون من الاعلى منهما النيات تكون له فيها لحسن خلقه أولجميل معاملته أولمعان محمودة تكون فيه لان لكل مؤمن سديدا من عمله يرجى له به والمؤمن لا يملك كله ولا يذهب جملة واحدة أو لاشفاقه عليه أو لتواضع العالم والصالح فى نفسه فيراه فى كل حال فوقه أو لاجل الستر عليه لئلا يلحقه النقص والشين من الغير فهذه طرقات الاخوان فيها حسن نيات وينبغى على ذلك ان تعلمه ما جهل مما هو به اعلم فيعينه بعلمه كما يعينه بماله فان فقر الجهل أشد من فقر المال وان الحاجة الى العلم ليست بدون الحاجة الى المال وكان الفضيل يقول انما سمى الصديق لتصدقه والرفيق لترفقه فان كنت أغنى منه فارفقه بمالك وان كنت أعلم منه فارفقه بعلمك و ينبغى ان ينصح له فيما بينه وبينه ولا يوبخه بين الملا ولا يطلع على غيبه أحدا فقد قيل ان نصائح المؤمنين فى آذانهم وقال جعفر بن برقان قال لى ميمون بن مهران قل لى فى وجهى ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له فى وجهه ما يكره فان كان أخوه الذى نصح له صادقا فى حاله أحبه على نصحه فان لم يحبه وكره ذلك منه دل على كذب الحال قال الله سبحانه وتعالى فى وصف الكاذبين ولكن لا تحبون الناصحين وقد كان بعض الصالحين يقول أحب الناس الى من أهدى عيوبى وقد

كان

الاصديق روى خباب بن الارت رضى الله عنه قال شكونا الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردته فى ظل الكعبة ما كانيه من الجهد مع الكفار وما يصيبنا من البلايا والعذاب من المشركين وقلنا له الا تستنصر لنا لا تدعو لنا فقال كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الارض حفرة فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيجعل على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون قال ابراهيم الخواص هوت أكثر الخلق عن حمل اثقال الصبر والتجؤا الى الطلب والاسباب واعتمدوا عليها كانها لهم ارباب

(فصل) والصبر يكون على فعل الطاعات وعلى ترك المعاصى كما قدمناه اذ كره لان الافعال والتروك شاقة على النفس فتحتاج الى الصبر عليها وتحمل المشاق فيها ويكون الصبر على ترك المصائب والنوائب كما قدمناه ومن لم يقدر على الصبر عن المنهيات فيجب عليه العزلة والانفراد فلا ينجيه غيرها فالصبر على الانفراد أهون عليه من الصبر على فعل المنهيات والعزلة تقطع عنه هذه الاشياء ولا تبقى عليه الا حديث النفس ولا يمكن الصبر عنه أصلا الا بان يغلب على القلب هم آخر فى الدين بستغرقه كمن أصبح وهمومه كلها هم

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ويأمر الاخوان بذلك رحم الله امرأ أهدى الى أخيه عيوب نفسه ولكن قد قيل لمسعر بن كدام تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم وان قرعني في الملأ فلا ومن اخلاق السلف قال كان لرجل اذا كره من أخيه خلقا عاتبه فيما بينه وبينه أو كاتبه في صحيفة وهذا لعمري فرق بين النصيحة والفضيحة فما كان في السر فهو نصيحة وما كان على العلانية فهو فضيحة وقلما تصح فيه النية فلوجه الله تعالى لان فيه شناعة وكذلك الفرق بين العتاب والتوبيخ فالعتاب ما كان في خلوة والتوبيخ لا يكون الا في جماعة ولذلك يعاتب الله عز وجل رجلا من المؤمنين يوم القيامة تحت كنفه ويسبل عليه ستره فيوقفه على ذنوبه سرا ومنهم من يدفع كتاب عمله مختوما الى الملائكة الذين يحفون به الى الجنة فاذا قاربوا دخول الجنة دفعوا اليهم الكتب مختومة فيقرؤنها وأما أهل التوبيخ فينادون على رؤس الاشهاد فلا يخفى على أهل الموقف فضيحتهم فيزداد ذلك في عذابهم وكذلك الفرق بين المداراة والمداهنة فالمداراة ما أردت به وجه الله تعالى وطريق الآخرة من دفع عن دين وقصدت به سلامة أخيك من الاثم وصلاح قلبه لله تبارك وتعالى والمداهنة ما اجتلبت به دنيا وأردت به حظ نفسك وكذلك الفرق بين الغبطة والحسد ان الغبطة ان تحب لنفسك ما رأيته من أخيك ولا تحب زواله عنه بل تبقيته له واتمامه عليه والحسد ما أردت أن يكون ذلك منه لك وأحببت زواله عنه وكرهت تبقيته عليه فهذا مكروه فان سعيت في ذلك بقول أو فعل فهو البغي زيادة على الحسد وهو من كبائر المعاصي وكذلك الفرق بين الفراسة وسوء الظن ان الفراسة ما توسمته من أخيك بدليل يظهر لك أو شاهد يبدو منه أو علامة تشهدها فيه فتتفرس ذلك فيه ولا تنطق به ان كان سوأ ولا تظهره ولا تحكم عليه ولا تقطع به فتأثم وسوء الظن ما ظننته من سوء رأيك فيه أو لاجل حقد في نفسك عليه أو لسوء نية تكون أو خبث حال فيك تعرفها من نفسك فتحمل حال أخيك عليها وتقيسه بك فهذا هو سوء الظن والاثم وهو غيبة القلب وذلك محرم لقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى حرم من المؤمن دمه وماله وعرضه وان تظن به ظن السوء وقوله عليه السلام اياكم والظن فان الظن أكذب الحديث فهذه خمس معان واضدادها بينها فرق عند العلماء فاعرف ذلك وينبغي ان ينصر أخاه ويعينه بماله ولسانه وقلبه وافعاله فان النصرة في الله تعالى تكون بهذه المعاني الاربع بالنفس ان احتاج اليك في الافعال وباللسان ان ظلم في المقال وبالمواساة ان احتاج الى المال وأقل ذلك بالقلب ان يساعده في الهم والكرب في اعتقاد السلامة فيه وجميل النية له وعليه ان يحفظ غيبه وان يحسن الثناء عليه وينشر فضله ويطوي زلله ويقبل علله * ويقال ما من الناس أحد الا له محاسن ومساو فمن ظهرت محاسنه فغلبت مساويه فهو المؤمن المقتصد فالاخ الشفيق الكريم يذكر أحسن ما يعلم في أخيه والمنافق اللئيم يذكر أسوأ ما يعلم فيه ومن هذا جاء في الخبر استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان رأى خيرا ستره وان رأى شرا أظهره وهذا المعنى هو سبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا اذ لكل حديث يروى آخر وسبب يكون أوله خرج الحديث عليه وهو ان رجلا أثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كان الغد ذمه وعابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت بالامس تثني عليه واليوم تذمه فقال والله لقد صدقت عليه بالامس وما كذبت عليه اليوم انه أرضاني بالامس فقلت أحسن ما علمت فيه واغضبني اليوم فقلت أسوأ ما علمت فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ان من البيان لسحرا كأنه كره ذلك انه شبهه بالسحر لان السحر حرام ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في الخبر الآخر البذاء والبيان شعبتان من النفاق وفي الحديث الآخر ان الله تعالى كره لكم البيان كل البيان وقد قال الامام الشافعي رحمه الله في وصف العدالة قولا استحسنه العلماء وحدثناه عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال سمعت الشافعي يقول ما أحد من المسلمين يطيع الله عز وجل حتى لا يعصيه ولا أحد يعصي الله عز وجل حتى لا يطيعه فمن كانت طاعاته أكثر من معاصيه فهو العدل قال ابن عبد الحكم وهذا كلام الحذاق وقال

واحد كما قال داود الطائي همك عال على الهموم وحال بيني وبين السهاد واعلم ان أعظم الصبر الصبر على أذى الناس قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى واعلم ان الانسان يخرج عن مقام الصبر بالجزع والمبالغة في الشكوى واظهار الكآبة وتغيير العادة في الملبس والمفرش والمطعم فينبغي تجنب ذلك ويظهر الرضا بقضاء الله ويبقى مستمرا على عادته وقيل الصبر الجميل هو ان لا يعرف صاحب المصيبة من غيره ولا يخرجه عن الصبر مقتضى البشرية من فيضان الدمع وتوجع القلب

*(فصل فيما يستعان به على الصبر) اعلم انه يستعان على الصبر بأمور فالشهوات المحرمة يستعان على الصبر عنها بالصارف عنها وهو النظر في وعيد العصاة والزجر والتهديد ويستعان على الصبر عنها أيضا بتقوية باعث الدين والصوم وهجر الاطعمة المهيجة للشهوة والعزلة وتجنب النظر الى رؤية الصور الجميلة المحركة للشهوة وتسلية النفس بالمباح من جنسها فان كان ما يشتهيه الطبع في المباحات منه ما يغني عن المحظور ولا بد مع ذلك من صرف الفكرة عن ذلك المشتهى والاشتغال عنه بالاذكار والاوراد ونحوها من الطاعات وكف الباطن عن حديث النفس فيه وأما المباحات فيستعان على الصبر عنها بعلمه بما يقوى به من عظيم الاجر بتعاطيها وكلما قوي الصارف عن الشئ سهل الصبر على تركه وذلك لضعف المعارضة وسائر فعل

أيضاً ولا فضل إلا في التوسط بين الانقباض والانبساط حدثنا عنه قال الانقباض عن الناس مكسبة لعداوتهم والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين الانقباض والانبساط وقد وصف الله تعالى المؤمنين بالصبر والرحمة في قوله عز وجل وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ونعتهم بالذلة في قوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقال تعالى رحماء بينهم وهذا كله داخل في الاهتمام به وهو حقيقة صدقه في الصداقة له كما قال ولا صديق حميم أي هميم من الاهتمام به وقد قال عيسى عليه السلام لأصحابه كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً فكشفت الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطيه قال بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال أحدكم يسمع في أخيه بالكلمة فيزيد عليها ويشيعها بأعظم منها وهذا مخرجه من الحسد الكائن في النفس والغل المستكن في القلب أن يزيد الرجل على الشيء مما يسمع أو يتبعه بمثله فيظهر هذا غله وهذا الذي استعاذ منه المؤمنون في قولهم ولا تجعل في قلوبنا غلا الآية وينبغي أن لا يخالفه في شيء ولا يعترض عليه في مراد قال بعض العلماء إذا قال الأخ لأخيه قم بنا فقال إلى أين فلا تصحبه وقال الآخر إذا قال أعطني من مالك فقال كم تريد أو ماذا تصنع به لم يقم بحق الإخاء قال أبو سليمان الداراني كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب فأقول أعطني من مالك شيئاً فكان يلقي إلي كيسه فآخذ منه ما أريد فجئته ذات يوم فقلت أحتاج إلى شيء فقال كم تريد فخرج حلاوة إخائه من قلبي وعن ابن عمر وأبي هريرة لم يكن أحد أحق بديناره ودرهمه من أخيه وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم وفي حديث علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته ووجبت أخوته وحرمت غيبته وفي حديث أبي أمامة الباهلي خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتمارى فغضب ثم قال ذروا المراء لقلة خيره ذروا المراء فإن نفعه قليل وهو يهيج العداوة بين الإخوان وقال بعض السلف من لاحى الإخوان وماراهم قلت وذهبت كرامته وقال عبد الله بن الحسن إياك ومعاداة الرجال فإنك لن تعدم مكر حليم أو مفاجأة لئيم وقال بعض الحكماء ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد ولا يزيدك لطف الحقد إلا وحشة منه وقد روي تنافي الحقد على الإخوان لفظة شديدة وهو ما حدثوناه عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه قال كنت باليمن وكان لي جار يهودي يخبرني عن التوراة فقدم علينا اليهودي من سفر فقلت إن الله تبارك وتعالى قد بعث فينا نبيا فدعانا إلى الإسلام فأسلمنا وقد نزل علينا مصدقا للتوراة فقال اليهودي صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به إنا نجد نعته ونعت أمته أنه لا يحل لامرئ يعلم منهم أن يخرج من عتبة بابه وفي قلبه سخيمة على أخيه المسلم وقال بعض السلف أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال الحسن لا تشتر عداوة رجل بمودة ألف رجل وقال عمر بن عبد العزيز زايلك من مودته على قدر حاجته إليك فإذا قضيت حاجته انقضت مودته ومن أخلاق السلف قال لم يكن أحدنا يقول في رحله هذا لي وهذا لك بل كان كل من احتاج إلى شيء استعمله عن غير مؤامرة وقد وصف الله عز وجل المؤمنين بهذا في قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون معنى أمرهم أي أمورهم ذكر جماعها كالشيء الواحد بينهم شورى أي مشاع غير مقسوم ولا يستبد به واحدهم فيه وهو ومما رزقناهم ينفقون أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله من بعض أي شركاء وجاء عتبة الغلام إلى منزل رجل كان قد آخاه فقال أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف فقال خذ ألفين فأعرض عنه وقال آثرت الدنيا على الله عز وجل أما استحيت أن تدعي الأخوة في الله عز وجل وتقول هذا وجاء فتح الموصلي إلى منزل أخ له وكان غائبا فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه فأخذ من كيسه حاجته فذهبت الجارية إلى مولاها فأعلمته فقال إن كنت صادقة فأنت حرة لوجه الله تعالى

الطاعات يستعان على الصبر عليها بالعلم بما في فعلها من الثواب وكثرة الأجور وأما البلايا والمحن فهي تتفاوت على حسب تعلق القلوب بالأسباب وغفلتها عن المبتلي الممتحن والقلوب إذا تأنست بالعافية وتعاهدت السلامة وندرت عنها البلايا استكثرتها عند نزول الرزايا وإذا تكرر عليها الامتحان وصبرت عليه في أوائل الصدمات تعودت الصبر فهان عليها أمره لقوة المعرفة بفوائد الصبر فلا يزال أمر الصبر يخف على قلبه حتى ينقله إلى درجة الرضا والتسليم واعلم أنا قد ذكرنا أن الصبر منه ما هو واجب ومنه ما هو مندوب وأن الواجب هو الصبر على فعل الواجب وترك الحرام والمندوب منه الصبر على ترك الشهوات المكروهات والمباحات وعلى فعل المندوبات وقدمنا أيضاً أن الأسباب الحاملة له وهي علم القلب برؤية المبتلي الآمر الناهي بقوة اليقين وتحقيق الوعد والوعيد وأن الصبر من ثمرات الوعد والوعيد فمن تحقق الوعد والوعيد هان عليه الصبر وتحمل المشاق ومما يهون الصبر العلم بعدم فائدة الجزع والقلق وعدم حرارته إذ القدر كائن لا يرفعه الجزع ولا يدفعه القلق قال بعض أهل البصائر الصبر وإن كان يجرع المرارات فهو محمود العاقبة فمن صبر على تلويح السفاهة سلم من تصريحها وقال بعض أهل المعارف أربعة توصلك إلى أربعة الصبر يوصلك إلى ما تحبه والجد يوصلك إلى ما تطلبه والزهد يوصلك إلى التقوى والقناعة توصلك

تعالى سرورا بما فعل وروى ان ابن أبى شبرمة قضى لبعض اخوانه حاجة كبيرة فجاءه الرجل بهدية جليلة فقال ما هذا فقال لما أسديت الى فقال خذ مالك عافاك الله اذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه فى قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده فى الموتى وعلى ذلك قال بعضهم اذا استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله يكون قد نسى فان لم يقضها فعاوده ثالثة فقد يكون شغل عنها بعذر فان لم يقضها فكبر عليه واقرأ عليه هذه الآية والموتى يبعثهم الله وقال ميمون بن مهران من رضى من الاخوان بترك الافضال فليواخ أهل القبور وجاء رجل الى أبى هريرة فقال انى أريد أن أواخيك فى الله عز وجل فقال أتدرى ما حق الاخاء قال عرفنى قال لا تكون بدرهمك ودينارك أحق منى قال لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى وقال على بن الحسين رضى الله عنهم الرجل هل يدخل أحد كم يده فى كم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذن قال لا قال فلستم باخوان ودخل قوم على الحسن فقالوا له أصليت يا أبا سعيد قال نعم قالوا فان أهل السوق لم يصلوا بعد فقال ومن يأخذ دينه عن أهل السوق بلغنى ان أحدهم يمنع أخاه الدرهم وقال محمد بن نصر جاء رجل الى ابراهيم بن أدهم وهو يريد بيت المقدس فقال له انى أريد أن أرافقك فقال له ابراهيم على أن أكون أملك بشيئك منك قال لا قال فاعجبنى صدقك وقال موسى بن طريف كان ابراهيم ابن ادهم اذا رافقه رجل لم يخالفه وكان لا يصحب الا من يوافقه وبلغنى ان رجلا تمرا كان صحبه فى سفر فاهدى الى ابراهيم قصعة من ثريد فى بعض المنازل فاراد أن يرد القصعة فاخذ جراب رفيقه ففتحه وأخذ حزمة من شراك فجعله فى القصعة ثم دفعها الى صاحب الهدية فلما جاء رفيقه قال أين الشراك قال تلك القصعة الثريد التى أكلتها أى شئ كانت قال فكنت تعطيه شراكين ثلاثة قال اسمح يسمح لك وبلغنى انه أعطى مرة حمارا كان لرفيقه بغير اذنه لرجل رآه راجلا فلما جاء رفيقه سكت فلم يكره ذلك وقد روى عن عون بن عبد الله قال قال ابن مسعود لا تسأل امرأ عن وده اياك ولكن انظر ما فى قلبك فان فى قلبه لك مثل ذلك وقال ربيعة بن أبى عبد الرحمن مروأة الحضر الادمان الى المساجد وكثرة الاخوان فى الله عز وجل ومروأة السفر بذل الزاد وقلة الخلاف على اخوانك وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق أهل البيت قال ثلاثة من المروأة فى الحضر تلاوة كتاب الله عز وجل وعمارة مساجده واتخاذ الاخوان فى الله تعالى فمن فضل المؤاخاة فى الله تعالى انه قرنها بتلاوة كتابه وعمارة بيوته وقد جعل الاختلاف الى المسجد سبب اجتلاب الاخاء وفى حديث ابن عباس والحسن بن على من أدمن الاختلاف الى المسجد أصاب احدى خمس خصال أخا مستفادا فى الله عز وجل وقال أبو عيينة وقد أنشد هذا البيت

وجدت مصيبات الزمان جميعها * سوى فرقة الاخوان هينة الخطب

فقال لقد عهدت أقواما فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما تخيل لى ان حسرتهم ذهبت من قلبى وقال بعضهم ما هدنى شئ ما هدنى موت الاقران ويقال اذا مات صديق الرجل فقد فقد عضوا من أعضائه وأنشدونا عن العتبى

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم * ووصلت ما قطعوا من الاسباب

فاذا القرابة لا تقرب قاطعا * واذا المودة أقرب الانساب

وبلغنى ان أخوين ابتلى أحدهما بهوى فاظهر عليه أخاه وقال انى قد اعتللت بالهوى فان شئت أن لا تعقد على محبتى لله تعالى فافعل فقال ما كنت لاحل عقد اخوتك لاجل خطيئتك أبدا قال ثم عقد أخوه بينه وبين الله عز وجل أن لا يأكل ولا يشرب حتى يعافى الله عز وجل أخاه من هواه قال فطوى أربعين يوما فى كلها يسأله عن هواه كيف أنت منه فكان يقول القلب مقيم على حاله قال وما زال أخوه الآخر ينحل ويسقم من الغم عليه ومن تركه الطعام والشراب قال فازال الله الهوى عن قلب أخيه بعد الاربعين فاخبره بذلك فاكل وشرب بعد ان كاد يتلف هزلا وضرا وبمعناه حدثت عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه وتهجره فقال هو أحوج ما كان الى فى هذا الوقت لما وقع فى عثرته ان

الى الغنى واعلم ان الصبر على المصائب أفضل من الصبر على المعاصى اذ الألم فى ترك المعاصى بخلاف المصائب ولان الصبر على المعاصى يكون فى الغالب عن مشاهدة الوعيد والصبر على المصائب يكون عن مشاهدة القضاء والقدر والقضاء والقدر من الايمان بالله والوعد والوعيد من الايمان لله والايمان بالله أفضل من الايمان لله قلت الفرق بين الايمان بالله وبين الايمان لله هو أن الايمان بالله عبارة عن التصديق بربوبيته ووحدانيته وصفاته ونعوته الى التصديق بانبيائه ورسله والايمان لله هو القبول لامره ونهيه وأحكامه والاقبال على العمل بها وقد تقدم بيان هذا واعلم ان الصبر عن الشهوات والمعاصى يختلف فى أسبابه فمنهم من يصبر عنها خوفا من العقوبة ومنهم من يصبر عنها حياء من الله تعالى وأما البلايا فمنهم من يصبر عنها طلبا للثواب ومنهم من يصبر عنها حياء من المبلى وهو الله تعالى وكذا الصبر على فعل الطاعات قد يكون عن رغبة فى المثوبة وقد يكون حياء من الله تعالى وهذه الاقسام شملها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا يعنى فى البلاء وصابروا يعنى عن المعصية ورابطوا يعنى على الطاعة

(فصل) قال العلماء بالله الصابر له ثلاث درجات بحسب ما أعطاه الله تعالى من القوة والملكة * الدرجة الاولى وهى العليا ان تقمع داعية الهوى وتقهرها بالكلية حتى لا تبقى لها قوة المنازعة ويتوصل اليها بدوام الصبر

أخذ بيده وأتلطف له فى المعاتبة وأدعوه بالعود الى ما كان عليه وفيما روينا من الاسرائيليات ان أخوين عابدين فى جبل نزل أحدهما ليشترى من المصر لحما بدرهم فبصر ببغى عند اللحام فهويها فواقعها ثم أقام عندها ثلاثا واستحيى أن يرجع الى أخيه من جنايته قال فافتقده أخوه واهتم بشانه فنزل الى المدينة فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه فدخل عليه وهو جالس مع البغى فاعتنقه وجعل يقبله ويلزمه وأنكر الآخر أنه يعرفه لفرط استحيائه منه فقال قم يا أخى فقد علمت بشانك وقصتك وما كنت أعز على وأحب منك فى يومك هذا ولا ساعتك هذه فلما رأى ذلك لا يسقطه عنده قام فانصرف معه فهذا من أحسن النيات وهو طريق العارفين من ذوى الآداب والمروآت فان أحب هذا الاخ أن يؤثر أخاه بما آثره به ولا يقتضيه حق اخائه فحسن قد فعل ذلك عبد الرحمن بن عوف لما آثره سعد بن الربيع بالمال والنفس فقال بارك الله لك فيهما فآثره بما به آثره فكانه استأنف هبته له لانه قد كان ملكه اياه لسخاوة نفسه وحقيقة زهده وصدق مودته فكانت المساواة لسعد والايثار لعبد الرحمن فزاد عليه وهذا من فضل المهاجرين على الانصار اذ كانت المساواة دون الايثار وقد كان مضر بن عيسى وسليمان يقولان من أحب رجلا ثم قصر فى حقه فهو كاذب فى حبه وكان أبو سليمان الدارانى يقول هو صادق فى حبه مفرط فى حقه ثم قال لو أن الدنيا كلها لى فجعلتها فى فم أخ من اخوانى لاستقللتها له وقال انى لالقم الاخ من اخوانى اللقمة فاجد طعمها فى حلقى واعلم أن اطعام الطعام والانفاق على الاخوان مضاعف على الصدقات وعلى العطاء للاجانب بمنزلة تضعيف الثواب فى الاهل والقرابات وروى عن على عليه السلام لعشرون درهما أعطيها أخى فى الله عز وجل أحب الى من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين وقال أيضا لان أصنع من طعام واجمع عليه اخوانى فى الله عز وجل أحب الى من ان أعتق رقبة وأوصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بنى ادخل بين الاعداء ولا تدخلن بين الاصدقاء قال وكيف ذلك قال الدخول بين الاعداء يكسب الصداقة والدخول بين الاصدقاء يورث العداوة ولا ينبغى للاخ أن يخون أخاه فى غيبه بما يكرهه ان كان ذلك فى شئ مباح اذا كرهه ولا ينكر عليه ما لا يقوم فى علمه اذا فعله ان كان أخوه أعلم منه أو كان له وجه يخرج عليه ولا ينبغى أن يكذبه فى أمر ولا يفشين له سرا ولا يعرضنه لغيبة ولا نميمة ولا يحوجه الى مداراة ولا يلجأ الى اعتذار ولا يتكلفن له ما يشق عليه أو ما لا يحبه هو منه وقال العباس لابنه عبد الله انى أرى هذا الرجل يعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقدمك على الاشياخ ويقربك دونهم فاحفظ عنى ثلاثا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده أحدا ولا يجربن عليك كذبة وفى بعض الروايات ولا تعصين له أمرا ولا يطلعن منك على خيانة قال فقلت للشعبى وقد رواه كل كلمة خير من ألف قال كل كلمة خير من عشرة آلاف وأفشى بعضهم الى أخيه سرا ثم قال له حفظت قال بل نسيت وقيل لبعض الادباء كيف حفظك السر قال أنا قبره وقيل لآخر كيف تحفظ السر فقال أجحد المخبر وأحلف للمستخبر ومن أحسن ما سمعت فى حفظ السر ما حدثنى بعض أشياخنا عن اخوان له دخلوا على عبد الله بن المعتز فاستنشدوه شيأ من شعره فى حفظ السر فانشدهم على البديهة

ومستودعى سرا تبوأت كتمه * فاودعته صدرى فصار له قبرا

قال فخرجنا من عنده فاستقبلنا محمد بن داود الاصبهانى فسألنا من أين جئنا فاخبرناه بما أنشدنا ابن المعتز فى السر فاستوقفنا ثم أطرق مليا ثم قال اسمعوا قولى

وما السر فى صدرى كثاو بقبره * لانى أرى المقبور ينتظر النشرا
ولكننى أنساه حتى كأننى * بما كان منه لم أحط ساعة خبرا
ولو جاز كتم السر بينى وبينه * عن السر والاحشاء لم تعلم السرا

وقال على عليه السلام شر الاصدقاء من أحوجك الى مداراة وألجأك الى اعتذار وقال أيضا شر الاصدقاء من تكلف له وقال الفضيل انما تقاطع الناس بالتكلف يزور أحدهم أخاه فيتكلف له ما لا يفعله كل واحد

منهما

وطول الجهاد وذلك من الذين قال الله تعالى فيهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وهم الذين ناداهم بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية الدرجة الثانية وهى الوسطى ان لا يفتر عن الجهاد والمحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة يكون الظهور لداعية الهوى وتارة يكون لداعى الطاعة وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ وهذا هو الجهاد الاكبر قال عليه السلام المجاهد من جاهد نفسه والمهاجر من هجر السوء واعلم انه كان للصحابة جهادات وهجرتان فالجهاد الاول جهاد الكفار على الايمان بالله تعالى وتوحيده واعلاء كلمة الدين والجهاد الثانى جهاد النفس وأما الهجرة الاولى فالهجرة من أرض الكفر الى أرض النبوة والهجرة الثانية هجرة السوء وأما نحن فالمجاهد منا من جاهد نفسه والمهاجر من هجر السوء الدرجة الثالثة وهى السفلى أن تقوى داعية الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وهذا المسكين من الذين قال الله فيهم ولكن حق القول منى لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين قد صار عقله أسير الهوى وشهوته

(فصل) وأما الشكر فقال الله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وقال تعالى وسنجزى الشاكرين وسئل الجنيد رحمة الله عليه عن الشكر فقال ان لا يعصى الله بنعمه وقال رويم استفراغ الطاعة وقال أبو عثمان الشكر العجز عن الشكر وقال بعضهم

منهما في منزله فيحشمه ذلك من الرجوع اليه ورويناعن عائشة رضي الله عنها المؤمن أخو المؤمن لا يغتنمه ولا يحتشمه وروينا في الانبساط الى الاخوان شيأ استظرفته ولولا انه جاء عن امام ماذكرته حدثنا الحرث بن محمد عن ابراهيم بن سعيد الجوهري قال أهدى لهشام فرو كثير الثمن فقال اذهب بها الى سعيد الجوهري فقل له هذه فرو جاء به هشيم اشترها له قال فذهب بها اليه فاشتراها ثم بعث بها الى هشيم فصارت له ودراهمها وقال علي بن المديني قال أحمد بن حنبل اني أحب أن أصحبك الى مكة وما يمنعني من ذلك الا أني أخاف أن أملك أو تملني لانه يقال ان ملل الاخوان ليس من أخلاق الكرام وقال مكحول قلت للحسن اني أريد الخروج الى مكة فقال لا تصحبن رجلا يكرم عليك فينقطع الذي بينك وبينه وكان أبو عمرو بن العلاء يقول يستحسن الصبر عن كل شئ الا عن الصديق وقال استحب للمتواخيين في الله عز وجل ان يلتقيا في كل يوم مرتين وقال أنس ابن مالك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتماشون فاذا استقبلهم صخرة أو أكمة فرقت بينهم فالتقوا من ورائها سلم بعضهم على بعض وقال الحسن وأبو قلابة ليس من المروءة أن يربح الرجل على صديقه وقال ابن سيرين لا تكرم أخاك بما يشق عليه وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما يتجالس المتجالسان بالامانة فلا يحل لاحدهما أن يفشي على أخيه ما يكره وخرج ابن المبارك في سفر فصحبه قوم فقال لهم ان أنكر أحد منكم شيأ فليخبرني فلما أرادوا ان يتفرقوا قال لهم هل أنكرتم مني شيأ فقال شاب منهم انا قال وما أنكرت قال لم أرك تستاك فقال ويحك وهل يستاك الرجل بين يدي صديقه وكان بشر بن الحرث يقول لا تخالط من الناس الا حسن الخلق فانه لا يأتي الا بخير ولا تخالط سيء الخلق فانه لا يأتي الا بشر وقال الشافعي رحمه الله من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان وقال عمرو بن دينار زهدك في راغب فيك نقص حظ ورغبتك في زاهد فيك ذل نفس وكان ابن سيرين يقول يحتمل الرجل لاخيه الى سبعين زلة ويطلب له المعاذير فان أعياه ذلك والا قال لعل لاخي عذرا غاب عني وقال الثوري اذا أردت ان تؤاخي رجلا فاغضبه ثم دس عليه من يسأله عنك فان قال خيرا فاصحبه وقال غيره لا تؤاخين أحدا حتى تبلوه وتفشي اليه سرا ثم اجفه واستغضبه وانظر فان أفشاه عليك فاجتنبه وقيل لابي يزيد من أصحب من الناس قال من يعلم منك ما يعلم الله عز وجل ويستر عليك ما يستر الله تعالى وكان ذو النون يقول لا خير لك في صحبة من لا يحب ان يراك الا معصوما وقيل لبعض العلماء من يصحب من الناس قال من يرفع عنك ثقل التكلف وتسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وقد كان جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يقول اثقل اخواني علي من يتكلف لي وأتحفظ منه وأخفهم على قلبي من أكون معه كما أكون وحدي يريدون بهذا كلمات من لم يكن على هذه الاوصاف دخل عليه التصنع والتزين فاخرجاه الى الرياء والتكلف فذهبت بركة الصحبة وبطلت منفعة الاخوة وقال بعض الصوفية لا تعاشر من الناس الا من لا تزيد عنده ببر ولا تنقص باثم ومن يتوب عنك اذا أذنبت ويعتذر اليك اذا أسأت ويحمل عنك مؤنة نفسه ويكفيك مؤنة نفسك وهذه من أعز الاوصاف في هذا الوقت كما قال رجل للجنيد قد عز في هذا الزمان أخ في الله تعالى قال فسكت عنه ثم عاد ذلك فقال له الجنيد اذا أردت أخا في الله عز وجل يكفيك مؤنتك ويتحمل اذاك فهذا لعمري قليل وان أردت اخا في الله تحمل أنت مؤنته وتصبر على اذاه فعندي جماعة أدلك عليهم ان أحببت فهذا لعمري يكون محبا لنفسه اذا اقتضى هذا من أخيه لا محبا للاخ في الله تعالى وليس الاخاء كف الاذى لان هذا واجب ولكن الاخاء الصبر على الاذى وكانت هذه الطائفة من الصوفية لا يصطحبون الا على

الشكر الثناء على المستحق بذكر نعمه واحسانه وقال بعض المحققين الشكر هو العجز عن الشكر وهذا الشكر الذي أشار اليه هذا القائل هو شكر العارفين قال عليه الصلاة والسلام سبحانك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك والشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر والخوف والزهد لانها ليست مقصودة في نفسها وانما تراد لغيرها فالصبر يراد منه قهر النفس والهوى والخوف سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة والزهد هرب من العلائق الشاغلة عن الله تعالى وأما الشكر فمقصود في نفسه وكذلك لا ينقطع في الجنة وليس في الجنة توبة ولا خوف ولا صبر ولا زهد والشكر دائم في الجنة وكذلك قال الله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين والشكر يكون بالفعل والقول والاعتقاد والنية والشكر بالقول وبالفعل يكون بالقلب وبالجارحة الظاهرة وهو ينتظم من علم وحال وعمل فالعلم يورث الحال والحال يورث العمل فاما العلم فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه وأما العمل فهو القيام بما هو مقصود المنعم وذلك العمل يكون بالقلب وبالجوارح واللسان كما تقدم ذكره قال ابراهيم الخواص شكر العوام على المطعم والملبس وشكر الخواص على واردات القلوب والشكر واجب لقوله تعالى واشكروا لي ولا تكفرون والشكر من المقامات العالية كما قد ذكرنا من قبل واعلو مرتبته طعن ابليس في الخلق بقوله ولا تجد أكثرهم شاكرين والشكوى تشين الشكر بل تذهبه فمن سئل عن حاله فشكا فهو عاص لانه شكا ملك الملوك الى عبد ذليل لا يقدر على شيء *(فصل)* والشكر ينقسم الى أقسام فينقسم بحسب الجوارح الى شكر بالقلب وشكر القلب هو التوحيد والمعرفة والمحبة والفكر والذكر وحسن النية وترك العوارق الرديئة قبل دخول رجل

على سهل بن عبد الله فقال ان اللص دخل بيتي وأخذ من متاعي فقال له اشكر الله تعالى الذي لم يدخل اللص الكبير الذي هو الشيطان المريد قلبك فأفسد ايمانك ودينك ماذا كنت تصنع وشكر اللسان بالاقرار بالتوحيد والحمد والتسبيح والتهليل والذكر وشكر البدن بالعبادات البدنية وشكر النفس بترك الشهوات وشكر المال بالقرب المالية قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا او ينقسم الشكر بحسب متعلقه الى الشكر على الهداية والايمان والنجاة من الكفر والسلامة من كبائر المعاصي والى الشكر على الامور الدنيوية كالشكر على عافية البدن وسلامة الاعضاء وجلب الرزق ودفع الامراض والاسقام وغير ذلك و ينقسم بحسب صفاته وذلك الى واجب وهو الاعتراف بانه المنفرد بالاعمال وكذلك ما أوجبه من الثناء في الصلاة في قراءة الفاتحة والى مندوب وهو دوام الثناء على الله تعالى بنعمه ومننه ولما أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم بطالب القرب فقال له اسجد واقترب فقال صلى الله عليه وسلم في سجوده أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا احصي ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك فقوله أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك كلام عن مشاهدة فعل الله فقط فكأنه لم ير الا الله تعالى وأفعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب ففنى من مشاهدة الافعال وترقى الى الصفات التي هي مصادر الافعال فقال أعوذ برضاك من سخطك وهما صفتان ثم رأى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقى عن مقام المشاهدة بعض الصفات الى مشاهدة الذات فقال أعوذ بك منك وهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة ولكنه رأى نفسه فارا منه اليه ومستعيذا ومثنيا فانثنى عن مشاهدة نفسه اذ رأى ذلك نقصانا واقترب فقال أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصي ثناء عليك أخبر عن فناء نفسه وخروجه عن

سواء أربع معان لا يترجح بعضها على بعض ولا يكون فيها اعتراض من بعض ان أكل أحدهم النهار كله لم يقل له صاحب صم وان صلى الليل اجمع لم يقل له أحد نم بعضه وتستوي حالاه عنده فلا مزيد لاجل صيامه وقيامه ولا نقصان لاجل افطاره ونومه فاذا كان عنده يزيد بالعمل و ينتقص بترك العمل فالفرقة أسلم للدين وأبعد من المراياة من قبل ان النفس مجبولة على حب المدح وكراهة الذم ومبتلاه بان تربب حالها التي عرفت به وان تظهر أحسن ما يحسن عند الناس منها فان صحب من يعمل معه هذا فليس ذلك بطريق الصادقين ولا بغية المخلصين فمجانبة هؤلاء الناس أصلح للقلب وأخلص للعمل وفي معاشرتهم وصحبة أمثالهم فساد القلوب ونقصان الحال لان هذه أسباب الرياء وفي الرياء حبط الاعمال وحسن رأس المال والسقوط من عين ذي الجلال نعوذ به سبحانه وتعالى من ذلك وكان الثوري رحمه الله تعالى يقول من عاشر الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما وقعوا فيه فهلك كما هلكوا وكان بعض الناس يقول لا تؤاخ من الناس الا من لا يتغير عليك في أربع عند غضبه و رضاه وعند طمعه وهواه لان هذه المعاني تتغير لها الطباع لدخول الضرر منها على النفس وفقد الانتفاع وقال بعض الادباء لا تصحب من الناس الا من كان على هذا الوصف يكتم سرك و يستر برك و يطوي عيبك ويكون في النوائب معك وفي الرغائب يؤثرك فان لم تجده فلا تصحب الا نفسك وقد أنشدنا بعض العلماء لبعض الادباء في معنى هذه الاوصاف

ونديمان أخي ثقة * كان حديثه خبره * يسرك حسن ظاهره
وتحمد منه مخبره * فساعد خله كرما * وفي أخلاقه أثره
و يطوي سوأه أبدا * وحسنا ان طوى نشره * و يستر عيب صاحبه * و يستر انه ستره

وقال بعض العلماء لا تصحب الأحد رجلين رجلا تتعلم منه شيأ من أمر دينك فينفعك أو رجلا تعلمه شيأ من دينه فيقبل منك والثالث اهرب منه وقال ابن أبي الحواري قال لي استاذي أبو سليمان يا أحمد لا تصحب الا أحد رجلين رجل ترتفق به في دنياك أو رجل تزيد معه وتنتفع به في آخرتك والاشتغال بغير هذين حمق كبير * وكان المأمون يقول الاخوان ثلاثة أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه فالعبد مبتلى بهذا الثالث وهو الذي لا أنس فيه ولا نفع عنده والاول نعمة من الله سبحانه وتعالى على العبد فيه الالفة وأنس ومعه غنيمة ونفع * وكان أبو ذر يقول الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وقال بشر بن الحرث يكون للرجل ثلاثة اخوان أخ لآخرته وأخ لدنياه وأخ يأنس به فاخبران أخ المؤانسة قد لا يكون متقربا عابدا وان الانس مخصوص يقال لا يوجد الا في كريم وكان يوسف بن اسباط بعز زمن فيه أنس من الاخوان فكان يقول ما في المصيصة ثلاثة يؤنس بهم واعلم أن الانس لا يوجد في كل عالم ولا في كل عاقل ولا في كل عابد زاهد و يحتاج الانس الى وجود معان تكون في الولي فاذا اجتمعت فيه كمل فيه الانس وارتفعت عنه الوحشة والحشمة ومن لم تكن فيه لم يوجد فيه انس ومن لم تكمل فيه وجد فيه بعض الانس واذا حصل الانس ففيه الروح من الكروب والاستراحة من الغم والسكون وطمأنينة القلب فكذلك عز من يوجد فيه الانس لعزة خصاله وهي سبع علم وعقل وأدب وحسن خلق وسخاء نفس وسلامة قلب وتواضع فان فقد بعضها لم يجد خلا يأنس بكماله من قبل ان اضدادها وحشة كما هالان الجاهل لا أنس فيه والاحمق لا أنس به والبخيل سيئ الخلق لا أنس عنده والخبيث والمتكبر لا أنس معه فاعرف هذا * ورو ينا عن الاصمعي انه ذكر عن

مشاهدة نفسه فقال انت كما اثنيت على نفسك فاول مقاماته هي نهاية مقام غيره وهو ان لا يرى الا الله تعالى وأفعاله و يستعيذ بفعل من فعل وانظر الى ماذا انتهت اليه غايته اذا انتهى الى الواحد الحق حتى ارتفع في نظره ومشاهدته عما سوى ذات الحق ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرتقي من رتبة الى رتبة أخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان يستغفر الله تعالى (٢٢٧) ويرى ذلك نقصانا في سلوكه وتقصيرا في مقامه واليه أشار بقوله انى ليغان على قلبي حتى استغفر الله تعالى سبعين مرة وذلك لترقيه الى سبعين مقاما وقال بعض المحققين فيه اشارة الى معنى آخر وهو دوام طلب القرب والاتصال لان الباء للوصل والالصاق ومن لابتداء غاية الحركة والانفصال فكانه استغاث بالوصال من الفراق

*(باب التواضع وحسن الخلق والاحسان) قال الله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين وقال تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا أي بالتواضع وقال صلى الله عليه وسلم من تواضع لله رفعه الله والتواضع رضا الانسان بمنزلة دون ما يستحقها افضله ومنزلته والتواضع مع الخلق من باب التفضل عليهم لانه ترك لهم بعض حقه والكبر رفع نفسه فوق قدره والفرق بين التواضع والخشوع هو أن التواضع بالافعال الظاهرة والخشوع بالافعال الباطنة ويتبع خشوع الباطن خشوع الظاهر لان الظاهر يتبع الباطن وقال عليه الصلاة والسلام لذلك الذى عبث في صلاته لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه

قال بعض المريدين لبعض المشايخ دلوني كيف أصحبكم قال خل نفسك وتعال يشير بذلك الى ان صحبة المريد للمشايخ تكون بكسر النفس وابدال العزة بالذل وامانة حظوظ النفس وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى الى وليمة فخرج الى أصحاب الصفة فاخذهم معه ومضى الى بيت الوليمة قال الراوي فرأيته يمشي الى بيت الدعوة وهم حوله نحو من ستين عليهم الخلقان حفاة مكشوفين الرؤس قال المشايخ والتواضع ان يخضع

بعض الحكماء قال عاملوا احرار الناس بمحض المودة وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة وسوسوا السفلة بالمخافة ومثل جملة الناس كمثل جملة الشجر منهم من له ظل ليس فيه ثمر وهذا الذى فيه نفع من الدنيا ولا ثمرة له في العقبى و يحتاج اليه في وقت ومنهم من فيه ثمر وليس له ظل وهذا يصلح للآخرة ولا يصلح للدنيا ومنهم من فيه ظل وثمر فهذا الذى يصلح للدين والدنيا وهو أعزها ومنهم من لا ظل له ولا ثمر وهذا هو الذى لا يحتاج اليه فمثله في الشجر مثل شجر الغضا وهو شوك البرية التى تسميه العامة أم غيلان تمزق الثياب لا طعام فيه ولا شراب فهؤلاء من الناس من يضر ولا ينفع و يكثر ولا يدفع مثله كما قال الله تبارك وتعالى يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير ومثله في الدواب مثل الفارة والعقرب وقد قيل في وصفهم

الناس شتى اذا ما أنت ذقتهم * لا يستوون كما لا يستوى الشجر
ذا رب ظل وهذا عنده ثمر * وذاك ليس له ظل ولا ثمر

وقد أنشدنا في مثل وصف هذا البعض الادباء

اذا كنت لا ترجى لدفع مهمة * ولم تك يوم الحشر ممن يشفع
ولا أنت ذا مال يجود بماله * فعود خلال من اخائك أنفع

قال بعض السلف اذا ولى أخوك ولاية فثبت على نصف مودتك فكثير وحدثنا محمد بن القاسم القرشي عن الربيع بن سليمان عن الامام الشافعي رحمه الله انه آخى رجلا ببغداد ثم ان أخاه ولى السيبين فتغير للشافعي كما كان يعهده منه فكتب اليه الشافعي رضي الله عنه هذه الابيات

اذهب فودك من ودادى طالق * منى وليس طلاق ذات البين
فان ارعويت فانها تطليقة * و يدوم ودك لى على ثنتين
واذا امتنعت شفعتها بمثالها * فتكون تطليقتين في حيضين
فاذا الثلاث أتتك منى بتة * لم تغن عنك ولاية السيبين

فذكر هذا الكلام لبعض الفقهاء فاستحسنه وقال هذا الطلاق فقهى الا انه طلق قبل النكاح وقد كان الشافعي عليه السلام آخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه و يقربه و يقول ما يقيمني بمصر غيره واعتل محمد فعاده الشافعي فحدثني القرشي عن الربيع قال سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمدا

مرض الحبيب فعدته * فمرضت من حذرى عليه
وأتى الحبيب يعودنى * فبرأت من نظرى اليه

وما شك أهل مصر ان الشافعي يفوض أمر حلقته اليه وانه يستخلفه بعد موته و يأمر الناس بالحضور عنده حتى سئل عن ذلك في علته فقيل له يا أبا عبد الله الى من نجالس بعدك ومن يكون صاحب الحلقة وهم يظنون انه يشير الى محمد فاستشرف لذلك محمد وتطاول لها وكان جالسا عند رأسه فقال سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه الى أبي يعقوب البويطي وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك الا ان البويطي كان ازهد واورع فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين ولم يداهن في ذلك بان وجه الامر الى أبي يعقوب وآثره لانه كان أولى فلما قبض الشافعي رضي الله عنه انتقل محمد بن عبد الحكم من مذهبه وفارق أصحابه ورجع الى مذهب مالك وروى كتب ابيه عن مالك وتفقه فيها فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضي الله عنه وأخمل البويطي رحمه الله نفسه واعتزل عن الناس

بالبويطة من سواد مصر وصنف كتاب الام الذى ينسب الآن الى الربيع بن سليمان ويعرف به وانما هو جمع البويطى لم يذكر نفسه فيه وأخرجه الى الربيع فزاد فيه وأظهره وسمع منه وقد كان البويطى حمل فى المحنة ورفع من مصر الى السلطان وحبس فى شأن القرآن فحدثنا عن الربيع قال كتب الى البويطى من السجن يحثنى على المجالس ويأمرنى بالمواظبة على العلم والرفق بالمتعلمين والاقبال عليهم وان أتواضع لهم وقال كثيرا ما كنت أسمع الشافعى رضى الله عنه يقول

أهين لهم نفسى لكى يكرمونها * ولن تكرم النفس التى لا تهينها

واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بنى لا تصحب من الناس الا من ان افتقرت قرب منك واذا استغنيت لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك ان تذللت له صانك وان احتجت له مانك وان اجتمعت معه مزانك فان لم تجد هذا فلا تصحبن أحدا ومن حق الاخوة فى الله عز وجل ما نقل الينا من سيرة السلف قال كان الرجل يجىء الى منزل أخيه من حيث لا يعلم فيقول لاهله هل عندكم دقيق ألكم زيت تحتاجون الى كذا فان قالوا ليس عندنا اشترى لهم مصالحهم قال ولم يكن الاخ يفرق بين عياله وعيال أخيه يقاسمهم المؤنة قال ويلقى أخاه فلا يعلمه بشئ من ذلك وأما سعيد بن أبى عروبة فكان يعلق كل ثوب عنده على الحبل ويظهر كل صنف من طعام فيصفه وربما اشترى المسلوخ فيعلقه ويفتح بابه ويدخل عليه اخوانه فى الله عز وجل فكان من أراد طعاما أكل ومن اشتهى لحما قطع وشوى أوطبخ ومن احتاج الى ثوب لبس من غير اذن ولا مؤامرة قد عرفوا ذلك من أخلاقه وكان مثله جماعة متخلقين بهذه الاخلاق وقد جعل الله تبارك وتعالى الالفة بين المؤمنين من آياته وتمدح بوصفها ولم يكلها الى الرسول صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم أى عزيز لا يؤالف غيره ما فرق ولا يفرق سواه ما ألف حكيم تفرد بالحكم فى التأليف كما توحد بالتوحيد بالتعريف ومعنى آخر عزيز عز الالفة وعظمها عند المؤمنين حكيم جعلها فى الحكمة مع الحكماء من الصالحين ونظر أبو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان فوقف أحدهما يحك جسده فوقف الآخر فبكى أبو الدرداء فقال هكذا الاخوان فى الله عز وجل يعملان لله تبارك وتعالى ويتعاونان على أمر الله فاذا وقف أحدهما وقف الآخر لوقوفه وكان أكثر عبادة أبى الدرداء التفكر وكان يقول انى لادعو لاربعين من اخوانى فى سجودى أسميهم بأسمائهم وقد جاء فى الحديث دعاء الاخ لاخيه بالغيب لا يرد ويقول الملك ولك مثل هذا وفى لفظ آخر يقول الله تبارك وتعالى بك أبدأ والحديث المشهور يستجاب للمرء فى أخيه ما لا يستجاب له فى نفسه فمن واجب الاخوة تخصيصه وافراده بالدعاء والاستغفار له فى الغيب فلو لم يكن من بركة الاخوة الا هذا كان كثير وكان محمد بن يوسف الاصبهانى يقول وأين مثل الاخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك وهو منفرد بحسرتك مهتم بما قدمت يدعو لك فى ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى فقد أشبه الاخ الصالح الملائكة لانه جاء فى الخبر اذا مات العبد قال الناس ما خلف وقالت الملائكة ما قدم يفرحون بما قدم من خير ويشفقون عليه وقال بعض العلماء لو لم يكن فى اتخاذ الاخوان الا أن أحدهم يبلغه موت أخيه فيترحم عليه ويدعو له فلعله يغفر له بحسن نيته له ويقال من بلغه موت أخيه فترحم عليه واستغفر له كأنه شهد جنازته وصلى عليه وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الميت فى قبره مثل الغريق يتعلق بكل شئ ينتظر دعوة من ولد أو والد أو أخ وانه ليدخل على قبور الاموات من دعاء الاحياء من الانوار أمثال الجبال ويقال الدعاء للاموات

العبد اصولة الحق وهو على درجات * الدرجة الاولى التواضع للدين وهو ان لا يعارض معقول منقولا ولا يتهم على الدين دليلا ولا يرى الى الخلاف سبيلا والدرجة الثانية ان ترضى نفسك باخوة المؤمن الذى رضيه الله تعالى لنفسه عبدا وان لا ترد على عدل حقا وتقبل من المعتذر معاذيره والدرجة الثالثة ان تتضع للحق فتنزل عن رأيك وعوائدك فى الخدمة وتترك حقك فى الصحبة وقال القشيرى التواضع هو الاستسلام للحق وترك الاعتراض على الحكم وقد جاء فى تواضع النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد كان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل ليف عليه اكاف من ليف وكان صلى الله عليه وسلم يعلف البعير ويقم البيت ويخصف النعل ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه اذا اعيا وكان لا يمنعه الحياء ان يحمل بضاعته من السوق الى أهله وكان يصافح الغنى والفقير ويسلم مبتدئا ولا يحقر ما دعى اليه ولو الى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة طلق الوجه بساما من غير ضحك محزونا من غير عبوسة متواضعا من غير مذلة جوادا من غير سرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع ولم يمد يده الى الطمع قال بعض أهل المعارف للعارف نظرتان نظرة الى نفسه ونظرة الى ربه اذا نظر الى نفسه ذل وافتقر واذا نظر الى ربه عز وافتخر وحكى بعض الاكابر قال رأيت فى الطواف انسانا وبين يديه حجبة يمنعون الناس لاجله من الطواف ثم رأيته بعد ذلك بمنزلة يمر على جسر ببغداد يسأل الناس شيئا قال فتعجبت من أمره فسألته عن ذلك فقال أنا تكبرت فى موضع يتواضع الناس فيه فاذهب الله تعالى جاهى ومالى وابتلانى بالذل فى موضع يتعاظم الناس فيه وقيل تشاجر أبو ذر وبلال فعير أبو ذر بلالا بسواده فشكاه الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا

ذر ما علمت انه قد بقى فى قلبك من كبر الجاهلية شئ فالقى أبو ذر نفسه وحلف ان لا يرفع رأسه حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرفع حتى رفع ذلك بلال

(فصل) وأما حسن الخلق فقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم قال الواسطى وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالخلق العظيم لانه جاد بالكونين واكتفى بالله تعالى وقال تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة عليك بحسن الخلق فقال يا رسول الله وما حسن الخلق قال تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وقال صلى الله عليه وسلم يعطى الرجل بحسن الخلق أجر الصائم القائم ومن دعائه صلى الله عليه وسلم واهدنى لاحسن الاخلاق فانه لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف عنى سيئها الا أنت وقال أنس رضى الله عنه خدمت النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى فى شئ صنعته لم صنعته ولا فى شئ تركته لم تركته وكان يمازحنى وربما قال يا ذا الاذنين وقال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال بعض أهل البصائر فى قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم قال معناه لم يؤثر فيك جفاء الخلق ومناصحتهم مع ملك لما نصحتهم فى دعوتك الى الله تعالى وأرشدتهم الى ما ينقذهم من هلاك الابد وشقاوة السرمد وتحقق ذلك ماروى انه صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة ودخلها جاء اليه المشركون من أهلها بعد ان فعلوا معه ومع أصحابه من المكايد وكثرة الاذى ما هو مذكور فى كتب السير مشهور فى مصنفات الاثر يطلبون منه الامان خائفين على أنفسهم فلما رآهم قال أقول كما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين وقال ارجو ان يخرج الله تعالى من اصلابهم من يوحد الله ولا يشرك به شيأ قال

بمنزلة الهدايا للاحياء فى الدنيا قال فيدخل الملك على الميت معه طبق من نور عليه منديل من نور فيقول هذه هدية من عند أخيك فلان من عند قريبك فلان قال فيفرح بذلك كما يفرح الحى بالهدية فقد كان الاخوان يوصون اخوانهم بعدهم بدوام الدعاء لهم ويرغبون فى ذلك لحسن يقينهم وصدق نياتهم وان أعظم الحسرة من خرج من الدنيا ولم يؤاخ أخا فى الله عز وجل فيدرك بذلك فضائل المؤاخاة وينال به منازل المحبين عند الله تعالى ومن أشد الناس وحشة فى الدنيا من لم يكن له خليل يأنس به وصديق صدق يسكن اليه كما قال على عليه السلام وغريب من لم يكن له حبيب ولا يوحشنك من صديق سوء ظن وأنشد بعض الشيوخ لبعضهم

وليس غريبا من تناءت دياره * ولكن من يجفى فذاك غريب
ومن كان ذا عهد قديم ووافيا * فلو جاوز السدين فهو قريب

وقيل لسفيان الثورى بمن تأنس فقال بقيس بن الربيع وما رأيته منذ سنتين وكان بعضهم يقول أنا بمودة من غاب عنى من بعض اخوانى أوثق منى بمودة من يغدو على ويروح فى كل يوم مرتين وقال محمد بن داود قرب القلوب على بعد المزار خير من قرب الديار من الديار وليتق أن يعاشر أخاه بخمس خصال فليست من الادب ولا المروءة أولها أن لا يلزمه بما يكره مما يشق عليه والثانية أن لا يسمع فيه بلاغة ولا يصدق عليه مقالة والثالثة أن لا يكثر مسائلته من أين تجىء والى أين تذهب وأن لا يتجسس عليه ولا يتحسس عنه والفرق بينهما ان التجسس يكون فى تطلب الآثار والتحسس يكون فى تطلع الاخبار فقد روينا كراهة هذه الخمس فى سيرة السلف وقال محمد بن سيرين لا تلزم أخاك بما يشق عليه وقال مجاهد اذا رأيت أخاك فى طريق فلا تسأله من أين جئت ولا أين تذهب فلعله أن يصدقك فى ذلك أو يكذبك فتكون قد حملته على الكذب وروينا ان حكيما جاء الى حكيم فقال جئتك خاطبا اليك مودتك فقال ان جعلت مهرها ثلاثا فعلت قال وما هن قال لا تخالفنى فى أمر ولا تقبل على بلاغة ولا تعطين فى رشوة فقال قد فعلت قال قد آخيتك وأما التجسس والتحسس فقد نهى الله ورسوله عنهما وجعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط الاخوة مع ترك التدابر والتقاطع فقد روينا فى الخبر السائر لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا المقاطعة فى الشهادة أن تقطع مواصلته وتنحرف عن جريان عادته والتدابر فى الغيب مأخوذ منه اذا ولاك الدبر أى لا تدابره الا بما يحب كما تكون له فى المقابلة كما أخذت الغيبة من الغيب أى لا تخلفه فى غيبه بما يكره وقد كان الاخوان يتباينون على العلوم والاعمال وعلى التلاوة والاذكار وبهذه المعانى تحسن الصحبة وتحق المحبة وكانوا يجدون من المزيد من ذلك والنفع به فى العاجل والآجل ما لا يجدونه فى التخلى والانفراد من تحسين الاخلاق وتلقيح العقول ومذاكرة العلوم وهذا لا يصلح الا لاهله وهم أهل سلامة الصدور والرضا بالميسور مع وجود الرحمة وفقد الحسد ووجد التناصر وعدم التظاهر وسقوط التكلف ودوام التألف فاذا عدمت هذه الخصال ففى وجود أضدادها تقل المباينة وقد قيل من سقطت كلفته دامت صحبته والفته ومن قلت مؤنته دامت مودته وقال على عليه السلام شر الاصدقاء من تكلف له وقال يونس النبى عليه السلام لما زاره اخوانه فقدم اليهم خبز شعير وجز لهم من بقل كان زرعه وقال لولا ان الله تبارك وتعالى لعن المتكلفين لتكلفت لكم وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنا والاتقياء من أمتى برآء من التكلف فجملة التكلف هو عمل ما لا نية للعبد فيه ودخول العبد فيما لا يعنيه وتعاطيه ما فقد كفيه ومع وجود الحسد يكون الغل وهو ثبوت الحقد تكون المباينة وفى التطاول والتظاهر تقع المجانبة ومع الخبث والمكر

بعضهم الخلق الحسن هو بذل المعروف وكف الاذى وسئل أبو حفص عن الخلق الحسن فقال هو ما اختاره الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقالت امرأة لمالك بن دينار يا مرائى فقال يا هذه وقعت على اسمى الذى أضله أهل البصرة ومن كان خلقه احتمال المكروه فخلقه حسن قيل كان ابراهيم بن ادهم فى بعض البرارى فاستقبله جندى فقال له اين العمران فاشار الى المقبرة فضرب الجندى رأسه فشجه فلما جاوزه قيل له هذا ابراهيم بن أدهم فجاء الجندى يعتذر اليه فقال له ابراهيم لما ضربتنى دعوت لك بالجنة لانك فعلت بى فعلا أوجرت عليه فلم أرد ان يكون نصيبى منك الخير ونصيبك منى الشر واعلم ان الايثار من حسن الخلق قال الله تعالى ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وسلم أيعجز أحدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا أصبح وأمسى يقول اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك والايثار على قسمين الاول ان تؤثر الخلق على نفسك بما لا يمتنع عليك شرعا الايثار به وفيه الاحتراز عن الايثار بالقرب ويتولد ذلك عن ثلاثة أشياء تعظيم الحقوق ومقت الشح والرغبة فى مكارم الاخلاق والثانى هو ايثار رضا الله تعالى على غيره وان عظمت فيه المحن وثقلت فيه المؤن ويعين على ذلك قوة الصبر

(فصل) وأما الاحسان فقد قال الله تعالى والله يحب المحسنين وقال تعالى هل جزاء الاحسان الا الاحسان والاحسان اسم يجمع جميع أبواب الحقائق أعنى يحوى جميع المقامات كما جاء فى الحديث وقد سأله السائل عن الاحسان فقال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا هو الاحسان فى معاملة الحق وأما الاحسان فى معاملة الخلق فان تترك لهم جميع حقوقك وتوفيهم جميع حقوقهم التى عليك قال بعض العلماء بالله لا ينفك غالب الخلق عن كمال ونقص وحسن وقبح

تكون المنافرة وهذا كله يذهب الالفة وينقص المحبة ويبطل فضيلة الاخوة وقال بعض أهل البيت أثقل اخوانى على من أحتشمه ويحتشمنى وقال بعض السلف كانوا لا يغتنمون ولا يحتشمون وسئل الحسن عن الصديق الذى أكل ماله بغير اذن منه فقال من استراحت اليه النفس وسكن اليه القلب فاذا كان كذلك فلا اذن له فى ماله وسئل ذو النون عن الانس فقال ان تأنس بكل وجه صبيح وكل صوت فصيح والله تبارك وتعالى فيما بينك وبين ذلك واذا علمت ان أخاك يسر باخذك من رحله وملكه أو علمت انه لا يكره ذلك ان فعلته حل لك أن تأخذ وان كان لم يأذن لك لان علمك يقوم مقام اذنه وعلامة هذا امتلاك انشراح صدرك بذلك وخفته على قلبك فذلك دليل على سروره به وعلى قياسه من علمت من الناس انه يكره تناولك من ماله شيأ أو عرفته يبخل ضنانة بما فى يديه فانى أكره لك أن تأكل من ماله شيأ وان أذن لك بعد أن تعلم ان الاحب اليه أن لا تأخذ ففى الورع وان أعطاك أن لا تقبل فان بذله مع علمك بامره لغو لا حقيقة له ودليل ذلك ضيق صدرك به ووجود الحشمة والوحشة فى القلب فقد جاء فى الاثر الاثم حواز القلب وجاء الاثم ما حاك فى صدرك والبر حسن الخلق والبر ما سكنت اليه النفس واطمأن به القلب فقد جاءت هذه الالفاظ فى أحاديث متفرقة وعلى ما ذكرناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل من لحم بريرة تصدق به عليها وكانت غائبة لما علم انه يسرها فلم ينتظر اذنها فعلى ضد ذلك فى القياس ما ذكرناه ونظر هاشم الاوقص الى الحسن وهو يأكل من جوز لبقال من هذه بسرة ومن هذه تينة فقال له يا أبا سعيد تأكل من مال الرجل بغير اذنه فقال يالكع اتل على آية الاكل ثم قرأ الحسن ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم الى قوله تعالى أو صديقكم وقد كان أصحاب محمد بن واسع وفرقد السنجى يدخلون منزله فيأكلون من غير أن يؤذن لهم ويقول ذكرتمونى أخلاق قوم مضوا هكذا كانوا وكان دخل على أبى سليمان الدارانى فيقدم الينا الطيبات ولا يأكل معنا ويقول انما خبأته لكم فقلنا أطعمنا الشهوات ولا تأكلها فقال لا آكلها لانى قد تركت أكلها وأقدمها اليكم لانى أعلم انكم تشتهونها وقال كنا نبايت ابراهيم بن أدهم فى المصيصة وفى قرى السواحل فكان يكسر لنا الصنوبر والبندق واللوز ليأكله أجمع ويقول كلوا فقلنا لو أقبلت على صلاتك وتركت هذا فيقول هذا أفضل وكان بعض الناس يفجؤه الضيف فلا يكون عنده ما يقدمه اليه فيذهب الى منزل أخيه فياخذ خبزا وقدرا قد كان طبخها فيحمله الى ضيفه فلقاه أخوه بعد ذلك فيستحسنه منه ويأمره بفعل مثل ذلك فى كل نائبة وقال بعض العلماء اذا عمل الرجل فى منزل أخيه أربع خصال فقد تم انسه به اذا أكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى فذكرت هذه الحكاية لبعض أشياخنا فقال صدق بقيت خصلة قلت ما هى قال معها وجامع فاذا فعل هذا فقد تم انسه به لان هذه الخمس لاجلها يتخذ البيوت ويقع الاستخفاء لما فيها من التبذل والعورة ولولاها كانت بيوت الله سبحانه أروح وأطيب ففى الانس بالاخ وارتفاع الحشمة من هذه الخمس مثل حال الانس فى الوحدة بالنفس من غير غيب من عائب ولا ضد لكن من اتفاق جنس وهذا العمرى نهاية الانس ذا تاما الخامسة وهو قول شيخنا وجامع فعلى ذلك يصلح أن يستدل له بقول العرب فى تسليمهم وترحيبهم مرحبا وأهلا وسهلا أى لك عندنا رحب وهو السعة فى القلب والمكان ولك عندنا أهل تأنس بهم بلا وحشة منا وسهلا أى لك عندنا سهولة ذلك يسهل علينا ولا يشتد فهو سهولة اللقاء وهو لتمم الاخلاق فى الالتقاء واعلم ان للناس فى التعارف سبع مقامات بعضها فوق بعض فأول ذلك المعرفة عن الرؤية أو السمع فقط فلهذا أخوة الاسلام وحق العامة ثم المجاورة وله حق الجوار وهو ثانى

حقوق

فمن تغافل عن قبائح الخلق وذكر محاسنهم فهو من المحسنين روى ان عيسى عليه السلام مر ومعه الحواريون بكلب ميت قد كش جلد لحيه وبدت
أسنانه وفاح نتنه فقال الحواريون ما أنتن هذه الجيفة فقال عيسى عليه السلام ما أحسن بياض أسنانه تنبيها على انه لا يذكر عن الشئ الاما هو
أحسن صفاته *(باب الرضا والتسليم)* قال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في
أنفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما وقال
تعالى رضى الله عنهم
ورضوا عنه وقال صلى الله
عليه وسلم لوفد قدموا عليه
ما أنتم قالوا مؤمنون قال
وما علامة ايمانكم قالوا
نصبر على البلاء ونشكر
عند الرخاء ونرضى بمواقع
القضاء فقال مؤمنون ورب
الكعبة وفي رواية قال حكماء
علماء كادوا من فقههم ان
يكونوا أنبياء وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا أحب
الله عبدا ابتلاه فان صبر
اجتباه وان رضى اصطفاه
واعلم ان الاشياء كلها بقضاء
الله تعالى وقدره وتيسيره
فصاحب الطاعة علم منه انه
يريدها فيسرها له ووفقه لها
وأعانه عليها بان خلق له
أسبابها وصاحب المعصية
علم منه انه يريدها ويختارها
فيسرها له وسهلها عليه
روى ابن وهب في جامعه
ان الله تعالى لما واعد
موسى عليه السلام أربعين
ليلة ومضى لميعاد الله تعالى
افتتن قومه في غيبته بفتنة
السامرى فقال الله تعالى
لموسى عليه السلام ان
قومك قد افتتنوا اتخذوا
عجلا له خوار قال موسى
يارب فمن جعل فيه الروح قال أنا قال يارب فانت الذى أضللتهم قال ياموسى يارأس النبيين يا أبا الاحكام انى رأيت ذلك فى نفوسهم فيسرته لهم
وفى جامع ابن وهب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام ثم أخذ الخلق من ظهره فقال هؤلاء للجنة ولا أبالى وهؤلاء
للنار ولا أبالى فقال قائل يارسول الله فعلى ماذا نعمل قال على مواقع القدر وقال القرظى فى قوله تعالى فالتقى الماء على أمر قد قدر قال

حقوق الاسلام وهذا هو الجار الجنب ثم المرافقة فى طريق أو سفر وهذا هو الصاحب بالجنب فى أحد الوجهين من الآية فلهذا ثلاثة حقوق لانه قد جمع حرمة الاسلام وحرمة الجوار وزاد عليها بانه ابن سبيل ثم الصحبة وهى الملازمة والاتباع فهذا فوق ذلك ثم الصداقة وهى حقيقة الاخوة ومعها تكون المعاشرة وهو اسم تكون معه المخالطة وتوجد فيه المؤانسة وهو يحكم بالمزاورة والمباينة والمؤاكلة وهذا جملة العشرة فالمعاشرة مأخوذة من العشير وهو الخليط المقارب ولذلك سمى الزوج عشيرا فى قول النبى صلى الله عليه وسلم ويكفرن العشير وقد قال الله عز وجل فى تسمية المعاشر وفى قربه لبئس المولى ولبئس العشير يعنى ابن العم المختلط به فقيل منه معاشرة على زنة مفاعلة لانه شئ يقع بين اثنين لامحالة كان كل واحد قد فعل مثله أى يفعل هذا مثل ما يفعل هذا مثل المضاربة والمقاتلة والمشاتمة اذا فعل كل واحد بصاحبه كفعله به ثم الاخوة فوق الصداقة وهذا لا يكاد يكون الا بين النظراء فى الحال والمتقاربين فى الحسن والمعانى بان يوجد فى أحدهما من القلب والهمة والعلم والخلق ما يوجد فى الآخر وان تفاوتا كما قال تبارك وتعالى ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وليسوا من جنسهم ولا على وصفهم فى الخلقة ولكن لما تشابهت قلوبهم وأحوالهم آخى بينهم فهذه اخوة الحال وهى حقيقة الصداقة ثم المحبة وهى خاصية الاخوة وهذا يجعله الله تبارك وتعالى من الالفة ويوجده من الانس فى القلوب يتولاه بصنعه ولا يوليه غيره وهذا ارتياح القلوب وانشراح الصدور ووجد السرور وفقد الوحشة وزوال الحشمة ثم الخليل وهذا فوق الحبيب ولا يكون هذا الا فى عاقلين عالمين عارفين على معيار واحد وطريق واحد وهذا أعز موجود وأغرب معهود والخلة مأخوذة من تخلل الاسرار ومعها تكون حقيقة الحب والايثار فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا لان الخلة تحتاج الى فضل عقل ومزيد علم وقوة تمكين وقد لا يوجد ذلك فى كل محبوب فاذلك عز طلبه وجل وصفه وقد رفع الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فى مقام المحبة فاعطاه الخلة ليلحقه بمقام ابراهيم فكانت الخلة مزيد المحبة ومنه ماروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من الخلق خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله عز وجل فلما اتخذه خليلا لم يصلح أن يشرك فى خلة الخالق خلة الخلق ثم قال ولكن أخوة الاسلام فاوقفه مع الاخوة لان فيها مشاركة فى الحال كما فعل بعلى عليه السلام وعدل به عن النبوة كما عدل بابى بكر عن الخلة وفى الحديث الآخر ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فرحا مستبشرا فقال ألا ان الله تبارك وتعالى قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فانا حبيب الله عز وجل وأنا خليل الله وليس قبل المعرفة اسم يوجب حكما الا ظاهر الاسلام ولا بعد الخليل وصف يعرف الا نعت محب ثم تتزايد الحرمات فى الاخوات مابين المعرفة والخلة وتعظم الحقوق بطول الصحبة وجميل العشرة ويقال صحبة سنة أخوة ومعرفة عشر سنين قرابة وقد ضم الله عز وجل الصديق الى الاهل ووصله بهم ثم رفع الاخ وقدمه على الصديق وهو قوله عز وجل أو ما ملكتم مفاتحه كان الاخ يدفع مفاتيح خزائنه الى أخيه ويتصرف فى الحضر ويتقلب فى السفر ويقول الاخيه حكمك فيما املك كحكمى وملكى له كملكك فكان اخوه يتضايق ويتحرج فيقتر على نفسه لاجل غيبة أخيه ويقول لو كان حاضرا لاتسعت وأكلت رغدا للورع الذى فيه والنصح والايثار لاخيه فرحم الله عز وجل تضايقهم وشكر تورعهم فاطلق لهم الاذن ووسع عليهم فى الاكل فقال عز وجل ولا على أنفسكم أى لا اثم ولا ضيق ان تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ثم نسق الاقارب على ترتيب الاحكام وضم اليهم الاخ لما وصفه بتمليكه مفاتحه أخاه فاقام ذلك مقام ملك أخيه لانه أقام أخاه مقامه فقال تعالى أو ما ملكتم

كان القدر قبل البلاء وقالت الصحابة يارسول الله نعمل على أمر قد فرغ منه أو على أمر لم يفرغ منه قال بل على أمر قد فرغ منه قالوا ففيم العمل حينئذ يارسول الله فقال عليه الصلاة والسلام اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذى هو عامل وكل ميسر لما خلق له فلما سمع الصحابة ذلك قالوا الآن العمل والآن الاجتهاد وبادروا الى الاعمال والمجاهدة *(فصل)* وقد انكرت طائفة الرضا وقالوا الا يتصور الرضا بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر وهؤلاء انما أتوا من انكار المحبة وقد حقق العلماء أمر المحبة وان صاحبها يرضى من محبوبه بما يخالف هواه وطبعه وبينوا ذلك من وجهين أحدهما أن تدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد فى حب المخلوقين وفى حال غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضبان تصيبه الجراحة ولا يحس بها فى الحال وكذا من يعدو فى طلب أمر محبوب له تصيبه شوكة فى رجله فلا يحس بها ثم اذا سكن جزعه وظهر براده عظم المه واذا كان يتصور ان لا يحس بالم يسير لاجل حب يسير تصور ان لا يحس بالم كثير لاجل حب قوى بالغ ومن أجل هذا قال الجنيد رحمة الله عليه قلت لسرى السقطى رحمة الله عليه هل يجد المحب ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب بالسيف سبعين مرة الوجه الثانى من الوجهين الدالين على تحقيق رضا المحب من محبوبه بخلاف ما تشتهى نفسه ويميل اليه طبعه فيرضى به و بفعله ايمانه لمعرفته بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى بالم الفصد و يشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح بمن يهدى اليه الدواء وهذا أمر معلوم مشاهد لا يستنكره عاقل *(فصل)* وتكلموا فى حقيقة الرضا فقال ذوالنون سرور القلب بمر القضاء وقال الحرث المحاسبى هو سكون القلب تحت جريان الحكم وما قاله ذوالنون أعلى مما ذكره المحاسبى فان السرور فوق السكون وقال أبو تراب الرضا ان يكون فى مكروهات القضاء كما يكون فى محبوباتها وقال رويم الرضا استقبال الاحكام بالفرح

مفاتحه ثم أخرالصديق بعده اذلم يكن بحقيقة وصفهم ثم قال عز وجل ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا بحضرة الاخوان أو أشتاتا فى حال تفرقهم فسوى بين غيبتهم وشهودهم لتسويته اخوانهم بينهم وبين أملاكهم واستواء قلوبهم مع ألسنتهم فى البذل والمحبة لتناول المبذول وهذا تحقيق وصفه عز وجل لهم فى قوله تعالى وأمرهم شورى بينهم وقال بعض الادباء اذا ائتلف الاخوان جماعة ثم اجتمع بعضهم على لذة وفقد البعض نقص من اللذة بمقدار من نقص منهم وهذا يكون بوجود الانس بهم ومواصلة الذكر وروينا ان مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت السرير فجعل يأكل فدخل الحسن فقال هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض واعلم انه ليس بين الاخوين والصاحبين رياء فى أعمالهما وان تراءى برأى العين أعمالهم لهم ثواب السر والخلوة لانهما كالاهل فى الحضر وكالصحابة فى السفر وليس بين الرجل وأهل بيته ولا بين المسافر ورفقائه رياء ولا سمعة ولا عليه منهم اختفاء ولا خلوة فان صحبه أخوه هذا فى سفر كانت حرمته عليه ألزم وحقه أوجب فينبغى ان لا يخالفه ولا يعترض عليه ان أحب النزول فى منزل لم يكره أخوه ذلك وان اختار أحدهما الرحيل لم يحب الآخر المقام وان سار أحدهما لم يقف صاحبه وان استراح الآخر وقف له رفيقه وان اشترى شيأ لم ينهه عنه ولا يستأثر بمطعوم ولا مشروب عليه بل يؤثره بذينك وفى الخبر ما اصطحب اثنان قط الا كان أحبهما الى الله عز وجل أرفقهما بصاحبه وروينا أيضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتنى منها سواكين من أراك أحدهما معوج والآخر مستقيم فحبس المعوج لنفسه ودفع المستقيم الى صاحبه فقال يارسول الله أنت كنت أحق بالمستقيم فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا سأله الله عن صحبته هل أقام فيه حق الله تعالى أو اضاعه ومن كان ناظرا فى اخوة أخيه أو فى صحبته الى كثرة أعماله أو واقفا مع أكمل أحواله دل على جهله بهذا الطريق الذى ينفذ الى التحقيق لانه التحول وانما المعول على حقائق القلوب وسلامة العقول لان اليها الامر مردود فان اقترن الى جهله نقص معرفة الآخر دل عليه التزين له والتصنع عنده لتعلو منزلته ويحسن عنده أثره فيدخله ذلك فى الشرك ويخرجه الشرك عن حقيقة التوحيد فتزل قدم بعد ثبوتها او يسقط من عين مولاه فلا يتولاه لان النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح واثبات المنزلة باظهار الوصف فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له ويصير أحدهما بلاء على صاحبه فليفارقه حينئذ لانه جاهل ولا يصحبه فانه يجد النقصان وتدخل عليه الآفات بمقارنته فلينفرد بنفسه فيصدق فى حاله عالية كانت أو دنية وضيعة كانت أم رفيعة من غير مقارنة أحد ولا مباينة فهو خير له وأحمد عاقبة وهذا باب لطيف قد هلك فيه خلق كثير على ضربين منهم من صاحب وآخى وبايت على هذه العلل فساكنها ومن هذه الآفات فقارنه الضعف بقينه وقوة هواه وكبر الناس فى عينه وعظم قدر الدنيا مما يناله منهم فى قلبه فهلك بالتزين والتصنع وأهلك أخاه بنحو ذلك والضرب الثانى من المتعبدين المعروفين بالستر والصلاح خافوا ولم يحبوا ان يظهروا على حالهم كراهة الذم وخيفة النقص لهم فلم يحبوا ان يختبروا بالمباينة ولا ينكشفوا فى المصاحبة ولا تعرف أحوالهم بطول الممارسة وأحبوا مع ذلك ان يشار اليهم من بعيد ويتوهم فيهم العبادة من غير طول ملاقاة فاظهروا التفرد والعزلة وتركوا المباينة والصحبة وأنكروا ذلك وعابوه يريدون أن يبينوا بذلك عن نظرائهم وينفردوا به عن جملة الخلق بدعوى الحال ليختصوا ويغربوا بها عندهم

من

من غير حال ولا انقطاع الى الله سبحانه وتعالى ولا اشتغال وقلة معرفة العامة باحوال الصادقين فهلك أيضا بالمباينة وغربة الحال وترك السنة من اجابة الدعوى ومخالطة الامة كبرا وتطاولا على العامة وتمويها منهم على من لا يعرف سيرة الامة وأوهم بذلك انه مشغول عنهم بسلوك الطريق لعلمه انهم لا يعرفون محجة التحقيق ولعله مشغول بهم وانهم وساوس قلبه وهو في ذلك منكشف للصادقين ظاهر جلي للعارفين وقد جاء في مخالطة المسلمين وفي الاكل مع الاخوان والاختلاط بالعامة والمشي في الاسواق واشتراء الحوائج وحملها للتواضع ما يكثر رسمه ويطول وصفه وكذلك كان سيرة الصحابة وشيمة التابعين باحسان منهم عمر رضي الله عنه كان يحمل القربة على ظهره لاهله وعلي رضي الله عنه كان يحمل التمر والملح في ثوبه و يده و يقول

لا ينقص الكامل من كماله * ما جر من نفع الى عياله

ومنهم أبي وابن مسعود وحذيفة وأبو هريرة كانوا يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم وظهورهم وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم كان يشتري الشئ فيحمله بنفسه فيقول له صاحبه أعطني أحمله عنك فيقول صاحب الشئ أحق بحمله وكان الحسن بن علي عليهما السلام يمر على السؤال في الطريق وبين أيديهم كسر ملقاة في الارض فيسلم عليهم فيقولون هلم الغداء يا ابن بنت رسول الله فيثني رجله عن بغلته و ينزل فيقعد معهم على الارض و يأكل ثم يركب و يقول ان الله تبارك وتعالى لا يحب المستكبرين ثم يدعوهم بعد ذلك الى منزله فيقول للخادم هلمي ما كنت تدخرين فيأكلون معه وروينا في الاسرائيليات ان حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة حتى ظن انه نال منزلة عند الله تعالى فاوحى الله الى نبيه قل لفلان انك قد ملأت الارض نفاقا واني لا أقبل من نفاقك شيأ قال فتخلى وانفرد في سرب تحت الارض وقال قد بلغت محبة ربي فاوحى الله عز وجل الى النبي قل له انك لم تبلغ رضاي قال فدخل الاسواق وخالط العامة وجالسهم وأكل الطعام بينهم ومشى في الاسواق معهم فاوحى الله تبارك وتعالى الآن حين بلغت رضاي فلو أيقن اليائس المتصنع للخلق الاسير في أيديهم الرهين لنظرهم ان الخلق لا ينقصون من رزق ولا يزيدون في عمر ولا يرفعون عند الله ولا يضعون لديه وان هذا كله بيد الله عز وجل لا يملكه سواه ولو سمع خطاب المولى لاستراح من جهد البلاء اذ يقول الله عز وجل ان الذين تدعون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه ومع قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فلو عقل ذلك لاطرح الخلق عن قلبه واشتغل بعلمه ولا عرض عن الناس بهمه نظرا منه الى مهمه وأظهر حاله وكشف أمره تقويا به وغنية بعلمه فلم يبال ان يراه الناس على كل حال يراه فيه مولاه اذ كان لا يعبد الا اياه ولا يضره ولا ينفعه سواه فعمل ما يصلحه وان كان عند الناس يضعه وسعى فيما يحتاج اليه وان كان عند المولى يزري عليه ولكن ضعف يقينه فقوي الى الخلق نظره وأحب أن يستر عنهم خبره لاثبات المنزلة عندهم ولاستخراج الجاه لنفسه فيفخر بالخيلاء والعجب فهو يحتال على من لا حال له وهم بمقام عند من ليس له مقام واعتقدوا فضله بذلك لنقصهم وتوهموا به علمه لجهلهم ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم حدثونا عن يونس بن عبد الاعلى قال قال لي الشافعي رضي الله عنه والله ما أقول لك الا نصحا انه ليس الى السلامة من الناس سبيل فانظر ما يصلحك فافعله وحدثونا عن الثوري قال رضا الناس غاية لا تدرك فاحمق الناس من طلب من لا يدرك وقد قال بعض الحكماء في معناه قولا منظوما

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

وهذا قريب قاله ذو النون واختلف العراقيون والخراسانيون في الرضا هل هو من الاحوال أو من المقامات وهو نهاية التوكل فقال العراقيون انه من جملة الاحوال وليس بمقام مكسوب بل هو نازلة تحل القلب كسائر الاحوال وقال الخراسانيون انه من المقامات والرضا مخرجه من حسن الظن بالله تعالى والمعرفة بانه غير جائر في حكمه والرضا عن الله والرحمة للخلق

(فصل) ويجب على العبد الرضا بالقضاء لا بالمقضي لان المقضي قد يكون كفرا ومعصية وأوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام فقال له يا موسى ان رضاي عنك في رضاك بقضائي واعلم انه يجب الامساك عن الكلام في القدر والخصومة فيه فقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى أصحابه عن الكلام في القدر فلم يتكلموا فيه الا وقت الحجاج فتكلم فيه فبدأ الجهني والجعد بن درهم وغيلان وغيرهم فقتلهم أمير بني أمية وكان العلماء ينهون عن الكلام والبحث فيه كما ورد النهي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وقال الله تعالى لابراهيم عليه السلام هو سري فلا تفشه وكذلك قال للعزير وفي التوراة ان الله تعالى قال لموسى عليه السلام اذهب الى فرعون وقل له ارسل معي بني اسرائيل يعبدون الله تعالى وأنا أقسي قلبه حتى لا يفعل وهذه اشارة الى سر القدر وحكمته التي تاهت فيها عقول العقلاء فيجب على العبد ان يرضى باحكام الله تعالى وترك السخط فان السخط اعتراض ويجب عليه ان يقف حيثما وقفه الله تعالى بانشراح وقبول ولو أمر به الى النار قال الله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية قال السادة الائمة والرضا من أوائل مسالك الخصوص وأشقها على العامة وهو على درجتين الاولى رضا العامة وهو الرضا بالله ربا وبسخط عباده كل ما دونه وهذا قطب رحاء الاسلام وهو يطهر من الشرك الاكبر وهو يصح بثلاثة شرائط أحدها ان يكون الله تعالى أحب الاشياء

ونظر أبو محمد سهل الى رجل من الفقراء فقال له اعمل كذا وكذا فقال يا أستاذ لا أقدر على هذا الاجل الناس فالتفت الى أصحابه فقال لا ينال العبد حقيقة من هذا الامر حتى يكون باحد وصفين عبد يسقط الناس عن عينه فلا يرى فى الدار الا هو وخالقه وأن أحدا لا يقدر ان يضره ولا ينفعه او عبد أسقط الناس عن قلبه فلا يبالى باى حال يرونه وحدثونا عن امام الائمة الحسن بن يسار البصرى رحمه الله ان رجلا قال له يا أبا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الفائدة منك ولا الاخذ عنك انما همهم تتبع سقط كلامك وتعنتك فى السؤال ليعيبوك بذلك فتبسم الحسن ثم قال هون عليك يا ابن أخى فانى حدثت نفسى بسكنى الجنان فطمعت وحدثت نفسى بمعانقة الحور الحسان فطمعت وحدثت نفسى بمجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسى قط بالسلامة من الناس لانى قد علمت ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم فكيف أحدث نفسى بالسلامة منهم وبمعناه ماروى عن موسى صلى الله عليه وسلم انه قال يارب احبس عنى ألسنة الناس فقال الله تبارك وتعالى ياموسى هذا شئ لم أفعله بنفسى فكيف أفعله بك وفى لفظ آخر لو خصصت بهذا أحدا لخصصت به نفسى وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول مامن يوم اصبح فيه حيا وأمسى ولا يرمينى فيه الناس بداهية الا عددته نعمة من الله تعالى على وأنشد

وان امرأ يمسى ويصبح سالما * من الناس الا ماجنا لسعيد

وأوحى الله عز وجل الى عزير ان لم تطب نفسا بان أجعلك علكا فى أفواه الماضغين لم أكتبك عندى من المتواضعين ومثله روينا عن عيسى عليه السلام انه كان يقول يامعشر الحواريين ان أردتم ان تكونوا اخوانا فوطنوا نفوسكم عند العداوة والبغضاء من الناس وقد جعل الله تبارك وتعالى فى المخالطة للمؤمنين من البركة مالو لم يجئ فيه الا أثر الا هذا كان فيه كفاية وروينا ان النبى صلى الله عليه وسلم لما طاف بالبيت عدل الى زمزم ليشرب منها فاذا التمر المنقع فى الحياض الادم قد مغثه الناس بايديهم وهم يتناولون منه يشربون فاستسقى منه فقال اسقونى فقال العباس يارسول الله ان هذا النبيذ شراب قد مغث وخيض بالايدى أفلا آتيك بأنظف من هذا فى جر مخمر فى البيت فقال لا اسقونى من هذا الذى يشرب منه الناس التمس بركة أيدى المسلمين فشرب وروينا فى خبر آخر قيل يارسول الله الوضوء من جر مخمر أحب اليك أو من هذه المطاهر التى يتطهر منها الناس فقال بل من هذه المطاهر التماس بركة أيدى المسلمين وروينا فى الخبر اذا التقى المسلمان فتصافحا فتبسم أحدهما الى صاحبه تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر وفى لفظ الحديث الآخر قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لا بشهما باصاحبه وأحسنهما بشرا وروينا فى الخبر خير الاصحاب عند الله عز وجل أرفقهم بصاحبه وخير الجيران أرفقهم بجاره واياك ان تصحب جاهلا فتجهل بصحبته أو غافلا عن مولاه متبعا الهواه فيصدك عن سبيله فتردى كما قال سبحانه وتعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون فاول الاستقامة صحبة العلماء بالله عز وجل وقال تعالى ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال تعالى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى أى فتكون رديا وقيل فتهلك وقال تعالى فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ففى دليله الاقبال بالصحبة على من أقبل الى ذكره تعالى والاعراض عمن أعرض عن وجهه فلا تصحبن الا مقبلا عليه كما قال الله عز وجل واتبع سبيل من أناب الى واياك ان تصحب من الناس خمسة المبتدع والفاسق والجاهل والحريص على الدنيا والكثير الغيبة للناس فان هؤلاء مفسدة للقلوب مذهبة للاحوال مضرة فى الحال والمآل وقد كان سفيان الثورى رحمه الله يقول النظر الى

عنده وأولى الاشياء بالتعظيم وأحق الاشياء بالطاعة الثانية الرضا عن الله تعالى وهو الرضا عنه فى كل ماقضى به وقد حكى ان الاستاذ أبا اسحق رحمة الله عليه مر أى مجوسيا مستقبل الشمس وقصد ان يسجد لها فقال الاستاذ ذاك عدله وهذا فضله ثم قال لو نظر الله اليه فى جميع عمره نظرة رحمة لحل زناره فخاف لو نظر الى نظرة سخط فانه يشده على وسطى * (فصل) * وأما قضاء الله تعالى على عباده وقدره فهو كائن لا محالة سخط العبد أو رضى لا يخلص العبد منه بالحيل ولا ينجو منه بالحذر ورد فى جامع عبد الله ابن وهب قال بينما ابن عباس يحدث أصحابه عن الهدهد كيف حفر الثرى حتى استنبط الماء اعترضه ابن الازرق قال يا ابن عباس الهدهد رأى الماء فى اطباق الثرى فحفر الثرى حتى استنبط الماء ولم يبصر الحبة فى الفخ حتى وقعت فى عنقه قال فنكس ابن عباس رضى الله تعالى عنهما رأسه هنيهة ثم رفع رأسه وقال ان الحذر ينفع مالم يبلغ الاجل فاذا بلغ الاجل لم يغن الحذر وحال القدر بين الحيلة والصبر فقال ابن الازرق صدقت وروى ان نبيا من انبياء بنى اسرائيل مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال الطائر يانبى الله هل رأيت أقل عقلا من هذا الصياد نصب هذا الفخ ليصيدنى فيه وأنا انظر اليه فذهب عنه ثم رجع اليه فاذا الطائر فى الفخ فقال عجبا لك أولست القائل كذا وكذا فقال يانبى الله اذا جاء الحين غطى على العين

* (فصل) والرضا بالمصائب كالفقر والمرض والذل مستحب عند بعض الفقهاء بالفقه الظاهر وعند أرباب الفقه الباطن هو واجب فارباب علم الباطن وجه شهدوا بان الله تعالى رب الكائنات وانه موجدها ومبدعها ومخترعها وخالقها ومنشئها الافاعل لها الا هو وانه قدر كل شئ وقضى به ومن لم يرض بكل ماقدره الله تعالى وقضاه من البلايا والمحن والرزايا الدينية كالضلال والكفر والمعصية والدنيوية كالمرض والذل والفقر وفقد الاعضاء

والحواس والاقايس براض عن الله قالوا فاذا لابد فى كمال الايمان من الرضا بما يريده المحبوب تعالى والكون كله مراد المحبوب فيجب الرضا بكل ما فى الكون من خير وشر و بلاء وعافية ويروى ان الشبلى رحمة الله عليه قال يوما بين يدى الجنيد لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال له الجنيد قولك هذا ضيق صدر وضيق الصدر لعدم الرضا بالقضاء *(فصل)* والرضا فى ثلاثة أشياء قبول ما يجرى من الاحكام الالهية والتسليم لامره وترك الاختيار عليه فى قضائه ولا تتم العبادة والعبودية الا بالرضا فان العبادة فعل ما يرضى الرب والعبودية الرضا بما يفعل الرب والرضا نظام المحبة ونفس التوكل وروح اليقين وينبغى ان يكون دائما مبتهلا الى الله تعالى فى ان يديم قلبه على الرضا بالقضاء والقدر وما جرت به الاحكام فى الازل من البلايا والمحن والمصائب فان ذلك من كمال الايمان لان القلب تعترضه العوارض المختلفة والمحن الكثيرة وهو سريع التقلب قليل الثبات على الشئ والقلب انما سمى قلبا لتقلبه من حال الى حال بحسب توارد الدعاوى المختلفة عليه ولهذا كان السيد المعصوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا مثبت القلوب ثبت قلبى على دينك قال السادة العلماء أرباب البصائر ينبغى للعبد ان يقطع تعلق قلبه عن المستقبل بل يصير مشغول القلب بانه ما الذى جرى فى الازل ولهذا قال عليه الصلاة والسلام من عرف سر القدر هانت عليه المصائب وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال المقدر كائن والهم فضل وقال بعضهم الخوف والحزن والهم من نتائج القضاء والقدر لان المؤمن لا يدرى ما الذى جرى به حكم الله تعالى فى القدم فهو يخاف ويحزن ويهتم لذلك ولهذا كان بعضهم يقول الناس يخافون الخاتمة وأنا أخاف السابقة فكم من شجر بدت أزهاره و برزت ثماره وظن أهله انهم قد ظفروا بمقصودهم منه وانهم امنوا فيه قال الله تعالى أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالامس

وجه الاحق خطيئة مكتوبة وقال سعيد بن المسيب لا تنظر والى الظلمة فتحبط أعمالكم الصالحة ولكن قد كان صعصعة بن صوحان يقول اذا لقيت المؤمن فخالطه مخالطة واذا لقيت المنافق فخالفه مخالفة وقد قال أحسن الواصفين فى وصف أوليائه المتقين واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما أى سلامة الالف بدل من الهاء لازدواج الكلام والمعنى أى سلمنا من اثمكم وسلمتم من شرنا وقد كان أبو الدرداء يقول فى زمانه كان الناس ورقا لا شوك فيه وهم اليوم شوك لا ورق فيه ان ناقدتهم ناقدوك وان تركتهم لم يتركوك فاقرضهم من عرضك ليوم فقرك وكان يقول كل يوم أصبح لا يرمينى الناس فيه بداهية أعده نعمة من الله تعالى على وقال حكيم الحكماء صلى الله عليه وسلم من خالط الناس وصبر على أذاهم أفضل ممن لم يخالطهم ولم يصبر على أذاهم وقال العلام ذو الجلال والاكرام أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة أى يدفعون بالكلام الحسن الكلام السيئ وقال عز وجل فى الكلام المفسر ادفع بالتى هى أحسن يعنى بالكلمة الحسنى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم ثم قال عز وجل وما يلقاها يعنى الكلمة الا الذين صبروا أى على أمر الله تعالى وعلى الغيظ وعن الغضب وما يلقاها الا ذو حظ عظيم أى من الحلم والعلم وقيل ذو حظ عظيم عند الله عز وجل من النصيب والجزاء وقد قال لقمان الحكيم قولا متوسطا يا بنى لا تكن حلوا فتبلع ولا مرا فتلفظ المعنى لا تمكن الناس من نفسك ولا تتابعهم فى كل شئ فلا يبقوا عليك و ينبسطوا اليك ولا تنافرهم وتخالفهم فى كل شئ فيجانبوك و يرفضوك فيقعوا فيك وقال بعض السلف لا تصحب الامير داوكل خليل لا يريد ما تريد فانبذ عنك صحبته وقال بعض علماء العرب الصاحب كالرقعة فى الثوب ان لم تكن من جنسه شانته وقال بعض الحكماء كل انسان مع شكله كما ان كل طير مع جنسه وقد كان مالك ابن دينار يقول مثل هذا وقد لا يتفق اثنان فى عشرة ودوام صحبة الا وفى أحدهما وصف من الآخر وان أشكال الناس كاجناس الطير قال ورأى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال كيف اتفقا وليسا من شكل قال ثم طارا فاذا هما أعرجان فقال من ههنا اتفقا و يقال اذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا فى الحال فلا بد ان يفترقا وقد أنشدنا بعض العرب لبعض الحكماء فى معناه

وقائل لم افترقتما * فقلت قولا فيه انصاف
لم يك من شكلى ففارقته * والناس اشكال والاف

وقد روينا فى حديث ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف تلتقى فتشام فى الهواء قيل معناه فى المذهب والخلق وفى هذا الخبر زيادة ولو ان مؤمنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق وفيه مؤمن واحد لجاء حتى يجلس اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مؤمن وفيه منافق واحد لجاء حتى يجلس اليه وقد ذكر لهذا الحديث سبب على ما ذكرناه وهو ان امرأة عطارة كانت بالمدينة من أحد فقدمت امرأة من مكة عطارة وكانت مزاحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم على من نزلت قيل على فلانة فقال الارواح جنود مجندة و بعض العلماء يقول ان الله خلق الارواح ففلق بعضها فلقا وقدر بعضها قدرا ثم أطافها حول عرشه فاى روحين من فلقتين تعارفا هنالك فالتقيا تواصلا ههنا فى الدنيا وترافقا وأى روحين من قدرتين أوفلقة وقدرة اختلفا ثم وتناكرا هنالك فاختلفا فى الجولان فان هذين اذا ظهرا اليوم تباينا وتنافرا فهذا تأويل الخبر عنده فما تعارف منها أى فى الطواف فتقابلا تعارفا ههنا وترافقا ائتلفا وما تناكر ثم فى الجولان فتدابرا تناكرا ههنا اليوم فى الخلق والحال الظاهر اختلفا وليس الائتلاف يقع بنفس الاجتماع

فهكذا كم من عبد ظهرت عليه آثار السعادة وأنوار القربة والمحبة ثم أصبح من المطرودين كبلعام بن باعوراء وبرصيصا وغيرهم ممن ارتد عن الايمان قال الله تعالى أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون وقال عليه السلام السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه وقد حضرني في هذا المعنى (٢٣٦) كلمات قات فاح نشر هدى طيب محمد صلى الله عليه وسلم فاستنشق منه بلال بالحبشة وسلمان بفارس وصهيب بالروم فجذبهم طيب ذلك الشذا الى حضرة امام الهدى وانتعس أبولهب بالحضرة وما أدرك منه شمه سئل صلى الله عليه وسلم عن سلمان فقال سلمان منا أهل البيت وسئل عن أبي لهب فقال لست منه ولا هو مني وقد خاطب الله تعالى ذرية آدم وهي في صلبه بما سبق به قضاؤه فقال للبعض هؤلاء للجنة ولا أبالي وقال للبعض هؤلاء للنار ولا أبالي فخطاب أهل النار بالعدل وخطاب أهل الجنة بالفضل

*(فصل) واعلم ان ملاحظة القضاء والقدر أوقعت كثيرا من الخلق في التهاون في العمل والمعتزلة والحرورية وغيرهم من أصناف القدرية لما أعرضوا عن القضاء والقدر أوقعهم ذلك في الاجتهاد في العمل والجد وكثرة الخوف حتى أفضى بهم ذلك الى اليأس والقنوط وأكثر ما يبتلى به السالكون أهل الارادة والعامة في هذا الزمان من ملاحظة القضاء والقدر والاعراض عن الجد والاجتهاد كما قال فيهم بعض العلماء هم عند الطاعة قدرية وعند المعصية جبرية والقدر فجعلوا أنفسهم أربابا لاعمالهم وما يتولد منها قال بعض أهل المعارف ادعى فرعون الربوبية على كشف وادعتها القدرية على السر *(فصل)* الرضا والتسليم من ثمرات العلم باثبات القدرة والارادة وعموم تعلقهما واختلفوا في الرضا هل هو مقدور للعبد مباشر بقدرته أو المقدور هو سببه فقط فقال بعض المتكلمين ان المعاني المطاردة على

ووقت الاتفاق فانما الائتلاف يكون بمجانسة الحال ومشاكلة الاخلاق لانهم شبهوا أجناس الناس بأجناس الطير وقد يتفق الطيران من جنسين ويجتمعان في مكان فلا يكون ذلك ائتلافا في الحقيقة ولا اتفاقا في الخلقة لتباينهما في التشاكل ولا يتبين ذلك في الاجتماع وانما يتبين في الطيران اذا طارا معا فاما اذا ارتفع أحدهما ووقع الآخر وعلا أحدهما وقصر الآخر فلا بد من افتراق حينئذ لفقد التشاكل ولا بد من مباينة لعدم التجانس عند الطيران فهذا مثال ما ذكرناه من الافتراق لعدم حقيقة تشاكل الحال والوصف بعد الاتفاق واعلم ان الائتلاف والاختلاف يقع بين اثنين اذا اشتركا وافترقا في أربع معان اذا استويا في العقود واشتركا في الحال وتقاربا في العلم واتفقا في الاخلاق فان اجتمعا في هذه الاربع فهي التشاكل والتجانس ومعه يكون الائتلاف والاتفاق وان اختلفا في جميعها فهو التباعد والتضاد وعنده يكون التباين والافتراق وان اتفقا في بعضها واختلفا في البعض كان بعض الاتفاق وبعض الاختلاف فيوجد من الائتلاف بقدر ما وجد من التعارف ويوجد من الاختلاف نحو ما فقد من الاتفاق وهذا هو تناكر الارواح لتباعد تشاكلها وتشامها في الهواء وذلك الاول هو تعارف الارواح بقرب التشام باجتماع الاوصاف حدثت عن يعقوب بن أخي معروف رحمهما الله قال جاء الاسود بن سالم الى عمي معروف وكان مؤاخيا له فقال ان بشر بن الحرث رحمه الله يحب مؤاخاتك وهو يستحيي ان يشافهك بذلك وقد أرسلني اليك يسألك ان تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها ويعتد بها الا انه يشترط فيها شروطا لا يحب ان يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة فانه يكره كثرة الالتقاء فقال معروف رحمه الله أما أنا فلو أحببت واحدا لم أحب ان أفارقه ليلا ولا نهارا ولزرته في كل وقت ولآثرته على نفسي في كل حال ثم ذكر من فضل الاخوة والحب في الله عز وجل أحاديث كثيرة ثم قال فيها وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين علي عليه السلام فشاركه في العلم وقاسمه في البدن وأنكحه أفضل بناته وأحبهن اليه وخصه بذلك لمؤاخاته وانى أشهدك انى قد عقدت له أخوة بيني وبينه واعتقده أخا في الله عز وجل لرسالته ولمسألته على ان لا يزورني ان كره ذلك ولكني أزوره متى أحببت وامره يلقاني في مواضع نلتقي فيها وآمره ان لا يخفى علي شيئا من شأنه وان يطلعني على جميع أحواله قال فانصرف بذلك اسود بن سالم فأخبره بشرا فرضي بذلك وسر به فهذا اسود بن سالم أحد عقلاء الناس وفضلائهم فكان فيه اتساع للاصحاب وصبر عليهم وهو الذي أشار معروف به على الرجل الذي سأله مستشيرا فقال يا أبا محفوظ هذان الرجلان اماما هذا البلد فاشر على أيهما أصحب فاني أريد ان أتأدب به أحمد بن حنبل أو بشر بن الحرث رضي الله عنهما قال له معروف لا تصحب أحدهما فان أحمد صاحب حديث وفي الحديث اشتغال بالناس فان صحبته ذهب ما تجد في قلبك من حلاوة الذكر وحب الخلوة وأما بشر فلا يتفرغ لك ولا يقبل عليك شغلا بحاله ولكن اصحب اسود بن سالم فانه يصلح لك ويقبل عليك ففعل الرجل ذلك فانتفع به وانما ضمه معروف رضي الله عنه الى الاسود دونهما لانه كان أليق بحاله وأشبه بوصفه وكذلك بشر وبيان في حديث المؤاخاة الذي آخى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فآخى بين اثنين شكلين في العلم والحال آخى بين أبي بكر وعمر وبين عثمان وعبد الرحمن وهما نظيران وآخى بين سلمان وأبي الدرداء وهما شكلان في العلم والزهد وآخى بين عمار وسعد وكانا نظيرين وآخى بين علي وبينه رضي الله عنهم أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين وهذا من أعلى فضائله لان علمه من علمه وحاله من وصفه ثم آخى بين الغني والفقير ليعتدلا في الحال وليعود الغني على أخيه الفقير بالمال قال أبو سليمان الداراني

الدارانى لاحمد بن أبي الحوارى اذا آخيت أحدا فى هذا الزمان فلا تعاتبه على أمر تكرهه منه فانك لا تأمن أن يجيبك بشر من الامر الاول قال أحمد فجربته فوجدته كما قال وقال بعض العلماء الصبر على مضض الاخ خير من معاتبته ومعاتبته خير من القطيعة والقطيعة أحسن من الوقيعة وقال بعضهم كدر الجماعة خير من صفو الفرقة ومثل الاخوة مثل الزجاجة الرقيقة ما لم تحفظها وتوقها كانت معرضة للآفات واستتمام الاخاء الى حين الوفاة أشد من ابتدائها فى حال الحياة وقال بعض الادباء الناس أربعة فواحد حلو كله فهذا لا يشبع منه وآخر كله مر وهذا لا يؤكل منه وواحد فيه حموضة فخذ من هذا قبل أن يأخذ منك وآخر فيه ملوحة فخذ منه اذا احتجت اليه وقال بعض الائمة الناس أربعة فاصحب ثلاثة ولا تصحب واحدا رجل يدرى ويدرى انه يدرى فهذا عالم فاتبعه ورجل يدرى ولا يدرى انه يدرى فهذا نائم فنبهوه ورجل لا يدرى ويدرى انه لا يدرى فهذا جاهل فعلموه ورجل لا يدرى ولا يدرى انه لا يدرى فهذا منافق فاجتنبوه ومثل هذا الرابع قول سهل ما عصى الله عز وجل بمعصية شر من الجهل وأعظم من الجهل الجهل بالجهل وقال بعض الادباء الناس ثلاثة فاصحب رجلين واهرب من الثالث رجل أعلم منك فاصحبه تتعلم منه ورجل أنت أعلم منه يقبل منك فاصحبه تعلمه ورجل معجب بنفسه لا علم عنده ولا تعلم فاهرب من هذا وقال محمد بن الحنفية رضى الله عنه ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا فمداماته عنى يتقى ومخالطته اخوان الاضطرار ومعاشرة التقى ومصافاته من أحسن الاحسان وكان أبو مهران يقول أخرج من منزلى فانا بين ثلاثة ان لقيت من هو أعلم منى فهو يوم فائدتى أتعلم منه وان لقيت من هو مثلى فهو يوم مذاكرتى وان لقيت من هو دونى فهو يوم مثوبتى أعلمه فاحتسب فيه الاجر وقال أبو جعفر محمد بن على لابنه جعفر بن محمد عليهم السلام لا تصحبن من الناس خمسة واصحب من شئت الكذاب فانك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب والاحمق فانك لست منه على شئ يريد أن ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك أحوج ما تكون اليه والجبان فانه يسلمك وماله ونفسه عند الشدة والفاجر فانه يبيعك باكلة أو باقل منها قلت وما أقل منها قال الطمع وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا صحبه فى طريق فدخل النبي صلى الله عليه وسلم غيضة فاجتنى سواكين من أراك أحدهما معوج والآخر مستقيم فاخذ المعوج وأعطى صاحبه المستقيم فقال الرجل أنت أحق بالمستقيم منى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما من صاحب يصحب رجلا ولو ساعة من نهار الا سأله الله عن صحبته هل أدى فيها حق الله عز وجل أم لا فكرهت أن يكون لك على حق لم أرده واعلم ان الاخوة فى الله عز وجل والمحبة فى الله تعالى وحسن الصحبة كانت طرائق السلف الصالح قد درست اليوم محاجها وعفت آثارها فمن عمل بها فقد أحياها ومن أحياها كان له مثل أجر من عمل بها فمن رزقه الله أخا صالحا يأنس به نفسه ويصلح معه قلبه فهى نعمة من الله عز وجل مضافة الى محاسن نعمه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

(الفصل الخامس والاربعون فيه ذكر التزويج وتركه أيهما أفضل ومختصر أحكام النساء فى ذلك)

قال سبحانه وتعالى وأنكحوا الايامى منكم الآية فامر المتناكحين وندب المعصومين فالنكاح فرض مع الحاجة وسنة على الكفاية ثم وعدهم تعالى الغنى على الفقر فالغنى على الغنى يجعله على نحو الفقر من الفقير فقد يكون فقيرا من الاجر فيغنيه بالاجر ويكون فقيرا من عدم الحكم فيغنيه بايجاب الحكم عليه ويكون فقيرا بالضيعة والشتات وفقد المنزل والاثاث فيغنيه بوجود ذلك وأحكمه عز وجل بما عقبه من قوله

القلوب كالرضا والخوف والرجاء والزهد والتوكل وغيرها اليست مقدورة للعبد وانما المقدور له أسبابها واليه ميل المحاسبي وقال القاضى أبو بكر انها مقدورة لانها مطلوبة للشارع فاعلم ان الاحوال عند أرباب علم الباطن عبارة عما يتوارد على القلب من المعانى ولا يثبت فيها ولا يدوم بخلاف المقام فانه يدوم والحال مثل الهيبة والابتهاج والانزعاج والقبض والبسط والمقامات من ثمرات العلم بالصفات وهى تبلغ نيفا وسبعين مقاما وهى المنازل التى يقطعها أهل الارادة وتكلم العلماء بانه فى الرضا بالشئ هل يمنع من طلب الزيادة عليه أم لا والظاهر عند قوم انه لا يمنع لان الرضا بالحاصل كيف يمنع من طلب ما لم يحصل والمتعلق يختلف لان متعلق الرضا هو الحاصل ومتعلق الطلب لم يحصل فاذا تعدد المتعلق أمكن قيامهما بالنفس وانما يمتنع ذلك بالفعل الواحد

(باب المجاهدة والمعاملة)

قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم طوبى للغرباء الشعثاء الاخفياء الذين اذا حضروا لم يعرفوا واذا غابوا لم يفتقدوا وتنجلو عنهم كل فتنة غبراء مظلمة لا يعرفون أولئك هم سرج الدنيا هم أحب الى الله وأعجب من الذين يحجبونكم وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال جئتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قيل يا رسول الله وما الجهاد الاكبر قال جهاد المرء هواه وقال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وانما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب رواه مالك فى الموطا والمجاهدة بذل الوسع فى فعل ما يرضى الله تعالى وترك ما يسخطه وقال بعضهم المجاهدة استدامة الجد وترك الراحة وقال بعض الاكابر ما أخذنا التصوف من القيل والقال ولكن من الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات وترك جميع

المستحسنات ومبنى طريق القوم فى معاملاتهم لله تعالى على حسن المتابعة ومن ظن انه بلغ غرضا أو ظفر بمراد لا من طريق متابعة الشريعة فهو مخذول مغرور وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة وبالمجاهدة تحصل رياضة النفس وقال أبو على الدقاق من زين ظاهره بالمجاهدة زين الله باطنه بالمشاهدة ومن لم يكن فى بدايته صاحب مجاهدة لم يجد من عرف الطريقة شمة وممن أقيم فى مقام المجاهدة من الصحابة عبدة بن هلال وكان قد أقسم على نفسه ان لا تشهد عليه ليل بنوم ولا شمس بظل أبدا فاقسم عليه عمران لا ينهك نفسه ويرفق بها وقال الشبلى رحمه الله عليه ليس للصبر بدفترة ولا للعارف علاقة ولا للمحب سكون ولا للصادق دعوى ولا للخائف قرار وقال ابراهيم ابن أدهم لا ينال الرجل رتبة الصالحين حتى يجوز ست عقبات الاولى يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة الثانية يغلق باب الراحة و يفتح باب التعب الثالثة يغلق باب العز و يفتح باب الذل الرابعة يغلق باب النوم و يفتح باب السهر الخامسة يغلق باب الغنى و يفتح باب الفقر السادسة يغلق باب الامل و يفتح باب الاستعداد للموت وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشئ مثل مخالفة النفس والهوى وقال بعضهم من جعل زمامه فى يد الشرع قاده الى النور ومن جعل زمامه الى الهوى قاده الى الظلمة وكذلك قال الله تعالى الله ولى الذين آمنوا الآية وقال يوسف بن اسباط لا يمحو الشهوات الا خوف مزعج أو شوق مقلق وقال أبو حفص ما أسرع هلاك واغواء من لا يعرف عيبه فان المعاصى بريد الكفر وورد فى الحديث ان المعاصى اذا كثرت يختم اصاحبها بالكفر وعن الاشعرى الذنوب اذا كثرت واجتمعت صارت كفرا *(فصل)* والمجاهد لنفسه فى رضا الله تعالى تعترضه المحن والشدائد و يتعاهد بالبلايا حكمة من الله تعالى لصلاح

تعالى وهو الحكيم والله واسع عليم فهو واسع لغناهم عن معانى فقرهم عليم بحالهم وما يصلحهم فيما لا يعلمون على مقادير رتبهم وروى الحسن عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا وروينا عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فانكحوه الا تفعلوه تكن فتنة فى الارض وفساد كبير وفى الخبر من نكح لله عز وجل وأنكح لله تبارك وتعالى استحق ولاية الله تعالى وهذا أدنى حال تنال به الولاية لانها مقامات لكل مقام عمل من الصالحات الآثار وروينا ان بشر بن الحرث قيل له ان الناس يتكلمون فيك فقال وما عسى يقولون قيل يقولون انك تارك للسنة يعنون النكاح فقال قل لهم انى مشغول بالفرض عن السنة وقال مرة ما يمنعنى من ذلك الا آية فى كتاب الله تعالى قوله ولهن مثل الذى عليهن ولعسى ان لا أقوم بذلك وكان يقول لو كنت أعول دجاجة لخفت ان أكون جلادا على الجسر هذا يقوله فى سنة عشرين ومائتين والحلال والنساء أحد عاقبة فكيف بوقتنا هذا فالافضل للمريد فى مثل زماننا هذا ترك التزويج اذا أمن الفتنة وعود العصمة ولم تنازعه نفسه الى معصية ولم يترادف خواطر النساء على قلبه حتى يتشتت همه أو يقطعه عن حسن الاقبال على الخدمة من مسامرة الفكر ومحادثة النفس بامر النساء ومالم يجمع بصره الى محظور ولم يخالط ذكر شهوة تستولى عليه لان أول خطايا الفرج شهوة القلب بمسامرة الفكر وهو معقول الخطيئة الثانية انعاظ الفرج عن شهوة القلب وهذا عمل وقبض الرجل على فرجه منعظا معصية ثالثة فان ظهرت الشهوة من الفرج فهو معصية رابعة ومس الفرج باليمين مكروه ومتى وقعت هذه المعانى فانما تغير القلب عن الخشوع وتدخل عليه النقصان ومتى لم يبتل العبد بها فان الخلوة أفضل المعانى وفيها يجد لذة الوجود وحلاوة المعاملة و يقبل على نفسه و يشتغل بحاله ولا يهتم بحال غيره فيحمل حاله على حال غيره فيقصر أو يقوم بحكم آخر فيعجز و يعالج شيطانا آخر مع شيطانه وتنضم نفس أخرى الى نفسه وله فى مجاهدة نفسه ومصابرة هواه وعدوه أكبر الاشغال ومنها أن المكاسب قد فسدت فليس ينال أكثرها الا بمعصية وهو مسؤل من أين اكتسبه وفيم أنفقه فان كان كسب من غير حله حسب ذلك عليه وان أنفق على هواهم حسب ذلك له ومنها ان أكثر النساء قليلات الدين واصلاح والاغلب عليهن الجهل والهوى فلا يأمن ان ينقاد لهن لاجل هواه فيخسر آخرته أو يمانعهن فيغالطهن فلا ينعقد له فيتنغص عليه عيش دنياه وقال الحسن رحمه الله والله ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله فى النار ومنها ان الاغنياء فى مقام الظالمين للفقراء لبخس حقوقهم عنهم وتقصيرهم عما أوجب الله عز وجل عليهم لهم فان كان المتأهل فقيرا لقى شدة وجهدا وعنتا وكدا ولم يأمن دخول الآفات عليه لاجل عيلته وقد سئل ابن عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وقال بعض السلف قلة العيال أحد اليسارين وكثرة العيال أحد الفقرين و يقال ان العيال عقوبة شهوة الحلال وان الحرص عقوبة طلب فوق الكفاية فهو عقوبة الموحدين وقد جاء فى الاثر الوحدة خير من قرين السوء وهو من القرين الصالح على غير يقين فلا يزال اليقين بالشك فان أكثر النساء من لا صلاح فيه لغلبة الهوى وحب الدنيا عليهن وفى الخبر مثل المرأة الصالحة فى النساء كمثل الغراب الاعصم من مائة غراب يعنى الابيض البطن وفى وصية لقمان لابنه يابنى اتق المرأة السوء فانها تشيبك قبل المشيب واتق شرار النساء فانهن لا يدعون الى خير وكن من خيارهن على حذر وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم فى خيرات النساء انكن صواحبات يوسف عليه السلام ان صرفكن أبا بكر رضى الله عنه عن الامامة ميل منكن الى الهوى وتزيين

واغواء كما ان زليخا حين راودت يوسف عليه السلام كان ذلك منها غواية وتسويلا فطلبه اعتذارا ليوسف عليه السلام وايقاع اللوم عليها وتشبه لهن بها وقال الله فيهن حين أفشين سر النبي صلى الله عليه وسلم ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما يعنى مالت الى الهوى فامرهما بالتوبة للميل الى الهوى ثم قال وان تظاهرا عليه يعنى تعاونا وهما من خير الازواج فما ظنك بمن شأنه الجهالة ووصف الهوى والضلالة وفى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أفلح قوم تملكهم امرأة وقال الله تعالى مخبرا بعداوة بعض الازواج والاولاد ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم يعنى فى الآخرة لانحطاطكم فى أهوائهم وميلكم الى وهن آرائهن فصاروا اعداء غدا كيف وقد تكون المرأة والولد أعدى عدو للرجل اليوم قبل يوم القيامة اذا خالفهم فى أهوائهم وعمل بالعلم فى أحوالهم وقد كان ابراهيم بن أدهم يقول من تعود أفخاذ النساء لم يفلح وكان بشر رحمه الله يقول لو كان لى عيال لخشيت ان أكون جلادا على الجسر فالوحدة أروح للقلب وأقل للهم لخفة المؤنة وقلة المطالبة وأمن المنازعة وسقوط حكم من أحكام الشرع عنه وقد كان السلف يعملون فى اسقاط الحكم عنهم للعجز عن القيام به او يغتنمون ذلك وفى التخلى قلة الاهتمام بالادخار والجمع وترك المراعاة والتحفظ للمبيت فى البيت وسقوط المساءلة والاستخبار وترك التجسس للآثار التى نهى الله ورسوله عنها اذ لا يأمن ذلك مع الزوجة السوء وانما زهد الزاهدون فى الدنيا لراحة القلب واطراح الهم وسقوط المطالبة وقد أبيحت العزبة وفضل التعزب لهذه الامة فى آخر الزمان وفى خبر اذا كان بعد المائتين أبيحت العزبة لامتى ولان يربى أحدكم جرو كلب خير من ان يربى ولدا والخبر المشهور خير الناس بعد المائتين الخفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد وفى خبر آخر يأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يدى زوجته وأبويه وولده يعيرونه بالفقر ويحملونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التى يذهب فيها دينه فيهلك وربما كانت المرأة عقوبة للعبد وقد حدثونا فى أخبار الانبياء عليهم السلام ان قوما دخلوا على يونس عليه السلام فاضافهم وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته وتستطيل عليه وهو ساكت فعجبوا من ذلك وهابوه ان يسألوه فقال لا تعجبوا من هذا فانى سألت الله عز وجل فقلت يا رب ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا فقال ان عقوبتك ابنة فلان فتزوج بها فتزوجت بها وأنا صابر على ما ترون منها وهذا كله لمن لم يخش العنت فاما من خاف العنت وهو الزنا وأصل العنت فى اللغة هو الكسر بعد جبر يقال للدابة اذا كسرت بعد ما جبرت قد عنتت فكأنه كان مجبورا بالعصمة وبالتوبة ثم كسر بالزلل أو العادة السوداء فنكاح الامة حينئذ خير له من العنت والصبر عن نكاح الامة خير من نكاحها وهذا معنى قوله عز وجل فى نكاح الامة ذلك لمن خشى العنت منكم وكذلك ان كثرت الخواطر الردية والوساوس الدنية فى قلبه بذكر النكاح فشغله ذلك عن فرضه أو شتت ذلك همه فان نكاح الامة أيضا خير له على ان نكاح الامة محرم على من وجد طولا بحرة انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس وبقى شاب لم يبرح فاطال القعود فقال له ابن عباس هل لك من حاجة فقال نعم لى حاجة استحييت ان أسألك عنها بحضرة الملا فقال سلنى عما شئت قال انى أهابك وأجلك فقال ابن عباس انما العالم بمنزلة الوالد لا حشمة على السائل منه فهما أفضيت به الى أبيك فافض به الى فانه لا عيب عليك عندى فقال رحمك الله انى شاب لا زوجة لى وربما خشيت العنت على نفسى وربما استمنيت بذكرى فهل لى فى ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس رضى الله عنهما ثم قال أف وتف نكاح لامة خير من هذا وهذا خير من الزنا ونكاح الامة عند علماء العراق حرام على من وجد عشرة دراهم وعند

العبد ولطالبه فى آخرته ليعرضه بذلك الى الملك العظيم وسعادة الابدان صبر ورضى فقال العلماء بالله المحن ستة أشياء الاول الامر والنهى مع غيبوبة الثواب والعقاب والثانى تركب الهوى والثالث تطبيع الشهوات والرابع تسليط الشيطان والخامس خلق المشتهيات والسادس تحبيبه للكسل والراحة والحكمة فى الابتلاء والامتحان شيآن أحدهما التمييز بين المطيع والعاصى بالفعل ليظهر فى الدنيا من المطيع طاعته ومن العاصى عصيانه قال الله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين أى حتى نعلم ذلك منكم واقعا لان الموجود قبل الابتلاء انما هو العلم بانه سيوجد من العبد طاعة أو عصيان وعند الابتلاء يحصل العلم بوجود الطاعة أو المعصية من فاعلهما والثانى ليستوجب من صبر الثواب ومن جزع العقاب وقال بعض اهل المعرفة البلوى أدب للظالم وسياسة ورياضة للتائب وتفقد وتطهير للاولياء وعبادة للانبياء قال وشدد الله البلاء على الانبياء والخواص من اتباعهم ليكونوا دائما فى التضرع اليه والمناجاة معه ولان الله تعالى يبغض الدنيا فامتحن أولياءه فيها لئلا يميلوا الى مبغوضه قال ومن المحن ان يجعل الله الطاعة ثقيلة والمعصية خفيفة قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات والحكمة فى ذلك كما قال على رضى الله عنه لئلا يأتى بابه كل سفلة وقال آخر ليرجع الطفيلى من الباب سئل بعضهم ما الذى يقطع العبد عن الله تعالى بعد وصوله اليه فقال الواصل على ثلاثة أقسام واصل الى الآخرة يقطعه الميل الى الدنيا وواصل الى الدرجات والاحوال يقطعه حب الشهوات فى الآخرة وواصل الى الله تعالى ولا مطمع للقطع فيه لقوله تعالى انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وفى الخبر عن بعض الاكابر ما رجع من رجع الا من الطريق ولو وصلوا لما رجعوا *(فصل)* واعلم ان هذا الزمان لا يصل أحد فيه الى شئ من الحقيقة

الا بذبح نفسه بالصبر وقتلها بالجوع والفقر والذل وتقريبها بالذكر والعلم وهدم الدنيا باليقين والزهد وعمارتها بالمعرفة والطاعة ومجاهدة الاعداء واستئصالهم وهم الهوى والشهوات والشيطان واعلم انك مطبوع على أمور منها حسنة ومنها سيئة فاعدى أعدائك سيئات طباعك وأولى أوليائك حسنتها فقابل السيئ من طباعك بالحسن منها واطلب من الله تعالى المعونة والصبر والنصر فقد بليت فى حربها ومكابدها وجهادها بحرب لا حرب أنفع منه لك فان رزقت الظفر والا فانقص ما تلبك الهزيمة منها وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر أصحابه بالجد والجهاد فى العبادة وكان يداويهم بالدواء البالغ النافع فمن رآه قد انهك نفسه فى العبادة أمره بالرفق بنفسه فقال لحنظلة بن الراهب يا حنظلة قد انهكك العبادة يا حنظلة ساعة وساعة وقال لغيره جدوا واجتهدوا وقال بعض الاكابر المجاهدة سفينة النجاة تنتهى بصاحبها الى بر السلامة فبلغ الجنيد الى أين تنتهى عبادة أهل المعرفة بالله تعالى قال الى الظفر بنفوسهم وقال يحيى بن معاذ مجاهدة الصديقين مع الخطرات ومجاهدة الابدال مع الفكرات ومجاهدة الزهاد مع الشهوات ومجاهدة التائبين مع الزلات

(فصل) واعلم ان السعادة التى تجاهد لنيلها والشقاوة التى تجاهد لنفسك على النجاة منها لا نهاية لهما ولا انقضاء ولا آخر بل ذلك أبد الآبدين لا ينصرم بتصرم الاحقاب والآباد بل لو قدر ما الدنيا مملوءة من الخردل من مشرقها الى مغربها وقدر ما طائرا يختطف فى كل خمسمائة ألف سنة حبة واحدة من ذلك الخردل لفنى الخردل ولم ينقص ذلك الشقاء ولا ذلك النعيم لان الابد لا ينقضى وهذه الشقاوة الدائمة فيها من أنواع البلايا والآلام والعقوبات والحسرات ما قد شرحه الله تعالى فى كتابه وأخبر به نبيه صلى الله عليه وسلم مجملا

بعض علماء الحجاز اذا كان واجد الثلاثة دراهم لم تحل له نكاح الامة وعن بعض أصحاب ابن المسيب ان وجد الرجل درهمين حرم عليه الامة وقال بعض الناس أحمق الناس حر تزوج امة وأعقل الناس عبد تزوج حرة لان هذا يعتق بعضه وذلك يرق بعضه لانه يرق ولده وقد جاء فى كراهة الاستمناء وتحريمه والتغليظ فيه أخبار شديدة روينا ان الله عز وجل أهلك أمة من الامم كانوا يعبثون بمذاكيرهم وقد اسنده اسماعيل بن أبان عن أنس بن مالك وسئل أبو محمد عن النساء فقال الصبر عنهن ولا الصبر عليهن والصبر عليهن خير من الصبر على النار وكذلك قال بعض العلماء قبله معالجة العزبة خير من معالجة النساء وقال بعض علمائنا البصريين من أهل الورع واليقين وقد سئل عن التزويج فى مثل زماننا فذكر ضيق المكاسب وقلة الحلال وكثرة فساد النساء فكرهه للورع وأمره بالمدافعة فاعيد عليه فى ذلك فقال انه يدخل فى المعاصى لدخول الانسان فى الآفات وفى المكاسب المحرمات ومن أكله بدينه وتصنعه للخلق فلا يصلح التزويج فى هذا الوقت الا لرجل يدركه من الشبق ما يدرك الحمار اذا نظر الى الاتان لم يملك نفسه ان يثب عليها حتى يضرب رأسه وهو لا ينثنى فان كان الانسان على مثل هذا الوصف كان التزويج له أفضل وقد روينا عن قتادة فى قوله عز وجل ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال الغلمة وعن عكرمة ومجاهد رضى الله عنهما وخلق الانسان ضعيفا قال لا يصبر عن النساء وروينا عن فياض بن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وروينا فى نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قال قيام الذكر وقد أسنده بعض الرواة الا انه قال فيه الذكر اذا دخل ولم يذكر قام وفى الخبر اذا تزوج الرجل فقد أحرز نصف دينه فليتق الله فى الشطر الآخر وفى دعاء البراء بن عازب أعوذ بك من شر سمعى وبصرى وقلبى ومنيى فكان المنى اذا امتلأ به خرز الصلب فطلب الخروج نخيف منه فساد القلب ومرضه بمنزلة الدم اذا كان فى العروق فاذا تصاعد من الصلب طمح وغيره فايض وصار منيا باذن الله عز وجل وذكر النساء فى مجلس معاوية فذمهن قوم فقال لا تفعلوا فما علل المريض ولا ندب الميت ولا عمر البيوت مثلهن ولا احتاجت الرجال الى مثلهن وفى بعض التفسير قال انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال النساء وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يتم نسك الشاب حتى يتزوج وكان يجمع غلمانه لما أدركوا عكرمة وكريب وغيرهما فيقول ان أردتم النكاح أنكحتكم فان العبد اذا زنى نزع نور الايمان من قلبه وقد قال عمر رضى الله عنه لابى الزوائد ما يمنعك من النكاح الا عجز أو فجور وحدثنا بعض علماء خراسان عن شيخ له من الصالحين كان يصحب عبدان صاحب ابن المبارك ووصف من صلاحه وعلمه قال فكان يكثر التزويج حتى لم يكن يخلو من اثنتين أو ثلاثة فعوتب فى ذلك فقال هل يعرف احد منكم انه جلس بين يدى الله عز وجل مجلسا أو وقف بين يدى الله موقفا فى معاملته فخطر على قلبه خاطر شهوة فأفكر فى ذلك فقيل قد يصيبنا هذا كثير فقال لو رضيت فى عمرى كله بمثل حالكم فى وقت واحد لما تزوجت ثم قال لكنى ما خطر على قلبى خاطر يشغلنى عن حالى الا نفذته لاستريح منه وأرجع الى شغلى ثم قال منذ أربعين سنة ما خطر على قلبى خاطر معصية وسمع بعض العلماء بعض الجهال يطعن على الصوفية فقال يا هذا ما الذى نقصهم عندك فقال يأكلون كثيرا فقال وانت أيضا لو جعت كما يجوعون لاكلت كما يأكلون ثم قال ماذا قالوا يتزوجون كثيرا فقال وانت أيضا لو حفظت فرجك كما يحفظون تزوجت كما يتزوجون وأى شئ أيضا قالوا يسمعون القول قال وانت أيضا لو نظرت كما ينظرون لسمعت كما يسمعون وقد سئل بعض العلماء عن الفقراء لم يكثرون الاكل ويكثرون الجماع وتعجبهم الحلاوة فقال لانه

يطول

بطول جوعهم ويتعذر عليهم موجود الطعام فاذا وجدوا استكثروا منه وأما الحلاوة فانهم تركوا شرب الخمر وكثرة لذات النفوس فاجتمعت لذتهم في الحلاوة فهم يأكلونها وأما الجماع فانهم غضوا أبصارهم في الظاهر فضيقوا على قلوبهم في الخواطر فاتسعوا في النكاح فأكثروا منه لما نفوا على جوارحهم عن الانتشار في الابصار وقد كان الجنيد رحمه الله يقول احتاج الى الجماع كما احتاج الى القوت وكان ابن عمر رضي الله عنه من زهاد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعلمائهم وكان يصوم كثيرا وكان يفطر على الجماع قبل الاكل وربما جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وروينا عنه انه جامع أربعا من جواريه في رمضان قبل صلاة عشاء الآخرة وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يقول خير هذه الامة أكثرها نكاحا وكان سفيان بن عيينة يقول كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رضي الله تعالى عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له أربع نسوة وسبعة عشر سرية فالنكاح سنة ماضية وخلق من أخلاق الانبياء صلوات الله عليهم وقد روينا في أخبار الانبياء ان عابدا تبتل وبلغ من العبادة ما فاق على أهل زمانه ووصف بذلك فقال فذكر ذلك لنبي ذلك الزمان فأثنى عليه بحسن الثناء فقال نعم الرجل هو لولا انه تارك لشيء من السنة قال فنمى ذلك الى العابد فاهمه فقال ما ينفعني عبادتي ليلا ونهارا وانا تارك للسنة فجاء الى ذلك النبي فسأله فقال نعم انت تارك للتزوج فقال ما تركته انني حرمته وما منعني منه الا اني فقير لا شيء عندي وأنا عيال على الناس يطعمني هذا مرة وهذا مرة فكرهت ان أتزوج امرأة أعضلها وأرهقها جهدا فقال ما عندك الا هذا قال نعم قال فانا أزوجك ابنتي قال فزوجه النبي عليه السلام ابنته في قصة طويلة وروينا في نوادر أخبارهم أيضا ان يحيى بن زكريا عليهما السلام تزوج امرأة ولم يكن يقربها قيل لغض البصر وقيل للفضل في ذلك كانه أراد ان يجمع الفضائل كلها وقيل للسنة وكان بشر بن الحرث رحمه الله يعتقد أحمد بن حنبل رحمه الله ويقول فضل علي بثلاث بطلب الحلال لنفسه ولغيره وأنا أطلب الحلال لنفسي واتساعه للنكاح وضيق عنه وقد جعل اماما للعامة وأنا أطلب الوحدة لنفسي ويقال ان أحمد بن حنبل رضي الله عنه تزوج اليوم الثاني من وفاة أم عبد الله ولده ويقال انه لم يبت عزبا بعد وفاتها الا ليلة ولكن قد كان بشر رحمه الله يحتج لنفسه بحجة قيل له ان الناس يتكلمون فيك فقال وما عسى ان يقولوا قال يقولون هو تارك للسنة في ترك النكاح فقال قل لهم هو مشغول بالفرض عن السنة وعوتب مرة أخرى في ترك التزوج فقال ما يمنعني من ذلك الا حرف في كتاب الله عز وجل ولهن مثل الذي عليهن قال فذكر ذلك لاحمد بن حنبل فقال وأين مثل بشر انه قعد على مثل حد السنان وعلى ذلك فقد بلغنا انه رحمه الله روي في المنام بعد وفاته فسئل عن حاله فقال رفعت سبعين درجة في عليين وأشرف بي على مقامات الانبياء ولم أبلغ منازل المتأهلين وبلغنا عنه انه قال وعاتبني ربي عز وجل وقال يا بشر ما كنت أحب ان تلقاني عزبا قال فقلت له ما فعل أبو نصر التمار فقال رفع فوقي سبعين درجة فقلنا بماذا وقد كنا نراك فوقه فقال بصبره على بناته والعيال وقد كان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة أيام أموت في آخرها لاحببت ان أتزوج ولا ألقى الله عز وجل وأنا أعزب وماتت امرأة معاذ بن جبل رضي الله عنه في الطاعون وكان هو أيضا مطعونا فقال زوجوني فاني أكره ان ألقى الله عز وجل عزبا وقد كان بعض الصحابة انقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخدمه ويبيت عنده لحاجة ان طرقته فقال له ألا تتزوج فقال يا رسول الله أنا فقير لا شيء لي وانقطع عن خدمتك فسكت عنه ثم أعاد عليه ثانية ألا تتزوج فقال له مثل ذلك ثم تفكر الصحابي في نفسه فقال والله لرسول الله أعلم بما يصلح في دنياي وآخرتي وما يقربني الى الله عز وجل مني لئن قال

ومفصلا وأما السعادة فهي لذة وسرور بلا كدورة وغنى بلا فقر وكمال بلا نقصان وعز بلا ذل وراحة بلا تعب وبالجملة فهي كما أخبر الله تعالى في كتابه وقال تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال تعالى فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وكما قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أعد لعباده الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فمثل هذا الاعتناج الى استحثاث على طلبه ويقبح الفتور عنه اذ كل عاقل مسارع الى أقل منه لا يصرفه عنه كون الطريق اليه متوعرا ويحوج الى ترك لذات الدنيا واحتمال أنواع من التعب فان مدة الدنيا واحتمال التعب فيها بالمجاهدة والعبادة قصيرة والغاية من اللذات والشهوات فيها قليل تنقضي وتنصرم عن قريب فان مدة عمر الانسان في الدنيا قصير بل ما يبقى من عمر الانسان في الدنيا بالاضافة الى ما مضى منها قليل جدا وقال صلى الله عليه وسلم بعثت والشمس في أطراف النخيل والعاقل يترك القليل العاجل لاجل تحصيل اضعافه في الآجل ولذلك ترى الخلق في التجارات والحرف يحتملون التعب والنصب في الحال طمعا في حصول منفعة وراحة في المستقبل تزيد على ما يفوتهم في العاجل زيادة محدودة فكيف لا يسمحون بترك لذة عاجلة للتوصل الى نعيم الابد وسعادة السرمد ولكن فتور الخلق عن سلوك طريق السعادة انما هو لضعف ايمانهم باليوم الآخر وضعف ايمانهم

سببه الغفلة عن الفكر في المعاد وعن شهود الوعد والوعيد وتلك الغفلة مستمرة مستغرقة لاوقاتهم لا ينتبهون منها مادامت متوالية وهي كذلك وليس لهم واعظ مخلص ولا مذكر زكي القلب لان البلاد قد خلت من مثل هذا ولو فرض عالم زكي القلب يذكر الناس وبعظهم لم يلتفت اليه وان التفت اليه وأذعنت النفس للقبول منه والعزم على التوبة هجم عليها عقيب ذلك عوارض

الشهوات ومحبة الراحة والكسل ونيل اللذات وقضاء الاوطار فعارضت تلك الشهوات ذلك الباعث الضعيف على التوبة فمحته وأزالت أثره وأعادت حجاب الغفلة ويكون ذلك دأب باعث المعاصى مع باعث التوبة والطاعة أبدا مادام الانسان حيا فلا يزال هذا دأبه الى الموت وعند ذلك لا يبقى له الا التحسر بعد الفوت ولا يغنى عنه التحسر شيأ وكان النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ما ينذر قومه وعشيرته ويوقظهم من نوم الغفلة وينذرهم بنذير الله ويقول يامعشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا نفوسكم لا أغنى عنكم من الله شيأ ياعباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيأ ياصفية عمة محمد لا أغنى عنك من الله شيأ يافاطمة بنت محمد لا أغنى عنك من الله شيأ

(فصل) فى مراتب النفس فى المجاهدة اعلم ان للانسان فى مجاهدة الهوى ثلاثة أحوال الاول أن يغلبه الهوى ويملكه ولا يستطيع له خلافا وهو حال أكثر الخلق قال الله أفرأيت من اتخذ الهه هواه فكل من كان منقادا لهواه متبعا لشهواته فقد اتخذ الهه هواه الثانى أن يكون الحرب بينهما سجالا أى بين الهوى وبين العقل الذى يهدى الى الخير والطاعة فتارة يغلب العقل وتارة يغلب الهوى فهذا الرجل من المجاهدين فانه مشغول بامتثال قول النبى صلى الله عليه وسلم جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم وهذه الرتبة العليا للخلق سوى الانبياء والاولياء الثالث أن يغلب العقل على الهوى فيصير مستوليا عليه بحيث صار الهوى مقهورا مغلوبا وهذا هو الملك والنعيم المقيم والحرية التامة والخلاص عن رق الهوى وعبودية الشهوة وهذا هو حال الانبياء والاولياء الخالصين من أتباع الانبياء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم مامن أحد الاوله شيطان وان الله أعاننى على شيطانى حتى ملكته وقال فى حق عمر رضى الله عنه ماسلك فجا الا سلك الشيطان فجا غيره *(فصل)* واعلم انه يلتبس على بعض الناس دعوة العقل

لى الثلاثة لا فعلن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تتزوج قال فقلت يارسول الله زوجنى قال اذهب الى بنى فلان فقل لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركم ان تنكحونى فتاتكم قال فقلت يارسول الله انه لا شئ لى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم وزن نواة من ذهب فجمعوا له وذهب الى القوم فانكحوه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم فقال يارسول الله لا شئ عندى فقال لاصحابه اجمعوا لاخيكم ثمن شاة فجمعوا له وأصلح طعاما ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفى الخبر المشهور من كان ذا طول فليتزوج وفى لفظ آخر من استطاع منكم الباءة يعنى الجماع فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وأصل الوجاء رض الخصيتين للفحل من الغنم لتذهب فحولته وضرابه فكانت العرب تجأ بحجرين فتقطع ضرابه فيسكن لذلك ويهزل ويسمن ومن ذلك الخبر ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين أملحين موجوأين يعنى أبيضين مرضوضى الخصية وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة حتى بالسقط والرضيع وفى الخبر الآخر من أحبنى فليستن بسنتى يعنى النكاح وحديث أبى سعيد الخدرى من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا وقد كان عمر يكثر النكاح ويقول ما أتزوج الا لاجل الولد وقد كانت هذه نية جماعة من السلف يتزوجون لاجل ان يولد لهم فيعيش فيوحد الله تعالى ويذكره أو يموت فيكون فرطا لهما يثقل به ميزانه كيف وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الطفل يجر أبويه بسرره الى الجنة وان المولود يقال له أدخل الجنة قال فيقف على باب الجنة فيظل محبنطئا أى ممتلئا غيظا وغضبا فيقول لا أدخل الا وأبواى معى فيقال أدخلوا أبويه معه الجنة وروينا خبرا غريبا ان الاطفال يجمعون فى موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا بهؤلاء الى الجنة قال فيقفون على باب الجنة قال فيقول لهم مرحبا بذرارى المسلمين ادخلوا لا حساب عليكم فيقولون فاين آباؤنا وأمهاتنا قال فتقول الخزنة ان آباءكم وأمهاتكم ليسوا امثالكم انهم كانت لهم ذنوب وسيآت فهم يحاسبون عليها ويطالبون قال فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله عز وجل للملائكة وهو أعلم ماهذه الضجة فيقولون ياربنا أطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة الا مع آبائنا فيقول الله عز وجل تخللوا الجمع فخذوا بايدى آبائهم فادخلوهم معهم الجنة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات له اثنان من الولد فقد احتظر له بحظار من النار وفى خبر آخر من مات له ثلاثة لم يبلغوا الحنث أدخله الله عز وجل الجنة بفضل رحمته اياهم قيل يارسول الله فاثنان قال واثنان وكان بعض الصالحين يعرض عليه التزويج فيأباه برهة من دهره قال فانتبه من نومه ذات يوم فقال زوجونى فسئل عن ذلك فقال لعل الله ان يرزقنى ولدا أو يقبضنى فيكون مقدمة لى فى الآخرة ثم حدث عن سبب ذلك فقال رأيت فى نومى كأن القيامة قد قامت وكنت فى جملة الخلائق فى الموقف وبى من العطش ما كاد ان يقطع عنقى وكذلك الخلائق فى شدة العطش من الحر والشمس والكرب قال فبينا نحن كذلك اذا الولدان يتخللون الجمع عليهم مناديل من نور وبايديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب وهم يسقون الواحد بعد الواحد ويتخللون الجمع ويجاوزون أكثر الناس قال فمددت يدى الى أحدهم فقلت اسقنى شربة فقد أجهدنى العطش فقال ليس لك فينا ولد انما نسقى آباءنا فقلت وما أنتم فقالوا نحن من مات من أطفال المسلمين وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الودود الولود وروى أيضا حصيرة فى البيت خير من امرأة لا تلد وروى أيضا سوداء ولود خير من حسناء لا تلد هذا كله لاجل هذا وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رغب عن سنتى فليس منى

بدعوة الهوى فيظن انه منقاد للعقل متبع دواعى الشرع وهو فى الحقيقة شيطان مريد لانه ما تبع الاهواء وما انقاد الا للشهوات وهو يتعلل لاغراضه بانها من الدين وان طلبه لها لاجل الدين حتى ان جماعة اشتغلوا بالوعظ والتذكير والقضاء والفتيا وتدريس العلوم والخطابة وأنواع الرياسة وهم فيه متبعون للهوى ويزعمون ان باعثهم الدين ويحركهم لهذه الامور طلب الثواب ومناقشتهم فيها من جهة الشرع وهم فى ذلك مغرورون ويكشف لهم عن زلتهم وغرورهم ان الواحد منهم ان كان يفعل لله تعالى وقصده دعوة الخلق الى الله تعالى وارشادهم ونصحهم فلا يغتم ولا يسوءه اذا جاء مكانه واعظ غيره أو قاض غيره أو متصد غيره ممن هو أحسن سيرة منه وأكثر منه علما وأنصح للناس وتضاعف اقبال الناس عليه بل يفرح به ويسر بوجوده ويشكر الله تعالى على سقوط هذا الفرض عنه بغيره ومن هو أولى منه به فان كان كذلك فهو صادق وهيهات ان يكون كذلك فان قلت فاذا كان لا يامن مثل هذا التلبيس والانخداع ببروز الشيطان وغروره كما حكيت عن هؤلاء المغرورين فبم تميز بين دعوة العقل دعوة الهوى قلنا الذى ينبغى ان يرجع اليه عند هذا التحير ان يعلم ان العقل فى أكثر الامور يشير بالاصلح للعواقب وان كان فيه ثقل أو مشقة فى الحال والهوى يشير بطلب الراحة وترك التكلف فمهما عرض لك أمران ولم تدر أيهما أصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فأكثر الخير فيما يكرهه الانسان قال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وقال الله تعالى فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فكل ما سمعت نفسك اليه مما فيه لذة وطرور راحة ورفاهية وحط التكلف فى الحال فاتهم نفسك فيه فان حبك الشئ يعمى ويصم وما يترجح فى قلبك من الاقبال على العبادة والاحتراز عن خطر الآخرة واجتناب

وان من سنتى النكاح ومن أحبنى فليستن بسنتى ويقال ان الله تعالى لم يذكر فى كتابه من الانبياء الا المتاهلين وهم خمس وثلاثون وقد ذكرنا آنفا أن يحيى عليه السلام قد تزوج وأما عيسى عليه السلام فانه سينكح اذا نزل من السماء ويولد له وقد قيل ان فضل المتاهل على العزب كفضل المجاهد على القاعد وان ركعتين من متاهل أفضل من سبعين ركعة من أعزب وقال الله تعالى فى وصف الرسل ومدحهم ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية فعد الازواج والذرية من مدحهم وذكرها فى وصفهم وكذلك الحق بهم أولياءه فى المدح والفضل فى قوله عز وجل والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين فسألوا الله عز وجل من فضله وكل ما ذكرناه من فضل النكاح يشترك فى فضل ذلك النساء بل هو لهن أفضل وأثوب لسقوط المكاسب عنهن وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم المرأة بالتزوج وندبها اليه وأخبر بفضل الرجل وفضل المتزوجة على العزباء فى غير حديث وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج لعن الله المتبتلات من النساء اللاتى يقلن لا نتزوج بعد ما ذكر من عظيم حق الرجل على المرأة وثقل واجبه حتى قالت المرأة اذا لا أتزوج أبدا قال بلى تزوجى فهو خير والاخبار فى فضل النكاح للزوجين معا أكثر وليس مذهبنا الاطالة والاكثار فى الجمع وقد ندب الله تعالى الى النكاح فى قوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وفى أنى ثلاث معان معنيان منها ههنا يكون أنى بمعنى كيف شئتم من ليل أو نهار فكيف شئتم مقبلة أو مدبرة وبين ذلك بعد ان يكون فى موضع الحدث وقد يكون أنى فى موضع آخر بمعنى أين ولا يصلح هذا الوجه ههنا ثم قال عز وجل وقدموا لانفسكم قيل النكاح معطوف به الاتيان وهو أحد الوجوه الثلاثة لما فيه من فضل الاغتسال من الجنابة ولما فيه من فضل مباشرة المرأة وان المرأة اذا لاعبها بعلها وقبلها كثرت له من الحسنات ما شاء الله فاذا اغتسلا خلق الله من كل قطرة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة وجعل ثواب ذلك لهما ولما فى ذلك من التحصين لهما ووضع النطفة فى محلها وفى ذلك فضائل جمة وقد أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وزوجة مؤمنة تعينه على آخرته والوجه الثانى فى قوله تعالى وقدموا لانفسكم قيل الولد قدموا لآخرتكم لانه عمل من أعمالكم كما قال عز وجل ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ أى ما نقصناهم أولادهم أى جازيناهم بهم وجعلناهم مزيدا فى حسناتهم لانهم من أعمالهم وأكسابهم وكما قال عز وجل ما أغنى عنه ماله وما كسب يعنى ولده ففى تدبره أن الولد يغنى المؤمن فى الآخرة كما يغنى المال عنه اذا أنفقه فى سبيل الله تعالى وفى الخبر ولد الرجل من كسبه فأحل ما أكل من كسب ولده والوجه الثالث فى قوله عز وجل وقدموا لانفسكم قيل التسمية عند الجماع أى اذكروا اسم الله تعالى عنده فذلك تقدمة لكم وانه يستحب للمجامع ان يسمى الله عز وجل عند جماعه ويقرأ قل هو الله أحد قبله وكان بعض أصحاب الحديث اذا أراد الجماع هلل وكبر حتى يسمع أهل الدار تكبيره واذا كانت المرأة معينة لزوجها على الطاعة طالبة للتقلل والقناعة فهى نعمة من الله عليه يطالبه بشكرها قال الله عز وجل وأصلحنا له زوجه فعد ذلك من نعمة الله عليه واحسانه اليه وقيل فى التفسير كان خلقها سيئا فحسن وقيل كان فى لسانها طول فقصر وروينا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فضلت على آدم عليه السلام بخصلتين كانت له زوجة عونا له على المعصية وأزواجى عونا لى على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطانى مسلما لا يامرنى الا بخير فعد ذلك صلى الله عليه وسلم فى فضائله واذا كانت المرأة حسنة الوجه خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف فهذه على صورة الحور العين قال الله تعالى فى ذلك فيهن خيرات حسان قيل

بمخالفة الله تعالى فى أمره ونهيه فهو من اشارة العقل نخذبه والزمه ❊(فصل) واعلم❊ ان الله تعالى يمحن أولياءه ويصب عليهم البلاء صبا فاصحاب البلاء والمصائب فى الحياة الدنيا هم الاولياء قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى ليتعاهد عبده بالبلاء كما يتعاهد الوالد ولده بالخير وأن الله تعالى يحمى عبده المؤمن من الدنيا (٢٤٤) كما يحمى المريض أهله من الطعام رواه حذيفة بن اليمان رضى الله عنه وعن خباب بن الارت رضى الله عنه قال هاجرنا مع النبى صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله نبتغى وجه الله فوجب أجرنا على الله فمنا من مضى لم يأكل من أجره شيأ فمنهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد ولم يوجد له شئ يكفن فيه الانمرة فكنا اذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه واذا وضعناها على رجليه خرجت رأسه فقال صلى الله عليه وسلم ضعوها على رأسه وضعوا على رجليه من الاذخر قال ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها وعن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال كنا يصيبنا ضيق العيش بمكة وشدته مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما أصابنا البلاء وأكثر بنا كذلك ومررنا عليه وصبرنا له فكان مصعب ابن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده حلة مع أبويه ثم لقد رأيته جهد فى الاسلام جهدا شديدا حتى لقد رأيت جلده يتخشف تخشف جلد الحية عنها حتى ان كنا لنعرضه على أنفسنا فنحمله بما به من الجهد وما نقص عن شئ بلغناه ثم أكرمه الله تعالى بالشهادة يوم أحد وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال انا لجلوس مع النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد اذ طلع علينا مصعب ابن عمير وعليه وزرة مرقعة بقطعة من فرو فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم بكى للذى كان فيه من النعمة وما هو فيه اليوم وفى رواية أخرى ان النبى فبير بكى لما رآه على تلك الحال وقال انظروا الى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه وهو يختال فى حلة قد اشتريت له واشتراها بمائتى درهم

خيرات الاخلاق حسان الوجوه وقال تعالى حور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون والحور البيض والعين كبار الاعين هو جمع عيناء والحوراء هى البيضاء شديدة بياض العين شديدة سوادها وسواد الشعر وقال عز وجل عربا العربة على معنيين تكون العاشقة لزوجها وتكون المشتهية للجماع وذلك يكون من تمام اللذة فى الوقاع لان المرأة اذا لم تكن محبة لزوجها ولا مشتهية لافضائه اليها نقص ذلك من لذته فلذلك وصف الله عز وجل نساء أهل الجنة بتمام اللذة ويقال رجل شبق وامرأة عربة يوصفان بشهوة الجماع كيف وقد روى خير نسائكم الغلمة على زوجها وقال بعض الحكماء ثلاث من اللذات لا يؤبه لهن المشى فى الصيف بلا سراويل والتبرز على الشط ومجامعة الربوخ يعنى المشتهية للجماع وقال عز وجل فى تمام وصفهن قاصرات الطرف أى قد قصر طرفها على زوجها وحده فليست ترى أحسن منه ولا تريد بدلا غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التى اذا نظر اليها الرجل سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها حفظته فى نفسه وماله وروينا عن محمد بن كعب القرظى رضى الله عنه فى معنى قوله عز وجل ربنا آتنا فى الدنيا حسنة قال المرأة الصالحة وفى بعض التفسير فلنحيينه حياة طيبة قال المرأة الصالحة وقد كان عمر رضى الله عنه يقول المرأة الصالحة ليست من الدنيا لانها تفرغك للآخرة الا انه كان يقول المنفرد يجد من حلاوة العبادة ما لا يجد المتزوج وكان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه يقول ما أعطى عبد بعد ايمان بالله عز وجل خيرا من امرأة صالحة ووصف النساء فقال منهن غنم لا يجزأ منه يعنى غنيمة لا يعتاض منها بعطاء الحديا هى العطاء ومنهن غل لا يفدى منه أى لا قيمة له فيفدى منه ويجوز ان لا راحة منه كالغل فصاحبها أسير بحبها لا يفتدى ابدا الا بموتها وقال أيضا قيل كانت العرب من نهاية تعذيبها الاسير تسلخ جلد الشاة ثم تلبسه اياه لحما طريا فاذا جف تزق على جسده وينقبض ثم لا تنزعه عنه حتى يقمل ويتنثر منه الهوام فذلك هو الغل مثل المرأة المكربة واعلم ان النساء على أوصاف النفس من عرف صفات النفس عرف بها أوصاف النساء وقاسهن بالتجربة والخبر عرف بذلك صفات النفس فمنهن المسولة وهى ادناهن ومنهن الامارة بالسوء وهى شرهن لا تستتر من الاذى ولا تنى عن خلق السوء والبذاء ومنهن بمنزلة النفس اللوامة وهى من صالحى النساء ومنهن المطمئنة المرضية وهذه هى الصالحة الخيرة الساكنة الراضية وفصل الخطاب ان كان صلاح قلب العبد واستقامة حاله فى الغربة فلا أعدل بالوحدة شيأ لان أقل ما فيها السلامة والسلامة فى وقتنا هذا فضيلة وغنيمة وان تاقت نفسه الى التزويج ولم يأمن دواعى الهوى فيتزوج اذا أدى الى سلامة دينه وان لم تتم كفايته بواحدة ضم اليها أخرى فان لم تكن بهما غنيمته وتمام حاله وتحصينه زاد ثالثة الى أربع فان الاربعة مع توقان النفس الى النكاح وقوة شهوتها فى التنقل فى المناكح بمنزلة الواحدة وان الواحدة مع وقوع الكفاية ووجود الاستغناء تنوب عن الاربع كذلك خبر الله عز وجل صورة النفس فيما عليه جبلها وفاوت بين الطبائع فيما عليه جعلها يقال ان الله عز وجل أباح الجمع بين الاربع لاجل الطبائع الاربع لكل طبيعة واحدة على قدر حركاتها وتوقان النفس عندها ولا نقص على العبد فى ذلك اذا قام بما عليه لهن أوسعهن بحقوقهن من النفقة والمبيت له بل ذلك مزيد له ودلالة على قوته وتمكنه فى الحال وهذه طرائق الاقوياء والائمة من الرجال وأيضا فان الله عز وجل ما أنعم به من امتطاء الاربع من النساء من الحكمة وتلوين الطابع فى الصنعة مثل ما أنعم به من تكوين سيرة المطايا التى جعلهن مراكب عباده فجعل تفاوت تكوين وطء الاربعة بمنزلة تغاير مشى دواب البر الاربعة فقال عز وجل والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة وقال عز وجل من الفلك والانعام ما تركبون يعنى الابل

فما زال حب الله وحب رسوله حتى صيره الى ما ترون ثم قال صلى الله عليه وسلم كيف بكم اذا غدا أحدكم فى حلة وراح فى أخرى ووضعت بين يديه صحفة ورفعت أخرى وسترتم بيوتكم كما تستر الكعبة قالوا يا رسول الله نحن يومئذ خير منا اليوم نتفرغ للعبادة ونكفى المؤنة فقال النبى صلى الله عليه وسلم لانتم اليوم خير منكم يومئذ وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام على غاية ما يمكن من المجاهدة لانفسهم مع انهم مقطوع لهم بالفوز والدرجات العالية يأمرون أممهم وأتباعهم بالمجاهدة لانفسهم قال عيسى عليه السلام أدخلوا من الباب الضيق فان الباب الواسع مسلوك والطريق التى تؤدى الى الهلاك رحبة والداخلون فيها كثيرون ما أضيق الباب وأكرب الطريق التى تؤدى الى النجاة وقليلهم الذين يجدونها وكان فى التابعين المجاهدون الصابرون وبلغ من أمر جماعة من الصحابة فى المجاهدة مبلغا عجز عنه من جاء بعدهم من الخلق روى ان أويسا القرنى قال لاعبدنه عبادة الملائكة وعن بعض أصحاب ابن مسعود رضى الله عنهم انهم قالوا قال ما احب البقاء فى الدنيا الا لا أعفر وجهى فى التراب لله تعالى يعنى وقت السجود فى الصلاة

(فصل) ولا تتم المجاهدة الا بالتثبت ولا تتحقق الا بالصبر فاذا عرض للمريد عارض الهوى والشهوة احتاج الى التثبت والصبر أما وجه احتياجه الى الثبات فلان الثبات حاجز بين العبد وبين المعصية ويقوى عند الثبات الخوف بالوعيد والرجاء بالوعد والحياء من الله تعالى لعظمته وجلاله ونعمه واحسانه وحقيقة التثبت هو التوقف والتأنى قبل الفعل لتبين للفاعل غوائل الفعل وقبح عاقبته واعلم أن محال التثبت ومواضعه متعددة فمنها التثبت عند خطور الخاطر والثانى عند حديث النفس والثالث عند العزم وعقد القلب والرابع عند الشروع فى أعمال الجوارح والخامس فى أثناء العمل قبل

فسير الناقة غير سير الفرس وسير البغل مخالف لمشى الحمار وكذلك جعل لمن جمع الاربع بالوطء ما لا يجعل بالآحاد والمثنى والثلاث فحسن ذلك وأباحه لمن جمع بينهن أربعا كالطلاقة لمن جعل له من المطايا أربعة ينتقل على دابة بعد دابة فكان له فرس وبغل وحمار اذا اتسع بذلك وأقام بمؤنتهن وقد يكتفى الواحد بدابة واحدة فيكون فيها بلاغ الى حين ذلك تقدير العزيز العليم واتقان صنع المنعم الحكيم وقد شرط الله تعالى مع الزوجة ثلاثة شروط ان وجدت تمت بهن كفاية العبد وسكنت بها نفسه وكان ذلك من آيات الله الدالة عليه وان لم توجد الشروط الثلاثة مع الاحدى كان له المزيد عليها الى الرباع وكن فى المعنى كالآحاد لعدم الشروط التى أخبر الله عز وجل بسكون النفس عندها وعند الاربع توجد الشروط فى قلوب المؤمنين لا محالة كما أخبر عز وجل وكان ذلك أيضا من آياته وحكمته الدالة عليه فقال سبحانه ومن آياته ان خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة فان وجد العبد سكون النفس ورحمة القلب ومودة المرأة فى الواحدة فهو من آيات الله عز وجل وهى كفايته وغنيته وان لم يجد السكون ولا الرحمة ولا المودة الا فى الاربع فهن حينئذ كفايته وقنيته والله تبارك وتعالى يغنى بالواحدة ويقنى بالاربع أى يجعل غنيا ويجعل قنية جماعة ومدخرا وذلك أيضا من آيات الله تعالى واختياره لمن قوى عليه واستقام به وقد شبه بعض الناس الازواج بالقمص فقال ليس من السرف ان يجمع الرجل أربعة أقمصة وما زاد على ذلك كان سرفا كما ان الله عز وجل أمر بالجمع بين الاربع من النساء ويصلح ان يستدل له بقوله تعالى هن لباس لكم فجعلهن فى معنى الملبوس ورفع فيهن الى الاربع وفى قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ثم ابتدأ فنص على مثنى ولم يقل احدى على الندب والاستحباب للجمع بين اثنين وان العدل قد يوجد ويقدر عليه معهما ثم رد الى الواحدة لمن خاف الجور فيهن فقال تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة ففى دليل الخطاب اشتراط العدل فى الاربع ثم ذكره بقوله ذلك أدنى ان لا تعولوا يعنى أقرب ان لا تجوروا وقد قال بعض الفقهاء من أهل الحجاز واللغة لا تعولوا اى لا تكثر عيالكم والاول أحب الى لانه أشبه بالقرآن كأنه عطف على النص لما قال ان لا تعولوا قال ذلك أدنى أن لا تجوروا والاول أحب الى ويصلح هذا الوجه أيضا فى اللغة من قال عال يعول بمعنى أعال يعيل وأكثر العرب فرقت بين ذلك يقولون عال يعول اذا جار وأعال يعيل من العيلة اذا كثر عياله وشاذ نادر من يجعلها لغتين بمعنى فليتوخ العدل بين أزواجه من جمع بينهن فى النفقة والكسوة والمبيت ولا يحيف على بعض فيقصر عن كفايتها وواجبها فى ذلك فقد جاء فى الحديث من كانت له امرأتان فمال الى احداهما دون الاخرى وفى لفظ آخر فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة واحد شقيه مائل ولا عدل عليه فى المحبة والجماع لان ذلك لا يملك اذا سوى بين البيتوتة ولا عليه أيضا ان يجامع من بات عندها اذا كان عليه المبيت ليلة وليلة وفى تفسير قوله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال لا تقدروا على العدل بينهن فى الحب والجماع لان ذلك فعل الله عز وجل فى القلوب وفى شهوة النفس وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فى العطاء والمبيت وكان يقول اللهم هذا جهدى فيما أملك ولا طاقة لى فيما تملك ولا أملك يعنى فى المحبة والجماع فقد كان يحب بعضهن أكثر من بعض وكانت عائشة رضى الله عنها أحبهن وكان يطاف به محمولا فى مرضه فى كل يوم وليلة فيقول أين انا غدا ففطنت امرأة منهن فقالت انما يسأل عن يوم عائشة رضى الله عنها فقلن يا رسول الله انه ليشق عليك ان تحمل فقد أذنا لك أن تكون فى بيت عائشة رضى الله عنها فقال قد رضيتن بذلك قلن نعم قال فحولونى الى بيت عائشة فلذلك كانت تقول قبض فى بيتى

الاستكمال والسادس بعد استكمال العمل والسابع بعد استرساله فى بعض الزلل دون بعض والثامن بعد استرساله فى سائر ما يصادفه من الافعال وجريانه مدة على سنن التصرف من غير انتقال فهذه مواضع التثبت فاقوى الناس فى التثبت المتثبت عند خطور الخاطر فيدركه بعلمه وفطنته فيحكم ما دعا اليه الخاطر فيقبل أو يدع وهذا التثبت مندوب اليه لان وقوع الخاطر للمكلف غير مقدور وليس هو فعله حتى ينسب فيه الى تقصير ولا يعقبه فعل فى الغالب وانما يعقبه التردد وهو المعبر عنه بحديث النفس وهو مما هو عفو عنه والمؤاخذة هو العزم على الصحيح وهو اختيار القاضى أبى بكر من المتكلمين وغيره من العلماء ويليه فى القوة المتثبت عند حديث النفس وان غفل عن خطور الخاطر وجولانه فى نفسه فيتيقظ ويتثبت وهذا التثبت استحبابه آكد من الاول ويليه فى الضعف المتثبت عند فعل القلب وهو العزم عليه اذا لم يتعلق بفعل جارحة وهذا التثبت واجب فانه ان لم يتثبت وقع فى الحرام الذى هو فعل اختيارى ويليه فى الضعف المتثبت عند الشروع فى عمل الجوارح وانما كان هذا اضعف من الاول وان كانا عاصيين لان الاول عصى معصية واحدة وهى معصية العزم على الفعل وهذا عصى معصيتين عزم وفعل ويليه فى الضعف المتثبت فى أثناء الفعل وانما كان كذلك لان التمادى على المعصية زيادة فى المعاصى وتعرض لشديد العقاب كمن أقدم على ضرب انسان ثم ضربه وتثبت وكف عن ضربه مثلا وضربه آخر واستمر على ضربه من غير كف حتى توسط الفعل الذى نواه فتثبت وكف ويليه فى الكف المتثبت بعد فراغ عمله الذى شرع فيه ويليه فى الضعف والبعد عن القوة الذى لا يتثبت الا بعد توالى الافعال القبيحة منه فيتعاطى أنواعا منه ويكف عن أنواع ويليه فى الضعف الذى لا يتثبت الا بعد الاسترسال فى الشهوات وتعاطى المحرمات

و بين سحرى ونحرى تفتخر بذلك ثم قال الله عز وجل فلا تميلوا كل الميل يعنى على واحدة دون الاخرى فى التقصير والنفقة فتذروها كالمعلقة أى موقوفة غير مستقرة كأنها لا ذات زوج ولا مطلقة أى لا أيم فتتحمل لنفسها ولا ذات زوج ينفق عليها فتستغنى بزوجها * والعرب تقول علقت الامر اذا أوقفته وقول معلق أى موقوف غير مطلق بحكم فعليه أن يقسم بينهن أيامه ولياليه فيكون عند كل واحدة يوما وليلة الا أن تهب لصاحبتها ليلتها أو تسمح له بذلك فكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم بين نسائه فأراد أن يطلق سودة بنت زمعة لما كبرت فوهبت ليلتها لعائشة وسألته ان يقرها على الزوجية لتحشر فى نسائه فتركها ولم يكن يقسم لها فكان يقسم لعائشة ليلتين ولسائر أزواجه ليلة ليلة الا انه صلى الله عليه وسلم لشدة عدله كانت نفسه اذا تاقت الى واحدة فى غير ليلتها أو نهارا فى غير يومها أتاها فجامعها ثم طاف فى ليلته على سائرهن وكذلك كان يفعل فى يومه فمن ذلك ما روى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طاف على نسائه فى ليلة واحدة وعن أنس طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم على تسع نسوة فى ضحوة ومن لم يكن له الا واحدة استحب له ان يقضى اليها فى كل ثلاث ليال بمنزلة من له أربع نسوة ويكون يباشرها فى الليلة الرابعة وبهذا قضى عمر وكعب بن الاسود رضى الله عنهم الرجل ان يأتيها فى كل أربع ليال ليلة فان علم ان حاجتها الى أكثر من ذلك كان عليه ان يفعل ما هو أقرب الى تحصينها واثبت لعطافها وان علم منها كراهة ذلك وقلة همتها له لم يكن عليه الافضاء اليها الا فى كل شهر مرة أو فى كل سنة مرة وعليها ان لا تمنعه ليلا ولا نهارا فى كل وقت وان كانت صائمة فلا يحل لها ان تصوم الا باذنه وتزوج على عليه السلام بعشر نسوة وتوفى عن أربع وسبع عشرة سرية وكان بعض أمراء الشام اذا بلغه عنه كثرة نكاحه يقول لست بنكحة ولا طاقة يعرض له بذلك وقال انه تزوج بعد وفاة فاطمة صلوات الله عليها وعلى أبيها بتسع ليال ونكح امامة ابنة زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فاطمة صلوات الله عليها أوصته بذلك وتزوج الحسن بن على رضى الله عنهما مائتين وخمسين امرأة وقيل ثلثمائة وقد كان على عليه السلام يتحرج من ذلك ويكره حياء من أهلهن اذا طلقهن وكان يقول ان حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقال له رجل من همدان والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء فمن أحب أمسك ومن كره فارق فسر على رضى الله عنه بذلك وأنشأ يقول

ولو كنت بوابا على باب جنة * لقلت لهمدان ادخلى بسلام

وهذا أحد ما كان الحسن يشبه فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه فى الخلق والخلق فقد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبهت خلقى وخلقى وقال حسن منى وحسين من على وكان الحسن ربما عقد على أربعة وربما طلق أربعا فارسل غلامه بطلاق امرأتين له وقال قل لهما اعتدا وأمره أن يدفع الى كل واحدة عشرة آلاف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلتا فقال له الرسول أما احداهما فنكست رأسها وسكتت وأما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول * متاع قليل من حبيب مفارق * فاطرق ورحم لهما قال لو كنت مراجعا امرأة لراجعتها ودخل على عبد الرحمن بن الحرث بن هشام فخطب ابنته فقال انك لاحب الناس الى ولكنك مطلاق وأكره ان يتغير قلبى عليك فان ضمنت انك لا تفارقها فعلت فسكت ثم اتكأ على بعض أصحابه ثم قال ما أراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى وقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب النكاح ويبغض الطلاق فانكحوا ولا تطلقوا وهذا لا يصلح لمن أراد أكثر من أربع وتزوج المغيرة بن شعبة بثمانين امرأة وقد كان فى الصحابة من له الثلاث والاربع وكثير ممن لا يحصى كانت له اثنتان لا يخلو منهما

ويقال

والمكر ووهات وغيرها من المباحات من غير تثبت فى معرفة أحكام الله تعالى فيها وهذا أسوأ من جميع من تقدمه حالا لتقدمه عن التذكر والتذكر نعوذ بالله من الخزى والخذلان وأقوى المتثبتين وأشدهم رعاية لحقوق الله تعالى ومراقبة لعظمته وجلاله من راعى أحكام الله تعالى المتعلقة بأفعاله عند وقوع الخواطر الداعية الى العزم والافعال ولم تعمه الشهوة ولم تستهوه اللذة واعلم أن من تثبت عند هجوم الخواطر على قلبه فقد جعل بينه وبين النار حاجزين وذلك لانه تثبت عند عروض الخاطر وتثبت عند ترددها فى النفس وحديث النفس به والتثبت فى هذين الموطنين مندوب لا واجب كما قد ذكرناه فيما تقدم لان عروض الخاطر غير مقدور على دفعه وحديث النفس معفو عنه شرعا لقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتى ماحدثت به نفوسها والذى يعصى المكلف به هو ترك التثبت فى الفعل المحرم عند وقوع العزم عليه وكذلك يعصى بترك التثبت فى الفعل الذى يجهل حكمه ويعصى بعدم التثبت عند الشروع فى الفعل والاخذ منه والاسترسال فيه بطريق الاولى وأما وجه احتياج المجاهد الى الصبر فظاهر لان الله تعالى خلق الانسان مطبوعا على الشهوات والميل للذات والنفرة عن كل مؤلم ومشق فيحتاج المجاهد لتثبته الى الصبر كما يحتاج الى التثبت وكذلك وعدنا بالصبر على هذه الاشياء فقال تعالى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى

(فصل) واعلم انه يجب أن تكون المجاهدة والرياضة بالتنقل والتدريج والرفق بالنفس شيأ فشيأ ولا يهجم عليها بما يشق عليها من الاعمال فتنفر نفورا شديدا يخشى منه الترك والخروج بالكلية فيجب الرفق بها الى أن تتعود ذلك وهذا هو الذى نبه عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى فاذا أراد المجاهد نقل

و يقال ان كثرة النكاح من شدة غض البصر وقطع المشى فى الاثر اذا خشع الطرف وقصر عن الحرام وانقطع المشى على الارض غاص البصر والنفس فاتسع فى الحلال وذلك ان للنفس استراحات الى ماجانسها وفتورها عن الذكر فاستراحات نفوس المتقين الى المباح من ذلك قوله عز وجل ليسكن اليها وهذا سكون النفس الى الجنس لماتلائمه من الصفات المجانسة وهو أحد المعانى فى قول على عليه السلام روحوا القلوب يعنى فى الذكر قيل روحوها باستراحة النفس الى المباح يعنى ذكر الآخرة لان الذكر أثقال وهو بمعنى قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لكل عالم شرها وفترة فمن كانت فترته الى سنتى فقد اهتدى والشره المكابدة والفترة الوقوف والاستراحة وقد كان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول انى لاستجم نفسى بشئ من اللهو لاقوى بذلك فيما بعد على الحق وقد كان النساء قديما على غير وصفهن الآن كان الرجل اذا خرج من منزله تقول له امرأته ياهذا وتقول له ابنته يا أبانا لا تكسب اليوم شيأ من غير حله فيدخلك النار فنكون نحن سببه فانا نصبر على الجوع والضر ولا نكون عقوبة لك وأراد رجل من السلف ان يغيب عن أهله فى غزوة فكره اخوانه ذلك لا نسهم به فجاؤا الى أهله فقالوا لم تتركين زوجك يسافر ولا يدع لك نفقة و يغيب عنك ولا تدرين متى يقدم فقالت زوجى منذ عرفته أكال وما عرفته قط رزاقا يذهب الاكال و يبقى الرزاق ومع ذلك فلا أحب ان أكون مشؤمة عليه أقطعه عن سبيل الخير قال أحمد بن عيسى الخراز لما تزوج بامرأة على أى شئ تزوجتنى ورغبت فى قالت على ان أقوم بحقك على واسقط حقى عليك وخطبت رابعة بنت اسمعيل ابن أبى الحوارى فكره ذلك لما فيه من العبادة فالحت عليه وأكثرت فقال لها ياهذه مالى همة فى النساء لشغلى بحالى فقالت ياهذا انى لاشغل بحالى من شغلك بحالك ومالى شهوة فى الرجال ولكنى ورثت عن زوجى ثلثمائة ألف دينار وهى حلال وأردت ان أنفقها عليك وعلى اخوانك وأعرف بك الصالحين فتكون طريقا الى الله عز وجل فقال حتى استاذن استاذى قال فجئت الى أبى سليمان فذكرت قولها وقد كان ينهانى عن التزويج و يقول ماتزوج أحد من أصحابنا الا تغير فلما ذكرت له ماقالت أدخل رأسه فى جيبه وسكت ساعة ثم رفع رأسه وقال يا أحمد تزوج بها فان هذه ولية لله تعالى وهذا كلام الصديقين قال فتزوجت بها قال أحمد فكان فى منزلها كر من جص فلم يبق منه شئ فى غسل أيدى المستعجلين للخروج بعد الاكل سوى من كان يغسل يده بالاشنان فى البيت قال وتزوجت عليها بثلاث نسوة فكانت تطعمنى من الطيبات وتطيبنى وتقول اذهب بقوتك ونشاطك الى أزواجك فكانت هذه من أرباب القلوب وكان الصوفية يسألونها عن الاحوال وكان أحمد يرجع اليها فى بعض المسائل وكانت فاضلة تشبه فى أهل الشام برابعة العدوية فى أهل البصرة وقد كان أبو سليمان يقول فى التزويج قولا عدلا من صبر على الشدة فالتزويج له أفضل والوحيد يجد من حلاوة العمل وفراغ القلب مالا يجد المتأهل وقال مرة مارأيت أحدا من أصحابنا تزوج وثبت على مرتبته الاولى ورويناعنه انه قال ثلاث من طلبهن فقد رغب فى الدنيا من طلب معاشا أوتزوج أوكتب الحديث وعمرى ان المرأة تحتاج الى فضل مداراة ولطيفة من الحكمة وطرف من المواساة وباب من الملاطفة واتساع صدر للنفقة وحسن خلق واطف لفظ وهو لا يحسنه الا عالم حليم ولا يقوم به الا عارف حكيم فمن لم يقم بذلك ولم يهتد اليه ولم يعتد للنفقة ولم يألف الجماعة وكان قد ألف وحدته واعتاد الانفراد بالكلية وكان ضيق القلب بخيل الكف سيئ الخلق غليظ القلب فظ اللفظ فالوحدة لهذا أصلح والبعد من النساء لقلبه أروح فمن تزوج من هذا وصفه عذب وعذب وآذى وتأذى وأثم وأثم به لان النساء

نفســه عن عوائدها المذمومة الى المحمودة فايمنعها من الفعل المذموم وليذكرها ماورد فيه من الوعيـد على فعل المذموم والوعد على فعل المحمود فان ثقل عليه ذلك قطع عنها لذاتها الناجزة وداوى نفسه بترك الشهوات العاجلة كما فعل أبو طلحة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في اخراج حـديقة عن ملكه لله تعالى لكونها أشغلته عن الحضور بقلبه في صـلاته فجعل ذلك تأديبا لنفسه وعقوبة لها ومن عزم على تحصيل مقام السخاء مثلا فطريقه الزام نفسه القيام باخراج الواجب من الزكاة والنذور والكفارات ونفقة الاب والاولاد الصغار والزوجة وغيرهم من العيال فاذا قام بذلك بسهولة عود نفسه الانفاق في المندوب واذا وصل الى ذلك آثر على نفسه ذوى الحاجات ثم ينتقل الى الزهد في حظوظ نفسه في الترفه والراحات فهذه طريق المجاهدة والرياضة يدرج العبد نفسه في سلوك الطريق الى مولاه مع الرفق بنفسه وصح الترمذى عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم رد التبتل على عثمان بن مظعون وقال لو أذن لنا في الاختصاء لاختصينا ولكن منعنا منه فالانقطاع الى الاعمال دفعة واخراج مافى اليد دفعة واحدة منهى عنه فان قيل ان الصديق رضى الله عنه أتى بجميع ماله الى النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجه في سبيل الله قلنا ذلك لان الحاجة كانت اليه ماسة كذا اذ كان ذلك وقت فاقة وضرورة بالمسلمين حاجة اليه وأيضا فان الصديق كان عنده من الصبر والوثوق وقوة اليقين بالله تعالى مقاما ماليس عند غيره ولا بأس أحيانا برفع المجاهدة لنفسه بالعبادة بشيء من المباحات ليتقوى بذلك على الطاعات وينتفى عنه الملل ويزول عنه السآمة فيمازح أحيانا وينشد بيتا من الشعر أحيانا ويشاهد صورة جميلة من زوجة أو أمة له أحيانا الى غير ذلك من المتنزهات المباحة ليعود اليه

يحتجن الى فضل حلم بعمل سفههن والى سعة علم بغمر جهلهن والى حسن لطف وحكمة يدارى أخلاقهن ويتغافل عن زلاتهن فاذا كان الرجل جاهلا سفيها أو كان سيئ الخلق فظا غليظا اجتمع الجهل فافترق العقل وتقادح الجفاء وغلظ القلب والاذى فافسد أكثر مما يصلح وتنافرا ولم يكن بينهما أبدا صلح وليس هو وصف العقلاء واستحب للرجل اذا أراد التزويج ان يشرح حاله ويبين أخلاقه للمرأة حتى تكون على بصيرة من أمره ويتيقن من حاله ويدخل على اختيار منها فذلك من الورع وقد فعله بعض السلف وقد تزوج رجل على عهد عمر رضى الله عنه وكان يخضب بالسواد فلما دخل بامرأته نصل خضابه فظهرت شيبته فاستعدى أهل المرأة وقالوا نحن حسبناه شابا فاوجعه ضربا وقال غررت القوم وفرق بينهما * وروينا عن شعيب بن حرب لما أراد أن يتزوج قال للمرأة انى سيئ الخلق فقالت ياهذا أسوأ خلقا منك من يحوجك الى سوء الخلق * وروينا هذا ان رجلا أراد أن يتزوج فقال للمرأة ان لى أخلاقا أوقفك عليها فان رضيت بها تزوجتك فقالت افعل فقال انا رجل ملول حقود سيئ الظن غيور ضيق الصدر واسع الضرب ان كثرت عندى مللت وان أبعدت قلقت وان تكلمت أوغرت صدرى وان سكت أشغلت قلبي فقالت المرأة أما بعد فقد ذكرت من نفسك أخلاقا ما كنا نرضاها لبنات ابليس فكيف نرضاها لبنات آدم انصرف راشدا لا حاجة لنا بك ومن خشى على نفسه الآفات ووفق له امرأة فيها بعض الخصال المحمودة فالتزويج له أفضل فليكن له حينئذ في التزويج نيات لانه من أكبر الاعمال ولا يكون نكاحه لاجل هواه مجردا فقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه اذا وافق الحق الهوى فذلك الزبد بالنرسيان فلتكن نيته اقامة سنة وصلاح قلب وسلامة دينه وغض بصره وتحصين فرجه فقد أمر بذلك ويحتسب في الكسب على العيال القربة من الله عز وجل ويحتسب مثل ذلك في نصحه لها في أمر الآخرة كما يحبه لنفسه حتى يؤجر بسببها مثل ما يثاب لنفسه فهو من النصيحة لها والاشفاق عليها وليجعل ذلك لوجه الله سبحانه فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما انفق الرجل على أهله فهو له صدقة وان الرجل ليؤجر في رفع اللقمة الى في امرأته ومنها انه كالمجاهد في سبيل الله وقال رجل لبعض العلماء وهو يعدد نعم الله عز وجل عليه من كل عمل قد أعطاني الله تعالى نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وصنوف العبادات فقال له العالم فاين انت من عمل الابدال قال وما هو قال كسب الحلال والنفقة على العيال وقال ابن المبارك لاخوانه وهم في الجهاد تعلمون عملا أفضل مما نحن فيه قالوا ما نعلم ذلك الجهاد في سبيل الله وقتال العدو انه أى شيء أفضل منه قال لكنى أعلم قالوا ماهو قال رجل متعفف ذو عيلة قام من الليل فنظر الى صبيانه نياما متكشفين فسترهم وغطاهم بثوبه فعمله هذا أفضل من جهادنا في سبيل الله عز وجل وقال رجل لبشر قد أضرني الفقر والعيال فادع الله لى فقال له بشر اذا قال لك عيالك ليس عندنا خبز ولا دقيق ونحن جياع فادع الله لى أنت ذلك الوقت فان دعاءك أفضل من دعائي وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من حسنت صلاته وكثر عياله وقل ماله ولم يغتب المسلمين فهو معى في الجنة كهاتين وفي حديث آخر ان الله تعالى يحب الفقير المتعفف أبا العيال ومن النية في ذلك ان الاهتمام بمصلحتهم والغم على نوائبهم زيادة في حسناتهم لانه عمل من أعماله وفى الخبر اذا كثرت ذنوب العبد ابتلاه الله تعالى بالهم ليكفرها وقال بعض السلف من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الغم بالعيال وقد روينا من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الهم بطلب المعاش وله في الصبر عليهن وجميل الاحتمال لاذاهن وفي حسن العشرة لهن مثوبات وأعمال الصالحات وربما كان موت العيال عقوبة للعبد ونقصان حظ اذا كان الصبر عليهم والانفاق

مقاماله كان عدم ذلك مفارقة لحاله نقص به وحدثنا بعض العلماء أن بعض المتعبدين كان له زوجة وكان حسن القيام عليها الى ان توفيت فعرض عليه اخوانه التزويج فامتنع وقال ان الوحدة أروح لقلبي وأجمع لهمي قال فرأيت في المنام بعد جمعة من وفاتها كان أبواب السماء قد فتحت وكان رجالا ينزلون ويسيرون في الهواء يتبع بعضهم بعضا وكلما نزل واحد نظر الى فقال لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول نعم ويقول الثالث لمن وراءه هذا هو المشؤم فيقول الرابع نعم قال فراعني ذلك وعظم على وهبتهم ان أسألهم الى ان مر بي آخرهم وكان غلاما فقلت له يا هذا من المشؤم الذي تومؤن اليه قال انت قلت ولم ذلك قال كنا نرفع أعمالك في أعمال المجاهدين في سبيل الله تعالى فمذ جمعة أمرنا ان نضعها في أعمال الخالفين فما أدرى ماذا أحدثت فقال لاخوانه زوجوني زوجوني فلم يكن يفارقه زوجة أو زوجتان أو ثلاث وربما كانت النفس الامارة أضر على العبد من أربع نسوة وانما كره من كره الاهل والولد لاجل الشغل بهم عن الله تعالى وماقرب اليه فاذا كان من لا أهل له ولا ولد مشغولا ببطالته عن الله عز وجل منهمكا في شهواته عن سبيل هؤلاء كان أسوأ حالا من ذى الاهل والولد وقد جعل من لا يطلب الاهل والمال للاكتفاف به والافضال في المنزل المكروه وقد روى في الخبران من أهل النار الضعيف الذي لا دين له هو فيكم تبع لا يبغون أهلا ولا مالا قيل هم السؤال المنهومون في المسئلة الذي همه بطنه لا يبالي كيف طلب ولا على أى حال من الفحش تقلب فمن لم يشغله أهله وماله عن الله عز وجل كان أفضل ممن لا أهل له ولا ولد فهو عبد بطنه وفرجه أسير هواه وشهوته وقد أخبر الله تعالى ان للمؤمنين أموالا وأولادا ثم أمرهم ان لا يشغلهم ذلك عن الله عز وجل وقد وصف أقواما بان بيعهم وتجارتهم لا تشغلهم عن عبادته وانهم أهل خوف من يوم تتقلب فيه القلوب والابصار وقد مدح قوما فسألوه الازواج والذرية وجعل ذلك في وصفهم في قوله عز وجل يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين وقرة أعين لا يشغل ولا يحجب عن قرة العين بل يكشف عنه ويقرب منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرة عيني في الصلاة وقد كان أبو سليمان يقول انما تركوا التزويج لتتفرغ قلوبهم لذكره ورويناعن ابن أبي الحوارى الحديث الذي رواه عن حبيش عن الحسن اذا أراد الله بعبد خيرا لم يشغله باهل ولا مال قال أحمد رضى الله عنه فتناظرنا في هذا الحديث جماعة من العلماء واذا ليس معناه انه لا يكون له امرأة ولا ولد ولكن يكونون له ولا يشغلونه وانما يحسن النكاح بمشغول الهم عن الفكر فيه ذى نفس مطمئنة وعين خاشعة لرب ذى سكينة وقلب ذى خشية كما حدثونا عن داود الطائى انه قال منذ خمسين سنة ما خالط ذكرى ريح وقيل لبعضهم هل دخل ذكرك ريح بشهوة فقال أما منذ قرأت القرآن فلا وقال بعض العلماء منذ عشرين سنة ماوقع نظرى على فرجى فاما بطال ذو نفس امارة ونظرة ثاقبة وشهوة قوية فالنكاح من أحسن أعماله وأرفع أحواله لان المباح مقام من لا مقام له فان عزم العبد على النكاح فلا يكون همه من النساء الا ذات دين وصلاح والعقل والقناعة فليس تخلص له النيات التى ذكرناها آنفا الا على هذه القواعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكح المرأة لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين وفى لفظ آخر من نكح المرأة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله عز وجل مالها وجمالها وروينا ايضا لا تنكحوا المرأة لجمالها فلعل جمالها يرديها ولا لمالها فلعل مالها يطغيها وانكحوا المرأة لدينها فنكاح المرأة للدين والصلاح طريق من الآخرة والرغبة فى المرأة الناقصة الخلق الدنيئة الصورة الكبيرة السن باب من الزهد وقد كان أبو سليمان يقول الزهد فى كل

نشاطه قال بعض الاكابر انى لاروح بشئ من اللهو فيكون ذلك عونالى على الحق وقال على رضى الله عنه روحوا النفوس فانها اذا اكرهت عميت وهذه الاشياء بمنزلة الطعم للمريض المحرور فان الطبيب قد يصفه له ليصبر قوته حتى يحتمل شرب الدواء النافع والشريعة جاءت بمداواة النفوس المريضة وتطبيب القلوب المعلولة واعلم أن الناس اختلفوا فى كيفية الرياضة منهم من نظر الى تحصيل السبب كيف كان ولم يلتفت الى الطريق حتى قالوا من كسلت نفسه عن الطاعة فعلها كيف اتفق له مخلصا وغير مخلص وكذلك فى الصيام وانفاق المال لتتعود النفس العبادة وتتمرن عليها ومثلوا بمن فى ثوبه دم عسر الزوال فليغسله بالبول ليخرجه ثم يغسله بالماء وفى هذا نظر فان جواز الصلاة بغير اخلاص أو مرائيا لتعود النشاط للطاعة مما ينازع فيه أيضا بل لا يجوز له الصلاة والصوم ولا غيرهما من العبادات الا بشرطها من الاخلاص وغيره وان كان ممن تنازعه الاهواء وتنازعه خواطر الرياء

(باب التقوى واليقين والصمت)

قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى واياى فاتقون وجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أوصنى فقال عليك بتقوى الله فانه جماع كل خير وتكلموا فى حقيقة التقوى فقال قوم هى التحرز بطاعة الله تعالى عن عقوبته وقال آخرون التقوى امتناع المرء عن المحرمات والشبهات وقال أبو عبد الله الروذبارى التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى وقال العطوى للتقوى ظاهر وباطن فظاهرها محافظة الحدود وباطنها النية والاخلاص وروى ان أبا حنيفة رحمة الله عليه امتنع من الجلوس فى ظل شجرة لرجل كان له عليه دين وقال ورد فى الخبر كل قرض جر منفعة

فهو ربا وهذا غاية التقوى والورع والتقوى من أعلى المقامات وأجلها الانم اتوقى من المكروهات والمزهوبات الحائلة بينك وبين المحبوبات والمطلوبات فيتقى الكفر بالايمان والشرك بالتوحيد والرياء بالاخلاص والكذب بالصدق والغش بالنصيحة والمعصية بالطاعة والابتداع بالاتباع والشبهة بالورع والدنيا بالزهد والغفلة بالذكر والشيطان بالاستعاذة والنار باجتناب الاعمال الرديئة الهلها والشرور كلها بالخيرات المنقذة منها فالتقوى شاملة لجميع المقامات ومحتوية على سائر معاملات المقربين والابرار واعلم أن التقوى أول صفة من صفات أولياء الله تعالى وهي قاعدة المقامات وأعلى المقامات كلها قال الله تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون فالتقوى في أول مقام وآخره وفي أول نفس وآخره وأصل التقوى انتفاء الشرك ثم بعده انتفاء المعاصي والسيآت ثم بعده انتفاء الشبهات ثم بعده انتفاء التوسل بالافعال والانبياء تقواهم منه اليه فتقوى الشرك للعامة وتقوى المعاصي للخاصة وتقوى الشبهات لخاصة الخاصة وتقوى التوسل بالافعال للاولياء والتقوى من الله تعالى اليه تقوى الانبياء وهي أعلى درجات التقوى وقال سهل ابن عبد الله لا معين على ما نحن فيه الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى ولا عمل الا بالصبر على التقوى قال السادة الائمة أهل البصائر واليقين رضي الله عنهم للمتقي أربع وقال علامات يعرف بها احداها كثرة الخوف من الذنوب الماضية التي ذهبت لذتها وبقيت عقوبتها الثانية أن يكون كثير الحذر والخوف لما يقع فيه من الذنوب في المستقبل فيما بقي من عمره الثالثة أن يفزع ويخاف من سوء الخاتمة فانها الطامة الكبرى والداهية العظمى وما جاهد الرجال

شيء حتى يتزوج لرجل العجوز أو غير ذات الهيئة ايثارا للزهد في الدنيا وكان مالك بن دينار يقول يترك أحدهم أن يتزوج يتيمة فيؤجر فيها ان أطعمها وكساها تكون خفيفة المؤنة ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني أبناء الدنيا فتشتهي الشهوات عليه وتقول اكسني ثوب كذا واشتر لي مرط حرير فيتمرط دينه وقد اختار أحمد بن حنبل رضي الله عنه امرأة عوراء على أختها صحيحة جميلة فسأل من أعقلهما قيل العوراء فقال زوجوني اياها وقد يكون في تزويج المرذولة المجذوعة فيه بان يرفع قلبها اذ لا يرغب في مثلها واستحب له ان ينظر الى وجهها قبل التزويج بها والى ما يبدو منها فان ضم الى الوجه والكفين فلا باس بذلك عند علماء الحجاز في النظر الى الوجه أحاديث مأثورة منها حديث محمد بن مسلمة قال رأيته يتبع النظرة ومثاه في الحي حتى توارت بالنخل فقلت له تفعل هذا وانت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا قال اذا أوقع الله عز وجل في قلب أحدكم خطبة امرأة فلينظر اليها ليرى منها ما يدعوه اليها وفي الحديث الآخر ان في أعين الانصار شيأ فاذا أراد أحدكم ان يتزوج منهن فلينظر اليهن وفي لفظ آخر اذا أوقع في نفس أحدكم من امرأة شيء فلينظر اليها فانه أحرى ان يؤدم بينهما يعني يؤدم وقوع الادمة على الادمة وهو أبلغ من البشرة لان البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنه جاء هذا في المبالغة على ضرب المثل وقد كان الاعمش يقول كل تزويج يقع عن غير نظر يكون آخره غما وهما ولا يغالي في المهر فقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث البيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم وحشوها ليف وأولم على أحد نسائه بمدين من شعير وعلى أخرى بمدي تمر فالوليمة سنة وترك الاجابة اليها معصية وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى عن المغالاة بمهور النساء ويقول ما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من نسائه ولا زوج على أكثر من أربعمائة درهم ورويناعن عائشة رضي الله عنها كانت مهور أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشرة وقية ونصفها وقد كان يزوج أصحابه على وزن نواة من ذهب والنواة صغيرة وهي نواة التمر الصيحاني يقال قيمتها خمسة دراهم وفي خبر زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه على نواة من ذهب قومت ثلاثة دراهم وثلث وقد زوج سعيد بن المسيب وهو من خيار التابعين وعلمائهم ابنته من أبي هريرة على درهمين ثم حملها هو اليه ليلا ولا أكره التزويج على عشرة دراهم وهو أكثر الاستحباب في القلة ليخرج من اختلاف العلماء ولا استحب ان لا ينقص المهر عن ثلاثة دراهم وهذا هو القول الاوسط من مذاهب الفقهاء وفي هذه القيمة تقطع يد السارق وهذا مذهب بعض أهل الحجاز وقد روينا أبركهن أقلهن مهرا ورويناأيضا من بركة المرأة سرعة تزويجها وسرعة رحمها يعني الولادة ويسر مهرها قال عروة وأقول فان من شؤمها كثرة صداقها ولا يصلح للمتزوج ان يسأله أي شيء للمرأة ولا يحل له ان يدفع شيأ ليأخذ أكثر منه ولا يحل لهم ان يهدوا اليه شيأ ليضطر وه ان يكافئ باكثر منه وليس عليه ان يزيد باكثر من قيمته ان كافأ وله ان لا يقبل هديتهم ان علم ذلك منهم وهذا كله بدعة في النكاح وهو كالتجارة في التزويج وهو داخل في الرباوهو يشبه القمار ومن زوج أو تزوج على هذا بهذه النية فهي نية فاسدة وليس نكاحه هذا للدين ولا للآخرة وكان الثوري يقول اذا تزوج الرجل وقال أي شيء للمرأة فاعلم انه لص فلا تزوجوه ولا ينكح الى مبتدع ولا فاسق ولا ظالم ولا شارب خمر ولا آكل الربا فمن فعل ذلك فقد ثلم دينه وقطع رحمه ولم يحسن الولاية لكريمته لانه ترك الاحسان وليس هؤلاء أكفاء للحرة المسلمة العفيفة وقد قال بعض السلف النكاح رق فلينظر أحدكم عند من يرق كريمته

وقال بعضهم لا تنكح الا الا تقياء فانه ان أحبها أكرمها وان أبغضها أنصفها وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وأنكحوا الاكفاء وأنكحوا اليهم ولا نكاح الا بولى وشاهدى عدل وان كانت ثيبا فان لم يكن ولى فالسلطان ولى من لا ولى له أو من ولاه الحكم كذلك السنة وليتعلم المتزوج علم الحيض واختلاف أوقاته وزيادته ونقصانه وأحكام الاستحاضة من ذلك وعلم وقت الاطهار ليعلمها ذلك وليغنيها بذلك عن السؤال والظهور الى الرجال ثم ليعلم أهله علم ما لا يسعهم جهله من الفرائض وأحكام الصلاة وشرائع الاسلام واعتقادات المؤمنين من السنة وما عليه من مذهب الجماعة فاذا فعل ذلك لم يكن عليها ان تخرج الى العلماء وان قصر عن علمها علم التوحيد ومبانى الاسلام وعقود الايمان ومذهب أهل السنة فلها ان تخرج الى السؤال عما لا يسعها جهله وليس لها ان تخرج بغير اذنه لطلب علم يرجى فضله وليس للمرأة ان تحمل زوجها على المكاسب الحرام ولا تكلفه ما يقترف به الآثام ولا للرجل ان يدخل فى مداخل السوء ولا يبيع آخرته بدنياه فان صبرت معه على البر والتقوى أمسكها وان حملته على الاثم والعدوان فارقها وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ويقال أول من يتعلق بالرجل يوم القيامة زوجته وولده فيوقفونه بين يدى الله عز وجل فيقولون يا ربنا خذ لنا حقنا من هذا فانه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم قال فيقتص لهم منه وفى خبر ان العبد ليوقف للميزان وله من الحسنات أمثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه حتى تستفرغ تلك المطالبات جميع أعماله فلا يبقى له حسنة فينادى الملائكة هذا الذى أكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بأعماله ولهذا قال بعض السلف اذا أراد الله بعبد شرا سلط عليه فى الدنيا أنيابا تنهشه يعنى العيال ورو ينا فى الخبر لا يلقى الله عبد بذنب أعظم من جهالة أهله والخبر المشهور كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول وروى ان الآبق من عياله كالعبد الآبق من سيده لا يقبل له صلاة ولا صيام حتى يرجع اليهم وقد قال عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا فاضاف الاهل الى النفس وأمرنا ان نقيهم النار بتعليم الامر والنهى كما نقى أنفسنا النار باجتناب النهى وجاء فى تفسير ذلك علموهن وأدبوهن وقال النبى صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسؤل عن رعيته فالمرأة راعية على مال زوجها وهى مسؤلة عنه والرجل راع على أهله وهو مسؤل عنهم ويقال اذا انفقت المرأة من مال زوجها بغير اذنه لم تزل فى سخط الله عز وجل حتى يأذن لها ولا يحل لها ان تطعم من منزله الا الرطب الذى يخاف فساده فان أطعمت وأنفقت عن اذنه ورضاه كان لها مثل أجره وان أطعمت بغير اذنه كان له الاجر وعليها الوزر وينبغى ان يعرفها أعظم حقه عليها فى مقام الوالدة بقوله للمرأة عليك بطاعة زوجك فانه جنتك ونارك وقال صلى الله عليه وسلم أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة وكان رجل قد خرج فى سفر وعهد الى امرأته ان لا تنزل من العلو الى سفل الدار وكان أبوها فى السفل فمرض أبوها فارسلت المرأة تستأذن أن تنزل الى أبيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيعى زوجك فمات أبوها فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تنزل اليه فقال أطيعى زوجك فدفن أبوها قال فارسل اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرها ان الله قد غفر لابيها بطاعتها زوجها وقال صلى الله عليه وسلم اذا صلت المرأة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها وأطاعت زوجها دخلت جنة ربها فاضاف طاعة الزوج الى أبنية الاسلام التى لا يدخل الجنة الا بها وشرط طاعته لدخولها وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء فقال حاملات والدات مرضعات رحيمات باولادهن لولا ما تأتين الى أزواجهن دخلت مصلياتهن الجنة وقال صلى الله عليه وسلم اطلعت فى النار

أنفسهم الا لاجلها والرابع كثرة المحاسبة لنفسه لا يفتر عن حسابها طرفة عين روى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ويجب على المتقى أن يلاحظ بقلبه دائما ان الله تعالى ناظر اليه ومطلع عليه وحاضر معه قال الله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير وقال أرباب اليقين لا مطمع فى هذا السفر الا الايمان ولا زاد فيه الا التقوى ولا رفيق فيه الا العمل ولا دليل فيه الا الرسول صلى الله عليه وسلم ولا مقصد فيه الا الله تعالى وقال محمد بن الورد هلاك الناس فى شيئين اشتغال بنافلة وتضييع فريضة وعمل الجوارح بلا مواطأة القلب وانما منع الوصول تضييع الاصول

(فصل) وأما اليقين فقال الله تعالى وفى الارض آيات للموقنين وقال تعالى والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون وقال صلى الله عليه وسلم فى حق عيسى عليه السلام لما قيل له انه كان يمشى فى الماء لو ازداد يقينه لطار فى الهواء وقال سهل بن عبد الله ابتداء اليقين المكاشفة وكذلك قال بعض السلف لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا من المعاينة والمشاهدة وقال أبو بكر بن طاهر العلم يعارضه الشكوك واليقين لا يعارضه شكوك وهذه اشارة الى العلم الكسبى والعلم البديهى فذلك علم القوم فى الابتداء كسبى وفى الانتهاء بديهى لانه اذا توالت الادلة وكثرت وتكررت واقترن بذلك صفاء القلب وطهارته مع ورود نور الهداية حصل اليقين قال ابراهيم الخواص رحمة الله عليه دخلت التيه فلقيت غلاما كأنه سبيكة لا يقدر فضة فقلت له الى أين يا غلام فقال الى مكة فقلت له بلا زاد بلا راحلة بلا نفقة فقال لى يا ضعيف اليقين الذى يقدر على حفظ السموات والارض أن يوصلنى الى مكة بلا علاقة قال فلما دخلت مكة فاذا أنا به فى الطواف وهو يقول يا عينى سحى أبدا * يا نفس موتى كمدا ولا تحبى أحدا *

الا الجليل الصمد فلما رآني قال لي يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين قيل اجتمع ابراهيم بن أدهم وسفيان الثوري بمكة وكانا صائمين ففتح عليهما بشيء فأخرجه ابراهيم بن أدهم فقال له سفيان يا أبا اسحق انك محتاج الى قليل من العلم فلما مشى وجاء وقت الافطار فتح لهما بشيء آخر فأفطرا عليه جميعا فقال ابراهيم لسفيان يا أبا عبد الله انك محتاج الى قليل من اليقين وقال عبد الرحمن السلمي اذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة والرخاء مصيبة وقال أبو سعيد الخراز العلم ما استعملك واليقين ما حملك قال بعضهم وشتان بين ما يستعملك وبين ما يحملك وقال بعض أهل المعارف صحة اليقين في ثلاثة سكون القلب الى الثقة بالله تعالى وانفاذ أمر الله تعالى بالاشفاق ولو جل من سابق العلم ولليقين أول وآخر فأوله الطمأنينة وآخره افراد الله تعالى بالكفاية قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده وقال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين والحسب هو الكافي والمكتفي هو العبد الراضي واعلم أن اليقين سببه التيقظ والشك سببه الغفلة والعلم واليقين هما أساس الحقيقة وعليهما تنبني جميع المقامات والأحوال دخل أبو تراب البادية قاصدا مكة فمر على واد فيه بركة قد اجتمع فيها مياه من الامطار فوجدنا أبا جعفر الحداد جالسا على تلك البركة ولأبي جعفر ستة عشر يوما لم يأكل ولم يشرب الا من تلك البركة فقال له أبو تراب يكون لك كل شأن وكان في الصحابة والتابعين رجال بلغوا مقام اليقين فمن الصحابة جماعة من أهل الصفة وغيرهم ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان أقوا ما جعل الله تعالى لهم من حسن فضل هذا اليقين منهم عمر بن ثعلب *(فصل)* وأما الصمت فقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت والصمت كما يكون على اللسان يكون على القلب أيضا والحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والفكرة ويحكى عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال كلم الناس قليلا وكلم ربك كثيرا لعل قلبك يرى ربك وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما شيء بطول السجن أحق من اللسان وقال بعضهم ما جعل الله

فرأيت أكثر أهلها النساء واطلعت في الجنة فرأيت أقل أهلها النساء فقلت أين النساء فقيل شغلهن الأحمران الذهب والزعفران يعني الحلي ولبس المصبغات كانت العرب مشتهرة بذلك وقال صلى الله عليه وسلم تصدقن من حليكن فاني رأيتكن أكثر أهل النار قلن لم يا رسول الله قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير يعني الزوج المعاشر تكفرن نعمته عليكن فلذلك قالت الفتاة يا رسول الله فلا أتزوج ورويناعن أم عبد المغنية عن عائشة رضي الله عنها قالت أتت فتاة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني فتاة أخطب واني أكره التزويج فما حق الزوج على المرأة فقال لو كان من فرقه الى قدمه صديدا فلحسته ما أدت شكره قالت فلا أتزوج قال بلى فتزوجي فانه خير فهذا مجمل خبر الخثعمية وقد فسر حقه في حديثها ورويناعن عكرمة عن ابن عباس ان امرأة من خثعم أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني امرأة أيم واني أريد أن أتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج على الزوجة اذا أرادها على نفسها وهي على ظهر بعير لا تمنعه وفي الخبر الجامع لفضائل الزوج ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو أمرت أحدا ان يسجد لشيء سوى الله تعالى لأمرت المرأة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ومن حقه ان لا تعطي شيأ من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان الاثم عليها والأجر له ومن حقه ان لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه أن لا تخرج من بيتها الا باذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها أو تتوب وينبغي أن تعرض نفسها عليه في كل ليلة ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقرب ما تكون المرأة من وجه ربها عز وجل اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن دارها أفضل من صلاتها في المسجد وصلاتها في بيتها أفضل من صلاتها في صحن دارها وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها والمخدع بيت في بيت وذلك انها عورة فما كان استر لها فهو أسلم والاسلم هو الافضل كيف وقد روي ان المرأة عورة فاذا خرجت استشرفها الشيطان وفي حديث غريب ان للمرأة عشر عورات فاذا تزوجت ستر الزوج عورة واحدة فاذا ماتت ستر القبر عشر عورات فان أمرها بما يصلحها انما أبيح له انما أبيح له انفاقته ووعظها وزجرها فان عادت لخلافه هجرها في المضجع فبعض العلماء يقول يوليها ظهره وبعضهم يقول يعتزل فراشها في ليلة الى ثلاث الى سبع ليال فان لم ينجع فيها ذلك ولم تبال به ضربها والعلماء يقولون ضربا غير مبرح وتفسيره ان لا يكسر لها عظما ولا يدمي لها جسما وله أن يغضب عليها في الامر من أمور الدين من عشرة أيام الى شهر فقد غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في كلام كلمه بعض أزواجه فارسل بهدية الى بيت زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد أقمأتك اذ ردت عليك هديتك فقال صلى الله عليه وسلم أنتن أهون على الله أن تقمئنني ثم غضب عليهن كلهن شهرا ومعنى أقمأتك استصغرتك وأذلتك فهذه كلمة من الاتباع تقول العرب أذلته وأقمأته ويقولون لتفعلن كذا صاغرا قميئا ومازال كذلك حتى ذل وقمئ فيبلغون بهذه الكلمة لسبب بالتصغير والتذلل للمبالغة في الوصف ولا ينبغي أن يقتر على أهله من الانفاق ورويناعن رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لأهله وكان لعلي عليه السلام أربع نسوة وكان يشتري لكل واحدة في كل أربعة أيام بدرهم لحما وقال الحسن كانوا في الرحال مخاصيب وفي الأثاث والثياب تقارب وقال ابن سيرين استحب للرجل ان يعمل لأهله في كل شهر فالوذجة وان كانت من أهله زلة أو هفوة احتمل ذلك ورفق بها ولم يعسفها وفي الحديث خلقت المرأة من ضلع أعوج ان قومته كسرته وان تركتها استمتعت بها على عوج وفي لفظ

تعالى للانسان أذنين ولسانا واحدا الا ليسمع أكثر مما يتكلم وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وقال أبو حفص صمت العوام بألسنتهم وصمت العارفين بقلوبهم وصمت المحبين من خواطر أسرارهم وقال لو سكت لسانك لم تنج من كلام قلبك ووصى النبي صلى الله عليه وسلم معاذا بترك فضول الكلام وحذره من حصائد الالسنة كما ورد في الحديث قال بشر الحافي رحمة الله عليه اذا أعجبك الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم ولا تصح لاحد العزلة والخلوة حتى يلزم نفسه الصمت أولا كما فعل داود الطائي وغيره واعلم ان الصمت انما يكون عما لا ينبغي من الباطل وأما الحق فمن سكت عنه فانه منافق مراء قال أبو علي الدقاق من سكت عن الحق فهو شيطان أخرس وقال بعضهم الساكت عن الحق كالناطق بالباطل وربما يقع السكوت على المتكلم لان في القوم من هو أولى منه بالكلام وقد يقع السكوت على المتكلم لكونه يكون بحضرة من ليس من أهل استماع ذلك الكلام لكونه لا يتأثر بالحقائق ولا باستماع الحكم والمواعظ فيصون ذلك الكلام عن غير أهله قال الشاعر

لقد أسمعت لو ناديت حيا ... ولكن لا حياة لمن تنادي

والصمت من أدب الحضرة فالمتوجه الى الله تعالى بالعبادة في حضرة الله تعالى فيجب عليه سلوك الادب فلا ينطق بما لا يحسن من القول والصمت باللسان يكون بحبسه عن الكلام بما لا فائدة فيه والصمت بالقلب ان لا يجري على قلبه شيئا بما لا ينبغي النطق به ولا يجول فيه فكره ولا يحدث به نفسه وانما آثر أرباب المجاهدات الصمت والسكوت عن الكلام بما لا فائدة فيه لانهم علموا ما في الكلام من الآفات منها الوقوع في الغيبة والنميمة ومنها الوقوع في المدح والاطراء لمن لا يستحق المدح من الظلمة وأبناء الدنيا ومنها اقامة حظوظ النفس بالتشدق بالكلام في العلم والتزين باظهار الفصاحة وتحسين النطق الى غير ذلك من الآفات والصمت والسكوت حال العارفين الواصلين قال ابن أبي هالة كان النبي صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الصمت وفي رواية دائم الفكر اذا تكلم تكلم بجوامع الكلم صلى الله

حسن وكسرها طلاقها وقد كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه القول وتهجره احداهن يوما الى الليل ودفعت احداهن في صدره فزجرتها أمها فقال دعيها فانهن يصنعن أكثر من هذا وجرى بينه وبين عائشة رضي الله عنها كلام حتى أدخل أبا بكر رضي الله عنه بينهما حكما واستشهده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلمين أو أتكلم قالت بل تكلم أنت ولكن لا تقل الا حقا فلطمها أبو بكر رضي الله عنه حتى دمي فوها وقال أي عدوة نفسها أو يقول غير الحق بل أنت وأبوك تقولان الباطل ولا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حقا نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضبا له حتى استجارت بالنبي صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم انك نبي فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حلما وكرما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة رضي الله عنها اني لاعرف غضبك من رضاك قالت وكيف تعرف ذلك قال ان رضيت قلت لا واله محمد واذا غضبت قلت لا واله ابراهيم قالت صدقت انما أهجر اسمك وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح مع أزواجه ويقاربهن في عقولهن في المعاملة والاخلاق وفي الخبر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع نسائه وقد كان لقمان الحكيم يقول العاقل في بيته ومع أهله كالصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا وفي تفسير الخبر المروي ان الله يبغض الجعظري الجواظ قيل هو الشديد على أهله المتكبر في نفسه وفي أحد المعاني في قوله عز وجل عتل بعد ذلك زنيم قيل الفظ اللسان الغليظ القلب على أهله وما ملكت يمينه وروينا في الخبر غيرة يبغضها الله عز وجل غيرة الرجل على أهله في غير ريبة كانه يكون من سوء الظن الذي نهى الله عز وجل ورسوله عنه وروينا عن علي رضي الله عنه لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء من أجلك ولعمري ان الغيرة لها حد فاذا جاوزها الرجل قصر عن الواجب وزاد على الحق وقد كان الحسن يقول أتدعون نساءكم يزاحمن العلوج في الاسواق قبح الله من لا يغار وقد قال ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا اماء الله مساجد الله فقال بعض ولده بلى والله لنمنعهن فضربه وغضب عليه وقال تسمعني أقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوهن وتقول بلى لنمنعهن وقد قال الله عز وجل قد جعل الله لكل شيء قدرا وقال بعض الحكماء من جاوز الشيء فذموم كمن قصر عنه فلا بأس بالحرة العفيفة ان تخرج لشيء لا بد لها منه من قضاء حوائجها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لكن ان تخرجن في حوائجكن وكذلك تخرجن في الاعياد خاصة أطلق ذلك لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لا يخرجن الا باذن أزواجهن وعن رضاهم ولا يخرجن أيضا الا فيما يعني مما لا بد منه ومهما استغنين عن الخروج وان لا يراهن رجل فهو افضل لهن واصلح لقلوبهن وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابنته فاطمة عليها السلام يا بنية أي شيء خير للمرأة فقالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى في الحيطان لئلا يطالع النسوان وروينا ان معاذا رأى امرأة تطلع من كوة في الجدار فضربها وان امرأته دفعت الى غلام لها تفاحة قد أكلت بعضها فضربها وقد كان عمر يقول أعروا النساء يلزمن الحجال وقال أيضا عودوا نساءكم لا وتكلم مرة في شيء من الامر فأخذت امرأته تراجعه في القول فزبرها وقال ما أنت لهذا انما أنت لعبة في جانب البيت ان كانت لنا اليك حاجة والا جلست كما أنت وهو مأجور على احتماله هفوات أهله

عليه وسلم *(باب العلم والمعرفة وصفات العارف)* قال الله تعالى وما قدروا الله حق قدره جاء في التفسير وما عرفوه حق معرفته وعن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعامة البيت أساسه ودعامة الدين المعرفة بالله تعالى واليقين والعقل القامع فقلت بابي وأمي ما العقل القامع قال الكف عن معاصي الله تعالى والحرص على طاعة الله تعالى وتكلموا في حقيقة المعرفة فقال قوم المعرفة عجز في حقيقة الحق وعبرة في شهود الخالق وقال آخرون هي افراد الخواطر بالاسرار الربانية وشغلها بالتفكر والاعتبار في الحكم الالهية وقال بعض الاكابر المعرفة ان تشهد الخواطر عواقب مصير الاشياء وتعلم مبداها ومنتهاها من الله تعالى والى الله تعالى والى ربك المنتهى والى الله المصير وان الى ربك الرجعى وقال العطوى المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة فمعرفة الحق معرفة وحدانيته ونعوته بما أبدى للخلق من أسمائه وصفاته ومعرفة الحقيقة لا سبيل اليها لامتناع الصمدية وتحقيق الربوبية بقوله تعالى ولا يحيطون به علما لان الصمد هو الذي لا تدرك حقائق نعوته وصفاته ومعرفة الحق هي ما دلت عليه أفعاله من نعوته وصفاته فان الصنع يدل على وجود الصانع وعلى قدرته وارادته وبقائه ويدل على علمه وحكمته واتساق التدبير في الكائنات وانتظام أحوال الموجودات يدل على وحدانيته لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال القشيري المعرفة هي العلم فكل علم معرفة وكل معرفة علم وعند هؤلاء القوم المعرفة صفة من عرف الحق باسمائه وصفاته ثم صدق الله تعالى في معاملاته وطال بالباب وقوفه ودام بالقلب عكوفه وصدق مع الله تعالى في جميع أحواله وصار من الخلق أجنبيا ومن عيوب نفسه وآفاتها بريا يسمى عند ذلك عارفا وتسمى حالته معرفة وقال عبد المعطي الاسكندراني في ارشاد السالكين قد تكلم السادة العلماء

وصبره على اذاهن ومثاب على حسن عشرتهن وقد كان محمد بن الحنفية يقول ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا ومخرجا فان كانت بذية اللسان قليلة القبول عظيمة الجهل كثيرة الاذى فطلاقها أسلم لدينهما وأروح لقلوبهما في عاجل دنياه وآجل آخرته وقد شكى رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذاء امرأته فقال له طلقها فقال اني أحبها قال أمسكها اذ تخشى عليه تشتت همه بفراقها مع المحبة وتشتت الهم أعظم من أذى الجسم وفي معنى قوله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال ابن مسعود اذا بذت على أهلها وآذت زوجها فهو فاحشة وهذا يعني به في العدة لان الله يقول اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم فهو متصل بقوله وأحصوا العدة ولا تخرجوهن من بيوتهن أي في العدة ومن الناس من يظن ان الطلاق محظور ويتأول هذه الآية على غير تأويلها فالطلاق مباح الا انه مكروه بغير سبب لتفرقة الالفة وقد روى في خبر ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق ولا باس ان تفتدي المرأة من زوجها اذا خافت ان لا تقيم حدود الله فيه ولا تقوم بواجب حقوقه عليها وأكره ان ياخذ في الفدية أكثر مما أعطاها وقد قال الله تعالى فان خفتم أن لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به وهذا هو الخلع الجائز عند أكثر العلماء ولا يحل لامرأة أن تسأل زوجها طلاقها ولا أن تختلع منه بغير رضاه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير باس لم ترح رائحة الجنة وقال المختلعات هن المنافقات والنشوز قد يكون من الزوجين معا الا انه أبيح للزوج ضربها في النشوز وأبيح لها الصلح في نشوز الزوج قال الله عز وجل والصلح خير وأصل النشوز أن يعلو أحدهما على صاحبه ويرتفع عنه كان يجفو عليه ويجتنبه فيكون في نحو وغير نحوه فيكون من هذا الكلام الفاحش ويكون منه الاذى ويكون منه الهجر والانفراد ويحكم الحكمان في هذا أحدهما من أهله والآخر من أهلها يعدلون وينظرون فيما بينهما وقد وعد الله عز وجل الغنى مع الفرقة كما وعده مع النكاح فقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته كما قال وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله فقد يكون الغنى بالمال ويكون بان يستغني كل واحد منهما عن صاحبه بما خصه الله عز وجل من خفي لطفه . وجاء في خبر ثلاث لا يستجاب دعوتهم رجل له امرأة سوء يقول أراحني الله منك وقد جعل الله الطلاق بيده ان شاء طلق والآخر في المملوك السوء وجار السوء وليحسن الرجل عشرة أهله والقيام بهن فقد قال الله تعالى فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا أي لا تطلبوا طريقا الى الفرقة ولا الى خصومة ومكروه وهذه حينئذ على صورة الانفس المطمئنة اذا استجابت للايمان وطوعت لك الى اخلاق المؤمنين فتولها من الارفاق وارفق بها في منالها من المباح وقد شبه الله عز وجل حسن القيام على الزوجة بحسن القيام على الوالدين فقال فيهما وصاحبهما في الدنيا معروفا وقال في أمر النساء وعاشروهن بالمعروف ثم أجل في النساء ما فرقه من حق الزوج في كلمة واحدة فقال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وقال في عظيم حقهن وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال عز وجل والصاحب بالجنب قيل هي المرأة وآخر ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه جعل يقول الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون والله الله في النساء فانهن عوان في أيديكم يعني اسرى أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حق المرأة على الرجل قال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يهجر الا في البيت وينبغي أيضا اذا أراد النكاح ان يتعلم ما يحتاج

اليه

أرباب البصائر في المعرفة واليقين وهي عندهم عبارة عن توالي العلوم بالمعلوم الواحد فمن توالت علومه وقلت غفلاته وتواصل ذكره لمعلومه حتى ظهرت عليه أحوال سموه عارفا ومن علم واشتغل عن علومه بغيره أو نسيه أو غفل عنه لا يسمونه عارفا وقد يخصون العلم المتعلق بذات الله تعالى وصفاته بالمعرفة والعلم المتعلق بأحكامه بالعلم وقالوا اليقين هو استقرار العلم في القلب بحيث لا يتقلب ولا يتحول ولا يتغير ومعنى استقراره توالي أمثاله على القلب ومن علامات المعرفة المحبة اذ من عرف الله أحبه والمعرفة من الصفات المتحركة لانها تتحرك بالنمو والزيادة فكلما ارتقى الانسان في المقامات والاحوال زادت معرفته بالله تعالى ومن أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله تعالى فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته وقال الشبلي ليس للعارف علاقة بغير الله تعالى ووجه ذلك بعضهم بان العارف محب والمحب لا علاقة له بغير المحبوب وقال يحيى ابن معاذ يخرج العارف من الدنيا وما قضى وطره من شيئين بكاؤه على نفسه وثناؤه على ربه

(فصل) والعلوم والمعارف مواهب من الله تعالى ومنح من كرمه وفضله ويجعل ذلك عند تزكية القلب وصلاح حاله فاذا طهر القلب وزكا كانت تلك التزكية والطهارة بمنزلة الصقال للمرآة وفاضت عليه الانوار من قبل الواحد الحق واهب الخيرات وهو الله مبدع الكل واله الكل جل جلاله وتقدست ذاته وصفاته فشاهد من عظمة الله تعالى وجلاله وصفاته ونعوته وحقائق الكون وعجائب الصنع وغرائب الملك والملكوت بحسب ما أعطاه الله تعالى من البصيرة ووهبه من النور ومن لم تحصل له هذه الطهارة وهذه التزكية فقلبه أعمى بما عليه من صدا المعاصي وظلمة الذنوب لان معاصي القلوب والجوارح ظلمات تركب القلوب فتحجبهم عن العلوم العلية والوهبية والمعارف الدينية

اليه المرأة من حسن العشرة والقيام بمصالحه وجميل المداراة ولطف المفاوضة وبعلمها حسن قيامها بما يجب له عليها ويعرفها ما أوجب الله له عليها من ذلك ولا تملك المرأة شيأ من أمرك فان الله عز وجل قد ملكك اياها فلا تقلب بهم والحكمة الله فينقلب الامر عليك فكأنك قد أطعت العدو ووافقته في قوله ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقد قال الله عز وجل ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما يعني النساء والصبيان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة لانه اذا أطاعها فيما تهوى دخل تحت التعس فكأنه قد بدل نعمة الله كفرا لان الله عز وجل جعله سيدها في قوله عز وجل وألفيا سيدها لدى الباب يعني زوجها قال الحسن ما أصبح اليوم رجل يطيع امرأته فيما تهوى الا أكبه الله في النار ولا يعودها عادة فتجترئ عليه وتطالب المعتاد منك فهي على مثال أخلاق النفس سواء ان أرسلت عنانها جمحت بك وان أرخيت عنانها فتراجذ بتك ذراعا وان شددت يدك عليها وكبحتها ملكتها فلعلها ان تطوع لك * وكان الشافعي رضي الله عنه يقول ثلاثة ان أكرمتهم أهانوك وان أهنتهم أكرموك المرأة والخادم والنبطي وكان نساء العرب يعلمن أولادهن اختبار أزواجهن كانت المرأة ان أنكحت ابنتها قالت يا بنية اختبري حليلك قبل ان تقدمي عليه انزعي زج رمحه فان سكت لذلك فقطعي اللحم على ترسه فان أقر فكسري العظام بسيفه فان صبر فاجعلي الاكاف على ظهره وامتطيه فانما هو حمار * وأوصى أسماء بن خارجة الفزاري وكان من حكماء العرب ابنته ليلة زفافها فقال يا بنية قد كانت والدتك أحق بتأديبك مني لو كانت باقية وأما الآن فاني أحق بتأديبك من غيري افهمي عني ما أقول انك قد خرجت من العش الذي فيه درجت وصرت الى فراش لا تعرفيه وقرين لم تأليفه كوني له أرضا يكن لك سماء وكوني له مهادا يكن لك عمادا فكوني له أمة يكن لك عبدا لا تلحي به فيقلاك ولا تتباعدي عنه فينساك اذا دنى فاقربي منه وان نأى فابعدي منه واحفظي أنفه وسمعه وعينه لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع الا حسنا ولا ينظر الا جميلا وأنا الذي أقول لامك ليلة بنائي بها

خذي العفو مني تستديمي مودتي * ولا تنطقي في سورتي حين أغضب

ولا تنقريني نقرك الدف مرة * فانك لا تدرين ماذا المغيب

فاني رأيت الحب في القلب والأذى * اذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

* وأوصى بعض العرب بنيه فقال لا تنكحوا من النساء ستة انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة ولا شداقة تفسير ذلك الانانة وهي التي تعصب رأسها كثيرا وتكثر الانين والتوجع والتشكي والمنانة التي تمن على زوجها تقول فعلت بك وفعلت فانا أفعل وأفعل والحنانة تكون على وجهين تكون ذات ولد من غيره فهي تحن اليه وقد تكون ذات زوج قبله فيحن قلبها اليه وقوله حداقة هي التي ترمي بحدقتها فتشتري كل شيء وتطالب زوجها بشراء ما تشتهيه من كل شيء وقد تلحظ الرجال كثيرا كما يلاحظ بعض الرجال النساء والبراقة تحتمل تأويلين أحدهما أن تكون غضوبا في الطعام فتبرق لقلته أو لسوء خلقها ولا تكاد البراقة لما أكول أن تأكل الا وحدها لشرهها وتكون أيضا تستقل نصيبها من كل شيء وهذه لغة يمانية تعرفها فاشية عندهم يقال قد برقت المرأة وبرق الصبي الطعام اذا غضب عليه والوجه الثاني من البراقة أن تكون من البريق أن تكثر صقال وجهها وخضابه فتتصنع في بريقه أبدا وأما الشداقة فهي التي تتشدق بكثرة الكلام وتكون ذربة اللسان مطوهة في النطق * ومن ذلك الخبر الذي جاء ان

التى هى خلاصة علوم الدين وزبدة معارف الشريعة وهى الحكمة والحقيقة قال الله تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وقول تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى صم بكم عمى فهم لا يعقلون وهذه علوم لا تؤخذ من كتاب البيع والسلم ولا من كتاب الرهن والاجارة بل لا تؤخذ الامن تطهير السرائر وتزكية القلوب بالوقوف مع الكتاب والسنة فى كل لحة وخطرة فلابد للمريد من تحصيل هذه المعارف والعلوم من تقدير التطهير عن معاصى القلب والتنقية من عيوب النفس وتطهير الجوارح الظاهرة عن معاصيها قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم الطهور شطر الايمان لان الايمان لما انقسم الى فعل المأمورات واجتناب المنهيات كان تطهير القلب عن ارتكاب المنهيات شرط الايمان وقد اتضح بجميع ما ذكرناه ان سعادة الآخرة وهى الفوز بنعيم الابد وسرور السرمد مربوطة بحكم الله تعالى بمحو واثبات تجريد النفس من الصفات المذمومة شرعا والاثبات اتصافها بالصفات المحمودة شرعا وذلك موقوف على العلم باحكام الظاهر واحكام الباطن وهو القلب ومن لم يصحب معرفته بالله تعالى علم شرع دينه ذهبت به المغاليط فى سبيل الحيرة ولم تثبت له عبودية ومن لا تعبد له فليس له دين فاذا العلم سبب فى حصول السعادة الدائمة وحياة الابد جاء رجل الى بعض الاكابر فقال له دلنى على الله فقال له ان كنت قد قرأت القرآن وكتب الحديث وتدبرت ذلك فحسبك وان لم تكن كذلك فاطلب من قرأهما وعقلهما حتى يدلك على الله بدلالة كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

الله عز وجل يبغض الثرثارين من المتشدقين وفى قصة الرجل السائح الازدى انه لقى الياس عليه السلام فى سياحته فامره بالتزويج وقال هو خير لك ونهاه عن التبتل وقال لا تنكح من النساء أربعا وانكح من سواهن المختلعة والمباريه والعاهر والناشز فالمختلعة هى التى تطلب الخلع من زوجها من غير ما باس وهو مع ذلك يحبها والمباريه المباهية لغيرها المفاخرة باسباب الدنيا التى تطلب من زوجها ما تباهى به غيرها وتفتخر به على نظائرها والعاهر الفاجرة التى تعرف بخليل أو خدن وهو الذى قال الله عز وجل ولا متخذات أخدان والناشز التى تعلو على زوجها فى الفعال والمقال * وقد كان على عليه السلام يقول شرار خصال الرجل خيار خصال النساء البخل والزهو والجبن فان المرأة اذا كانت مزهوة أى معجبة استنكفت ان تكلم الرجال واذا كانت جبانة فرقت من كل شئ فلم تخرج من بيتها وأكره العزل كراهية شديدة فانه دقيقة من الشرك الخفى وفيه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرهه جماعة من السلف الصالح ولم يكن خيار المتقين يعزلون وأقل ما فيه الخروج من التوكل على الله عز وجل وقلة الرضا بحكم الله تعالى وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول العزل هى الموؤدة الصغرى فاقوله هذا استنباط حسن من السنة وذلك انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى فضائل الجماع ان الرجل ليجامع أهله فيكتب له من جماعه أجر ولد ذكر قاتل فى سبيل الله عز وجل فقيل له وكيف ذلك يا رسول الله فقال أنت خلقته أنت رزقته أنت هديته اليك محياه اليك مماته قالوا بل الله خالقه ورزقه وهداه وأحياه وأماته قال فانت تراه فى هذا المعنى فى يقول اذا جامعت فأمنيت فى الفرج وقد قال الله تعالى أفرأيتم ما تمنون أءنتم تخلقونه أم نحن الخالقون فاذا لم يخلق الله من منيك خلقا حسب لك كأنه قد خلق منه ذكر على أتم أحواله وأكمل أوصافه بان يقاتل فى سبيل الله فيقتل لانك قد جئت بالسبب الذى عليك وليس عليك خلقه ولا هدايته وانما يقدر على ذلك الله عز وجل وهو فعله مجردا فكان لك أجر لو فعله الله تعالى اذ قد أتيت بما أمكنك عمله فلذلك قال ابن عباس هو الموؤدة الصغرى لانه يوجد العزل بعدم هذا الفضل اذ كان العبد سبب عدمه لانه لم يفعل ما يتأتى منه الولد فذهب فضله وحسب عليه قتله وانما قلنا ان العزل دقيقة من الشرك لان أهل الجاهلية كان سبب قتلهم بناتهم معانى أحدها خشية العار بهن ومنها كراهة الانفاق عليهن ومنها الشح وخوف الفقر والاملاق وكان العرب من ولد له بنون وبنات فمات البنون وعاش البنات سموه أبتر وذموه بذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف الذى يكرهون مات ولده الذكر وعاش البنات فلذلك كان يسمونه مذمما أى مذموما عندهم ومنه سبه العاص بن وائل حتى قال انك أبتر فرد الله عز وجل عليه فقال تعالى ان شانئك هو الابتر أى لا ذكر لك بعد موتك قد انقطع ذكرك بموت الذكور من ولدك فقال الله عز وجل بل شانئك هو الابتر الذى ينقطع ذكره وثناؤه فلا يذكر بخير بعد موته فاما أنت فقد رفعت لك ذكرك تذكر معى اذا ذكرت وكانت العرب تقول من كن له أحد الحوبات الثلاث لم يشرف عشيرته ولم يسد قومه يعنون بالحوب الام والاخت والبنت والحوبات جمع حوب وهى كبيرة قال الله تعالى فى أكلكم أموال اليتامى ظلما كان حوبا كبيرا عندى ليس هذا الذى قلتم عندكم وكان من خيار التابعين المؤمنين من يستحب له الجمع بين هؤلاء الثلاث الام والاخت والبنت لما فيهن من عظيم المثوبة والفضل ليخالف بذلك سنة الجاهلية فقد توجد هذه المعانى أو بعضها فى العزل فلذلك سميناه شركا وكرهناه وهو مذهب الخوارج من النساء كان فيهن تقزز وتعمق من استعمال كثرة الماء للطهارة ودخول الحمامات ومجاوزة

الحـد

الحد في الطهر وكنا أيضا يقضين الصلاة أيام الحيض ويصمن في حيضهن ولا يصلين في ثياب الحيض حتى يغسلنها ولا تدخلن الخلاء الاعراة وكانوا يكرهون الولادة طلبا للنظافة والتقزز خلاف السنة نساء العرب ابتدعوا هذه البدع ففارقوا بها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنن نسائه من أنباط العراق وأهل النهر وكان بعضهن دخل على عائشة رضي الله عنها لما قدمت البصرة فلم تأذن لهن في الدخول عليها وأيضا فان الله ورسوله ندبا الى اتخاذ الولادة بقوله تعالى فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم قيل الولد وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم خير نسائكم الودود الولود وقوله صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وحصير في البيت خير من امرأة لا تلد ومن بركة المرأة أن تيسر رحمها أحوج ما يكون الى الجماع اذا طهرت من الحيض وفي هذا الوقت أكثر ما يعبر النساء بالحمل وأحمد ما يكون المولود عاقبة اذا علق به قبل الطهر فلهذه المعاني عقب الله عز وجل الامر بالجماع والولد بعد الطهر في قوله تعالى فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله ولاضداد هذه المعاني الكراهة والذم أمر الله تعالى باعتزال النساء في الحيض ويقال ان كل مبذول كان أو مجنونا أو مجذوما أو مختلا أو في حاله وعقله مخبلا لانه كان غرسه في سبخة من الارض فلم يزرع ولم يزك ومن زرع من حرث طيب زكا زرعه وهو الغشيان في الطهر فلذلك قال من حيث أمركم الله وقد رخص طائفة في العزل ورويناه في ذلك رخصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان سعد يعزل وقد أنكر علي عليه السلام على ابن عباس رضي الله عنهم في قوله ان العزل هي الموؤدة الصغرى وقال انها لا تكون موؤدة الا بعد سبع ثم تلا قوله عز وجل واذا الموؤدة سئلت انها اذ كرت بعد سبع ثم تلا قوله عز وجل آية تنقيل الخلقة ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة الى قوله ثم أنشأناه خلقا آخر أي نفخ الروح فيه فقال فلا يكون موؤدة مقتولة الا بعد هذه السبع الخصال ولان الله عز وجل ذكرها في كورت بعد سبع معان ثم جمع بينهما في الفهم فاستنبط ذلك وهذا من دقيق العلم وغامض الفهم ولطيف الاستدلال الذي تفرد به عليه السلام لثقوب علمه ونفاذ فطنته وخفي استدلاله فلا يجامعهن حتى يطهرن فاذا تطهرن يعني بالماء ويكره الجماع مستقبل القبلة لحرمة القبلة وفي الخبر اذا جامع أحدكم أهله فلا يتجردا تجرد العيرين يعني الحمارين وروينا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جامع غطى رأسه وخفض صوته وقال للمرأة عليك السكينة ومن جامع مرة وأراد العود فليغسل فرجه قبل ذلك فان احتلم فلا يجامع حتى يغسل فرجه أو يبول فان جامع بعد الاحتلام من غير غسل خيف على ولده ان كان من جماعه أن يصيبه لمم من الشيطان * ويكره له الجماع في ثلاث ليال من الشهر في أول ليلة وفي آخر ليلة وفي ليلة النصف * يقال ان الشيطان يحضر الجماع في هذه الليالي وقيل ان الشياطين يجامعون فيها وروي عن علي عليه السلام كراهة ذلك وأبي هريرة ومعاوية رضي الله عنهما ومن العلماء من كان يستحب الجماع في يوم الجمعة لاحد التأويلين من قوله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل أي غسل أهله ويكره الجماع في أول الليل لئلا ينام على غير طهارة فان الارواح تعرج الى العرش فما كان منها طاهرا أذن له في السجود وما كان جنبا لم يؤذن له والرؤيا أيضا على طهارة من غير جنابة وعلى وضوء أصح وأفضل الا أن يغتسل ثم ينام فان لم يغتسل وجامع فلا ينام ولا يطعم حتى يتوضأ وضوءه للصلاة وقد جاءه رخصة في النوم بعد الجماع من غير أن يمس ماء فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكره أن يحلق الرجل رأسه أو يقلم ظفره أو يستحد أو يتنور أو يخرج دما وهو جنب فان العبد يرد اليه جميع شعره وظفره ودمه يوم القيامة فما سقط منه من ذلك وهو جنب رجع اليه جنبا وقيل طالبته كل شعرة بجنابتها * وقد روينا معنى هذا في حديث مقطوع موقوف عن الاوزاعي ويحيى بن كثير قال الاوزاعي قد كنا نقول

(فصل) يحتاج المكلف في ايقاع الطاعة الى علمين أحدهما العلم بالاوامر والنواهي وهو علم بكيفية ايقاع العمل على الوجه الجائز والوجه المطلوب العلم الثاني علم الترغيب والترهيب ليحصل له الخوف والرجاء الحاملان على الاقدام على المأمورات والاحجام عن المنهيات وبعض الفقهاء اشتغل بعلم الحلال والحرام وأهمل علم الترغيب والترهيب فقل خوفه ورجاؤه وكسل عن الطاعات ومن الناس من اشتغل بالمجاهدة وكثرة العمل وأهمل علم الاحكام أعني علم الحلال والحرام فضل وزل وفاتته الطاعات ومنهم من علم بعلم الاوامر والنواهي وأتقن ذلك وعمل بعلم الترغيب والترهيب وأتقنه وجاهد في الله حق جهاده فعمل بما علم فاورثه الله علم ما لم يعلم واشتغل بما علمه الله من آياته وتوحيده ومعرفة صفاته وسائر ما يدل عليه من نعوته وصفاته وهؤلاء خلفاء الله تعالى على الخلق مثل الحسن البصري وسفيان الثوري وداود الطائي والحارث المحاسبي وأبي القاسم الجنيد وعمرو ابن عثمان المكي واضرابهم ويحتاج المكلف الى العلم بالله تعالى وصفاته وقدرته وارادته وعلمه وكلامه وحكمته وسائر نعوته ومعرفة بنية الحيوان وبنية السموات وما اشتملت عليه من الحكم والمنافع الى غير ذلك من الامور والتي لا تعلم الا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وحجج العقول القاطعة فاذا امتلأت القلوب بهذه العلوم والمعارف بادرت الى طاعة الله تعالى وسارعت الى عبادته وبهذا يعلم شرف علم التوحيد على غيره من العلوم لكون العلم به يثمر هذه الفضائل والطاعات واعلم انك اذا تصفحت القرآن وجدته

لا بأس ان يطأ الجنب حتى سمعنا بهذا الحديث والنص فيه على النهي ان يطأ الرجل جنبا ولا يعجل الرجل من امرأته الا الفرج لا غير على أي حال شاؤا ومن جامع فليمهل على أهله وليتوقف حتى تقضي هي نهمتها كما قضى هو نهمته فربما أخر انزال المرأة بعد الرجل فيكون ذلك كربها البها فان علم انها قد سبقت بالشهوة لم يحتج الى توقف وليس يخفى سبقها بالشهوة على فطن واوفق ما يكون الجماع بينهما اذا اتفقت الشهوتان منهما معا وأكثر ما يكون التباغض بين الزوجين لاختلافهما من طبع الانزال أن يكون طبعه سابقا لطبعها أيضا * وقد كان بعض العلماء من الادباء لا يتأخر عن المرأة حتى يستأمرها في ذلك وينبغي ان يعلمها لان المرأة اذا بلغت واحتلمت يجب عليها الغسل كما يجب على الرجل فان في ذلك سنة لان أم سليم سألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها بذلك قال نعم النساء نساء الانصار لا يمنعهن الحياء ان يتفقهن في الدين واذا كانت المرأة حائضا اتزرت بمئزر صغير من حقويها الى انصاف الفخذين وكان له المتعة بجميع جسدها كيف شاء الا تحت المئزر وهذا مذهب فقهاء الحجاز وهو أحب الوجهين الي وبعض علماء أهل العراق يجوز من الحائض المباشرة ما تحت خلا الفرجين ولا يعجبني هذا ولا حرج عليه من الاستمتاع ببدنها واستحب للرجل اذا دخل في لحافها ان يتزر بحقو صغير يكون في وسطه وهو المئزر لئلا يتجرد عريانا فان هذا من الادب ويضاجع الرجل الحائض كيف شاء وتناوله ما شاء أو يؤاكلها ولا يجانبها في شيء من الاشياء الا الجماع في الفرج اتفقوا عليه واختلفوا فيما دونه فذكر أهل الحجاز كما ذكرناه آنفا وهو استحباب واتفقوا على تجويز ما فوق المئزر من السرر الى انصاف الفخذين فينبغي للمتزوج ان يعرف حكم الطلاق فان عرض عليه طلاق طلق واحدة واحدة في طهر لا جماع فيه لان التطليقة الواحدة اذا انقضت عدة المرأة منها بحيض أو أشهر تعمل عمل التحريم بالثلاث سواء الا انه يربح في التطليقة الواحدة أربع خصال أحدها موافقة الكتاب والسنة من قوله عز وجل فطلقوهن لعدتهن وفي قراءة عمر وابن عباس رضي الله عنهم بيان ذلك فطلقوهن لقبل عدتهن فقد دل ان الاقراء هي الاطهار وكذلك هو عندي وان تكافأ ذلك في اللغة وتساوى في المعاني بان يكون الحيض أيضا والثانية تيسير العدة عليها وسرعة خروجها منها لخروجها من الطلاق محتسب من الطهر الذي طلقها فيه من غير جماع قرأ فتستعجل الخروج من العدة لانها من حدود الله عز وجل ويربح أيضا وانه ان ندم على طلاقها كان له رجعتها في العدة من غير احداث عقد ثان ولا مهر آخر وان أحب رجعتها بعد انقضاء العدة كان له تزويجها ثانية من غير زوج ثان تحدث وهذا كله معدوم مع الثلاث دفعة واحدة وموجود فيه التحريم وان ندم لم يجعل الله مخرجا لانه لا تحل له الا بعد زوج ويخسر العبد خروج المرأة من يده فان ابتلي بها واحتاج ان ينتظر فراغ الزوج الثاني أو احتال ان يعمل في تزويجها لغيره فيكون محلا لا لنفسه ومفسد النكاح الثاني بالتحليل فيقع في ثلاث معان من المعاصي * وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المحلل والمحلل له وقال بعض العلماء ان نكاح الاول بعده على التحليل لا يجوز أيضا وهذا كله ثمرة الجهل ومخالفة السنة وقد قال الله تعالى فطلقوهن لعدتهن ثم قال لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا يعني ندما من المطلق فتجب الزوجة فاذا كان قد طلق تطليقة واحدة أو اثنتين كانت له من العدة من غير عقد وبعد انقضائها بغير زوج ثم قال ومن يتق الله يجعل له مخرجا أي يتق الله فطلق في العدة يجعل له مخرجا في جواز الرجعة كما ذكرناه ومن طلق ثلاثا مرة واحدة أو طلق في الحيض وقع الطلاق وحرمت المرأة ولم تحل له الا بعد زوج وان كان قد خالف السنة ووافق كراهة الائمة بآثار قد كثرت في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر وابنه وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس وجملة من الصحابة والتابعين * والاصل فيما ذكرناه من العزيمة والرخصة في فعل النكاح وتركه قول الله

اذا ذكر آية من الحلال والحرام فانه لا يكررها في الغالب مرة ثانية ولا يؤكدها بخلاف الآية الدالة على صفات الله تعالى وحكمته وتوحيده والآيات الدالة على الترغيب والترهيب وأعمال القلب فانه تعالى كثيرا ما يكررها ويؤكدها وهذا دليل على فضل علم التوحيد وعلم الباطن على غيرهما من العلوم وقد حث الله تعالى على النظر في الحكم والمصنوعات قال الله تعالى أولم يتفكروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء فهذا تحريض منه سبحانه وتعالى على التفكر في عجائب المصنوعات وتوبيخ للمعرضين عن تدبر حكمته في ابداع المخلوقات فاياك ان تكون من الذين وبخهم الله تعالى بقوله وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون والنظر في المصنوعات يزرع في القلوب تعظيم الصانع اذ ما من ذرة من ذرات الكون الا وفيها دلالة على توحيده وتمجيده وعظمته وحكمته

* (فصل) * اعلم ان المكلف به اما علم أو عمل وكل واحد منهما متعلقه اما القلب واما الجوارح الظاهرة والذي متعلقه الجوارح الظاهرة له مثالات أحدهما متعلقه بجوارح العالم به والثاني متعلقه غير جوارح العالم به مثال العلم الذي متعلقه الجوارح الظاهرة من غير العالم به علم الرجال باحكام الحيض والنفاس والعدد ومثال العلم الذي متعلقه عمل الجوارح الظاهرة من العالم به الصوم والصلاة والحج وغيرها ومثال العلم الذي متعلقه عمل القلب أحكام العقيدة ومثال العلم الذي متعلقه العلم باحكام المقامات مثل التوبة والانابة والورع والزهد والتوكل والخوف والرجاء وغير ذلك وقد تقدم منا

عز

ان علم التوحيد يفضل جميع العلوم ويدل على شرفه وفضله على سائر العلوم ان من ثمراته علم الباطن وهو العلم بما يجب و يحرم ويندب و يكره من أفعال القلوب لان من تحقق وتيقن وجوده ولاه وعلم انه هو الذى خلقه وأوجده وأنشاه وخلق فيه العلوم والادراكات وأعطاه العقل والفهم وأسبغ عليه النعمة والرزق ونشر عليه الرحمة أثمر له ذلك المحبة والاخلاص فى العبادات والانقطاع اليه دون من سواه والرجوع اليه فى المهمات اذ لا معطى عنده سواه ولا فاعل غيره ومن تحقق عنده اليقين بقدمه وعلم انه لا قديم سواه ولا ثانى غيره وان وجوده واجب وطالع هذه الصفات بنور بصيرته ولاحظ موجودا منزها عن البداية والنهاية وانه عالم بكل معلوم قادر على كل مقدور ولا يخرج شئ عن مشيئته وارادته أثمر له ذلك التعظيم والاجلال والهيبة ومن تيقن انه عالم بالحركات وانه قادر على كل شئ وانه خلق الثواب والعقاب لمن أطاع وعصى أثمر له ذلك المحاسبة لنفسه والمراقبة والخوف والرجاء ومن تيقن ان مولاه قضى الاشياء وقدرها وان المقضى كائن لا محالة وان خلاف المعلوم مستحيل أثمر له ذلك راحة القلب من هموم الدنيا وعدم نفاق القلب بالتفكر فى أسباب الرزق والكسب ومن علم انفراده سبحانه بالافعال وانه لا موجد غيره وان العبد لا تاثير له فى شئ من أفعاله أثمر له التوكل والتفويض الى الله تعالى فى سائر أموره واذا كان من ثمرات التوحيد هذا العلم الجليل كان علم التوحيد فى غاية الشرف ونهاية الجلالة *(فصل)* المعرفة على ثلاثة أقسام أحدها ان تعرف الله بالوحدانية

عز وجل وأنكحوا الايامى منكم فامر بالنكاح وهو أعلم بالخير والصلاح والايامى جمع أيم وهى التى لا بعل لها وقد يسمى به الرجل الذى لا زوجة له أيضا كما يقال ثيبا وبكرا ثم قال والصالحين من عبادكم ولولا ان النكاح فاضل ما خص به الصالحين وضمه الى فضلهم وهم أهل ولايته لقوله عز وجل وهو يتولى الصالحين ثم قال ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله أعلم بالاغنياء كيف هم وقد يغنيهم بالاشياء كقوله أغنى وأقنى وقد يغنيهم عن الاشياء وهى القناعة والزهد وقد يغنى نفوسهم عن الاعراض لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى بكثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد يغنيهم باليقين كما قال أيضا كفى باليقين غنى وقد يغنيهم بغض البصر وتحصين الفرج كما قال من استطاع الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ثم ان الله عز وجل قال فى الخبر الثانى من وعد الغنى فى التفرق وذلك أيضا فى قوله عز وجل وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته فقد أجمل وجوه الاغناء كلها فى هذا المعنى الآخر أيضا ويزيد عليه الغنية بالعصمة والاستغناء عن المكاسب وعن السؤال والمحاسبة على الاكتساب والغنية عن حال النساء وأحكامهن ثم قال فى الامر الثانى من البيان الثانى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فهذا أدون من الاول لانه علقه باختيارنا ان طاب لنا ثم رفع فيه الاربع توسعة منه وتفضيلا لعلمه بعلاج القلوب وطبائع النفوس وتفاوت سكونها وحركاتها ووجود كفاياتها ومصالحها ثم رخصنا فقال فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ان لا تعولوا فرد الى الواحدة وهو الحال الاوسط بين الاربع وبين التعزب وخير الامور أوسطها وفى قوله الا تعدلوا ثلاثة أوجه تعدلوا تجوروا وهو أحسنها وأحبها الى لانه يواطئ قوله تعالى فان خفتم أن لا تعدلوا الا ان العدل ضد الجور فعطف عليه فقال ذلك أدنى الا تعولوا أى تجوروا وامن العدل * والعرب تقول عال يعول عولا اذا جار والوجه الثانى الا تعولوا تفتقروا من العيلة وهى الفقر يقال عال يعيل عيلة وأعاله اذا افتقر ومنه قوله ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله ومع العيال الفقر لا محالة والوجه الثالث تعولوا تكثر عيالكم فيكون المعنى لذلك أقرب ان لا يكثر من تعولونه وحذفت الهاء التى هى اسم العيال وهذا مذهب لبعض أهل الحجاز يرجع الى قوله عال الرجل عياله يعولهم مثل مانهم يمونهم ومارهم يميرهم وصانهم يصونهم فيكون مشتقا من لفظ العيال والاول أجود وأشهر والله سبحانه ما افترض النكاح ولا العزبة كما لم يوجب الاربع من النسوة وافترض صلاح القلب وسلامة الدين وسكون النفس والدخول فى الاوامر عند الحاجة اليها فمن كان صلاحه فى التزويج فهو أفضل له ومن كان استقامته وسكون نفسه عند الاربع فجائز له طلب السكون وصحة الحال مع القيام بالاحكام ومن وقعت كفايته بواحدة فالواحدة أصلح وأفضل لانها الى السلامة أقرب ومن كان صلاح حاله واستقامة قلبه وسكون نفسه فى العزبة فذلك له أسلم والاسلم الذى فى زماننا هذا أفضل اذ لهذا يراد النكاح فان وجد لم يضر فقده * ولعمرى انا اذا قلنا ان فى الدين طريقين طريق عزيمة وطريق رخصة فانه فى النكاح أيضا لانه من الدين وفى تركه يكون لاجل الدين طريقان طريق الاقوياء وهم أهل النكاح والصبر على أحكامه وعلى معاشرة النساء وطريق آخر للاقوياء بالصبر عنهن ووجود العصمة منهن والتفرغ للآخرة وكفى بها شغلا وطريق آخر من وجود الوسوسة وخوف العنت لقوة الطبع وضعف الحال بوجود الاختلاط فيبدأ بالنكاح طلبا للاستقامة والصلاح وقد كان الثورى رحمه الله تعالى يقول

ياحبذا العزبة والمفتاح * ومسكن تخرقه الرياح * لا صخب فيه ولا صياح

ولله الامر من قبل ومن بعد والحمد لله وحده

(الفصل السادس والاربعون فيه كتاب ذكر دخول الحمام) الافضل فى وقتنا هذا ترك دخول الحمام لكثرة

فتعرف انه لا اله الا هو وانه واحد أحد فرد صمد وانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وانه لم يتخذ صاحبة ولا ولدا وانه لا شبيه له ولا نظير له ولا مثيل ولا عديل وانه المبدع الموجد الخالق وما سواه فهو صنعه وخلقه وانه لا يكون فى ملكه وسلطانه الا ما شاء وأراد وقضى وقدر وانه عالم بكل ما فى الكون لا تخرج ذرة عن احاطة علمه والثانى ان تعرف نفسك بالعبودية وانك عبد مخلوق لله مملوك له وانك وجميع ما فى الكون محتاج اليه ومفتقر له فى جميع الاحوال فاذا علمت ذلك وتحققته انبعث فيك داعية الطاعة له وترك المخالفة والثالث ان تعرف الشيطان بالعداوة والبغضاء وتتخذه عدوا قال الله تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وهو مجاهد حريص على هلاكك وهلاك الخلق أجمعين فيأتى اليك من كل باب من أبواب الحيل والكيد والخديعة والمكر والتسويل والتخييل والتزيين فاجتهد فى دفع كيده وشره عنك واستعذ بالله على خزيه وجهاده وقانا الله واياك كيده وشره *(فصل)* والايمان على ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان المقلد والثانى ايمان المتكلمين وهو المستند الى البرهان والدليل والثالث ايمان العارفين وهو المستند الى المشاهدة بالبصيرة ونور اليقين وهو أكمل وأفضل وأهل الايمان الاول ناجون فى الآخرة وهم من أوائل أصحاب اليمين وأهل الايمان الثانى أرفع درجة منهم لقوة ايمانهم بالدليل وأهل الايمان الثالث وهم المقربون ولهم النهاية فى السعادة واعلم ان أول الايمان الايمان بالله وبرسوله ثم الايمان لله ورسوله فالايمان بالله هو التصديق بوجوده والايمان برسوله كونه رسولا من عند الله وأما الايمان

العراة فيه والعجز عن القيام باحكامه الا ان دخوله مباح وقد اختلف مواجيد الصحابة فى دخوله وكل فيه قدوة وهدى فقال بعضهم بئس البيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء وروى هذا عن ابن عمر رضى الله عنه وعن على رضى الله تعالى عنه معناه وقال بعضهم نعم البيت ينقى الدرن ويذكر النار وروى هذا عن أبى الدرداء وأبى أيوب ودخل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام الحمامات فمن كان داخلا الى الحمام فلا يدخله لشهوة لعاجل حظ دنياه ولا عابثا لاجل الهوى لانه عمل من أعمال العبد والعبد مسؤل عنه ان كان محاسبا على جهل أعماله فيقال لم دخلت وكيف دخلت ولمن دخلت كما يقال له فى كل عمل فعله وفى دخول الحمام ثمانية أحكام أربعة فرائض وأربعة نوافل فاما الفرائض فستر العورة وغض البصر وان لا يباشر جسده غير يده وان يأمر بالمعروف وهو ان يرى عريانا فيقول له استتر وهذا حرام عليك وهذا لا يحل لك أو قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو حرم دخول الحمام بغير ازار فاى هذه الالفاظ قاله سقط عنه ما وراء ذلك من كل شئ يراه من المنكر وليس عليه القبول ولا الاجبار على المعروف لان هذا على الامام القائم بمصالح الدين والداعى لرغبة المسلمين بالبطش والقوة والتمكين فى الارض والتسليط وهو ساقط عن الرعية بحمد الله ومنه فأما النوافل الاربع فان يرى الطهارة لاجل الدين والنظافة للعبادة لان الطهارة من افضل أمور الآخرة والحمام غاية الطهر وان يعطى صاحب الحمام الاجرة قبل الدخول وكذلك يستحب فى كل ما يشتريه أو يستعمله خاصة الشئ المجهول مقداره من شرب الماء وأجرة الحجام والذى لا يتقاضى عليه ولا يشترط فيه فكأنه يكون غير معلوم واذا نظر الحمامى اليه صار معلوما والثالثة ان لا يكثر صب الماء عليه من غير حاجة ولا يستعمل ما يكفى رجلين وثلاثة سيما من الماء الحار فان له مؤنة ولا يستعمل من ذلك الا ما لو رآه الحمامى لم يكره ذلك منه ولم يسؤه وما علم ان الحمامى لو رآه يستعمله من الماء الكثير لشق عليه ذلك فانه مكروه له فى غيبه والرابعة ان يتذكر النار بحرارة الحمام ولذع مسه وغشيان ظلمته لان الحمام فى الظلمة أشبه شئ بجهنم الحرارة من تحتك والظلمة من فوقك فهذا وصف جهنم نعوذ بالله منها فليتذكر بقلة صبره على الحمام وعظم كربه فيه حبسه فى جهنم وانه لو أقام فى الحمام فضل ساعة اضعف روحه حتى يخرج خفوفا ويكون له فى الحمام موعظة وعبرة اذ عبر اولى الابصار ومواعظ أهل التقوى لا تنقضى ولهم فى كل شئ عبرة وموعظة وبكل شئ تذكرة لان الله عز وجل قد أحياهم حياة طيبة وهذه علامة من كان له قلب ومن مقامه المزيد ولا بأس ان يظهر ذكر الله عز وجل بالتسمية والاستغفار ومكروه له قراءة القرآن الا فى نفسه سرا ولا يسلم على أحد فيه بلفظ السلام * وروينا ان رجلا سلم على الحسن بن على رضى الله عنهما فى الحمام فقال ليس فى الحمام سلام فان احتاج ان يتكلم رجل فيه فلا بأس ان يأخذ بيده استئناسا للكلام أو يقول له عافاك الله وادام سلامتك ومكروه له كثرة الكلام فيه وان يتكلم رجل بما لا يعنيه ولكن يقول بسم الله اذا دخله ويستعيذ بالله من الرجس النجس الخبث الشيطان الرجيم وان أعطى الحمامى أجرة ليخليه له أجر على ذلك قال بشر ما أعنف رجلا لا يملك الا درهما ان يعطيه لخلوة الحمامى * وكان بشر يعطى ليخلى له الحمام فكان يغلقه عليه من داخل ومن خارج فان وليته جارية للاطلاء فى الحمام اذا كان خاليا مستترا فلا بأس قال بعضهم رأيت ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام مستقبلا بوجهه الحائط وقد عصب عينيه بعصابة ومد يده على الحائط وقيل لابراهيم الحربى تصلى خلف شارب النبيذ قال نعم قيل فتصلى خلف من يدخل الحمام بلا مئزر قال لا ويكره دخول الحمام عند الغروب وبين العشاءين فان تلك الساعتين وقت انتشار الشياطين وليعرف بدخوله نعمة الله عز وجل وتسخيره له من شاء من خلقه بالتعب منهم والكد فيه فهذا من لطيف افضال الله عز وجل على المتنعمين به ومن دخل الحمام وقام بهذه الاحكام كان دخوله أفضل لان له فيه أعمالا كثيرة ودخل

ودخل الاعمش فرأى عريانا فغض عينيه وجعل يتلمس الحيطان فقال له العريان متى كف بصرك يا هذا فقال الاعمش منذ هتك سترك وحكى الشافعى عن مالك رضى الله عنهما ثلاثة أشياء فيها ذلة حضور المجالس بغير محبرة ولا صحيفة وركوب السفينة بلا زاد ودخول الحمام بغير كرنيب قال فقلت للشافعى رضى الله عنه لم تذكر المئزر فقال قد أحسن ترك المئزر فسوق وقال النبى صلى الله عليه وسلم دخول الحمام على النساء حرام وعلى الرجال الا بمئزر وقد كان عمر رضى الله عنه يقول الحمام من النعيم الذى أحدثوه وفى أحد الوجوه من قوله تعالى ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال الماء الحار فى الشتاء ولا باس أن يباشره رجل بالتدليك خلا موضع العورة وحدثنى بعض اخوانى عن بعض أهل العلم انه دخل معه الحمام قال فاردت أدلكه فامتنع قال ثم دخلت معه بعد ذلك فجعلت أدلكه فلم يمتنع فقلت له قد كنت امتنعت أول مرة قال لم كنت أعلم فيه أثرا ثم وجدت بعد ذلك أصبغ الراشى ان رجلا دلكه فى الحمام فرأى على فخذه مكتوب لله بعرق فى جسده فقال أما تنظر أمانه ما كتبه انسان وفى ذلك أيضا أثر عن يوسف بن أسباط انه لما حضرته الوفاة أوصى ان يغسله فلان انسان لم يكن من أصحابه ولا كان معروفا بفضل فقيل له فى ذلك فقال انه قد كان مرة دلكنى فى الحمام ولم أكافئه على ذلك وأنا أعلم انه يحب أن يغسلنى فاوصيت اليه فيكون ذلك مكافاة منى له ويصلح ان يستدل على ذلك أيضا بتجويز الغمز للجسد والظهر فقد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل منزلا فى بعض أسفاره قال بعض أصحابه فذهبت أمشى أتخلل النخل أوقال الشجر فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم نائم على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت له ماهذا يارسول الله فقال أما ان الناقة تقحمت بى وقال بعضهم لا يحل دخول الحمام الا بمئزرين مئزر لوجهه ومئزر لعورته ورأى ابن عمر رضى الله عنه رجلا عريانا خرج وهو يقول أعوذ بالله من الشيطان رأيت شيطانا وقال مالك رضى الله عنه من دخل الحمام وخرج عريانا فلا شهادة له وان كان قاعدا عند الحوض ليغسل فلا باس وغسل الرجلين بالماء البارد عند الخروج من الحمام أمان من النقرس والتنورد بعده قبل غسل الوجه يشيب اللحية والحناء بعد يقال انه أمان من الجذام ويستحب أهل الطب البول قائما فى الحمام بعد الايثار وقبل غسل النورة وأمر بعض أطباء العرب بالنورة فى كل شهر وأخبر انه يطفئ المرارة وينقى اللون وانها تزيد فى الجماع وفى السنة الاستحداد فى كل أربعين يوما لا يستحب مجاوزة ذلك وبعض أهل الطب يقول بولة فى الحمام فى الشتاء أنفع من شربة دواء والبول فى المستحم مكروه من جهة السنة وقيل ان البول فى المستحم يورث الوسواس وبعض أهل الطب يقول نومة فى الصيف بعد دخول الحمام تعدل شربة دواء ويستحبون أيضا الغسل بماء بارد بعد نومة فى الصيف وانه نافع للجسد ويقال ان الانسان اذا جاوز الاربعين سنة نقص فى كل يوم الا اليوم الذى يدخل فيه الحمام وان الحمام عندهم فى الصيف أنفع منه فى الشتاء ويكره شرب الماء البارد عند الخروج من الحمام وحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم دخول الحمام على النساء وحرمه على الرجال الا بمئزر فان دخلت المرأة الحمام ضرورة من علة أو حيض أو نفاس أو فى شتاء فلا بأس وقد دخلت عائشة رضى الله عنها من سقم كان بها ولينه الرجل امرأته وأهله عن دخول الحمام فان لم يقبلن لم يحل له ان يعطيهن أجرة الحمام وكان الامر عليهن ولا يحل لمسلمة فى الحمام ان يلبسها للغد متذمية فقد نهى عمر وأبو عبيدة رضى الله عنهما عن ذلك وأكره للرجل أن يعطى امرأته أجرة الحمام فيكون معينا لها على الاثم فان نهاها فخالفته كان الاثم عليها

(الفصل السابع والاربعون فيه ذكر حكم المتسبب للمعاش) وما يجب على التاجر من شروط العلم قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا فذكره فيما عدده من آياته ونعمته وقال عز وجل وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون فجعل المعاش نعمة طالب بالشكر عليها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه

لله ولرسوله فهو القبول من الله ورسوله والطاعة لله ولرسوله وبعض المشايخ جعل الايمان لله هو الايمان لا لرغبة ولا لرهبة بل لكونه يستحق ذلك لذاته وصفاته وعظمته وجلاله وحكمته وكونه صانع الموجودات ومبدع الكائنات قال وهذا الايمان هو ايمان الانبياء فانهم آمنوا بالله لله وهو أفضل من الايمان لخوف النار ورجاء الجنة ولان الايمان بذلك ايمان معلوم بالطبع

(فصل) فى الفرق بين علوم التعلم وبين الالهام وهى علوم الصوفية اعلم ان العلوم ضرورية وانما يختلف الحال فى حصولها فى القلب فتارة تهجم على القلب كانه ألقى فيه من حيث لا يدرى وتارة يكتسب بطريق التعلم وهو النظر والاستدلال فالذى يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما واعلم ان القلب مستعد لان تتجلى فيه حقائق الاشياء وانما حيل بينه وبينها بالاسباب الحسية فانها حجاب مسدد حائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ وتجلى حقائق العلوم لمرآة القلب يضاهى انطباع الصور فى المرآة التى تقابل الصور فاذا انكشفت الحجب عن القلب تجلى فيها شئ مما هو مسطور فى اللوح المحفوظ ولمع فى القلب من وراء ستر الغيب شئ من غرائب العلم تارة كالبرق الخاطف وتارة على التوالى على حد ما رأوا منه على الندور فلا يفارق العلوم الكسبية علوم الاشراق فى نفس العلم بل فى الطريق فان طريق حصول العلوم الكسبية هو التعلم وطريق علوم الالهام والاشراق هو تصفية الباطن وتنظيف القلب الذى هو محل العلم عن الامور الشاغلة والاشياء المانعة فاذا تطهر القلب عن ذلك كامو تولى الله تعالى أمر القلب وفاضت الرحمة وأشرق النور فى

قال من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الهم بطلب المعاش قال صلى الله عليه وسلم أحل ما أكل المرء من كسب يده وكل عمل مبرور وفي لفظ آخر أحل ما أكل العبد من كسب يد الصانع اذا نصح وفي الخبر التاجر الصدوق يحشر يوم القيامة مع الصديقين والشهداء وقد جاء في الحديث من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسئلة وسعيا على عياله وتعطفا على جاره لقي الله عز وجل ووجهه كالقمر ليلة البدر وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ذات غداة جالسا مع أصحابه فنظروا الى شاب ذي جلادة وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان شبابه وجلده في سبيل الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا فانه ان كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وان كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا فهو في سبيل الشيطان وقال ابن مسعود اني لامقت الرجل أراه فارغا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقال ابراهيم النخعي رحمه الله كان الصانع بيده أحب اليهم من التاجر وكان التاجر أحب اليهم من البطالة وسئل ابراهيم عن التاجر الصدوق أهو أحب اليك أم المتفرغ للعبادة قال التاجر الصدوق أحب الي لانه في جهاد يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ومن قبل الاخذ والعطاء فيجاهده وقد خالفه الحسن البصري رضي الله عنه في هذا وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما من موطن يأتيني فيه الموت أحب الي من موطن أتسوق فيه لاهلي أبيع واشتري في رحلي وقال أيوب قال لي أبو قلابة الزم السوق فان الغنى من العافية يعني الغنى عن الناس والله أعلم والغنى الذي يطاع الله تعالى به وكان يقول بعض السلف اتجر وبع واشتر ولو برأس المال يجعل لك من البركة ما لا يجعل لصاحب الزرع وقال ابن محيريز وكان من عباد أهل الشام ما من طعام أملا به ما بين جنبي بعد غنيمة في سبيل الله من فيء المشركين أقيم بها حق الله عز وجل أحب الي من طعام تاجر صدوق قال وكانوا يعدون الكاسب على عياله كالمجاهد في سبيل الله عز وجل ويرون فضله على غيره وروي فيه أثر ان الله عز وجل يحب المؤمن المحترف وفي خبر آخر ان الله يحب العبد يتخذ المهنة يستغني بها عن الناس وحدثني بعض اخواني عن أبي جعفر الفرغاني قال كنا يوما عند الجنيد فجرى ذكر ناس يجلسون في المساجد يتشبهون بالصوفية ويقصرون عما يجب عليهم من حق الجلوس ويعيبون من يدخل السوق فقال الجنيد كم ممن هو في السوق حكمه ان يدخل المسجد فيأخذ باذن بعض من هو فيه فيخرجه ويجلس مكانه اني لاعرف رجلا يدخل السوق وورده في كل يوم ثلثمائة ركعة وثلاثون ألف تسبيحة قال فسبق وهمي انه يعني نفسه فان كان العبد سوقيا فليبدأ أولا فليتعلم علم البيع والشراء والاخذ والعطاء ومعاملة الناس في البيوع ومعرفة أبواب الربا ليعلم ذلك قبل الوقوع فيه فيجتنب ذلك ويتقيه وليغد الى المفتي فيسأله عن علم حاله كل يوم من وجوه معاملته ان لم يكن قد تقدم علمه بذلك ولم يكن عالما به في وقت المعاملة فليجعل بكوره الى المفتي قبل غدوه الى السوق فان لكل عمل علما ولله في كل شيء حكم فلا يغنيك كبير علم عن علم غيره فان لم تفعل ذلك دخل عليك الربا والبيوع الفاسدة وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف في الاسواق ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول لا يبيع في سوقنا الا من تفقه والا أكل الربا شاء أو أبى ثم لينصرف بعد العلم فيما يدخل فيه فيما أبيح له من تجارة أو صناعة بصدق معاملة وصدق في مبايعة ناويا في ذلك اقامة سنة وأمرا بمعروف ونهيا عن منكر وجهادا في سبيل الله لان من أخذ الحق وأعطاه وعامل بصدق ونصح فهو معاون على البر والتقوى وفي جهاد العدو والهوى سيما في زمان يكثر فيه الباطل لان صلاح الدين بصلاح الدنيا وفساده بفسادها لتعلق أحدهما بالاخرى وحاجة كل واحد منهما بصاحبه وفي الخبر لا يستقيم عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه

القلب وانكشف له سر الملكوت وتلألأ فيه حقائق الامور الالهية ومن كان لله كان الله معه واعلم ان للقلب بابين باب مفتوح الى عالم الحواس الخمس المستمسكة بعالم الشهادة والملك وباب مفتوح الى الملكوت والغيب فالفرق بين علوم الانبياء والاولياء وبين علوم النظار من المتكلمين هو ان علوم الانبياء والاولياء تاتي الى داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم النظار ياتي من الابواب المنفتحة الى عالم الملك والشهادة

(فصل) وورد في فضل العلم آيات وأخبار قال الله تعالى هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وقال سهل بن عبد الله التستري رحمة الله عليه من أراد ان ينظر الى مجالس الانبياء فلينظر الى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك قال بعض السلف العلماء يحشرون في زمرة الانبياء والقضاة يحشرون في زمرة السلاطين وفي معنى القضاة كل فقيه قصد طلب الدنيا بعلمه وقال عمرو بن عبد الله الزاهد لو كان للعلم صورة ينظر اليها لما نظر الناس الى شيء أجل منها فالعلوم والمعارف من أجل نعم الله على عباده وأجل العلوم العلم بالله وصفاته قال الله تعالى الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما وكفى بهذا دليلا على شرف العلم بالله وبصفاته فانها قد دلت على ان الله تعالى لم يخلق السموات والارض الا ليتوصل بالعلم بهما الى العلم به تعالى لان الافعال يتوصل بها الى العلم بالفاعل وماله من الصفات واما علم الباطن وهو العلم بما يحل ويحرم من أفعال

القلوب فانه فى الشرف والرتبة على علم التوحيد ويليه علم الاحكام المتعلقة بالجوارح الظاهرة كالبيع والسلم والاجارة والقراض والمساقاة
والطلاق والخلع والايلاء والجنايات والقسمة والاقارير وغير ذلك والناس قد أعرضوا عن علم القلوب وهو العلم بكيفية اجتناب
الصفات المذمومة من الحسد والرياء والحرص والبخل والغل والحقد والكبر والعجب ومحبة الدنيا والاسف على فواتها ومحبة الرياسة والجاه ومحبة الصور وغير ذلك والعلم بكيفية اتصاف النفس بالصفات المحمودة وهى اليقظة والتوبة والانابة والمحاسبة والرعاية والزهد والورع والتوكل والصبر والمراقبة واليقين وجهاد النفس الى غير ذلك مع ان الامر بهما واحد فى كتاب واحد بل غفلت عنها ولا تعرف شيئا منها وتقبل الى علم البيع والرهن والسلم والنكاح والطلاق فكيف تعلم هذه العلوم التى هى الزبدة الممخوضة من الشريعة التى لم يبعث الله تعالى الانبياء للخلق الا لاجلها وقد عظم الله قدرها وأثنى على أهلها وسماها فى كتابه ضياء ونورا وهدى ورحمة وحكمة وتقبل على ما تكسب به الحرام وتجمع به الحطام فانت كمن ترك الفرائض واشتغل بالنوافل

(فصل) قال سهل بن عبد الله العلم كله دنيا الا ما أريد به الآخرة والعمل هباء الا ما أخلص فيه لله وقال الناس كلهم موتى الا العلماء والعلماء كلهم سكارى الا العاملين والعاملون كلهم مغرورون الا المخلصين والمخلص على وجل حتى يختم له واعلم ان الخطر عظيم فى طلب العلم فمن طلب العلم ليصرف به وجوه الناس اليه ويجالس به الكبراء او يباهى به النظراء أو يستجاب به تعظيم الناس وثناءهم

لسانه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون من هؤلاء فقال من برت يمينه وصدق لسانه واستقام قلبه وعف فرجه وبطنه ثم لينو المتصرف فى معاشه كف نفسه عن المسئلة والاستغناء عن الناس وقطع الطمع فيهم والتشرف اليهم فذلك عبادة اذا نوى نزعه ثم ليجتنب السعى على نفسه وأطعمة عياله فهو له صدقة وعليه الصدق فى القول والنصح فى معاملة اخوانه المسلمين لاجل الدين ويعتقد سلامة الناس منه لصالحهم ورحمتهم ويعمل فى ذلك ويكون أبدا مقدما الدين والتقوى فى كل شئ فان انتظمت دنياه بعد ذلك حمد الله وكان ذلك ربحا ورجحانا وان تكدرت لذلك دنياه وتعذرت لاجل الدين والتقوى أحواله فى أمور الدنيا كان قد أحرز دينه وربحه وحفظ رأس ماله من تقواه وسلم له فهو المعول عليه والحاصل له الان من ربح من الدنيا مثل المال وخسر عشر الدين فما ربحت تجارته ولا هدى سبيله وهو عند الله من الخاسرين وقال بعض السلف أولى الاشياء بالعاقل أحوجه اليه فى العاجل وأحوج شئ اليه فى العاجل أحمده عاقبة فى الآجل وكذلك قال معاذ ابن جبل رضى الله عنه فى وصيته انه لابد لك من نصيبك من الدنيا وأنت الى نصيبك من الآخرة أحوج فابدأ بنصيبك من الآخرة فخذه فانه سيمر على نصيبك من الدنيا فينظمه لك انتظاما ويزول معك حيثما زلت وقد قال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا لا تترك نصيبك فى الدنيا من الدنيا للآخرة لانك من ههنا تكتسب الحسنات فتكون هناك فى مقام المحسنين فى الخطاب مضمر لدليل الكلام عليه فى قوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الارض وقد قال بعض العلماء من دخل السوق ليشترى ويبيع فكان درهمه أحب اليه من درهم أخيه لم ينصح المسلمين فى المعاملة وقال عالم آخر من باع أخاه شيئا بدرهم وهو يصلح له بخمسة دوانيق فانه لم يحب لاخيه ما يحب لنفسه حتى لا يبيع أخاه شيئا بدرهم الا وهو يصلح له اشتراؤه به فينبغى لهذا المتصرف ان يستوى فى قلبه درهمه ودرهم أخيه ورحله ورحل أخيه ليعدل فيما يبيعه أو يشترى منه سواء بسواء ويكون مراعيا الموافقة حكم الله تعالى الذى ورد به الشرع فى الشراء والبيع مراعيا للسبب الذى يصل به الدرهم أن يكون السبب معروفا فى العلم مباحا فى الحكم فيكون متورعا فى عين الدرهم المعتاض لا يكون من خيانة أو سرقة أو فساد أو غصب أو غيلة أو حيلة فهذه وجوه الحرام التى تحرم بها المكاسب المباحة فاذا كان متجنبا لهذه المعانى لم يشهد أحدها بعينه أو لم يعلمه من عدل فكسبه حينئذ من شبهة ولا يكون مع ذلك حلالا لامكان دخول أمر هذه الاسباب فيه ولانه على غير يقين معاينة منه لصحة أصله وأصل أصله لقلة المتقين وذهاب الورعين الا انه شبهة الحلال وفى الخبر ان النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلبن فقال من أين لكم هذا فقيل له من شاة كذا فقال ومن أين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء أمرنا ان لا نأكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا وقال الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن أصل الشئ وأصل أصله ولم يسأل عما وراء ذلك لانه قد يتعذر ولا يوقف على حقيقته ولان أموال التجار والصناع قد اختلطت باموال الاجناد وهم يأخذون ذلك بغير استحقاق فكأنه من أكل المال بالباطل اذ قد أوقفوا نفوسهم وارتبطوا دوابهم فى سبيل الهوى فصاروا يأخذون العطاء بغير حق ولا عمل فيكون ذلك ثم ينتشر ذلك فى أموال التجار والصناع وهم لا يميزون بين ذلك ولا يرغبون عنه لقلة التقوى وعدم الورع فلذلك غلب الحرام لان الحلال انما هو فرع للتقوى والورع اذا كثر المتقون وظهر الورعون كثر الحلال وظهر واذا قلوا فشا الحرام وانتشر فصار الحلال مستهلكا غامضا فى الحرام لغربة الورعين وخفية المتقين وانما كان الحلال فى القرن الاول موجودا لوجود السلف الصالح وكان الناس ورعين وكانوا لا يأخذون

عليه ويتصيد به الحطام فتجارته بائرة وصفقته خاسرة *(فصل)* قال العلماء بالله كل باطن من العلم والحكمة لا ظاهر له في أصول الشريعة فهو باطل وكل ظاهر من الايمان والعمل لا باطن له فهو شر لان الظاهر لا يقوم الا بالباطن وهي موطئات القلب وقالوا ما أكثر طلاب علم الظاهر وما أقل من تطلب تصحيح علم الباطن وما أزكى صلاح أهل الباطن باتباع الظاهر وما أكثر فساد أهل الظاهر بترك معرفة علم الباطن وما أذهب دين أهل الباطن عند مخالفة الظاهر وقال المسيح عليه السلام وما أكثر الاشجار وليس كلها مثمرة وأما كثر الثمار وليس كلها بطيب وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد

(فصل) قيل العالم اما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب الاساطير أو عالم خاصة وهم العلماء بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أرباب العزلة المنفردون عن الخلق وكان يقال مثل أحمد مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها الا واحد بعد واحد قال الامام أبو عبد الله الحرث المحاسبي رحمة الله عليه العلم على ثلاثة أنواع فنوع هو علم الحلال والحرام وهذا علم احكام الدنيا وهو العلم الظاهر ونوع آخر وهو علم احكام الآخرة وهو العلم الباطن ونوع آخر وهو المعرفة بالله وصفاته ونعوته وآياته واحكامه في مخلوقاته وتدبيره المخلوقات فهذا بحر لا يدرك غوره وانما يعلمه العلماء من أهل اليقين بالله تعالى فالنوع الاول هو علم الحلال والحرام وقد تكلم فيه رجال ووسعوا الكلام فيه وولدوا المسائل وفرعوا النظائر وردوها الى الاصول المحكمة في الكتاب والسنة وهو علم جليل شريف محمود

الحرام

ما ليس لهم بحق فكانوا متقين وكانوا يتركون بعض حقهم خشية دخول الشبهة عليهم فمن أجل ذلك كان الحلال كثيرا وقد حكي عن بعض فقهاء العراق أحرف انه قال لا أقبل شهادة شحيح قيل ولم قال الشح يحمله على استيفاء حقه وفي استيفاء حقه أخذه ما ليس له ثم قال حدثني عطاء عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ما استقصى كريم قط وتلا قوله عز وجل عرف بعضه وأعرض عن بعض وفي الخبر كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام وقال الحسن أدركت من مضى يعرض على أحدهم المال الحلال فيقول لا حاجة لي به أخاف أن يفسد على قلبي وقد كانت الائمة عدولا فكانت الجنود معاونين لهم على التقوى يأخذون عطاءهم بحق وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكر الخيل اختصرناه قال والخيل لرجل وزر وهو الذي ربطها فخرا ورياء وسمعة ونواء على الاسلام فما أكلت وشربت في أجوافها حتى أبوالها وأرواثها وآثارها أوزار في ميزانه يوم القيامة وقد قال الله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعني وأشباههم وأعوانهم فقال الثوري رحمه الله يقال يوم القيامة ليقم ولاة السوء وأعوانهم قال فمن لاق لهم دواة أو برى لهم قلما أو خاط لهم لبدا أو أعانهم على أمر فهو معهم وجاء رجل الى ابن المبارك فقال اني خياط وربما خطت شيأ لبعض وكلاء السلطان فماذا ترى أكون من أعوان الظلمة قال لست من أعوان الظلمة بل أنت من الظلمة انما أعوان الظلمة من يبيع منك الابر والخيوط وكان بعض العلماء قد جلس في ديوان بعض الامراء فكتب الامير كتابا فقال ناولني الطين اختم به الكتاب فامتنع فقال ناولني الكتاب الذي كتبته حتى أنظر فيه فلم يناوله وفعل مثل ذلك سفيان الثوري مع المهدي فكان بيد المهدي درج أبيض وقد أدخل عليه الثوري فقال له يا أبا عبد الله اعطني الدواة حتى أكتب فقال أخبرني باي شئ تكتب فان كان حقا أعطيتك والا كنت عونا على الظلم وكان بمكة أمير قد أمر رجلا أن يقوم له على الصناع في عمارة ثغر من الثغور قال فوقع في نفسي من ذلك شئ فسألت سفيان عن ذلك فقال لا تفعلن ولا تكن عونا لهم على قليل ولا كثير فقلت يا أبا عبد الله سور في سبيل الله تعالى للمسلمين فقال نعم ولكن اقل ما يدخل عليك أن تحب بقاءهم ليوفوك أجرتك فتكون قد أحببت من بغض الله عز وجل وقد جاء في الخبر من دعا للظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله عز وجل وفي الحديث ان الله ليغضب اذا مدح الفاسق وفي خبر آخر من أكرم فاسقا فكأنما أعان على هدم الاسلام وليجتنب هذا السوقي البيوع الفاسدة مثل بيع الغرر والخطر والمجهول ومثل بيعتين في بيعة أحدهما مصارفة أو مشارطة ولا يبيع ما ليس عنده ولا ما اشتراه حتى يقبضه ولا يبيع الدين بالدين ولا يتبايعان الثمار حتى يبدو صلاحها ويؤمن عليها العاهة ومن النخيل حتى تحمر أو تصفر ومن العنب حتى يلين أو يسود ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن النجش وهو أن يعطي بسلعة شيأ وهو لا يريد أن يشتريها بشئ ليغر غيره بها ولا يبتاع شيأ من ذهب وخرز مثل القلادة ونحوها حتى يفصل كل واحد على حدته كذلك السنة ولا يتبايعان ما لم يظهر من الحيوان والثمار ويجتنب القبالات مسانهة الاشهر ابشهر أو سنة فقد كره ذلك وليتوق كل بيع وشراء أخبر العلم ببطلانه من دخول ربا فيه أو خروج من حكم العلم به فان ذلك كله منقصة للدين مخبثة للكسب فان أشكل عليه شئ من هذه الامور لخفائها سال أهل العلم والفتيا فيأخذ عنهم على مذهب الورعين ورأى المتقين وليحتط لدينه ولينظر لنفسه ولا يغمض في أمر آخرته فذلك خير له وأحسن توفيقا وليجتنب الصنائع المحدثة من غير المعروفة والمعايش المبتدعة في زماننا هذا فان ذلك بدعة ومكروه اذا لم يكن فيما مضى من السلف وكلما كان سببا للمعصية من آلة واداة فهو معصية فلا يصنعه ولا يبيعه فانه من المعاونة على الاثم والعدوان وكلما أخذ من المال على عمل بدعة أو منكر فهو بدعة ومنكر وكل معين لمبتدع او عاص فهو شريكه في بدعته ومعصيته وأخذ المال على جميع ذلك من أكل المال بالباطل ومن أكل

الحرام فقد قتل نفسه وقتل أخاه لانه أطعمه اياه قال الله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقال تعالى ولا تقتلوا أنفسكم وليس هذا من سبيل المؤمنين وقد قال الله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم ولا ينبغى للسوقى أن يشغله معاش الدنيا عن الآخرة ولا تقطعه تجارة الدنيا عن تجارة الآخرة ولا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الآخرة لانه من الموقنين وبيوت الله عز وجل فى الارض هى أسواق للآخرة قال الله عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وقال الله عز وجل فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال فليجعل العبد طرفى النهار لخدمة سيده يذكره ويسبحه فى بيته بحسن معاملته وقد كان عمر رضى الله عنه يأمر التجار فيقول اجعلوا أول نهاركم لله عز وجل وماسوى ذلك لنفوسكم وفى أخبار السلف كانوا يجعلون أول النهار للآخرة وآخره للدنيا اسم ويقال ان الهريسة والرؤس لم يكن يبيعها فى الشتاء الا الصبيان وأهل الذمة لان الهراسين والرآسين يكونون فى المساجد الى طلوع الشمس ويقال انهم كانوا يجتمعون فى المساجد بعد العصر للذكر والتسبيح حتى يدخل الرجل فيقول أصليتم العصر يظن انهم قعود للصلاة وانما كانوا يقعدون للتسبيح الى غروب الشمس وهذا طريق قد درس فمن عمل به فقد كشطه وقال بعض العارفين الناس ثلاثة رجل شغله معاده عن معاشه فتلك درجة الفائزين ورجل شغله معاشه لمعاده فتلك درجة الناجين ورجل شغله معاشه عن معاده فهو حال الهالكين وقال عالم فوقه من أحب الله عاش ومن أحب الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح فى لاش وكان ابن عمر رضى الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم انى أعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما أحاطت به السوق اللهم انى أعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة ولذكر الله عز وجل فى السوق ما لا يجد فى سواه فليعتمد ذكر الله تعالى فى ساعات الغفلة وحين تزاحم الناس فى البيع والشراء وكان الحسن يقول ذاكر الله فى السوق يجىء يوم القيامة وله ضوء كضوء القمر وبرهان كبرهان الشمس ومن استغفر الله فى السوق غفر له بعدد أهله وفى الخبر العام ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل عن الفارين وكالحى بين الاموات وفى الخبر الخاص من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألفى ألف حسنة وكان ابن عمر ومحمد بن واسع رضى الله عنهم يدخلان السوق قاصدين بذكر الله عز وجل طلبا للفضيلة فان دخلت سوقا أو كنت فيه فلا يفوتنك التهليل والذكر فهو عمل وقتك ولا تقعدن فى السوق لغير ذكر الله أو غير معاش فقد كره ذلك واذا سمعت التأذين للصلاة فلتأخذ فى أمر الصلاة ولا تؤخرها عن الجماعة والا كان فاسقا عند بعض العلماء الا أن يكون فى الوقت سعة أو يكون ناويا للصلاة فى جماعة أخرى فى مسجد آخر فادراكه لتكبيرة الاحرام فى الجماعة أحب اليه من جميع ما يربح من الدنيا الى أن يموت وفوتها أشد عليه من جميع ما يخسر من الدنيا هذا ان عقل وأبصر تبين له ذلك وقد كان السلف من أهل الاسواق اذا سمعوا الاذان ابتدروا المساجد يركعون الى وقت الاقامة وكانت الاسواق تخلو من التجار وكان فى أوقات الصلاة معايش للصبيان وأهل الذمة وكانوا يستأجرونهم التجار بالقراريط والدوانيق يحفظون الحوانيت الى أوان انصرافهم من المساجد وهذه سنة قد عفت من عمل بها فقد نعشها وجاء فى تفسير قوله عز وجل رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة قيل كانوا حدادين وخرازين وكان أحدهم اذا رفع المطرقة أو غرز الاشفا فسمع الاذان لم يخرج الاشفا من الغرزة ولم يرفع المطرقة ورمى بها وقاموا الى الصلاة وروينا عن وهب قال قال مالك رضى الله عنه فى رجل باع بعد النداء يوم الجمعة يفسخ ذلك البيع قيل عامل ترك القيام اليها وهو حر قال يستغفر ربه وقال ربيعة ظلم وأساء

لا يستغنى عنه أحد و بعضه فرض كفاية والمتكلم فى هذا غالب كلامه فى خصومات الناس ومجاذباتهم لان الله تعالى أسس الدنيا على العدل والتناصف لان يكون التزود منها الى دار البقاء لان الخلق منقولون من الاصلاب الى الارحام ومن الارحام الى هذه الدار ثم هم فيها مجتازون مسافرون الى مقام العرض على الله فما كان بينهم من التجاذب والمخاصمات فان ذلك لتنازل شهواتهم وركونهم الى أهوائهم فتكلم العلماء فى احكام الله تعالى فى أفعال الخلق وتصرفاتهم فى الاشياء فبينوا وحققوا ونصحوا وأخلصوا وبذلوا فى ذلك وسعهم وطاقتهم فطوبى لهم وحسن مآب وأما احكام الآخرة فهى العبادة الباطنة ومتعلقها أعمال الباطن وهو القلب وأعمال الباطن تنقسم الى ما هو مطلوب الفعل والى ما هو مطلوب الترك أما هو مطلوب الفعل فمنه الورع والزهد والتقوى والصبر والرضا والقناعة والتوكل والتفويض واليقين والحلم وسلامة الصدر وحسن الخلق والصدق والاخلاص الى غير ذلك وأما ما هو مطلوب الترك فمنه خوف الفقر وسخط المقدور والغل والحسد والحقد والغش وطلب العلو للمنزلة والكبر والعجب والغضب وحب المحمدة وحب الرياسة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والشح والرغبة والاشر والبطر وتعظيم الاغنياء والاستهانة بالمساكين واتخاذ اخوان العلانية على عداوتهم فى السر والفخر والخيلاء والرياء والاعراض عن الحق استكبارا وكثرة الكلام وكثرة الصلف والتزين للخلق والمداهنة وحب المدح بما لا يفعل والاشتغال عن عيوب نفسه بعيوب

وقال مالك يحرم البيع حتى يخرج الامام يوم الجمعة واجتنب الصانع عمل الزخرف من الاشياء وما يكون فيه لهوو زينة من التصاوير والنقوش وتخريم العاج ودقائق النقوش من العاج وتشييد الجص والتزويق بالاصباغ المشتهاة فان عمل ذلك مكروه وأخذ الاجرة عليه شبهة وقد كان بعض السلف يقول تخيروا لاولادكم الصنائع وروى عن حذيفة ان الله عز وجل خالق كل صانع وصنعته وقد كانوا يكرهون بيع الطعام و بيع الدقيق وقد روى فى كراهة بيعها حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الخبر ان الله عز وجل يحب العبد الحاذق فى صنعته وفى خبر آخر ان الله عز وجل اذا عمل عبده عملا أحب أن يحكمه وفى لفظ آخر أن يتقنه وأوصى بعض العارفين رجلا فقال لا تسلم ولدك فى بيعتين ولا فى صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانما يتمنى الغلاء و يتمنى موت الناس والصنعتان أن يكون جزارا فانها صنعة تقسى القلب أو صواغا فانه يزخرف الدنيا بالفضة والذهب وروى عثمان الشحام عن ابن سيرين انه كره الدلالة وسعيد عن قتادة انه كره أجر الدلال وكانت العرب تقول بع الحيوان واشتر الموتان كانهم كرهوا ورد الثمن فى الحيوان لما يخافون من تلفه واستحبوا شراء الموات وهو ما لا روح فيه وقد كانوا يستحبون التجارة فى البز قال ابن المسيب ما من تجارة أحب الى من البز ان لم يكن فيه ايمان وقد روى خبرا آخر لو اتجر أهل الجنة لاتجروا فى البز ولو اتجر أهل النار لاتجروا فى الصرف وقد كره الحسن وابن سيرين رضى الله عنهما التجارة فى الصرف وسئل الحسن عن الصيرفى فقال الفاسق لا تستظلن بظله ولا تصلين خلفه والبستانى والجمال والملاح وصاحب الحمام والحشاش والمزين وقد كانت هذه الصنائع العشر أعمال الاخيار والابرار الخرز والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل وصيد البر والبحر والوراقة وحدثونا عن عبد الوهاب الوراق قال قال لى أحمد بن حنبل ما صنعتك فقلت وراق فقال كسبك طيب وصنعتك طيبة ولو كنت صانعا شيأ بيدى لصنعت صنعتك وقال لى لا تكتب الامواصفة واستبق الحواشى وظهور الاجزاء وكان مالك بن دينار وراقا وكان السلف يستطيبون كسبه ويفضلونه وكل عمل يتقرب به الى الله عز وجل و يكون من أعمال الآخرة ومن البر المعروف فاخذ الاجر مكروه عليه مثل تعليم القرآن وتعليم العلم أو مجالس الذكر والصلاة بالناس فى رمضان وغسل الموتى وما كان فى هذا المعنى لان هذه تجارات الآخرة فلا تأخذ أجرها الا من الآخرة ومن أخذها من الدنيا فقد خسر خسرانا مبينا اذا ربح المحتسبون فيها وأخذوا أجورهم التى صبروا عليها فى دار الدنيا وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى العاص واتخذ مؤذنا لا تأخذ على الاذان أجرا وقال فى حديث أبى عبادة وقد أهدى اليه قوس وكان قد علم رجلا سورة من القرآن أتحب أن يقوسك الله قوسا من نار فردها ويجتنب التاجر الاحتكار لما يؤكل و يقتات من القطينة وغيرها وأشد ذلك الحنطة التى هى قوت الكافة فقد روى فى كراهة الاحتكار والتشديد فيه أخبار كثيرة روى حذيفة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتكر طعام المسلمين فليس منا وفى خبر آخر من احتكر الطعام أربعين يوما ثم تصدق به لم تكن صدقة بل كفارة لاحتكاره وقيل من احتكر أربعين يوما فكانما قتل نفسا وفى خبر آخر ألقاه الله عز وجل فى معظم جهنم وعن على رضى الله عنه من احتكر الطعام أربعين يوما قسا قلبه وعنه أنه أحرق طعاما محتكرا بالنار و روى عنه فى فضل الاحتكار من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفى لفظ آخر فكانما اعتق رقبة ومن العلماء من كان يجعل الاحتكار فى كل ما كول من الحبوب والادام مثل العدس والباقلا والسمن والعسل والشيرج والجبن والتمر والزيت و يكره احتكار جميع ذلك وروى نحو هذا عن ابن عباس فى قوله عز وجل ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم قيل الاحتكار من الظلم وحدثونا عن بعض السلف انه كان

الناس واقفار القلب من الحزن وخروج الخشية منه والانتصار للنفس اذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق والانقياد للهوى والمكر والخيانة والمخادعة والحرص وطول الامل والتجبر وعزة النفس والقسوة والغفلة عن الله تعالى وسوء الخلق والفرح بالدنيا والاسف على فواتها والانس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والطيش وقلة الحياء وقلة الرحمة الى غير ذلك من رذائل النفس وعيوبها فالعلم المتعلق بما يحل و يحرم من أفعال القلوب هو علم الباطن وقد تصدى لذلك رجال وقاموا به علما وعملا فاخلصوا فيه لله فظهرت عليهم مواريث الصدق وتفجرت ينابيع الحكم من قلوبهم فنطقوا بالحكم وتكلموا بالغرائب وجدوا فى ارشاد الناس ونصحهم واجتهدوا فى هداية الخلق واقتفوا فى ذلك آثار الانبياء والمرسلين أولئك يؤتون أجرهم مرتين وهذا العلم لا يستغنى عنه أحد وعلمه والعمل به فرض على كل أحد حر وعبد ذكر وأنثى عالم وجاهل وكما ان تعلم احكام العبادات من علم احكام الظاهر فرض فكذلك تعلم علم احكام القلوب أيضا فرض عين على سائر المكلفين وأما النوع الثالث فتكلم فيه رجال على الطريقة المحمودة وهم أهل السنة وتكلم فيه آخرون على الطريقة المذمومة وهم كل المبتدعة فاهل السنة أيدهم الله بتنوير البصيرة ونقاء السريرة فادركوا فيه الغاية ووصلوا الى النهاية ودعوا به الى توحيد الله تعالى وحملوا الناس بجمعهم على العقيدة الصحيحة ودلوا به على الله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم أولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون بواسطة

(فصل) اعلم ان العارفين فى المعرفة على قسمين قسم حصلت

اهم المعرفة بطريق المعرفة وقسم حصلت لهم المعرفة بطريق التعريف ومعرفة التعريف عند أرباب الكشف أعلى وأكمل وأوثق عن معرفة التعرف وكذا عند النظار أيضا لان أولى البراهين باعطاء اليقين هو الاستدلال بالصانع على الصنعة وأما معرفة التعريف وهو الاستدلال بالصنعة على الصانع فقد لا يفيد اليقين وذلك اذا كان هي المعول عليه ولم يعرف بها بخلاف معرفة التعرف وهو الاستدلال بالصانع على الصنعة فان ذلك يفيد اليقين لانه يكون بالنظر فى الوجود وانقسامه الى واجب وممكن والاستدلال به على اثبات الصانع بالنظر فيما يلزم الوجوب والامكان على صفاته ثم بصفاته على كيفية صدور الافعال عنه وقد وقعت الاشارة الى هذين الطريقين بقوله تعالى سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق فان هذه اشارة الى الاستدلال بالمصنوع على الصانع وهى طريقة التعريف ثم أشار الى طريقة التعرف بقوله تعالى أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد يعنى أولم يكف فى المعرفة بربك انه اله الكائنات كونه شهيدا أى كونه دليلا على ان كل الاشياء صنعه وخلقه فصاحب طريقة التعرف يقول ما عرفت الاشياء الا وعرفت الله قبله أو معه وصاحب طريقة التعريف يقول ما عرفت شيأ الا وعرفت الله بعده وهذه هى طريقة العامة والاولى طريقة الخاصة وخاصة الخاصة قال العطوى رحمة الله عليه تعرف الله الى العامة بمصنوعاته فقال تعالى أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت الآيات والى الخاصة بكلامه وصفاته فقال أفلا يتدبرون القرآن وقال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة

بواسط فجهز سفينة حنطة الى البصرة وكتب الى وكيله مع هذا الطعام فى يوم تدخل البصرة فلا تؤخره الى غد قال فوافق السعر فيه سعة قال له التجار ان أخرته جمعة ربحت فيه اضعافا فأخره جمعة فربح فيه أمثاله وكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام يا هذا انا كنا قنعنا ان نربح الثلث مع سلامة ديننا وانك قد خالفت أمرنا وقد جنيت علينا جناية فاذا أتاك كتابى فخذ المال كله فتصدق به على فقراء أهل البصرة وليتنى أنجو من الاحتكار كفافا لا على ولا لى وحدث شيخنا عابد الشط مظفر بن سهل قال سمعت غيلان الخياط يقول اشترى سرى السقطى كر لوز بستين دينارا وكتب فى روزنامجه ثلاثة دنانير ربحه فصار اللوز بتسعين دينارا فأتاه الدلال فقال له ان ذلك اللوز أريده فقال خذه فقال بكم قال بثلاثة وستين دينارا قال له الدلال ان اللوز قد صار الكر بتسعين دينارا قال له السرى قد عقدت بينى وبين الله عقدا لا أحله لست أبيعه الا بثلاث وستين دينارا قال له الدلال وأنا قد عقدت بينى وبين الله عقدا لا أحله ان لا أغش مسلما لست آخذ منك الا بتسعين دينارا قال فلا الدلال اشترى منه ولا سرى باعه وحدثونا عن رجل من التابعين كان بالبصرة له غلام بالسوس يجهز اليه السكر فكتب اليه الغلام ان قصب السكر قد أصابته آفة فى هذه السنة فاشتر السكر قال فاشترى سكرا كثيرا فلما جاء وقته ربح فيه ثلاثين ألفا قال فانصرف به الى منزله فافكر ليلته فى الربح فقال ربحت ثلاثين ألفا وخسرت نصح رجل من المسلمين فلما أصبح غدا الى الرجل الذى كان اشترى منه السكر فدفع اليه الثلاثين ألفا فقال هذه لك بارك الله لك فيها قال ومن اين صارت قال لما اشتريته منك السكر لم آت الامر من وجهه ان غلامى قد كان كتب الى ان قصب السكر أصابته آفة فلم أعلمك ذلك ولعلك لو علمت لم تكن تبيعنى فقال رحمك الله قد أعلمتنى الآن وقد طيبتها لك قال فرجع الى منزله فبات تلك الليلة ساهرا وجعل يتفكر فى ذلك ويقول لم آت الامر من وجهه ولم أنصح مسلما فى بيعه لعله استحيامنى فتركها لى فبكر اليه من الغد فقال عافاك الله خذ مالك فهو أصلح لقلبى قال فدفع اليه ثلاثين ألفا وقال سليمان التيمى لقد ترك محمد بن سيرين أربعين ألف درهم من شئ حاك فى صدره لم تختلف العلماء ان ليس به بأس * ويقال ان هذا كان سبب غلبة الدين عليه ثم ليتق البائع مدح السلعة وتنفيقها من زخرف الكلام وليحذر المشترى ذمها وعيبها بما ليس فيها للخداع وأما الايمان على ذلك فهو معصية ومحقة للكسب وقد كان السلف يشددون فى ذلك قال أبو ذر كنا نتحدث ان من نفر لا ينظر الله اليهم التاجر الفاجر وكنا نعد من الفجور ان يمدح السلعة بما ليس فيها قال يونس بن عبيد وكان خزازا فجاء رجل يطلب ثوب خز فأمر غلامه ان يخرج رزمة الخز فلما فتحها قال الغلام أسأل الله الجنة فقال شد الرزمة ولم يبع منها شيأ خشية أن يكون قد مدح ويقال انه كانت عنده حلل على ضربين اثمان ضرب منها أربعمائة كل حلة واثمان الآخر مائتان فذهب الى الصلاة وخلف ابن أخيه ليبيع فجاءه أعرابى يطلب حلة بأربعمائة فعرض عليه من حلل المائتين فاستحسنها ورضيها فاشتراها منه ومشى بها وهى على يده ينظر اليها فاجتاز بباب السوق فاستقبله يونس بن عبيد فاجتاز بباب المسجد فعرف حلته فقال بكم أخذت هذه الحلة فقال بأربعمائة فقال لا تسوى انما قيمتها مائتان فقال يا ذا الرجل ان هذه تساوى ببلادنا خمسمائة درهم فقال له يونس ان النصح فى الدين خير من الدنيا كلها ثم أخذ بيده فرده الى ابن أخيه فجعل يخاصمه ويقول أما اتقيت الله أما استحييت ان تربح مثل الثمن وتترك النصح لعامة المسلمين فقال والله ما أخذه الا عن تراض فقال وان رضى الا رضيت له ما رضيت لنفسك ثم رد على الاعرابى مائتى درهم وقد فعل مثل ذلك محمد بن المنكدر وكانت عنده شقاق جنابية وبصرية اثمان بعضها خمسة خمسة واثمان بعضها عشرة عشرة فخلفه غلامه فى الحانوت فغلط فباع أعرابيا شقة من الخمسات بعشرة فجاء ابن المنكدر فتفقد الشقاق فعرف غلطه فقال ويلك أهلكتنا اذهب فاطلب

للمؤمنين وقال تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وتعرف الى الانبياء بنفسه فقال تعالى وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا وقال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل وهذا الذى ذكره ابن عطاء هو اشارة الى التجليات الثلاثة تجلى الافعال وتجلى الصفات وتجلى الذات وهى راجعة الى الطريقين طريقة التعريف وطريقة التعرف فان تجلى الافعال رؤية الصنع ثم رؤية الصانع وتجلى الصفات والذات رؤية الصانع باعتبار صفاته وذاته قبل رؤية الصنع وأما الاشارة الى الذات بقوله ألم تر الى ربك كيف مد الظل فواضحة

(فصل) التوحيد الذى يثبت بالحقائق لا بالشواهد والاسباب هو توحيد الخاصة وهو اسقاط الاسباب الظاهرة والتعلق بالشواهد العقلية وهو ان لا يشهد فى التوحيد دليلا ولا فى التوكل سببا ولا فى النجاة وسيلة

(فصل) اعلم ان الحقيقة هى علوم الوراثة التى هى نتاج الاعمال الصالحة فان أهل هذا العلم أخذوا حظا من علم الدراسة عملوا به فافادهم ذلك العمل علم الوراثة المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم ومن عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وعلم الوراثة هو علم الفقه فى الدين وهو الحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا وأهله هم الحكماء قبل للحسن البصرى هكذا قال الفقهاء قال وهل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد فى الدنيا فاهل علم الحقيقة هم أهل علم الوراثة وهم القائمون بفرض الدعاء الى الله تعالى والدلالة عليه قال سهل بن عبد الله أدركت بالبصرة أربعة آلاف يتكلمون فى المعرفة وكان بعبادان

الاعرابى فى الاسواق فلم يزل يطلبه يومه اجمع حتى وجده فقال له ابن المنكدر يا هذا ان الغلام غلط فباعك ما يسوى خمسة بعشرة فقال يا هذا قد رضيت فقال وان رضيت لنفسك فانا لا نرضى لك الا ما نرضاه لانفسنا فاختر احدى ثلاث خصال اما أن تأخذ شقة من العشرات بدراهمك واما أن نرد عليك خمسة واما أن ترد علينا شقتنا وتأخذ دراهمك فقال اعطنى خمسة قال فاعطاه من دراهمه خمسة فانصرف الاعرابى فجعل يسأل عنه فيقول من هذا الشيخ فقيل هذا محمد بن المنكدر فقال لا اله الا الله هذا الذى نستسقى به فى البوادى اذا قحطنا * وقد سئل بعض العلماء عن الورع فى المبايعة فقال لا يصح الورع فى البيع الا بحقيقة النصح قال وكيف ذلك قال اذا بعت شيأ بدرهم نظرت فان صلح لك ان تشتريه بدرهم فقد نصحته فى البيع وان كان يصلح لك بخمسة دوانيق وقد بعته بدرهم فانك ان لم ترض له ما ترضى لنفسك فقد ذهب النصح قال فاذا عدم النصح ذهب الورع * ويقال ان البائع يوقف يوم القيامة مع كل رجل كان باعه شيأ وقفة ويحاسب عن كل واحد محاسبة حتى عدد من عامله ومن اشترى منه فى الدنيا وذكر بعضهم قال رأيت بعض التجار فى النوم فقلت ما فعل الله بك فقال نشر على خمسين ألف صحيفة فقلت هذه كلها ذنوب فقال هذه معاملات الناس عدد ما كنت عاملته فى الدنيا لكل انسان صحيفة مفردة فيما بينك وبينه من أول معاملته الى آخرها فان كان البائع ذا ميزان فليرجح فى الوزن اذا باع وأعطاه ولينقص نفسه اذا أخذ سيما اذا كان ذا ميزانين كان الامر عليه أشد * وكان بعضهم يقول لا اشترى الويل من الله بحبة فكان اذا أخذ نقص نفسه حبة واذا أعطى زاد غيره حبة لقوله عز وجل ويل للمطففين يعنى الذين رضوا بالتطفيف بالحبة والحبتين فباعوا بذلك جنة عرضها السموات والارض لجهلهم بامر الله تعالى وقلة يقينهم بالآخرة اذا اشتروا الويل بطوبى ويقال ان هذه المظالم لا ترد أبدا ولا تصح التوبة منها لتعذر معرفة أصحابها * وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه اشترى شيأ فلما وزن ثمنه قال للوزان زن وأرجح ونظر الفضيل بن عياض رحمه الله الى ابنه على وهو يغسل كحلا من دينار أراد أن يصرفه فجعل ينقيه ويغسله من كحله فقال له يا بنى فعالك هذا أفضل من عشرين حجة وقال بعض أهل السلف عجبا للتاجر والبائع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل وقال سليمان عليه السلام كما تدخل الحبة بين الحجرين كذلك تدخل الخطيئة بين المتبايعين * وحدثت ان بعض السلف صلى على مخنث قد كان يجمع بين النساء والرجال وغير ذلك فقيل له انه قد كان فاسقا وكان كذا وكذا فسكت فاعاد عليه القائل فسكت قال فيه كأنك قلت لى كان صاحب ميزانين يأخذ باحدهما ويعطى بالاخرى هذا على التغليظ والوعظ أرادان التطفيف مظالم بين الخلق وان الفسق ظلم العبد لنفسه وبين مظالم العباد وظلم العبد لنفسه بون كبير من قبل ان الخلق فقراء جهلة لا ينام فيستوفون حقوقهم لحاجتهم اليها والله عز وجل عالم كريم غنى فيسمح بحقه ولا ينبغى للمشترى ان يسأل البائع الرجحان لان الله عز وجل قال وأقيموا الوزن بالقسط أى بالعدل وهو السواء وهو استواء اللسان فى البكرة لا مائلا الى احدى الكفتين وفى قراءة عبد الله ولا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط باللسان ولا تخسروا الميزان فهذا مفسر فى هذا الحرف ومكروه المعاملة بالمزيفة ولا يصلح بدرهم تكون الفضة فيه مجهولة أو مستهلكة ولا بما لا تعرف قيمته وما يختلط بالفضة من غيرها فلا تميز منه فقد كان بعض السلف يشدد فى ذلك ويحرمه منهم الثورى والفضيل بن عياض ووهب بن الورد وابن المبارك وبشر بن الحرث والمعافى بن عمران رضى الله عنهم ويقال ان كل قطعة من المزيفة ينفقها صاحبها بعد ها ملصقة فى صحيفته بعينها ووزنها مكتوب تحتها ألف سيئة خمسة آلاف سيئة على قدر وزنها او وزن ذرة منها سيئة والذرة قطعة من هباء شعاع الشمس فى الضوء * حدثنى بعض العلماء عن بعض الغزاة فى سبيل الله عز وجل قال حملت على فرسى لا تناول بعض العلوج فقصر فرسى

فرجعت

فرجعت ثم دنا مني العلج فحملت عليه ثانية لا تناوله فقصر فرسي وجالت عليه ثالثة وقد قرب مني فنفر بي فرسي ولم أكن اعتدت ذلك منه فرجعت حزينا فجلست الى جنب فسطاطي منكرا للذي فاتني من أخذ العلج ولما اختلف علي من خلق فرسي قال فوضعت رأسي على عمود الفسطاط فنمت وفرسي قائم بين يدي فرأيت في النوم كان الفرس يخاطبني ويقول لي بالله عليك أردت ان تأخذ علي العلج ثلاث مرات وأنت بالامس اشتريت لي علفا ودفعت في ثمنه درهما زائفا لا يكون هذا أبدا قال فانتبهت فزعا فذهبت الى العلاف فقلت له أخرج الى الدراهم التي اشتريت بها منك بالامس العلف قال فاخرجها الي فأخذت منها الدرهم الزائف فقلت اني كنت قد جوزت عليك هذا الدرهم بالامس قال فابدلته له وانصرفت وقال عبد الوهاب سألت بشرا عن المعاملة بالمزيفة فقال سألت المعافي عنها فقال سألت الثوري عنها فقال حرام * وحدثنا عن أبي داود قال سمعت أحمد أنكر التجارة والمعاملة بالمزيفة والمكحلة وقد كان بعض علمائنا يقول انفاق درهم مزيف أشد من سرقة مائة درهم قال لان سرقة مائة درهم معصية واحدة منقضية وانفاق دانق مزيف بدعة أحدثها في الدين واظهار سنة سيئة يعمل بها بعده وافساد لمال المسلمين فيكون عليه وزره الى مائة سنة فاكثر ما بقي ذلك الدرهم يدور في أيدي المسلمين ويكون عليه اثم ما أفسد ونقص من أموال المسلمين الى آخر فنائه وانقراضه فطوبى لمن اذا مات ماتت ذنوبه معه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه بعده مائة سنة ومائتي سنة يعذب بها في قبره ويسئل عنها الى آخر انقراضها قال الله عز وجل ونكتب ما قدموا وآثارهم ما قدموا ما عملوا وآثارهم ما سنوه بعدهم فعمل به وقال في وصفه ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر قيل بما قدم من عمل وما أخر من سنة عمل بها بعده وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيأ وانفاق الدرهم الردىء على من يعرف النقد أشد واغلظ وهو على من لا يعرف أسهل فيكون به أعذر لان هذا لا يتعمد الغش والآخر يتعمده ويقصده فانما كان المسلمون يتعلمون جودة النقد لاجل اخوانهم المسلمين لئلا يغشوهم بالرديء والا فان تعلم النقد بلاء واثم على صاحبه لانه علم علما ولم يعمل به فهو يسئل عن علمه ومن ردت عليه قطعة فلينفقها ولا يجوزها على بيع آخر ويحتسب بذلك الثواب من الله عز وجل فله بذلك من الاجر بوزن كل ذرة منها حسنة وله في طرحها أعمال كثيرة من الصوم والصلاة فان كان في القطعة تجوز نقد ينصرف مثلها فاراد ان يشتري بها شيأ فليعلم البائع الثاني انها قد ردت عليه فان أخذها على بصيرة وعن سماحة فلا باس فان لم يعلمه فانه لم ينصحه وربما كان على غير بصيرة بالنقد فقد روي عن عمر رضي الله عنه من زافت عليه دراهمه فليضعها في كفه ولينادي عليها في السوق من يبيعها بحق ثوب بدرهم زائف وهذا اذا كانت زائفة على وجهها كالصفر والرصاص كان لها قيمة مثلها وفي قول ابن عمر رضي الله عنه لنافع لو حفظت عني كما حفظ عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم لكان أحب الي من أن يكون لي درهم زائف قيل له أفلا جعلته جيدا قال كذلك كان في نفسي ورويناعن النخعي اذا كان في الدرهم شيء من الفضة وان قل فلا باس به وحدثت عن أبي داود قال سألت اسحق بن راهويه رحمه الله عن انفاق المزيفة قال فلا بأس به ففيه ترخيص بالانفاق بالزائف اذا عرف ومن سمح في النقد ويجوز في أخذ الرديء طلبا للاجر فيما يحتسب ثم اذا أخرج ذلك على المسلمين وجوزه عليهم بعد ذلك فقد أثم في سماحته وتشديده حينئذ ونقصه في أخذ الجيد أفضل وهذا من دقائق الاعمال وباطن الشر في ظاهر الخير الا انهم الآن يأخذ الرديء ثم يلقيه ولا يخرجه الى أحد فان فعل هذا كان فاضلا محتسبا محسنا في سماحته وله باحتسابه ذلك مثوبة وأجر فينبغي للتاجر أن يكثر من الصدقة ليكون فيها كفارة خطاياه وايمانه وكذبه فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم التاجر بالصدقة لذلك فينبغي للتاجر

الكبار المبرزون في علوم المعارف والحقيقة منهم أبو حبيب العباداني وكان سهل قد صحبه في أول أمره وأخذ عنه قال سهل العلماء تفكروا فاعتبروا والعارفون نظروا وانفهموا والعباد عادوا أنفسهم في الله فجعلهم أولياءه والعلماء أسكنتهم خشية الله والعارفون انصرفوا عن كل شيء سوى الله والعباد عبدوا الله على الرغبة والرهبة والعارفون عبدوه على الشوق والمحبة والعلماء عبدوه على الذلة والمسكنة والعباد عرفوا أنفسهم العلل فخافوه والعارفون عرفوا الله بالنعم فاحبوه والعلماء علموا انه لابد لهم منه فواصلوه وقال سهل خرج العلماء والزهاد والعباد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين

(فصل) وبالمعرفة تحيا القلوب الميتة وتلين القلوب القاسية وقد أحيا الله تعالى بالمعارف كثيرا من القلوب الميتة وأصلح فسادها كما أحيا فضيل بن عياض بعد ان كان يقطع الطريق وعتبة الغلام بعد ان كان مع الدعار وأبو بكر الشبلي بعد ان كان حاجبا للخليفة الموفق بالله وابراهيم بن أدهم بعد ان كان من الملوك الجبابرة قال الله تعالى أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس وأمات كثيرا من القلوب الحية بالايمان بشؤم المعصية وسلبها العلم والمعرفة كما أمات قلب بلعام وبرصيصا وعبد الله بن سعد بن أبي سرح وثعلبة بخله وخلف موعده وصرفهم الى الكفر والنفاق فقال تعالى فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه

والصانع ان يكونا مستعملين لهذه الخصال فانها جامعة له تشتمل على جل أعمال البر فليأخذوا أنفسهم بها فانها من أخلاق المؤمنين وطرائق المتقدمين وقد ندبوا الى جميعها منها ان يسمح اذا باع ويسمح اذا اشترى ويحسن اذا قضى ويحسن اذا اقتضى ولا يمش الرجل بدين غريمه اليه ولا يحوجه الى اقتضائه فيشق عليه وليصبر صاحب الدين على أخيه ويحسن تقاضيه ويحسن له النظرة ويؤخر حقه الى ميسرته وليغتنم دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك فيتنافسوا في مدحه لمن فعل ذلك فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اسمح يسمح لك وقال خير الناس أحسنهم قضاء وقال خذ حقك في عفاف وافيا كان أو غير واف يحاسبك الله حسابا يسيرا وقال رحم الله عبدا سمح البيع سمح الشراء حسن القضاء حسن الاقتضاء وقال من مشى الى غريمه بحقه أظلته الملائكة وقال من أنظر معسرا أو ترك له حاسبه الله حسابا يسيرا وفي خبر آخر أظله الله في ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر عليه السلام رجلا كان مسرفا على نفسه حوسب فلم يجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا أداين الناس وأقول لغلماني سامحوا الموسر وأنظروا المعسر وفي لفظ آخر وتجاوزوا عن المعسر قال الله عز وجل نحن أحق بذلك منك فغفر له وفي خبر آخر من أقرض دينا الى أجل فله بكل يوم صدقة الى أجله فاذا حل الاجل فانظره بعده فله بكل يوم مثل ذلك الدين صدقة وفي حديث من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يدانون وهم واجدون لاجل هذا الخبر وكان جماعة لا يحبون ان يقضيهم غرماؤهم دينهم لاجل ذلك الخبر الاول اذ له بكل يوم تأخر قضاء صدقة وفي الحديث رأيت على باب الجنة مكتوبا الصدقة بعشر أمثالها والقرض بثمانية عشر قيل معناه لان الصدقة تقع في يد محتاج وغيره والقرض لا يقع الا في يد محتاج مضطر اليه ونظر النبي صلى الله عليه وسلم الى رجل يلازم رجلا بدين عليه فأومأ الى صاحب الدين بيده ضع الشطر ففعل فقال للمديون قم فاعط وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ادان دينا الى أجل فجاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يتفق عند النبي صلى الله عليه وسلم فجعل الرجل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ويشدد عليه في الكلام فهم به أصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واستحب ان تكون أكثر معاونة الانسان بين البائعين مع المشتري منهم واستحب أيضا ان يكون عونه بين المتداينين مع الذي له الدين الا ان يعتدي من له الدين أو يعتدي المشتري فيكون حينئذ على المشتري وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم المستبان بالسيئة ربا والمستبان ما قالا فعلى المعتدي منهما ما لم يعتد المظلوم ويسير المغابنة في التجارات جائز فان موضوع التجارة على الغبن اذا كان عن تراض فاذا تفاوتت القيمة وعلم الغبن فمكروه وقد يروى في حديث ان غبن المسترسل حرام وفي حديث فيه مقال المغبون لا محمود ولا مأجور هذا والله أعلم اذا تغابن وهو يعلم فيخسر نفسه حقه ويحمل غيره على ظلمه وكان اياس بن معاوية قاضي البصرة من علماء الزمان ومن عقلاء التابعين وكانت لابيه صحبة كان يقول لست بخب والخب لا يغبني يعني محمد بن سيرين ولكن يغبن الحسن ومعاوية بن قرة وكان الزبير بن عدي يقول أدركت ثمانية عشر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منهم رجل يحسن يشتري لحما بدرهم وقد روي ان الحسن باع بغلة له بأربعمائة درهم فلما استوجب المال قال له المشتري اسمح يا أبا سعيد قال قد أسقطت عنك مائة قال له المشتري فأحسن يا أبا سعيد قال قد وهبت له مائة أخرى فنقص من حقه مائتي درهم وفي رواية أخرى قال أحسن قال وهبت لك مائتي درهم فقيل له يا أبا سعيد هذا نصف الثمن فقال هكذا يكون الاحسان والا فلا وقد كان الحسن والحسين رضي الله عنهما وغيرهما من خيار السلف يستقصون في الاشتراء ثم يهبون مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصي في شرائك على اليسير ثم تهب الكثير ولا تبالي فقال انهم ان

عما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون نعوذ بالله من الخذلان والخزي *(فصل)* والمعرفة سرها وروحها التوحيد ولا يتحقق الايمان الا بالمعرفة ولا تتحقق المعرفة الا بالتوحيد فالمعرفة ان تعرف الرب بصفاته والتوحيد هو التنزيه ونفي التشبيه فاذا عرفت ان الله تعالى عالم قادر حكيم مدبر سميع بصير متكلم الى غير ذلك من صفاته فقد حصلت لك المعرفة لكن سرها وحقيقتها ان تنزه حياته وقدرته وعلمه وارادته وسمعه وبصره وكلامه عن التشبيه بصفات الخلق فهذا هو التوحيد الكامل وذلك لانك وحدته في صفاته كما وحدته في ذاته والايمان هو عقد القلب بالتوحيد والمعرفة

(فصل) فيما تثمر المعارف والاحوال عارف الجمال محب وعارف الجلال هائب وعارف التوحيد بالافعال مفوض وعارف العظمة فان عن الاكوان فالمعرفة أصل لهذه الخيرات ومصدر لهذه الرتب وأفضل الاحوال ما نشأ عن المعارف واعلم انه قد كانت للخواص من الصحابة والتابعين علوم قدسية ومعارف ربانية وحكم شرعية جليلة اشرقت على قلوبهم من قبل النبي صلى الله عليه وسلم فمن لم يكن له نور من قلب محمد صلى الله عليه وسلم فهو في ظلمة وانقطعت هذه المعارف في آخر القرن الثاني وغابت معارف الموقنين في هذا القرن الثالث وهلم وظهرت العلوم الاستدلالية وكثرت المجادلات والخصومات في الدين واندرست علوم السلوك القدسي وانسد السبيل الى الملكوت بالكلية في القرن الرابع وهلم وأما في هذا الزمان فلا يعرف اليوم أحد في

الواهب يعطى فضله وان المغبون يغبن عقله وقال آخر انما أغبن عقلى وبصيرتى أو عمالى معرفتى ولا أمكن الغابن من ذلك واذا وهبت فانما أعطى الله عز وجل فلا استكثر له شيأ والاخبار فى هذه المعانى تكثر والفضائل فيها تطول ولم نقصد جمع ذلك فقد ذكرنا جملة وهذا كله داخل فى البر والتقوى ومن العدل والاحسان ومن تطوع الخير وفعل المعروف فقد أمر الله بذلك فى مواضع من كتابه وينبغى ان يستعمل النصح فى البيع والشراء وفى الصنعة ويستوى عملهما فى المبيع والمشترى والمصنوع ويفطن كل واحد منهما صاحبه بعيب ان كان فى السلعة وينقص ان كان فى الصنعة ان لم يفطن المشترى لذلك والمستعمل ليتكافأ العلمان ويثنى كل واحد منهما على صاحبه باحسان وفى الخبر البيعان اذا صدقا ونصحا بورك لهما فى بيعهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما وفى حديث آخر يد الله على الشريكين مالم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده عنهما ولما بايع النبى صلى الله عليه وسلم جريرا على الاسلام ذهب لينصرف جذب ثوبه واشترط عليه النصح لكل مسلم قال فكان جرير اذا أقام السلعة ليبيعها بصر عيوبها ثم اخبره فقال ان شئت فخذ وان شئت فاترك فقلنا له رحمك الله انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصيحة لاهل الاسلام وكان واثلة بن الاسقع واقفا بالناس فى الكوفة فباع رجل ناقة بثلثمائة درهم وغفل واثلة وقد ذهب الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصوت به حتى رجع وقال يا هذا ألحم اشتريت هذه الناقة أم للظهر فقال بل للظهر فقال فان بخفها نقبا قد رأيته وانها لا تتابع السير عليه قال فردها فانقصه البائع مائة درهم فقال لواثلة رحمك الله أفسدت على بيعى فقال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لاحد يبيع شيأ الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا بينه فانظر رحمك الله الى النصح للمسلمين الذى يتعذر فعله على كثير من المسلمين انما جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرط صحة الاسلام وكان يبايع عليه الا انه جعله من فضائل الدين ولانهاية اقرب المتقين لانه قال الدين النصيحة الدين النصيحة ثلاثا ثم سوى بين طبقات الناس فيه فقال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وقد روى فى خبر مشهور لا تزال لا اله الا الله تدفع عن الخلق سخط الله مالم يؤثروا صفقة دنياهم على آخرتهم وفى خبر آخر مالم يبالوا ما نقص من دنياهم بسلامة دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله سبحانه كذبتم لستم بها صادقين وفى لفظ آخر ردت اليهم وفى خبر كانه مفسر لحديث مجمل من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال ان تحجزه عما حرم الله وخبر مشهور ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقد روينا عن بعض التابعين لو دخلت هذا الجامع وهو غاص باهله فقيل لى من خير هؤلاء لقلت انصحهم لهم فاذا قالوا هذا قلت هو شرهم والغش فى البيوع والصنائع محرم على المسلمين ومن كثر ذلك منه فهو فاسق ومن الغش ان ينشر على المشترى أجود الطرفين من المبيع أو يظهر من المبيع أجود الثوبين أو يكشف من الصنعة أحسن الوجهين روى ان النبى صلى الله عليه وسلم مر برجل يبيع طعاما فاعجبه ظاهره فادخل يده فرأى بللا فقال ما هذا فقال أصابته السماء فقال هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غش فليس منى وفى حديث عبد الله بن أبى ربيعة انه مر على طعام مصبر فارتاب منه فادخل يده فاذا طعام ممطور فقال ما هذا فقال هذا والله طعام واحد يا رسول الله فقال هلا جعلت هذا وحده حتى يأتوك فيشترون شيأ يعرفونه من غشنا فليس منا وحدثنى بعض اخواننا ان رجلا حذاء سأل فكيف أسلم فى بيع النعال فقال استجد الاول وليكونا سواء واجعل الوجهين شيأ واحدا ولا يفضل اليمين وجود الحشو وقارب بين الخرز ولا تطبق أحد النعلين على الاخرى فينبغى للبائع والصانع ان يظهر من المبيع والمصنوع أردأ ما فيه وأرذله ليقف المشترى والصانع على عيوبه ويكونا على بصيرة من باطنه وباع ابن سيرين شاة له فقال للمشترى أبرأ اليك من عيب فيها انها تقلب العلف برجلها وباع الحسن بن صالح

الارض له قدم وامتحن فى السلوك الى الله وقد انقطع السير الى الله تعالى ولم يسمع عن أحد فى هذا الزمان ان عنده خبرا عن معاينة لشئ من الحقيقة اللهم اجعلنا ممن حمار واحله بساحة قربك واطال الوقوف بباب فضلك يا من بيده الجميل ويولى الجزيل واذ قد فرغنا من الكلام فى القسم الثانى وهو قسم الصفات المحمودة فلنشرع فى الكلام فى الخاتمة وفيها أبواب

(الباب) الاول فى شرح ألفاظ واصطلاحات لها حقائق شرعية ومعان جليلة تدور بين الصوفية فمنها الوقت قال الجنيد الوقت لفظة بين عدمين فيه شركة متشاكسون ولهذا المعنى قيل الفقير لا يهمه ماضى وقته ومستقبله بل يهمه الوقت الذى هو فيه لان الاشتغال بالماضى والآتى اشتغال بمعدوم وذلك تضييع الوقت ثان وعن هذا قيل الفقير ابن وقته وكل وقت خلا عن خدمة الله تعالى فهو باطل قال صلى الله عليه وسلم لى مع الله وقت لا يسعنى فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل ومنها السفر والمراد سفر القلب فى طريق الحقائق ويطلق السفر أيضا على الترقى فى المقامات وقطع المنازل طلبا للوصول الى الله تعالى ومنها المريد وهو الذى صح له الابتداء أو حصل فى جملة المنقطعين الى الله تعالى ومنها المقام وهو مقام العبد بين يدى الله تعالى فى العبادات أى الآداب والطاعات التى نازلها العبد ويتوصل العبد باتصافه بها الى ذهابه الى الثانى والثالث وهلم قال الله تعالى فأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى فمقام كل سالك موضع اقامته من الآداب والطاعات كالتوبة والانابة والورع والزهد والتوكل والتسليم والتفويض

فمن لا يتحقق بأنواع المجاهدات وقطع العلائق في المقامات لا يتصور ترقيه الى الثاني وأهل المقامات ثلاثة رجل يعمل على الرجاء والخوف مع اتصافه بالحياء وهذا يسمى مريدا وهذا بعد في وادي التفرقة لانه عامل لحظوظ نفسه وهو رجاؤه وخوفه ورجل مجذوب من وادي التفرقة الى وادي الجمع ويقال له مراد لانه عامل لا لشيء من حظوظ نفسه بل لمجرد المحبة وشهود الكمال فهذا قلبه مع الله دون غيره ورجل مسلوب بالمعارف عند المقامات والاحوال وما سوى هؤلاء فهو مدع مفتون أو مخدوع والمقامات على جهات ثلاثة الاولى أخذ السالك في السفر والسير والثانية الدخول في الغربة والثالثة الحصول على المشاهدة الجاذبة الى عين التوجه الى منهج الفناء قال المحققون لا شيء من الجلاء الا بآداب الشرع وسننه فان لم يكن كذلك أحيل أمر ذلك المقام على صاحبه كما يحكى عن أبي يزيد انه قصد زيارة رجل مشهور في الزهد والولاية فلما دخل عليه مسجده وجده جالسا وقد رمى بنخامة أو ببصقة تجاه القبلة فلما رأى أبو يزيد ذلك انصرف عنه ولم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على آداب النبي صلى الله عليه وسلم في حفظ شريعته فكيف يكون مأمونا على ما يدعيه ومنها الحال والحال معنى يرد على القلب من غير تعمد ولا تكسب من صاحبه وهي مواهب ربانية ومنح الهية من حكمها الطرب أو الحزن أو القبض أو البسط أو الشوق أو القلق أو الهيبة أو الابتهاج والاحوال كالبروق في الظهور والاقوال والفرق بين المقام والحال ان المقام مكسوب والحال موهوب والاحوال لا تنتفي بخلاف

جارية فقال للمشتري انها قد تنخمت مرة عندنا دما ويبين دقائق الاعلام والبيان في ذلك مما لا يعلمه المشتري أو المستعمل فهو من النصح والصدق وذلك يكون عن التقوى والورع في المبايعات والاجارات ويكون الكسب عن ذلك أحل وأطيب فليجتنب المسلم محرم ذلك كله وكل مكروه فهذه سيرة السلف وطريقة صالحي الخلف واستحب له ان يتوخى في الشراء والبيع ويتحرى أهل التقوى والدين ويسأل عمن يريد ان يبايعه ويشاريه وأكره له معاملة من لا يرغب عن الحرام أو من الغالب على ماله الشبهات وحدثت عن محمد بن شيبة ابن أخت ابن المبارك قال كتب غلام ابن المبارك اليه انا نبايع أقواما يبايعون السلطان فكتب اليه ابن المبارك اذا كان الرجل يبايع السلطان وغيره فبايعه واذا قضاك شيأ فاقبض منه الا ان يقضيك شيأ تعرفه بعينه حراما فلا تأخذه واذا كان لا يبايع الا السلطان فلا تبايعه وحدثنا عن بعض الشيوخ عن شيخ له من الخلف الصالح قال قال أتى على الناس زمان كان الرجل يأتي الى مشيخة الاسواق فيقول من ترون لي ان أعامل من الناس من أهل الصدق والوفاء فيقال له عامل من شئت ثم أتى عليهم وقت آخر فكان الرجل يقول ترون لي ان أعامل من الناس فيقال عامل من شئت الا فلانا وفلانا قال ونحن في زمن اذا قيل لنا من نعامل من الناس فيقال عامل فلان بن فلان وأخشى ان يأتي على الناس زمان يذهب فلان بن فلان أيضا ولا يحلف ولا يكذب ولا يخلف موعدا فان اليمين الكاذبة ممحقة للكسب وقد قيل ويل للتاجر من يقول لا والله وبلى والله وويل للصانع من اليوم وغدو بعد غد أبو عمرو الشيباني عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عبد متكبر ومنان بعطيته ومنفق سلعته بيمينه ولا يمدح اذا باع أو صنع صنعة ولا يذم اذا اشترى أو استعمل صانعا فان هذا لا يزيد في رزقه ولا ينقص منه تركه وهذا من اليقين في الرزق في هذا الباب وفعله يزيد في الذنوب فينقص من الدين وعلى الصانع ان يبلغ غاية النصح في صنعته لمستعمله لانه أعرف بصلاح صنعته وفسادها وبسرعة فناء الصنعة وكثرة بقائها فينبغي ان يتقن نهاية علم الصانع بصلاح الصنعة وحسن بقائها مع نهاية بغية مستعمله من تجويدها واحكامها ويتقي من فساد يسرع الى فنائها مما لا يفطن له مستعمله فاذا فعل الصانع والتاجر ذلك كانا قد عملا بعلمهما وسلما من المطالبة والمساءلة عنه والا فهما يسئلان فيقال لهما ماذا عملتما فيما علمتما اذ كانوا على علم من التجارة والصناعة وبهذه الاشياء عمارة المملكة فلا بد ان يسئلا عن ذلك كما يسئل من كان على علم من الدين والايمان لانهم في علوم العقل والتمييز من أبواب الدنيا أحوالا أيضا ومقامات من حيث كان عليهم في ذلك تكليف وعبادات ويقال اذا أثنى على الرجل جيرانه في الحضر وأصحابه في السفر ومعاملوه في الاسواق فلا تشكوا في صلاحه وشهد رجل عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه بشهادة فقال ائتني بمن يعرفك فأتاه رجل فأثنى عليه خيرا فقال له عمر رضي الله عنه أنت جاره الادنى الذي تعرف مدخله ومخرجه قال لا قال فكنت رفيقه في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق قال لا قال فعاملته بالدينار والدرهم الذي يتبين به ورع الرجل قال لا قال أظنك رأيته قائما في المسجد يصلي يخفض رأسه طورا ويرفعه له زمزمة بالقرآن قال نعم قال اذهب فلست تعرفه فقال مرة انت القائل ما لا تعلم ثم قال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك وقد كان من سيرة السوقة فيما سلف انه كان للبائع دفتران للحساب أحدهما ترجمته مجهول فيه أسماء من لا يعرفه من الفقراء الضعفاء وذلك ان المسكين والضعيف كان يرى المأكول فيشتهيه أو يحتاج اليه ولا يمكنه ان يشتريه فيقول للبائع احتاج الى خمسة أرطال من هذا أو عشرة وليس عندي ثمنه فيقول خذ الى ميسرة فاذا رزقت فاقض ويكتب اسمه في الدفتر المجهول قال ولم يكن من يفعل هذا من خيار المسلمين بل كان الخير من الباعة من لا يكتب اسمه في دفتره ولا يجعله دينا حتما عليه ولا مظلمة عنده ولكن يقول خذ حاجتك مما تريد فان وجدت

فاقضي

فاقضى وان لم تجد فانت فى حل لا تضيقن قلبك لذلك وهذا طريق قد مات فمن قام به فقد أحياه فكان مثل هؤلاء فى المتقدمين أكثر من ان يسعهم كتاب وكان من ينصح دقائق النصح وشدد على نفسه غاية التشديد وسمح لاخوانه نهاية الجود أكثر من ذلك وانما ذكرنا هؤلاء لتنبيه الغافلين على أعمالهم ونكشف بعض ما عفا من طريقهم ولم يكن هؤلاء المذكورون من السوقة من خيار الناس كلهم انما كان الاخيار المسجدية العباد والنساك المنقطعون الى الله الزهاد فاذا حصلت كفاية السوقى فى بعض يومه فليجعل بقيته لآخرته فقد كان بعض السلف منهم من ينصرف من حانوته بعد صلاة الظهر ويجعل نصف يومه لربه ومنهم من ينصرف بعد العصر فيكون آخر يومه لآخرته * وكان بعضهم اذا حصلت كفايته فى يومه وقوت عياله فى أى وقت من نهاره غلق حانوته وانصرف الى منزله أو مسجده يتعبد بقية يومه وكان منهم من اذا ربح دانقا أو قيراطا انصرف قناعة وزهدا وقلة حرص على الدنيا وأعجب من ذلك ما سمعت عن حماد بن سلمة انه كان يبيع الادم فى سفط بين يديه فكان اذا ربح حبتين رفع سفطه وانصرف * وقال ابراهيم بن يسار قلت لابراهيم بن أدهم أمر اليوم أعمل فى الطين فقال يا ابن يسار انك طالب ومطلوب يطلبك ما لا تفوته وتطلب ما لا يفوتك أما رأيت حريصا محروما وضعيفا مرزوقا فقلت ان لى دانقا عند البقال فقال عز على بك تملك دانقا وتطلب العمل وقد كان كثير من الصناع يعمل نصف يومه وثلثى يومه ثم يأخذ ما استحقه من كفايته وينصرف الى مسجده ومنهم من كان يعمل فى الاسبوع يوما أو يومين ويتعبد سائر الاسبوع فى خدمة سيده وقد كانوا يجعلون أول النهار وآخره لآخرته فى تجارة المعاد والمرجع ويجعلون وسط النهار لتجارة الدنيا وفى الخبر ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد من أول النهار ومن آخره فيها خير وذكر كفر الله عز وجل عنه ما بينهما من سيء العمل وفى الخبر يلتقى ملائكة الليل والنهار عند طلوع الفجر تنفرج ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار وعند صلاة العصر فتنزل ملائكة الليل وتنفرج ملائكة النهار فيقول الله عز وجل كيف تركتم عبادى فيقولون تركناهم يصلون وجئناهم يصلون فيقول الله سبحانه وتعالى أشهدكم انى قد غفرت لهم وقد كان على رضى الله عنه يعرف سوق الكوفة ومعه الدرة وهو يقول يا معشر التجار خذوا الحق واعطوا الحق تسلموا ولا تردوا قليل الربح فتحرموا أكثر ما منع من حق الا ذهب اضعافه فى باطل وقيل لعبد الرحمن بن عوف ما كان سبب يسارك فقال ثلاث ما رددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان وأخرت بيعه ولا بعت بنسأ ويقال انه باع ألف ناقة فربح عقلها او باع كل عقال بدرهم فربح فيها ألفى درهم ألف أخذها وألف نفقة عليها فى يومها وقد كان الورعون يكرهون ركوب البحر للتجارة ويقال من ركب البحر للتجارة فقد استقصى فى طلب الرزق وفى الخبر لا يركب البحر الا حاج او غاز أو معتمر وعن زيد بن وهب عن عمر رضى الله عنه كان يقول ابتاعوا باموال اليتامى لا تأكلها الزكاة وغروها لهم بالارباح واياكم والحيوان فانه ربما هلك واياكم ولجج البحر اتجروا لهم فيها مالا * وكان عمرو بن العاص يقول لا تكن أول من يدخل السوق ولا آخر خارج فان بها باض الشيطان وفرخ وروينا عن معاذ وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم ان ابليس قال لولده زلنبور يا زلنبور سر بكتائبك وأنت صاحب السوق زين الحلف والكذب والخديعة والمكر والخيانة والحلف وكن مع أول داخل وآخر خارج منها * وروينا عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم سمعت النبى صلى الله عليه وسلم ينهى ان يدخل السوق أوائل النهار وان يخرج منها آخر أهلها فاذا كان المتسبب فى المعاش والمتصرف فى الاسواق على هذه الاوصاف المحمودة بهذه الشروط الموصوفة فانما حكم حاله حافظ المقام فانه فى سبيل من سبل الله عز وجل افعاله وآثاره حسنات وكل ما تسبب به الى الآخرة وكان عونا له عليها وطريقا له اليها فهو من الآخرة واذا خالف هذه الشروط ولم يستعمل العلم فى أحواله وفارق

المقامات فان بقيت بنوا الى أمثالها فهى حديث النفس قال الائمة والاحوال تحصل عن مقامات الحزن والقبض يحصلان عن مقام الخوف والبسط يحصل فى مقام الرجاء والطرب يحصل عن المحبة الحاصلة عن مشاهدة الجمال ومنها الكشف وهو عبارة عن بيان ما استتر عن الفهم فيكشف للعبد عنه حتى كأنه يراه رأى العين ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم فى خبر ذى السويقتين كأنى انظر الى أسود كان به الخ وقوله صلى الله عليه وسلم انى رأيت الجنة والنار فى عرض هذا الحائط ومنها الذهاب وهو بمعنى الغيبة ويراد بذلك غيبة القلب عن المحسوسات بمشاهدة ما شهده من الوعيد أو الوعد والجلال أو الجمال أو غير ذلك ورؤية القلوب ترجع الى الكشف يحكى ان الشبلى دخل على الجنيد بيته فى حال سكر المحبة وزوجة الجنيد جالسة فلما رأته بادرت الى تغطية رأسها فقال لها الجنيد لا عليك ليس هو حاضرا فصفق الشبلى على رأس الجنيد وانشأ يقول

عودونى الوصال والوصل عذب
ورمونى بالهجر والهجر صعب
زعموا حين أعتبوا ان جرمى
فرط حبى لهم وذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقى
ما جزاء من يحب الا يحب

ثم ولى الشبلى فضرب الجنيد رجليه على الارض وقال هو ذاك يا أبا بكر هو ذاك وخر مغشيا عليه ومنها الشطح وهو كلام بترجمة اللسان عن وجد ظاهره يخالف الشرع يعنى ويصدر منهم فى حال غيبتهم بما يرد عليهم وحال سكرهم بالمحبة وحكمهم فى ذلك حكم المغمى عليه أو من زال عقله ويحصل

ذلك أرض الدهش العقل عند مطالعة عجائب الحقيقة والاشراف على الملكوت الاعظم سئل بعضهم عن حكم ما يقع منهم من الشطح في هذه
الحالة فقال هؤلاء سكارى مجالس السكر تطوى ولا تحكى وسئل بعضهم عن الحلاج فقال كان الحلاج رجلا صالح الحال لكن

غلب عليه الوجد والحال حتى عبر في المقال ولم يدر ما قال وكلام السكران يطوى ولا يروى فالمقتول شهيد والقاتل مجاهد في سبيل الله ومنها الصولة وهي أن يبادر الى الحق لا يرى أحدا الا الله تعالى فاذا شاهد منكرا بادر الى انكاره مستهزئا بفاعله كائنا من كان ملكا أو سوقيا لا يكترث به ولا يهابه ولا يخشاه الا الله تعالى ولا يخشى غيره وهي تكون لاصحاب المقامات العالية قال صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه بك أصول وبك أجول ومنها الالتجاء وهو توجه القلب الى الله تعالى بصدق الفاقة اليه ومنها التجلي وهو اشراق النور على قلوب العارفين عند اقبال الحق عليهم ومنها الاصطلام وهو نعت وله يرد على القلب فيسكن تحت سلطانه ومنها الجلال وهو نعت القهر من الحضرة الالهية ومنها الطوالع وهي أنوار التوحيد تطلع على قلوب العارفين بشعاعها فيطمس سلطان نورها سائر الانوار كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب ومنها المشاهدة وهي ثلاثة مشاهدة بالحق وهي رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهي رؤية الحق بالاشياء ومشاهدة الحق وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب ومنها الحرية وهي اقامة حقوق العبودية فيكون عبدا لله ومن غيره حرا قال بعضهم صح مقام العبودية للقدرية والمعتزلة لانهم اثبتوا

لتقوى في تصرفه أو كان يسعى تكاثرا وحرصا على الدنيا جزوعا على ما فاته من الدنيا مستقلا لما في يديه منها لا يبالي ما ذهب من دينه اذا سلمت دنياه ولا يبالي من أين اكتسب وفيما أنفق فهذا يتقلب في المعاصي والمكاره ظهرا لبطن متعرضا لمقت من الله عز وجل يعمل في البعد والهرب غير مستعد للموت ولا موقن بالحساب افعاله وآثاره سيآت وترك التجارة على هذه الاوصاف المكروه خير له هذا * ذكر ما روينا من الآثار في البيوع والصنائع وطريقة الورعين من السلف * روينا عن علقمة رضي الله تعالى عنه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاب الى مصر من أمصار المسلمين فباعه بسعر يومه كان له عند الله تعالى أجر شهيد ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله وروينا عن عقبة بن عامر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة صاحب مكس وروينا عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقال نادما في بيع أقاله الله عز وجل يوم القيامة وروينا عن هشام بن عروة ذكر لمعاوية ان رجلا من المعمرين من الجراجمة بالقرب منه فاحضره فقال ممن الرجل قال من جرهم قال وكم تعد من السنين قال خمسين وثلثمائة سنة قال أخبرني أي المال أفضل قال عين خرارة في أرض خوارة تعول ولا تعال قال ثم ماذا قال فرس في بطنها فرس يتبعها فرس قال فقال الابل والغنم لا أراك تذكرها قال انهما لا تصلح الا لمن يباشرها بنفسه * وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خير مال المسلم سكة مأبورة ومهرة مأمورة * قوله سكة مأبورة يعني النخل التي قد أبرت فهي طريق كالسكك وقوله مهرة مأمورة يعني الخيل النواتج مأمورة كثيرة * ومن هذا قوله تعالى أمرنا مترفيها أي أكثرناهم يقال أمر القوم اذا كثروا وحدثونا عن عبد الله بن أحمد قال قدمت من عند معاوية بثلاثمائة ألف دينار وليس بيدي منها الا دقيق وغنم وأثاث ففزعت من ذلك فلقيت كعب الاحبار فذكرت له ذلك فقال أين أنت من النخل فانا نجدها في كتاب الله تعالى المطعمات في المحل الراسخات في الوحل وخير المال النخل بائعها ممحوق ومبتاعها مرزوق مثل من باعها ثم لم يجعل ثمنها في مثلها كمثل رماد صفوان اشتدت به الريح في يوم عاصف ففزعت الى النخل فابتعتها قال وقال مروان بن الحكم لوهب بن الاسود ما المروءة قال بر الوالدين واصلاح المال حدثت عن عبد القدوس بن عبد السلام قال كتب ابراهيم بن أدهم الى عباد بن كثير اجعل طوافك وسعيك وحجك كنومة غاز في سبيل الله عز وجل فكتب عباد الى ابراهيم اجعل حرسك ورباطك وغزوك كنومة كاد على عياله من حله وروينا عن العباس قال سمعت أحمد بن ثور يقول شيع رجل ابراهيم بن أدهم الى الصنوبر فقال يا أبا اسحق أوصني قال أكثر واوجز فقال ما الحاج المعتمر ولا الغازي المرابط ولا الصائم والقائم بأفضل عندنا ممن أغنى نفسه عن الناس * وروينا عن لقمان قال لابنه يا بني خذ من الدنيا بلاغا ولا ترفضها كل الرفض فتكون عيالا على الناس * وحدثونا عن شاذان قال سألت الحسن بن حي عن شيء من المكاسب فقال ان نظرت في هذا حرم عليك ماء الفرات ثم قال طلب الحلال أشد من لقاء الزحف * وروينا عن الهيثم بن جميل قال قال ابن المبارك اركب البر والبحر واستغن عن الناس قال الهيثم ربما يبلغني عن الرجل يقع في فاذكر استغنائي عنه فيهون ذلك علي * وروينا عن حماد بن زيد قال قال أيوب كسب فيه بعض الشيء أحب الي من الحاجة الى الناس * أنشدونا عن ابن أبي الدنيا قال أنشدني عمر بن عبد الله

لنقل الصخر من قلل الجبال * أخف علي من منن الرجال
يقول الناس كسب فيه عار * فقلت العار في ذل السؤال

حدثنا عن موسى بن طريف قال ركب ابراهيم بن أدهم البحر فأخذتهم ريح عاصف أشرفوا على الهلكة

فقالوا

فقالوا يا أبا اسحق أما ترى ما نحن فيه من الشدة قال وهذه شدة قالوا وأى شئ الشدة قال الحاجة الى الناس

وأنشدنا بعض العلماء لبعض الادباء

لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل
فلا تجعلن شيأ لوجهك قيمة * ولا تلق مخلوقا بوجه ذليل
ولا تسألن من كان يسأل مرة * فللفقر خير من سؤال سؤول

وأنشدنا بعض الاشياخ

اذا عدت الآفات فالبخل شرها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير فى وعد اذا كان كاذبا * ولا خير فى قول اذا لم يكن فعل

وأنشدنا لبعضهم

اذا كنت لابد مستطعما * فمن غير من كان يستطعم
فان الذى كان مستطعما * اذا ذكر الجوع لا يطعم

وأنشدنا لبعضهم

ما خلفت حواء أحمق لحية * من سائل يرجو الغنى من سائل

وحدثونا عن زيد بن أسلم قال كان محمد بن مسلمة فى أرض يغرس النخل فدخل عليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما تصنع يا محمد قال ما ترى قال أصبت استغن عن الناس يكن أصون لدينك وأكرم لك عليهم كيف قال صاحبكم أحيحة بن الجلاح

فلن أزال على الزوراء أعمرها * ان الحبيب الى الاخوان ذو المال

وروينا عن ابن مسعود قال ما كس دون درهمك فان المغبون لا محمود ولا مأجور وقال سفيان الثورى رحمه الله تعالى اذا قلت لصاحبك أحسن فاحسن فهو صدقة وحدثت عن عبد الله بن عبد الرحمن قال كان ابراهيم بن أدهم ورفقاؤه فى المسجد فى شهر رمضان فلما سلم الامام قام رجل فسأل فلم يعط شيأ ووضعوا عشاءهم فقالوا لابراهيم يا أبا اسحق ندعوه قال لا تدعوه فبات بغير عشاء فلما كان من الغد جاء رفيق لابراهيم فقال له يا أبا اسحق رأيت الذى سأل البارحة وعلى رأسه حزمة حطب فقال تدرون لم قلت لكم لا تدعوه سبق الى قلبى انه لم يسأل قبلها فكرهت ان أدعوه فيتكل على عشائكم قال عبد الله وقال رجل لابراهيم كيف اصبحت قال بخير مالم يتحمل مؤنتى غيرى وعن موسى بن طريف قال كان ابراهيم بن أدهم لا يماكس اذا عمل مع أحد حدثونا عن يوسف بن سعيد قال سمعت انسانا يسأل على بن بكار أيهما أفضل اللقاط أو التكاة فقال اللقاط فيه معروف كثير كان سليمان الخواص يلقط ههنا عندنا وكان ابراهيم بن أدهم يؤاجر نفسه وكان حذيفة يضرب اللبن أبو عمرو بن العلاء قال قال الحسن الاسواق موائد الله تعالى فمن أتاها أصاب منها الحسن بن دينار عن قتادة قال مكتوب فى التوراة اتق توف وسل تعط واطلب تجد ومكتوب فى الانجيل ابن آدم اصبر تصبر * عن أبى خلدة عن أبى العالية قال اذا اشتريت شيأ فاشتر اجوده * أبو الطفيل قال كنت عند أنس بن مالك فقيل له خرج الدجال فقال كذبة صباغ حدثنا عن يحيى بن عثمان عن بسام الصيرفى عن عكرمة قال اشهد أن الصيارفة من أهل النار * وروينا عن عبد الحميد بن محمود قال كنت عند ابن عباس فأتاه رجل قال أقبلنا حجاجا حتى اذا كنا بالصفاح توفى صاحب لنا فحفرنا له واذا أسود قد ملأ اللحد كله ثم حفرنا له قبرا آخر فاذا الاسود قد ملأ اللحد فحفرنا له قبرا آخر فاذا الاسود قد ملأ اللحد كله فتركناه وأتيناك نسألك ما تأمرنا قال ذاك عمله الذى كان يعمل وفى رواية أخرى ذاك غله الذى كان يغل به اذهبوا فادفنوه فى بعضها فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتم ذلك قال فالقيناه فى قبر منها فلما قضينا سفرنا أتينا امرأته فسألناها عن عمله فقالت كان رجلا يبيع الطعام فيأخذ قوت أهله كل يوم ثم يقطع مثله من قصب الشعير فيقطعه فيخلطه فى الطعام مكان ما أخذ فيبيعه عن حجاج عن أبى جعفر محمد بن على ان عليا رضى الله تعالى عنه

لا لانفسهم فعلا ورأوا أن طاعاتهم وجميع أعمالهم مخترعة لهم والجبرية عكسهم لاعتقادهم انهم مجبرون على أفعالهم مضطرون اليها ما أثبتوا لانفسهم فعلا ولا عبادة ولا طاعة أصلا لا يتقربون بما قلت الذى يظهر خلاف ذلك وليست المعتزلة من أهل مقام العبودية لانهم نزلوا أنفسهم منزلة الاحرار لا منزلة العبيد لايجابهم الثواب على الله تعالى بطاعتهم فتجاسروا ومنها الطريق والمراد بها طريق المسير الى الله تعالى وهذه الطريق فيها عوارض وعوائق وعقبات وأوعار وأعداء وسباع وقطاع تقطع على السالك الطريق فاذا تخلص السالكون لهذه الطريق منها وقطعوا مفاوزها وعقباتها وتخلصوا من قطاعها وسباعها أشرفوا على مفاوز أوسع منها وبدت لهم منها مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة فان كان المعارف نبوبه ومعرفة النفس والعدو وهو الشيطان والدنيا فاذا تخلصوا من ذلك أشرفوا على أعظم منها وهو سر القدرة وكيف يحكم فى الخلائق وعجائب الصنع والابداع وسر القضاء والقدر وكيف يقودهم باختيار فى خير الى ما هو فى مجارى الاقدار لا تخرج المخلوقات عنه طرفة عين ولا يتقدمون عليه ولا يتأخرون عنه والاشراف على الملكوت الاعظم ورؤية عجائبه ومشاهدة غرائبه مثل اللوح والقلم واليمين الكاتبة وملائكة الله تعالى يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم وبالبيت المعمور ويقدسونه وفهم كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات ثم التخطى منها الى معرفة الخالق للكل والمالك للكل فتغشاهم الانوار وتجلى لقلوبهم الحقائق

كان يضمن القصار والصباغ والخياط ليحفظوا على الناس أمتعتهم وروينا عن هشام بن عمار قال سئل مالك ابن أنس في الرجل يسلم الثوب الى الحائك بالنصف ودرهم والنصف ودرهمين قال هذا شرط فاسد وله أجرة مثله الا أن يخالف الشرط فعليه الغرم وحدثنا عن أحمد بن الحسن المقرى قال سئل أبو بكر المروزى وأنا أسمع الحائك ينسج الثوب على الخمسين ودرهمين وعلى الخمسين وثلاثة دراهم وأكثر قال لا بأس اذا رضينا قلت فالنصف ودرهم والنصف ودرهمين قال لا بأس * سئل أحمد بن حنبل عن هذه المسئلة فقال لا بأس وحدثنا عن أبي داود قال سمعت ابن حنبل سئل عن الثوب يعطى على الثلث أو الربع للحائك قال لا بأس به ثم قال هل هذا الا مثل المضاربة ومثل قصة خيبر اعله ان يربح المضارب شيأ ولا يخرج الارض شيأ كلها عندى قريبة وعن ابن وهب قال قال مالك في رجل باع بعد النداء يوم الجمعة قال يفسخ ذلك البيع قيل عامل وترك القيام الى الجمعة قال بئسما صنع فليستغفر به عز وجل وقال ربيعة ظلم وأساء قال وقال مالك يحرم البيع حتى يخرج الامام يوم الجمعة * حدثنا عن أبي داود قال سمعت أحمد بن حنبل غير مرة يكره التجارة والمعاملة بالمزيفة والمكحلة قال أبو داود سألت اسحاق بن راهويه عن انفاق المزيفة فقال لا بأس به وقال عبد الوهاب الوراق سألت بشرا عن المعاملة بالمزيفة فقال سألت المعافى عنها فقال سألت سفيان الثورى عنها فقال حرام حدثنا عن الحسن الخياط قال سمعت بشر بن الحرث وقال له رجل من جيرانه أسلمت عمامة الى الحائك الدقيق على من قال على الحائك والخيوط لك وحدثونا عن بشر عن الفضيل بن عياض عن ليث عن مجاهد ان مريم عليها السلام مرت بحاكة قعود على ظهر طريق في طلب عيسى عليه السلام فقالت كيف طريق موضع كذا وكذا فارشدوها الى غير الطريق التى أرادت فضلت فدعت الله تبارك وتعالى عليهم فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم وأمتهم فقراء وحقرهم في أعين الناس قال بشر أحسب ان الله عز وجل استجاب دعاءها فيهم وروينا عن أبي عبد الرحمن الجيلى عن أبي أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فرق بين الوالد وولده في البيع فرق الله عز وجل بينه وبين أحبته يوم القيامة سفيان عن منصور عن موسى بن عبد الله ان أباه بعث بغلام له بمال الى أصبهان باربعة آلاف فبلغ المال ستة عشر ألفا أو نحو ذلك فبلغه انه مات فذهب يأخذ ميراثه فبلغه انه كان يقارف الربا فاخذ أربعة آلاف وترك البقية وحدثونا عن أبي بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الذى يعامل بالربا يؤكل عنده قال لا قال وسمعت أبا عبد الله يقول الذى يتعامل بالربا يأخذ رأس ماله وان عرف أصحابه رده عليهم والا تصدق بالفضل وروينا حديث ربيعة بن يزيد عن عطية السعدى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذر ما به بأس وروينا حديث عباس بن جليد قال أبو الدرداء ان تمام التقوى ان يتقى العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية أن يكون حراما بينه وبين الحرام حدثنا عن أبي بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يكون معه ثلاثة دراهم منها درهم حرام لا يعرفه قال لا يأكل منه شيأ حتى يعرفه واحتج أبو عبد الله بحديث عدى بن حاتم انه سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أرسل كلبى فاجد معه كلبا آخر فقال لا تأكل حتى تعلم ان كلبك قد قتله وسألت أبا عبد الله عن الرجل يدفع اليه الدراهم الصحاح يصوغها قال فيها نهى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وأنا أكره كسر الدراهم والقطعة قلت فان أعطيت دينارا أصوغه كيف أصنع قال تشترى به دراهم ثم تشترى به ذهبا قلت فان كانت الدراهم من الفيء يستحى صاحبها ان تكون باعيانها قال اذا أخذت بحذائها ومثلها * وروى أبو عبد الله حديث علقمة بن عبد الله عن أبيه ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم الا من بأس قال أبو عبد الله البأس ان يختلف في الدراهم فيقول الواحد جيد ويقول الآخر ردىء فيكسره لهذا المعنى قال

وسألت

الحجبة ويشاهدون ما لا يشاهده غيرهم ويبصرون ما غيبت عنه بصائر من سواهم ومنها الحقيقة فالحقيقة عبارة عن مشاهدة تصريف الرب والمعرفة بصفاته ونعوته وعظمته وجلاله وكيفية صدور الايجاد عنه ومنها علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فعلم اليقين ما كان عن دليل وبرهان وهى العلوم الحاصلة من النظر والاستدلال وعين اليقين ما كان من طريق الكشوف والنوازل وحق اليقين ما كان بطريق المشاهدة والمعاينة بناء على انها اسم من المكاشفة وقال الغزالى المكاشفة اسم من المشاهدة ومنها الوارد والخاطر فالوارد ما يرد على القلب من الامور المحمودة كالوارد من السرور أو من الحزن أو من القبض أو من البسط والخواطر معناها الخطاب الوارد على الضمائر تارة بالقاء الملك وتارة بالقاء الشيطان وتارة من أحاديث النفس وتارة من قبل الله تعالى فاذا كان الوارد من قبل الملك فبالالهام وعلامة صدقه أن يوافق العلم كما قيل كل خاطر لا يشهد له ظاهر من العلم فهو باطل واذا كان من قبل النفس فهو الهاجس وعلامته أن يدعو صاحبه الى معصية الله تعالى واذا كان من قبل الله تعالى فبالقائه الى القلوب وهو خاطر حق وعلامة صدقه موافقته للامر والنهى وجملة الخواطر من قبل الكلام وأجمع المشايخ على ان آكل الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة وأجمعوا على أن النفس لا تصدق والقلب لا يكذب والخاطر الذى يكون من قبل الملك ربما يوافقه صاحبه وربما يخالفه وأما الخاطر الذى هو قبل الله تعالى وهو الذى يخلقه الله تعالى ابتداء في قلب العبد

وسألت أباعبدالله عن الرجل يكتسب بالاجر فيجلس فى المسجد فقال أما الخياط وأشباهه فما يعجبنى انما بنى المسجد ليذكر الله تعالى فيه وكره البيع والشراء فيه قلت لابى عبدالله للرجل يعمل المغازل و يأتى المقابر فربما أصابه المطر فيدخل فى بعض تلك القباب فيعمل فيها قال المقابر انما هى من الآخرة وكره ذلك قلت لابى عبدالله اشترى الدقيق فيزيد فى مثل القفيز المكولك قال هذا فاحش هذا لا يتغابن الناس فيه قلت فكيلجة أودونها قال هذا يتغابن الناس بمثله قلت لابى عبدالله رفاء الوسائد والانماط يرفو التجار وهم يبيعون ولا يخبرون بالرفو قال يعمله العمل الذى يتبين لا يعمل الخفى الذى لا يتبين الا لمن يثق به قلت لابى عبدالله الثوب ألبسه ترى ان أبيعه مرابحة قال لا وان بعته مساومة فبين انك قد لبسته والا بعته فى سوق الخلق سألت أباعبد الله عن ابريق فضة يباع قال لا حتى يكسر و يقول لا يباع الحرير * أمية بن خالد قال كان يونس بن عبيد اذا طلب المتاع أهل الى وكيله بالسوس ان أعلم من يشترى منه المتاع ان المتاع يطلب وحدثنا عن المروزى قال سألت أباعبدالله عن الجوز ينثر فكرهه وقال يعطون يقسم عليهم يعنى الصبيان قال ودخلت على أبى عبد الله وقد حذق ابنه وقد اشترى جوزا يريد أن يعده على الصبيان يقسمه عليهم وكره النثر وقال هذه نهبة وقال أبوعبدالله وذكر مسائل ابن المبارك فقال كان فيها مسئلة دقيقة سئل ابن المبارك عن رجل رمى طيرا فوقع فى أرض قوم لمن الصيد قال لا أدرى قلت لابى عبدالله فما تقول انت فيها قال هذه دقيقة ما أدرى فيها قلت لابى عبدالله ان عيسى بن عبد الفتاح قال سألت بشر بن الحرث هل للوالدين طاعة فى الشبهة قال فقال أبوعبدالله هذا شديد قلت لابى عبدالله فللوالدين طاعة فى الشبهة قال فقال أبوعبدالله هذا محمد بن مقاتل قد رأيت ما قال وهذا بشر بن الحرث قد قال ما قال ثم قال ابوعبدالله ما أحسن ان يداريهم ثم قال أبوعبدالله الاثم حواز القلوب قال المروزى أدخلت على أبى عبدالله رجلا فقال ان لى اخوة وكسبهم من الشبهة فربما طبخت أمنا وتسألنا ان نجتمع ونأكل فقال له هذا موضع بشر لو كان لك كان موضعا أسأل الله تعالى ان لا يمقتنا ولكن تأتى أبا الحسن عبد الوهاب فتسأله فقال له الرجل فتخبرنى بما فى العلم قال قد روى عن الحسن اذا استأذن والدته فى الجهاد فاذنت له وعلم ان هواها فى المقام فليقم قال سمعت أباعبدالله وسئل عن رجل له والدة يستأذنها يرحل يطلب العلم فقال ان كان جاهلا لا يدرى كيف يطهر ولا يصلى فطلب العلم أوجب وان كان قد عرف فالمقام عليها أحب الى قلت فان كان يرى المنكر فلا يقدر ان يغيره قال يستأذنها فان أذنت له خرج * حدثنا عن أبى الربيع الصوفى قال دخلت على سفيان بالبصرة فقلت له يا أباعبدالله انى أكون مع هؤلاء المحتسبة فندخل على المخنثين ونتسلق عليهم الحيطان فقال أليس لهم أبواب قلت بلى ولكن ندخل عليهم كيلا يفروا فانكر ذلك انكارا شديدا وعاب فعالنا فقال رجل من أدخل هذا فقلت انما دخلت الى الطبيب أخبره بدائى فانتفض سفيان وقال انما هلكنا اذ نحن سقمى فسمينا أطباء ثم قال لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الامن فيه ثلاث خصال رفيق بما يأمر رفيق بما ينهى عدل بما يأمر عدل بما ينهى عالم بما يأمر عالم بما ينهى حدثنا عن أحمد بن محمد بن الحجاج قال سألت أباعبدالله قلت أمر فى السوق فأرى الطبول تباع فاكسرها قال ان قويت يا أبابكر قلت أدعى اغسل الميت فاسمع صوت الطبل قال ان قدرت على كسره والا فاخرج سألته عن كسر الطنبور قال يكسر قلت فاذا كان مغطى قال اذا استتر عنك فلا قلت فالطنبور الصغير يكون مع الغلام قال تكسره أيضا اذا كان مكشوفا قلت لابى عبدالله رجل له قراح نرجس ترى ان يباع فقال انهم يقولون الزئبق يعمل منه قلت فان كان لا يشتريه الا أصحاب المسكر قال يسأل عن ذا فان كان هكذا لا يباع سمعت أبا عبدالله وسأله رجل فقال ان أبى كان يبيع من جميع الناس وذكر من تكره معاملته فقال يدع من ذلك بقدر ماربح فقال له فان له دينا وعليه دين قال يقتضى و يقضى عنه قلت وترى له بذلك قال فقد دعه محتسبا

فانه لا يمكن أن يحصل من العبد خلافه وتكلم المشايخ فى أن الخاطر الذى من قبل الله تعالى هل هو أقوى من الاول أم لا فقال الجنيد الخاطر الاول أقوى وقال العطوى الثانى أقوى وقال ابن خفيف كلاهما سواء لان كلا منهما من الله ومنها الفناء والبقاء أما الفناء فهو عند بعضهم أن يفنى العبد عن حظوظ نفسه وأما البقاء فهو أن يبقى بعبادة الله تعالى وهذا لا يعم جميع أقسام الفناء وانما يشمل الفناء المقيد بالافعال المذمومة والاوصاف المذمومة وأما الفناء المطلق فهو عبارة عن استيلاء سلطان الحقيقة على العبد وهو يستلزم الفناء عن الحظوظ وغيرها ومثال الفناء عن الاشياء فى الشاهد حال صويحبات يوسف عليه السلام عند رؤيته وغير ذلك مما يدهش المرء و يفنيه عن نفسه وعن احساسه واختياره ومن ذلك قول عبد الملك بن عامر ما أبالى امرأة رأيت أم حائطا ومن صح فناؤه لاستيلاء سلطان الحقيقة عليه يتولى الحق سبحانه وتعالى أموره كلها فيصرفه فى جميع وظائفه الشرعية و يكون محفوظا فيما لله تعالى عليه من الحقوق وأما البقاء الذى يعقب الفناء و يترتب عليه ترتب اللازم على الملزوم فهو أن يبقى لله تعالى بعد أن يفنى عما له فيكون كل حركاته فى موافقات الحق دون مخالفتها فيكون فانيا عن المخالفات باقيا فى الموافقات ومن فناء الحظوظ حديث عبد الله بن مسعود ما علمت ان فى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان فانيا عن ارادة الدنيا ومن الفناء عما سوى الله تعالى قول ابى حازم ما الدنيا أما ما مضى فأحلام

بدينه سألت أبا عبد الله عن قريب لى أكره ناحيته يسألنى ان اشترى له ثوبا أو أسلم له غزلا فقال لا تعنه ولا تشتر له الان تأمرك والدتك فاذا أمرتك فهو أسهل لعلها ان تغضب * سمعت أبا عبد الله وسئل عن رجل له أب مراب يرسله ان يتقاضى له ترى له ان يفعل قال لا ولكن يقول لا أذهب حتى تتوب ذكرت لابى عبد الله رجلا من المحدثين فقال رحمه الله أى رجل كان لولا خلة واحدة ثم قال ليس كل الخلال يكملها الرجل فقلت له أليس كان صاحب سنة قال أى لعمرى وقد كتبت عنه ولكن خلة واحدة فقلت مثل ايش قال كان لا يبالى عمن أخذ سمعت أبا عبد الله وذكر بشر بن الحرث فقال رحمه الله لقد كان فيه أنس وذكر له شئ من الورع فقال يسأل عن مثل هذا بشر هذا موضع بشر وأنا لا ينبغى لى ان اتكلم فى هذا * ذكرت لابى عبد الله رجلا فقيرا فى اطمار خلقان وقلت ما أحوجه الى علم فقال لى اسكت لصبره على فقره وعريه من العلم انى لاذكره وأنا فى الفراش وقال هؤلاء خير منا قلت لابى عبد الله قيل لابن المبارك كيف يعرف العالم الصادق قال يزهد فى الدنيا ويقبل على أمر آخرته فقال أبو عبد الله نعم هكذا يريد أن يكون * سألت أبا عبد الله عن امرأة كانت تجرى على أخرى وتصلها وذكر المرأة ما أمرنى به أبو عبد الله من شئ صرت اليه قال ان تصدق به وتسأل * سمعت أبا عبد الله وذكر ابن عون فقال كان لا يكرى دوره من المسلمين قلت لاى علة قال لئلا يروعهم ابن المبارك عن حكيم بن زريق عن أبيه عن سعيد بن المسيب فى البر بالدقيق قال هو ربا قلت لابى عبد الله أخبرت ان بشر بن الحرث أرسل أخوه بتمر من الايلة فابقت أمه تمرة من التمر الذى كانت تفرقه يعنى على أهل بيته فلما دخل بشر قالت له أمه بحقى عليك لما أكلت هذه التمرة فأكلها وصعد الى فوق وصعدت خلفه فاذا هو يتقيأ وكان أخوه على شئ فقال أبو عبد الله وقد روى عن أبى بكر رضى الله عنه نحو هذا وسمعت أبا عبد الله وذكر وهيب بن الورد فقال قد كلمه ابن المبارك فيما يجئ من مصر وانما أراد ابن المبارك أن يسهل عليه ولم يدر انه يشدد عليه وكان لا يأكل مما يجئ من مصر الا الزبيب وقال أبو عبد الله بشر بن الحارث كان يأكل من غلة بغداد قلت لا وكان ينكر على من يأكل فقال انما قدر بشر لانه كان وحده لم يكن له عيال ليس من كان معيلا كمن كان وحده لو كان الى ما باليت ما أكلت وذهب أبو عبد الله الى ان يأخذ من السواد القوت ويتصدق بالفضل ثم قال لا يعجبنى أن أبيع شيأ قلت لابى عبد الله ترى أن يشرب الرجل من السواد قال هذا الذى نحن فيه ميراث انما آخذ الغلة على الاضطرار قيل لابى عبد الله فيشترى الرجل فيه فقال للسائل ان كنت فى كفاف فلا ثم قال اكره أن يبيع الرجل داره ولا أرضى فى شئ من السواد ولا يشترى الا مقدار القوت فاذا كان أكثر من قوته تصدق به وقال أنا أذهب الى أن السواد وقف على المسلمين أما عمر رضى الله تعالى عنه فترك السواد ولم يقسمه وهكذا عثمان تركه الا انه أقطع قوما من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ابن مسعود وسعدا وذكر غير واحد وأما على رضى الله عنه فأقره ولم يقسمه قال أبو عبد الله من ذهب الى قول ابن المبارك فذاك البلاء يزعم أن السواد يقسم على من شهد الوقعة وقال ابن ادريس فى دار ببغداد يبيع أمرها حتى يردها الى من فتحها بالسيف قلت ومن أين تقدر على هذا فتبسم وقال يصير الى المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فيسأل عنهم قال ابو عبد الله أهل المدينة على مذهب ابن ادريس يقولون المدينة اذا فتحت عنوة قسمت على من شهدها قلت لابى عبد الله فمن خالفهم قال عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما أوقفاها على المسلمين قلت لابى عبد الله فمن ورث دارا فى القطيعة قال قال ابن ادريس يردها على من شهد القادسية قلت وهذا هو عندك القول قال نعم ما أحسن ما قال ولكن مثل هذا الذى فى أيدينا انما هى قطائع لو أن رجلا أراد أن يخرج مما فى يديه كنا نأمره أن يوقفها الا انى سألت أبا عبد الله عن الكوفة والبصرة أليس افتتحت

وأما ما بقى فامان وغرور وما الشيطان حتى يهاب ومن ذلك حديث حارثة عزفت نفسى عن الدنيا فانه فنى عن العاجلة بالآجلة وعن الاغيار بالجبار ومن أقسام الفناء فناء هو الغيبة عن جميع الاشياء حتى عن شعوره بنفسه و بغيره كما جرى لموسى عليه السلام حين تجلى ربه للجبل ومعنى قول بعضهم ان الفناء عبارة عن فناء صفات البشرية هو أن يفنى العبد عن جميع صفات البشرية التى هى الجهل والظلم لقوله تعالى وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ومنها الجمع والتفرقة ومرادهم بالجمع جمع الهم بالله تعالى و بالتفرقة تفرقته بالكائنات والجامع والمفرق فى الحقيقة هو الله تعالى وقال بعضهم رؤية الافعال تفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع ومنها التوحيد وهو على ثلاثة أقسام الاول توحيد العامة وهو شهادة أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد وهو هذا التوحيد الظاهر الجلى الذى ينفى الشرك الاعظم وعليه نصبت القبلة وبه وجبت الذمة وبه حقنت الدماء والاموال وانفصلت دار الاسلام من دار الكفر وأما التوحيد الثانى فتوحيد الخاصة وهو اسقاط الاسباب الظاهرة فلا يشهد فى التوحيد دليلا ولا فى التوكل سببا ولا للنجاة وسيلة بل لا يشهد للاشياء سببا ولا موجدا ولا فاعلا الا الله تعالى قلت ويجب أن تعلم من هذا ان المقدر به والمعتزلة ليسوا من طبقة أهل التوحيد الاول لانهم جعلوا لانفسهم استقلالا بالافعال وأثبتوا القدرتهم تأثيرا فما وحدوه بالافعال والا أفردوه بالربوبية بخلاف الجبرية فانهم من أهل التوحيد لانهم ما رأوا

قال

قال لا انما جاؤا فابتنوا فيها وأدخلت على أبي عبد الله رجلا فقال اني ورثت عن أبي أرضين من السواد فقال له أوقفها على قرابتك فان لم يكن فعلى جيرانك وقيل له أيضا ورث رجل دارا في القطيعة فقال يوقفها ثم قال السواد فيء للمسلمين ورخص في الشراء قلت لأبي عبد الله كيف أشتري في السواد ولا أبيع قال الشراء عندي خلاف البيع واحتج أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رخصوا في شراء المصاحف وكرهوا بيعها ابن عباس وجابر بن عبد الله سئل أبو عبد الله أيما أحب اليك سكنى القطيعة أو الربض فقال الربض قلت لأبي عبد الله ان القطيعة أرفق من سائر الأسواق فقال أمرها معلوم تعرفها لمن كانت قلت فتكره العمل فيها وقد وقع في قلبي منه شيء فقال قال ابن مسعود الاثم حواز القلوب قلت لأبي عبد الله فرجل يريد الخروج الى الثغر وله دار يريد أن يبيعها قال لا قلت فان قال انما أبيع النقض فتبسم وقال ان رضي المشتري كأنه عنده حيلة ثم قال قد ورث ابن سيرين أرضا من أرض السواد قلت فهي رخصة قال هذا معروف عن ابن سيرين قال أبو بكر سمعت أبا عبد الله يقول أنا أفرح اذا لم يكن عندي شيء وقال ما أعدل بالفقر شيأ وقال هذه الغلة ما تكون قوتنا فاخبرته ان رجلا قال لو ان أبا عبد الله ترك هذه الغلة وكان يصنع صديقا له كان أعجب الي فقال أبو عبد الله هذه طعمة سوء أو قال ردية من تعودها لم يصبر عنه ثم قال هذا أعجب الي من غيره *حدثنا عبد الله بن نوح السراج قال قال لي بشر يا سراج أنت بعد في القطيعة قلت نعم قال أغناك الله عز وجل عن الدخول اليها حدثت عن بعض أصحاب بشر قال وصف لي شيء أتداوى به وقال ليس تجده الا في بستان بني كذا يعني القطيعة فقال لو كان شفائي فيه ما أردته محمد بن حاتم قال سمعت ابن أبي بشر يقول كنت مع بشر وقد خرجنا من باب حرب فقال لي يا أبا يعقوب تفكرت في هذه القرية ومن كره الدخول اليها واعلم أن الدباغ اذا كان في المدبغة لا يشم رائحتها انما يشم رائحتها من ورد عليها قال بعضهم وسمعت بشرا يقول من ذنوبي مقامي ببغداد وقال شعيب بن حرب أي رجال ببغداد كان لهم خير وعن عبد الوهاب قال خرج من ههنا الى المدائن الى شعيب بن حرب قوم فكلموه في النزول ببغداد فاشار عليهم أن لا يرجعوا واتركوا دورهم وأقام بعضهم ليستقي ماء بالمدائن ولقد رأى شعيب بعضهم يستقي الماء فقال لو رآك سفيان لفرح بك قلت لأبي عبد الله جاءنا كتاب من طرسوس فيه ان قوما خرجوا من نفير الاسل فطحنوا لهم طعاما على رحى فتبينوا بعد ان الرحى فيما يكرهونه غصب فتصدق بعضهم بنصيبه وأبى بعضهم وقال لست آمر فيه بشيء لا أرضى أكله لا أرضى أتصدق به فأي شيء تقول فكان مذهب أبي عبد الله ان يتصدق به اذا كان شيأ يكرهه ورجل اشترى حطبا أو كترى دواب وحمله ثم تبين بعد أنه يكره ناحيتها كيف يصنع بالحطب ترى أن يرده الى موضعه وكيف ترى أن يصنع به فتبسم وقال ما أدري قلت ان رجلا قال لأبي عبد الله ما تقول في نفاطة لمن تكره ناحيته ينقطع شسعي أستضيء به قال لا وذكر أبو عبد الله عثمان بن زائدة ان غلامه أخذ له نارا من قوم يكرههم فاطفأها فقال أبو عبد الله النفاطة أشد قلت لأبي عبد الله تنور سجر بحطب أكرهه فخبز فيه فخبزت أنا بعد فسجرته بحطب آخر فيه قال لا أليس أحمي بحطبهم وكرهه قلت لأبي عبد الله الخادم الخصي ينظر الى شعر مولاته قال لا قلت المرأة تكون بها الكسرة فيضع الجبر يده عليها قال هذا ضرورة ولم ير به بأسا قلت قال المجبر لا بد لي أن أكشف صدر المرأة وأضع يدي عليها قال طلحة توجد قلت لأبي عبد الله فالكحال يخلو بالمرأة وقد انصرف من عنده النساء هل هذه الخلوة منهي عنها قال أليس هو على ظهر الطريق قيل نعم قال انما الخلوة تكون في البيوت قال أبو بكر قلت لأبي عبد الله اذا اضطر الرجل الى الميتة ووجد مع قوم طعاما يأخذ الطعام بغير اذن صاحبه أو يأكل الميتة قال يأكل الميتة قد أحلت له سألت أبا عبد الله عن الرجل يمر بالحائط أو النخل يأكل منه فقال قد سهل فيه قوم من أصحاب رسول الله

لأنفسهم فعلا ولا لقدرتهم تأثيرا أصلا ولم يشهدوا في الوجود فاعلا ولا موجدا ولا مؤثرا غير الله تعالى وأما التوحيد الثالث فهو اسقاط الحوادث عن الاعتبار والاستغراق في الشهود في القلب لجلال الله وعظمته وعدم الالتفات لما عداه واثبات القدم فلا يزال مستغرقا لقلبه في شهود الحق لا يرى غير الله أصلا ويفنى عن الحوادث كلها وعن نفسه وهذا حال من هو في مقام الفنى وهذا التوحيد للأنبياء ولمن كرمه الله تعالى من أتباعهم من الأولياء

(الباب الثاني في معرفة العقل والنفس والروح والقلب والخاطر وما يتبع ذلك)

أما العقل فقال المشايخ العقل نور القلب وبنور القلب ينظر العبد الى الآخرة في ظلم الهوى فيبقى العبد حيران وعند ذلك تنشرح الجوارح وتلتذ وتبادر الى سلوك سبيل المهلكات فان كشف نور العقل أضاء نوره وقوي ضوءه وطفئت عند ذلك نيران الهوى وزالت ظلمته ودل العقل حينئذ على الهوى والتمييز وانفتحت له سداد السلوك فعمل عند ذلك لطريق الآخرة

(فصل) واعلم ان العقل على قسمين غريزي ومستفاد فالغريزي هو اللطيفة المركوزة في الانسان المتهيأة لذكر العلوم والمعارف ووجوده في الطفل كوجود النخلة في النواة والسنبلة في الحبة وهو للنفس بمنزلة العين وأما العقل المستفاد فهو ان تكون المعارف والعلوم النظرية حاضرة في النفس بحيث تلتفت اليها متى شاءت ولا تغيب عنها

(فصل) في الفرق بين ما يؤثره العقل وما يؤثره الهوى من شأن العقل أن يؤثر الافضل ويختار ما هو الأولى والاصلح في العواقب هذا دأب العقل أبدا وان كان على النفس في الابتداء مؤونة ومشقة

والهوى على الضد من ذلك فانه يؤثر ما يدفع ضرر مكابدة الشهوة فى الحال ويقدم العاجل على الآجل وان كان ذلك يعقب مضرة فى الآجل
فدأب الهوى أن لا ينظر فى العواقب كالصبي الرمد الذى يؤثر أكل الحلاوة واللعب فى الشمس على أكل الهليلج والحجامة
قال الله تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات وأيضا فان العقل يرى صاحبه ماله وما عليه والهوى لا يريه الا ماله دون ما عليه ويعميه عن رؤية العواقب وقال صلى الله عليه وسلم حبك للشئ يعمى ويصم *(فصل)* فى منازعة الهوى للعقل قال الله تعالى ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وقال تعالى فى مدح من عصى هواه وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى واعلم أن العقل والهوى كملكين أحدهما يريد الفساد وهو الهوى والآخر يريد الخير والاصلاح وهو العقل وجنود العقل هى قواه من الفكر والخيل والحواس والاعضاء والجوارح رعيته وجنود الهوى هى الشهوات والغضب

(فصل) وأما النفس فهى تنقسم الى ثلاثة أقسام نفس أمارة ونفس لوامة ونفس مطمئنة والعداوة بينك وبين الامارة وهى التى تطيع الشيطان ويستولى عليها القوى الحيوانية وتتبع شهواتها وهواها قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقال صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك وعن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قيل يا رسول الله أى الجهاد أفضل

ابو

صلى الله عليه وسلم قلت فماذا تقول اذا اضطر الرجل الى الميتة ووجد مع قوم طعاما يأخذ الطعام بغير اذن صاحبه أو يأكل الميتة قال يأكل ولا يحمل قلت الرجل يمر بالبستان قال اذا كان عليه حائط لم يدخل واذا كان غير محوط أكل ولا يحمل سألت أبا عبد الله عن أجور بيوت مكة فقال لا يعجبني قلت لابى عبد الله فيكترى الرجل الدار ويخرج ولا يقضى الكراء قال لا يعجبنى أن لا يخرج الكراء ثم قال هذا بمنزلة الحجام لا بد من أن يعطى قلت لابى عبد الله فترى شراء دور مكة والبيع قال لا أما الدور الكبار مثل دار فلان وفلان سماها فتفتح أبوابها حتى يضرب الحاج فيها فساطيطهم وينزلوها لا يمنع أحد من نزولها قيل لابى عبد الله هذا عمر بن الخطاب قد اشترى السجن قال لا هذا لا يشبه ما اشترى عمر انما اشترى السجن للمسلمين يحبس فيه السراق وغيرهم سئل أبو عبد الله عن السقايات التى يعملها من تكره ناحيته ترى أن يتوضأ منها قال لا الا أن يخاف فوت الصلاة يعنى يوم الجمعة سئل أبو عبد الله عن السقايات التى تفتح الى الطريق ترى أن يشرب منها فقال قد سئل الحسن فقال قد شرب أبو بكر وعمر رضى الله تعالى عنهما من سقاية أم سعد فيه قلت لابى عبد الله حكى عن فضيل أن غلامه جاءه بدرهمين فقال عملت فى دار فلان فذكر من يكره ناحيته قال فرمى بهما بين الحجارة وقال لا يتقرب الى الله عز وجل الا بالطيب فعجب أبو عبد الله وقال رحمه الله وذهب أبو عبد الله الى أن يتصدق كأنه كان أحوط وقال يعجبنى أن يتصدق به اذا تصدق به فأى شئ بقى * ذكر ما رأى أحمد بن حنبل الخروج منه حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى الى الوليمة من أى شئ يخرج فقال خرج أبو أيوب حين دعاه ابن عمر فرأى البيت قد ستر ودعى حذيفة فخرج وانما رأى شيأ من زى الاعاجم قلت فان لم يكن البيت مستورا ورأى شيأ من فضة فقال ما كان استعمل يعجبنى أن يخرج وسمعت أبا عبد الله يقول دعانا رجل من أصحابنا قبل المحنة وكنا نختلف الى عفان فاذا فضة فخرجت فاتبعنى جماعة فنزل بصاحب البيت أمر عظيم قلت لابى عبد الله فالرجل يدعى فيرى المكحلة رأسها مفضض قال هذا يستعمل فاخرج منه انما رخص فى الضبة أو نحوها فهو أسهل سألت أبا عبد الله عن الكلة فكرهها قلت فالقبة أو الحجلة فلم ير بها بأسا قلت لابى عبد الله ان رجلا دعا قوما فجئ بطست فضة أو ابريق فكسره فاعجب أبا عبد الله كسره سألت أبا عبد الله عن الرجل يدعى فيرى فرش ديباج ترى أن يقعد عليه أو يقعد فى بيت آخر قال يخرج قد خرج أبو أيوب وحذيفة وقد روى عن ابن مسعود قلت فترى ان يأمرهم قال نعم فيقول هذا لا يجوز قلت لابى عبد الله الرجل يكون فى بيت فيه ديباج فيدعو ابنه لشئ قال لا يدخل عليه ولا يجلس معه قلت لابى عبد الله الرجل يدعى فيرى الكلة فكرهه وقال هو رياء لا يرد من حر ولا من برد قلت الرجل يدعى فيرى تصاوير قال لا ينظر اليه قلت فقد نظرت اليه قال ان أمكنك خلعه خلعته أبو صالح الفراء عن يوسف ابن أسباط قال قلت من أجيب قال لا تدخل على رجل اذا دخلت عليه أفسد عليك قلبك قد كان يكره الدخول على أهل البسط يعنى الاغنياء المروزى قال سألت أبا عبد الله عن الستر يكتب عليه القرآن فكره ذلك وقال لا يكتب القرآن على شئ منصوب لا ستر ولا غيره قلت فالرجل يكترى البيت يرى فيه التصاوير ترى أن يحكه قال نعم قلت لابى عبد الله فاذا دخلت حماما فرأيت فيه صورة ترى أن أحك الرأس قال نعم * ذكر الورع فى أشياء ابن عبد الخالق قال حدثنا أحمد بن الحجاج قال قلت لابى عبد الله ترى الرجل الوصى تسأله الصبية أن يشترى لها اللعبة قال ان كانت صورة فلا وذكر فيه شيأ قلت أليس الصورة اذا كان يد أو رجل فقال عكرمة يقول كل شئ له رأس فهو صورة قال أبو عبد الله وقد يصيرون لها صدرا وعينا وأنفا قلت وأحب اليك أن تجتنب شراءها قال نعم سألت أبا عبد الله عن قبلة اليد فلم ير بها بأسا ان كان على التدين قال وقد قبل أبو عبيدة يد عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما وان كان على طريق الدنيا فلا رجل يخاف سيفه أو سوطه قال لى

أبو عبد الله قال لي سعيد الحاجب الا يقبل يدولي عهد المسلمين فقلت ٣ بيدى هكذا ولم أفعل ورويناعن علي بن ثابت قال سمعت سفيان يقول لا باس بها للامام العادل وأكرهه على الدنيا يعني تقبيل اليد قلت لابي عبد الله رجل يريد الخروج الى الثغر وقد سألني أسألك وهذا الطريق طريق الانبار مخيف فان عرض له اللصوص ترى أن يقاتلهم قال ان طلبوا أشياءه قاتلهم لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل دون ماله فهو شهيد قلت فان عرضوا للرفقة ترى أن يقاتلهم قال حتى ان يطلبوه هو ولم يرأن يقاتل عن الرفقة بالسيف سئل أبو عبد الله عن الاسير يفر قال نعم اذا قدر على ذلك قلت لابي عبد الله ترى للرجل اذا جاءه الرجل يسال ترى ان يسأل له قوما قال لا ولكن يعرض كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه القوم مجتابي النمار فقال تصدق رجل بكذا سمعت أبا عبد الله يقول عبد الوهاب أطيب طعمة من غيره يريد الوراقة سمعت أبا عبد الله يقول كان يحيي بن يحيي أوصى الى بجبته فجاءني ابنه فقال لي فقلت رجل صالح قد أطاع الله تبارك وتعالى فيها أتبرك بها * حدثت عن بعض العلماء ان يحيي بن يحيي قالت له امرأته تشرب به دواء لوقت فترددت في الدار فقال ما أدري ماهذه المسئلة أنا احاسب نفسي منذ أربعين سنة حدثت عن موسى بن عبد الرحمن بن مهدي قال لما قبض عمي أغمي على أبي فلما أفاق قال البساط نحوه أدرجوه الغلة الورثة ابن أبي خالد قال كنت مع أبي العباس الخطاب وقد جاء يعزي رجلا ماتت امرأته وفي البيت بساط فقام أبو العباس على باب البيت فقال أيها الرجل معك وارث غيرك قال نعم قال قعودك على مالا تملك فتنحى الرجل عن البساط وحدثت عن ابن الضحاك صاحب بشر بن الحرث قال كان يجيء الى أخته حين مات زوجها فيبيت عندها فيجيء معه بشيء يقعد عليه ولم يران يقعد على ماخلف من غلة الورثة ابن عبد الخالق عن المروزي قال سالت أبا عبد الله عن بواري المسجد اذا فضل منه الشيء أو الخشبة قال يتصدق به سالته عن الجص والآجر يفضل عن المسجد قال يصير في مثله قلت لابي عبد الله اني أكون في المسجد في شهر رمضان فيجاء بالعود من الموضع الذي يكره فقال وهل يراد من العود الا ريحه ان خفت خروجك فاخرج روينا عن أبي عوانة عن عبد الله ابن راشد قال أتيت عمر بن عبد العزيز بالطيب الذي كان في بيت المال فامسك على انفه وقال انما ينتفع بريحه عبد العزيز بن أبي سلمة قال حدثنا اسماعيل بن محمد قال قدم على عمر رضي الله عنه مسك من البحرين فقالت والله لوددت اني أجد امرأة حسنة الوزن تزن لي هذا الطيب حتى أفرقه بين المسلمين فقالت امرأته عاتكة بنت عمرو بن نفيل اني جيدة الوزن فهلم أزن لك قال لا قلت ولم قال اني أخشى ان تاخذيه هكذا وأدخل أصابعه في صدغيه وتمسحين عنقك فاصيب فضلا عن المسلمين وسليمان التيمي قال حدثني نعيم عن العطارة قال كان عمر يدفع الى امرأته طيبا من طيب المسلمين قال فتبيعه امرأته فباعتني طيبا فجعلت تقوم وتزيد وتنقص وتكسره باسنانها فيعلق باصبعها شيء منه فقالت به هكذا باصبعها ثم مسحت به خمارها فدخل عمر فقال ماهذه الريح فاخبرته بالذي كان فقال طيب المسلمين تاخذينه أنت فتطيبين به فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرا من ماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلكه في التراب ثم يشمه ثم يصب عليه الماء ثم يدلكه في التراب ثم يشمه فطعل ماشاء الله قالت العطارة ثم أتيتها مرة أخرى فلما علق باصبعها منه شيء فعمدت فادخلت أصبعها في فيها ثم مسحت باصبعها التراب * أبو بكر المروزي قال قلت لابي عبد الله يحضر يوم الجمعة يوم بارد ترى ان يسخن الماء من الموضع الذي أكره قال لا تركك الغسل أحب الي من هذا سمعت أبا عبد الله ينكر على أبي ثور قوله واذا أجمع الاطباء ان شفاء الرجل في الخمر انه ليس به باس فانكر انكارا شديدا عليه وقال لقد كرهت ان يداوي الدبر بالخمر فكيف بشربه وتكلم بكلام غليظ * حدثت عن شعيب بن حرب قال لان أرى ابني يسرق أو يزني أحب الي من ان ياتي عليه وقت لا يعرف الله تبارك وتعالى فيه محمد بن أبي

قال جهاد المرء نفسه ومجاهدة النفس أمر بمعروف ونهي عن منكر وأما اللوامة والمطمئنة فسيأتي ذكرهما واعلم أن النفس في اصطلاح الصوفية تطلق و يراد بها القوى الحيوانية الجامعة للصفات المذمومة المضادة للقوى العقلية واليه أشار بقوله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وهي التي أمر الشرع بمجاهدتها وتطلق أيضا و يراد بها عندهم حقيقة الانسان وهو الجوهر الذي هو محل المعقولات وهو من عالم الملكوت ومن عالم الغيب ومن عالم الامر نعم تختلف أسماؤها باختلاف أحوالها العارضة عليها فان اتجهت الى جهة الصواب ونزلت عليها السكينة الالهية توالت عليها نفحات الجود والخير من قبل الله واطمأنت الى معرفة الله تعالى وطاعته وهي النفس المطمئنة قال الله تعالى ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وان كانت مع قواها و جنودها في تشاجر ومحاربة وقتال وكان الحرب بينهما سجالا فتارة لها اليد على القوى وتارة للقوى اليد عليها فلا يكون حالها مستقيما فتارة تنزع الى جناب الحق فتقبل أوامر الله تعالى ونواهيه وتخاف سطوته وتستحي من جوده واحسانه وجلاله وعظمته وتثبت على الطاعات وتارة يستولي

عليها القوى فتهبط الى حضيض منازل البهائم وهذه هي النفس اللوامة وهي حالة كثير من الخلق وقد تقدم ان التي تطيع الشيطان وتستولي عليها القوى الحيوانية وتتبع هواها وشهواتها هي النفس الامارة بالسوء وصاحب هذه النفس

داود الانبارى قال قلت لابى أسامة أجيب وليمة فيها نبيذ قال لا قلت أخاف الحديث الذى جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يجب فقد عصى فقال من لم يجب اليوم فقد أطاع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هرون بن معروف قال جاءنى فتى فقال ان أبى حلف على بالطلاق أن أشرب دواء مع مسكر فذهبت به الى أبى عبد الله فلم يرخص له وقال قال النبى صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام و كل مسكر خمر* المروزى قال سألت أبا عبد الله عن خياط الملحم فقال ما كان للرجال فلا وما كان للنساء فليس به باس وسألته يخاط للنساء هذه الزيقات العراض فقال ان كان شئ عرض فاكرهه هو محدث وان كان شئ وسط لم ير به باسا وكره ان يصير للمرأة مثل جيب الرجال وقطع أبو عبد الله لابنته قميصا وأنا حاضر فقال للخياط صير جيبها من قدام وقطع أبو عبد الله لابنته قميصا وأنا حاضر فقال للخياط صير زيقها دقاقا وكره ان يصير عريضا وقطعت لابى عبد الله جبة وصير زيقها دقيقا فقلت لابى عبد الله هل أدركت أحدا من المشايخ كان له زيق عريض قال لا وكنت يوما عند أبى عبد الله فمرت جارية عليها قباء فتكلم بشئ فقلت تكرهه قال كيف لا أكرهه جدا لعن الرسول الله صلى الله عليه وسلم المتشبهات من النساء بالرجال ورويناعن عبد الصمد قال دعا زيد بن هرون خياطا من النساك فقال اقطع لهذه الجارية قباء فوضع الخياط المقراض من يده وقال يا أبا خالد قباء عمن فسكت يزيد المروزى قال ذكر لابى عبد الله رجل من المحدثين فقال انما أنكرت عليه ان لبس زيه زى النساك سألت أبا عبد الله عن الرجل يلبس النعل السبتى فقال أما أنا فلا استعملها ولكن اذا كان للمخرج أو الطين فارجو وأما من أراد الزينة فلا ورأى نعلا سنديا على باب المخرج فسالنى لمن هى فاخبرته قال يتشبه باولاد لوط يعنى صاحبها سالت أبا عبد الله قلت أمرونى فى المنزل ان اشترى نعلا سنديا للصبية قال لا تشتر قلت تكرهه للصبيان والنساك قال نعم أكرهه زياد بن أيوب قال كنت عند سعيد بن عياض فاتاه صبى ابن ابنته وفى رجله نعل سندى فقال من البسك هذا قال أمى قال اذهب الى أمك تنزعها* المروزى قال سالت أبا عبد الله عن المرأة تلبس المقطوع الاحمر فكرهه كراهة شديدة وقال أما ان تريد الزينة فلا قال يقال أول من لبس الثياب الحمر آل قارون ثم خرج على قومه فى زينته قال فى ثياب حمر مجاهد عن عبد الله بن عمر قال مر على النبى صلى الله عليه وسلم رجل وعليه ثوبان أحمران فسلم فلم يرد عليه المروزى قال رأى ابو عبد الله بطانة جبنى حمراء فقال لم صبغتها حمراء قلت للرقاع التى فيها قال وايش تبالى ان يكون فيها رقاع قلت تكرهه قال نعم وأمرنى ان اشترى له تكة فقال لا يكون فيها حمرة قلت تكرهه قال نعم قلت لابى عبد الله الثوب الاحمر تغطى به الجنازة فكرهه قلت ترى ان أجذبه قال نعم وأمرونى فى منزل ابى عبد الله ان اشترى لهم ثوبا عليه كتاب فقال قل لهم ان أردتم ان اشتريه وأقلع الكتاب قلت هم اغمار يدون الكتاب قال لا تشتره وأخبرتنى المرأة قالت نهانى أبو عبد الله عن النقش فى الخضاب وقال أغمسى اليد كلها وسمعت أبا عبد الله وذكر المختضبة فقال قالت عائشة اسلبه وأدعمه سليمان التيمى عن أبى عثمان قال أرسلت أم الفضل ابنة غيلان الى انس تساله عن القلادة فى عنق المرأة وعن الخضاب فارسل انه يستحب للمرأة ان تعلق فى عنقها شيأ فى الصلاة ولو سيرا وقال فى الخضاب آمرها ان تغمس يدها كلها المروزى قال سالت أبا عبد الله عن الرجل يجصص فقال أما أرض البيوت فتوقيهم من التراب وكره تجصيص الحيطان وذكرت لابى عبد الله مسجدا قد بنى وانفق عليه مالا كثيرا فاسترجع وأنكر ما قلت وقال قد سالوا النبى صلى الله عليه وسلم ان يكحل المسجد فقال لا عريش كعريش موسى قال أبو عبد الله انما هو شئ من الكحل يطلى فلم يرخص النبى صلى الله عليه وسلم * حدثت عن أحمد بن عبد الخالق قال حدثنا أبو بكر المروزى قال قلت لابى عبد الله لا يبيع حاضر لباد كيف هو فقال حدثنا سطبان قال حدثنا أبو الزبير قال

سمعت

هو شيطان الانس وهذه حالة أكثر الخلق فكلهم اذا فكرت فيهم حمير وكلاب وذئاب وقد أشار القران العظيم والذكر الحكيم الى هذه المراتب الثلاثة بقوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فنفس الظالم هى النفس الامارة بالسوء ونفس المقتصد هى النفس اللوامة ونفس السابق بالخيرات هى النفس المطمئنة

(فصل) واعلم انه يجب على الانسان أن يهتم بامر النفس فينظر فى آفاتها ويسعى فى اصلاحها وتطهيرها وتهذيبها ورياضتها ويسعى فى دفع مكايد العدو وبصرف النفس عن التعلق بالشهوات والتجنب عن فتنة الدنيا والعلم باحكام هذه الاشياء وهو المسمى بعلم الحكمة التى من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا وهو من العلم الذى هو فريضة على كل مسلم فاذا قهر العبد نفسه وحفظ جوارحه عما منع الله تعالى وضبط النفس عن الاسترسال فى الشهوات وداوم على ذلك وكابد نفسه عليه صار له ذلك ملكة وسهل عليه حينئذ ردها وردعها اذا أجمحت الى الانحراف عن طريق الصواب كما فى الدابة ورياضتها واذا انتهى العبد الى هذه الغاية أمكنه مراقبة الخواطر وتطهير السرائر وذلك لما بين الظاهر والباطن من الارتباط والاتصال وسريان حكم أحدهما الى الآخر وأكثر الاحوال فصفت له الخواطر وظهرت له السرائر

(فصل) وأما الروح فتطلق ويراد بها البخار اللطيف الذى يصعد من منبع القلب ويتصاعد الى الدماغ الى جميع أجزاء البدن بواسطة العروق فيعمل فى كل عضو بحسب ما يقتضيه مزاج ذلك العضو

واستمداده وهو منبع الحياة وهذا البخار كالسراج في البيت ويطلق ويراد به الملك المنزل بالوحي على الانبياء والصوفية اذا أطلقوا لفظ الروح والنفس والعقل يريدون به النفس الانسانية التي هي محل التعقل

(فصل)

وأما القلب فهو يطلق ويراد به الشكل الصنوبري وهو محل الدم الاسود ومنبع البخار السارى الى الدماغ منه في العروق والاعصاب والشرايين ثم منها الى جميع أجزاء البدن وهو الروح الحيواني وهذا يكون لجميع الحيوانات وهذا الذي يفنى بالموت وتفنى جميع الحواس لفنائه وهو الروح عند الاطباء والثاني وهو الذي نحن بصدده فانه يطلق ويراد به الروح الانساني المتحمل لامانة الله تعالى المتحلي بالمعرفة والايمان المركوز فيه العلم بالفطرة وهو الذي عناه الله تعالى بقوله ويسالونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وحيث ورد ذكر القلب فهذا هو المراد به لا الشكل الصنوبري وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن أي بين داعيتين في العبد مخلوقتين لله تعالى وحيث ذكر الشكل الصنوبري كما في قوله صلى الله عليه وسلم ألا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب فالمراد ما يلازمه وهو اللطيفة المذكورة ويكون الطلاق مجازيا من باب اطلاق اسم الملزوم وارادة اللازم

(فصل)

واعلم ان القلب يأتي فيه ما تجتلبه الحواس وقد شبه بعضهم القلب مع الحواس بحوض ينصب اليه الماء من خمسة أنهار فاذا كانت الانهار بحيث تجري فيها المياه الكدرة والنجاسات القذرة فاي صفاء يكون في الحوض

سمعت جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبيع حاضر لباد دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض قال والبادي الاعرابي وانت حاضر ويجيء الاعرابي وهو لا يعرف السعر فتقوم انت وقد عرفت السعر فتبيع له بما تعرف فهو الذي نهى عنه قلت لابي عبد الله فتشتري له اذا جاء لانه لو ترك لاشترى منهم الغالي بمنزلته اذا جاء فباع منهم الرخيص فقال ليس هذا لو كان هذا هكذا ما اشترى الناس ولا باعوا انما عليه لا يبيع له ولم ير باسا ان يشتري له قلت لابي عبد الله ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا شرطين في بيع قال قول الرجل أبيعك أمتي هذه على انك اذا بعتها فانا أحق بها سئل أبو عبد الله عن ربح ما لم يضمن قال الرجل يبيع الطعام قبل ان يقبضه قيل لابي عبد الله في الرجل يشتري الطعام صبرة ترى له ان يبيعه قبل ان يكيله فقال لا سئل عن بيع المباطخ فقال جنية يوم بيوم قلت لابي عبد الله يكون في سقف البيت الذهب يجانب صاحبه قال نعم هذا يكره وذهب الى ان يحفى قلت لابي عبد الله الرجل يكون له القرابة سكران يحفى قال أي شيء يبقى اذا سكر نعم يحفى أو يجانب سالته عن المكره يراد على شرب الخمر فقال يروى عن عمر رضي الله عنه في شرب الخمر الا انه لا يفعل حتى ينال بعذاب قلت فان أمر ان يقتل قال أما القتل فلا يكون عند الله المقتول قلت لابي عبد الله الرجل يبيع داره من نصراني قال لا اليس يكفر فيها وذكر المحاريب التي فيها قال لي أبو عبد الله أي شيء قال لك عبد الوهاب في خروجي الى مكة قلت قال ما أرى لك ان تخرج انت ههنا بالقرب ليس تسلم فكيف ان تباعدت قال أشار علي رجل صالح ان لا أخرج أخبره اني قد قبلت ما أشرت به علي وقد كنا اشترينا بعض حوائجه سالت أبا عبد الله عن رجل لبى بالحج وليس عنده شيء وعليه دين قال لا يجوز حتى يستاذن أصحاب الدين ثم قال قد أوجب على نفسه الحج سالت أبا عبد الله عن رجل له أم ضريرة وله مال يحج عنها فقال يحج عنها اذا لم تقدر على الركوب وقال يعجبني ان لا يحج الا عن قرابة قلت لابي عبد الله اني دخلت أغسل رجلا من أصحابنا فاذا قد دخل علينا رجل من أهل الخلاف قد سميته له فقال لي قد وقفت حيث ثبت وغسلته لو خرجت كنت لا تامن ان يجيء رجل من أصحابنا فيتولاه سالت أبا عبد الله عن رجل مات وترك كتبا وله ورثة قال تدفن فان كانوا صبيانا صغارا قال يدفنها الوصي عليهم سمعت أبا عبد الله يقول حكم المخنثين ان ينفوا سئل أبو عبد الله عن المرأة اذا كانت موسرة وزوجها غائب هل تحج قال تكتب اليه فان أذن والا خرجت مع ذي محرم قيل فان كان شاهدا يمنعها تخرج من غير علمه مع محرمها قال نعم ليس له ان يمنعها قال ولا تخرج مع غيره فان كان أخوها من الرضاعة خرجت قيل لابي عبد الله الرجل يستاجر الدار والحانوت فيؤاجره باكثر مما استاجره قال فيه الاختلاف ولم يجب قيل له رجل له شجر في أرضه وأغصانها في أرض غيره قال يقطع أغصانها قيل له فان صالحه على ان تكون الغلة بينهم قال لا أدري سمعت أبا عبد الله يقول في المحرم اذا اضطر الى الصيد قال ياكل الميتة وقال اذهب في الميتة الى حديث ابن حكيم أتانا كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بشهر لا تنتفعوا من الميتة بشيء سالت أبا عبد الله عن محرم ذبح صيدا يؤكل قال لا هذا ليس بذكاة هذا لا يؤكل قلت فالرجل يقلع ضرسه ثم يرده الى موضعه فيكث ثلاثا ثم يقلعه ايش تقول فيه فان الشافعي قال يعيد الصلاة لانه صلى في ميتة قال لا تعجل علي ثم سكت ساعة ثم قال ما أبعد ما قال بلى لو أخذ سن شاة مما يؤكل لحمه فوضعه لم يكن به باس وذكر في هذا أحب الي ان يعيد ما صلى سالت أبا عبد الله يباع الغزل في الفلكة ولعلها ميتة قال ان علم فلا قلت لقد يخصف به الخف أو النعل فقال اذا كان من حمار فاكرهه قلت فاي شيء ترى قال ما لا تعلم فلا تريدان تبحث قلت له تنور شوي فيه خنزير ترى ان يخبز فيه قال لا حتى يغسل ويقلع ما فيه قلت فيكسر قال لا سالته عن البر يداس بالحمير فيبال فيه ثم يطحن قبل ان يغسل قال لا يؤكل قلت لابي عبد الله ان رجلا قال من كان له امرأة يسكن اليها وخبز ياكله فهو من المتنعمين

ويعلم من هذا لمن بين الظاهر والباطن من الارتباط والاتصال ما يقتضى سريان حكم كل منهما الى الآخر *(فصل)* فى ذكر أعمال القلوب من مبدأ ظهورها الى أن تظهر على الجوارح قال أهل البصائر أول ما يرد على القلب الخاطر فيخطر بباله الشئ وتهيج رغبته اليه وهذا يتولد عن الخاطر ويسمى ميل الطبع ويسمى الأول وهو الخاطر حديث النفس ثم يحكم القلب بان هذا ينبغى ان يفعل وهذا تبع للذى قبله ثم يعزم على الفعل فهذه أربعة أحوال قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم العزم فنقول الخاطر لا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهما المرادان بقوله صلى الله عليه وسلم عفى عن أمتى ما حدثت به أنفسها والثالث هو الاعتقاد وهو حكم القلب بانه ينبغى ان يفعل فهذا يؤاخذ به اذا كان اختياريا والا فلا يؤاخذ به وأما العزم على الفعل فانه يؤاخذ به قال النبى صلى الله عليه وسلم فى المتقاتلين ان المقتول من أهل النار لانه كان حريصا على قتل صاحبه وهذا نص فى أنه من أهل النار بمجرد العزم قال الله تعالى ان السمع والبصر والفؤاد أى القلب كل أولئك كان عنه مسؤلا أى اذا كان اختياريا

(فصل) وأما الخواطر فقال السادة الأئمة الخواطر عبارة عما يعرض فى القلب من الأذكار والافكار وعنوا به ادراكاته اما على سبيل التجرد أو على سبيل التذكر وسميت هذه الادراكات والعلوم خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب خاليا عنها والخواطر هى المحركات للارادات فان النية والعزم والارادة انما تكون بعد خطور

قال أبو عبد الله صدق سمعت أبا عبد الله وذكر المطاعم ففضل عمل اليدين قلت له ان عبد الوهاب قال قيل لابى عبد الله يخاف على من أمر الحديث ان امتنعت شئ قال وأى شئ تمنعه من الحديث قال الكسب والمعاش قال هذا أوجب عليه يعنى الكسب قال المروزى سمعت بعض أصحابنا يقول رأيت أبا عبد الله فى الجمعة وسائل يسال فاعطى رجل لنس قطعة ليدفعها الى السائل فاخذها فدفعها اليه قلت لابى عبد الله اذا كان لى جار اعلم انه يجوع قال تواسيه قلت فاذا كان قوتى رغيفين قال تطعمه شيأ الذى جاء فى الحديث انما هو فى الجار قلت لابى عبد الله اذا كان للرجل قميصان أو جبتان تجب عليه المواساة قال اذا كان يحتاج اليه فى هذا البرد الآن يكون يفضل قلت الاغنياء تجب عليهم المواساة فقال اذا كان قوم يضعون شيأ على شئ كيف لا يجب عليهم قال المروزى سمعت يحيى الجلاء وأبا طالب صاحبنا قالا سمعنا يزيد بن هرون وسئل عن انفاق المكحلة قال حرام لا تصلح قيل له فان تراضيا أبا خالد قال الزانيان يتراضيان الحلال هو قال قال وسمعت عبد الوهاب يقول قال أبو اسامة تقطع الايدى فى المكحلة يعنى الذى يعملها قلت لابى عبد الله أقرضت رجلا عشرة دراهم فردها على مكحلة فقبضت درهما قال لم تستوف حقك قلت له الرجل يدفع الى الدنانير فتكون مكحلة أحكها قال حكها صلاح اصلحها قال المروزى سمعت يحيى الجلاء يذكر عن شعيب بن حرب قال لان أرى ابنى يحك درهما أحب الى من ان أحمل على فرس فى سبيل الله عز وجل قال ودفع الى أبو عبد الله دينارا فقال صرفه بدراهم صحاح فجئت بالدراهم فاعطيته فلما كان بعد ذلك اليوم خرج فى تلك الدراهم درهم ردىء قلت فهات حتى أبدله فقال قد اختلفوا فيه وفيه أربعة أقاويل ثم قال قال مالك الصرف منتقض وأما الثورى فيقول ما نقص من الدراهم فتكون له حصته من الدنانير وهذا قول ما أدرى ما هو قلت الى ما تذهب قال أرجو ان لا يكون به بأس وأما ابن عمر فيقول ليس له ان يرد قال أبو عبد الله وليس هو بذاك رواه رجل مجهول وأما قتادة فيقول له ان يرده ثم قال قول قتادة أوسع على الناس استخر الله عز وجل ورده فدفعه الى فابدلته عن المغيرة عن ابراهيم انه كره ان يشترى الدراهم بدينار على ان كان فيها زيف رده وعن وكيع عن سفيان عن رجل عن الحسن فى الرجل يصرف الدينار فيعطى الدرهم الزيف قال لا بأس ان يستبدله قال سفيان اذا كان ستوقا رده ويكون شريكه فى الدينار بحصته وسئل محمد بن جعفر عن رجل ابتاع دراهم بدنانير وشرط على صاحبها انه ما رد فعليك بدله قال أخبرنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال ان كان فيها زيف رده ولكن لا يشترطان سئل أبو عبد الله عن الرجل يستأجر يكتب الورق المائة بعشرة دراهم فيدفع اليه دينارا فقال ابن عمر قد اكترى شيأ فاعطاه دنانير وصارف ولم ير به بأسا قال ولا يعطى الدنانير من الدراهم الا بسعر يومها ولا زيادة دانق سالت أبا عبد الله عن حلق القفا فقال هو من فعال المجوس قال ودعى حذيفة الى شئ فرأى شيأ من زى الاعاجم فخرج وقال من تشبه بقوم فهو منهم وكان أبو عبد الله لا يحلق قفاه الا فى وقت الحجامة قلت لابى عبد الله فما ترى فى تحذيف الوجه قال أما الوجه فالمقاريض تأتى عليه وكره ان يؤخذ الشعر بالمنقاش من الوجه وقال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتنمصات سالت أبا عبد الله عن المرأة تصل شعرها بقرامل فكره وسمعت امرأة تقول جاءت امرأة من هؤلاء الذين يمشطون الى أبى عبد الله فقالت انى أصل رأس المرأة بقرامل وأمشطها فترى أن أحج مما كسبت قال لا وكره كسبه لنهى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يكون من مال أطيب منه قلت لابى عبد الله فالمرأة الكبيرة تصل رأسها بقرامل فلم يرخص لها وقال ان كان صوفا أبيض وتبسم ودخلت على أبى عبد الله فرأيت امرأة تمشط صبية له فقالت الماشطة بعد ان وصلت رأسها بقرمل فقالت لم تترك الصبية قالت ان أبى نهانى وقالت تغضب روينا عن ابن جريج قال أخبرنى أبو الزبير عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم زجر أن تصل المرأة برأسها شيأ قال أبو بكر سالت أبا عبد الله عن

حلق

حلق الرأس فكرهه قلت تكرهه قال أشد الكراهية ثم قال كان معمر يكره الحلق واحتج أبو عبد الله بحديث عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه انه قال لرجل لو وجدتك محلوقا لضربت الذى فيه عيناك قال أبو بكر رأيت رجلا من أصحابنا صلى الى جانب أبي عبد الله وقد كان استأصل شعره وظن أبو عبد الله انه محلوق وكان رآه بالليل فقال لى تعرفه قلت نعم قال أردت أن أغلظ له فى حلق رأسه سألت أبا عبد الله عن الحقنة فقال اذا اضطر اليها فلا بأس ورأيت أبا عبد الله التى للختان درهمين فى الطست وسمعته يقول الجوز اذا لعب به الصبيان مايعجبنى أن يؤكل سألته عن مسوك السباع تفترش فقال لا تفترش نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تفترش ذكرت لابى عبد الله أن رجلا خلف متاعه عند غلامه فباع ثوبا ممن يكره ناحيته فاخذ الدراهم فالقاها فى كيسه فجاء الرجل فاخبره فاخذ الكيس وانطلق به الى يوسف بن اسباط فاخبره فذكر له يوسف عن الثورى وابن المبارك ما أجد قلبي يسكن الا أن أتصدق بالكيس فقال أبو عبد الله بارك الله فيه سئل أبو عبد الله عن الرجل يكون محتاجا فيجيئه الرجل من اخوانه بشئ يخاف عليه ان لم يقبله فقال ان أتاه من غير مسئلة ولا استشراف نفس أخاف أن يضيق عليه ان لم يقبل قال وجئته بعمال دقيق فقال أعطيته الكراء قلت نعم فاخرج رغيفا فقال لى أعطه فدفعته اليه فقال ويحك ما اعلم انى قبلت من أحد شيأ ولكن لا أرد على أبي عبد الله أتبرك به وجئته به مرة أخرى فأخرج اليه رغيفا فقال ان نفسى استشرفت اليه فتبسم أبو عبد الله وقال لك أن ترد ونحن نحب أن تقبل فقبله سألت أبا عبد الله عن بيع المراوح الرقاق وربما باع المروحة بالدرهم أو أكثر فقال هى بمنزلة الثياب الرقاق قلت فأى شئ تقول فقال اذا باعها من تاجر فلا بأس قال سألت أبا عبد الله عن مصحف قد بلى ماترى فى دفنه قال يدفن قلت الرجل تدعوه أمه وهو فى الصلاة قال قد روى عن ابن المنكدر انه قال اذا كان فى التطوع فليجبها قلت لابى عبد الله رجل سقطت منه ورقة فيها أحاديث وفوائد فأخذتها ان أنسخها وأسمعها قال لا الا أن يأذن صاحبها سألت أبا عبد الله عن شئ من أمر الورع فأطرق رأسه الى الارض وسكت وكان ربما تغير وجهه يقول فى بعض ما أسأله أستغفر الله قلت فأى شئ تقول يا أبا عبد الله قال أحب أن تعفينى قلت فاذا أعفيتك فمن أسأل لقد أصبح الادلاء متحيرين قال هذا أمر شديد وسمعته يقول أنا منذ أكثر من سبعين سنة فى فقد وقال ماقل من الدنيا كان أقل للحساب قلت له ان رجلا قال ان أحمد بن حنبل وبشر بن الحرث ليس هما عندى زهادا أحمد له خبز يأكله وبشر له دراهم تجيئه من خراسان فتبسم أبو عبد الله ثم قال من الزهاد أنا وسمعته يقول وقع للتيمى فضرب فيه فسطاطا أو خباء عشرين سنة وسمعته يقول وذكر قوما من المترفين فقال الدنو منهم فتنة والجلوس معهم فتنة قلت لابى عبد الله ان مولى ابن المبارك حدثنى ان سعيد بن عبد الغفار قال لابن المبارك ما تقول اذا نزل دار من تكره ناحيته بأجر قال لا بأس بها قلت لابى عبد الله فاذا أجاز الذى تكره ناحيته رجلا فاشترى دار غلة ترى ان أنزلها بأجر قال لا قال أبو وهب قال أبو عبد الله يعنى ابن المبارك فى رجل يشترى جارية من رجل فاذا هى صافنة قال يردها على الذى كانت له ولا يردها على الذى اشتراها منه وهى صافنة وذكره عن سفيان عباس العنبرى عن رجل قال كنت مع عبد الرحمن بن مهدى بعبادان وكنا نغسل أيدينا من ماء السيل وكان هو لا يفعل يأمر غلامه فيجيء من ماء البحر عبد الصمد بن مقاتل قال كانوا يكتبون الكتاب ولا يتربونه من دور السيل يرسلون فيأخذون من طين الحسر قال وكتب الينا ابن حشرم وكتب فى كتابه ان بشرا كان لا يشرب بعبادان من الحياض التى اتخذها الملوك وكان يشرب من ماء البحر وورد يناعن سعيد بن خيثم عن محمد بن خالد قال مر ابراهيم النخعى على امرأة يقال لها أم بكر من مراد وهى تغزل فقال يا أم بكر اما آن لك ان تتركينه فقالت يا أبا عمران كيف اتركه وقد سمعت على بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه يقول انه من أطيب الكسب قلت لابى عبد الله ان حسنا مولى

المنوى بالبال لامحالة فبدأ الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية تحرك الاعضاء والخواطر التى تحرك الرغبة ان كانت تدعو الى الخير وهو ما ينفع فى الآخرة فانها تسمى الهاما وان كانت تدعوك الى الشر وهو ما يضره فى الآخرة فانها تسمى وسواسا وخاطر الخير سببه الملك وخاطر الشر سببه الشيطان واللطف الذى يتهيأ به للقلب قبول الهام الملك يسمى توفيقا والذى يتهيأ به لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا وقال الغزالى فى بعض كتبه ان الله تعالى قد وكل بقلب العبد ملكا يدعوه الى الخير يقال له الملهم ولدعوته الهام وسلط فى مقابلته شيطانا يدعوه الى الشر يقال له الوسواس ولدعوته وسوسة فالملك الملهم لا يدعو الا الى الخير والشيطان الموسوس لا يدعو الا الى الشر قال صلى الله عليه وسلم للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة معنى قوله لمة من قولهم لم بالمكان وألم به اذا نزل به ثم ركب الله تعالى فى الانسان طبيعة مائلة الى الشهوة ونيل اللذة كيف كانت من حسن أو قبح فذلك هو النفس الصارفة الى الآفات فهذه ثلاث دعاة للانسان الملك والنفس والشيطان ثم اعلم بعد ذلك ان الخواطر تحدث فى قلب الانسان تبعثه على الافعال والتروك وتدعوه اليها وهى آثار تحصل فى القلب بدعوة الملك ودعوة النفس الامارة ودعوة الشيطان وثم خاطر رابع ليس معلولا بشئ بل خلقه الله تعالى ابتداء فى قلب العبد اما خيرا اكراما واما شرا امتحانا قال الشيخ أبو القاسم الراغب أول ما يعرض فى القلب السانح ثم الخاطر والى هذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ان للشيطان لمة بابن ادم كما للملك لمة فاما لمة الملك فوعد

بالخير وأما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ثم قرأ قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم ثم بعد الخاطر الارادة والارادة هي الهمة وهي علة العزم والسانح والخاطر يعبر عنهما بالهاجس فحق على الانسان اذا خطر له خاطران يستبرئه عاجلا فان وجده خيرا ر باه حتى يجعله فعلا وان وجده شرا بادر الى قلعه وقمعه قبل ان يصير ارادة بالاستعاذة بالله تعالى قال الله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم وقال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال بعض الاكابر ان تداركت اللحظة واضمحلت والاصارت شهوة وان تداركت الشهوة بلا ثبت والاصارت طلبا فان تداركت الطلب والاصار عملا

(فصل) في أمور تتعلق بفصول الباب وهي التوفيق والخذلان والهدى والضلال والرشد والغي فالتوفيق ان يريد العبد ويفعل ما طلبه الله تعالى منه ورضي به من الافعال الجميلة والطاعات التي هي سبب السعادة والشقاوة والخير والخذلان ان يريد ويفعل ما مضى به عليه من المعاصي التي هي سبب الشقاوة وأما الهدى فهو تعريف طريق الخير والهامه ذلك والضلال هو عماية عن طريق الله وسلوك طريق الشيطان والفرق بين التوفيق والهداية هو ان التوفيق قصد وارادة والهداية معرفة وعلم وأما الرشد فعناية الهية تعين الانسان عند توجهه الى الافعال فتقربه مما فيه صلاحه عن والغي ان لا تعده هذه العناية *(الباب الثالث في معنى الولاية والولي وكرامات الاولياء وما يتبع ذلك)* *(فصل)* الولي هو من توالت طاعته لله

ابن المبارك حكى عن سعيد بن عبد الغفار انه قال لابن المبارك ما تقول في رجلين دخلا على من تكره ناحيته فاجازهما فقبل واحد ولم يقبل الآخر فخرج الذي قبل فاشترى منه الذي لم يقبل ما تقول فسكت ابن المبارك فقال له ابن سعيد ما سكتك لم لا تجيبني فقال لو علمت أن الجواب خير لي لاجبتك قال سعيد أليس أصلنا على الكراهة قال ابن المبارك نعم فقال أبو عبد الله ومن يقوى على هذا قال له فما تقول في رجل أجازه فاشترى دارا ترى أن أنزلها فسكت ابن المبارك فقال لم لا تجيبني فقال هذا أضيق أكره أن أجيبك فقلت له ان الثوري قال ما في أيدي الحشم سحت فانكر ابو عبد الله ان عبد الوهاب قال في الرجل يجاز ثم يدفعها الى الآخر ان المال عنده شيء واحد فقال هذا شديد قلت اذا أعطى تكرهه للاول والثاني لا ترى به باسا قال انما كرهه للاول من طريق المحاباة والثاني ليس هو مثل عطية الاول قال من أعطى هذا المال أو حوبي على اثره فليقبل وليفرق كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمر رضي الله عنه بمال الى أبي عبيدة ففرق وبعث مروان الى أبي هريرة ففرق وبعث الى ابن عمر ففرق وبعث الى عائشة رضي الله تعالى عنها ففرقت قلت فعلى اي وجه قبلها منهم ابن عمر فان قوما يحتجون يقولون لو لم يكن مباحا ما أخذ فانكر ذلك وقال انه لما رأى ان حوبي كره أن يرد اليهم وفرقه بالسوية قلت فان معاذا يروى عنه انه فضل عنده دينار فطلبت منه امرأته فأعطاها فقال كانت محتاجة اليه فقلت له أنت تقول من بلي من هذا المال بشيء فليعدل في تفريقه وعائشة رضي الله تعالى عنها المحاشية كابن المنكدر اليها قالت لو ان عندي عشرة آلاف لاعتقتك فلما خرج أرسل اليها بعشرة آلاف فبعثت خلفه فاعطته فقالت انما كانت بليت بقولها ومع هذا قد أخرجته وذكر من زهدها وورعها وقال كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يسألونها مثل أبي موسى الاشعري وغيره ولم يكن في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مثلها وانما كانت ابنة ثماني عشرة سنة * أبو يحيي الناقد قال حدثنا أبو طالب قال قلت حدثوني عن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه عن رجل من الانصار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن اذن القلب فقال نعم هكذا قلت ما هذا الحديث قال نهى عن أكل أذن القلب قال لا يؤكل وعن عبد الله بن أحمد قال قلت لابي الغدة فقال لا تؤكل النبي صلى الله عليه وسلم كرهها في حديث الاوزاعي عن واصل عن مجاهد ورويناعن عبد الله بن يزيد عن أم سلمة سألها النبي صلى الله عليه وسلم عن أذن القلب فقالت القيته فقال طاب قدرك وهذا آخر كتاب المعاش وما اتصل به من الآثار في الورع والله تعالى أعلم

(الفصل الثامن والاربعون) فيه كتاب تفصيل الحلال والحرام وما بينهما من الشبهات وفضل الحلال وذم الشبهة وذكر تمثيل الحلال والحرام وتمثيل ذلك بصور الالوان وتعريف ذلك للعقول رويناعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه أحد الا أكل الربا فمن لم يأكله أصابه من غباره يعني والله أعلم انه يدخل عليه وان لم يعمل به من غير قصد له ولا اكتساب كما يدخل الغبار في المشام للمجتاز لفشو الربا وانتشار مداخله مما لا يمكن التحرز منه وفي الخبر درهم من ربا أعظم عند الله عز وجل من ثلاثين زنية في الاسلام وما تواعد الله عز وجل ولا تهدد في معصية مثل ما تواعد في أكل الربا فانه عز وجل عظم شأنه بوصفين عظيمين اعظاما له وترهيبا منه فذكر في أوله المحاربة لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وفي آخره الخلود في النار ينتظم ذلك في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ثم اشترط للايمان ترك الربا بقوله ان وهي للشرط والجزاء ثم قال فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم أوجب التوبة منه بعد اعلامه الظلم منه فقال وان تبتم فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ثم نص على تحريمه في قوله وأحل الله البيع وحرم الربا ثم تواعد بالخلود بعد ذلك كله فقال ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وهذا من شديد الخطاب وعظيم العذاب وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فسوى بينه وبين العلم في الفرض فاوجب الطالب لهم فمثل فرض طلب الحلال للاكل مثل طلب العلم العاهل والفرائض اذا شرعت ثبتت الى يوم القيامة فاذا أمر بطلبها دل على وجودها لانه لا يؤمر بطالب مفترض علينا يكون معدوما فالحلال موجود من حيث افترض علينا او أمرنا بطلبه ولكن طريقه ضيق ووجوهه غامضة والتسبب اليه فيه مشقة والحاصل منه فيه خشونة وقلة ومع ذلك فان المعاون عليه قليل والطالب غريب وهذه أسباب تكرهها النفوس وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم ثم ان الفرائض لها علوم وأحكام فمن لم يعرف علومها ولم يقم باحكامها فكأنه لم يعلمها وكان عمر رضي الله عنه يضرب أهل السوق بالدرة ويقول لا يتجر في سوقنا الا من تفقه والا أكل الربا وكان بعض العلماء يقول تفقه ثم ادخل السوق فبع واشتر وتأول معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم قال هو طلب علم الحلال والحرام والبيع والشراء اذا أراد الانسان ان يدخل فيه افترض عليه علمه ففي الخبر من سعى على عياله من حله فهو كالمجاهد في سبيل الله عز وجل ومن طلب الدنيا حلالا في عفاف كان في درجة الشهداء ويقال ان أول لقمة يأكلها العبد من حلال يغفر له ما سلف من ذنوبه ومن أقام نفسه في مقام ذل في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كما يتساقط ورق الشجر في الشتاء اذا يبس وكان بعض العلماء يقول لبعض المجاهدين أين أنت من عمل الابطال كسب الحلال والنفقة على العيال وقد كان شعيب بن حرب وغيره يقول لا تحقرن درهما من حلال تكسبه تنفقه على نفسك وعيالك أو أخ من اخوانك فلعله لا يصل الى جوفك أو لا يصل الى غيرك حتى يغفر لك وفي الخبر من أكل الحلال أربعين يوما نور الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه وفي بعض الروايات زهده الله في الدنيا ويقال من أكل حلالا وعمل في سنة فهو من ابدال هذه الامة * وقد كان سهل يقول لا يبلغ العبد حقيقة الايمان حتى يأكل الحلال بالورع * وروينا عن ابراهيم بن أدهم وفضيل بن عياض رضي الله عنهما لم يتنبل من نبل بالحج ولا بالجهاد ولا بالصوم ولا بالصلاة وانما يتنبل عندنا من كان يعقل ما يدخل جوفه يعني الرغيف من حله وقال يوسف بن اسباط لشعيب بن حرب أشعرت ان الصلاة جماعة سنة وان كسب الحلال فريضة قال نعم وسأل رجل ابراهيم بن أدهم قال انا رجل أتكسب في السوق فاذا عملت فاتتني الصلاة في جماعة فأيما أحب اليك أصلي في جماعة أو اكتسب فقال اكتسب من حلال وأنت في جماعة وقد كان ابراهيم بن أدهم يعمل هو واخوانه في الحصاد في شهر رمضان فكان يقول لهم انصحوا في عملكم بالنهار حتى تأكلوا حلالا ولا تصلوا بالليل فان لكم ثواب الصلاة في جماعة وأجر المصلين بالليل وقال بعض السلف أفضل الاشياء ثلاث عمل في سنة ودرهم حلال وصلاة في جماعة * وكان سهل رحمه الله يقول لا يبلغ العبد حقيقة من هذا الامر حتى يؤدي هذه الاربع اداء الفرائض بالسنة وأكل الحلال بالورع واجتناب النهي في الظاهر والباطن والصبر على ذلك الى الممات وقال من لم يكن مطعمه من حلال لم يكشف الحجاب عن قلبه ولم ترفع العقوبة عن قلبه ولم يبال بصلاته وصيامه الا أن يعفو الله عز وجل عنه وقال من اختار ان يرى خوف الله في قلبه ويكاشف بآيات الصديقين لا يأكل الا حلالا ولا يعمل الا في سنة أو ضرورة وكان يقول انما حرموا مشاهدة الملكوت وحجبوا عن الوصول بشيئين سوء الطعمة وأذى الخلق وكان يقول بعد سنة ثلاثمائة لا تصح لاحد توبة قيل ولم قال يفسد الخبز وهم لا يصبرون عنه وقد روي مرة الطيب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم جسم غذي بحرام لا يدخل الجنة النار أولى به وفي الخبر انه أكل من كسب غلامه ثم سأله عنه فقال رقيت لقوم فأعطوني وفي لفظ آخر تكهنت لهم فأدخل يده في فيه وجعل يتقيأ حتى استقاءه عن آخر لقمة ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وقد روي ان رسول الله صلى الله

تعالى من غير تخلل معصية وقيل الولي هو الذي تولى الحق سبحانه وتعالى حفظه وحراسته من المعاصي والمخالفات قال الله تعالى وهو يتولى الصالحين وعلى هذين التفسيرين فالولي محفوظ من المعاصي لا على سبيل الوجوب لان الحفظ منها على سبيل الوجوب عصمة وذلك مخصوص بالانبياء عليهم السلام وتكلموا في أنه هل تجوز رؤية الاولياء لله تعالى بالابصار في الدنيا على جهة الكرامة أم لا فالاظهر ان ذلك غير جائز في الدنيا لحصول الاجماع عليه وفي دعوى الاجماع على منع ذلك منازعة فان الخلاف في ذلك ثابت والجواز منقول عن كثير من المتكلمين وحكى الشيخ أبو الحسن في ذلك قولين ذكرهما في كتاب الرؤية الكبير وتكلموا فيه انه هل يجوز أن يكون الانسان وليا لله تعالى ثم تتغير عاقبته فقال قوم ان ذلك لا يجوز وهؤلاء هم الذين قالوا شرط الولاية حسن الموافاة وجوز قوم ان يكون وليا لله تعالى ثم يتغير حاله بعد ذلك

(فصل) ظهور الكرامات على الاولياء جائز والكرامات فعل ناقض للعادة في أيام التكليف ظاهر على موصوف بالولاية في معنى تصديقه في حاله من كونه وليا لله تعالى والكرامة يجب على الولي سترها واخفاؤها خوفا من الفتنة والمعجزة يجب على النبي اظهارها لاجل تصديق الخلق والمعجزة يعلم النبي كونها معجزة ويقطع بها بخلاف الولي فانه لا يقطع بكونها كرامة لجواز أن يكون مكرا وهل يجوز أن يعلم الولي أنه من أهل الجنة وأن الله لا يعذبه فقال قوم ان ذلك جائز بدليل ان العشرة علموا باخبار النبي صلى الله عليه وسلم أنهم من أهل الجنة وكذلك عائشة وغيرهم وقال آخرون ان ذلك لا يجوز لانه يخرجهم عن

عليه وسلم أخبر بذلك فقال أوما علمتم ان الصديق لا يدخل جوفه الا طيبا وفى الخبر ان سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجعله الله مستجاب الدعوة فقال يا سعد أطب طعمتك تستجب دعوتك وقال العلماء الدعاء محجوب عن السماء بفساد الطعمة ويقال ان الله لا يستجيب دعاء عبد حتى يصلح طعمته ويرضى عمله وقال جماعة من السلف الجهاد عشرة أجزاء تسعة فى طلب الحلال وقال على بن فضيل لابيه يا أبت ان الحلال عزيز فقال يا بنى انه وان عزة قليله عند الله كثير يقال ان من صلى وفى جوفه طعام حرام أو على ظهره سلك من حرام لم تقبل صلاته وقال بعض السلف يا مسكين اذا اصبحت فانظر عند من تفطر وطعام من تأكل فان العبد ليأكل الاكلة فيتقلب قلبه وينغل كما ينغل الاديم فلا يعود الى حاله أبدا وهذا أحد التأويلين فى قوله صلى الله عليه وسلم كم من صائم حظه من صيامه الجوع والعطش قال هو الذى يصوم ويفطر على الحرام وفى الخبر من طلب الدنيا حلالا مفاخرا مكاثرا لقى الله عز وجل وهو عليه غضبان وحدثونا من آثار السلف ان الواعظ والمذكر كان اذا جلس للناس ونصب نفسه سأل أهل العلم عن مجالسته فكانوا يقولون تفقدوا منه ثلاثا انظروا الى صحة اعتقاده والى غريزة عقله والى طعمته فان كان معتقد البدعة فلا تجالسوه فانه عن لسان الشيطان ينطق وان كان سيئ الطعمة فاعلموا انه ينطق عن الهوى وان كان غير مكين العقل فانه يفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه وهذا التفقد والبحث طريق قدمات فمن عمل به فقد أحياه * وذكر النبى صلى الله عليه وسلم الحريص على الدنيا فذمه ثم قال رب أشعث أغبر مشرد فى الآفاق مطعمه حرام وملبسه حرام غذى بالحرام يرفع يديه فى صلاته فيقول يارب يارب فانى يستجاب له ذلك وفى الحديث عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل ملكا على بيت المقدس ينادى فى كل ليلة من أكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل قيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وفى حديث أبى هريرة المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق اليها بالصحة واذا سقمت المعدة صدرت العروق اليها بالسقم ومثل الطعمة من الدين مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوى استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج انهار البنيان ووقع وقد قال الله أحسن الخالقين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير امن أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به فى نار جهنم * وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم من اكتسب مالا من حرام وان تصدق به لم يقبل منه وان تركه وراءه كان زاده الى النار وقيل فى معنى قول الله عز وجل ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ولا تقتلوا أنفسكم قيل من أكل حراما فقد قتل نفسه لانه كان سبب هلاكها وتعذيبها وفى الاخبار المشهورة عن على وغيره ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب وقال يوسف بن أسباط وسفيان الثورى رحمهما الله لا طاعة للوالدين فى الشبهة وقال الفضيل بن عياض من قام فى موقف ذل فى طلب الحلال حشره الله مع الصديقين ورفعه الى الشهداء فى موقف القيامة وقال أبو سليمان أو غيره من العلماء لا يفلح من استحيا من طلب الحلال وفى بعض التفسير فان له معيشة ضنكا قيل أكل الحرام كما قيل فى قوله فلنحيينه حياة طيبة قال نرزقه حلالا وقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقنا كم قيل من الحلال كما قال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا أى من الحلال فامر باكل الحلال قبل العمل الصالح وهكذا قال بعض العلماء زكاة الاعمال باكل الحلال فكلما كانت الطعمة أحل كان العمل أزكى وأنفع وكان بشر بن الحرث اذا ذكر أحمد بن حنبل يقول قد فضل على بثلاث صبره على العيال وأنا أضيق عن ذلك وهو يطلب الحلال لنفسه ولغيره وكان يقول ما أترك الطيبات زهدا فيها وانما أتركها لانه لا يصفو لى درهمها ولوصح لى الدرهم الذى اشترى به لاكلتها وقد قال علماء الظاهر ان الحلال من عشرة أوجه

الخوف فات هذا فيه نظر لان ذلك على تقدير تسليمه وانما يخرجهم من خوف العقوبة اما خوف الهيبة والاجلال والعظمة الناشئة عن مطالعة الصفات فلا يخرجهم منه واعلم ان سائر الكرامات التى تظهر على الاولياء فهى كلها معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لان كل من ليس بصادق فى الاسلام لا تظهر عليه الكرامة والكرامة انما حصلت للولى بواسطة متابعته للنبى صلى الله عليه وسلم ونهاية مراتب الولى هى اول مراتب النبى فاول مرتبة من مراتب النبوة فوق كل مرتبة من مراتب الاولياء * (الباب الرابع فى الوصايا والنصائح التى ينتفع بها المريد والسالك لسبيل الله تعالى) أوصيك أيها المريد السالك لسبيل الله تعالى ان تكون حركاتك جوارحك وقلبك وجميع أفكارك وأنظارك بالله ولله وفى الله لانه ان لم يكن ذلك بالله وكلك الى نفسك والى من جعلت ذلك به وكذلك ان لم يكن عملك فى الله فقد اتيت معه غيره ولا حظت بالحقيقة سواه وروٴية غيره تعمى القلب وتحبط العمل وكن رحيما بخلق الله تعالى محسنا اليهم فاذا رأيت لاحد حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة واحملها على أجمل المحامل ولا تكن كالذباب ينزل على أقذر ما يجده واعلم يا أخى ان ههنا أمرين بهما صلاح أمرك فى الدنيا والآخرة أحدهما اجعل الله سترا بينك وبين كل شئ فمن لم يجعل الله سترا بينه وبين كل شئ افتضح على رؤس الجن والانس والملائكة والثانى اترك حظك للناس تسترح لان من طلب النصفة من الناس طال عناؤه معهم ومنهم

واعلم ان العاقل الفطن اللبيب من اتبع أولياء الله تعالى الذين ضوا على محجة الهدى ومنهج الاستقامة وطريق المحبة وسبيل المعرفة والعلم

ومنهم من قال يوجد من سبعة أشياء وأصل ذلك كله يرجع الى ثلاثة أشياء تجارة بصدق وصناعة بنصح وعطية بحكم ثم تنقسم العطية أربعة أقسام فيكون فيئا أو ميراثا أو هبة عن طيب نفس أو صدقة مع وجود فقر ومدار ذلك كله وقطبه ان الحلال مشتق من اسمه بمعنيين ما انحل الظلم عنه أو حل العلم فيه فما انحل الظلم عنه انحلت المطالبة عنه وما حل فيه العلم حلت الاباحة والامر به والحلال عند العلماء مالم يعص الله عز وجل فى أخذه وقال بعض علماء الباطن الحلال مالم يعص الله عز وجل فى أوله ولم ينس فى آخره وذكر عند تناوله وشكر بعد فراغه وكان سهل اذا سئل عن الحلال يقول هو العلم وقال لو فتح العبد فمه الى السماء وشرب القطر ثم تقوى بذلك على معصية أو لم يطع الله عز وجل بتلك القوة لم يكن ذلك حلالا وقال طائفة من أهل العلم ان المتصنع للناس والمتزين لهم يأكل حراما لانه لم ينصح مولاه فى عمله وقال بعض الموحدين لا يكون حلالا حتى لا يشهد فيه سوى الله تعالى وان من أشرك فى رزق الله العباد فذلك شبهة وان حل من طريق الاحكام واحتجوا بقول عيسى عليه السلام يأكلون رزقه ويشركون فيه خلقه ومن الابدال من يقول الحلال مالم يؤخذ من أيدى الخلق ولم ينتقل الى أملاكهم وكان بعضهم لا يأكل الا مما أنبتت الارض التى هى غير مملوكة وقوله عدل ان الحلال مالم يؤخذ من أيدى الظالمين وما أخذ من أيدى المتقين وحدثت عن بعض الابدال فى قصة طويلة ذكرها ان بعض العامة من السياحين دفع اليه شيأ من الطعام فلم يأكله فسأله عن امتناعه فقال نحن لا نأكل الا حلالا فاذلك تستقيم قلوبنا على الزهد فى الدنيا وندوم على حالة واحدة وتكاشف بالملكوت ونشاهد الآخرة ثم قال لو أكلت مما تأكلون ثلاثة أيام لما رجعنا الى شئ مما نحن عليه من علم اليقين ولذهب الخوف والمشاهدة من قلوبنا فى كلام طويل قال له الرجل فى آخره فانى أصوم الدهر وأختم القرآن فى كل شهر ثلاثين ختمة فقال له البدل هذه الشربة من اللبن التى رأيتنى قد شربتها أحب الى من ثلاثين ختمة فى ثلثمائة ركعة من أعمالك وكانت شربة من لبن من أروى وحشية وهى الانثى من الوعل وقال بعض السائحين قلت لبعض الابدال وقد حدثه عن أكل الحلال بمثل هذا الحديث أنتم تقدرون على الحلال ولا تطعمون اخوانكم من المسلمين فقال لا يصلح لجملة الخلق ولم نؤمر بذلك لانهم لو أكلوا كلهم حلالا لبطلت المملكة وتعطلت الاسواق وخربت الامصار ولكنه قليل فى قليل من الخلق وخصوص فى خصوصين أو معنى هذا الكلام وقال بعض العلماء لا أعلم حلالا لا شك فيه الا ماء الغدران وما أنبتت أرض غير مملوكة أو هدية من أخ صالح أو معاملة تقى بصدق ونصح وكان يحيى ابن معين قد صحب أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى السفر سنين ولم يكن أحمد يأكل معه لاجل كلمة بلغته عنه وهو انه قال أنا لا أسأل أحدا شيأ ولو أعطانى الشيطان شيأ لاكلته فهجره أحمد رضى الله عنه حتى اعتذر اليه يحيى وقال انما كنت أمزح قال تمزح بالدين أما علمت ان الاكل بالدين قدمه الله على العمل فقال كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقد كان كثير من الورعين يقول منذ أربعين سنة ما دخل جوفى الا ما أعلم من أين هو وبعضهم يقول منذ ستين سنة ما أكلت الا من حيث أعلم وكان وهب بن الورد لا يأكل الا من حيث يعلم أو يشهد عنده شاهدان بصحته وقد كان بشر يقول من فقر جاع ومن تغافل شبع وعند العلماء ان من طلب الدنيا حلالا فهو أزهد فيها ممن أكل الشبهات من غير طلب وفى الخبر من لم يبال من أين مطعمه لم يبال الله تعالى من أى أبواب النار أدخله وقيل ذلك فى التوراة مكتوب * ذكر تفصيل الحلال من الشبهة والاصل فى ذلك حديث النعمان بن بشير الحلال بين والحرام بين والشبهات بين ذلك لا يعلمها كثير من الناس من تركها فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه وان لكل ملك حمى وان حمى الله فى أرضه محارمه يقال ان هذا الحديث ثلث العلم فالحلال ما ظهر وتبين وكنت على يقين منه واطمان به قلب المؤمن العالم والحرام أيضا ما تبين وانكشف على يقين منه ولم يختلف أحد من المسلمين فيه ونفر قلب المؤمن واشمأز منه وقد تطمئن بعض القلوب الى شئ لقلة ورعها وقد تنفر بعض القلوب من شئ لقصور علمها وليس

طوبى لهم وحسن مآب طوبى لعالم خفى خامل الذكر ليس له أتباع ولا خاصة وقد علم وعمل وعلم وأصح قال ذو النون ليس بذى لب من كاس فى أمر دنياه وحمق فى أمر آخرته ولا من سفه فى مواطن حكمه وتكبر فى مواطن تواضعه ولا من طلب الانصاف من غيره لنفسه ولم ينصف من نفسه لغيره ولا من نسى الله تعالى فى مواطن طاعته وذكر الله تعالى فى مواضع الحاجة اليه ولا من جمع العلم فعرف به ثم آثر عليه هواه ولا من أغفل الشكر عن اظهار نعمه ولا من عجز عن مجاهدة عدوه لنجاته اذ يصبر عدوه على مجاهدته لهلاكه ولا من جهل علمه ومعرفته تفاوز بنا فى مجالسه فهذه وصاياى لك فاحفظها وتذكيرى اياك فلا تذهل عنها اسمع وصاياى

(فصل) اعلم أن هذا العلم لا يريد معرفته من أهل زماننا الا الواحد بعد الواحد وليس كل من يريده يعلمه ولا كل من يعلمه يعمل به بل لا يعرف أحد يعمل به فهو علم معروض لا يقبل ومتروك لا يستعمل ومن قبله لا يعقله ومن قبله وعقله فغايته المباهاة به فليس هذا العلم من علم زماننا ولا رغبة للناس اليوم فيه لانه يؤدى بأهله الى مخالفة هوى أنفسهم ومجاهدتها وينادى بالويل والثبور على أهل السوء وقد انقطع السير الى الله تعالى فى هذا الزمان ولا نعرف فى هذا الوقت أحدا قائما لله

يقع بمثل هذين القلبين اعتبار وانما الاعتبار بقلب المعيار الذى قد جعل كالمحك يختبر به معادن الملكوت وهو قلب المؤمن الموقن العالم وهذا القلب فى القلوب أعز من الذهب الابريز فى سائر المعادن وقد روينا عن بعض السلف عن تفسير قوله تعالى وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قال اذا فسدت أعمال الناس جعل عليهم ولاة يشبهون أعمالهم وقال بعض العلماء فى معناه اذا فسدت أديان الناس فسدت أرزاقهم والشبهات على وجوه أحدها ما أشبه الحلال من وجه وما اختلط أيضا بها فاختلط ولم يتميز منهما والشبهة أيضا ما دل باطن العلم على تحليله فهو حلال الحكم وأظهر باطن الورع الوقوف عنه والشبهة ما أباحه علم الظاهر وكرهه علماء الباطن لحيك القلوب وحوازها ولعدم الطمأنينة ومواجيد القلوب كنحو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الى ولعل بعضكم أن يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على ما أسمع منه وهو يعلم خلافه فمن قضيت له على أخيه فانما اقطع له قطعة من النار فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم انه يحكم بظاهر الامر وردهم الى حقيقة علم العبد بما شهده وعرفه من غيب نفسه المستتر عن الابصار والشبهة أيضا ما اختلف فيه لخفاء أدلته ولتكافؤها بالسوية وما لم تره عينك فتقطع على غيبه والحلال والحرام ما أجمعوا عليه وظهرت الادلة عليه والشبهة أيضا ما حل سببه وصودف فيه حكمه الا أن عينه مجهولة غير متيقن تحليلها والشبهة أيضا ما فقد منه بعض القيام بالاحكام أو ما اعتل سببه الذى يوصل العبد ويتطرق اليه من فضول جهل أو حدوث آفة من آفات النفوس فهذه الانواع كلها من الشبهات ثم تختلف نفس الشبهات فيكون ذلك شبهة الحلال وتكون شبهة الحرام شبهة كدرة وتكون شبهة متقاربة لان الحلال عند علماء الباطن على ثلاث مقامات حلال كاف وهذا عموم وكأنه ما حل من طريق الحكم وحلال صاف وهذا خصوص وكأنه ما ظهرت الادلة فيه وحل سببه ووجدت السنة فيه وحلال شاف وهذا خصوص الخصوص وكان ذلك ما علم أصله وأصل أصله وجرى على أيدى المتقين ولم يخالطه جهل فلذلك تفاوتت الشبهات لتفاوت حلال ضدها أما الحرام فطعمة الفاسقين أكله فسوق وطلبه فسوق واطعامه فسوق والمعاونة عليه فسوق والمدمن عليه فاسق وهو من الكبائر وليس من حاجة المسلمين ولا يغنيهم والحلال هو ما أحله الكتاب والسنة ودلته الاحكام والعلوم من سائر الاسباب والمعانى المطلقة والمباحة التصرف فى العلم وهو بغية المؤمنين وطعمة المتقين ومقام الصالحين فطلبه جهاد واطعامه بر والمعاونة عليه تقوى وأكله عبادة والمدمن عليه مؤمن تقى والشبهة ما اختلف العلماء فيه ولم يجمعوا عليه أو ما التبس باطنه فاشتبه لغموض الادلة أو خفاء الاستدلال فلم يكن بينا فلم يجمع أهل الظاهر والورع عليه كما قال صلى الله عليه وسلم لا يعلمه كثير من الناس فهذه طعمة عموم المسلمين فان ابتليت بها فخذ منها حاجتك وضرورتك من كل شئ تكن بذلك فاضلا ولا يصح لك مقام فى الورع والاستكثار منه والاقتناء مكروه وتركه اذا أمكن أفضل لان فى الخبر من تركه فقد استبرأ لدينه أى تنزه وتنظف وتفقد دينه واحتاط له وقيل ان الايمان نزه نظيف فتنظفوا وتنزهوا ومعنى التنزه التباعد من الدناءة والاوساخ ومن ذلك قيل خرجنا نتنزه وخرج فلان فى نزهة اذا تباعد عن المصر وفارق جملة الناس ثم قال وعرضه أى استبرأ لعرضه ان يتكلم الناس فيه بسوء وينسبوه الى فحش وقد جعلنا الشبهة طريقا الى الحرام وموقعة فيه لان فى الخبر من يرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه أى من يطلب الشبهة ويدمن عليها ويستكثر منها يسرع الوقوع فى الحرام أى تسرع اليه وتدخله فيه وقال بعض العلماء ما أخذ من يد تقى عدل بحكم جائز فهو حلال وما أخذ من يد من لا يعرف بعدالة ولا جرح فهو شبهة وما أخذ من يد ظالم أو فاجر فهو حرام وان أخذ بحكم جائز وهذا القول يقرب من الحق ومثله من المقال مثل ما قال بعض أهل العلم ان من لم يعرف ان ماله خالطه خيانة ولا معاملة ظالم فذلك حلال ومن خالط الظلمة واكتسب المال من خيانات فما فى يده حرام وان اختلط ماله فلم يتميز وكان يعامل بعض الظلمة ويعامل أهل التقوى والايمان فما فى يده شبهة وقد جاء فى الخبر دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الخير طمأنينة وان

الحالة التى كان عليها السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم فقد كان الصحابة تعالى بمقتضى العبودية على عمال وأى عمال وعباد وأى عباد كانوا على غاية من المجاهدة حتى كان فيهم من منع نفسه النوم ومنهم من منع نفسه الجلوس على فراش وأن لا يتزوج وأن يشم طيبا ومنهم من ألزم نفسه الوقوف فى الشمس وطلبوا ان يختصوا فنعهم النبى صلى الله عليه وسلم من ذلك ونهاهم عنه ورد عليهم التبتل فمن لم يعمل بعملهم ويجتهد اجتهادهم حتى يعلو من مقام الى مقام كلما أحكم مقاما له فى قلبه تعلق بما يلوح له مما وراءه من المقامات فمن لم يكن كذلك والا فالاشياء لا تجرى الا على لسانه فاذا رجع الى سره رجع الى قلب خزانة مملوءة فاقة وحاجة وظلمة فالعلم يبلغه البر والفاجر والنصيحة لله تعالى لا تثبت الا فى قلوب النجباء والخلصاء اسمع هذه المواعظ واقبل هذه التذكيرات واعمل على ان يتأثر قلبك بها وقلما تؤثر فى القلوب القاسية ولا يحتاج قلب الخائف الى موعظة كما لا تحتاج الثكلى الى نائحة

(فصل) ويجب أن يكون المريد شديد التوقى والاجتناب عن محدثات الامور وان أتقنها الجمهور ولا يغتر بما أطبق الخلق والصحابة والتابعون رضى الله عنهم عليه ولكن حريصا على التفتيش عن أخبار الصحابة وسيرهم وأعمالهم وما كان أكثر همهم فانه لم يكن همهم التدريس والمناظرة والمجادلة

الشر

الشريعة معناه دع ما تشك فيه انه حلال الى شئ آخر لا تشك فيه فان الشريعة وليس بيقين وفي لفظ آخر
الاثم حواك الصدور وقد جاء في الحديث الاثم حواز القلوب أي ماحز في القلب واثر فيه بنكت فهو اثم لان
الله تعالى علق الاثم بالقلب وجعله من أوصافه في قوله عز وجل ومن يكتمها فانه آثم قلبه وفي الخبر البر
ما اطمأن اليه القلب وسكنت اليه النفس والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس فدعه لانه
قال المؤمنون شهداء الله وقال ما رآه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا فهو عند الله قبيح كما
قال سبحانه فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون لان كراهتك نظر الله اليك دليل على وجود الريبة فيك
وفصل الخطاب من ذلك انه ليس على العبد أكثر من جهده وطاقته وان يعمل في دينه بمبلغ علمه وما يؤدي اليه
اجتهاده ووسعه وان لا يخبأ لنفسه خبيئة ولا يرخص لنفسه بما اورخصة فان قصر علمه استعان بعلم غيره فما
أخطأ حقيقته ووراء ذلك فهو معفو الخطأ وبعض الورعين يقول الحلال ما لم يتناوله أيدي الظالمين وقال بعضهم
ما لم تجر عليه يد ظالم وقال بعض العلماء لا يكون حلالا حتى لا يتخالج في القلب منه شئ وحتى يسكن القلب اليه
ويطمئن به وقال آخر الحلال ما عرض على أهل الظاهر والباطن فاذا لم ينكروا منه شيأ فذلك الحلال
وقد كان اجتمع جماعة من العلماء يتذاكرون أي الاعمال أشد فقال بعضهم الجهاد وقال بعضهم الصيام
والصلاة وقال آخر مخالفة الهوى وقال بعضهم الورع فاجمعوا على الورع ورجعوا الى هذا القول وقال
حسان بن أبي سنان ما شئ عندي أسهل من الورع قيل وكيف قال اذا حاك في صدري شئ تركته وهذا سهل
على من ساعده القدر بالزهد وقواه على ذي النفس الشهوانية كان الزهد سهل على من أمده الله بروح
التأييد باليقين وعز على من ابتلى بحب الدنيا وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أفضل الاعمال
والذي نقيم به وجوهنا عند الله عز وجل هو الورع فقال له أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم صدقت
ولعمري ان اليقين اذا وجد والزهد اذا حصل سهل الورع والاخلاص وهما اعمدة الاعمال * وحكى عن
يوسف بن اسباط وحذيفة المرعشي وغيرهم من عباد أهل الشام ان قائلهم يقول منذ ثلاثين سنة ما حاك في
صدري شئ الا تركته وبعضهم يقول منذ أربعين سنة ما وقف قلبي عن شئ وتخالج فيه الا تركته وقال بعضهم
منذ ثلاثين سنة ما أبالي على أي حال رآني الناس الا أن يكون حاجة الانسان وحكى ان بعض الورعين وقع
منه دينار فانكب ليأخذه فوجد دينارين فلم يعرف ديناره منهما فتركهما معا وحكى ان امرأة من المتعبدات
من أهل القلوب سألت ابراهيم الخواص عن تغير وجدته في قلبها فقال عليك بالتفقد فقالت قد تفقدت
فما وجدت شيأ أعرفه فاطرق ساعة ثم قال الا تذكرين ليلة المشعل فقالت بلى فقال هذا التغير من ذلك
فذكرت انها كانت تغزل فوق سطح لها فانقطع خيطها فمر مشعل السلطان فغزلت في ضوئه خيطا وأدخلت
في غزلها ونسجت منه قميصا فلبسته قال فنزعت القميص وباعته وتصدقت بثمنه فرجع قلبها الى الصفا قد
حكى عن ذي النون المصري رحمه الله فوق ذلك انه لما سجن لم يأكل طعاما ولم يشرب أياما فوجهت اليه امرأة
يعرفها من العابدات بطعام الى السجن وقالت هذا من حلال فلم يأكله فقالت له بعد ذلك فقال ذلك الطعام
من حلال الا انه جاءني في طريق حرام فلم آكله فقالت وكيف ذلك قال جاءني في يد السجان وهو ظالم فلذلك لم
آكله وهذه خصال الورعين والورع هو باب الزهد ومفتاح الخوف وحقيقة الصدق فعموم الورع أول
عموم الزهد وخصوصه أول خصوص الزهد * فينبغي للعبد ان يبتدئ بطلب الحلال فيكون هو همه وقصده
فيجعل ما استطاب من المكاسب وأعلى ما قدر عليه مما يسلم فيه فيجعل ذلك لحاجة نفسه فيما يطعم ويلبس
ويجعل ما دخل عليه من الشبهات مما في نفسه منه حزازات في مؤنة عياله وفيما يتقى به من مؤنة البيت مما
لا يطعم ولا يلبس مثل الحطب والبز وأجرة البيت وما أشبه ذلك وسنذكر تفصيل ذلك بصور الالوان حتى تعرفه
وفي هذا رخصة وله فيه مجاهدة وحسن نية ومعاملة اذا أخذ نفسه به وصبر عليه وكان ذلك من باله وهمه
فاحتسب في ذلك ما عند الله عز وجل وتحرى بذلك الدين الله عز وجل فان الله عز وجل يشكر له سعيه ويجزل

والمناصب والاوقاف ومخالطة السلاطين بل كانت همتهم في الحق والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق أصله وحله والحرص على خطايا شهوة النفس والدنيا والهوى الى غير ذلك من علوم الباطن روى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال انما العلم اثنان الكلام والهدى فأحسن العلم كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى النبي صلى الله عليه وسلم ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدث بدعة وان كل بدعة ضلالة ألا لا يطول عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ما هو آت قريب ألا ان البعيد ما ليس بآت وفي خطب النبي صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكمة طوبى لمن ذل نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفاضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها الى بدعة

(فصل) وأوصيك أيها المريد السالك اياك ان تخل بسنة من سنن الشريعة وتأدب من آدابها فان جماع الخير كله والنور كله في متابعة الشريعة قال الجنيد رحمة الله عليه من زعم ان سبيل الوصول الى الله تعالى غير متابعة الشريعة فقد زل وضل وقال الجنيد رحمة الله عليه من لم يقرأ القرآن ولم يكتب الحديث

عليه أجره وهذا طريق يوصل الى الله عز وجل وهو محجة كثير من السلف ولو ان عبدا شك في شئ فتحرز منه شكر الله نيته وان كان قد أخطأ حقيقة الشئ عنده فكان الشئ حلالا في علم الله عز وجل ولو انه أقدم على شئ بقلة مبالاة فلم يدعه فتناول شيأ على انه حلال عنده كان مأزورا بسوء نيته وقلة ورعه وان كان أصاب الحقيقة عند الله فهو أفضل وله أجران أجر العلم ومقام التوفيق ومن قصد ترك العلم وأخطأ الحقيقة عند الله عز وجل فعليه وزران وزر الجهل ونقص العصمة ومن عمل بعلم فاخطأ الحقيقة فله أجر واحد ومن عمل بجهل فاصاب الحقيقة فعليه اثم الجهل وهو معصوم في الفعل وحكى وهب اليماني مما نقل من الزبور ان الله عز وجل أوحى الى داود عليه السلام قل لبني اسرائيل اني لا أنظر الى صيامكم ولا الى صلاتكم ولكن أنظر الى من شك في شئ فتركه لاجلي ذلك الذي أؤيده بنصري وأباهي به ملائكتي وقد كان بعض العلماء يقول لاهله ارفقوا بدهن المصباح فانما توقدون بلحمي ودمي قيل وكيف قال لانكم توقدون من كسبي وكسبي من ديني وديني من لحمي ودمي وقد كان يقال من تفقد من أين يكسب الدرهم تبصر أين يضعه ومن لم يبال من أين اكتسب لم يبال فيما أنفقه وقد قال بعض العلماء لرجل رآه بطالا وكان ذا عيال فقال له احترف فانه اذا كان لك كسب أكل عيالك دنياك وان لم يكن لك كسب أكلوا دينك وروى ان بعض الزهاد وقعت منه قطعة فجعل يطلبها عامة يومه فقيل له أنت قد زهدت في الدنيا كلها وأنت تطلب هذه القطعة هذا الطلب فقال ان طلبي هذه القطعة من زهدي في الدنيا لاني لا أعتاض منها غيرها الا انها من حيث أعلم وأنا لا آكل الا من حيث أعلم وقد كان بشر يقول المال اذا اجتمع من الشبهات لا ينفق الا في الشهوات وقال سري السقطي لا يصبر على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات وفي الخبر ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن كسب الحجام فنهاه عنه فأعاد مسئلته عنه فقال ان لي غلاما حجاما فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان كان لابد فاعلفه ناضحك واطعمه رقيقك وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن فأرة وقعت في سمن فماتت فقال لا تأكلوه وفي خبر آخر ان كان جامدا فالقوها وان كان ذائبا فاستصبحوا به وعن جماعة من علماء الكوفة لا بأس بشحوم الميتة تطلى بها السفن ويدبغ بها الجلود * وقد روينا فيه حديثا مسندا فهذا حجة فيما ذكرناه من ان حكم الشبهات أن ينفق منها فيما لا يطعم ولا يلبس الا أن يضطر اليها فيتناول منها مقدار الحاجة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أتي بلبن فسأل عن أصله فاخبر به فسأل عن أصل أصله فاخبر به فلما رضيه شرب منه فهذا حكم الحلال ان تعرف عين الشئ ثم تعرف أصله فاذا صح لك أصله وأصل أصله سقط عنك ما وراء ذلك فان لم تعلم رأي عين وأخبرك مسلم تقي قام اخباره لك مقام ذلك * وفي الخبر لا تأكل الا طعام تقي ولا يأكل طعامك الا تقي لان التقي قد استبرأ لدينه واجتهد بعلمه واحتاط لنفسه فقد سقط عنك البحث والاجتهاد لانه قد ناب عنك فيه وقام لك به فكفاك كلفته فغنيت من تكلفه فلذلك جاءت الاحاديث على هذا المعنى اذا دخل أحدكم الى منزل أخيه فقدم اليه طعاما فليأكل من طعامه ولا يسأل ويشرب من شرابه ولا يسأل لانه قد كفي والسؤال عما قد كفي تكلف والتكلف ليس مما يعني المسلم وفي الخبر الآخر من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فلهذا سقط عنا السؤال من البحث ولذلك كان المتقدمون يستحبون أكل طعام العلماء والصالحين * وأما من لا يحتاط لنفسه ولا يستبرئ لدينه ولا يتقي في مكسبه حتى لا يبالي من أين أكل ولا من أين اكتسب ولا من أين جاءه الدرهم أبدا فهذا غير تقي فحينئذ يلزمك أنت البحث لنفسك والاجتهاد والاحتياط لدينك اذا لم يقم به غيرك ولم يكفه أخوك ففي مثل هذا جاء الخبر لا يأكل طعامك الا تقي ولا تأكل الا طعام تقي والتقي هو الورع الدين المتقي للحرام المجتنب للآثام ففي دليل خطابه لا تأكل طعام غير تقي فلا يصح التقوى من عبد يتصرف حتى يكون مستعملا في تجارته وصناعته حكم الكتاب والسنة ويشهد له العلم بسلامته وبراءة دينه من الخيانة والمكر في المعاملة من الكذب والغبن في التجارة والصناعة بالصدق والنصح في جميع ذلك وحتى يعمل السبب المعتاض منهما وكل تجارة وصناعة يخالف العبد فيها حكم الكتاب والسنة فليست بتجارة ولا صناعة حلال وان

كان

لا يقتدى به في هذا الامر لان علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة وقال الجنيد رحمة الله عليه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى اثر النبي صلى الله عليه وسلم واتبع سنته ولزم طريقته لان الخيرات كلها مفتوحة عليه قال سري السقطي رحمة الله عليه من تكلم على الباطن بشئ ينقضه الظاهر من الكتاب والسنة فليس بصوفي وقال سهل بن عبد الله لا معين على ما نحن فيه الا الله تعالى ولا دليل الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زاد الا التقوى ولا عمل الا علم مردود الى أصول ثابتة من الكتاب والسنة وقال بعضهم القلوب كلها مظلمة الا قلبا له نور من قلب محمد صلى الله عليه وسلم والا فهو ظلمة

(فصل) يجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوبا على الكفاية على كافة المسلمين ويتأكد وجوبه على المريد والسالك والدليل عليه قوله تعالى ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ومن السنة ما روى البخاري عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل القائم في حدود الله تعالى والواقع فيها كمثل قوم استهموا في سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذي في أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما أرادوا

كان الاسم موجودا لعدم المعنى الذى تصح به الاسماء فى الحكم لان وجود الاسماء فارغة لا يغنى مع عدم صحة المعانى او افقته شيأ فاذا كان ما يسميه الجاهلون تجارة وصناعة وما يسميه المستحلون بيعا وشراء ومعاملة وهو غير موافق للعلم فليس ذلك بتجارة ولا صناعة ولا معاملة ولا يستحل به أكل الحلال لانه باطل واسمه عند العلماء خيانة وخلابة أو غيلة أو حيلة أو محاتلة وهذه أسماء محرمة للمكاسب لفساد معانيها وعدم حقائقها يتعلق عليها أحكام مذمومة لا يحل بها أخذ لان التسمية الى العلماء من قبل ان ايجاب الاحكام منهم يسمون على صحة المعانى بوقوع الاحكام اذا كانوا هم الحكام فقد اعتزل هذا التصرف وان وجد فيه الاسم المبيح لفقد المعنى الصحيح وهو حكم الكتاب والسنة فان وجد الاسم بحقيقة المعنى حتى تسميه العلماء تجارة وصناعة الا انهم لم يصادفوا حكم الله تعالى فيه بالسلامة من الربا واجتناب البيوع الفاسدة فهذا حرام أيضا لعدم حكم الله عز وجل فيه بالاطلاق وان كان الشراء مباحا ووقف الاحكام فيه الا ان عين المأخوذ المعتاض حرام رأى عين أو خبر من صدق فهذا الكسب حرام أيضا الا انا على يقين من وجود الحرام فيه حتى يصفو العوض المشتبه من عين الحرام باحد معنيين اما بيقين انه حلال الاصل وحلال أصل الاصل بان لا نعلم فى عينه حراما رأيناه ولا أخبرنا فيحل به حينئذ أكل المال ونسميه مع ذلك شبهة وهو شبهة الحلال اذا كنا على يقين من حلاله لامكان دخول الحرام فيه لغلبة الاموال المأكولة بالباطل وبالاسباب المكروهة من قبل الاجناد ومن قلة المتقين واختلاط ذلك بالاملاك الصحيحة وبأموال التجار والصناع فما كنا من حلاله على علم ظن سميناه شبهة لفقد علم اليقين وفى الخبر جاء عقبة بن الحرث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى تزوجت امرأة فجاءتنا امرأة سوداء فزعمت انها قد أرضعتنا وهى كاذبة فقال دعها فقلت انها كاذبة فقال وكيف وقد زعمت انها قد أرضعتكما لا خير لك فيها دعها عنك وفى لفظ آخر كيف وقد قيل وفى حديث عبد الله بن زمعة ان النبى صلى الله عليه وسلم قضى بالولد له لانه ولد على فراشه وأبطل دعوى الرجل فيه وان كان منه فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم شبها بينا قال لسودة احتجبى عنه يا سودة وهى أخته ثم قال الولد للفراش وكذلك يجب التقوى فى الفراش للورع وان الاحكام على الظواهر تجيزها فيكون تركها مقاما للورعين والحلال عند الورعين اسم ما انحلت عنه المطالبة وحل فيه العلم على حلال المقتبس فى قوله عز وجل وحلائل أبنائكم وحلائل جمع حليلة وقيل انما سميت المرأة حليلة الرجل لانه يحل معها أين حلت أى يوجد عندها ويقيم كانها فعيلة من فعول أى حلول والمعنى الآخر سميت حليلة والرجل حليلها لان الآثام قد انحلت بينهما أى لانها تحل له ويحل لها والحلال فى العلم اسم لما أباحه الكتاب والسنة بسبب جائز مباح وكان الحلال هو ما وجد فيه ثلاث معان سبب مباح فى العلم وعلم باصل الدرهم والمعتاض به وباصل أصله انه خالص من شبهة ومصادفة حكم الله عز وجل فى المعاملة فاذا فقد أحد هذه المعانى فهو شبهة الى الحلال أقرب واذا فقد معنيان فهى شبهة الحرام فاذا فقدت المعانى الثلاث حتى يكون السبب الذى وصل به الدرهم والمعتاض منه مكروها أو يكون عين الدرهم مكروها مجهولا ولم يصادف فيه حكم الشرع فى البيع والشراء أو الهبة بطيب نفس فهذا هو الحرام بعينه والحرام والحلال ضدان ظاهران والشبهات أعنى شبهة الحلال وشبهة الحرام مشتبهان فهى تشبه الحلال من وجه وتشبه الحرام من وجه فمثل الحلال والحرام من أصول الالوان مثل البياض والسواد هما أصلان ليسا فرعين لشئ ولا متولدين من شئ ومثل شبهة الحلال كمثل الصفرة لانه لون متولد من البياض ومثل شبهة الحرام كالخضرة لون متولد من السواد فان رأيت الصفرة فهى علامة شبهة الحلال رددتها اليه وحكمت عليها به كما ان الخضرة أقرب الى السواد فان اجتمع فى لون صفرة وخضرة فهى الشبهات المختلطة فى الشئ فانظر الى الاغلب منها الاكثر فاحكم عليه فان كانت الصفرة هى الاكثر والاغلب فهذا شبهة الحلال تتناول منه غير متسع فيه اذ ليس حلالا صافيا وهذا مثل أموال التجار والصناع المختلطة بأرزاق الجند والمعاملات وان رأيت الخضرة أكثر وأغلب فهذا شبهة الحرام خذ منه ضرورتك اذ ليس بشبهة صافية وهذا مثل

هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا جميعا وينا كد وجوب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر على المريد والسالك فيجب على الخلق القيام بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعاء الى طريق الله تعالى قال الله تعالى قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر دليل الصدق وترك المداهنة واعلم انه قد آل الامر فى زماننا هذا الى التواطؤ على مجاوزة حدود الله تعالى والخوف عنها والتعصب على من ينكر شيأ من محظورات الشريعة فمن نجا بنفسه فى هذا الزمان واعتزل عن الخلق فقد فاز وربح لانه قد عم الوباء فيهم وليس فيهم طبيب يداوى أمراضهم لان الاطباء هم العلماء بامراض القلوب وعلاجها وقد فقدناهم ومن وجدناه من المترسمين من علوم الفتوى والاحكام والافعال الظاهرة فهم أيضا مرضى القلوب قد استولى المرض على قلوبهم فما أحوج الاطباء الى أطباء ولو وجدوا عالما خبيرا بامراض القلوب عارفا بعلاجها يحسن تزكية القلب وطهارة النفس ونقاء السريرة ما يجد من يقبل منه ويأخذ عنه والفاعل اذا لم تكن له قوة التأثير وكان المحل ليس له قوة التأثر كيف يحصل الاثر سئل رجل عالم فقال ما بالنا لا ننتفع بالموعظة فقال لعل القائل خصى والمستمع عقيم وقال بعضهم اذا كان المتكلم خصيا

الحلال أولياء السلاطين لالتباس ملك أيديهم في خدمتهم لامرائهم حتى ترى البياض المحض الذي هو علامة الحلال فخذ كيف شئت واتسع لا جناح عليك على انك لا تكون زاهدا بذلك وهذا مثل الفيء المشركين والغنائم في سبيل الله ومثل المواريث الطيبة وما أنبتت الارض التي هي غير مغصوبة ومثل ماء السماء والسيح في الانهار وصيد البر والبحر وان رأيت السواد الغريب فهو علامة الحرام فاجتنبه ولا تأخذ منه شيأ فان فعلت كنت بذلك فاسقا وأكل الحرام من الكبائر وهذا مثل المغصوب والجنايات وما أكل بأسباب المعاصي وما ملك من غير طيب نفس من الواهب واعلم أن الحلال والحرام فرعان للتقوى والفجور والعلم والجهل والعلم والتقوى هما حلالان للمتقين العلماء فاذا كثر المتقون ووجد المؤمنون كان الحلال أظهر وأكثر ووجود الحرام بظهوره وكثرته بكثرته وجود الجهل والفجور وهما حالا الجاهلين الفجار فاذا كثر الجاهلون وظهر الفاسقون كان الحرام أغلب وأكثر وأصل وجود الحلال في الكافة عدل الائمة واستقامة الولاة وطاعة أوليائهم فيما لهم معهم في سبيل الله عز وجل لصلاح الدين وحيطة المسلمين كما ان أصل ظهور الحلال وانتشاره هو الرعية فاذا قل ذلك وكان الامر على ضده غمض الحلال واختفى فظهر الحرام وفشا فكان الحلال قليلا عزيزا وكان في خصوص من المسلمين يخص الله به من يشاء ويصرفه الى من أحب كيف أحب من طريق التوفيق والهداية وبمعنى العصمة والوقاية وقد جاء في الخبر اذا فسدت أديان الناس فسدت أرزاقهم وقال بعض أهل التفسير في قوله عز وجل وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون قال اذا فسدت أعمال الناس جعل عليهم أئمة يشبهون أعمالهم وقد روينا عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت رزق المؤمن مثل قطر الحب فهذا يحتمله معنيان أحدهما الضيق والقلة والثاني في الصفاء وهذا على معنى ما قال سهل رحمه الله لو كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المؤمن منها حلالا فهذا على معنيين أحدهما أن المؤمن موفق معصوم قد عمل لله عز وجل بما علم والله قد حفظه من حيث لا يعلم بان يستخرج له الحلال من الحرام باختياره من عمله كما يستخرج له العلم من الجهل والتوحيد من الشرك بلطف قدرته فمن تذكر به وتبصر به أقامه مقام التوحيد من الحكمة والمعنى الثاني المؤمن عنده لا يتناول شيأ الا فاقة او ضرورة فقد حلت له وان حرمت على غيره وهذا هو المؤمن الصديق وقد قيل لابن المبارك يظهر بعد المائتين عدل فقال تذاكرنا ذلك عند حماد بن سلمة فغضب وقال ان استطعت ان تموت بعد المائتين فمت فانه يحدث في ذلك الزمان أمراء فجرة ووزراء ظلمة وأمناء خونة وقراء فسقة حديثهم فيما بينهم التلاوم يسمون عند الله الانتان وقال بعض السلف الصالح اني لاستحي من الله عز وجل ان أسأله بعد المائتين أن يرزقني حلالا ولكني أسأله رزقا لا يعذبني عليه وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ما ترك لنا بنو فلان من الحلال شيأ يعني الملوك والامراء ويقال ان عليا رضي الله عنه لم يأكل بعد قتل عثمان ونهب الدار الا طعاما مختوما عليه وروي في الخبر العامل الذي أراد علي رضي الله عنه أن يستعمله على صدقات قال فدعا بطينة مختومة ظننت أن فيها جوهرا أو تبرا ففض ختامها فاذا فيها سويق شعير فنثره بين يدي وقال كل من طعامنا فقلت أتختم عليه يا أمير المؤمنين قال نعم هذا شيء اصطفيته لنفسي وأخاف أن يختلط فيه ما ليس منه والحديث فيه طول فاختصرت هذا منه وروي أن جماعة من الصحابة ما شبعوا من الطعام منذ قتل عثمان رضي الله عنه لاختلاط أموال أهل المدينة بنهب الدار منهم ابن عمر وسعد وأسامة بن زيد رضي الله عنهم وكان يوسف ووكيع بن الجراح يقولان الدنيا عندنا على ثلاث منازل حلال وحرام وشبهات فحلالها حساب وحرامها عقاب وشبهاتها عتاب فخذ من الدنيا ما لا بد لك منه فان كان ذلك حلالا كنت زاهدا وان كان شبهة كنت ورعا وكان في عتاب يسير وقد روينا عنهما انهما قالا لو زهد أحد في زماننا هذا حتى يكون كأبي ذر وأبي الدرداء في الزهد ما سميناه زاهدا قيل ولم قال لان الزهد عندنا انما يكون في الحلال المحض والحلال المحض لا يعرف اليوم ومات يوسف ووكيع قبل المائتين وقد كان وكيع بن الجراح أشبه العلماء بالسلف وكان يشبه بعبد الله بن مسعود وقد كان يشدد في الطعمة فسئل عن

الحلال

والمستمع عقيدا كيف يحصل للقلب الموعظة قال بعض العلماء بطريق الله تعالى قد عم الفساد والطغيان الارض وجهر أكثر الخلق بمعاصي الله تعالى والجراءة على عظمته وجلاله وغلب عليهم الفجور والجراءة حتى انهم كفرة لا يرجون لله وقارا وعدم فيهم المعين على الخير والناصح لله تعالى ولدينه ولا يوجد اليوم أحد يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذه علامة انقضاء الدنيا وقرب الآخرة ولا شك في اقتراب الآخرة لظهور العلامات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لقرب الساعة ولقوله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين وفرق بين السبابة والوسطى وما تزيد الوسطى على السبابة الا بقدر يسير ولقوله صلى الله عليه وسلم بعثت والشمس في أطراف النخيل وهذا كناية عن قرب القيامة لان الشمس عند غروبها تكون في أطراف نخيل المدينة قال حذيفة بن اليمان أعجب من هذا ان معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان يأتي وانكم لم تزالوا بخير ما عرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة اذ من عداد المعروفات في زماننا تزيين المساجد وزخرفتها وتحديدها وانفاق الاموال في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها وكان يعد فرش المسجد

الحلال فجعل يعززه و يقول أين الحلال وكيف لى بالحلال ثم قال لو سألناه مسترشد عن علمنا فى الحلال فقلنا له كل أصول البردى وألق ثوبك وادخل فى الفرات قيل وانت يا أبا سفيان من أين تأكل قال آكل من رزق الله وأرجو عفو الله وقد كان بشر بن الحرث من المتقدمين سئل عن الحلال قيل له من أين تأكل يا أبا نصر فقال من حيث تأكلون وليس من يأكل وهو يبكى كمن يأكل وهو يضحك وقال مرة أخرى فى رواية عنه ولكن بد أقصر من يد ولقمة أصغر من لقمة وسأله رجل عما لا يسكر من النبيذ فقال انظر فى الدرهم الذى تشترى به التمر من أين هو فان كان حلالا والا فاسكت دع عنك مالا يسكر وقد كان سرى السقطى يتحرى فى أكل الحلال ولم يكن يأكل الا من حيث يعرف وكان اذا ذكر لاحمد بن حنبل رضى الله عنه أثنى عليه وقال تعنون ذلك الفتى المعروف بطيب الغذاء وكان يقول لا يقوى على ترك الشبهات الا من ترك الشهوات ويقال ان بشر بن الحرث كان يأكل من قبله وذكر لنا ان سريا السقطى وقف على بشر وهو يتكلم فاطلع فى حلقته وقال يا بشر اعلم يدا نقين تلبسها وتستريح من هذا الاسم يعنى قولهم بشر الحافى فسكت بشر فظن من كان من أصحاب سرى عند بشر انه قد وجد عليه فقالوا يا أبا نصر انه لم يرد الا خيرا فقال سبحان الله هو سرى كما سمى سرى وكان سرى رحمه الله قد وجه الى أحمد بن حنبل رضى الله عنه بمال فرده فجاء سرى فكلمه بكلام من هذا العلم فعرفه فيه ما يدق من آفة الرد فقبل منه ولم يكن بعد ذلك يرد عليه شيأ وحدثونا عنه انه قال انتهيت ذات يوم فى سفر الى نبات من الارض وعند غدير ماء قال وكنت جائعا فاكلت من الحشيش وشربت من ذلك الماء بكفى ثم استندت على ظهرى ثم خطر ببالى أنى ان كنت أكلت حلالا فاليوم فهتف بى هاتف يقول يا سرى زعمت انك أكلت حلالا فالقوة التى بلغتك الى ههنا من أين هى قال فاستغفرت الله تعالى مما كان وقع فى قلبى وكان شقيق البلخى رحمه الله يقول ان المكاسب اليوم قد فسدت وان التجارات والصناعات شبهات كلها الا محل الاستكثار والادخار منهم الوجود الغش وعدم النصح قال وانما ينبغى للمسلمين ان يدخلوا فيها ضرورة وقال الناس كقتلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام لانهم أعانوا على اماتة السنن ودرس طرق الانبياء ومن أبطل سنن نبى فكانما قتله هذا يقوله فى سنة سبعين ومائة فاذا كان الامر أيها المسلم الموقن بتوحيد الله ووعيده على هذا عند العلماء من السلف والاخيار من الخلف فى ذلك الوقت فكيف بوقتك هذا وقد افترض عليك الزهد فى الدنيا وقد وجب عليك الاخذ بالبلغة مما لا بد منه من كل شئ فان استكثرت أو جمعت من مثل هذه الاشياء كان ذلك معصية وكل ما يظهره الله عز وجل لك من غير الامور وبديهات المصائب فانما هو تزهد لك فى الدنيا ان فطنت لذلك وكل ما صرف عنك مثل هذا فهو خير وان كرهت وفى الخبر ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن ولو كان من حلال فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث نفس فقد صار الاكل فى ثلث البطن خيرا من الاكل ملأه لانه شر وما نقص من الشر فهو خير وفى الخبر ما شئ أبغض الى الله من بطن ملئ ولو من حلال وقد جاء فى الخبر لا يعذب الله عبدا جعل رزقه فى الدنيا قوتا وفى قوله تعالى ورزق ربك خير وأبقى قيل يوم بيوم وقيل القناعة وقد كان المسلمون يتورعون عن الشبهات فى وقت العدل ومع وجود الفضل حدثونا ان الفضل ابن عياض وابن عيينة وابن المبارك رضى الله عنهم اجتمعوا عند وهيب بن الورد بمكة فذكروا الرطب فقال وهيب هو أحب الطعام الى الا انى لا آكله قيل ولم قال لانه قد اختلط رطب مكة بهذه البساتين التى اشتروها هؤلاء يعنى زبيدة وأشباهها فقال له ابن المبارك رحمك الله ان نظرت الى مثل هذا ضاق عليك الخبز فقال وما سببه قال نظرت فى أصول الضياع بمصر فاذا هى قد اختلطت بالصوافى قال فغشى على وهيب فقال له سفيان ما أردت بهذا قتلت الرجل قال ابن المبارك والله ما أردت الا ان أهون عليه قال فلما أفاق وهيب قال لله على أن لا آكل خبزا أبدا حتى ألقاه قال فكان يشرب اللبن قال فأتته أمه بلبن فقال من أين لك هذا قالت من شاة بنى فلان قال ومن أين لهم ثمنها قالت من كذا وكذا فرضيه فلما أدناه من فيه قال قد بقى شئ فأين ترعى هذه الشاة فسكتت فقال أخبرينى فاذا هى ترعى مع غنم لابن عبد الصمد الهاشمى أمير مكة فى الحى فقال هذا اللبن

بدعة وهى حصر غليظة تتخذ من القصب الفارسى الانخاخ أجل منها وأكثر قيمة وقيل ان البوارى فى المسجد من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قل ما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والخلافيات من أجل علوم هذا الزمان و يزعمون انه من أجل القربات وقد كان ذلك منكرا فى عصر الصحابة ومن ذلك التلحين فى الاذان والقراءة ومن ذلك التعسف فى النظافة والوسوسة فى الطهارة وتقدير الاسباب البعيدة فى نجاسة الماء مع التساهل فى المأكول والملبوس ولقد صدق ابن مسعود حيث قال أنتم اليوم فى زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتى عليكم زمان العلم فيه تابع للهوى واعلم ان صاحب البدعة لا يكاد يترك بدعته ولو ضرب بالسيف لان البدعة لها حلاوة فى قلوب أهلها وقد كان أحمد يقول تركوا السنة وأقبلوا على الغرائب ما أقل الفقه فيكم والله المستعان وكان الحسن أشبه الناس بكلام الانبياء عليهم السلام وأقربهم من هدى الصحابة وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب ومفسدات الاعمال ووساوس النفس والصفات الخفية الغامضة من شهوات النفس فقيل له يا أبا سعيد تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك مثله فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة من أين أخذته قال خصنى به النبى صلى الله عليه وسلم كان الناس يسألونه

للمسلمين فيه حق لا يحل لي أن أشرب به دونهم وهم شركائي فيه فقالت له أمه اشرب به فان الله يغفر لك فقال ما أحب اني شربته وانه غفر لي قالت ولم قال أكره ان انال مغفرته بمعصية وقد كان لطاوس اليماني بضاعة يتجر له فيها من التمر فاشترى مضاربه ببضاعته أدما من بعض أولياء السلطان وكتب اليه بذلك وكتب اليه طاوس أفسدت علينا مالنا ما أحب ان أتلبس بشيء منه فبع الاديم باليمن وتصدق بثمنه ولا تدخل منه الى الحرم درهما واحدا وأنا أستغفر الله من طعمة الفقراء وأرجو أن أنجو كفافا لا علي ولا لي فيقال ان ذلك كان سبب فقره ولم يكن له مال غيره فبقي بغير معلوم من دنيا وكان خالد القشيري لما ولي مكة بعد ابن الزبير أجرى نهرا في طريق أهل اليمن الى مكة فكان طاوس ووهب بن منبه اليمانيان رضي الله عنهما اذا مرا عليه لم يتركا دوابهما ان تشرب منه وقد كان سهل رحمه الله يقول رجل بات في قرية جائعا قام الى الغداة لم يقدر ان يصلي من الجوع أعطاه الله في منزله جميع صلاة المصلين القائمين في قريته قيل وكيف ذلك قال طلب الحلال فلم يجده فكره ان يدخل جوفه حراما فبات طاويا فله أجر المصلين القائمين في تلك الليلة وهو سليمان التيمي رحمه الله ترك أكل الحنطة فقيل له في ذلك فقال انها تطحن في هذا الارحى فقال المسلمون شركاء في الماء وهؤلاء يأخذون خراجها دون سائر الناس وحدثت ان امرأة أهدت الى بشر بن الحرث سلة عنب فقالت هذه من ضيعة أبي فردها بشر عليها فقالت سبحان الله تشك في كرم أبي وفي صحة ملكه وميراثي منه وشهادات تلك مكتوبة في كتاب الشراء فقال صدقت ملك أبيك ولكنك أفسدت الكرم قالت بماذا قال سقيته من نهر طاهر يعني طاهر بن الحسين بن مصعب بن عبد الله بن طاهر صاحب المامون وهذا النهر هو الخندق المعترض في الجانب الغربي لم يكن يشرب من الخندق ولا يمشي على الجسر وقد كان بشر يقول منذ ثلاثين سنة اشتهي شواء وما أتركه زهدا فيه ولو صح لي درهمه لا كلته فهذه سيرة المتقدمين وطريق السالكين من سلكها لحق بهم وكان كأحدهم ومن خالفها فليس على سنة السلف ولا من صالحي الخلف وسعة رحمة الله الواسعة بمشيئته السابقة فاعتبروا يا أولي الابصار وقد كان من سيرة القدماء من أهل الورع ان لا يستوعب أحدهم كلية حقه بل يترك شيأ خشية ان يستوفي الحلال كله فيقع في الشبهة فانه يقال من استوعب الحلال حام حول الحرام فكانوا يستحبون ان يتركوا بينهم وبين الحرام من حقهم حاجزا من الحلال لقول الرسول صلى الله عليه وسلم من يرتع حول الحمى يوشك ان يواقعه ومنهم من كان يترك من حقه شيأ لغير هذه النية ولكن لقول الله عز وجل ان الله يأمر بالعدل والاحسان قالوا فالعدل ان تأخذ حقك كله وتعطي الحق والاحسان ان تترك بعض حقك وتبذل فوق ما عليك من الحق لتكون محسنا ولان الله تعالى كما أمر بالعدل قد أمر بالاحسان لقوله حقا على المتقين حقا على المحسنين وهذه الطريقة قد جهلت من عمل بها فقد أظهرها حدثونا عن بعضهم قال أتيت بعض الورعين بدين له علي وكان خمسين درهما قال ففتح يده فعددت فيها الى تسع وأربعين درهما فانقبض يده فقلت هذا درهم قد بقي لك من حقك قال قد تركته لك اني أكره ان استوعب مالي كله فاقع فيما ليس لي وقد كان عبد الله بن المبارك وغيره يقول من اتقى من تسعة وتسعين شيأ ولم يتق من شيء واحد لم يكن من المتقين ومن تاب من تسعة وتسعين ذنبا ولم يتب من ذنب واحد لم يكن من التوابين ومن زهد في تسعة وتسعين شيأ ولم يزهد في شيء واحد فليس هو من الزاهدين وقد روى عطية السعدي عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون الرجل من المتقين حتى يترك ما لا باس به حذرا مما به البأس وروينا عن أبي الدرداء انما التقوى ان يتقي الله العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى انه حلال خشية ان يكون حراما يكون حجابا بينه وبين الحرام وبمعنى هذا ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال كنا نترك سبعين بابا من الحلال مخافة باب واحد من الحرام وهذا طريق قد مات أهله فمن سلكه فقد أحياهم فاما أموال التجار والصناع والمتصرفين في المعايش المباحة بالاسباب الجائزة في العلم مع موافقة الكتاب والسنة فهي شبهات ثم تتنوع بنوعين فتكون شبهة حلال اذا عاملت المتقين

وأخذت

من الخير وأنا أسأله عن الشر مخافة ان أقع فيه وعلمت ان الخير لا يسبقني وكنت أقول يا رسول الله ما يطهر كذا وكذا فلما رآني أسأل عن آفات الاعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة قد خص بالعلم الذي يعرف به دقائق النفاق ومداخله وأسبابه ودقائق اليقين وخصه النبي صلى الله عليه وسلم بمعرفة اليقين وكان يسمى صاحب السر والعناية بمقامات القلب وأحواله وذلك هو داب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن مندرسا في زماننا مرفوضا منكرا واذا تعرض الانسان لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا ترويق المذكورين وفق الوعاظ ويعرضون عنه فهو عندهم من حيز المنكرات ولقد أخذت مع جماعة من أهل زماننا في ذكر شيء من ذلك فبعضهم لاح على وجهه الكراهة وبعضهم صرح بان هذا شيء لا يحتاج اليه وفي الفقه كفاية عن هذا وغيره وبعضهم صرح بذمه واستهجانه وان ذلك هذيان برزت عنه ألفاظ تقرب من الكفر حتى انه قام أثناء كلامه قاصدا بقيامه ترك الاستماع له وكان قيامه في أثناء ايرادي لحديث صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من آفات النفس وغرور الشيطان وانما أورثهم هذه الجراءة أمران أحدهما ان هذا يخالف بهم عن هوى

وأخذت من الورعين وتكون شبهة حرام اذا عاملت قليلي التقوى والورع وأما غير ذلك من أموال الجند فانه حرام لفساد سببه ولمخالفة الاحكام فما كان عن معاملة لهم وكسب ولم تعلم شيأ بعينه غصبا ولا جناية فهو أسهل وما علمته فهو نص الحرام فالله الله فى نفسك انظر أيها المسكين لمعادك واحفظ لدينك فان كسبك من دينك وطعمتك من اعمالك فان تهاونت بذلك فقد تهاونت بالدين ونبذت الاحكام وضيعت اليوم نفسك ولم تنظر فيما قدمت لغد ونعوذ بالله من سوء القضاء ويقال ان العدو اذا ظفر من العبد بسوء الطعمة لم يعترض عليه فى الاعمال وقال قد ظفرت منك بحاجتى اعمل الآن ما شئت ولم يعد عليه من أعماله الا ظلمة فى قلبه وقسوة وضعفا فى عزيمة وفتورا ومعصية وحرم التوفيق والعصمة ولم يورث علم المكتوب والحكمة فان كان المتصرف فى السوق على الوصف المكروه مخالفا للعلم فى تصرفه مفارقا للاحكام لا يبالى من أى وجه ظهر وباى سبب عليه قدر غير متق فى كسبه ولا مرع لدين الله عز وجل فيه وحكمه فهو آكل للمال بالباطل قاتل لنفسه مفسد لدينه غاش للمسلمين والله لا يصلح عمل المفسدين كما لا يضيع أجر المصلحين ومع ذلك فهو غير ناصح لله عز وجل ولخلقه فى الدين مقامه فى الظلم وحاله الهوى والله لا يحب الظالمين فهو مأمور بالتوبة فى جميع تصرفه مفترض عليه الانابة فى جميع تقلبه قبل أن يبغته الموت ويفجأه الفوت فيلقى الله تعالى ظالما ذا هوى فقد قال تعالى ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقال تعالى وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وقال بعض الحكماء الدنيا بحر عجاج والتجار فيه غاصة فواحد يغوص فيخرج درا وهؤلاء أبناء الآخرة الذين لها يعملون وآخر يغوص فيخرج آجرا وهؤلاء عمال الدنيا الذين عليها يحرصون وآخر يخرج سمكا وهؤلاء المقتصدون وآخر فى قعره قد غرق وهؤلاء المطرودون عن الطاعة الى الاسواق كلما أرادوا أعمال البر طردوا عنها الى السوق وشغلوا فقد غرقوا فى بحر الخطايا وآخر طاف مع الامواج يضطرب يطلب النجاة كلما رفعته موجة طمع فى النجاة ثم تغطيه موجة أخرى فيخاف الهلكة وهؤلاء المريدون الاستقامة فى زماننا هذا ترفعهم التوبة الى النجاة وتحطهم العادة الى الهلكة وروينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا وأوحى الله عز وجل الى بعض أنبيائه لا تتخذوا الاهل والمال فى زمن العقوبات ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

النفس وينادى بالويل والثبور وعلى علماء السوء والثانى الجهل والكبر وقسوة القلب نسأل الله العافية والسلامة ونعوذ به من المكر والخزى فانظر كيف صار الحق فى زمان الصحابة والتابعين باطلا فى زماننا هذا والمعروف منكرا اللهم وفقنا لطاعتك وجنبنا معصيتك ولا تحد بنا عن طريقك يا مجيب دعوة الداعين اللهم نبهنا من نوم الغفلة وأيقظنا من طول هذه الرقدة واهدنا وارشدنا وأسمعنا يا هادى العمى يا مسمع الصم يا ذا الفضل الجليل يا لطيف يا جميل يا ذا العطاء الجزيل يا رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

(يقول راجى غفران المساوى محمد الزهرى الغمراوى)

نحمدك يامن هيأت القلوب لتتيقظ لمرضاتك وفتحت أقفالها باسرار معرفتك وأنوار هباتك ونصلى ونسلم على من أرسلته بطب القلوب وأيدته بما أنزلت عليه من قوت القلوب وتبيين الغيوب وعلى آله الذين تحققوا برياضة النفوس فتحلوا بانوار اليقين وأصحابه السائرين على منهجه المبين أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب قوت القلوب فى معاملة المحبوب للامام الفاضل والاستاذ الكامل سيدنا ومولانا الشيخ أبى طالب المكى رحمه الله وأثابه رضاه وهو كتاب له من اسمه أكبر نصيب ومن التكلم على آفات النفوس والاستشهاد بالآى كل مطرب غريب وفى تبيين طريق السلف الصالح ما يجعل الغائب كانه حاضر مبصر وفى أحوال أهل اليقين ما يزيح الخفاء ويجلو من عين القلب النظر وبالجملة فهو كتاب شهرته طبقت الآفاق وهى أقل مما فيه وليس الخبر يكفى ما العيان يكفيه وقد حليت طرر الجزء الاول منه بكتاب سراج القلوب وعلاج الذنوب للشيخ أبى على زين الدين على المعبرى الفنانى ووشيت غرر الجزء الثانى منه بكتاب حياة القلوب فى كيفية الوصول الى المحبوب لعماد الدين الاموى رحم الله الجميع وأسكنهم من الجنة المكان الرفيع وذلك بالمطبعة الميمنيه بمصر المحروسة المحمية بجوار سيدى أحمد الدردير قريبا من الجامع الازهر المنير ادارة المفتقر لعفو ربه القدير أحمد البابى الحلبى ذى العجز والتقصير فى شهر ذى القعدة سنة ١٣١٠ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحيه آمين



(فهرسة الجزء الاول من كتاب قوت القلوب لابى طالب المكى)

بالانوار

(تمت)

(فهرست سراج القلوب وعلاج الذنوب الموضوع بهامش الجزء الاول من كتاب القوت)

(فهرست حياة القلوب وكيفية الوصول الى المحبوب الموضوع بأواخر هامش الجزء الاول من كتاب القوت وبكامل الجزء الثانى منه)

(البقية تأتى)

(فهرسة الجزء الثانى من كتاب قوت القلوب لابى طالب المكى)

(تمت)

(بقية فهرسة حياة القلوب الموضوع بهامش الجزء الثانى)

(تمت)